أنيس المسافر وجليس الخاطر

المعروف بـ:

كشكول البحراني

تأليف

العالم البارع الفقيه المحدث

الشيخ يوسف البحراني

المتوفى ١١٨٦ هـ

دار المحجة البيضاء

أنيس المسافر
وجليس الخاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

أَنِيسُ المُسَافِرِ وَجَلِيسُ الخَاطِرِ

المعروف بـ :

كشكول البحراني

تأليف

العالم البارع الفقيه المحدث

يوسف البحراني

المتوفى ١١٨٦ هـ

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

الجزء الأول

كلمات عن الكتاب والمؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مؤلف هذا الكتاب هو العالم الفقيه المحدث الكبير الشيخ يوسف بن العلامة الحجة الشيخ أحمد الدرازي البحراني.

ولد في البحرين سنة١١٠٧هـ في قرية ماحوز، ونشأ تحت رعاية والده الكريم، وتصدى والده لتدريسه وتهذيبه حتى أتقن القراءة والكتابة، ثم هاجر مع والده إلى القطيف ودرس العلوم العربية والفنون الأدبية هناك.

وبعد وفاة والده - في سنة١١٣١هـ - بسنتين عاد إلى البحرين وبقي فيها يواصل دراسته عند المشايخ والعلماء هناك... ثم عاد إلى القطيف وقرأ الحديث عند العلامة الشيخ حسين الماحوزي، حتى زوده بالإجازة في الرواية فرجع إلى البحرين.

وحدثت اضطرابات داخلية في البحرين اضطر المؤلف أن يغادر بلاده ويُهاجر إلى إيران، ليواصل مسيرته العلمية هناك، واستقر به المقام في شيراز، حيث تفرغ للإرشاد والتدريس والتأليف وإقامة صلاة الجماعة.

وفي عام ١١٦٣هـ قامت ثورة في شيراز بقيادة الطاغية «بغم دارخان» فقتل حاكم شيراز، وتعرضت دار المؤلف للهجوم من قبل المعتدين الثوار، ونُهبت مجموعة من كتبه ومؤلفاته وكاد أن يُقتل على يد أولئك الطغاة، لولا أن نجّاه الله تعالى فهاجر إلى مدينة اصطهبانات، ليواصل مسيرته العلمية هناك.

وأخيراً... قرر الهجرة من إيران إلى العراق، فاختار مدينة كربلاء المقدسة مسكناً له،

وكانت كربلاء مركزاً للعلم والفقهاء وكعبة للفضيلة والأدب ومجمعاً للمجتهدين والعلماء وعلى رأسهم: الفقيه الكبير الوحيد البهبهاني «رضوان الله عليه».

وهناك في كربلاء المقدسة راح يزاول أعماله الفقهية من تدريس وتأليف وأجوبة على المسائل الدينية، وفيها كتب أكثر مؤلفاته التي ناهزت الخمسين.

◎ هذا الكتاب:

ومن مؤلفاته: كتاب الكشكول، وهو الكتاب الذي بين يديك.. وهو كتاب رائع يجمع بين الفقه والحديث والأدب والشعر والتاريخ وغير ذلك، وجدير بأهل العلم والمعرفة أن ينهلوا من هذا المنهل العذب.

◎ وفاته:

ولم يزل «رضوان الله عليه» في كربلاء المقدسة مشتغلاً بالتدريس والتأليف زهاء عشرين سنة، حتى فارق الحياة يوم السبت بتاريخ٤ربيع الأول سنة ١١٨٦هـ فشيّع جثمانه تشييعاً ضخماً، ودفن في حرم سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام فرحمة الله عليه وعلى علمائنا الأبرار الذين أناروا الطريق ونشروا العلم والمعرفة بين الناس.

مقدمة المؤلف للكتاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شق ليل العدم بفلق نهار الوجود، وأظهر صنعه من خفاه اللبس إلى فضاء الأنس والشهود، وأبرز عينه إلى عرصة الظهور والجنان بعد أن كان كامناً تحت سرادقات غيب الإمكان، دلع لسان صباح وجوده بنطق تبلجه، وسرّح قطع ليل عدمه بغياهب تلجلجه، وشعشع ضياء شمس إبداعه بنور تأججه وأتقن صنع فلك تكوينه في مقادير تبرجه، والصلاة على نبيه الهادي إليه بعدما وقب غاسق الجهالة والدليل عليه بعدما احتجب وجه الهدي بظلم الضلالة محمد وآله الراكبين على متون العز والإيالة والسابقين في مضامير الفخر والبسالة.

أما بعد: فيقول الفقير إلى جود ربه الكريم يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني (ملكه الله نواصي الأماني وذلل له شوامس المعاني): غير خفي على ذوي الأفهام الوقادة والأذهان النقادة والعقول السليمة والطباع القويمة أن الإنسان في هذه الدار لما كان غرضاً للهموم والأكدار وهدفاً للغموم والآصار سيما عند امتطاء مطايا الأسفار وارتكاب مشقة الغربة في الأمصار، وعند عروضها يتوزع منه البال ويعتريه الضجر والملال وتعتوره ايدي السآمة والاختلال فلربما منعه ذلك من مطالعة العلوم الدينية والاقتطاف من لذيذ ثمارها الجنية بل التقلب في جملة أموره الضرورية فيضطر إلى ترطيب الدماغ بلطائف المداعبات وترويح الروح بطرائف المطايبات من ايراد النكت الفائقة والنوادر الرائقة إراحة لتلك الأفكار المعتلة وتنشيطاً لتلك القلوب المختلة لما روي عن الإمام الصادق الصادع بالحكمة والناطق الذي بنور علمه انكشفت دياجير الظلمة: «إن الأرواح تكل كما تكل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة» وعن جده سيد الساجدين ومصباح المتهجدين: سلام من الرحمن نحو جنابهم فإن سلامي لا يليق ببابهم «إن للقلوب إقبالاً وإدباراً فإذا أقبلت فاقبلوا على النوافل وإذا أدبرت فدعوها».

وما روي عن ابن عباس ﷺ انه كان إذا فرغ من التدريس ورواية الأحاديث يقول لتلاميذه: حمضونا حمضونا، فيخوضون عند ذلك في الأشعار والطرائف والأخبار، وهذا الأمر وإن كان

قد يحصل بالاجتماع بإخوان الصفا من أُلي الألباب وخلان الوفا من الأحباب إلا أنهم في مثل هذا الزمان الخوان لا يدخلون في حيز الوجود بل ولا في حيز الإمكان، فرأيت أن اصنع كتاباً متضمناً لطرائف الحكم والأشعار مشتملاً على نوادر القصص والآثار قد حاز جملة من الأحاديث المعصومية والمسائل العلمية والنكات الغريبة والطرائف العجيبة يروح الخاطر عند الملال ويشحذ الذهن عند الكلال جليس أنيس يأمن الناس شره يذكر أنواع المكارم والنهى ويأمر بالإحسان والبر والتقى وينهى عن الطغيان والشر والأذى، وقد وسمته بعد الإتمام بتوفيق الملك العلام وبركة أهل الذكر عليهم ألف صلاة وسلام بـ «**أنيس المسافر وجليس الخاطر**» حيث إن المسافر مع الوحدة يحتاج إلى الأنيس والخاطر مع فقد المسامر يضطر إلى الجليس.

ولعمري لا جليس ولا أنيس أحسن من الكتاب، لا أمين ولا معين أعود نفعاً منه في هذا الباب ولا سيما في زماننا هذا الّذي قد التبست فيه الأصحاب بالذباب وتبدلت فيه الأحباب بالكلاب، وحاشا الكلاب والذئاب مما عليه أولئك الأحباب والأصحاب من قبح البواطن والسرائر والإظهار لخلاف ما أضمرت عليه الضمائر.

قال المسعودي قالت الحكماء: الكتاب نعم الجليس والقعيد أن شئت ألهتك نوادره وإن شئت أشجتك مواعظه وإن شئت تعجبت من فوائده، وهو يجمع لك الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والبادي والحاضر والشكل وخلافه والحسن وضده، وهو ميت ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء، وهو مونس ينشط بنشاطك وينام بنومك ولا ينطق إلا بما تهواه، ولا تعلم جاراً ولا خليطاً ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً اجمع ولا صاحباً أظهر كفاية ولا أقل جناية ولا آبد نفعاً ولا أحمد إخلافاً ولا أروم سروراً ولا أسكت غيبة ولا أعجل مكافأة ولا أخف مؤونة، إن نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وأيد فهمك وأكثر علمك، وتعرف منه في شهر ما لا تأخذه من أفواه الرجال إلا في دهر، ويغنيك عن كد الطب والخضوع فمن أثبت منه أصلًا وأشمخ منه فرعاً؟ وهو المعلم الذي لا يجفوك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وهو الذي يصحبك في السفر كصحبته لك فرعاً في الحضر.

فقد كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر لا يجالس الناس ونزل مقبرة وكان لا يرى إلا في يده كتاب يقرأه فسئل عن ذلك فقال: لم أر واعظاً أوعظ من قبر ولا ممتعاً أمتع من كتاب ولا شيء أسلم من الوحدة، وقال بعضهم فيمن يجمع الكتب ولا يعمل بما فيها:

[البحر الطويل]

روامِلُ للأسفارِ لا علمَ عندَهم ... يـجـيـدُها إلاّ كـعـلـم الأبـاعـرِ
لعمرِكَ ما يدري البعيرُ إذا غدا ... بأوساقِه أو راحَ ما في الغرائرِ

فائدة: روى ثقة الإسلام في الكافي عن معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت: جعلت فداك الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم الكلام يمزحون ويضحكون؟ فقال: لا بأس ما لم يكن، فظننت أنه عنى الفحش ثم قال:

إن رسول الله ﷺ كان يأتيه الأعرابي فيهديه الهدية ثم يقول مكانه: أعطنا ثمن هديتنا، فيضحك رسول الله ﷺ وكان إذا اغتم يقول: ما فعل الأعرابي ليته أتانا.

وروي فيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من مؤمن إلا وفيه دعابة، قلت: وما الدعابة؟ قال: المزاح. وروي فيه عن يونس الشيباني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل، قال: فلا تفعلوا فإن المداعبة من حسن الخلق وأنك لتدخل بها السرور على أخيك ولقد كان رسول الله ﷺ يداعب الرجل يريد أن يسره. قال بعض شراح الحديث: قوله عليه السلام: «فلا تفعلوا» أي فلا تفعلوا ما تفعلون من قلة المداعبة بل كونوا على حد الوسط فيها لما يأتي من ذم كثرتها.

أقول: والأظهر حمل قوله عليه السلام: فلا تفعلوا على الاستفهام بحذف همزته كما يعطيه التعليل بعده. وروى الصدوق عطر الله مرقده في كتاب معاني الأخبار عن الصادق عليه السلام قال: المروءة مروءتان مروءة الحضر ومروءة السفر فأما مروءة الحضر فتلاوة القرآن وحضور المساجد وصحبة أهل الخير والنظر في الفقه، وأما مروءة السفر فبذل الزاد والمزاح في غير ما يسخط الله وقلة الخلاف على من صحبك وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم.

هذا: وقد روي في ذم المزاح أيضاً أخبار عنهم عليهم السلام منها ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال:

إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه. ويمكن الجمع بين هذا الخبر وما بمعناه وبين الأخبار المتقدمة إما بحمل أخبار النهي على ما إذا تضمن فحشاً كما دل عليه الخبر الأخير وهو الظاهر من الأول أيضاً، ويدل عليه أيضاً ما روي عن الباقر عليه السلام قال: «إن الله يحب المداعب في الجماعة بلا رفث» أو على ما كثر منه كما روي عن أحدهما قال: «كثرة المزاح تذهب بماء الوجه» ولقد أجاد من قال: [البحر الكامل]

إيــاكَ إيــاكَ الـمــزاحَ فــإنَّــه ... يجرىء عليكَ الطفلَ والدنسَ النذْلا
ويُذهبُ ماءَ الوجهِ بعدَ اختفائِه ... ويُورثُ بعدَ العزِّ أصحابَه الذُّلا

أو على ما تضمن استهزاء وسخرية كما يدل عليه ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إياكم والمزاح فإنه يجر السخيمة ويورث الضغينة وهو السب الأصغر» وحينئذ فتحمل أخبار الجواز والأمر به على ما عدا ذلك، ولله در من قال وهو أبو الفتح كما نص عليه الجزائري في أول كتابه: [البحر الطويل]

أفدْ طبعَك المصدورَ بالجدِّ راحةً ... يجمُّ وعلِّله بشيءٍ منَ المزْحِ
ولكنْ إذا أعطيتَه المزحَ فليكنْ ... بمقدارِ ما يُعطى الطعامُ منَ الملحِ

ومن هذا: روي انه ﷺ كان ذات يوم يأكل رطباً مع ابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام وكان يضع النوى مما يلي علياً فلما فرغ من الأكل كان النوى كله مجتمعاً عند علي فقال له: يا علي

إنك لأكول! فقال: يا رسول الله الأكول من يأكل الرطب ونواه. وروي عنه أنه ذات يوم أتته امرأة عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال لها: أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز؟ فولت المرأة تبكي فتبسم رسول الله ﷺ فقال لها: أما قرأت قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾(1)، وروي أنه أتته امرأة في حاجة لزوجها فقال لها: ومن زوجك؟ قالت: فلان، قال: الذي في عينيه بياض؟ فقالت: لا، فقال: بلى، فانصرفت عجلاً إلى زوجها وجعلت تتأمل في عينيه، فقال: ما شأنك؟ فقالت: أخبرني رسول الله ﷺ أن في عينيك بياضاً، فقال لها: أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها.

وروي عنه ﷺ أنه جاء رجل فقال: يا رسول الله احملني على جمل، فقال: لا أحملك إلا على ولد الناقة، فقال: لا يطيقني، فقال الناس: ويحك وهل الجمل إلا ولد الناقة؟! وكان نعيمان الصحابي من أولع الناس بالمزاح وكان بدوياً، قيل إنه ذكر عند النبي ﷺ أنه يكثر المزاح ويضحك فقال: إنه يدخل الجنة وهو يضحك. فمن مزح نعيمان أنه مر يوماً بخزيمة بن نوفل وهو ضرير، فقال له: قدني أبول، فأخذ بيده حتى أتي به إلى المسجد فأجلسه في مؤخره فصاح الناس به: إنك في المسجد، فقال: من قادني؟

قالوا: نعيمان، قال: لله علي أن اضربه بعصايَ هذه إن وجدته، فبلغ ذلك نعيمان فجاء إليه وقال: يا أبا المسور هل لك في نعيمان؟

قال: نعم، قال: ها هو قائم يصلي، وجاء به إلى عثمان بن عفان وهو يصلي فقال: هذا نعيمان، فعلاه بعصاه فصاح الناس به: أمير المؤمنين، فقال: من قادني؟ قالوا: نعيمان، فقال: والله لا تعرضت له بسوء أبداً.

وحكى عطاء بن سائب قال: كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا، وكان رجل يسمى «تاج الواعظ» يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم. ومن لطائفه أنه حكى يوماً بعد فراغه من وعظ فقال: سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع في قلبي أن أتعلمه فدخلت سوق الكتابين واشتريت كتاباً في التصحيف فمن أول ما تصفحته وجدت فيه سكباج نيك تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت أن لا أشتغل به، فضحك الناس من قوله حتى غشي عليهم.

منتخب من كتاب الأوائل

أول ما خلق الله: القلم. أول جبل وضع على وجه الأرض: أبو قبيس. أول مسجد وضع: المسجد الحرام. أول ولد ولد لآدم: قابيل. أول من خط وخاط: إدريس. أول من أختتن،

(1) سورة الواقعة، الآيات: ٣٥-٣٧.

وضاف الضيف، إبراهيم، أول من دخل الحمام: سليمان. أول من طبخ الآجر هامان. أول من سيب السوائب: عمرو بن يحيى. أول من سن الدية من الإبل: عبد المطلب، أول من قطع في السرقة في الجاهلية، وقضى بالقسامة، وخلع نعليه عند دخول الكعبة: الوليد بن المغيرة، أول عربي قسم للذكر مثل حظ الأنثيين: عامر بن خيثم. أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[1]. ، أول آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾[2] أول من أسلم: علي بن أبي طالب عليه السلام. أول من هاجر إلى الحبشة: خاطب بن عمرو، والي المدينة: مصعب بن عمير، ومن النساء: أم كلثوم بنت عقبة. أول من أذن: بلال. أول من بنى مسجداً في الإسلام: عمار، أول شهيد في الإسلام: سمية. أول ظهار كان في الإسلام: ظهار أويس بن صامت من المجادلة. أول خلع كان في الإسلام: حبيبة بنت سهل بن ثابت بن قيس. أول لعان كان في الإسلام: لعان هلال بن أمية مع زوجته. أول مرجوم كان في الإسلام: ماعز، أول من أوصى بثلث ماله البراء بن معرور. أول من دفن بالبقيع: عثمان بن مظعون. أول من وضع النحو: أبو الأسود الدؤلي، أخذه عن أمير المؤمنين عليه السلام. أول من نقط المصاحف: يحيى بن معمر، أول ما يرفع من الناس: الخشوع. أول ما تفقدون من دينكم: الأمانة، أول الآيات: طلوع الشمس من مغربها.

روى الصدوق رحمه الله في كتاب الأماليعن النبي صلى الله عليه وآله: أنه قال: «إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أن يعرفه بدء الدنيا: منذ كم خلقت؟ فأوحى الله إليه أتسألني عن غوامض علمي؟ فقال يا رب: أحب أن أعلم ذلك.

فقال: يا موسى خلقتها منذ مئة ألف ألف عام عشر مرات، وكانت خراباً خمسين ألف عام، ثم بدأت في عمارتها، فعمرتها: خمسين ألف عام، ثم خلقت فيها خلقاً على مثل البقر يأكلون رزقي، ويعبدون غيري: خمسين ألف عام، ثم أمتهم كلهم في ساعة واحدة، ثم خربت الدنيا خمسين ألف عام، ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة: خمسين ألف عام، ثم خلقت فيها بحراً، فمكث البحر خمسين ألف عام، لا شيء في الدنيا محتاجاً يشرب منه، ثم خلقت دابة وسلطتها على ذلك البحر فشربته بنفس واحد، ثم خلقت خلقاً اصغر من الزنبور وأكبر من البق، فسلطت ذلك الخلق على هذه الدابة، فلدغها فقتلها، فمكثت الدنيا خراباً خمسين ألف عام، ثم بدأت في عمارتها فمكثت خمسين ألف عام، ثم جعلت الدنيا كلها آجام القصب، فخلقت السلاحف وسلطتها عليها فأكلتها حتى لم يبق منها شيء، ثم أهلكتها في ساعة واحدة، فمكثت الدنيا خراباً خمسين ألف عام، ثم بدأت في عمارتها، فمكثت عامرة خمسين ألف عام، ثم خلقت ثلاثين ألف آدم، وجعلت عمر كل آدم ثلاثين ألف عام، ومن كل آدم إلى آدم ثلاثين ألف سنة، فأفنيتهم كلهم بقضائي وقدري، ثم خربتها فمكثت خراباً خمسين ألف عام، ثم بدأت بعمارتها، ثم خلقت فيها ألف ألف مدينة من الفضة البيضاء وخلقت في كل مدينة مئة ألف ألف

(١) سورة العَلق، الآية: ١. (٢) سورة الحَجّ، الآية: ٣٩.

قصر من الذهب الأحمر فملأت المدن والقصور خردلاً إلى أن سد الهواء، والخردل يومئذ ألذّ من الشهد وأحلى من العسل وأبيض من الثلج، ثم خلقت طيراً واحداً أعمى وجعلت طعامه في كل سنة حبة من الخردل، فأكلها حتى فنيت ثم خربتها، فبقيت خراباً خمسين ألف سنة، ثم بدأت في عمارتها، فمكثت عامرة خمسين ألف عام، ثم خلقت فيها أباك آدم بيدي يوم الجمعة، وقت الظهر، ولم أخلق من الطين غيره أخرجت من صلبه محمد المصطفى ﷺ.

أقول: وروى هذا الحديث أيضاً صاحب كتاب جامع الأخبار في الكتاب المشار إليه - قال بعض الفضلاء (ذيل) هذا الخبر: وتحته معاني ألفاظ هذا الخبر، من لمعان الأسرار وغوامض واغوار، لا نهتدي إلى رموزها ولا يمكننا أن نعثر على كنوزها، وليس لنا منها إلا الاعتراف بالعجز والقصور، سوى ما يفهم من ظاهرها من طول امتداد مدد الأزمنة والدهور من جهة بدء العالم، وكثرة أعداد آدم وبني آدم - انتهى.

فائدة: اختلف علماؤنا في تعيين «إسحاق بن عمار» الواقع في الأسانيد واتحاده وتعدده، فالأكثر، ومنهم العلامة في «الخلاصة» وميرزا محمد في «كتاب الرجال»، والشيخ عبد النبي الجزائري في «الحاوي» وشيخنا العلامة أبو الحسن في «حواشي الخلاصة» وشيخنا المجلسي «رضي الله عليهم»: على القول بالإتحاد.

وذهب جماعة منهم شيخنا البهائي في «كتاب مشرق الشمسين»، وتلميذه الشيخ علي بن سليمان في «حواشي كتب الحديث»: إلى التعدد، وأنهما اثنان: أحدهما إسحاق بن عمار بن موسى الساباطي، وهو واقفي، والثاني - إسحاق بن عمار بن حيان إمامي، حتى أن الشيخ علي«قدس» صرح في حواشي الحديث: بأنه متى وردت رواية إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله، فهو ابن حيان الثقة الإمامي.

ويظهر منه أن إسحاق بن عمار الساباطي لم يدرك الصادق عليه السلام، وحينئذ فاحتمال الاشتراك إنما يحصل فيما إذا روى إسحاق بن عمار عن الكاظم عليه السلام.

أقول: والأظهر عندي هو القول بالتعدد، كما هو المستفاد من التتبع في كتب الرجال والمعلوم من القرائن والأمارات الواردة في هذا المجال، والظاهر أن منشأ الشبهة عند من ذهب إلى الاتحاد، هو كلام العلامة في الخلاصة، حيث إنه جمع بين عبارتي النجاشي والفهرست على وجه كأنهما عبارة واحدة والعبارتان عند الرجوع إلى الكتابين على غاية من التنافي.

قال النجاشي في كتابه: إسحاق بن عمار بن حيان، مولى بني تغلب الصيرفي: شيخ من أصحابنا ثقة وإخوته: يونس، ويوسف، وقيس، وإسماعيل، وهو في بيت كبير من الشيعة، وابناء أخيه: علي بن إسماعيل، وبشر بن إسماعيل كانا من وجوه من روى الحديث، روى إسحاق عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام - انتهى.

وقال في الفهرست: إسحاق بن عمار الساباطي له أصل، وكان فطحياً إلا أنه ثقة وأصله معتمد عليه - انتهى.

والعلامة في الخلاصة جمع بين أخذه من العبارتين، فقال: إسحاق بن عمار بن حيان مولى بني تغلب، أبو يعقوب الصيرفي، كان شيخاً في أصحابنا ثقة، روى عن الصادق، والكاظم عليه السلام، وكان فطحياً، قال الشيخ: إلا أنه ثقة وأصله معتمد عليه، وكذا قال النجاشي، فالأولى عندي التوقف فيما ينفرد به - انتهى.

ومن هذه العبارة سرى الوهم والاشتباه عند من تأخر عنه ممن لم يحقق الحال ولم يتدبر في قرائن الأحوال، ومما يدل على التعدد أن المذكور في «جش»[1] إسحاق بن عمار بن حيان، وأنه صيرفي وأن له إخوة وأبناء إخوة مشاركين له في النسب، والنسبة، والمذكور في «ست»[2] ابن عمار بن موسى الساباطي، وله إخوة أيضاً متصفون بهذه النسبة، ولم يذكر في ترجمة أحد من ولد عمار بن حيان مع تعددهم في كتب الرجال، ورواياتهم للأخبار أنه ساباطي، ولا في أحد من ولد عمار بن موسى أنه صيرفي، مع استقصاء علماء الرجال لذكر الصفات المميزة، ففي ترجمة قيس من «صه»[3] أنه قيس بن عمار بن حيان، قريب الأمر، وفي ترجمة إسماعيل: أنه إسماعيل بن عمار بن حيان الصيرفي الكوفي وأنه أخو إسحاق، وفي الحديث أن الصادق عليه السلام كان إذا رآهما قال: «وقد يجمعهما لاقوام» يعني الدنيا والآخرة.

وفي الكافي في الصحيح عن عمار بن حيان قال: أخبرت أبا عبد الله عليه السلام ببرّ إسماعيل ابني بي، فقال لقد كنت أحبه، وقد ازددت له حبّاً، وفي ذلك، ما يشهد بجلالتهما.

وفي ترجمة محمد بن إسحاق من «كش»[4] و«صه»: محمد بن إسحاق بن عمار بن حيان التغلبي الصيرفي: ثقة عين.

وروي في كتاب العلل عن إسحاق بن عمار قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فخبرته أنه ولد لي غلام فقال: «ألا سميته محمداً» فقلت قد فعلت، فقال: «لا تشتمه، جعله الله لك قرة عين في حياتك وخلف صدق بعدك» وفي هذا الحديث المتضمن لدعاء الإمام عليه السلام لمحمد المذكور ما يدفع ما ذهب إليه ابن بابويه من كونه واقفياً.

وفي ترجمة يونس بن عمار الصيرفي تغلبي وفي ترجمة يوسف من الخلاصة ابن عمار بن حيان ثقة، وبشر بن إسماعيل المشار إليه في ترجمة إسحاق بن عمار من «جش». ولم يذكر له ترجمة في كتب الرجال لكن وقفت على حديث رواه في «يب»[5] في باب الزيادات في فقه الحج

---

(١) «جش: تعني هذه بعض الرموز والإشارات المتداولة للكتب الرجالية. وهذه الإشارات لكتاب «رجال النجاشي».

(٢) «ست»: وهذه إشارة لكتاب، «فهرست الشيخ الطوسي».

(٣) «صه»: وهذا رمز لكتاب، «الخلاصة العلامة الحلي».

(٤) «كش»: وهذا رمز لكتاب، «رجال الكشي».

(٥) «يب»: هذا رمز مستعمل لكتب الأخبار الشريفة وهو كتاب، «تهذيب الاحكام لشيخ الطائفة الطوسي».

وفيه: فلقي إسماعيل بن حميد بشر بن إسماعيل بن إسماعيل بن عمار الصيرفي، فأخبره، فدخل فسأله عنها، فقال: نعم واجب الحديث، وأنت خبير بأن المستفاد من جميع ذلك كون إسحاق بن عمار المذكور في «جش» من الشيعة الإمامية وأن جميع إخوته وأبناء إخوته المذكورين كذلك، وإن جهل الأمر في بعض ولم يوصف أحد منهم بالفطحية ولا بكونه ساباطياً بخلاف عمار بن موسى الساباطي فإنه حيث يذكر هو أو أحد من ولده وإخوته يوصف بذلك، ففي عبارة «الفهرست» في إسحاق ما عرفت، وفي ترجمة عمار أنه ابن موسى الساباطي أخو عمار الساباطي ثقة وفي ترجمة أخيه صباح من «صه» أنه ابن موسى الساباطي أخو صباح الساباطي ثقة، وفي حواشي شيخنا الشهيد الثاني علي «صه»: ولم يكن فطيحاً كأخيه عمار.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنه في عدة من الأخبار وصف عمار بكونه صيرفياً، ففي باب إخراج القيمة في زكاة الفطرة من الاستبصار رواية إسحاق بن عمار الصيرفي عن أبي عبد الله عليه السلام والواجب النظر إلى ما ذكرنا حمله على المذكور في «جش» فيكون حديثه صحيحاً وصاحب المدارك عده في الموثق بناء على حكمة بالاتحاد في باب من أفتى المحرم بتقليم الظفر فأدماه فعليه شاة: زكريا المؤمن عن إسحاق بن عمار الصيرفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام الحديث، ومما ورد، دالاً على روايته عن الكاظم عليه السلام ما رواه في كتاب «ثواب الأعمال» عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه سليمان الديلمي عن إسحاق بن عمار الصيرفي عن أبي الحسن الماضي عليه السلام وفي باب الصرف من كتب الأخبار روايات عن إسحاق بن عمار عنه عليه السلام والواجب حمله على ابن حيان المذكور في «جش» فتكون أحاديثه مع السلامة عن مطعون فيه صحيحة، وفي حاشية «كتاب الرجال الصغير» ما يدل على عدول «المصنف» إلى القول بالتعدد، حيث قال: والظاهر من التتبع: أن إسحاق بن عمار اثنان: ابن عمار بن حيان الكوفي، وهو المذكور في «جش» وإسحاق بن عمار بن موسى الساباطي وهو المذكور في «ست» وإن الثاني فطحي دون الأول - انتهى.

حكى أبو الهيجاء عمران بن شاهين

قال: كنت أساير معتمد الدولة «أبا المنيع قرواش» بن المقلد ما بين سنجار ونصيبين، فنزلنا ثم استدعاني بعد الزوال وقد نزل بقصر هناك يعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوي وكان مطلاً على بساتين ومياه كثيرة، فدخلت عليه، فوجدته قائماً يتأمل كتابة على الحائط فقرأتها فإذا هي:

[البحر البسيط المجزوء]

يا قصرَ عباسِ بْنِ عمروِ ... كيفَ فارقَك ابْنُ عمروِكْ
قد كنتَ تغتالُ الدهورَ ... فكيفَ غالَك ريبُ دهرِكْ
واهاً لعزِّك بلْ لجودِك ... بلْ لمجدِك بلْ لفخرِكْ

وتحتها مكتوب «كتبه علي بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة أحدى وثلاثين وثلاثمائة وهذا الكاتب هو سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبي وقال الراوي وكان تحت ذلك مكتوب: [البحر البسيط المجزوء]

يا قصرُ ضعضعَك الزّمانْ وحطَّ مِنْ علياءِ قدرِكْ
ومَحا محاسِنَ أسْطرٍ شرفتْ بهنَّ متونُ جدرِكْ
واهاً لكاتِبِها الكريمِ وقدرِهِ الموفي بقدرِكْ

وتحته مكتوب «وكتبه الغضنفر بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه في سنة اثنين وستين وثلاثمائة» وهذا الكاتب هو عدة الدولة بن ناصر الدولة، الحسن أخو سيف الدولة وتحت ذلك أيضاً مكتوب: [البحر البسيط المجزوء]

يا قصرُ ما فعلَ الألَى ضربتْ قبابُهم بعقرِكْ
أخنَى الزمانُ عليهمُ وطواهمُ بطويلِ نشرِكْ
واهاً لقاصر عمّ منْ يختالُ فيك وطول عمرِكْ

وتحته مكتوب «وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه سنة ٣٨٨ وهذا الكاتب هو أبو حسان المقلد بن حسام الدولة المسيب العقيلي صاحب الموصل وتحت ذلك مكتوب:

[البحر البسيط المجزوء]

يا قصرُ ما صنعَ الكرامُ الساكنونَ قديمَ عقرِكْ
عاصرتهمْ فبددتهمْ وشأوتهمْ طُراً بصبرِكْ
ولقدْ أثارِ تفجُّعي يا بْنَ المسيِّبِ رقمُ سطرِكْ
وعلمتُ أنّي لاحقٌ بكَ دائبٌ في قفوِ أثرِكْ

وتحته مكتوب وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعمائة» قال الراوي: فتعجبت من ذلك وقلت لقرواش الساعة كتبت هذا؟ قال: نعم، وقد هممت بهدم هذا القصر فإنه مشؤوم قد دفن الجماعة فدعوت له بالسلامة وانصرفنا ولم يهدم القصر.

وبين ما كتبه سيف الدولة وما كتبه قرواش سبعون سنة، ذكر ذلك ابن خلكان في تاريخه «وفيات الأعيان».

من كشكول البهائي - الحب كيف يصنع

حكى بعض الثقات قال: اجتزت في بعض أسفاري بحي بني عذرة، فنزلت في بيت من بيوته فرأيت جارية قد ألبست من الجمال حلة الكمال، فأعجبني حسنها وجمالها وكلامها فخرجت في بعض الأيام أدور في الحي، وإذا أنا بشاب حسن الوجه عليه أثر الوجد، أضعف من الهلال

وانحف من الخلال، وهو يوقد ناراً تحت قدر ويردد أبياتاً ودموعه تجري على خديه فمما حفظت منه قوله: [البحر الطويل]

فلا عنكِ لي صبرٌ ولا فيكِ حيلةٌ ... ولا عنكِ لي بدٌّ ولا عنكِ مهربُ
ولي ألفُ بابٍ قد عرفتُ طريقَها ... ولكنْ بلا قلبٍ إلى أينَ أذهبُ
فلو كان لي قلبانِ عشتُ بواحدٍ ... وأفردْتُ قلباً في هواكِ يعذَّبُ

فسألت عن الشاب وشأنه، فقيل: هوي الجارية التي أنت نازل في بيت أبيها، وهي محتجبة عنه منذ أعوام، فرجعت إلى البيت، وذكرت لها ما رأيت، فقالت: ذاك ابن عمي، فقلت يا هذه إن للضيف لحرمة، فنشدتك الله إلا ما متعته بالنظر إليك في يومك هذا، فقالت صلاح حاله أن لا يراني، فحسبت أن امتناعها فتنة فما زلت أقسم عليها حتى أظهرت القبول، وهي مكرهة، فلما قبلت مني قلت لها: أنجزي وعدك، فداك أبي وأمي، فقالت: تقدمني فإني ناهضة في أثرك فأسرعت نحو الغلام وقلت أبشر بحضور من تريد فإنها مقبلة نحوك الآن، فبينما أنا أتكلم معه إذ خرجت من خباها مقبلة تجر أذيالها، وقد أثارت الريح غبار أقدامها حتى ستر الغبار شخصها، فقلت للشاب: هذه قد أقبلت، فلما نظر إلى الغبار سقط وخر على النار على وجهه، فما أقعدته إلا وقد أخذت النار من صدره ووجهه، فرجعت الجارية وهي تقول: من لا يطيق مشاهدة غبارها كيف يطيق مطالعة جمالها.

لبعضهم

[البحر الطويل]

وما الفضلُ إلاَّ ما أقرتْ به العِدى ... لصاحبِه والشمسُ لا تتستَّرُ

مما نسب لأمير المؤمنين عليه السلام

[البحر الوافر]

إذا عاشَ الفتَى سبعينَ عاماً ... فنصفُ العمرِ تمحقُه الليالي
ونصفُ النصفِ من سهوٍ ولهوٍ ... ولا يدري يميناً عن شمالِ
ونصفُ الربعِ آمالٌ وحرصٌ ... وشغلٌ بالمكاسبِ والعيالِ
وباقي العمرِ آمالٌ وشيبٌ ... تدلُّ على زوالٍ وانتقالِ
فحُبُّ المرءِ طولَ الدهرِ جهلٌ ... وقسمتُه على هذا المثالِ

من كتاب بحار الأنوار

أقول: وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجباعي رحمه الله قال الشيخ محمد بن مكي رحمه الله:

وجدت بخط جمال الدين ابن المطهر وجدت بخط والدي ﷫ قال: وجدت رقعة مكتوب عليها بخط عتيق ما صورته «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أخبرنا به الشيخ الأجل العالم عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي، املاء من لفظه عند نزوله بالحلة السيفية، وقد وردها حاجاً سنة أربع وسبعين وخمسمائة ورأيته يلتفت يمنة ويسرة فسألته عن سبب ذلك فقال: إني لأعلم أن لمدينتكم هذه فضلاً جزيلاً، قلت: وما هو؟.

قال: أخبرني أبي عن أبيه عن جعفر بن محمد بن قولويه عن الكليني قال: حدثنا علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي حمزة الثمالي عن أصبغ بن نباته، قال: سمعت أمير المؤمنين ﵇ عند وروده إلى صفين، وقد وقف على تل عريراً ثم أومى إلى أجمة ما بين بابل والتل، وقال: «مدينة وأي مدينة» فقلت له: يا مولاي أراك تذكر مدينة أهنا كان مدينة وانمحت أثارها؟.

فقال: «لا وستكون مدينة يقال لها الحلة السيفية يمدنها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار لو أقسم أحدهم على الله لأبر قسمه». «بيان» عرير: بالمهملتين أي صفرد قال في القاموس العرير الغريب في القوم أو بالمعجمتين أي منيع رفيع، والحلة بالكسر بلدة معروفة، ووصفها بالسيفية، لأنها بناها سيف الدولة.

قصة طوق خالد

حديث شريف وخبر لطيف: روى الديلمي «قده» في كتابه عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عباس، قال: كنا جلوساً عند أبي بكر في ولايته وقد آضى النهار، وإذا بخالد بن الوليد المخزومي قد وافى في جيش قام غباره، وكثر صواهل خيله، وإذا بقطب رحى ملوي في عنقه، قد فتل فتيلاً فأقبل حتى نزل عن فرسه، ودخل المسجد، ووقف بين يدي أبي بكر، فرمقه الناس بأعينهم، فهالهم منظره ثم قال:

اعدل يابن أبي قحافة حيث جعلك الناس في هذا الموضع الذي لست له بأهل وما ارتفعت إلى هذا المكان إلا كما يرتفع الطافي من السمك على الماء، وإنما يطفو ويعلو حين لا حراك به، ما لك ولسياسة الجيوش وتقديم العساكر، وأنت بحيث أنت من لين الحسب ونقص النسب، وضعف القوى وقلة التحصيل، لا تحمي ذماراً ولا تضرم ناراً، فلا جزى الله أخا ثقيف، وولد صهاك خيراً إني رجعت منكفياً من الطائف إلى جدة في طلب المرتدين، فرأيت علياً بن أبي طالب ومعه رهط عتاة من الذين شرزت حماليق أعينهم من حسدك وبدرت حنقاً عليك، وقرمت آماقهم بمكانك منهم ابن ياسر، والمقداد، وابن جنادة أخو غفار، وابن العوام، وغلامان أعرف أحدهما بوجهه وغلام أسمر لعله من ولد عقيل أخيه فتبين لي المنكر في وجوههم والحسد في احمرار أعينهم، وقد توشح علي بدرع رسول الله ﷺ ولبس رداءه

السحاب، ولقد أسرج له دابته العقاب، وقد نزل على عين ماء أسمها روية، فلما رآني اشمأز وبرز وأطرق موحشاً يقبض على لحيته، فبادرته بالسلام استكفاء لشره واتقاء وحشته، واستغنمت سعة المناخ، وسهولة المنزل، فنزلت ومن معي، بحيث نزلوا اتقاء مراوغته فبدأني ابن ياسر بقبيح لفظه، ومحض عداوته، فقرعني هزءاً بما تقدمت به إلي بسوء رأيك، فالتفت إلي أصلع الرأس وقد ازدحم الكلام في حلقه، كهمهمة الأسد أو قعقعة الرعد، فقال لي بغضب منه: «أو كنت فاعلاً يا أبا سليمان».

فقلت: أي والله لو أقام على رأيه لضربت الذي فيه عيناك فأغضبه قولي إذ صدقته وأخرجه إلي طبعه الذي أعرفه به عند الغضب.

فقال: «يابن اللخناء أمثلك من يقدم على مثلي أو يجسر أو يدير اسمي في لهواته التي لا عهد لها بكلمة حكمة، ويلك إني لست من قتلاك، ولا من قتلى صاحبك، وإني لأعرف بمنيتي منك بنفسك» ثم ضرب بيده إلى ترقوتي فنكسني عن فرسي وجعل يسوقني دعّاً إلى رحى للحارث بن كلدة الثقفي، فعمد إلى القطب الغليظ، فمد عنقي بكلتي يديه وأداره في عنقي ينفتل له كالعكك المسخن، وأصحابي هؤلاء وقوف ما أغنوا عني شرته، فلا جزاهم الله عني خيراً، فإنهم لما نظروا إليه كأنهم نظروا إلى ملك موتهم، فوالذي رفع السماء بلا اعماد، لقد اجتمع على فك هذا القطب مائة رجل أو يزيدون من أشد العرب فما قدروا على فك دور، فدلني عجز الناس عن فكه أنه سحر منه أو قوة ألف ملك قد ركبت فيه، ففكه الآن عني إن كنت فاكه، وخذ لي بحقي إن كنت آخذه، وإلا لحقت بدار عزي، ومستقر مكرمتي قد ألبسني ابن أبي طالب من العار ما صرت به ضحكة لأهل الديار.

فالتفت أبو بكر إلى عمر، وقال: ما ترى إلى ما يخرج من هذا الرجل كأن ولايتي ثقل على كاهله أو شجى في صدره، فالتفت إليه عمر، فقال فيه دعابة لا يدعها حتى تورده، فلا تصدره، و جهل، وحسد قد استحكما في خلده، فجريا منه مجرى الدم، لا يدعانه حتى يهينا منزلته، ويورطاه ورطة الهلكة، ثم قال أبو بكر لمن بحضرته أدعوا لي سياف النبي ﷺ، وكان «قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري» فليس لفك هذا القطب غيره.

قال: وكان قيس رجلاً طويلاً طوله ثمانية عشر شبراً في عرض خمسة أشبار، وكان أشد الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين عليه السلام فحضر قيس، فقال له: يا قيس إنك من شدة البدن بحيث أنت، ففك هذا القطب من عنق أخيك خالد، فقال قيس: ولم لا يفكه خالد من عنقه؟ قال: لا يقدر عليه.

قال: فما لا يقدر عليه أبو سليمان وهو نجم عسكركم، وسيفكم على أعدائكم، فكيف أقدر عليه أنا، قال عمر: دعنا من هزئك وهزلك، وخذ فيما أحضرت له، فقال: أحضرت لمسألة تسألونها طوعاً أو كرهاً تجبروني عليه، فقال له: إن كان طوعاً، وإلا فكرهاً، قال قيس: يابن

صهاك، خذل الله من يكرهه مثلك إن بطنك لعظيمة، وإن كرشك لكبيرة، فلو فعلت أنت ذلك ما كان منك بعجب، فخجل عمر من كلام قيس، وجعل ينكت أسنانه بأنامله، فقال أبو بكر: وما بد لك منه أقصد لما سئلت.

قال قيس: والله لو أقدر على ذلك لما فعلت، فدونكم وحدادي المدينة، لأنهم أقدر على ذلك مني، فأتوا بجماعة من الحدادين، فقالوا: لا ينفتح حتى تحميه بالنار، فالتفت أبو بكر إلى قيس مغضباً، فقال: والله ما بك من ضعف عن فكه، ولكنك لا تفعل فعلاً يعيب عليك فيه أمامك وحبيبك أبو الحسن، وليس هذا بأعجب من أن أباك رام الخلافة ليبغي الإسلام عوجاً فحصد الله شوكته وأذهب نخوته وأعز الإسلام بوليه وأقام دينه بأهل طاعته، وأنت الآن في حال قيد وشقاق.

قال: فاستشاط فيّ غضباً وامتلأ غيضاً، فقال: يابن أبي قحافة إن لك عندي جواباً حمياً بلسان طلق وقلب جريء ولولا البيعة التي لك في عنقي لسمعته مني، والله لئن بايعتك يدي لم يبايعك قلبي، ولا لساني ولا حجة لي في علي بعد يوم الغدير، ولا كانت بيعتي لك إلا «كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً» أقول قولي هذا غير هائب منك ولا خائف من معرتك، ولو سمعت هذا القول منك بداءة، لما فتح لك مني صلاح إن كان أبي رام الخلافة، فحقيق يرومها بعد من ذكرته، لأنه رجل لا يقعقع بالشنان، ولا يغمز حاجبه كغمز التيه ضخم صنديد، وسمك منيف، وعز باذخ أشوس، فقام بخلافك والله أيها النعجة العرجاء والديك النافش، لا عز صميم، ولا حسب كريم، وأيم الله لئن عاودتني في أبي لألجمنك بلجام من القول يمج فوك منه دماً دعنا نخوض في عمايتك، ونتردى من غوانيك على معرفة منا بترك الحق واتباع الباطل.

وأما قولك إن علياً إمامي، ما أنكر إمامته، ولا أعدل عن ولايته، وكيف أنقض، وقد أعطيت الله عهداً بإمامته وولايته يسألني عنه، فأنا إن ألق الله بنقض بيعتك أحب إلي من أن انقض عهد الله ورسوله وعهد وليه ووصيه وخليله، وما أنت إلا أمير قومك إن شاؤوا تركوك وإن شاؤوا عزلوك فتب إلى الله فيما اجترمته وتنصل إليه فيما ارتكبته، وسلم الأمر إلى من هو أولى منك من نفسك، فقد ركبت عظيماً بولايتك دونه وجلوسك في موضعه، وتسميتك باسمه، وكأنك بالقليل من دنياك وقد انقشع عنك كما ينقشع السحاب، وتعلم أي الفريقين شر مكاناً وأضعف جنداً.

وأما تعييرك إياي بأنه مولاي فهو - والله - مولاي ومولاك ومولى المؤمنين أجمعين، آه آه إن لي بثبات قدم أو تمكن وطأة حتى ألفظك لفظ المنجنيق الحجر، ولعل ذلك يكون قريباً، ويكتفي بالعيان عن الخبر، ثم قام ونفض أثوابه ومضى.

وندم أبو بكر عما أسرع إليه من القول إلى قيس، وجعل خالد يدور في المدينة والقطب في عنقه أياماً، ثم أتى آت إلى أبي بكر، فقال له: قد وافى علي بن أبي طالب الساعة من سفره، وقد عرق جبينه واحمر وجهه، فأنفذ إليه أبو بكر الأقرع بن سراقة الباهلي والأشوس بن الأشجع الثقفي يسألانه المضي إلى ابن برك في مسجد رسول الله ﷺ فأتياه وقالا له: يا أبا الحسن إن

أبا بكر يدعوك لأمر قد احزنه وهو يسألك أن تصير إليه في مسجد رسول الله ﷺ فلم يجبهما فقالا: يا أبا الحسن ما ترد علينا فيما جئناك له؟.

فقال: بئس - والله - الأدب أدبكم أليس يجب على القادم أن لا يصير إلى الناس في إجابتهم إلا بعد دخوله منزله، فإن كان لكم حاجة فأطلعوني عليها في منزلي حتى أقضيها إن كانت ممكنة إن شاء الله تعالى، فصارا إلى أبي بكر فأعلماه بذلك، فقال أبو بكر: قوموا بنا إليه.

ومضى الجميع بأسرهم إلى منزله فوجد والحسين عليه السلام على الباب يقلب سيفاً ليبتاعه، فقال له أبو بكر: يا أبا عبد الله إن رأيت أن تستأذن لنا على أبيك، قال: نعم، ثم استأذن للجماعة، فدخلوا، ومعهم خالد بن الوليد فبدأ به الجمع بالسلام، فرد عليهم مثل ذلك فلما نظر إلى خالد قال: نعمت صباحاً يا أبا سليمان نعم القلادة قلادتك، فقال - والله - يا علي لا نجوت مني إن ساعدني الأجل.

فقال له علي عليه السلام: أف لك يابن دميمة إنك - ومن فلق الحبة وبرئ النسمة - عندي لأهون، وما روحك في يدي لو أشاء إلا كذبابة وقعت على ادام حار، فطفقت منه، فأعن عن نفسك غناها، ودعنا حكماء علماء، وإلا لألحقنَّك بمن أنت أحق بالقتل منه، ودع عنك يا أبا سليمان ما قد مضى، وخذ فيما بقي، والله ما تجرعت من الجرار المختمة إلا علقمها والله لقد رأيت منيتي ومنيتك، وروحي وروحك، فروحي في الجنة وروحك في النار.

قال: وحجز الجميع بينهما وسألوه قطع الكلام، فقال أبو بكر لعلي عليه السلام: إنا ما جئناك لما تفاوض فيه، وإنما حضرنا لغيره وأنت لم تزل يا أبا الحسن مقيماً على خلافي، والاجتراء على أصحابي، وقد تركناك، فاتركنا ولا تردنا فيرد عليك منا ما يوحشك ويزيدك سوءاً على سوءتك فقال له علي عليه السلام: لقد أوحشني الله منك ومن جمعك وأنس بي كل مستوحش، وأما ابن الوليد الخاسر فإني أقص عليك نبأه إنه لما رأى تكاثف جنوده وكثرة جمعه زها في نفسه فأراد الوضع مني في موضع رفع، ومحل ذي جمع ليصول بذلك عند أهل الجمع، فوضعت منه عندما خطر بباله وهمّ بي، وهو عارف بي حق معرفته وما كان الله ليرضى بفعله، فقال له أبو بكر: فتضيف هذا إلى تقاعدك عن نصرة الإسلام وقلة رغبتك في الجهاد أفبهذا أمرك الله ورسوله أم عن نفسك تفعل هذا؟.

فقال له علي عليه السلام: يا أبا بكر أو على مثلي يتنكر الجاهلون إن رسول الله ﷺ أمركم ببيعتي وفرض عليكم طاعتي وجعلني فيكم كبيت الله الحرام يؤتى ولا يأتي فقال: يا علي ستغدر بك الأمة بعدي كما غدرت الأمم بعد مضي الأنبياء بأوصيائها إلا قليل وسيكون لك ولهم بعدي هناة وهناة فاصبر أنت كبيت الله من دخله كان آمناً ومن رغب عنه كان كافراً، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(١) وأنا وأنت سواء إلا النبوة فإني خاتم النبيين وأنت خاتم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

الوصيين، وأعلمني عن ربي بأني لست أسل سيفاً إلا في ثلاثة مواطن بعد وفاته فقال: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ولم يقرب أوان ذلك بعد، فقلت فما أفعل يا رسول الله بمن ينكث بيعتي منهم ويجحد حقي؟.

قال: فاصبر حتى تلقاني وتستسلم لمحنتك حتى تلقي ناصراً عليهم فقلت: أفتخاف عليّ منهم أن يقتلوني؟.

فقال: تالله لما أخاف عليك منهم قتلاً ولا جراحاً وأني عارف بمنيتك وسببها وقد أعلمني ربي ولكني خشيت أن تفنيهم بسيفك فيبطل الدين وهو حديث فيرتد القوم عن التوحيد، ولولا أن ذلك كذلك وقد سبق ما هو كائن لكان لي فيما أنت فيه شأن من الشأن فأروي أسيافاً وقد ظمئت إلى شرب الدماء وعند قراءتك صحيفتك تعرف نبأ ما احتملت من وزري ونعم الخصم محمد والحكم الله.

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن إنا لم نرد هذا كله ونحن نأمرك أن تفك لنا الآن عن عنق خالد هذه الحديدة فقد آلمه ثقلها وأثر في حلقه بحملها وقد شفيت غليل صدرك فقال علي عليه السلام: لو اردت أن اشفي غليل صدري لكان السيف أشفى للداء وأقرب للفناء، ولو قتلته والله ما قدرته برجل ممن قتلهم يوم فتح مكة وفي كرته هذه وما يخالجني الشك في أن خالداً ما احتوى قلبه من الأيمان على مقدار جناح بعوضة.

وأما الحديد الذي في عنقه فلعلي لا أقدر على فكه، فيفكه خالد عن نفسه أو فكوه أنتم عنه فأنتم أولى به إن كان ما تدعونه صحيحاً، فقام إليه بريدة الأسلمي وعامر بن الأشجع فقالا: والله يا أبا الحسن لا يفكه من عنقه إلا من حمل باب خيبر بفرديد، ودحى به وراءه وحمله وجعله جسراً يعبر الناس عليه وهو فوق زنده، وقام إليه عمار بن ياسر فخاطبه فلم يجب أحداً إلى أن قال له أبو بكر: سألناك بالله وبحق أخيك المصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ما رحمت خالداً وفككته من عنقه، فلما سأله بذلك استحيي وكان علي عليه السلام كثير الحياء فجذب خالداً إليه وجعل يحذف من الطوق قطعة قطعة ويفتلها في يده فتنفتل كالشمع ثم ضرب بالأولى رأس خالد ثم الثانية فقال: آه يا أمير المؤمنين فقال له: «يا أمير المؤمنين» قلتها على كره منك ولو لم تقلها لأخرجت الثالثة من أسفلك ولم يزل يقطع الحديد جميعه إلى أن أزاله عن عنقه وجعل الجماعة يكبرون ويهللون ويتعجبون من القوة التي أعطاها الله سبحانه أمير المؤمنين عليه السلام وانصرفوا شاكرين... إلى هنا ما في تلك الرواية.

وفي رواية أخرى زيادة على ما تقدم شاكرين له وهم متعجبون من ذلك فقال أبو بكر: لا تعجبوا من أبي الحسن، والله لقد كنت بجنب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم قلع علي عليه السلام باب خيبر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قد ضحك حتى بدت ثناياه ثم بكى حتى اخضلت لحيته فقلت: يا رسول الله أضحك وبكاء في ساعة واحدة؟! فقال: «نعم، أما ضحكي ففرح بقلع عليّ الباب، وأما

بكائي فلعلي فإنه ما قلعه إلا وهو صائم منذ ثلاثة أيام على الماء القراح ولو كان فاطراً على طعام لدحى به من وراء السور» انتهى.

بيان: قال بعض الأعلام في ذيل هذا الخبر: «الذمار وما يلزمك حفظه ورعايته، فلا جزى الله أخا ثقيف» أراد بأخي ثقيف المغيرة بن شعبة، وقيل اريد به عمر وهو كناية عن الخلل في نسبه، ويؤيده أن في الرواية الأخرى «فلا جزاك الله من ابن صهاك وأخي ثقيف أجلسك مجلساً لست له بأهل آه يابن الخنا» قال في الصحاح «الخن» السقاء أي أنتن ومنه قولهم: أمة لخناء ويقال: اللخنّا التي لم تختن و «الشنان» بالكسر جمع شن وهو القربة الخلوة كانوا إذا أرادوا حث الإبل على السير حركوا الدابة اليابسة لتفزع فتسرع وقعقعة الشنان يضرب مثلاً للرجل الصعب الذي لا يفزع لما ينزل به من حوادث الدهر ولا يروعه ما لا حقيقة له، و«غمر التين» كناية عن سرعة الانقياد ولين الجانب فإنه إذا غمر في ظرف أو غيره أنعم سريعاً، و«الشوس» بالتحريك النظر بمؤخر العين تكبراً وتغيظاً « لا تجرعت من الجرار المختمة إلا علقمها» أي لم أشرب من الكيزان التي ختمت رؤوسها ولم يعلم ما فيها إلا مرّها يعني إني لا أبالي بالشدائد والفتن ولم يقدر في الدنيا من الأمور إلا شدائدها و «الزهو» التكبر والهناة الداهية.

نقل شيخنا البهائي: عطر الله مرقده في كتاب الكشكول أن أباه الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي وجد في مسجد الكوفة فصاً من عقيق عليه مكتوب: [البحر الخفيف]

أنا درٌّ من السماء نثروني ... يومَ تزويجِ والدِ السبطَيْنِ
كنتُ اصفى من اللُّجينِ بياضاً ... صبغَتْني دماءُ نحرِ الحسينِ

قال السيد علي خان الشهير بصدر الدين في كشكوله بعد نقل ذلك: ووجدنا في نهر تستر صخرة صفراء أخرجها الحفارون من تحت الأرض وعليها مكتوب بخط من لونها: بسم الله الرحمن الرحيم لا إلّه إلا الله محمّد رسول الله علي ولي الله.

(أنا مدينة العلم وعلي بابها)

روي: عن سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» فلما سمع الخوارج بذلك حسدوا علياً عليه السلام على ذلك فاجتمع عشرة نفر من رؤساء الخوارج، وقالوا: يسأل كل واحد علياً مسألة واحدة لننظر كيف يجيبنا فيها، فإن أجاب كل واحد منا جواباً واحداً علمنا أنه لا علم له، فجاء واحد منهم وقال له: يا علي العلم أفضل أم المال؟

فأجاب: «إن العلم أفضل» فقال له: بأي دليل فقال: «لأن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث قارون وهامان وفرعون وعاد وشداد»، فذهب الرجل إلى أصحابه بهذا الجواب، فأعلمهم فنهض آخر منهم وسأله كما سأل الأول فال: يا علي العلم أفضل أم المال؟ فقال «العلم أفضل».

فقال: بأي دليل، فقال: «لأن المال تحرسه والعلم يحرسك» فرد إلى أصحابه فأخبرهم، فقالوا صدق علي، فنهض الثالث، وقال: يا علي العلم أفضل ام المال؟ فقال: «بل العلم أفضل».

فقال: بأي دليل فقال: «لان لصاحب المال أعداء كثيرة ولصاحب العلم اصدقاء كثيرة» فرجع إلى أصحابه فاخبرهم، فنهض الرابع، وقال: يا علي العلم أفضل أم المال؟

فقال: «بل العلم أفضل» فقال بأي دليل، فقال «لان المال إذا تصرفت فيه ينقص والعلم إذا تصرفت فيه يزيد» فرجع إلى أصحابه وأخبرهم بذلك، فقام الخامس وقال: يا علي العلم أفضل أم المال؟.

فقال: «بل العلم أفضل» فقال: بأي دليل، فقال: «لأن صاحب المال يدعى باسم البخل واللوم، وصاحب العلم يدعى باسم الإكرام والإعظام» فرد إلى أصحابه وأعلمهم بذلك، فنهض السادس، وقال: يا علي العلم أفضل أم المال، فقال عليه السلام: «بل العلم».

فقال: بأي دليل، فقال: «لأن المال يخشى عليه من السارق والعلم لا يخشى عليه» فذهب إلى أصحابه وأعلمهم بذلك فنهض السابع، وقال: يا علي العلم أفضل أم المال، فأجاب «بل العلم أفضل» فقال: بأي دليل.

فقال: «لأن المال يندرس بطول المدة ومرور الزمان والعلم لا يندرس ولا يبلى» فرجع إلى أصحابه وأخبرهم بذلك [وأما الثامن فساقط من الأصل] فنهض التاسع وقال: يا علي العلم أفضل أم المال قال «بل العلم» فقال: بأي دليل فقال «لأن المال يقسي القلب والعلم ينور القلب» فرجع إلى أصحابه فأخبرهم بذلك فقام العاشر وقال: يا علي العلم أفضل أم المال فقال: «العلم».

فقال: بأي دليل فقال: لأن صاحب المال يتكبر ويتعظم بنفسه وربما أدعى الربوبية وصاحب العلم خاشع ذليل مسكين» فرجع إلى أصحابه وأخبرهم بذلك فقالوا صدق الله ورسوله ولا شك أن علياً باب العلوم كلها، فعند ذلك قال علي عليه السلام: «والله لو سألني الخلق كلهم ما دمت حياً لم أتبرم، ولأجبت كل واحد منهم بجواب غير جواب الآخر إلى آخر الدهر من فضل الله علينا ونعمته.

في الخبر: عن جابر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله إلى صحراء المدينة، فلما صرنا في الحدائق من النخل صاحت نخلة لنخلة: هذا النبي المصطفى، وذا علي المرتضى، ثم صاحت ثالثة لرابعة هذا موسى، وذا هارون، ثم صاحت خامسة لسادسة هذا خاتم النبيين وذا خاتم الوصيين، فعند ذلك تبسم النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا أبا الحسن أما سمعت قلت: بلى يا رسول الله، قال: ما يسمى هذا النخل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: تسميه الصيحاني، لأنهم صاحوا بفضلي وفضلك».

عمر آدم وأولاده من الأنبياء

روى الصدوق: «عطر الله مرقده» بإسناده عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عاش آدم أبو البشر سبعمائة وثلاثين سنة وعاش نوح ألفي سنة وأربعمائة سنة وخمسين عاماً، وعاش إبراهيم مائة وعشرين سنة، وعاش إسحاق بن إبراهيم مائة وثمانين سنة، وعاش إسماعيل بن إبراهيم مائة وعشرين سنة، وعاش يعقوب بن إسحاق مائة وأربعين سنة، وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة، وعاش موسى بن عمران مائة وستاً وعشرين سنة، وعاش هارون مائة وثلاث وثلاثون سنة، وعاش داود مائة سنة، منها أربعون سنة ملكه، وعاش سليمان بن داود سبعمائة سنة واثنتي عشرة سنة.

القلب

من كتاب نهج البلاغة: قال عليه السلام لقد علق نياط هذا الإنسان بصفة هي أعجب ما فيه، وهو القلب، وذلك أن له مواد من الحكمة، وأضدادها من خلافها فإن سنح له الرجاء إذ له الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسي التحفظ، وإن غلبه الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن استلبته العزة، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أفاد مالًا أطغاه الغنى، وإن عضته الفاقة شغله البلاء وإن جهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسدة.

ومنه أيضاً قال عليه السلام: غيرة المرأة كفر، وغيرة الرجل إيمان.

وقال عليه السلام: لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لإصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضرُّ منه.

ومنه أيضاً قال عليه السلام: تنزل المعونة على قدر المؤونة، ما عال من أقتصد، قلة العيال أحد اليسرين والتودد نصف العقل، والهم نصف الهرم، ينزل الصبر على قدر المصيبة، ومن ضرب يده على فخذه حبط أجره، المرء مخبوء تحت طيّ لسانه لا طيلسانه.

فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام

إن هارون الرشيد: كان كل يوم يجمع العلماء يتناظرون عنده في العلوم العقلية والنقلية، فارسل إلي يوماً فمضيت والمجلس غاص بالعلماء، وكان الشافعي جالساً على يمينه، فنظر إلي هارون وقال: كم تروي حديثاً في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: خمسة عشر ألف حديث مسندة، ومثلها مرسلة، ثم نظر إلى محمد بن إسحاق ومحمد بن يوسف فقالا له مثلما

قلت، فسأل الشافعي فقال: أنا أروي خمسمائة حديث في فضائله، فقال هارون: عندي حديث خير من كل ما تروون لأنه بالمشاهدة، فقلت له: اروِهِ لنا قال: كتب ابن عمي لي - وقد جعلته والياً على الشام - أن بها خطيباً يسب علياً بن أبي طالب في كل جمعة وينال منه، فكتبت إليه أرسله إلي مقيداً بالحديد، فلما حضر بين يدي أخذ بالسب، فقلت له: يا ملعون ولأي شيء تسبه؟ فقال: إنه قتل آبائي وأجدادي.

فقلت: أما علمت أنه ما قتل إلاّ من وجب عليه القتل، فقال: أنا لا أترك عداوته، فأمرت به فضرب خمسمائة سوط حتى غشي عليه ثم أمرت به فحبس وبقيت ليلتي متفكراً في كيفية قتله، فتارة قلت أحرقه بالنار، وتارة قلت أرميه بالماء، فأخذني النوم آخر الليل فرأيت أن رسول الله ﷺ نزل من السماء، ومعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وجبرائيل عليه السلام نزلوا في قصري، وبيد جبرائيل عليه السلام قدح من لؤلؤ يأخذ شعاعه بالأبصار، فأخذه النبي ﷺ ونادى: يا شيعة آل محمد قوموا من منامكم واشربوا من هذا الماء، وكان الذي يحرسني في تلك الليلة خمسة آلاف، فقام من أعاظمهم أربعون رجلاً أعرفهم بأسمائهم لأني أراهم كل يوم فأتوا إليه، وشربوا من ذلك الماء، ثم قال ﷺ: ابن الخطيب الدمشقي؟

فقام رجل من المجلس وأتى به، فلزمه بيده، وقال: يا كلب غير الله ما بك من نعمة لأي شيء تسب علياً بن أبي طالب؟! فمسخ الخطيب من ساعته كلباً أسودَ، فأمر برده إلى الحبس وضرب عليه الأقفال، وصعد النبي ﷺ ومن معه إلى السماء فاستيقظت فزعاً مرعوباً تضطرب عظام مفاصلي، فطلبت مسرور الخادم وقلت له علي بالخطيب الدمشقي، فمضى إلى دار الحبس وأتى قابضاً أذني كلب أسود يجرّه على وجه الأرض وأذنه كأذن الآدمي، وقال لي ما رأيت في الحبس إلا هذا الكلب الأسود.

فقلت: رده إلى الحبس هذا هو الخطيب الدمشقي فهذا هو في الحبس إن أردتم النظر إليه.

فقال الشافعي: نحب ذلك فأمر مسرور ومضى إلى المحبس وأتى بالكلب الأسود يجره من أذنه، فقال له الشافعي: يا ملعون أرأيت عذاب الله؟ فبكى وحول رأسه، فقال الشافعي: أبعده عنا فانا نخاف من نزول العذاب فأمر به إلى المحبس، فبعد ساعة سمعنا صوتاً هائلاً.

فقالوا: نزلت عليه صاعقة من السماء فاحرقته والمحبس الذي كان فيه.

القضاء والقدر

قال جامع هذا الكشكول: وحاكي هذا النقول: ومن هذا القبيل ما رواه غير واحد من أصحابنا رضوان الله عليهم وغيرهم من أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري، وإلى عمرو بن عبيد، وإلى واصل بن عطاء وإلى عامر الشعبي، أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر.

فكتب إليه الحسن البصري: إن أحسن ما انتهى إلي ما سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : أنه قال: «أتظن أن الذي نهاك دهاك إنما دهاك أسفلك وأعلاك والله بريء من ذاك».

وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعته في القضاء والقدر قول علي بن أبي طالب عليه السلام : «لو كان الوزر في الأصل محتوماً كان الوازر في القصاص مظلوماً».

وكتب إليه فاضل بن عطاء: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «أيدّلك على الطريق ويأخذ عليك المضيق».

وكتب إليه الشعبي: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام : «كلما استغفرت الله منه فهو منك، وكلما حمدت الله عليه فهو منه».

فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج ووقف عليها قال: لقد أخذوها من عين صافية.

للسيد حسن الأعرجي: مخمساً للابيات المنسوبة إلى السيد الرضي الموسوي وهي قوله:

[البحر الطويل]

إلى كم بنيرانِ الأسى كبدي تُكوى وأُصبح في بلْوى وأُمسي في بلْوى
أقلّب طرْفي لا أرى موضعَ الشكْوى أرى حمُراً ترعى وتأكلُ ما تَهوى
واسدٌ ظمايا تطلبُ الماءَ وما تُروى
وقوْماً إذا فتّشتهم وبلوْتهم تجدْ تحت اطباقِ الحضيضِ بيوتَهم
ينالونَ من لذاتهِم لن تفوتَهم واشراف قوم ما ينالون قوتَهم
وانذالُ قومٍ تأكلُ المنَّ والسّلوى
وأبطرَهم في الدهر لبسُ شفُوفِهم وأكلِهم من دايناتِ قطوفِهم
فطالُوا على أهلِ النُّهى بأنوفِهم ولم يبلُغوا هذا بحدّ سيوفِهم
ولكنْ قضاه عالمُ السرّ والنّجوى
واحوَجني دهري وخانَ رؤوفه على أنني خدْن التُّقى وحليُفه
وبيتي من المجدِ الأثيلِ منيفُه لحا اللهُ دهراً صيّرتني صروفُه
اذلّ لمن يسْوى ومَنْ لم يكنْ لا يَسْوى

قال رحمه الله : وقد كان البيت يروى مع الأبيات الثلاثة ولا أظنه من شعر السيد رحمه الله ولكن اقتضى الحال تخميسه إذ كان متضمنا لشكوى الزمان فخمسناه.

يقول جامع هذه الطرف وحامل هذه التحف: لعل استبعاد كون البيت الأخير للسيد رحمه الله من جهة كونه يتضمن كون قائله في ضيق من العيش وضنك من الدهر مع أن السيد رحمه الله ليس كذلك بل بعكس ما هنالك، وفيه أولاً أن ذلك ليس بمناف على قاعدة الشعراء، بل مطلق البلغاء في

كلامهم، وثانياً أن السيد ﷺ كان على غاية من علو الهمة وشرف النفس، وتمنى المقامات العالية، كما هو مذكور في ترجمة من كتاب الدرجات الرفيعة، وربما كانت نفسه تنازعه التوصل إلى الخلافة وحينئذ فهذا البيت في موضعه، ولعلنا نذكر ترجمته في أثناء هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

للسراج الوراق: وقد بلغ في اللطافة وفاق، وقد قال: [البحر الخفيف]

قلتُ للأهيفِ الذي فضحَ الغصَن كلامُ الوشاةِ ما يُنبغي لكْ
قال قولُ الوشاةِ عنديَ ريحٌ قلت أخشى يا غصنُ أن يستميلَكْ

ومثله قول الآخر: [البحر الوافر]

لقد غُرس القضيبُ على كثيبٍ فاتبعَ بالمساءِ وبالصباحِ
ومالَ معَ الوشاةِ ولا عجيبٌ لغصنٍ أن يميلَ مع الرياحِ

خبر تزويج سجاح بمسيلمة الكذاب

ومن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: كان من خبر سجاح وادعائها النبوة، وتزويج مسيلمة بها: أن سجاح التميمية ادعت النبوة بعد وفاة رسول الله ﷺ واجتمع عليها بنوتميم، وكان فيما ادعته أنه أنزل عليها «يا أيها المؤمنون المتقون لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم يبغون» فاجتمعت بنو تميم كلها وكان مؤذنهم شبث بن ربعي الرياحي، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة، وقالت: يا معشر تميم اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة حتى تتركوها سوداء كالحمامة، وقالت: يا بني تميم إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة وإنما جعله في مضر، فاقصدوا هذا الجمع، فإذا فضضتموه عكرتم على قريش، فسارت في قومها وهم الدهم الدّاهم.

وبلغ مسيلمة خبرها فضاق ذرعاً وتحصن في حجر حصن اليمامة، وجاءت في جيوشها فأحاطت به، فأرسل إلى وجوه قومه وقال: ما ترون؟.

قالوا: نرى أن تسلم هذا الأمر إليها وتدعها، فإن لم تفعل فهو البوار، وكان مسيلمة داهياً فقال: انظروا في هذا الأمر ثم بعث إليها: أن الله عزّوجلّ أنزل عليك وحياً وأنزل علي فهلمي نجتمع فنتدارس ما أنزل علينا، فمن عرف الحق تبعه الآخر واجتمعنا، فأكلنا العرب اكلا بقومي وقومك فبعثت إليه افعل فأمر بقبة آدم، فضربت وأمر بالعزيمة والعود المندلي يسجر فيها، وقال: أكثروا من الطيب فإن المرأة إذا شمت رائحة الطيب تذكرت المياه ففعلوا ذلك وجاءها رسوله يخبرها بأمر القبة المضروبة لاجتماعهما فأتته، فقالت: هات ما أنزل إليك.

فقال: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين ضياق وحشاً من بين

ذكر وأنثى وامرأة وأحيا، ثم إلى ربك المنتهى، قالت: وماذا؟ قال: «ألم تر أن الله خلقنا أفواجاً وجعل النساء لنا أزواجاً فنولج فيهن قعساً إيلاجاً ونخرجه منهن إذا شئنا أخراجاً» قالت: بأي شيء أمرك؟ قال: [البحر الهزج]

ألاَ قومي إلى المخدعْ فقد هيئَ لكِ المضجعْ
فإنْ شئتِ ففي البيتِ وإن شئتِ ففي المَخْدَعْ
وإنْ شئتِ سلقْناكِ وإنْ شئتِ على أربَعْ
وإنْ شئتِ بثلثَيْهِ وإنْ شئتِ بهِ أجمَعْ

فقالت: لا إلا به أجمع، قال فقال: كذلك أوحي إلي، فواقعها، فلما قام عنها قالت إن مثلي لا يجري أمرها هكذا، فتكون رخنة عليّ وعلى قومي، ولكني مسلمة إليك النبوة فاخطبني من أوليائي ليزوجوك ثم أقود تميماً معك، وخرج وخرجت معه وخرج الحيان من حنيفة وتميم، فقالت لهم سجاح: إنه قرأ عليّ ما أنزل عليه، فوجدته حقاً فاتبعته، ثم خطبها فتزوجها فزوجوه إياها وسألوه المهر، فأسقط عنهم صلاة العشاء الآخرة ونادى مناديه بذلك، قال: فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها، ويقولون: هذا حق لنا ومهر كريمتنا لا نرده، قال: وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سجاح في كلمة له: [البحر البسيط التام]

أضحتْ نبيتُنا أنثى نطوفُ بها وأصبحَتْ أنبياءُ الناسِ ذُكْرانا
فلعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهمُ على سُجاحِ ومنْ بالإفكِ أغْرانا
أعني مسيلمةَ الكذابَ لا سُقيتْ أصداؤه ماءَ مزنٍ حيثُما كانا

قال وسمع الزبرقان بن بدر الأحنف يومئذ وقد ذكر مسيلمة وما تلا عليهم، فقال الأحنف: تالله ما رأيت أحمق من هذه الأنبياء قط، قال الزبرقان: والله لأخبرن بذلك مسيلمة، فقال: إذاً والله إنك كذبت فيصدقني ويكذبك قال: فأمسك الزبرقان وعلم انه قد صدق، وأسلمت سجاح بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة - انتهى.

من مزخرفات مسيلمة

يقول جامع الكشكول وناظم هذه النقول: من مزخرفات مسيلمة في قرآنه قوله: «والزارعات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات ذرواً والطاحنات طحناً والآكلات أكلاً» قال بعض الظرفاء وينبغي إتمام الآية «والخاريات خرواً» ومن مصحفه أيضاً: «إن الذين يغسلون ثيابهم ولا يجدون ما يلبسون أولئك هم المفلسون».

ومنه أيضاً: «وقال الذين اقرضوا للذين استقرضوا لئن لم توفونا حقنا لنذيقكم مرارة الإفلاس بما كنتم تزلفون» ومنه أيضاً: «وضرب بينهم بسنور له ناب».

وفي الأثر أن مسيلمة الكذاب أتى النبي ﷺ فأسلم ثم ارتد ورجع إلى اليمامة فأفسد بها وأدعى النبوة، فكتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله «أما بعد فان الأرض لي ولك نصفان فلا تعتد علينا» ولما انتشر موت النبي ﷺ أعلن مسيلمة نبوته وتابعه أهل اليمامة، فأرسل إليه أبو بكر خالد بن الوليد في جيش كثير في أمره وتفرد بقتله أبو دجانة ووحشي.

أكاذيب مسيلمة

وكان أهل اليمامة يأتون مسيلمة بأولادهم ويقولون: إن محمداً يمسح يده على رأس صبيان المدينة يتبركون به فامسح أنت على رؤوس صبياننا، فكان كل من يمسح على رأسه يصير أقرع، واتاه بعض من في عينيه رمد يدعو له، فدعا له فصار أعمى، وأتوه أهل الآبار يشكون قلة مائها وقالوا: إن رسول المدينة يمج الماء من فيه في الآبار فيطفو ماؤها ففعل مسيلمة فيبست الآبار، فقالوا: كيف هذا؟ فقال: إن المعجزة خرق العادة، فإما أن يكون من هذا الطرف أو من هذا الطرف، لبعضهم وقد أجاد: [البحر الطويل]

سلُوا غيرَ طرْفي إنْ سألتمْ عنِ الكَرى ... فما لجفونِ العاشِقين منامُ

نديمان أحدبان

لطيفة: نقل أنه كان نديمان أحدبان أحدهما لطيف والآخر كثيف ولكل منهما حدبة في ظهره وحدبة في صدره، فانفرد اللطيف يوماً عن صاحبه فاشترى له مدامة وفاكهة وانعزل عن الناس ودخل الحمام وانفرد في خلوة، فبينما هو يتناول ما معه من الشرب ويغني ويبسط وإذا بالحائط قد انشق وخرج منه عفريت في صورة فيل.

فقال: يا إنسي، فلما رآه الأحدب لم يخف ولم ينزعج، وكلمه كلاماً لطيفاً وبسط له الأنس وعزم عليه فقال له الجني: والله إنك أحدب لطيف يا إنسي ما حاجتك؟ فقال: والله إن هاتين الحدبتين قد أبلياني بالبلاء وأحرموني الناس مما يعيروني بهما، ويتثاقلان علي، فمسكهما بيده فاقتلعهما، وجعلهما على رأس الحائط الذي في الخلوة ومد له صدره وظهره بيده فاستوى قائماً وخرج فرحاً مسروراً، فلما رآه رفيقه الأحدب قال له: ما شأنك يا صاحبي؟ وما الذي جعلك مقوّماً بعد أن كنت أحدب؟ فقص له القصة، فمضى الأحدب الكثيف إلى السوق، وكان معه منديل فباعه بثلاثة دراهم ونصف، واشترى بها مداماً ونقلاً ودخل الخلوة، فلم يستقر لحظة إلا والجني قد سمع صوته فقال: والله إن صاحبنا اللطيف قد جاء إلينا فشق الحائط وخرج إليه، فلما رآه الأحدب وهو على هيئة الفيل فزع وجعل يعيط ويصيح ويقول: حديد حدايد.

فقال العفريت: والله إن هذا خارج فتحيل عليه ولاطفه إلى أن سكت فمد زلوّمته وأخذ

الحدبتين من أعليالحائط فلصقهما في الأحدب واحدة عن يمينه وواحدة عن يساره، فخرج وله أربع حدبات وهو فرجة من الفرج فوافاه بعض الناس فقال: ما هذا؟.

فقال: هاتان الحدبتان اللتان في ظهري وصدري خلقهما الله تعالى واللتان في الجنبين اشتريتهما بثلاثة دراهم ونصف من الحمام الفلاني.

في ذكر إسلام الأسقف النصراني

من كتاب كنز الطالب وفخر المناقب في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام الباب الثالث والستون: في ذكر سبب إسلام الأسقف النصراني: ذكر ابن الجوزي في كتاب الواعظي عن محمد بن إدريس قال: رأيت بمكة أسقفاً وهو يطوف بالكعبة، فقلت: ما الذي رغب بك عن دين آبائك؟ فقال: تبدلت خيراً منه، فقلت له: كيف ذلك.

قال: ركبت البحر فلما توسطنا انكسر بنا المركب فعلوت لوحاً فلم تزل الأمواج تدفعني حتى رمتني بجزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جارٍ، فحمدت الله تعالى على ذلك وقلت: آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتيني الله بالفرج فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الدواب، فعلوت شجرة من تلك الأشجار فنمت على غصن منها، فلما كان في جوف الليل وإذا بدابة على وجه الأرض تسبح وتقول: «لا آله إلا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار علي بن أبي طالب سيف الله على الكفار فاطمة وابنيها صفوة الجبار على مبغضيهم لعنة الجبار ومأواهم جهنم وبئس القرار» فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى طلع الفجر ثم قالت: «لا آله إلا الله صادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادي الرشيد علي ذو البأس الشديد فاطمة وبنيها خيرة الرب المجيد فعلى مبغيضهم لعنة الرب المجيد» فلما وصلت إلى البر فإذا دابة رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة، فخشيت منها على نفسي الهلكة فهربت بنفسي منها فوقفت ثم قالت لي: قف يا إنسان وإلا هلكت، فوقفت فقالت لي: ما دينك؟.

فقلت: دين النصرانية، فقالت: ويحك ارجع إلى دين الإسلام فقد حللت بقوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً، فقلت: فكيف الإسلام؟ قالت: تشهد أن لا آله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقلتها ثم قالت: تمم الإسلام بموالاتك لعلي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده الطيبين والصلاة والبراءة من أعدائهم، فقلت: ومن أتاكم بذلك؟.

قال: قوم حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فسمعوه يقول: إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق: يا آلهي قد وعدتني أن تشد أركاني وتزينني، فيقول الجليل جل جلاله: أليس قد شددت أركانك وزينتك بابنة حبيبي فاطمة الزهراء وبعلها علي بن أبي طالب وابنيهما الحسن والحسين والتسعة من ذرية الحسين؟ ثم قالت الدابة: هذا المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك؟.

قلت: الرجوع، قالت: اصبر حتى يجتاز مركب وإذا بمركب أقبل فاشارت إليهم فدفعوا زورقاً عندهم فلما علوت المركب وإذا عندهم في المركب إثنا عشر كلهم من النصارى فأخبرتهم بخبري فأسلموا عن آخرهم.

ولله در القائل: حيث يقول: [البحر الطويل]

روى فضلَه الحسّادُ من عظْم شأنهِ ... وأكبرُ فضلٍ راحَ يرويهِ حاسدُ
محبُّوه أخفوا فضلَه خيفةَ العِدى ... وأخفاه بغْضاً حاسدٌ ومعانِدُ
وشاعَ له من بين ذَيْنِ مناقبٌ ... تجلُّ بان تُحصى وإن عدّ قاصدُ
إمامٌ له في جبهةِ المجدِ أنجمٌ ... علتْ فعلتْ أنْ يدن هاتيك راصدُ
مناقبُ إذْ جلّتْ جلَتْ كلَّ كربةٍ ... وطابتْ فطابتْ من شَذاها المشاهدُ
لها فوقَ مرفوعِ السِّماك منابرٌ ... وفي عنقِ الجوزاءِ منها قلائدُ
فتيٍ تاه فيه الخَلقُ طراً فعابدٌ ... له ومقرٌّ بالولاءِ وجاحدُ
إمامٌ مبينٌ كلّ فضلٍ له حوى ... بمدحتِه التنزيلُ والذكرُ شاهدُ

مثلك من تملك زوجها ولا يملكها

ظريفة: قال يزيد بن عرق: لما مات كثير عزة لم تتخلف امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازته، وغالب النساء يبكينه ويذكرن عزة في ندبتهن له، فقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: افرجوا لي عن جنازة كثير لأربعها، قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل الباقر عليه السلام يضربهن بكمه ويقول: تنحين يا صويحبات يوسف، فانتدبت له امرأة منهن فقالت: يابن رسول الله لقد صدقت إنا لصواحباته وقد كنا خيراً منكم له، فقال أبو جعفر لبعض مواليه: احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفت، فلما انصرف اتى بتلك المرأة كأنها شرار النار.

فقال الباقر عليه السلام: أنت القائلة إنكن ليوسف خيراً منا؟ قالت: نعم تؤمنني غضبك يابن رسول الله؟ فقال: أنت آمنة، فقالت: دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والنعم، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن، فأينا كان أرأف به؟.

فقال الباقر عليه السلام: لله درك لن تغالب امرأة إلا غلبت ثم قال لها: ألك بعل؟ قالت: لي من الرجال من أنا بعله فقال أبو جعفر عليه السلام: ما أصدقك مثلك من تملك زوجها ولا يملكها.

شيء مما يتعلق بالمقدس الأردبيلي

ومن كتاب التذكرة: للسيد علي صدر الدين الشيرازي قال: وحدثني من أثق به أن المولى

أحمد الأردبيلي عطر الله مرقده ونور ضريحه لما كان في المشهد العلوي على مشرفه السلام التجأ رجل من أمراء السلطان العادل الشاه عباس الأول قد قصر في الخدمة، فالتمس من المولى أحمد أن يكتب له كتاباً يطلب العفو فكتب إليه بالفارسية هكذا: «باني ملك عاريت عباس بداند أگرچه أين مرد أول ظالم بود أكنون مظلوم مينمايد چنانچه أز تقصير أو بگذري شايدكه حق سبحانه وتعالى أز پاره أز تقصيرات تو بگذرد كتبه بنده شاه ولايت أحمد الأردبيلي» جواب«بعرض ميرساند عباس خدماتي كه فرموده بوديد بجان منت دانسته بتقديم رسانيد أميدكه أين محب را أز دعاي خير فراموش نكند كتبه كلب آستانه علي عباس».

ومن كتاب الأنوار النعمانية: للسيد نعمة الله الجزائري قال: وكان قريباً من عصرنا مولانا الورع العالم المولى أحمد الأردبيلي، وقد كان من سكان النجف الأشرف، ومن شدة ورعه أنه كان يستأجر دابة من النجف ويأخذها من صاحبها ويمضي بها إلى زيارة الكاظميين والعسكريين فإذا أراد الرجوع ربما أعطاه بعض أهل بغداد من الشيعة كتاباً ليوصله إلى بعض أهل النجف، فيضع الكتاب في جيبه ويمشي ويسوق الدابة وهو يمشي من بغداد إلى النجف ويقول: إن صاحب الدابة لم يأذن لي في حمل هذا الكتاب على دابته، وكان إذا خرج من منزله يضع على رأسه عمامة كبيرة حتى إذا طلب منه أحد عمامة أو مقنعة قطع له من تلك العمامة، فإذا رجع إلى المنزل ربما بقي على رأسه منها ذراع وأقل، وقد كان عام الغلاء يقاسم الفقراء ما عنده من الأطعمة ويبقي لنفسه مثل سهم واحد منهم.

وقد اتفق أنه فعل في بعض السنين الغالية هكذا فغضبت عليه زوجته وقالت: تركت أولادنا في مثل هذه يتكففون الناس، فتركها ومضى إلى مسجد الكوفة للاعتكاف، فلما كان اليوم الثاني جاء رجل مع دواب حملها من الطعام الطيب والحنطة الصافية والطحين الناعم فقال: هذا بعثه إليكم صاحب المنزل وهو معتكف في مسجد الكوفة، فلما جاء المولى من اعتكافه أخبرته زوجته بأن الطعام الذي بعثه مع الأعرابي طعام حسن، فحمد الله وأثنى عليه وما كان له خبر منه.

وقد حدثني أوثق مشايخي علماً وعملاً: أن لهذا الرجل - وهو المولى الأردبيلي - تلميذاً من أهل تفريش اسمه مير غلام، وقد كان بمكان من الفضل والورع قال ذلك التلميذ: إنه قد كانت لي حجرة في المدرسة المحيطة بالقبة الشريفة، فاتفق اني فرغت من مطالعتي - وقد مضى جانب كبير من الليل - فخرجت من الحجرة أنظر في حوش الحضرة وكانت ليلة شديدة الظلام، فرأيت رجلًا مقبلاً إلى الحضرة الشريفة.

فقلت: لعل هذا سارق جاء ليسرق شيئاً من القناديل، فنزلت وأتيت إلى قربه وهو لا يراني فمضى إلى الباب ووقف، فرأيت القفل قد سقط وفتح له الباب الثاني والثالث على هذه الحال فأشرف على القبر فسلم، فأتى من جانب القبر رد السلام فعرفت صوته فإذا هو يتكلم مع الإمام في مسألة علمية، ثم خرج من البلدة متوجهاً إلى مسجد الكوفة فخرجت خلفه وهو لا يراني فلما وصل إلى محراب المسجد سمعته يتكلم مع رجل آخر بتلك المسألة فرجع ورجعت خلفه وهو لا

ايراني فلما بلغ باب البلد أضاء الصبح فأعلنت نفسي له وقلت: يا مولانا كنت معك من الأول إلى الآخر، فأعلمني من كان الرجل الأول الذي كلمته في القبة ومن الرجل الآخر الذي كلمك في الكوفة؟ فأخذ عليّ المواثيق أني لا أخبر أحداً بسره حتى يموت فقال لي: يا ولدي إن بعض المسائل تشتبه عليّ فربما خرجت بعض الليل إلى قبر مولانا علي عليه السلام وكلمته في المسألة وسمعت منه الجواب، وفي هذه الليلة أحالني على مولانا صاحب الزمان وقال لي: إن ولدي المهدي عليه السلام هذه الليلة في مسجد الكوفة فامض إليه واسأله عن هذه المسألة وكان ذلك الرجل هو المهدي عليه السلام، وهذه نبذة من بعض أحواله فاعتبر أحواله الباقية.

إتقو الله

روى: شيخ الطائفة في التهذيب في أوائل كتاب المكاسب بسند حسن أو صحيح عن الحسن بن محبوب عن حريز قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اتقوا الله وصونوا أنفسكم بالورع وقووه بالتقية والاستغناء بالله عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان، واعلم أنه من خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالفه عن دينه طلباً لما في يديه من دنياه أحمله الله تعالى مقته عليه ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه وصار إليه منه شيء نزع الله جل اسمه منه البركة ولم يؤجره على شيء ينفقه منه في حج ولا عتق رقبة ولا بر».

قال شيخنا البهائي: عطر الله مرقده في الكشكول بعد نقل هذا الخبر الشريف ما نصه: أقول صدق عليه السلام فإنا قد جربنا ذلك وجربه المجربون قبلنا واتفقت الكلمة منا ومنهم على عدم البركة في تلك الأموال وسرعة نفادها واضمحلالها، وهو أمر ظاهر محسوس يعرفه من حصل شيئاً من تلك الأموال الملعونة، فنسأل الله تعالى حلالاً طيباً يكفينا ويكفّ أكفنا عن مدها إلى هؤلاء وأمثالهم أنه سميع الدعاء لطيف لما يشاء - انتهى.

يقول جامع هذه الطرف وحامل هذه التحف: لا شبهة ولا ريب فيما قاله الإمام الصادق عليه السلام ولسان العيان فضلاً عن البيان به ناطق، فقد وقع لي برهة من الزمان اتصال عظيم بالسلطان وأجرى علي من الوظيفة والأنعام والإمداد ما يزيد في نظري على قدر الحاجة والمراد، ومع ذلك فكلما تعمدت إحراز شيء من ذلك لبعض المطالب والمسالك توجهت لذهابه أسباب ليست في الخاطر ولا في البال وانفتحت له الأبواب لا تمر بالذهن والخيال، نسأل الله الكريم بمزيد فضله الجسيم أن يفتح علينا من أبواب كرمه واحسانه وجوده وامتنانه ما يغنينا به عمن سواه ويعيننا به على التوصل إلى رضاه أنه القادر على ما يشاء وبيده أزمة الأشياء وإليه المفزع والملتجأ.

قال الحكماء: الفهم والحفظ لا يجتمعان على سبيل الكمال، لأن الفهم يستدعي رطوبة في الدماغ والحفظ مزيد يبوسة فيه والجمع بينهما محال.

المحسن حي والمسيء ميت

روي: أنه لما مات جالينوس وجد في جيبه رقعة مكتوب فيها: ما أكلته مقتصداً فلجسمك وما تصدقت به فلروحك وما خلفته فلغيرك، والمحسن حي وإن نقل إلى دار البِلى والمسيء ميت وإن بقي في الدنيا، والقناعة تستر الخلة، والتدبير يكثر القليل، وليس لابن آدم انفع من التوكل على الله سبحانه.

السلافة البهية في الترجمة الميثمية

بسم الله الرحمن الرحيم بعد الحمد والصلاة: فقد سألني بعض الإخوان المخلصين والخلان المتدينين أن أترجم له ترجمة العالم الرباني والعارف البحراني كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني من كتاب مجالس المؤمنين للشهيد الثالث القاضي الشوشتري فأجبته إلى ذلك مع توزع البال وتفاقم الأهوال وتشتت الأحوال وأضفت إلى ذلك زيادات أنيقة تهش لها الأسماع ونكات رشيقة تستعذبها الطباع، وسميتها بـ «السلافة البهية في الترجمة الميثمية».

فأقول: هو الفيلسوف المحقق والحكيم المدقق قدوة المتكلمين وزبدة الفقهاء والمحدثين العالم الرباني كمال الدين ميثم البحراني غواص بحر المعارف ومقتنص شوارد الحقائق واللطائف، ضم إلى احاطته بالعلوم الشرعية وإحراز قصبات السبق في العلوم الحكمية والفنون العقلية ذوقاً جيداً في العلوم الحقيقية والأسرار العرفانية، كان ذا كرامات باهرة ومآثر ظاهرة، ويكفيك دليلًا على جلالة شأنه وسطوع برهانه اتفاق كلمة أئمة الأعصار وأساطين الفضلاء في جميع الأمصار على تسميته بالعالم الرباني وشهادتهم له بأنه لم يوجد مثله في تحقيق الحقائق وتنقيح المباني، والحكيم الفيلسوف سلطان المحققين وأستاذ الحكماء والمتكلمين نصير الملة والدين محمد الطوسي شهد له بالتبحر في الحكمة والكلام ونظم غرر مدائحه في أبلغ نظام.

وأستاذ البشر والعقل الحادي عشر سيد المحققين الشريف الجرجاني على جلالة قدره في أوائل فن علم البيان من شرح المفتاح قد نقل عن بعض تحقيقاته الأنيقة وتدقيقاته الرشيقة أنه عبر عنه ببعض مشايخنا ناظماً لنفسه في سلك تلامذته ومفتخراً بالانخراط في سلك المستفيدين من حضرته المقتبسين من مشكاة فطرته.

والسيد السند والفيلسوف الأوحد مير صدر الدين محمد الشيرازي أكثر النقل عنه في حاشية شرح التجريد، سيما في مبحث الجواهر والأعراض، والتقط فرائد التحقيقات التي أبدعها «عطر الله مرقده» في كتاب المعراج السماوي وغيره من مؤلفاته التي لم تسمح بمثلها الأعصار ما دار الفلك الدوار.

وفي الحقيقة من اطلع على شرحه لنهج البلاغة الذي صنفه للصاحب خواجة عطا ملك

الجويني وهو عدة مجلدات، شهد له بالتبريز في جميع الفنون الإسلامية والأدبية والحكمية والأسرار العرفانية، ومن مآثر طبعه اللطيف وخلقه الشريف على ما حكاه في مجالس المؤمنين أنه «عطر الله مرقده» في أوائل الحال كان معتكفاً في زاوية العزلة والخمول، مشتغلاً بتحقيق حقائق الفروع والأصول، فكتب إليه فضلاء الحلة والعراق صحيفة تحتوي على عذله وملامته على هذه الأخلاق وقالوا: العجب منك أنك على شدة مهارتك في جميع العلوم والمعارف وحذاقتك في تحقيق الحقائق وإبداع اللطائف قاطن في طلول الاعتزال ومخيم في زاوية الخمول الموجب لخمود نار الكمال، فكتب في جوابهم هذه الأبيات. [البحر الطويل]

طلبتُ فنونَ العلمِ أبغي بها العُلى فقصَّر بي عمّا سموْتُ به القلُّ
تبيَّن لي أنَّ المحاسنَ كلَّها فروعٌ وأنَّ المالَ فيها هو الأصلُ

فلما وصلت هذه الأبيات إليهم كتبوا إليه: إنك أخطات في ذلك خطأ ظاهراً وحكمك بأصالة المال عجيب بل إقلب تصب، فكتب في جوابهم هذه الأبيات وهي لبعض الشعراء المتقدمين: [البحر المنسرح]

قدْ قالَ قومٌ بغيرِ علمِ ما المرءُ إلاّ بأكبَرَيْهِ
فقلتُ قولَ امرئٍ حكيمٍ ما المرءُ إلاَّ بدِرْ هَمَيْهِ
منْ لم يكنْ درهمٌ لدَيْهِ لم تلتفتْ عرسُه إليهِ

ثم إنه «عطر الله مرقده» لما علم أن مجرد المراسلات والمكاتبات لا تنفع الغليل ولا تشفي العليل توجه إلى العراق لزيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام وإقامة الحجة على الطاعنين، ثم إنه بعد الوصول إلى تلك المشاهد العلية لبس ثياباً خشنة عتيقة وتزيا بينة رثة بالإطراح والاحتقار خليقة ودخل بعض مدارس العراق المشحونة بالعلماء والحذاق فسلم عليهم فرد بعضهم عليه السلام بالاستثقال والامتناع التام، فجلس «عطر الله مرقده» في صف النعال ولم يلتفت إليه أحد منهم ولم يقضوا واجب حقه، وفي أثناء المباحثة وقعت بينهم مسألة مشكلة دقيقة كلّت عنها أفهامهم وزلّت فيها أقدامهم، فأجاب «روح الله تعالى روحه» وتابع فتوجَّه بتسعة جوابات في غاية الجودة والدقة.

فقال له بعضهم بطريق السخرية والتهكم: يا حيلك طالب علم، ثم بعد ذلك أحضر الطعام فلم يؤاكلوه «قدس الله سره» بل أفردوه بشيء قليل في طرف على حدة واجتمعوا هم على المائدة، فلما انقضى ذلك المجلس قام «قدس الله سره».

ثم إنه عاد في اليوم الثاني إليهم، وقد لبس ملابساً فاخرة وهيئة الأكمام واسعة وعمامة كبيرة رائقة فلما قرب وسلم عليهم قاموا إليه تعظيماً واستقبلوه تكريماً وبالغوا في ملاطفته ومطايبته فاجتهدوا في تكريمه وتوقيره، وأجلسوه في صدر ذلك المشحون بالأفاضل المحققين والأكابر المدققين، ولما شرعوا في المباحثة عقلاً والمذاكرة تكلم معهم بكلمات عليلة لا وجه لها عقلاً

ولا شرعاً، فقابلوا كلماته العليلة بالتحسين والتسليم والاذعان على وجه التعظيم، فلما حضرت مائدة الطعام بادروا معه بأنواع الأدب، فألقى الشيخ «قدس الله سره» كمه في ذلك الطعام مستعتباً على أولئك الأعلام وقال: كل يا كمي، فلما شهدوا ذلك الحال العجيبة اخذوا في التعجب والاستغراق واستفسروه «قدس الله سره» عن معنى هذا الخطاب، فأجاب عطر الله مرقده: إنكم إنما أتيتم بهذه الأطعمة النفيسة لأجل أكمامي الواسعة لا للنفس القدسية اللامعة وإلا فأنا صاحبكم بالأمس وما رأيت تعظيماً ولا تكريماً ولا منه عيناً ولا أثراً، إني جئتكم أمس بهيئة الفقراء وسجية العلماء واليوم جئتكم بلباس الجبارين وتكلمت بكلام الجاهلين فقد رجحتم الجهالة على العلم والغنى على الفقر، وأنا صاحب الأبيات التي في أصالة المال وفرعية صفات الكمال التي أرسلتها إليكم وعرضتها عليكم وقابلتموها بالتخطئة وزعمتم انعكاس القضية فاعترف الجماعة بالخطأ في تخطئتهم واعتذروا مما صدر منهم من التقصير في شأنه «قدس الله سره».

وله «قدس سره» من المصنفات البديعة والرسائل الجليلة ما ليس يسمح بها الزمان ولم يظفر بمثلها أحد من الأعيان، منها «شرح نهج البلاغة» وهو حقيق أن يكتب بالنور على الأحداق لا بالحبر على الأوراق وهو عدة مجلدات، ومنها «شرحه الصغير على نهج البلاغة» جيد مفيد جداً رأيته في حدود «سنة ١٠٩١» ألف وإحدى وتسعين، و«كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة» لم يعمل مثله وهو عندي نسخة صحيحة عتيقة جداً «كتاب شرح إشارات» أستاذه العالم الكامل قدوة الحكماء وإمام الفضلاء الشيخ السعيد الشيخ علي بن سليمان البحراني وهو في غاية المتانة والدقة على قواعد الحكماء المتألهين، وله «كتاب القواعد» في علم الكلام، و«كتاب المعراج السماوي»، و«كتاب بحر الخضم»، و«رسالة في الوحي والالهام» وسمعت من بعض الثقات أن له شرحاً ثالثاً على كتاب نهج البلاغة الكبير، مات عطر الله مرقده «سنة ٦٧٩» تسع وسبعين وستمائة ذكر ذلك الشيخ البهائي في المجلد الثالث من الكشكول.

تتمة: هو ميثم بفتح الميم والياء المثناة من تحت الساكنة والثاء المثلثة المفتوحة وبالميم أخيراً كما ذكره بعض المحققين في حواشي خلاصة الأقوال في ترجمة ميثم أحمد بن الحسن الميثمي ما نصه: هو منسوب إلى ميثم التمار، وميثم بكسر الميم ولم يأت مفتوحاً: إلا اسم ميثم البحراني من المتأخرين - انتهى، ويلقب بكمال الدين كما في شرح زاد المسافرين للفاضل المحقق ابن أبي جمهور الأحسائي في المباحث النبوية، وفي شرح الفصول النصيرية للشيخ الخضر، وفي حاشية الفاضل الكلبي في أوائل مباحث البيان وفي الكشكول للشيخ البهائي في أول المجلد الرابع، وكذا في حاشيته على تفسير القاضي البيضاوي، وفي مسألة وجوب الأصلح عليه سبحانه، وفي مجالس المؤمنين لقبه بمفيد الدين في موضعين في ترجمة «يب»(١)

(١) «يب»: هذا الرمز كتاب، «تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة الطوسي».

أفضل المحققين خواجة نصير الدين الطوسي طيب الله مشهده وعطر مرقده، وله في هذه الترجمة غلط فظيع نسبته إلى زلة القلم أهون من نسبته إلى زلة القدم، ولا بأس بالتنبيه عليه فنقول: ذكر «قدس الله سره» نقلاً عن إجازة العلاّمة «قدس سره» لأولاد زهرة أن أفضل الحكماء نصير الدين الطوسي لما قدم الحلة لزيارة أفضل المحققين نجم الدين بن سعيد أجتمع علماء الحلة وفضلاء الإمامية بمجلس نجم الدين بن سعيد فسأل الخواجة السعيد المحقق نجم الدين عن أفضلهم؟ فأجاب الشيخ نجم الدين بأن قال: كلهم فضلاء علماء ما برز أحدهم في فن إلا وبرز آخر في آخر.

قال الخواجة: أيهم أفضل في علم الكلام وأصول الفقه؟ فأشار إلى والدي سديد الدين يوسف بن المطهر وإلى الشيخ مفيد الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، هذا حاصل ما نقله «قده» في مجالس المؤمنين وهو نقل عجيب يضحك الثكلى وكأنه من سهو قلم النساخ، فإن الموجود في الرسالة أن الخواجة لما سأل المحقق نجم الدين عن أفضل الجماعة في الأصولين، فأشار المحقق إلى الشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر وإلى الشيخ مفيد الدين محمد بن الجهم الحلي وقال: هذان أفضل هؤلاء الجماعة في علم الكلام وأصول الفقه، فتكدر خاطر الفقيه يحيى بن سعيد ابن عم المحقق وأرسل إلى ابن عمه مكتوباً يعتب عليه وقال: كيف ذكرت ابن المطهر وابن الجهم ولم تذكرني وضمنه هذه الأبيات: [البحر الخفيف]

لا تهنْ مِنْ عظيمِ قدرٍ وإنْ كنتَ مُشاراً إليهِ بالتَّعظيمِ
فاللبيبُ الكريمُ ينقصُ قدراً بالتجرِّي على اللبيبِ الكريمِ
ولعُ الخمرِ بالعقولِ رمي الخمرِ بتنجيسِها وبالتحريمِ

فأجابه «قده» بما حاصله: إنه ربما سألك الخواجة مسألة فوقفت فيحصل لنا الحياء هذا حاصل ما في الرسالة المذكورة وهي عندي بنسخة عتيقة صحيحة، ومما يشهد أيضاً بأن ما في مجالس المؤمنين سهو صريح أن الشيخ كمال الدين ميثم ليس من علماء الحلة، وأيضاً وجدت بخط بعض الأفاضل المعتمدين أن الخواجة «قده» تلمذ على الشيخ كمال الدين ميثم في الفقه والشيخ كمال الدين ميثم تلمذ على الخواجة في الحكمة، وبالجملة فما في مجالس المؤمنين غلط بغير ريبة.

خاتمة: قد كثر استفادة المشايخ المتأخرين واقتباسهم من مشكاة تحقيقات شيخنا كمال الدين ميثم المذكور، ولا بأس بالإشارة إلى بعض ذلك فنقول: من تلك الجملة ما نقله عنه السيد الشريف الجرجاني في شرح المفتاح وفي حاشية المطول معبراً عنه في شرح المفتاح ببعض مشايخنا.

وفي حاشية المطول ببعض الأفاضل: قال في شرح المفتاح في تحقيق كون التشبيه اصلاً من أصول البيان ما نصه: والصواب في هذا المقام ما حققه بعض مشايخنا وهو أن اللفظ بتوسط الوضع إنما يفيد المعنى الموضع له أو وله علامة معه بحيث ينتقل الذهن من الموضوع له في

الجملة وهو المسمى عندهم باللازم، واللفظ أن استعمل في الموضوع له كان له حقيقة، وإن استعمل في لازمه فإما أن يكون هناك علاقة المشابهة أو غيرها فعلى الأول إن كان معه قرينة تنافي إرادة المعنى الموضوع له كان استعارة وإن لم يكن كان تشبيهاً، وعلى الثاني أيضاً إن كان معه تلك القرينة المانعة كان مجازاً مرسلاً وإن لم يكن كان كناية - انتهى.

ثم قال بعد ذلك في الرد على من قال المقصود الأصلي في التشبيهات هو المعاني الوضعية: أنه ليس بشيء، فإن قولك وجه كالبدر مثلاً لا تريد به ما هو مفهومه وضعاً بل تريد به أن ذلك الوجه في غاية الحسن ونهاية اللطافة، لكن إرادة هذا المعنى لا تنافي إرادة المعنى الوضعي - انتهى، وعليها في بعض الحواشي أن المراد ببعض المشايخ كمال الدين ميثم البحراني «قده».

وقال في حاشية المطول: فائدة: قال بعض الأفاضل: إذا قلت وجهه كالبدر ولم ترد به ما هو مفهومه وضعاً بل أردت انه في غاية الحسن ونهاية اللطافة لكن إرادة هذا المعنى لا تنافي إرادة المفهوم الوضعي كما في الكناية - انتهى، قال الفاضل المحقق الجلبي في حاشية المطول: إن الفائدة المذكورة منقولة من كلام كمال الدين ميثم البحراني وهذا التحقيق الذي أفاده في غاية الجودة والمتانة وعليه السيد السند في شرح المفتاح، وفي آخر كلامه في حاشية المطول: وأما قوله في أوله: «الحق أن التشبيه أصل برأسه من أصول هذا الفن وفيه من النكت واللطائف البيانية ما لا يحصى وله مراتب مختلفة في الوضوح والخفاء مع أن دلالته مطابقية» فليس بمدافع لذلك كما قد يتوهم لأنه بناه على ما ذكره التفتازاني في شرح المفتاح من أن دلالة التشبيه وضعية، وغرضه توجيه الكلام على ذلك لا أنه مختاره، كيف وقد زيفه في شرح المفتاح، وفي الحاشية المذكورة ما نقله في الفائدة عن العالم الرباني «قده» قد تنبه لذلك الفاضل الجلبي في حاشيه المطول، ويخطر بالبال أيضاً في توجيه كلامه انه أراد أن المعنى الوضعي مراد أيضاً وهو مدلول مطابقي، لأن دلالته على تمام المعنى المراد مطابقية.

ومنها: ما نقله عنه شيخنا الشهيد الثاني ﷺ في شرح اللمعة في مسألة الحج ماشياً من أن الحج راكباً أفضل إذا كان الباعث له على المشي توفير المال لأن دفع رذيلة الشح عن النفس من أفضل الطاعات، وكذا في شرح الشرائع معبراً عنه في الأول ببعضهم وفي الثاني ببعض الأفاضل قائلا فيها بعد نقله «وهو حسن» وفي المدارك صرح بنسبته إليه «قده» فقال بعد نقله: اختاره الإمام الرباني ميثم البحراني في شرح النهج وهو جيد لأن الشح جامع لمساوي العيوب كما ورد في الخبر، فيكون دفعه أولى من العبادة بالمشي، ويدل عليه أيضاً ما رواه الكليني ﷺ عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المشي والركوب؟ فقال: إن كان الرجل ماشياً ليكون أفضل من نفقته فالركوب أفضل.

ومنها: ما نقله عنه شيخنا البهائي «قدس الله سره» في شرح الحديث السابع عشر من كتاب الأربعين في الرد على الأشاعرة حيث تمسكوا بالآية الكريمة أعني قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ

مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِىۚ﴾[(١)] على جواز رؤيته سبحانه قالوا: إنه سبحانه علق رؤية موسى عليه السلام له تعالى على استقرار الجبل وهو في نفسه ممكن والمعلق على الممكن ممكن، وحاصل الرد إنه ليس المعلق عليه هو استقرار الجبل مطلقاً فإن الجبل كان وقت هذا التعليق مستقراً أيضاً بل استقراره حال التجلي، وهو حينئذ غير ممكن لأنه سبحانه قد علق عليه وقوع الرؤية بعد إخباره تعالى بعدم وقوعها بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[(٢)] ووقوع الرؤية بعد إخباره تعالى بعدم وقوعها محال، فاستقرار الجبل الذي علق عليه هذا المحال محال، وتعليق وقوع ما علم امتناع وقوعه على أمر صريح في امتناع وقوع ذلك الأمر كما تقول لمن يجادلك في أمر إن كان كلامك هذا حقاً فشريك الباري تعالى موجود، تريد بهذا أن حقية كلامه محال كوجود الشريك للباري، وظاهر أنه لا يلزم من هذا الكلام الاعتراف بوجود الشريك لتعليقه على الممكن في ذاته وهو الصدق. ثم قال شيخنا البهائي «قده» بعد ذكره فتدبر وكتب في الحاشية: كل هذا الكلام للشيخ المحقق كمال الدين ميثم البحراني، ووجه التدبر ابتداء تمامية هذا الكلام على كون لن للنفي التأبيدي، إذ لو كان المعنى لن تراني في الدنيا لم يتم كما لا يخفى - انتهى.

وما أفاده «قده» في وجه التدبر واضح السقوط لأن كلام الشيخ كمال الدين ميثم «قده» يرجع إلى منع قول الخصوم أن المعلق عليه أمر ممكن وهو الاستقرار، وما ذكره مستند للمنع ويكفي فيه التجويز والاحتمال، وحينئذ فلو منع الخصم كون لن للتأبيد كان كلاماً على السند وهو غير مسموع وقد تقرر في موضعه.

ومنها: ما نقله الشيخ البهائي «قده» أيضاً عنه في حاشية البيضاوي في تحقيق مسألة وجوب الأصلح عليه سبحانه من أن القائلين بوجوب الاصلح لا يزيدون أن كل ما هو أصلح بحال العبد فهو واجب عليه تعالى، قال «قده»: والمحققون منهم على أن هذه القضية جزئية، وقد نبه جهابذتهم على ذلك ومنهم المحقق الطوسي «قده» في التجريد وإن لم يتنبه لذلك الشارح القديم والجديد، ويريدون أن كل أصلح لو لم يفعله لكان مناقضاً لغرضه فهو واجب عليه تعالى، وقد صرح بذلك بعض الأعلام، وكتب «قده» في الحاشية ما نصه: المراد به الشيخ المحقق كمال الدين ميثم البحراني صاحب شرح نهج البلاغة.

ومنها: ما نقله «قده» في المجلد الرابع من الكشكول عنه «عطر الله مرقده» قال: في شرح النهج للشيخ كمال الدين بن ميثم: إن قلت كيف يجوز أن يتجاوز الإنسان في تفسير القرآن من المسموع وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» في النهي عن ذلك آثار كثيرة؟ قلت: الجواب عنه من وجوه:

«أ» أنه معارض بقوله صلى الله عليه وآله: «إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً» وبقول أمير

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣. (٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

المؤمنين عَلَيْتَكِلاِ : «إلا أن يؤتى عبد فهماً في القرآن» ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما فائدة في ذلك الفهم.

«ب» لو لم يكن غير المنقول لاشترط أن يكون مسموعاً من الرسول ﷺ وذلك لا يصادف الا في بعض القرآن، فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ولا يقال هو تفسير بالرأي.

«ج» إن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات وقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع ذلك من رسول الله ﷺ محال فكيف يكون الكل مسموعاً؟.

«د» أنه ﷺ دعا لابن عباس فقال: «اللهم فهمه في الدين وعلمه التأويل» فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك.

«هـ» قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾(1) فأثبت للعلماء استنباطاً ومعلوم أنه وراء المسموع، فإذاً الواجب أن يحمل التفسير بالرأي على احد معنيين:

«أحدهما»: أن يكون للإنسان في شيء رأي وله إليه ميل بطبعه فيتأول القرآن على وفق طبعه ورأيه، حتى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر ذلك التأويل بباله سواء كان ذلك الرأي مقصداً صحيحاً أو غير صحيح، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيستبدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾(2) ويشير إلى أن قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعاظ تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو ممنوع.

«الثاني»: أن يشرع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة وما يتعلق به من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير والمجاز، فمن لم يحكم بظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، مثاله قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾(3) فالناظر إلى ظاهر العربية ربما يظن إن المراد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وإنما المعنى آية مبصرة - انتهى.

أقول: قد سبقه إلى التأويل الأول أبو حامد الغزالي في أوائل الأحياء، فإنه بعد أن بالغ في الرد على الباطنية ومن يحذو حذوهم قال: ومثال تأويل أهل الطاعات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾(4) أنه اشار إلى قلبه وقال: المراد بفرعون هو الطاغي على كل إنسان، وفي قوله تعالى: ﴿أَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾(5) كلما تتوكأ عليه وتعتمد مما سوى الله

(1) سورة النساء، الآية: ٨٣.
(2) سورة طه، الآية: ٢٤.
(3) سورة الإسراء، الآية: ٥٩.
(4) سورة الأعراف، الآية: ١١٧.
(5) سورة الأعراف، الآية: ١١٧.

تعالى: وذكر أمثلة أخرى مما تجري هذا المجرى ثم قال: فهذه أمور تدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن، وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق، ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا التابعين ولم يظهر لقول رسول الله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار» معنى إلا هذا النمط، وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه، فيستخير شهادة القرآن عليه وتحميله عليه، من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية، وينبغي أن يفهم منه انه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر، فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والتابعين والمفسرين خمسة معانٍ وستة وسبعة وتعلم أن جميعها غير مسموعة من النبي ﷺ فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع، فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر، ولهذا قال النبي ﷺ لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» - انتهى.

ومنها: ما نقله الشيخ الفاضل المحقق الخضر بن محمد الرازي الحبارودي «قده» في شرح الفصول النصيرية في مبحث أنه لا يصح الإشارة إليه حساً في تحقيق قوله عليه السلام في نهج البلاغة: «من أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده» وهذه عبارته: قال شارحه كمال الدين البحراني: «الرابع عشر» كونه غير مشار إليه، وأراد مطلق الإشارة وبين ذلك بقياس قوله: «فمن أشار إليه فقد حده» إلى قوله: «فقد عده» بيان الأولى أن الإشارة إما حسية أو عقلية، أما الحسية فلأنها تستلزم الوضع والكون في المحل والحيز، وما كان كذلك فلا بد أن يكون له حداً أو حدوداً، وأما الإشارة العقلية فلأن المشار إليه حقيقة شيء زاعماً أنه وجده وتصوره فقد أوجب له حداً يقف عنده ذهنه ويميزه به عن غيره، وبيان الثانية أن من حده بالإشارة الحسية فقد جعله مركباً من أمور متعددة، إذا لواحد في الوضع لا بمجرد الوحدة فقط وإلا لم تتعلق الإشارة الحسية بل لا بد معها من أمور أخر مشخصة مخصصة له، فكان في نفسه معدوداً لكثرته من تلك الجهة، ومن حده بالإشارة العقلية فلا بد وأن يحكم بتركيبه كما علمت أن كل محدود مركب في المعنى فكان أيضاً ذا كثرة معدودة، فإذاً الإشارة المطلقة ممتنعة في حقه تعالى مستلزمة للجهل به - انتهى.

ومنها: ما ذكره الشيخ الفاضل محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي «قده» في شرح زاد المسافرين في مباحث القدرة نقلاً عنه «قده» في كتاب القواعد من أن القادر المختار هو الذي أن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل.

ومنها: ما ذكره «قدس الله سره» أيضاً في مباحث النبوة من أن اعجاز القرآن لاشتماله على العلوم الغريبة، ومن نفائس فوائده في شرح النهج ما أفاد في سر النهي عن تعلم النجوم، وهو أن الأحكام النجومية إخبارات عن أمور ستكون وهي تشبه الإطلاع على الأمور الغيبية، وأكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب والإخبار به، فكان تعلم

تلك الأحكام والحكم لها موجباً لضلال كثير من الخلق وموهناً لاعتقاداتهم في المعجزات، إذ الإخبار عن الكائنات منها وكذلك في عظمة باريهم يشككهم في عموم صدق قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١) و ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾(٣) فالمنجم إذا حكم لنفسه بأنه يصيب كذا في وقت كذا فقد ادعى أن نفسه تعلم ماذا تكسب غداً وبأي أرض تموت وذلك عين التكذيب للقرآن - انتهى، وقد أوردناه أيضاً في رسالتنا المعمولة في حكم تعلم النجوم، وإنما اطلنا الكلام في نقل جملة مما نقل عنه أعاظم العلماء التنبيه على جلالة شأنه وسطوع برهانه واعتماد الأئمة الأعلام على كلامه وحذوهم في نقضه وإبرامه، وكتب مؤلف الترجمة الموسومة بالسلافة الميثمية سليمان بن عبد الله البحراني حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً في الليلة السابعة والعشرين من شهر جمادي الأولى سنة «١١٠٤» الرابعة والمائة وألف من الهجرة النبوية بعد ربع الليل تقريباً، إلى هنا بخطه «قده».

من كتاب أخلاق الناصري: من تصانيف أفضل المحققين الطوسي ﷺ: **[البحر الطويل]**

سألزمُ نفسي الصفحَ عن كلِّ مذنبٍ ... وإنْ كثرَتْ منه عليَّ الجرائمُ
وما الناسُ الأَ واحدٌ من ثلاثةٍ ... شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مقاومُ
فأمَّا الذي فوقي فأعرفُ قدرَه ... واتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ
وأمَّا الذي دوني فإنْ قال صنتُ عن إجابتِه عِرْضي وإنْ لامَ لائِمُ
وأمَّا الذي مثلي فإنْ زلَّ أو هَفا ... تفضَّلْتُ إن الفضلَ بالحقِّ حاكمُ

أحاديث في فضل علي عليه السلام

كتاب التذكرة: للسيد البارع السيد علي صدر الدين الشيرازي المشهور بسيد علي خان «قده» الحمد لله الذي أكمل بنبيه احمد نظام الدين وشرح بوصيه علي صدر الدين صلى الله عليهما وعلى أبنائهما الهادين أئمة الأمة والخلفاء الراشدين، وبعد: فيقول الفقير إلى ربه الغني علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين الحسيني الحسني أنالهما الله من فضله السني: حدثنا والدي السيد الأجل أحمد نظام الدين عن والده السيد الجليل محمد معصوم عن شيخه المحقق المولى محمد أمين الاسترابادي عن شيخه طرار المحدثين الميرزا محمد الاسترابادي عن السيد أبي محمد محسن قال: حدثني أبي علي شرف الآباء عن أبيه منصور غياث الدين أستاد البشر عن أبيه

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

محمد صدر الحقيقة عن أبيه منصور غياث الدين عن أبيه محمد صدر الدين عن أبيه إبراهيم شرف الملة عن أبيه محمد صدر الدين عن أبيه إسحاق عز الدين عن أبيه علي ضياء الدين عن أبيه عز تشاه زين الدين عن أبيه أبي الحسن عن أبيه نجيب الدين عن أبيه أميري خطير الدين عن أبيه أبي علي الحسن جمال الدين عن أبيه أبي جعفر الحسين العزيزي عن أبيه أبي سعيد علي عن أبيه أبي إبراهيم زيد الأعشم عن أبيه أبي شجاع علي عن أبيه عبد الله محمد عن أبيه أبي عبد الله جعفر عن أبيه أحمد السكين عن أبيه جعفر عن أبيه أبي جعفر محمد عن أبيه زيد الشهيد عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين سيد الشهداء عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول - وقد سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج - قال: خاطبني بلسان علي فألهمني أن قلت: يا رب خاطبتني أم علي؟ فقال: يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء لا أقاس بالناس ولا أوصف بالشبهات، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك، اطلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحب من علي بن أبي طالب فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك.

توضيح: أقول: هذا الحديث الشريف رواه أيضاً أبو المؤيد الموفق ابن أحمد الخوارزمي المعروف بأخطب خوارزم في الباب السادس من كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام بسند آخر وبتغيير يسير في متنه ونصه: أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمد بن علي بن زبران المقري حدثنا والدي أبو بكر محمد قال: حدثنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد النيسابوري حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الناينحي البغدادي حدثنا محمد بن جرير الطبري حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا العلا بن الحسين الهمداني حدثنا أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج - قال: خاطبني بلغة علي فألهمني أن قلت: يا رب خاطبتني أم علي؟.

فقال: يا أحمد أنا شيء لا كالأشياء لا أقاس بالناس ولا أوصف بالشبهات، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد أحداً إلى قلبك أحب من علي بن أبي طالب فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك - انتهى.

واللغة كاللسان كما يطلق على ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم كلغة العرب ولغة العجم يطلق على ما يعبر به الإنسان الواحد عن غرضه من النطق وتقطيع الصوت اللذين يمتاز بهما الأشخاص بعضها عن بعض، ويعبر عنها باللهجة فيقول السائل في الحديث: بأي لغة خاطبك ربك يحتمل المعنيين، وقوله صلى الله عليه وآله: «خاطبني بلسان علي» أي بلغة علي كما في رواية الخوارزمي مراداً به المعنى الثاني، وهو يتضمن الجواب عن المعنى الأول أيضاً إن كان مراداً لأن لغة علي عليه السلام كانت عربية، «وقاس الشيء بالشيء» قدره به، أي جعله على مقداره، «والشبهات» جمع شبهة كغرفة وغرفات، قال في القاموس: الشبهة بالضم الالتباس والمثل - انتهى، وإرادة المعنى الثاني هنا أظهر، أي لا يوصف بالأمثال وإن كان المعنى الأول أيضاً ظاهراً.

رجع: وحدثنا والدي بالسند المذكور أنه قال ﷺ: «إن عليا لأخيشن في ذات الله».

توضيح: الأخيشن تصغير اخشن أفعل تفضيل من خشن خشونة ضد لان، قال في الأساس: ومن المجاز فلان خشن في دينه إذا كان متشدداً فيه - انتهى، والتصغير هنا للتعظيم كقوله: «دويهية تصفر منها الأنامل»، واخيشن ممنوع من الصرف لوزن الفعل المفتح بزيادة هي بالفعل أولى من الصفة لأن مدار وزن الفعل المذكور على وجود الزيادة وإن زالت صورته، وهذه فائدة قلّ من نبه عليها، «وذات الله» عبارة عما يضاف إليه سبحانه من الأوامر والحدود والأحكام كجنب الله في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1] وفيه شاذ على استعمال «ذات الله» بهذا المعنى ورد على ما أنكره على أنه قد حكى عن صاحب التكلمة جعل الله ما بيننا في ذاته وقال أبو تمام: «ويضرب في ذات الآله» ويرجع والمعنى أنه عليه السلام شديد التصلب والتشدد في الأمور الآلهيه لا يداري فيها ولا يداهن ولا يأخذه لومة لائم.

رجع: وبالسند المذكور أيضاً انه قال ﷺ: «إن علياً عليه السلام ممسوس في ذات الله»

«توضيح في الأمساس»

رجل ممسوس مجنون، وفي الجمل: الممسوس الذي فيه مس من جن - انتهى. وهو إما على التشبيه بحذف الأداة أو على الاستعارة كقوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾[2] ولأئمة البيان خلاف في هل يسمى ذلك تشبيهاً أو استعارة والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة، ولبعضهم في ذلك تفصيل ذكرناه في أنوار الربيع، والحاصل أنه ﷺ شبهه عليه السلام في تشدده وتصلبه في الأمور الآلهية وعدم ملاحظته للوم لائم أو رعاية جانب بالمجنون الذي لا يبالي بما يقال فيه من لوم أو مذمة، ولذلك نسبه اعداؤه إلى الحمق وعدم المعرفة بتدبير الحروب واستمالة قلوب الرجال حتى فارقه كثير من أصحابه والتحقوا بمعاوية، وهو عليه السلام لا يلتفت إلى شيء من ذلك في التصميم على إيثار الحق والعدل والعمل بهما ولو كره الكافرون.

حكى الشعبي: قال: دخلت الكوفة وأنا غلام في غلمان، فإذا أنا بعلي بن أبي طالب عليه السلام قائماً على صبرتين من ذهب وفضة، فقسم ما بين الناس حتى لم يبق شيء ثم انصرف ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً، فرجعت إلى أبي وقلت: لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحمق الناس، قال: من هو؟ قلت: علي بن أبي طالب عليه السلام رأيته يصنع كذا فقصصت عليه فبكى وقال: يا بني بل رأيت خير الناس.

وقال ابن أبي الحديد: كان عليه السلام شديد السياسة خشناً في ذات الله لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه إياه ولا راقب أخاه عقيلا في كلام جبهه به وأحرق قوماً بالنار وقطع جماعة

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٦. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٨.

وصلب آخرين، ولم يبلغ كل سائس في الدنيا في فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل عليه السلام في حروبه بيده وأعوانه - انتهى. ويحتمل أن يكون وجه التشبيه له بالممسوس ما كان يعتريه عليه السلام من الغشية والهزة لخشية الله تعالى عند اشتغال سره بملاحظة جلال الله ومراقبة عظمته سبحانه كما تضمنه حديث أبي الدرداء الذي حكى فيه شدة عبادته عليه السلام حتى قال: فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك فأتيت منزله مبادراً أنعاه، فقالت فاطمة عليها السلام: ما كان من شأنه فأخبرتها فقالت: هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله، وعن زين العابدين عليه السلام لما نزلت الآيات الخمس في «طسّ» أم من جعل الأرض قراراً انتفض علي انتفاض العصفور، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما بالك يا علي؟».

قال: عجبت يا رسول الله من كفرهم وحلم الله تعالى عنهم - الحديث، والله أعلم بمقاصد انبيائه.

رجع: وبالسند المتقدم أن علياً عليه السلام قال: «كان لرسول الله صلى الله عليه وآله سر قلّما عثر عليه».

توضيح: ما المتصلة بقلّ زائدة كافة للفعل عن عمل الرفع وطلب الفاعلية عند الجمهور، ولا تتصل إلا بقلّ أو كثر أو طال، وزعم بعضهم انها في ذاك مصدرية لا كافة وهي وصلتها فاعل قلّ أي قل عثور عليه، وعلى كل تقدير فلقل حين اتصال ما بها استعمالان: «أحدهما» استعمالها بمعنى النفي لأن القليل أقرب شيء إلى النفي فيقوم مقامه وهو الأكثر، ومنه قول الشاعر:

[البحر الخفيف]

قلّما يبرحُ اللبيبُ إلى ما　　يورثُ المجدَ داعياً ومُجيبا

أي لا يبرح العاقل على إحدى هاتين الحالتين إما داعياً إلى ما يورث المجد أو مجيباً لما يدعو إليه، «والثاني» استعمالها بمعنى التقليل حقيقة، فتدل على وجود الشيء نزراً لا على نفيه وهذا هو الأصل فيها إذا عرفت ذلك فالظاهر أن المراد هنا المعنى الثاني لا الأول إذ كان مفاد إخباره بهذا السر لرسول الله صلى الله عليه وآله اطلاعه هو عليه دون غيره وإلا فلكل أحد سر قلما عثرنا عليه، ولولا اطلاعه عليه لما علم ولا اخبر بأن له صلى الله عليه وآله سراً بهذه المثابة، وفائدة الإخبار بذلك تحدثه بما أنعم الله عليه به من اختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله واطلاعه على سره دون غيره مضافاً إلى سائر خصائصه الشريفة التي كانت له من رسول الله صلى الله عليه وآله، وتنكير المسند إليه من قوله: «سر» إما للنوعية أي من نوع السر غير ما يتعارفه الناس، أو للتعظيم أي سر عظيم بلغ في شأنه أن لا يمكن أن يعثر عليه كل أحد، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

رجع: وحدثنا والدي«قده» بالسند المذكور متصلا إلى زيد الشهيد انه قال: سمعت أخي الباقر عليه السلام يقول: سمعت أبي زين العابدين عليه السلام يقول: سمعت أبي الحسين يقول: سمعت علياً بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «نحن بنو عبد المطلب ما عادانا بيت إلاّ وقد خرب، ولا عاوانا كلب إلا وقد جرب، ومن لم يصدق فليجرب».

توضيح: قوله «بيت» أي أهل بيت كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[1] وقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[2]، وقوله «وما عاوانا» أي عوي علينا، و ايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة فان الفعل متى غولب فيه بولغ قطعا، وعليه قوله تعالى: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾[3] على ما قاله الزمخشري وغيره من المفسرين، ومفاد المبالغة في الخبر أن مضمونه مقصور على من تمادى في عناده ولج وأصرّ على خصامه دون من وقع ذلك منه نادراً ثم تاب وأصلح، والكلب مستعار لمن هو في الخسة بمثابته، والله أعلم.

قال راقم هذه السطور: علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم بن أحمد نظام الدين بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن محمد صدر الحقيقة ابن منصور غياث الدين المذكور في سلسلة السند: هذه الأخبار الخمسة من مسلسل الحديث بالآباء بسبعة وعشرين أباً، وقل ما اتفق لنا ذلك في أخبار الخاصة حتى قال شيخنا الشيخ زين الدين الشهيد «قده» في شرح الدراية بعد ايراده الحديث المسلسل المروي عن أبي محمد الحسين بن أبي طالب البلخي بأربعة عشر أباً: هذا أكثر ما اتفق لنا روايته من الأحاديث المسلسلة بالآباء - انتهى.

قال راقمه: واتفق توضيح ما لعله يحتاج إلى التوضيح عجالة حال رقم الأخبار في هذه التذكرة، ولم أقف على شيء من ذلك لأحد من السلف فإن أصبت فببركات أهل البيت عليهم السلام والله يقول الحق وهدى السبيل، ورقم ذلك عشية يوم السبت لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة «١١٠٩» تسع ومائة وألف أحسن الله ختامها.

من الكتاب المذكور: من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: كل حقد حقدته قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله أظهرته فيَّ وسيظهر في ولدي من بعدي، ما لي ولقريش إنما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله فهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مؤمنين.

ومنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك وإلا فالصق كلكلك بالأرض» فلما تفرقوا عني جررت على المكروه ذيلي واغضيت على القذى جفني وألصقت بالأرض كلكلي.

ما يتعلق بالعلقمي وزير المعتصم

ومن الكتاب المذكور: الوزير مؤيد الدين محمد بن عبد الملك العلقمي كان وزيراً للمعتصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المنتصر، وكان المعتصم بالله ناظم حاشيتي المنظوم وناصب رايتي المعقول والمنقول جبلي الكرم غريزي الأريحة، ومن شعره: [البحر الطويل]

(١) سورة العَلق، الآية: ١٧.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٢.
(٣) سورة البَقَرَة، الآية: ٩.

وقالوا فلانٌ في الورى لك شاتمٌ وأنت له بين الخلائقِ تمدحُ
فقلتُ ذروه ما به وطباعِه فكلُّ أناءٍ بالذي فيه ينضحُ
إذ الكلبُ لا يُؤذيك عند نبيحِه فدعْه إلى يومِ القيامةِ ينبحُ

وكان الخليفة المستعصم قد أكب على اللعب والطرب واللهو والتمتع بالملاهي وألقى أزمة أموره إلى الوزير المذكور، فاستبد بالحل والعقد والأخذ والرد، إلا أن مقربي الحضرة لم يكونوا يحترمونه ولا يجرونه مجرى الوزراء في آداب التوقير والاحترام، فكان كثيراً ما يتألم لذلك حتى تغيرت نيته وتكدر صفو إخلاصه وجرت لذلك أسباب أخر أقواها أن الأمير أبا بكر بن المستعصم حمله التعصب وحمية الجاهلية على أن بعث طائفة من الجند إلى محلة الكرخ الذي هو موطن الشيعة فغاروا عليه وعاثوا فيه وقتلوا جماعة من الشيعة وأسروا بعض السادة العلويين وأخرجوا نساءهم وبناتهم حفاة عراة حواسر، وكان الوزير المذكور غالياً في مذهب التشيع فامتعض من هذه الواقعة وقامت عليه القيامة ونوى عليه ما نوى وكتب إلى السيد محمد بن نصر الحسني - وكان من أكابر السادة - هذا الكتاب وأبدى ما انطوى عليه امراً خفياً وأبان به أن تحت الضلوع داء دوياً، والكتاب هو هذا: «من خدم بدعاء ليلي وثناء عطر مندلي وينهي إنه خدم بها من النيل إلى سامي مجده الأثيل ومجمل شوقه يغني عن التفصيل وأبان عن شدة القرم إلى شريف تلك الشيم وينهي بعد الدعاء لأيامه لا أخلانا الله من أنعامه أنه قد نهب الكرخ المعظم وديس البساط النبوي المكرم وقد نهبوا العترة العلوية واستأسروا العصابة الهاشمية، وقد حسن التمثل بقول شخص من غزية: [البحر الوافر]

أمورٌ يضحكُ السّفهاءُ منها ويبكِي من عواقِبِها اللبيبُ

فلهم أسوة بالحسين عليه السلام إذ نهب حرمه وأريق دمه أمرتهم بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح الأضحى الغدى، وقد عزموا الا أتم الله عرفهم ولا نفذ أمرهم على نهب الحلة والنيل بل سولت لهم أنفسهم أمراً فصبر جميل، وينهي أن الحازم أسلفهم الإنذار وأحلسهم الأعذار وخاطبهم أسراراً وراسلهم جهاراً: [البحر الوافر]

أرى تحتَ الرمادِ وميضَ جمرٍ ويُوشك أن يكونَ له ضرامُ
وإنْ لم يطفِها عقلاءُ قومٍ يكون وقودَها جثثٌ ضخامُ
فقلتُ من التعجبِ ليتَ شِعريَ أأيقاظ أميةُ أم نيامُ

وكان جوابهم بعد خطابي أن لا بد من الشنيعة وقتل الشيعة وإحراق النهامة وتمزيق الذريعة وإن لم تكن لكلامنا مطيعاً جرعناك الحمام تجريعاً وكلامك كلام وجوابك سلام، ولتركن في بغداد أضل من الحنا عند الأقرع ومن الخاتم عند الأقطع ولتهملن إهمال الفلاسفة مخطورات الشرائع، وتلقى أهل القرى شرار الطبائع. [البحر الطويل]

وزيرُ رضىً من بأسهِ وانتقامِه بطيّ رقاعٍ حشوُها النظمُ والنثرُ

كما تسجعُ الورقاءُ وهي حمامةٌ ... وليس لها نهيٌ يُطاعُ ولا أمرُ

ولأفعلن بلبي كما قال المتنبي: [البحر البسيط التام]

قومٌ إذا أخذُوا الأقلامَ من غضبٍ ... ثم استمدُّوا بها ماءَ المنيّاتِ
نالُوا بها من أعادِيهم وإنْ بعُدوا ... ما لم ينالُوا بحدِّ المشرفيّاتِ

فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهو صاغرون [البحر الكامل]

وديعـةٌ مـن سـرِّ آلِ مـحـمـدٍ ... أودعكَها إنْ كنتَ من أُمنائِها
فإذا رأيتَ الكوكبَيْنِ تقارَنا ... في الجزْيِ عندَ صباحِها ومسائِها
فهناكَ يأخذُ ثارَ آلِ محمدٍ ... طلابُه بالتُّركِ من أعدائِها

فكن لهذا الأمر بالمرصاد وترقب أول النحل وآخر صاد [البحر الوافر]

وسهمُ الليلِ منجحةُ المساعِي ... إذا رُميتْ بأوتارِ الخشوعِ
تُصابُ بها المقابلُ حيثُ كانتْ ... فتنفذُ في الجواشنِ والدروعِ

انتهت الرسالة، ثم دبر من الأمر ما دبر حتى أهلك تلك الدولة ودمر، وآخر سورة ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾[(١)]، وأول النحل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[(٢)] وفي الوزير المذكور يقول ابن أبي الحديد: [البحر الوافر]

بآلِ العلقميِّ ورتْ زِنادي ... وقامتْ بين أهلِ الفضلِ سُوقي
فكمْ ثوبٍ أنيقٍ نلتُ منهمْ ... ونلتُ بهمْ وكمْ طرفٍ عتيقِ
أدامَ اللهُ دولتَهم وانْخا ... على اعدائِهم بالخنْعقيقِ

عن الشقراني: مولى رسول الله ﷺ قال: خرج العطاء أيام أبي جعفر وما لي شفيع فبقيت على الباب متحيراً فإذا أنا بجعفر بن محمد عليه السلام فقمت إليه فقلت: جعلني الله فداك أنا مولاك الشقراني، فرحب بي وذكرت له حاجتي فنزل ودخل وخرج وعطائي في كمه فصبه في كمي ثم قال: يا شقراني إن الحسن من كل أحد حسن وأنه منك أحسن لمكانك منا، والقبيح من كل أحد قبيح وهو منك أقبح لمكانك منا، وإنما قال له ذلك لأن الشقراني كان يصيب من الشراب، فانظر كيف أحسن السعي في استنجاز طلبته وكيف رحب به وأكرمه مع أطلاعه على حاله وكيف وعظه على جهة التعريض وما هو إلا من أخلاق الأنبياء قال في القاموس: شقران كعثمان مولى للنبي ﷺ واسمه صالح.

كان يقال: أربعة لم يكونوا ومحال أن يكونوا: زبيري سخي، ومخزومي متواضع، وشامي صحيح النسب، وقرشي يحب آل محمد ﷺ.

---

(١) سورة ص، الآية: ٨٨.
(٢) سورة النّحل، الآية: ١.

أكلت أبي

قعد رجل: في سفينة وركب معه يهودي قد احتضن سلة فيها قديد، فاستولى عليها الرجل فأخذ يأكلها حتى لم يبق إلا عظيمات، فلما أراد الخروج منها رأى اليهودي السلة فارغة فسأل عن ذلك فقيل له: إن هذا الرجل أكل ما فيها، فولول اليهودي فقال: أكلت أبي فسأل عن ذلك فقال: إن أبي كان أوصى أن يدفن ببيت المقدس فلما مات قددناه ليسهل حمله فأكله هذا.

حروف المعجم في بدنه

حكي: أن عبد الملك بن مروان جلس يوماً عنده جماعة من خواصه فقال: أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي ما يتمناه؟ فقام إليه سويد بن غفلة فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، فقال: هات قال: أنف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفه صدر ضلع طحال ظهر عين غنية فم قفا كف لسان منخر نغنوغ وجه هامة يافوخ وهذه آخر حروف المعجم والسلام، فقام بعض الحاضرين وقال: يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الإنسان مرتين، فضحك عبد الملك وقال لسويد: أسمعت ما قال؟ قال: أصلح الله الأمير أنا أقولها ثلاثاً.

فقال عبد الملك: ولك ما تتمناه فأنشد شعراً: أنف أسنان أذن بطن بنصر برترقوة تمرة تينه ثغر ثنايا ثدي جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصره دبر دماغ درا دبر ذكر ذقن ذراع رقبة رأس ركبة زند زردم زب ساق سره سبابة شفة شعر شارب صدر صدغ صلفة ضلع ضفيرة طرس طحال طرة طين ظهر ظفر ظرعين عنق عاتق غيبة غلصمة غنمة فك فم فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح مرفق منخر منكب نغنوغ ناب نى هامة هيئة هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ، ثم نهض مسرعاً فقبل الأرض بين يدي عبد الملك فأعطاه ما تمناه.

شيء من ترجمة الحجاج الثقفي

وفي مروج الذهب للمسعودي: أن أم الحجاج ولدته لا دبر له ثقب له دبر وأبى أن يقبل الثدي، وفي الحديث: إن ابليس تصور لهم بصورة الحارث بن كلدة زوج أمه الأول فقال: إذبحوا له تيساً وألعقوه من دمه وأطلوا به وجهه وبدنه ففعلوا به ذلك فقبل الثدي، فلأجل ذلك لا يصبر عن سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته في سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره، وأحصي من قتل بأمره سوى من قتل في حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفاً، ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم حد قتل ولا قطع، وكان يحبس الرجال والنساء في مكان واحد، وقيل: لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم.

وفي الأثر: أن هند بنت النعمان كانت أحسن أهل زمانها فتزوجها الحجاج وشرط لها بعد الصداق مائتي ألف درهم، فأقامت عنده ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الأيام وكانت تنظر في المرآة فتقول شعراً: [البحر الطويل]

وما هندُ إلاّ مهرةٌ عربيةٌ سليلةُ أفراسٍ تجلّلها بغلُ
فإنْ ولدتْ فحلاً فلّلهِ درُّها وإن ولدتْ بغلاً فجاءَ به البغلُ

فانصرف الحجاج ولم تكن علمت به فأرسل إليها عبد الله بن طاهر مع مائتي ألف درهم وقال: طلقها بكلمتين، فدخل عليها فقال لها: الحجاج يقول لك كنت فبنت وهذه المائتي ألف درهم باقي صداقك، فقالت: يابن طاهر كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتي ألف درهم بشارة لك بخلاصي من كلب ثقيف، ثم بعد ذلك وصل خبرها عبد الملك بن مروان فأرسل يخطبها فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد التحية: إن الإناء ولغ فيه الكلب، فلما قرأ الكتاب ضحك من قولها وكتب إليها يقول: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فاغسلوه سبعاً إحداهن بالتراب فاغسلي الإناء يحل الاستعمال.

فكتبت إليه: أتزوجك بشرط وهو أن يحمل الحجاج محملي من المعرة بلدي إلى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشياً حافياً بحلية التي كان عليها أولاً، فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك وأرسل إلى الحجاج يأمره بذلك، فامتثل الأمر فركبت في محملها وركب حولها جواريها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده فجعلت هند تضحك عليه مع الهيفاء دابتها، فلما قربت من عبد الملك رمت بدينار على الأرض ونادت يا جمال إنه سقط منا درهم فادفعه إلينا، فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يجد إلا ديناراً فناولها إياه فقالت: الحمد لله سقط منا درهم وعوضنا الله ديناراً، فخجل الحجاج وسكت.

ولله در القائل: [البحر الطويل]

إذا نعمتْ نفسي فأنت نعيمُها وإنْ تلفتْ وجْداً فأنت سقيمُها
بأسمائِك الحسنى أروّح خاطري إذا هبّ من روضِ الجنانِ نسيمُها
هوايَ قديمٌ في هواك وجدتُه وأفضلُ أهواءِ الرجالِ قديمُها
أبا حسنٍ إن كان حبُّك مُدْخلي جهنمَ كان الفوزُ عندي جحيمُها
وكيف يخافُ النارَ من هو موقنٌ بأنك مولاها وأنت قسيمُها
فواعجباً من أمةٍ كيف ترتجي من اللهِ غفراناً وأنت خصيمُها
فياليتني يومَ القيامةِ خائضاً دماءَ نفوسٍ حاربتْك حسومُها
ستعلمُ ليلىً أي دينٍ تداينتْ وأيَّ غريمٍ في التقاضي غريمُها

وفي تأريخ ابن الجوزي: عن هشام بن حسان قال: أحصينا من قتله الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألف قال: ووجد في سجنه ثلاثة وثلاثون ألفاً ما يجب على أحدهم قطع ولا

صلب ولا قتل، وكان سجنه حائطاً محوطاً لا سقف فيه، وإذا آوى المسجونون إلى الجدران يستظلون بها من حر الشمس رمتهم الحرس بالحجارة وكان يطعمهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد، وكان لا يلبث الرجل في سجنه إلا يسيراً حتى يسود ويصير كأنه زنجي، حتى أن غلاماً حبس فيه فجاءت إليه أمه بعد أيام تتعرف خبره فلما تقدم إليها أنكرته وقالت: ليس هذا ابني هذا بعض الزنج، فقال: لا والله يا أماه أنت فلانة وأني فلان فلما عرفته شهقت شهقة كانت فيها نفسها، وكانت امارة الحجاج على العراق عشرين سنة وآخر من قتل سعيد بن جبير فوقعت الأكلة في بطنه وأخذ الطبيب لحماً فشده في خيط وأمره بابتلاعه ثم استخرجه فإذا قد لصق به دود كثير فعلم أنه ليس بناج.

حبله بحبل الوصي متصل

من الديوان المرتضوي: عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الأعور على أمير المؤمنين عليه السلام كئيباً حزيناً متغير اللون فقال له: يا حارث ما لي أراك كئيباً حزيناً متغير اللون؟ فقال: يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون كذلك وقد كبرت سني ودق عظمي واقترب أجلي، فقال عليه السلام: [البحر المنسرح]

يا حارَ همدانَ من يمتْ يرني ... من مؤمنٍ أو منافقٍ قبلا
يعرفني طرفُه وأعرفه ... بنعتِه واسمِه وما فعلا
وأنت عند الصراطِ معترضي ... فلا تخفْ عثرةً ولا زللا
أقول للنارِ حين توقَفُ للعرضِ لا تقربينَ ذا الرجلا
ذريهِ لا تقربيه إن له ... حبلاً بحبلِ الوصيّ متصلا
أسقيك من باردٍ على ظمأٍ ... تخالُه في الحلاوةِ العسلا
قولُ عليّ لحارثٍ عجبٌ ... كم ثمَّ أعجوبة له جملا

نغمة الأغاني: للسيد علي المعروف بصدر الدين الشيرازي صاحب الفنون البديعة:

[البحر الرجز المشطور]

يقولُ راجي الصمدِ ... عليُّ بنُ أحمدِ ... حمداً لمن هداني
بالنطقِ والبيانِ ... وأشرفُ الصلاةِ ... من واهبِ الصلاةِ
على النبيّ الهادي ... وآلهِ الأمجادِ ... وبعدُ فالكلامُ
لحسنهِ أقسامُ ... والقولُ ذو فنونِ ... في الجدّ والمجونِ
وروضةُ الأريضي ... السجعُ والقريضُ ... والشعرُ ديوانُ العربْ
وكم أنالَ من أربْ ... فاقبلْ إذا رمت الأدبْ ... إليه من كلّ حدبْ
روايةُ الأشعارِ ... تكسو الأديبَ العاري ... وترفعُ الوضيعا

وتُكرمُ الشفيعا وتُطربُ الإخوانا وتُذهبُ الأحزانا
وتُنعشُ العشّاقا وتُونسُ المشتاقا وتنسخُ الأحقادا
وتُثبتُ الودادا وتقدمُ الجبانا وتعطفُ الغضبانا
وتنعتُ الحبيبا والرشأ المربيا وخيرة ما أطربا
مستمعاً وأعجباً وهذه الأرجوزهْ في فنها وجيزهْ
بديعةُ الألفاظِ تسهلُ للحفاظِ تطربُ كلّ سامعِ
بحسنِ لفظٍ جامعِ أبياتُها قصيرُ ما شأنها قصورُ
ضمّنتها معاني في عشرةِ الإخوانِ تشرحُ للألبابِ
محاسنَ الآدابِ فإنَّ حسنَ العشرهْ ما حازَ قومٌ عشرهْ
وأكثرُ الإخوانِ في العصرِ والأوانِ صحبتُهم نفاقُ
ما زانَها وفاقُ يلقى الخليل خلّهْ بظا أتى محلّهْ
بظاهرٍ مموّهْ وباطنٍ مشوّهْ يظهرُ من صداقتِهْ
ما هو فوق طاقتِهْ والقلبُ منه خالي كفارغِ المخالي
حتى إذا ما انصرفا اعرضَ عن ذاك الصّفا وإنْ يكنْ ثم حسدْ
انشبَ أنشابَ الأسدْ في عرضةِ مخالبُهْ مستقصياً مثالبُهْ
مجتهداً في غيبتِهْ لم يرعَ حق غيبتِهْ فهذه صحبةُ مَنْ
تراه في هذا الزمنْ فلا تكنْ معتمداً على صديقٍ أبدا
وإنْ أطقتَ الآ تصحبَ منهم خلّا فانك الموفقُ
بل السعيدُ المطلقُ وإنْ قصدت الصحبَهْ فخذْ لها في الأهبَهْ
وأحرصْ على آدابِها تعدُّ من أربابِها واستنبِ عن شروطِها
والزمْ عرى مشروطِها وإنْ أردتَ علمَها وحدّها ورسمَها
فاستملهِ من رجزي هذا البديعِ الموجزِ فإنه كفيلُ
بشرحهِ حفيلُ فصّلته فصولا تقرّب الوصولا
لمنهجِ الآدابِ في صحبةِ الأصحابِ تهدي جميعَ الصحبِ
إلى الطريقِ الرحبِ سميتُها إذ طربا بنظمِه وأغربا
بنغمةِ الأغاني في عشرةِ الإخوانِ والله ربي أسألُ
وهو الكريمُ المفضلُ إلهامي الإمدادا ومنجي السّدادا

في تعريف الصديق والصداقة

[البحر الرجز المشطور]

قالوا الصديقُ من صدَقْ
في حبّهِ وما مذقْ
وقيلَ من لم يعطِنا
في قولِه أنت أنا
وقيل لفظٌ لا يرى
معناه في هذا الورَى
وفسّروا الصداقهْ
بالحبّ حسبَ الطاقهْ
وقال من قد أطْلقا
هي الودادُ مُطلقاً
وآخرون نَصُّوا
بأنّها اخصُّ
وهو الصحيحُ الراجحْ
والحقُّ فيه واضحْ
إذ خلّةُ الصديقِ
عند أُلي التحقيقِ
محبةٌ بلا غرضْ
والصدقُ فيها مفترضْ
ومطلقُ الحبّ أعمّْ
ومن أبى فقد زعمْ
وحدُّها المعقولُ
عنديَ ما أقولُ
هيَ بلا اشتباهِ
إخوّةٌ في اللهِ

فيما ينبغي أن يصادق ويُصافى ويصاحب ويُوافى

[البحر الرجز المشطور]

إذِ اصحبتَ فاصحبِ
ذا حسبٍ ونسبِ
ربّ صلاحٍ وتقىً
ينهاه عمّا يتقي
من غيّةٍ وغدرِ
وخدعةٍ ومكرِ
مهذبُ الأخلاقِ
يطربُ للتّلاقي
يحفظُ حقّ غيبتِكْ
يصونُ ما في عيبتِكْ
يزينُه ما زانَكا
يشينُه ما شانَكا
يُظْهِرُ منك الحُسنا
ويذكرُ المستحْسنا
ويكتمُ المَعيبا
ويحفظُ المَغيبا
يسرُّه ما سرَّكا
ولا يذيعُ سِرَّكا
إنْ قال قولاً صدَقكْ
أو قلتَ أنت صدَقك
وإنْ شكوْتَ عُسرا
افدْتَ منه يُسرا
يلقاكَ بالأمانِ
من حادثِ الزمانِ
يهدي لك النصيحهْ
بنية صحيحهْ
خلّته مدانيهْ
في العسر والعلانيةْ
صحبتُه لا لغرضْ
فذاك في القبّ مرضْ
لم يتغيرْ أن ولي
عن الودادِ الأولِ
يرعى عهودَ الحصبهْ
لاسيّما في النكبهْ
لا يسلم الصّديقا
إن بالَ يوماً ضيقا
يعينُ إن أمرٌ عنا
ولا يفوهُ بالخَنا
يُولي ولا يعتذرُ
عمّا عليه يقدرُ
هذا هو الأخُ الثقهْ
المستحقُّ للمِقهْ
إنْ ظفرتْ يَداكا
به فكذْ عِداكا
فإنّه السلاحُ
والكفُّ والجناحُ
وقد روى الرواهُ
السادةُ الثقاهْ
عن الإمام المرتضى
سيفِ الآلةِ المنتضَى
في الصحبِ والأخوانِ

إنهما صنفانِ	إخوانُ صدقٍ وثقةْ	وأنفسٍ متفقةْ
هم الجناحُ واليدُ	والكهفُ والمستندُ	والأهلُ والأقاربُ
إنْ أدنتهمُ التجاربُ	فافدِهم بالروحِ	في القربِ والنزوحِ
واسلكْ بحيثُ سلكوا	وابذلْ لهم ما تملكُ	فلا يزولُ مالُكا
من دونِهم لِما لَكا	وصافِ من صافاهمُ	ونافِ من نافاهمُ
واحفظهمُ وصنهمُ	وانفِ الظنونَ عنهمُ	فهم اعزُّ في الورى
إنْ عن خطبٌ أو عَري	من أحمرِ الياقوتِ	بل من حلالِ القوتِ
وأخوةٌ للأنسِ	ونيلِ حظِّ النفسِ	همْ عصبةُ المجاملةْ
لا الصدقِ في المعاملةْ	منهم تصيبُ لذّتكْ	إذِ الهمومُ بدّتكْ
فضْلهمُ ما وصلُوا	وابذلْ لهمْ ما بذلُوا	من ظاهرِ الصداقةْ
بالبشرِ والطلاقةْ	ولا تسلْ أن ظهرُوا	للودّ عمّا اضمرُوا
واطوِهمُ مدَّ الحقبْ	طيَّ السجلِّ للكتبْ	وقال بشرُ الحافي
بل عدةُ الأصنافِ	ثلاثةٌ فالأولُ	للدينِ وهو الأفضلُ
وآخرُ للدُّنيا	يهديكَ تجد العليا	وثالثٌ للأنسِ
لكونِه ابنُ جنسِ	فأعطِ كلاًّ ما يجبْ	وعن سواهمْ فاحتجبْ

في شروط الصداقة وآدابها

[البحر الرجز المشطور]

صداقةُ الإخوانِ	الخلّصِ الأعوانِ	لها شروطٌ عدةْ
على الرخا والشدّةْ	والرفقِ والتلطّفِ	والودّ والتعطّفِ
وكثرةِ التعهدِ	لهمْ بكلِّ معهدِ	البرُّ بالأصحابِ
من أحكمِ الأسبابِ	والنصحُ للأخوانِ	من أعظمِ الإنسانِ
والصدقُ والتّصافي	من أحسنِ الأوصافِ	دعْ خُدَعَ المودّةْ
للأوجه المسودّةْ	فالمحضُ في الإخلاصِ	كالذهبِ الخلاصِ
حفظُ العهودِ والوفا	حقٌّ لإخوانِ الصّفا	عامِلهمُ بالصدقِ
واصحبْ بحسنِ الخلقِ	والعدلِ والإنصافِ	وقلةِ الخلافِ
ولاقهمْ بالبشرِ	وحيّهم بالشكرِ	صفهمْ بما يُستحسَنُ
وأخفِ ما يُستهجنُ	وإنْ رأيتَ هفوةْ	فانصحهُم في الخلوةْ
بالرمزِ والإشارةْ	والطفِ العبارةْ	إياكَ والتّعنيفا
والعذلَ والعَنيفا	وإنْ تُردْ عِتابهمْ	فلا تسيءْ خطابهمْ

وأحسنُ العتابِ ما كان في كتابِ فالعتبُ في المشافهةْ
ضربٌ من المسافهةْ وعن إمامِ النحلِ قاتلِ كلِّ فحلِ
عابتْ أخاك الجاني بالبرِّ والإحسانِ حافظْ على الصديقِ
في الوسعِ والمضيقِ فهو نصيبُ الروحِ ومرهمُ الجروحِ
وفي الحديثِ الناطقِ عن الإمامِ الصادقِ من كان ذا حميم
نجا من الجحيم لقولِ أهلِ النارِ وعصبةِ الكفارِ
فما لنا من شافعِ ولا صديقٍ نافعِ والقربُ في الخلائقِ
امنٌ من البوائقِ فقاربِ الإخوانا وكنْ لهم مِعْوانا
لا تسمعِ المقالا فيهمْ وإنْ توالَى فمنِ أطاعَ الواشي
سارِ بليلٍ غاشي وضيَّعَ الصّديقا وكذّب الصّدّيقا
وإنْ سمعتَ قيلا يحتملُ التأويلا فاحملْه خيرَ محملِ
فعلَ الرجالِ الكمَّلِ وإنْ رأيتَ وهْناً فلا تسمهُمْ طعْنا
فالطعنُ بالكلام عندَ ذوي الأحلام انفذُ في الجنانِ
من طعنةِ السنانْ فعدّ من زلاّتهمْ وسدّ من خلاّتهمْ
سلْ عنهمُ إنْ غابُوا وزرْهُمُ إن آبُوا واستنبِ عن أحوالهمْ
وعفّ عن أموالهمْ أطعهمُ إنْ أمرُوا وصلهمُ إنْ هجَروا
فقاطعُ الوصالِ كقاطعُ الأوصالِ إنْ نصحوك فاقبلِ
وإنْ دعوك فأقبلِ وأصدقهمُ في الوعدِ فالخلفُ حقُّ الوغدِ
وأقبلْ إذا ما اعتذرُوا إليك ممّا ينكرُ وارعَ صلاحَ حالهمْ
وأشفقْ على إمْحالهمْ وكنْ لهم غِياثا إذا الزمانُ عاثا
وأعطِهم ما أمَّلوا إنْ أخصبُوا أو أمحلُوا

في أعانة الإخوان في نوائب الحدثان وحوادث الزمان

[البحر الرجز المشطور]

حقيقةُ الصديقِ تُعرفُ عندَ الضيقِ وتُخبرُ الإخوانُ
إذا جفا الزمانُ لا خيرَ في إخاءِ يكونُ في الرخاءِ
وإنّما الصداقةْ في العسرِ والاضاقةْ لا تُدخرُ المودةْ
إلاّ ليوم الشدّةْ ولا تعقد الخلّةْ الاّ لسدِّ الخلّةْ
أعنْ أخاك واعضدِ وكنْ له كالعضدِ لا سيّما إنْ قعدا

به الزمانُ أو عدا بئس الخليلُ من نكلْ من حلّه إذا اتكلْ
لا تجفُ في حالٍ أخا ضرَّ الزمانُ أو سَخا وإنْ شكا من خطبهْ
فزدْ من اللطفِ بهِ واسع لكشفِ كربتِهْ واحفظْ عهودَ صحبتِهْ
وكنْ له كالنورِ في ظلمةِ الديجورِ ولا تدعْ ولا تذرْ
ما تستطيعُ من نظرْ حتّى يزولَ الهمُّ ويُكشفَ المُلِمُّ
إنَّ الصديقَ الصادِقا من فرّجَ المضائِقا وأكرمَ الإخوانا
إذا شكَوْا هَوانا واسعفَ الحَميما ومن حملَه العَظيما
وانجدَ الأصحابا إنْ ريبُ دهرٍ نابا أعانهمْ بمالِهْ
ونفسِهِ وآلِهْ ولا يُرى مقصّرا في بذلِ مالٍ وقِرا
فعلُ أبي إمامهْ مع خلّةِ الحمامهْ
فإنْ أردتَ فاسمعِ حديثَهم كما تعي

حديث الفار والحمامة وهو مثل لمعاونة الإخوان في نوائب الزمان

[البحر الرجز المشطور]

روى أُلو الأخبارِ وناقِلوا الآثارِ عن سربِ طيرٍ ساربِ
من الحمامِ الراعبي بكّر يوماً سَحرا وسارَ حتى أسْحرا
في طلبِ المعاشِ وهو ربيطُ الجاشِ فابصرُوا على الثرى
حبّاً منقاً مُنشراً فاحمدُوا الصّباحا واستيقنُوا النّجاحا
وأسرعُوا إليهِ وأقبلُوا عليهِ حتى إذا ما اصطفُّوا
حذاءَه اصطفُّوا فصاحَ منهمْ حازمُ لنصحِهمْ ملازمُ
مهلاً فكم من عجلهْ أدنتْ عليه أجلَهْ تمهَّلوا لا تقعُوا
وانصِتُوا لي واسمَعُوا إلّيةٌ بالربِّ ما نثرُ هذا الحبِّ
في هذهِ الفلاةِ إلاَّ لأمرٍ عاتي إنّي أرى حِبالا
قد ضُمّنتْ وَبالا وهذِه الشباكُ في ضمنِها الهلاكُ
فكابدوا المجاعهْ وأنظروني ساعهْ حتى أرى واختبرْ
والفوزُ حقُّ المصطبرْ فاعرضُوا عن قولِهِ واستضحكُوا من هولِهِ
قالوا وقد غطّى القدرْ للسمعِ منهم والبصرْ ليسَ على الحقِّ مِرا
حبٌّ معدٌّ للقِرا القيَ في الترابِ للأجرِ والثوابِ
ما فيه من محذورِ لجائعٍ مضرورِ اغدُوا على الغذاءِ

فالجوعُ شرُّ داءِ   فسقطُوا جميعاً   للقطهِ سريعا
وما دروْا أنَّ الرَّدى   أكمنَ في ذاك الغِذا   فوقعُوا في الشبكَهْ
وأيقنُوا بالهلكَهْ   ونَدِموا وما الندمْ   مجدٍ وقد زلَّ القدمْ
فأخذُوا في الخبطِ   لحلِّ ذاك الرَّبْطِ   فالتوتِ الشباكُ
والتفَّتِ الأشراكُ   فصاحَ ذاك الناصحُ   ما كلُّ سعيٍ ناجحُ
هذا جزاءُ من عَصى   نصيحةً وانتَقصا   للحرصِ طعمٌ مرُّ
وشرُّه شمرُّ   وكم غدتْ أمنيهْ   جالبةً منيّهْ
وكم شقاً في نعمِ   ونقمٍ في لُقَمِ   فقالتِ الجماعهْ
دعِ الملامَ الساعةَ   إنْ أقبلَ القنّاصُ   فما لنا مناصُ
والفكرُ في الفكاكِ   من ورطةِ الهلاكِ   أولَى من الملامِ
وكثرةِ الكلامِ   وما يفيدُ اللاّحي   في القدرِ المتاحِ
فاحتلْ على الخلاصِ   كحيلةِ ابن العاصِ   فقال ذاك الحازمُ
طوعُ النصيحِ لازمُ   فانْ أطعتمْ نصُحي   ظفرتُم بالنجحِ
وإنْ عصيتمُ أمري   خاطرتُم بالعمرِ   فقالَ كل هاتِ
فكرَك في النجاةِ   جميعُنا مطيعُ   لِما ترى سريعُ
وليسَ كُلَّ وقتِ   يضلُّ عقلُ الثبتِ   فقال لا ترتَبِكوا
فتستمرُّ الشبكُ   واتفقُوا في الهمهْ   لهذِه الملمهْ
حتى تطيرُوا بالشَّركْ   وتأمنوا من الدَّركْ   ثم الخلاصُ بعدُ
لكمْ عليَّ وعدُ   فقبِلوا مقالَهْ   وامتثلُوا ما قالَهْ
واجتمعُوا في الحركهْ   وارتفعوا بالشبكهْ   فقال سيرُوا عَجَلا
سيراً يفوتُ الأجَلا   ولا تملُّوا فالمللْ   يعوقُ والخطبُ جلَلْ
فأمهمْ وراحُو   كأنهمْ رياحُ   وأقبلَ الحبالُ
في مشيهِ يختالُ   يحسبُ أنَّ البركهْ   قد وقعت في الشبكهْ
فأبصرَ الحماما   قد حلَّقت أماما   وفلَّتِ الحبالَهْ
وأوقعتْ خبالَهْ   فعضَّ غيضاً كفَّهْ   على ذهابِ الكِفَّهْ
فراحَ يعدُو خلفَها   يرجُو اللحاقَ سفَها   حتى إذا ما يئِسا
عادلَها مبتئِساً   وأقبلَ الحمامُ   كأنّهُ غمامُ
على فلاةٍ قفرِ   من الأنام صفرِ   فقالتِ الحمامهْ
بشراكُم السلامهْ   هذا مقامُ الأمنِ   من كلِّ خوفٍ يُغني

وإنْ أردتمْ فقعُوا … لا يعتريكُمْ فزعُ … فهذِه الموماتُ
لنا بها النجاةُ … ولي بها خليلُ … إحسانُه جزيلُ
ينعمُ بالفِكاكِ … من ربقةِ الشباكِ … فلجأوا إليها
ووقعُوا عليها … فنادتِ الحمامهْ … أقبلْ أبا أمامَهْ
فأقبلتْ فُويَرهْ … كأنَّها نُويرهْ … تقولُ من يُنادي
أبي بهذا الوادي … قال لها المطوّقُ … أنا الخليلُ الشيّقُ
قولي له فليخرجِ … وآذنيهِ بالمجي … فرجعت واقبلا
فارٌ يهدُّ الجبلا … فأبصَر المطوقا … فضمّه واعتَنقا
فقال اهلاً بالفتى … ومرحباً بمن أتى … قدمتَ خيرَ مقدمِ
على الصديقِ الأعظمِ … فادخلْ بيمنٍ داري … وشرّفَنْ مِقداري
وأنزلْ برحبٍ ودِعَهْ … وجفنةٍ مدعَدعَهْ … واشفِ جَوى القلوبِ
بوصلِك المحبوبِ … فالشوقُ للتلاقي … قد بلغَ التّراقي
فقال كيف أنعمُ … أم كيف يهني المنعمُ … وهل يطيبُ عيشُ
أم هل يقرُّ طيشُ … وأسرَتي في الأسرِ … يشكون كلَّ عُسرِ
أعناقهمْ في غلٍّ … وكلهُّم في ذلٍّ … فقال مرْني أئتمرْ
عداك نحسٌ مستمرْ … قال أقرضِ الحبالَهْ … قرضاً بِلا ملالَهْ
وخلّص الأصحابا … واغتنم الثّوابا … وحلَّ قيدَ اسْرهِمْ
وفكّهمْ من أسْرهِمْ … قال أمرْتَ طائِعا … وعبدَ ودٍّ سامِعا
فقرضَ الشّباكا … وقطّعَ الأشراكا … وخلّص الحَماما
وقد رأى الحِماما … فأعلنُوا بحمدِه … واعترفُوا بمجدِه
فقال قرّوا عينا … ولا شكوتمْ ابنا … وقدَّمَ الحُبوبا
للأكلِ والمشروبا … وقامَ بالضيافهْ … بالبشر واللطافهْ
أضافهمْ ثَلاثا … من بعدِ ما أغاثا … فقالَ ذاك الخِلُّ
الخيرُ لا يملُّ … فقْتَ أبا أمامَهْ … جوداً على ابن مامهْ
وجيتَ بالصداقهْ … بالصدقِ فوق الطاقهْ … البستَنا اطْواقا
وزدتَنا أطْواقا … من فضلِك الجميلِ … وفعلِك الجزيلِ
مثلُك من يدّخرُ … لريبِ دهرٍ يحذرُ … وترتجيهِ الصحبُ
إنْ عزَّ يوماً خطبُ … فاذنْ بالانصرافِ … لنا بِلا تَجافي
دامَ لك الانعامُ … ما غرّد الحمامُ … وذمتَ مشكورَ النعمْ

مـارنَّ شـادٍ بـنـغَـمْ
فـقـال ذاك الـفـارُ
جَـفـا الـصـديـقِ عـارُ
ولستُ أرضَى بعدكمْ
لا ذقتُ يوماً فقدَكمْ
ولا أرى خـلافَـكـمْ
أن رمتمُ انصرافكُمْ
عـمَّـتـكـمُ الـسـلامـةْ
في الظعنِ والإقامةْ
فـودّعـوا وانـصـرفُـوا
والدَّمع منهم يذرفُ
فاعجبْ لهذا المثلِ
الـمـعـربِ الـمـؤثـلِ
أو ردتُـه لـيُـحـتـذَى
إذا عَـرى الـخـلَّ أذى

إتحاد الصديقين واتصاف كل منهما بصفات الآخر

[البحر الرجز المشطور]

الـصـدقُ فـي الـودادِ
يـقـضـي بـالاتـحـادِ
في النعتِ والصفاتِ
والـحـالِ والـهـيـئـاتِ
فـيـكـتـسـي الـمـشـوقَ
مـا كُـسـيَ الـمـعـشـوقُ
حـتـى يـظـنَّ أنـهْ
من الحبيب كنـهَـهْ
لـشـدةِ الـعـلاقـةْ
والصدقِ في الصداقةْ
وهـذه الـقـضـيّـةْ
في حكمِها مرضيّةْ
أثـبـتَـهـا الـبـيـانُ
والـنـقـلُ والـعـيـانُ
لِـذاك قـال الأولُ
والـحـقُّ لا يـؤوّلُ
نحنُ من المساعدةْ
نَحيى بروحٍ واحدةْ
ومـثـلُـوا بـالـجـسـدِ
والروحِ ذي التجرّدِ
فـالـروحُ إنْ أمـرٌ عَـنـا
تـقـولُ لـلـجـسـمِ أنـا
وقال جدُّ الناظمِ
مـسـتـنـدُ الأعـاظـمِ
منْ للعلومِ قد نشرْ
منصورُ أستاذُ البشرْ
ولـم هـذا الـحـكـمِ
لـم يـقـتـرنْ بـعـلـمِ
وإنـهُ قـد ظـهَـرا
مـشـاهِـداً بِـلا مِـرا
فـمـنـهُ مـا جَـرى لـي
فـي غـابـرِ الّـلـيـالـي
أصـابَـنـي يـوم الـمْ
من غيرِ إنذارٍ ألمْ
فاحترتُ منه عجَبا
لـمـا فـقـدتُ الـشَّـبـبـا
واستغرقتْني الفكرُ
حتى أتاني الخبرُ
أنَّ صديقاً لي عرضْ
لجسمِه هذا المرضْ
فـازدادَ عـنـدَ عـلـمِـي
تصديقُ هذا الحكمِ
فالصدقُ في المحبّةْ
توجبُ هذي النسبةْ
فكن صديقاً صادِقاَ
ولا تـكـنْ مُـمـاذِقـاً
حتَّى تقولَ مُعلناً
إنـي ومَـنْ أهـوى أنـا

في تزاور الإخوان وتلاقيهم

[البحر الرجز المشطور]

تـــزاورُ الإخـــوانِ
من خالصِ الإيمانِ
إنَّ الـتـآخـي شـجـرةْ
لـهـا الـتّـلاقـي ثـمـرةْ
لا نـتـركُ الـزيـارةْ
فـتـركُـهـا حـقـارةْ
كـــلُّ أخٍ زوارِ
وإنْ تـنـاءَتْ داري
وقـــد رأوْا آراءْ

واختلفوا أهواءْ في الحدِّ للزيارهْ والمدّةِ المختارهْ
فقيلَ كلَّ يومِ كالشمسِ بينَ القومِ وقيلَ كلَّ شهرِ
مثلَ طلوعِ القمرِ وقيلَ ما نصَّ الأثرْ عليه نصّاً واشتهرْ
زرْ من تحبُّ غِبّاً تزددْ إليهِ حُبّاً واختلفُوا في السغبِ
عن أيِّ معنىً يُنْبي فقيلَ عن أيامِ خوفاً من الإبرامِ
وقيل عن أسبوعِ وقفاً على المسموعِ وقيل بل معناه زرْ
يوماً ويوماً لا تزرْ فاعملْ بما تراه في وصلِ من تهواهُ
وزرْ أخاك عارِفاً بحقِّه ملاطِفاً وإنْ حلَلْتَ منزلَهْ
فأجعلْ صنيعَ الفضلِ لهْ وأقبلْ إذا ما رَاما منه لَك الأكراما
فمنْ أبى الكرامهْ حلَّت به الملامهْ وإنْ أتاكَ زائِرا
فانهضْ إليه شاكِراً وقلْ مقالَ مَنْ شكرْ فضلَ الصديقِ وذكرْ
إنْ زارني بفضلِهِ أو زرتُه لفضلِهِ فالفضلُ في الحالَيْنِ لهْ
ووصْلُ من تَهوى صلَهْ والضمُّ والمصافحهْ من سنَّةِ المصالحهْ
أو كان يومُ عيدِ أو جاءَ من بعيدِ هذا هو المشهورُ
يصنعُه الجمهورُ وقد أتى في الأثرِ عن النبيِّ المنذرِ
تصافُحُ الإخوانِ يسنُّ كلَّ آنِ
ما افترقا واجتمَعا يغشاهُما الخيرُ معا

في محادثة الإخوان

[البحر الرجز المشطور]

إنْ رمتَ أنْ تُحدِّثا بما مضى لو حدَثا لتونسَ الأصحابا
فأحسنِ الخِطابا واختصرِ العبارهْ ولا تكنْ مهذارهْ
واخترْ منَ الكلامِ ما لاقَ بالمقامِ من فائقِ العلومِ
ورائقِ المنظومِ واذكرْ من المنقولِ ما صحَّ في العقولِ
واجتنبِ الغرائِبا كيْلا تُظَنَّ كاذِبا وإنْ أخوك اسمَعا
فكنْ له مستمِعا والزمْ له الإسكاتا وأحسنِ الإنصاتا
ولا تكنْ ملتفِتا عنه إلى أن يسكُتا وإنْ أتى بنقلِ
سمعتَه من قبلِ فلا تقلْ هذا الخبرْ علمتُه فيما غبرْ
فلا تكذبْ ما رَوى ودعْ سبيلَ مَنْ غوى

في مزاح الإخوان ومداعبتهم

[البحر الرجز المشطور]

المزحُ والدعابهْ   من شيمِ الصحابهْ   فانَّه في الخَلْقِ
عنوانُ حسنِ الخُلْقِ   تُولي به السُّرورا   خليلَك المصدورا
فامزحْ مزاحَ من قسطْ   وكنْ على حدٍّ وسَطْ   واجتنبِ الإيحاشا
ولا تكنْ فحّاشاً   فالفحشُ في المزاحِ   ضربٌ من السلاحِ
يجرُّ للسخيمَهْ   والوظنَةِ الوخيمهْ   وجانبِ الإكْثارا
وحاذرِ العثارا   وكثرةُ الدعابهْ   تذهبُ بالمحابهْ
وعثرةُ اللسانِ   توقعُ بالإنسانِ   واحملْ مزاحَ الإخوهْ
وخلِّ عنك النخوهْ   فالبسطُ في المصاحبهْ   يُفضي إلى المداعبهْ
وإن سمعتَ نادرهْ   فلا تفُهْ ببادِرهْ   لا تغضبنَّ فالغضبْ
في المدحِ من سوءِ الأدبْ   وانظرْ إلى المقام   وقابلِ المقام
فإنْ يكنْ وليّاً   وصاحِباً صفيّاً   فقولُه وإنْ نَبا
فهو الولاءُ المجْتَبى   وإنْ يكنْ عدُوّاً   وكاشِحاً مجفُوّا
فقولُه وإنْ خلا   لسامعٍ هو البلا   ألا ترى للعربِ
تقولُ عندَ العجبِ   قاتلَهُ اللهُ ولا   تقولُ ذاك عن قِلى

في ضيافة الإخوان

[البحر الرجز المشطور]

إذا صديقٌ طرَقا   من غيرِ وعدٍ سبَقا   فقدّمَنَّ ما حضرْ
فليسَ في البرِّ خطرْ   ولا ترمْ تكلُّفا   خيرُ الطعامِ ما كَفى
واعلمْ بأنَّ الألفهْ   مسقِطةٌ للكِلْفهْ   وإنْ دعوتَ فاحتفلْ
ولا تكنْ كمن بخلْ   وقمْ بحقِّ الضيفِ   في شتوةٍ وصيفِ
واسألهُ عمّا يَشتهي   من طرقِ التفكُّهِ   وأتِ بما يقترحْ
فاللطفُ لا يستقبحُ   واعملْ بقولِ الأولِ   الضيفُ ربُّ المنزلِ
وأظهرِ الإيناسا   ولا تكنْ عبّاسا   فالبشرُ واللطافهْ
خيرٌ من الضيافهْ   وخدمةُ الأضيافِ   سجيّةُ الأشرافِ
احرسْ على سرورِهم   بالبسطِ في حضورِهم   لا تشكُ دهراً عندَهم
ولا تكدّرْ ورْدَهم   واعفُ عنِ الخدام   في الفعلِ والكلامِ
وإنْ أساؤوا الأدبَا   كيْلا يروك مغضَباً   وقدِّم الخِوانا

وأكرمِ الاخوانا   عن انتظارِ من يجي   فذاك فعلُ المهرجِ
وقد روَوا فيما وردْ   أعظمْ ما يُضني الجسدْ   مائدةٌ تَنتظرُ
بأكلِها من يحضُرُ   أنسهُم في الأكلِ   فعلُ الكريمِ الجزلِ
وأطلِ الحديثا   ولا تكنْ حثيثاً   فاللبثُ بالطعامِ
من شيمِ الكرامِ   وشيِّعِ الأضيافَا   إن طلبُوا انصرافا
وإنْ دعاك من تحبّْ   إلى طعامٍ فأجبْ   إجابةُ الصديقِ
فرضٌ على التحقيقِ   فإنْ عجبْتَ دعوتَهْ   فاحذرْ وجانبْ جفوتَهْ
ولا تنزْ بصاحبِ   أو أحدِ الاقاربِ   واجلسْ بحيث اجلَسَكْ
وأنسْ به ما آنسَكْ   لا تأبَ من كرامتِهْ   وكفَّ عن غرامتِهْ
إياك والتَّنقيلا   ولا تكنْ ثقيلا   لا تحتقرْ ما احضَرا
ولا تعبْ ما حضَّرا   فالذمُّ للطعامِ   من شيمةِ الطَّغامِ
لا تحتشمْ من أكلِ   كفعلِ أهلِ الجهلِ
ما جيءَ بالطعامِ   إلاَّ للالتقامِ

في عيادة الإخوان

[البحر الرجز المشطور]

عيادةُ العليلِ   فرضٌ على الخليلِ   فعدْ أخاك إنْ مرضْ
واعملْ بحكمِ ما فرضْ   واسألْه عن أحوالِهِ   باللطفِ في سؤالِهِ
وسلْهُ عمّا بِهْ   يسْلَ عن اكتآبِهْ   وادعُ له بالعافيهْ
والصحةِ الموافيهْ   واحذرْ من التطويلْ   يضجّرُ العليلْ
فمكثُ ذي الصداقةْ   قدرُ احتلابِ الناقةْ   إلاَّ إذا ما التمَسا
بنفسِه أنْ تجلُسا   والعودُ للعيادةْ   بعدَ ثلاثٍ عادةْ
هذا لمن أحبّا   وإن تشا فغِبّا   وسنَّةُ المعتلّْ
ايذانُ كلِّ حلّْ   ليقصدُوا وفادتَهْ   ويغنمُوا عيادتَهْ
وليتركِ الشكايةْ   ويكتمِ النكايةْ   عن عائدٍ وزائرِ
فعلُ الكريمِ الصابرِ   وليحمدِ اللهَ على   بلائِه بما ابتَلى
ليحرزَ الثَّوابا   والأجرَ والصَّوابا

في مكاتبة الإخوان

[البحر الرجز المشطور]

تواصلُ الأحبابِ في البعدِ بالكتابِ فكاتبِ الإخوانا
ولا تكنْ خوّاناً فتركُكَ المكاتبةْ ضربٌ من المجانبةْ
والبذءُ للمسافرِ في الكتبِ لا للحاضرِ
والردُّ للجوابِ فرضٌ بلا ارتيابِ

في التحذير من صحبة الأحمق

[البحر الرجز المشطور]

لا تصحبُنَّ الأخمقا المائقَ الشمقْمَقا عدوُّ سوءٍ عاقلُ
ولا صديقٌ جاهلُ إنَّ اصطحابَ المائقِ من أعظمِ البوائقِ
فإنَّه لحمقِهْ وغوصِه في عمقِهْ يحبُّ جهلاً فعلَهْ
وأنْ تكونَ مثلَهْ يستحسنُ القَبيحا ويبغضُ النَّصيحا
بيانُه فَهاهةْ وحملُه سفاهةْ وربَّما تمطَّى
وكشفَ المغطَّى لا يحفظُ الأسْرارا ولا يخافُ عارا
يعجبُ من غيرِ عجبْ يغضبُ من غيرِ غضبْ كثيرُه وجيزُ
ليس له تميزُ وربَّما إذا نظرْ أرادَ نفعاً فأضرّ
كفعلِ ذاك الدُّبِّ بخِلِّهِ المُحِبِّ

حكاية الدب وانعكاس فعله الجميل

[البحر الرجز المشطور]

روَى أُلُو الأخبارِ عن رجلٍ سيّارِ ابصرَ في صحراءِ
فسيحةَ الأرجاءِ دبّاً عظيماً موثقاً في سرحةٍ معلّقا
يعوي عواءَ الكلبِ من شدّةٍ وكربِ فادركتْهُ الشفقةْ
عليه حتى اطلقَهْ وحلَّهُ من قيدِهِ لأمنِه من كيدِهِ
ونامَ تحتَ الشجرةْ منامَ من قد ضجَّرهْ طولُ الطريقِ والسفرْ
فنامَ من فرطِ الضجرْ فجاء ذاك الدبُّ عن وجهِه يَذُبُّ
وقال ذاك الخلُّ جفاه لا يحلُّ أنقذَني من أسري
وفكَّ قيدَ عُسري فحقُّه أن أرصدَهْ من كلِّ سوءٍ قصدَهْ
فأقبلَتْ ذبابةْ ترنُّ كالرَّبابةْ فوقعتْ لحينِهْ
على شفارِ عينِهْ فجاشَ غيظُ الدبِّ وقالَ لا وربِّي

لا ادعُ الــذُّبـــابـــا يَـــســومُــه عَـذابـا فــأسـرعَ الــدَّبـيــبـا
لـصـخـرةٍ قـريـبـا فـقـلَّـهـا واقـبـلا يـسعَى إليـه عجَلا
حـتَّـى إذا حـاذاهُ صـكَّ بـهـا مـجـلاهُ لـيـقـتـلَ الـذبـابـهْ
مـن غـيـرِ مـا ارابَـهْ فـرضَّ مـنـه الـرّاسـا وفـرّقَ الأضـراسـا
وأهـلـك الـخـلـيـلا بـقـصـدِه الـجَـلـيـلا فـهـذِه الـروايـهْ
تـنـهـى عـن الـغـوايـهْ فـي طـلـبِ الـصـداقـهْ عـنـد ألي الـحـمـاقـهْ
إنْ كـان فـعـلُ الـدُّبِّ هـذا لـفـرطِ الـحـبِّ وجـاءَ فـي الـصـحـيـحِ
نـقـلاً عـن الـمـسـيـحِ عـالـجـتُ كـلَّ أكْـمَـهْ وابــرصٍ مــشــوَّهْ
لــكــنَّــنــي لــم أطــقِ قــطُّ عــلاجَ الأحــمــقِ

في التحذير عن مودة البخيل

[البحر الرجز المشطور]

مــودةُ الــبــخــيــلِ جــهــلٌ بِـلا تـأويـلِ يـسـتـكـثـرُ الـقَـلـيـلا
ويـحـرمُ الـخَـلـيـلا يـبـخـلُ إنْ جـدبٌ عَـرا ولا يـجـودُ بـالـقِـرا
يـمـنـعُ ذا الـودادِ مـواردَ الإمـدادِ يـقـولُ لا إنْ سـألا
بـخـلاً ويُـولـيـه الـقِـلَـى يـحـرمُـه مـا عـنـدَه ولا يُـراعـي ودَّهْ
إنْ رامَ مـنـه قـرْضـاً رأى الـبـعـادَ فـرْضـا يـضـنُّ بـالـزهـيـدِ
فـي الـزمـنِ الـشـديـدِ فـصـحـبـةُ الـشـحـيـحِ تـمـسُّـكٌ بـالـريـحِ
لا تـحـسـبِ الـمـودَّهْ تـحـلُّ مـنـه عـقـدَهْ إنَّ وجـوهَ الـحـيـلَـهْ
فـي الـبـخـلِ مـسـتـحـيـلَـهْ واسـمـعْ حـديـثـاً عـجـبـاً قـد نـقـلـتـهُ الأدبـا
فـي الـبـخـلِ عـن مـزبـدِ مـع ربـربٍ لِـتَـهـتـدي

حكاية مزبد وربرب المدنية

[البحر الرجز المشطور]

حـكـى ألـو الأخـبـارِ ونـاقـلـو الآثـارِ عـن غـادةٍ عـطـبـولِ
تـلـعـبُ بـالـعـقـولِ بـطـرفِـهـا الـكـحـيـلِ وخـصـرِهـا الـنـحـيـلِ
وخـدِّهـا الـمـورّدِ وصـدغِـهـا الـمـزَرّدِ وقـدِّهـا الـقـضـيـبِ
وردفِـهـا الـكـثـيـبِ وتـعـمـرُ الـمـغـانـي بـرنَّـة الاغـانـي
كـانـت تُـسـمـى ربـربـا تُـحـي الـنُّـفـوس طـربـاً وكـانـتِ الأشـرافُ
والـسـادةُ الـظـرّافُ يـجـمـعِـهـم مَـغْـنـاهـا لـيـسـمُـعـوا غِـنـاهـا

وكان مولاها فتى … بكلِّ ظرفٍ نُعِتا … فاجتمعت جماعة
للبسطِ والخلاعة … واستطردُوا في النقلِ … لذكرِ أهلِ البخلِ
فاتفقُوا بأسرِهم … إنْ لم يروا في عصرِهم … ولا رأوْا فيما مضى
من الزمانِ وانقضى … بلْ لا يكونُ أبداً … شخصاً عَلا مزبدا
في بخلِهِ والشحِّ … وحرصةِ الملحِّ … فقالتِ الفتاةُ لا
الغادةُ إلاّ لايا … أني لك كفيلة … بأخذِه بالحيلة
حتى يجودَ بالذهبْ … ويستقلَّ ما وهبْ … فقال مولاها لها
أشهدُ أربابَ النُّهى … أن تخدَعي مزبدا … عليكِ حين ما بدا
لأنشرنَّ الذهبا … عليكِ حتى يذهبا … قالتْ إذا جاءَ فلا
تحجبْهُ عنّي عجَلا … وخلِّ عنكَ الغيَرهْ … ولا تنفِّرْ طيرَهْ
فقال أقسمتُ بمنْ … حلاّكِ بالخلقِ الحسنْ … لأرفعنَّ الغيرَهْ
ولو حباك أيرهْ … فأرسلُوا رسولا … يسألُه الوُصولا
فجاءهَم عشيّهْ … واحسنَ التحيّهْ … فأهَّلوا ورحَّبوا
حتى إذا ما شربوا … تساكَروا عن عمدِ … وهوّموا عن قصدِ
كيما يروْا ويسمعُوا … لربربٍ ما تصنعُ … فعندَها رأتهمُ
قد سكِروا وهوَّموا … مالتْ إلى مزبدِ … بالبشرِ والتودّدِ
واقبلتْ عليهِ … مشيرةً إليهِ … قالتْ أبا إسحاقِ
نعمتَ بالتّلاقي … كأنني بنفسِكْ … إذ غرقتْ بانسِكْ
تهوى بأنْ أغنّي … سارَ الفريقُ عنّي … فقال زوجي طالقْ
وخدمي عتائقْ … إنْ لم تكوني عارفهْ … بالغيبِ أو مكاشفهْ
فاسمعتْه وطربْ … ثم شقتْه وشربْ … وخاطبتْه ثانيهْ
بلطفِها مدانيهْ … قالتْ أبا إسحاقِ … يا سيدَ الرفاقِ
إني اظنُّ قلبَكْ … يَهْوى جُلوسي قربَكْ … لتلْثم الخدودا
وتقطفَ الورودا … فقال ما لي صدقهْ … وامرأتي مطلقهْ
إنْ لم تكوني في الورى … ممَّن مضى وغبَّرا … عالمةً بالغيبِ
حقاً بغيرِ ريبِ … فنهضَتْ إليهِ … وجلسَتْ لدَيْهِ
فضَّمها وقبَّلا … وقال نلْتُ الأمَلا … يا غرَّةَ الغواني
ومنتهَى الأماني … تَفديك أمي وأبي … وكلُّ شادٍ مُطربِ
فحينَ ظنَّتْ أنها … قد أوسعتْه منْها … قالتْ له ألا نَرى
لزلةٍ لن تُغفَرا … من هؤلاءِ القومِ … في مثلِ هذا اليومِ

يدعونَني للطربِ وكلهُم يأنسُ بي ولم يكنْ منهم فتًى
للبربي مُلتفتاً فيشتري رَيحاناً بدرهم مَجّانا
فهاتِ أنتَ درهماً وفقْهمُ تكرُّماً فقامَ منها ووثَبْ
وصاحَ يدعوُ من كثبْ وقال مهْ أيْ زانية صُليتِ ناراً آنية
دنَّسْتِ علمَ الغيبِ منك بكلِّ عيبِ فضحكَ الأقوامُ
من فعلِه وقامُوا وعلمُوا أنَّ الخُدَعْ لم تجدِ في ذاك اللكَعْ
فأقبلتْ باللوم عليهِ بين القوم فسبَّها واغضَبا
وسارَ عنهم مُغْضَباً فهذِه الحكايةْ تكفي أُلي الهدايةْ
في شيمةِ البخيلِ ودائِه الدخيلِ

في التحذير من صحبة الكذاب [البحر الرجز المشطور]

صحابةُ الكذّابِ كلا مع السّرابِ يخلفُ ما يقولُ
معلومُه مجهولُ يقرِّب البَعيدا ويأمنُ الوَعيدا
ويخلفُ المَوْعودا ولا يلينُ عودا يمينُ في اليمينِ
وليسَ بالأمينِ وفي كلامِ الأدبا العلماءِ النُّجبا
لم يُرَ في القبائحِ وجملةِ الفضائحِ كالكذبِ أوهى سَببا
ولا أضلَّ مَذْهَبا ولا أعزَّ طالِبا ولا أذلَّ صاحِبا
يسلمُ من يعتصمُ بهِ ومن يلتزمُ طلوعهُ أفولُ
وفضلُه فضولُ غليلُه لا ينقعُ وخرقهُ لا يرقعُ
صاحبُه مكذّبُ وفي غدٍ معذّبُ فجانبِ الكذّابا
وأوْلِه اجتِنابا فاسمعْ حديثاً عجَبا في ذمِّ من قد كذَبا

حكاية الفتى البغدادي مع الأمير المهلبي [البحر الرجز المشطور]

روى أُلو الأخبارِ وناقلُو الآثارِ عن حدَثٍ ذي أدبِ
وخلُقٍ مهذَّبِ يَسكنُ في بغدادِ في نعمةٍ تلادي
فارق يوماً والدَهْ وطرفَه وتالِدَهْ وحلَّ أرضَ البصرةْ
بلوعةٍ وحسرةْ فظلَّ فيها حائِراً يكابدُ الفواقِرا
ولم يزلْ ذا فحصِ يسألُ كلَّ شخصِ عمَّن بها من نازلِ

وفاضلٍ مشاكلِ	فوصفُوا نَديماً	ذا أدبٍ كريما
ينادمُ المهلّبْ	وهو أميرُ العربْ	فأمَّهُ وقصَدَهْ
وحين حلَّ معهدَهْ	عرّفَهُ بأمرِهِ	وحلْوِه ومرِّهِ
فقال أنتَ تصلحُ	بل خيرُ من يُستملحُ	لصحبةِ الأميرِ
السيدِ الخطيرِ	إنْ كنتَ ممنْ يصبرُ	لخصلةٍ يستنكرُ
فقال أيُّ خصلةْ	فيه تُنافي وصلَهْ	فقال هذا رجلُ
لا يعتريهِ المللُ	من إفتراهُ الكذِبْ	في حزنٍ وطربْ
فإن أردتَ طولَهْ	فصدِّقنَّ قولَهْ	في كلِّ ما يختلقُ
ويفتري وينطقُ	حتى تنالَ نائلَهْ	ولا ترى غوائلَهْ
قال الفَتى سأفعلُ	ذاك ولستُ أجهلُ	فذهبَ النديمُ
وهو به زعيمُ	فعرفَ الأميرا	بفضلِه كثيرا
حتى دعاهُ فحضرْ	وسرَّه عندَ النظرْ	فراشَه في الحالِ
بكسوةٍ ومالِ	فلازمَ الملازمهْ	للأنسِ والمنادمهْ
ولم يزلْ يصدقُهْ	في كلِّ إفكٍ يخلقُهْ	فقال يوماً وافترى
بهتاً وكذباً مُنكراً	لي عادةٌ مستحسنَهْ	أفعلُها كلَّ سَنَهْ
أطبخُ للحجاجِ	من لحمِ الدجاجِ	في فردِ قدرٍ نزْلا
يكفي الجميعَ اكْلاً	فحارَ ذلكَ الفَتى	من قولِه وبُهتا
وقال ليتَ شعري	ما قدرُ هذا القدرِ	هل هَي بين زمزمِ
أم هي بحرُ القلزمِ	أم هي في الفضاءِ	باديةُ الدهناءِ
فغضبَ الأميرُ	وغاضَهُ النكيرُ	فقال ردُّوا صلتَهْ
منه وقدّوا خلعتَهْ	وأخرِجُوه الآنا	عنّا فلا يَرانا
فندمَ الأديبُ	وساءَه التكذيبُ	وعاوَد النَّديما
لعذرِه مُقيماً	وقال منذُ دهري	لم اشتغلْ بسكرِ
فغالنِي الشرابُ	وحاقَ بي العذابُ	وقلتُ ما لا أعقلُ
والهفوُ قد يُحتملُ	فسلْ لي الاغضاءْ	والعفوَ والرّضاءْ
قال النديمُ إني	ارضيهِ بالتأنّي	بشرطِ أن تُنيبا
وتتركَ التَّكذيبا	فراجعَ الأميرا	واستوهَب التّقصيرا
واستأنفَ الإنعاما	عليه والإكراما	فعادَ للمنادمهْ
باللطفِ والملائمَهْ	فكان كلّما كذبْ	وقال إفكاً وانتذبْ

صدّقه وأقسما | بكونِه مسلماً | حتى جَرى في خبرِ
ذكرُ كلابِ عبقرِ | ووصفِها بالصِّغرِ | وخلقِها المختصرِ
قال الأميرُ وابتكرْ | ليس العيانَ كالخبرْ | قد كان منذُ مدهْ
لديَّ منها عدّهْ | اضعُها في مكحلَهْ | للهزلِ والخزعبلَهْ
وكان عندي مسخَرهْ | وأكحلُ منها بصرَه | فكانتِ الكلابُ
في عينِه تنسابُ | وهي على مجونِهْ | تنبحُ في جفونِهْ
فقامَ ذلك الفتى | يقولُ لا عشتُ متى | صدَّقتُ هذا الكذِبا
شاءَ الأميرُ أو أبى | وردَّ ما كساهُ | به وما حبَاهُ

وراحَ يعدُو عارياً | من البلاءِ ناجيا

في التحذير من صحبة الأشرار [البحر الرجز المشطور]

وصحبةُ الأشرارِ | أعظمُ في الأضرارِ | من خدعةِ الأعداءِ
ومن عضالِ الداءِ | يقبّحون الحسَنا | ودأبهم قولُ الخَنا
شأنهمُ النميمهْ | والشيمُ الذميمهْ | إذا أردتَ تصنعُ
خيراً بشخصٍ منعُوا | الغلُّ فيهم والحسدْ | والشرُّ حبلٌ من مسدْ
إنْ مُنِعوا ما طلبُوا | تنمَّروا وكلِبوا | واعرَضُوا إغراضا
ومزَّقوا الأغراضا | ليسَ لهم صلاحُ | حرامهمْ مباحُ
لا يتقونَ قُبْحا | ولا يَعُوْن نُصْحاً | يغرونَ بالقبيحِ
والضرُّ والتبريحِ | كلامهمْ إفحاشُ | وإنهمْ إيحاشُ
الخيرُ منهم وانِ | والشرُّ منهم دانِ | شيطانهمْ مطاعُ
ودينُهم مضاعُ | لا يرقُبون إلاًّ | ولا يَرون خِلاّ
إخلاصهمْ مداهنَهْ | وودّهمْ مشاحنَهْ | صلاحُهمْ فسادُ
رواجُهمْ كَسادُ | عزيزُهمْ ذليلُ | صحيحُهمْ عليلُ
ضياؤهمْ ظلامُ | وعذْرُهم مُلامُ | تقريبُهُمْ تبعيدُ
ووعدُهمْ وعيدُ | إذا سألتَ ضنُّوا | أو منحُوك منُّوا
وإنْ عدلْتَ مالُوا | وإنْ سألتَ قالُوا | ربحهُمُ خسرانُ
وشكرهُمْ كفرانُ | شرابُهمْ سرابُ | وعذْبُهمْ عذابُ
وفاقُهمْ نِفاقُ | انجاحُهمْ إخفاقُ | وفاؤهم مَحالُ
وخصْبُهمْ إمحالُ | وِدادُهمْ خِداعُ | وسرُّهمْ مُذاعُ

إذعـانُـهـمْ لِـجـاجُ　مَـعـيـنُـهـم أجـاجُ　ولـيـسَ فـيـهـم عـارُ
مـن ادراعِ الـعـارِ　الـبـعـدُ عـنـهـمْ خـيْـرُ　والـقـربُ مـنـهـمْ ضـيْـرُ
فـاحـذرْهُمْ كـلَّ الـحـذَرْ　لـحَـاكَ لاحٍ أو عـذَرْ　واسـمـعْ مـقـالَ الـنـاصـحِ
سـمـعَ الـلـبـيـبِ الـراجـحِ　وقـالَ أربـابُ الـحِـكَـمْ　الـعـالِـمـيـن بـالأمَـمْ
إنْ شـئـتَ أنْ تُـصـاحِـبـاً　مـن الأنـام صـاحِـبـاً　مـن حـالـةٍ تـرُيـدهـا
أو حـاجـةٍ تُـفـيـدُهـا　فـإنْ أشـارَ نـاصِـحـاً　بـالـخـيـرِ كـان صـالِـحـا
وأصـلُـه والـفَـرْعُ　وإنْ أشـارَ مُـغـريـاً　بـالـشـركـان مُـغْـويـا
فـاجـتـنـبِ اصـطـحـابَـهْ　وأوجـبِ اجـتـنـابَـهْ　فـالـشـيـمُ الـرديَّـهْ
اضـحـتْ لـه سـجـيَّـهْ　هـذا وقـدْتـمَّ الـرجـزْ　بـعـونِ ربّـي ونـجَـزْ
وهـاكَـهـا أحْـكـامـاً　أحـكـمـتُـهـا إحْـكـامـاً　كـدُررِ الـبـحُـورِ
عـلـى نـحـورِ الـحـورِ　تُـشـنِّـفُ الـمـسـامِـعـا　وتُـطـربُ الـمَـجـامِـعـا
تـفـحـم كـل نـاظـم　وصـادع وبـاغـم　والـحـمـد لله عـلـى
إبـلاغُـه الـمـؤمَّـلا　ثـم الـصـلاةُ أبـدًا　عـلـى الـنـبـيِّ أحـمـدًا
وآلــهِ الأطـهـارِ　وصـحـبِـه الأبـرارِ
مـا طـارَ طـيـرٌ وشَـذا　ولاحَ فـجـرٌ وبـدا

تم رقمها في هذه التذكرة على يد ناظمها عشية يوم الخميس لست بقين من ذي الحجة الحرام إحدى شهور سنة «١١٠٤» الألف والمائة والأربع بدار السرور يرها بنور هكذا صورة خط الناظم رحمه الله تعالى في ذيل هذه المنظومة ومن خطه نقلت.

القضاء لغير المجتهد عند فقد المجتهد

فائدة: هل لغير المجتهدين من طلبة العلم الناقلين عن المجتهدين الماضين القضاء بين الناس مع فقد المجتهد؟ قال بعض المتأخرين بالجواز للضرورة، واختاره الشيخ الصالح الشيخ حسين بن مفلح الصيمري عطر الله مرقده في رسالة عملها في المسألة، ونقل فيها عن الشيخ الفاضل الشيخ حسين بن منصور صاحب الحلوي قال: فإنه قال فيه: لو لم يوجد جامع الشرائط جاز نصب فاقد بعضها مع عدالته للحاجة إليه، بل يجب من جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقتصر على حكمه بما يتحققه أم غيره من المسائل الاجتهادية فيعتمد فيها الصلح فإن تعذر تركه، ولا يعمل بما في كتب الفقهاء ولو المشهورين بالتحقيق، نعم لو أفتاه جامع الشرائط وجب أن يقول بقوله - انتهى.

قال شيخنا أبو الحسن «قده» في كتاب الفوائد النجفية بعد نقل ذلك عنه قلت: هذا الكتاب

عندي بنسخة صحيحة في الغاية وقد وجدت فيه العبارة المنقولة، وقد ينسب هذا الكتاب للعلامة ركن الدين محمد بن علي الجرجاني، ووجدت بعض المعاصرين ينسبه إلى العلامة الحلي «عطر الله مرقده» وهو غلط لا أدري ما حمله عليه كما قبله، لأن شيخنا الشهيد في شرح الإرشاد نقل عن حاوي الجرجاني تعريف الطهارة بما له صلاحية رفع الحدث واستباحة الصلاة مع بقائه والذي في الحاوي الموجود بأيدينا تعريفها بفعل ماء أو تراب مفتقراً إلى النية - انتهى.

ونقل أيضاً في الرسالة المذكورة نحوه عن محرر العامة من كتب الشافعية وهذه عبارته المنقولة فيها: وإذا تعذرت هذه الشرائط وولي سلطان ذو شوكة فاسداً أو مقلداً نفذ قضاؤه للضرورة - انتهى. ثم قال صاحب الرسالة: فقد ثبت على المذهبين جواز القضاء المقلد للضرورة والحاجة إليه، لكني يجب أن يعتمد على ما قاله صاحب الحاوي لأنه أحوط - انتهى.

أقول: الذي صرح به أكثر الأصحاب المنع من ذلك قال شيخنا الشهيد «طاب ثراه» في قواعده: يجوز للآحاد مع تعذر الأحكام تولية آحاد التصرفات الحكمية على الأصح، كدفع ضرورة التيمم لعموم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾(١) وقوله عليه السلام: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» وقوله ﷺ: «كل معروف صدقة» وهل يجوز قبض الزكاة والأخماس من الممتنع وتفريقها في أربابها وكذا بقية وظائف الحكام غير ما يتعلق بالدعاوى وجهان، ووجه الجواز لما ذكرناه وأنه لو منع من ذلك لفاتت مصالح صرف تلك الأموال وهي مطلوبة لله تعالى.

قال بعض متأخري العامة: لا شك أن القيام بهذه المصالح أتم من ترك هذه الأموال بأيدي الظلمة يأكلونها بغير حقها ويصرفونها لغير مستحقها، فإن توقع إمام يصرف ذلك في وجهه حفظ المتمكن منه تلك الأموال إلى حين التمكن من صرفها إليه وإن يئس من ذلك - كما في هذا الزمان - تعين صرفه على الفور في مصارفه لما في إبقائه من التعزير وحرمان مستحقه من تعجيل أخذه مع مسيس حاجتهم إليه - انتهى كلامه زيد إكرامه.

وقال المحقق المدقق نور الدين الشيخ علي بن عبد العالي الكركي «قده» في حاشية الشرائع: لا كلام في أن غير المتصف بالأوصاف المذكورة التي من جملتها الاجتهاد لا يجوز له الحكم بين الناس ولو حكم كان حكمه لاغياً لا يعقد به، وكذا لا يجوز له الفتوى بحيث يسند الفتوى إلى نفسه أو يطلق بحيث لا يتميز، فأما إذا حكاها عن المجتهد الذي يجوز العمل بفتواه فإنه جائز، و يجوز التمسك به مع عدالته، ولا تعد الحكاية فتوى أنما هي حكاية لها، ولو أطلقت عليها الفتوى فإنما هي بالمجاز، ثم بالغ في عدم جواز تقليد الميت وأكثر الكلام في ذلك ثم قال: فعلى هذا فما يصنع المكلفون إذا خلا العصر عن المجتهد؟ قلنا حينئذ يجب على جميع المكلفين الاجتهاد لأنه واجب على الكفاية، فإذا لم يقم به أحد من أهل العصر تعلق

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

التكليف لجميعهم ويجب عليهم جميعاً استفراغ الوسع في تحصيل هذا الغرض، ثم قال: فإن قيل: فما يصنعون في تكاليفهم وقت السعي والاكتساب للاجتهاد؟.

قلنا: عند تضييق وقت الصلاة مثلاً يأتي المكلف بها على حسب الممكن كما يقال فيمن لا يحسن القراءة ولا الذكر عند الضيق يقف بقدر زمان القراءة ثم يركع، وعلى هذا النهج حكم سائر التكاليف، وليس ببعيد في هذه الحالة الاستعانة بكتب المتقدمين على معرفة بعض الأحكام، ثم قال: فإن قيل: فما تقول فيما نقل عن الشيخ السعيد فخر الدين أنه نقل عن والده جواز التقليد للموتى في هذه الحالة، قلت: هذا بعيد جداً لأنه ﷺ صرح في الكتب الفقهية بان الميت لا قول له، وإذا كان بحسب الواقع لا قول له لا يتفاوت وعدم الرجوع في حال الضرورة والاختيار، ولعله ﷺ أراد الاستعانة بقول المتقدمين في معرفة صورة المسائل والأحكام مع انتفاء المرجع ليأتي بالعبادة على وجه الضرورة لأنه أراد جواز تقليدهم حينئذ فيحصل من ذلك توهم غير المراد - انتهى كلامه زيد إكرامه.

وممن بالغ في ذلك أيضاً: وحكم بضمان من يتولى الحكم من هؤلاء للأموال والدماء الشيخ الفاضل المتكلم محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي «قده» في كتاب قبس الاهتداء في آداب الإفتاء والاستفتاء، ونقله عن شيخيه الجليلين المتبحرين الشيخ حسن بن عبد الكريم الفتال النجفي والشيخ زين الدين بن علي بن هلال الجزائري «روح الله روحيهما» وقال شيخنا الشهيد الثاني «عطر الله مرقده» في رسالته المعمولة في المسألة بعد أن نقل جواز الحكم كذلك عن كثير من أهل عصره: أنه مبني على تقليد الميت، وهو على تقدير جوازه وتحقق طريقه أنما يكون في آحاد المسائل الجزئية التي تتعلق بالمكلف في صلاته وباقي عباداته، فكيف سوغه أهل زماننا في كل شيء حتى جوزوا به الحكم والقضاء وتحليف المنكر وما ماثله وتفريق مال الغائب ونحو ذلك من وظائف المجتهدين؟ فإن ذلك غير جائز ولا هو محل الوهم لتصريح الفقهاء بمنعه، بل الأغلب منهم ذكره مرتين في كتابه الأولى منهما في كتاب الأمر بالمعروف والأخرى في كتاب القضاء، ولا يحتاج بأن ينقل عباراتهم المصرحة بذلك فإنها في الموضعين شهيرة واضحة الدلالة جازمة الفتوى بغير خلاف في ذلك بينهم، بل صرحوا أيضاً بأن ذلك إجماعي، وممن ذكر الإجماع على عدم جواز الحكم لغير المجتهد العلامة في المختلف في كتاب القضاء في مسألة استحباب إحضار القاضي من أهل العلم من ينبهه.

قال في آخرها: إنما اجتمعنا على أنه لا يجوز أن يلي القضاء المقلد بل هذا إجماع المسلمين قاطبة، فإن العامة أيضاً يشترطون في الحكم الاجتهاد، وإنما يجوزون قضاء غيره بشرط أن يوليه ذو الشوكة وهو السلطان المتغلب، وجعلوا ذلك ضرورة، فالقول بجواز القضاء لمن قصر عن الدرجة من غير تولية ذي الشوكة كما هو الواقع مخالف لإجماع المسلمين، وحينئذ فالقول في هذه المسألة الإجماعية والحكم لأهل التقليد حكم واضح بغير ما أنزل الله سبحانه وعين عنوان الجرأة عليه، فكيف تعملون بفتواهم مرة وتخالفونها أخرى والكل موجود

في كتاب واحدٍ، فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟! بل قد ذكر الأصحاب في كتبهم ما هو أغرب من ذلك وأعجب، وهو أنه لا يتصور حكم المقلد بوجه ولا تولية المجتهد الحي له في حكم وذكروا في باب الوكالة أن مما لا يقل النيابة القضاء، لأن النائب إن كان مجتهداً في حال الغيبة لم يتوقف حكمه على نيابة وإلا لم تجز استنابته، ومن هنا يعم على الطبقات السالفة التي بين الناقل وبين المجتهدين، فإنكم تعلمون علماً يقيناً بأن كلهم أو جلهم أو من شاهدتم منهم أنهم كانوا يتحاشون عن الأحكام ويقع منهم مراراً وكفى جرحاً في فعل ما خالف الإجماع المصرح من مثل العلامة جمال الدين رحمه الله وغيره، بل ترتب على هذا ضمانهم الأموال التي حكموا بها واحتسبوها من مال الغائب وغيره واستقرارهم في وقتهم كما هو معلوم مفرد في بابه مقطوع به في فتواهم بأن من هو قاصر عن درجة الفتوى يضمن ما أخطأ فيه من الأحكام في ماله ويضمن ما تصرف فيه من مال الغائب انتهى كلامه علت في جنة الخلد أقدامه.

أقول: والحق في المسألة ما ذكره هؤلاء الأفاضل، ولكنهم «رضوان الله عليهم» إنما أخلدوا في ذلك إلى الإجماع مع أن أحاديث أهل الذكر «صلوات الله عليهم» صريحة الدلالة في المقام مكشوفة القناع وهي أحق وأولى بالاقتداء بها والاتباع لكن بالنسبة إلى ما به عنوه رحمه الله من الاختصاص بالمجتهد المبني فتواه في بعض الأحكام الشرعية على مجرد وجوه مخترعة ظنية أو وهمية، بل الذي تضمنته تلك الأخبار هو الرجوع إلى من تمسك بذيل الكتاب والسنة وأمن العثار، ومدار أحكامه إنما هو عليهما في الإيراد والإصدار، فالعمل بحكمه عمل بحكمهم عليهم السلام والراد عليه راد عليهم في حلال أو حرام، فمن الأخبار الدالة على هذا المقام ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام لشريح: «يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي» وما رواه فيه أيضاً عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«اتقوا الحكومة فان الحكومة انما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين كنبي أو وصي نبي» وما رواه فيه في الصحاح عن أبي عبيدة قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه» وما رواه فيه عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من جوارح فيقول: أي ربي عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً؟ فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام، وعزتي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك» وما رواه فيه عن أحمد عن أحمد عن أبيه رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة: رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة».

ومما يدل: على المنع من التقليد لغيرهم ممن يعمل على الاجتهاد المؤدي إلى أخذ الأحكام بمجرد الاستنباطات الظنية والتخريجات الوهمية، وأما الناقل عمن لا يعمل إلا بقولهم ولا يتمسك إلا بحكمهم فهو ناقل عنهم كما تقدمت الإشارة إليه، روي في الكافي أيضاً في الصحيح عن أبي بصير ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قلت له: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله؟ فقال: «أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكنهم أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون» وما رواه فيه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«من اصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان» وما رواه فيه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال:

«إنّا والله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله ما جعل الله لأحد في خلافنا أمراً» وما رواه فيه أيضاً عنه عليه السلام قال: «حسبكم أن تقولوا ما نقول وتصمتوا عما نصمت، إنكم قد رأيتهم أن الله عزّ وجلّ لم يجعل لأحد من خلافنا خيراً» وعنه عليه السلام قال: «من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله التيه إلى الغنا، ومن ادعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله فهو مشرك» وما رواه في الاحتجاج عن أبي محمد العسكري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1] قال: هذه لقوم من اليهود إلى أن قال:

وقال رجل للصادق عليه السلام: إذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعونه من علمائهم فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم وهل عوام اليهود إلا كعوامنا مقلدون علماءهم؟ إلى أن قال: فقال عليه السلام: بين عوامنا وعوام اليهود فرقة من جهة وتسوية من جهة، أما من حيث الاستواء فإن الله ذم عوامنا بتقليد علمائهم كما ذم عوامهم، وأما من حيث افترقوا فإن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وأكل الحرام والرشا وتغيير الأحكام واضطروا بقلوبهم إلى أن من فعل ذلك فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله ولذلك ذمهم، وكذلك عوامنا إذا عرفوا من علمائهم الفسق الظاهر والمصبية الشديدة والتكالب على الدنيا وحرامها فمن قلد مثل هؤلاء فهو مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة علمائهم، فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعد فقهاء الشيعة لا كلهم، فإن ركب من القبائح والفواحش مراكب العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً ولا كرامة - الحديث.

إذا عرفت: ذلك فاعلم أن المأمور بتقليده في أحكامهم والقبول عنه ما ينقل عنهم هو الذي أشار إليه عليه السلام في مقبولة عمر بن حنظلة بقوله: «ينظر إلى من كان منكم وقد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا كالراد على الله وهو على حد الشرك بالله» - الحديث - ورواية أبي خديجة قال:

بعثني أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابنا فقال: «قل لهم: إياكم إذا وقعت بينكم خصومة أو حكومة في شيء من الأخذ والعطاء أن تحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق، اجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا فإني قد جعلته عليكم قاضياً» وروى محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في الفقيه قال: علي عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم ارحم خلفائي ثلاثاً»، قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي». وروي في كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمداً بن عثمان العمري أن يوصل إليّ كتاباً قد سألت فيه عن مسائل اشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان: أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك إلى أن قال: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله. . . إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا المضمار.

سؤال: ما يقول مشايخ الإسلام وفقهاء أهل البيت عليهم السلام في أهل قرية حضرهم مأتم له وقف ينفذ فيه في موضع معين وفيهم مستور الظاهر وغيره فينفذوه حسب التعيين من غير استئذان العدول المشاهير من المؤمنين في زمن فقد المجتهد أو تعذيره، هل وقع ذلك موقعه أم لا، وهل فرق بين ما إذا كان المعقود عن الاستئذان جهلاً أو اقتصاراً أم لا، وهل يفتقر إلى التعدد في الاستئذان أم يكفي استئذان واحد، وهل اعتقاد بعض أهل القرية في واحد يكفي استئذانهم له في موقوفاته وأموال غيبهم أم لا، وهل لذلك المعتقد فيه التصرف هو بنفسه فيه من غير رخصة من العدول والمشاهير من المؤمنين أم لا؟ أفتونا مأجورين مع تحقيق كل سؤال بعينه، وإن حصل على ذلك بعض الاستدلال كان حسنا دام ظلكم العالي.

الجواب: لشيخنا العلامة الشيخ سليمان بن علي بن أبي ظبية الشاخوري البحراني إذا كان المجتهد متعذراً إما بفقد والعياذ بالله أو تعسر لوصول وصرحوا كذلك كان مستور الظاهر مأموناً مضى صرفهم ونفذ، ولا حاجة إلى العدول والمشاهير لأن المؤمنين عندنا على العدالة كما هو مذهب ابن الجنيد والشيخ في الخلاف والمفيد في كتاب الاشراف بدلالة رواية ابن سيابة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شهادة من يلعب بالحمام؟ قال: لا بأس إذا كان لا يعرف بفسق.

ورواية ابن المغيرة عن الرضا عليه السلام قال: كل من ولد على الفطرة وعرف بصلاح في نفسه جازت شهادته، وصحيحة أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمن يرد من الشهود؟ قال: الظنين والمتهم والخصم، قال: قلت: الفاسق والخائن؟قال: كل هذا يدخل في الظنين، ورواية عبد الله بن سنان وسليمان بن خالد وقول علي لشريح «كل المسلمين عدول بعضهم على بعض»كما رواه الكليني عن سلمة بن كميد وصحيحة حريز وغيره لا مدفع له والله أعلم حرره سليمان بن علي عفا الله عنهما.

الكلام على سيحون وجيحون

فائدة: جيحون هو النهر العظيم الفاصل بين خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند وتلك البلاد، فكل ما كان من تلك الناحية فهو ما وراء النهر، والمراد بالنهر هو هذا، وهو أحد أنهار الجنة الذي جاء ذكره في الحديث أنه يخرج منها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان، فالظاهران النيل والفرات، والباطنان سيحون وجيحون، وسيحون وراء جيحون فيما يلي بلاد الترك، وبينهما مسافة خمسة عشر يوماً وهذان النهران مع عظمهما وسعة عرضهما يجمدان في زمن الشتاء وتعبر القوافل عليهما بدوابهما وأثقالهما ويقيمان كذلك مقدار ثلاثة أشهر.

قصة عبد الملك بن مروان وأهل البحرين

وجدت في كتاب يشتمل على جملة من فضائل سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام وأخبار تدخل في ذلك الباب قال فيه بعد نقل تملك المختار رحمه الله الكوفة وقتل مصعب بن الزبير له ما هذا لفظه: وأما ما كان من خبر أهل الشام فإنه لما قتل عامر بن الطفيل بن ربيعة الشيباني وجاءت الأخبار بذلك إلى الشام - وقد كان قدمات مروان بن الحكم وتولى الأمر من بعده ولده عبد الملك بن مروان - فسار بنفسه إلى الكوفة في ألوف لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وقد آلى على نفسه أن لا يبقي بها أحداً من شيعة علي عليه السلام إلا قتله، فلما سمع بذلك إبراهيم بن مالك الأشتر وصعصعة بن صوحان وعمرو بن عامر الهمداني المعلم وجماعة من خواص الشيعة «رضوان الله عليهم أجمعين» هربوا من عبد الملك إلى جزيرة البحرين وكان زيد بن صوحان العبدي وصعصعة بن صوحان والياً عليهم من قبل الحسن عليه السلام ولم يتمكن من عزله بنو أمية خوفاً من أهل البحرين لأنهم لم يسلموا أمراً إلى بني أمية أبداً وهم كانوا أشجع أهل الدنيا وأقواهم جناناً وأفصحهم لساناً وأحبهم لأمير المؤمنين عليه السلام قلباً.

قال: فبقي زيد بن صوحان حاكماً في البحرين إلى زمان عبد الملك بن مروان إلى أن هرب عنده الجماعة المذكورون، فتبعهم عبد الملك إلى القطيف وأرسل إليهم في البحرين فدفعت عنهم أهل البحرين وقتلوا جميع من أرسلهم عبد الملك، فجاء إليه الخبر وهو في القطيف بأن

أهل البحرين قتلوا جميع أصحابه الذين أرسلهم إلى أهل الكوفة، فلما سمع بذلك حشم عليهم من الأعراب والبوادي ما لم يعلم عددهم إلا الله تعالى وانحدر على أهل البحرين عبد الملك بنفسه وجلس في الطرف الغربي وكان مجيئهم من أول الدراز إلى بني جمرة حتى ملأت عساكره الأماكن والفلوات، وقلعة البحرين يومئذ في البلاد القديم عند المشهد وهو القلعة التي بناها الملك دقيانوس وهو الذي كان يدعي الربوبية وهرب عنه أصحاب الكهف والرقيم إلى جبل في الاحساء وكان زمان هذا الملك في الفترة التي ما بين موسى بن عمران وعيسى ابن مريم عليه السلام وبقيت هذه القلعة إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى زمان بني أمية، وكانت بيوت أهل البحرين يومئذ متصلة من خلف القطع الجنوبي إلى بر بورا والى كرز كان، وكان الرجل من أهل البحرين في ذلك الزمان يعد بألف فارس.

قال: ثم إنه لما انحدر عليهم عبد الملك وجعل إبراهيم بن مالك الأشتر سند ومعهما عسكر كثير في وسط البلد، وجعل سهلان بن علي ومعه أهل الأطراف الشرقية، وجعل صعصعة أخاه وهو أغلب عسكره في الطرف الجنوبي أقصاه، وجلس الأمير زيد بن صوحان في كرز كان ومعه أهل الأطراف الغربية.

ثم وقع الحرب بينهم وبين عبد الملك ووقعت بينهم مقاتلة عظيمة يطول شرحها في هذا المكان، قال: فلما رأى عبد الملك الشجاعة من أهل البحرين وقوة بأسهم على الحروب ورآهم أفرس أهل الدنيا، وكان يخرج عليهم بالخمسين ألف وبالمائة ألف من أصحابه فتحصدهم أهل البحرين حصد السنبل حتى كادوا يقتلون عبد الملك، فأشار عليه بعد ذلك أرباب أهل دولته بأن يستميل أهل البحرين بالرشاء والعطاء، فاستمال جهالهم وأشرارهم بذلك وأغرى بعضهم على بعض فقتل شرارهم خيارهم على الطمع وقتلوا إبراهيم بن مالك وسهلان وصعصعة بن صوحان العبدي وقتلوا أخاه زيد بن صوحان والجماعة الذين خرجوا معهم من أهل الكوفة والذين نصروهم من أهل البحرين.

قال: فلما ظفر عبد الملك بالبحرين وأهلها أحضر أهل الأطراف الذين نصروه والذين استأمنوا ودعاهم إلى الخروج من التشيع فأبوا أن يخرجوا من دينهم وتعصبوا وامتنعوا عليهم وقد أخذهم الندم على قتلهم اخيارهم، فلما نظر عبد الملك إلى غضبهم وإظهارهم العداوة خاف منهم خوفاً شديداً فقال لهم: طيبوا نفوسكم فإني أترككم على دينكم ولكم عندي ما أردتم ولكن أريد منكم أن تكونوا في جزيرتكم هذه ولا أحد منكم يحمل السيف ولا العصي ولا يشد وسطه إلى حرب أبداً ولا أحد ينقل السلاح ولكم علي أن لا آخذ منكم شيئاً من خراج بلدكم ولا أتعرض لكم بعد سنتي هذه، وهذا الشرط بيني وبينكم وعلي في ذلك عهد الله وميثاقه.

قال: فخالفه أهل البحرين على ذلك وكتب الله عليهم الذلة فلم يشدوا أوساطهم بعد ذلك إلى حرب ولم ينقلوا السلاح إلى يومنا هذا ثم إن عبد الملك دفن عين السجور وكانت أقوى عين

في البحرين ودفن عيوناً كثيرة منها لأن مراده ضعف أهل البحرين وولى راجعاً عنهما بعد ذلك - انتهى.

يقول جامع هذه الطرف ومهدي هذه التحف: وحكاية الحكاية وإن كانت لا تخلو من ركاكة في التعبير وخلل في التحبير مع إصلاح كثير منها حال النقل إلا أن مضمونها موافق لما هو الموجود الآن في تلك البلاد ومشهور بين الخلف والسلف من قبور أولئك الأمجاد، فإن قبور هؤلاء المشار إليهم كلهم موجودة في البحرين وقد اتخذوها مزارات يتبركون بها وينذرون إليها ويقصدونها من كل جانب ومكان، سيما قبر صعصعة وأخوه زيد بن صوحان، وأما عين السجور بالسين المهملة ثم الجيم المشار إليها في آخر الخبر فموقعها في قريتنا من البحرين المعروفة بالدراز بالدال المهملة ثم الراء ثم الزاي بعد الألف، وهي في الطرف الغربي من البحرين بقرب الساحل والنظر فيما ظهر من أثار تلك العين وسعة دائرتها الموجودة الآن يدل على قوتها وغزارة مائها، وكان ذلك الملعون قد أحكم رجمها بالحجارة الهائلة والصخور الثقيلة واخفاء اثرها بالكلية، وبقيت كذلك إلى زمن الحاجي يوسف بن ناصر وكان من أكابر أهل البحرين وأعيانهم المشار إليهم وكان ذا حدس صائب وفكر ثاقب في استخراج المياه من الأرض، قد أستخرج عيوناً كثيرة مبتكرة فعمد من جهة الغرب إلى أخراج مائها وضرب خيامه عندها ووضع العملة فيها وأخرج منها احجاراً وصخوراً على ما ذكرنا يعجز المائة الرجل عن سحب واحدة منها، وكان قد نحتها ذلك الملعون من جزيرة بقرب البحرين تسمى قدا وبقي العمل فيها حتى لما قرب خروج أول مائها جاء رجل من الفعلة إلى الحاج يوسف المرقوم.

وقال: إني رأيت في المنام أن هذه العين في صورة امرأة وهي تريد ثوراً سميناً، فأسر الحاجي يوسف في نفسه أنه ذلك الثور السمين وأخذته الواهمة فمرض وثقل حاله في ذلك المرض حتى مات وبقيت على ما هي عليه إلى الآن، وينقل أن ذلك الرجل إنما قال له مداعبة يريد منه أن يطعمهم لحماً وطبيخاً وإلى الآن بعض تلك الأحجار موجودة حول العين وبعض قد سحبه الناس ووضعوه في أساس البيوت، وكانوا إذا هموا بسحب شيء منها تجتمع لها جموع عديدة من الرجال والله العالم بحقائق الأحوال.

ومما قاله: صفي الدين الحلي قدس الله سره: [البحر الطويل]

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ من سرِ نفسهِ ... فصدرُ الذي يُستودعُ السرَّ أضيقُ
إذ المرءُ أفشى سرَّه بلسانِه ... ولامَ عليه غيرَه فهو أحمقُ

وله أيضاً: [البحر الطويل]

عيونٌ لها مرأى الأحبةِ إثمدِ ... عجبتُ لها في عمرِها كيف ترمدِ
وعينٌ خلتْ من نورِ وجهِ خليلِها ... عجبتُ لها في عمرِها كيف ترقدِ

نبذة من أخبار العرب

قال الحجاج: ليحيى بن سعيد إنك تشبه إبليس فقال وما ينكر الأمير أن يكون سيد الأنس سيد الجن فأعجبه جوابه.

قال: بعض الأعراب في محاوراته: اسكت يابن الأمة، فقال: لهي والله أعذر منك حيث لم ترض إلا حرا.

قال المنتصر: لأبي العيناء ما أحسن الجواب؟ قال: ما أسكت المبطل وحير المحق.

قال ابن عباس: أبهم عن البهائم كل الأمور إلا أربع: معرفة صانعها، وابتغاء النسل، وطلب المعاش، وحذر الموت.

المهدي والأعرابي

خرج المهدي: الخليفة يتصيد فغار به فرسه حتى وقع إلى خباء أعرابي فقال: يا أعرابي هل من طعام؟ فأخرج له قرص شعير ولبناً ثم أتى إليه بماء فلما شرب قال: يا أخا العرب أتدري من أنا؟ قال: لا، قال: أنا من خدم الخليفة الخاصة، ثم شرب أخرى فقال: أنا من قواد الخليفة، ثم شرب أخرى فقال: يا أعرابي أنا الخليفة، فأخذ الأعرابي الركوة فصبها وقال: والله لو شربت الرابعة لأدعيت إنك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل فطار قلب الأعرابي فقال له: لا بأس عليك، فأمر له بعطاء جزيل.

قيل: لبعض الأعراب: إن شهر رمضان قد جاء، فقال: والله لأفرقنه بالأسفار.

إعربيات

وسمع أعرابي: قارئاً يقرأ القرآن فقرأ: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾[1]: فقال: لقد هجانا، ثم سمعه بعد ذلك يقرأ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[2] فقال: لا بأس هجا ومدح.

[البحر الطويل]

هجوتُ زهيراً ثم إني مدحتُه   وما زالت الأشرافُ تُهجى وتُمدحُ

جلس: أعرابي على مائدة يزيد بن مزيد فقال لأصحابه: افرجوا لأخيكم، فقال الأعرابي: لا حاجة لي إلى إخراجكم إن أطنابي طوال يعني سواعدي، فلما مد يده ضرط فضحك يزيد وقال: يا أخا العرب أظن أن طنباً من أطنابك قد انقطع؟ فقال: صدقت.

وسرق: أعرابي غاشية سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الإمام: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٧.
(٢) سورة التوبة، الآية ٩٩.

﴿ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾[(١)] فقال: يا فقيه لا تدخل في الفضول، فلما قرأ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ﴾[(٢)] قال: خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها، ثم رماها من يده.

حضر أعرابي: في مجلس قوم يتذاكرون قيام الليل فقال: يا أبا أمامة أتقوم الليل؟ قال: نعم، قال: ما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنام.

حضر أعرابي: على مائدة الحجاج وكان عليها حلوى فأكل لقمة، فقال الحجاج: من أكل من هذا شيئاً ضربت عنقه، فامتنع الناس وبقي الأعرابي ينظر إلى الحلوى مرة وإلى الحجاج أخرى ثم قال: أيها الأمير أوصيك بأهلي خيراً، ثم اندفع يأكل فضحك الحجاج وأمر له بصلة.

دفع: أعرابي ابنه إلى المعلم فغاب عنه مدة ثم قال: في أي سورة أنت؟ فقال في: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[(٣)] فقال: بئس العصابة أنت فيهم، ثم تركه مدة ثم قال: في أي سورة أنت؟ فقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾[(٤)]، فقال: والله ما تقلب إلاّ على أوتاد الكفر عليك بغنمك فارعها.

سرق: أعرابي صرة فيها دراهم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الإمام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾[(٥)] فقال: والله إنك لساحر، ثم رمى الصرة وخرج.

دخل اعرابي: يصلي في المسجد وكان أسمه موسى فقرأ الإمام: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾[(٦)] فترك الصلاة وولى هارباً فجلس على باب المسجد وبيده عصاه فقرأ الإمام:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾[(٧)] قال: يا فقيه إن خرجت إلى عندي عملت لك قبراً على باب المسجد.

وحكى الأصمعي قال: خرجت في طلب إبل لي وكان البرد شديداً فإذا بجماعة يصلون الظهر وبقربهم شيخ ملتف بكساء من شدة البرد وهو يقول: [البحر الطويل]

أيا ربِّ إنّ البرد أصبحَ كالحاً وأنتَ بحالِي عالمٌ لا تُعَلَّمُ
فإنْ كنتَ يوماً في جهنمَ مدخِلي ففي مثلِ هذا اليومِ طابتْ جهنمُ

قال الأصمعي: فقلت: يا شيخ ما تستحي أن تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير؟ فأنشأ هذه الأبيات يقول: [البحر الطويل]

أيطمعُ ربّي أنْ أُصليَ عارياً ويكسو غيري كسوَةَ البردِ والحرِّ
فو اللهِ لا صلّيتُ ما دمْتُ عارياً عشاءً ولا وقتَ المغيبِ ولا الفجرِ

(١) سورة الغاشية، الآية: ١.
(٢) سورة الغاشية، الآية: ٢.
(٣) سورة الكافرون، الآية: ١.
(٤) سورة المنافقون، الآية: ١.
(٥) سورة طه، الآية: ١٧.
(٦) سورة القصص، الآية: ٢٠.
(٧) سورة طه، الآيتان: ١٧ - ١٨.

ولا الظهرَ إلاَّ يوَم شمسٍ دفيةٍ وإنْ غيَّمتْ فالويلُ للظهرِ والعصرِ
وإنْ يكْسُني ربّي قميصاً وجبةً أُصلّي له مهْما اعيشُ مسن الدهرِ

فأعجبني شعره فنزعت قميصاً وجبة ووهبتها له وقلت له: قم فصل، فاستقبل القبلة فصلى جالساً على غير وضوء فقلت له: تصلي وأنت جالس بلا وضوء؟ فأنشأ يقول: [البحر الطويل]

إليكَ اعتذاري من صلاتيَ جالساً على غيرِ طهرٍ مُومياً نحو قِبلتي
فما لي ببردِ الماءِ يا ربّ طاقةٌ ورجلايَ لا تقوى على ثني رُكبتي
ولكنّني أستغفرُ اللهَ شاتِياً وأقضيكَها يا ربّ في وجهِ صيْفَتي
وإنْ أنا لم أفعلْ فأنتَ محكمٌ بما شئْتَ من صَيفي ومن نتفِ لحُيتي

فضحكت منه وتركته.

صلى: أعرابي مع قوم فقرأ الإمام: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾(١) فقال الأعرابي: بل أهلك الله وحدك ايش كان الذي معك؟ فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك.

حكي الأصمعي: أن عجوزاً من الأعراب جلست إلى فتيان يشربون نبيذاً فسقوها ثم سقوها فتبسمت فقالت: خبروني عن نسائكم أيشربن النبيذ؟ قالوا: نعم قالت: إنكن ورب الكعبة والله لئن صدقتم فما منكم من يعرف أباه.

صلى: إعرابي خلف إمام فقرأ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾(٢) ثم وقف وجعل يرددها فقال الأعرابي: أرسل غيره يرحمك الله وارحنا وأرح نفسك.

وصلى: أعرابي خلف إمام فقرأ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾(٣) فوقف وجعل يرددها فقال الأعرابي: يا فقيه إن لم يأذن لك أبوك الليلة نضل نحن وقوفاً إلى الصباح، ثم تركه وانصرف.

انفرد: يوماً الرشيد عن عسكره ومعه الفضل بن يحيى فإذا هما بشيخ من الأعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل: هل أدلك على دواء لعينك؟ فقال: ما أحوجني إلى ذلك، فقال: خذ عيدان الهوى وغبار الماء فصيره في قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك، فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية فقال: هذه أجرة دوائك وإن زدتنا زدناك فضحك الرشيد.

خرج: معن بن زائدة للصيد فتبع ظبياً وانفرد عن عسكره، ثم إنه رأى رجلاً معه حمار فقال له: من أين إلى أين؟ فقال معي خيار في غير وقته قصدت به معن بن زائدة لكرمه المشهور، قال: وكم أملت منه؟.

قال: ألف دينار، قال: كثير، قال: خمسمائة دينار، قال: كثير، قال: ثلاثمائة دينار، قال: كثير، قال خمسين ديناراً قال: فلا أقل من الثلاثين، قال: ادخل أربع قوام حماري في فرج

(١) سورة الملك، الآية: ٢٨. (٢) سورة نوح، الآية: ١. (٣) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

امرأته وارجع إلى أهلي خائباً، فضحك معن منه وسار حتى لحق بعسكره وقال لحاجبه: إذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فأدخله عليّ، فأتى بعد ساعة وأدخله عليه فلم يعرفه لجلالته فقال له: ما الذي أتى بك يا أخا العرب؟.

فقال: لعلت الأمير واتيته بقثاء على غير أوانه، قال: فكم أملت منه، قال: ألف دينار، قال: كثير، قال: خمسمائة، قال: كثير، قال: ثلاثمائة، قال: كثير، قال: مائتين، قال: كثير، قال: مائة، قال: كثير، قال: كان والله ذلك الرجل شؤماً علي ثم قال: خمسين ديناراً، قال: كثير، قال: فلا أقل من الثلاثين، فضحك معن فعلم الأعرابي إنه صاحبه فقال: يا سيدي إن لم تجب الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس، فضحك ثم دعا بوكيله فقال: اعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة دينار وماءتي دينار وماءة دينار وخمسين دينار وثلاثين دينار ودع الحمار مكانه، فبهت الأعرابي وتسلم الألفي دينار وماءة وثلاثين ديناراً.

وقال الحسين بن مطر يرثي معن بن زائدة: **[البحر الطويل]**

ألمّا على معنٍ فقولا لقبرهِ سقتْك الغوادي مرْبعاً ثم مرْبعا
فيا قبرَ معنٍ كنتَ أولَ حفرةٍ من الأرضِ خطتْ للسماحةِ مَضْجعا
ويا قبرَ معنٍ كيف واريتَ جودَه وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُتْرعا
بلى قد وسعْتَ الجودَ والجودُ ميتٌ ولو كان حيّاً ضقتَ حتّى تصدّعا
فتىً عيش في معروفِه بعدَ موتِه كما كان بعد السيلِ مجراهُ مَرْتعا
ولمّا مضى معنٌ مضى الجودُ وانقَضى وأصبحَ عرنينُ المكارمِ أجْدعا

أبو فراس في الأسر

روى: شيخنا البهائي«قده» أن أبا فراس الحمداني على ما قالوا ملك الشعراء وقد أسرته الروم مرة وبقي عندهم محبوساً في القيد فنظر يوماً إلى حمامة على شجرة تنوح وتغني بالألحان فاسترق طبعه بأنشد: **[البحر الطويل]**

أقولُ وقد ناحتْ بقربي حمامةٌ أيا جارتي هل تشعرينَ بِحالي
معاذَ الهوى ما ذقْتِ طارقةَ النَّوى ولا خطرتْ عنكِ الهمومُ ببالِ
أيا جارتا ما أنصفَ الدهرُ بيننا تعالَيْ أقاسمْك الهمومَ تعالي
أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ويسكتُ محزونٌ ويندبُ سالي
لقد كنتُ أولى منكِ بالدمعِ مقلةً ولكنَّ دمعي في الحوادثِ غالي

في كلام القدماء: من الحكماء: شر العلماء من لازم الملوك وخير الملوك من لازم العلماء، ومن كلامهم: إذا رأيت العالم لازم السلطان فاعلم أنه لص وإياك أن تخدع بما يقال إنه يرد مظلمة أو يدفع عن مظلوم فإن هذه خدعة إبليس اتخذها فجار العلماء.

مع الإمام الصادق عليه السلام

كتب المنصور: العباسي إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لم تغشانا كما يغشانا الناس؟ فأجابه: «ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له ولا أنت في نعمة فنهنيك ولا في نقمة فنعزيك» فكتب المنصور إليه: فأصحبنا لتنصحنا فكتب إليه أبو عبد الله عليه السلام: «من يطلب الدنيا لا ينصحك ومن يطلب الآخرة لا يصحبك».

عن عيسى«على نبينا وآله وعليه السلام» قال: مثل عالم السوء مثل صخرة وضعت في فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء ليخلص إلى الزرع.

للشيخ البهائي: قدس الله سره من سوانح المجاز: [البحر الرمل]

قد صرْفنا العمر في قيلٍ وقالْ ... يا نديمي قمْ فقد ضاقَ المجالْ
واسقِني تلك المُدامَ السلسبيلْ ... إنها تهدي إلى خيرِ السبيلْ
وأخلعِ الغلَّ بها يا ذا النديمْ ... إنَّها نارٌ أضاءتْ للكليمْ
هاتِها صهباءَ من خمرِ الجنانْ ... دعْ كؤوساً واسْقنيها بالدنانْ
ضاقَ وقتُ العمرِ عن آلاتِها ... هاتِها من غيرِ عصرٍ هاتِها
قمْ أزلْ عني بها رسمَ الهمومْ ... إنَّ عمري ضاعَ في علمِ الرسومْ
أيُّها القومُ الذي في المدرسَةْ ... كلُّما حصَّلتموه وسوسَةْ
فكركُمْ إنْ كان في غيرِ الحبيبْ ... ما لكمْ في النشأةِ الأخرى نصيبْ
فاغسِلوُا بالرَّاحِ عن لوحِ الفؤادْ ... كلُّ همٍّ ليس يُنجي في المعادْ

ومنها أيضاً: [البحر الرمل]

يا نديمي ضاعَ عمري وانقضى ... قمْ لاستدراكِ وقتٍ قد مَضى
واغسلِ الأدناسَ عنّا بالمدامْ ... واملأ الأقداحَ منها يا غلامْ
واسقِنِي كأساً فقد لاح الصباحْ ... والثريّا غربتْ والديكُ صاحْ
زوّجِ الصهباءَ بالماءِ الزلالْ ... واجعلنْ عقلي لها مهراً حلالْ
هاتِها من غيرِ مهلٍ يا نديمْ ... خمرةً يَحيي بها العظمُ الرميمْ
بنتُ كرمٍ تجعلنَّ الشيخَ شابْ ... من يذقْ منها عن الكونينِ غابْ
خمرةٌ من نارِ موسى نورُها ... دنُّها قلبي وصدري طورُها
قمْ ولا تمهلْ فما في العمرِ مهلْ ... لا تصعّبْ شربَها فالأمرُ سهلْ
قلْ لشيخٍ قلبُه منها نفورْ ... لا تخفْ فاللهُ توابٌ غفورْ
يا مغنيّ إن عندي كلَّ غمْ ... قمْ فألقِ النّايَ فيها بالنغمْ
غنِّ لي دوراً فقد دارَ القدحْ ... والصّبا قد ناحَ والقمري صدحْ

واذكرنْ عندي أحاديثَ الحبيبْ   إنَّ عيشي من سِواها لا يطيبْ
واحذرن ذكرَى أحاديثِ الفراقْ   إنَّ ذكرَ البعدِ ممّا لا يُطاقْ
روّحنْ روحي بأشعارِ العربْ   كي يتمَّ الأنسُ فيها والطربْ
وافتتِحْ منها بنظمٍ مستطابْ   قلتهُ في بعضِ أيامِ الشبابْ
قد صرفْنا العمرَ فيِّ قيلٍ وقالْ   يا نديمي قمْ فقد ضاقَ المجالْ
ثم أطربْني بأشعارِ العجمْ   واطردنْ هماً على قلبي هجمْ
وابتدىء منها ببيتِ المثنوي   للحكيمِ المولويِّ المعنوي
بشنوازني جوني حكايت ميكندْ   واز جدائيها شكايت ميكندْ
قمْ وخاطبْني بكلِّ الألسنَهْ   عَلَّ قلبي ينتبهْ من ذي السنَهْ
انه في غفلةٍ عن حالِه   خابطٌ في قيلِه مع قالِه
كلَّ آنٍ فهو في قيدٍ جديدْ   قائلاً من جهلِه هل من مزيدْ
تائهٌ في الغيِّ قد ضلَّ الطريقْ   قطُّ من سكرِ الهوى لا يستفيقْ
عاكفٌ دهراً على أصنامِه   يهزأُ الكفارُ من إسلامِه
كم أنادي وهو لا يُصغي التنادْ   وافؤادي وافؤادي وافؤادْ
يا بهائيُّ اتخذْ قلباً سِواه   فهْوَ ما معبودُه إلاَّ هواهْ

وله أيضاً من كتاب رياض الأرواح: [البحر الوافر]

ألا يا خائضاً بحرَ الأماني   هداكَ اللهُ ما هذا التّواني
اضعتَ العمرَ عصياناً وجهْلاً   فمهْلاً أيُّها المغرورُ مهْلا
مضى عنك الشبابُ وأنت غافلْ   وفي ثوبِ العمَى والغيِّ رافلْ
وقلبُك لا يفيقُ من المعاصي   فويلك يومَ يُؤخذُ بالنّواصي
بلالُ الشيبِ نادي في المفارقْ   بحيّى على الذهابِ وأنت غارقْ
ببحرِ الإثمِ لا تُصغي لواعظْ   ولو أطْرى وأطنبَ في المواعظْ
وقلبُك هائمٌ في كلِّ وادي   وجهلُك كلَّ يومٍ في أزديادِ
على تحصيلِ دنياكَ الدنيّهْ   مُجِداً في الصباحِ وفي العشيّهْ
وجهدُ المرءِ في الدنيا شديدُ   وليس ينالُ منها ما يريدُ
وكيفَ ينالُ في الأخرى مرامهْ   ولم يجهدْ لمطلبِها قلامهْ

إشارة إلى حال من صرف العمر في جمع الكتب وإدخارها قال: [البحر الوافر]

على كتبِ العلومِ صرفتَ مالكْ   وفي تصحيحها اتعبتَ بالكْ
وأنفقتَ البياضَ مع السوادِ   على ما ليس ينفعُ في المعادِ

تظلُّ من المساءِ إلى الصباحِ ... تطالعُها وقلبك غيرُ صاحي
وتصبحُ مولعاً من غير طائلْ ... لتحريرِ المقاصدِ والدلائلْ
وتوضيحِ الخفا من كلِّ بابِ ... وتوجيهِ السؤالِ مع الجوابِ
لعمري قد اضلَّتك الهدايهْ ... ضلالاً ما له أبداً نهايهْ
وبالمحصولِ حاصلك الندامهْ ... وحرمانٌ إلى يومِ القيامهْ
وتذكرةُ المواقفِ والمراصدْ ... تسدُّ عليك أبوابَ المقاصدْ
فلا تنجو النجاةَ من الضلالهْ ... ولا تُشفى الشفاءَ من الجهالهْ
وبالإرشاد لم يحصلْ رشادُ ... وبالتبيانِ ما بانَ السدادُ
وبالإيضاحِ اشكلتِ المداركْ ... وبالمصباحِ أظلمتِ المسالكْ
وبالتلويحِ ما لاحَ الدليلُ ... وبالتوضيحِ ما اتضحَ السبيلُ
صرفتَ خلاصةَ العمرِ العزيزِ ... على تنقيحِ أبحاثِ الوجيزِ
بهذا النحوِ صرفُ العمرِ جهلُ ... فقمْ فاجهدْ فما في العمرِ مهلُ
ودعْ عنك الشروحَ مع الحواشي ... فهنَّ على البصائرِ كالغواشي

إشارة إلى حال من صرف العمر الذي للتدارس في زماننا هذا: [البحر الوافر]

مرادُك أن ترى في كلِّ يومِ ... وبين يديك قومٌ أيُّ قومِ
كلابٌ عاوياتٌ مع ذئابِ ... ولكنْ فوق أظهرهمْ ثيابُ
إذا ما قلتَ اصغوا للمقالِ ... وإن حدثتَ بالأمرِ المحالِ
فليس لهم جميعاً من بضاعهْ ... سوى سمعاً لمولانا وطاعهْ
فإنْ شمَّرت عن ساقِ الإفادهْ ... جلستَ لهم على عالي الرفادهْ
ولبستَ السؤالَ لمن تكلَّمْ ... ودلَّستَ الجوابَ لكي يسلِّمْ
وقررتَ المسائلَ والمطالبْ ... فليسَ بذي لوجهِ اللهِ طالبْ
وسقتَ لهم كلاماً في كلامِ ... وقلبك من ظلامٍ في ظلامِ
وإنْ ناظرتَ ذا فكرٍ دقيقِ ... وفكرٍ في مطالبِه عميقِ
عدلتَ به عن النهجِ القويمِ ... وزغتَ عن الصراطِ المستقيمِ
مكابرةً على الحقِّ الصريحِ ... وإنْ ناجاك في النقلِ الصحيحِ
طفقتَ تروغُ عن نهجِ السبيلِ ... وتكدحُ في الكلامِ بلا دليلِ
وأوَّلتَ المرادَ من العبارهْ ... بتأويلٍ كثلجٍ في خيارهْ
وعبتَ أئمةً قالوا بذاكا ... وفي تجهيلهم قفَّرْتَ فاكا
وأزعجتَ العظامَ الدارساتِ ... وبعثرتَ القبورَ الدراساتِ

لئنْ لم ترتدعْ عن ذي الزعامهْ فبئسَ الحالُ حالُك في القيامهْ

الملا محسن مع السيد ماجد البحراني

للسيد نعمة الله الجزائري قدس الله سره في كتاب زهر الربيع كان أستادنا المحقق المولى محمد محسن القاشاني صاحب الوافي وغيره مما يقارب مائتي كتاب ورسالة وكان نشؤه في بلدة قم، فسمع بقدوم السيد الأجل المحقق المدقق الإمام الهمام السيد ماجد البحراني الصادقي إلى شيراز فأراد الارتحال إليه لأخذ العلوم عنه، فتردد والده في الرخصة له ثم بنوا الرخصة وعدمها على الاستخارة، فلما فتح القرآن جاءت الآية: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(١) والآية أصرح وأنص وأدل على هذا المطلب مثلها، ثم بعد ذلك تفاءل بالديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فجاءت الأبيات هكذا: [البحر الطويل]

تغرّبْ عن الأوطانِ في طلب العُلَى وسافرْ ففي الأسفارِ خمسُ فوائدِ
تفرّجُ همٍّ واكتسابُ معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ
فإنْ قيل في الأسفارهمٌّ وغربةٌ وقطعُ الفيافي وارتكابُ الشدائدِ
فموتُ الفتى خيرٌ له من حياتهِ بدارِ هوانٍ بين واشٍ وحاسدِ

وهذه أيضاً أنسب في المطلوب سيما قوله «وصحبة ماجد» فسافر إلى شيراز وأخذ العلوم الشرعية عنه وقرأ العلوم العقلية على الحكيم الفيلسوف المولى صدر الدين الشيرازي وتزوج بابنته يقول: مؤلف هذا الكتاب نعمة الله الموسوي الحسني عفا الله عنه: ولما وردت شيراز لم أصل الا إلى ولد صدر الدين، وكان جامعاً للعلوم العقلية والنقلية، فأخذت عنه شطراً وافياً من الحكمة والكلام وقرأت عليه حاشية على حاشية شمس الدين الخفري على شرح التجريد، وكان اعتقاده في الأصول خير من اعتقاد أبيه، وكان يتمدح ويقول: اعتقادي في أصول الدين مثل اعتقاد العوام، وقد أصاب في هذا التشبيه، واسمه ميرزا إبراهيم.

قصة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض

ومن كتاب بحار الأنوار: أقول: وجدت رسالة مشتهرة بقصة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض أحببت إيرادها لاشتمالها على ذكر من رآه عليه السلام ولما فيه من الغرائب، وإنما أفردت لها باباً لأني لم أظفر بها في الأصول المعتبرة ولنذكرها بعينها كما وجدتها.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لمعرفته، والشكر له على ما منحنا للاقتداء

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

بسنن سيد بريته محمد الذي اصطفى من بين خليقته، وخصنا بمحبة علي والأئمة المعصومين من ذريته، صلى الله عليهم أجمعين الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فقد وجدت في خزانة أمير المؤمنين وسيد الوصيين وحجة رب العالمين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام بخط الشيخ الفاضل والعالم العامل الفضل بن يحيى بن علي الطيبي الكوفي «قده» ما هذا صورته: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين «وبعد» فيقول الفقير إلى عفو ربه ورضوانه سبحانه وتعالى الفضل بن يحيى بن علي الطيبي الإمامي الكوفي عفا الله عنه: قد كنت سمعت من الشيخين الفاضلين العالمين العاملين شيخ شمس الدين بن نجيح الحلي والشيخ جلال الدين عبد الله بن الحرام الحلي«قدس الله روحيهما ونور ضريحهما» في مشهد سيد الشهداء وخامس أصحاب الكساء مولانا وإمامنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام في النصف من شهر شعبان سنة تسع وتسعين وستمائة من الهجرة النبوية«على مشرفها محمد أفضل الصلاة ثم التحية» حكاية ما سمعناه من الشيخ الصالح النقي والفاضل الورع الزكي زين الدين علي بن فاضل المازندراني المجاور بالغري «على مشرفه السلام» حيث اجتمعا به في مشهد الإمامين الزكيين الطاهرين المعصومين السعيدين عليهما السلام بسر من رأى.

وحكى لهما حكاية ما شاهده ورأى في البحر الأبيض والجزيرة الخضراء من الغرائب، فمر بي باعث الشوق إلى رؤياه وسألت تيسير لقياه والاستماع لهذا الخبر من نقله فيه بإسقاط روايته، وعزمت على الانتقال إلى سر من رأى للاجتماع به، فاتفق أن الشيخ زين الدين علي بن فاضل المازندراني انحدر من سر من رأى إلى الحلة في أوائل شهر شوال من السنة المذكورة ليمضي على جاري عادته ويقيم في المشهد الغروي، فلما سمعت بدخوله إلى الحلة وكنت يومئذ بها أنتظر قدومه فإذا أنا به وقد أقبل راكباً يريد دار السيد الحسيب ذي النسب الرفيع والحسب المنيع السيد فخر الدين الحسن بن علي الموسوي المازندراني نزيل الحلة «أطال الله بقاه» ولم أكن إذ ذاك الوقت أعرف الشيخ المذكور ولكن خرج في خاطري أنه هو، فلما غاب عن عيني تبعته إلى دار السيد المذكور، فلما وصلت إلى باب الدار رأيت السيد فخر الدين واقفاً على باب داره مستبشراً فلما رآني مقبلاً ضحك في وجهي وعرفني بحضوره، فاستطار قلبي فرحاً وسروراً ولم أملك نفسي على الصبر عن الدخول إليه في غير ذلك الوقت فدخلت الدار مع السيد فخر الدين فسلمت عليه وقبلت يديه، فسأل السيد عن حالي فقال له:

هو الشيخ فضل ابن الشيخ يحيى الطيبي صديقكم، فنهض واقفاً وأقعدني في مجلسه ورحب بي وأحفى السؤال عن حال أبي وأخي الشيخ صلاح الدين لأنه كان عارفاً بهما سابقاً ولم أكن في تلك الأوقات حاضراً بل كنت في بلدة واسط اشتغل في طلب العلم عند الشيخ العامل العالم الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الواسطي الإمامي تغمده الله برحمته وحشره في زمره أئمته،

فتحادثت مع الشيخ الصالح المذكور متع الله المؤمنين بطول بقائه فرأيت في كلامه أمارات تدل على الفضل في أغلب العلوم من الفقه والحديث والعربية بأقسامها، وطلبت منه شرح ما حدث به الرجلان الفاضلان العالمان العاملان المؤملان الشيخ شمس الدين والشيخ جلال الدين الحليان المذكوران سابقاً «عفى الله عنهما» فقص لي القصة من أولها إلى آخرها بحضور السيد الجليل السيد فخر الدين نزيل الحلة صاحب الدار وحضور جماعة من علماء الحلة والأطراف قد كانوا أتوا الزيارة الشيخ المذكور «وفقه الله» وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر شوال من سنة تسع وتسعين وستمائة، وهذه صورة ما سمعته من لفظه «أطال الله بقاه» وربما وقع في الألفاظ التي نقلتها من لفظه تغيير لكن المعاني واحدة.

قال «حفظه الله تعالى»: قد كنت مقيماً في دمشق الشام منذ سنين مشتغلاً بطلب العلم عند الشيخ الفاضل الشيخ عبد الرحيم الحنفي «وفقه الله لنور الهداية» في علمي الأصول والعربية وعقد الشيخ زين الدين علي المغربي الأندلسي المالكي في علم القراءة لأنه كان عالماً فاضلاً عارفاً بالقراءات السبع، وكان له معرفة في أغلب العلوم من الصرف والنحو والمنطق والمعاني والأصولين، وكان لين الطبع لم يكن عنده معاندة في البحث ولا في المذهب لحسن ذاته، فكان إذا جرى ذكر الشيعة قال: علماء الإمامية بخلاف غيرهم من المدرسين فإنهم يقولون عند ذكر الشيعة: قال علماء الرافضة: فاختصصت به وتركت التردد إلى غيره، فأقمنا على ذلك برهة من الزمان فأقرأ عليه في العلوم المذكورة، فاتفق أنه عزم على السفر من دمشق الشام يريد الديار المصرية فلكثرة المحبة التي كانت بيننا عزّ عليّ مفارقته وهو أيضاً كذلك، فآلى الأمر إلى أنه «هداه الله» صمم العرب على صحبتي له إلى مصر، وكان عنده جماعة من الغرباء مثلي يقرأون عليه فصحبه أكثرهم فسرنا في صحبته إلى أن وصلنا مدينة بلاد مصر المعروفة بالفاخرة وهي أكبر المدائن كلها، فأقام بالمسجد الأزهر مدة يدرس فتسامع فضلاء مصر بقدومه فورد واكلهم لزيارته والانتفاع بعلومه، فأقام في فاخرة مصر مدة تسعة أشهر ونحن معه على أحسن حال، وإذا بقافلة قد وردت من الأندلس ومعها رجل معه كتاب من والد شيخنا الفاضل المذكور ويعرف فيه بمرض شديد قد عرض له وأنه يتمنى الاجتماع به قبل الممات ويحثه فيه على عدم التأخير، فرق الشيخ من كتاب أبيه فبكى وصمم العزم على المسير إلى جزيرة الأندلس، فعزم بعض التلامذة على صحبته ومن الجملة أنا لأنه «هداه الله» قد كان أحبني محبة شديدة وحسن إليّ المسير معه، فسافرت إلى الأندلس في صحبته فحيث وصلنا إلى أول قرية من الجزيرة المذكورة عرض لي حمى منعتني عن الحركة، فحيث رآني الشيخ على تلك الحالة رق لي وبكى وقال:

يعز علي مفارقتك فأعطى خطيب تلك القربة التي وصلنا إليها عشرة دراهم وأمره أن يتعاهدني حتى لا يكون مني أحد الأمرين وإن منّ الله عليّ بالعافية اتبعه إلى بلده، هكذا عهد إليّ بذلك «وفقه الله لنور الهداية إلى صراط الحق المستقيم» ثم مضى إلى بلد الأندلس ومسافة الطريق من ساحل البحر إلى بلده خمسة أيام، فبقيت في تلك القرية ثلاثة أيام لا أستطيع الحركة

لشدة ما أصابني من الحمى ففي آخر اليوم الثالث فارقتني الحمى وخرجت أدور في سكة تلك القرية، فرأيت قفلاً قد وصل من جبال قريبة من شاطئ البحر الغربي يجلبون الصوف والسمن والأمتعة، فسألت عن حالهم فقيل: إن هؤلاء يجيئون من جهة قريبة من أرض البوبرة وهي قريبة من جزائر الرافضة، فحيث سمعت ذلك منهم ارتحت إليهم وجذبني باعث الشوق إلى أرضهم فقيل لي:

إن المسافة خمسة وعشرون يوماً منها يومان بغير عمارة ولا ماء وبعد ذلك فالكرى متصلة، فاكتريت معهم من رجل حماراً بمبلغ ثلاثة دراهم لقطع تلك المسافة التي لا عمارة فيها، فلما قطعنا تلك المسافة ووصلنا أرضهم العامرة فمشيت راجلاً وتنقلت على اختياري من قرية إلى أخرى إلى أن وصلت إلى أول تلك الأماكن فقيل لي: أن جزيرة الروافض قد بقي بينك وبينها ثلاثة أيام، فمضيت ولم أتأخر فوصلت إلى جزيرة ذات أسوار أربعة ولها أبراج محكمات عاليات شاهقات، وتلك الجزيرة بحصونها راكبة على شاطئ البحر، فدخلت من باب كبير يقال له باب البربر فدرت في سككها أسأل عن مسجد البلد فهديت عليه ودخلت إليه فرأيته جامعاً كبيراً معظماً واقعاً على البحر من الجانب الغربي من البلد، فجلست في جانب المسجد لأستريح وإذا بالمؤذن يؤذن للظهر ونادى بحيى على خير العمل ولما فرغ دعا بتعجيل الفرج للإمام صاحب الزمان عليه السلام فأخذتني العبرة بالبكاء فدخلت جماعة بعد جماعة إلى المسجد وشرعوا في الوضوء على عين ماء تحت شجرة في الجانب الشرقي من المسجد وأنا أنظر إليهم فرحاً مسروراً لما رأيته من وضوئهم المنقول عن أئمة الهدى «سلام الله عليهم»، فلما فرغوا من وضوئهم وإذا برجل قد برز من بينهم بهي الصورة عليه السكينة والوقار فتقدم إلى المحراب وأقام الصلاة فاعتدلت الصفوف وراءه وصلى بهم إماماً وهو به مأمون صلاة كاملة بأركانها المنقولة عن أئمتنا عليهم السلام على الوجه المرضاة فرضاً ونفلاً وكذا التعقيب والتسبيح، ومن شدة ما لقيته من وعثاء السفر وتعبي في الطريق لم يمكني أن أصلي معهم الظهر، فلما فرغوا ورأوني أنكروا عليّ بعدم الاقتداء بهم فتوجهوا نحوي بأجمعهم وسألوني عن حالي ومن أين أصلي وما مذهبي؟ فشرحت لهم أحوالي وإني عراقي الأصل وأما مذهبي فإني رجل مسلم أقول: «أشهد أن لا آله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

فقالوا لي: لا تنفعك هاتان الشهادتان الا تحقن دمك في دار الدنيا لم لا تقول الشهادة الأخرى لتدخل الجنة بغير حساب؟.

فقلت لهم: وما تلك الشهادة الأخرى اهدوني إليها يرحمكم الله؟ فقال لي إمامهم: الشهادة الثالثة هي أن تشهد أن أمير المؤمنين ويعسوب المتقين وقائد الغر المحجلين علياً بن أبي طالب والائمة الأحد عشر من ولده أوصياء رسول الله وخلفاؤه من بعده بلا فاصلة قد أوجب

الله عزّوجل طاعتهم على عباده وجعلهم أولياء أمره ونهيه وحججاً على خلقه في أرضه وأماناً لبريته لأن الصادق الأمين محمداً رسول الله ﷺ سماهم واحداً بعد واحد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فلما سمعت مقالتهم هذه حمدت الله سبحانه على ذلك وحصل عندي أكمل السرور وذهب عني تعب الطريق من الفرح وعرفتهم أني على دينهم، فتوجهوا إليّ توجه إشفاق وعينوا لي مكاناً في زوايا المسجد وما زالوا يتعاهدوني بالعزة والاكرام مدة إقامتي عندهم، وصار إمام المسجد لا يفارقني ليلاً ونهاراً فسألته عن ميرة أهل بلده من أين تأتيهم فلا أرى لهم أرضاً مزروعة؟ فقال: تأتي لهم ميرة من الجزيرة الخضراء من البحر الأبيض من جزائر أولاد الإمام صاحب الأمر عليه السلام فقلت له: كم تأتيكم ميرتكم في السنة؟ فقال: مرتين وقد أتت مرة وبقيت أخرى، فقلت: كم بقي حتى تأتيكم؟.

قال: أربعة أشهر، فتأثرت لطول المدة ومكثت عندهم مقدار أربعين يوماً ادعو الله ليلا ونهاراً بتعجيل مجيئهم وكنت عندهم في غاية الإعزاز والإكرام، ففي آخر يوم من الأربعين ضاق صدري لطول المدة فخرجت إلى شاطئ البحر انظر إلى جهة الغرب التي ذكر أهل البلد أن ميرتهم تأتي إليهم من تلك الجهة فرأيت شبحاً من بعيد يتحرك فسألت من شيخ من أهل البلدة وقلت له: هل يكون في البحر طيراً أبيض؟.

فقال لي: لا فهل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم، فاستبشروا وقالوا: هذه المراكب التي تأتي إلينا في كل سنة من بلاد أولاد الإمام عليه السلام فما كان إلا قليل حتى قدمت تلك المراكب وعلى قولهم أن مجيئها كان في غير الميعاد، فقدم مركب كبير وتبعه آخر وآخر حتى كملت سبعاً فصعد من المركب الكبير شيخ مربوع القامة بهي المنظر حسن الزي ودخل المسجد فتوضأ الوضوء الكامل على الوجه المنقول عن أئمة الهدى عليهم السلام وصلى الظهرين فلما فرغ من صلاته التفت نحوي مسلماً عليّ فرددت عليه فقال لي: ما اسمك وأظن أن اسمك علي؟ قلت: صدقت، فحادثني محادثة من يعرفني فقال: اسم أبيك ويوشك أن يكون فاضلاً؟ قلت: نعم، ولم أكن أشك في أنه قد كان في صحبتنا من دمشق الشام إلى مصر فقلت أيها الشيخ: ما أعرفك بي وبأبي هل كنت معنا حيث سافرنا من دمشق الشام إلى مصر؟ فقال: لا، قلت: ولا من مصر إلى الأندلس؟ قال: لا ومولاي صاحب العصر، قلت له: ومن أين تعرفني باسمي واسم أبي؟.

قال: اعلم إنه قد تقدم إليّ وصفك وأصلك ومعرفة اسمك وشخصك وهيئتك واسم أبيك «رحمه الله» وأنا أصحبك معي إلى الجزيرة الخضراء، فسررت بذلك حيث قد ذكرت ولي عندهم اسم، وكان من عادته انه لا يقيم عندهم إلا ثلاثة أيام فأقام أسبوعاً وأوصل الميرة إلى أصحابها المقررة لهم، فلما أخذ منهم خطوطهم بوصول المقرر لهم عزم على السفر وحملني معه وسرنا في البحر، فلما كان اليوم السادس عشر من مسيرنا في البحر رأيت ماء أبيض فجعلت أطيل النظر إليه فقال لي الشيخ واسمه محمد: ما لي أراك تطيل النظر إلى هذا الماء؟.

فقلت له: إني أراه على غير لون ماء البحر فقال لي: هو البحر الأبيض وتلك الجزيرة الخضراء وهذا الماء مستدير حولها مثل السور أي من أي الجهات أتيته وجدته وبحكمة الله تعالى أن مراكب أعدائنا إذا دخلته غرقت وإن كانت محكمة ببركة مولانا وإمامنا صاحب العصر عليه السلام فاستعملته وشربت منه فإذا هو كماء الفرات.

ثم إنا قطعنا ذلك الماء الأبيض ووصلنا إلى الجزيرة الخضراء لا زالت عامرة آهله، ثم صعدنا من المركب الكبير إلى الجزيرة ودخلنا البلد فرأيته محصناً بقلاع وأبراج وأسوار سبعة واقعة على شاطئ البحر ذات أنهار وأشجار مشتملة على أنواع الفواكه والأثمار المنوعة، وفيها أسواق كثيرة وحمامات عديدة وأكثر عمارتها برخام سفاف، وأهلها في أحسن الزي والبهي، فاستطار عقلي سروراً لما رأيته، ثم مضى بي رفيقي محمد بعدما استرحنا في منزله إلى الجامع المعظم فرأيت فيه جماعة كثيرة وفي وسطهم شخص جالس عليه المهابة والسكينة والوقار ما لا أقدر أصفه والناس يخاطبونه بالسيد شمس الدين محمد العالم ويقرأون عليه في القرآن والفقه والعربية بأقسامها، وأصول الدين والفقه الذي يقرأونه عن صاحب الأمر عليه السلام مسألة مسألة وقضية قضية وحكماً حكماً، فلما مثلت بين يديه رحب بي وأجلسني في القرب منه وأحفى السؤال عن تعبي في الطريق وعرفني أنه تقدم إليه كل أحوالي وأن رفيقي الشيخ محمد إنما جاء بي بأمر من السيد شمس الدين العالم «أطال الله بقاه» ثم أمر بتخلية موضع منفرد في زاوية من زوايا المسجد وقال لي: هذا يكون لك إذا أردت الخلوة والراحة، فنهضت ومضيت إلى ذلك فاسترحت فيه إلى وقت العصر وإذا أنا بالموكل بي قد أتى إليّ وقال لي:

لا تبرح من مكانك حتى يأتيك السيد«سلمه الله تعالى» وقد أقبل ومعه أصحابه فجلسوا ومدت المائدة فاكلنا ونهضنا إلى المسجد مع السيد الأجل صلاة المغرب والعشاء، فلما فرغنا من الصلاتين ذهب السيد إلى منزله ورجعت إلى مكاني وأقمت على هذه الحالة مدة ثمانية عشر يوماً ونحن في صحبته «أطال الله بقاه» فأول جمعة صلينا معهم رأيت السيد صلى الجمعة ركعتين فريضة واجبة؟ فلما انقضت الصلاة قلت: يا سيدي رأيتكم صليتم الجمعة ركعتين فريضة واجبة؟ قال: نعم لأن شروطها المعلومة قد حضرت ووجبت، فقلت في نفسي: ربما كان الإمام عليه السلام حاضراً ثم في وقت آخر سألت عنه في الخلوة هل كان الإمام حاضراً؟.

فقال: لا ولكني أنا النائب الخاص بأمر صدر عنه عليه السلام فقلت: يا سيدي وهل رأيت الإمام عليه السلام؟ قال: لا ولكن حدثني أبي «رحمه الله» إنه سمع حديثه ورأى شخصه، فقلت له: ولم ذلك يا سيدي يختص بذلك رجل دون آخر؟ فقال: يا أخي إن الله سبحانه وتعالى يؤتي الفضل من يشاء من عباده وذلك بحكمة بالغة وعظمة قاهرة كما أن الله اختص من عباده الأنبياء والمرسلين والأوصياء المنتجبين فجعلهم أعلاماً لخلقه وحججاً على بريته ووسيلة بينهم وبينه ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ولم يخل أرضه بغير حجة على عباده، ولا بد لكل حجة من سفير يبلغ عنه.

ثم إن السيد «سلمه الله تعالى» أخذ بيدي إلى خارج مدينتهم وجعل يسير معي نحو البساتين فرأيت فيها أنهاراً جارية وبساتين كثيرة مشتملة على أنواع الفواكه عظيمة الحسن والحلاوة من العنب والرمان والكمثري وغيرها ما لم أرها في العراقين ولا في الشامات كلها، فبينما نحن نسير من بستان إلى آخر إذ مر بنا رجل بهي الصورة مشتمل ببردتين من صوف أبيض، فلما قرب منا سلم علينا وانصرف عنا فأعجبتني هيئته فقلت للسيد سلمه الله: من هذا الرجل؟ قال لي: انظر إلى هذا الجبل الشاهق، قلت: نعم.

قال: إن في وسطه لمكان حسن وفيه عين جارية تحت شجرة ذات اغصان كثيرة وعندها قبة مبنية بالآجر وإن هذا الرجل مع رفيق له خادمان لتلك القبة وأنا أمضي إلى هناك في كل صباح جمعة وأزور الإمام عنها منها وأصلي ركعتين وأجد هناك ورقة مكتوباً فيها ما احتاج إليه من المحاكمة بين المؤمنين، فمهما تضمنته الورقة اعمل بها فينبغي لك أن تذهب إلى هناك وتزور الإمام عليه السلام من القبة، فذهبت إلى الجبل فرأيت القبة على ما وصف لي «سلمه الله تعالى» ووجدت هناك خادمين فرحب بي الذي مر علينا وأنكرني الآخر فقال له: لا تنكره فإني رأيته في صحبة السيد شمس الدين العالم، فتوجه إليّ ورحب بي وحادثاني وأتياني بخبز وعنب فأكلت وشربت من ماء تلك العين التي عند تلك القبة وتوضأت وصليت ركعتين وسألت الخادمين عن رؤية الإمام، فقالا لي: الرؤية غير ممكنة إذ ليس معنا إذن في إخبار أحد، فطلبت منهما الدعاء فدعيا لي وانصرفت عنهما ونزلت من ذلك الجبل إلى أن وصلت إلى المدينة، فلما وصلت إليها ذهبت إلى دار السيد شمس الدين العالم فقيل لي: إنه خرج في حاجة له، فذهبت إلى دار الشيخ محمد الذي جئت معه في المركب فاجتمعت به وحكيت له عن مسيري إلى الجبل واجتماعي بالخادمين وإنكار الخادم عليّ، فقال لي: ليس لأحد رخصة في الصعود إلى ذلك المكان سوى السيد شمس الدين وأمثاله فلهذا وقع الإنكار منه عليك فسألته عن أحوال السيد شمس الدين«أدام الله أفضاله» فقال: إنه من أولاد الإمام عليه السلام وإن بينه وبين الإمام خمسة آباء وأنه النائب الخاص عن أمر صدر منه.

قال الشيخ الصالح زين الدين علي بن فاضل المازندرانين المجاور بالغري «على مشرفه السلام» واستأذنت السيد شمس الدين «أطال الله بقاء» في نقل بعض المسائل الذي يحتاج إليها عنه وقراءة القرآن المجيد ومقابلة المواضع المشكلة من العلوم الدينية وغيرها فأجاب إلى ذلك وقال: إذا كان ولا بد من ذلك فابدأ أولاً بقراءة القرآن العظيم، فكان كلما قرأت شيئاً فيه خلاف بين القرآن أقول: قرأ حمزة كذا وقرأ الكسائي وقرأ عاصم كذا وأبو عمرو وابن كثير كذا فقال السيد: نحن لا نعرف هؤلاء وإنما القرآن نزل على سبعة أحرف قبل الهجرة من مكة إلى المدينة وبعدها لما حج رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع نزل عليه الروح الأمين جبرائيل عليه السلام فقال:

يا محمد اتل عليّ القرآن حتى أعرفك أوائل السور وأواخرها وشأن نزولها فاجتمع إليه علي

بن أبي طالب وولداه الحسن والحسين عليهما السلام وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري وحسان بن ثابت وجماعة من الصحابة «رضي الله عن المنتجبين منهم» فقرأ النبي صلى الله عليه وآله القرآن من أوله إلى آخره، فكان كلما مرّ بموضع فيه اختلاف بينه له جبرائيل وأمير المؤمنين عليه السلام يكتب ذلك في درج من أدم، فالجميع قراءة أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين فقلت له: يا سيدي أرى بعض الآيات غير مرتبطة بما قبلها وبما بعدها وكان فهمي القاصر لم يصل إلى غرويه ذلك؟.

فقال: نعم الأمر كما رأيته وذلك لما انتقل سيد البشر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله من دار الفناء إلى دار البقاء وفعلا صنما قريش ما فعلاه من غصب الخلافة الظاهرة جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن كله ووضعه في أزار وأتي به إليهم وهو في المسجد فقال لهم: هذا كتاب الله سبحانه أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أعرضه إليكم بقيام الحجة عليكم يوم العرض بين يدي الله تعالى، فقال له فرعون هذه الأمة ونمرودها: لسنا محتاجين إلى قراءتك.

فقال له عليه السلام: قد اخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله بقولك هذا وإنما أردت بذلك إلقاء الحجة عليكم، فرجع أمير المؤمنين عليه السلام به إلى منزله وهو يقول: لا آله إلا أنت وحدك لا شريك لك لا راد لما سبق في علمك ولا مانع لما اقتضته حكمتك فكن أنت الشاهد لي عليهم يوم العرض عليك، فنادى ابن أبي قحافة بالمسلمين، وقال لهم: كل من عنده قرآن من آية أو سورة فليأت بها، فجاءه أبو عبيدة بن الجراح وعثمان وسعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله وأبو سعيد الخدري وحسان بن ثابت وجماعات المسلمين وجمعوا هذا القرآن واسقطوا مما كان فيه من المثالب التي صدرت منهم بعد وفاة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، فلهذا ترى الآيات غير مرتبطة، والقرآن الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بخطة محفوظ عند صاحب الأمر عليه السلام فيه كل شيء حتى أرش الخدش، وأما هذا القرآن فلا شك ولا شبهة في صحته وأنه كلام الله سبحانه هكذا صدر عن صاحب الأمر عليه السلام.

قال الشيخ الفاضل علي بن فاضل: ونقلت عن السيد شمس الدين «حفظه الله تعالى» مسائل كثيرة تنوف على تسعين مسألة وهي عندي جمعتها في مجلد واحد وسميتها بالفوائد الشمسية ولا اطلع عليها إلا الخلص من المؤمنين وستراه إن شاء الله، فلما كانت الجمعة الثانية وهي الوسطى من جمع الشهر وفرغنا من الصلاة وجلس السيد «سلمه الله تعالى» في مجلس الإفادة للمؤمنين وإذا ؟أنا أسمع هرجاً ومرجاً وجزلة عظيمة خارج المسجد فسألت من السيد عما سمعته فقال لي: إن أمراء عسكرنا يركبون في كل جمعة من وسط كل شهر وينتظرون الفرج، فاستأذنته في النظر إليهم فأذن لي فخرجت لرؤيتهم وإذا هم جمع كثير يسبحون الله ويحمدونه ويهللونه جل وعز ويدعون الفرج للإمام القائم بأمر الله والناصح لدين الله محمد بن الحسن المهدي الخلف الصالح صاحب الزمان عليه السلام ثم عدت إلى مسجد السيد «سلمه الله تعالى» فقال لي: رأيت العسكر؟.

فقلت: نعم، قال: فهل عددت أمراءهم؟ فقلت: لا، قال: عدتهم ثلاثمائة ناصر وبقي ثلاثة عشر ناصراً ويعجل الله لوليه الفرج بمشيئته أنه جواد كريم، فقلت: يا سيدي ومتى يكون الفرج؟.

فقال: يا أخي إنما العلم عند الله والأمر متعلق بمشيئته سبحانه وتعالى حتى أنه ربما كان الإمام عليه السلام لا يعرف ذلك بل له علامات وإمارات تدل على خروجه من جملتها أن ينطق ذو الفقار بأن يخرج من غلافه ويتكلم بلسان عربي مبين: قم يا ولي الله على اسم الله فاقتل أعداء الله، ومنها ثلاثة أصوات يسمعها الناس كلهم: الصوت الأول أزفة الآزفة يا معشر المؤمنين، والصوت الثاني ألا لعنة الله على القوم الظالمين لآل محمد، والثالث يظهره الله فيرى في قرن الشمس يقول: إن الله بعث صاحب الأمر محمد بن الحسن المهدي عليه السلام فاسمعوا له وأطيعوا، فقلت: يا سيدي قد روينا عن مشايخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر عليه السلام أنه قال لما أمر بالغيبة الكبرى: من رآني بعد غيبتي فقد كذب، فقال: فيكم من يراه؟ فقال: صدقت أنه عليه السلام إنما قال ذلك في ذلك الزمان لكثرة أعدائه من أهل بيته وغيرهم من فراعنة بني العباس حتى أن الشيعة يمنع بعضها بعضاً عن التحدث بذكره، وفي هذا الزمان تطاولت المدة وأيس منه الأعداء وبلادنا نائية عنهم وعن ظلمهم وعتاتهم، وببركته عليه السلام لا يقدر أحد من الأعداء على الوصول إلينا، قلت: يا سيدي قد روت علماء الشيعة حديثاً عن الإمام عليه السلام أنه أباح الخمس لشيعته فهل رويتم عنه ذلك؟

قال: نعم إنه رخص وأباح الخمس لشيعته من ولد علي عليه السلام وقال: هم في حل من ذلك، فقلت: وهل رخص للشيعة أن يشتروا الإماء والعبيد من سبي العامة؟ قال: نعم ومن سبي غيرهم لأنه عليه السلام قال: عاملوهم بما عاملوا به أنفسهم، وهاتان المسألتان زائدتان على المسائل التي سميتها لك.

وقال السيد «سلمه الله تعالى» أنه عليه السلام يخرج من مكة بين الركن والمقام في سنة وتر فليرتقبها المؤمنون، فقلت: يا سيدي قد أحببت المجاورة عندكم إلى أن يأذن الله لي بالفرج، فقال لي: اعلم يا أخي أنه تقدم إليّ كلام بعودك إلى وطنك ولا يمكنني وإياك المخالفة لأنك ذو عيال وغبت عنهم مدة مديدة ولا يجوز لك التخلف عنهم بأكثر من هذا، فتأثرت من ذلك فبكيت وقلت: يا مولاي وهل يجوز المراجعة في أمري؟ قال: لا، قلت: يا مولاي وهل تأذن لي أن أحكي كل ما رأيته وسمعته؟

قال: لا بأس بأن تحكي المؤمنين لتطمئن قلوبهم إلا كيت وكيت وعين ما لا أقوله، فقلت: يا سيدي أما يمكن النظر إلى جماله وبهائه عليه السلام؟ قال: لا ولكن اعلم يا أخي إن كل مؤمن مخلص يمكن أن يرى الإمام ولا يعرفه، فقلت: يا سيدي أنا من جملة عبيده المخلصين ولا رأيته، فقال لي: بل رأيته مرتين مرة لما أتيت إلى سر من رأى وهي أول مرة جئتها وسبقك أصحابك وتخلفت منهم حتى وصلت إلى نهر لا ماء فيه فحضر عندك فارس على فرس شهباء

وبيده رمح طويل وله سنان دمشقي، فلما رأيته خفت على ثيابك فلما وصل إليك قال: لا تخف اذهب إلى أصحابك فإنهم ينتظرونك تحت تلك الشجرة، فاذكرني والله ما كان فقلت: قد كان ذلك يا سيدي، قال: والمرة الأخرى حين خرجت من دمشق تريد مصراً مع شيخك الأندلسي وانقطعت عن القافلة وخفت خوفاً شديداً فعارضك فارس على فرس غراء محجلة وبيده رمح أيضاً وقال لك: سر ولا تخف إلى قرية على يمينك ونم عند أهلها الليلة وأخبرهم بمذهبك الذي ولدت عليه ولا تبق منهم فإنهم مع قرى عديدة جنوبي دمشق مؤمنون مخلصون يدينون بدين علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرين المعصومين من ذريته عليهم السلام أكان ذلك يابن فاضل؟

قلت: نعم وذهبت عند أهل القرية ونمت عندهم فأعزوني وسألتهم عن مذهبهم فقالوا لي من غير تقية مني: نحن على مذهب أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين من ذريته عليهم السلام، فقلت لهم: من أين لكم هذا المذهب ومن أوصله إليكم؟ قالوا: أبو ذر الغفاري رضي الله عنه حين نفاه عثمان إلى الشام ونفاه معاوية إلى أرضنا هذه فعمتنا بركته، فلما أصبحت طلبت منهم اللحوق بالقافلة فجهزوا معي رجلين ألحقاني بها بعد أن صرحت لهم بمذهبي فقلت له: يا سيدي هل يحج الإمام عليه السلام في كل مدة بعد؟ قال لي: يابن فاضل الدنيا خطوة مؤمن فكيف بمن لم تقم الدنيا إلا بوجوده ووجود آبائه عليهم السلام نعم يحج في كل عام ويزور آباءه في المدينة والعراق وطوس «على مشرفها السلام» ويرجع إلى أرضنا هذه.

ثم إن السيد شمس الدين حث علي بعدم التأخير بالرجوع إلى العراق وعدم الإقامة في بلاد المغرب وذكر لي أن دراهمهم مكتوب عليها: لا آله إلا الله محمدّ رسول الله علي ولي الله محمد بن الحسن القائم بأمر الله وأعطاني السيد منها خمسة دراهم وهي محفوظة عندي للبركة، ثم إنه «سلمه الله» وجهني مع المراكب التي أتيت معها إلى أن وصلنا إلى تلك البلدة التي أول ما دخلتها من أرض البربر وكان قد أعطاني حنطة وشعيراً فبعتها في تلك البلدة بمائة وأربعين ديناراً ذهباً من معاملة بلاد المغرب، فتوجهت منها إلى طرابلس من مدن المغرب ولم أجعل طريقي على الأندلس امتثالاً لأمر السيد شمس الدين العالم«أطال الله بقاه» وسافرت منها مع الحاج المغربي إلى مكة شرفها الله تعالى وحججت إلى العراق وأريد المجاورة في الغري «على مشرفها السلام» حتى الممات.

قال الشيخ زين الدين علي بن فاضل المازندراني: ولم أر العلماء الإمامية عندهم ذكر سوى خمسة السيد المرتضى الموسوي والشيخ أبو جعفر الطوسي ومحمد بن يعقوب الكليني وابن بابويه والشيخ أبو القاسم جعفر بن إسماعيل الحلي«قده»، وهذا آخر ما سمعته من الشيخ الفاضل التقي والصالح الزكي علي بن فاضل المذكور «أدام الله أفضاله وكثر من علماء الدهر وأتقيائه أمثاله» والحمد لله أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على خير خلقه سيد البرية محمد وعلى آله الطاهرين المعصومين وسلم تسليماً كثيراً.

أقول: ولنلحق بتلك الحكاية بعض الحكايات التي سمعتها عمن قرب من زماننا.

فضيلة الأردبيلي

فمنها: ما أخبرني به جماعة عن السيد الفاضل أمير غلام قال: كنت في بعض الليالي في صحن الروضة المقدسة بالغري «على مشرفها السلام» وقد ذهب كثير من الليل فبينما أنا أجول فيها إذ رأيت شخصاً مقبلاً نحو الروضة المقدسة فأقبلت إليه فلما قربت منه عرفت أنه أستاذنا الفاضل العالم الزكي التقي مولانا أحمد الأردبيلي«قده» فأخفيت نفسي عنه حتى أتى الباب وكان مغلقاً فانفتح له عند وصوله إليه ودخل الروضة فسمعته يتكلم كأنه يناجي أحداً ثم خرج وأغلق الباب فمشيت خلفه حتى خرج من الغري وتوجه نحو مسجد الكوفة فكنت خلفه حيث لا يراني حتى دخل المسجد وصار إلى المحراب الذي استشهد أمير المؤمنين عليه السلام عنده ومكث طويلاً ثم رجع وخرج من المسجد وأقبل نحو الغري فكنت خلفه حتى قربت من الجبانة فأخذني سعال لم أقدر على دفعه فالتفت إليّ فعرفني وقال: أنت مير غلام؟ قلت: نعم قال: ما تصنع هاهنا؟

قلت: كنت معك حيث دخلت الروضة المقدسة إلى الآن وأقسم عليك بحق صاحب هذا القبر أن تخبرني بما جرى عليك في هذه الليلة من البداية إلى النهاية؟.

فقال: أخبرك على أن لا تخبر به أحداً ما دمت حياً فلما توثق ذلك مني قال: كنت أفكر في بعض المسائل وقد أغلقت علي فوقع في قلبي أن آتي أمير المؤمنين عليه السلام وأسأله عن ذلك فلما وصلت إلى الباب فتح لي بغير مفتاح كما رأيت ودخلت الروضة وابتهلت إلى الله سبحانه في أن يجيبني مولاي عن ذلك، فسمعت صوتاً من القبر أن ائت مسجد الكوفة وأسأل القائم عليه السلام فإنه إمام زمانك فأتيت عند المحراب وسألته عنها وأجبت وها أنا راجع إلى بيتي.

قصة الأمير الاسترابادي

ومنها: ما أخبرني به والدي رحمه الله قال: كان في زماننا رجل شريف كان يقال له أميراً يسمى الاسترابادي، وكان قد حج أربعين حجة ماشياً، وكان قد اشتهر بين الناس أنه تطوى له الأرض فورد في بعض السنين بلدة أصفهان فأتيته وسألته عما اشتهر فيه فقال: كان سبب ذلك أني كنت في بعض السنين مع الحاج متوجهين إلى بيت الله الحرام فلما وصلنا إلى موضع كان بيننا وبين مكة سبعة منازل أو تسعة تأخرت عن القافلة لبعض الأسباب حتى غابت عني وضللت عن الطريق وتحيرت وغلبني العطش حتى أيست من الحياة فناديت: يا صالح أرشدونا إلى الطريق يرحمكم الله فتراءى لي في منتهى البادية شبح فلما تأملته حضر عندي في زمان يسير، فرأيته شاباً حسن الوجه نقي الثياب أسمر على هيئة الشرفاء راكباً على جمل ومعه أداوة فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: أنت عطشان؟.

قلت: نعم، فأعطاني الأداوة فشربت ثم قال: تريد أن تلحق القافلة؟ قلت: نعم، فأردفني

خلفه وتوجهت نحو مكة وكان من عادتي قراءة الحرز اليماني في كل يوم فأخذت في قراءته فقال في بعض المواضع: اقرأ هكذا قال: فما مضى إلاّ زمان يسير حتى قال لي: تعرف هذا الموضع؟ فنظرت فإذا أنا بالأبطح فقال: انزل فلما نزلت رجع وغاب عني فعند ذلك عرفت أنه القائم عليه السلام فندمت وتأسفت على مفارقته وعدم معرفته، فلما كان بعد سبعة أيام أتت القافلة فرأوني في مكة بعدما ايسوا من حياتي فلهذا اشتهرت بطي الأرض، قال الوالد رحمه الله فقرأت عنده الحرز اليماني وصححته واجازني والحمد لله.

قصة الوزير مع أهل البحرين وحيلته بالرمان

ومنها: ما أخبرني به بعض الأفاضل الكرام والثقات الأعلام قال: أخبرني بعض من أثق به يرويه عمن يثق به ويطريه أنه قال: لما كانت بلدة البحرين تحت ولاية الإفرنج جعلوا واليها رجلاً من المسلمين ليكون أدعى إلى تعميرها وأصلح بحال أهلها، وكان هذا الولي من النواصب وله وزير اشد نصباً منه يظهر العداوة لأهل البحرين لحبهم لأهل البيت عليهم السلام ويحتال في إهلاكهم وإضرارهم بكل حيلة، فلما كان في بعض الأيام دخل الوزير على الوالي وبيده رمانة فأعطاها الوالي فإذا مكتوب عليها: «لا آله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله» فتأمل الوالي فرأى الكتابة من أصل الرمانة بحيث لا يحتمل عنده أن يكون من صناعة بشر، فتعجب من ذلك وقال الوزير: هذه آية بينة وحجة قوية على إبطال مذهب الرافضة فما رأيك في أهل البحرين؟.

فقال له: أصلحك الله أن هؤلاء جماعة متعصبون ينكبون عن البراهين وينبغي لك إن تحضرهم وتريهم هذه الرمانة فإن قبلوا ورجعوا إلى مذهبنا كان لك الثواب الجزيل بذلك وإن أبوا إلا المقام على ضلالتهم فخيرهم بين ثلاث إما أن يؤدوا الجزية وهم صاغرون، أو يأتوا بجواب عن هذه الآية البينة التي لا محيص لهم عنها، أو تقتل رجالهم وتسبي نساؤهم وأولادهم وتأخذ الغنيمة من أموالهم، فاستحسن الوالي رأيه وأرسل إلى العلماء والأفاضل الأخيار والنجباء والسادات الأبرار من أهل البحرين وأحضرهم وأراهم الرمانة وأخبرهم بما راى فيهم - ان لم يأتوا بجواب شاف - من القتل والأسر وأخذ الأموال أو أخذ الجزية على وجه الصغار كالكفار، فتحيروا في أمرها ولم يقدروا على الجواب وتغيرت وجوههم وارتعدت فرائصهم فقال كبراؤهم: أمهلنا أيها الأمير ثلاثة أيام لعلنا نأتيك بجواب ترتضيه وإلا فاحكم فيها بما شئت فأمهلهم فخرجوا من عنده خائفين مرعوبين متحيرين، فاجتمعوا في مجلس وأجالوا الرأي في ذلك فاتفق رأيهم على أن يختاروا من صلحاء البحرين وزهادهم عشرة ففعلوا ذلك، ثم اختاروا من العشرة ثلاثة فقالوا لأحدهم:

اخرج الليلة إلى الصحراء واعبد الله فيها واستغث بإمام زماننا وحجة الله علينا لعله يبين لك

ما هو المخرج من هذه الداهية الدهماء، فخرج وبات طول ليلته متعبداً خاشعاً باكياً يدعو الله ويستغيث بالإمام حتى أصبح ولم ير شيئاً فأتاهم وأخبرهم، فبعثوا في الليلة الثانية الثاني منهم فرجع كصاحبه ولم يأتهم بخبر فازداد قلقهم وجزعهم، فاحضروا الثالث وكان تقياً فاضلاً اسمه محمد بن عيسى فخرج الليلة الثالثة حافياً حاسراً للرأس إلى الصحراء وكانت ليلة مظلمة فدعا وبكى وتوسل إلى الله سبحانه وتعالى في خلاص هؤلاء المؤمنين وكشف هذه البلية عنهم واستغاث بصاحب الزمان، فلما كان في آخر الليل إذ هو برجل يخاطبه ويقول: يا محمد بن عيسى ما لي أراك على هذه الحالة ولماذا خرجت في هذه البرية أيها الرجل دعني فإني خرجت لأمر عظيم وخطب جسيم لا أذكره إلا إلى إمامي ولا أشكوه إلا لمن يقدر على كشفه عني.

فقال: يا محمد بن عيسى أنا صاحب الأمر فاذكر لي حاجتك، فقال: إن كنت هو فأنت تعلم حاجتي وقصتي ولا تحتاج أن اشرحها إليك، فقال له: نعم خرجت لما دهمكم من أمر الرمانة وما كتب عليها وما أوعدكم الأمير به.

قال: فلما سمعت ذلك منه توجهت إليه وقلت له: نعم يا مولاي قد تعلم ما أصابنا وأنت إمامنا وملاذنا والقادر على كشفه عنا فقال عليه السلام: يا محمد بن عيسى إن الوزير «لعنه الله» في داره شجرة رمان فلما حملت تلك الشجرة صنع شيئاً من الطين على هيئة الرمانة: وجعلها نصفين وكتب في داخل كل نصف بعض تلك الكتابة ثم وضعها على الرمانة وشدهما عليها وهي صغيرة فأثر فيها وصارت هكذا فإذا مضيتم غداً إلى الوالي فقل له: جئتك بالجواب ولكني لا أبديه إلا في دار الوزير فإذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك ترى فيها غرفة فقل للوالي: لا أجيبك إلا في تلك الغرفة، وسيأتي الوزير عن ذلك وأنت بالغ في ذلك ولم ترض إلا بصعودها، فإذا صعد فاصعد معه ولا تتركه وحده يتقدم عليك، فإذا دخلت الغرفة رأيت كوة فيها كيس أبيض فانهض إليه وخذه فترى فيه تلك الطينة التي عملها لهذه الحيلة، ثم ضعها أمام الوالي وضع الرمانة فيها لينكشف له جلية الحال، وأيضاً يا محمد بن عيسى قل للوالي: إن لي معجزة أخرى وهي أن هذه الرمانة ليس فيها إلا الرماد والدخان، وإن أردت صحة ذلك فأمر الوزير بكسرها فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته، فلما سمع محمد بن عيسى ذلك من الإمام فرح فرحاً شديداً وقبل ما بين يدي الإمام وانصرف إلى أهله بالبشارة والسرور، فلما أصبحوا مضوا إلي الوالي وفعل محمد بن عيسى كلما أمره به الإمام وظهر كلما أخبره، فالتفت الوالي إلى محمد بن عيسى وقال له: من أخبرك بهذه؟.

فقال: إمام زماننا وحجة الله علينا، فقال: ومن إمامكم؟ فأخبره بالأئمة واحداً بعد واحد إلى أن انتهى إلى صاحب الزمان عليه السلام فقال الوالي: مد يدك فأنا أشهد أن لا آله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأن الخليفة من بعده أمير المؤمنين علي عليه السلام ثم أقر بالأئمة إلى آخرهم وحسن ايمانه وأمر بقتل الوزير واعتذر إلى أهل البحرين وأحسن إليهم وأكرمهم، قال: وهذه القصة

مشهورة عند أهل البحرين، وقبر محمد بن عيسى معروف تزوره الناس - انتهى ما أردنا نقله من بحار الأنوار.

يقول جامع هذه الظرائف وناقل هذه اللطائف: قد وقفت في بعض كتب أخرى يتضمن بيان تلك الجزائر العامرة أحببت حكايتها على نحو ما رأيته وهذه صورته؟.

قصة جزر أولاد صاحب الزمان

روى الشريف الزاهد أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن العلوي الحسيني في كتابه بإسناده عن الأجل العالم حجة الإسلام سعيد بن أحمد بن الرضي عن الشيخ الأجل المقري خطير الدين حمزة بن المسيب بن الحارث وأنه حكى في داري بالنظر فيه بمدينة السلام في ثامن عشر شهر شوال سنة أربع وأربعين وخمسمائة قال: حدثني شيخي العالم أبو القاسم عثمان بن عبد الباقي بن أحمد الدمشقي في سابع عشر جمادى الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قال: حدثني الأجل العالم الحجة كمال الدين احمد بن محمد بن يحيى الأنباري بداره بمدينة السلام ليلة الخميس عاشر شهر رمضان سنة ثلاث واربعين وخمسمائة قال:

كنا عند الوزير العزيز عون الدين يحيى بن هبيرة في رمضان بالسنة المقدم ذكرها ونحن على طبقه وعنده جماعة، فلما أفطر من كان حاضراً وتقوض أكثر من حضر أردنا الانصراف فأمرنا بالتمسي عنده، وكان في مجلسه في تلك الليلة شخص لا أعرفه ولم أكن رأيته من قبل ورأيت الوزير يكثر إكرامه ويقرب مجلسه ويصغي إليه ويسمع قوله دون الحاضرين، فتجارينا الحديث والمذاكرة حتى أمسينا وأردنا الانصراف فعرفنا بعض أصحاب الوزير أن الغيث ينزل وأنه يمنع من يريد الخروج، فأشار الوزير أن نتمسى عنده فأخذنا نتحادث فأفضى بنا الحديث حتى تحادثنا في الأديان والمذاهب ورجعنا إلى دين الإسلام وتفرق المذاهب فيه فقال الوزيرة: أقل طائفة مذهب الشيعة وما يمكن أن يكون أكثر منهم في خطتنا هذه وهم الأقل من أهلها، وأخذ يذم أحوالهم ويحمد الله على قلتهم في أقاصي الأرض فالتفت الشخص الذي كان الوزير مقبلاً عليه مصغياً إليه فقال: أدام الله أيامك أحدث بما عندي فيما قد تفاوضتم فيه أو أعزب عنه، فصمت الوزير ثم قال: قل ما عندك.

فقال: خرجت مع والدي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة من مدينتنا وهي المعروفة بالباهية ولها الرستاق الذي تعرفه التجار وعدة ضياعها ألف ومائتا ضيعة في كل ضيعة من الخلق ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وهم قوم من نصارى وجميع الجزائر التي كانت حولهم على مذهبهم ومسير بلادهم عشرون يوماً وكل من في البر وغيرهم نصارى ويتصل بالحبشة والنوبة وكلهم نصارى ويتصل بالبر بر وهم على دينهم، فإن حد هذا كان يملأ كل من في الأرض ولم نصف إليهم إلا فرنج والروم، وغير خفي عليكم من بالشام والحجاز والعراق، واتفق أنا سرنا

في البحر وأوغلنا وتعدينا الجهات التي كنا نصل إليها ورغبنا في المكاسب ولم نزل على ذلك حتى صرنا إلى جزائر عظيمة كثيرة الأشجار مليحة الجدران فيها المدن المدورة والرساتيق، فأول مدينة وصلنا إليها وأرسى الركب فيها وقد سألنا النوخذا: أي شيء هذه الجزيرة؟ فقال: والله إن هذه الجزيرة لم أصل إليها ولا أعرفها وأنا وأنتم في معرفتها سواء.

فلما أرسينا بها وصعد التجار إلى مشرعة تلك المدينة وسألنا ما اسمها فقيل: هي المباركة، فسألنا عن سلطانها وما اسمه فقالوا: اسمه الطاهر، فقلنا: وأين سرير مملكته؟ فقالوا: بالزاهرة، فقلنا: وأين الزاهرة؟

فقالوا: بينكم وبينها عشر ليال في البحر وخمس وعشرون ليلة في البر وهم قوم مسلمون، فقلنا: من يقبض زكاة ما في المركب لنشرع في البيع والابتياع؟ فقالوا: تحضرون عند نائب السلطان، فقلنا: وأين أعوانه؟

فقالوا: لا أعوان له وهو في داره وكل من عليه حق يحضر عنده فيسلم إليه فتعجبنا من ذلك وقلنا: ألا تدلونا عليه، قالوا: بلى، وجاء معنا من أدخلنا داره فرأينا رجلاً صالحاً عليه عباءة وتحته عباءة وهو مفترشها وبين يديه دواة وهو يكتب منها من كتاب ينظر إليه، فسلمنا عليه فرد علينا السلام وحيانا وقال: من أين أقبلتم؟

فقلنا: من كذا وكذا، فقال: كلكم مسلمون؟ فقلنا: لا بل فيها المسلم واليهودي والنصراني، فقال: يزن اليهودي جزيته والنصراني جزيته ويناظر المسلم عن مذهبه، فوزن والدي عن خمسة نصارى عنه وعني وعن ثلاثة نفر كانوا معنا ثم وزن تسعة نفر كانوا يهوداً وقالوا للمسلمين: هاتوا مذهبكم، فشرعوا معه في مذاهبهم فقال: لستم مسلمين وإنما أنتم خوارج وأموالكم تحل للمسلم المؤمن وليس بمسلم من لا يؤمن بالله ورسوله وبالوصي والأوصياء من ذريته حتى مولانا صاحب الزمان عليه السلام فضاقت بهم الأرض ولم يبق إلا أخذ أموالهم، ثم قال لنا: يا أهل الكتاب لا معارضة لكم فيما معكم حيث أخذت الجزية منكم.

فلما عرف أولئك أن أموالهم معرضة للنهب سألوه أن يحملهم إلى سلطانه، فأجاب سؤالهم وتلا: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1] وقلنا للربان: هؤلاء قوم قد عاشرناهم وصاروا رفقة وما نحب أن نتخلف عنهم أينما يكونون نكون معهم حتى نعلم ما يسفر حالهم عنه، فقال الربان: والله ما أعلم هذا البحر أين المسير فيه فاستأجرنا رباناً ورجالاً وقلعنا القلع وسرنا ثلاثة عشر يوماً بلياليها حتى كان قبل طلوع الشمس أو الفجر كبر الربان فقال:

هذه والله أعلام الزاهرة ومنابرها وجدرانها قد بانت، فسرنا حتى تضاحى النهار فقدمنا إلى مدينة لم تر العيون مثلها ولا أحسن منها ولا أخف على القلوب ولا أرق من نسيمها ولا أطيب

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

من هواها ولا أعذب من مائها، وهي راكبة البحر على جبل من صخر أبيض كأنه لون الفضة وعليها سور إلى ما يلي البر والبحر، والأنهار منحرفة في وسطها يشرب منه أهل الدور والأسواق وتأخذ منها الحمامات وفواضل الأنهار ترمى على البحر، ومدى الأنهار فرسخ ونصف أو دونه وفي تحت ذلك الجبل بساتين المدينة وأشجارها ومزارعها عند العيون، وثمار تلك الأشجار لا يرى أطيب منها ولا أعذب، ويرعى الذئب والنعجة عياناً، ولو قصد قاصد تخلية دابته في زرع غيره لما رعته ولا قطعت منه قطعة، ولقد شاهدت السباع والهوام رابضة في غيص في جنب تلك المدينة وبنو آدم يمرون عليها فلا تؤذيهم.

فلما قدمنا المدينة وأرسى المركب فيها وما صحبنا من الشوالي والذبائح من المباركة بشريعة الزاهرة صعدنا فرأينا مدينة عظيمة كثيرة الخلق وسيعة الربقة فيها الأسواق الكثيرة والمعاش العظيم ويرد إليها الخلق من البر والبحر، وأهلها على الحسن قاعدة لم يكن على وجه الأرض من الملل والأديان مثلهم وأمانتهم، حتى أن المتعيش بسوق المدينة يرد إليه من يبتاع منه حاجة إما بالوزن أو بالذراع فيبيعه عليها ثم يقول: يا هذا زن لنفسك واتزن لنفسك وهذه صورة مبايعتهم لا يسمع منهم لغو المقال ولا النميمة ولا يسب بعضهم بعضاً وإذا نادى المؤذن للأذان لا يتخلف منهم متخلف ذكراً كان أو أنثى إلا سعى إلى الصلاة حتى إذا قضيت الصلاة للوقت المفروض رجع كل منهم إلى بيته حتى يكون وقت صلاة أخرى فيكون الحال كما كانت.

فلما دخلنا المدينة وأرسينا بمشرعتها أمر بحضورنا عند السلطان فحضرنا داره ودخلنا إلى بستان صور في وسطه قبة من فضة، والسلطان في تلك القبة وعنده جماعة، وفي باب القبة ساقية تجري فوافينا القبة وقد أقام المؤذن للصلاة فلم يكن أسرع من أن امتلأ البستان بالناس وأقيمت الصلاة وصلى بهم جماعة، فلا والله لم تنظر عيني أخضع لله منه ولا ألين جانباً لرعيته فصلى من صلى مأموماً، فلما قضيت الصلاة التفت وقال: هؤلاء القادمون؟ قلنا: نعم، وكانت تحية الناس له ومخاطبتهم له: يابن صاحب الأمر فقال: على خير مقدم، فقال: أنتم تجار أم ضيفان؟ فقلنا: تجار، فقال: من فيكم المسلم ومن فيكم أهل الكتاب؟ فعرفناه ذلك، فقال: أن للإسلام فرقاً وشعباً فمن أي قبيل أنتم وكان معنا شخص يدعى بالمفرى اسمه آدربهان بن أحمد الأهوازي يزعم انه على مذهب الشافعي فقال: أنا رجل شافعي.

قال: فمن على مذهبك من الجماعة؟ كلنا إلا هذا حسان بن عنب فإنه رجل مالكي، فقال: أنت تقول بالإجماع؟ قال: نعم، قال: إذاً تعمل بالقياس، ثم قال: بالله يا شافعي تلوت ما أنزل يوم المباهلة قال: نعم، قال: ما هو؟

قال قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] فقال: بالله عليك من أبناء الرسول ومن نساؤه ومن نفسه؟

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

فأمسك آدربهان، فقال بالله هل بلغك أو أتاك أن غير الرسول والوصي والبتول والسبطين دخل تحت الكساء؟ قال: لا، فقال: والله لم تنزل هذه الآية إلا فيهم ولا خص بها سواهم، ثم قال: بالله عليك هل تلوت قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١)؟ قال: نعم.

قال: بالله عليك من عنى بذلك؟ فأمسك، فقال: والله ما عنى بها إلا أهلها ثم بسط لسانه وتحدث بحديث أمضى من السهام وأقطع من الحسام، فقطع الشافعي ووافقه عند ذلك، فقال: عفواً عفواً يابن صاحب الأمر انسب لي نسبك، فقال: أنا طاهر بن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الذي أنزل الله فيه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(٢) هو والله الإمام المبين ونحن الذين أنزل الله في حقنا: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣) يا شافعي نحن ذرية الرسول نحن أُلو الأمر، فخر الشافعي مغشيا عليه لما سمع منه ثم أفاق وآمن به فقال: الحمد لله الذي منحني الإسلام والإيمان ونقلني من التقليد إلى اليقين.

ثم أمر لنا بإقامة الضيافة فبقينا على ذلك ثمانية أيام ولم يبق في المدينة أحد إلاجاء إلينا وحادثنا، فلما أنقضت الأيام الثمانية سأله أهل المدينة أن يقوموا لنا بالضيافة ففتح لهم في ذلك، فكثرت الأطعمة والفواكه وعملت لنا الولائم ثم وبقينا في تلك المدينة سنة كاملة فعلمنا وتحققنا أن ملك المدينة مسيرة شهرين وبعدها مدينة اسمها الرائقة سلطانها القاسم ابن صاحب الأمر مسيرة ملكها شهرين وهي على تلك القاعدة ولها دخل عظيم، وبعدها مدينة اسمها الصافية سلطانها إبراهيم ابن صاحب الأمر وبعدها مدينة أخرى اسمها ظلوم سلطانها عبد الرحمن ابن صاحب الأمر مسيرة رستاقها وضياعها شهران، وبعدها مدينة أخرى اسمها عناطيس سلطانها هاشم بن صاحب الأمر وهي أعظم دخله ومسير ملكها أربعة أشهر، فيكون مسيرة هذه المدن الخمس والمملكة مقدار سنة لا يوجد في أهل تلك الخطط والضياع غير الموحد القائل بالبراءة والولاية التي يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، سلاطينهم أولاد إمامهم يحكمون بالعدل وبه يأمرون، وليس على وجه الأرض مثلهم ولو جمع أهل الدنيا لكانوا أكثر عدداً منهم على اختلاف الأديان والمذاهب، ولقد أقمنا عندهم سنة كاملة نترقب ورود صاحب الأمر إليهم، فإنهم زعموا بأنها سنة وروده فلم يوفقنا الله تعالى للنظر إليه.

فأما آدربهان وحسان فإنهما أقاما بالزاهرة يترقبان رؤيته وقد كنا لما استكثرنا هذه المدن وأهلها ودخلنا سألنا عنها فقيل: إنها عمارة صاحب الأمر واستخراجه فلما سمع عون الدين

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سورة يس، الآية: ١٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

نهض ودخل حجرة لطيفة وقد تقضى الليل فأمر بإحضارنا واحداً بعد واحد وقال: إياكم إعادة ما سمعتم وإدراءه على ألفاظكم وتأكد علينا فخرجنا من عنده ولم يعد أحد منا مما سمعه حرفاً واحداً حتى هلك، وكنا إذا حضرنا موضعاً واجتمع أحدنا بصاحبه قال: أتذكر شهر رمضان؟ فيقول: ستر الحلال شرط، فهذا ما سمعته ورويته والحمد لله رب العالمين.

أقول: قد وقع في بعض توقيعاته عليه السلام إلى شيخنا المفيد «قده» اننا باليمن بواد يقال له شمروخ وشمويخ، ولعل هذا هو اسم للمكان الذي يختص به عليه السلام.

شعر: لمحمد رضي الأزري: [البحر الطويل]

أتعجبُ من أصحابِ أحمدَ إذ رضوا ... بتأخيرِ ذي فضلٍ وتقديمِ ذي جهلِ
وأصحابُ موسى في زمانِ حياتهِ ... رضوا بدلاً عن باريءِ الخَلقِ بالعجلِ
ومنْ كشفَ الرحمنُ عن عينهِ العمى ... رأى تي وهاتي حذوا النعلِ بالنعل
وإلاّ أفي علمٍ وبأسٍ ومحتدٍ ... يُداني أخو تيم أخا خاتمِ الرسلِ
وهل قائلٌ في ذاك والأمرُ واحدٌ ... كما العالمُ العلْويُّ والعالمَ السُّفلي

ولهُ أيضاً رحمه الله تعالى: [البحر الطويل]

أبا حسنٍ والدمعُ لا ينقعُ الجوى ... حنانيك هل في الحيّ وردٌ لحايمِ
فجدّي كبا والسيلُ قد بلغَ الزُّبى ... إغاثةُ ملهوفٍ ونجعةُ شايمي
وهل هيَ إلا لو تعطفتَ نظرةٌ ... وحسبُ الرياضِ الهيم جودُ الغمائمِ
أما ومعالٍ قد أقمتَ قناتها ... وذاك يمينٌ برةٌ في الأكارمِ
لأنتَ حسامُ اللهِ في كلِّ مأزقٍ ... وأنتَ سراجُ اللهِ في كلِّ قائمِ
وإنّي وإنْ لم أعطِ مدحك حقَّه ... فلي ثقةٌ في ودِّك المتقادمِ
وإنْ أكُ قد جشَّمتُ نفسيَ خطةً ... بمدحك يعيي نيلها كلُّ ناظمِ
فلستُ لغابِ الليثِ أولَ طارقٍ ... ولستُ للجِّ البحرِ أولَ قاحمِ

ولأخيه محمد كاظم: [البحر الكامل]

يا منْ بدائعُ حسنه قد أبدعتْ ... في العاشقين فأنجدوا وأغاروا
ماذا الذي أغراك أن تقلي فتىً ... تجري بواديك الصّبا فيغارُ

حكاية الأصمعي مع الأعرابي

وحكى الاصمعي قال: مررت في يوم شديد المطر ببعض الطرقات فرأيت رجلاً عليه فرو

مقلوب والمطر قد غمزه فقلت لأصحابي: ألا أضحككم على هذا الأعرابي؟ قالوا: نعم، فقلت: له تدري كيف أنت يا أعرابي؟ قال: لا، فقلت شعراً: [البحر الوافر]

كأنَّكَ كعكةٌ في وسطِ رشٍّ ... أصابَ الرشّ رشاً بعدَ رشٍّ

فقال: تدري كيف أنت؟ قلت: لا، فقال: [البحر الوافر]

كأنَّك بعرةٌ في ثقبِ كبشٍ ... مذلاتٍ وذاك الكبشُ يمشي

فضحكت وقلت له: لعلك تعرف شيئاً من شعر العرب؟ قال: بل العرب تحفظ من شعري، فقلت له: انشدني شيئاً من شعرك فقال: على أي قافية شئت؟ فلم أجد قافية أصعب من قافية الواو فقال شعراً: [البحر السريع]

قومٌ بخاقانٍ عهدناهم ... سقاهمُ اللهُ من النوْ

قلت: نو ماذا؟ فقال: [البحر السريع]

نوُّ السِّماكينِ وريَّاهُما ... برقٌ ترى إيماضه ضوْ

قلت: ضو ماذا؟ فقال: [البحر السريع]

ضوٌّ تلألأ في دُجى ليلةٍ ... حالكةٍ مظلمةٍ لوْ

قلت: لو ماذا؟ فقال: [البحر السريع]

لو مرَّ فيها سائرٌ مدلجٌ ... على هظيمِ الكشحِ منطوْ

قلت: منطو ماذا؟ فقال: [البحر السريع]

منطويَ الكشحِ هظيمَ الحشا ... كالبازِ ينقضُّ من الجوْ

فقلت: جو ماذا؟ فقال: [البحر السريع]

جوُّ السّما والريحُ تهوي به ... مثلَ الرجالِ الحيّ يدعوْ

قلت: يدعو ماذا؟ فقال: [البحر السريع]

يدعوا جميعاً والقنا شرَّعاً ... كفيتُ ما لاقوا ويلقوا

فقلت: يلقوا ماذا؟ فقال: [البحر السريع]

يلقوا بأسيافٍ يمانيةٍ ... فعنْ قليلٍ سوفَ يلقُوا
إنْ كنت لا تفهم ما قلته ... فأنتَ عندي رجلٌ بو

قلت: بو ماذا؟ فقال: وقد قبض مقبض سيفه: [البحر السريع]

البوُّ لا يحجبُ عن أمهِ ... يألفِ قرنانٍ تقمْ أوْ

قال الأصمعي، فسكت، وفي نقل آخر فقلت: أو ماذا؟ قال: [البحر السريع]

أوْ أضرُب الرأسَ بصوانةٍ ... تقولُ في ضربتها قوْ

قال الأصمعي: فخفت أن أقول قو ماذا؟ فيجعل عوض القافية ضربة على رأسي قال الأصمعي: فأخذته إلى منزلي قد بخت أربع دجاجات فلما نضجن جئت بهن إليه فقلت له: أقسمهن علي وعليك وعلى زوجتي وولدي، فقال: أقسمهن زوجاً أو فرداً فقلت: زوجاً، فقال: أنت وزوجتك وولدك دجاجة أربعة والأربعة زوج، وأنا وثلاث دجاجات أربعة والأربعة زوج فأخذت الدجاجة ومضيت فلما كانت في الليلة الثانية أتيت إليه بثلاث دجاجات وقلت له: فأقسمهن فرداً.

فقال: ولدان وأنت وأمهما ودجاجة خمسة فرداً وأنا ودجاجتان ثلاثة والثلاثة فرد، فأخذت الدجاجة ومضيت فلما كان في الليلة الثالثة أحضرت إليه دجاجة فقال: الجناحان للجناحين وناولهما الولدين ثم قال: العجز للعجوز والرأس للرئيس وأنت رأس يا أصمعي والصدر للصدر، فلما كان وقت الانصراف خرجت لأودعه فقال لي: ارجع فخذ ما تركته مكاني، فرجعت فوجدته قد ترك لي دنانير كثيرة فأخذتها وقيل لي بعد ذلك: انه من أولاد الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام.

صحة العمل برواية غير الإمامي

روى الشيخ: قدس الله سره في كتاب الفقيه بسنده فيه عن عبد الله الكوفي خادم الشيخ الحسين بن روح رحمه الله قال: سئل الشيخ يعني أبا القاسم عن كتب ابن أبي العز أقر بعدما ذم وخرجت فيه اللعنة فقيل له: فكيف نعمل بكتبه وبيوتنا منها ملأى؟ فقال: أقول فيها ما قال أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام: خذوا بما رووا وذروا ما رأوا.

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي هذا المنقول: ما نقله الشيخ المشار إليه عن مولانا العسكري عليه السلام قد رواه جماعة من علمائنا الأعلام منهم أنه سئل عليه السلام عن العمل بكتب بني فضال الذين هم من عمد الفطحية؟ فقال: «خذوا بما رووا ودعوا ما رأوا» وفيه حجة واضحة على صحة العمل برواية غير الإمامي إذا لم تكن من منفرداته الباطلة ولا من مخترعاته العاطلة وهو موافق لما عليه أصحابنا المتقدمين وجملة من علمائنا المتأخرين وهو الحق الحقيق بالاتباع والله العالم.

حسن المجالسة

وروي: أنه قال لقمان لأبنه: يا بني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوماً يذكرون الله عز وجل فاجلس معهم، فإنك أن تك عالماً ينفعك علمك ويزيدونك علماً وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله يظلهم برحمة فتعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله تعالى فلا تجلس معهم فإنك أن تك عالماً لا ينفعك علمك وإن تك جاهلاً يزيدونك جهلاً، ولعل الله أن يظلهم بعقوبة فيعمك معهم.

بيان: اختر المجالس على عينك أي على بصيرة منك أبو بعينك، فإن على قد تجيء بمعنى الياء أو رحجها على عينك - كذا ذكره بعض مشايخنا المتأخرين «قده».

بشارة فاخرة للشيعة

بشارة للشيعة وخزي لأعدائهم وشنيعة: روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن محمد بن سليمان عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه أبو بصير وقد حصره النفس فلما أخذ مجلسه قال له أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد ما هذا النفس العالي؟ فقال: جعلت فداك يابن رسول الله كبر سني ودق عظمي واقترب أجلي مع أني لست ادري ما أرد عليه من أمر آخرتي؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد إنك لتقول هذا؟ قلت: جعلت فداك وكيف لا أقول! فقال: يا أبا محمد أما علمت أن الله عز وجل يكرم الشباب منكم ويستحي من الكهول؟! قال: جعلت فداك فكيف يكرم الشباب ويستحي من الكهول؟

فقال: يكرم والله الشباب أن يعذبهم ويستحي من الكهول أن يحاسبهم، قال قلت: جعلت فداك هذا لنا خاصة أم لأهل التوحيد؟ قال فقال: لا والله لكم خاصة دون العالم، قال قلت، جعلت فداك فأنا قد نبزنا بنبز أنكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: الرافضة؟ قال: قلت: نعم.

قال: والله ما هم سموكم به بل الله سماكم به أما علمت يا أبا محمد أن سبعين رجلاً من بني إسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلالهم فلحقوا بموسى عليه السلام لما استبان لهم هذه فسموا في عسكر موسى الرافضة لأنهم رفضوا فرعون وكانوا أشد أهل ذلك العسكر عبادة وأشدهم حباً لموسى وهارون وذريتهما عليهما السلام فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أن أثبت لهم هذا الاسم في ا لتوراة فإني قد سميتهم به ونحلتهم إياه، فأثبت موسى عليه السلام الاسم لهم ثم أدخر الله تعالى لكم هذا الاسم حتى نحلكموه، يا أبا محمد رفضوا الخير ورفضتم الشر، افترق الناس كل فرقة وتشعبوا كل شعبة فانشعبتم مع أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله وذهبتم حيث ذهبوا واخترتم من اختار الله لكم وأردتم من أراد الله، فأبشروا ثم ابشروا فأنتم والله المرحومون المتقبل من محسنكم والمتجاوز عن مسيئكم، من لم يأت الله تعالى بما أنتم عليه يوم القيامة لم يتقبل منه حسنة ولم يتجاوز له عن سيئة، يا أبا محمد فهل سررتك؟

قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: يا أبا محمد إن لله عز وجل ملائكه يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما يسقط الريح الورق في أوان سقوطه، وذلك قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(١) استغفارهم والله لكم دون هذا الخلق، يا أبا محمد فهل سررتك؟ قال قلت: جعلت فداك زدني.

(١) سورة غافر، الآية: ٧.

فقال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾(١) أنكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتا وأنكم لم تبدلوا بنا غيرنا، ولو لم تفعلوا لعيركم الله كما عيرهم حيث يقول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾(٢) يا أبا محمد فهل سررتك؟

قال: قلت: جعلت فداك زدني، قال: يا أبا محمد لقد ذكرنا الله تعالى وشيعتنا وعدونا في آية من كتابه فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٣) فنحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون وشيعتنا أولو الألباب، يا أبا محمد فهل سررتك؟

قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: يا أبا محمد والله ما استثنى الله عزّ وجلّ بأحد من أوصياء الأنبياء ولا أتباعهم ما خلا أمير المؤمنين وشيعته فقال في كتابه وقوله الحق: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾(٤) يعني بذلك علياً وشيعته، يا أبا محمد فهل سررتك؟

قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه إذ يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٥) والله ما أراد بهذا غيركم فهل سررتك يا أبا محمد؟

قال: جعلت فداك زدني، فقال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾(٦) والله ما أراد بهذا إلا الأئمة وشيعتهم، فهل سررتك يا أبا محمد؟

قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(٧) فرسول الله صلى الله عليه وآله في الآية النبيون ونحن في هذا الموضع الصديقون والشهداء وأنتم الصالحون فتمسكوا بالصلاح كما سماكم الله تعالى: يا أبا محمد فهل سررتك؟

قال: قلت: جعلت فداك زدني، قال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه إذ حكى عن عدوكم في النار بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾(٨) والله ما عنى ولا أراد بهذا غيركم صرتم عند هذا العالم أشرار الناس وأنتم والله في الجنة تحبرون وفي النار تطلبون، يا أبا محمد فهل سررتك؟

قال: قلت: جعلت فداك زدني، قال: يا أبا محمد ما من آية نزلت تقود إلى الجنة ولا تذكر

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة الزُمَر، الآية: ٩.
(٤) سورة الدخان، الآية: ٤١-٤٢.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٦) سورة الحجر، الآية: ٤٢.
(٧) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٨) سورة ص، الآيتان: ٦٢-٦٣.

أهلها بخير ألا وهي فينا وفي شيعتنا، وما من آية والله نزلت تذكر أهلها بشر ولا تسوق إلى النار إلا وهي في عدونا ومن خالفنا، فهل سررتك يا أبا محمد؟

قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: يا أبا محمد ليس على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس من ذلك براء، يا أبا محمد فهل سررتك؟ فقال قلت: حسبي.

أحاديث في فضل الشيعة

روي في الكتاب المذكور: بسنده فيه عن الحكم بن جعفر قال: بينا أنا مع أبي جعفر عليه السلام والبيت غاص بأهله إذا أقبل شيخ تيق كأعلى عنزة له حتى وقف على الباب فقال: السلام عليك يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم سكت فقال أبو جعفر: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل الشيخ بوجهه على أهل المحل وقال: السلام عليكم، ثم سكت حتى أجابه القوم جميعاً وردوا عليه السلام، ثم أقبل بوجهه على أبي جعفر عليه السلام وقال: يابن رسول الله ادنني منك جعلني الله فداك فوالله اني لأحبكم وأحب من يحبكم ووالله ما أحبكم وأحب من يحبكم لطمع في دنيا، وإني لأبغض عدوكم وأبرأ منه والله ما أبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه، والله اني لأحل حلالكم وأحرم حرامكم وأنتظر أمركم فهل ترجو لي جعلني الله فداك؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إلي إلي حتى أقعده إلى جنبه ثم قال:

أيها الشيخ إن أبي علي بن الحسين عليه السلام: أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني، فقال له أبي: إن مت ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام ويثلج قلبك ويبرد فؤادك وتقر عينك وتستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين، ولو قد بلغت نفسك هاهنا - وأهوى بيده إلى حلقه - وأن تعش ترى ما يقر الله به عينيك وتكون معنا في السنام الأعلى، فقال الشيخ: كيف قلت يا أبا جعفر؟ فأعاد عليه الكلام، فقال الشيخ: الله أكبر يا أبا جعفر إن أنا مت فأرد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام وتقر عيني ويثلج قلبي ويبرد فؤادي واستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين لو قد بلغت نفسي هاهنا وإن أعش أرى ما يقر الله به عيني فأكون معكم في السنام الأعلى! ثم أقبل الشيخ ينتحب وينشج ها ها ها حتى لصق بالأرض، فأقبل أهل البيت ينتحبون وينشجون لما يرون من حال الشيخ، وأقبل أبو جعفر عليه السلام يمسح بإصبعه الدموع من حماليق عينيه وينفضها، ثم رفع الشيخ رأسه وقال لأبي جعفر عليه السلام: يابن رسول الله ناولني يدك جعلني الله فداك، فناوله يده فقلبها ووضعها على عينيه وخده ثم حسر عن بطنه وصدره فوضع يده على بطنه وصدره ثم قام فقال: السلام عليكم، وأقبل أبو جعفر عليه السلام ينظر في قفاه وهو مدبر ثم أقبل بوجهه على القوم فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، فقال الحكم بن جعفر: لم أر مأتماً قط يشبه ذلك المجلس.

وروي في الكتاب المشار إليه: بسنده فيه عن عبد الله بن الوليد الكندي قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام في زمن مروان فقال: من أنتم؟ قلنا: من أهل الكوفة، فقال: ما من بلدة من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة ولاسيما هذه العصابة، إن الله تعالى هداكم لأمر جهله الناس وأحببتمونا وأبغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس، فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا فاشهدوا على أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يرى ما يقر الله عينيه وأن يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هذا وأهوى بيده إلى حلقه - الحديث.

وروي: أيضاً في الكتاب المشار إليه بسنده فيه عن أبي بصير قال: قلت له: جعلت فداك الراد على هذا الأمر فهو كالراد عليكم؟ فقال: يا أبا محمد من رد عليك هذا الأمر فهو كالراد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الله تعالى، يا أبا محمد أن الميت منكم على هذا الأمر شهيد، قال: قلت: وإن مات على فراشه؟ فقال: أي والله على فراشه حي عند ربه يرزق.

وروى البرقي في المحاسن: باسناده عن زيد بن أرقم عن الحسين بن علي قال: ما شيعتنا إلا صديق شهيد، قال: جعلت فداك أنى يكون ذلك وعامتهم يموتون على فراشهم؟ فقال: أما تتلو كتاب الله في سورة الحديد ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾(١) قال: فقلت: كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله عز وجل قط، قال: لو كان الشهداء ليس منها تقول كان الشهداء قليلاً، قال بعض الفضلاء أقول: كأن الوجه في ذلك أن المؤمن إنما تقبض روحه على حضور من قلبه وتهيئ منه للموت كما أن الشهيد متهيىء للشهادة محضر قلبه للرجل، ولذا سمي شهيد، ووجه آخر هو أن الأعمال إنما هي بالنيات والمؤمن يود دائماً أن لو كان مع إمامه الظاهر في دولة الحق مجاهد مع عدوه ويستشهد في سبيل الله، فيعامل معه على حسب نيته ويثاب ثواب الشهيد، ووجه ثالث وهو أن من رضي أمراً فقد دخل فيه ومن سخط أمراً فقد خرج منه، والمؤمن قد رضي وسلم لإمامه حق الجهاد مع عدوه فكأنه معه.

روى: هذا المعنى بعينه البرقي في محاسنه بإسناده عن الحكم بن عتيبة قال: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج يوم النهروان قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف وقتلنا معك هؤلاء الخوارج، فقال أمير المؤمنين: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد شهدنا في هذا الموقف أناس لم يخلق الله آبائهم ولا أجدادهم بعد، فقال الرجل: وكيف شهدنا قوم لم يخلقوا؟

قال: بل قوم يكونوا في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه ويسلمون لنا فأولئك شركاؤنا فيه حقاً حقاً - انتهى.

وروي في الكافي: أيضاً عن مالك الجهني قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مالك أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفوا وتدخلوا الجنة؟ يا مالك أنه ليس من قوم ائتموا

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٩.

بإمام في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلا انتم ومن كان على مثل حالكم، يا مالك إن الميت والله منكم على هذا الأمر لشهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله.

وروي في الكتاب المذكور: بسنده عن يزيد بن معاوية العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] قال: هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم إلى الجنة واستقبلوا الكرامة من الله تعالى، علموا واستيقنوا أنهم كانوا على الحق وعلى دين الله تعالى، فاستبشروا بمن يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أقول: المراد بالجنة هنا هو وادي السلام والذي تحشر إليه أرواح المؤمنين بعد الموت، فإنه قطعة من جنة عدن كما ورد عنهم عليهم السلام.

وروي فيه أيضاً: بسنده عمن عمرو بن أبي المقدام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: خرجت أنا وأبي حتى إذا كنا بين القبر والمنبر إذا أنا بأناس من الشيعة فسلم أبي عليهم ثم قال: والله إني لأحب رياحكم وأرواحكم فأعينوا على ذلك بورع واجتهاد، فاعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد، ومن أتتم منكم بعبد فليعمل بعمله، أنتم سعيه الله وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقونالآخرون والسابقون في الدنيا إلى ولايتنا والسابقون في الآخرة إلى الجنة، وقد ضمنا لكم الجنة بضمان الله وضمان رسول الله بأعلى درجة الجنة، أكثر أو أحبأ منكم فتنافسوا في فضائل الدرجات انتم الطيبون ونساؤكم الطيبات، كل مؤمنة حوراً عيناً وكل مؤمن صديق، ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: يا قنبر ابشر وبشر واستبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على أمته ساخط إلا الشيعة، إلا وإن لكل شيء غرّاً، وغرّ الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة، إلا وإن لكل شيء ذروة وذروة الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء شرفاً وشرف الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء سيداً وسيد المجالس مجالس الشيعة، ألا وإن لكل شيء إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة، والله لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشباً أبداً، والله لولا ما في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات، ما لهم في الدنيا ولا هم في الآخرة من نصيب، كل ناصب وأن تعبدوا واجتهد فمنسوب إلى هذه الآية: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝﴾[2] كل ناصب خالفهم مجتهد فعمله هباءً منثوراً، شيعتنا ينطقون بنور الله تعالى ومن خالفهم ينطق بنقله، والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلا أصعد الله روحه إلى السماء فيبارك عليها فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنته وفي ظل عرشه فان كان أجلها متأخراً بعث بها مع أمته من الملائكة ليردها إلى الجسد الذي خرجت منه لتكن فيه، والله إن حاجكم وعماركم لخاصة الله تعالى، وإن فقراءكم لأهل الغنى وإن أغنياءكم لأهل القناعة وأنكم كلكم لأهل دعوته وأهل إجابته.

---

(١) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٧٠. (٢) سورة الغاشية، الآيتان: ٣-٤.

وروي فيه أيضاً: بسنده عن عمرو بن المقدام عن أبي عبد الله عليه السلام مثله وزاد فيه: ألا وإن لكل شيء جوهراً وجوهر ولد آدم محمد ونحن وشيعتنا بعدنا حبذا شيعتنا ما أقربهم من عرش الله، والله لولا ما في قلوبهم من الذنوب لسلمت عليهم الملائكة قبلاً، والله ما من عبد يتلو القرآن في صلاته قائماً إلا وله بكل حرف مائة حسنة ولا قرأ في صلاته جالساً إلا وله بكل حرف خمسون حسنة ولا في غير صلاته إلا وله بكل حرف عشر حسنات، وإن للصامت من شيعتنا الأجر من قرأ القرآن عمن خالفه، أنتم والله على فرشكم نيام لكم أجر المجاهدين، أنتم والله في صلاتكم لكم أجر الصافين في سبيله، أنتم والله الذي قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1] إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين عينان في الرأس وعينان في القلب، ألا والخلق كلهم كذلك، ألا إن الله تعالى فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم.

وروي فيه أيضاً: بسنده عن ميسرة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: كيف أصحابك؟ فقلت: جعلت فداك لنحن عندهم شر من اليهود والنصارى والمجوس، وكان متكئاً فاستوى جالساً ثم قال: كيف؟ قلت: والله لنحن عندهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا بالله فقال: والله لا يدخل النار منكم اثنان لا والله ولا واحد، والله أنكم الذين قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾[2] ثم قال: طلبوكم والله في النار فما وجدوا منكم أحداً.

وروي فيه أيضاً: بسنده عن عنبسة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا استقر في النار أهل النار يفقدونكم فلا يرون منكم أحداً فيقول بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار، قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[3] يتخاصمون فيكم كما كانوا يقولون في الدنيا.

وروى فيه أيضاً: عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد إن لله تعالى ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما يسقط الريح من الشجرة في أوان سقوطه، وذلك قول الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾[4] الذين آمنوا والله ما أراد بهذا غيركم.

وروي فيه أيضاً: عن علي بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إذا بلغ المؤمن أربعين سنة آمنه الله من الأدواء الثلاثة البرص والجذام والجنون فإذا بلغ الخمسين خفف الله تعالى حسابه، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الانابة إليه، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين أمر الله تعالى بإثبات حسناته وإلقاء سيئاته، فإذا بلغ التسعين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب أسير الله في أرضه.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧.
(٢) سورة ص، الآية: ٦٢-٦٤.
(٣) سورة ص، الآية: ٦٤.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٥.

وروى: الثقة الجليل علي بن إبراهيم في تفسيره بسنده عن أبي الورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الناس في صعيد واحد حفاة عراة، فيقفون في المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً وتشتد أنفاسهم فيمكثون في ذلك بمقدار خمسين عاماً وهو قول الله عز وجل: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾(١) ثم ينادي مناد من تلقاء العرش: أين النبي الأمي؟ قال: فتقول الناس: قد اسمعت فسم، فينادي: أين نبي الرحمة محمد بن عبد الله، فيتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمام الناس كلهم حتى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة وصنعاء، ثم ينادي صاحبكم - يعني أمير المؤمنين عليه السلام فيتقدم أمام الناس معه ثم يؤذن للناس فيمرون بين وارد للحوض وبين مصروف عنه، فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من ينصرف من محبينا بكى وقال:

يا رب شيعة علي، فيأتيه ملك يقول له: إن الله تعالى يقول: قد وهبتهم لك يا محمد وصفحت لك عن ذنوبهم وألحقتهم بك وبمن كانوا يتوالونه وجعلتهم في زمرتك وأوردتهم حوضك قال أبو جعفر عليه السلام فكم من باك وباكية يومئذ ولا يبقى أحد كان يتولانا ويتبرأ من عدونا إلا كان في حزبنا ومعنا وورد حوضنا.

وروى الصدوق: قدس الله سره بإسناده إلى العسكري عليه السلام قال: قال الإمام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتيقن لا يتمكن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له وهو في شدة علته وعظيم ضيق صدره بما يخلفه من أمواله وعياله وأقتطع دون أمانيه فلم ينلها، فيقول له ملك الموت: ما لك تجزع؟ فيقول: لاضطراب أحوالي واقتطاعي دون أمالي فيقول له ملك الموت: وهل يجزع عاقل من فقد درهم زائف وقد اعتاض عنه بألف ألف ضعف الدنيا، فيقول: لا؟

فيقول له ملك الموت: فانظر فوقك، فيرى درجات الجنان وقصورها التي تقصر دونها الأماني فيقول له ملك الموت: هذه منازلك ونعمك وأموالك وعيالك ومن كان من ذريتك صالحاً فهم هناك معك أفترضى به بدلاً مما هاهنا؟ فيقول: بلى والله، ثم يقول له ملك الموت: انظر فينظر فيرى محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً والطيبين من آلهما في أعلى عليين، فيقول: أو تراهم هؤلاء ساداتك وأئمتك هم هناك جلاسك وأناسك فما ترضى بهم بدلاً مما تفارق هاهنا؟

فيقول: بلى وربي فذلك ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟﴾(٢) هم أمامكم من الأهوال فقد كفيتموه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ على ما تخلفونه من الذراري والعيال والأموال فهذا شاهدتموه في الجنان بدلا منهم ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ هذه منازلكم وهؤلاء أناسكم وجلاسكم ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾(٣).

---

(١) سورة طه، الآية: ١٠٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٣) سورة فصلت، الآيتان: ٣١-٣٢.

وروي: في مكارم الأخلاق عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: رفع القلم عن شيعتنا، فقلت: يا سيدي كيف ذلك؟ قال: لأنهم أخذ إليه العهد بالتقية في دولة بني أمية الباطل يأمن الناس ويخالفون ويكفرون فينا ولا نكفر فيهم ويقتلون بنا ولا نقتل بهم، ما من أحد من شيعتنا ارتكب ذنباً عمداً أو خطأ إلا ناله في ذلك غم يمحص عنه ذنوبه، ولو أنه أتى بذنوب بعدد قطر المطر وبعدد الحصى والرمل وبعدد الشوك والشجر فإن لم ينله في نفسه ففي أهله وماله، فإن لم ينله في أمر دنياه ما يغتم به تخيل له في منامه ما يغتم به فيكون ذلك تمحيصاً لذنوبه.

وروى: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن سعيد في كتاب التمحيص عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما من أحد من شيعتنا يفارق أمراً نهينا عنه فيموت حتى يبتلي ببلية تتمحص بها ذنوبه أما في مال أو ولد وأما في نفسه حتى يلقى الله محبنا وما له ذنب، ولو بقي عليه شيء من ذنوبه يشدد عليه عند موته فتمحص ذنوبه.

وروي أيضاً فيه: عن السابري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني لأرى من أصحابنا من يرتكب الذنوب الموبقة؟ قال: فقال: يا عم لا تشنع على أولياء الله أن ولينا ليرتكب ذنوباً يستحق بها من الله العذاب فيبتليه الله في بدنه بالسقم حتى تمحص عنه الذنوب، فإن عافاه في بدنه ابتلاه في ماله، فإن عافاه في ولده ابتلاه في أهله فإن عافاه في أهله ابتلاه بجار سوء يمحص ذنوبه، فإن عافاه من بوائق الدهر شدد عليه خروج نفسه حتى يلقى الله حين يلقى الله وهو عنه راض قد أوجبت له الجنة.

وروى: فرات بن أحنف قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه من هؤلاء الملاعين فقال: والله لأسوانه في شيعته فقال: يا أبا عبد الله أقبل إلي، فلم يقبل إليه فعادها فلم يقبل إليه ثم أعادها الثالثة فقال: ها أنا ذا مقبل فقل ولن تقل خيراً فقال: إن شيعتكم يشربون النبيذ، فقال: ما بأس بالنبيذ، وأخبرني أبي عن جابر بن عبد الله أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يشربون النبيذ، فقال: ليس النبيذ وإنما أعنيك المسكر فقال: إن شيعتنا أزكى وأطهر من أن يجري للشيطان في أمعائهم رسيس المسكر، فإن فعل ذلك المخذول منهم فيجد رباً رؤوفاً ونبياً بالاستغفار له عطوفاً وولياً عند الحوض ولوفا ثم قال الصادق عليه السلام: أخبرني أبي عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله عز وجل أنه قال: يا محمد أني حرمت الفردوس على جميع النبيين حتى تدخلها أنت وعلي وشيعتكما إلا من اقترف منهم كبيرة فإني أبلوه في ماله أو يخوف من سلطانه حتى تلقاه بالروح والريحان وأنا عليه غير غضبان، فيكون ذلك جزاء لما كان منه فهل عند أصحابك هؤلاء شيء من هذا فلم أودع.

وروى: أبو الصباح الكناني فقال: كنت أنا وزرارة عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: لا تطعم النار أحداً وصف هذا الأمر زرارة أن من يصف هذا الأمر يعمل الكبائر، فقال: لو تدري ما كان أبي يقول في ذلك؟ أنه كان يقول: إذا ما أصاب المؤمن من تلك الموجبات شيء ابتلاه الله تعالى ببلية في جسده أو بخوف يدخله الله عليه حتى يخرج من الدنيا وقد خرج من ذنوبه.

روى: صاحب كتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى وفي غيره أيضاً أنه دخل رسول الله ﷺ على علي بن أبي طالب مسروراً مستبشراً فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: ما رأيتك أقبلت علي في مثل هذا اليوم؟ فقال ﷺ: جئت أبشرك اعلم أن في هذه الساعة نزل علي جبرائيل وقال: الحق يقرئك السلام ويقول: بشر علياً أن شيعته الطائع والعاصي من أهل الجنة، فلما سمع مقالته خرَّ ساجداً ورفع يديه إلى السماء ثم قال: أشهد الله علي أني وهبت لشيعتي نصف حسناتي، فقالت فاطمة عليها السلام أشهد الله علي أني قد وهبت لشيعة علي نصف حسناتي، فقال الحسن عليه السلام مثلما قالا وقال الحسين عليه السلام مثل ذلك وقال النبي ﷺ: كذلك ما أنتم بأكرم مني أشهد علي يا رب أني قد وهبت لشيعة علي نصف حسناتي، وقال الله عز وجل: ما أنتم بأكرم مني أني قد غفرت لشيعة علي ومحبيه ذنوبهم جميعاً.

يقول جامع هذه الطرف وحامل هذه التحف: فإن قيل: إنه قد ورد بإزاء هذه الإخبار ما يعارضها ومما يدل على أن الشيعي من كان عالماً ورعاً تقياً صائماً قائماً وهي مستفيضة متكاثرة؟ قلنا: نعم قد ورد ذلك ولا منافاة فإن ما دل على ذلك محمول على كمل الشيعة وبلوغ الرتبة العليا من التشيع، وما سردناه من الأخبار مما يؤذن بالمنافاة محمول على غير الكامل، وهذا شائع في الكلام حتى في كلام الملك العلام قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١) فإنه لا خلاف لأحد من علماء الإسلام في عدم اشتراط هذه الأوصاف في الإيمان مركباً كان أو بسيطاً، فالآية محمولة على الفرد الأكمل منه وشواهد ما ذكرنا فيما قدمناه من الأخبار ظاهرة سيما الخبر الأخير منها وسابقيه بلا فصل وغيرها فأنها قد تظافرت بأن الله سبحانه يبتلي العاصين من الشيعة في الدنيا بما يمحص به ذنوبهم ولو عند الموت فيشدد عليهم سكراته ليخرجوا من الدنيا ولا ذنب عليهم فيكونون كلهم في الجنة ببركة أئمتهم صلوات الله عليهم.

ويحتمل أيضاً أن يكون مرادهم عليهم السلام بهذه الأخبار زجر الشيعة ومنعهم عن المعاصي، فإنهم عليهم السلام حكماء القلوب فيوقفون شيعتهم العاصين بين حدي اليأس والرجاء، إذ لو تركوهم وهذه الأخبار الدالة على الرجاء خاصة لربما انهمكوا في المعاصي وضربوا صفحاً عن الطاعات اعتماداً على ذلك فربما انجر ذلك - والعياذ بالله - الطبع على القلب فلا يرجع صاحبه إلى خير، ويحصل له بسبب ذلك ما يخرجه عن أصل الإيمان كما ورد في الخبر عنهم عليهم السلام من أن كل مؤمن ففي قلبه نقطة بيضاء فإذا أذنب ذنباً خرجت في تلك النقطة البيضاء نقطة سوداء فإن تاب انمحى ذلك السواد وإن تمادى في المعاصي تزايد ذلك السواد حتى يغطي البياض فلا يتوقع صاحبه إلى خير أبداً وذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾(٢) فإذا زجروهم بهذه الأخبار انزجروا وادكروا وتابوا وأنابوا. وفي بعض تلك الأخبار ما معناه في معنى براءة من

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٢) سورة المطفّفين، الآية: ١٤.

النار: من كان لله مطيعاً كان لنا ولياً ومن كان عدواً وأنهم لا يتكلون على حب علي فإنه لو أحب أحدا رسول الله خيراً من علي لما نفعه حبه إياه شيئاً إذا لم يعمل بطاعة الله سبحانه وتعالى، فإن هذا الخبر وامثاله إنما ينطبق على الوجه الثاني كما لا يخفى.

وبالجملة: فالمستفاد من أخبارهم عليهم السلام أن جملة شيعتهم ومحبيهم في الجنة معهم عليهم السلام ومن عداهم من الجاهلين بهم والمستضعفين ونحوهم فقد استفاضت الأخبار بأنهم من المرجئين لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وربما دل بعض الأخبار على دخولهم الجنة فربما يعذبون ثم يدخلون الجنة بعفو الله ورحمته، وأما المخالفون المنكرون لإمامتهم فهم مخلدون في النار.

قال الفاضل الدواني: بعد نقل حديث «ستفترق أمتي» لا اشتباه في قوله ستفرق لأن السين يجوز حملها على معناه الحقيقي، لأن الاختلاف متراخ عن حياته عليه السلام ويجوز حملها التأكيد فإن ما هو متحقق الوقوع قريب كقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[1] ولا في العدد لأخباره عليه السلام، وما يتوهم من أنه إن حمل على أصول المذهب فهي أقل من هذا العدد وإن حمل ما يشمل الفروع فهي أكثر منه توهماً ولا مستند له لجواز كون الأصول بينها مخالفة مفيدة لهذا العدد، وقد يقال: لعلهم في وقت من الأوقات بلغوا هذا العدد وإن زادوا أو نقصوا في أكثر الأوقات.

ثم قال في قوله: كلها في النار إلا واحدة من حيث الاعتقاد فلا يرد أنه لو أريد الخلود فيها فهو خلاف الإجماع فإن المؤمنين لا يخلدون فيها، وإن أريد مجرد الدخول فهو مشترك بين الفرق إذ ما من فرقة إلا وبعضها عصاة والقول بأن معصية الفرقة الناجية مطلقاً مغفورة بعيد جداً، ولا يبعد أن يكون المراد استقلال مكثهم في النار بالنسبة إلى سائر الفرق ترغيباً في تصحيح الاعتقاد - انتهى.

قال: الفاضل الشيخ إبراهيم سليمان القطيفي الحلي رحمه الله في كتاب الفرقة الناجية بعد نقل ذلك: أقول كلامه هذا بأجمعه ليس منه بصحيح ولا تام، لأنه فسره بكونهم في النار من حيث الاعتقاد وغرضه من ذلك أن المراد العذاب عليه بها في الجملة لا الخلود، معللاً بأنه خلاف الإجماع لأن المؤمنين لا يخلدون. وفيه نظر لأن كون ذلك من حيث الاعتقاد غير مسلم لجواز أن يكون منه ومن العمل معاً، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾[2] سلمنا لكن نفيه الخلود غير مسلم، والإجماع الذي نقله ممنوع فإن جماعة من العلماء ذهبوا إلى أن غير الطائفة المحقة

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٥.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٨٠، ٨١.

كفار وأنهم مخلدون في النار قوله: «لأن المؤمنين لا يخلدون» مسلم لكن الخلاف في المؤمنين، فالشيعة تزعم أن الإيمان إنما يصدق على معتقد الحق من الأصول الخمسة ومنها عندهم إمامة الاثني عشر، وقوله: «أن مجرد الدخول مشترك» ممنوع قوله: «إذ ما من فرقة إلا وبعضها عصاة» مسلم إلا أن قوله: «والقول بأن معصية الفرقة الناجية مطلقاً مغفورة بعيد» ممنوع أشد المنع بل الظاهر ذلك فإنما البعيد استبعاده فإن ظاهر الخبر يقتضيه.

وقوله: «ولا يبعد أن يكون استقلال لبثهم بالنسبة إلى سائر الفرق ترغيباً في تصحيح الاعتقاد» أشد بعداً لأنه خلاف ما يتبادر إليه الفهم من الحديث، والحق أن معنى الحديث إن الفرقة الناجية لا تمسها النار أبداً وغيرها في النار إما خلوداً أو مكثاً من غير خلود في الجميع أو في بعض الخلود وفي بعض المكث من غير خلود، وهو ظاهر الخبر من غير تكلف، ولقولنا: «إن الفرقة الناجية لا تمسها» شاهد من الحديث، ثم ذكر قدس الله سره: ما قدمناه من حديث الحسن بن علي بن شعبة المنقول من كتاب التمحيص والذي بعده من حديث السابري وحديث فرات بن احنف وجملة مما يدخل في هذا الباب - إلى آخر كلامه أفاض الله عليه سوانح إكرامه.

أقول: ومما يؤيد كون المراد بالفرقة الناجية هم الإمامية الاثنا عشرية ما رواه الحافظ الشيرازي نقلاً عن التفاسير الاثني عشر التي من كتبهم حيث قال: تتمة حديث الفرق المشار إليه: فقال أمير المؤمنين عليه السلام فما الفرقة الناجية؟

قال: المتمسك بها أنت وأصحابك، وقد أوردنا الخبر المذكور مع تحقيق لنا في ذلك في آخر هذا الكراس فليراجع فإنه وأضح في المطلوب والمراد لا يقبل التأويل ولا الإيراد.

ومما يدل أيضاً: على خلود ما عدا الفرقة الناجية في النار تنظيره صلى الله عليه وآله بافتراق أمة موسى في ذلك الخبر على إحدى وسبعين فرقة، وأمة عيسى على اثنتي وسبعين فرقة، وإن الناجي من كل الأمتين فرقة واحدة والباقون في النار، فإنه لا ريب في أن الفرقة الناجيه ثمة هي المتبعة للنبي صلى الله عليه وآله ووصيه من بعده العاملين بدينه وشريعته وأن ما عداها فهو في النار على جهة الخلود فكذلك في هذه الأمة، وإلا لم تكن للنظير فائدة، وهذا بحمد الله ظاهر لا سترة عليه.

فيما يتعلق بالعجب

فائدة: قد استفاض في الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام ذم العجب وأنه مهلك كما ورد في جملة منها: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، واعجاب المرء بنفسه» والعجب على ما ذكره بعض المحققين عبارة عن استعظام العمل الصالح واستكثاره والابتهاج به والإدلال به، وأن يرى نفسه خارجاً من حد التقصير وقيل إنه عبارة عن هيئة نفسانية تنشأ من تصور الكمال في النفس والفرح به والركون إليه من حيث إنه قائم به وصفة له مع الغفلة عن قياس النفس إلى الغير بكونها أفضل منه وبهذا القيد ينفصل عن الكبر إذ لا بد في الكبر أن يرى الإنسان لنفسه مرتبة

ولغيره مرتبة ثم زيادة مرتبته على مرتبة الغير، وهذا التعريف أعم من الأول بحمل الكمال فيه على ما هو أعم من أن يكون كمالاً في نفس الأمر أو لم يكن كسوء العلم إذا رآه حسناً فابتهج به، وهو الأنسب بأخبار الباب وأولى، أعم من أن يكون فعله كالأعمال الصالحة أولاً كالصورة الحسنة والنسب الرفيع، والمفهوم من الأخبار أن للعجب مراتب:

منها: أن يزين الشيطان للإنسان سوء عمله فيراه حسناً لعدم التفاته إلى مفاسده الظاهرة بأدنى تأمل وإخراجه نفسه من حد التقصير ويحسب أنه يحسن صنعاً وإليه يشير قوله سبحانه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٢) قال بعض المتأخرين أكثر الجهلة على هذه الصفة فإنهم يفعلون أفعالاً قبيحة عقلاً ونقلاً ويعتادون عليها حتى تصير تلك الأعمال بتسويل أنفسهم وتزيين قرينهم من صفات الكمال عندهم فيذكرونها ويتفاخرون بها ويقولون إنا فعلنا كذا وكذا إعجاباً بشأنهم وإظهار لكمالهم - انتهى.

أقول: ويدخل في هذه المرتبة أصحاب المقالات المبتدعة والأهواء المخترعة المخالفين للشرائع المحقة والخارجين عن النواميس الحقة الداخلين في ذلك بمجرد العقول الحائرة الفاسدة والأوهام البائرة الكاسدة فمن طبع الشيطان على قلبه وأخذ بمجامع عقله ولبه.

ومنها: أن يمن على الله سبحانه بطاعته مع كونها بأقداره سبحانه وتعالى وتوفيقه وتمكينه، وله تعالى المنة فيها وفي غيرها، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾(٣) وعلى هاتين المرتبتين يدل صحيح علي بن سويد عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن العجب الذي بعد الأعمال؟ فقال: العجب درجات: منها أن يزين للسيد سوء عمله فرآه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعا، ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمن على الله ولله فيه المن، ومنها استكثار ما يأتي به من الطاعات واستعظامه، ومنه ما ورد في رواية عمار عن الصادق عليه السلام قال:

أتى عالم عابد فقال: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي من يسأل عن صلاته وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا؟ ! فقال: كيف بكاؤك؟ فقال: أبكي حتى تجري دموعي، فقال له: فإن ضحكت وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدل أن المدل لا يصعد من عمله شيء، وفي مرسلة احمد بن أبي داود عن بعض أصحابنا عن أحدهما عليه السلام صح قال: يدخل المسجد رجلان أحدهما عابد والآخر فاسق فيخرجان من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق، وذلك أنه يدخل العابد مدلاً بعبادته يدل بها فيكون فكرته في ذلك، ويكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه ويستغفر الله عز وجل مما صنع من الذنوب، وفي صحيح أبي عبيد الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال

(١) سورة فاطر، الآية: ٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: إن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيجتهد إلى الليالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له وإبقاء عليه فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه زار عليها، ولو أخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك فيصير العجب إلى التيه بأعماله فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه، حتى يظن أنه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حد التقصير فيتباعد بذلك عني وهو يظن أنه يتقرب إليّ - الحديث.

ولا ريب أن العجب بالمعنيين الأولين مفسد للعمل، بل ربما كان نوعاً من الكفر مع الاعتقاد الجازم، أما بالنسبة إلى الأول فإن اعتقاد سوء العمل حسن مع دلالة الكتاب والسنة على قبحه إبداع في الدين وإن غفل عنه صاحبه اعتماداً على مجرد عقله وانهماكه فيه تبعاً لدواعي نفسه الأمارة، ويرشد إلى ذلك ظاهر الآيتين - خصوصاً الثانية - حيث دلت بأبلغ وجه على أنهم الأخسرون أعمالاً مختصاً بقوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾(١) ومن هنا يعلم صحة ما ذكرنا من دخول المقالات المبتدعة، ويؤيد ما رواه الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾(٢) أنهم النصارى والقسيسون والرهبان وأهل الشبهات والأهواء من أهل القبلة والحرورية وأهل البدع.

وأما بالنسبة إلى الثاني فلأن الاعتقاد بأن له المنة على الله تعالى بشيء من الأعمال لا ينشأ من قلب مؤمن عارف بالله سبحانه أدنى معرفة، لأن من أدناها معرفة أنه الخالق الرزاق ومما يستغرقان جميع النعم أصولاً وفروعاً وإنما ينشأ من كافر مكذب بالإيمان لقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾(٣) أو من مبدع مفوض يعتقد أن الله سبحانه لا يقدر على سلب قدرة العبد على الفعل وقت الفعل وإن كان هو الذي حوله إياه أولاً، وقد عرفت كفر أصحاب البدع مما سبق في الآية المتقدمة، بل استظهر بعض مشايخنا المتأخرين أن مطلق تجويز الخلاف فيما علم بدليل قطعي من كتاب أو سنة كفر وإبداع لأنه لا يتم إلا بإخراج الدليل عن كونه دليلاً، وهي هذه معنى تكذيب الرسل أو المرسل وهو حسن.

وأما العجب بالمعنى الثالث فالظاهر أنه لا يخلو عن إجمال، ووجه التفصيل فيه أنه إن كان استكثارياً يأتي به من الطاعة واستعظامه بالنسبة إلى ما يستحقه سبحانه من الطاعة أو ما لله سبحانه عليه من النعم فهو راجع في التحقيق إلى المعنى الثاني، إذ يلزم منه أن طاعته حينئذ زائدة على مستحقه تعالى فتكون منه منة على الله تعالى، ولا ريب أنه بذلك يمتنع القصد إليها من حيث كونها طاعة له سبحانه مستحقة وأنه أهلها، وإن كان استكثاره ذلك في مقابلة معاصيه بمعنى أن

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ٥٣.

يعتقد أن طاعته زائدة على معاصيه أعم من أن يكون ذلك مطابقاً للواقع كما ربما يتخيل أولاً كما هو المحقق فالظاهر - كما اختاره بعض مشايخنا المتأخرين - أن ذلك لا يقتضي كفراً ولا إبداعاً بل ولا فساد عمل وإن كان خطأ في الأعتقاد ونقصاً في كمال الإيمان لكونه الذنب الذي إذا أذنبه الإنسان استحوذ عليه الشيطان.

قال: ويرشد إلى كونه خطأ هي الإعتقاد موثقه الفضل بن يونس عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لي أكثر من أن تقول: «لا تجعلني من العارين ولا تخرجني من التقصير» قال: قلت: أما العارين فقد عرفت فما معنى لا تخرجني من التقصير؟ قال: كل عمل تعمله تريد به وجه الله عز وجل فكن فيه مقصراً عند نفسك، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيأتيهم وبين الله مقصرون، ويدل على كونه نقصاً في كمال الإيمان لكونه ذنباً مرسلة يونس عن بعض أصحابنا عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بينما موسى عليه السلام جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان فلما دنا من موسى سلم عليه - إلى أن قال:

قال له موسى عليه السلام : أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ فقال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينيه ذنبه، وقال: قال الله عز وجل لداود: بشر المذنبين وأنذر الصديقين أن يعجبوا بأعمالهم، فإنه ليس عبد انصبه للحساب إلا هلك.

وما ورد في أخبار كثيرة من تفضيل العبد حالة الذنب الذي عليه حالة العجب كحسنة عبد الرحمن بن الحجاج قال: إن رجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره فيتراخى عن حاله تلك، فلأن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه، وروايته الأخرى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق ثم يعمل من البر فيدخله شبه العجب به؟ فقال: هو في الحالة الأولى وهو خائف أحسن حالاً منه في حال عجبه.

وحاصل ما ذكر: أن غاية ما يستفاد من الأخبار بالشبه إلى هذا النوع كونه ذنباً موجباً لنقصان كمال الإيمان، ولا دلالة فيها إفساد العمل به بمعنى أنه يوجب القضاء وإن أحبطه وأسقط ثوابه، لأن غايته انه من الذنوب المهلكة المحبطة لاعتقاد خلاف ما هو الواقع من خروجه من حد التقصير فيما يجب عليه، ولا تعلق له بإخلاص الطاعة له سبحانه والتقريب إليه وأداء ما يجب من حقوقه تعالى مثل المعاني المتقدمة، وكان استكثار ذلك بالنسبة إلى أبناء نوعه المشاركين له في ذلك العمل كاستكثار العالم علمه بالنسبة إلى من يشاركه في العلم والعابد عبادته بالنسبة إلى غيره من العباد، وهكذا مع قطع النظر أن يرى نفسه خارجاً بذلك عن حد التقصير، فالظاهر أنه بهذا المعنى لا يكون محرماً ولا مهلكاً فضلاً عن أن يكون مبطلاً وإن أخطأ في ظنه نعم ربما كان ذلك سبيلاً إلى الوقوع في سابق هذه المرتبة من العجب الذي يرى به نفسه خارجاً من حد التقصير.

وربما خطر هذا الخاطر للمعصومين كما ورد في رواية خالد الصيقل عن أبي جعفر عليه السلام

قال: إن الله فوض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين، فلما أن رأى إن الأشياء قد انقادت إليه قال: من مثلي؟ فأرسل الله إليه نويرة من النار، قلت: وما النويرة؟ قال: نار مثل الأنملة فاستقبلها بجميع ما خلق الله فتحللت حتى وصلت إلى نفسه لما دخله العجب.

ومنه أيضاً ما روي عن الرضا عليه السلام في قضية تسور الملكين المحراب على داود وتخاصمهما عنده حيث ظن أن ما خلق الله عز وجل أعلم منه فبعث إليه الملكين فعجل داود على المدعى عليه فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، ولم يسأل المدعي البينة على ذلك، ولم يقبل على المدعي فيقول له: ما يقول، وما رواه أيضاً في شأن موسى عليه السلام في قضية أمره باتباع الخضر عليه السلام من أنه قال في نفسه: ما خلق الله خلقاً أعلم مني، فأوحى الله إلى جبرائيل أدرك موسى فقد هلك وأعلمه أن عند ملتقى البحرين رجلاً أعلم منك فسر إليه وتعلم من علمه فنزل جبرائيل عليه السلام على موسى فأخبره ودل موسى في نفسه أخطأ ودخله الرعب.

وفي آخر أيضاً فبينما موسى قاعد في ملأ من بني إسرائيل إذ قال له رجل: ما أرى أحداً أعلم بالله منك؟ قال موسى: ما أرى فأوحى الله إليه: بل عبدي - الحديث.

وفي وقوعه من هؤلاء عليهم السلام دلالة على عدم التحريم وأنه ليس بذنب لكونهم معصومين من ذلك، وإن سمي بالنسبة إليهم هلاكاً كما في الحديث الأول من حديثي موسى عليه السلام واستوجب مؤاخذته كما في حديث الملك.

بقي هنا شيئان: أنه قد ورد في رواية يونس بن عمار عن الصادق عليه السلام قال: قيل له وأنا حاضر: رجل يكون في صلاته خالياً فيدخله العجب؟ إذا كان أول صلاته يريد بها ربه فلا يضره ما دخله وبعد ذلك فليمض في صلاته ليخسأ الشيطان فإنه ربما أشعر بأن العجب المنافي للإخلاص إنما هو الواقع في ابتداء العمل، وأما الواقع في أثنائه بعد أن يكون افتتاحه على جهة الإخلاص فلا، وهو خلاف الأخبار إذاً لا فرق في إبطاله العمل ومنافاته الإخلاص إذا وقع على أحد تلك المعاني بين الابتداء والإثناء، والظاهر أن المراد بالعجب هنا مجرد الوسوسة التي لا صنع للعباد فيها المسماة بالنزغ في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[1] المأمور بالذكر عنده في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾[2] والمراد من الخبر المذكور أن الصلاة إذا أتيت على نية صحيحة فلا يضره ما دخله بعد ذلك على جهة الوسواس من الشيطان، كما يدل عليه قوله: «وليخسا الشيطان».

وثانيهما أنه ينبغي أن يعلم أنه لا يدخل في باب العجب محبة ظهور الخير له بين الناس وسروره برؤيتهم له كذلك إذا لم يكن ذلك باعثاً له على الفعل، وكذلك مجرد سروره به «أما

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠. (٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

الأول» فلما في حسنة زرارة عن الباقر عليه السلام قال: سألته عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلك؟ قال: لا بأس، ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر له في الناس الخير إذا لم يكن يصنع ذلك لذلك، «وأما الثاني» فلما في رواية أبي العباس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن وفي رواية أخرى عنه عليه السلام حين سئل عن خيار العباد قال: الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤوا استغفروا - الحديث.

قال بعض المحققين: لا ريب أن عمل الأعمال الصالحة مثل صيام النهار وقيام الليالي وأمثال ذلك يحصل لنفسه ابتهاج، فإن كان من حيث كونه عطية من الله ونعمة من الله عليه وكان مع ذلك خائفاً من نقصها مشفقاً من زوالها طالباً من الله الازدياد منها لم يكن ذلك الابتهاج عجباً، وإن كان من حيث كونها صفته وقائمة به ومضافة إليه فاستعظمها وركن إليها ورأى نفسه خارجاً عن حد التقصير بها وصار كأنه يمن على الله سبحانه فذلك هو العجب المهلك - انتهى.

دخل بعض الأعراب على ثعلب النحوي فقال: أنشدني يا إمام الأدب أرق بيت قالته العرب؟ لا أجد أرق من قول جرير: [البحر البسيط التام]

إنّ العيونَ التي في طرفها حورٌ ... قتلننا ثم لا يُحيين قتلانا
يصرعْنَ ذا اللبِّ حتى لا حراك به ... وهنَّ أضعفُ خلقِ اللهِ أركانا

فقال الأعرابي: هذا بيت لاكته السفلة بألسنتها هات غيره، فقال ثعلب: أفدنا مما عندك يا أخا العرب، فقال الأعرابي: قول مسلم بن الوليد صريع الغواني: [البحر الطويل]

نبارزُ أبطالَ الوغى فنقدّهم ... وتقتلُنا في السّلم لحظُ الكواعبِ
وليستْ سهامُ الحربِ تفني نفوسنا ... ولكنْ سهامٌ فوقتْ في الحواجبِ

فقال ثعلب لحضارة: أكتبوها على الحناجر ولو بالخناجر.

في الخبر عنه صلى الله عليه وآله: أن الله جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثيرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالسماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر.

قصة الملك أردشير مع الجارية

لطيفة: نقل ابن الأثير في تاريخ الكامل وصاحب المستطرف: أن أردشير الملك كان ذا مملكة متسعة وقد وصف له بنت مالك بحر الأردن بالجمال البارع فأرسل يخطبها، فامتنع أبوها من إجابته فعظم على أردشير ذلك وحلف ليغزونه وليقتلنه هو وابنته وسائر خواصه، فسار إليه في جيوشه فقاتله وقتله أردشير وقتل سائر خواصه، ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت إليه جارية من

القصر من أجل الناس وأجملهم وأكملهن حسناً فقالت: أيها الملك إني من البلد الفلاني الذي غزاه هذا الملك قبل أن تقتله وأنه أسرني وأتى بي إلى هذا القصر فرأتني ابنته التي خطبتها فأحبتني وسألته أن يتركني لتستأنس بي فتركني لها فكنت أنا وهي كالروحين في جسد واحد، فلما سيرت خطبتها خاف عليها منك فأرسلها إلى بعض جزائر البحر المالح عند بعض أقاربه من الملوك.

فقال أردشير: وددت أني قد ظفرت بها لكنت أقتلها شر قتلة ثم إنه تأمل الجارية فرآها فائقة الجمال فمالت نفسه إليها فأخذها للتسري وقال: هذه أجنبية ولا أحنث في يميني بأخذها، ثم إنه واقعها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدثت معه يوماً ورأته منشرحاً فقالت له: أنت غلبت أبي وأنا غلبتك، فقال لها: ومن أبوك؟

فقالت له: هو ملك بحر الأردن وأنا ابنته التي خطبتها منه وأني سمعت إنك أقسمت لتقتلني فيمن يقتل فاحتججت عليك بما سمعت والآن فهذا ولدك في بطني فلا يهنأ لك قتلي فعظم ذلك على أردشير قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى خلصت من يده، فانتهرها وخرج من عندها مغضباً وعول على قتلها، ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قوياً على قتلها وعرف أنه يخشى أن تتحدث الملوك عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها شفاعة شفيع فقال له: أيها الملك إن الرأي خطر لك والمصلحة هي التي رأيتها وقتل هذه في هذا الوقت أولى من أن يقال: إن امرأة قهرت رأي الملك وأحنثته في يمينه لأجل شهوة النفس، ثم قال: أيها الملك أن صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهي أولى بالستر ولا أرى في قتلها أستر ولا أهون من الغرق.

فقال له الملك: نعم ما رأيت خذها وأغرقها، فأخذها الوزير ثم خرج بالليل إلى بحر الأردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل إلى أن طرح شيئاً في البحر أوهم من كان معه أنها الجارية ثم أخفاها عنده، فلما أصبح جاء إلى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على ما فعل.

ثم إن الوزير دفع الملك حقاً مختوماً قال: أيها الملك أني نظرت مولدي فرأيت أجلي قد دنا على ما يقتضيه حكماء الفرس في النجوم، وأن لي أولاد وعندي مال قد أدخرته من نعمتك فخذه إذا أنامت أن رأيت، وهذا الحق فيه جواهر أسأل الملك أن يقسم على أولادي فإنه إرثي من أبي، وليس عندي شيء لم أكتسبه من نعمتك إلا هذه الجواهر، فقال له الملك: يطول الرب في عمرك ومالك لك ولأولادك سواء كنت حياً أو ميتاً، فألح عليه الوزير أن يودع عنده الحق، فأخذه الملك وأودعه عنده في صندوق، ثم مضت أشهر الجارية فولدت ولداً ذكراً جميل الوجه والخلق، فلاحظ الوزير جانب الأدب في تسمية الولد فسماه «شاه بور» ومعناه بالفارسية ابن ملك، فإن شاه ملك وبور ابن، ولم يزل يلطف بالجارية والولد إلى أن بلغ الولد فعلمه كلما يصلح لأولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم الناس إنه مملوك له اسمه شاه بور، إلى أن راهق البلوغ.

هذا كله وأردشير ليس له ولد وقد طعن في السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير: أيها الوزير قد هرم جسمي وضعف وإني ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه بعدي من قضي له به، فقال الملك: لقد ندمت على تغريق تلك الجارية ولو كنت أبقيتها لتضع فلعل حملها يكون ذكراً، فلما شاهد الوزير منه الرضا قال: أيها الملك أنها عندي وقد وضعت ولداً ذكراً من أحسن الغلمان خلقاً وخلقاً فقال له الملك: أحقاً ما تقول؟

فأقسم الوزير ثم قال: أيها الملك أن في الولد روحانية تشهد بأبوة الأب وفي الولد روحانية تشهد ببنوة الولد لا يكاد ذلك أن يخرم أبداً، وإنني آتي بالغلام بين عشرين صبياً في سنة وهيئته ولباس وكلهم ذو أباء معروفة خلا هو وأعطي كل واحد منهم صولجاناً وأكرة وأمرهم أن يبلغوا بين يديك في مجلسك، هذا والملك يتأمل شمائلهم وصورهم فمن مالت نفسه إليه فهو هو، فقال الملك: نعم ما قلت: فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي إذا ضرب الأكرة وقربت من مجلس أردشير تمنعه الهيبة أن يقدم يأخذها حتى ترمى إليه إلا شاه بور فإنه كان إذا ضربها وجاءت إلى مرتبة أبيه تقدم وأخذها ولا يهابه، فلاحظ أردشير ذلك مراراً فقال له: أيها الغلام ما اسمك؟

فقال: شاه بور، فقال له: صدقت أنت ابني، ثم ضمه إلى صدره وقبله، فقال له الوزير: هو هذا أيها الملك، ثم أحضر أبوه بقية الصبيان ومعهم عدول فأثبت لكل صبي منهم والده بحضرة الملك، فتحقق الصدق.

ثم جاء بالجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يدي الملك فرضي عليها، فقال الوزير: أيها الملك قد دعت الضرورة في هذا الوقت إلى إحضار الحق المختوم، فأمر الملك بإحضاره ففك الوزير ختمه وفتحه ثم أخرج ذكره وأنثييه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك، وأحضر عدولاً من الحكماء كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك أن هذا الفعل فعلناه قبل أن يتسلم الجارية بليلة، فدهش أردشير من فعل الوزير وخدمته ومناصحته وتضاعف سروره بإثبات صيانة الجارية وإثبات إلحاق نسبه بالولد .

ثم إن الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمته إلى أن حضرته الوفاة ورجع الملك إلى ابنه شاه بور بعد موته، وقد نقل هذه الحكاية السيد المحقق السيد نعمة الله الجزائري في شرحه على التهذيب في بيان معنى الثياب السابرية، قال«قده»: السابري - كما قال في الصحاح - ثوب رقيق جداً هو نسبة إلى شاه بور الملك، وهو معرب شاه بور، والبور في الفرس القديم معناه الولد، فشاه بور ولد السلطان، ثم نقل الحكاية المذكورة ومنه نقلنا.

قصة الملك النعمان مع نديميه

لطيفة: روي أنه كان ينادم النعمان بن المنذر رجلان من العرب هما خالد بن المفضل وعمرو بن مسعود الأسديان، فشرب معهما ليلة فراجعاه الكلام فغضب عليهما وأمر بأن يجعلا في تابوتين ويدفنا بظهر الكوفة، فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بصنيعه فقدم وركب حتى وقف عليهما وأمر ببناء الغريين وجعل لنفسه كل سنة يوم نعم ويوم بؤس، وكان يضع سريره بينهما فإذا كان يوم نعمه فأول من يطلع عليه يعطيه مائة من الإبل وإذا كان يوم بؤسه فأول من يطلع عليه يعطيه رأس طربال وهي دويبة منتنة الرائحة ويأمر بقتله ويعزي به قبريهما، وبقي هذا حالة إلى أن كان في سنة يوم بؤسه طلع عليه رجل طائي رماه الدهر بسهام الفقر فخرج في طلب القوت لعياله فسلم الطائي أنه المقتول فقال: حي الله الملك أن لي صبية صغاراً وأهلاً جياعاً خرجت في طلب الرزق لهم فأوقعني سوء الحظ في هذا اليوم العبوس ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فإن رأى الملك أن أوصل إليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروة في الحي لئلا يهلكوا ضياعاً ثم أعود للملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره؟ فرق له النعمان وقال له: لا أذن لك إلا أن يضمنك رجل معنا فإن لم ترجع قتلناه، وكان شريك بن عدي نديم النعمان معه، فالتفت الطائي إلى شريك فقال: اضمني وأنا أرجع قبل الليل.

فقال شريك: أنا ضامنه، فمر الطائي مسرعاً وصار النعمان يقول لشريك: جاء وقتك فتأهب للقتل، فقال له شريك ليس للملك علي سبيل حتى يأتي المساء، فلما قرب المساء قال النعمان: تأهب للقتل.

فقال شريك: هذا شخص قد لاح من بعيد مقبلاً وأرجو أن يكون الطائي وإلا فامرك ممتثل، فبينما هم كذلك وإذا بالطائي قد اشتد في عدوه مسرعاً حتى وصل فقال: خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي فعدوت ثم وقف قائماً وقال: أيها الأمير مر بأمرك، فأطرق النعمان برأسه إلى السماء فقال: ما رأيت بأعجب منك أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يقوم فيه ولا ذكراً يفتخر به، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء فلا أكون أنا ألأم الثلاثة، ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي كرماً لوفاء الطائي وكرم شريك، فقال النعمان للطائي: ما حملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك؟ فقال: ديني من لا وفاء له لا دين له فأحسن له النعمان ووصله.

أقول: هذا هو الأصل في التسمية بالغريين إلا أنه الآن اشتهر بالغري.

الفرقة الناجية من الفرق الإسلامية

فائدة: روى فخر المحققين عن والده العلامة «قده» قال: حكى لنا والدي عن أفضل المتأخرين الخواجة نصير الحق والدين الطوسي «طيب الله ثراه» قال: إني وقفت على جميع

المذاهب أصولها وفروعها فوجدت من عدى الإمامية مشتركين في الأصول المعتبرة في الإيمان وإن اختلفوا في أشياء تساوي أثباتها ونفيها بالنسبة إلى الإيمان، ثم وجدت أن طائفة الأمامية يخالفون الكل في أصولهم، فلو كانت فرقة من عداهم ناجية لكان الكل ناجين، فيدل على أن الناجين هم الإمامية لا غير - انتهى.

قال: الفاضل المحدث السيد نعمة الله الجزائري بعد نقل ذلك وتحريره: أن جميع الفرق متفقون على أن مشاعر النجاة ودخول الجنة هو الإقرار بالشهادتين، وخالفهم الإمامية وقالوا: لا بد من ضم ولاية أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم وهي التي يدور عليها النجاة والهلاك، قال وأجاب نصير الدين والملة الطوسي جواباً آخر حيث قال: إنه صلى الله عليه وآله عين الفرقة الناجية والهالكة في حديث أو صحيح متفق عليه، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» وهذا الحديث متفق عليه رواه الجمهور من طرق متعددة والإمامية، وهم مختصون بركوب هذه السفينة لأنهم أخذوا مذهبهم عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ولقب مذهبهم بالجعفري، وهو أخذه عن أبيه باقر العلوم، وهو أخذه عن أبيه زين العابدين، وهو أخذه عن أبيه سيد الشهداء، وهو أخذه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو أخذه عن أخيه وابن عمه رسول الثقلين صلى الله عليه وآله، وهو أخذه عن جبرائيل عليه السلام وهو أخذه عن رب العزة جل شأنه، وكل فرقة غيرهم أخذت دينها عن إمامها كأصحاب أبي حنيفة وأصحاب الشافعي وأصحاب أحمد بن حنبل وأصحاب المالكي، وهذا ظاهر لا يحتاج إلى البيان، على أن الحديث روي بعدة أسانيد هكذا.

قال صلى الله عليه وآله: «افترقت أمة موسى على أحد وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي اتبعت خليفته يوشع بن نون، وافترقت أمة عيسى على إثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي اتبعت وصيه شمعون، وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي تتبع وصيي علياً» - انتهى كلامه زيد مقامه.

يقول ناظم هذه الدرر ومطرز هذا الخبر: قد وقع لي تحقيق في هذا المقام قبل الوقوف على كلام هؤلاء الأعلام أذكره هنا بلفظة: أقول: من أقوى الإلزامات للمخالفين وأظهر الحجج والبراهين على صحة هذا المذهب - وهو مذهب الإمامية - قوله صلى الله عليه وآله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون في النار».

وقوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» والحديث الأول مما اجتمع على نقله المؤالف والمخالف، وقد صنف الشهرستاني كتاب الملل والنحل في ضبط تلك الفرق تصديقاً للخبر المذكور، ومقتضاه يجب أن يحكم بنجاة فرقة واحدة من تلك الفرق لا أزيد، وإلا لزم تكذيبه صلى الله عليه وآله والرد عليه فيما قال وهو كفر محض.

وأما الحديث الثاني فقد استفاض بل تواتر نقله من طريق الجمهور أيضاً بألفاظ عديدة رواه

أحمد في مسنده ونقله صاحب المشكاة عن أبي ذر قال وهو متعلق بأستار الكعبة: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة سمعت رسول الله ﷺ بأذني وإلا صمتا يقول: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى» وقد روى ابن المغازلي الشافعي هذا المعنى في كتاب المناقب بعدة أسانيد وبعبارات مختلفة، ويعضد هذا الخبر أيضاً ما تواتر عنه ﷺ من قوله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما أن تمسكتم بهما» وقد رواه في مسنده من ثلاث طرق بعبارات متقارنة، ورواه مسلم في صحيحه والتغلبي في تفسيره وابن المغازلي في مناقبه ورزين العبدي في الجمع بين الصحاح الستة إلى غير ذلك من المواضع.

وأنت خبير بانه لا معنى لكونهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك - كما تضمنه الخبر الثاني - ولا معنى للتمسك بهم - كما تضمنه الخبر الثالث - إلا الأخذ بأقوالهم والاقتداء بأفعالهم والتدين بدينهم وشريعتهم والاقتداء بطريقتهم وسنتهم، وقد اعترف بذلك المخالفون قال التفتازاني في شرح المقاصد: فإن قيل: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى» إلى آخره وقال: «إني تارك فيكم ما أن أخذتم بهم لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ومثل هذا يشعر بفضلهم على العالم وغيره؟

قلت: نعم لاتصافهم بالعلم والتقوى مع شرف النسب، ألا ترى أنه عليه السلام قرنهم في كون التمسك بهم منقذاً من الضلال ولا معنى للتمسك بالكتاب إلا الأخذ بما فيه الهداية وكذا العترة - انتهى، وقال الطيبي في شرح المشكاة: شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات والبدع والأهواء الزائفة ببحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وقد أحاط بأكناف وأطراف الأرض كلها وليس منه خلاص ولا مناص إلا بتلك السفينة - انتهى.

وحينئذ فنقول: من البين الواضح البيان والمستغنى بذلك عن الحجة والبرهان أنه لم يركب أحد من الأمة في تلك السفينة المنجية من الضلال ولم يتخذها أحد من تلك الفرق العديدة ملجأ من الأهوال ولم يتمسك بحبل ولاء الأئمة الطاهرين عليهم السلام غير الشيعة الاثني عشرية، فإنهم من زمن الأئمة عليهم السلام هم القائلون بإمامتهم والعاكفون على إحياء طريقتهم وسنتهم، فلا يعتمدون في معالم دينهم أصولاً وفروعاً إلا على أخبارهم عاكفون على زيارة قبورهم مقيمون شعار أحزانهم وتعزيتهم صابرون على الأذى بل القتل في حبهم، وهذا كله ظاهر لا ينكره إلا من ينكر المحسوسات الوجدانية ويقابل بالتمويهات السوفسطائية وبه يظهر أن الناجية من تلك الفرق الثلاث والسبعين هي فرقة الشيعة الاثني عشرية وأن ما عداها من الهالكين.

ومن العجب نقل أولئك الفضلاء منهم لهذه الأخبار واعترافهم بكون التمسك بهم منقذاً من الضلالة وأن التمسك بهم عبارة من الأخذ بما فيه الهداية من أقوالهم وأفعالهم مع أنهم من العاكفين على خلافهم والتاركين للاقتداء بشريف أخلاقهم وأوصافهم، فتراهم لا يروون

بواسطة أحد منهم رواية ولا يعدونه من جملة من اعتمدوه من ذوي الغواية فضلاً عن أن يتخذوه مناراً للهداية ومقصداً فيها وغاية ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(١)، فليت شعري بماذا يجيبون غداً عند الله سبحانه وعند الرسول ﷺ بعد روايتهم لهذه الأخبار وبماذا يعتذرون بين يدي العزيز الجبار؟!

وأعجب من ذلك ما رواه الحافظ محمد بن موسى الشيرازي من علماء السنة على ما نقله عنه جمع من أصحابنا منهم السيد الزاهد المجاهد رضي الدين بن طاوس في الطرائف والقاضي نور الله الشوشتري في إحقاق الحق روى ذلك في كتابه الذي استخرجه من التفاسير الاثني عشر: تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان، وتفسير ابن جريج، وتفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير وكيع بن جراح، وتفسير يوسف بن موسى القطان وتفسير قتادة، وتفسير أبو عبيدة القاسم بن سلام، وتفسير علي بن حرب، وتفسير السدي، وتفسير مجاهد، وتفسير مقاتل بن مقاتل بن حيان، وتفسير أبي صالح - وكلهم من أهل السنة - رووا عن أنس بن مالك قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فتذاكرنا رجلاً يصلي ويصوم ويتصدق ويزكي، فقال لنا رسول الله ﷺ: «لا أعرفه»، فقلنا: يا رسول الله انه يعبد الله ويسبحه ويقدسه ويهلله، فقال: «لا أعرفه»، فبينما نحن في ذكر الرجل إذ طلع علينا فقلنا: يا رسول الله هو ذا، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال لأبي بكر: «خذ سيفي هذا وامض إلى هذا الرجل واضرب عنقه فانه من يجيء في حزب الشيطان»، فدخل أبو بكر المسجد فرآه راكعاً.

فقال: والله لا أقتله فإن رسول الله ﷺ نهانا عن قتل المصلين، فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أني وجدت الرجل راكعاً وأنت نهيتنا عن قتل المصلين الراكعين، فقال رسول الله ﷺ: اجلس فلست بصاحبه، ثم قال: قم يا عمر فخذ سيفي من يد أبي بكر وأدخل المسجد واضرب عنقه»، قال عمر: فأخذت السيف من يد أبي بكر ودخلت المسجد فرأيت الرجل ساجداً فقلت: والله لا أقتله فقد استأذنه من هو خير مني، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أني وجدت الرجل ساجداً فقال رسول الله: «اجلس فلست بصاحبه قم يا علي فإنك قاتله فإن وجدته فاقتله فإنك أن قتلته لم يبق بين أمتي اختلاف أبداً».

قال علي: فأخذت السيف ودخلت المسجد فلم أره فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما رأيته فقال: «يا أبا الحسن إن أمة موسى افترقت على إحدى وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار، وإن أمة عيسى افترقت على اثنين وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار، وستفترق أمة محمد ﷺ على ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار» فقلت: يا رسول الله فما الفرقة الناجية؟ قال: «المتمسك بها أنت وأصحابك» فأنزل الله: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[(١)] يقول هذا أول من يظهر من أصحاب البدع والضلالات، قال ابن عباس: والله ما قتل ذلك الرجل إلا أمير المؤمنين عليه السلام يوم النهروان، ثم قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[(٢)] أي بقتاله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين.

أقول: فانظر ايها العاقل المنصف إلى رواية هؤلاء الأجلاء الأعلام لهذا الحديث المتضمن للنص الجلي على أن الفرقة الناجية هم علي وشيعته من بين تلك الفرق - الثلاث والسبعين فرقة، وإلى ما تضمنه من النص الجلي على مخالفة أبي بكر وعمر له صلى الله عليه وآله في حياته بحضوره ولم يمتثلا أمره بقتل رجل لو قتل لم يقع بين أمته اختلاف ويتعللان باشتغاله بالركوع والسجود، مع أنه صلى الله عليه وآله عالم بذلك، سيما مع تقدم وصفه والثناء عليه بذلك والله سبحانه يقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[(٣)] فإذا كانت هذه حالهم معه صلى الله عليه وآله في حياته فكيف يستبعد منهم ذلك بعد مماته، فهل يجوز عقلاً أو نقلاً أن يروي أحد مثل هذه الرواية ثم يتخذه إماماً يدين الله تعالى بطاعته ويجعله واسطة بينه وبين الله تعالى يتقرب إليه بولايته؟! ولكن سخ الطينة الردية قد غلب ذلك على الأمة الغوية ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[(٤)] وإلى الله سبحانه المشتكى منهم.

كتاب الخصال: بسنده عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أربع تميت القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء - يعني محادثتهن - ، ومماراة الأحمق يقول وتقول ولا يرجع إلى خير، ومجالسة الموتى فقيل: يا رسول الله وما الموتى؟ قال: كل غني مترف».

وعنه: صلى الله عليه وآله أنه قال لأصحابه: اسمعوا مني كلاماً هو خير لكم من الدهم الموقفة: لا يتكلم أحدكم بما لا يعنيه، وليدع كثيراً من الكلام فيما يعنيه، حتى يجد له موضعاً فرب متكلم في غير موضعه جنا على نفسه في كلامه، ولا يمارين أحدكم سفيهاً ولا حليماً فإنه من مارى سفيهاً ارداه، وأذكروا أخاكم إذا غاب عنكم بأحسن ما تحبون أن تذكروا به إذا غبتم عنه، واعملوا عمل من يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام.

بيان: الدهم جمع أدهم أي خير لكم من الخيول السود التي أوقفت لكم ولحوائجكم.

في علم الله تعالى بالأشياء

فائدة: من إفادات مولانا العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف البحراني «قدس سره» اعلم أيدك الله وسددك أن علم الله سبحانه بالأشياء لما كان بمعنى حضورها عنده وانكشافها، وكان نسبة ذاته لجميع الأشياء نسبة واحدة في القرب والبعد فليس بعض الموجودات الحادثة من

(١) سورة الحجّ، الآية: ٩.
(٢) سورة الحجّ، الآية: ٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٤) سورة الحج، الآية: ٤٦.

الأزمنة وما في الأزمنة أقرب إلى ذاته من البعض وأبعد فإن كان وجودة ذاتياً قبل الزمان ومع الزمان وبعده فلا مجال لتعلق نسبة القرب والبعد إليه، ويرشد إلى ذلك ما رواه في الروايات من تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(١) من أن المراد استوى على كل شيء فليس هو أقرب إليه من شيء، وإنما يتحقق نسبة القرب والبعد لشيئين حادثين إذا قيس أحدهما إلى ثالث، وذلك واضح عند التأمل الصادق فنقول: سلسلة الحوادث زمانها وزمانيها ممحوها ومثبتها محوها وإثباتها معلومة أي حاضرة عنده منكشفة له على النهج التي هي عليه لا ترتيب بينها بالنسبة إليه تعالى بل بنسبة بعضها إلى بعض بالقياس إلى بعض آخر ثالث.

ولا ريب أنه لا تغير في العلم بهذا المعنى إذ لا تغير في الحضور والانكشاف، وإنما التغير في الحاصل المنكشف المسمى بالمعلوم، وهو المراد بالبداء المفسر بالمحو والإثبات وتسميته بالبداء لا باعتبار ظهور ذلك التغير لله تعالى بعد إن لم يكن ظاهراً بل بمعنى بروزه إلى فضاء الوجود بعد إن لم يكن بالنسبة إلينا، فمعنى: «بدا الله في الشيء الفلاني» أنه ظهر منه أثر في ذلك الشيء بالنسبة إلى غيره لم يكن ظاهراً قيل له: فما تضمنته الأحاديث الكثيرة من أن لله علمين: علم مخزون مكنون لا يعلمه إلا هو منه يكون البداء، وعلم علمه ملائكته ورسله فهو المحتوم فإنه سيكون، والمراد من العلم في ذلك اسم المفعول أي المعلوم والمراد أن المعلومات شيئت وأريدت وقضيت وحتم إمضاؤها فليست محلا للبداء بمعنى وجوب وقوع ذلك المعلوم على النهج الذي وقع عليه التقدير والقضاء من غير تغيير ولا تبديل، والوجوب في ذلك وجوب عارض بمعنى اقتضاء المصلحة والحكمة لوقوعه على ذلك النهج لا بمعنى رفع الاختيار عنه أو إلى البعد المؤدي إلى الإجبار.

ولا شك أن المعلومات التي أخبر الله تعالى بوقوعها ملائكته ورسله على نهج مخصوص ولم يستثن عليهم في ذلك بمشيئته بما اقتضت المصلحة والحكمة باعتبار الاحتراز عن الكذب وجب وقوعها على النهج المخبر، ومنها معلومات مخزونة مكنونة عنده لم يطلع عليها احداً، فهي عندنا بالنسبة إلى الله تعالى موقوفة بمعنى أنا نجوز فيها الوقوع واللاوقوع ويجوز على الله فيها الإيقاع أو اللاإيقاع وان كانت بالنسبة إلى علمه غير موقوفة بل منكشفة الوقوع واللاوقوع واللاإيقاع، وهذه المعلومات هي محل البداء، ومعنى كونها محلاً له أنه ربما ظهر من الله تعالى أثر وآثار مؤدية لوجود ذلك المعلوم بحيث ربما حكمنا بكونه ثم يمحو الله تلك الآثار ويثبت، أو آثار مانعة لكونه مؤدية إلى عدمه وربما ظهر عكس ذلك.

ومن هنا يظهر معنى ما تضمنه كثير من الأخبار من أنه لم يبدأ لله في شيء ما بدا له في إسماعيل، وهو أنه ظهر لله تعالى فيه بالنسبة إلينا من الآثار والإثارات المؤدية إلى حكمنا بكونه

(١) سورة طه، الآية: ٥.

هو الإمام بعد أبيه جعفر عليه السلام المستلزم لبقائه بعد أبيه ما لم يظهر منه تعالى لنا في غيره، ثم محى ذلك بموته قبل أبيه المستلزم لعدم إمامته.

والسر في البداء وكونه ما عظم الله بشيء مثله إعلام العباد ببقاء قدرته تعالى على حبس ما لم يبرز إلى فضاء الوجود وإن تحصلت جملة من أسبابه وطائفة من مقدماته المقتضية لحكم مثلنا ظاهراً بالوقوع، وذلك لقدرته على إعدام تلك الأسباب وإحداث الموانع من أن يعمل مقتضاها سوى ذلك الأمر من فعله أو فعلنا وفي اعتقاد بقاء الاختيار بيده تعالى وكونه قابضاً لوازم الفعل والترك بيمينه من تعظيم يسلب العجز عنه وكونه غالباً في سلطانه لا مغلوباً به، كما هو قول المفوضة الذين أخرجوا من حيز القدرة على عبيده الذين بما أعطاهم من القدرة قدروا وبما ملكهم من الاختيار اختيار وأما لا يخفى على ذي لب.

إذا عرفت هذا: فاعلم أنه استفاض في الروايات أن كل كائن في السماوات والأرض سواء ما كان من فعل الله تعالى أو من فعل العبد خيراً أو شراً لا يكون إلا بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء، ومحصل ذلك أنه لا بد من تعلق المشيئة وأخواتها المذكورة بالطرف الواقع من الفعل، والقول الخير من الله ومن العبد والشر منه كما يرشد إليه ما ورد من «أن الله تعالى أمر ولم يشأ وشاء ولم يأمر: أمر إبليس أن يسجد لآدم ولم يشأ أن يسجد ولو شاء لسجد، وشاء آدم أن يأكل من الشجرة ولم يأمر به ولو شاء لم يأكل» وغير ذلك من الأحاديث، وتوضيحه وحل ما فيه من الإشكال الذي به يزول توهم الإجبار ما نطقت به الأخبار من أن لله تعالى، مشيئة عزم واختيار ومشيئة حتم وإجبار، وكذلك الإرادة والقدرة والقضاء.

وشرح ذلك أن الله تعالى لما علم أن فلاناً الفلاني يفعل الفعل الفلاني المتشخص بجميع متشخصاته في الوقت الفلاني باختياره وعزمه، وقد شاء الله وأراد وقدر وقضى أن يقع الفعل أو الترك الذين هما متعلق التكليف من العبد باختياره لا بإجبار منه تعالى، فكلما تعلق به اختيار العبد ودواعيه من فعل أو ترك أو طاعة أو معصية فقد تعلق به مشيئة الله تعالى وأخواتها مما عطف عليها وما لم يتعلق به مشيئة الله تعالى، لأن تعلق مشيئة الله بما يعلم أنه لا يقع من المكلف إلا بالإجبار مع عدم مشيئته تعالى ذلك، ومشيئته تعالى، صدور ذلك الفعل بالإختيار مما لا يعلق ويجوز أن يتعلق به أمره ونهيه، لأن صحة الأمر والنهي لا يتوقف على وقوع المأمور به وترك المنهي عنه، بل يكفي فيهما إمكانهما الذاتي مع قطع النظر عن سوء اختيار العبد، والثمرة حاصلة بإظهار عذر الآمر والناهي عند المأمورين والمنهيين بتقديمه الأمر والنهي ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة.

وأما تحقيق المشيئة وأخواتها فلم نؤت من علمها إلا قليلاً وما هو إلا إجمال دون التفصيل، وهي أنها آثار سماوية وأرضية مفضية إلى فعل شيء أو تركه مختلفة في الاقتضاء إليهما بحسب القرب من المعلول والعبد منه مترتبة في الوجود وكل لاحق منها مؤكد لسابقه أو أنها أرقام وأحكام محدثة في لوح المحو والإثبات يحكي ما يقع عليه الفعل خارجاً بحيث يكون بإزاء كل

ما يصدر عن العبد من الأسباب المقتضية للفعل أو الترك من همه بالفعل وقصده إليه ثم جده فيه وعزمه عليه ثم تقدير ما عليه الفعل من المقادير والإشكال والصفات المشخصة له ثم القصد إلى إصداره وحكمة به حكماً جازماً حكم ورقم من الله في ذلك اللوح، فالحكم والرقم المحدث منه تعالى الموازي للهم بالفعل في الجملة يسمى من الله مشيئة مثلاً، والموازي فيه للجد والعزم عليه بتعيين بعض صفاته أو بدونه يسمى إرادة وهي كالمؤكد للأول والموازي لتقدير ما عليه الفعل من المقادير، وتصور ما عليه العقل من بعض الصفات المشخصة يسمى تقديراً والموازي للقصد إلى إصداره قصداً جازماً وحكماً حاتماً يسمى قضاء فلله تعالى المشيئة في هذه الأرقام والأحكام بالمحو والإثبات حتى يجوز الفعل إلى قضاء الوجود أو يصدر منه تعالى إعلام ملائكته ورسله بالوقوع، فيصير المحو والإثبات فيهما ممتنعاً بالغير لا ليقتضي سلب الاختيار عنه تعالى.

فإن قلت: قد ورد أنه تعالى خلق الشقاوة والسعادة من قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه سعيداً لم يبغضه وإن عمل شراً أبغض عمله ومن خلقه شقياً لم يحبه أبداً وإن عمل صالحاً أحب عمله وأبغضه لما يصير إليه، فإذا أحب شيئاً لم يبغضه أبداً وإذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً وظاهره يوهم الجبر ويمنع وقوع البداء في الشقاوة والسعادة المستتبعين للمحبة من الله والبغضة، ينافي ما تواتر معنى عن أهل العصمة من الدعوات «اللهم أنك إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً فامح من الكتاب شقائي واكتبني سعيداً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب»

قلنا: كل ذلك مندفع وذلك لأن الخلق خلقان خلق تقدير وخلق تكوين، وقد علمت أن تقدير الله متعلق بكل كائن والمراد بخلق الله للسعادة والشقاوة وتقديره لهما، والمراد بالسعادة حالة موافقة للموت يستوجب بها صاحبها وكونه من أهل الشقاوة حاله كذلك يستوجب بها صاحبها كونه من أصحاب النار أو موافاته للموت على أحد الحالين، وتقديره تعالى، للسعادة والشقاوة تابع لعلمه باختيار العبد لإحدى الحالين التابع للاختيار المذكور، فاندفع توهم الجبر إذ خلقهما بمعنى تقديرهما قبل خلق الخلق بهذا المعنى غير ظاهر.

وحيث جاز أن يقدر الله تعالى، فيمن قدر سعادته أن يسلك به مسالك الأشقياء ويعمل أعمالهم حتى يقال ما أشبهه بهم بل هو منهم، وفيمن قدر شقاوته أن يسلك به مسالك السعداء حتى يقال ما أشبهه بهم بل هو منهم، ثم يدرك كلاً من الفريقين ما قد صح البداء في الشقاوة والسعادة بهذا المعنى وصح طلب محو الشقاوة من الداعي وإثبات السعادة، لأن المراد بالشقاوة المكتوبة المطلوب محوها وإثبات السعادة مكانها هو سلوك مسالك الأشقياء في أثناء العمر لا موافاة للأجل على تلك الحال وذلك قابل للمحو والإثبات وأما موافاة الأجل على تلك الحال وذلك هو المحو والإثبات فلا ينافي لاختلاف معنى السعادة والشقاوة حينئذ فيختلف مورد السلب والإيجاب فلا تناقض والله أعلم، إلى هنا الموجود من ذلك وصلى الله على محمد وآله.

رسالة أبي غالب الزراري إلى ابن ابنه

حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الواسطي أبو غالب أحمد بن سليمان بن الحسن بن الجهم بن بكر بن أعين الشيباني منه إلى ابن ابنه محمد بن عبيد الله بن أحمد: سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا آله إلا هو الحق مبدع الخلق الموفق للخير والمعين عليه، وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

أما بعد: فإنا أهل بيت أكرمنا الله عز وجل بمنه علينا بدينه واختصنا بصحبة أوليائه وحججه على خلقه من أول نسبنا إلى وقت الفتنة التي امتحنت بها الشيعة، فلقي عمنا حمران سيدنا وسيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام وكان حمران من أكبر مشايخ الشيعة المفضلين الذين لا يشك فيهم فكان أحد حملة القرآن ومن يعد ويذكر اسمه في كتب القرآن، وروي أنه قرأ على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وكان مع ذلك عالماً بالنحو واللغة، ولقي حمران وجدنا زرارة وبكير أبا جعفر محمد بن علي وأبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ولقي بعض إخوتهم وجماعة من أولادهم مثل حمزة بن حمران وعبيد بن زرارة ومحمد بن حمران وغيرهم أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ورووا عنه، وكان عبيداً وافداً للشيعة بالكوفة إلى المدينة عند وقوع الشبهة في أمر عبد الله بن جعفر، وله في ذلك أحاديث كثيرة قد ذكرت، وله في الكتب وآل أعين أكثر أهل بيت الشيعة وأكثرهم حديثاً وفقهاً وذلك موجود في كتب الحديث ومعروف عند رواته، وكان عبد الله بن بكير فقيه كثير الحديث «سقط في الأصل».

ولقي عبيد الله بن زرارة وغيره من بني أعين أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وكان جدنا الأدنى الحسن بن الجهم من خواص سيدنا ومولانا أبي الحسن الرضا عليه السلام وله كتاب معروف قد رويته عن أبي عبد الله أحمد بن محمد العاصمي لأنه كان ابن أخت علي بن عاصم رحمه الله، وكان علي بن عاصم شيخ الشيعة في وقته ومات في حبس المعتضد، وكان حمل من الكوفة مع جماعة من أصحابه فجلس من بينهم في الطامير فمات على سبيل ما وأطلق الباقون، وكان سعى به رجل يعرف بابن أبي الدواب وله قصة طويلة، وكان للحسن بن الجهم جدنا سليمان ومحمد والحسين أبناء الحسن ولا أدري أيهم أسن ولم يبق لمحمد والحسين ولد، وقد روي محمد بن الحسن بن الجهم الحديث روى عنه علي بن الحسن بن فضال عن عبد الله بن ميمون القداح وغيره، وكانت أم الحسن بن الجهم ابنة عبيد بن زرارة، ومن هذه الجهة نسبنا إلى زرارة ونحن من ولد بكير، وكنا قبل ذلك نعرف بولد الجهم وأنا درب في خطة أسعد بين محلتهم وهو في ظهر دار من دورنا وقف لم يبق لبني أعين في تلك المحلة دار غيرها، وأنا أذكر حالها بعد إن شاء الله تعالى، وبين خطة بني تميم وكان يعرف بدرب الجهم إلى أن فني به أعين فنسب إلى بقال على بابه فهو يعرف به إلى هذا الوقت، وأول من نسب منا إلى زرارة جدنا سليمان نسبه إليه أبو الحسن علي بن محمد صاحب العسكر عليه السلام.

وكان إذا ذكره في توقيعاته إلى غيره: «قال الزراري» تورية عنه وستراً له ثم اتسع ذلك وسمينا به وكان عليه السلام يكاتبه في أمور له بالكوفة وبغداد وأمه أم ولد يقال لها: «رومية»، وكان الحسن بن الجهم اشتراها جلباً ومعها ابنة لها صغيرة فرباها فخرجت بارعة الجمال وأدبها فأحسن أدبها فاشتريت لعبد الله بن طاهر فأولدها عبيد الله بن عبد الله وكان سليمان خال عبيد الله، وانتقل إليه من الكوفة وباع عقاره بها في محلة بني أعين، وخرج معه إلى خراسان عند خروجه إليهما فتزوج بنيسابور امرأة من وجوه أهلها وأرباب النعم فولدت بنيسابور ابناً سماه أحمد مات في حياة أبيه وولدت له جدي محمد بن سليمان وعم علي بن أبي سليمان وأختاً لهم تزوجها عند عود سليمان إلى الكوفة محمد بن يحيى المغازي فأولدها محمد بن محمد بن يحيى وأخته فاطمة بنت محمد.

وقد روى محمد بن يحيى طرفاً من الحديث، وروى محمد بن محمد بن يحيى ابن عمه أيضاً صدراً صالحاً من الحديث ولم تطل أعمارهما فيكثر النقل عنهما، فلما انصرف آل طاهر عن خراسان أراد سليمان أن ينقل عياله بها وولده إلى العراق فامتنعت زوجته وظنت بعمتها وأهلها فاحتال عليها بالحج ووعدها الرجوع بها إلى خراسان فرغبت في الحج فأجابته إلى ذلك فخرج بها وبولده منها فحج بها ثم عاد إلى الكوفة وليس بها داراً فنزل دور أهله ومحلتهم وفيهم إذ ذاك بقية، فنزل بالقرب من الجامع رغبة فيه على قوم من التجار يعرفون بني عباذ حزازين في بني زهرة، ثم ابتاع في موضعه دوراً واسعة بقيت في أيدي ولده، وقد خلف من الولد بعد ابنه الذي مات في حياة جدي محمد بن سليمان وكان أسن ولده وعلياً أخاه من أمه وحسناً وحسيناً وجعفراً وأربع بنات إحداهن زوجة المغازي من المرأة النيسابورية وباقي البنين والبنات من أمهات الأولاد.

وخلف ضيعة في بساتين الكوفة المعروفة بالحواشة قرية في الفلوجة تعرف بقرية منير وأيضاً واسعة جميعها في النجف مما يلي الحيرة لا أعرف أي قرية هي، وكان قد استخرج لها عيناً يجر بها إليها في قنا يحملها من حد قبة تعرف بقبة الشنبق قد رأيت أنا أثر القناة وأدركت شيخاً كان قد قام له عليها، وكان سبب استخراجه العين أن بعض أهل زوجته من خراسان ورد حاجاً فاشتهى أن يرى الحياة فخرج معها إليها وكان قبة الشنبق أحد الأشياء التي يقصدها الناس للنزهة وكانت مما يلي النجف وقبة عظين مما يلي الكوفة وهي باقية إلى هذا الوقت ولا أعرف خبر قبة الشنبق هل هي باقية أم لا، فلما جلسوا للطعام قال الخراساني:

هاهنا ماء أن استنبط ظهر، ثم ساروا فرأوا النجف وعلوه على الأرض التي أسفله فقال: يوشك أن يسيح ذلك الماء على هذه الأرض، فابتاع سليمان ذلك الأرض وجمع منها ما أمكن ثم عمل على استنباط العين فأنفق عليها مالاً فظهر له من الماء ما ساقه في القناة إلى تلك الأرض، وكان له حديث حدثت به فذهب عني في أمر العين إلا أن الذي رزق من المال كان يسيراً فلم تزل تلك الضياع في يده إلى أن مات، ثم خرج ولده كلهم عن قرية ميسر وعن هذه

الأرض التي في النجف، وجمع جدي رحمه الله مع ما خصه من الضيعة في الحواشية بعض أموال إخوته فكانت تأتيه في ذلك إلى أن مات وخلفه لي ولأختي فلم تزل في أيدينا إلى أن امتحنت في سنة أربع عشرة وثلاثمائة وما بعدها فخرج ذلك عن يدي في المحن وخراب الكوفة بالفتن.

وكان دارنا بالكوفة من حدود بني عباد في دار الخران بن حريث الشارع من جانبيه بقية من سليمان وداراً بناها جدي محمد بن سنان وداراً بنيتها أنا وداراً إصطبلاً ودوراً للسكان ليس في المشارع دور لغيرنا إلا دار لعمي علي بن سليمان ودار لعمات أبي الثلاث وكن مقيمات ببغداد في دار عبيد الله بن طاهر، وربما وردن الكوفة للزيارة فتنزلن في دارهن إلى أن مات عبد الله وتبين قتله وبعده بيسير، فأقام سليمان في دوره بالكوفة وعبيد الله بن عبد الله ابن اخته إذ ذاك ببغداد يتقلدها وله المنزلة الرفيعة من السلطان، وكان عمال الحرب والخراج يركبون إلى سليمان وسيدنا أبو الحسن يكاتبه وكان يحمل عليه من غلة زوجته في كل سنة مع الحاج ما يحمل، فمات سليمان في طريق مكة بعد خمسين ومائتين بمدة ليس يحصلها، وكانت الكتب ترد بعد ذلك على جدي محمد بن سليمان إلى أن مات جدي رحمه الله في أول سنة ثلاثمائة ويحمل إليه ما لم أكن أحصله لصغر سني.

وكان آخر ما وردت عليه الكتب في ذكري في سنة تسع وتسعين وحملت إليه هدايا من هدايا خراسان، فكاتبه ابن خاله وكان يعرف بعلي بن محمد بن شجاع حفظت ذلك لأن جدي رحمه الله كان يطالبني بقراءة كتبه وكانت ترد بألفاظ غريبة وكلام متعسف، فوردت الكتب عليه وعاد الحاج وقد مات في المحرم سنة ثلاثمائة وست وثلاثين وكان مولده بنيسابور سنة سبع وثلاثين ومائتين فعرف من عاد من الحاج ممن جاء بالكتب خبر موته، ولم تكن لي همة أستعلم به حاله وأكاتب ابن خاله الذي كان يكاتبه وانقطعت الكتب عنا وما كان يحمل بعد سنة ثلاثمائة، وكاتب الصاحب جدي محمد بن سليمان بعد موت أبيه إلى أن وقعت الغيبة وقل رجل منها إلا وقد روى الحديث.

وحدثني أبو عبد الله بن الحجاج رحمه الله وأنه كان من رواة الحديث أنه قد جمع من روى الحديث من آل أعين فكانوا ستين رجلاً وحدثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن لاحق الشيباني عن مشايخه أن بني أعين بقوا أربعين سنة رجلاً لا يموت منهم رجلٌ إلا ولد فيهم غلام وهم على ذلك يستولون على بني شيبان في خطة بني أسد بن همام، ولهم مسجد الخطة يصلون فيه وقد دخله سيدنا أبو عبد الله عليه السلام جعفر بن محمد وصلى فيه، وهذه المحلة دور بني أعين متقاربة وقد بقي منها إلى هذا الوقت دار وقفها محمد بن عبد الرحمن بن حمران على أهله ثم على الأقرب فالأقرب إليه، وكانت في أيدي بني عقبة الشيباني ولم يتكلم فيها أحد من أهلي ولا تعرض لي حتى تكلمت أنا فيها في سنة أربع وستين وثلاثمائة فأشهدت علي الحسن بن محمد بن علي بن محمد بن عقبة الشيباني الذي كانت في يده على بني أعين وأخذت من إجارتها ما سلمت

إلى ولد عم أبي جعفر بن سليمان، ولم يكن في كتاب الوقف زيادة في النسب على محمد بن عبد الرحمن بن حمران، وكان في الكتاب شهادة علي بن الحسن فضال ومحمد بن محمد بن عقبة الشيباني ومحمد بن هديم الشيباني وأظنه محمد بن عبد الرحمن بن حمران بن أعين.

وكان أعين غلاماً رومياً اشتراه رجل من بني شيبان من حلب فرباه وتبناه وأحسن تأديبه وحفظه القرآن وعرف الأدب فخرج بارعاً أديباً، فقال له مولاه أستلحقك؟ فقال: لا ولائي منك أحب إلي من النسب، فلما كبر قدم عليه أبوه من بلاد الروم وكان راهباً اسمه سنسا وذكر أنه غسان مما دخل بلاد الروم في أول الإسلام.

وقيل: إنه كان يدخل بلاد الإسلام بأمان فيزور ابنه أعين ثم يعود إلى بلاده فولد أعين على ما حدثني به أبو طالب الأنباري قال: حدثني محمد بن الحسن أن علياً بن الصباح سلام المدائني قال: حدثني أبي وعمي قالا: حدثنا أحمد بن الحسن بن علياً بن فضال عن ولد أعين قال: ولد أعين عبد الملك وحمران وزرارة وبكير وعبد الرحمن بن أعين هؤلاء كبراؤهم معروفون وقعنب ومالك ومليك بن أعين غير معروفين، فذلك ثمانية انفس، وبغير هذا الإسناد: ولهم أخت يقال لها: «أم الأسود» ويقال لها: إنها أول من عرف هذا الأمر منهم من جهة أبي خالد الكاهلي، وبالإسناد الأول: ولد زرارة الحسين ويحيى ورومي والحسن وعبيد الله وعبد الله فذلك ثمانية أنفس، فولد بكير عبد الله وعبد الحميد وعبد الأعلى والجهم ابني بكير فذلك خمسة أنفس، وولد حمران حمزة وعقبة، وبغير هذا الإسناد: ومحمد، وولد عبد الملك محمد أو ضريس وعلى بني عبد الملك، فذلك ثلاثة أنفس، وولد عبد الرحمن بن أعين بن عبد الرحمن وحمران وسميعاً وعباساً وإبراهيم وإسحاق بن عبد الرحمن فذلك ستة أنفس، وولد عبد الله بن بكير رحبان وكان اسمه محمد والحسين وعلياً بني عبد الله بن بكير، وقال أبو طالب: وسقط بقية النسب من كتاب ابن جعفر بن الصباح وكان زرارة يكنى أبي علي، وذكره الجاحظ في كتاب الحيوان وأورد عنه شعراً نسبه إليه في ذكر المهدي، وروى له أيضاً شعراً في كتاب النساء وذكر له بيتاً في كتاب العرجان الأشراف ولا أدري صدق الجاحظ في ذلك أم لا.

وقال في كتاب الحيوان: وكان زرارة بن أعين مولى بني أسعد بن هشام وكان رئيس التمية، وكان بكير يكنى أبو الجهم وحمران يكنى أبا حمزة وعبد الله بن بكير يكنى أبا علي، ومن ولد زرارة محمد بن عبد الله بن زرارة وكان لكنياً كثير الحديث، وروى عنه علي بن الحسن بن علي بن فضال حديثاً كثيراً، ووجدت في كتاب الصابوني المصري يونس بن عبد الملك بن أعين وجعفر بن تغلب بن أعين ممن روى عن أبي عبد الله، وذكر في الكتاب أن ولد جعفر بالضيوم وروي أن من عرف هذا الأمر عبد الملك عرفه صالح بن ميثم ثم عرفه حمران عن أبي خالد الكاهلي رحمهم الله تعالى.

وروي أن زرارة كان وسيماً جسيماً أبيض فكان يخرج إلى الجمعة وعلى رأسه برنس أسود

وبين عينيه سجاوة وفي يده عصاً ويقوم له الناس سماطين ينظرون إليه لحسن هيئته فربما رجع عن طريقه، وكان خصماً جدلاً لا يقوم أحد بحجته إلا أن العبادة أشغلته عن الكلام والمتكلمون من الشيعة تلاميذه، ويقال إنه عاش تسعين سنة ، ولآل أعين من الفضائل وما روي فيهم أكثر من أن أكتبه وهو موجود في كتب الحديث.

وحدثني أبو الحسن محمد بن أحمد داود قال: حدثنا أبو القاسم علي بن عيسى بن قرني قال: حدثني الحسين بن أحمد بن فضال قال: حدثني جدك الحسين بن يوسف بن مهران قال أبو غالب ﷺ : وأقول أنا أنه جده لأمه لأن أم علي بنت الحسين عليه السلام يوسف وهم أهل بيت يعرفون ببني السفانجي قال ابن فضال: وكان جدك أليفاً لبني فضال وجارهم قال: خرج الحسن بن علي بن فضال فقال لي: قم يا حسين حتى تمضي إلى مليك بن أعين فهو عليل وقد جاءني رسوله، فقمت معه فاعتمد على يدي فدخلنا على مليك وهو يجود بنفسه فقال له الحسن: حاجتك؟ فقال: أوصي إليك واعهد إليك، فقال: ما تقول فيها؟

فقال: ما تسمح نفسي أن أقول إلا خيراً، فضرب بيده إلى يدي فنسلها فقال: قم يا حسين، ثم التفت إليه فقال: مت أي ميتة شئت، وكان مليك وقعنب ابنا أعين يذهبان مذهب العامة مخالف لإخوتهم فقال ابن فضال في هذا الحديث: وخلف أعين حمران وزرارة وبكير وعبد الملك وعبد الرحمن ومالك وموسى وضريس ومليك وقعنب فذلك عشرة أنفس هذا من هذه الرواية، وقد ذكرت الرواية ووقع الاختلاف في عدد ولد أعين وقد ذكرت الأصل الذي كنت أعرفه وما رواه لي أبو طالب الأنباري وما رواه لي أبو الحسن بن داود رحمه الله عن أبي القاسم بن قوني عن ابن فضال.

وروى لي ابن المغيرة عن أبي محمد بن حمزة العلوي عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي المشهور بكثرة الحديث أنهم سبعة عشر رجلاً إلا أنه لم يذكر أسماءهم وما يتهم في معرفته ولا يشك في علمه، وجدتي أم أبي فاطمة بنت جعفر بن الحسن بن محمد القرشي النوار مولى لبني مخزوم، وقد روى محمد بن الحسن الحديث وكان أحد حفاظ القرآن وقد نقلت عنه قراءات وكبرت منزلته فيها، وأخوها أبو العباس محمد بن جعفر الزراري وهو أحد رواة الحديث ومشايخ للشيعة، وكان له أخ اسمه الحسن بن جعفر، وقد روى أيضاً الحديث إلا أن عمره لم يطل فينقل عنه وكان مولد محمد بن جعفر سنة ستة وثلاثين ومائتين ومات سنة ست عشرة وثلاثمائة وسنه ثمانون سنة، وكان من محله في الشيعة أنه كان الوافد عنهم إلى المدينة عند وقوع الغيبة سنة ستين ومائتين وأقام بها سنة وعاد وقد ظهر له من أمر الصاحب عليه السلام ما احتاج إليه، وأمه وأم أخته فاطمة جدتي محمد بن عيسى القيسي التستري وأنا أذكر حاله بعد ذكر أمي، وأمي الحسين بنت عيسى بن علي بن محمد بن عيسى بن زياد القيسي التستري، وأمها أم ولده رومية، وكان عيسى بن زياد انتقل من نواحي البصرة في أيام

الغيبة بعد قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن فنزل تستر - وتستر أحد طساسيج الكوفة واسمه موجود في كل كتاب عمل لذكر طساسيج السواد - فنزل قرية منه يقال لها «بقرونا» وهي ثلاثة وروم فنزل ورماً يقال له «صقلينا» وهي على عمود الفرات الأعظم الذي يحمل من الكوفة إلى نجران ويجتاز إلى نجران ويجتاز إلى جنتلا ويلونا وهي مدينة عظيمة فتحها خالد بن الوليد في أول الإسلام وبقرونا ينسب إليها الرستاق وهي في شرقي الفرات وصقلينا في غربيه، فملك ضياعاً واسعة وحفر فيها نهراً يسمى نهر عيسى وبقي في يدي من تلك الضياع بالميراث شيء إلى أشياء كنت أستردتها إلى أن خرج الجميع من يدي في المحن التي امتحنت بها من شر الأعراب إياي، وغير ذلك وخراب السواد بالفتن المتصلة بعد دخول الهجرتين الكوفة إلا شيء يسير يطل علي بالحال التي جرت بيني وبين عمران بن يحيى العلوي في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وكان محمد بن عيسى أحد مشايخ الشيعة ومن كان يكاتب.

وكان قد خرج توقيع إليه جواب كتاب كتبه على يدي أيوب بن نوح رَحِمَهُ اللهُ في أمر عبد الله بن جعفر حدثني بذلك خالي أبو العباس الزرار جواباً مستقصاً لم أقف على حفظه وغابت عني نسخته والجواب موجود في الحديث، وكتب بعد ذلك إلى الصاحب يسأل مثل ذلك فكتب قد خرج منا إلى التستري في هذا المعنى ما فيه كفاية أو كلام هذا معناه، وكان محمد بن عيسى أحد رواة الحديث حدثني عنه خالي أبي محمد بن جعفر الزرار وهو جده أبو أمه عن الحسن بن فضال الحديث منه كتاب البشارات لابن فضال، وحدثني عنه بكتاب عيسى بن عبد الله العلوي وهو كتاب معروف، وابنه علي بن محمد بن عيسى جد أمي وخالي أبي العباس الزرار فقد روي أيضاً صدراً من الحديث وكانت دورهم في موضع من الكوفة يعرف بلجام البكريين وهو في ظهر خطة بني أسد بن همام، وقد خرب واتصل بخرابات أبي عجل إلى حدود حمراء ديلم لم أدرك أنا من الناحية إلا خراباً قد زرع فيها أشنان، وكان في دورنا منه شيء فكنا نأخذ منه في كل سنة شناناً تغزانا ودراهم أجرة الأقرحة، ومضيت إليها مرة وأنا صبي مع من كان يمضي فجئنا بالدراهم والأشنان فرأيتها ورأيت فيما بينها قبر محمد بن عيسى وقبور بعض ولده.

وكان جدي أبو طاهر أحد رواة الحديث لقي محمداً بن خالد الطيالسي فروى عنه كتاب عاصم بن حميد وكتاب سيف بن عمره وكتاب العلا بن زرين وكتاب إسماعيل بن عبد الخالق وأشياء غير ذلك، وروى محمد بن الحسن بن أبي الخطاب شيئاً كثيراً منه كتاب أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، وكانت روايته عنه هذا الكتاب في سنة سبع وخمسين ومائتين وسنه إذ ذاك عشرون سنة ، وروي عن يحيى بن زكريا اللؤلؤي وعن رجال غيره، ومات أبي محمد بن محمد بن سليمان وسنه نيف وعشرون سنة وسني إذ ذاك خمس سنين وأشهر، وكان مولدى ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ومائتين، ومات جدي محمد بن سليمان رَحِمَهُ اللهُ في غرة المحرم سنة ثلاثمائة فرويت عنه بعض حديثه، وسمعني من عبد الله بن جعفر الحميري وكان دخل الكوفة في سنة سبع وتسعين ومائتين ووجدت هذا التاريخ بخط عبد الله

بن جعفر في كتاب الصوم للحسين بن سعيد ولم أكن حفظت الوقت للحداثة وسني إذ ذاك اثنتا عشرة سنة وشهور، وسمعت أنا بعد ذلك من عم أبي علي بن سليمان ومن خال أبي محمد بن جعفر الزرار وأحمد بن إدريس القمي وأحمد بن محمد بن العاصمي وجعفر بن محمد بن مالك القراري البزاز، وكان كالذي رباني لأن جدي محمد بن سليمان حين أخرجني من الكتاب جعلني في البزازين عند ابن عمه الحسين بن علي بن مالك وكان أحد فقهاء الشيعة وزهادهم، وظهر بعد موته من زهده مع كثرة ما كان يجري على يده أمر عجيب ليس هذا موضع ذكره وسمعت من أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار الأهوازي وغيرهم «رحمهم الله تعالى» وسمعت من حميد بن زياد وأبي عبد الله بن ثابت وأحمد بن رباح وهؤلاء من رجال الواقعة إلا أنهم كانوا فقهاء ثقات في حديثهم كثيري الدراية، وسمعت بعد ذلك من جماعة غير من سميت فعندي بعض ما سمعته منهم.

وذهب بعضهم فيما ذهب من كتبي ثم امتحنت محنا شغلتني، وأخرجت أكثر كتبي التي سمعتها عن يدي السرقة والضياع، ورزقت أباك وسني ثمان وعشرون سنة وفي سنة ولادته امتحنت محنة أخرجت أكثر ملكي من يدي وأخرجتني إلى السفر والاغتراب وشغلتني عن حفظ ما كنت جمعت قبل ذلك، ولما صلح أبوك لسماع الحديث وسلوك طريقة أجدادهم جذبته إلى ذلك فلم ينجذب وشغلنا طلب المعاش والبعد عن مشاهدة العلماء عن العلم وعلت سني فأيست من الولد وبلغ أبوك سبعاً وثلاثين سنة ولم يرزق ولداً ورزقني الله عزّوجلّ الحج ومجاورة الحرمين سنة فجعلت كدي وأكثر دعائي في المواضع التي يرجى فيها قبول دعاء أن يرزق الله تعالى أباك ولداً ذكراً يجعله خلفاً لآل أعين، ثم قدمت العراق فزوجت أباك من أمك فبفضل الله عزّوجلّ أن رزقناك في أسرع وقت وزمن بأن جعلك سوي الخلقة مقبول الصورة صحيح العقل إلى أن كتبت إليك الكتاب، وكان مولده في قصر عيسى ببغداد يوم الأحد لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وقد خفت أن يسبق أجلي إدراكك وتمكنك في سماع الحديث وتمكني من حديثك ما سمعته من الحديث وإن أفرط في شيء من ذلك كما فرط جدي وخال أبي رحمه الله إن لم يجذباني إلى سماعي جميع حديثهما مع ما شاهداه من رغبتي في ذلك ولم يبق في وقتي من آل أعين واحدٌ يروي الحديث ولا يطلب علماً، وشححت على أهل هذا البيت الذي لم يخل من محدث أن يضمحل ذكرهم ويندرس رسمهم ويبطل حديثهم من أولادهم.

وقد بينت لك آخر كتابي هذا أسماء الكتب التي بقيت عندي من كتبي وما حفظت إسناده وتيقنت روايته فإن كان قد غاب عني وشرحت لك ممن سمعت ذلك وأجزت لك خاصة روايتها عني على حسب ما أشرحه لك من ذلك عند ذكري أسماءها وأخرجت لك ما عندي من الكتب القديمة، وذكرت لك ما منها بخط جدي محمد بن سليمان رحمه الله وما فيها بخط من عرفت خطه وما جددت لك من الكتب التي أخلقت وجعلت جميع عند والدتك وديعة لك ووصيتها أن تسلمها إليك إذا بلغت وتحفظها عليك إلى حين علمك بمحلها وموضعها أن حدث بي حادث

الموت قبل بلوغك هذه الحال، فإن حدث بي حدث قبل ذلك أن توصي بها من تثق به لك وعليك، فاتق الله عز وجل واحفظ هذه الكتب فإن لك فيها ما قرئ على عبد الرحمن بن أبي نجران في سنة سبع وعشرين ومائتين وهو كتاب داود بن سرحان وفيها ما قرأ جدي محمد بن سليمان على محمد بن الحسين بن أبي الخطاب في سنة سبع وخمسين ومائتين، وتاريخ ذلك في أواخر الكتب واروها عني حسبما رسمته لك وتوخ سلوك طريقة أجداد أبيك «رحمهم الله» وتقبل أخلاقهم وتشبه بهم في أفعالهم واجتهد في حفظ الحديث والتفقه فيه وواظب على ما يقربك من الله عز وجل ، واعلم إنه ما أسن قط أحد إلا ندم على ما فاته من التقرب إلى الله عز وجل بطاعته في شيبته وعلى ما دخل فيه من المخطورات في حداثته حين لا تنفعه الندامة ولا يمكنه استدراك ما فاته من عمره، وأصحب من مشايخ أصحابك من تتزين بصحبته بين الناس، وإن صحبت أحداً من أترابك فلا تدع صحبة المشايخ مع ذلك، أجاب الله فيك دعوتي وأحسن عليك خلافتي، وأن رزق الله عز وجل الحياة ومد في الأجل إلي أن تكتب لي على ما أمليه عليك وتحفظ ما أسنده لك فذلك مناي وإلى الله عز وجل أرغب فيه وإن تكن الأخرى ونفدت أيامي قبل ذلك فالله عز وجل خليفتي عليك وإياه أسأل أن يحفظني فيك ويحفظ صالح أجدادك من بكير والي كما حفظ الغلامين بصلاح أبيهما، فقد مر في بعض الحديث أنه كان بين أبيهما الذي حفظا له وبينهما سبعمائة سنة والله عز وجل حسبي وفي نفسي ونعم الوكيل.

وعملت هذه الرسالة في ذي القعدة سنة ست وخمسين وثلاثمائة وجددت هذه النسخة في رجب سنة سبع وستين وثلاثمائة.

ثبت الكتب التي أخبرت لك روايتها على الحال التي قدمت ذكرها وأسماء الرجال الذين رويتها عنهم: فمن ذلك كتاب الصوم للحسين بن سعيد وزيادات ابن مهزيار، قال أبو غالب: حدثني به أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن سعيد وهي ثلاثة أبواء، وقال عبد الله بن جعفر: وما كانت هذه الرواية عن علي بن مهزيار فإنه حدثني به إبراهيم بن مهزيار عن أخيه علي وما كان عن العباس بن معروف فهو فيما صنفه علي بن مهزيار، حدثني بهذا الكتاب الحميري على الشرح في شعبان سنة سبع وستين ومائتين، وله رواية أخرى أيضاً حدثنا بها أبو علي أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد، كتاب الصوم لابن رباح حدثني به ابن رباح، كتاب الأشربة للحسين بن سعيد حدثني به أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى عنه، كتاب ما يبتلى به المؤمن لابن سعيد حدثني عبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد، كتاب الأيمان والنذور له حدثني به الحميري عبد الله بن جعفر عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد، كتاب الزكاة ليونس حدثني به الحميري عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس، كتاب محمد الحلبي حدثني به عبد الله بن جعفر عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن محمد الحلبي، كتاب الديات للحسين بن طريف حدثني به عبد الله

بن جعفر عن الحسن بن طريف، كتاب التجمل والمروة للحسين بن سعيد حدثني به الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى عنه كتاب أعيص بن القاسم ويعقوب بن شعيب حدثني به عبد الله بن جعفر عن أيوب بن نوح عن صفوان عن يعقوب بن شعيب وفيه أحاديث أخر عن أيوب بن نوح، كتاب السفر في المحاسن حدثني به عبد الله بن جعفر عن أحمد بن أبي عبد الله وهو مصنفه وحدثني مؤدبي أبو الحسن علي بن الحسين السعدأبادي به ويكتب المحاسن إجازة عن أحمد بن أبي عبد الله عن خاله، كتاب الحج تصنيف موسى بن الحسن بن عامر روايتي عن الحميري عنه وروى الحميري لنا ما رواه موسى عن رجال سماهم لنا بالسماع في آخر الكتاب بخط جدي رحمه الله كتاب عبد الله بن علي الحلبي حدثني به مجدي أبو طاهر محمد بن سليمان عن علي بن الحسن بن فضال عن محمد بن عبد الله زرارة عن ابن أبي عمير عن حماد عن الحلبي كتاب عبد السلام بن سالم حدثني به جدي وعم أبي محمد وعلي أبناء سليمان رحمهما الله تعالى عن أبي جعفر محمد بن الحسين الهمداني عن الحسن بن علي بن بقاح عن عبد السلام، كتاب عمر بن أذنية حدثني به جدي عن علي بن الحسين بن فضال عن محمد بن عبد الله زرارة عن ابن أبي عمير عن ابن أذنية جزاء وهو الثالث من كتاب آخر لابن أذنية وفي آخرة كتاب إبراهيم بن بلال أخبرني به خالي أبي أبو العباس عن محمد بن الحسين عن ابن أبي عمير عن أذنية، كتاب عبد الرحمن بن الحجاج حدثني به أبو طاهر جدي رحمه الله عن علي بن الحسن بن فضال عن محمد بن عبد الله بن زرارة عن ابن أبي عمير عن عبد الرحمن، وفي الكتاب أحاديث خرجت الروايات فيها بها عن النهشلي عن ابن ناجية عن عبد الرحمن، وكان سماعي ذلك منه مؤرخاً بخطي في ذي القعدة سنة سبع وتسعين ومائتين، كتاب لعبد الرحمن بن الحجاج أيضاً حدثني به عم جدي علي ومحمد ابني سليمان عن أبي جعفر محمد بن الحسين الهمداني عن صفوان عن عبد الرحمن، كتاب داود بن سرحان حدثني به جدي أبو طاهر عن الحسين بن حريز عن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن محمد بن أرومة عن ابن سعيد، كتاب معاوية بن وهب البجلي، حدثني به عم أبي علي بن سليمان رحمه الله عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن جعفر بن بشير وعبد الله بن جبلة عن معاوية بن وهب، كتاب معاوية بن وهب أيضاً حدثني به حميد بن زياد عن الحسن بن محمد بن سماعة عن أحمد بن الحسين الميثمي عنه، كتاب غياث بن إبراهيم حدثني به جدي رحمه الله عن محمد بن الحسين عن محمد بن يحيى الخزاز عن غياث مجلس لابن هلال، حدثني به جدي رحمه الله عن أحمد بن هلال، كتاب جميل بن دراج، وفيه كتاب معمر بن خلاد حدثني به عم أبي علي بن سليمان عن أحمد بن عبد الرحمن بن سراج عن علي بن حديد المدائني عن جميل، وبكتاب معمر عن أحمد بن عبد الرحمن عن معمر، كتاب أبان عن عثمان حدثني به خال أبي أبو العباس الزرار عن عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي عن الحسن بن علي بن زياد الخزاز عنه، كتاب هارون بن حمزة الغنوي حدثني به جدي أبو طاهر رحمه الله عن علي بن فضال عن يزيد بن إسحاق شغر عن هارون وحدثني به خال أبي عن خاله وجدي علي بن محمد بن عيسى عن يزيد

بن إسحاق عن هارون كتاب عبد الله بن ميمون القداح ثلاثة أجزاء، حدثني به خال أبي أبو العباس الزرار عن محمد بن الحسين عن ابن الخطاب عن الحسن بن علي بن فضال عن القداح، كتاب الجامع ليونس بن عبد الرحمن، وهو جامع الآثار أربعة أجزاء حدثني به خال أبي أبو العباس الزرار عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن إسماعيل بن بزي عن يونس.

وحدثني به أيضاً أبو العباس الحميري، فقد صار الأصل الذي فيه سماعي من الحميري أتى رجل من أهل باب الطاق يعرف بابن سبق والسماع بخط جدي، كتاب جابر الجعفي حدثني به خال أبي أبو العباس الزرار عن القاسم بن الربيع عن ابن سنان عن عمار عن منجل عن جابر وعن يحيى بن زكريا اللؤلؤي عن ابن سنان عن عمار عن منجل عن جابر، كتاب التجمل والمروة عن العبيدي حدثني به خال أبي أبو العباس الزرار عن محمد بن عيسى العبيدي، كتاب حنان بن سدير نسخة حدثني بها خالد خال أبي الزرار عن يحيى بن زكريا عن محمد بن بكر بن جناح عن حنان، كتاب جامع البزنطي حدثني به خال أبي محمد بن جعفر وعم أبي علي بن سليمان عن محمد بن الحسين عن البزنطي، كتاب حماد بن سدير نسخة أخرى حدثني به أبو العباس الحميري عن محمد بن عبد الحميد وعبد الصمد بن محمد القميين عن حنان بخطي، رسالة النياح المدائني حدثني بها أبو العباس الزرار عن القاسم بن الربيع الصحاف عن محمد بن سنان عن نياح المدائني عن مفضل بن عمر، وكتاب بشر بن سلام وغيره حدثني به خال أبي أبو العباس الزرار عن يحيى بن زكريا عن بشر بن سلام من الرجال هو بخطي مقتل حجر حدثني به جدي محمد بن سليمان عن حمدان القلانسي عن عمرو بن عمر الجلال عن هشام بن محمد السائب الكلبي، كتاب الزكاة لابن فضال حدثني به جعفر بن محمد بن مالك عن علي بن فضال، الجزء الأول من كتاب الزهد لعمرو بن خلاد ومسائل معمر حدثني به أبو العباس الزرار عن جده محمد بن عيسى عن معمر بن خلاد، الجزء الثاني من كتاب جعفر بن بشر حدثني به الحميري عن محمد بن الحسين عن جعفر بن بشر، المعرفة تصنيف العبيدي حدثني بها الزرار خال أبي عن محمد بن عيسى العبيدي، كتاب الوصايا ليونس حدثني به جدي محمد بن سليمان عن علي بن الحسن بن فضال عن محمد بن عبد الله بن زرارة عن محمد بن أسلم، كتاب فيه أحاديث ثمانية أوراق حدثني بها جعفر بن محمد بن مالك، كتاب التقية للحسين بن سعيد حدثني به الحميري عن محمد بن أحمد بن عيسى عنه، كتاب مسائل الرضا للبزنطي حدثني بها جدي عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن أبي بصير البزنطي عنه عليه السلام، كتاب حريز بخط حميد بن زياد حدثني به حميد بن زياد عن عبد الله بن أحمد بن نهيك عن ابن أبي عمير عن حماد بن عيسى عن عبد الله السجستاني، كتاب الدلائل للحميري أخبرني به أبو العباس الحميري هو مصنفه، نسخة أخرى للعيص بن القاسم حدثني بها حميد بن زياد عن الحسن بن محمد بن سماعة عن الحسن بن هشام أو علي بن رباط وصفوان بن يحيى عن العيص، كتاب أحاديث عن العباس بن عقدة ومن مسائل علي بن جعفر كتاب الغيبة للحميري عنه جزء بخط الزرار عنه جزء فضائل الكوفة،

كتاب عبد الله بن بكير رواه جدي محمد بن سليمان عن أحمد بن الحسن بن فضال عن أبيه عن ابن بكير، جزء صغير من حديث جعفر بن محمد بن مالك عنه، كتاب صغير عن هارون بن أبي بردة قال:

حدثني جدي رحمه الله عن يحيى بن زكريا عن هارون بن أبي بردة، وحدثني به عم أبي أبو الحسن علي بن سليمان عن يحيى بن زكريا، كتاب مثنى الخياط حدثني به جدي عن الحسن بن محمد بن خالد الطيالسي عن الحسن بن علي ابن بنت إلياس الخزاز عن مثنى، كتاب الطرائف لمحمد بن سنان حدثني به جدي أبو طاهر محمد بن سليمان عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان، كتاب لموسى بن سعدان حدثني جدي عن محمد بن الحسين سعدان، كتاب عبد الرحمن بن الحجاج نسخة أخرى حدثني بها جدي وعم أبي محمد وعلي أبنا سليمان عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن صفوان بن عبد الرحمن، كتاب جميل بن دراج حدثني به جدي عن علي بن الحسن بن فضال عن أيوب بن نوح عن ابن أبي عمير عنه، وعن علي بن فضال عن جعفر بن محمد بن حكيم عنه، كتاب الزكاة لحماد بن عيسى حدثني به عم أبي علي بن سليمان عن محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل عن إسماعيل بن سهل عن حماد بن عيسى، كتاب الملاحم عن إسماعيل بن مهران حدثني به عم أبي أبو الحسن علي بن سليمان عن جدي محمد بن سليمان عن أبي جعفر أحمد بن الحسن عن إسماعيل، كتاب نوادر الحكمة حدثني به خال أبي أبو العباس الزرار عن محمد بن أحمد بن يحيى وهو مصنفه، كتاب البشارات لابن فضال حدثني به خال أبي أبو العباس الزرار عن جدنا محمد بن عيسى بن زياد التستري عن الحسن بن فضال. كتاب البشارات لابن سماعة حدثني به حميد بن زياد عنه، كتاب الوصافي حدثني به أبو العباس الزرار عن محمد بن الحسين عن أبي جعفر محمد بن سنان عن ابن مسكان عن الوصافي ذكر الطلاق عن معاوية بن حكيم حدثني به أبو العباس عن معاوية بن حكيم، حديث عن الحسن بن محبوب حدثني به الزرار ومحمد بن الحسين عن ابن محبوب، جزء جلد صغير بخط الزرار عن خالد وهو جد أمي علي بن محمد بن عيسى التستري عن يزيد بن إسحاق عن هارون بن حمزة الغنوي وغيره، كتاب نوادر لمحمد بن سنان بخط أبي طاهر جدي حدثني به أبو الحسن محمد بن محمد المغاري عن جدي أبي طاهر محمد بن سليمان عن محمد بن سلمان عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان، كتاب لمحمد بن سنان أيضاً حدثني به خالي عن يحيى بن زكريا اللؤلؤي عن محمد بن سنان، كتاب الأظلة وشيء من فواضل إنا أنزلناه ونوادر لمحمد بن محسن بن زياد العطار حدثني به حميد بن زياد عن علي بن صالح عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير بكتاب الأظلة، وحدثني به حميد أيضاً بالإسناد بفضل إنا أنزلناه، وحدثني به حميد عن محمد بن أبي الحسن بن زياد بنوادره، وبعد ذلك حديث الفضل بن يونس الكاتب حدثني به حميد عن عبيد بن أحمد عن نهيك عن سعيد بن صالح عن الحسن بن عمر عن أبيه، كتاب بريهة العبادي بخطي حدثني به حميد عن أبي جعفر محمد بن غالب عن علي بن الحسن

عن الحسن بن أيوب عن محمد بن الحسن الصيرفي عن عمار بن مروان عن بريهة، نوادر محمد بن الحسن بن شمعون البصري حدثني به أبو علي محمد بن همام عن عبد الله بن العلا المداري، ورقتان بخط جدي أبو طاهر فوقع عليها بخطي أحاديث عن جعفر بن مالك، وحدثني بها أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مالك عن محمد بن الحسين الصائغ خمسة أجزاء في مجلد، حدثني بما فيها محمد بن محمد المعاوي عن محمد بن يحيى العطار وفيها أحاديث عن أحاديث عن عبد الله بن جعفر الحميري، وجميع كتاب الكافي تصنيف أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني روايتي عنه بعضه قراءة وبعضه إجازة، وقد نسخت منه كتاب الصوم والصلاة في نسخة وكتاب الطهر والحيض في جزء والجميع مجلد، وعزمي أن أنسخ بقية الكتاب في جزء واحد ورق طلحي، كتاب هشام بن الحكم وكتاب رفاعة وكتاب يعقوب بن شعيب حدثني بذلك حميد بن زياد عن عبيد الله بن أحمد عن ابن أبي عمير عن هشام وعن رفاعة، وبالإسناد عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن المغيرة ومحمد بن أبي حمزة عن يعقوب بن شعيب، جزء بخطي فيه أخبار من كتاب حماد بن عيسى حدثني بها أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار قال:

حدثني أبي قال: حدثني عمي داود بن مهزيار، وحدثني حماد بن عيسى وأجاز لي رواية جمع ما رواه عنه الموصليان، وقد أجزت لك رواية ما أجاز لي روايته، كتاب جدنا الحسن بن الجهم في جلود مخلق وأرجو أن أجدده، حدثني به أبو عبد الله أحمد بن محمد العاصمي، وسمي العاصمي لأنه كان ابن أخت علي بن عاصم رحمه الله قال: حدثني الحسين بن أحمد بن فضال عن أبيه عن علي بن سياب عن الحسن بن الجهم، وكان توقيعاً عليه بخط جدي حدثني به القمي عن علي بن أسباط عن الحسن بن الجهم أجزاء بخطي فيها دعاء السر حدثني به أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني عن الرجال المذكورين في الكتاب، جزآن بخطي فيهما ثماني أوراق حدثني بأحدهما حميد بن زياد وحدثني بالآخر أبو الحسن أحمد بن محمد بن رباح، ست ورقات بخطي في حياة جدي رحمه الله أخبار في الصوم عنه عن الرجال، أخبار مجموعة عن الحميري وعن جدي وخالي رحمهما الله عن حميد، جزء لطيف بخطي أخبار علي بن سليمان بن المبارك القمي وفيه إجازة لي بخطي، كتاب سعد وكتاب سوارات أحمد بن محمد بن عيسى وغير ذلك، جزء بخطي في ظهور أدلة أحاديث جمعتها في الحج وفي آخره أشياء اخترتها من كتاب بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله فيه خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير رواية الخليل كان أبوك وابن عمه حضرا بعض سماعه، كتاب وصية النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين إلى العباس بن عقدة، وعلى ظهره أجازة لي جميع حديثه بخطه، وقد أجزت لك رواية ذلك، جزء فيه أشياء جمعتها وأخبار أخترتها من كتاب بصائر الدرجات لسعد، كتاب فيه قراءة القرآن عن الصفواني، جزء في طهور بخطي فيه خطب لأمير المؤمنين عليه السلام رواية الواقدي حدثني به عمر بن الفضل وراق الطبري عن رجاله، كتاب فيه رسالة قاضي المدينة في الرد على من يحلل المسكر كثيرة وأخبار وغير ذلك، جزآن مربعان فيهما كتاب الأنبياء لابن فضال رواية ابن سعيد ونوادر ابن أبي عمير

وهما ستة أجزاء رويتها عن عبد الله بن جعفر الحميري عن أيوب بن نوح عن ابن أبي عمير، كتاب خلود موقع عليه، كتاب ابن الحسن وفيه عن أحمد بن محمد ومحمد بن إسماعيل ومعمر بن خلاد، وكتاب لعلي بن رباب حدثني به جدي عن محمد بن الحسين عن الحسن بن محبوب عنه، كتاب حكم بن مسكين حدثني به خالي عن محمد بن الحسين عن الحكم بن مسكين، كتاب عن يحيى بن زكريا اللؤلؤي عن علي بن أسباط حدثني به خالي عن يحيى، كتاب علاء بن رزين القلا حدثني به خالي وعم أبي وجدي عن محمد بن أحمد الطيالسي عن العلا، كتاب آداب ومواعظ حدثني به جدي عن رجاله، كتاب مسعدة بن زياد الربعي حدثني به خالي عن هارون بن مسلم عن سعد بن زياد، كتاب عبد الله بن سنان ونوادر له حدثني به جدي عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان، كتاب الدعاء لابن مهزيار حدثني به أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار عن أبيه الحسن بن علي عن علي بن مهزيار، كتاب المكاسب للبرقي بالإسناد في المحاسن، كتاب أحمد بن محمد البزنطي حدثني به عم أبي علي بن سليمان وخال أبي محمد بن جعفر الزرار عن محمد بن الحسين عنه، كتاب الحجال حدثني به الحميري، الجزء الثالث من كتاب الحجال حدثني به الحميري عن محمد بن الحسين عن الحجال، كتاب عيسى بن عبد الله العلوي حدثني به خالي عن جدنا محمد بن عيسى بن زياد التستري عن عيسى، كتاب الفرائض لابن سماعة بخط حميد حدثني به حميد عنه، كتاب تغلبة بن ميمون حدثني به حميد عن الرجال عن تغلبة، هذا آخر ما وجدته في فهرست أحمد بن محمد الزرار والحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قال شيخنا أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله: وجدت في المنتخبات التي أجازنا إياها جعفر بن محمد بن قولويه عن أبيه عن سعد بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن عبيد عن الحسن بن علي يقطين عن مروك بن عبيك عن محمد بن مقرون الكوفي قال: حدثني المشايخ من أصحابنا أن حمران وزرارة وعبد الملك وبكير وعبد الرحمن بن أعين كانوا مستقيمين فمات منهم أربعة في زمن أبي عبد الله عليه السلام وكانوا من أصحاب أبي جعفر عليه السلام وبقي إلى أن مات أبو عبد الله وكان أفقههم فلقي من الناس ما لقي، وكان له أخوان ليسا في شيء من هذا الأمر مالك وقعنب، وكان لزرارة أربعة بنين عبيد الله وعبد الله والحسن والحسين ولم يذكر رزين في هذا الخبر وقد وجدت أيضاً زيادة لزرارة ابنا اسمه محمد أخبرني محمد بن موسى القزويني أخبرني إسماعيل بن علي الدعيلي حدثني أبو علي الدعيلي حدثني أبو جعفر البجلي الكوفي حدثني يحيى بن المعلا حدثني سلامة بن نوح الكوفي حدثني محمد بن زرارة بن أعين عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال في خطبته: أنا الجانب والجنب والآخر والأول والحافظ والوداع.

ووجدت أيضاً فيما حكى رواه الحسن بن حمزة عن علي بن عبد الله العلوي الحسيني الطبري رحمه الله قال: سمعت محمد بن أميذوار الطبري يقول: حضرت مجلس الحسن بن علي

الموسوم بالناصر صاحب طبرستان وقد روى حديثاً عن حمران بن أعين قال أبو جعفر بن اميذوار: فنظر إلى الشيخ ثم أومئ بيده إلي هكذا الأخوان يعني حمران وزرارة وقد زانهما اخوان فقط، فقال ليس لهما ثالث.

قال الحسن بن حمزة: وكنت على هذا دهراً إلى أن اجتمعت مع أبي جعفر أحمد بن عبد الله البرقي ومحمد بن جعفر المودة فجاريتهما بعدما كان جرى لي مع أبي جعفر بن أميذوار فقال لي: ولأرد عليك بل هم اثني عشر إخوة وكنت على هذا دهراً إلى أن اجتمعت مع أبي العباس بن عقدة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة فجرى بيني وبينه ما تقدم ذكره فقال لي: يا أبا محمد هم ستة عشر إخوة وسماهم أو سبعة عشر.

قال أبو محمد: الشك مني، حدثني عن آل أعين قال: كل واحد منهم كان فقيهاً يصلح أن يكون مفتي بلد ما خلا عبد الرحمن بن أعين، فسألته عن العلة فيه فقال: كان يتعاطى الفترة إلى أيام الحجاج، فلما قدم الحجاج العراق قال: لا يستقيم لنا الملك تحت الحجر فاختفوا وتواروا فلما اشتد الطلب عنهم ظفر بعبد الرحمن هذا المستفتي من بين إخوته فأدخل على الحجاج فلما بصر به قال: لم تأتوني بآل أعين وجئتموني بزمارها وخلى سبيله.

وجدت بخط أبي الحسن محمد بن احمد بن داود القمي رحمه الله قال أبو علي محمد بن علي بن همام رحمه الله حدثني أبو الحسن علي بن سليمان بن الحسن بن الجهم بكير بن أعين المعروف بالرازي: أن بني أعين كانوا عشرة عبد الملك وعبد الأعلى وحمران وزرارة وعبد الرحمن وعيسى وقعنب وبكير وضريس وسميع وأنكر أن يكون فيهم ملك فقال ملك أعين الجهني، وذكر أن أعين كان رجلاً من الفرس فقصد أمير المؤمنين ليسلم على يديه وتوالى إليه فاعترضه في طريقه قوم من بني شيبان بدعوة حتى تولى إليهم وقال أبو الحسن علي بن أحمد العقيقي في كتاب الرجال: من بني أعين عبيد والحسين والحسن بنو زرارة بن أعين وعبيد الله بن بكير وحمزة بن حمران وضريس بن عبد الملك بن أعين وجعفر بن قعنب بن أعين، وكان ولد قعنب بالفيوم من أرض مصر وفيها قبر غسان بن عبد الملك بن أعين، فهؤلاء أولادهم الذين رووا عن أبي عبد الله عليه السلام.

وروي أن بني أعين أقاموا أربعين سنة أربعين رجلاً كلما مات منهم رجل ولد فيهم ذكر، وهذا الحديث الذي ذكره ابن همام رحمه الله ولم يقع لأبي غالب رضي الله عنه ولو وقع إليه أو كان سمعه من عم أبيه لحدثنا به وذكر في هذا الرسالة لأنه كان شديد الحرص على جمع شيء من آثار أهله «رحمهم الله تعالى» وكان أيضاً يكره سنسن جد بكير وبني أعين وولاء بني شيبان وأنه من الرومي، وإنما وجدت هذا بعد وفاته رحمه الله في سنة ثلاث وتوفي أحمد بن محمد الزراري الشيخ الصالح رضي الله عنه في جمادى الأولى سنة ثمان وستين وثلاثمائة وتوليت جهازه وحملته إلى مقابر قريش «على صاحبها السلام» ثم أتى الكوفة ونفذت ما أوصى بإنفاذه وأعانني على ذلك هلال بن

محمد ﷺ ثم توفي هلال بن محمد في شوال من هذه السنة فتوليت أمره وجهازه ووصيته وحملته إلى الشهيدين بمقابر قريش ثم إلى الكوفة وقبر اهماره بالغري ثم توفي في هذه السنة في ذي الحجة محمد بن أحمد بن داود ﷺ بالبطيحة من شفتني ودفن هناك ثم نقل إلى بغداد وحيل بيني وبين إنفاذ وصيته والقيام بأمره، ﷺ وعن جميع شيوخنا وجمع بيننا في جنان النعيم صلى الله على عباده الذين اصطفى.

حكم مسألة التقية

فائدة: اعلم أن التقية جائزة وربما وجبت، والمراد بها إظهار موافقة أهل الخلاف فيما يدينون به خوفاً، والأصل فيه قبل الإجماع ما اشتهر من أقوال أهل البيت عليهم السلام وأفعالهم، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] أن معناه أعلمكم بالتقية، وعن الصادق عليه السلام: «التقية ديني ودين آبائي» وناهيك بقول أمير المؤمنين: «فأما السب فسبوني فإن لي زكاة ولكم نجاة».

إذا تقرر ذلك فاعلم أنها قد تكون في العبادات وقد تكون في غيرها من المعاملات، وربما كان متعلقها مأذوناً فيه بخصوصه كغسل الرجلين في الوضوء والتكتف في الصلاة وقد لا يكون مأذوناً فيه بخصوصه بل جواز التقية فيه مستفاد من العمومات السالفة ونحوها، فما ورد فيه نص بخصوصه إذا فعل على الوجه المأذون فيه كان صحيحاً مجزياً سواء كان للمكلف مندوحة عن فعله كذلك أم لم يكن التفاتاً إلا أن الشارع أقام ذلك الفعل مقام المأمور به حين التقية فكان الإتيان به امتثالا فيقضي الاجزاء، وعلى هذا فلا يجب الإعادة ولو تمكن منه على غير وجه التقية قبل خروج الوقت، ولا أعلم في ذلك خلافاً من الأصحاب.

وما لم يرد فيه نص بخصوصه كفعل الصلاة إلى غير القبلة والوضوء بالنبيذ ومع الإحلال بالموالات بحيث يجف البلل كما يراه بعض العامة ونكاح الحليلة مع تخلل الفاصل بين الإيجاب والقبول، فإن المكلف يجب عليه إذا اقتضت الضرورة موافقة أهل الخلاف فيه إظهار الموافقة لهم بحيث لو أمكنه أن يأتي بالواجب عند أهل الحق مع إظهار الموافقة وجب كما في المقارنة بالنية لأول الحجر في الطواف مع محاذاة أول جزء من مقاديم بدنه، ومع التعذر فإن كان له مندوحة عن ذلك الفعل لم يجب الإتيان به وإلا لقي به مجزياً، ثم إن أمكن الإعادة في الوقت بعد الإتيان به لوفق التقية وجبت ولو خرج الوقت نظر في دليل يدل على وجوب القضاء فإن حصل الظفر به أوجبناه وإلا فلا لأن للقضاء إنما يجب بأمر جديد في هذه العبادات.

وأما في المعاملات فلا يحل له باطناً وطي المنكوحة للتقية على خلاف مذهب أهل الحق

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

ولا التصرف في المال المأخوذ من المضمون عنه لو اقتضت التقية أخذه ولا تزوج الخامسة لو طلق الرابعة على مقتضى مذهب أهل الخلاف دون المذهب الحق، ومعيار الباب وجود نص بخصوصه في فعل مخصوص فحيث وجد ثبت الحكم الأول وحيث انتفي انتفى.

وربما قيل بعدم الفرق بين المقامين في كون المأتي به شرعاً مجزياً على كل تقدير وهو مردود: لنا أن الشارع كلف بالعبادة على وجه مخصوص ورتب الأثر في المعاملة بوقوعها على وجه مخصوص فلا يثبت الإجزاء والصحة بمعنى ترتب الأثر من دونهما وهو ظاهر، والأذن في التقية من جهة الإطلاق لا يقتضي لزيد من إظهار الموافقة، أما كون المأتي به هو المكلف به أو المعاملة المعتبرة عند أهل البيت عليهم السلام فأمر زائد على ذلك لا يدل عليه الأذن من جهة الاطلاق باحدى الدلالات.

ثم نقول: يلزم القائل بعدم الفرق بين المقامين صحة الصلاة إلى غير القبلة سواء كان إلى محض اليمين والشمال أو إلى دبر القبلة للتقية، وفي جلد الكلب فكذلك، ومع الإخلال بالموالاة كما سبق، وجوازه في الحلية بنكاحهم، وتزويج الخامسة بإيقاع الطلاق عندهم الضرورة التقية، وأخذ المال من المضمون عنه لأجلها والتصرف فيه، ويلزمه أيضاً عدم وجوب الإعادة وإن بقي الوقت في العبادة لكن المأتي به عنده شرعياً مجزياً، ويلزم أيضاً عدم اشتراط المندوحة في المقام الثاني كالأول وجميع اللوازم باطلة، وقد نازع في الستر بجلد الكلب وادعى أن المكلف إذا لم يتمكن من نزعه لأجل التقية وضاق الوقت ويصلي فيه تكون الصلاة صحيحة مجزية، واحتج عليه مع التقية بأن الستر ليس شرطاً في الصلاة بالإجماع للأمر الدال على الوجوب في قوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾[1] وغيره مما هو كثير، وقد جوز الشارع الصلاة بغير ساتر وفي الثوب المتنجس وفي الحرير للرجل في مواضع مخصوصة فلذلك لم يكن الستر شرطاً مطلقاً.

نعم لا يجوز تعدي هذه المواضع ونحوها مما هو مستفاد هو النصوص، لأن العالم إذا خص كان حجة فيما بقي وكذا المطلق إذا قيد، وأما دعوى الإجماع فيتوقف على إثباته باستقراء فتاوى الفقهاء في هذه المسألة وكونها على وفق ما يدعيه، وأنى لذلك.

وربما يقال: إنه يحتج بعبارة شيخنا في المقدمة المشهورة في الصلاة المعروفة بالألفية، وهي كذا باقي الشروط فيصح القضاء من فاقدها لا فاقد الطهارة، وجوابه أن هذه العبارة لو كانت حجة يعول عليها لم تدل على مطلوبه، لأن جلد الكلب من موانع الصلاة والعبادة إنما تدل على الجواز من دون الشرط، ولا دلالة لها على حكم المانع بوجه من الوجوه، وقد ورد في مرسل ابن أبي عمير عن الصادق عليه السلام: «لا تصل في شيء من جلد الميتة ولا شسع» وقد تقرر

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

في الأصول أن النهي في العبادة يدل على الفساد، وهو دال على المراد في محل النزاع لمن كان له ملاحظة الانصاف، وهذه الفائدة وجدتها منسوبة لشيخنا المحقق الثاني الشيخ علي بن عبد العالي «قدس سره».

قيل: أصابع الشيطان، كان يقال لمن ولاه السلطان «أصبعة الشيطان»، قال الشاعر:

[البحر الكامل]

قد كنتَ أكرمَ صاحبٍ وابرَّه   حتى دهتك أصابعُ الشيطانِ
مجزٍ ألا له بنابها وأبانها   كم غيَّرت خلْقاً من الإنسانِ

كتاب نهج البلاغة: ما مزح أمره مزحة إلا مج من عقله مجة، زهدك راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس، ما لابن آدم والفخر أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه الغنى والفقر بعد العرض على الله تعالى.

فائدة غريبة في لفظة عاد

فائدة غريبة: لم أجدها في كلام أحد من النحويين واللغويين، قال الشيخ برهان الدين إبراهيم بن علي بن عجيل في كتابه المسمى بالمذاكرة: اعلم أن لفظة «عاد» لها ستة أمكنة تكون اسماً وتكون فعلاً تاماً وتكون فعلاً ناقصاً وتكون بمعنى أن وتكون بمعنى هل وتكون جواب الجملة المتضمنة معنى النفي مبنية على الكسر متصلة بالمضمرات: «الأول» تكون اسماً متمكناً جارياً بتصاريف الإعراب كما قال الله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا﴾[1] فنصبه بإضمار اذكر، «الثاني» أن تكون فعلاً تاماً بمعنى رجع أو زار يقول: «عاد يعود» أي رجع يرجع أو زار يزور، «الثالث» أن تكون فعلاً ناقصاً مفتقراً إلى الخبر بمنزله كان بشرط أن يتقدمها حرف عطف، وعليه قول حسان:

[البحر الكامل]

ولقدْ صبوتُ بها وعادَ شبابها   غضاً وعادَ مزارها مستطرَفا

أي وكان شبابها غضاً وكان مزارها مستطرفاً «الرابع» أن يكون حرفا عطفاً عاملاً نصباً بمنزلة أن مبنياً على أصل الحرفية محركا لالتقاء الساكنين مكسوراً على الأصل فيهما بشرط أن يتقدمها جملة فعلية وحرف عطف كقولك: «رقدت وعاد إياك ساهراً» أي وإن أباك، ومنه مشطور حسان أنشد مشعوفاً بشطر قبله:

[البحر الرجز المجزوء]

علقتُها وعاد قلبي أهلهْ   وعادَ أيامُ الصِّبا مستقبلهْ

وقال آخر:

[البحر الخفيف]

إنْ تُعادِ زيداً فعادِ عمْراً   وعادِ عمراً بعده وعُمَرا

---

(١) سورة الفُرقان، الآية: ٣٨.

أي فإن عمراً موجود «الخامس» أن يكون حرف استفهام بمنزله هل مبني على الكسر للعلة المذكورة أيضاً مفتقراً إلى الجواب كقولك: «عاد أبوك مقيم؟» مثل هل أبوك مقيم «السادس» أن يكون جواباً بمعنى الجملة المتضمنة معنى النفي بلم أو بما فقط مبنية على الكسر أيضاً، وهذا إذا اتصلت بالمضمرات يقول المستفهم: «هل صليت؟».

فيقول: «عادني» أي إنني لم أصل أو إنني ما صليت، وبعض الحجازيين يحذف نون الوقاية فيقول: «عادي» واللغتان فصيحتان إذا كان عادي هاهنا بمعنى أن، ولا يمتنع أن يكون إني وإنني، هذا إذا اتصلت عاد بياء النفس خاصة وإن اتصلت بغيرها من المضمرات كقول المجيب لمن سألك عن شيء عاده أو عادنا، وكذا باقي الضمرات فاثبات نون الوقاية ممتنع تشبيها بأن «فصل» وربما فاه المستفهم عاد: خرج زيد، فيقول مجيباً له عاد أي انه لم يخرج أو إنه ما خرج، نقلته من خط الشيخ العوفي الحنبلي مفتي الحنابلة بمكة المشرفة - انتهى ما نقلناه من الكتاب المشار إليه، والحمد لله حق حمده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله.

كلمة عبد لها عشرون جمعاً

قال الجلال السيوطي في خطبة شرح عقود الجمان في المعاني والبيان: وعبد في الأصل وصف غلبت عليه الاسمية، وله عشرون جمعاً نظم ابن مالك منها إحدى عشر في بيتين واستدركت عليه الباقي في آخرين، فقال ابن مالك: [البحر الرجز المجزوء]

عبادٌ عبيدٌ جمعُ عبدوا عُبُدْ وعابدٌ معبودٌ معبدةٌ عُبُدْ
كذلكَ عبدانٌ وعبدان أثْبتا كذلك العبدَ وأمدُدْ إنْ شئت أنْ تمُدْ

وقلت: [البحر الرجز المجزوء]

وقدْ زيدَ أعبادٌ عبودةُ عبدةٌ وخفّف بفتحٍ مع عبدان أنْ تشد
وأعبدةٌ عبدون ثمّة بعدها عبدونُ معبوداً بقصرٍ فجد تسدْ

معانٍ مختلفة لكلمة واحدة

فائدة: راق الشيء يروق إذا أعجب، وراق السراب يريق إذا لمع فوق الأرض، وقد جمع بينهما أبو عبد الله في قوله: [البحر الرجز المجزوء]

ويروقُني موعدُ هذا الرّشا وأنّه مثلُ سرابٍ يريقْ
خدّاه ناعمانِ ومنْ بارقٍ مبسمُه والشّفتانِ العقيقْ

ولقد أحسن الإمام أبو عبد الله بن شرف القيروان حيث قال: [البحر الوافر]

له عرفٌ وليس لدَيهِ عرفٌ كبارقةٍ تروقُ ولا تريقُ

فائدة: الصقعاء الشمس قالت ابنة أبي الأسود لأبيها في يوم شديد الحر: يا أبتي ما أشد الحر؟ قال: إذا أكلت الصقعاء من فوقك والرمضاء من تحتك فقلت أردت أن الحر لشديد فقال: قولي: ما أشد الحر!. فحينئذ وضع باب التعجب.

فائدة: مما أدخلت فيه الهاء وهو صفة للمذكر قولهم: رجل راوية، كثير الرواية، والعلامة أكثر علماً من العالم، والفقاقة الأحمق، ويقال: فقاقة أيضاً ففقاقة، والبقباقة الكثير الفضول، والخجابة بالتخفيف الكبير السن، والهبلاجة الكسلان.

وروي: إنه سئل أبو القبعثر الأعرابي فقال: الهبلاجة الأحمق المايق الكسلان الذي لا يقوم عمله بضرسه.

فائدة: أهل البصرة يقولون: قلوت في كل شيء يقلاً وقليت في البغض، وأهل الكوفة يقولون: قليت الشريف وهو مقلاً وقلوت البسر فهو مقلو - كذا نقله في فصيح ثعلب.

فائدة: ذكر يعقوب بن إسحاق في رسالة مقصورة على أوقات الدعاء: إن القمر وعطارد إذا قارنا كف الخضيب كان وقتاً للدعاء بالغناء والشجاعة ويستجاب له في وسط عمره، وإن قارنه زحل مسعوداً أسعد الداعي من وسط عمره إلى آخره، وإن كان منحوساً افتقر وضعف، وذلك أن من الأدعية ما ينعكس على داعيه فيصير إلى ضد ما يرتجيه، كما يحكى أن أهل طبرستان أجدبوا أيام الحسن بن زائد العلوي فخرجوا يستسقون فما فرغوا من دعائهم إلا والحريق مضطرم في أطراف البلد حتى قال أبو الغمر: [البحر الخفيف]

خرجُوا يسألون صوبَ غمامٍ فأجيبوا بصيِّب منْ حريقِ
جاءهم ضدُّ ما تمنَّوه إذْ جاءتْ قلوبٌ محشوةٌ بفسوقِ

قال يعقوب: إن قارن كف الخضيب المشتري نظر الداعي على ظالمه، وإن قارنته الزهرة أجيبت دعوته في المال وقل عمره، وإن قارنه المريخ كان الداعي وقت دعائه ظالماً على من يدعو عليه وحرم الإجابة قال السيد علي المشهور بالصدر الشيرازي: وهذا لا استبعاد فيه فقد ذهب طائفة كثيرون من الأوائل والأخر إلى أنه إذا أستعين في الأدعية بأشكال من الكواكب في أوقات مسعودة كانت مرجوة وكما يستعان فيها بتجريد الفكر وتصحيح النية والبروز في الجماعات إلى الصحراء وغير ذلك، والله أعلم، ولله در القائل: [البحر الوافر]

أتلعبُ بالدعاءِ وتزدريهِ فسوفَ يبينُ ما صنع الدّعاءُ
سهامُ الليل لا تُخطي ولكنْ لها أمدٌ وللأمدِ انقضاءُ

وليمتان في الإسلام لم يكن أكبر منهما

ذكر صاحب تحفة العروس قال: أخبرنا أبو ياسر البغدادي قال: وليمتان في الإسلام لم يكن مثلهما ولا يكون أبداً.

الأولى: وليمة الرشيد عند دخوله بزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، كانت أواني الذهب تملأ من الفضة وأواني الفضة تملأ من الذهب وتدفع إلى وجوه الناس، ويقال: إن العود الهندي إنما فضل على العود القماري في هذه الوليمة لأنهما امتحنا فوجد الهندي أطيب وأبقى في الثوب.

قال أبو ياسر: كانت النفقة في هذه الوليمة من بيت خاصة المهدي سوى ما أنفقه الرشيد خمسين ألف ألف دينار.

والثانية: وليمة المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل، قال أبو الفرج: لما خطبها المأمون استعد لها استعداداً يجل عن الوصف، وخرج المأمون إلى فم الصلح وهي بلدة في سنة عشرة ومائتين فأملك بها، وفعل الحسن في هذه الوليمة ما لم يفعله ملك في الجاهلية ولا في الإسلام، نثر على الهاشمين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جواري وتعيين صلاة وغير ذلك من كل شيء نفيس، فكان إذا وقع شيء من ذلك في يد من نثر عليه فتحه وتوجه فاستوفى وقبض ما فيه، ثم نثر بعد ذلك على عامة الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وقطع العنبر، وأقام الوظائف والنفقات لجميع ما اشتمل عليه عسكر المأمون لكل رجل على قدره، ويقال: إن العسكر اشتمل على ستة وثلاثين ألف ملاح.

قال أبو الفرج: لما جليت بوران فرش لها حصير من ذهب وجيء بإناء مملوء دراً فنثر على الحصير، وكان فيمن حضر من النساء زبيدة بنت جعفر وحمدونة بنت الرشيد وغيرهما من بنات الخلفاء فلم تلتقط واحدة منهن شيئاً من الدر، فقال المأمون: أكرمنها بالتقاطكن لها، فمدت كل واحدة يدها وأخذت واحدة وبقي الدر على حصير الذهب، فقال المأمون: قاتل الله الحسن بن هاني كأنه كان حاضراً حيث قال في صفة الخمر: **[البحر البسيط التام]**

قامتْ تُريني وأمرُ الليلِ مجتمعٌ ... صبْحاً تولّد بين الماءِ والعنبِ

كأنَّ صُغرى وكُبرى من فواقِعها ... حصباءُ درٍّ على أرضٍ منَ الذهبِ

قال: وقد تلك الليلة شمعة عنبر وزنها ثلاثون رطلاً فأنكر المأمون ذلك وقال: هذا سرف، فأمر زبيدة برفعها وقالت: هاتوا الشمع المستعمل**قال**: وسأل المأمون زبيدة عما أنفقه الحسن فقالت: ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف، فبلغ ذلك الحسن فقال: أو كانت النفقة على يدها والله لقد حصرتها فكانت ثمانين ألف ألف، وأقامت البغال وعدتها أربعة آلاف تنقل الحطب قبل الوليمة أربعة أشهر وفي أثناء الوليمة أحوجهم الحطب فكانوا يوقدون الكتان عوضاً عن الحطب.

قال الطبري: ودخلوا الليلة الثالثة من وصوله إلى فم الصلح، فلما جلس معها نثرت عليها جدتها ألف درة، فأمر المأمون بجمع الدر وقال: كم هو؟ فقالت: ألف حبة، فأخذه ووضعه في حجرها وقال: هذا نحلتك وسلي حوائجك، فقالت لها جدتها: كلمك صاحبك فكلميه فقد أذن لك، فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدي لأدبه، فقال: قد فعلت.

ويقال: إنه لما أدخلت عليه وأراد غشيانها حاضت فقالت: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾(١) فنام في فراش آخر، فلما قعد للناس من الغد دخل عليه يوسف بن أحمد الكاتب وقال: يا أمير المؤمنين هنأك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر في المعركة، فأنشده المأمون: [البحر السريع]

وفارسٍ ماضٍ بحربتهِ طاعنٌ بالرّمحِ في الظلمِ
ورام أنْ يرمي فريستَه فاستجارَتْ من دمٍ بدمِ

وأكثرت الشعراء في هذه الاملاك واستطرف منها قول أبي حازم الباهلي:

[البحر الخفيف المجزوء]

بارك الله للحسن ولبوران في الختن يابن هارون قد ظفرت ولكن ببنت من

فلما نمي إلى المأمون قال: والله ما تدري أخيراً أراد أم شراً.

وكان إسحاق يقول: ما رأيت في الملوك مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهماً وعقلاً وأدباً وفضلاً، وما أظن أحداً وقف على شيء من العلوم على ما وقفت عليه، ولم نزل في صحبة المأمون إلى أن توفي عنها سنة ثمان عشرة ومائتين وعاشت بعده إلى سنة إحدى وسبعين ومائتين وعمرها ثمانون سنة.

وحكي: أن المأمون خلا بها يوماً فقال لها: غني، فغنت شعراً: [البحر الوافر المجزوء]

جعلتُك مُشتكى حُزني ومُعتصري على الزّمنِ
وجدْتُك خائِناً غدْراً فيا أسفي على بدني

تريد ما كان من غدر المأمون بعمها الفضل، فقال المأمون: لقد كنت عن هذا غنياً لولا شقائي.

سبب تزويج بوران بالمأمون

وما نقل في سبب تزويجه بوران واسمها خديجة وكانت من أهل الأدب، نقل أهل التواريخ والسير أن إبراهيم بن إسحاق الموصلي قال: قال لي المأمون يوماً: هذا يوم سرور، ثم قال للغلمان: خذوا علينا الباب وأحضروا الشراب، فبقينا بقية يومنا في أنس وشرب، فلما كان الليل قال لي: يا أبا إسحاق إني أريد الصبوح فكن مكانك حتى أدخل الحرم وأخرج إليك، فلما استطابت الخروج قلت: اشتغل عني وغلب عليه النبيذ ونسيني وكانت عندي صبية بكر كنت اشتريتها فتطلعت لها نفسي فنهضت، فقال لي العبيد: قد انصرف عبدك بدابتك، فتمشيت على

(١) سورة النحل، الآية: ١.

رجلي فلما صرت في بعض الطريق أحسست بالبول فعدلت عن الطريق فلما صرت إلى الجدار قضيت حاجتي وأردت أن أتمسح ببعض الحيطان فإذا بشيء معلق من حائط، وإذا بزنبيل كبير معلق قد لبس بالديباج فيه أربعة أحبل ابريسم فقلت: إن له أمراً فتجاسرت ودخلت فيه، فلما أحس بثقلي جذب وإذا بأربع جوار يقلن بالرحب والسعة صديق أم جديد؟.

فقلت: بل جديد، فسارت إحداهن بين يدي حتى أدخلتني إلى مجلس لم أر مثله قط فجلست في أدنى مجالسه وإذا بوظائف في أيديهن الشمع والمجامر يسجر فيها العود وبينهن جارية كالبدر الطالع ذات دلٍّ وشكل، فنهضت عند دخولها فقالت: مرحباً بالضيف، ثم رفعتني وسألتني عن دخولي؟ فقلت: عن غير قصد، فقالت: ما السبب؟ فقلت: انصرفت من عند بعض الإخوان فلما رأيت ذلك الزنبيل حملني النبيذ على الدخول فيه، قالت: فما صناعتك؟.

قلت: بزاز، قالت: ما مولدك؟ قلت: بغداد، قالت: ومن أي الناس أنت؟ قلت: من أوساطهم، قالت: حياك الله هل رويت من الأشعار؟ قلت: شيء ضعيف، قالت: فذاكرني، قلت: إن للداخل دهشة ولكن ابدئيني فالشيء بالمذاكرة.

قالت: فهل تحفظ قصيدة فلان الذي يقول فيها كذا وكذا؟ ثم أسندتني إلى جماعة من القدماء والمحدثين فلم أدر من أي أحوالها أعجب من حسنها أو من حسن إنشادها أو حسن أدبها أو ضبطها للغريب من النحو واللغة، ثم قالت: قد ذهب عنك بعض الحصر؟ قلت: أجل لقد كان ذلك، قالت: فأنشدني، قال: فانشدتها فجعلت تسألني عن أشياء تمر بي في الشعر كالمختبر ثم قالت: والله ما نظرت فيك ولا توهمت في أبناء التجار مثلك قالت:

كيف معرفتك بالأخبار وأيام الناس؟

قلت: نظرت في شيء من ذلك، ثم أمرت بالطعام فلما أكلنا وأحضرت النبيذ فشربت قدحاً وقالت: هذا أوان المذاكرة، فاندفعت وقلت: بلغني كذا وكذا وكان رجل من قصته كذا وكذا، فقالت: ليس هذه الأحاديث من التجار وإنما هي من أحاديث الملوك، قلت: إنه كان لنا جار ينادم بعض الملوك فكنت أدعوه بعض الأوقات إلى منزلي وكما تسمعين فمن عنده أخذت فقالت: يمكن هذا، فقالت: لو كان عندك شيء واحد لكنت عاملاً تحرك بعض الملاهي أو ترنم، قلت: لا أحسن من هذا شيئاً على أنني مولع بسماعه قالت: يا جارية أتيني بعود فأحضرت عوداً فضربت وأحسنت وغنت غناء بديعاً ثم قالت: هذا الغناء لإسحاق، وقد كنت كتمت نفسي لها فلم تزل على ذلك حتى إذا كان عند الفجر قالت: المجالس بالأمانات، ثم انصرفت وأخرجت من باب صغير فانتهيت إلى داري، فأرسل المأمون إليّ فمشيت إليه وبقيت عنده إلى وقت البارحة ودخل المأمون إلى حرمه وقال لي: لا تبرح فخرجت إلى ذلك المكان فدخلت في الزنبيل فقالت: ضيفنا؟

قلت: نعم وما أظن قد ثقلت قالت: مادح نفسه يقرئك السلام، فقلت: هفوة فمني بالصفح،

قالت: فعلنا ولا تعد، فلما كان عند الصباح صنعت صنيعها البارحة وخرجت إلى داري، فلما كانت الليلة الثالثة رجعت على عادتي فوضعت نفسي في الزنبيل ووصلت إليها قالت:

نعم أي والله، قالت: جعلتها دار تمام، قلت: الضيافة ثلاثة أيام فإن رجعت فأنت في حل من دمي، فلما قرب من ذلك الوقت تفكرت في أمر المأمون وعلمت أنه لا يخلصني منه إلا أن أخبره الخبر وعلمت أنه من شغفه بالنساء سيطالبني بالمشي إليها، فقلت لها: جعلت فداك أتأذنين لي في ذكر شيء حضر؟ قالت: قد أذنت لك، قلت: أراك ممن تحب الغناء وتعجب بالآلات ولي ابن عم هو من أهل الحسن والأدب وبالغناء هو أعرف خلق الله تعالى سيما بغناء إسحاق الذي أسمعك تثنين عليه وكانت إذا غنت تقول: هذا لإسحاق؟ قالت: طفيلي وتقترح! قلت: إنما ذكرت لك وأنت المحكمة، قالت: فإن كان كما ذكرت فما أنكره، قلت: فالليلة؟

قالت: نعم، ثم انصرفت على عادتها وانصرفت على عادتي فما وصلت داري حتى أتاني رسول المأمون فمشيت إليه فإذا هو على حنق فقال: يا أبا إسحاق آمرك بشيء لا تقف عنده، وكان يدخل حرمه ويأمرني بانتظاره فأتذكر مجالسة تلك الجارية فأنسى عقوبته، قلت: لي قصة احتاج فيها إلى خلوة فأومى إليّ من كان واقفاً فتنحى قلت: كان من خبري كيت وكيت، فلما فرغت من كلامي قال: أتدري ما تقول؟ قلت: نعم، قال: كيف لي بمشاهدة ذلك الموضع؟ قلت: قد علمت أنك تطالبني بهذا وقد قلت لي ابن عم من صفته وحديثه كيت وكيت ثم جلسنا على عادتنا نشرب وهو يسليني عن حديثها حتى جاء الليل فسرنا جميعاً إلى الموضع وقلت له: دعني من نخوة الملوك والخلافة وكن كأنك تبعا لي قال: نعم، فلما وصلنا ذلك الموضع الفينا زنبيلين فدخل في واحد ودخلت في الآخر فلما صرنا في البيت جلست أنا في صدره وجلس هو تحتي فلما أتت قالت: حيا الله أضيافنا بالسلام، ثم رفعت مجلسه وقالت:

هذا ضيف وأنت من أهل البيت ولكل جديد لذة، وقعد المأمون في صدر المجلس وأقبلت عليه تحدثه وهو يأخذ معها في كل فن فيسكتها ويفحمها، فالتفتت إلي وقالت: وفيت بوعدك، ثم أحضرت النبيذ وجعلنا نشرب وهي مقبلة علينا ثم قالت: وابن عمك هذا من أولاد التجار أيضاً؟ قلت: نعم، قالت: إنكما لغريبان من أولاد التجار ثم حديثكما وأدبكما لمن أحاديث الملوك وليس للتجار هذه المنزلة في الأحاديث والأدب، ثم قالت لي: وعدك؟

قلت: إنه ليجيب ولكن متى يسمع شيئاً، قالت: وذاك، ثم أخذت العود وغنت فشربنا عليه رطلاً ثم ثانياً ثم ثالثاً وفي كل ذلك نشرب فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال ارتاح وطرب فكان الصوت الثالث مما يقترحه على المأمون أبداً، فلما سمعه وقد دخله السكر نظر إلي نظر الأسد إلى الفريسة وقال: يا أبا إسحاق هذا الصوت فلما رأتني قد أخذت في العود ووقفت بين يديه أغنيه علمت أني أبو إسحاق وأنه المأمون فنهضت وقال لها: هاهنا، وأومىء إلى كلة مضروبة فدخلها فلما فرغت من ذلك الصوت قال: يا أبا إسحاق انظر من صاحب هذه الدار؟ فقلت لتلك العجوز: من صاحب هذا المنزل؟

قالت: الحسن بن سهل، قلت: ومن هذه؟ قالت: ابنته بوران، فرجعت فأعلمته فقال: علي به الساعة، فأحضرته فوقف بين يديه فقال: لك بنت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: زوجنيها، قال: هي أمتك وأمرها إليك قال: فإني أتزوجها على ثلاثين ألفاً نحملها إليك صبيحة غد فإذا نفذ إليك المال فاحملها إلينا، قال: نعم يا أمير المؤمنين ثم نهض ففتح الباب فخرجنا فلما صرنا إلى الدار قال: يا أبا إسحاق لا تقص على أحد ما وقفت عليه فإن المجالس بالأمانات، فقلت: يا أمير المؤمنين مثلي ما يحتاج إلى وصية بهذا قال: فلما أصبحنا أمر بحمل المال إليه ونقلت إليه من يومها.

قال أبو إسحاق: فما فهت بالخبر إلا بعد وفاة المأمون وذلك أنه لما أراد أن يعرس بها أمر أن تخرج الفساطيط والأخبية وتضرب على ضفة دجلة في موضع منخفض وخرج وجوه الناس لذلك العرس وعامة الناس للتنزه، وكانت النفقة من عند الحسن بن سهل على كل من كان حضر ذلك العرس فيقال له: إنه كان الانفاق فيها إلى جميع الناس وكان عدد الملاحين منهم خاصة سوى الزواريق والزلاليات وما يشاكلها الذين كانوا حملوا الناس في مراكبهم إلى ذلك الموضع تنيف على عشرة آلاف ملاح سوى سواد الناس، ويذكر أنه لما بسطت القبة التي دخل فيها المأمون على بوران فخير الناس الحسن بن سهل الخاصة ممن حضر ذلك العرس بين مائة دينار وحلة أو قبضة من أرض تلك القبة فيقال إن القابض بكفيه في أرض تلك القبة كان أرجح ممن أخذ مائة دينار وحلة فإنه ربما يخرج في قبضته حجر ياقوت أو حجر زمرد أو درة نفيسة تساوي أضعاف ذلك العدد، وهو أول من تسمى بالمأمون وتسمى به بعد ذلك ولد المعتمد بن عباد وسمي يحير بن ذي النون صاحب طليطلة.

منتخب من كتاب المزهر

من كتاب المزهر في علم اللغة لجلال الدين السيوطي.

الفصل الأول في الملاحن: وقد ألف في ذلك ابن دريد تأليفاً لطيفاً، وقد كانت العرب تتعمد ذلك وتقصده إذا أرادت التورية.

قال القالي في أماليه: قرأت على أبي عمر المطرز قال: حدثنا أحمد بن يحيى أن ابن الأعرابي قال: أسر طي رجلاً شاباً من العرب فقدم أبوه وعمه ليفدياه فاشترطوا عليهما في الغداة فأعطيا عطية لم يرضوها، فقال أبوه: لا والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طي لأزيدكم على ما أعطيتكم ثم انصرفا، فقال الأب للعم: لقد ألقيت إلى ابني كلمة لئن كان فيه خير لينجون، فما لبث أن نجا فاطرد قطعة من إبلهم، فكان أبوه قال له: الزم الفرقدين على جبل طي فإنهما طالعان عليه وهما لا يغيبان عنه.

قال ابن دريد في كتاب الملاحن: وسميناه الملاحن واشتققنا هذا الاسم من اللغة العربية

الفصيحة التي لا يشوبها اللكدة ولا يستولي عليها التكلف لأن اللحن عند العرب الفطنة، ومنه قول النبي ﷺ: «لعل أحدكم ألحن بحجته» أي أفطن لها وأعرض عليها، وذلك أن اللحن أن تريد شيئاً فتوري عنه بقول آخر، كقول العنبري أسيراً كان في بكر بن وائل حين سألهم رسولاً إلى قومه فقالوا: لا ترسل ألا بحضرنا، لأنهم كانوا أزمعوا غزو قومه فخافوا أن ينذرهم، فجيئ بعبد اسود فقال:

أبلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً - يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر - فإن قومهم لي مكرمون وقل لهم: أن العرفج قد ادبي وقد شكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معكم حيساً وأسألوا الحارث عن خبري، فلما أدى العبد الرسالة قالوا: لقد جن العنبري وانهد ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب، ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال: لقد أنذركم، أما قوله: ادبي العرفج يريد أن الرجال فقد أستلاموا ولبسوا السلاح، وقوله شكت النسا أي اتخذت الشكا للسفر، وقوله الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصماء وهو الجمل الأصهب وقوله أكلت معكم حيساً يريد أن أخلاط من الناس قد غرونا لأن الحيس بجمع التمر والسمن والأقط، فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه.

وأخذ هذا المعنى أيضاً رجل كان أسيرا في بني تميم فكتب إلى قومه شعراً:

[البحر البسيط التام]

حلّوا عن الناقة الحمراءِ رحلكُمُ ... والبازلَ الأصهبَ المعقولَ فاصطنِعوا
إنَّ الذبابَ قد اخضرّتْ براثِنُها ... والناسُ كلهُمُ بكراً إذا شبعوا

يريد الناس إذا أخصبوا أعدائكم كبكر بن وائل.

وقال أبو عبيدة في كتاب أيام العرب: أخبرنا فراس بن خندف قال: جمعت ومواسير في بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقال لهم: أعطوني رسولًا أرسل إلى أهلي أوصيهم في بعض حاجتي، وكانوا اشتروه من بني أبي ربيعة فقالت بنو أسعد: ترسله ونحن حضور ذلك، فخافه أن ينذر قومه، قال: نعم فأرسلوا له غلاماً مولداً لعمر لما أتوه به اتيتموني بأحمق فقال الغلام: والله لا أنا بأحمق.

فقال الأعور: إني أراك مجنوناً قال: ما أنا بمجنون، قال: فالنيران أكثر أم الكواكب؟ قال: الكواكب وكل كثير، وقال آخر: إنه قال له: والله ما أنا بأحمق، فقال الأعور: انك لعيني أحمق وما أراك مبلغاً عني؟ قال: بل لعمري لأبلغن عنك فملأ الأعور كفه من الرمل فقال: كم في كفي؟

قال: لا أدري وأنه لكثير ما أحصيه، فأومى إلى الشمس بيديه فقال: ما تلك؟ قال: الشمس قال: ما أراك إلا عاقلاً شريفاً أذهب إلى أهلي فأبلغهم عني التحية وقل لهم ليحسنوا إلى أسيرهم

ويكرموه فاني عند قوم محسنين إلي مكرمين إلي وقل لهم: فليعروا جملي الأحمر ويركبوا ناقتي العيسا وليرعوا حاجتي في بني مالك وأخبرهم أن العوسج قد أورق وان النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة فانه مشؤوم محدود وليطيعوا هذيل بن الأخنس فانه حازم ميمون، فقال له بنو قيس: ومن بنو مالك؟

قال: بنو أخي وكره أن يعلم القوم، وزعم سليمان بن مزاحم أنه قال: وإذا أتيت أم قدامة فقل لها: أنكم قد أساتم إلى جملي الأحمر وانهكتموه ركوباً فاعفوه وعليكم ناقتي الصهباء فافتقدوها، فلما أتاهم الرسول فأبلغهم لم يدر عمر بن تميم ما الذي أرسل به الأعور وقالوا: ما نعرف هذا الكلام ولقد جن الأعور بعدنا، فقال هذيل للرسول: اقتص على أول القصة، فقص عليه أول ما كلمة به الأعور وما رجعه إليه حتى أني على آخره

قال الهذيل: أبلغه التحية إذا أتيته فأخبره بما أوصى به، فنادى هذيل بلغته فقال: لقد بين لكم صاحبكم إن الرمل الذي جعل في يده فإنه يخبركم إنه أتاكم عدو لا يحصى، وأما الشمس التي أومأ إليها يقول ذلك أوضح من الشمس، وأما جمله الأحمر فهو الصماء، وأما ناقته العيسا أو قال الصهباء فهي الدهناء يأمركم أن تتحرزوا فيها، وأما بنو مالك يأمرهم أن تنذروهم وأن تمسكوا بحلف ما بينكم وبينهم، وأما ورق العوسج فأن القوم قد اكتسوا سلاحاً، وأما اشتكاء النساء فانه يخبركم انه قد عملن لمن عجلا يقرون بها والعجل الروايا الصغار.

ذكر أمثلة من ذلك: قال ابن دريد: والله ما سألت فلاناً حاجة قط، والحاجة ضرب من الشجر له شوك، وما رأيته أي بما ضربته، ولا كلته أي جرحته ولا أعلمته أي ما جعلته أي أعلم ما شققت شفته العليا ولا أخذت كلباً وهو المسمار في قائم السيف، ولا فهذا فهو المسمار في وسط الرجل، ولا جارية وهي السفينة، ولا شعيرة وهي رأس المسمار من الفضة، ولا صفراء وهو دبس الرطب، ولا كسرت له سناً وهو قطعة من العشب تتفرق في الأرض. ولا ضرساً وهو قطعة من المطر يقع متفرقة في الأرض، ولا خرجت له رحى وهو من الأضراس، ولا لبست له جبة وهي جبة السنان وهو الموضع الذي يدخل فيه رأس الرمح، ولا ظلمت فلاناً أي ما سقيته ظلماً وهو اللبن قبل أن يروب، ولا أعرف لفلان ليلاً ولا نهاراً فالليل ولد الكروان والنهار ولد الحبارى، ولا حماراً وهو أحد الحجرين الذي ينصب عليهما المعلا وهي صخرة رقيقة يجفف عليها الأقط، ولا أتاناً وهي صخرة تكون بوسط الوادي تسمى أتان الضحل الماء، ولا جحشة وهي الصوف الملفوف كالحلقة يجعلها الرجل في ذراعه ثم يغزلها، ولا دجاجة وهي الكبة من الغزل، ولا فروحاً وهي الدراعة، ولا بقرة وهي العيال الكثير، ولا ثوراً وهي القطعة الكبيرة من الأقط، ولا عنزاً وهي الأكمة السوداء، ولا سبيت لفلان أما وهي أم الدماغ، ولا جداً وهو الخط، ولا خالاً وهو السحاب الخليق للمطر، ولا خالة وهي الاكمة الصغيرة، ولا ضربت له يداً وهي واحد الأيادي المصطنعة، ولا رجلاً وهي القطعة العظيمة من الجراد ولا أخبرته أي ما

ذبحت له خبره وهي شاة يشتريها قوم يقتسمونها بينهم، ولا جلست له على حصير وهي اللحمة المعترضة في جنب الفرس، ولا أخذت له قلوصاً وهو فرخ الحبارى، ولا كرماً وهو القلادة، ولا رأيت سعداً وهو نجم، ولا سعيداً وهو النهر يسقي الأرض منفرداً بها، ولا جعفراً وهو النهر الكبير، ولا ربيعاً وهو خط الأرض من الماء في كل ربع ليلة أو ربع يوم، ولا عمداً وهو واحد عمود الأسنان، ولا قطعنا ولا أبانا وهما جبلان معروفان، ولا أو يساولا أو يسارهما من أسماء الذئب ولا حسناً وهو كثيب معروف، ولا سهلا وهو ضد الحزن، ولا سهيلاً وهو نجم معروف، وما طوبت لفلان أرضاً وهي باطن حافر الفرس، ولا أخذت له جراباً وهو ما حول البئر من باطنها، ولا بيضة وهي بيضة الحديد، ولا فرخاً وهو فرخ الهامة وهو مستقر الدماغ، ولا عسلاً وهو عدو من عدو الذئب، ولا خلاً وهو الطريق في الرمل، وما عرفت له طريقاً وهو النخل الذي ينال باليد، ولا أحببت كذا من قولك أحب البعير إذا برك فلم يسر، ولا أكريت أي تأخرت، ولا رأيت فلاناً راكعاً ولا ساجداً فالراكع العاثر الذي كبا لوجهه والساجد المد من النظر في الأرض، وما عند فلان نبيذ وهو الصبي المنبوذ، ولا أتلفت لفلان نمرة وهي طرف السوط، وما رويت هذا الحديث وما ذريته فرويت أي شددت بالرواء وهو الحبل وذريته أي خلته، ولا أخذت لفلان حرزاً وهو الوسط، ولا مسست له خداء وهو الأخدود في الأرض، ولا كسرت له ظفراً وهو ما تدار مقعد الوتر من القوس العربية، ولا كسرت ساقه وهو الذكر من الحمام، وما أنا بصاحب مكر وهو ضرب من النبت، ولا أخذت لفلان فروة وهي جلدة الرأس، ولا كشفت لفلانة قناعاً ولا عرفت لها وجهاً فالقناع والوجه القصد، وما لي مركوب وهو ثنية بالحجاز معروفة، وما لي في هذا الكتاب خط وهو سيف البحر، وما لي فرش وهو الصغار من الإبل، وما رأيت لفلان بطناً ولا فخذاً وهما من العرب، ولا لعبت أي ما سال لعابي، وما جلست من قولهم جلس فلان إذا دخل المجلس وهو يحدو ما والاه، وما عرفت لفلانة بعلاً وهو النخل يشرب ماء السماء، ولا زوجاً وهي الغطة يطرح عليها الهودج، وما أبصرته أي لم أقشر بصره قشر أعلاه الجلد، وما لي جمل وهو سمك من البحر، وما طرقت فلاناً أي لم أضربه بمطرقة وما لي تبن وهو جبل معروف.

الفصل الثاني في الألغاز: وهي أنواع: ألغاز قصدتها العرب وألغاز قصدتها أئمة اللغة، والأبيات لم تقصد العرب الألغاز بها وإنما قالتها فصادف أن تكون ألغازاً، وهي نوعان: فإنها تارة تقع الألغاز بها من حيث معانيها وأكثر أبيات المعاني من هذا النوع وقد ألف ابن قتيبة في هذا النوع مجلداً حسناً وكذلك ألف غيره، وإنما سموا هذا النوع أبيات المعاني لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها ولا تفهم من أول وهلة وتارة تقع الألغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب ونحن ذاكرون من كل نوع من هذه الأربعة عدة أمثلة على غير ترتيب، فمن الأبيات التي قصد بها العرب الألغاز بها قال القالي في أماليه أنشدنا أبو بكر الأنبارى قال: أنشدنا أبو العباس ثعلب:

[البحر الكامل]

ولقدْ رأيتُ مطيةً معكوسةً ... تمشي بكلكلها ويرخيها الصّبا
ولقدْ رأيتُ سبيبةً من أرضها ... تسبي القلوب وما تنيبُ إلى هَوى
ولقدْ رأيتُ الخيلَ أو أشباهَها ... تبني معطفةً إذا ما تُجتلى
ولقدْ رأيتُ جوارياً من فازةٍ ... تجري بغيرِ قوائم عند الجرا
ولقدْ رأيتُ عضيضةً مركولةً ... رودَ الشبابِ غريرةً عادتْ فَتى
ولقدْ رأيتُ مكفَراً ذا نعمةٍ ... جهدُوه في الأعمالِ حتى قدْ وني

قال ثعلب: أراد بالمطية السفينة، والسبيبة الخمر، وبالخيل تصاوير في وسائد، وبالجواري السراب، وبالمكفر السيف وقوله عادت فتى من العيادة.

وقال القالي: حدثني أبو بكر بن دريد أن أبا حاتم أنشدهم عن أبي زيد: [البحر الطويل]

وزهراءُ أنْ كفَّنتُها فهو عيشُها ... وإنْ لم أكفّنها فموتٌ معجّلُ

يعني النار، هي زهر أي بيضاء تزهر، يقول: إن قدحتها فخرجت فلم أدركها بحرقة أو غير ذلك ماتت.

وأنشد الجوهري في الصحاح: [البحر الوافر]

وما ذكرٌ فإنْ يكبرْ فأُنثى ... شديدُ اللّزمِ ليس له ضروسُ

قال: هو القراد لأنه إذا كان صغيراً كان قراداً فإذا أكبر سمّي حمله.

وقال ابن درستويه في شرح الفصيح: أشد الخليل لأبي المقدام الخزاعي :[البحر الخفيف]

وعجوزٌ أتتْ تبيعُه دجاجاً ... لم يفرّخن قد رأيتُ عُضالا
ثم عادَ الدجاجُ من عجبِ الدهرِ ... فراريجَ صبيةٍ أطفالا

وقال: يعني دجاجة الغزل وهي الكبا أو ما يخرج عن الغزل، ويعني بالفراريج الأقبية.

ومن أبيات المعاني قول حسان أيضاً: [البحر الطويل]

أتانا فلم نعدلْ سِواه بغيرِه ... بني غدا في ظلمةِ الليلِ هاديا

فيقال: سواه غيره فكأنه قال: فلم يعدل غيره بغيره، والجواب أن الهاء في بغيره للسوي، فكأنه قال: لم يعدل سواه به، كذا أخرجه الإمام جمال الدين بن هشام.

قال الشيخ بدر الدين الزركشي في كراسة سماها «عمل من طب من أحب»: ولا حاجة إلى هذا التكلف، فإن سوى في هذا البيت بمعنى نفسه نص على ذلك الأزهري في التهذيب وأنشد عليه البيت ونقله عنه وأقراه عليه الشيخ جمال الدين بن مالك في كتاب المقصور والممدود.

من أبيات المعاني قول الراعي: [البحر الكامل]

قتلُوا ابنَ عفانَ الخليفةَ مُحْرِماً ... ورُمي فلم ار مثْله مخْذولا

روى العسكري في كتاب التصحيف: أن الرشيد سأل أهل مجلسه عن هذا البيت فقال: أي أحرام هذا؟ فقال الكساء: أراد انه إحرام بالحج، فقال الأصمعي: والله ما إحرام ولا عنى الشاعر هذا ولو قلت أحرم دخل في الشهر الحرام كما يقال: أشهر دخل في الشهر كان أشبه، قال الكسائي: فما أراد بالإحرام؟ قال: كل من لم يأت شيئاً يستحل به عقوبة فهو محرم، خبرني عن قول عدي بن زيد: **[البحر الرمل]**

قتلوا كِسرى بليلٍ محرماً　　فتولَّى لم يمتّع بكفنْ

أي أحرام كان لكسرى فسكت الكسائي، فقال الرشيد: يا أصمعي ما نطاق في الشعر.

وفي أمالي الزجاج: في البيت قولان: «أحدهما» المحرم للمسك عن قبالهم، قال أبو العباس الفضل بن محمد اليزيدي: فقيل للفضل أعندك في هذا شعر جاهلي؟ قال: نعم أنشدني محمد بن حبيب الأخضر بن عبد المازني وهو جاهلي: **[البحر الطويل]**

فلستُ أراكمْ محرمون الّتي　　كرهتُ ومنها في القلوبِ تذوبُ

و«الثاني» أن في الشهر الحرام لأنه قتل في أيام التشريق وبه جزم المبرد في الكامل.

وقال ابن خالويه في شرح الدريديه أنشد أبو عبد الله بن حوشد عن أبي حنيفة الدينوري قال: أحسن ما قيل في أبيات المعاني قول الشاعر: **[البحر السريع]**

إذا القوسُ وتَّرها أيدٌ رمى　　فأصابَ الذّري والكِلا
فأصبحَتْ والليلُ مُحسنككٌ　　وأصبحتِ الأرضُ بحرَ طَما

يريد بالقوس قوس السماء الذي تقول له العامة قوس قزح، وترها أيد يعني الله تعالى رمى أي بالمطر فأصاب ذرى الجبال وكلاها فأصبحت أي أسرجت المصباح، والليل محسنكك أي شديد السواد، وأصبحت الثاني من الصباح والأرض بحر طمى من كثرة المطر.

من المضحكات: قيل: كان شخص يسمي شمس الرؤساء وكان إذا مدحه أحد من الشعراء لم يعطه شيئاً، فاحتال عليه بعض الشعراء وكتب له في رقعة: «بال حماري وفسا» وله الرقعة فلما قرأها قال لغلامه: أعطه خمسمائة درهم، فقالت له زوجته: وما هذي عادتك أن تعطي الشعراء شيئاً؟ فقال لها: خوفاً منه أن يكمل هذا البيت فيقول: **[البحر الرجز المشطور]**

بالَ حماري وفَسا　　في ذقنِ شمسِ الرُّؤسا

ومنها: حكي أن حجي أرسله أبوه يوماً يشتري له رأساً من الطباخ، فاشتراه وقعد في الطريق فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه وسلخ وجهه وأحضر لوالده ما بقي، فنظر إليه والده فقال: ويحك ما الذي أتيت به؟ قال: الرأس الذي طلبته، فقال: أين عيناه؟ قال: كان أعمى، فقال: ابن أذناه؟ فقال: كان أصم، فقال: أين لسانه؟ قال: كان أخرس، فقال: أين دماغه؟ فقال: كان فقيهاً يقرئ الصبيان، قال: أين سلخ رأسه؟ قال: كان سائلاً يسأل الناس في المساجد، فقال: رده على صاحبه فقل له: اشتريناه بشرط البراءة من كل عيب.

وللبهائي: قدس الله سره: [البحر الخفيف]

يا نديمي بمُهجتي أفديك ... قمْ وأملأِ الكؤوس من هاتيكْ
هاتها هاتها مشعشعةً ... أفسدتْ دينَ التّقي النسّيكْ
قهوةً إنْ ظللتُ ساحتَها ... فسَنا نور كأسِها بهديكْ
يا كلامَ الفؤادِ داوِ بها ... قلبَ المبتلىَ لكي يشفيكْ
هي نارُ الكليم فاجْتلها ... واخلعِ النعلَ واتركِ التشكيكْ
صاحِ ناهيك بالمدام فدمْ ... في احتساها مخالفاً ناهيكْ
عمركَ اللهُ قلْ لنا كرماً ... يا حمامَ الأراكِ ما يُبكيكْ
أتُرى غابَ عنك أهلُ منىً ... بعدَ ما قد توطّنوا واديكْ
إنَّ لي بينَ ربْعهم رشا ... طرفُه إنْ تمت أسىً يُحييكْ
ذو قوامٍ كأنّه غصنٌ ... مالَ لمّا بدا به التحريكْ
لستُ أنساه إذ أتى سَحراً ... وحدَه وحده بغير شريكْ
طرقَ البابَ خائفاً وجلاً ... قلتُ منْ قالَ كلُّها يرُضيكْ
قلتُ صرّحْ قال تجهلُ منْ ... سيفُ ألحاظه تحكّمَ فيكْ
باتَ يسقي وبتُّ أشربُها ... قهوةً تتركُ المقلَّ مليكْ
ثمَّ جاذبته الرداءَ وقد ... خامرَ النومُ طرفَه الفتّيكْ
قال لي ما تريدُ قلت لي ... يا منى القلبِ قبلةً من فيكْ
قال خذها فمذ ظفرتَ بها ... قلت زدْني قال لا وأبيكْ
ثمَّ وسدتُه اليمينَ إلى أن ... دنا الصبحُ قال لي يكفيكْ
قلتُ مهلاً قال قمْ فلقدْ ... فاحَ ريحُ الصّبا وصاحَ الديكْ

لطيفة: قيل كان بعض الملوك يحب النساء مفتوناً بهن، وكان له وزير ينهاه عن حبهن فمال قلبه عن محبتهن، فقالت له واحدة من خواصه لما تغير عليهن من هذا الحال: يا مولاي غفلت عنا؟ قال لها: إن وزيري فلان قد نهاني عن حبكن، فقالت الجارية: أيها الملك هبني له وسترى ما أصنع به، فوهبها للوزير فلما خلا بها الوزير تمنعت عليه حتى تمكن حبها من قلبه قالت: لا والله لا تقربني حتى أركبك وتمشي بي خطوات، فأجابها إلى ذلك فوضعت عليه سرجاً ولجاماً ثم ركبته ومشى بها خطوات وقد كان الملك هجم عليهم وهم في تلك الحالة فقال له: ما هذا يا أيها الوزير أنت كنت تنهاني عن حبهن وهذه حالتك معهن؟ فقال له الوزير: أيها الملك من هذا كنت أخاف عليك يا مولاي فاستحسنته لنفسي دونك قال الراوي: ونعم ما أجاب الوزير.

ومن النوادر الغريبة: قيل كان ملك من ملوك الهند وكان له وزير مجرب خبير يتقلب الزمان

وكان الملك لا يعمل شيئاً إلا برأيه لعقله وتدبيره، ثم إن الملك مات وتولى من بعده ولده وكان معجبا برأيه ولم يلتفت إلى وزير أبيه ولم يهتم بمشورته فقيل له: إن أباك ما كان يقطع أمراً بنفسه، فقال: كان أبي غلطاناً، فقال له ناس: امتحنه لترى من عقله، فأرسل إليه فقال: أيها الوزير أخبرني أيها أغلب على الرجل الطبع أو الأدب؟

فقال الوزير: الطبع أغلب فإنه أصل والأدب فرع ثم إن الملك دعا بسفرة الطعام والشراب وأحضر له سنانير بأيديها الشمع فوقفوا حول تلك السفرة وقال للوزير: اعتبر كان الطبع أغلب من الأدب، فسكت الوزير ساعة ثم قال: امهلني إلى الليلة المقبلة، ثم ذهب الوزير إلى داره فقال لغلامه: أمسك لي فأراً واربطه بخيط برجله، فأتاه الغلام بفأر في رجله خيط فأخذه في كمه ومضى إلى عند الملك فلما حضرت السفرة أقبلت السنانير بأيديها الشمع، فعند ذلك أخرج الوزير الفأرة من كمه فلما رأته السنانير رمت الشمع وتبعت الفأرة فكاد البيت أن يحترق بالنار جميعه، فقال له الوزير: أيها الملك كيف غلب الطبع على الأدب ورجع الفرع إلى أصله! قال: صدقت أيها الوزير، فرجع إلى رأيه كما كان يفعل أبوه.

مناظرات ركن الدولة مع ابن بابويه

ظريفة: في ذكر المجلس الذي جرى للشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي مع الملك ركن الدولة أبي علي الحسين بن بابويه الديلمي، قيل: إنه وصف للملك المذكور حال أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه وما يقعده في المجالس وما عليه من الآثار وما يجيب عنه من المسائل والأخبار ورجوع الإمامية إليه وإلى أقواله في البلدان والأمصار، فأحب لقاءه ومساءلته فقدم إلى حاجبه البرمكي إحضاره، فركب الحاجب إليه وأحضره إلى مجلس السلطان فلما دخل عليه قرّبه وأدناه وأكرمه ورفع مجلسه، فلما استقرّبه المجلس قال له السلطان: أيها الشيخ الفقيه العالم اختلف الحاضرون في القوم الذين طعنوا فيهم الشيعة، فقال بعضهم: يجب الطعن وقال بعضهم: لا يجب ولا يجوز فما عندك في هذا؟

فقال الشيخ رحمه الله: أيها الملك إن الله تعالى لم يقبل من عباده الإقرار بتوحيده حتى ينفوا كل إلّه سواه وكل صنم عبد من دون الله الم تر أنا أمرنا أن نقول: «لا إلّه إلا الله» فلا إلّه نفي كل إله عبد من دونه وقوله إلا الله إثبات لله عز وجل ، وكذلك لم يقبل الإقرار بنبوة محمد نبينا صلى الله عليه وآله حتى ينفوا كل متنبي كان في وقته مثل مسيلمة الكذاب وسجاح بنت الأسود العبسي وأشباههم، وهكذا لا يقبل القول بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلا بعد نفي كل ضد نصب للإمامة دونه، قال الملك هذا هو الحق وأخبرني أيها الشيخ بشيء جلي واضح من أمر إنتصب للإمامة دونه قال الشيخ: أيها الملك اجتمعت الأمة على نقل خبر سورة براءة وفيه خروج أبي بكر من الإسلام وفيه نزول ولاية أمير المؤمنين عليه السلام من السماء وعزل أبي بكر وفيه إنه لم يكن من النبي، قال الملك: وكيف ذلك؟

فقال الشيخ ﷺ: روى جميع أهل النقل منا ومن مخالفينا انه لما نزلت سورة براءة على رسوله ﷺ دعا أبا بكر فقال: يا أبا بكر خذ هذه السورة فأدها عني بالموسم بمكة، فأخذها أبو بكر وسار فلما بلغ بعض الطريق هبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فدعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يلحق أبا بكر ويأخذ منه سورة براءة ويؤديها عن الله تعالى أيام الموسم بمكة فلحقه أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ منه سورة براءة وأداها عن الله تعالى حيث إنهم أخروا من قدمه الله تعالى وقدموا من أخره الله استهانة بالله سبحانه، وقد صح أن أبا بكر ليس من النبي ﷺ لقول جبرائيل عليه السلام: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فإذا لم يكن من النبي ﷺ لم يكن تابعاً له، قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾(١) وإن لم يكن متبعاً للنبي ﷺ لم يكن محباً لله عز وجل لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٢) وإذا لم يكن محباً كان مبغضاً وبغض النبي ﷺ كفر. وقد صح بنفس هذا الخبر أن علياً عليه السلام من النبي، هذا مع ما رواه المخالف في تفسير قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(٣) إن الذي على بينة من ربه رسول الله ﷺ والشاهد الذي يتلوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وما رواه عن النبي ﷺ أنه قال: «علي مني وأنا من علي»، وما رواه من النبي ﷺ لينتهين أو لأبعثن عليه رجلاً نفسه نفسي وطاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي، ومما روي عن جبرائيل عليه السلام في غزاة أحد أنه نزل على النبي ﷺ فنظر إلى علي عليه السلام وجهاده بين يدي رسول الله فقال جبرائيل: هذه المواساة، فقال: يا جبرائيل لأنه مني وأنا منه.

فقال جبرائيل: وأنا منكما، فكيف يصلح أيها الملك للإمامة، رجل لم يأتمنه الله تعالى على تبليغ آيات من كتابه أن يؤديها إلى الناس أيام الموسم فكيف يجوز أن يكون مؤتمناً على أن يؤدي جميع دين الله عز وجل بعد النبي ويكون والياً عليهم وقد عزله الله عز وجل وولى علياً عليه السلام وكيف لا يكون عليٌّ مظلوماً وقد أخذوا ولايته وقد نزل بها جبرائيل من السماء؟ فقال الملك: هذا بين واضح.

وكان رجل واقفاً على رأس الملك يقال له«أبو القاسم» فاستأذنه في كلامه فأذن له فقال: أيها الشيخ كيف يجوز أن تجتمع هذه الأمة على خطأ مع قول رسول الله ﷺ: «لا تجتمع امتي على ضلالة؟».

فقال الشيخ: إن صح هذا الحديث فيجب أن تعرفه الأمة ومعناها أن الأمة في اللغة هي الجماعة وأقل الجماعة رجل وامرأة وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾(٤) فسمى واحداً أمة، قال النبي ﷺ: «رحم الله قساً يحشر يوم القيامة أمة واحدة» فما ينكر أن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٣) سورة هُود، الآية: ١٧.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٠.

النبي ﷺ - إن كان قال هذا الحديث - عنى به علياً عليه السلام ومن تبعه، فقال: عنى به الأعظم ومن هو كان أكثر عدداً؟

فقال الشيخ رحمه الله: وجدنا الكثرة في كتاب الله عز وجل مذموته والقلة مرحومة محمودة في قوله عز وجل: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾[١]، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٢] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٥] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[٦]، ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[٧]، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[٨]، وقال الله تعالى في مدح القلة: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[٩]، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[١٠] وذكر تعالى في قول موسى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[١١].

قال الملك: كيف يجوز الارتداد على العدد الكثير مع قرب العهد بموت صاحب الشريعة؟

فقال الشيخ رحمه الله: وكيف لا يجوز الارتداد عليهم مع قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[١٢] وليس ارتدادهم ذلك بأعجب من ارتداد بني إسرائيل حين مضى موسى عليه السلام لميقات ربه واستخلف عليهم أخاه هارون وقال: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٣] ووعد قومه بأنه يعود إليهم بعد ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلم يصبر قومه إلى أن خرج فيهم السامري وضع لهم من حليهم عجلاً جسداً له خوار فقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى، واستضعفوا هارون خليفة موسى وأطاعوا السامري في عبادة العجل، ولم يحفظوا في هارون وصية موسى به ولا خلافته عليهم، ﴿رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١٤].

هذا مما قص الله تعالى من تمام هذه القصة، وإذا جاز على بني إسرائيل - وهم من أمة أولي العزم - أن يرتدوا بغيبة موسى عليه السلام بزيادة عشر ليال حتى خالفوا وصيه وأطاعوا السامري في عبادة العجل فكيف لا يجوز على هذه الأمة بعد موت النبي ﷺ أن تخالف وصيه وخليفته

(١) سورة النّساء، الآية: ١١٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٣
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٠.
(٥) سورة يونس، الآية: ٦٠.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١١١.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٥٩.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٠٢.
(٩) سورة ص، الآية: ٢٤.
(١٠) سورة هود، الآية: ٤٠.
(١١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.
(١٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(١٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
(١٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

وخير الخلق بعده وتطيع سامري هذه الأمة؟ وإنما علي عليه السلام بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله لما روي عن جميع أهل النقل.

فقال الملك للشيخ الفاضل: ما سمعت في المعنى كلاماً أحسن من هذا ولا أبين، فقال الشيخ رحمه الله: أيها الملك زعم القائلون بإمامة سامري هذه الأمة أن النبي صلى الله عليه وآله مضى ولم يستخلف واستخلفوا رجلاً وأقاموه، فإن كان ما فعله النبي صلى الله عليه وآله على زعمهم من ترك الاستخلاف حقاً فالذي أثبته القوم من الاستخلاف باطل، وإن كان الذي اثبته الأمة من الاستخلاف صواباً فالذي فعله النبي صلى الله عليه وآله خطأ فمن لم يحكم بالخطأ عليه يحكم به على النبي صلى الله عليه وآله وعليهم، فقال الملك: بل عليهم.

قال الشيخ رحمه الله: فكيف يجوز أن يخرج النبي صلى الله عليه وآله من الدنيا ولا يوصي بأمر الأمة إلى أحد ونحن لا نرضى من عقل أكار في قرية إذا مات وخلف مسحاة وفاساً لا يوصي به إلى أحد من بعده؟

فقال الملك: القول كما تقوله لا كما يقوله المخالفون، فقال الشيخ: وهنا حكاية أخرى وهي أنهم زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله لم يستخلف فخالفوه باستخلافهم من أقاموه وخالف النبي من أقامه بالأمر فلما حضرته الوفاة لم يعتد بالنبي صلى الله عليه وآله في ترك الاستخلاف على رغمه واستخلف بعده الثاني، والثاني لم يعتدوا به ولا بالنبي صلى الله عليه وآله حتى جعل الأمر شورى في قوم معدودين، وأي بيان أوضح من هذا؟ فقال الملك: هذا بين واضح فأي شبهة ولدوها في إمامة هذا الرجل وإقامته؟ فقال الشيخ: إنهم زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله قدمه للصلاة وهذا خبر لا يضر وقد اختلفوا فيه فمنهم من روى أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعائشة: «أمرت أباك أن يصلي بالناس»، وأن النبي صلى الله عليه وآله لما عرف تقدم أبي بكر خرج متكئاً على علي عليه السلام وعلى الفضل بن العباس حتى دخل المسجد فنحى أبا بكر وصلى بالناس قاعداً وأبو بكر خلفه والناس كانت خلف أبي بكر ومنهم من روى أن النبي صلى الله عليه وآله أمر حفصة أن تأمر أباها أن يصلي بالناس، وهذا الخبر لا يصح لأن المهاجرين والأنصار لم يحتجوا به ولا ذكروه يوم السقيفة.

ولو صح هذا الخبر لما وجبت إمامة أبي بكر ولو وجبت الإمامة بالتقديم إلى الصلاة لوجب أن يكون عبد الرحمن بن عوف أولى بالإمامة، لأنهم رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه صلى خلفه ولم يختلفوا في ذلك، وكيف يلزمنا أيها الملك قبول خبر عائشة وحفصة يجرهما النفع إلى أبيهما وإلى أنفسهما؟ ولا يلزمهم قبول قول فاطمة عليها السلام وهي سيدة نساء العالمين فيما ادعته من أمر فدك وإن أباها نحلها إياه مع كون فدك في يدها سنين من حياته صلى الله عليه وآله مع شهادة علي والحسن والحسين عليهم السلام وشهادة أم أيمن لها؟ وكيف يصح هذا الخبر عندهم وقد رووا أن شهادة البنت لأبيها غير جائزة، وقولهم: إن شهادة النساء لا تجوز في عشرة دراهم ولا أقل إذا لم يكن معهن رجل، ومع قولهم: إن شهادة النساء على النصف من شهادة الرجال؟ فقال الملك: قولهم في هذا غير صحيح والحق والصدق فيما قاله الشيخ الفاضل.

ثم قال الملك: أيها الشيخ لم قلت إن الأئمة اثني عشر ولله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف بني؟ فقال الشيخ: أيها الملك إن الإمامة فريضة من فرائض الله وما أوجب الله فريضة غير معدودة، ألا ترى أن فرض الصلاة في اليوم والليلة سبع عشرة ركعة، وفرض الزكاة معلوم وهي عندنا على تسعة أشياء، ووجوب الصوم معلوم وهو ثلاثون يوماً، وبين مناسك الحج وهي معدودة، وكذلك تكون الأئمة عدداً لا يجوز أن يقال بأكثر ولا أقل، فقال الملك: فهل بين الله لذلك مجملاً والنبي ﷺ بين عددها في سنته لأن السنن إلى النبي ﷺ؟

فقال الشيخ: نعم قد بين الفرائض والسنن كلها بأمر الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1] وإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2] ولم يبين عدد ركعاتها وبينها النبي ﷺ وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3] ولم يبين عدد الأصناف التي تجب عليها الزكاة وقال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[4] ولم يبين حدوده وهيئته وبينها النبي ﷺ وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[5] ولم يبين مناسك الحج فبينها النبي ﷺ كذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[6] ولم يبين عدد الأئمة فبينها النبي ﷺ في سنه كما بين سائر الفرائض.

فقال الملك: إن الإمامة لم يوافقكم عليه مخالفوكم كما وافقوكم على عدد الفرائض فقال الشيخ رحمه الله: ليس يبطل قولنا في الإمامة مخالفينا كما لا يبطل الإسلام ومعجزات النبي بمخالفة اليهود والنصارى والمجوس والبراهمة ولو بطل بشيء من مخالفة المخالفين لم يثبت في العالم شيء لأن ما من شيء إلا وفيه خلاف، فقال الملك: صدقت هذا هو الحق وأنتم عليه وأولى الملك في تلك الساعة لأمير المؤمنين عليه السلام وسب أعداءه ومن شايعهم على ذلك والحمد لله رب العالمين.

قصة عبيد بن الأبرص مع الليث

كتاب المستطرف: حكى القاضي يحيى من أكثم قال: دخلت يوماً على الخليفة هارون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي: أتعرف قائل هذا البيت: **[البحر البسيط]**

الخيرُ أبقى وإنْ طالَ الزّمانُ بهِ   والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ مِنْ زادِ

فقلت: يا أمير المؤمنين أن لهذا البيت شأناً مع عبيد بن الأبرص، فقال: علي بعبيد، فلما حضر بين يديه قال: أخبرني عن قصة هذا البيت؟ قال: كنت يا أمير المؤمنين في بعض السنين

(١) سورة النّحل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(٣) سورة التّوبَة، الآية: ١٠٣.
(٤) سورة البَقَرَة، الآية: ١٨٣.
(٥) سورة آل عِمرَان، الآية: ٩٧.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

حاجاً فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القفل لحقت أوله بآخره فسألت عن القصة فقال رجل من القوم: تقدم ترى ما بالناس، فتقدمت إلى أول القافلة فإذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء الإبل فهالني أمره وبقيت لا أهتدي إلى ما أصنع في أمره فعدلنا عن طريقة إلى ناحية أخرى فعارضنا ثانياً فعلمت انه ليث ولم يجترىء أحد من القوم أن يقربه.

فقلت: أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا، فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت، فلما رآني منه سكن وبقيت متوقعاً منه وثبة يبلغني فيها فلما رأى القربة فتح فاه وجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في إناء، فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه، ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحطينا في منزلنا ذلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من الماء وعدلت إلى ناحية من الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله سبحانه فأخذت عيناي النوم فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حساً وقد ارتحلوا وبقيت منفرداً ولم أهتد إلى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب، وإذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول: [البحر الكامل]

يا أيُّها الشخصُ المدلُّ بركبِه ... ما عندَه من ذي رشادٍ يصحبُهْ
دونك هذا البكرُ منّا فاركبَهْ ... وبكرُك الميمونُ هذا فاجنبُهْ
حتّى إذا ما الليلُ زالَ غيهبُه ... فحطّ عنه رحلَه وسيِّبَهْ

فنظرت فإذا أنا ببكر قائم عندي وبكري إلى جانبي، فانخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر، فعلمت أنه قد حان نزولي فتحولت إلى بكري وقلت: [البحر البسيط التام]

يا أيُّها الركبُ قد أنجيتُ من كربٍ ... ومنْ همومٍ تضلُّ المدلَج الهادي
ألا تخبِّرنا باللهِ خالقنا ... من ذا الذي جعلَ المعروفَ في الوادي
وارجعْ حميداً فقد أبلغتَ مأمننا ... بوركتَ من ذي سنامٍ رائحٍ غادي

فالتفت البكر إلي وسمعته يقول: [البحر البسيط التام]

أنا الشّجاعُ الذي ألفيتَني رمضاً ... واللهُ يكشفُ ضرَّ الحائرِ الصّادي
فجدْتُ بالماءِ لمّا ظنَّ حاملُه ... تكرُّماً منك لم تمنُنْ بانكادي
فالخيرُ أبقى وإنْ طالَ الزمانُ به ... والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادِ
هذا جزاؤُك منّي لا أمنُّ به ... فاذهبْ حميداً رَعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والأبيات فكتبت عنده وقال: لا يضيع المعروف أين وضع.

وصف ابن الأعمى داره

ولقد أحسن الأدب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهيريا بن الأعمى في ذم دار يسكنها: [البحر الكامل]

دارٌ سكنتُ بها أقلُّ صفاتها ... أن تكثرَ الحشراتُ في جنباتِها
الخيرُ عنها نازحٌ متباعدٌ ... والشرُّدان من جميعِ جهاتِها
من بعد ما فيها البعوض علمته ... كم اعدم الأجفان طيب سناتِها
وتبيتُ تشعرُها براغيثٌ متى ... غنَّت لها رقصتْ على نغماتِها
رقصٌ بتنقيطٍ ولكنْ قافُه ... قد قدّمتْ فيه على أخواتِها
وبها ذئابٌ كالضّبا يسدن عين الشمس ما طربي سوى غناتِها
أين الصوارمُ والقنى من فتكها ... فينا وأين الأسدُ من وثباتِها
وبها من الخطّافِ ما هو معجزٌ ... أبصارنا عن حصر كيفياتِها
وبها خفافيشٌ تطيرُ نهارها ... مع ليلها ليستْ على عاداتِها
وبها من الجرذانِ ما قد قصّرتْ ... عنه العتاقُ الدُّهْمُ في حملاتِها
وبها خنافسُ كالطنافسِ أفرشتْ ... في أرضها وعلتْ على جنباتِها
لو شمَّ أهلُ الحربِ منتن فسوها ... أردى الكماةَ الصيدَ عن صهواتِها
وبناتُ وردانٍ وأشكالٍ لها ... ممّا يفوت العين كنه ذواتِها
أبداً تمصُّ دماءَنا وكأنّها ... حجامةٌ لبدتْ على كاساتِها
وبها من النملِ السليمانيِّ ما ... قد قلَّ ذرُّ الشمسِ عن ذراتِها
ما راعني شيءٌ سوى وزغاتها ... فنعوذُ بالرحمنِ من نزعاتِها
سجعتْ على أوكارها فظننتُها ... ورقُ الحمام سجعنَ في شجراتِها
وبها زنابيرٌ تظنُّ عقارباً ... يتوقدُ الأحشاءُ من زفراتِها
وبها عقاربُ كالأقارب رتَّعاً ... فينا حمَانا اللهُ لدغَ حماتِها
كيف السبيلُ إلى النجاةِ ولا نجا ... ولا حياة لمن رأى حيّاتِها
منسوجةٌ بالعنكبوت سماؤُها ... والأرضُ قد نسجت ثرى آفاتِها
والبومُ عاكفةٌ على أرجائها ... والدودُ تبحثُ في ثَرى عرصاتِها
والنارُ جزءٌ من تلهّبِ حرّها ... وجهنّمٌ تعزو إلى نفحاتِها
شاهدْتُ مكتوباً على أرجائِها ... ورأيتُ مسطوراً على جنباتِها
لا تقربُوا منها وخافُوها ولا ... تُلقوا بأيديكم إلى هلكاتِها
أبداً تقولُ الدّاخلون ببابِها ... يا ربّ نجّ الناسَ من آفاتِها

قالوا إذا ندبَ الغرابُ منازلاً يتفرّقون الناسُ من ساحاتِها
وبدارِنا ألفا غرابٍ ناعقٍ كذبَ الرواةُ فأين صدقُ رواتِها
صبراً لعلَّ اللهَ يعقبُ راحةً للنفسِ إذ غلبتْ على شهواتِها
دارٌ تبيتُ الجنُّ تحرسُ نفسَها فيها وتنذرُ باختلافِ لغاتِها
كم بتُّ فيها مفرداً والعينُ من شوقِ الصباحِ تسحُّ من عبراتِها
وأقولُ يا ربّ السماوات العُلى يا رازقاً للوحشِ في فلواتِها
أسكنتني بجهنمِ الدّنيا ففي أخراي هبْ لي الخلدَ في جناتِها
واجمعْ بمن أهواه شملي عاجلاً يا جامعَ الأرواحِ بعد شتاتِها

طرائف

قال: رجل لولده وهو في المكتب: في أي سورة أنت؟ فقال: في لا أقسم بهذا البلد ووالد بلا ولد، فقال: لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد.

وأرسل: رجل ولده يشتري له وشاء للبئر طوله عشرون ذراعاً فوصل إلى نصف الطريق ثم رجع فقال: يا أبت عشرون في عرض كم؟ فقال: في عرض مصيبتي فيك.

كان: لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم ولد فأرسله في حاجة فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها، فنظر إليه ثم قال: [البحر الخفيف المجزوء]

عقلُهُ عقلُ طائرٍ وهو في خلقةِ الجملْ

فأجابه:

شعبةٌ منك يا أبي ليس لي منه منتقلْ

كان: لأعرابي امرأتان فولدت إحداهما جارية والأخرى غلاماً فرقصته أمه يوماً وقالت مغايرة لضرتها: [البحر الرجز المجزوء]

الحمدُ للهِ الحميدِ العالي أنقذَني العامَ من الْخوالي
من كلِّ شوهاءَ كشنٍّ بالي لا ترفعُ الضَّيمَ عن العيالِ

فسمعت ضرتها فأقبلت ترقص بنتها وتقول: [البحر الرجز المجزوء]

وما عليَّ أنْ تكونَ جاريَهْ تغسلُ رأسي وتكونُ الغاليهْ
وترفعُ الساقطَ من خماريَهْ حتّى إذا ما بلغتْ ثمانيَهْ
أزّرتها منقبةً يمانيهْ أنكحُها مروانَ أوْ مُعاويَهْ
أصهار صدق ومهور غاليهْ

قال: فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف وقال: لحق أن لا تكذب ظن أمها ولا يخان بعهدها، فقال معاوية: لولا أن مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة، فبعث إليها بمائة ألف درهم، والله أعلم.

للبدر الدماميني: في مدح العذار: [البحر الوافر]

يـحدّثُ لـيـلُ عـارضـةٍ بـأنـي ... سـأسـلـوهُ ويـنـقـطـعُ الـمـزارُ
فـأشـرقَ صـبـحُ غـرَّتِـه يُـنـادي ... حديثُ الـلـيـلِ يـمـحـوهُ الـنّـهـارُ

قصة حاتم الأصم

حكي: أن حاتم الأصم كان رجلاً كثير العيال وكان له أولاد ذكور وبنات ولم يكن يملك حبة واحدة، وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فعرضوا بذكر الحج فدخل الشوق في قلبه فدخل على أولاده وجلس معهم يحدثهم ثم قال: لو أذنتم لأبيكم أن يذهب إلى بيت ربه في هذا العام حاجاً ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم؟

فقال له أولاده وزوجته: أنت على هذه الحالة لا نحملك شيئاً ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك، وكانت له ابنة صغيرة فقالت: ماذا عليكم لو أذنتم له ولأنهكم ذلك دعوة يذهب حيث شاء فإنه أكال للرزق وليس برازق فذكر لهم ذلك فقالوا: صدقت والله يا هذه الصغيرة يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافراً وأصبح أهل بيته يدخلون عليهم ويوبخونهم ويقولون لهم: كيف أذنتم بالحج؟ وتأسف على فراقه جيرانه وأصحابه وجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون: لو سكتّ ما تكلمنا، فرفعت الصبية رأسها إلى السماء وقالت: إلّهي ومولاي وسيدي وعليك القوم بفضلك وأنت لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلني معهم.

فبينما هم على تلك الحالة إذ خرج أمير البلدة متصيداً فانقطع من عسكره وأصابه عطش شديد فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الأصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا: من أنت؟ قال: الأمير ببابكم يستسقيكم، فرفعت زوجة حاتم طرفها إلى السماء وقالت: إلّهي وسيدي سبحانك بتنا البارحة جياعاً واليوم يقف الأمير ببابنا يستسقينا ثم إنها أخذت كوزاً وملأته ماء وقالت للمتناول منها: اعذرونا، فأخذ الأمير الكوز فشرب منه فاستطاب ذلك الماء فقال: هذه الدار لأمير؟

فقالوا: لا بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم، قال الأمير: لقد سمعت به، فقال الوزير: لقد سمعت يا سيدي أنه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئاً وأخبرت بأنهم البارحة باتوا جياعاً، فقال الأمير: ونحن قد ثقلنا عليهم اليوم أيضاً وليس هذا من المروءة يثقل مثلنا على مثلهم.

ثم إن الأمير حل منطقته ورمى بها في الدار ثم قال: من أحبني فليلق منطقته فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم ثم انصرفوا، فقال الوزير: السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق، فلما نزل الأمير رجع إليهم الوزير بثمن المناطق مالاً جزيلاً، فلما رأت الصغيرة ذلك بكت بكاء شديداً فقالوا لها: ما هذا البكاء إنما يجب أن تفرحي فان الله تعالى قد وسع علينا؟

فقالت: والله إنما أبكي كيف بتنا جياعاً نظر إلينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا، فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلى أحد، اللهم انظر أبينا ودبره بأحسن التدبير.

وأما ما كان من أمر حاتم فإنه لما خرج محرماً ولحق بالقوم فتوجع أمير الركب فطلب طبيباً فلم يجد فقال: هل هنا من عبد صالح؟ فدل على حاتم الأصم فلما دخل عليه وكلمه ودعا له فعوفي الأمير فأمر له بما يركب وبما يأكل وبما يشرب، فنام تلك الليلة متفكراً في أمر عياله فقيل له في منامه: يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر من الثناء على الله تعالى، فلما قضى الحج ورجع تلقته أولاده فعانق الصغيرة وبكى ثم قال: صغار قوم كبار قوم آخرين أن الله لا ينظر إلى أكبركم ولكن ينظر إلى أعرفكم به، فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فإنه من يتوكل على الله كفاه.

قصة الرشيد مع الأموي الدمشقي

رفع: إلى الرشيد أن بدمشق رجلاً من بني أمية عظيم الجاه والمال كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة، قال منارة: فاستدعاني الرشيد وقال: اركب الساعة إلى دمشق وخذ معك مائتي غلام وأتني بفلان الأموي، وهذا كتابي إلى العامل لا توصله إلا إذا امتنع عليك فإذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به، واذكر لي حاله وماله وقد أجلت لذهابك ستاً ولمجيئك ستاً ولإقامتك يوماً واحداً فهمت؟ قال: نعم.

قال: فسر على بركة الله، فخرجت اطوي المنازل ليلاً ونهاراً لا أنزل إلا للصلاة ولقضاء حاجتي حتى وصلت الليلة السابعة باب دمشق، فلما فتح الباب دخلت قاصداً نحو دار الأموي فإذا هي دار عظيمة هائلة وخدم وحشم ونعمة ظاهرة وحشمة وافرة ومساطب متسعة وغلمان فيها فتهجمت الدار بغير إذن فبهتوا وسألوا عني فقيل: هذا رسول أمير المؤمنين، فلما صرت في وسط الدار رأيت أقواماً محتشمين ظننت أن المطلوب فيهم، فسألت عنه فقيل لي: إنه في الحمام فأكرموني وأجلسوني وأمروا بمن كان معي ومن صحبتي إلى مكان آخر وأنا أتفقد الدار وأتأمل الأحوال، حتى إذا أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وجند وغلمان فسلم خفياً وسألني عن أمير المؤمنين، فأخبرته أنه بعافية فحمد الله تعالى ثم حضرت له أطباق الفاكهة فقال: تقدم يا منارة فتألمت ألماً شديداً إذ لم يكنني.

فقلت: ما آكل، فلم يعاودني ورأيت ما لم أره إلا في الخليفة، ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيباً ولا أعطر رائحة ولا أكثر منه، فقال: تقدم يا منارة فكل، فقلت: ليس لي به حاجة فلم يعاود، ونظرت إلى أصحابي فلم أجد أحداً منهم عندي فجزعت لكثرة حفدته وعدم ما عندي فلما أتم أكله غسل يده وأحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فأكثر من الركوع والسجود.

فلما فرغ استقبلني وقال: ما أقدمك يا منارة؟ فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ استدعى جميع بنيه وخواصه وسائر غلمانه فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلي وما شككت إلا أنه يريد القبض علي فقال: الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر إيمانه البقية لا يجتمع منك اثنان في مكان واحد حتى ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم واستقبلني وقدم رجلاه وقال: هات أقيادك يا منارة، فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا، فلما وصلنا ظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط ويقول: هذه الضيعة لي تعمل في كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرائب الأشجار وطيب الأثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي فيها كل سنة كذا وكذا.

فقلت: يا هذا الست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه ذلك حتى أنفذني خلفك وهو بالكوفة يتنظرك وأنت ذاهب إليه ما تدري ماذا تقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك وأهلك ونعمتك فريداً وحيداً وأنت تحدثني حديثاً غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى لك؟ فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون لقد أخطأت فراستي فيك يا منارة ما ظننت أنك عند الخليفة بهذه المكانة وأنت إذاً جاهل لا تصلح لمخاطبة الخلفاء أما خروجي على ما ذكرت فإني على ثقة من ربي الذي بيده ناصية أمير المؤمنين، فهو لا يضر ولا ينفع إلا بمشيئة ربي فإن كان قد قضى علي بأمر فلا حيلة لي في رفعه ولا قدرة لي في دفعه، وإن لم يكن قدر علي بشيء فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من معه على وجه الأرض أن يضروني لم يستطيعوا أن يضروني، وما لي ذنب فأخاف وإنما هذا واش وشا عند أمير المؤمنين ببهتان، وأمير المؤمنين كامل العقل فإذا اطلع على براءتي فهو لا يستحل مضرتي وعلى عهد الله لا كلمتك بعدها إلا جواباً.

ثم أعرض عني وأقبل على التلاوة وما زال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة يوم الثالث عشر، وإذا النجب قد استقبلت من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على أمير المؤمنين قبلت الأرض فقال: هات يا منارة أخبرني من يوم خروجك عني إلى يوم قدومك علي فابتدأت أحدثه بأموري كلها مفصلة والغضب يطير في وجهه، فلما انتهيت إلى جمعه لأولاده وغلمانه وضيق الدار بهم وتفقدي لأصحابي فلم أر منهم أحداً أسود وجهه، فلما ذكرت يمينه عليهم تلك اليمين المغلظة تهلل وجهه، فلما قلت: إنه مد رجليه أسفر واستبشر، فلما أخبرته بحديثي معه في ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال: هذا رجل محسود على نعمته

ومكذوب عليه، وقد أزعجناه وأرعبناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله، اخرج إليه وانزع قيوده وادخله علي مكرماً ففعلت فلما دخل قبل الأرض فرحب به أمير المؤمنين وأجلسه واعتذر إليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين: سل حوائجك؟

قال: سرعة رجوعي إلى بلدي وجمع شملي بأهلي وولدي، قال: هذا كائن فسل غيره، قال: عدل أمير المؤمنين في عماله ما أحوجني إلى سؤال، قال: فخلع أمير المؤمنين عليه ثم قال: يا منارة لتركب الساعة حتى ترده إلى المكان الذي جئت به منه، قم في حفظ الله ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك.

مناظرة الصادق عليه السلام مع الشامي

كتاب إرشاد المفيد قدس سره: أخبرني أبو القاسم بن محمد بن قولويه عن محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن جماعة عن رجاله عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عند الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام فقال له: إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك فقال أبو عبد الله عليه السلام: كلامك هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بعضه ومن عندي بعض، فقال له أبو عبد الله: فأنت إذاً شريك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا.

قال: فسمعت الوحي عن الله عزّ وجلّ يخبرك؟ قال: لا، قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، فالتفت أبو عبد الله إلي فقال: يا يونس بن يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلم، ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته، قبل يونس فيا لها من حسرة، فقلت: جعلت فداك أني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد وهذا ينساق وهذا لا ينساق وهذا نعقله وهذا لا نعقله فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنما قلت فويل لقوم تركوا قولي وذهبوا إلى ما يريدون، ثم قال: اخرج إلى الباب وأنظر من ترى من المتكلمين فأدخله.

قال: فخرجت فوجدت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام ومحمد بن النعمان الأحول وكان متكلماً وهشام بن سالم وقيس الماصر وكانا متكلمين فأدخلتهم عليه، فلما استقرَّبهم المجلس وكنا في خيمة لأبي عبد الله عليه السلام على طرف جبل في طرف الحرم وذلك قبل أيام الحج بأيام إذا أخرج أبو عبد الله عليه السلام رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير يخب فقال: هشام ورب الكعبة.

قال: فظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبة لأبي عبد الله عليه السلام فإذا هو هشام بن الحكم قد ورد وهو أول ما اختطت لحيته وليس فينا إلا من هو أكبر منه سناً قال: فوسع له أبو عبد الله عليه السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثم قال لحمران: كلم الرجل - يعني الشامي -

فكلمه حمران فظهر عليه، ثم قال: يا طاقي كلمه فكلمه فظهر عليه محمد بن النعمان، ثم قال: يا هشام بن سالم كلمه فتفارقا، ثم قال لقيس الماصر: كلمة فكلمه وأقبل أبو عبد الله عليه السلام يبتسم من كلامهما وقد استخذل الشامي في يده ثم قال للشامي: كلم هذا يعني هشام بن الحكم.

فقال: نعم، ثم قال الشامي لهشام: يا غلام سلني في إمامة هذا يعني أبا عبد الله عليه السلام، فغضب هشام حتى أرعد ثم قال له: أخبرني يا هذا أربك أنظر لخلقه أم هم لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربي أنظر لخلقه، قال: ففعل ينظره لهم ماذا؟

قال: كلفهم وأقام لهم حجة ودليلاً على ما كلفهم وأراح في ذلك عللهم، فقال له هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟ قال الشامي: هو رسول الله صلى الله عليه وآله قال هشام: فبعد رسول الله من؟ قال: الكتاب والسنة، قال له هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فيما اختلفنا فيه حتى يرفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم، قال: هشام فلم اختلفنا نحن وأنت وجئتنا من الشام تخالفنا وتزعم أن الرأي طريق الدين وأنت مقر بأن الرأي لا يجمع إلى القول الواحد المختلفين؟ فسكت الشامي كالمفكر.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما لك لا تتكلم؟ فقال: إن قلت ما اختلفنا كابرت وإن قلت أن الكتاب والسنة يرفعان الاختلاف أبطلت لأنهما يحتملان الوجوه، ولكن لي عليه مثل ذلك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: سله تجده ملياً، فقال الشامي لهشام: من أنظر للخلق ربهم أم أنفسهم؟ فقال هشام: بل ربهم أنظر، قال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويرفع اختلافهم ويبين لهم حقهم من باطلهم؟ قال هشام: نعم، قال الشامي: من هو؟

قال هشام: أما في ابتداء الشريعة فرسول الله صلى الله عليه وآله وأما بعد النبي فغيره، فقال الشامي: ومن هو غير النبي صلى الله عليه وآله القائم مقامه في حجته؟ قال هشام: في وقتنا هذا أم قبله؟ قال الشامي: بل في وقتنا هذا، قال هشام: هذا الجالس يعني أبا عبد الله عليه السلام الذي تشد إليه الرحال ويخبرنا بأخبار السماء وراثة عن أب عن جد، قال الشامي: وكيف لي بعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدا لك، قال الشامي: قطعت عذري فعلي السؤال.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أنا أكفيك المسألة يا شامي أخبرك عن مسيرك وسفرك يوم كذا وكان طريقك كذا ومررت على كذا وكذا ومر بك كذا وكذا، فأقبل الشامي كلما وصف له شيئاً من أمره يقول: صدقت والله، ثم قال له الشامي: أسلمت لله الساعة.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بل آمنت بالله الساعة أن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون والإيمان عليه يثابون، قال الشامي: صدقت فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأنك وصي الأوصياء.

قال: وأقبل أبو عبد الله عليه السلام على حمران فقال: يا حمران تجري الكلام على الأثر فتصيب، والتفت إلى هشام بن سالم فقال: تريد الأثر ولا تعرفه، ثم التفت إلى الأحول فقال:

قياس رواغ تكسر باطلاً إلا أن باطلك أظهر، ثم التفت إلى قيس الماصر فقال: تتكلم وأقرب ما يكون من الخبر عن رسول الله ﷺ أبعد ما تكون منه تمزج الحق بالباطل وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل، أنت والأحول قفازان حاذقان، قال يونس بن يعقوب: فظننت والله أنه يقول لهشام بن الحكم قريباً مما قال لهما، فقال: يا هشام لا تكاد تقع تلوي رجليك إذا هممت بالأرض طرت، مثلك فليكلم الناس أتقي الزلة والشفاعة من ورائك.

ومنه أيضاً: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد القمي عن محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن العباس بن عمر الفقيمي أن ابن أبي العوجاء وابن طالوت وابن الأعمى وابن المقفع في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام وأبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فيه إذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل بالحجج والبينات، فقال القوم لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليطك هذا الجالس وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به فقد ترى فتنة الناس به وهو علامة زمانه.

فقال لهم ابن أبي العوجاء: نعم، ثم تقدم ففرق الناس ثم قال: يا أبا عبد الله إن المجالس أمانات ولا بد لكل من له سؤال يسأل فتأذن لي في السؤال، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: سل إن شئت، فقال له ابن أبي العوجاء: إلى كم تدرسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر وتهرولون هرولة البعير إذا نفر من فكر في ذلك وتدبر علم أنه فعل غير حكيم ولا ذي نظر؟ فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك اسه ونظامه.

فقال له الصادق عليه السلام: إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق فلم يستعذبه وصار الشيطان وليه وربه يورد مناهل الهلكة ولا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه حثهم على تعظيمه وزيارته وجعله قبلة للمصلين فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام فأحق من أطيع فيما أمر وانتهى عما زجر الله تعالى المنشئ للأرواح والصور.

فقال له ابن أبي العوجاء: ذكرت أبا عبد الله فأحلت على غائب! فقال الصادق عليه السلام: كيف يكون يا ويلك غائباً من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد يسمع كلامهم ويعلم أسرارهم لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ولا يكون من مكان أقرب من مكان، يشهد له بذلك آثاره ويدل عليه أفعاله، والذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمد ﷺ جاءنا بهذه العبادة، فإن شككت في شيء من أمره فاسأل عنه أوضحه.

قال: فأبلس ابن أبي العوجاء ولم يدر ما يقول وانصرف من بين يديه، فقال لأصحابه: سألتكم أن تلتمسوا لي جمرة فألقيتموني على جمرة، فقالوا له: اسكت فو الله لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك، وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه، فقال لهم: أتقولون هذا أنه من حلق رؤوس من ترون وأومأ بيده إلى أهل الموسم.

بيان: الطوب بالضم الآجر، يقال لطعام «وخيم» أي غير موافق واستوخمه لم يستمره وقوله الله المنشئ خبر لقوله أحق، ويقال أبلس أي يئس وتحير، والجمرة بالفتح النار المتقدة والحصاة والمراد بالأول الثاني وبالثاني الأول أي سألتكم أن تطلبوا لي حصاة ألعب بها وأرميها فألقيتموني في نار متقدة ولم يمكنني التخلص منها، تمت حكاية ابن أبي العوجاء مع بيان ألفاظها.

قصة تزويج الجواد عليه السلام بأم الفضل

في بحار الأنوار عن الريان بن شبيب قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم واستنكروه منه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه فقالوا: ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فإنا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكنا الله تعالى وينزع منا عزاً قد ألبسناه الله عز وجل، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك بتعبيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا عليه السلام ما علمت فكفانا الله الهم من ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم وأعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه عن نفسي فأبى وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلمون أن الرأي ما رأيت فيه، فقالوا له: إن هذا الفتى وإن رأفك منه هديه فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك فقال لهم: ويحكم أني أعرف بهذا الفتى منكم وإن أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه لم تزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصف لكم من حاله!.

قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه، فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضي الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك وعادوا إلى المأمون وسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك، فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن أكثم وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ويجعل له فيه مستورتان، ففعل ذلك وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المستورتين وجلس يحيى بن أكثم بين يديه وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر، فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟ فقال له المأمون: استاذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت فداك. في مسألة؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت، قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: قتله في حل أو في حرم عالماً كان المحرم أو جاهلاً قتله عمداً أو خطأ حراً كان المحرم أو عبداً صغيراً كان أو كبيراً مبتدئاً بالقتل أو معيداً من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها من صغار الصيد أم من كبارها مصراً على ما فعل أو نادماً في الليل كان قتله للصيد أم في النهار محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج؟ فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال له المأمون: اخطب لنفسك وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي وإن رغم قوم لذلك، فقال أبو جعفر عليه السلام: الحمد لله إقراراً بنعمته ولا إلّه إلا الله إخلاصاً لوحدانيته وصلى الله على محمد سيد بريته والأصفياء من عترته، أما بعد، فكان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] ثم إن محمداً بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون وقد بذل لها من الصداق مهر جدتها فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وهو خمسمائة درهم خياداً، فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟

فقال المأمون: نعم قد زوجتك يا أبا جعفر أم الفضل ابنتي على الصداق المذكور فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر عليه السلام: قد رضيت وقبلت به فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٢.

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة مشدودة بالحبال من الإبريسم على عجلة مملوءة من الغالية، ثم أمر المأمون أن تخضب لحاء الخاصة من تلك الغالية، ثم مدت إلى دار العامة فتطيبوا منها ووضعت الموائد فأكل الناس وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم، فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه الذي فصلته من وجوه قتل المحرم لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم إن المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، فإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ فإذا كان من الوحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة وإن كان ظبياً فعليه شاة، وإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه بالحج نحره بمنى وإن كان أحرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العلم عليه المأثم وهو موضوع عنه فيه الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر وأحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟ فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟ فقال: فأن ذلك إليك جعلت فداك فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك، فقال له أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له؟ ما حال هذاه المرأة وبماذا حلت له وحرمت عليه؟ فقال له يحيى: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدنا؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء تزوجها وكفر عن الظهار فحلت له، فما كان في نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

قال: وأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله إن أمير المؤمنين

أعلم بما رأى، فقال لهم: ويحكم أن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل، وأن صغر السن فيهم لا يمنعهم عن الكمال، أما علمتم أن رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين وقبل منه الإسلام وحكم له به ولم يدع أحداً في سنه غيره، وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما إبنان دون الست ولم يبايع صبي غيرهما، أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟ قالوا: صدقت والله يا أمير المؤمنين.

ثم نهض القوم، فلما كان من الغد أحضر الناس وأحضر أبا جعفر وصار القواد والحجاب والخاصة والعامة لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية وإقطاعات، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصته، وكان كل من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق له ووضعت البذر فنثر ما كان فيها على القواد وغيرهم، وانصرف الناس وهم اغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظماً لقدره مدة حياته يؤثر على ولده وجماعة أهل بيته - انتهى ما أردنا نقله.

الخروج الى العقيق

حكى: أبو الفرج المعافي في كتاب الأنيس والجليس قال: بينا أبو إسحاق ذات يوم جالس إذ جاءه أصحابه فقالوا له: يا أبا إسحاق هل لك في الخروج بنا إلى العقيق وإلى قبا وإلى أحد ناحية قبور الشهداء؟

قالوا: هذا يوم كما ترى طيب، فقال اليوم يوم الأربعاء ولست أبرح من منزلي، فقالوا: وما تكره من يوم الأربعاء وهو يوم ولد فيه يونس بن متى؟ فقال: بأبي وأمي صلوات الله عليه فقد التقمه الحوت، فقالوا: نصر فيه رسول الله ﷺ يوم الأحزاب؟ فقال: أجل ما زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر.

الصيد لمن قبضه

حكي: أن الرشيد سأل جعفراً عن جواريه فقال: يا أمير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعاً وعندي جاريتان وهما يكبساني فتناومت عنهما لأنظر ما يصنعان وإحداهما مكية والأخرى مدنية، فمدت المدنية يدها إلى ذلك الشيء فلعبت به فانتصب قائماً فوثبت المكية فقعدت عليه، فقالت المدنية: أنا أحق لأني حدثت عن نافع بن عمر عن النبي ﷺ قال: من أحيا أرضاً ميتة فهي له.

فقالت المكية: وأنا حدثت عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ليس الصيد لمن أثاره إنما الصيد لمن قبضه، فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره فقال: من يسلو عنهما، فقال جعفر هما: ومولاهما بحكمك يا أمير المؤمنين وحملهما إليه.

ظلمات بعضها فوق بعض

كتب: العباس بن معلى الكاتب إلى القاضي ابن فريعة فتوى: ما يقول القاضي أدام الله أيامه في يهودي زنا بنصرانية فولدت له ولداً جسمه كالبشر ووجهه كالبقر فما يرى القاضي في ذلك؟ فليفتنا مأجوراً فأجاب: هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود أنهم اشربوا حب العجل في صدورهم فخرج من أيورهم، وأرى أن يعلق على اليهودي رأس العجل ويربط النصراني الساق مع الرجل ويسحبان سحباً على الأرض وينادي عليهما «ظلمات بعضها فوق بعض».

لابن الفارض: [البحر الخفيف]

أوميضُ برقٍ بالأبيرقْ لاحا ... أم في رُبا نجدٍ أرى مصباحا
أم تلك ليلى العامريةُ أسفرتْ ... ليلاً فصيّرت المساءَ صباحا
يا راكبَ الوجناءِ بلّغْتَ المُنى ... إنْ جئتَ حزناً أو طويتَ بطاحا
وسلكتَ نعمانَ الأراكِ فعجْ إلى ... وادٍ هناك عهدتُه فيّاحا
فبأيمن العلميْن من شرقيِّهِ ... عرّجْ وشمَّ أريجه الفوّاحا
وإذا وصلْتَ إلى ثنياتِ اللّوى ... فأنشدْ فؤاداً بالأبيطحِ طاحا
وأقرَ السلامَ نيابةً عنّي وقلْ ... غادرتُه لجنابكم مِلْتاحا
يا ساكني نجدٍ أما من رحمةٍ ... لأسيرِ ألفٍ لا يريدُ سراحا
هلاّ بعثتُم للمشوقِ تحيةً ... في طيِّ صافيةِ الرياحِ رواحا
يحيى بها من كان يحسبُ هجركم ... مزحاً ويعتقدُ المزاحَ مزاحا
يا عاذل المشتاقِ جهلاً بالذي ... يلقى مليّاً لا بلغتَ نَجاحا
أتعبتَ نفسك في نصيحةِ من يرى ... أنْ لا يَرى الإقبالَ والإفلاحا
اقصرْ عدمتُك واطّرحْ من اثخنتْ ... أحشاؤه نجلَ العيونِ جراحا
كنتُ الصديقَ قبيل نصحك مغرماً ... أرأيت صبّاً يألفُ النّصاحا
إنْ رمت إصْلاحي فإني لم أردْ ... بفسادِ قلبي في الهوى إصْلاحا
ماذا يريدُ العاذلونَ بعذلِ من ... لبسَ الخلاعةَ واستراحَ وراحا
يا أهلَ ودّي هل لراجِي وصْلكم ... طمعٌ فينعمُ باله استرواحا
مذْ غبتمُ عن ناظري لي أنةٌ ... ملأتْ نُواحي أرض مصر نُواحا

وإذا ذكرتُكم أميلُ كأنني ... من طيبِ ذكركُمُ سقيتُ الرّاحا
وإذا دعيتُ إلى تناسي عهدِكم ... ألفيتُ أشجاني بذاك شحاحا
سقياً لأيامٍ مضتْ مع جيرةٍ ... كانت لياليِنا بهم أفراحا
حيثُ الحمى وطني وسكانُ الغضى ... سكني ووردي الماءَ فيه مُباحا
وأهيلُه أربي وظلُّ نخيله ... طربي ورملةُ واديهِ مِراحا
واهاً على ذاك الزمانِ وطيبِه ... أيامَ كنتُ من اللغوبِ مِراحا
قسماً بمكة والمقامِ ومن أتى ... البيت الحرام ملبّياً سَيّاحا
ما رنّحت ريحُ الصّبا من نحوكم ... الا وأهدتْ منكمُ أرواحا

ولهُ أيضاً: [البحر الكامل]

أرجُ النسيمِ سرى من الزوراءِ ... سحراً فأحيا ميّت الأحياءِ
أهدى لنا أرواحَ نجدٍ عرفه ... فالجوُّ منه معطّرُ الأرجاءِ
وروى الأحاديث الأحبةُ مسنداً ... عن أذخرٍ بأذاخرٍ وشحاءِ
فسكرْتُ من ريّا حواشي بُردِهِ ... وسرتْ حميّا البرقِ في أحشائي
يا راكبَ الوجناءِ بلّغت المُنى ... عجْ بالحمى إن جزت بالجرعاءِ
متيمّماً تلعاتِ وادي ضارجٍ ... متيامِناً عن قاعةِ الوعساءِ
فإذا وصلت أثيلَ سلعٍ فالنقى ... فالرّقمتينِ فلعلعٍ فشظاءِ
فكذا عن العلمين من شرقيِّهِ ... ملْ عاجلاً للحلّةِ الفيحاءِ
وأقرِ السلامَ أهيلَ ذيّاك اللّوى ... من مغرمٍ دنفٍ كئيبٍ نائي
صبٌّ متى قفلَ الحجيجُ تصاعدتْ ... زفراتُه بتنفّسِ الصعداءِ
يا ساكني البطحاءِ هل من عودةٍ ... أحيى بها يا ساكني البطحاء
إن ينقضي صبْري فليس بمنقضٍ ... وجْدي القديمُ بكمْ ولا برحائي
ولئنْ جفا الوسميُّ ماحلٌ تربكمْ ... فمدامعي تربُو على الأنواء
واحسرتي ضاعَ الزمانُ ولم أثِنْ ... منكمْ أهيلَ مودّتي بلقاءِ
ومتى يؤمل راحةً من يومِه ... يومان يومُ قِلىً ويومُ ثناءِ
وحياتُكم يا أهلُ مكةَ وهْي لي ... قسماً لقد كلفتْ بكم أحشائي
حبّي لكم في الناس أضحى مذهبي ... وهواكمُ ديني وعقدُ ولائي
يا لائمي في حبّ مَنْ مِنْ أجله ... قد جدَّ بي وجْدي وعزَّ عزائي
هلاّ نهاك نُهاك عن لوم امرئٍ ... لم يلفِ غير منعّم وشقائي
لو تدرِ فيم عذلتني لعذرتني ... خفّضْ عليك وخلّني وبلائي

وإذا أذى ألمٌ ألم بمهجتي … فشذا أعيشابِ الحجازِ دوائي
ءأذا ذعن عذبُ الورودِ بأرضِه … وآحادَ عنه وفي بقاء بقائي
وربوعُه أربى أجلْ وربيعه … طربي وصارفُ أزمة اللأواءِ
وخياله لي مربعٌ ورماله … لي مرتعٌ وظلالُه أفيائي
وترابُه نَدّي الذكيّ وماؤه … عذبي الرّوي وفي ثراه ثرائي
وشعابُه لي جنةٌ وقبابُه … لي جنةٌ وعلى صفاءِ صفاءِ
حيّا الحيا تلك المنازلَ والرُّبى … ما جرّهم بمجامعِ الأهواءِ
وسقى المشاعرَ والمحصَّبَ من مِنىً … سحاً وجادَ مواقفُ الأنضاءِ
ورعى الإلَهُ بها أصيحابي الأُلَى … سامرتهم بمجامعِ الأهواءِ
ورعى ليالي الخيفِ ما كانت سوى … حلم مضى مع يقظةِ الإغفاءِ
واهاً على ذاك الزمانِ وما جرى … طيبُ المكانِ بغفلةِ الرقباءِ
أيام أرتعُ في ميادينِ المُنى … جذلاً وأرفلُ في ذيولِ حيائي
ما أعجبَ الأيامَ توجبُ للفتى … ضحاً وتمحُضه بسلب عطاء
يا هلْ لماضي عيشنا من عودةٍ … يوماً واسمحُ بعده ببقاءِ
هيهاتِ خابَ السعيُ وانقضمتْ عرى … حلّ المُنى وانحلَّ عقدُ رجائي
وكفى غراماً أن أبيتَ متيَّماً … شوقي أمامي والقضاءُ ورائي

من حكايات الشيخ وكلامه في الطلاق

قال الشيخ أيده الله تعالى: قد الزم الفضل بن شاذان فقهاء العامة على قولهم في الطلاق أن يحل للمرأة الحرة المسلمة أن تمكن من وطئها في اليوم الواحد عشرة أنفس على سبيل النكاح، وهذا شنيع في الدين منكر في الإسلام قال الشيخ أيده الله: ووجه إلزامه له ذلك بأن قال: خبروني عن رجل تزوج امرأة على الكتاب والسنة وساق إليها مهرها أليس قد حل له وطئها؟ فقالوا وقال المسلمون كلهم: بلى.

قال لهم: فإن كرهها عقيب الوطئ أليس يحل له خلعها على مذهبكم في تلك الحال؟ قالت العامة خاصة: نعم قال لهم: فإن خلعها ثم بدا له بعد ساعة في العود إليها أليس يحل له أن يخطبها لنفسه ويحل له أن ترغب فيه؟ قالوا: بلى، قال لهم: فإن عقد عليها عقدة النكاح أليس قد عادت إلى ما كانت عليه من النكاح وسقط عنها عدة الخلع؟ قالوا: بلى، قال لهم: فإن رجع إلى نيته في فراقها ففارقها عقيب العقد الثاني من غير أن يدخل بها ثانية أليس قد بانت منه ولا عدة عليها بنص القرآن من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ

تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ (١)؟

فقالوا: نعم، ولا بد لهم من ذلك مع التمسك بالدين، قال لهم: قد حلت من وقتها للأزواج إذ ليس عليها عدة بنص القرآن، قالوا: بلى، قال: فما تقولون إن صنع بها الثاني كصنع الأول أليس يكون قد نكحها اثنان في بعض يوم من غير خطر في ذلك على أصولكم في الأحكام؟ فلا بد من بلى، قال: وكذلك لو نكحها ثالث ورابع إلى أن يتم نكاح عشرة أنفس وأكثر إلى آخر النهار أليس ذلك يكون جائزاً حلالاً؟ وهذه من الشناعة التي لا تليق بأهل الإسلام.

قال الشيخ: والموضع الذي لزمت منه هذه الشناعة فقهاء العامة دون الشيعة الإمامية أنهم يجيزون الخلع والطلاق والظهار في الحيض وفي الطهر الذي قد حصل فيه جماع من غير استبانة حمل، والإمامية تمنع من ذلك وتقول: إن هذا أجمع لا يقع بالحاضرة التي تحيض ألا بعد أن تكون طاهرة من الحيض طهراً لم يحصل فيه جماع فلذلك سلمت مما وقع فيه المخالفون.

قال الشيخ: أيده الله تعالى: وقد جرت هذه المسألة حتى زعم بعضهم وقد ألزمته بتضمنها أن المطلقة بعد الرجعة عليها عن الخلع يلزمها العدة وأن كانت مطلقة من غير دخول بها فرد القرآن رداً ظاهراً، فقلت لهذا القائل: من أين أوجبت عليها العدة وقد طلقها الرجل من غير أن يدخل بها مع نص القرآن؟ فقال: لأنه قد دخل بها مرة قبل هذا الطلاق، فقلت له: إن اعتبرت هذا الباب لزمك أن يكون من تزوج امرأة وقد كان طلقها ثلاثاً فاستحلت ثم اعتدت وتزوجها بعد العدة ثم طلقها قبل أن يدخل بها في الثاني أن تكون العدة واجبة عليها لأنه قد دخل بها مرة؟ وهذا خلاف دين الإسلام.

فقال: الفرق بينهما أن هذه التي ذكرت قد قضت منه عدة الأولى ولم تقض العدة، فقلت: أليس قد أسقطت الرجعة لها بعد الخلع العدة عنها باتفاق؟ قال: بلى، فقلت له: فمن أين يرجع عليها ما كان قد سقط عنها وكيف يصح ذلك في الأحكام الشرعية؟ وأنت لا يمكنك أن تلزمها العدة الساقطة عنها بنكاح لا يجب فيه عدة بظاهر القرآن، وهذا أمر متناقض، فلم يأت بشيء.

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي هذه النقول: صريح كلام هذين الشيخين المعتمدين هو ظاهر سيدنا المرتضى أيضاً، بل ظاهر كلام أكثر أصحابنا رضوان الله عليهم سقوط العدة عن المختلعة والمطلقة ثلاثاً لو عقد عليها الرجوع بعد ذلك قبل انقضاء العدة ثم طلقها قبل الدخول، وأنه يجوز لغيره في تلك الحال التزويج بها لدخولها تحت عموم الآية المتقدمة، والذي وقفت عليه في كلام بعض متأخري أصحابنا هو المنع من ذلك، وهو الظاهر عندي نظراً إلى أن العدة الأولى إنما سقطت بالنسبة إلى الزوج خاصة، وهذا الطلاق الثاني الواقع قبل الدخول وإن لم يترتب عليه العدة اتفاقاً لكن الكلام في العدة الأولى فإنها واجبة بالنص آية وسنة وبالإجماع،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٩.

وغاية ما يستفاد سقوطها بالنسبة إلى الزوج فيجوز له العقد قبل انقضائها لعدم وجوب الاستبراء من مائه وأما غيره فلا، وطلاقه لها بعد العقد المجرد عن الدخول لا يؤثر في سقوط تلك العدة وإنما يؤثر في سقوط عدة هذا الطلاق.

والتمسك بظاهر هذه الآية في المقام معارض بما دل على وجوب العدة من الآية والرواية والإجماع فيجب تقييدها بذلك، على أن الآية إنما تدل على سقوط العدة بالنسبة إلى هذا الطلاق الأخير الخالي عن الدخول، وهذا لا نزاع فيه إذ العدة التي أوجبناها إنما هي عدة الطلاق الأول والخلع، والجنوح في سقوطها إلى عقد الزوج عليها إنما يتم بالنسبة إليه خاصة، فقول شيخنا المفيد ﷺ أليس قد أسقطت الرجعة (اه) على إطلاقه غير مسلم إذ الإسقاط إنما وقع في حق الزوج خاصة.

ومما حضرني من الأخبار مرسلة ابن أبي عمير المروية في الكافي قال: إن الرجل إذا تزوج المرأة متعة كان عليها عدة لغيره فإذا أراد هو أن يتزوجها لم يكن عليها منه عدة يتزوجها إذا شاءت، وأنت خبير بأنه لا فرق في هذا الحكم بين الزوجة الدائمة والمنقطعة فأن كلاً منهما يسقط عنها العدة بعد الفراق مع عدم الدخول، وعلى هذا فيجري الإشكال الذي أورده الفضل ﷺ على العامة في المتعة على مقتضى كلامه فإنه لو تزوج الرجل امرأة متعة ودخل بها ثم أبرأها من المدة ثم عقد عليها عقداً منقطعاً أو دائماً ثم أبرأها أو طلقها فإنه يجوز لغيره أن يأخذها كذلك فينكحها في بعض يوم واحد عشرة أو أزيد كما ألزم به أولئك، ولا أظنه يقول باختصاص الآية بالزوجة فلا يجزي في المتعة ولا وجه له، فإن الأخبار دالة على المتعة على أنه لو أبرأها قبل الدخول فلا عدة عليها ودلالتها كالآية.

وإني كنت قبل الوقوف على كلام هؤلاء الأعلام أحمل كلام بعض متأخري أصحابنا في رد هذا القول على مجرد الفرض دون وجود قائل به، ولم ينقل أحد ممن وقفت على كلامه وجود قائل بذلك على التعيين، والله سبحانه العالم باليقين، وأنت خبير بأنه قد مر في مسألة الجواد عليه السلام ليحيى بن أكثم القاضي ما يتضمن جواز الظهار في الطهر الذي ينكحها فيه ولعله على التقية.

قال: السيد المرتضى ذو المجدين علم الهدى طاب ثراه ذاكراً بعض الأصدقاء قول أبي ذهيل: [البحر الطويل]

فأبرزتُها بطحاءَ مكةَ بعدما ... أضاءَ المُنادي بالصلاةِ فأعتما

فسألني أجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه، بأن أجعل ذلك كناية عن امرأة لا عن ناقة فقلت في الحال: [البحر الطويل]

فطيَّبَ ريّاها المقامُ وضوّأتْ ... بإشراقها بين الحطيم وزمزما

فيا ربّ أن لقّيت وجهاً تحيةً ... فحيّ وجوهاً بالمدينة سهَّما

تجافينَ عن مسِّ الدّهانِ وطالما … عصمن عن الحنّاءِ كفّاً ومِعصما
وكم من جليدٍ لا يخامُره الهوى … شننَّ عليه الوجدَ حتى تتيّما
أهانِ لهنَّ النفسَ وهي كريمةٌ … وأكفا إليهنّ الحديث المكتّما
تسفّهتُ لما أن مررتُ بدارها … وعوجِلْتُ دون الحلم أن أتحلَّما
فعجتُ أعزّي دارساً متنكّراً … وأسألُ مصروفاً عن النطقِ أعْجما
ويومَ وقفْنا للوداع وكلُّنا … يعدُّ مطيعَ الشوقِ من كان أحزما
نظرتُ بقلبٍ لا يعنّف في الهوى … وعينٍ متى استمطرتُها مطرتْ دما

وتبع الشيخ محيي الدين الجامعي السيد ﷺ فقال: [البحر الطويل]

فضاءَ فضاءُ المأزمينِ وطابَ من … شذاها ثرى أمِّ القُرى فتبسّما
ولاحَ لحادي الركبِ ضوءُ جبينها … فيمّمَ بالركب الحمى فترنّما
رآها على بعدٍ أخو الزهد فانثنى … وصلّى عليها بالفؤادِ وسلّما
رنتْ فصبى ركنُ الحطيم وزمزمٌ … إليها وباحا بالغرامِ وزمزما
من اللاّئي يسلبْنَ الحليم وقارَه … ويقتلنَ باللحظِ الكميَّ المعجّما
ويُورين نارَ الوجدِ في قلبِ ذي النُّهى … فيُضحي وإنْ نادى ذوي العشقِ مُغرما
قضتْ مقلتا سلمى على القلب حبَّها … فها هو منقادٌ إليها مسلّما
أعان عليه الهجرُ والليلُ والهوى … وطال وأعني وادلهمَّ وأظلَما
دعاهُ لميقاتِ الغرامِ جمالُها … فهامَ بها شوْقاً ولبّى وأحْرما

ابن زريق البغدادي: [البحر البسيط التام]

لا تعذليهِ فإنّ العذلَ يولعهُ … قد قلتِ حقاً ولكنْ ليس يسمعهُ
جاوزْتِ في لومِه حداً أضرَّبه … من حيثُ قدَّرتِ أنَّ اللومَ ينفعُهُ
فاستعمِلي الرفقَ في تأنيبه بدلاً … من عذله فهو مضنى القلبِ موجعهُ
يكفيهِ من لوعةِ التفنيدِ أنَّ له … منَ النّوى كلَّ يومٍ ما يروّعُهُ
ما آبَ من سفرٍ إلا وأزعجه … رأيٌ إلى سفر بالبينِ يجمعهُ
كأنّما هو عن حلٍّ ومرتحلٍ … موكلٌ بفضاءِ الأرضِ يذرعهُ
استودعُ اللهَ في بغدادَ لي قمراً … بالكرخِ من فلكِ الازرارِ مطلعهُ
ودَّعتُه وبودّي أن يودّعني … طيبُ الحياة وأني لا أودّعهُ
كم قد تشفَّع لي أن لا أفارقهُ … وللضرورةِ حالٌ لا يشفعهُ
وكم تشبَّثَ بي يومَ الرحيلِ ضُحىً … وأدمُعي مستهلاتٌ وأدمعهُ
لا أكذبُ اللهَ ثوبُ الصبرِ منخرقٌ … عنّي بفرقته لكنّي أرقعهُ

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الدهرَ يفجعُني — به ولا أن بي الأيامَ تفجعهُ
حتى جرى البينُ فيما بيننا بيدٍ — عسراءَ تمنعُني حقّي وتمنعهُ
قد كنتُ من ريبِ دهرٍ جازعاً فزعاً — فلم أوقَ الذي قد كنتُ أجزعهُ
باللهِ يا منزل العيشِ الذي درستْ — آثاره وعفتْ قد بنت أربعهُ
هلْ الزمانُ معيدٌ فيك عيشتنا — أم اللّيالي التي أمضتْ ترجّعهُ
في ذمةِ اللهَ من أصبحت منزله — وجاد غيثٌ على مغناك يمرعُهُ
ومن يصدعَ قلبي ذكرُه وإذا — جرى على قلبه ذكري يصدّعُهُ
لا أصبرنَّ لدهرٍ لا يمتّعُني — به ولأبي في حال يمنعهُ
علماً بأن اصطباري معقباً فرجاً — فأضيقُ الضيقِ أن فكرتُ أوسعهُ
عسى اللّيالي التي أضنتْ بفرقتنا — جسمي ستجمعُني يوماً وتجمعُهُ

سؤال ابن لؤلؤ للشيخ عن المتعة

من كتاب المجالس المتقدم ذكره: ومن كلام الشيخ في المتعة قال الشيخ «أيده الله»: حضرت بعض قواد الدولة وكان بالحضرة شيخ من الإسماعيلية يعرف بابن لؤلؤ فسألني ما الدليل على إباحة المتعة؟ فقلت له: الدلالة عليها قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(١) فأحل جل اسمه نكاح المتعة بصريح لفظها ويذكر أوصافها من الأجر عليها والتراضي بعد الفرض من الازدياد في الأجل وزيادة الأجر فيها، فقال: ما أنكرت أن تكون هذه الآية منسوخة بقوله جل اسمه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾(٢) فحظر الله النكاح إلا لزوجة أو ملك يمين، وإذا لم تكن المتعة زوجة ولا ملك يمين فقد سقط من أجلها فقلت له: قد أخطأت في هذه المعارضة من وجهين: «أحدهما» إنك أدعيت أن المستمتع بها ليست بزوجة ومخالفك يدفعك عن ذلك ويثبتها زوجه في الحقيقة، «والثاني» سورة المؤمنين مكية وسورة النساء مدنية والمكي متقدم للمدني فكيف يكون ناسخاً له وهو متأخر عنه وهذه غلطة شديدة؟ فقال: لو كانت المتعة زوجة لكانت ترث ويقع بها الطلاق، وفي إجماع الشيعة أنها غير وارثة ولا مطلقة دليل على فساد هذا القول.

فقلت له: وهذا أيضاً غلط منك وفي ذلك أن الزوجة لم يجب لها الميراث ويقع بها الطلاق من حيث كانت زوجة فقط، وإنما حصل ذلك لصفة لها تزيد على الزوجية، والدليل على ذلك أن

---

(١) سورة النّساء، الآية: ٢٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٥ - ٧.

الأمة إن كانت زوجة لم ترث ولا تورث والمقاتلة لا ترث والذمية لا ترث والأمة المبيعة تبين من غير طلاق والملاعنة تبين بغير طلاق وذلك أن المختلعة والمرتد عنها زوجها والمرضعة قبل الفطام بما يوجب التحريم من لبن الأم أو الزوجة تبين بغير طلاق، وكل من عددناه زوجات بالحقيقة فيبطل ما توهمت فلم يأت بشيء، فقال صاحب المجلس - وهو رجل أعجمي لا معرفة له بالفقه وإنما يعمل الظواهر - أنا أسألك في هذا الباب عن مسألة خبرني هل تزوج رسول الله ﷺ متعة أو تزوج أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقلت له: لم يأت بذلك خبر ولا علمته، فقال لي:

لو كان في المتعة خير ما تركها رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين؟ فقلت: أيها القائل ليس كلما لم يفعله رسول الله ﷺ كان محرماً، وذلك أن رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام كانوا كافة لم يتزوجوا بالإماء ولا نكحوا الكتابيات ولا تزوجوا بالزنج ولا نكحوا السند ولا اتجروا إلى الأمصار ولا جلسوا باعة التجار وليس ذلك كله محرماً ولا محظوراً إلا ما اختصت به الشيعة دون مخالفيها من القول في نكاح الكتابيات فقال: دع هذا وخبرني عن رجل ورد من قم يريد الحج فدخل إلى مدينة السلام فاستمتع فيها بامرأة ثم انقضى أجلها فتركها وخرج إلى الحج وكانت حاملاً ولم يعلم بحالها فحج ومضى إلى بلده وعاد بعد عشرين سنة وقد ولدت بنتاً فاستمتع بها وهو لا يعلم قد نكح بنته، وهذا فضيح جداً فقلت له: إن أوجب هذا الذي ذكره القائل تحريم المتعة وتقبيحها أوجب تحريم نكاح المهيرات وكل نكاح وتقبيحه، وذلك أنه ينفق فيه ما ذكرت وجعلته طريقاً إلى حظر المتعة، وذلك انه لا يمنع أن يخرج رجل من أهل السنة وأصحاب أحمد بن حنبل من خوارزم قاصداً للحج فينزل مدينة السلام فيحتاج إلى النكاح فيستدعي امرأة من جيرانه حنبلية سنية فيسألها أن تلمس له امرأة شبابة ستيرة ثيب لا ولي لها فيرغب فيها وتجعل المرأة أمرها إلى إمام المحلة صاحب مسجدها فيحضر رجلين ممن يصلي معه ويعقد عليها النكاح للخوارزمي السني الذي لا يرى المتعة ويدخل بالمرأة ويقيم معها إلى وقت رحيل الحاج إلى مكة فيستدعي الشيخ الذي عقد عليها النكاح ويطلقها بحضرته ويعطيها مهرها وما يجب لها من نفقتها ثم يخرج ويحج وينصرف من مكة على طريق البصرة إلى بلده، وقد كانت المرأة حاملاً وهو لا يعلم فيقيم عشرين سنة ثم يعود إلى مدينة السلام للحج فينزل في تلك المحلة بعينها ويسأل عن العجوز فيفقدها لموتها فيسأل عن غيرها فتأتيه ويعقد عليها كما عقد على أمها بولي وشاهدين ثم يدخل بها فيكون قد وطأ بنته، فيجب أن يحرم بهذا الذي ذكرناه كل نكاح.

فاعترض الشيخ السائل أولاً فقال: عندنا أنه يجب على هذا الرجل أن يوصي إلى جيرانه باعتبار حالها وهذا يسقط هذه الشناعة فقلت له: إن كان هذا عندكم واجباً فعندنا أوجب منه وأشد لزوماً، وهو أن يوصي المستمتع بها فإن لم يجد أحداً أوصى قوماً من أهل البلد وذكر لهم أنها كانت زوجته ولم يذكر المتعة، وهذا شرط عندنا فقد سقط أيضاً ما توهمته.

ثم أقبلت على صاحب المجلس فقلت له: إن أمرنا مع هؤلاء المتفقهة عجيب وذلك أنهم

يطبقون على تبديعنا في نكاح المتعة مع إجماعهم على أن رسول الله ﷺ أذن فيها وأنها عملت على عهده مع ظاهر الكتاب في تحليلها وإجماع آل محمد ﷺ على إباحتها والاتفاق على أن عمر حرمها في أيامه مع إقراره على أنها كانت حلالاً على عهد رسول الله ﷺ، فلو كنا على ضلالة فيها لكنا على شبهة تمنع ممن يعتقدة المخالف فينا من الضلال والبراءة منا وليس في من يخالف الأمن يقول في النكاح وغيره بضد القرآن وخلاف الإجماع ونص شرع الإسلام والمنكر في الطباع عند ذوي المروءات ولا يرجع في ذلك إلى شبهة تسوغ قوله، وهم معه يتولى بعضهم بعضاً وليس ذلك إلا لاختصاص من قولنا بآل محمد ﷺ فلعداوتهم لهم ورمونا عن قوس واحد. هذا أبو حنيفة النعمان بن ثابت يقول: لو أن رجلاً عقد على أنه عقد نكاح وهو يعلم أنها أمة ثم وطأها لسقط عنه الحد ولحق به الولد، وكذلك قوله في الأخت والبنت وسائر المحرمات، ويزعم أن هذا النكاح شبهة أوجب سقوط الحد عنه، ويقول: لو أن رجلاً استأجر خياطة أو خبازة أو غير ذلك من أصحاب الصناعات ووثب عليها ووطأها وحملت منه لأسقطت عنه الحد، ويقول: إذا لف الرجل حريرة وأولجه في قبل امرأة ليست له بمحرم حتى ينزل لم يكن زانياً ولا يجب عليه الحد، ويقول: إن الرجل إذا تلوط بالغلام لم يجب عليه الحد ولكن يردع بالكلام الغليظ والأدب والخفقة بالنعل والخفقتين وما أشبه ذلك، ويقول: إن شرب النبيذ الصلب المسكر حلال طلق وهو سنة وتحريمه بدعة.

قال الشافعي: إذا فجر الرجل بامرأة وحملت منه وولدت بنتاً فإنه يحل للفاجر أن يتزوج بهذه البنت ويوطأها ويولدها إلا خرج عليه في ذلك فاحل نكاح البنات، وقال: لو أن رجلاً اشترى أخته من الرضاعة ووطأها لما وجب عليه الحد، وكان يجيز الغناء بالدف وما أشبهه، وقال مالك بن أنس: وطي النساء في أحشائهن حلال طلق، وكان يرى سماع الغناء بالدف وأشباهه من الملاهي، ويزعم أن ذلك سنة في المعرسات والولائم وقال داود بن علي الأصبهاني: أن الجمع في الملك اليمين حلال طلق والجمع بين الأم والبنت غير محظور، قام هؤلاء الفجور وكل منكر فيما بينهم واستحلق ولم ينكر بعضهم على بعض مع أن الكتاب والسنة والإجماع بضلالهم في ذلك، ثم عظموا أمر المتعة والقرآن شاهد بتحليلها والسنة والإجماع يشهد أن بذلك، فيعلم أنهم ليسوا من أهل الدين ولكنهم من أهل العصبية والعداوة لآل محمد ﷺ: فاستعظم صاحب المجلس ذلك وأنكره وأظهر البراءة من معتقده وسهل عليه أمر المتعة والقول به.

فصل: قال الشيخ أيده الله: وقد كنت استدللت بالآية التي قدمت تلاوتها على تحليل المتعة في مجلس كان صاحب رئيس زمانه، فاعترضني أبو القاسم الداركي فقال لي: ما أنكرت أن يكون المراد بقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾(١) إنما أراد به نكاح الدوام، وأشار بالاستمتاع إلى الالتذاذ دون نكاح المتعة الذي هو مذهب الشيعة؟

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٤.

قلت له: إن الاستمتاع وإن كان في الأصل هو الالتذاذ فإنه علق بذكر النكاح وأطلق بغير تقييد لم يرد به إلا نكاح المتعة خاصة لكونه علما عليها في الشريعة، ألا ترى أنه لو قال قائل نكحت أمس امرأة متعة أو هذه المرأة نكاحي لها أو عقدي عليها للمتعة وأن فلاناً استحل نكاح المتعة لما فهم من قوله إلا النكاح الذي تذهب إليه الشيعة خاصة، وإن كانت المتعة قد تكون بوطئ الإماء الحرائر على الدوام، كما أن الوطي في اللغة وهو وطي القدم ومماسة باطنه للشيء على سبيل الاعتماد، ولو قال قائل وطأت جارتي ومن وطئ امرأة غيره فهو زان وفلان يطأ امرأته وهي حائض لم يعقل من ذلك مطلع على أصل الشريعة إلا النكاح دون وطي القدم، وكذلك الغائط هو الشيء المحوط، وقيل هو الشيء المنهبط ولو قال قائل هل يجوز أن آتي الغائط لأتوضأ وأصلي أو قال فلاناً أما الغائط ولم يستتر لم يفهم من قوله إلا الحدث الذي يجب منه الوضوء وأشباه ذلك مما قد تقرر في الشريعة. وإذا كان الأمر على ما وصفناه فقد ثبت أن لفظ المتعة لا يقع إلا على النكاح الذي ذكرناه، وإن كان الاستمتاع في أصل اللغة هو الالتذاذ - كما قدمناه.

واعترضني القاضي أبو محمد بن معروف فقال: هذا الاستدلال أوجب عليك إلا يكون الله تعالى أحل بهذه الآية غير نكاح المتعة لأنها لا تتضمن سواه، وفي الإجماع على انتظامها تحليل نكاح الدوام دليل على بطلان ما اعتمدته، فقلت له: ليس يدخل هذا الكمال على أصل الاستدلال ولا يتضمن معتمدي ما ألزمنيه القاضي فيه، وذلك أن قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾(١) فحين يتضمن تحليل المناكح المخالفة للسفاح في الجملة ويدخل فيه نكاح الدوام من الحرائر وإلا ما يختص نكاح المتعة بقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾(٢) ويجري ذلك مجرى قول القائل: قد حرم الله عليك نساء بأعيانهن وحرم عليك وأحل لك عداهن فإن استمتعت منهن فالحكم فيه كذا وكذا فإن نكحت نكاح الدوام فالحكم فيه كيت وكيت، فيذكر له المحللات بالجملة ويبين له نكاح بعضهن كما يذكرهن له ثم يبين له أحكام نكاحهن كلهن فما أعلمه زاد علي شيئاً.

مما قاله الأمير أبو فراس:

(عصي الدمع)

[البحر الطويل]

أراكَ عصيَّ الدمعِ شيمتكَ الصبرُ ... أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
بلى أنا مشتاقٌ وعندي لوعةٌ ... ولكنَّ مثلي لا يُذاعُ له سرُّ
إذا الليلُ أضواني بسطتُ له الهوى ... وأذللتُ دمعاً من خلائقه الكبرُ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٤.
(٢) المصدر السابق.

تكادُ تضيءُ النارُ بين جوانحي إذا هي أذكتها الصبابةُ والهجرُ
تعلّلني بالوصلِ والموتُ دونه إذا متُّ عطشاناً فلا نزل القطرُ
بدوتُ وأهلي حاضرون وأنّني أرى أنَّ داراً لستَ من أهلها قفرُ
وحاربتُ أهلي في هواك وأنّني وإيّاك لولا حبُّك الماءُ والخمرُ
تسائلني من أنت وهي عليمةٌ وهل بفتىً مثلي على حالِه نُكرُ
فقلتُ كما شاءتْ وشاء لها الهوى قتيلُك قالت أيْ همُ وهمُ كثرُ
فأيقنتُ أنْ لا عزَّ بعدي لعاشقٍ وأنَّ يدي مما علقتُ به صفرُ
وقلّبتُ أمري لا أرى لي راحةً إذا البينُ أنساني ألحَّ بي الهجرُ
فعدتُ إلى حكمِ الزمانِ وحكمها لها الذنبُ لا تُجزى به وليَ العذر
وإنّي لنزّالٌ بكلِّ مخوفةٍ كثيرٌ إلى إنزالِها النظرُ الشزرُ
فأصدرَ حتى ترتوي البيضُ والقَنا وأسغبُ حتى يرتوي الذيبُ والنسرُ
ويا ربَّ دار لم تخفني منيعةٌ طلعتُ عليها بالرّدى وأنا الفجرُ
وحي وردتُ الخيلَ حتى ملكتُه هزيماً وردَّتني البراقعُ والخمرُ
وما حاجتي بالمالِ أبغي وفوره إذا لم أفِرْ عرضي فلا وفر الوفرُ
هو الموتُ فاخترْ ما علا لك ذكُره ولم يمُت الإنسانُ ما حي الذكرُ
ولا خير في دفعِ الرّدى بمذلةٍ كما ردَّها يوماً بسوءته عمرو
فإنْ عشت فالطعنُ الذي تعرفونه وتلك القنا والبيضُ والضمرُ السمرُ
وإنْ متُّ فالإنسانُ لا بدَّ ميّتٌ وإنْ طالت الأيامُ وانفسح العمرُ
ستذكرُني قومي إذا جدَّ جدُّها وفي الليلةِ الظلماءِ يفتقدُ البدرُ
ولو سدّ غيري يا سددتُ اكتفوا به وما كان يغلو التبرُ لو ينفقُ الصفرُ
ونحن أناسٌ لا توسُّط بيننا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ
تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ومن خطبَ الحسناءَ لم يغلهُ المهرُ

بعض الوقائع التاريخية

نقل: أنه في سنة ٢٩٧ وثب العلوي صاحب الزنج والسودان على الأيلة فاستباحها وأحرقها وقتل منها نحو ثلاثين ألفاً، فساق الخليفة لحربه سعيد الحاجب فالتقوا فانهزم سعيد ثم دخلت الزنج البصرة وأحرقوا الجامع وقتل فيها اثني عشر ألفاً، وهرب باقي أهلها بأسوء حال وخربت.

وفي: سنة ٢٩٩ غارت الزنج على واسط وهجت أهلها حفاة عراة وأخربت ديارها وأحرقت، فوجه المعتمد على الله ابن المتوكل أخاه الموفق بن المتوكل إلى حربهم فالتقى

المسلمون وقائد الزنج واجتمع مع الموفق بن المتوكل ثمانية آلاف مقاتل فانهزم الخبيث وأصحابه وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون، ثم استقبل القائد وفرسانه الناس وحمل عليهم فهزموهم وأزالوهم فحمل عليه الموفق والتحم القتال وإذا بفارس من أصحاب الموفق قد أقبل ورأس الخبيث في يده فلم يصدقه الموفق فعرفه جماعة من الناس فحينئذ ترجل الموفق وابنه المعتضد والأمراء فخروا سجداً لله تعالى وكبر رؤساء الموفق فدخل بالرأس بغداد وكان مشهوراً، واسترجعوا البلدان التي أخذها الخبيث، وكانت أيامه خمس عشرة سنة. قال بعض المؤرخين: أنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف، وقتل في يوم واحد من البصرة ثلاثمائة ألف، وكان خارجياً يسب عثمان وعلياً وقيل كان زنديقاً.

وفي: سنة ٢٥٨ مبدأ ظهور القرامطة بسواد الكوفة، وهم خوارج زنادقة مارقون من الدين.

وفي: سنة ٣١١ دخل أبو طاهر القرمطي على أبي سعيد القرمطي البصرة ليلاً في ألف وسبعمائة فارس فنصبوا السلاسل على السور فنزلوا فوضعوا فيهم السيف وأحرقوا الجامع وسبوا الحريم.

وفي: سنة ٣١٢ عارض أبو طاهر القرمطي حاج العراق ومعه ألف فارس وألف راجل، وأمير الحاج أبو الهيجاء بن حمدان، فوضعوا السيف في الحجاج وساقوا الأجمال والأحمال والأموال وأخذوا أبا الهيجاء أسيراً، ثم إن القرمطي أطلقه وأرسل معه يطلب كل ما في البصرة والأهواز من العبيد.

وفي: سنة ٣١٣ سافر الركب العراقي ومعهم ألف فارس فعارضهم القرمطي فرد الحاج ولم يحجوا تلك السنة ونزل القرمطي الكوفة فقتلوه فغلب على البلد ونهبه.

وفي: سنة ٣١٤ لم يحج أحد من العراق خوفاً من القرامطة.

وفي: سنة ٣١٦ نزلت القرامطة الكوفة فسار يوسف بن السباح فقاتلهم فأسروا يوسف وانهزم عسكره وسار القرمطي إلى أن نزل غربي الأنبار فقطع المسلمون الجسر فأخذ يتحيل في العبور حتى عبر وخرج نصر الخادم وموسى الخادم فعسكروا بباب الأنبار وخرج أبو الهيجاء بن حمدان وإخوته ثم ردت القرامطة ولم يهجم العسكر ووقع عليهم الخذلان وكانت القرامطة ألف وسبعمائة فارس وراجل وكانت العسكر يومئذٍ أربعين ألف فارس ثم إن القرمطي قتل ابن السباح وجماعة معه ودخل الوزير علي بن عيسى على المقتدر وقال قد تمكنت هيبة هذا الكافر من القلوب فخاطب السيدة في مال تنفقه على العسكر فاخبر المقتدر أمه بذلك فأخرجت خمسمائة ألف دينار وأخرج المقتدر ثلاثمائة ألف دينار ونهض علي بن عيسى في استدامة العساكر وجددت على بغداد الخنادق وعدمت هيبة المقتدر من القلوب.

وفي: سنة ٣١٦ رجل القرمطي بناحية الشام واستباحها ثم نزل الرقة وقتل جماعة وتحول هيت فرموه بالحجارة وقتلوا صاحبه أبا الدرداء وسار إلى الكوفة ثم انصرف وبنى داراً سماها دار الهجرة

ولم يحج أحداً في هذه السنة واستعفى علي بن عيسى من الوزارة وتولى بعده علي بن مقلة.

وفي: سنة ٣١٧ حج بالناس منصور الديلمي فدخلوا مكة سالمين، فوافاهم يوم التروية أبو طاهر القرمطي فقتل الحاج قتلاً ذريعاً في المسجد وفي فجاج مكة، وقتل أمير مكة واقتلعوا باب الكعبة والحجر الأسود وأخذوه إلى هجر ولم يرد إلا بعد نيف وعشرين سنة، وصعد الملعون على البيت وقال شعراً: [البحر الرمل]

أنــا بــالله وبــالله أنــا   يخلقُ الخلقَ ويُفنيهمْ أنا

فلما قلع الحجر الأسود قال شعراً يدل على كفره: [البحر الطويل]

ولوْ كانَ هذا البيتُ معبدَ ربِّنا   لصبَّ علينا النارَ من فوقه صبّا
لأنّا حججْنا حجةً جاهليةً   محالةَ لم تبقِ شرْقاً ولا غرْبا
وإنا تركْنا بينَ زمزمَ والصّفا   جنائزَ لا تبغي سوى ربِّها ربّا

وفي: سنة ٣٣٩ أعادت القرامطة الحجر الأسود إلى مكانه، وكان بعض الأمراء دفع إليهم خمسين ألف دينارٍ فأبوا بيعه.

وفي: سنة ٣٥٢ ألزم معز الدولة أهل بغداد يوم عاشوراء النوح وإقامة المأتم على الحسين بن علي عليه السلام وأمر بغلق الأبواب وعلقت عليها المسوح ومنع الطباخين من الأطعمة وخرجت نساء الشيعة منشورات الشعور مخمشات الوجوه يلطمن الخدود وفي يوم الثامن عشر من ذي الحجة علمت الشيعة عيد الغدير، وفيها أو في الذي قبلها توفي الوزير المهلبي وزير معز الدولة ابن بويه الديلمي، وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة في المعيشة ولقي في سفره مشقة عظيمة فاشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه فقال ارتجالاً: [البحر الوافر]

ألاَ مـوتٌ يـبـاعُ فـأشـتـريـهِ   فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ
ألاَ موتٌ لذيذُ الطعمِ يأتي   يخلّصني من العيشِ الكريه
إذا أبصرتُ قبْراً من بعيدٍ   فـودّي أنّـنـي مـمّـا يـليـهِ
ألاَ رحمَ المهيمنُ نفس حرٌّ   تـصـدَّقَ بـالوفـاةِ عـلـى أخيـهِ

وكان معه رفيق يقال له «أبو عبد الله الصوفي» فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحماً فأطعمه إياه وتنقلت بالمهلبي الأحوال وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة وضاقت الأحوال برفيقه الذي اشترى له اللحم وبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب إليه: [البحر الوافر]

ألاَ قلْ للوزيرِ فدتْه نفسي   مقالةَ مُذكرٍ ما قد نسيهِ
أتذكرُ إذ تقولُ لضيقِ عيشٍ   ألاَ مـوتٌ يـبـاعُ فـأشـتـريـهِ

فلما وقف عليها المهلبي ذكر وهربة أريحية الكرم وأمر له بسبعمائة درهم، ووقع في رقعته: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ

﴿يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً يغنتي به عن الناس، وقال أبو إسحاق الصابي: كنت يوماً عند الوزير المهلبي فأخذ ورقة وكتب فيها على البدى:

[البحر البسيط التام]

له يدٌ برعتْ جوداً بنائلها ومنطقٌ درّه في السطرِ ينتثرُ
فحاتمٌ كامنٌ في بطنِ راحتِه وفي أناملِهِ سحبانُ ينتشرُ

وكان المهلبي من رجال الدهر عزماً ورأياً وسؤدداً.

وفي: سنة ٣٥٤ توفي الملقب بأبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي ثم الكندي منزلاً، قدم الشام في صباه وجال في الأقطار واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها، وكان من المكثرين في نقل اللغة والمطلعين على غريبها قيل: إن أبا علي الفارسي قال: كم لنا من الجموع على وزن فعلى بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام؟ فقال المتنبي في الحال: حجلى وظربى، فقال أبو علي: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال لأجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد، وأما شعر المتنبي فشهرته تغني عن مدحه ولقد افتتن العلماء بديوانه فشرحوه.

قال بعضهم: وقفت على أربعين شرحاً بين المطولات والمختصرات، وأما تلقيبه بالمتنبي فقيل إنه ادعى النبوة في بادية سماوة وتبعه خلق كثير من تلك الناحية، فعند ظهور تلك الدعوة خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيد فأسره وتفرق أصحابه ثم استتابه وأطلقه، وقيل غير ذلك، ثم التحق بالأمير سيف الدولة ابن حمدان في سنة ٥٠٧ سبع وخمسمائة ثم فارقه ودخل مصر ومدح كافور الأخشيدي، وكان لسيف الدولة مجلس تحضره العلماء كل ليلة يتكلمون بحضرته فوقع بين المتنبي وبين ابن خالويه النحوي كلام فوثب ابن خالويه وضرب وجهه بمفتاح كان في يده فشجه وسال دمه على ثيابه، فغضب وخرج إلى مصر ومدح كافور ثم خلى عنه وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة الديلمي فأجزل جائزته، ولما رجع من عنده قاصداً إلى بغداد ثم إلى الكوفة من شعبان لثمان خلون منه عرض فاتك بن أبي الجهل الأسدي في عدة من أصحابه فقاتلهم فقتل المتنبي وابنه محمد بضم الميم وفتح الحاء والسين المشدده المهملتين من الجانب الغربي من سواد بغداد، وذكر ابن رشيق في كتاب العمدة في باب منافع الشعر ومضاره: أن أبا الطيب لما فر حين رأى الغلبة قال له غلامه: لا تتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل شعراً:

[البحر البسيط التام]

الخيلُ والليلُ والبيداُء تعرفُني والسّيفُ والرّمحُ والقُرطاسُ والقلمُ

فكر راجعاً حتى قتل وكان سبب قتله هذا البيت.

وفي: سنة ٣٣٨ توفي المستكفي بالله عبد الله بن المكتفي بالله علي بن المعتضد بالله أحمد،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

وفيها توفي عماد الدولة علي بن بويه بضم الموحدة وفتح الواو وسكون المثناة من أسفل والهاء كان أبوه صياد السمك وكانوا ثلاثة إخوة عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة والجميع ملكوا، وكان عماد الدولة وهو أكبرهم سبب سعادتهم وانتشار صيتهم واستولوا على البلاد وملكوا العراقين والأهواز وفارس وساسوا أمور الرعية بأحسن سياسة، ثم ملك عضد الدولة ابن مالك الدولة اتسعت مملكته وزادت عماراً كما كانت لأسلافه، قيل إن عماد الدولة اتفقت له أسباب عجيبة كانت سبباً لإثبات ملكه «منها» أنه لم اجتمع أصحابه في أول مملكته وطالبوه بأموال ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك غماً شديداً فبينما هو يفكر وقد استلقى على قفاه في مجلسه إذ رأى حية خرجت من موضع آخر فخاف أن تسقط عليه فدعا الفراشين وأمرهم بإحضار سلم وأن تخرج الحية فلما صعدوا وبحثوا عن الحية وجدوا ذلك الغار يفضي إلى غرفة بين السقفين فعرفوه بذلك فأمرهم بفتحها ففتحت فوجدوا فيها عدة صناديق من المال قدر خمسمائة ألف دينار، فحمل المال بين يديه ففرقه وأنفقه في رجاله وثبت أمره بعد أن أشفا على الزوال.

«ومنها» أنه قطع ثياباً وسأل عن خياط حاذق فوصف له خياط كان لصاحب البيت، فأمر بإحضاره وكان أطرشاً فوقع في نفس الخياط أنه سعى به في وديعة كانت عنده لصاحب الدار فطلبه لهذا السبب، فلما أحضر خاطبه فحلف أنه ليس عنده إلا اثني عشر صندوقاً لا يدري ما فيها، فتعجب عماد الدولة من جوابه ووجه معه من يحملها فوجد فيها أموالاً وثياباً بأموال عظيمة، فكانت هذه بعض الأسباب المقررة لمملكته الدالة على سعادته.

وفي: سنة ٣٤٩ وقعت وقعة عظيمة بين السنة والشيعة، وقرت الشيعة ببني هاشم ومعز الدولة ابن بويه وعطلت الصلاة في الجامع، ثم رأى معز الدولة المصلحة في القبض على جماعة من الهاشميين فسكنت الفتنة، وفيها كان إسلام الترك، قال ابن الجوزي: أسلم من الترك مائتا ألف.

وفي: سنة ٣٥٦ توفي معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي وكان في صباه يحتطب وأبوه يصيد السمك، فما زال يرتقي في أمور الدنيا حتى تسلط على بغداد وملكها نيفاً وعشرين سنة، وكان حازماً عالماً شيعي المذهب، وكان هو عم عضد الدولة وسيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى، وفيها توفي صاحب كتاب الأغاني أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين القرشي الأموي المرواني، قال بعض أصحاب الحديث من العجائب أن مروانياً شيعياً، وله تصانيف كثيرة منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على أنه لم يعمل مثله في بابه، قيل إنه جمعه في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة ابن حمدان فأعطاه ألف دينار، وفيها توفي سيف الدولة الأمير الجليل علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الحزري صاحب الشام توفي بحلب وعمره بضع وخمسون سنة، وكان بطلاً جواداً شجاعاً شاعراً أديباً ممدوحاً قال الثعالبي في يتيمة الدهر: كانوا بنو حمدان ملوك وأوجبهم للصباحة وألسنهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم فواسطة قلادتهم.

وفي: سنة ٣٥٧ توفي أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان ابن عم سيف الدولة، قال: الثعالبي في وصفه: كان وحيد دهره وشمس عصره أدباً كرماً وفضلاً ومجداً وبلاغة وفروسية، وشعره مشهور قد جمع الحسن والجودة والسهولة والجلالة، كان ابن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس وأبا فراس، وكان المتنبي يشهد له بالتقديم والتبريز ويتحامى جانبه.

وفي: سنة ٣٦٠ توفي شاعر الأندلس محمد بن الحسن بن هاني الأندلسي وله مع المتنبي قصة عجيبة عند وصوله إلى قابس لمدح صاحب الأمر فيها، قيل إنه لما صار المتنبي بإزاء قصر الأمير وهو في زي أمير في الحشم والغلمان والخدم والخيل والأتباع ففزع صاحب قابس من ذلك وسأل عنه، فقيل: إنه شاعر أتى يمدحك فكره ذلك وقال: أي شيء يرضى صاحب هذه الهيئة ويسده من الجائزة؟ فقال: محمد بن الحسن بن هاني: أنا أرده عنك، فقال: بأي شيء ترده؟ فقال: بوجه جميل.

فقال: افعل، فأخذ ابن هاني شاة ردية ولبس ثياب بدوي وجعل يقود الشاة متوجهاً إلى منزل المتنبي وهو في مخيم له، فلما قرب منه قال: طرقوا لي إلى الأمير، فصاروا يضحكون عليه ويتعجبون منه فلما وصل إليه وهو يقود الشاة في تلك الهيئة ضحك منه المتنبي ومن حوله وقال: ما هذه الشاة؟

قال ابن هاني: هذه جائزتي من عند الأمير، قال: جائزة؟ قال: نعم، قال: جائزة على ماذا؟ قال: على مدحي له، فتعجب من ذلك المتنبي وقال: عسى أن يكون جائزته على قدر مدحه فقال: اسمعني كيف قلت؟ فأنشد: [البحر الكامل]

ضحكَ الزمانُ وكانَ قدماً عابساً لـمّا فتحتُ بحدِّ عزمك قابِسا
أنكحتُها عذراءَ وما أمهرتُها إلاّ قنـاً وصـوارِمـاً وفـوارِسـا
منْ كان بالسمرِ العوالي خاطِباً جليتْ له هذي الحصونُ عرايسا

فتحير المتنبي عند سماع شعره وقال: أنا ما أقدر أقول مثل هذا الذي أجازه عليه بهذه الشاة، ثم ارتحل المتنبي راحلاً من حيث جاء راجعاً.

وفي: سنة ٣٧٢ توفي عضد الدولة ابن الملك ركن الدولة وهو أول من خوطب بشاه في الإسلام، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة، وكان أديباً فاضلاً يحب الفضلاء ويعرف فنوناً من العلم، وله صنف أبو علي الفارسي كتاب التكملة والإيضاح في النحو، وكان شيعياً مطاعاً حاز ما ليس في زمانه مثله، وهو الذي أظهر قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبنى مشهده ودفن فيه.

وفي: سنة ٣٩٨ ثارت فتنة عظيمة بين السنة والشيعة في بغداد فقصد رجل سني الشيخ مفيد وأسمعه ما يكره، فثار تلامذته واستفزوا الشيعة وأتوا قاضي القضاة أبا محمد الأكفاني وأبا

حامد الإسفرايني فسبوهما فثارت الفتنة ووقع القبال بين الشيعة والسنة، فبعث القادر خيلا لمعاونة السنة فانهزمت الشيعة وأحرق بعض دورهم، وأمر عيد الجيوش بإخراج ابن المعلم الشيخ المفيد فأخرج وحبس جماعة من الشيعة.

وفي: سنة ٤٠٣ تولى القاضي أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري المالكي، قيل: كان يكتب في كل ليلة بعد أن يقضي ورده خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه، وإليه انتهت الرئاسة في هذا العلم، وفيها توفي قابوس بن أبي طاهر الحلي أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان ومن مشهور ما نسب إليه من الشعر قوله: [البحر البسيط التام]

قلْ للّذي بصروفِ الدّهر عيّرنا ... هل عاندَ الدهرُ إلاَّ منْ له خطرُ
أمَا تَرى البحرَ يعلُو فوقه جيفٌ ... ويستقرُّ بأعلى قعره الدّررُ
وإنْ تكنْ عبثتْ أيدي الزمانِ بنا ... ونالنا من تمادي بؤسه الضررُ
ففي السماءِ نجومٌ لا عدادَ لها ... وليس يُخسفُ إلاّ الشمسُ والقمرُ

وفي: سنة ٤٠٤ توفي الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسيني الشيعي، بقية الأشراف صاحب ديوان الشعر، قال الثعالبي في اليتيمة: ابتدأ بالشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبرع أهل زمانه وأنجب سادات العراق، ومن شعره ما كتبه إلى الخليفة القادر بالله أحمد بن المقتدر: [البحر الكامل]

عطفاً أميرَ المؤمنين فأنّنا ... في دوحةِ العلياءِ لا نتفرّقُ
ما بيننا يوم الفخارِ تفاوتٌ ... أبداً كلانا في المعالي مُعرقُ
إلاّ الخلافةُ ميّزتك فإنّني ... أنا عاطلٌ منها وأنت مطوّقُ

وذكر أبو الفتح ابن جني أن الشريف الرضي دفع إلى السيرافي ليعلمه النحو وهو صغير لم يبلغ عشر سنين، فقعد يوماً في الحلقة فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم فقال له السيرافي: إذا قلنا رأيت عمر ما علامة نصب عمر؟ فقال له الرضي: بغض علي عليه السلام فتعجب السيرافي والحاضرون من حدة فهمه وخاطره.

وفي: سنة ٤١٣ توفي الشيخ المفيد رحمه الله المعروف بابن المعلم، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية، وكان كثير الصدقات عظيم الخشوع كثير الصلاة، وكان عضد الدولة يزوره، وكان شيخاً ربعاً أسمر ثقة عاش ستاً وسبعين سنة، وله أكثر من مائتي مصنف، ويوم مات شيّعه ثمانون ألفاً من الشيعة.

وفي: سنة ٤٤٣ حصلت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنة، وعمد الشيعة إلى سور الكرخ وأحكموه وكتبوا على الأبراج «محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر» واضطرمت نار الفتنة وأغلقت أبواب الأسواق، واجتمعَ للسنة جمع لم ير مثله وهجموا على دار الخليفة وأحرقوه وقتلوا مدرسهم أبا سعيد.

وفي: سنة ٥١٦ توفي الحريري صاحب المقامات، وكان سبب وضعه لها ما حكاه ابنه أبو القاسم عبد الله قال: كان أبي جالساً في مسجد لبني خزام فدخل ذو طمرين عليه أهبة السفر وهو رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسألته الجماعة من أين الشيخ؟

فقال: من سروج، فاستخبروه عن كنيته، قال: أبو زيد المذكور فاشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدولة القاشاني وزير الخليفة المسترشد بالله، فلما وقف عليها أعجبته وأشار إلى أن يضم إليها غيره فضم إليها خمسين مقامة، وإلى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقوله: «فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم» وأما تسمية الراوي بالحارث بن همام فإنما عنى نفسه هكذا قاله ابن خلكان قال: وقفت عليه هي شرح المقامات وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ: كلكم حارث وكلكم همام، فالحارث الكاسب والهمام كثير الاهتمام، ويحكى: أن الحريري كان دميماً قبيح المنظر، فجاءه رجل غريب يزوره ويأخذ عنه فلما رآه استزرى شكله، ففهم الحريري ما في نفسه فأبى أن يملي عليه وقال أكتب: [البحر البسيط التام]

ما أنتَ أولُ سارٍ غرّه قمرٌ   وزائرٌ أعجبته خضرةُ الدّمنِ
فاخترْ لنفسك غيري أنّني رجلٌ   مثلُ المعيدي تسمعُ بي ولم ترني

فخجل ذلك الرجل وانصرف عنه.

نبذة تشتمل على تعداد الخلفاء والملوك وتواريخهم

أبو بكر بن أبي قحافة: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تميم بن مرة قيل: ولد أبو بكر قبل النبي صلى الله عليه وآله، وقيل بالعكس، مات يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً، وكان عمره ستة وستين سنة، وقيل ستين سنة.

عمر بن الخطاب: بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن مرة، طعنه أبو لؤلؤة يوم الاثنين لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ومكث ثلاثة أيام ثم مات، وكان مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليالٍ.

عثمان بن عفان: بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وقتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وله يومئذ اثنتان وثمانون سنة، وكان مدة خلافته اثني عشر سنة.

علي بن أبي طالب عليه السلام: استشهد في شهر رمضان من سنة الأربعين وله يومئذ ثلاث وستون سنة، ومدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وأحد وعشرون يوماً.

الحسن بن علي: عمره سبعة وأربعون سنة ومدة خلافته ستة أشهر.

معاوية بن أبي سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، مات سنة سبع وخمسين من الهجرة، وكانت مدة خلافته بعد الصلح عشرين سنة.

يزيد بن معاوية: وكانت مدة ملكه أربع سنين، قتل الحسين عليه السلام في الأولى وقتل أهل المدينة في الثانية وهدم الكعبة في الثالثة.

معاوية بن يزيد: كانت مدة خلافته أربعة أشهر ثم خلع نفسه، وقيل إنه كان شيعياً أمر الناس بالرجوع إلى علي بن الحسين عليه السلام وقال: إن هذا حق له، ومما ينسب إليه: **[البحر الكامل]**

يا ليتَ لي بيزيدَ حينَ انتسبُ ... أباً سواه وإنْ أزرَى به النسبُ
برئتُ من فعله واللهُ يشهدُ لي ... إنّي برئتُ وذا في اللهِ قد يجبُ

مروان بن الحكم: بويع له بعد خلع معاوية بن يزيد مات سنة خمس وستين، وقيل إن زوجته وضعت على وجهه مخدة وهو نائم ووقعت هي وجواريها فوقه حتى مات، وعمره ثلاث وثمانون سنة ، وكانت خلافته عشرة أشهر.

عبد الملك بن مروان: مات سنة ست وثمانين وله اثنتان وستون سنة ، ومدة خلافته أحد وعشرون سنة .

الوليد بن عبد الملك: مدة ملكه تسع سنين وأشهر، وفي زمانه توفي علي بن الحسين عليه السلام .

سليمان عبد الملك: مدة ملكه سنتان وثمانية أشهر.

عمر بن عبد العزيز: بن عبد الملك، مدة ملكه أربع سنين وستة أشهر، توفي في حمص يوم الجمعة من رجب سنة إحدى ومائة.

هشام بن عبد الملك: كانت مدة ملكه تسع عشرة سنة وأشهر ثم خلعوه من الخلافة.

يزيد بن الوليد: بن عبد الملك، مدة ملكه ستة أشهر واثنا عشر يوماً.

إبراهيم بن الوليد: كانت مدة ملكه ثلاثة أشهر وأياماً، خرج عليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وأخذ منه الملك ثم قتله.

مروان بن محمد: الملقب بالأصغر وبالحمار، كانت مدة خلافته خمس سنين وأشهر، خرج عليه العباسيون وأخذوا الملك منه، فهو آخر ملوك بني أمية.

عبد الله بن محمد: بن علي بن عبد الله بن العباس السفاح، كانت مدة ملكه أربع سنين وثمانية أشهر، وكان ذلك في زمن الصادق عليه السلام فوكل أمور الشرع إليه لما اشتهر عنه نقل الحديث وروايته، مات في سنة السادسة والثلاثين بعد المائة.

أبو جعفر المنصور: الدوانيقي أخ السفاح، كانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة ، عاش ثلاثاً وستين سنة ، وفي زمانه مات الصادق عليه السلام ، وبنى مدينة بغداد في سنة خمس وأربعين ومائة، مات سنة ثمان وخمسين في شهر ذي القعدة.

المهدي بالله محمد بن عبد الله بن المنصور: مدة خلافته عشر سنين وأشهر، عاش ثلاثاً وأربعين سنة ، مات سنة التاسعة والستين بعد المائة.

الهادي بالله: موسى بن المهدي محمد بن عبد الله، كانت مدة خلافته سبع سنين، وقيل سنة واحدة وثلاثة أشهر، مات سنة السبعين بعد المائة، قيل مات من قرحة أصابته، وقيل قتلته أمه الخيزران لما هم بقتل أخيه هارون الرشيد.

أبو جعفر: هارون بن محمد الرشيد، كانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وتسعين ومائة.

الأمين محمد بن هارون: كانت مدة خلافته أربع سنين وسبعة أشهر، وحصره جيش المأمون ببغداد ثم قتل سنة السابعة والتسعين بعد المائة.

المأمون عبد الله بن هارون: كانت مدة خلافته سبعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر، مات سنة ثماني عشرة ومائتين.

المعتصم بالله محمد بن هارون: سمي بالمثمن لأنه ثامن الخلفاء والبطن الثامن من العباس، وكانت مدة خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وكان له ثمانية بنين وثماني بنات، وقتل في زمانه ثمانية نفر يدعي الملك، وله ثمانية آلاف غلام، وترك ثمانية ألف ألف دينار لورثته، مات سنة سبع وعشرين ومائتين.

الواثق بالله المعتصم: كانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

المتوكل على الله جعفر بن المعتصم: كانت مدة خلافته أربع عشرة سنة ثم ضعف بعده خلفاء بني العباس، قتله ابنه المنتصر سنة أربع ومائتين.

المنتصر بالله محمد بن المتوكل على الله: مدة خلافته ستة أشهر ثم مات بالخناق.

المستعين بالله أحمد: بن محمد بن المعتصم، وكانت مدة خلافته سنتين ثم خلعوه، ومات سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

المعتز بالله: أبو عبد الله محمد بن المتوكل، مدة خلافته أربع سنين ثم أخذه الأتراك وضربوه حتى خلع نفسه ثم حبسوه ومنعوه الطعام حتى مات جوعاً، وفي زمنه مات الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام سنة الثالثة والخمسين بعد المائتين وهي سنة خلعه من الخلافة.

المهدي بالله: محمد بن الواثق، كانت مدة خلافته سنة واحدة.

المعتمد على الله: أحمد بن المتوكل، كانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر، مات فجأة سنة التاسعة والسبعين بعد المائتين.

المعتضد بالله: أحمد بن طلحة بن المتوكل، كانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر.

المكتفي بالله: علي بن أحمد بن طلحة، كانت مدة خلافته ست سنين وسبعة أشهر.

المقتدر بالله: جعفر بن المعتضد أحمد بن طلحة، كانت مدة خلافته خمساً وعشرين سنة، وفي عهده خرج ناصر الحق الحسن بن علي الحسيني مع الديالمة، وفي زمانه قوي القرامطة، قتل سنة الأربعين بعد الثلاثمائة.

القاهر بالله: محمد بن المعتضد، كانت مدة خلافته ستة أشهر ثم خلعوه.

الراضي بالله: محمد بن المقتدر، كانت مدة خلافته ست سنين وشهرين، وكان وزيره ابن مقلة، مات سنة السابعة والعشرين بعد الثلاثمائة.

المتقي بالله: إبراهيم بن أحمد بن جعفر المقتدر، كانت مدة خلافته أربع سنين ثم أخذوه وأدخلوا الحديدة في عينيه فكف بصره.

المستكفي بالله: عبد الله بن علي المكتفي بن أحمد، ملكه سنة وأربعة أشهر، ثم أخذه معز الدولة من آل بويه وحبسه وخلعه وكحله لأذاه لبعض الشيعة، وكان معز الدولة شيعياً، ومات المستكفي بالله سنة ٣٣٨.

المطيع بالله: الفضل بن جعفر، كانت مدة خلافته بسبب معز الدولة لأنه الذي وضعه إحدى وثلاثين سنة ثم خلع نفسه وفوض أمر الخلافة إلى ابنه.

الطائع بأمر الله: عبد الكريم بن الفضل، كانت مدة خلافته سبع عشرة سنة ثم خلعه بهاء الدولة ابن عضد الدولة وبايع ابن عمه أحمد بن إسحاق.

القادر بالله: أحمد بن إسحاق بن المقتدر، كانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر، وكان الشريف المرتضى أو الرضي في زمانه.

القائم بأمر الله: أبو جعفر عبد الله بن القادر، كانت مدة خلافته أربعة وأربعين سنة وأربعة أشهر.

المقتدي بالله: أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن القائم، كانت مدة خلافته تسع عشرة سنة ثم مات فجأة بالطاعون سنة السابعة والثمانين بعد الأربعمائة.

المستظهر بالله: أبو العباس أحمد بن المقتدي، كانت مدة خلافته، خمساً وعشرين سنة.

المسترشد بالله: أبو منصور الفضل بن المستظهر، كانت مدة خلافته سبع عشرة سنة ثم جاء في زمانه سلطان مسعود السلجوقي وحاصر بغداد فأخذ المسترشد وحبسه وقتله بالسكين.

الرشيد بالله: أبو جعفر منصور بن المسترشد، كانت مدة خلافته عشرة أشهر وأياماً فقتل.

المقتفي بالله: أبو عبد الله محمد بن المستظهر، كانت مدة خلافته عشرين سنة وأربعة أشهر، مات في سنة الخامسة والخمسين والخمسمائة.

المستنجد بالله: ابن المظفر يوسف بن الثقفي، كانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة .

المستضيء بنور الله: أبو محمد بن المستنجد، كانت مدة خلافته عشرين سنة وأربعة أشهر ثم مات في سنة الخامسة والسبعين والخمسمائة.

الناصر لدين الله: أبو العباس أحمد بن المستضيء، كانت مدة خلافته خمساً وأربعين سنة مات في السابعة بعد الستمائة.

الظاهر بالله: أبو نصر محمد بن الناصر، كانت مدة خلافته ستة أشهر، مات في سنة الثالثة والستين والستمائة.

المنتصر بالله: أبو جعفر المنصور بن الظاهر، كانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وسبعة أشهر.

المستعصم بالله: أبو أحمد عبد الله بن المستنصر، كانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر، وهو آخر خلفاء العباسية، وكان خاجا ياقوت الخطاط من غلمانه قتل في سنة ست وخمسين وستمائة - انتهى.

نبذة تشتمل على تاريخ جملة من العلماء

قد وقفت في جملة كتب سيدنا الأجل الأواه السيد نصر الله الحسيني الحائري «أفاض الله تعالى عليه رواشح أفضاله» على كتاب لبعض تلامذة شيخنا المجلسي قد صنفه وجمع فيه علماء الشيعة ولكنه كان مسودة وقد رتبه على حروف المعجم ولم يبرز منه إلا بعض من حروف الألف، ونحن نذكر أولاً ما نقلنا منه ثم نذكر غيره ممن وقفنا على أخبارهم وتواريخهم.

الشيخ الفقيه آدم بن يونس بن المهاجر النسفي: قرأ على الشيخ أبي جعفر تصانيفه - قاله الشيخ منتجب الدين في فهرسته، والنسفي نسبة إلى النسف وهي بلدة من بلاد ما وراء النهر.

الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن فخر الدين العاملي البازدريني: من أفاضل تلامذة الشيخ البهائي، قال في كتاب أمل الآمل في بيان علماء جبل عامل: كان فاضلاً عالماً صالحاً شاعراً أديباً من المعاصرين، قرأ على الشيخ بهاء الدين وعلى الشيخ محمد ابن الشيخ الحسن ابن الشهيد الثاني وغيرها، توفي بطوس في زماننا ولم أره، وله ديوان شعر صغير عندي بخطه، وله رسم سماه «رحلة المسافر وغنية عن المسافر» أخبرني به جماعة منهم السيد محمد بن محمد الحسيني العاملي عنه، ومن شعره قوله من قصيدة يرثي بها الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي:

[البحر البسيط التام]

شيخُ الأنامِ بهاء الدينِ لا برحتْ ... سحائبُ العفوِ ينشئُها له البارِي
مولىً به اتضحتْ سبلُ الهدى وغدَى ... لفقده الدينُ في ثوبٍ من النارِ
والمجدُ أقسمَ لا تبدو نواجذُه ... حزناً وشقَّ عليه فضلُ أطمارِ
والعلمُ قد درست آثارُه وعفتْ ... منه رسومُ أحاديثٍ وأخبارِ
كم بكرُ فكرٍ غدتْ للكفو فاقدةً ... ما دنَّستها الورى يوماً بأنظارِ
كم خرَّ لمّا قضى للعلم طودَ عُلىً ... ما كنتُ أحسبُه يوماً بمنهارِ
وكم بكتْه محاريبُ المساجدِ إذْ ... كانتْ تُضيءُ دُجىً منه بأنوارِ
فاقَ الكرامَ ولم تبرحْ سجيّتُه ... إطعام ذي سغبٍ مع كسوةِ العاري

جلّ الذي اختارَ في طوسٍ له جدثاً ... في ظلّ حامي حِماها نجلِ أطهارِ
الثامنِ الضّامنِ الجنّاتِ أجمعِها ... يـومَ الـقـيـامـةِ مـن جـودٍ لـزوارِ

وقوله: من قصيدة بمدح بها الشيخ زين الدين محمد بن الحسن ابن الشهيد الثاني:

[البحر الطويل]

كمولايَ زينِ الدينِ لا زالَ راكِباً ... سوابقَ مجدٍ في يديهِ زمامُها
إذا انقضَّ منهم كوكبٌ لاحَ كوكبٌ ... به ظلماتُ الجهل يجلُو ظلامُها
فما زالَ مجدٌ نلتمُ من سواكمُ ... ولا انفكَّ منكم للبرايا إمامُها
مطايا العُلى ما انقدن يوماً لغيركمْ ... وموضعُكم دون البرايا سنامُها
حللتُم بفرقِ الفرقدينِ وشدتُمُ ... رسوم عليّ قد طالَ منها انهدامُها
محطُّ رجالِ الطالبين خيامُكم ... وما ضُربتْ الا لديْكم خيامُها
إذا تُليتْ في الناسِ آياتُ ذكركمْ ... لمَا سجدتْ أخيارُها وطغامُها

وقوله: من قصيدة يمدح بها السيد حسين ابن السيد محمد بن أبي الحسن الموسوي العاملي:

[البحر البسيط التام]

هـدايـةُ شـمـسٍ لـلـعُـلـى طـلـعـتْ ... من أفقِ سعدٍ بها للحائرين هُدى
وآيُ بدر كمالٍ في الورى سطعتْ ... أنوارُه فانجلى سحبُ العَمى أبدا
قد أصبحتْ كعبةُ العافين حضرتُه ... يطوفُ من حولِها آمالُ من وفَدا
لا زلتَ إنسانَ عينِ الدهرِ ما رشقتْ ... شمسُ الضُّحى من ثغورِ الدهرِ ريقَ ندى

والبار ذريق قرية ينسب إليها - انتهى

السيد ميرزا إبراهيم ظهر الدين: ويقال أيضاً: رفيع الدين ابن ميرزا حسين بن الحسن الحسيني الهمداني فاضل عالم حكيم فقيه صوفي المشرب محقق مدقق، كان معاصراً للشيخ البهائي والسيد الداماد في عصر السلطان شاه عباس، وله من المؤلفات شرح إلَهيات الشفاء لابن سينا كبير في مجلدين، وقد ذكر في ديباجته نموذج علومه أن المجلد الأول منه قد ضاع في سفر الحج وله أيضاً حاشية على شرح الإشارات، وله حاشية على شرح الجديد للتجريد وحاشية على الكشاف ورسالة الأنموذج الإبراهيمية المشار إليها آنفاً ورسائل في علم الكلام، وقد توفي في سنة خمس وعشرين وألف في زمن دولة السلطان شاه عباس، وقد قرأ العقليات على الأمير فخر الدين السماكي وكتب له إجازة وأثنى عليه، ومن العجب أنه نقل أن هذا السيد لم يكن عارفاً بالمسائل الشرعية ولا واقفاً على الآثار المعصومية والأقوال الفقهية، حتى نقل أنه لعدم معرفته بالمسائل الدينية كان لا يحترز عن الدم بل ويلطخ المسجد به ولم يعلم أنه نجس - والله يعلم.

وقال في تقويم البلدان ما معناه: أن ميرزا إبراهيم الهمداني المشهور بقاضي زاده همدان كان من علماء دولة الشاه طهماسب وبعده ومن السادة الطباطبا الحسيني، وكان والده قاضياً

بهمدان ومتصدياً للشرعيات بها، وولده ميرزا إبراهيم هذا كان في قزوين مشتغلاً باكتساب العلوم العقلية عند علامة العلماء أمير فخر الدين السماكي الاسترابادي، وقد ترقى في العلوم الحكمية واعتلى أمره، وبعد و فاة السلطان المذكور وموت والده صار هو قاضياً بهمدان ولكن لا يشتغل هو بنفسه لذلك إلا نادراً وله نواب لذلك الأمر، وكان هو يصرف خلاصة أوقاته في المباحثة والمطالعة، وبعد جلوس السلطان الشاه عباس الماضي الصفوي جاء إلى معسكر السلطان وصار معززاً عنده ومكرماً وأعطاه سيوزعات لأواقره وادرارات وإنعامات كثيرة، حتى أنه أعطاه صرة سبعمائة تومان لأجل إداء ديونه، وكان قوله في المعقولات معتبراً عند العلماء والفضلاء في عصره وفي سنة ست وعشرين وألف ترخص من السلطان المذكور حين كان ذلك السلطان في غزوة كرجستان وتوجه إلى همدان فاتفق وفاته في الطريق، وقد قال المولى نصير الدين الهمداني الذي كان من علماء العصر وفرائد الدهر والماهر في الشعر والإنشاء في تاريخ وفاته بالفارسية:

تاشد همه دان أز همدان ... با آل عبا كرد بفردوس قران
باشد عدد آل عبا تاريخش ... جون ضرب كني درهمه دان همدان

هذا ما أورده صاحب التاريخ المذكور، ونقل أنه كان بين السيد وبين شيخنا البهائي من المؤاخاة والمصافاة ما يفوق الوصف، وكان شيخنا البهائي يمدح هذا السيد ويصف علمه وفضله ويرجحه على السيد الداماد المعاصر لهما، وقد كتب الشيخ البهائي إلى هذا السيد مكتوباً جواباً عن كتاب تقدمت منه إليه وسنذكره في ترجمة شيخنا البهائي إن شاء الله تعالى وصورة المكتوب: [البحر الرجز المجزوء]

يا غائباً عن عيني لا عنْ بالي ... القربُ إليك مُنتهى آمالي
أيامُ نواك لا تسلْ كيف مضتْ ... واللهِ مضتْ بأسْوأ الأحوالِ

قد نورت عيون قلوب المهجورين لمعان الرفقة القدسية المباني وعطلت مشام أرواح المشتاقين نسمات أزهار المفاوضة اللاهوتية المعاني المنطوية على كنوز الحقائق الدينية التي لا تصل إلى غوامضها أكثر الأذهان المحتوية على رموز الأسرار العرفانية التي هي فوق مدارك أبناء الزمان:

جانا سخت كرجه معمارنك است ... ابن زمزه رابكوش باران جنك است
مخروش كه مرغان جمن ميدانت ... كين نغمة ناقوس لك أم أهنيك است

ولقد جرني كل سطر منها إلى شطر ودلني كل فصل على أصل وهذان كل إشارة إلي بشارة فإن كان جميع تلك الأشطار المتخالفة والفصول المتكاثرة والاثارات المتعاندة راجعة في الحقيقة إلى شيء وجداني لا تعدد فيه وأمر فوداني لا كثرة تعتريه «شعر»:

نواي عشق بازان خوش نوائيست ... كه هرآهنكك آنراره بجائيست

اكرجه صدنوا خيزد از آن جنكك جو نيكو بنكرى باشد بد آهنكك

وقد أشرتم «خلد الله ظلالكم» إلى الفحص عن حال مخلصكم الحقيقي والسؤال عن أوضاع خادمكم التحقيقي وها أنا أعرضها على سبيل الإجمال وإن كان استماعها مغضياً إلى فرط الملال كما قال من قال: «آزرده دل كند آل جمعي را».

فأقول: إن بوائق الأيام قد كدرت مشاربي وطوارق الآلام قد ضيقت مشاربي وقلبي القاسي العاصي قد سودته الذنوب والمعاصي وأحاطت به ظلمة الغفلة والقساوة فصارت على أعزته الغشاوة «شعر»:

آه از اين دل كزكريبان عمي سر برزند صد مصيبت رفت ودست شيوني برسرزند

ومع هذا فإن جنود الضعف قد استولت على ممالك قواي وذهبت مع الراكب اليماني هواي ومناي حتى سمت من المستلذات الرسمية بأسرها وبرئب من الحظوظ المعادية عن آخرها «مصرع»:

مـرغ آتـش خـواره كـي لـذه شـنـاسـد دانـه

وقد قلت في المثنوي شعراً:

انـدريـن ويـرانـه بـر وسـوسـه دل كرفت از خانقاه ومدرسه
نـه زمـسـجـد كـام بـردنـه زديـر نه زخلوت طرف بستم نه زسير
عالمي خواهم از أين عالم بدر تـابـكـام خـودكـتـم خـاكـي بـسـر

لكن كلما تراكمت علي أفواج الهموم وتلاطمت لدي أمواج الغموم لا يحصل لقلبي الحزين المبتلي التسلي إلا بتذكر العهد الشريف الذي عاهدناه في خدمتكم العلية وتدبر الميثاق المنيف الذي أوثقناه في طارمتكم السنية «شعر»:

با بيم وهمين زمزمه عشق وفقاني بيد أست

فقم يا مطاع المعارضين حتى تنفض من أذيالنا الغبار المتعلق بتمويهات عالم الزور وانهض يا سلطان المتألهين لكي تخلص رقابنا من ربقة ملاقاة أهل دار الغرور ثم ترنم بلسان حالنا بهذا المقال مع اطمأنان القلب وفراغ البال«شعر»:

وقد قيل: لا راحة إلا في قطع العلائق، ولا عز إلا في العزلة عن الخلائق إلى آخر الكتاب.

الشيخ تقي الدين: إبراهيم بن الحسين بن علي الآملي فاضل فقيه من تلامذة العلامة وولده فخر المحققين، قال: وقد رأيت نسخة من الإرشاد في بلدة أردبيل وعليها إجازة من العلامة وولده المذكورين لهذا الشيخ بخطهما وقد قرأ هو عليهما ذلك الإرشاد، وكان خطهما ردياً كما هو دأب خطوط الفضلاء في الأغلب سيما خط العلامة، وقد أثنى عليه كلا الإمامين فأحببت إيرادهما بعبارتهما.

وصورة إجازة العلامة هكذا: قرأ هذا الكتاب الموسوم بإرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان في الفقه الشيخ العالم الفاضل الزاهد الورع أفضل المتأخرين تقي الدين إبراهيم بن الحسين الآملي أدام الله تعالى أيامه حفظه ومزيده قراءة بحث وإتقان وسأل في أثناء قراءته وتضاعيف مباحثه عما أشكل عليه في فقه الكتاب فبينت له ذلك بياناً واضحاً وأجزت له رواية هذا الكتاب وغيره من مصنفاتي ورواياتي وإجازاتي وجميع كتب أصحابنا المتقدمين «رضوان الله عليهم أجمعين» على الشروط المعتبرة في الإجازة، وكتب الحسن بن يوسف بن المطهر في محرم سنة تسع وسبعمائة حامداً مصلياً - انتهى.

وصورة إجازة ولده له هكذا: قرأ علي الشيخ الأجل الأوحد العالم الفاضل الفقيه الورع المحقق رئيس الأصحاب تقي الدين إبراهيم بن الحسين بن علي الآملي «أدام الله فضله وأمتع ببقائه الدين وأهله» كتاب إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان تصنيف والدي «أدام الله أيامه» من أوله إلى آخره قراءة مطلع على مقاصده عارف بمصادره وموارده باحث عن دقائق أغواره غير قانع بدون الوقوف على حقائق أسراره مناقش على الألفاظ المتضمنة للعقائد مطالب لما لا يرتاب فيه من الدلائل والشواهد فأخبر مشمراً عن ساق الاجتهاد مشيراً إلى ما عليه الاعتماد وإليه الاستناد فأخذ ذلك ضابطاً لعيونه وغرره جامعاً لتبدده ومنتشره وأجزت له رواية الكتاب عن والدي المصنف «أدام الله ايامه» فليرو ذلك متى شاء وأحب لمن شاء وأحب محتاطاً لي وله وكتب العبد الفقير إلى الله الغني به عمن سواه محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي في ثاني عشر شهر رمضان المبارك سنة ست وسبعمائة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً - انتهى.

السيد الميرزا إبراهيم: الحسيني النيشابوري ثم الطوسي المشهدي فاضل عالم محقق ماهر في العلوم الرياضية وقد صار من مدرسي الحضرة القدسية، توفي في شهور سنة ألف واثنتي عشرة ودفن بالروضة المقدسة وله رسالة في مسألة صلاة الجمعة بالفارسية ورسالة المولودية في تحقيق أن مولد النبي ﷺ يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول لا الثاني عشر منه كما قيل والرسالة النيروزية في تحقيق أن يوم النيروز بعينه ما هو معروف الآن من تحويل الشمس من الحوت إلى الحمل بالفارسية، وقد صارت هذه المسألة مطرحاً لآراء الفضلاء ومعركة عظمى بينهم حتى صنف المولى أقارضي القزويني رسالة في بطلان كون النيروز ما هو المعمول الآن وألف الميرزا رضي الدين محمد حسين ابن الميرزا أبو الحسن القايني أيضاً رسالة في صحة ذلك وألف الميرزا رضي الدين محمد المستوفي للخاصة بأصبهان أيضاً رسالة في هذا المعنى وأثبت فيها أيضاً صحة ذلك.

الشيخ إبراهيم: بن سليمان القطيفي ثم الغروي الحلي الإمام الفقيه الفاضل العالم الكامل المحقق المدقق المعاصر للشيخ علي الكركي العاملي، وكان هو والشيخ عز الدين الآملي

والشيخ علي الكركي شركاء الدرس عند الشيخ علي بن هلال الجزائري على ما قيل لكن الذي يظهر من إجازة الشيخ إبراهيم هذا للمولى شمس الدين محمد بن الحسن الإسترابادي أنه يروي عن الشيخ علي بن هلال المذكور بالواسطة الواحدة، وقال فيها: إن عدة من الفضلاء أجازه ولكن أوثقهم الشيخ إبراهيم بن الحسن الشهير بالوراق ابن الشيخ علي بن هلال الجزائري المذكور والله أعلم، وكان تاريخ الإجازة سنة عشرين وتسعمائة في أيام مجاورته بالروضة المقدسة الغروية، وكان يسكن المشهد المقدس الغروي.

ويروي عنه أيضاً جماعة من العلماء كما يظهر من إجازاته، منهم تلميذ السيد معز الدين محمد بن تقي الدين محمد الحسيني الأصفهاني، وله منه إجازة تاريخها سنة ثمان وعشرين وتسعمائة في المشهد المقدس الغروي وقد رأيتها بخطه الشريف على ظهر الشرائع التي كانت لتلميذه المذكور وخطه لا يخلو من رداءة، ومنهم أيضاً السيد شريف الدين الحسيني المرعشي التستري والد القاضي نور الله التستري صاحب مجالس المؤمنين على ما صرح به القاضي نور الله في حواشي المجالس المذكور، ومنهم السيد الميرزا نعمة الله الحلي كما سيجيء في ترجمته، وكان رحمه الله زاهداً عابداً ورعاً مشهوراً تاركاً للدنيا برمتها، وتكثرت المعارضات في المسائل بينه وبين الشيخ علي الكركي حتى أن أكثر الإيرادات التي أوردها الشيخ علي في بعض رسائله في الرضاع والخراج وغيرهما رد عليه، وقد سمعنا من المشايخ أنه كان رحمه الله بمشهد الحسين عليه السلام أو المشهد الغروي على مشرفه أفضل الصلاة والسلام واتفق ورود الشيخ علي المذكور هناك واجتمعا خلف القبر المبارك في الرواق، وكان السلطان شاه طهماسب قد أرسل في تلك الأوقات الشيخ إبراهيم المذكور وجائزة وردها الشيخ واعتذر عن ذلك بأنه لا حاجة له في أخذها، فقال له الشيخ علي ورد عليه: بأنك اخطأت في ذلك الرد وارتكبت إما محظوراً أو مكروهاً.

واستدل على ذلك القول بأن مولانا الحسن عليه السلام قد قبل جوائز معاوية ومتابعته والتأسي به إما واجب أو مندوب وتركها إما حرام أو مكروه كما تحقق في الأصول، وهذا السلطان لم يكن انقص درجة من معاوية وأنت لم تكن أعلى رتبة من الحسن عليه السلام، وأجابه الشيخ بجواب.

وأنا أقول: إن كليهما طودي الحلم وعلمي العلم ولا يليق بمثلي أن يحاكم بينهما لكن نقول على وجه الإجمال: إن كلام المحقق الثاني تيراني منه آثار المغالطة:

(أما أولاً) فلأن أخذ الحسن عليه السلام جوائز معاوية فهو استيفاء بعض حقوقه عليه السلام فإن الدنيا مع ما فيها برمتها لهم عليهم السلام فكيف بما في يد ذلك الباغي فلا يصح المدانسة ويبطل حديث التأسي لأنه يجب أو يستحب فيما لم يعلم فيه جهة اختصاص وهو ظاهر.

(وأما ثانياً) فلأن باب التقية والضرورة في شأنه عليه السلام واضح مفتوح في أخذه تلك الجوائز لأنه عليه السلام كان قد صالح ظاهراً مع ذلك الملحد تقية لشيعته وحقنا لدم زمرة تبعته فلو لم يقبل

الجوائز منه لتخيل ذلك الشقي أنه لم يقر على عهده وصلحه، ولعله يخطر بباله أنه يريد الخروج عليه ثانياً، وعلى هذا أيضاً لا وجه للاستدلال من فعله عليه السلام من جهة التأسي.

(وأما ثالثاً) فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾(١) وأخذ تلك الجوائز من السلطان الجائر مستلزم له البتة، فهو حينئذ ممنوع من باب أن مقدمة المحظور محظورة أيضاً إذا كانت مستلزمة له، إذ قل ما ينفك الركون مع الإحسان كما قيل الإنسان عبد الإحسان خرج عنه ما خرج من وقت الضرورة ونحوها فيبقى الباقي تحت المنع.

ومن العلوم أن ذلك الاحتمال أعني الضرورة عن هذا الشيخ مرتفع على ما صرح به هو نفسه فيرتفع، فلا وجة لتجويزه له ولا يقوم النقض بفعل الحسن عليه السلام بالنسبة إلى معاوية لأنهم عليهم السلام مأمونون معصومون عن هذه الخطرات فضلاً عن تلك المقاصد والنيات، وكان هو أحد القائلين بحرمة صلاة الجمعة في زمن الغيبة على ما قاله بعض الإفاضل وقد ألف في كل موضع ألف فيه الشيخ علي الكركي للرد عليه، ومن جملة ذلك الرسالة الخراجية المسماة بالسراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج قد وضعتها في حرمة الخراج رداً على الشيخ علي رسالة قاطعة اللجاج البيت أطلقها في حل الخراج، وله رسالة في شرح عدد محرمات الذبيحة لطيفة مختصرة، وله الرسالة الصومية نسبها إليه الفاضل الأردبيلي في بحث صوم الإرشاد ونقل عنها بعض الفتاوى، وله رسالة في حرمة صلاة الجمعة في زمن الغيبة مطلقاً رداً على الشيخ علي في القول بوجوبها مع وجود المجتهد الجامع لشرائط الفتوى، وله شرح على الألفية الشهيدية في الفقه على ما صرح به الشيخ عز الدين حسين العاملي في حواشيه على الألفية المذكورة، وله تعليقات أيضاً على الشرائع وقد كتب بخطه الشريف إجازة لتلميذة الأمير معز الدين محمد بن تقي الدين الحسيني الأصبهاني، ويظهر من تلك الإجازة أن الشيخ علي بن هلال المذكور كان عم هذا الشيخ وكان تاريخ الإجازة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة، وله رسالة في الشكيات.

وقد رأيت بخط بعض العلماء أنه حكي عن بعض أهل البحرين في حق الشيخ إبراهيم هذا «قدس الله سره» أن هذا الشيخ قد دخل عليه الإمام الحجة عليه السلام في صورة رجل يعرفه الشيخ وسأله أي الآيات من القرآن في المواعظ أعظم؟ فقال الشيخ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٢) فقال: صدقت يا شيخ، ثم خرج عنه فسأل بعض أهل البيت أخرج فلان؟ فقالوا: ما رأينا أحداً داخلاً ولا خارجاً - انتهى. ثم مؤلفاته حاشية الإرشار للعلامة نسبه إليه القاضي نور الله في مجالس المؤمنين، وله أيضاً الرسالة الرضاعية رداً على الشيخ علي في رضاعيته.

وقال بعض الأجلة من تلامذة الشيخ علي الكركي في رسالة ذكر أسامي المشايخ: ومنهم

(١) سورة هود، الآية: ١١٣. (٢) سورة فصلت: الآية: ٤٠.

الشيخ الأجل الشيخ إبراهيم القطيفي قد صنف كتباً منها كتاب الفرقة الناجية وغيرها مات في مدينة الجزائر - انتهى، وله كتاب تحقيق الفرقة الناجية في إنهاء الإمامية، وله كتاب نفحات الفوائد ومفردات الزوائد وهذا الكتاب في صورة الأسئلة والأجوبة إن سأل سائل كذا فنقول كذا، ومن مؤلفاته أيضاً شرح أسماء الله الحسنى طويل الذيل جيد الفوائد وقد فرغ منه في سنة أربع وثلاثين وتسعمائة، وقد سمعت من الأستاذ الاستناد «أيده الله» أنه لم يكن له كثير فضل وإن ليس له رتبة المعارضة مع الشيخ علي الكركي، وقد سمعت منه مشافهة أيضاً ما يدل على القدح في فضله بل في تدينه حيث إنه ينقل لي أنه رأى مجموعة بخط الشيخ إبراهيم هذا وقد ذكر فيها إفتراءات على الشيخ علي، ويقول: أين فضله من فضل الشيخ علي وعلمه وتبحره - والله أعلم.

الشيخ ظهير الدين: أبي إسحاق إبراهيم بن الشيخ نور الدين أبي القاسم علي بن تاج الدين عبد العالي العاملي الميسي، وكان من علماء دولة السلطان شاه طهماسب الصفوي فقيه عالم وهو ولد الشيخ علي الميسي المشهور الذي أجاز الشيخ علي الكركي والده الشيخ علي الميسي وأجاز والده المذكور الشهيد الثاني، فالشيخ إبراهيم هذا في درجة الشهيد الثاني، ويروي الميرزا محمد الإسترابادي عن الشيخ إبراهيم هذا عن والده الشيخ علي المذكور على ما يظهر من آخر رجالة الكبير، ومن إجازته للمولى محمد أمين الإسترابادي، ثم أعلم أن المولى عبد الله ابن المولى محمود التستري ثم الخراساني المقتول المشهور بالشهيد الثالث أيضاً يروي عن الشيخ إبراهيم، وكذا المولى أحمد الأردبيلي أيضاً على ما يظهر من إجازة الشيخ محمد تقي الغروي للشيخ محمد بن خليفة الجزائري، واعلم أن الشيخ علي الكركي المعروف قد أجاز هذا الشيخ ووالده حين استجازه لنفسه ولولده على الخصوص بإجازة ذكرناها في ترجمة والد هذا الشيخ وكان في جملتها، وحيث تضمن الاستجازة على القانون المعتبر من أهل الصناعات العلمية من العقلية والنقلية لما ثبت لي حق روايته من أصنافها على تفاوتها واختلافها إجازة عامة لنجله الأسعد الفاضل الأوحد ظهير الدين أبي إسحاق إبراهيم «أبقاه الله تعالى في ظل والده الجليل دهراً طويلاً» وقد استفيد من المكتوب الشريف استدعاء نحو ذلك لنفسه النفيسة - إلى آخر ما نقلناه في ترجمة والد هذا الشيخ.

ثم أقول: هذا الشيخ مع كونه من مشاهير علماء أهل جبل عامل لم أجد ترجمته في أمل الآمل، وأغرب منه كونه مذكوراً في سند إجازة الشيخ المعاصر كما يظهر من آخر كتاب وسائل الشيعة للشيخ المعاصر المذكور، ويروي عنه بثلاث وسائط أنه لم يذكر له ترجمة في أمل الآمل للشيخ الأجل تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن إسماعيل العاملي الكفعمي مولداً واللويزي محتداً والجبعي أباً والحارثي نسباً والتقي لقباً والإمامي مذهباً العالم الفاضل الكامل الفقيه المعروف بالكفعمي من أجلة علماء الأصحاب، وكان عصره متصلاً بزمن خروج الغازي في سبيل الله شاه إسماعيل الماضي الصفوي، ويروي الكفعمي رحمه الله عن جماعة عديدة منهم والده.

ثم له «عفا الله عنه» يد طولاً في أنواع العلوم سيما العربية والأدب جامع حافل كثير التتبع في الكتب، وكان عنده كتب كثيرة جداً وأكثرها من الكتب الغريبة اللطيفة المعتبرة، وسماعي أنه «قدس سره» ورد المشهد الغروي وأقام به وطالع في كتب الخزانة الحضرة الغروية، ومن تلك الكتب ألف كتبه الكثيرة في أنواع العلوم ومن تلك الكتب مؤلفاته وليس له هذه المؤلفات الصفات المشتملة على غرائب الأخبار، وبذلك صرح في بعض مجاميعه التي رأيتها بخطه أنه ﷺ كان معاصراً للشيخ زين الدين البياضي العاملي صاحب كتاب الصراط المستقيم بل كان من تلامذته، قال في كتاب أمل الآمل: كان ثقة فاضلاً أديباً شاعراً عابداً زاهداً ورعاً له كتب منها المصباح وهو الجنة الواقية والجنة الباقية وهو كثير الفوائد تاريخه سنة خمس وتسعين وثمانمائة، وله مختصر منها لطيف، وله كتاب البلد الأمين في العبادات أيضاً أكبر من المصباح وفيه شرح الصحيفة، وله شعر كثير ورسائل متعددة - انتهى.

ومن مؤلفاته أيضاً الرسالة الواضحة في شرح سورة الفاتحة على ما صرح به نفسه في حواشي المصباح وعندنا منها نسخة، وكتاب صفوة الصفات في شرح دعاء السمات نسبه إلى نفسه في حواشي المصباح وكذا الأستاذ في البحار، ورسالة لمع البرق في معرفة الفرق، وكتاب زهر الربيع في شواهد البديع، وكتاب نهاية الأرب في أمثال العرب، وكتاب نور حدقة البديع ونور حديقة الربيع، وكتاب الكواكب الدري، وكتاب حديقة أنوار الجنان الفاخرة وحدقة أنوار الجنان الناظرة، وكتاب العين المبصرة، وكتاب حجلة العروس، وكتاب مشكاة الأنوار وهو غير مشكاة الأنوار لسبطه الشيخ أبي علي الطبرسي، وهذه الكتب كلها قد نسبها إلى نفسه في مصباحه وحواشيه.

وله أيضاً من المؤلفات رسالة محاسبة النفس اللوامة وتنبيه الروح النوامة وقد ترجمها بعض سادات عصرنا بالفارسية، وله أيضاً كتاب مجموع الغرائب وموضوع الرغائب وله أيضاً كتاب اللفظ الوجيز في قراءة الكتاب العزيز وله مجموعة كبيرة كثيرة الفوائد مشتملة على مؤلفات عديدة رأيتها بخطه في بلدة إيران من بلاد آذربيجان، وكان تاريخ إتمام كتابة بعضها في سنة ثمان وأربعين وثمانمائة لخمس بقين من شهر رمضان، وتاريخ بعضها سنة تسع وأربعين وثمانمائة وتاريخ بعضها سنة اثنين وخمسين وثمانمائة وكان فيها عدة كتب من مؤلفاته أيضاً منها كتاب اختصار الغريبين للهروي وكتاب اختصار معرب اللف للمطرزي واختصار كتاب غريب القرآن لمحمد بن عزيز السجستاني وكتاب اختصار جوامع الجامع للشيخ الطبرسي واختصار كتاب تفسير علي بن إبراهيم واختصار زبدة البيان مختصر مجمع البيان للطبرسي للشيخ زين الدين البياضي واختصار علل الشرائع للصدوق واختصار القواعد الشهيدية واختصار كتاب المجازات النبوية للسيد الرضي واختصار كتاب الحدود والحقائق في تفسير الألفاظ المتداولة في الشرع وتعريفها، وله كتاب حياة الأرواح ومشكاة المصباح وعندنا منه نسخة وهو مشتمل على ثمان وسبعين باباً في اللطائف والأخبار والآثار فرغ من تأليفه سنة ثلاث وخمسين

وثمانمائة وله كتاب التلخيص في المسائل العويص من الفقه رأيته بخطه الشريف في مجموعة بإيران، وله أيضاً كتاب مشكاة الأنوار نسبه إلى نفسه في حواشي مصباحه.

ثم من مؤلفاته أيضاً كتاب مختصر نزهة الألباء في طبقات الأدباء تأليف كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري، وله أيضاً اختصار كتاب لسان الحاضر والنديم وله أيضاً كتاب فرج الكرب وفرح القلب في علم الأدب بأقسامه وهو يقرب من عشرين ألف بيت وفي كون الجنة الواقية أعني المختصر له، ولذلك قال الأستاذ في أول البحار أنه لبعض المتأخرين وربما ينسب إلى الكفعمي - انتهى.

وفي آخر كتابه حياة الارواح ومشكاة المصباح هكذا: إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن إسماعيل اللويزي جد الجبعي الأب العمادي المولد، وفي أوائله هكذا: إبراهيم بن علي الجباعي ولكن الكل واحد، وقال في آخر مصباحه: فرغ منه جامعه العبد المحتاج إلى المنزه عن الأولاد والأزواج وبارئ الخليقة من نطفة أمشاج أكثر الناس زللاً وأقلهم عملاً الكفعمي مولداً اللويزي محتداً الجبعي أبا التقي لقبا الإمامي مذهبا إبراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح «أصلح الله شأنه عما شأنه» وذلك في عدة مواطن آخرها أصيل يوم الثلاثاء لثلاث ليالٍ بقين من شهر ذي القعدة الحرام أختم بالخير والإنعام وما بعده من الشهور والأعوام سنة خمس وتسعين بعد ثمانمائة من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ويقال: اللويزي أيضاً من باب زيادات النسب، واللويزي بضم اللام وفتح الواو وسكون الياء المثناة التحتانية والزاي نسبة إلى ويزة قرية من جبع وهي الآن خربة ولكن جبع معمورة هكذا وجدته بخط الشيخ علي سبط الشهيد الثاني، والجبعي بضم الجيم وسكون الباء الموحدة والعين المهملة أيضاً نسبة إلى جبع وهي على ما قيل قرية من قرى جبل عامل.

وقيل أبو هذه القبيلة من أهل جبل عامل فلاحظ، ويؤيد الأخير قول الكفعمي الجبعي أبا ويقال أيضاً الجباعي من باب زيادات النسب، والحارثي نسبة إلى حارث همدان الذي كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام المخاطب بالأبيات المشهورة، وله من الأشعار والنظم كثير في أنحاء فنون الشعر ولا سيما فيما يتعلق بصناعة البديع وكذا نثره وخطه ورسائله فإنها أيضاً غزيرة في الغاية وكلها في نهاية من الحسن واللطافة والظرافة يشهد بذلك تتبع مؤلفاته ولا سيما مطاوي كتاب فرج الكرب وفرح القلب، وله من منظوماته قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وفي مقتل الحسين عليه السلام، ومن جملتها أرجوزة مشتملة على ألف بيت في مقتل الحسين عليه السلام وأصحابه ومن قتل معه من أهل بيته بأسمائهم وأشعارهم، قال في كتاب فرج الكرب المشار إليه أنه لم يصنف مثل تلك الأرجوزة في معناها مأخوذة من كتب متعددة ومظان مقيدة.

الشيخ برهان الدين أبو إسحاق: إبراهيم ابن الشيخ زين الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين أبي يعقوب الحاج يوسف بن يوسف بن علي الخانيساري الأصفهاني كان من أجلة تلامذة

الشيخ علي الكركي وقرأ عليه طائفة من الكتب الفقهية وغيرها وله منه إجازة قد رأيتها بخط الشيخ علي الكركي المجيز المشار إليه على ظهر كتاب كشف الغمة لعلي بن عيسى الأربلي، وكان تاريخها سنة أربع وعشرين وتسعمائة في المشهد المقدس الغروي، وكان ابتداء شروعه في كشف الغمة على ما كتبه الشيخ علي المذكور ثاني عشر ذي الحجة الحرام سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة في النجف الأشرف، وقد مدحه في تلك الإجازة وأثنى عليه وروى في تلك الإجازة عن شيخه الشيخ علي بن هلال الجزائري فقال في أثناء الإجازة المذكورة: وقد ثبت لي الرواية الخاصة والعامة بالقراءة والاجازة من شيخنا الإمام الأعظم الأعلم شيخ الإسلام في عصره زين الدين أبي الحسن علي بن هلال الجزائري «قدس الله سره» ثم ساق الكلام.

الميرزا ابراهيم: ابن المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، كان فاضلاً عالماً متكلماً فقيهاً جليلاً نبيلاً متديناً جامعاً لأكثر العلوم ماهراً في أكثر الفنون سيما في العقليات والرياضيات، وهو في الحقيقة مصداق قوله: «يخرج الحي من الميت» قد قرأ على جماعة منهم والده ولم يسلك مسلكه وكان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة، وقد توفي ﷺ في زمن دولة السلطان شاه عباس الثاني بشيراز في عشر السبعين بعد الألف، ومن مؤلفاته حاشية على شرح اللمعة إلى كتاب الزكاة كتاب تفسير عروة الوثقى أخذ هذا الاسم من الشيخ البهائي، وله أخ فاضل وهو الميرزا أحمد نظام الدين.

الشيخ الأجل إبراهيم: بن يحيى الأحسائي، كان من علماء دولة السلطان شاه عباس الماضي الصفوي، وكان والده أيضاً من العلماء وقد قال بعض العلماء في وصفه: أنه كان عالماً زاهداً فاضلاً بارعاً، ثم قال: إنه حكى لي ليلة أحد وعشرين من شهر رمضان من سنة سبع وتسعين وتسعمائة في الروضة المقدسة الرضوية عن أبيه في تفسير هذه اللعنة «اللهم العن زبيلان وزقلل وعندقا» أن هذه الثلاثة كانت ألقاب الخلفاء الثلاثة في أيام الجاهلية ثم حكي عنه أيضاً أنه قال: قرأت في كتاب سماه أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾(١) قيل: يا رسول الله لك أيضاً شيطان من الإنس؟ قال: بلى، قيل: فمن هو يا رسول الله؟ قال: زقلل.

قال ابن عباس وهو الراوي: فارتعدت فرائصنا وتعجبنا من قوله ﷺ ذلك ولم ندر المعنى به إذ لم نسمع هذا الاسم من قبل حتى توفي رسول الله ﷺ وكان في زمن خلافة الأول فكنا ذات يوم جلوساً نتحدث عن أخبار الجاهلية إذ قال عمر: كنت في الجاهلية ملقباً بزقلل وأبو بكر بزبيلان وعثمان عندقا، قال ابن عباس فتذكرنا قول رسول الله ﷺ واطمأنت قلوبنا وعلمنا أنه ﷺ إنما عناه - انتهى.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

الشيخ أحمد بن الحسن: ابن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشعري أخو الشيخ محمد الحر المشهور، قال أخوه المشار إليه في كتاب أمل الآمل: فاضل صالح عارف بالتواريخ - إلى آخر كلامه، والحر بضم الحاء المهملة وتشديد الراء المهملة لقب لهذه السلسلة، ولعلهم من أولاد الحر الشهيد - كذا ذكره بعض المؤرخين.

الشيخ الجليل أبو الحسن: أحمد بن عبد الله البكري صاحب كتاب الأنوار في مولد النبي المختار وغيره من المؤلفات المعروف تارة بالبكري وتارة بالشيخ أبي الحسن البكري، قال في أوائل كتاب بحار الأنوار ما صورته: وكتاب الأنوار في مولد النبي المختار وكتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام الثلاثة كلها للشيخ الجليل أبي الحسن البكري أستاذ الشهيد الثاني رحمة الله عليهما، ثم قال «قدس سره» في الفصل الثاني من أول البحار: وكتاب الأنوار قد أثنى بعض أصحاب الشهيد الثاني على مؤلفه وعده من مشايخه ومضامين أخباره موافقة للأخبار المعتبرة المنقولة بالأسانيد الصحيحة.

وكان مشهوراً بين علمائنا يتلونه في شهر ربيع الأول في المجالس والمجامع في يوم المولد الشريف، وكذا الكتابان الآخران معتبران أوردنا بعض أخبارهما في الكتاب - انتهى، قال بعض المؤرخين بعد أن نقل نحو ذلك عن المجلسي ما لفظه: وأقول عندنا أيضاً من كتاب الأنوار المذكور نسخة عتيقة تاريخ كتابتها سنة ست وتسعين وستمائة وما قلناه في اسمه ونسبه مذكور في أوائله في النسخة التي عندنا، لكن مؤلفه كما يظهر من سياقه قد كان في القدماء وكان من أصحابنا واعلم أن جماعة من المتأخرين قد ينقلون عن كتاب الأنوار في مولد النبي صلى الله عليه وآله وينسبونه إلى أبي الحسن البكري من غير تصريح باسمه، وفي البحار أيضاً ما لم يصرح باسمه وحينئذ فربما يحتمل التعدد في الاسم وإن اشتركا في الكنية والنسبة.

الشيخ جمال الدين: ويقال فخر الدين، ويقال شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن المتوج البحراني فاضل عالم جليل فقيه نبيه، وهو المجتهد الفقيه المشهور بابن المتوج، وقوله في كتب متأخري الأصحاب مذكور، وكان من تلامذة الشيخ فخر الدين ولد العلامة، وروى عنه الشيخ شهاب الدين أحمد بن فهد بن إدريس المقري الأحسائي المعروف بابن فهد كما يفهم من أول كتاب غوالي اللئالي لابن أبي جمهور، وقد قال في أول الغوالي المذكور: أنه يروي عن أحمد بن فهد المذكور عن شيخه خاتمة المجتهدين فتاواه في جميع العالمين فخر الدين أحمد بن المتوج بن عبد الله فليلاحظ، وقد كان السبعي المشهور من تلامذته، وقال السبعي المذكور في أول شرحه على القواعد للعلامة بعد نقل شرح هذا الشيخ المسمى بالوسيلة في وصفه هكذا: وقال شيخنا الإمام العلامة شيخ مشايخ الإسلام وقدوة أهل النقض والإبرام وارث الأنبياء والمرسلين جمال الملة والحق أحمد بن عبد الله بن المتوج «توجه الله بغفرانه وأسكنه في أعلى جنانه» قد وضع في شرح مسائله الضنيلة كتاباً سماه الوسيلة إلا أنه لم يتم ذلك الكتاب حتى انثلم النصاب - انتهى.

وله من المؤلفات رسالة في الآيات الناسخة والمنسوخة وله أيضاً كتاب تفسير القرآن على ما صرح به في أول تلك الرسالة وقال: إنه في ذلك التفسير على وجوه الآيات الناسخة والمنسوخة أيضاً ولكن أفرد منه تلك الرسالة لتسهيل الأمر على الطلاب، وله أيضاً كتاب منهاج الهداية في شرح كتاب الأحكام وهو مختصر متأخر عن التفسير المذكور نسبه إليه الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي في رسالة كاشف الحال عن أحوال الاستدلال، وله أيضاً كتاب كفاية الطالبين في أحوال الدين نسبه إليه ابن أبي جمهور في الرسالة المذكورة أيضاً، وكان ولده الشيخ جمال الدين ناصر بن أحمد وولده الشيخ عبد الله من العلماء أيضاً وللشيخ أحمد هذا شعر جيد كثير ومراثي على الحسين عليه السلام، وله كتاب النهاية في خمسمائة الآية التي عليها مدار الفقه، وكان هذا الشيخ معاصراً للشيخ المقداد صاحب كنز العرفان وهو المعني بقوله: «قال المعاصر» هناك، صرح به المولى نظام الدين في نظام الأقوال بعد أن ذكر له كتباً منها كتاب الوسيلة في فتح مقفلات القواعد وأنه يروي عن شيخه الشيخ فخر الدين ولد العلامة.

الشيخ أبو منصور: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي الفاضل العالم المعروف بالشيخ أبي منصور الطبرسي صاحب الاحتجاج وغيره كان من أجل العلماء ومشاهير الفضلاء، وهو غير أبي علي الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان وغيره وإن كان عصرهما متحداً وهما شيخ ابن شهرآشوب وأستاده وظني أن بينهما قرابة، وكذا بينهما وبين الشيخ حسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبرسي المعاصر للخواجة نصير الدين، ويظهر من كتاب المجلي لابن أبي جمهور الأحسائي أن كتاب الاحتجاج للشيخ أبي الفضل الطبرسي قال في أول البحار بعد نسبة كتاب الاحتجاج لأحمد بن أبي طالب: وينسب هذا الكتاب إلى أبي علي الطبرسي وهو خطأ بل هو تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي كما صرح به السيد ابن طاوس في كتاب كشف المحجة، وسيظهر لك مما سننقل من كتاب المناقب لابن شهرآشوب، وقال قدس الله سره في الفصل الثاني: وكتاب الاحتجاج وإن كان أكثر أخباره مراسيل لكنها من الكتب المعروفة المتداولة، وقد أثنى السيد ابن طاوس على الكتاب وعلى مؤلفه، وقد أخذ عنه أكثر المتأخرين - انتهى.

ويروي أبو منصور المذكور عن جماعة منهم أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي كما صرح به في أول كتاب الاحتجاج المشار إليه، وما ذكروه في نسبه هو الذي يظهر من كلام علماء الرجال، وقد يعبر عنه بابن أحمد بن أبي طالب الطبرسي والظاهر أنه من باب الاختصار في النسب فلا يتوهم التعدد، وقال في كتاب أمل الآمل: هو عالم فقيه فاضل محدث ثقة له كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج حسن كثير الفوائد يروي عن السيد العالم العابد مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي عن الشيخ الصدوق أبي عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد الدوريستي عن أبيه عن الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، وله طرق أخرى ومؤلفات أخرى وذكره ابن شهرآشوب في معالم العلماء إلا أنه قال: شيخي أحمد بن أبي

طالب الطبرسي له كتاب الكافي في الفقه حسن والاحتجاج ومفاخرة الطالبية وتاريخ الأئمة عليهم السلام وفضائل الزهراء عليها السلام - انتهى.

وكثيراً ما ينقل الشيخ في شرح الإرشاد فتاواه وأقواله، فمن ذلك ما نقله في كتاب القصاص من شرح الإرشاد في مسألة أن للمولى القصاص من دون ضمان الدية للديان بهذه العبارة: وجمع الشيخ أبو منصور الطبرسي بين الروايتين المتعارضتين في كتابه بان القائل«آه»، ومن ذلك في كتاب القصاص وكتاب الديات، والطبرسي وكذا الطبري على المشهور نسبة إلى طبرستان وهي التي تعرف الآن بمازندران بل قد يقال طبرستان على جميع تلك البلاد حتى يشتمل استراباد وجرجان ونحوها.

وبالجملة فطبرستان واقعة على طرف بحر الخزر وأعني بحيرة طبرستان، وقال الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره الفارسي عن ابن عباس ما معناه: أن تابوت بني إسرائيل وعصا موسى في البحيرة الطبرية في بحر طبرستان وتخرج منه قبل قيام القيامة وذلك في عهد صاحب الزمان على ما جاءت به الرواية عن الصادق عليه السلام - انتهى.

وقال صاحب مختصر تاريخ ابن خلكان في ترجمه أبي علي الحسن بن القاسم الطبرسي الشافعي: أن الطبري نسبة إلى طبرستان وهي ولاية كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة، والنسبة إلى طبرية الشام طبراني - انتهى، وبهذا يظهر فساد ما ينقل عن الشيخ المعاصر من أنه قال: إنا لم نجد في الكتب الطبرسي في النسبة إلى طبرستان، وقال في تقويم البلدان: وطبرستان في شرقي كيلان، وإنما سميت طبرستان لأن طبر بالفارسية الفاس وهي من كثر اشتباك أشجارها لا يسلك فيها الجيش إلا بعد أن يقطع بالطبر الأشجار من بين أيديهم، وأستان الناحية بالفارسي فسميت طبرستان أي ناحية الطبر.

وقد يقال أيضاً: أن صاحب تاريخ قم المعاصر لابن العميد ذكر في ذلك التاريخ أن طبر معرب وهي ناحية معروفة بحوالي قم مشتملة على تري ومزارع كثيرة، وإن هذا الطبرسي وسائر العلماء المعروفين بالطبرسي قد كانوا أهل هذه الناحية، ويستشهد له بقول الشهيد الثاني في بعض حواشيه على إرشاد العلامة عند نقل بعض الفتاوى: «ونسبه إلى الشيخ علي بن حمزة الطبرسي القمي» وعلى هذا فلا يبعد القول بكونهم من أهلها ولا حاجة إلى القول بأن الطبرسي أو الطبري من باب التغيير في النسب.

الشيخ كمال الدين أبو جعفر: أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحراني متكلم جليل وعالم نبيل وكان معاصراً للخواجة نصير الدين الطوسي ولكنه مات قبل الخواجة، وقد قرأ عليه الشيخ جمال الدين أبو الحسن علي بن سليمان البحراني الفاضل المشهور المعاصر للخواجة نصير الطوسي، ومن مؤلفات الشيخ أحمد رسالة في مسألة العالم وما يناسبها من صفاته تعالى ومجموع مسائلها أربعة وعشرون مسألة وقد أرسلها تلميذ المذكور إلى الخواجة نصير الدين بعد

وفاة أستاذه اعني هذا الشيخ والتمس من الخواجة شرح مشكلاتها وقد شرحها الخواجة نصير الدين ورد عليه في مواضع منها ثم أرسلها إليه، ويروي الشيخ أحمد هذا عن الشيخ نجيب الدين محمد السوراوي عن هبة الله بن رطبة السوراوي عن أبي علي ولد الشيخ الطوسي عن والده، ويروي عنه تلميذة علي بن سليمان المذكور رسالة أستاذه المذكور وشرح الخواجة عليها في رسالة مفردة وهي المعروفة الآن بين الناس برسالة المعلم للخواجة نصير الدين.

الشيخ شهاب الدين: أحمد بن فهد بن إدريس المقري الأحسائي الفاضل العالم المشهور بابن فهد أيضاً من أجلة العلماء الإمامية وفقهائهم، يروي عن الشيخ فخر الدين أحمد بن عبد الله المشهور بابن المتوج البحراني عن الشيخ فخر الدين ولد العلامة، ويروي عنه الشيخ جمال الدين حسن الشهير بالمطوع الجرواني الأحسائي - كذا ذكره ابن أبي جمهور في أول كتاب غوالي اللئالي، واعلم أن ابن فهد هذا وابن فهد الأسدي المشهور متعاصران أن ولكل منهما شرح على إرشاد العلامة وقد يتحد بعض مشايخنا أيضاً ومن هذه الوجوه كثيراً ما يشتبه الأمر فيهما ولا سيما في شرحيهما على الإرشاد.

الشيخ فخر الدين: أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن حسن بن علي بن محمد بن سبع بن رفاعة السبعي الفاضل الفقيه الجليل المعروف بالسبعي صاحب كتاب شرح القواعد، كان«قدس الله سره» من أجلة تلامذة الشيخ جمال الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد بن المتوج البحراني وكان تاريخ فراغه من الشرح سنة ست وثلاثين وثمانمائه وما ذكرناه من تاريخ نسبه هو الذي وجدناه بخطه على ظهر كتاب الشرح المذكور والنسخة التي بخطه قد وصلت إلى آخر كتاب الوصية ولعله لم يخرج منه إلا هذا القدر.

الشيخ جمال الدين: أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن فهد الحلي الأسدي الفاضل العالم العلامة الفهامة الثقة الجليل الزاهد العابد الورع العظيم القدر المعروف بابن فهد، وله قدس الله سره ميل إلى مذهب الصوفية، وتفوه به في بعض مؤلفاته، يروي عن تلامذة الشيخ الشهيد وقد رأيت على آخر بعض نسخ الأربعين للشهيد منقولاً عن خط ابن فهد المذكور ما صورته هكذا: حدثني بهذه الأحاديث الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو الحسن علي بن الشيخ الإمام الشهيد أبي عبد الله شمس الدين محمد بن مكي جامع هذه الأحاديث قدس الله سره بقرية جزين حرسها الله تعالى من النوائب في اليوم الحادي عشر من شهر محرم الحرام افتتاح سنة أربع وعشرين وثمانمائة وأجاز لي روايتها بالأسانيد المذكورة وروايته ورواية غيرها من مصنفات والده وكتب أحمد بن محمد بن فهد عفا الله عنه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه الأكرمين، ويروى عن السيد المرتضى بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النسابة الحسيني النجفي أيضاً على ما يظهر من بحث النيروز من كتاب المهذب ويروي عن الشيخ زين الدين الخازن عن الشهيد أيضاً، وقال الشيخ المعاصر في أمل

الآمل: الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد الحلي فاضل عالم ثقة صالح زاهد عابد ورع جليل القدر له كتب منها المهذب شرح المختصر النافع وعدة الداعي والمقتصر والموجز وشرح الألفية للشهيد والمحرر والتحصين والدر الفريد في التوحيد يروي عن تلامذة الشيخ - انتهى.

أقول: والمقتصر هو شرحه على الإرشاد للعلامة وله أيضاً رسالة في معاني أفعال الصلاة وترجمة أذكارها حسنة الفوائد رأيتها بمازندران وله رسالة اللمعة الجلية في معرفة النية وقد تصحف باللمعة الحلية بالحاء المهملة وهو سهو، وله رسالة نبذة الباغي فيما لا بد منه من آداب الداعي وهو تلخيص كتاب عدة الداعي المذكور آنفاً وقد رأيتها بأردبيل وهي مختصرة، وله رسالة مصباح المبتدي وهداية المعتمدي على ما نسبه إليه بعض الفضلاء وهو في فقه الصلاة، وله رسالة كفاية المحتاج في مناسك الحاج، وله رسالة موجزة جداً في نيات الحج ورسالة مختصرة في واجبات الصلاة ورسالة في تعقيبات الصلاة من الأدعية وآدابها ورسائل أخر مات سنةإحدى وأربعين وثمانمائة.

وأقول: يروي أيضاً عن الشيخ ظهير الدين علي بن يوسف بن عبد الجليل النيلي والشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي الحائري عن الشيخ فخر الدين ولد العلامة، ويروي عنه أيضاً جماعة من العلماء منهم الشيخ رضي الدين حسين الشهير بابن راشد القطيقي - كذا يظهر من أول غوالي اللآلي.

الشيخ أحمد بن يوسف البحراني: عالم فاضل محقق معاصر شاعر أديب له كتاب رياض الدلائل وحياض المسائل في الفقه لم يتم ورسالة سماها المشكاة المضية في المنطق ورسالة سماها الأمور الخفية في المسائل المنطقية وله شرح جيد - كذا قاله شيخنا المعاصر في أمل الآمل.

السيد جمال الدين: أبو الفضائل أحمد ابن السيد سعد الدين أبي إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن طاوس العلوي الحسيني الحلي السيد السند الجليل المعروف بابن طاوس، وهو أحد الأخوين من أب وأم الفاضلين الفقيهين المعروفين بابني طاوس، وهو صاحب الملاذ والبشرى، وطاوس جده هذا هو السيد أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولقب بهذا اللقب لكال جماله وتمام كماله وغاية رعونته، وقد يقال إن الجد المذكور هو أبو جعفر محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وليس بصواب لأن ابن طاوس حسني لا حسيني فلاحظ.

قال ابن داود في رجاله: سيدنا الطاهر الإمام المعظم فقيه أهل البيت جمال الدين أبو الفضائل مات سنة ثلاث وسبعين وستمائة، مصنف مجتهد كان أورع فضلاء زمانه قرأت عليه أكثر الملاذ والبشرى وغير ذلك من تصنيفه وأجاز لي جميع تصانيفه ورواياته، وكان شاعراً

مغلقاً بليغاً منشأ مجيداً من تصانيفه كتاب بشرى المحققين في الفقه ست مجلدات كتاب الملاذ في الفقه أربع مجلدات كتاب الكر مجلد - إلى أن قال:

وله غير ذلك تمام اثنين وثمانين مجلداً من أحسن التصانيف وأخفها وحقق الرجال والرواية والتفسير تحقيقاً لا مزيد عليه رباني وعلمني وأحسن إلي وأكثر فوائد هذا الكتاب ونكته من إشاراته وتحقيقاته جزاه الله عني أفضل الجزاء - انتهى.

ومن جملة مؤلفاته كتاب حل الإشكال في معرفة الرجال ألفه على منوال اختيار رجال الكشي للشيخ الطوسي وقد حرره للشيخ حسن ابن شيخنا الشهيد الثاني وسماه التحرير الطاوسي، وكان فراغ السيد من الكتاب المذكور يوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة بالحلة مجاوراً للدار التي كانت لجده ورام بن أبي فراس وقال بعض العلماء بعد نقل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كما نقلناه: أن أمه وأم أخيه رضي الدين علي بنت الشيخ سعود الورام بن أبي الفراس فراس بني حمدان وأم أمه بنت الشيخ الطوسي وأجاز لها ولأختها أم الشيخ محمد بن إدريس جميع مصنفاته ومصنفات الأصحاب - انتهى وقال بعض الفضلاء في كتابه: أن هذا السيد وأخاه رضي الدين علي قد قتلا واستشهدا.

وأقول: في وقوع شهادتهما وقتلهما محل نظر ولم أطلع في كتب الأصحاب على نقل شهادتهما ولو بالسم فلاحظ، وعد في البحار من كتبه كتاب بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية وكتاب عين العبرة في غبن العترة وقد عبر عن نفسه في هذا الكتاب بعبد الله بن إسماعيل الكاتب تقية مثل أخيه رضي الدين في الطرائف حيث عبر عن نفسه بعبد المحمود وعد منها أيضاً كتاب زهر الرياض ونزهة المرتاض.

قال في كتاب أنساب السادات وهو مختصر من كتاب عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب: ومنهم الطاوس وهو محمد بن إسحاق بن الحسن المذكور سادة نقباء معظمون، منهم السيد الزاهد سعد الدين أبو إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الطاوس وكان له أربعة بنين: شرف الدين محمد وعز الدين الحسن وجمال الدين أبو الفضائل أحمد العالم الزاهد ورضي الدين أبو القاسم علي السيد العابد الزاهد صاحب الكرامات نقيب النقباء بالعراق، درج شرف الدين وأعقب عز الدين مجد الدين محمد السيد الجليل، خرج إلى السلطان هلاكوخان وسلم إليه الحلة والكوفة والنيل والمشهدين الشريفين من القتل والنهب ورد إليه حكم النقابة بالبلاد الفراتية فحكم في ذلك قليلاً ثم مات دارجا وأخاه السيد قوام الدين أحمد أمير الحاج درج أيضاً وانقرض السيد عز الدين، وولد جمال الدين السيد أحمد بن موسى غياث الدين عبد الكريم السيد العالم النسابة فولد غياث الدين رضي الدين أبا القاسم عليا درج وانقرض السيد جمال الدين، وولد السيد الزاهد رضي الدين النقيب جمال الدين محمداً يلقب المصطفى مات دارجا والنقيب رضي الدين علياً أولد النقيب قوام الدين أحمد فأولد النقيب قوام

الدين النقيب نجم الدين أبا بكر عبد الله وأخاه عمر درج الأول فإن كان للآخر عقب وإلا فقد انقرض آل طاوس - انتهى

السيد الجليل الشيخ صفي الدين: أبو الفتح إسحاق ابن السيد أمين الدين جبرائيل ابن السيد الشيخ صالح ابن الشيخ قطب الدين الأردبيلي الحسيني الموسوي جد السلاطين الصفوية ملوك ولاية إيران، وقد كان «قدس سره» من علماء الشريعة الحقة وكبراء مشايخ الطريقة والحقيقة، وقد جمع من علوم البواطن والظواهر، وهو من أجلة سادة آل الإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام وقد رأيت بخط المولى الفاضل مولانا حسين بن عبد الحق الإلّهي الأردبيلي المعاصر للسلطان الغازي إسماعيل الصفوي ما هذا لفظه: إنه بعد ما مضى من عمره أربع عشر سنة سار في طلب المرشد ست سنين وأخذ علم الشريعة من خدمة العالم رضي الملة والدين ثم استخبر بشيراز من علم الطريقة من مشايخها حتى دلّوه على الشيخ الكبير الشهير بالزاهد فرحل إليه وله عشرون سنة وواظب سبع سنين صحبته وتلقى تلقينه وتربيته فأجازه الشيخ بإظهار الدعوة والتلقين وإرشاد المسلمين فأرشد أربع عشرة سنة في حياته وتسعاً وثلاثين بعده ووفاة هذا السيد في ثاني عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وله من العمر أربع وثمانون سنة - انتهى ملخصاً.

وقال المولى أمين أحمد الرازي في كتاب هفت إقليم: إن السلطان محمد خدا بنده الملقب باولجايتو المعاصر للعلامة الحلي لما بنى بلدة سلطانية بين قزوين وتبريز وجمع الأكابر والأشراف والعلماء والفضلاء والمشايخ وأضافهم فيها يوم شروعه في بنائها أو كمالها كان في جملتهم الشيخ صفي الدين.

وأقول: قد ورد في بعض الأخبار إشارة إلى خروج السلطان شاه إسماعيل الماضي الصفوي أنار الله برهانه من أولاده قدس سره، وكان تاريخ ولادة السلطان شاه إسماعيل المزبور يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر رجب سنة اثنتين وتسعين وثمانمائه بطالع العقرب الذي هو طالع مولانا علي عليه السلام وكان تاريخ خروجه من أرض كيلان الذي هو في الحقيقة بدء سلطنته في منتصف شهر المحرم سنة ست وتسعمائة وكان عمره في ابتداء دعوته ثلاثة عشر سنة ، وكان نوروزه في يوم الأربعاء عاشر شهر شعبان سنة خمس وتسعمائة وقيل في تاريخه«الحق مذهبك» وقيل «ومذهبنا حق» أيضاً، وكان جلوسه على سرير السلطنة يوم النيروز يوم الأحد الثالث عشر من شهر رمضان سنة ثمان وتسعمائة في بلدة تبريز.

وفي هذه السنة بعينها أيضاً أمر باللعن على الخلفاء الثلاثة وسائر أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله في تبريز مجاهرة وظهر الجماعة المعروفين بالبترائية وشاع في البلاد - كذا يظهر من تاريخ جهان آراء وغيره، وكان للسلطان شاه إسماعيل أخوان آخران، وأما نسب السلطان المذكور إلى السيد الشيخ صفي الدين المشار إليه فهو بهذا النهج على ما أورده في تاريخ جهان آراء: السلطان شاه إسماعيل بن السلطان حيدر بن السلطان جنيد بن السلطان الشيخ إبراهيم بن السلطان خواجة

علي بن السلطان صدر الدين موسى بن السلطان الشيخ صفي الدين إسحاق - انتهى.

ثم اعلم أنه قد ورد في الديوان المنسوب إلى علي عليه‌السلام أبيات لهذا المقام وهذا من جملتها. [البحر الطويل]

صبيٌّ من الصبيانِ لا رأي عنده ... ولا عندَه جدٌّ ولا هو يعقلُ

ومن غرائب الاتفاقات أن عدده لا يطابق إلا عدد شاه إسماعيل بن حيدر بن الجنيد الموسوي لأن عدد مجموع المصراعين ١١٧٨وأوله: [البحر الطويل]

رموزٌ خفيات الأمورِ محلُّها ... بتبيانِه لم يبقَ منهنَّ مشكلُ
بنيَّ إذا ما جاشتِ التركُ فانتظرْ ... ولاية مهديٍّ يقومُ ويعدلُ
وذلَّ ملوكِ الأرضِ من آلِ هاشمٍ ... وبويعَ منهم من يلذُّ ويهزلُ
صبيٌّ من الصبيان لا رأي عندهُ ... ولا عنده جدٌّ ولا هو يعقلُ
فثمَّ يقومُ القائمُ الحقُّ منكمُ ... وبالحقِّ يأتيكم وبالحقِّ يعملُ
سميُّ نبيِّ اللهِ رُوحي فداءه ... فلا تخذلوه يا بنيَّ وعجِّلوا

قال: بعض الأفاضل: ومن عجيب الأسرار أن حاصل عدد «صبي من الصبيان» إلى آخره بحساب الجمل موافقاً لعدد إسماعيل ولد حيدر بن الجنيد ولد إبراهيم الأردبيلي عز نصره - كما لا يخفى.

الشيخ الأجل المحقق نجم الدين: أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلي الهذلي الملقب بالمحقق، كان محقق الفقهاء ومدقق العلماء، وحاله في الفضل والنبالة والعلم والثقة والفصاحة والجلالة والشعر والأدب والإنشاء والبلاغة أشهر من أن يذكر وأكثر من أن يسطر، كان ميلاده في سنة ثمان وثلاثين وستمائه وتوفي ليلة السبت في عشر المحرم الحرام سنة ست وعشرين وسبعمائة، وقد روي عن جماعة من الفضلاء منهم الشيخ محمد بن نمى الحلي والسيد شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي، وقال ابن داود تلميذ المحقق أيضاً في رجاله بعد أن أثنى عليه وذكر أنه رباه صغيراً وكان له عليه إحساناً عظيماً وأنه أجازه أنه توفي سنة ست وسبعين وستمائة.

ونقل: أن المحقق الطوسي الخواجة نصير الدين الطوسي «قدس سره» ذات يوم حضر درس المحقق بالحلة حين ورود الخواجة بها والتمس منه إتمام الدرس فجرى البحث في مسألة استحباب تياسر المصلي للعراقي، فأورد الخواجة بأنه لا وجه لهذا الاستحباب لأن التياسر إن كان من القبلة إلى غير القبلة فهو حرام وإن كان من غيرها إليها فهو واجب، فأجابه المحقق في الحال بأنه من القبلة إلى القبلة فسكت المحقق الطوسي، ثم ألف المحقق الحلي في ذلك رسالة لطيفة وأرسلها إلى المحقق الطوسي فاستحسنها، وقد أوردها الشيخ أحمد بن فهد الحلي في المهذب البارع في شرح مختصر الشرائع بتمامها.

وأقول: قد يقال في دفع هذا الأشكال يحمل استحباب التياسر لهم على وجه آخر، وهو أن مساجد العراق جلها بل كلها مبنية على التيامن عن القبلة ولما لم يمكن الأئمة عليهم السلام التصريح بذلك تقية وتخطئتهم في قبلتهم حقيقة عدلوا عن أصل المراد وكنوا بذلك بأمر شيعتهم بالتياسر والتوجيه والتعليل بأن الحرم من طرف اليسار ثمانية أميال ومن طرف اليمين أربعة أميال لكن الغرض منه هو قيامهم بحذاء القبلة الحقيقية من مساجدهم ومعابدهم وغيرها، ثم رأيت بخط بعض الأفاضل ما عبارته: في صبح يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وستمائة سقط الشيخ الفقيه أبو القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي رحمه الله من أعلا درجة في داره فخر ميتاً لوقته من غير نطق ولا حركة، فتفجع الناس لوفاته واجتمع لجنازته خلق كثير وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن مولده فقيل: سنة اثنتين وستمائة، ومن شعره قوله وقد كتبه إلى أبيه: [البحر الطويل]

ليهنكَ أنيّ كلَّ يومٍ إلى العُلى — أقدّمُ رجلاً لا يزالُ بها النعلُ
وغيرُ بعيدٍ أن تراني مقدّماً — على الناسِ حتى قيلَ ليس له مثلُ
تطاوعُني بكرُ المعالي وعونُها — وتنقادُ لي حتى كأنّي لها بعلُ
ويشهدُ لي بالفضلِ كلُّ مبرّزٍ — ولا فاضلُ الأوليّ من فوقِه فضلُ

قال المحقق: فكتب لي فوق هذه الأبيات: لأن أحسنت في شعرك لقد أسأت في حق نفسك، أما علمت أن الشعر صناعة من خلع العفة ولبس الخرقة، والشاعر ملعون وإن أصاب ومنقوص وإن أتى بالشيء العجاب وكأني بك قد دهمك الشعر تفضيلته فجعلت تنفق منه ما تنفق بين جماعة لا يرون لك فضلاً غيره فسموك به ولقد كان ذلك وصمة عليك آخر الدهر هو أما تسمع ولست أرضى أن يقال شاعر، قال: فوقف عند ذلك خاطري حتى كأني لم أقرع له باباً ولم أرفع له حجاباً، ومن شعره أيضاً: [البحر البسيط التام]

هجرتُ صوغَ قوافي الشعرِ في زمنٍ — هيهاتِ يرضى وإنْ أغضبتُه زمَنا
وعدتُ أوقظُ أفكارِي وقدَ هجعتْ — عنفاً وإنْ عجتُ عزمي بعدُ ما سكنا
إنَّ الخواطرَ كالآبار إن نزحتْ طابتْ وإنْ يبقَ فيها ماؤها أجنا

وقوله: [البحر البسيط التام]

يا راقداً والمنايا غيرُ راقدةٍ — وغافلاً وسهامُ الموتِ ترميهِ
فيمَ اغترارُك والأيامُ مرصدةٌ — والدهرُ قد ملأ الأسماعَ داعيهِ
أمَا أرتْك الليالي قبحَ دخلتها — وغدرَها بالذي كانتْ تُصافيهِ
رفقاً بنفسك يا مغرورُ إنّ لها — يوماً تشيبُ النّواصي منْ دواهيهِ

وقال في نظام الأقوال: توفي رحمه الله في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وستمائة، روى عنه

ابن أخته العلامة جمال الدين بن مطهر الحلي وأخوه علي بن يوسف بن المطهر والشيخ تقي الدين داود.

الشيخ جواد بن فاضل الكاظمي: فاضل عالم جليل جامع للعلوم العقلية والنقلية والآلية وكان من أجلة تلامذة شيخنا البهائي، كان شيخ الإسلام في استرآباد ثم عزل المنازعة أهل البلد له حتى أنهم أخرجوه عنفاً لأسباب يطول ذكرها، ثم جاء إلى السلطان شاه عباس الماضي الصفوي وشكا إليه ولما كان عمدة المباعثين على إخراجه هو السيد الأمير محمد باقر الإسترابادي المعروف بطالبان وكان السلطان من مريديه أمر بإخراج هذا الشيخ من جميع مملكته ورجع من تلك الشكوى بخفي حنين وبعد ما مات السلطان المذكور جاء إلى بغداد وسكن الكاظميين الذي كان موطنه الأصلي برهة من الزمان وكان يعظمه حكام بغداد سيما بكتاش خان ثم خرج منه ودخل بلاد العجم ثانياً قبل مجيء السلطان مراد ملك الروم إلى بغداد وفتحه لها، وله مؤلفات عديدة منها شرح الدورس في مجلدات لم تتم وفرغ من المجلد الأول منه غرة شهر شوال سنة ألف وإحدى وثلاثين من الهجرة بمشهد الكاظميين وشرح الزبدة للشيخ البهائي أستاذه وشرح خلاصة الحساب له أيضاً وله شرح الجعفرية في الصلاة وكتاب شرح آيات الأحكام وله كتب أخر أيضاً.

يقول الجامع لهذه الطرف والحامل لهذه التحف: إلى هنا كلام ذلك الفاضل المذكور «خصه الله تعالى بالكرامة والحبور» ونحن نذكر بعده من وقفنا عليه من مشايخنا العظام وعلمائنا الأعلام.

الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى أخو السيد المرتضى رضي الله عنهما رأيت بخط بعض الأعلام نقلاً عن كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة للفاضل الشهيد علي الشهير بصدر الدين بن السيد أحمد نظام الدين صاحب السلافة: الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي أخو الشريف المرتضى، كان يلقب بالرضي ذي الحسبين لقبه بذلك الملك بهاء الدولة وكان يخاطبه بالشريف الأجل، مولده سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببغداد، كان عالماً فاضلاً شاعراً مبرزاً ذكره الثعالبي في اليتيمة فقال: ابتدأ بقول الشعر بعد أن جاوز العشر السنين وهو اليوم أبدع أبناء الزمان وأنجب سادات العراق يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر ثم هو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح الممتنع عن القدح الذي يجمع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة رصانة، وكان أبوه يتولى نقابة الطالبيين والحكم فيهم أجمعين والنظر في المظالم والحج بالناس، ثم ردت هذه الأعمال كلها إليه في سنة ثمانين وثلاثمائة وأبوه حي.

وله من التصانيف كتابه المتشابه في القرآن وكتاب حقائق التنزيل وكتاب تفسير القرآن وكتاب مجازات الآثار النبوية وكتاب تعليق خلاف الفقهاء وكتاب تعليقة الإيضاح لأبي علي وكتاب خصائص الأئمة وكتاب نهج البلاغة وكتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن وكتاب الزيادات في شعر أبي تمام وكتاب سيرة والده الطاهر وكتاب انتخاب شعر ابن الحاج وكتاب مختار شعر أبي إسحاق الصابي وكتاب ما دار بينه وبين أبي إسحاق من الرسائل ثلاث مجلدات وكتاب ديوان شعره يدخل في أربع مجلدات، قال أبو الحسن العمري: رأيت تفسيره للقرآن فرأيته من أحسن التفاسير يكون في كبر تفسير أبي جعفر الطوسي أو أكبر، وكانت له هيبة وجلالة وفيه ورع وعفة وتقشف، وفيه مراعاة للأهل والعشيرة، وهو أول طالبي جعل عليه السواد، وكان عالي الهمة شريف النفس لم يقبل من أحد صلة حتى أنه رد صلة أبيه وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف، وأما الملوك من بني بويه فإنهم اجتهدوا على قبول صلاتهم فلم يقبل، وكان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب وإعزاز الأتباع والأصحاب، ذكر أبو الفتح بن جني في بعض مجاميعه قال: أحضر الرضي إلى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو وقعد يوماً معه في الحلقة فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم فقال له: إذا قلنا «رأيت عمر» فما علامة نصب عمر؟

فقال له الرضي: بغض علي عليه السلام فتعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطر، وحكى أبو الحسن العمري قال: دخلت على الشريف المرتضى رحمه الله فأراني بيتين قد عملهما وهما:

[البحر الطويل]

سرى طيفُ سعْدي طارقاً فاستفزّني ... هبُوباً وصبْحي بالفلاةِ هجودُ
فقلتُ لعيْني عاودِي النوم واهجعي ... لعلَّ خيالاً طارقاً سيعودُ

فخرجت من عنده ودخلت على أخيه الرضي فعرضت عليه البيتين فقال بديهاً:

[البحر الطويل]

رددتُ جَواباً والدموعُ بوادرُ ... وقد آنَ للشملِ المشتِّ ورودُ
فهيهاتِ من لُقيا حبيبٍ تعرضتْ ... لنا دون لُقياه مهامِهُ بيدُ

فعدت إلى المرتضى بالخبر فقال: يعز على أخي قتله الذكاء فما كان إلا يسيراً حتى مضى الرضي لسبيله. وذكر أبو الحسين بن الصابي وابنه غرس النعمة في تاريخهما أن القادر بالله عقد مجلساً أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوي وابنه أبا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود، وأبرز لهم أبيات الرضي رحمه الله التي أولها: [البحر الخفيف]

ما مقامي على الهوانِ وعندي ... مقولٌ صارمٌ وأنفٌ حميُّ
وإباءٌ محلقٌ بي عن الضَّيم ... كما راغَ طائرٌ وحشيُّ
أيُّ عذرٍ له إلى المجد إذا ... ذلّ غلامٌ في غمده المشرفيُّ

أحملُ الضيمَ في بلادِ الأعادي وبمصرَ الخليفةُ العلويُّ
من أبوه أبي ومولاه مولاي إذا ضامني البعيدُ القصيُّ
لفَّ عرقي بعرقه سيِّدُ الناسِ جميعاً محمدٌ وعليُّ
إنّ ذلّي بذلك الجوِّ عزٌّ وأوامي بذلِك الصقع زيٌّ
قد يذلُّ العزيزُ ما لم يشمرْ لانطلاقٍ وقد يُضامُ الأبيُّ
إنَّ شراً عليَّ اسراعُ عزمي في طلابِ العُلى وحظّي بطِيُّ
أرضيٌ بالأذى ولم يقفِ العزمُ قصوراً ولم تعزَّ المطيُّ
تاركاً أسرتي رجوعاً إلى حيثُ عذيرٌ ورعني أبيُّ
كالذي يخبطُ الظلام وقد أقمرَ من خلفه النهارُ المضيُّ

وقال الحاجب من لسان الخليفة للنقيب أبي أحمد: قل لولدك محمد أي هو إن قد أقام عليه عندنا وأي ذل أصابه في ملكنا وما الذي يعمل به صاحب مصر لو مضى عليه أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا ألم نوله النقابة ألم نوله المظالم ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحجيج فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ما نظنه يكون لو حصل عنده إلا واحداً من أفناء الطالبيين بمصر؟

فقال النقيب أبو أحمد: أما هذا الشعر فما تسمعه منه ولا رأيناه بخطه ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه وعزاه إليه، فقال: إن كان كذلك فليكتب محضراً يتضمن القدح في أنساب ولاة مصر ويكتب محمد خطه فيه، فكتب محضر بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب أبو محمد وابنه المرتضى وحمل المحضر إلى الرضي ليكتب خطه فيه حمله إليه أبوه وأخوه فامتنع من سطر خطه وقال: لا أكتب وأخاف من دعاة مصر وأنكر الشعر وأقسم له أنه ليس شعره ولا يعرفه، فأجبره أبوه على أن يسطر خطه في المحضر فلم يفعل فقال: أخاف دعاة المصريين وغيلتهم لي فإنهم معروفون بذلك.

فقال له أبوه: يا عجباه أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع؟ وحلف أن لا يكلمه وكذلك المرتضى فعلاً ذلك خوفاً وتقية من القادر وتسكيناً له، ولما انتهى الأمر إلى القادر سكت عنه على سوء أضمره له وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة وكان الطائع لله أكثر ميلاً إلى الرضي من القادر وكان هو أشد حياً وأكثر ولاء للطائع منه للقادر، وهو القائل للقادر في قصيدته التي مدحه بها: [البحر الكامل]

عطفاً أميرَ المؤمنين فإنّنا في دوحةِ العلياءِ لا نتفرّقُ
ما بيننا يومَ الفخارِ تفاوتٌ أبداً كلانا في المعالي معرقُ
إلاّ الخلافةُ ميّزتك فإنّني أنا عاطلٌ منها وأنت مطوّقُ

فيقال: إن القادر قال له «على رغم الشريف».

وحضر الرضي يوماً مجلس القادر فجعل يشم لحيته، فقال له القادر: أظنك تشم منها رائحة الخلافة؟

قال: لا بل رائحة النبوة، فابتهر القادر لهذا الجواب، وكان الرضي لعلو همته وشرف نفسه تنازعه نفسه إلى الخلافة وربما كان يجيش بذلك خاطره وينظمه في شعره ولا يجد من الدهر عليه مساعد فيذوب كمداً ويفنى وجداً حتى توفي ولم يبلغ غرضاً، فمن ذلك قوله: [البحر السريع]

ما أنا للعلياءِ إنْ لم يكنْ ... منْ ولدِي ما كان مِنْ والدي
ولا مشتْ بي الخيلُ إن لم اطأْ ... سريرَ هذا الأغلبِ الماجدِ
فإنْ أنلْها فكمَا رمتُه ... أو لا فقد يكذبُني رائِدي
والغايةُ الموتُ فما فكرتِي ... أسايقِي أصبحَ أم قائِدي

وقوله: يعني فيه نفسه: [البحر الطويل]

فيا عجباً ممّن يظنُّ محمدٌ ... وللظنّ في بعضِ المواطنِ غرّارُ
يقدرُ أنَّ الملك طوعُ يمينِه ... ومن دونِ ما يرجُو المقدرُ أقدارُ
له كلِّ يومٍ منيةٌ وطماعةٌ ... ونبذُ قريضٍ بالأمانيِّ سيّارُ
لئنْ هو أغضَى للخلافةِ لمسةً ... لها طررٌ فوق الجبين واطرارُ
وأبدَى لنا وجْهاً نقيّاً كأنّه ... وقد نقشتْ فيه العوارضُ دينارُ
ورامِ العُلى بالشعرِ والشعر دائناً ... ففي الناسِ شعرُ خاملون وشعارُ
وأنّي أرى زنداً تواتر قدْحُه ... ويُوشك يوماً أن تشبَّ له نارُ

وقوله: في مثل ذلك: [البحر الكامل]

هذا أميرُ المؤمنين محمدٌ ... كرُمت مغارسُه وطابَ المحتدُ
أوَ ما كفاك بأنَّ أمّك فاطمٌ ... وأبُوك حيدرةٌ وجدُّك أحمدُ
يُمسي ومنزلُ ضيفه لا يختوي ... كرماً وبيتُ نظارِه لا يقلدُ

وفي شعره الكثير الواسع من هذا النمط وكان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي صديقاً له وكان يطمعه في الخلافة ويزعم أن طالعه يدل على ذلك، وكتب إليه في هذا الشعر:

[البحر الطويل]

أبا حسنٍ لي في الرجالِ فراسةٌ ... تعودتُ منها أن تقولَ فتصدُقا
وقد خبّرتني عنك أنك ماجدٌ ... سترْقى من العلياءِ أبعد مُرتقى
فوفَّيتُك التعظيم قبلَ أوانِه ... وقلتُ أطالَ اللهُ للسيدِ البقا
وأضمْرتُ منه لفظةً لم أبحْ بها ... إلى أن أرى إظهارَها لي مُطْلقا
فإنْ عشتَ أو إنْ متُّ فاذكرْ بشارتي ... وأوجبْ بها حقّاً عليك محقّقا

وكنْ لي في الأولادِ والأهلِ حافِظاً إذا ما اطمأنَّ القلبُ في مضجعِ البقا

فأجابه الرضي بقصيدة طويلة يعده فيها بإبلاغه أماله أن ساعده الدهر وتم المرام وأولها:

[البحر الطويل]

سننتُ لهذا الرمحِ عزماً مدلّقا وأجريتُ في ذا الهندوانيّ رَوْنقا
وسوّمتُ ذا الطرفَ الجواد وإنّما شرعتُ له نهْجا فحبّ وأعْنقا
لئنْ برقتْ منّي مخائلُ عارضٍ بعينيْك تُفضي أن يجودَ ويغدُقا
فليسَ بساقٍ قبلَ ربْعِك مرْبعاً وليسَ براقٍ قبل جوّك مُرتقى

وحكى أنه لما شاعت أبيات الصابي المذكورة أنكرها وقال: إنما عملتها في أبي الحسن علي بن عبد العزيز كاتب الطائع بالله وما كان الأمر كما ادعاه ولكنه خاف على نفسه، وحكى أبو إسحاق الصابي قال: كنت عند الوزير أبي محمد المهدي ذات يوم فدخل الحاجب واستأذن للشريف المرتضى فأذن له فلما دخل عليه قام إليه وأكرمه وأجلسه معه في دسته وأقبل عليه يحدثه حتى فرغ من حكايته ومهماته ثم قام فقام وودعه فخرج فلم يكن ساعة حتى دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضي وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة فألقاها ثم قام كالمندهش حتى استقبله من دهليز الدار وأخذ بيده وأعظمه وأجلسه في دسته ثم جلس بين يديه متواضعاً وأقبل عليه بمجامعه، فلما خرج الرضي خرج معه وشيعه إلى الباب ثم رجع فلما خف المجلس قلت له: أيأذن الوزير «أعزه الله تعالى» إلى أن أسأل عن شيء؟

قال: نعم وكأني بك تسأل عن زيادتي في اعظام الرضي على أخيه المرتضى والمرتضى أسن وأعلم؟

فقلت: نعم أيد الله الوزير، فقال: اعلم أنا أمرنا بحفر النهر الفلاني وللشريف المرتضى على ذلك النهر ضيعة فتوجه عليه من ذلك مقدار ستة عشر درهماً ونحو ذلك، فكاتبني بعدة رقاع يسأل في تخفيف ذلك مقداراً عنه، وأما أخوه الرضي فبلغني أنه ذات يوم ولد له غلام فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار فرده فقال: قل للوزير أني لا أقبل من أحد شيئاً، فرددته فقلت: إني لما أرسلته للقوابل، فرده ثانياً وقال: قل للوزير أنا أهل بيت لم يطلع على أحوالنا قابلة غريبة وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا وليس ممن يأخذن أجرة ولا يقبلن صلة، فرددته إليه وقلت: يفرقه الشريف على ملازميه من طلبة العلم فلما جاءه الطبق وحوله الطلبة قال: ها هم حضور فليأخذ كل واحد ما يريد، فقام رجل وأخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ورد الدينار إلى الطبق، فسأله الشريف عن ذلك فقال:

أني احتجت إلى دهن السراج ليلة ولم يكن الخازن حاضراً فاقترضت من فلان البقال دهناً فأخذت القطعة لأدفعها إليه عوض دهنه، وكان طلبة العلم الملازمون للشريف الرضي في دار قد اتخذها لهم سماها دار العلم وعين لهم فيها جميع ما يحتاجون إليه، فلما سمع ذلك الرضي أمر في الحال أن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع إلى كل منهم مفتاحاً ليأخذ ما يحتاج إليه

ولا ينتظر خازناً يعطيه، ورد الطبق على هذه الصورة، فكيف لا أعظم من هذه حاله؟ ولذلك كان الرضي يقدم على المرتضى لمحله في نفوس العامة والخاصة.

وكان الرضي ينسب إلى الإفراط في عقاب الجاني من أهله وله في ذلك حكايات:

منها: أن امرأة علوية شكت إليه زوجها وأنه يقامر بما يتحصل من خرقه يعانيها وأن له أطفالاً وهو ذو عيلة وحاجة وشهد لها من حضر بالصدق فيما ذكرت، فاستحضره الشريف وأمر به فبطح وأمر بضربه والمرأة تنظر أن يكف والأمر يزيد حتى جاوز ضربه مائة خشبة: فصاحت المرأة: وأيتم أولادي كيف يكون حالنا إذا مات والدهم هذا؟ فقال لها الشريف: أظننت أنك تشكينه إلى المعلم؟

ورأيت في ديوانه أنه بلغه عن قوم من أعدائه أنهم قالوا لبهاء الدولة: قد جرت عادة الرضي بإنشاد الخلفاء شعره وأنه إنما يتكبر عليك في ترك الإنشاد وكذبوا في ذلك لأنه لم ينشد قط ممدوحاً، وهذه فضيلة تفرد فيها عن الشعراء فكتب بهذه الأبيات إليه مع قصيدة في الكتاب:

[البحر الطويل]

جنانِي شجاعٌ إنْ مدحتُ وإنّما ... لسانِي إذا سيمَ النشيدَ جبانُ
وما ضرَّ قوالاً أطاعَ جنانَه ... إذا خانَه عند الملوكِ لسانُ
وربّ حييٌ في السلامِ وقلبُه ... وقاحٌ إذا لفَّ الجيادَ طعانُ
وربّ وقاحِ الوجهِ تحملُ كفُّه ... أناملُ لم يعرفْ بهنّ عنانُ
وفخرُ الفَتى بالقولِ لا بنشيدِه ... ويروْي فلانٌ مرةً وفلانُ

وحكى بعضهم قال: اجتاز بعض الأدباء بدار الشريف الرضي ببغداد وهو لا يعرفها وقد أخنى عليه الزمان وذهبت بهجتها وخلقت ديباجتها وبقايا رسومها تشهد لها بالنظارة وحسن البشارة، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان وتمثل بقول الرضي المذكور:

[البحر الكامل]

ولقد وقفتُ على ربوعهمُ ... وطلولُها بيدِ البلى نهبُ
فوقفتُ حتى ضجَّ من كغبٍ ... نضوي ولجَّ بعدلي الرّكْبُ
وتلفتتْ عيْني فمذْ خفيتْ ... عنّي الطلولُ تلفّت القلبُ

فمر به شحص وهو ينشد هذه الأبيات فقال له: هل تعرف هذه الدار لمن هي؟ فقال: لا، فقال: هذه الدار لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضي، فتعجب من حسن هذه الاتفاق.

ومثل هذه الحكاية ما ذكره الحريري في كتاب درة الغواص في أوهام الخواص وهو على ما رواه عبيد بن سويه الجرهمي عاش ثلاثمائة سنة فأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة فقال: حدثني بأعجب ما رأيت، فقال: مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم فلما انتهيت إليهم أغرورقت عيني بالدموع فتمثلت بقول الشاعر: **[البحر البسيط التام]**

يا قلبُ إنك من أسماءَ مغرورُ فاذكرْ وهل ينفعنْ ذا اليومَ تذكيرُ
فلستَ تدري وما تدري أعاجلُها أدنى لرشدِك أم ما فيه تأخيرُ
فاستقدرِ اللهَ خيراً وارْضينَّ به فبينما العسرُ إذ دارتْ مياسيرُ
وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطٌ وإذْ هو بالرّمسِ تعفُوه الأعاصيرُ
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفُه وذو قرابتِه في الحيِّ مسرورُ

قال: فقال لي رجل: أتعرف من قال هذه الشعر؟ فقلت: لا، فقال: إن قائله هو الذي دفناه الساعة وأنت الغريب تبكي عليه وهذا الذي خرج من قبره أمس الناس رحماً به وأسرهم بموته، فقال له معاوية: رأيت عجباً فمن الميت؟ قال: عثير بن لبيد العامري.

وكانت وفاة الشريف الرضي ﵀ بكرة يوم الأحد لست خلون من المحرم سنة ست وأربعمائة، وحضر الوزير فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته والصلاة عليه، ودفن في داره بمسجد الأنباريين، ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد مولانا الكاظم ﵇ لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه، وصلى عليه فخر الملك أبو غالب ومضى بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى إلى المشهد الشريف الكاظمي فلزمه بالعود إلى داره، ثم نقل الرضي ﵀ إلى مشهد الحسين ﵇ بكربلاء فدفن عند أبيه، ورثاه أخوه المرتضى بقصيدة وهذا منها: [البحر الكامل]

يا للرجالِ لفجعةٍ جذمتْ يدي ووددتُ لو ذهبتْ عليَّ بِراسي
ما زلتُ أحذرُ وردَها حتى أتتْ فحسوتُها في بعضِ ما أنا حاسي
ومطلتُها زمناً فلمّا صمّمتْ لم يُثنِها مَطلي وطولُ مِكاسي
للهِ عمرُك من قصيرٍ طاهرٍ ولربَّ عمرٍ طالَ بالأدناسِ

ونقل أن مهيار الديلمي أتى إلى قبر الشريف الرضي ليزوره فلما أن حاذا قبره تذكر أيامه فانهلت مدامعه وأنشأ: [البحر الكامل]

منْ كان لم يطأ التُّرابَ برجلِه وطأ التُّراب بصفحةِ الخدِّ
منْ كان بينَك في التُّرابِ وبينه شِبْران كان بغايةِ البعدِ
لو بعثرتْ للناس أطباقُ الثّري لم يعرفِ المولى من العَبدِ

ورثاه أيضاً تلميذه مهيار بن مزرويه الكاتب بقصيدة لم أسمع في باب المراثي أبلغ منها، أولها: [البحر الكامل]

من جبَّ غاربَ هاشمٍ وسنامها ولوى لويّاً واستزلَّ مقامَها
وخزَى قُريشاً بالبطاحِ فلفَّها بيدٍ وقوَّضَ عزَّها وخيامَها
وأناخَ في مضر بكلْكلِ خسفِه يستامُ فاحتملتْ له ما سامَها

من حلَّ مكة فاستباحَ حريمَها والبيتُ يشهدُ واستحلَّ حرامَها
ومضى بيثرب مزعجاً ما شاء من تلك القبور الطاهرات عظامُها
يبكي النبيُّ ويستنيخُ لفاطمٍ بالطفِّ في أبنائِها أيامَها
الدينُ ممنوعُ الحمى من راعهُ والدارُ عاليةُ البِنا من رامَها
أتناكرتْ أيدي الرجالِ سيوفُها فاستسلمتْ أم أنكرتْ إسلامَها
أم غالَ ذي الحسينِ حامي ذودِها قدْراً أراحَ على العدوِّ سهامَها

ومنها:

بكرَ النعيُّ من الرضيِّ بمالكٍ غاياتِها متعوداً اقدامَها
كلمحَ الصباحُ بموتهِ عن ليلةٍ نقضتْ على وجهِ الصباحِ ظلامَها
صدعَ الحمامُ صفاةَ آلِ محمدٍ صدْعَ الرداءِ به وحلَّ نظامَها
بالفارسِ العلويِّ شقَّ غبارَها والناطقِ العربيِّ شقَّ كلامَها
سلبَ العشيرةَ يومَه مصباحَها صلاّحَها عمّالَها علاّمَها
برهانُ حجَّتها التي بهرتْ به أعداؤُها وتقدمتْ أعمالُها
النصُّ مرويٌّ وكنتَ دلالةً مشهورةً لما نصبْتَ إمامَها
قدمتْ فضيلتُها وحيثُ تبرَّزت سيْفاً خطا لك أحمدَتْ أقدامها
دبَّرْتها طفْلاً وسدْتَ كهولَها يُرضي النفوسِ وكنتَ قبلُ غلامها

ومنها:

أبكيكَ للدُّنيا التي طلَّقْتها وقد اصطفتْك شبابَها وغرامَها
ورميتَ غاربَها بفضلةِ جيلِها زهداً وقد ألقتْ إليك زمامَها

وهي قصيده طويلة، وكان مهيار قد أنشد هذه القصيدة بحضور جماعة ممن كان يحسد الرضي ﷺ فشق عليهم ونسبوه إلى المبالغة في إطرائه، فرثاه بقصيدة أخرى أجاد فيها كل إجادة وعرض لهم فيها ليزدادوا غيظاً مطلعها: **[البحر الكامل]**

أقريشُ لا لفمٍ أراك ولا يدِ فتواكَلي غاضَ الندَى وخلي النَّدي

وما أحسن قوله في جملتها:

يا ناشدَ الحسناتِ طوَّفَ قالياً عنها وعادَ كأنَّه لم ينشدِ
اهبطْ إلى مصرٍ فسلْ حمراءها من صاحَ بالبطحاءِ يا نارُ اخمدي
بكرَ النعيُّ فقال أمردي خيرها إن كان يصدقُ فالرضيُّ هو الردي
فجعتْ بمعجزِ آيةٍ مشهودةٍ ولربَّ آياتٍ بها لم تشهدِ
كانتْ إذا هي في الإمامةِ نوزعتْ ثم ادَّعت بك حقَّها لم تجحدِ

تبعتْك عاقدةً عليك أمورَها وعَرى تميمُك بعدُ لمّا تقعدِ
ورآك طفلاً شيبُها وكهولُها فتزحزحوا لك عن مكانِ السيِّد

إلى هنا ما نقلناه ملخص من كتاب الدرجات الرفيعة المتقدم ذكره.

السيد المرتضى: أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب ذي المجدين علم الهدى، كان أبوه النقيب أبو أحمد جليل القدر عظيم المنزلة في دولة بني العباس ودولة بني بويه، وأما والدة الشريف المرتضى فهي فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الأصم وهو أبو محمد الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهي أم أخيه أبي الحسن الرضي ﷺ، وكان الشريف المرتضى ﷺ واحد أهل زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وحديثاً وشعراً وخطابة وجاهاً وكرماً إلى غير ذلك، ولد ﷺ في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وقرأ هو وأخوه الرضي على ابن نباته صاحب الخطب الآتي ذكرها وهما طفلان، ثم قرأ كلاهما على الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان «قدس الله روحه».

وكان المفيد ﷺ رأى في منامه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ دخلت إليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها ولداها الحسن الحسين ﷺ صغيرين فسلمتهما إليه وقالت له: علمهما الفقه، فانتبه متعجباً من ذلك فلما تعالى النهار في صبحية تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها وبين يديها ابناها علي المرتضى ومحمد الرضي صغيرين فقام إليها فسلم عليها فقالت له: أيها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه، فبكى الشيخ وقص عليها المنام وتولى تعليمهما وأنعم الله تعالى عليهما وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا وهو باق ما بقي الدهر.

وذكر الشيخ الشهيد ﷺ في أربعينه قال: نقلت من خط السيد العالم صفي الدين محمد بن معد الموسوي بالمشهد المقدس الكاظمي في سبب تسمية الشريف المرتضى بعلم الهدى أنه مرض الوزير أبو سعيد محمد بن عبد الصمد سنة عشرين وأربعمائة فرأى في منامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وهو يقول له: قل لعلم الهدى يقرأ عليك حتى تبرأ، فقال: يا أمير المؤمنين ومن علم الهدى؟

فقال: علي بن الحسين الموسوي، فكتب الوزير إليه بذلك، فقال المرتضى ﷺ: أن قبولي هذا اللقب شناعة عليَّ، فقال الوزير: ما أكتب إليك إلا بما لقَّبك به جدك أمير المؤمنين ﷺ، فعلم القادر الخليفة بذلك فكتب إلى المرتضى: تقبل يا علي بن الحسين ما لقبك به جدك، فقبل وأسمع الناس، وكان ﷺ نحيف الجسم حسن الصورة وكان يدرس في علوم كثيرة ويجري على تلامذته رزقاً، فكان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قراءته عليه كل شهر إثنا عشر ديناراً، وأصاب الناس في بعض السنين قحط شديد فاحتال يهودي على تحصيل قوت

يحفظ به نفسه فحضر يوماً مجلس المرتضى وسأله أن يأذن له أن يقرأ عليه شيء من علم النجوم فأذن له وأمر له بجيرة تجرى له كل يوم فقرأ عليه برهة ثم أسلم على يديه، وكان قد وقف قرية على كاغد الفقهاء، وكان يلقب بالثمانيني لأنه أحرز من كل شيء ثمانين حتى مدة عمره كانت ثمانين سنة وثمانية أشهر، وتولى نقابة النقباء وأمارة الحاج والمظالم بعد وفاة أخيه الرضي أبي الحسن ﷺ وهو منصب والديهما.

وذكر أبو القاسم بن فهد الهاشمي في تاريخه اتحاف الورى بأخبار أم القرى في حوادث سنة تسع وثمانين وثلاثمائة قال: فيها حج الشريفان المرتضى والرضي فاعتقلهما في أثناء الطريق ابن الجراح الطائي فأعطياه تسعة آلاف دينار من أموالهما.

وللشريف المرتضى مصنفات كثيرة وديوان شعره يزيد على عشرين ألف بيت ذكر أبو القاسم التنوخي صاحب الشريف قال: حصرنا كتبه فوجدناها ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومقروءاته، وقال الثعالبي في كتاب اليتيمة: إنما قومت بثلاثين ألف دينار بعد أن أهدي إلى الرؤساء والوزراء منها شطراً عظيماً، وكانت وفاته «قدس سره» لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة وصلى عليه ابنه أبو جعفر محمد وتولى غسله أبو الحسين أحمد بن الحسين النجاشي ومعه الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز الديلمي ودفن أولاً في داره ثم نقل منها إلى جوار جده الحسين عليه السلام فدفن في مشهده المقدس مع أبيه وأخيه، وقد نقلنا هذه الترجمة إلى هنا من كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة للسيد علي صدر الدين الشيرازي.

بحث في حديث ذي البدين

من كتاب الأنوار النعمانية للسيد الفاضل السيد نعمة الله الجزائري قال: من الأخبار المشكلة ما رواه الشيخ في الصحيح عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله يقول: صلى رسول الله ﷺ ثم سلم في ركعتين فسأله من خلفه يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: إنما صليت ركعتين.

فقال: أكذلك يا ذا اليدين؟ وكان يسمى ذا الشمالين فقال: نعم، فبنى على صلاته فأتم الصلاة أربعاً وقال: إن الله هو الذي أنساه رحمة للأمة، ألا ترى لو أن رجلاً صنع هذا لعير وقيل: ما تقبل صلاتك ممن دخل عليه اليوم ذلك قال: قد سن رسول الله ﷺ وصارت أسوة، وسجد سجدتين لمكان الكلام.

أقول: هذا الخبر مما وقع فيه التشاجر والنزاع وهو المعركة العظمى بين الصدوق ﷺ وبين أكثر علمائنا فإنهم نفوه رأساً وطرحوا الأخبار الدالة عليه وبالغوا في التشنيع عليه، فمن شنع عليه من المتأخرين شيخنا المحقق الشيخ بهاء الدين قال في جملة كلامه: أن نسبة السهو إلى ابن

بابويه أولى من نسبتها إليه، وقال أيضاً عند قول ابن بابويه وأن وفق الله صنعنا كتاباً في كيفية سهو النبي ﷺ: الحمد لله الذي لم يوفقه لتصنيف هذا الكتاب.

وأما المتقدمون فمنهم سيدنا الأجل المرتضى فإنه قال بعدما حكى كلام الصدوق: اعلم أن الذي حكيت مما قد أثبتنا قد تكلف ما ليس من شأنه فأبدى بذلك عن نقصه في العلم وعجزه، ولو كان ممن وفق لرشده لما تعرض لما لا يحسنه ولا هو من صناعته ولا يهتدي إلى معرفة لكن الهوى مرد لصاحبه «نعوذ بالله من سلب التوفيق ونسأله العصمة من الضلال ونستهديه في سلوك نهج الحق وواضح السبيل» وقال بعد نقله خبر ذي اليدين: إن هذا الخبر من أخبار الآحاد التي لا تثمر علماً ولا توجب عملاً، ومن عمل على شيء منها فعلى الظن يعتمد في عمله بها دون اليقين، وقد نهى الله تعالى عن اتباع الظن.

وقال بعد كلام طويل: ولسنا ننكر أن يغلب النوم الأنبياء عليهم السلام في أوقات الصلاة حتى يخرج فيقضونها بعد ذلك وليس عليهم في ذلك عيب ولا نقص لأنه ليس ينفك بشر من غلبة النوم ولأن النائم لا عيب عليه، وليس كذلك السهو لأنه نقص عن الكمال بالإنسان وهو عيب يختص به من اعتراه، وقد يكون من فعل الساهي تارة كما يكون من فعل غيره والنوم لا يكون إلا من فعل الله فليس من مقدور العباد على حاله ولو كان من مقدورهم لا يتعلق به نقص وعيب لصاحبه لعموم جميع البشر وليس كذلك السهو، ولأنه يمكن التحرز منه مولانا وجدنا الحكماء يجتنبون أن يودعوا أموالهم وأسرارهم ذوي السهو والنسيان ولا يمتنعون من إيداعه من يعتريه الأعراض والأسقام، ووجدنا الفقهاء يطرحون ما يروونه ذو والسهو والنسيان من الحديث إلا أن يشركهم فيه غيرهم من ذوي اليقظة والفطنة والذكاء والحذاقة، فعلم فرق ما بين السهو والنوم بما ذكرنا.

ولو جاز أن يسهو في صلاته لجاز أن يسهو في الصيام حتى يأكل ويشرب نهاراً في شهر رمضان بين أصحابه وهم يشاهدونه ويستدركون عليه الغلط وينبهونه عليه بالتوقيف على ما جناه، ولجاز أن يجامع النساء في شهر رمضان نهاراً، ثم ذكر من هذا الباب أموراً كثيرة وقال: إن هذا لا يذهب إليه مسلم ولا غال ولا موحد ولا يجيزه ملحد وهو لازم لمن حكيت عنه فيما أفتى به من سهو النبي ﷺ، ودل على ضعف عقله وسوء اختياره وفساد تخيله، وقال: ثم العجب حكمه بأن سهو النبي ﷺ من الله وسهو من سواه من أمته وكافة البشر من غيرها من الشيطان لغير علم فيما ادعاه ولا حجة ولا شبهة يتعلق بها أحد من العقلاء اللهم إلا أن يدعي الوحي في ذلك ويتبين به ضعف عقله لكافة الألباء، ثم العجب من قوله: «سهو النبي ﷺ من الله دون الشيطان لأنه ليس للشيطان على النبي ﷺ سلطان وإنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وعلى من تبعه من الغاوين» ثم هو يقول: إن هذا السهو الذي من الشيطان يعم جميع البشر سوى الأنبياء والأئمة عليهم السلام فكلهم أولياء الشيطان وأنهم غاوون، إذ كان للشيطان عليهم سلطان وكان سهوهم منه دون الرحمن، ومن لم يتيقظ لجهله في هذا الباب كان في عدد الأموات - انتهى كلام المرتضى رحمه الله.

والحق أن الأخبار قد استفاضت في الدلالة على ما ذهب إليه الصدوق وكأنه الأقوى، وقد أشبعنا الكلام والاستدلال على هذا المطلب الجليل في شرحنا على تهذيب الحديث، ولكن حيث ذكرناه هنا فلا بأس بالإشارة إلى نبذة مما هناك فنقول: أما تشنيع شيخنا البهائي فهو من جملة مطايباتة وظرائفه وتحقيق الوجه ما سيأتي، وأما علم الهدى«طاب ثراه» فهو وإن بالغ في التشنيع ولكنه ليس من عدم علمه بجلالة الصدوق أو أنه يعتقد ويعلم أن ما قاله في شأنه هو الواقع، نعم قد ذهب علماؤنا رضوان الله عليهم إلى تغليط بعضهم بعضاً في مسائل الاجتهاد، ومن ذهب منهم إلى حكم من الأحكام تكلم عليه مخالفوه وطعنوا فيه وجرحوه ونسبوه إلى تخبط في القضية والفتوى حتى لا يتابعه أحد في ذلك، ويرون مثله واجباً وقد استثنى من مسائل الغيبة وأدخلوه في الجائز منها، مع أن هذه المسألة مسألة أصولية فكيف لا يطعنون على المخالف لهم فيها، وإلا فالمرتضى ومن شاركه في التشنيع كشيخنا المفيد أعلى الله مقامه قد اعتمدوا على الصدوق ﷺ في الأخبار والأحكام ونقلوها عنه واعتمدوا على نقله فكيف يقبلونها منه وينسبونه إلى الخروج من الدين، فليس الوجه فيه إلا ما ذكرناه، وقد شاهدنا مثل هذا من أوثق مشايخنا وأورعهم وأتقاهم وأبعدهم عن الأغراض والمناقشات.

وأما قوله: «إن هذا خبر آحاد لا يوجب علماً ولا عملاً» فالجواب عنه (أما أولاً): فلأنه مدار ثبات الأحكام فبهذه الأعصار وما سبقها عليه، وذلك أن المرتضى ﷺ كان قريب العهد بأعصار أجداده الطاهرين وكانت الأصول الأربعمائة والكتب الخمسة آلاف كلها موجودة عنده، وكان بينه وبين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مثلما بين مولانا صاحب الزمان عليه السلام وبين الإمام موسى عليه السلام من الآباء، وقد كان متمكناً من معرفه الآحاد والمتواتر وبقية الكتب والأصول على هذا الحال إلى زمن ابن إدريس ﷺ فلما كان زمانه حصل الضياع في الأصول والكتب بأسباب مختلفة:

(منها) أن بعضها دخل خزائن الملوك فلم يخرج منها.

و(منها) أن بعض سلاطين الجور وأئمتهم أحرقوا بعضها.

و(منها) أن الشيعة لما رأوا هذه الأصول الأربعة مدونة وهي مرتبة وأسهل تناولاً من تلك الأصول والكتب أهملوا استعمالها ونسخها الباعث لاستمرارها حتى انتهى الحال إلينا فلم نجد في هذا العصر إلا ثلاثين أصلاً تقريباً، فصار الاعتماد كله على أخبار الآحاد.

(وأما ثانياً): فلأن حكاية سهو النبي ﷺ قد روي مما يقارب عشرين سنداً وفيها مبالغة وإنكار على من أنكره كما روي عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله إن في سواد الكوفة قوماً يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته؟ قال: كذبوا لعنهم الله أن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو، وبالجملة فهذا المضمون مروي بالطرق الصحيحة والحسان والمؤلفات والمجاهيل والضعاف فإنكاره مشكل.

وأما قوله: «ولسنا ننكر أن يغلب النوم اه» فيرد عليه أنه إذا اعترف بهذا أن يعترف بالمتنازع فيه أما من النقل فلأن الأخبار الدالة على حكاية السهو أكثر من الأخبار الدالة على حكاية النوم وقضاء الصلاة، وأما من جهة العقل فلأن تعيه النقص عن غلبة النوم وإثباتها للسهو خلاف طور العقل والعادة، فإنه كما يمكن التحرز من غلبة السهو يمكن التحرز من النوم الكثير المفضي إلى قضاء الصلاة، بل هو ها هنا أمكن فإن الأماكن التي يظن الإنسان غلبة النوم في وقت الصلاة كشدة التعب أو السهو إلى آخر الليل ونحو ذلك يمكنه أن يقصد إنساناً يوقظه ذلك الوقت، كالنبي ﷺ فإنه كان يكثر الأعوان والجنود لما نام بذلك الوادي الذي احتاج فيه إلى قضاء الصلاة بخلاف السهو، فإنه ليس له وقت خاص يتمكن الإنسان من التحرز فيه، وهذا ظاهر غير خفي مع أن كلام الصدوق تابع للأخبار في كون الذي أسهاه هو الله تعالى، وحينئذٍ فلا فرق بين النوم والسهو في أنها فعله سبحانه وتعالى فعلهما في نبيه في موراد خاصة.

وأما قوله: «لأنا وجدنا الحكماء» إلى آخره، فالجواب عنه أن الحكماء إنما يجتنبون إيداع من كثر سهوه وكذلك الفقهاء إنما يجتنبون رواية من غلب عليه السهو لا من سها في مورد خاص وقد كان الباعث له على السهو ذلك الحكيم الذي أودعه، وقوله: «ولو جاز أن يسهو» إلى آخره، فالجواب عنه أن تجويز السهو عليه في الصوم وفيما ذكرت من الأمثلة إن كان رحمة للأمة جوزناه عليه لكنه جائز غير واقع، وإن لم يكن رحمة لأمته مع اشتماله على نوع نقص فلا يجوز خصوصاً في تبليغ الأحكام فإن السهو فيها ظاهر النقص وهو ارتفاع الوثوق لوعده ووعيده.

وأما قوله: «ثم العجب» إلى آخره، فلا عجب فيه بعد وروده في الأخبار الصحيحة وحاشا الصدوق من أن يتجرأ على هذا الخطب الجليل من غير مدرك يعتمد عليه، وأما تعجبه الأخير فلا يخفى ما فيه، وذلك لأن الصدوق رحمه الله أراد اقتباس الآية أو هو خبر نقل لفظه من غير إرادة منه لتفسير معنى التولي ومعناه إطاعة الشيطان فيما يلقيه من الوساوس، ومن ذا الذي يخلو من هذا سوى المعصومين عليهم السلام وأما الذين هم به مشركون والغاوون فهم فرق أخرى غير المؤمنين، فكأنه قال: إن سلطان الشيطان على المؤمنين وغيرهم أما المؤمنون فبإلقائه الوساوس ونحوها، وأما غيرهم فهو الإخراج من النور إلى الظلمات مع أنا لا نوافق الصدوق إلا فيما نطق به النص الصحيح وهو اسهاؤه له ﷺ في خصوص الصلاة.

إذا عرفت هذا فاعلم أن الذي حدا الأصحاب رضي الله عنهم على إنكاره هو أمور ثلاثة:

(الأول): الإجماع الذي نقلوه.

(الثاني): قولهم إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وأول النقل إن أمكن وإلا طرح.

(الثالث): ما رواه شيخ الطائفة بإسناده إلى ابن بكير عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام هل سجد رسول الله ﷺ سجدتي السهو قط؟ قال: لا ولا يسجدهما فقيه.

والجواب: أما عن الأول فهو ممنوع وذلك أن الصدوق وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد

قد خالفاه صريحاً وظاهر كثير من المحدثين الذهاب إليه حيث إنهم نقلوا الأخبار الواردة في شأن السهو من غير تعرض منهم لردها فيكون كالموافقه السكوتية منهم، وأما المعاصرون في هذه الأوقات فقد ذهب منهم المحقق الكاشي وبعض مجتهدي العراق إليه.

(وأما عن الثاني) فقد تقدم القول فيه وأن الدليل العقلي لا يقدم مطلقاً بل يقدم إذا تأيد بالنقل فيكون من باب تعارض النقلين في الحقيقة، وإلا فالأدلة العقلية غير تامة في أنفسها فضلاً عن إثبات الأحكام الشرعية بها.

(وأما عن الثالث) فبأن رواية ابن بكير وحاله مشهور فهو لا يعارض الأخبار الصحيحة مع أن القول بظاهره خلاف الوجدان مع أن التأويل جاز فيه بأن يكون المراد أنه لم يسجدهما كغيره في الكثرة أو الانتهاء إلى وساوس الشيطان فإن ذلك انتهاء من الرحمن - فتأمل في هذا المقام راكباً جواد المرام.

إبطال الدليل العقلي

ومن الكتاب المذكور: قال بعد تقدم كلام يناسب المقام: إذا عرفت هذا كله فاعلم أن هنا بحث شريف حققناه في شرحنا على تهذيب الحديث ولا بأس بالإشارة هنا إلى مجمله، وحاصله: أن أكثر الأصحاب قد تبعوا جماعة من مخالفينا من أهل الرأي والقياس ومن أهل الطبيعة والفلاسفة وغيرهم من الذين اعتمدوا على العقول واستدلالاتها، وطرحوا ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام حيث لم يأت على وفق عقولهم، حتى أنه نقل أن عيسى عليه السلام لما ادعى أفلاطون إلى التصديق بما جاء به أجاب بأن عيسى رسول إلى ضعفاء العقول وأما أنا وأمثالي فلسنا نحتاج في المعرفة إلى إرسال الأنبياء، والحاصل أنهم ما اعتمدوا في شيء من أمورهم إلا على العقل فتابعهم بعض أصحابنا وإن لم يعترفوا بالمتابعة فقالوا: إنه إذا تعارض الدليل العقلي والنقلي طرحنا النقلي وتأولناه على ما يرجع إلى العقل، ومن هنا تراهم في مسائل الأصول يذهبون إلى أشياء كثيرة قد قامت الدلائل النقلية على خلافها لوجود ما يخيلون أنه دليل عقلي، كقولهم بنفي الإحباط في العمل تعويلاً على ما ذكروه في محله من مقدمات لا تفيد ظناً فضلاً عن العلم وسنذكرها إن شاء الله تعالى في أنوار القيامة مع وجود الدلائل من الكتاب والسنة، على أن الإحباط الذي هو الموازنة بين الأعمال وإسقاط المتقابلين وإبقاء الرجحان حق لا شك فيه ولا ريب يعتريه.

ومثل قولهم: إن النبي صلى الله عليه وآله لم يحصل له الإسهاء من الله تعالى في صلاة قط تعويلاً على ما قالوه من أنه لو جاز السهو في الصلاة لجاز عليه في الأحكام، مع وجود الدلائل الكثيرة من الأحاديث الصحاح والحسان والموثقات والضعفاء والمجاهيل على حصول مثل هذا الإسهاء،

وعلل في تلك الروايات بأنه رحمة للأمة لئلا يعير الناس بعضهم بعضاً بالسهو، وسنحقق هذه المسألة في نور من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، إلى غير ذلك من مسائل الأصول، وأما مسائل الفروع فمدارهم على طرح الدلائل النقلية والقول بما أدت إليه الاستحسانات العقلية وإذا عملوا بالدلائل النقلية يذكرون أولاً الدلائل العقلية ثم يجعلون دليل النقل مؤيداً لها وعاضداً إياها، فيكون المدار والأصل إنما هو العقل، وهذا منظور فيه لأنا نسألهم عن معنى الدليل العقلي الذي جعلوه أصلاً في الأصولين وفي الفروع فنقول: إذا أردتم ما كان مقبولاً عند عامة العقول فلا يثبت ولا يبقي لكم دليل عقلي وذلك كما تحققت أن العقول مختلفة في مراتب الإدراك وليس لها حد يقف عنده، فمن ثم ترى كلا من اللاحقين يتكلم على دلائل السابقين ويأتي بدلائل أخرى على ما يذهب إليه، ولذلك لا ترى دليلاً واحداً مقبولاً عند عامة العقلاء والأفاضل، وإن كان المطلوب متحداً فإن جماعة من المحققين قد اعترفوا بأنه لم يتم دليل من الدلائل على إثبات الواجب، وذلك أن الدلائل ذكروها مبنية على بطلان التسلسل ولم يتم برهان على بطلانه فإذا لم يتم دليل على هذا المطلب الجليل الذي توجهت إلى الاستدلال عليه كافة الخلق فكيف يتم على غيره مما توجهت إليه آحاد المحققين؟.

وإن كان المراد به ما كان مقبولاً بزعم المستدل به واعتقاده فلا يجوز لنا تكفير الحكماء والزنادقة ولا تكفير المعتزلة والأشاعرة ولا الطعن على من ذهب إلى مذهب يخالف ما نحن عليه، وذلك أن أهل كل مذهب أسندوا في تقوية ذلك المذهب إلى دلائل كثيرة من العقل وكانت مقبولة في عقولهم معلومة لهم ولم يعارضها سوى دليل العقل لأهل القول الآخر أو لدلائل النقل، وكلاهما لا يصلح للمعارضة على ما قلتم لأن دليل النقل يجب تأويله ودليل العقل لهذا الشخص لا يكون حجة على غيره لأن عنده مسألة ويجب عليه العمل بذلك، مع أن الأصحاب «رضوان الله عليهم» ذهبوا إلى تكفير الفلاسفة ومن يحذو حذوهم وتفسيق أكثر طوائف المسلمين، وما ذاك إلا لأنهم لم يقبلوا منهم تلك الدلائل ولم يعدوها من دلائل العقل.

فإن قلت: فعلى ما ذكرت من عدم الاعتماد على الدليل العقلي فلا يكون معتبراً بوجه من الوجوه.

قلت: بل الدليل العقلي ينبغي تقسيمه إلى أقسام ثلاثة.

(الأول): ما كان بديهياً ظاهراً في البداهة ولا يعارضه آخر، مثل الواحد نصف الاثنين وباقي درجته من البديهيات.

(الثاني): ما كان دليلاً عقلياً عارضه نقلي إلا أن يكون ذلك العقلي قد يعارضه نقل آخر، فهذا أيضاً ترجيح على الدليل النقلي عند التعارض، وكذا التعارض في الحقيقة إنما هو بين النقليات وذلك كما دل الدليل العقلي على أنه تعالى ليس في مكان ودل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى

﴿ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1] على المكان ظاهراً فيجب ترجيح ذلك العقلي لتأيده بالنقليات الدالة على أنه تعالى منزه عن الكون والمكان:

(الثالث): ما تعارض فيه محض العقل والنقل من غير تأيد بالنقل فهذا لا يرجح فيه العقل بل نعمل بالنقل، ولا تستغرب مثل هذا فإنه مدلول الأخبار الصحيحة الصريحة فيه، وذلك أنهم عليهم السلام نهوا عن الاعتماد على العقول لأنها ضعيفة لا تدرك الأحكام ولا عللها، وما حصل محقق الأصحاب رحمهم الله دلائلهم العقلية إلا بسبب ورود النقل بمضمونها فأيدوا النقل بذلك الدليل، لكنهم في كثير من المواضع يهملون مثل هذا ويعولون على العقل ويطرحون النقل لأجله.

وقبل هذا الكلام: قال ما لفظه: قال الرازي: هذه الأشياء المسماة بالبراهين لو كانت في أنفسها براهين لكان كل من سمعها ووقف عليها وجب أن يقبلها وأن لا ينكرها أصلاً، وحيث نرى أن الذي يسميه أحد الخصمين برهاناً فإن الخصم الثاني يسمعه ويعرفه ولا يفيد له ظناً ضعيفاً علمنا أن هذه الأشياء ليست في أنفسها براهين بل هي مقدمات ضعيفة انضافت العصبية والمحبة لها فتخيل بعضهم كونها برهاناً، مع أن الأمر في نفسه ليس كذلك، وأيضاً فالشبه يحتج على القول بالتشبيه بحجة ويزعم أن تلك الحجة أفادته الجزم واليقين، فأما أن يقال: إن كل واحد من هاتين الحجتين صحيحة يقينية فحينئذ يلزم صدق النقيضين وهو باطن، وأما أن يقال: إن إحداهما صحيحة والأخرى فاسدة إلا أنه متى كان الأمر كذلك كانت مقدمة واحدة من مقدمات تلك الحجة باطلة في نفسها، مع أن الذي تمسك بتلك الحجة جزم بصحة تلك المقدمة ابتداء، فهذا يدل على أن العقل يجزم بصحة الفاسد ابتداء، فإذا كان كذلك كان العقل غير مقبول القول في البديهيات، وإذا كان كذلك فحينئذ تفسد جميع الدلائل، فإن قالوا: العقل إنما جزم بصحة ذلك الفاسد لشبهة متقدمة.

فنقول: قد حصل في تلك الشبهة المتقدمة مقدمة فاسدة فإن كان ذلك لشبهة أخرى لزم التسلسل وإن كان ابتداء فقد توجه الطعن أيضاً، فإنا نرى الدلائل القوية في بعض المسائل العقلية متعارضة مثل مسألة الجوهر الفرد فإنا نقول كل متحيز فأن يمينه عن يساره وكلما كان كذلك فهو منقسم ينتج أن كل متحيز منقسم، ثم نقول الآن لم يكن كله حاضراً بل بعضه وإذا كان غير منقسم كان أول عدمه في آن آخر متصل بآن وجوده فترم تنالي الآنات ويلزم كون الجسم مركباً من أجزاء لا تتجزى، فهذان الدليلان متعارضان ولا نجد جواباً شافياً عن أحدهما ونعلم أن أحد الكلامين مشتمل على مقدمة باطلة وقد جزم العقل بصحتها أبداً فصار العقل مطعوناً ثم أخذ في تفصيل هذه الوجوه بكلام طويل.

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

وقال: الإمام الرازي: [البحر الطويل]

نهايةُ اقدامِ العقولِ عقالُ ... وأكثرُ سعيِ العالمينَ ضلالُ
وأرواحُنا في وحشةٍ من جسومِنا ... وحاصلُ دُنيانا أذىً ووبالُ
ولم نستفدْ من بحثِنا طولَ عمرِنا ... سوى أنْ جمعْنا فيه قيلَ وقالُوا
وكم قد رأيْنا من رجالٍ ودولةٍ ... فبادُوا جميعاً مُسرعين وزالُوا
وكم من جبالٍ قد علتْ شرفاتِها ... رجالٌ فزالُوا والجبالُ جبالُ

الصوم لي وأنا أجزي به

ومن الكتاب المذكور: جاء في الحديث: «كل عمل ابن أدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي» وهذا الحديث لا يخلو من الإشكال حيث إن ظاهره التفضيل على الصلاة مع أنه ﷺ قال: «أفضل أعمالكم الصلاة» ومن هنا تصدى المحققون لتأويله فذكروا وجوهاً: منها:

أنه اختص بترك الشهوات والملاذ في الفرج والبطن، وذلك أمر عظيم يوجب التشريف وأجيب بالمعارضة بالجهاد فإن فيه ترك الحياة فضلاً عن الشهوات، وبالحج إذ فيه الإحرام ومتروكاته كثيرة، ومنها:

أنه أمر خفي لا يمكن الاطلاع عليه فلذلك شرف بخلاف الصلاة والجهاد وغيرها، وأجيب بأن الإيمان والإخلاص وأقوال القلب الحسية خفية مع تناول الحديث إياها ومنها: أن خلاء الجوف تشبيه بأجل صفات الربوبية، وفيه أن العلم الذاتي وكذلك الإحسان إلى المؤمنين وتعظيم الأولياء والصالحين كل ذلك فيه التخلق والتشبيه بصفات الله تعالى، ومنها: أن جميع العبادات وقع التقرب بها إلى غير الله إلا الصوم فإنه لم يتقرب به إلا الله وحده، ويجيب أنه يفعله استخدام الكواكب ومنها:

أن الصوم يوجب صفاء العقل والفكر بواسطة ضعف القوى الشهوية بسبب الجوع ولذلك قال ﷺ: «لا تدخل الحكمة جوفاً ملئ طعاماً» وصفاء العقل والفكر يوجبان حصول المعارف الربانية التي هي أشرف أحوال النفس الإنسانية، وأجيب بأن سائر العبادات إذا واظب عليها أورثت ذلك وخصوصاً الصلاة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(١) وقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾(٢)، قال بعضهم: لم أر فيه فرقاً تقربه العين ويسكن إليه القلب، وقال شيخنا الشهيد «قدس سره»: ولقائل أن يقول: هب أن لكل واحد من هذه الأجوبة مدخول بما ذكر فلم لا يكون مجموعاً هو الفارق فأنه لا يجتمع فيه هذه الأمور المذكورة لغير الصوم وهذا أصح ومنها:

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

إن الله تعالى قد جعل لكل عبادة جزاء مذكوراً مقرراً سوى الصوم كذلك خيط هذا الثوب بكذا وذاك بكذا وهذا الثوب اجعل مقدار أجرته إلي ولا يلزم منه أن يكون أفضل من غيره فتأمل.

وأما قوله: أجزي به على صيغة المعلوم ومعناه مضاعفة الجزاء من غير عدد وحساب، لأن الكريم إذا تولى بنفسه الجزاء اقتضى عطيته وسعته، وتقديم الضمير للتخصيص أو للتأكيد والأول أنسب بالسياق أي أنا أجزي به لا غيري بخلاف باقي العبادات فإن جزاءها قد يفوض إلى الملائكة، وذهب شيخنا المعاصر إلى أن أجزي من باب المجهول، والمعنى أن عبادي لا يجازوني على نعمائي بمثل الصوم وهو كما ترى - انتهى.

كفر تارك الصلاة

ومن الكتاب المذكور: قال بعد الكلام في كفر تارك الصلاة للحديث الوارد فيه ما صورته: بقي الكلام في جواز إطلاق الكافر على تارك الصلاة استخفافاً وتهاوناً وعلى تارك الحج ونحوهما مما ورد في الروايات إطلاق هذا اللفظ عليه، وهو لا يخلو من اشكال وذلك أن كثيراً من الأحكام ورد في الروايات لها حكم ولا نقدر نحن على إطلاق ذلك الحكم أو اللفظ على من أطلق، مثلاً ورد «من بات وحده في بيت فهو ملعون» و«من سافر وحده فهو ملعون» و«من أكل زاده وحده فهو ملعون» إلى غير ذلك، ولا يجوز لنا لعن من أتى شيئاً من هذه الأمور، وذلك أنه يجوز أن يكون الشارع أطلق عليه مثل هذه الألفاظ وتلك تغليظاً عليه حتى لا يقدم على ارتكاب تلك الأمور المنهي عنها كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «لو شهدت جنازة شارب الخمر لما صليت عليه» مع وجوبها عليه إجماعاً، ولما مات رجل من أصحابه مديون وحضر النبي ﷺ جنازته ما صلى عليه حتى ضمن دينه أمير المؤمنين عليه السلام، وروي أنه هم بإحراق جماعة ما كانوا يحضرون الجماعة معه وقد كانوا يصلون في بيوتهم إلى غير ذلك، وذلك أن صاحب الشرع يجوز له السياسات في الأفعال والأقوال حتى يرتدع الخلائق من أول الأمر عن ذلك القبيح.

درجات الإيمان

خاتمة هذا الكلام: قد عرفت أن للإيمان درجات وأحوالاً، وينبغي أن تعلم أيضاً أنه قد ورد الخلاف بين علماء الإسلام في حقيقة الإيمان والمذاهب فيه ثمانية.

الأول: أنه التصديق القلبي بما علم ثبوته من الدين ضرورة كالدين والنبوة والبعث وهذا هو مذهب جمهور الأشاعرة.

الثاني: ضم التصديق اللساني إليه، وهو مذهب الحنفية وعليه أكثر أصحابنا.

الثالث: ما ذهب إليه الكرامية من أنه تصديق اللسان وحده.

الرابع: إضافة الأعمال إلى ما تقدم، وهو قول المعتزله والخوارج وبعض علمائنا.

الخامس: ما ذهب إليه الجهم بن صفوان من أنه المعرفة بالله تعالى.

السادس: أنه معرفة الله تعالى وما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً، وإليه صار بعض علماء الجمهور.

السابع: أنه الطاعة المفترضة من الأفعال والتروك دون النوافل وعليه الجبائيان.

الثامن: أنه الطاعات كلها فرائضها ونوافلها.

والذي يفهم من تتبع كلام الطاهرين عليهم السلام أن النزاع الواقع بين أهل الملل لفظي، وذلك أنه قد ورد في الأخبار إطلاق الإيمان على أمور متفاوتة ودرجات متباينة وكل واحد من تلك الأقوال الثمانية تندرج في إطلاق من تلك الإطلاقات. (منها) إطلاقه على ما يرادف الإسلام فيتناول بهذا الإطلاق جميع المسلمين، وهو بهذا المعنى كثير الوقوع في الكتاب والسنة ولا فائدة له سوى حقن الدماء وحفظ الأموال في الدنيا وأما صاحبه في الآخرة فهو مخلد في النار بالإجماع.

(ومنها) إطلاقه على التصديق القلبي والإقرار باللسان كما يكون في فساق المؤمنين الذين أصروا على ترك الأعمال، وفائدته الأخرى أن لا يخلد في النار، وأما أصل الدخول فقد اختلف فيه لاختلاف الأخبار ومدلول الكثير منها أن مثل هذا المؤمن يدخل النار لكنه لا يخلد فيها.

(ومنها) إطلاقه على ما ذكر مع ترك الكبائر وفعل الفرائض التي يكون تركها فريضة كالصلاة والزكاة والحج، وعلى هذا قد دلت الأخبار الكثيرة وغايته دخول الجنة، وقد عرفت أن ما روي من أن تارك الصلاة والحج فالمراد بكفره خروجه عن هذه المرتبة.

(ومنها) إطلاقه على جميع الاعتقادات مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، ويترتب عليه مع ما سبق رفع الدرجات والإقبال عليه بالكرامات، وقد تحققت أيضاً أن ما ورد أيضاً أن من فعل محرماً من المحرمات خرج من الإيمان يكون المراد خروجه عن هذه المرتبة.

(ومنها) إطلاقه على ما ذكر مع الإتيان بالمستحبات وترك سائر المكروهات، وفائدته تضاعف الدرجات، وما روي من أن من يؤمن بالله فلا ينام وحده أو فلا يأكل وحده أو لا يبعث بحليلته إلى الحمام منزل هذه على الدرجة من الإيمان.

(ومنها) إطلاقه على ما ذكر مع التوجه بكله إلى عالم الملكوت وصرف الوقت في الإقبال على جنابه سبحانه وتعالى، وهذا هو الإيمان الكامل الذي لما وصفه عليه السلام لهمام لم يطق سماعه بل غشي عليه، وهذه المرتبة ينافيها فعل المباحات ومن هذا تاب الأنبياء والأئمة عليهم السلام مما فيها من الأفعال وعدوها ذنوباً كما قال عليه السلام: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ويدل على تنوع الإيمان ما رواه شيخنا الكليني «قدس سره» بإسناده إلى الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني أيها العالم أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به، قلت: وما هو؟

قال: الإيمان بالله الذي لا إلّه إلا هو أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها خطاً، قلت: ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل والقول بعض ذلك العمل يفرض من الله بين في كتابه واضح نوره ثابتة حجته يشهد له الكتاب ويدعو إليه، قال: قلت: صفه لي جعلت فداك، قال: الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه، قلت: إن الإيمان ليتم ويزيد وينقص؟ قال: نعم، قلت: كيف ذلك؟ قال: لأن الله تعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها فمنها قلبه الذي يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره. . . وساق الحديث وذكر فيه تكاليف الأعضاء كلها، والحديث طويل ويفيد ما تقدم توضيحاً أنه وقع في كلام الطاهرين عليهم السلام بتشبيه الإيمان بشخص مشتمل على جميع ما في غيره من الأعضاء والجوارح والمزيات والمحسنات فمن تلك الأعضاء يكون قوام ذلك الشخص ووجوده به كالرأس والقلب وبأزائهما من الإيمان التصديق القلبي والإقرار اللساني.

(ومنها) ما يكون لجلب منافعه ودفع مضاره لا أصل وجوده، كاليدين والرجلين ونحوهما بأزائهما من الإيمان فعل الواجبات وترك المحرمات.

(ومنها) ما يكون له مدخل في تحسين صورة الشخص وتزيينها كالحاجبين وأهداب العينين ونحوهما، وبأزائه من الإيمان فعل المستحبات وترك المكروهات، وإلى هذا ينظر قول سيد الساجدين عليه السلام في دعائه: وحلني بحلية المتقين.

وأما تزايده ونقصانه مما جاء في ذلك فإنما يجيء من تزايد الأعمال ونقصانها وذلك أنه قد ورد في الأحاديث تشبيه الإيمان بالعين النابعة، ولا ريب أن زيادة ماء العين ونقصانها إنما يكون بتشريع الأنهار وشقها منه حتى يخرج منها الماء على وجه الأرض فلا تعفيها الرياح، فكذلك عين الإيمان النابعة من القلب تحتاج إلى تشريع أنهار تجري منها على الجوارح والأعضاء، فإن كل عضو من الأعضاء بمنزلة نهر من أنهار العين، وأيضاً العين تحتاج في كل زمان إلى تنقيتها من الحماء المفسدة وما يعرض بها بتطاول الأيام، وكذلك عين الإيمان تحتاج إلى التنقية مما يفسدها من حمأ الحسد والنفاق والرياء والكبر والعجب حتى يصفو ماؤها فيبلغ بها الصفاء إلى قوله: «ولو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً».

واعلم أنه قد ظهر من التحقيق السابق أن النزاع لفظي، وذلك أن للإيمان مراتب فكل واحد

من الأقوال الثمانية عبارة عن درجة من درجات الإيمان، نعم يمكن أن يكون النزاع معنوياً في صورة من الصور وهي ما روي في قضاء حوائج المؤمن ومواساته وإعانته وزيارته ونحو ذلك فإن المراد بهذا المؤمن صاحب أي درجة من الدرجات الإيمانية؟.

قال شيخنا المعاصر«أدام الله أيامه»: المراد به من الصمت وترك الكبائر إلى حسن اعتقاده وكذلك لأن الفاسق لا جرعة له عند الله حتى يرغب في قضاء حوائجه كل ذلك الترغيب، وهو كما قال لكن يبقى الكلام في أن من علم منه الفسق أمس يحكم عليه اليوم بأنه فاسق أم لا؟ ذهب أكثر الأصوليين إلى الأول عملاً بالاستصحاب والمستفاد من تتبع الأخبار عدم جواز الحكم عليه بالفسق الماضي، وذلك أن التوبة قائمة الاحتمال في كل ساعة فيجوز أن يكون قد تاب عن ذلك الذنب.

ويؤيد هذا ما ورد في صلاة الأموات من قوله عليه السلام: «اللهم أنا لا نعلم من ظاهره إلا خيراً» وذلك أن الفاسق قد علم منه غير الخير فما وجه هذا الدعاء حينئذ؟ وأجاب عنه المحقق بما ذكرنا وهو أن احتمال التوبة قائمة فلعله قد تاب عن ذلك القبيح والإيمان منه معلوم فخيره معلوم وشره غير معلوم لأن أدنى الحال أن يشك في توبته وإذا قام الشك بطل العلم.

في حل أخبار مشكلة

ومنه أيضاً: ومن الأخبار قوله ﷺ: «لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم» وفي حله وجوه:

(الأول) أن العرب إذا أرادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه بتحليل القسم، وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه إن شاء الله فيقولون: «ما يقم فلان عندنا إلا تحلة القسم» ومعناه لا تمسه النار إلا قليلاً.

(الثاني) ما قاله بعضهم من أن لا زائدة دخلت للتوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعناه تمسه النار وقت تحلة القسم وإلا زائدة.

(الثالث) وهو الأظهر أن القسم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[1] فمعناه أنه لا يرد النار إلا بمقدار ما يبرأ الله قسمه.

خير الصدقة

ومن الأخبار: ما روي عن النبي ﷺ: «خير الصدقة ما أبقت غني، واليد العليا خير من

(١) سورة مريم، الآية: ٧١.

السفلى، وابدأ بمن تعول»، أما قوله ﷺ: «خير الصدقة ما أبقت غني» فالظاهر أن المراد الحث على الوافرة، وذكر سيدنا المرتضى طاب ثراه معنى آخر وهو أن خير الصدقة ما تصدقت به من فضل قوتك وقوت عيالك فإذا خرجت صدقتك خرجت على استغناء منك، ويؤيده الحديث الآخر «إنما الصدقة عن ظهر غني» وأما قوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى» فقال قوم: يريد أن اليد المعطية خير من اليد الآخذة، وقال آخرون: إن العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية، قال ابن قطيبة: ولا أرى هؤلاء إلا قوماً استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة، وقال سيدنا المرتضى:

أن اليد ها هنا هي العطية والنعمة، فكأنه ﷺ أراد أن العطية الجزيلة خير من العطية القليلة، أقول: وهذا معنى قوي وإن كان المتبادر هو الأول - انتهى.

روي: عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله تعالى: أني وضعت خمسة أشياء في خمسة والناس يطلبونها في خمسة أخرى غيرها فمتى يجدونها: إني وضعت العز في طاعتي والناس يطلبونه من أبواب السلاطين فمتى يجدونه، ووضعت لهم العلم والحكمة في الجوع والناس يطلبونه في الشبع فمتى يجدونه، ووضعت الراحة في الجنة والناس يطلبونه في الدنيا فمتى يجدونها، ووضعت الغنى في القناعة والناس يطلبونه بجمع المال فمتى يجدونه، ووضعت رضائي في مخالفة الهوى والناس يطلبونه في الهوى فلم يجدوه.

عن قليل يصلون درجة الاجتهاد

من كتاب الأنوار النعمانية: حدثني جماعة من الثقات أن السيد المحقق السيد محمد صاحب المدارك وخاله الشيخ الفاضل الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني رحمهما الله كانا يقرآن في النجف الأشرف عند الزاهد الورع المولى أحمد الأردبيلي، فقرآ عليه من شرع الشمسية ما يتوقف عليه الاجتهاد من مباحث الألفاظ وبعض أحوال القضايا والقياسات والظاهر أنه لا يزيد على عشرة دروس، وقرآ من شرح مختصر ابن الحاجب العضدي ما يتوقف أيضاً عليه الاجتهاد وهي دروس معدودة، وكانت الجماعة الذين يقرأون عند المولى الأردبيلي يهزأون بهما على هذا النمط من القراءة، فقال لهم المولى: لا تهزأوا بهما فعن قليل يصلون إلى درجة الاجتهاد وأحتاج أنا إلى أن آخذ تصديق اجتهادي منهم، فكان الحال كما قال بلغوا إلى رتبة التصنيف والاجتهاد في مدة ثمان سنين.

عصابة الحر رحمه الله

ومن الكتاب المشار إليه: حدثني جماعة من الثقات أن الشاه إسماعيل لما ملك بغداد أتى

إلى مشهد الحسين عليه السلام وسمع من بعض الناس الطعن على الحر أتى إلى قبره وأمر بنبشه فنبشوه فرأوه نائماً كهيئته لما قتل ورأى على رأسه عصابة مشدودة فأراد الشاه أخذ تلك العصابة لما نقل في كتب السير والتواريخ أن تلك العصابة هي من سمال الحسين عليه السلام شد بها رأس الحر لما أصيب في تلك الواقعة ودفن على تلك الهيئة، فلما حلوا تلك العصابة جرى الدم من رأسه حتى امتلأ منه القبر فلما شدوا تلك العصابة انقطع الدم، فلما حلوها جرى الدم وكلما أرادوا أن يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابة لم يمكنهم فتبين لهم حسن حاله، فأمر فبني على قبره بناء وعين له خادماً يخدم قبره - انتهى نقله من الكتاب المذكور.

أيهما أفضل

وفيه أيضاً: كان من مشايخنا رجل مزّاح وكان ذات يوم بمجلس سلطان البصرة، فسأله السلطان المزبور بمحضر جماعة من علماء المخالفين وكان ذلك السلطان منهم أيضاً وقال: يا شيخ أيما أفضل فاطمة أم عائشة؟ فقال ذلك الشيخ: عائشة أفضل فقال: ولم ذلك؟ فقال: لقول الله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] وعائشة خرجت من المدينة إلى البصرة وجهزت العساكر وجاهدت علياً وبني هاشم وأكابر الصحابة حتى قتل بسببها خلق كثير، وأما فاطمة فقد لزمت بيتها وما خرجت منه إلا إلى المسجد لطلب فدك والعوالي من يد أبي بكر ولما منعها منه استقرت في مكانها إلى يوم موتها، فضحك السلطان والحاضرون وقال السلطان: يا شيخ هذا تشنيع لطيف

مباحثة

ومنه أيضاً: ويعجبني ذكر مباحثة جرت بين شيخنا البهائي «قدس سره» وبين عالم من علماء مصر وهو أعلمهم وأفضلهم، وكان شيخنا البهائي يظهر إلى ذلك العالم أنه على دينه فقال له: ما تقول الرافضة الذين من قبلكم في الشيخين؟

فقال له البهائي: قد ذكروا لي حديثين فعجزت عن جوابهم، فقال: ما يقولون؟

قلت: يقولون إن مسلم روى في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فقد كفر»

وروى أيضاً مسلم بعد هذا الحديث بخمسة أوراق: «أن فاطمة خرجت من الدنيا وهي ساخطة غاضبة على أبي بكر وعمر» فما أدري ما التوفيق بين الحديثين؟

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

فقال له العالم: دعني الليلة أنظر، فلما صار الصبح جاء ذلك العالم وقال للبهائي: ألم أقل لك أن الرافضة تكذب في نقل الحديث، البارحة طالعت الكتاب فوجدت بين الخبرين أكثر من خمس أوراق، هذا اعتذاره عن معارضة الحديثين.

محمد النبي وعلي الولي

ومنه أيضاً: بعد أن أورد الحديث الدال على أن الله خلق القمر وكتب عليه: لا إلّه إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله وهو السواد الذي ترونه في القمر،

فإذا قال أحدكم:

لا إلّه إلا الله محمد رسول الله فليقل علي أمير المؤمنين: ويستفاد من قوله عليه السلام «إذا قال أحدكم لا إلّه إلا الله محمد رسول الله فليقل علي أمير المؤمنين» عموم استحباب المقارنة بين اسميهما عليهما السلام إلا ما أخرجه الدليل كالتشهدات الواجبة في الصلاة لأنها وظائف شرعية، وأما الأذان فهو وإن كان من مقدمات الصلاة إلا أنه مخالف لها في أكثر الأحكام فلا يبعد القول من هذا الحديث باستحباب لفظة علي ولي الله أو أمير المؤمنين أو نحو ذلك في الأذان لأن الغرض الإتيان باسمه كما لا يخفى.

ويؤيد هذا ما رأيته في الطيف ليلة عيد شهر رمضان المبارك - والظاهر أنها كانت ليلة الجمعة وقد حصل لي من النهار خشوع وتضرع - فرأيت كأني في برية واسعة وإذا فيها بيت واحد والناس تقصده من كل طرف فقصدته معهم فرأيت رجلاً جالساً على باب ذلك البيت وهو يفتي الناس بالمسائل، فسألت عنه فقالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله فاستقر حب الناس وتقدمت إليه وقلت: يا جداه انه قد انتهى إلي دعاء من جانبكم يقرأ أول الصلاةً وهو:

«اللهم أني أقدم إليك محمداً بين يدي حاجتي وأتوجه به إليك» الدعاء، ولم يذكر مع اسمك المبارك اسم علي بن أبي طالب والفقير يقرن بين اسميكما ويخاف أن يكون أبدع في الدعاء حيث إنه لم ينقل إليه عنكم إلا كما قلت، فقرن بين إصبعيه على ما أظن أن ذكر اسم علي مع اسمي ليس ببدعة، والظاهر إنه أمرني بما ورد في هذا الحديث من أنك إذا ذكرت اسمي فاذكر معه اسم علي، فلما تيقظت رأيت ذلك الدعاء في بعض الكتب وفيه اسم علي عليه السلام.

إغواء إبليس لبني آدم

ومنه أيضاً: روي أن إبليس كان يأتي الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى أن بعث الله المسيح يتحدث عندهم ويسائلهم ولم يكن بأحد منهم أشد أنساً منه بيحيى بن زكريا عليه السلام فقال له يحيى: يا أبا مرة أحب أن تعرض علي مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم.

فقال له إبليس: حباً وكرامة، وأوعده لغد فلما أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته ينتظر الموعد وأغلق عليه بابه إغلاقاً فما شعر حتى دخل عليه من خوخة كانت في بيته فإذا وجهه صورة وجه القرد وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً وفمه مشقوق طولاً، وإذا أسنانه عظم واحد بلا ذقن ولا لحية وله أربعة أيد:

يدان في صدره ويدان في منكبه، وإذا عراقيبه قدامه وأصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، فإذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة الكلاب فلما تأمله يحيى عليه السلام قال: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟

قال: هذه المجوسية المراد بالمجوسية الطريقة التي عليها المجوس الآن التي سننتها وزينتها لهم، فقال: ما هذه الخيوط والألوان؟

قال: هذه جميع أصباغ النساء لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتى تقع مع لونها فيفتتن الناس بها، فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟

قال: مجمع كل لذة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، وأن القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فأحرك الجرس فيما بينهم فلما سمعوه استخفهم الطرب فمن بين من يرقص ومن يفرقع أصابعه ومن بين من يشق ثيابه.

فقال: وأي الأشياء أقر بعينك؟ قال: النساء هن فخوخي ومصائدي فإذا اجتمعت علي دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن.

فقال له يحيى: فما هذه البيضة التي على رأسك؟ قال: بها أتوقى دعوة الصالحين والمؤمنين.

قال: فما هذه الحديدة التي أرى فيها؟ قال: بهذه أقلب قلوب المؤمنين والصالحين.

قال يحيى: فهل ظفرت بي ساعة قط؟

قال: لا ولكن فيك خصلة تعجبني، قال يحيى: وما هي؟ قال: أنت إذا أفطرت أكلت وشبعت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك في قيامك بالليل.

قال يحيى: فإني أعطي الله عهداً أني لا أشبع من الطعام حتى ألقاه، قال له إبليس: وأنا أعطي الله أني لا أنصح مسلماً حتى ألقاه، فما عاد إليه بعد ذلك.

إمام الجماعة بلوط

ومن الكتاب المذكور: قال: نقل بعد نقل ما يدخل في حين هذا المقام من الكلام على أولئك اللئام: وقد نازعني في بعض ما رأيت من علمائهم فمنه أنني في عشر الستين بعد الألف سافرت مع سلطان البصرة إلى موضع شط بغداد لإرادة التنزه، فكنت يوماً أعقب بعد صلاة

الصبح إلى أن طلعت الشمس فأتى الخبر أن السلطان لم يصل إلى هذا الوقت، فسألت خواصه عن السبب فقالوا: إن إمام جماعته مشغول في الغسل عن الجنابة وكان اسمه الشيخ يحيى وفسطاطه قريب من فسطاطنا وكان رجلاً قد طعن في السن حتى تجاوز الثمانين فتعجبت وقلت: إن الإمام رجل كبير السن فكيف يحتلم، فضحك من كان حاضراً من خواصه وقال: ليس اغتساله من الاحتلام وإنما هو من ولد يخدمه اسمه قادر قد لاط فيه البارحة وما سخن له الماء إلى هذا الوقت، فلما فرغ من الغسل مضى إلى السلطان وصفت الصفوف خلفه فكبروا قام وصلى تلك الصلاة المقبولة له بذلك الغسل المشروع أعاذنا الله من ثوابها، وكان هذا الشيخ شافعي لا مالكي حتى يحلل هذا وأمثاله.

فاق الأولاد أباهم

ومن ذلك أيضاً: أن رجلاً من علمائهم وهو الفن في تاريخ الكتاب موجود في مشهد الحسين عليه السلام وهو إمام الجماعة في المشهد المقدس واسمه ملا حسين وعنده أولاد موجودون رأيناهم ورأينا أباهم، وقد حكى لي رجل عابد زاهد أثق بنقله وصلاحه عن ذلك الإمام فقال: إن هؤلاء وأولاده ولما كان وقتهم قبل البلوغ وكان الفساق يأخذونهم إلى منازلهم ويلوطون بهم، وكان إذا قدم إلى ذلك المشهد الشريف جماعة من أووام بغداد أرسلوا إلى أولاد ذلك الإمام فبقوا عندهم ليلاً حتى يخرجوا من المشهد، فأتى جماعة من خواص ذلك الإمام إليه وقالوا له: إن أولادك يفعلون هذا الفعل وأنت غير عالم بهم فانهاهم عنه.

فقال لهم: قولوا لي الصدق أن أحدهم إذا بات ليلة عند من يفعل به ذلك كم يعطيه درهماً؟ قال: يعطيه درهمين.

فقال لهم: ويل لكم والله إن أباهم - يعني نفسه الشريفة - لما كان في سنهم كان يرضى طول ليلة بنصف درهم فإذا أعطوا أحدهم درهمين ما يريد، فسكتوا عنه، فهذا حال أئمتهم أهل العبادة والزهادة والجمعة والجماعة، وأما علماؤهم من أرباب العقول كان فاضلهم الملاميرزاخان صاحب الحواشي والتحقيقات وكان عنده ولد يلوطونه فأخبره بعض تلاميذه عن حال ابنه فأجاب: بان هذا الفعل لا ينقص من قوته الداركة شيئاً والأصل في الإنسان تلك القوة وقد خلق لحراستها وأعمالها في العلوم والمعارف، وأما هذه الأعضاء اللحمية فلا يبالي العاقل بما يجري عليها.

ومن البصرة يرى الكلب في الكعبة ولا يرى الدجاجة أمامه

ومن ذلك: أن الشيخ عبد الله سلام الذي كان في البصرة وبلغ في الزهد وعلو الدرجة حتى كتب سلاطينهم اسمه على الأعلام التي تنشر في الحروب: لا إله إلا الله محمد رسول الله شيخ

الإسلام عبد السلام ولي الله، قد صعد المنبر ذات يوم فقال: من أراد أن يشتري مكاناً في الجنة فليقبل، وأقبلت إليه البهائم فباع مواضع في الجنة ومساكنها كل على قدر حاله حتى أخذ منهم أموالاً كثيرة، فلما فرغ من بيعها أقبل إليه رجل لم يكن حاضر البلد فقال له: يا شيخ أريد أشتري مكاناً في الجنة وعندي أموال جزيلة أبذلها كلها على مكان فيها، فأجابه الشيخ بأنه لم يبق من الجنة إلا مكاني ومكان دابتي فقال: بعني مكانك واكتف بمكان دابتك فباعه مكانه وبقي ولا مكان له في الجنة، وقد كان هذا الشيخ يصلي ذات يوم في المسجد فقال في أثناء الصلاة. كخ كخ، فلما فرغ سأله أصحابه عن ذلك القول في الصلاة؟

فقال: إني رأيت وأنا في الصلاة كلباً قد دخل المسجد الحرام وانتهى إلى باب الكعبة فزبرته حتى خرج، فتعجب الحاضرون من هذا الكشف العظيم حتى رأى وهو في البصرة كلباً في الكعبة فأتى رجل من الحاضرين إلى زوجته وكانت شيعية وكان الرجل سنياً وحكى لها كرامة الشيخ وحثها على متابعة دينه، فقالت له: إن كنت تريد أن تحولني إلى دينك فاطلب هذا الشيخ إلى الضيافة يوماً حتى أتحول إلى مذهبك في حضوره، ففرح الرجل فوعد الشيخ يوماً فقال للمرأة: اصنعي هذا اليوم طعاماً للشيخ وأصحابه، فلما جلسوا وضعت الصحون بين أيديهم وعلى رأس كل صحن دجاجة ودجاجة صحن الشيخ وضعتها تحت الطعام، فلما نظر الشيخ إلى صحنه غضب غضباً شديداً وامتنع عن الأكل وقال: كيف ما وضعتم لي دجاجة؟ وكانت المرأة واقفة تنظر إلى ما يصنع الشيخ، فلما رأت حالة الغضب أتت إلى صحنه وأخرجت الدجاجة من تحت الطعام قالت: يا شيخ إنك بالبصرة ورأيت الكلب وهو في مكة حتى قطعت الصلاة لأجله فكيف لا ترى الدجاجة التي هي أمامك وما بينك وبينها حائل سوى لقمة من الطعام.

فقال الشيخ: هذه رافضية خبيثة، فقام وخرج ورجع زوج المرأة إلى دين زوجته.

تبركوا ببول الشيخ

ومن ذلك: أن الشيخ حبيب الكهمري قد كان في البصرة وكان من أعاظم عبادهم وزهادهم وقد كان فيه حصر البول، فكان يوماً من الأيام جالساً مع الناس فأخذه حصر البول فتعصر وتشخب عروقه وبقي ساعة على ذلك الحال حتى خرج منه البول فابتل منه ثيابه فقيل له: لم جرى عليك هذا الحال؟

فقال: إن مركباً من مراكب البحر كان قد أشرف على الغرق فرأيته وهو في البحر فتناولت حبال ذلك المركب حتى نجيتهم من الغرق وقد ابتل ثيابي من ماء ذلك البحر، فأتوا إلى ثيابه ومسحوا ذلك الماء الذي في ثوبه على وجوههم ولحاهم.

هذه أمانتنا

وإنه يعجبني نقل حكاية فعلها رجل بحراني مع ذلك الشيخ: وهو أن ذلك الرجل البحراني قال لأصحابه يوماً: امضوا بنا إلى الشيخ حبيب حتى نضحك على لحيته ونأخذ منه مبلغاً من الدراهم، فقالوا له: ما نقدر على هذا الحال.

فقال لهم: لكني أنا أقدر فأتوا إلى الشيخ وهو جالس بين تلاميذه فسلم عليه وقال: يا شيخ أنا رجل من الشيعة أمنتك أمانة وأريدها الآن، فقال: وما هي؟

فقال: إنني ركبت البحر في اليوم الفلاني وقد أشرفت السفينة على الغرق فرمت التجار أموالهم في الماء وقالوا: يا ماء هذا أمانة الشيخ حبيب فلما رأيتهم صنعت أنا مثلهم وكان المال ألف درهم وأظن الماء لا يخونك في الأمانة بل قد أداها إليك، ففكر الشيخ في نفسه وأتباعه جالسون حوله، فقال: نعم يا بحراني صدقت في كلامك هذا إلا أن البحر قد دفع إلي أمانات كثيرة من أهل تلك السفينة فعلم علائم أمانتك.

فقال: إنها مصرورة في خرقة خضراء كذا وكذا صفتها، فقال: صدقت يا بحراني عندنا هذه الأمانه فدخل البيت ووضع دراهماً من ماله في خرقة خضراء فأتى بها إلى البحراني ودفعها إليه، فقال البحراني: نعم هذه أمانتنا.

أنا أخدم ذلك الكلب

وأما الكرامات التي ظهرت من قبور أئمتهم الأربعة فهي أكثر من أن تحصى وأعظمها الكرامات التي شاهدها الناس من قبر أبي حنيفة، وذلك أن السلطان الأعظم شاه عباس الأول لما فتح بغداد أمر أن يجعل قبر أبي حنيفة كنيفاً وقد أوقف وقفاً شرعياً بغلتين وأمر بربطهما على رأس السوق حتى أن كل من يريد الغائط يركبها ويمضي إلى قبر أبي حنيفه لأجل قضاء الحاجة، وقد طلب خادم قبره يوماً فقال له: ما تخدم في هذا القبر وأبو حنيفة الآن في درك الجحيم؟ فقال: إن في هذا القبر كلباً أسود دفنه جدك الشاه إسماعيل لما فتح بغداد فأخرج عظام أبي حنيفة وجعل موضعها كلباً أسود فأنا أخدم ذلك الكلب، وكان صادقاً في مقالته لأن المرحوم الشاه إسماعيل فعل مثل هذا.

أصبح بحمد الله أعمى

ومن كراماته أن حاكم بغداد طلب علماء أهل السنة وعبادهم وقال لهم: كيف ذلك الرجل الأعمى إذا بات تحت قبة موسى بن جعفر عليه السلام يرتد إليه بصره وأبو حنيفة مع أنه الإمام الأعظم

لم نسمع له بمثل هذه الكرامة؟ فأجابوه بأن هذا يصير أيضاً من بركات أبي حنيفة، فقال لهم: أحب أن أرى مثل هذا لأكون على بصيرة من ديني، فأتوا رجلاً فقيراً وقالوا له: أنا نعطيك كذا وكذا من الدراهم والدنانير وقل: إني أعمى وامش متكئاً على العصا يومين أو ثلاثة ثم تأت ليلة الجمعة عند قبر أبي حنيفة فإذا أصبحت فقال: الحمد لله ارتد بصري ببركات صاحب هذا القبر فقبل كلامهم ثم بات تلك الليلة تحت قبته فلما أصبح بحمد الله وهو أعمى لا يبصر شيئا، فصاح وقال: أيها الناس حكايتي كذا وكذا وأنا رجل صاحب عيال وحرفة، فاتصل خبره بصاحب البلد الحاكم فأرسل إليه فقص قصته واحتيالهم عليه فألزمهم بما يحتاج إليه من المعاش مدة حياته، ونحو ذلك من الكرامات التي لا يحتملها المقام.

اعجب ما رآه الخضر عليه السلام

ومن الكتاب المذكور: إنه سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شيء رأيته؟

فقال: أعجب ما رأيت إني مررت على مدينة لم أر على وجه الأرض أحسن منها فسألت بعضهم: متى بنيت هذه المدينة؟

فقالوا: سبحان الله ما يذكر آباؤنا وأجدادنا متى بنيت وما زالت كذلك من عهد الطوفان، ثم غبت عنها خمسمائة سنة وعبرت عليها بعد ذلك فإذا هي خاوية على عروشها ولم أر أحداً أسأله وإذا برعاة غنم فسألتهم عنها فقالوا: لا نعلم فغبت نحواً من خمسمائة عام ثم أتيت إليها فإذا موضع تلك المدينة بحر وإذا غواصون يخرجون منها اللؤلؤ، فقلت لبعض الغواصين: منذ كم هذا البحر هاهنا؟ فقالوا: سبحان الله ما يذكر آباؤنا إلا أن هذا البحر منذ بعث الله الطوفان، ثم غبت عنها نحواً من خمسمائة عام ثم انتهيت إليها فإذا ذلك البحر قد غاض ماءه وإذا مكانه أجمة ملتفة بالقصب والبرد والسباع وإذا صيادون يصيدون السمك في زوارق صغار، فقلت لبعضهم: أين البحر الذي قد كان هاهنا؟

فقالوا: سبحان الله ما يذكر أباؤنا وأجدادنا أنه كان هاهنا بحر قط، فغبت عنها نحو من خمسمائة عام ثم أتيت إلى ذلك الموضع فإذا هو مدينة على حالته الأولى والحصون والقصور والأسواق قائمة، فقلت لبعضهم: أين الأجمة التي كانت هاهنا؟ ومتى بنيت هذه المدينة؟

فقالو: سبحان الله ما يذكر أباؤنا إلا أن هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان، فغبت عنها نحواً من خمسمائة عام ثم انتهيت إليها فإذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم ار أحداً أسأله عنها ثم رأيت راعياً فسألته عن المدينة التي كانت هاهنا ومتى حدث هذا الدخان؟

فقال: سبحان الله وما يذكر أباؤنا وأجدادنا إلا أن هذا الموضع كان هكذا منذ كان، فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي.

ومنه أيضاً: قال بعض مشايخنا من أهل الظرافة: قلت لنحوي وفي بطنه قرقرة: ما هذه القرقرة؟

فقال: يا جاهل في نحونا هذي تسمى الظرطة المضمرة.

قال: سيدنا المرتضى «قدس الله روحه» في عتاب الدنيا: [البحر الطويل]

عتبتُ على الدّنيا فقلتُ إلى متى ... أقُاسي تعباً همُّه ليس ينْجلي
فكلُّ شريفٍ قد علا بجدوده ... حرامٌ عليه الرزقُ غيرُ محللي
فقالتْ نعمْ يا بنَ الحسينِ رميتُكم ... بسهم عنادي حينَ طلّقني علي

وجدت: هذه الأبيات على مدينة سيف بن ذي يزن وهو من أعظم الملوك:

[البحر البسيط التام]

باتُوا على قُللِ الأجبالِ تحرسُهم ... غلبُ الرجالِ فما أغنتهمُ القُللُ
واستنزلُوا بعدَ عزٍّ عن معاقِلهم ... فاستوطنُوا حُفراً يا بئس ما نزلُوا
ناداهمُ صارخٌ من بعدِ دفنهمُ ... أين الأسرَّةُ والتّيجانُ والحُلَلُ
أينَ الوجوهُ التي كانتْ محجّبةً ... من دونِها تُضربُ الأستارُ والكُللُ
فأفصحَ القبرُ عنهمْ حين ساءَلهم ... تلك الوجوهُ عليها الدودُ تنتقلُ
قد طالما أكلُوا يوماً وما شبعوا ... فأصبحُوا بعدَ ذاك الأكلِ قد أكلُوا

ووجد: مكتوباً على قبره أيضاً: [البحر الكامل]

من كانَ لا يطأُ الترابَ برجله ... يطأُ الترابَ بناعمِ الخدِّ
من كان بينك في الترابِ وبينَه ... شبْران كان بغايةِ البعدِ
لو بعثرتْ للناسِ أطباقُ الثّرى ... لم يُعرفِ المولى من العبدِ

خبر شقيق البلخي

من الأخبار المروحة للخاطر العاطر: خبر شقيق البلخي قال: خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية، فبينما أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه مرق ثيابه ثياب من صوف مشتمل بشملة في رجليه نعلان وقد جلس منفرداً وقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم والله لأمضين إليه ولأوبخنه، فدنوت منه فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن أن بعض الظن أثم، ثم تركني ومضى فقلت في نفسي: إن هذا الأمر عظيم قد تكلم بما في نفسي وتكلم باسمي وما هذا إلا عبد صالح لألحقنه ولأسالنه ان يحالني فأسرعت في أثره فلم ألحقه وغاب عني، فلما نزلت الواقصة فإذا هو به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت: هذا صاحبي امضي

إليه واستحله، فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق أتل. ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾(١) ثم تركني ومضى فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال قد تكلم على سري مرتين، فلما نزلت زبالة إذاً بالفتى قائم بالبئر وبيده ركوة يريد أن يستقي ماء فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه فرأيته قد رمق إلى السماء وسمعته يقول شعراً:

[البحر الخفيف]

أنتَ ربّي إذا ظميتُ من الماءِ وقُوتي إذا أردتُ الطَّعاما

اللهم سيدي ما لي غيرها فلا تعدمنيها، قال شقيق: فو الله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤه فمد يده وأخذ الركوة وملأها ماء فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب، فأقبلت إليه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك.

فقال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر فو الله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت ورويت وبقيت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل قائماً يصلي بخشوع وانين فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ثم قام فصلى الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً فخرج فتبعته فإذا له حاشية وموالٍ وهو على خلاف ما رأيته في الطريق ودار به الناس من حوله يسلمون عليه، فقلت لبعض من رأيته يقرب منه: من هذا الفتى؟

فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد، وقد نظمه بعض الشعراء.

ساء صباح المنذرين

من السير: ما كتبه العلامة المحقق الطوسي إلى صاحب حلب بعد فتح بغداد: أما بعد فقد نزلنا بغداد سنة خمس وستمائة فساء صباح المنذرين فدعونا ملكها إلى طاعتنا فأبى فحق عليه القول فأخذناه أخذاً وبيلاً وقد دعوناك إلى طاعتنا فإن أتيت فروح وريحان وجنة نعيم وإن أبيت فلا سلطان منا عليك فلا تكن كالباحث بحتفه عن ظلفه والجادع مارن أنفه بكفه والسلام.

الكلام على حديث الطينة

في كتاب الأنوار النعمانية: قال بعد أن نقل جملة من أحاديث الطينة: ومن جملتها خبر

(١) سورة طه، الآية: ٨٢.

إسحاق الليثي المشتمل على ذكر طينة المؤمن والناصب ما صورته: الثاني في الكشف عن معناها فنقول: قد سلك أصحابنا رضوان الله عليهم فيها مسالك مختلفة:

(أولها): ما صار إليه سيدنا الأجل علم الهدى من أنها أخبار آحاد مخالفة للكتاب والإجماع فوجب ردها، فلذلك طرحها كما هو مذهبه في أخبار الآحاد أينما وردت، وذلك لأن الكتاب والإجماع قد دل على أن صدور الحسنة والسيئة إنما هو باختيار العبد وليس فيه مدخل للطينة.

والجواب أن أصحابنا قد رووا هذه الأخبار بالأسانيد المتكثرة في الأصول وغيرها فلم يبق مجال في إنكارها والحكم عليها بأنها أخبار آحاد، بل صارت أخباراً مستفيضة بل متواترة، وأما مخالفتها للكتاب والسنة والإجماع فسيأتي الجواب عنه.

(وثانيها): ما ذهب إليه ابن إدريس من أنها أخبار متشابهة يجب الوقوف عندها وتسليم أمرها إليهم عليهم السلام فإن كلامهم كالقرآن يتنوع إلى محكم ومتشابه ونحو ذلك، وهذا أقرب من الأول وأسلم عاقبة لكن يرد عليه أن هذه الأخبار قد ألقاها الأئمة عليهم السلام إلى الشيعة للتفهم والتعليم وأن يعتقدوا معانيها كما ألقيت إليهم، ولعلهم قد فهموا معانيها بقرائن الحال والمقال.

(وثالثها): ما صار إليه بعض المحدثين من حملها على المجاز والكناية كما يقال في العرب لمن أسدى خيراً إلى عباد الله وحسن خلقه: «هذا رجل قد عجنت طينته بفعل الخير وحب الكرم والتقوى» وهذا في غاية البعد، بل حمل هذه الأخبار خصوصاً الخبر الأول على مثل هذا غير محتمل بوجه من الوجوه وإن احتمله بعض أخبار هذا الباب.

(ورابعها): هو المشهور في تأويل هذه الأخبار وما ظاهرها مما ظاهره الخبر وفي الاختيار الوارد في كل الأخبار من أنه منزل على العلم الآلهي، فإنه سبحانه قد علم الأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها، وقد علم في الأزل أحوال الخلق في الأبد وما يأتونه وما يذرونه باختيار منهم، فلما علم منهم هذه الأحوال وأنها تقع باختيارهم عاملهم هذه المعاملة كالخلق من الطينة الخبيثة المنتنة والأحوال الصادقة.

وروى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى ابن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه».

فقال: الشقي من علم الله عزّ وجلّ وهو في بطن أمه سيعمل أعمال الأشقياء والسعيد من علم الله عزّ وجلّ وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء قلت: فما معنى قوله عليه السلام: اعملوا وكل ميسر لما خلق له؟

فقال: إن الله عزّ وجلّ خلق الجن والانس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فيسر كلاً لما خلق له، فالويل لمن استحب العمى على

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

الهدى، وهذا الحديث الشريف يكشف عن فرد واحد من أفراد هذه المقالة، ولكن الظاهر أن حكم ما عداه حكمة لاتحاد الطريق.

(وخامسها): ما خطر بالبال ولكن أخذاً من كلام الطاهرين عليهم السلام وحاصله: أنك قد تحققت من الأنوار السابقة أن خلق الأرواح قد كان قبل خلق عالم الذر وقد أجج سبحانه ناراً وكلف تلك الأرواح بالدخول فمنهم من بادر إلى الامتثال ومنهم من تأخر عنه ولم يأت به فمن هناك جاء الإيمان والكفر ولكن بالاختيار، فلما أراد الله سبحانه أن يخلق لتلك الأرواح أبداناً تتعلق بها جعل لكل نوع من الأرواح نوعاً مناسباً له من الأبدان، كأن جعل للأرواح الطيبة أبداناً مثلها وكذلك للأرواح الخبيثة أبداناً مثلها فيكون ما صنع سبحانه بها جزاء لذلك التكليف السابق، نعم لما مزج الطينيتن أثر ذلك المزج في فعل الأعمال الحسنة وضدها.

فإن قلت: إذا كان الحال على هذا المنوال فلأي شيء قال الصادق عليه السلام لأبي إسحاق الليثي: «لا تطلع على سرنا أحداً إلا مؤمناً وإن أطلعت غيره على هذا ابتليت في نفسك ومالك وأهلك» وما معنى هذه التقية ومن أي فريق تكون؟

قلت: يجوز أن تكون هذه التقية من المخالفين فإنهم إذا فهموا هذا العلم علموا من القرائن أن ليس المراد بأهل الشمال المذكورين في الخبر الأهم ومثل هذا مما يتقي فيه قطاً، ويجوز أن تكون تقية أو اتقاء على الشيعة وأن عوامهم إذا سمعوا بمثل هذا أقبلوا على الإتيان بأنواع المحارم والذنوب، فيكونون قد أتوا ذنوباً تزيد على ما يقتضيه مزج الطينتين لأنك قد تحققت أن اللمم - وهي الصغائر القليلة - قد يفعله المؤمنون بمقتضى مادته وطبعه.

وأما الكبائر كالزنا واللواط ونحو ذلك فهذا إنما يفعلها بمقتضى ما وصل إليه من خلط الطينات، فإذا اطلع على مثل هذا الحديث تعمد أفعال الكبائر لحصول اللذة الدنيوية ولعلمه بأن وبالها الأخروي إنما هو على غيره فقد أتي بفعل من مادته وطبيعته وزاد على ما أتي إليه من حديث المزج لأن معاصي المزج هي المعاصي المتعارفة الوقوع في كل الأعصار بمقتضى الدواعي، وأما إذا كان الداعي ما عرفت من إنها ذنوب على الغير وإن فعلها هو فلا يكون مثلها من المعاصي المتعارفة فيكون إنما أتى بها منه ومن مادته لا من قضية المزج - فتأمل وتفكر في هذا المقام وقد بقي هاهنا أبحاث شريفة وشحنا بها شرحنا على الصحيفة.

موعظة ارساطاطاليس للاسكندر

كتب الإسكندر: إلى أرسطاطاليس: عظني فكتب إليه: إذا صفت لك السلامة فجدد ذكر العطب، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف، فإذا بلغت نهاية الأمل فاذكر الموت، وإذا أحببت نفسك فلا تجعل لها نصيباً في الإساءة.

عملك معك لا مالك

ولله در من قال: شعراً: [البحر الطويل]

كأنّك لم تسمعْ بأخبارِ منْ مضى ... ولم ترَ بالباقين ما صنعَ الدهرُ
فإنْ كنتَ لا تدري بأنَّ ديارَهم ... عَفاها مجالُ الريحِ بعدَك والقطرُ
وهل أبصرتْ عيْناك حيّاً بمنزلٍ ... مدى الدهرِ إلا بالعراءِ له قبرُ
فلا تحسبنَّ الوفْرَ مالاً جمعتَهُ ... ولكنَّ ما قدمْتَ من صالحٍ وفرُ
مَضى جامعُ الأموالِ لم ينتفعْ بها ... سوى الفقرِ يا بؤساً لمن زادُه الفقرُ
فحتّام لا تصحُو وقد قرُب المدى ... وحتّامَ لا ينْجلي عن قلبِك السكرُ
بلى سوف تصحُو حين ينكشفُ الغطا ... وتذكرُ قولي حين لا ينفعُ الذكرُ
وما بينَ ميلادِ الفَتى ووفاتِه ... إذا انتصحَ الأقوامُ أنفسهم عمرُ
لأنَّ الذي يأتي شبيه الذي مضى ... وما هو إلا وقتُك الضيّقُ النزْرُ
فصبْراً على الأيامِ حتى تجوزها ... فعمّا قليلٍ بعدَها يحمدُ الصبرُ

نصح وموعظة

لابن أبي الحديد: [البحر الكامل]

يا مدهشَ الألبابِ والفطنِ ... ومحيّرَ التقوالةِ اللُّسنِ
أفنيتُ فيك العمرَ أنفقه ... والمالَ مجّاناً بِلا ثمنِ
اطلبُ العليا واسألُهم ... وأجولُ في البلدانِ والمدنِ
وأخالطُ المللَ التي اختلفتْ ... في الدينِ حتى عابدَ الوثنِ
وأظنُّ إني بالغٌ غرضي ... لمّا اجتهدتُ ومبْرئي شجني
أمنتُ ياحذرَ الأصمِّ من الأعداءِ بل يا فتنةَ الفتنِ
فإذا الذي استكثرْتَ منه هو الجاني عليَّ عظائم المحنِ
فغدوتُ أنكتُ في الثّرى بيدي ... طوراً وارغمُ تارةً ذقني
وأقولُ يا منْ ليس يُدركُه ... شيءٌ من الأحقابِ والزمنِ
أن ليس تُدركُك العقولُ ... وإنَّ الرأيَ ذو افنٍ وذو افنِ
والكلُّ أنت فكيف يُدركُه ... بعضٌ لنا في السرِّ والعلنِ

لعبد الحميد بن أبي الحديد: عليه ما يستحق: [البحر الرمل المجزوء]

فيكَ يا أغلوطةَ الكونُ غدا الفكرُ كليلا

أنتَ بلبلتَ ذوي اللبِّ ونهَّبتَ العُقولا
كلّما أعملتُ فِكري فيكَ شبْراً فرَميلا
تائهاً يخبُط في عشوى ولا يُهدى سبيلا

تاه الأنام

وله أيضاً: [البحر الكامل المجزوء]

تاهَ الأنامُ بسكرِهم فلذاك صاحَ القومُ عربدْ
ونجا من الشِّركِ الكثيفِ مبرءُ الغرماتِ مفردْ
تاللهِ لا موسى الكليمُ ولا المسيحُ ولا محمدْ
كلا ولا جبريلُ وهو إلى محلُ القدسِ يصعدْ
عرفُوا ولا النفسُ البسيطُ لا ولا العقلُ المجرّدْ
عن كنْهِ ذاتِك غيرَ أنَّك أوحديُّ الدهرِ سرمدْ
وجدوا إضافاتٍ وسلباً والحقيقةُ ليس توجدْ
فليخسأ الحكماءُ عن حرم له الأملاكُ سجَّدْ
ما أنت يا رسْطُو ومن أفلاطُ بعدَك يا مبَلَّدْ
ومن ابْنُ سينا حيث أسَّسَ ما بنَاه لكمْ وشيَّدْ
ما أنتمُ إلا الفراشُ رأى السِّراجَ وقد توقَّدْ
فدنا وأحرقَ نفسَه ولو اهْتدى رشْداً لأبعدْ

مغمور

لله در من قال: [البحر المتقارب]

أليسَ عجيباً بأنَّ امرأً لطيفُ الطّباعِ حكيمُ الكلمْ
يموتُ وما حصلتْ نفسُه سوى علمِه أنَّه ما علمْ

سئل الحسن: بن علي عليه السلام: ما أعظم الناس قدراً؟ فقال: من يبال بالدنيا في يد من كانت.

سعد أيام الشهور ونحوساتها

من بحار الأنوار: أقول: روي عن الصادق عليه السلام أخبار في سعادة أيام الشهور ونحوساتها جمعت بينها مشيراً إلى مواضعها ومأخذها.

اليوم الأول: الدروع الباقية وقال السيد ﷺ فيما تذكره من الرواية بأدعية ثلاثين فصلاً لكل يوم من الشهر فصل منها مروية عن الصادق عليه السلام بروايات متكثرة وهي اختيارات الأيام ودعاؤها لكل يوم جديد - إلى أن قال:

اليوم الأول من الشهر: عن الصادق عليه السلام أنه خلق فيه آدم، وهو يوم مبارك لطلب الحوائج والدخول على السلطان وطلب العلم والتزويج والسفر والبيع والشراء واتخاذ الماشية، ومن هرب فيه أو ضل قدر عليه إلى ثمان ليال، والمريض فيه يبرأ، والمولود يكون سمحاً مرزوقاً مباركاً.

وقال سلمان الفارسي: هو «روز هرمز» اسم من أسمائه تعالى يوم مختار مبارك يصلح لطلب الحوائج والدخول على السلطان، قال السيد: وفي رواية أخرى بحذف الإسناد عن الصادق عليه السلام وقد سأله سائل عن اختيارات الأيام فقال عليه السلام: اليوم الأول خلق فيه آدم عليه السلام يوم صالح مسعود خاطب فيه السلطان وتزوج واعمل فيه كل شيء تريده من حاجة.

المكارم عن الصادق يصلح للقاء الأمراء وطلب الحوائج والشراء والبيع والمزارعة والسفر.

زوائد الفرائد عن الصادق عليه السلام: وهو يوم مبارك محمود فيه خلق الله تعالى آدم، وهو يوم سعيد لطلب الحوائج والدخول على السلطان وابتداء الأعمال والبيع والشراء والأخذ والعطاء، ومن ولد له كان محبوباً مقبولاً مرزوقاً مباركاً، ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعالى وفي رواية أخرى: من خرج فيه هارباً أو ضالاً قدر عليه إلى ثمان ليال.

بيان ما روي في سياق ما مر وسيأتي عن سلمان ﷺ موافق لما رواه علماء النجوم وأصحاب التقاويم عن الفرس لكن في تصحيحها اختلافات نشير إليها قال: اليوم الأول «روز هرمز» وبعضهم يسميه فرخ وبعضهم به روز.

اليوم الثاني: الدروع عن الصادق عليه السلام: فيه خلقت حوا من آدم عليه السلام يصلح للتزويج وبناء المنازل وكتب العهود والسفر وطلب الحوائج والاختيارات، ومن مرض فيه أول النهار خف أمره بخلاف آخره، والمولود فيه صالح للتربية، وقال سلمان: هو «روز بهمن» اسم ملك تحت العرش يوم مبارك للتزويج وقضاء الحوائج سعيد.

وفي الرواية الأخرى: تزوج وآت أهلك من السفر واشتر وبع واطلب فيه الحوائج واتق فيه السلطان.

المكارم عنه عليه السلام: يصلح السفر وطلب الحوائج. الزوائد عن الصادق عليه السلام: يوم محمود خلق الله تعالى فيه حوى، وهو يوم يصلح للتزويج والتحويل والشراء والبيع والبناء والزرع والغرس والسلف والقرض والمعاملة والدخول بالأهل وطلب الحوائج ولقاء السلطان، ومن مرض فيه يبرأ، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً، وفي رواية أخرى: إنه يصلح لكتب العهد، ومن مرض في أوله كان مرضه خفيفاً وفي آخره كان ثقيلاً.

اليوم الثالث: الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم نحس مستمر نزع آدم وحوى لباسهما وأخرجا من الجنة فاجعل شغلك فيه صلاح منزلك ولا تخرج من دارك إن أمكنك واتق فيه السلطان والبيع والشراء وطلب الحوائج والمعاملة والمشاركة، والهارب فيه يوجد والمريض فيه يجهد والمولود فيه يكون مرزوقاً طويل العمر.

وقال سلمان: هو «روز أردي بهشت» اسم الملك الموكل بالشقاء والنعم، يوم ثقيل نحس لا يصلح لأمر من الأمور، وفي الرواية الأخرى عنه: يوم نحس فيه سلب آدم وحواء لباسهما فلا تشتر فيه ولا تبع ولا تأت فيه السلطان ولا تطلب فيه حاجة.

المكارم: رديء لا يصلح لشيء جملة. الزوائد عنه عليه السلام: يوم نحس فيه قتل هابيل أخوه قابيل عليه اللعنة والعذاب السرمد، وهو يوم مذموم لا تسافر فيه ولا تعمل عملاً ولا تلق فيه أحداً واستعذ بالله من شره بعوذة أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومن ولد فيه كان منحوساً، ومن مرض فيه وفي ليلته كان يخاف عليه إلا أن يشاء الله غير ذلك.

وفي رواية اخرى: أن من ولد فيه كان مرزوقاً طويل العمر وفيه سلب آدم وحواء لباسهما وأخرجا من الجنة، والهارب فيه يوجد والمريض فيه يجهد. أقول: المضبوط عند الفرس: «أردي بهشت» الأشجار والأراضي وظهور الأزهار.

اليوم الرابع: عن الصادق عليه السلام: أنه يوم صالح للزرع والصيد والبناء واتخاذ الماشية ويكره فيه السفر، فمن سافر فيه خيف عليه القتل والسلب أو بلاء يصيبه، وفيه مولود هابيل، والمولود فيه يكون صالحاً مباركاً، ومن هرب فيه عسر طلبته ولجأ إلى من يمنعه. وقال سلمان: «روز شهر بور» اسم الملك الذي خلقت فيه الجواهر ووكل بها وهو موكل ببحر الروم، وفي الرواية الأخرى: يوم صالح للتزويج والصيد، ويذم فيه السفر، ومن سافر فيه سلب، وفيه ولد هابيل بن آدم.

المكارم عنه عليه السلام: صالح للتزويج ويكره السفر فيه. الزوائد عنه عليه السلام: هو يوم متوسط صالح لقضاء الحوائج، فيه ولد هبة الله شيث بن آدم عليه السلام. ولا تسافر فيه فإنه مكروه ومن ولد فيه كان مباركاً، ومن مرض فيه شفي ليلته بإذن الله تعالى، وفي رواية أخرى: أن هابيل ولد فيه أيضاً، ويخاف فيه على المسافر السلب والقتل وبلاء يصيبه، ومن هرب فيه نجا إلى من يمنع منه، أقول: اسمه عند الفرس: «شهر بور» بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وكسر الراء المهملة وسكون الباء وفتح الواو.

اليوم الخامس: الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم نحس مستمر فيه ولد قابيل الشقي الملعون، وفيه قتل أخاه، وفيه دعا بالويل على نفسه، وهو أول من بكى في الأرض فلا تعمل فيه عملاً ولا تخرج من منزلك، ومن حلف فيه كاذباً عجل له الجزاء ومن ولد فيه صلح حاله.

وقال سلمان: «روز اسفندار» اسم الملك الموكل بالأرضين، يوم نحس فلا تطلب فيه

حاجة ولا تلق فيه سلطاناً، وفي الرواية الأخرى عنه عليه السلام: ولد فيه قابيل وفيه قتل أخاه ولا تطلب فيه حاجة. المكارم عنه عليه السلام: روي أنه نحس.

الزوائد: هو يوم نحس مستمر فيه لعن إبليس وهاروت وماروت وكل فرعون وجبار وفيه لعن وعذب، وهو يوم نحس نكد عسر لا خير فيه فاستعذ بالله من شره، ومن ولد فيه كان مشؤوماً فقير أنكد الحياة عسير الرزق، ومن مرض فيه أو في ليلته ثقل مرضه وخيف عليه، وفي رواية أخرى: فيه قتل هابيل وينظر في إصلاح الماشية، ومن كذب عجل الله له الجزاء، أقول: المشهور عند الفرس اسفندار ويقال اسبندار وسبيندار بإلحاق مد في الجميع.

اليوم السادس: الدروع: عن الصادق عليه السلام: أنه يوم صالح للتزويج، ومن سافر فيه في بر أو بحر رجع إلى أهله بما يحبه، جيد لشراء الماشية، ومن ضل فيه أو أبق وجد، ومن مرض فيه برئ، ومن ولد فيه صلحت تربيته وسلم من الآفات، وقال سلمان الفارسي: «روز خرداد» اسم ملك موكل بالجن يصلح للتزويج والمعاش وكل حاجة، والأحلام يظهر تأويلها بعد يوم أو يومين.

وفي الرواية الأخرى: يوم صالح للتزويج والصيد والمعاش وكل حاجة، المكارم عنه عليه السلام: مبارك يصلح للتزويج وطلب الحوائج. الزوائد عنه عليه السلام: يوم صالح ولد فيه نوح، يصلح للحوائج والسلطان والسفر والبيع والشراء والديون والقضاء والأخذ والعطاء والنزهة والصيد، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً موسعاً عليه في حياته، ومن مرض فيه أو في ليلته لم يجاوز مرضه أسبوعا ثم يبرأ بإذن الله تعالى، وفي رواية أخرى: يصلح للتزويج وشراء الماشية، أقول: خرداد عندهم بضم الخاء المعجمة.

اليوم السابع: الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم صالح لجميع الأمور، ومن بدأ فيه بالكتابة أكملها ومن بدأ فيه بعمارة أو غرس حمدت عاقبته، ومن ولد فيه صلحت تربيته ووسع عليه رزقه، وقال سلمان: «روز مردار» اسم ملك موكل بالناس وأرزاقهم، وهو يوم مبارك سعيد فافعل فيه ما تشاء من الخير.

وفي الرواية الأخرى: يوم صالح مثل السادس، المكارم عنه عليه السلام: مبارك مختار يصلح لكل ما يراد ويسعى فيه. الزوائد عنه عليه السلام: يوم سعيد مبارك فيه ركب نوح السفينة، فاركب البحر وسافر في البر والق العدو واعمل ما شئت فانه يوم عظيم البركة محمود لطلب الحوائج والسعي فيها، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً على نفسه وأبويه خفيف النجم موسعاً عيشه، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.

وفي رواية أخرى: يصلح لابتداء الكتابة والعمارة وغرس الأشجار، أقول: مردار أيضاً بالضم، وقال أبو ريحان: معناه دوام الخلق أبداً من غير فناء.

اليوم الثامن: الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم صالح لكل حاجة من بيع أو شراء ومن

دخل على سلطان قضيت حاجته، ويكره فيه ركوب البحر والسفر في البر والخروج إلى حرب، ومن ولد صلحت ولادته، ومن هرب فيه لم يقدر عليه إلا بتعب، ومن ضل فيه لم يرشد إلا بجهد، والمريض فيه يجهد.

وقال سلمان: «روز تيادرا» اسم من أسمائه تعالى، وهو مبارك سعيد صالح لكل أمر تريد من الخير. وفي الرواية الأخرى: يوم مبارك صالح لكل حاجة إلا السفر. المكارم: ويصلح لكل حاجة إلا السفر فانه لا يكن فيه.

الزوائد عنه عليه السلام: يوم صالح للبيع والشراء فاشتر فيه وبع وخذ واعط ولا تعرض للسفر فإنه يكره فيه سفر البر والبحر، ومن ولد فيه كان متوسط الحال طويل العمر، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى، وفي رواية أخرى: يصلح للقاء السلطان وقضاء الحوائج منه، ومن هرب لم يقدر عليه إلا بتعب، ومن ضل فيه لم يرشد إلا بجهد وقيل من مرض هلك، أقول: المعروف عندهم ديبادر.

اليوم التاسع: الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم خفيف صالح لكل أمر تريده فابدأ فيه بالعمل واقترض فيه وازرع واغرس، ومن حارب فيه غلب ومن سافر فيه رزق مالاً ورأى خيراً، ومن هرب فيه نجا، ومن مرض فيه ثقل، ومن ضل قدر عليه، ومن ولد فيه صلحت ولادته ووفق فيه في كل حالاته، وقال سلمان «روز اذر» اسم ملك موكل بالميزان يوم القيامة محمود الأحلام تصح فيه من يومها.

وفي الرواية الأخرى: يوم خفيف لكل أمر يريده، والمولود فيه يكون مرزوقاً في معيشته ولا يصيبه ضيق، المكارم عنه عليه السلام: مبارك يصلح لكل ما يريده الإنسان ومن سافر فيه رزق مالاً ويرى في سفره كل خير.

الزوائد عنه عليه السلام: يوم صالح محمود ولد فيه سام بن نوح، وهو يوم مبارك يصلح للحوائج والدخول على السلطان وجميع الأعمال والدين والقرض والأخذ والعطاء، ومن ولد فيه كان محبوباً مقبولاً عند الناس يطلب العلم ويعمل بأعمال الصالحين، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.

وفي رواية أخرى: من سافر فيه رزق ولقي خيراً، ويصلح للغرس والزرع، ومن حارب فيه غلب، ومن هرب ولجأ إلى السلطان يمنع عليه، ومن مرض فيه ثقل.

أقول: عندهم آذر بالألف الممدودة ثم الدال المعجمة المفتوحة اسم للنار والملك الموكل بها، وصحيح بعضهم بضم الدال والأول أشهر.

اليوم العاشر: الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه ولد فيه نوح عليه السلام، ومن ولد فيه يكبر ويهرم ويرزق، يصلح للبيع والشراء، والضالة فيه توجد والهارب فيه يظفر به ويحبس، وينبغي للمريض فيه أن يوصي، وقال سلمان: «روز أبان» اسم ملك موكل بالبحار والأودية، يوم خفيف مبارك،

ومن هرب فيه من سلطان أخذ، ومن ولد فيه لم يصبه ضيق وكان مرزوقاً، والأحلام فيه تظهر في مدة عشرين يوماً.

وفي الرواية الأخرى: فيه ولد نوح عليه السلام يوم صالح للحرث والزرع وكل خير. المكارم: صالح لكل حاجة سوى الدخول على السلطان ومن فر من السلطان أخذ ومن ضلت له ضالة فيه وجدها، وهو جيد للبيع والشراء، ومن مرض فيه برئ.

الزوائد عنه عليه السلام: يوم محمود رفع الله فيه إدريس مكاناً علياً، وفيه أخذ موسى التوراة يصلح لكتب الكتب والشروط والعهود وأعمال الدواوين والحساب، ومن ولد فيه كان مباركاً حليماً صالحاً عفيفاً، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه، وفي رواية أخرى: يصلح للبيع والشراء ومن ضلت له ضالة وجدها، ويستحب للمريض فيه، ومن هرب فيه ظفر فيه وسجن.

اليوم الحادي عشر: الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه ولد فيه شيث، صالح لابتداء العمل والبيع والشراء والسفر ويجتنب فيه الدخول على السلطان ومن هرب فيه رجع طائعاً، ومن مرض فيه يوشك أن يبرأ، ومن ضل فيه سلم، ومن ولد فيه طاب عيشه غير أنه لا يموت حتى يفتقر ويهرب من سلطان وقال سلمان: «روز خور» اسم ملك موكل بالشمس يوم خفيف مثل الذي تقدمه، وفي الرواية الأخرى: من هرب فيه أخذ، ومن ولد فيه يكون مرزوقاً في معيشته ويعمر حتى يهرم ولا يفتقر أبداً.

المكارم عنه عليه السلام: يصلح للشراء والبيع ولجميع الحوائج وللسفر ما خلا الدخول على السلطان وإن التواري فيه يصلح. الزوائد عنه عليه السلام: صالح للشراء والبيع والمعاملة والقرض، ويكره فيه الدخول على السلطان ومعاملته والتصرف فيه، ومن ولد فيه كان مباركاً صالحاً للتربية، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.

أقول: عندهم خور بضم الخاء ومنهم من صححه بالفتح والأول أظهر، يؤيده دخول الواو في الكتاب، وفي رواية أخرى: إنه ولد فيه شيث عليه السلام ومن هرب فيه رجع طائعاً ومن ضل فيه سلم، وذكر أيضاً إنه يموت فقيراً ويهرب من السلطان.

اليوم الثاني عشر: الدروع عن الصادق عليه السلام: إنه يوم صالح للتزويج وفتح الحوانيت والشركة وركوب البحار، تجتنب فيه الوسائط بين الناس والمريض يوشك أن يبرأ، والمولود فيه يكون حسن التربية، قال سلمان: «روز ماه» يوم مختار، وهو اسم ملك موكل بالقمر، وفي الرواية الأخرى: مثل الحادي عشر.

المكارم عنه عليه السلام: يوم صالح مبارك فاطلبوا فيه حوائجكم واسعوا لها فإنها تقضى. الزوائد عنه عليه السلام: يوم مبارك فيه قضى موسى الأجل، وهو يوم التزويج والمشاركة وفتح الحوانيت وعمارة المنازل والبيع والشراء والأخذ والعطاء، ومن ولد فيه يكون عفيفاً ناسكاً صالحاً، ومن مرض فيه أو في ليلته من حمى خيف عليه إلا أن يشاء الله تعالى، وفي رواية

أخرى: يستحب فيه ركوب الماء ولا يرتكب فيه الوسائط يعني الوسائط بين الناس.

اليوم الثالث عشر: الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم نحس فاتق فيه المنازعة والحكومة ولقاء السلطان وكل أمر ولا تدهن فيه ولا تحلق فيه شعراً، ومن ضل فيه أو هرب سلم، ومن مرض فيه أجهد، والمولود فيه ذكر أنه لا يعيش، وقال سلمان: «روز نيز» اسم ملك موكل بالنجوم، يوم نحس رديء فاتق فيه السلطان وجميع الأعمال، والأحلام تصح فيه بعد تسعة أيام. وفي الرواية الأخرى: يوم نحس لا تطلب فيه حاجة.

المكارم عنه عليه السلام: يوم نحس فاتقوا فيه جميع الأعمال. الزوائد عنه عليه السلام: يوم نحس فيه هلك ابن نوح وامرأة نوح، وهو يوم مذموم في حال فاستعذ بالله من شره، ومن ولد فيه كان مشؤوماً عسير الرزق كثير الحقد نكد الخلق، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه والله أعلم.

وفي رواية أخرى: يتقى فيه المنازعات ولقاء السلاطين والحكومات وحلق الرأس ودهن الشعر، ومن هرب فيه سلم، وإن ولد فيه ذكر لم يعش.

اليوم الرابع عشر: الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم صالح لكل شيء، ومن ولد فيه يكون غشوماً، وهو جيد لطلب العلم، والبيع والشراء والسفر والاستعراض وركوب البحر، ومن هرب فيه أخذ ومن مرض فيه برئ وقال سلمان: «روز جوش» اسم ملك موكل بالإنس والجن والريح، يوم مبارك سعيد يصلح لكل شيء وللقاء السلطان وأشراف الناس وعلمائهم، ومن ولد فيه يكون كاتباً أديباً يكثر ماله آخر عمره، والأحلام تصح بعد ستة وعشرين يوماً، وفي الرواية الأخرى: يوم سعيد صالح لكل حاجة، ومن ولد فيه عمر ويكون مشغولاً بطلب العلم ويكثر ماله في آخر عمره.

المكارم عنه عليه السلام: جيد للحوائج وكل عمل، الزوائد عنه عليه السلام: يوم صالح لما تريد من قضاء الحوائج ولقاء الملوك وطلب العلم وأعمال الديوان، ومن ولد فيه عاش سليماً سعيداً وكان في أموره مسدداً محموداً مرزوقاً، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ من مرضه ولم يطل والله أعلم.

وفي رواية أخرى: أن من ولد فيه يكون في آخر عمره كثير المال ويكون غشوماً ظلوماً، يصلح للبيع والشراء والاستقراض والقرض وركوب البحر، ومن هرب فيه يؤخذ. أقول: جوش بضم الجيم وسكون الواو.

اليوم الخامس عشر: في العدد القوية لدفع المخاوف اليومية للشيخ رضي الدين علي بن مطهر الحلي قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم مبارك يصلح لكل حاجة والسفر وغيره فاطلبوا فيه الحوائج فإنها مقضية، وفي رواية أخرى محذور نحس في كل الأمور إلا من أراد أن يستقرض أو يقرض أو يشاهد ما يشري، ولد فيه قابيل وكان ملعوناً وهو الذي قتل أخاه فاحذروا فيه كل الحذر ففيه خلق الغضب، ومن مرض فيه مات.

وفي رواية أخرى: من مرض فيه برئ عاجلاً، ومن هرب فيه ظفر به، ومن ولد فيه يكون سيئ الخلق. وفي رواية أخرى من ولد فيه يكون ألتغ أو أخرس أو ثقيل اللسان.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ولد فيه يكون أخرس وألتغ، وقالت الفرس: إنه يوم خفيف. وفي رواية أخرى: يوم مبارك يصلح لكل عمل وحاجة، والأحلام فيه تصح بعد ثلاثة أيام، يحمد فيه لقاء القضاة والعلماء والتعليم وطلب ما عند الرؤساء والكتاب، وقال سلمان: «ويمهروز» اسم من أسماء الله تعالى.

الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم صالح لكل الأمور إلا من أراد أن يستقرض أو يقرض، ومن مرض فيه برئ عاجلاً، ومن هرب فيه ظفر به، والمولود فيه يكون ألتغ أو أخرس. وقال سلمان: «روز يهر» اسم من أسمائه تعالى يصلح لكل حاجة، والأحلام فيه تصح بعد ثلاثة أيام. وفي الرواية الأخرى: يوم صالح لكل أمر. والمولود يكون أخرس أو ألتغ.

المكارم: صالح لكل حاجة تريدها فاطلبوا فيه حوائجكم فإنها تقضى. الزوائد: يوم صالح لكل عمل أو حاجة ولقاء الأشراف والعظماء والرؤساء فاطلب فيه حوائجك والق سلطانك وأعمل ما بدا لك فإنه يوم سعيد، ومن ولد فيه يكون ألتغ اللسان أو أخرس، ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه إلا أن يشاء الله.

وفي رواية أخرى: يوم محذور ويصلح الاستقراض والقرض ومشاهده ما يشري، ومن مرض فيه برئ، ومن هرب يظفر به بمكان قريب.

«بيان» الألتغ محركة واللثغة بالضم تحول اللسان من السين إلى التاء أو من الراء إلى الغين أو اللام أو الياء أو من حرف إلى آخر أو لأن لا يتم رفع لسانه وفيه ثقل، لثغ كفرح وهو ألثغ، وتصحيح الاسم عندهم بالدال المفتوحة والياء الساكنة والباء المكسورة وفي نسخ الدروع بسقوط الميم وفتح الفاء وإنما ابتدأنا النقل من العدد من هذا اليوم لأنه لم يصل إلينا من هذا الكتاب إلا من اليوم الخامس عشر إلى آخر الشهر ومن أول الشهر إلى هذا اليوم كان ساقطاً.

اليوم السادس عشر: العدد قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم نحس مستمر رديء فلا تسافر فيه ومن سافر فيه هلك ويناله مكروه فاجتنبوا فيه الحركات، واتقوا فيه الحوائج ما استطعتم فلا تطلبوا فيه حاجة، ويكره فيه لقاء السلطان، وفي رواية: يصلح للتجارة والبيع والشراء والمشاركة والخروج إلى البحر، ويصلح للأبنية ووضع الأساسات ويصلح لعمل الخير.

وفي رواية: خلقت فيه المحبة والشهوات وهو يوم السفر فيه جيد في البر والبحر استأجروا فيه من شئتم وادفع فيه إلى من شئت، ومن ولد فيه يكون مجنوناً لا محالة ويكون نحيلاً، وفي رواية: من ولد في صبحيته إلى الزوال كان مجنوناً وإن ولد بعد الزوال إلى آخره صلحت حاله، ومن هرب فيه يرجع، ومن ضل فيه سلم، ومن ضلت له ضالة وجدها، ومن مرض فيه برئ عاجلاً.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: من مرض فيه خيف عليه الهلاك، وقالت الفرس: إنه يوم خفيف، وفي رواية: أنه جيد لكل ما يراد من الأعمال والنيات والتصرفات، والمولود فيه يكون عاملاً، وهو يوم لجميع ما يطالب فيه من الأمور الجيدة. وفي رواية: أنه يوم نحس مستمر من ولد فيه يكون مجنوناً لا بد من ذلك، ومن سافر فيه يهلك، ويصلح لعمل الخير ويتقي فيه الحركة، والأحلام يصح فيه بعد يومين. قال سلمان الفارسي: «مهر روز» اسم الملك الموكل بالرحمة.

الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم نحس لا يصلح لشيء سوى الأبنية والأساسات، ومن سافر فيه هلك، ومن هرب فيه رجع، ومن ضل فيه سلم، ومن مرض فيه برئ سريعاً، والمولود يكون فيه مجنوناً إن ولد قبل الزوال وإن ولد بعد الزوال صلحت حاله، وقال سلمان الفارسي: «روز مهر» اسم ملك موكل بالرحمة، وهو يوم نحس فاتق فيه الحركة، والأحلام تصح فيه بعد يومين.

وفي الرواية الأخرى: يوم نحس ومن ولد فيه يكون مجنوناً، ومن سافر فيه هلك.

المكارم: رديء مذموم لكل شيء. الزوائد عنه عليه السلام: يوم نحس رديء مذموم لا خير فيه فلا تسافر فيه ولا تطلب حاجة وتوق ما استطعت ونعوذ بالله من شره، ومن ولد فيه يكون مشؤوماً عسر التربية منحوساً في عيشه، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه ويطول مرضه والله أعلم. وفي رواية أخرى: من سافر فيه هلك، ويكره فيه لقاء السلطان ويصلح للتجارة والبيع والمشاركة والخروج إلى البحر والأبنية والأساسات، والذي يهرب فيه يرجع ومن ضل فيه سلم، ومن ولد له في صبيحته إلى الزوال كان مجنوناً ومن بعد الزوال يكون أعماله صالحة، أقول: مهر عندهم بكسر الميم وسكون الهاء.

اليوم السابع عشر: العدد قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم صاف مختار لجميع الحوائج يصلح للبيع والشراء والتزويج والدخول على السلطان وغير ذلك، صالح لكل حاجة فاطلب فيه ما تريد فإنه جيد، خلقت فيه القوة وخلق فيه ملك الموت، وهو الذي بارك فيه الحق على يعقوب عليه السلام جيد صالح للعمارة وفتق الأنهار وغرس الأشجار، والسفر فيه لا يتم. وفي رواية أخرى: هذا اليوم متوسط يحذر فيه المنازعة، ومن أقرض فيه شيئاً لم يرد إليه وإن رد فيجهد، ومن استقرض فيه شيئاً لم يرده.

قال ابن معمر في رواية أخرى: أنه يوم ثقيل لا يصلح لطلب الحوائج فاحذر فيه وأحسن إلى ولدك وعبدك ومن مرض فيه يبرأ والرؤيا فيه كاذبة والآبق فيه يوجد، ومن ولد فيه عاش طويلاً وصلحت حاله وتربيته ويكون عيشه طيباً لا يرى فيه فقراً. وقالت الفرس: إنه يوم خفيف.

وفي رواية: أنه يوم ثقيل غير صالح لعمل الخير فلا تلتمس فيه الحاجة. وفي رواية أخرى: يوم جيد مختار يحمد فيه الزواج والتزويج والختان والشركة والتجارة ولقاء الإخوان والمضاربة للأموال. قال سلمان: «سروش روز» اسم الملك الموكل بحراسة العالم وهو جبرائيل.

الدروع عن الصادق عليه السلام : أنه يوم متوسط واحذر فيه المنازعة والقرض والاستقراض فمن أقرض فيه شيئاً لم يرد إليه ومن استقرض لم يرده، ومن ولد فيه صلحت أحواله. وقال سلمان: «روز سروش»اسم ملك موكل بحراسة العالم، وهو يوم ثقيل فلا تلتمس فيه حاجة. وفي الرواية الأخرى: يوم صالح. وقال في رواية أخرى: أنه يوم ثقيل لا يصلح لطلب الحاج. المكارم عنه عليه السلام : صاف مختار فاطلبوا ما شئتم من حوائجكم وتزوجوا وبيعوا واشروا وازرعوا وابتوا وادخلوا على السلطان في حوائجكم فإنها تقضى.

الزوائد عنه عليه السلام : يوم صالح مختار محمود لكل عمل فاطلبوا فيه الحوائج واشتر وبع والق الكتاب والعمال ومن شئت، ومن ولد فيه كان مباركاً سعيداً في كل أموره، ومن مرض فيه أو في ليلته خلص وبرئ بإذن الله تعالى. وفي رواية أخرى: متوسط احذر فيه المنازعة والقرض والاستقراض. أقول: سروش عندهم بالسين والراء المهملتين المضمومتين.

اليوم الثامن عشر: العدد قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : أنه يوم مختار جيد مبارك سعيد يصلح للتزويج والسفر فمن سافر فيه قضيت حاجته مبارك لكل ما تريد تعمله ولطلب الحوائج صالح لكل حاجة من بيع وشراء وزرع فانك تربح واسع في جميع حوائجك فإنها تقضى واطلب فيه ما شئت فإنك تظفر ويصلح للدخول على السلطان والقضاة والعمال، ومن خاصم فيه عدوه ظفر فيه بإذن الله تعالى وغلبه، ومن تزوج فيه يرَ خيراً، ومن اقترض قرضاً رده إلى من اقترض منه، ومن مرض فيه يوشك أن يبرأ، والمولود يصلح حاله ويكون عيشه طيباً ولا يرى فقراً ولا يموت إلا عن توبة وقالت الفرس: أنه يوم خفيف.

وفي رواية أخرى. تحمد فيه العمارات والأبنية وتشتري فيه البيوت والمنازل وتقضى فيه الحوائج والمهمات، ويصلح للسفر. وقال سلمان: «رش روز»اسم الملك الموكل بالنيران. الدروع عن الصادق عليه السلام : أنه يوم سعيد صالح لكل شيء من بيع أو شراء أو زرع أو سفر، ومن خاصم فيه عدوه ظفر به، والقرض فيه يرد، والمريض فيه يبرأ، ومن ولد فيه صلحت أحواله. وقال سلمان: «روز رش» اسم ملك موكل بالنيران يصلح للسفر وطلب الحوائج.

وفي الرواية الأخرى: يوم صالح للسفر وكل من تريده من حاجة. المكارم عنه عليه السلام : مختار صالح للسفر ولطلب الحوائج، ومن خاصم فيه عدوه خصمه وظفر به بقدرة الله تعالى. الزوائد عنه عليه السلام : مختار للسفر والتزويج ولطلب الحوائج، ومن خاصم عدوه فيه خصمه وغلبه وقهره، ومن ولد فيه كان حسن التربية محمود العيش، ومن مرض فيه أو في ليلته برىء بإذن الله تعالى ونجا. وفي رواية أخرى: يصلح للبيع والشراء والزرع، أقول: أكثرهم صححوا الاسم بفتح الراء المهملة وسكون الشين المعجمة والنون، وصحح بعضهم «رش» بغير نون كما في الدروع.

اليوم التاسع عشر: العدد قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : أنه يوم خفيف يصلح

لكل شيء والسفر فمن سافر فيه قضى حاجته وقضيت أموره، وكلما يريد يصل إليه، صالح للتزويج والمعاش والحوائج وتعلم العالم وشراء الرقيق والماشية سعيد مبارك، ولد فيه إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ومن ضل فيه أو هرب قدر عليه بعد خمس عشرة ليلة، ومن ولد فيه كان صالحاً للحال متوقعاً لكل خير.

وفي رواية أخرى: أنه يوم شديد كثر شره لا تعمل فيه عملاً من أعمال الدنيا والزم فيه بيتك وأكثر فيه ذكر الله عزّ وجلّ وذكر النبي صلى الله عليه وآله، ومن مرض فيه ينجو ولا تسافر فيه ولا تدفع فيه إلى أحد شيئاً ولا تدخل على سلطان، ومن رزق له ولد فيه يكون سيىء الخلق.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من ولد فيه يكون مرزوقاً مباركاً، وقال الفرس: يوم ثقيل. وفي رواية أخرى: أنه يحمد فيه لقاء الملوك والسلاطين لطلب الحوائج وطلب ما عندهم وفي أيديهم وهو يوم مبارك. وقال سلمان الفارسي: «فروردين روز» اسم الملك الموكل بالأرواح وقبضها، وفي ليلة تسع عشرة من شهر رمضان يكتب وفد الحاج ويستحب فيه الغسل، وفي ليلة الأربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة ضرب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم سعيد ولد فيه إسحاق، وهو صالح للسفر والمعاش أو الحوائج وتعلم العلم وشراء الرقيق والماشية، ومن ضل فيه أو هرب قدر عليه بعد خمس عشرة ليلة، ومن ولد فيه يكون صالحاً موفقاً للخيرات إن شاء الله تعالى. وقال سلمان الفارسي: «روز فروردين» اسم ملك موكل بالأرواح وقبضها وهو يوم مبارك. وفي الرواية الأخرى: مثل الثامن عشر.

المكارم عنه عليه السلام: مختار صالح لكل عمل، ومن ولد فيه يكون مباركاً، الزوائد عنه عليه السلام: يوم مختار مبارك صالح لكل عمل تريد، وفيه ولد إسحاق بن إبراهيم فاطلب فيه الحوائج والق السلطان واكتب الكتب واعمل الأعمال، ومن ولد فيه كان كاتباً مباركاً مرزوقاً، ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه. وفي رواية أخرى: يصلح للسفر والمعاش وطلب العلم وشراء الرقيق والماشية، ومن ضل فيه أو هرب يقدر عليه بعد نصف شوال. أقول: فروردين عندهم بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الواو ثم سكون الراء وكسر الدال.

اليوم العشرون: العدد قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه جيد مبارك يصلح لطلب الحوائج والسفر فمن سافر فيه كانت حاجته مقضية، وجيد للبناء والتزويج والدخول على السلطان وغيره. وفي رواية أخرى: انه ولد فيه إسحاق عليه السلام محمود العاقبة جيد لطلب الحوائج طالب فيه بحقك وازرع ما شئت ولا تشتر فيه عبداً، وفي رواية أخرى: تجنب فيه شراء العبد. وفي رواية أخرى: أنه يوم متوسط الحال صالح للسفر والبناء ووضع الأساس وحصاد الزرع وغرس الشجر والكرم واتخاذ الماشية، من هرب فيه كان بعيد الدرك ومن ضل فيه خفي أمره، ومن مرض فيه صعب مرضه.

وفي رواية أخرى: من مرض فيه مات، ومن ولد فيه يكون في صعوبة العيش ويكون ضعيفاً. وفي رواية أخرى: من ولد فيه كان حليماً فاضلاً، قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: من سافر فيه رجع سالماً غانماً وقضى الله حوائجه وحصنه من جميع المكاره. وقالت الفرس: أنه يوم خفيف مبارك. وفي رواية أخرى: أنه يوم محمود يحمد فيه الطلب للمعاش والتوجه بالانتقال والاشتغال والأعمال المرضية والابتداءات بالأمور. وقال سلمان: «بهرام روز».

الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم متوسط صالح للسفر وقضاء الحوائج والبناء ووضع الأساس وغرس الشجر والكرم واتخاذ الماشية، ومن هرب فيه بعد دركه ومن ضل فيه خفي أمره، ومن مرض فيه صعب مرضه، ومن ولد فيه صعب عيشه. وقال سلمان: «روز بهرام» اسم ملك موكل بالنصر والخذلان والحروب والجدال، وهو جيد مبارك. وفي الرواية الأخرى: يوم مبارك يصلح للسفر ولطلب الحوائج.

المكارم عنه عليه السلام: جيد مختار للحوائج والسفر والبناء والغرس والدخول على السلطان يوم مبارك بإذن الله. الزوائد عنه عليه السلام: يوم جيد محمود صالح مسعود مبارك لما يؤتى فاشتر فيه وبع واعمل ما شئت، ومن ولد فيه كان طويل العمر ملكاً يملك بلداً أو ناحية منه ومن مرض فيه أو في ليلته يخلص بإذن الله تعالى.

وفي رواية أخرى: يوم متوسط يصلح للسفر والحوائج والبناء ووضع الأساسات وغرس الشجر والكرم واتخاذ الماشية، ومن هرب فيه كان بعيد الدرك ومن ضل فيه خفي أمره، ومن مرض فيه صعب مرضه، ومن ولد فيه عاش في صعوبة، أقول: المضبوط عندهم بهرام بفتح الباء وسكون الهاء.

اليوم الحادي والعشرون: العدد قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم نحس مستمر يصلح فيه إراقة الدماء فاتقوا فيه ما استطعتم ولا تطلبوا فيه حاجة ولا تنازعوا فيه فإنه مذموم رديء منحوس، ولا تعلق فيه سلطاناً تتقيه فهو يوم رديء لسائر الأمور ولا تخرج من بيتك وتوق ما استطعت وتجنب فيه اليمين الصادقة وتجنب فيه الهوام فإن من لسع فيه مات، ولا تواصل فيه أحداً فهو أول يوم أريق فيه الدم وحاضت فيه حوا، ومن سافر فيه لم يرجع وخيف عليه ولم يربح، والمريض تشتد علته ولم يبرأ، ومن ولد فيه يكون محتاجاً فقيراً.

وفي رواية أخرى: ومن ولد فيه يكون صالحاً، وقالت الفرس: أنه يوم جيد. وفي رواية أخرى: يصلح فيه إهراق الدم ولا تطلب فيه حاجة ويتقي فيه من الأذى، وفي أخرى: يكره فيه سائر الأعمال والفصد والحجامة ولقاء الأجناد والقواد والساسة. وقال سلمان: «رام روز».

الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم نحس رديء فلا تطلب فيه حاجة واتق فيه السلطان، ومن سافر فيه خيف عليه، ومن ولد فيه يكون فقيراً محتاجاً. وقال سلمان: «روز ماه» اسم ملك موكل بالفرج يصلح لإهراق الدماء حسب. وفي الرواية الأخرى: يوم نحس وهو يوم إراقة الدم فلا تطلب فيه حاجة. المكارم عنه عليه السلام: يوم نحس مستمر.

الزوائد عنه عليه السلام : يوم نحس مذموم أكل آدم فيه من الشجرة وعصى ربه فاحذره ولا تطلب فيه حاجة ولا تلق سلطاناً ولا تعمل عملاً ولا تشارك أحداً واقعد في منزلك واستعذ بالله من شره، ومن ولد فيه كان ضيق العيش نكد الحياة، ومن مرض فيه يخاف عليه، وفي رواية أخرى: شقي فيه السلطان والسفر، أقول: المضبوط عندهم رام بفتح الراء المهملة.

اليوم الثاني والعشرون: العدد، قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : أنه يوم مختار حسن ما فيه مكروه يصلح لكل حاجة والشراء والبيع والصيد فيه والسفر ومن سافر فيه ربح ويرجع معافىً إلى أهله سالماً، جيد لطلب الحوائج والمكارم وسائر الأعمال،والصدقة فيه مقبولة،ومن دخل على سلطان قضيت حاجته ويبلغ بقضاء الحوائج. وفي نسخة أخرى: ومن قصد السلطان وجد مخافة. وفي رواية أخرى: خفيف صالح لكل شيء يلتمس فيه الرؤيا فيه، مقصوصة والتجارة فيه مباركة ومن مرض فيه برىء سريعاً. وقالت الفرس: أنه يوم يضل.

وفي رواية أخرى: أنه يحمد فيه كل حاجة والأعمال السلطانية وسائر التصاريف في الأعمال المرضية وهو يوم خفيف يصلح لكل حاجة يراد قضاؤها. قال سلمان: «باد روز» الدروع عن الصادق عليه السلام : أنه يوم صالح لقضاء الحوائج والبيع والشراء والدخول على السلطان والصدقة فيه مقبولة والمريض فيه يبرأ سريعاً والمسافر فيه يرجع معافاً. وقال سلمان: «روز باد» اسم ملك موكل بالريح يوم خفيف يصلح لكل حاجة. وفي الرواية الأخرى: يوم صالح لكل شيء يلتمس فيه.

المكارم عنه عليه السلام : مختار صالح للشراء والبيع ولقاء السلطان والسفر والصدقة. الزوائد عنه عليه السلام : يوم سعيد مبارك مختار لما تريد من الأعمال فاعمل ما شئت والق من شئت فإنه مبارك، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً سعيداً، ومن مرض فيه أو في ليلته لا يخاف عليه يخلص، ويستحب فيه الشراء والبيع.

بيان: قوله عليه السلام : «ويبلغ لقضاء الحوائج»أي حوائج غيره وهو تأكيد. مقصوصة أي ينبغي أن يقص لغيره ليعبرها.

اليوم الثالث والعشرون: العدد، قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : أنه يوم سعيد مختار، ولد فيه يوسف عليه السلام يصلح لكل حاجة ولكل ما تريدونه وخاصة التزويج والتجارات كلها والدخول على السلطان والسفر، ومن سافر فيه غنم والذي قبله يصلح للبيع والشراء والرؤيا فيه كاذبة، والآبق فيه يوجد والضالة ترجع والمريض فيه يبرأ، ومن ولد فيه لا يموت إلا مقتولاً ولد فيه فرعون.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : ولد فيه بنيامين اخو يوسف عليه السلام ومن ولد فيه يكون مرزوقاً مباركاً. وقالت الفرس: أنه يوم خفيف يحمد فيه التزويج والغفلة والسفر والأخذ والعطاء ولقاء السلطان، وصالح لسائر الأعمال ولقضاء الحوائج. وقال سلمان: «تبدين ورز»

اسم الملك الموكل بالنوم واليقظة وحراسة الأرواح حتى ترجع إلى الأبدان. وفي رواية: اسم من أسماء الله تعالى.

الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه ولد فيه يوسف عليه السلام وهو يوم صالح لطلب الحوائج والتجارة والتزويج والدخول على السلطان ومن سافر فيه غنم وأصاب ومن ولد فيه كان حسن التربية، وقال سلمان: «روز تبدين» من أسماء الله تعالى يوم خفيف لسائر الحوائج. وفي رواية أخرى: مثل الثاني والعشرين، المكارم مختار جيد خاصة للتزويج والتجارات كلها والدخول على السلطان.

الزوائد عنه عليه السلام: يوم سعيد مبارك لكل ما تريد للسفر والتحويل من مكان إلى مكان، وهو جيد للحوائج ولقاء الملوك، ومن ولد فيه كان سعيداً وعاش عيشاً طيباً، ومن مرض فيه أو في ليلته نجا بإذن الله تعالى. وفي رواية أخرى: أن يوسف عليه السلام ولد فيه يصلح للتزويج. أقول: الاسم عندهم«ديتدين» بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة التحتانية وكسر التاء أو فتحها وكسر الدال المهملة، ومنهم من صححه ديبادين وفي نسخ الدروع تصحيفات.

اليوم الرابع والعشرون: العدد، قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم نحس مستمر مذموم مشؤوم ملعون ولد فيه فرعون، وهو يوم عسر نكد فاتقوا ما استطعتم، لا ينبغي أن تبتدىء فيه لحاجة ويكره فيه جميع الأعمال والأحوال ولا يحسن لكل أمر تطلب فيه، من سافر فيه مات في سفره. وفي رواية أخرى: من مرض فيه طال مرضه، ومن ولد فيه يكون سقيماً حتى يموت نكداً في عيشه ولا يوفق لخير وإن مرض عليه جهد ويقتل في آخر عمره أو يغرق. وفي رواية أخرى: أنه جيد للسفر والرؤيا فيه كاذبة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ولد في هذا اليوم علا أمره إلا أنه يكون حزيناً حقيراً، ومن مرض فيه طال مرضه. وقالت الفرس: أنه يوم خفيف جيد.

وفي رواية أخرى: أنه رديء مذموم لا تطلب فيه حاجة، ولد فيه فرعون ذي الأوتاد، وقال سلمان: «دين روز» اسم الملك الموكل بالسعي والحركة.

وفي رواية أخرى: اسم الملك الموكل بالنوم واليقظة وحراسة الأرواح حتى ترجع إلى الأبدان.

الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم رديء نحس فيه ولد فرعون فلا تطلب فيه أمراً من الأمور، ومن ولد فيه نكد عيشه ولم يوفق لخير يقتل آخر عمره أو يغرق، والمريض فيه يطول مرضه وقال سلمان: «روز دين» اسم ملك موكل بالنوم والسعي والحركة وحراسة الأرواح إلى أن ترجع إلى الأبدان يوم نحس مستمر مكروه لكل حال وعمل فاحذره، والمولود فيه كما ذكر آنفاً، وفي الرواية الأخرى: أنه يوم نحس مستمر فيه ولد فرعون، ومن ولد فيه يقتل ولا يكون موفقاً وإن جهده ويكون عيشه نكداً.

المكارم عنه عليه السلام: يوم مذموم مشؤوم. الزوائد عنه عليه السلام: يوم نحس مستمر مكروه لكل حال وعمل فاحذره ولا تعمل فيه عملاً ولا تلق أحداً واقعد في بيتك واستعذ بالله من شره، ومن ولد فيه كان منحوساً ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه أو طال مرضه، وفي رواية أُخرى: فيه ولد فرعون والمولود فيه يقتل في آخر عمره إذا حرص في طلب الرزق أو يغرق. أقول: دين بكسر الدال وسكون الياء.

اليوم الخامس والعشرون: العدد، قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم مذموم نحس وهو اليوم الذي أصاب مصر فيه تسعة ضروب من الآفات فلا تطلب فيه حاجة واحفظ نفسك فإنه اليوم الذي ضرب فيه أهل الآيات مع فرعون وهو شديد البلاء، والآبق فيه يرجع ولا يحلف فيه صادقاً ولا كاذباً وهو يوم مشؤوم، من سافر فيه لا يربح ومن مرض فيه أجهد ولم يفق في مرضه فاتقه. وفي رواية أخرى: من ضرب فيه لا يكاد يبرأ وهو إلى الموت أقرب من الحياة، ومن مرض فيه لا ينجو ومن ولد فيه كان ملكاً مرزوقاً نجيباً من الناس تصيبه علة شديدة ويسلم منها.

وفي رواية أخرى: من ولد فيه يكون فقيهاً.

وفي رواية أخرى: أنه يوم جيد للبيع والشراء والزرع ويصلح لقضاء الحوائج، ومن ولد فيه كان كذاباً تماماً لا خير فيه. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: استعيذوا فيه بالله. وقالت الفرس: أنه يوم ثقيل رديء مكروه أصيبوا فيه أهل مصر بسبع ضربات من البلاء وهو نحس تفرغ فيه إلى الدعاء والصلاة وعمل الخير. وقال سلمان الفارسي: «ارد روز» اسم الملك الموكل بالجن. الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم نحس رديء فاحفظ نفسك فيه ولا تطلب فيه حاجة فإنه يوم شديد البلاء، ضرب الله فيه أهل مصر بالآيات مع فرعون، والمريض فيه يجهد، والمولود فيه يكون مباركاً مرزوقاً نجيباً وتصيبه علة شديدة فيسلم منها. وقال سلمان: «روز أدر» اسم ملك موكل بالجن والشياطين يوم نحس ضرب الله فيه أهل مصر بالآيات فتفرغ فيه الدعاء والصلاة وعمل الخير. وفي الرواية الأخرى عنه عليه السلام: يوم نحس مشؤوم ضرب الله فيه أهل مصر بالآيات فاتقه بجهدك، ومن مرض فيه لم يفق من مرضه.

المكارم عنه عليه السلام: رديء مذموم يحذر فيه من كل شيء. الزوائد عنه عليه السلام: يوم نحس مكروه ثقيل نكد فلا تطلب فيه حاجة ولا تلق أحداً ولا تسافر فيه واقعد في منزلك واستعذ بالله من شره، ومن ولد فيه كان ثقيل العربية نكد الحياة، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه. وفي رواية أخرى: أنه يوم ضرب فيه أهل الآيات مع فرعون، والمولود فيه يكون نجيباً مباركاً مرزوقاً تصيبه علة شديدة ويسلم منها. أقول: المشهور في تصحيح الاسم أنه بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة ثم الدال المهملة قد تمد الهمزة، وبعضهم صححه بكسر الهمزة.

اليوم السادس والعشرون: العدد، قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم

صالح مبارك للسفر ضرب فيه موسى البحر فانفلق، يصلح لكل حاجة ما خلا التزويج والسفر فاجتنبوا فيه ذلك فإنه من تزوج فيه لم يتم تزويجه ويفارق أهله ومن سافر فيه لم يصلح له ذلك فليتصدق. وفي رواية أخرى: يوم صالح للسفر ولكل أمر يراد إلا التزويج فمن تزوج فيه فارق زوجته لأن فيه انفلق البحر لموسى عليه السلام ولا تدخل فيه على أهلك إذا قدمت من سفر، والمريض فيه يجهد والمولود فيه يطول عمره. وقال سلمان: «روز اشتاد»اسم ملك خلق عند ظهور الدين، يوم صالح لكل أمر إلا التزويج فمن تزوج فيه فرق بينهما كما فرق الله البحر.

المكارم عنه عليه السلام: صالح لكل حاجة سوى التزويج والسفر وعليكم بالصدقة تنتفعون بها. الزوائد عنه عليه السلام: يوم صالح متوسط للبيع والشراء والسفر وقضاء الحوائج والبناء والغرس والزرع، وهو يوم جيد فسافر فيه والق من شئت تغلب وتقضى حوائجك، ومن ولد فيه كان متوسط الحال، ومن مرض فيه أو في ليلته برىء بعد مدة ويكره فيه التزويج. وفي رواية أخرى: هو يوم ضرب فيه موسى بعصاه البحر فلا تدخل على أهلك إذا أتيت من سفرك، والمولود يطول عمره والمريض يجهد. أقول: المضبوط عندهم اشتاد بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح التاء ثم الألف ثم الدال المهملة، ونقل عن السيد ركن الدين الآملي أنه بالسين المهملة.

اليوم السابع والعشرون: العدد، قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم مختار جيد يصلح لطلب الحوائج والشراء والبيع والدخول على السلطان والبناء والزرع والخصومة ولقاء القضاء والسفر والابتداءات والأساسات والتزويج، وهو يوم سعيد جيد وفيه ليلة القدر ما شئت خفيف لسائر الأحوال اتجر فيه وطالب بحقك واطلب عدوك والتزويج وادخل على السلطان والق فيه من شئت، ويكره فيه إخراج الدم، ومن مرض فيه مات، ومن ولد فيه يكون جميلاً حسناً طويل العمر كثير الرزق قريباً إلى الناس محبّباً إليهم. وفي الرواية الأخرى: يكون غشوماً مرزوقاً،

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ولد فيه يعقوب عليه السلام ومن ولد فيه يكون مرزوقاً محبوباً عند أهله لكنه يكثر أحزانه ويفسد بصره، وقالت الفرس: أنه يوم جيد يحمد للحوائج وتسهيل الأمور والأعمال والتصرفات ولقاء التجار والسفر والمسافر يحمد فيه أمره، ومن ولد فيه يكون مرزوقاً محباً إلى الناس طويلاً عمره. وقال سلمان الفارسي: «اسمن روز» اسم الملك الموكل بالطير.

الدروع عن الصادق عليه السلام: أنه يوم صالح لكل أمر والمولود فيه يكون حسناً جميلاً طويل العمر كثير الخير قريباً من الناس محباً إليهم. قال سلمان الفارسي: (روز اسمان) اسم ملك موكل بالطير والمولود فيه كما مر آنفا، وفي الرواية الأخرى: يوم سفره صالح لكل شيء تريده، المكارم: جيد مختار للحوائج وكلما يراد لقاء السلطان. والزوائد عنه عليه السلام: يوم صاف مبارك من النحوس صالح للحوائج إلى السلطان وإلى الإخوان والسفر إلى البلدان فالق فيه من شئت وسافر إلى حيث أردت، ومن ولد فيه كان مباركاً خفيف التربية، ومن مرض فيه أو في ليلته نجا.

وفي رواية أخرى: أنه يكون طويل العمر كثير الخير، أقول: اسمان بالألف الممدودة كاسم المسماة ولذا قيل اسم ملك موكل بالطير، وقيل بالممات والأمور المتعلقة بهذا اليوم.

اليوم الثامن والعشرون: العدد، قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم سعيد مبارك ولد فيه يعقوب عليه السلام يصلح للسفر وجميع الحوائج وكل أمر والعمارة والبيع والشراء والدخول على السلطان قابل فيه.

أعداءك فإنك تظفر بهم والتزويج. وفي رواية أخرى: لا تخرج فيه الدم فإنه رديء، ومن مرض فيه يموت ومن أبق فيه رجع، ومن ولد فيه يكون حسناً جميلاً محبوباً محباً إلى الناس وإلى أهله مشغوفاً محزوناً طول عمره وتصيبه الغموم ويبتلى في بدنه ويعافى في آخر عمره ويعمر طويلاً ويبتلى في بصره.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: من ولد فيه يكون صبيح الوجه مسعود الجد مباركاً ميموناً، ومن طلب فيه شيئاً تم له وكانت عاقبته محمودة، وقالت الفرس: أنه يوم ثقيل منحوس. وفي رواية أخرى: يحمد فيه قضاء الحوائج ومبارك فيها قضاء الأمور والمهمات ورفع الضروريات ولقاء القواد والحجاب والأجناد وهو يوم مبارك سعيد والأحلام فيه تصح من يومها. وقال سلمان: «رامياد روز» اسم الملك الموكل بالقضاء بين الخلق. وروي اسم الملك الموكل بالسماوات.

الدروع، عن الصادق عليه السلام: أنه يوم صالح لكل أمر، ولد فيه يعقوب عليه السلام فمن ولد فيه يكون محزوناً وتصيبه الغموم ويبتلى في بدنه. وقال سلمان الفارسي: «روز امياد» اسم ملك موكل بالسماوات. وقيل: بالقضاء بين الخلق يوم مبارك سعيد والأحلام تصح في يومها.

وفي الرواية الأخرى: يوم سعيد فيه ولد يعقوب عليه السلام، ومن ولد فيه يكون فيه يكون مرزوقاً محباً إلى أهله وإلى الناس ويعمر طويلاً وتصيبه الغموم ويبتلى في بصره.

المكارم ممزوج. الزوائد: يوم مبارك سعيد لكل عمل وحاجة وسفر وبناء وغرس، واعلم فيه ما شئت والق ما شئت فإنه يوم مبارك سعيد. ومن ولد فيه يكون مباركاً مقبلاً، ومن مرض فيه أو في ليلته بريء من مرضه.

وفي رواية أخرى: أن يعقوب عليه السلام ولد فيه، ومن ولد فيه يكون محزوناً طويلاً عمره يصيبه الغم ويبتلى في بدنه. أقول: المضبوط في الاسم راميا بفتح الراء المهملة ثم الألف وسكون الميم والياء المثناء التحتانية ثم الدال المهملة.

اليوم التاسع والعشرون: العدد، قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم مختار يصلح لكل حاجة وإخراج الدم، وهو يوم سعيد لسائر الأمور والحوائج والأعمال، وفيه تبارك الله تعالى على الأرض المقدسة ويصلح للنقلة وشراء العبيد والبهائم ولقاء الإخوان والأصدقاء وفعل البر والحركة، ويكره فيه الدين والسلف والأيمان، من سافر فيه يصيب مالاً

كثيراً إلا من كان كاتباً فإنه يكره له ذلك، والرؤيا فيه صادقة ولا تقصها إلا بعد يوم، والمريض فيه يموت والآبق فيه يوجد ولا تستخلف فيه أحداً ولا تأخذ فيه من أحد وادخل فيه على السلطان ولا تضرب فيه حراً ولا عبداً، ومن ضلت له ضالة وجدها.

وفي رواية: من مرض فيه برىء ومن ولد فيه يكون صالحاً حليماً. وفي رواية أخرى: أنه متوسط لا محمود ولا مذموم تجتنب فيه الحركة. وقالت الفرس: أنه يوم جيد تحمد فيه النقلة والسفر والحركة، والمولود فيه يكون شجاعاً وهو صالح لكل حاجة ولقاء الإخوان والأصدقاء والأوداء وفعل الخير، والأحلام فيه تصح في يومها. وقال سلمان الفارسي: «مار اسفند روز» اسم الملك الموكل بالأفينة والأزمان والعقول والأسماع والأبصار. وفي رواية أخرى: الموكل بالأفئدة.

الدروع، عن الصادق عليه السلام: أنه يوم صالح لكل أمر ومن ولد فيه يكون حليماً ومن سافر فيه أصاب مالاً جزيلاً، ومن مرض فيه برىء سريعاً ولا تكتب فيه وصية. وقال سلمان: «فارسفندا» اسم ملك موكل بالأفئدة والعقول والأسماع والأبصار، يصلح للقاء الإخوان والأصدقاء وكل حاجة والأحلام تصح فيه من يومها. وفي الرواية الأخرى: يوم مبارك صالح لكل حاجة من لقاء السلطان والأصدقاء وفعل البر وغير ذلك.

المكارم عنه عليه السلام: مختار جيد لكل حاجة ما خلا الكتاب فإنه يكره له ذلك ولا أذن له أن يسعى في حاجة أن قدر على ذلك، ومن مرض فيه برىء سريعاً، ومن سافر فيه أصاب مالاً كثيراً، ومن أبق فيه رجع.

الزوائد عنه عليه السلام: يوم مبارك قريب الأمر يصلح للحوائج والتصرف فيها ولقاء الملوك والسفر والنقلة فاقض فيه كل حاجة وسافر والق من شئت، ومن ولد فيه كان مباركاً، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه.

وفي رواية أخرى: الذي يولد فيه يكون حليماً والمسافر فيه يصيب مالاً جزيلاً كثيراً وتكره فيه الوصية. أقول: الاسم عندهم مار اسفند بفتح الميم ثم الألف والراء الساكنة ثم الهمزة المكسورة والسين المهملة الساكنة والفاء المفتوحة والنون الساكنة، وقيل. مار اسفندان، وقيل: اسبندان بالباء المعجمة فيها.

اليوم الثلاثون: العدد، قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه يوم مختار جيد يصلح لكل شيء وللشراء والبيع والزرع والغرس والبناء والتزويج والسفر وإخراج الدم. وفي رواية أخرى: لا تسافر فيه ولا تتعرض لغيره إلا للمعاملة وقلل فيه السفر والحركة فيه، روي أن من ولد فيه يكون حليماً مباركاً وتعسر تربيته ويسوء خلقه ويرزق رزقاً يكون لغيره ويمنع من التمتع بشيء منه. وفي رواية أخرى: من ولد فيه كفي كل أمر يؤذيه ويكون المولود فيه مباركاً صالحاً يرتفع أمره ويعلو شأنه، ولد فيه إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وفيه خلق الله العقل

وأسكنه برؤوس من أحب من عباده، ومن هرب فيه أخذ ومن ضلت منه ضالة وجدها، ومن اقترض فيه شيئاً رده سريعاً، ومن مرض فيه برىء سريعاً.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: من ولد فيه يكون حليماً مباركاً صادقاً أميناً يعلو شأنه، ومن ضاع له شيء يجده بإذن الله تعالى. قالت الفرس: أنه يوم خفيف يحمد فيه الأعمال والتصرفات ويصلح لشرب الأدوية المسهلة. وقال سلمان الفارسي: «انيران روز» اسم الملك الموكل بالدهر والأزمنة، الدروع الواقية عن الصادق عليه السلام: أنه يوم جيد للبيع والشراء والتزويج، ومن ولد فيه يكون حليماً مباركاً ويعسر تربيته ويسوء خلقه ويرزق رزقاً يمنع منه، ومن هرب فيه أخذ، ومن ضلت له ضالة وجدها، ومن اقترض فيه شيئاً رده سريعاً. وقال سلمان: «روز انيران» اسم الموكل بالدهر والأزمنة يوم سعيد مبارك يصلح لكل شيء تريده.

وفي الرواية الأخرى: لكل حاجة تلتمس.

مكارم الأخلاق عنه عليه السلام: مختار جيد لكل شيء ولكل حاجة من شراء وبيع وتزويج، ومن مرض فيه برىء سريعاً، ومن ولد فيه يكون حليماً مباركاً ويرتفع أمره ويكون صادق اللسان صاحب وفاء. زوائد الفوائد.

عن الصادق عليه السلام: يوم مبارك ميمون مسعود مصلح منجح فاعمل فيه ما شئت والق من أردت وخذ واعط وسافر وانتقل وبع واشتر فإنه صالح لكل ما تريد موافق لكل ما يعمل، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً مقبلاً حسن التربية، ومن مرض فيه أو في ليلته لم تطل علته ونجا سالماً بإذن الله تعالى. وفي رواية أخرى: يكره فيه السفر والمولود فيه يرزق رزقاً واسعاً يكون لغيره ويمنع من التمتع بشيء منه، ومن هرب فيه أخذ، وإذا ضلت فيه ضالة وجدت، والقرض فيه يعود سريعاً والله أعلم وأحكم، أقول: الانيرا عندهم بفتح الهمزة وكسر النون والياء الساكنة ثم الراء المهملة المفتوحة.

ثم اعلم أن الظاهر من أكثر هذه الروايات أن المراد بالأيام المذكورة فيها أيام الشهور العربية، ويظهر من بعضها كخبر سلمان الفارسي أن المراد بها الشهور العجمية وأيامها كما سيظهر من أسمائها وتوافقها لما نقله المنجمون عن الفرس في ذلك، ويمكن أن يقال لما كان في بدء خلق العالم شهر فروردين مطابقاً على بعض الشهور العربية ابتداء وانتهاء سرت العادة والنحوسة والسعادة في أيام الشهرين معاً كما نقل أن أول خلق العالم كانت الشمس في الحمل وعند افتراقهما واختصا بأحدهما. ويمكن حمل اختلاف الأخبار أيضاً على ذلك بأن يكون ما ورد في سعادة بعض الأيام في بعض الأخبار ونحوسة ذلك اليوم بعينه في الآخرين بسبب اختلاف المقصود من الشهر فيها وكون المراد في أحدهما العربية وفي الأخرى الفرسية لكن باليقين والتخصيص مشكل، ولو أمكن رعايتهما معاً كان أولى، وسيأتي تمام القول في ذلك في الباب الآتي إن شاء الله.

أحكام النظر إلى هلال عاشوراء

قال السيد نعمة الله الجزائري في كتاب الأنوار النعمانية: وأما أحكام عاشوراء فقد روى الشيخ الراوندي في كتاب القصص عن الصدوق بإسنادة إلى الصادق عليه السلام قال:

إن في كتاب دانيال عليه السلام: **أن المحرم إذا كان يوم السبت**: يكون الشتاء بارداً يكثر فيه الجليد وتكثر الكماة ويقل العسل وتغلو فيه الحنطة ويكثر فيه الوباء وموت الأطفال وتكثر الحمى فيه وتسلم الزراعة من الآفات ويحصل في العنب وبعض الأشجار آفة وبعض الكروم، وترخص فيه الأسعار ويقع الطاعون في بلاد الروم، ويكون حرب بين الروم والعرب والظفر للعرب يغنمون أموال الروم ويأسرون ذراريهم ويكون لهم الظفر.

وإذا كان المحرم في يوم الأحد: يكون الشتاء معتدلاً ويكون فيه مطر نافع ويصيب بعض الأشجار آفة ويكون فيه أنواع الموت والبلاء، ويكون العسل قليلاً في تلك السنة، ويكون في الهواء أثر الطاعون والوباء والموتان. ويكون في آخر السنة غلاء قليلاً في المأكولات، ويكون الغلبة للسلطان في آخره.

وإذا كان المحرم في يوم الاثنين: يكون الشتاء صالحاً ويكون في الصيف حر شديد ويكثر المطر في أوانه ويكثر البقر والغنم ويكثر العسل ويرخص الطعام والأسعار في بلدان الجبال وتكثر الفواكه في أذربيحان وعراق العجم والأهواز وبر فارس، وقيل. المراد ببلاد الجبل همذان وما والاها. ويكثر في تلك السنة موت النساء، وفي آخر السنة يخرج خارجي على السلطان بنواحي المشرق ويصيب بعض فارس غم ويكثر الزكام في أرض الجبل.

وإذا كان المحرم في يوم الثلاثاء: فإنه يكون الشتاء شديد البرد ويكثر الثلج والجمد بأرض الجبل وناحية المشرق، ويكثر الغنم والعسل ويصيب بعض الأشجار من الكروم آفة، ويكون بناحية الشام والمغرب آفة من حدث يحدث في السماء ويموت فيه خلق كثير، ويخرج على السلطان خارجي قوي وتكون الغلبة للسلطان، ويكون في أرض فارس في بعض الغلات آفة وتغلو الأسعار في آخر السنة.

وإذا كان المحرم في يوم الأربعاء: فإن الشتاء يكون وسطاً ويكون المطر في الصيف صالحاً نافعاً مباركاً وتكثر الثمار والغلات في الجبال كلها وفي ناحية المشرق إلا انه يقع الموت في الرجال في آخر السنة، ويصيب الناس بأرض بابل وبالجبل آفة وترخص الأسعار وتسكن مملكة العرب في تلك السنة وتكون الغلبة للسلطان.

وإذا كان المحرم في يوم الخميس: فإنه يكون الشتاء ملائماً ويكثر القمح والفواكه والعسل بجميع نواحي المشرق، وتكثر الحمى في أول السنة وفي آخره وبجميع أرض بابل في آخر السنة، ويكون للروم على المسلمين غلبة ثم تظهر العرب عليهم بناحية المغرب ويقع بأرض السند حروب والظفر لملوك العرب.

وإذا كان المحرم في يوم الجمعة: فإنه يكون الشتاء بلا برد ويقل المطر وماء الأودية والعيون، وتقل الغلات بناحية الجبال مائة فرسخ في مائة فرسخ، ويكثر الموت في جميع الناس وتغلو الأسعار بناحية المغرب ويصيب بعض الأشجار آفة، ويكون للروم على الفرس كرة شديدة.

الكلام في علامات الكسوف

وأما علامات كسوف الشمس في الاثني عشر شهراً: **فإذا انكسفت الشمس في المحرم**: فإن السنة تكون خصبة إلا أنه يصيب الناس أوجاع في آخرها وأمراض فيكون للسلطان الظفر على أعدائه وتكون زلزلة بعدها سلامة.

وإذا انكسفت في صفر: فإنه يكون فزع وجوع في ناحية المغرب، ويكون قتال في المغرب كثيراً ثم يقع الصلح في الربيع والظفر يكون للسلطان.

وإذا انكسفت في ربيع الأول: فإنه يكون بين الناس صلح ويقل الاختلاف والظفر للسلطان بالمغرب، ويقل البقر والغنم ويتسع في آخر السنة الأرزاق ويقع الوباء في الإبل والبدو.

وإذا انكسفت في ربيع الآخر: فإنه يكون بين الناس اختلاف كثير ويقتل منهم خلق كثير، ويخرج خارجي على الملك ويكون فزع وقتال، ويكثر الموت في الناس.

وإذا انكسفت في شهر جمادى الأولى: فإنه يكون السعة في جميع الناس بناحية المشرق والمغرب، ويكون للسلطان على الرعية نظر، ويحسن السلطان إلى أهل مملكته ويراعي جانبهم.

وإذا انكسفت في شهر جمادى الثانية: فإنه يموت رجل عظيم في المغرب ويقع ببلاد مصر قتال وحروب شديدة، ويكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة.

وإذا انكسفت في شهر رجب: فإنه تعمر الأرض وتكون أمطار كثيرة بالجبال وبناحية المشرق، ويكون حرب بناحية فارس ولا يضرهم ذلك.

وإذا انكسفت في شهر شعبان: يكون سلامة في جميع الناس من السلطان، ويكون للسلطان ظفر على أعدائه بالمغرب ويقع بلاء في الجبال في آخر السنة ويكون عاقبته إلى سلامة.

وإذا انكسفت في شهر رمضان: كان جملة الناس يطيعون جبل فارس، ويكون للروم على العرب كرة شديدة ثم يكون الغلب على الروم يسبى منهم ويغنم.

وإذا انكسفت في شوال: فإنه يكون في أرض الهند والزنج قتال كثير، ويكثر نبات الأرض بالمشرق.

وإذا انكسفت في ذي القعدة: فإنه يكون مطر كثير متواتر ويقع خراب عظيم وتغلو عليهم

أسعارهم، ويخرج خارجي على الملك ويصيبه منه شدة، ويقل طعام أهل فارس ثم يرخص الطعام في السنة الثانية.

في علامات خسوف القمر طول السنة

إذا انخسف القمر في شهر المحرم: فإنه يموت رجل عظيم وتنتقص الفاكهة في الجبال، ويقع في الناس حكة ويكثر الرمد بأرض بابل، ويقع الموت وتغلو أسعارها ويخرج خارجي على السلطان والظفر للسلطان ويقتلهم.

وإذا انخسف في شهر صفر: فإنه يكون جوع ومرض في بابل وبلادها حتى أنه يتخوف على الناس ثم تكون أمطار كثيرة فيحسن نبات الأرض وحال الناس، وتكون في الجبال فاكهة كثيرة.

وإذا انخسف القمر في شهر ربيع الأول: فإنه يقع بالمغرب قتال ويصيب الناس يرقان وتكثر الفواكه بالبلاد بأرض ماء، ويقع الدود في البقول بالجبل ويقع خراب كثير بماء.

وإذا انخسف في شهر ربيع الثاني: فإنه كثير الانداء وهي الرطوبات والمياه بالجبال ويكثر الخصب والمياه وتكون السنة مباركة، ويكون للسلطان الظفر بالمغرب.

وإذا انخسف في شهر جمادى الأولى: فإنه يهراق دماء كثيرة بالبدو، ويصيب بعظيم الشام بلية شديدة، ويخرج على السلطان خارجي والظفر للسلطان.

وإذا انخسف في شهر جمادى الآخرة: فإنه يقل الأمطار والمياه بنينوى ويقع فيها جوع شديد وغلاء، ويصيب ملك بابل إلى الغرب بلاء عظيم.

وإذا انخسف في شهر رجب: فإنه يكون بالمغرب موت وجوع، ويكون بأرض بابل أمطار كثيرة، ويكثر وجع العين بالأمصار.

وإذا انخسف في شهر شعبان: فإن الملك يقتل أو يموت ويملك ابنه وتغلو الأسعار ويكثر جوع الناس.

وإذا انخسف في شهر رمضان: يكون بالجبال برد شديد وثلج ومطر وكثرة المياه، ويقع بأرض ماء موت كثير بالصبيان والنساء.

وإذا انخسف في شهر شوال: فإن الملك يغلب على أعدائه، ويكون في الناس شر وبلية.

وإذا انخسف في ذي القعدة: فإنه تفتح المدائن الشداد وتظهر الكنوز في بعض الأرضين والجبال.

وإذا انخسف في ذي الحجة: فإنه يموت رجل عظيم بالمغرب ويدعي رجل فاجر الملك.

الكلام في الملحمة الإسكندرية

قال مؤلف هذا الكتاب «عفا الله عنه»: هذه الملاحم علامات وضعها الله تعالى لنبيه دانيال عليه السلام ولقد جربناها فرأيناها صادقة في كل الموارد، وهو دليل على صحة الحديث الذي نقل فيه.

وأما الملحمة الإسكندرية فهي إن لم تكن بالاعتبار مثل هذه الملحمة إلا أنها لا تخلو من قوة واعتبار وموافقة للتجارب، فلذلك أردنا اختصارها هاهنا فنقول: قد ذكر في تلك الملحمة: أن **الشمس إذا انكسفت في شهر ربيعها أيار مع طلوع الشمس**: دل على شمول الاضطراب سائر البلاد واضطراب أمير الجبال وانتقال الملك عن السلطان إلى غيره، وعلى أن الملوك تتغير نياتهم على خواصهم ويستبدلون بهم، وعلى أن المواشي تتناسل وكذلك البقر.

وإن انكسفت وأظلم النهار: فإنه يشتد الرعود في تلك السنة ويكثر الأمطار إذا مضى من الشهر اثنان وعشرون يوماً.

وإن انكسفت والضياء باق: كان الحر شديداً بالنهار، ونهب في الناس وتفريق في أهل المدائن وزروعها ودوابهم وأمتعتهم، وقتال بين الملوك، ويكون في أذربيجان وقعة صعبة وأمر شديد يجتمع الملوك بعضها إلى بعض، ويذهب أموال الشرق والغرب.

إن كان كسوفها من قبل المشرق وذلك في أول النهار: فإن الملك يظفر على أعدائه ويهلكهم.

وإن انكسفت في حزيران في أول النهار: يدل على تجدد سلطان في بلاد الجبل غير سلطانه، وعلى أنه يقتل وجوه الناس ويدل على حسن حال المواشي وتناسلها ووقوع الوباء في السواحل والمواضع التي هي قريبة من البحور على انتقال الملك من بعض الملوك إلى ولده وقتل والديه وانتشار الأمور بالباطل واختلالها.

إن انكسفت عند طلوعها: وقع الشر والقتال بين ملكين ويهلكان جميعاً.

وإن كان عند غروبها: يدل على هلاك أهل الغرب وهلاك رجل له قدر في بعض البلاد.

وإن كانت في وسط السماء: فأمر يحدث في الأرض وقتال بمصر ويقع فساد كثير في أرض بابل.

وإن انكسفت في تموز عند طلوعها: تكثر الفتن في سائر المدن الملاصقة للمشرق وظهور الوباء في تلك السنة.

وإن كان في وسط السماء: يدل على ارتفاع شأن ملك فارس وانقياد الملوك إليه، ويدل على كثرة البلاء والوباء في عموم البلاد في أكثر الأرض.

وإن كان قبل المغرب: يدل على خصب السنة وفساد التمور، وتطيع الملوك كلها ملك بابل وتشتد الروم على العرب ويغلبونهم.

وإن انكسفت في رجب آب عند طلوعها: يدل على قتال شديد وفتنة صعبة.

وإن كانت وسط السماء: يدل على توسط حال السنة إلا أن الحنطة يكثر بعضها وينقص بعض.

وإن كان عند غروبها: دل على كثرة الأراجيف المختلفة والقتال، ويدل على إمساك المقطر وحسن أمور الملك ويقتل أعداءه وتحسن نية السلطان وأولي الأمر في اتباعهم ورعاياهم.

وإن انكسفت في أيلول شعبان: أوجبت الغلاء واتصال الفتن والشر.

وإن كانت وسط السماء: فإن بعض الملوك يقصد بلاد المغرب، وتتصل الفتن في سائر البلاد ويقل المطر وتفسد الخمور وتتعذر في هذه السنة، ويقع الشر في أرض بابل.

وإن كان عند غروبها: يدل على حسن حال أهل نينوى وخراسان وكثرة التمور في تلك السنة.

وإن انكسفت ورأيت الشمس حمراء مستديرة في وقت الكسوف: فإنه يدل على قتال شديد وسفك الدماء.

وقال ذو القرنين: إنه يهلك الملك وتكون الأسعار صالحة ويهلك حصن من الحصون العظيمة وتكثر الأشجار وتصلح الأرض ويكون القتال والحرب في ناحية مصر.

وإن انكسفت في تشرين الأول رمضان في أول النهار: يدل على هلاك رجل عظيم القدر ويكون فساد في أذربيجان، ويصيب الدواب والأغنام داء وينقطع الغيث مدة ثلاثة أشهر.

وإن انكسفت في تشرين الثاني شوال عند طلوعها ولم يتغير لونها ولم تسود: فإن السلطان يضعف أمره ويقع الغلاء في أرض يونان مصر.

وإن كانت في وسط السماء: يدل على خصب السنة وحسن حالها وكثرة خيراتها مع كثرة العلل والأمراض التي تحدث آخر السنة، ويدل أيضاً على تعدي السلاطين على أهل السواد، وينتقل بعض الملوك من مقر سريره إلى مدينة اخرى ويكون هلاكه فيها.

وإن كان في آخر النهار: فإن الغلاء والوباء يقعان في بلاد الروم ويلحق العرب شدة ويقع بينهم السيف ويكثر الغيث في البلاد وتقوى شوكة المتلصصة وتنقطع الطرقات.

وإذا انكسفت في كانون الأول ذي قعدة: دلت على كثرة الخرابات وتشتد الرياح العواصف ويقع الوباء في خراسان وفارس، ويكثر السمك والعصافير ويقع القتال في بلاد العرب، ويكون الغالب الاضطراب في سائر المدن، ويزعج ملك مصر من موضعه وينحل نظام ملكه.

وإن كان بأسرها: فإنه يكون جوع وموت ببابل وأرض موصل وبلد فارس، ويظهر ملك من العرب.

وإن كان بحمرة: ينقص القمح ويكثر الشعير، ويكون قتل وفزع في المدينة وتكثر الأشرار ويهلك رؤساء قوم في ثلج وتنقص الخيرات وتقع الحروب.

وإن انكسفت في كانون الثاني ذي الحجة أن كان حزوياً: يدل على خصب السنة وكثرة الخيرات ووفور الغلات والثمار، واتصال الأمطار ويدل على هرب رجل عظيم القدر من بلاد الروم وقصد فارس، ودخوله على سلطانها وتتحارب السلاطين ويموت ملك مصر، وتتقدم السفل والسواقط وتنحط أهل الشرف ويكثر المطر والبرد، ويظهر الجراد وتفسد الغلات ويكثر القتل والنهب في البلاد ويقهر الملك الصغير والكبير.

وإن انكسفت كلها: يهلك ملك حدث السن ويقع الغلاء والقتل بمصر ويقتل الزنج ملكهم وتقتل النساء.

وإن انكسفت في شباط محرم: يدل على الغلاء وقلة الأمطار واتصال الثلوج وشمول الوباء وحسن حال بابل وخروج خارجي وانتصابه للملك اضطراب السواد مدة ثلاثة أشهر، وظهور رجل عظيم القدر بجبال فارس وأذربيجان، وتختلف الأراجيف في الأرض، وتختلي السواحل وتغرق السفن وتكثر الأدهان والسمسم، ويقع الوباء في الغنم،

وإن انكسفت كلها: فإنه يقع قتل عظيم ببابل ويلحق أهل خراسان شدة عظيمة.

وإن انكسفت في آذار صفر: يدل على حسن حال الثمار وكثرة الأندية والأمطار في خراسان وعلى وقوع الوباء في أرمينية ويجيء المطر آخر السنة: ويكون أكثر الاضطراب في المشرق والمغرب وتظهر في خراسان علة مختلفة.

وإن انكسفت كلها: الحق ببعض السلاطين مكيدة من أعدائه ويقتل ملك عظيم وتزول سلطنته، ويكون مرض شديد وأكثر ذلك يكون في العامة.

أحكام انكساف الشمس في الشهور العربية

وأما الشهور العربية: **فإن انكسفت في المحرم**: تكون السنة خصبة ويلحق الناس حرارات وأمراض.

وإن كان في شهر صفر: فإنه يكون فزع وجوع وقتال في تلك السنة.

وإن كان في ربيع الأول: فإنه يقتل رجل من العظماء ويخرج رجل يدعي الملك.

وإن كان في ربيع الآخر: فإنه يكون بين الناس اختلاف كثير ويقتل منهم خلق عظيم، ويخرج خارجي على الملك ويكون فزع وقتال ويكثر الموت في الناس.

وإن كان في جمادى الأولى: فإن الأحوال تكون صالحة ويعم السكون والفرح والسلامة.

وإن كان في جمادى الثانية: يموت رجل كبير في هذه السنة من ناحية المغرب ويلحق جنده صعوبة عظيمة ويكون بمصر قتال واختلاف.

وإن كان في شهر رجب: فإن الحرب يعم ويظهر الجراد ويقل المطر ثلاثة أشهر.

وإن كان في شعبان: فإن السنة تخصب ويكون في آخرها مرض شديد.

وإن كان في رمضان: فإنه يخرج الروم على العرب ويكون مطر وبرد ويصيب أهل فارس والبادية شدة وجوع وموت، ويقع في العرب قتال شديد وجوع.

وإن كان في شوال: فإنه يقتل ملك الهند ويقتل ملك بابل أعاديه وتكون سنة مخصبة، ويحسن حال النبات ويكثر الأمطار وتأكل الناس البراغيث.

وإن كان في ذي القعدة: فإن المطر يأتي ثلاثة أيام متواترة ويظهر الجراد ولا يضر الزرع ويصلح النبات.

وإن كان في ذي الحجة الحرام: فإنه يكون رياح ومطر وتخرج الخوارج وتكثر الغلة والطعام بفارس ونواحيها وقراها.

خسوف القمر في الأشهر الرومية

وأما خسوف القمر في الأشهر الرومية.

فإن كان في نيسان في أول: الليل ربيع الأول يدل على قتل رجل عظيم القدر بالحديد، وتتغير نية الأباء على الأولاد ويقل سكونهم إليهم، ويدل أيضاً على كثرة الثلوج والخصب والرخص.

وإن كان في نصف الليل ولونه يضرب إلى الحمرة: يدل على الغلاء والوباء وقلة الأمطار.

وإن كان آخر الليل: يدل على صلاح حال الملك ورعيته، وعلى اتصال الأمطار وهلاك الوحوش وهلاك الغلات إلا أنه يحسن حال الكرم.

وإن كان في أيار في أول الليل: يدل على ثوران الفتن وعلى أن يلحق الزرع اليرقان، وتموت البقر وتكون الأمطار متصلة، ويحصل بين أهل طائفة من فارس قتال.

وإن كان نصف الليل: يدل على وقوع الوباء بنواحي بيت المقدس وحدوث الغلاء، غير أن حال النخيل يحسن ويستولي على الأمور السلطانية إنسان غشوم مقعد، ويكون بسبب تغيير نية السلطان على خواصه وتتصل الأمطار وتقع الحروب بأرض بابل، ويقع الجوع بأذربيجان، وتقتل أشراف الناس ويصيب الناس شدة.

وإن كان آخر الليل: يدل على سكون الناس وأمنهم وزوال أسقامهم ويكثر السمك والعصافير.

وإن انخسف في ربيع الثاني حزيران فإن كان أول الليل: يدل على خبث نية أصحاب الدول وسعيهم في خراب أمور الملك، وتتصل الأمطار ويظهر الجراد ولا يفسد إلا قليلاً، ويكثر الجور بفارس، وتكثر الأثمار وينقص القمح.

وإن كان في نصف الليل: يدل على الوباء وعلى إسقاط الحبوب.

وإن كان في آخر الليل: يدل على غزارة المياه وحسن حال مصر في آخر السنة وخروجهم على سلطانهم ويحسن حال الزرع والنخيل والأشجار.

وإن انخسف في تموز جمادى الأولى في أول الليل: يدل على كثرة الأمطار ووقوع الوباء في الناس والوحوش.

فإن كان في نصف الليل: يدل على وقوع الوباء في المغرب واتصال الفتن في كثير من البلدان وكثرة المطر. وإن كان في آخر الليل: يدل على محاصرة بابل وكثرة الأراجيف ووقوع الوباء في مواضع كثيرة الأوجاع والعلل وظهور البرص.

وإن كان في آب أول الليل: يدل على محاصرة أهل بابل ووقوع القتال واضطراب السلطان، ويعتري الناس ضيقة الصدر ولا يعرفون سببه، ويعارضهم شبيه الوسواس وتكثر الأمطار.

وإن كان في نصف الليل: فإنه يقع تشويش وتكثر الأمطار ويرخص الغلات.

وإن كان خسوفه في أيلول في أول الليل: يدل على فساد الزرع ويظهر الجراد وتكثر الأراجيف، ويسير ملك من المشرق إلى المغرب، ويملك بلادها ويضيفها إلى ممكلته، وتكون سنته خصبة ويعرض للناس وجع العين وتكثر الأمطار جداً.

وإن كان في نصف الليل: يدل على كثرة المياه وحسن حال الأنعام وكثرة العشب.

وإن كان في آخر الليل: يعم الخصب البلاد ويفرح الناس وتقل الأمراض، ويهلك الملك ويرث ولده من بعده.

وإن كان في تشرين الأول أول الليل: يدل على اضطراب وتشويش ووقوع الملك بخواصه فيحطهم عن مراتبهم ويدل على وقوع القتال في الجبال وعلى هلاك البقر والمواشي وحدوث الآفات في الكلاب، وكثرة العلل والأمراض ويحسن الزرع، وتكثر الأمطار بعد تأخيرها.

وإن كان نصف الليل: فإن السنة كثيرة الخيرات.

وإن كان خسوفه في تشرين الثاني أول الليل: يدل على الوباء ووقوع الآفة في المزارع، ويموت ملك العرب ويظهر الوجع في أهل الجبال بفارس.

وإن كان نصف الليل: يدل على اضطراب أمور الناس مع اتصال الأمطار، ويظهر الجراد الكثير ويحسن الزرع ويفقد رجل كبير، ويسير أهل المشرق إلى أهل المغرب ويكون بينهم حرب كثير.

وإن انخسف في كانون الأول: يدل على الوباء بأرض الأهواز وفارس وعلى عموم الرخص واتصاله وعلى هلاك أعداء الملك.

وإن كان نصف الليل إلى الصبح: فإنه يدل على وفورة المياه ويفسد السمسم، ويحسن حال

الثمار والغلات والصيفة، وتهلك الوحوش مع كثرة العشب والزرع في الجبال، ويتحدث الناس بأمور تظهر في المغرب ويموت ملك الشام ويكثر الموت في الإبل.

وقال ذو القرنين: يكون حروب وقتال يقع في المدائن ويقل الزرع والفواكه والقطن ويزيد في العيون ويظهر في الناس البرقان ويهلك القمح والشعير وتخصب أرض بابل وتكثر الأمطار بأذربيجان، ويكثر الثلج ويظهر الجراد ويكون في أصفهان جوع ووباء.

وإن كان في كانون الثاني: يدل على ارتفاع الأسعار في الاهواز.

وإن كان نصف الليل أو آخره: يدل على هلاك الوحوش وبوارها وظهور الجراد وكثرة الأمراض بأرض بابل مع كثرة الفواكه وتمكن النفاق في قلوب الناس ويحسن الزرع.

وإن انخسف في شباط أول الليل: يدل على وقوع الغلاء في بلاد المغرب ويصيب الناس اليرقان.

وإن كان نصف الليل أو آخره: يدل على اضطراب أهل البحر وهلاك راكبي السفن بالغرق وعلى اتصال الحرب، وهلاك رجل عظيم بفارس وهلاك قوم من التجار واضطراب الملك إلا انه يظفر بأعدائه.

وإن كان خسوفه بحمرة: فأراجيف ورعد ويعصى على الملك أصحابه وتغلو الأسعار بأرض الترك ويظهر صوت شديد وتسفك الدماء.

وإن كان خسوفه في آذار أول الليل: يدل على الجزع الشديد بأهل البحر وعلى وقوع البلاء في بلاد الهند وموت ملكهم وعلى حسن حال المواشي، ويكون بمصر قتال شديد وتخرب بعض بلدانها ويقع البرد والثلج.

وإن كان نصف الليل: يدل على موت بأرض مصر ويموت ملك المغرب.

خسوف القمر في الأشهر العربية

فإن انخسف في محرم: يدل على موت رجل عظيم من أهل المغرب.

وإن انخسف في شهر صفر: يدل على كثرة الأمطار والفواكه وخوف شديد.

وإن كان في ربيع الأول: فيدل على القتال في الصيف.

وإن كان في ربيع الثاني: وإن المدن عامرة ويكثر الطعام.

وإن كان في جمادى الأولى: يدل على مصائب تصيب العلماء في نفوسهم وأموالهم.

وإن كان في جمادى الثانية: فإن الملوك تصطلح مع العلماء وتكون السنة كثيرة الخير.

وإن كان في رجب: يدل على الفتن والحروب. **وإن كان في شعبان:** يدل عل الاختلاف بين قبائل العرب والأشراف ويشتد الأمر على الفقراء ثم تستقيم الأمور بعد ذلك.

وإن كان في شهر رمضان: فإن الملك يظفر بأعدائه.

وإن كان في شوال: فإن الملك يقتل ويملك ولده من بعده ويغلو الطعام.

وإن كان في ذي القعدة: يدل على كثرة الحرب والجور وتهلك الناس بالاختلافات.

وإن كان في ذي الحجة: يدل على فتح مدينة محاصرة وتهزم كل العسكر وتفتحر العبيد على مواليها ويكون جوع شديد.

انكساف الشمس في البروج

وأما البروج فإن كان الكسوف في برج الحمل: يدل على كثرة التمور ويقع الوباء في الناس وينقطع النسل مدة.

وإن كان في الثور: يدل على إسقاط أهل الجبال واختلاف أمر السلاطين ودخول بعضهم إلى مدينة بعنف وقلة ثباته فيها.

وإن كان في الجوزاء: يدل على الغلاء والبلاء لأهل بابل وخروج الناس من أماكنهم مدة ورجوعهم إليها من بعد ذلك.

وإن كان في السرطان: يدل على قلة الأمطار وظهور حيوان غريب الخلقة في أرض بابل.

وإن كان في الأسد: يدل على أمراض بأهل فارس وكثرة الوباء والحروب والفتن في بلاد الهند وظهور الجراد ولا يؤذي شيئاً.

وإن كان في السنبلة: يدل على خصب السنة وكثرة الخيرات ونوران النباتات ووهن بعض السلاطين.

وإن كان في الميزان: يدل على هلاك الحشرات والهوام ووقوع الغلاء بأرض خراسان وشدة تلحق أهلها.

وإن كان في العقرب: يدل على إسقاط أهل الجبال ووقوع الغم وأسباب توجب البكاء إلا أن العاقبة محمودة.

وإن كان في القوس: يدل على الوباء في أشراف الناس وقلة الطعام وارتفاع إسقاط الناس وتجادل بين العلماء وموت رجل عظيم القدر، وتغيير النقود وتقلب الأمور.

وإن كان في الجدي: يدل على اضطراب العالم وكثرة الأراجيف واختلاف الناس عن مواضعهم.

وإن كان في الحوت: يدل على قلة الربيع وقلة الغلات.

في الرعود

وأما الرعود:

فإذا أرعدت والقمر في الحمل: يدل على وقوع الخوف في العالم ووقوع الشتات ويدل على هبوب الرياح المزعجة، وتجيء الأمطار في الشتاء ثم ينقطع مرة ويتصل بعد زيادة المياه والعيون واضطراب الأمور، وكثرة الحمى والحصف وشدة الحرب في بابل وأذربيجان واختلاف الكرم فيها من كثرة البرد وشدة الوباء في هذه البلدان.

وإن أرعدت في الثور: يدل على حسن حال الغلات خصوصاً الحنطة والأثمار، ويدل أيضاً على فرح سلطان المشرق ووقوع الحرب والقحط ببلاد الروم وحد الشمال حتى ينتهي أمر الناس في النواحي إلى أكل الميتة، ويحسن حال الزرع أول السنة وتموت البقر وتعم الأوجاع وتهلك أعيان الناس وتظهر آية في السماء وشدة وقوع الناس، فيها وذلك بمصر والسودان وهمذان والأكراد.

وإن أرعدت في الجوزاء: يدل على غم يلحق الناس معه مرض ويحسن حال الحنطة في الجبال، وتتلف الأباطيخ ويقع الخوف مع السلامة، ويدل على تقدم الأمطار أول الشتاء وهبوب الريح وهلاك الأشجار وكثرة الوباء في الهند وأذربيجان، وتعذر الغلات في المشرق ووقوع الصاعقة من السماء، واشتباك الحروب وهلاك رجل عظيم القدر وظهور الجراد في البلاد التي تتولاها الجوزاء كالهند وأرمينية وأذربيجان.

وإن أرعدت في السرطان: يدل على جوع شديد في نواحي المشرق وكثرة الأراجيف وظهور الجراد وفساد الزرع والأشجار واشتباك الحرب والفتن وتمكن الأعداء من الرعية.

وإن أرعدت في الأسد: يدل على سلامة الغلات وظهور الحكة والثبور والحزب في الناس ويهرب الناس، من الفتن وهلاك أهل السفن في البحر وانقطاع المطر وإتلاف الكروم وموت الأكابر وهلاك النساء عند الولادة وعلة الناس من أكل الثمرة.

وإن أرعدت في السنبلة: يدل على هلاك خواص الملوك ووقوع الفزع بمصر وحسن حال الغلات وتهلك الأغنام والمواشي وتكثر الأمراض في أول السنة وتتصل الأمطار وتقل الغلات ويضطرب أمر السلطان ويتعذر القوت في الجزيرة والفرات من القحط.

وإن أرعدت في الميزان: يدل على الحروب وحسن حال الأمطار ويدل على الفتن في العالم وظهور الذخائر والكنوز من تحت الأرض وخراب البقع والصوامع وبيوت العبادات واتصال الثلوج وهلاك الثمرات وكثرة الأمراض في الصيف وزوالها في آخر الشتاء واشتباك الحروب في بلاد المشرق وسفك الدماء في بلاد المغرب.

وإن أرعدت في العقرب: يدل على هلاك الطيور وشمول البلاء والغلاء في تلك السنة

وخروج ملك المشرق وتوجهه نحو البلاد ليفتحها ويملكها ويدل على كثرة الأمراض وحسن حال الثمار والغلات واعتدال المواشي.

وإن أرعدت في القوس: يدل على حسن حال الغلات في الجبال وقلة الأمطار وكثرة الثلوج وآفة الكروم وكثرة الموت في الرجال.

وإن أرعدت في الجدي: يدل على اتصال الأمطار وكثرة الأراجيف وانقطاع الأمطار أول السنة عدة شهرين ونصف ويهلك الزرع والأشجار.

وإن أرعدت في الدلو: يدل على حروب كثيرة وأمراض صعبة وحسن حال الثمار والغلات وقلة المطر في بلاد الروم وكثرة الموت في الصيف.

وإن أرعدت في الحوت: يدل على قلة الحنطة واتصال الأمطار في البلاد التي يتولاها الحوت وهي اليمين.

حال الأمطار

وأما حال الأمطار.

فإذا جاء المطر في نيسان: يدل على ذكات الغلات وربما يخرج خارجي مفسد.

وإن أمطرت في أيار: فيدل على كثرة القحط.

وإن أمطرت في حزيران: حدث في الناس أوجاع ردية ونقص حمل النساء.

وإن أمطرت في تموز: يدل على زيادة المياه.

وإن كان في آب: فيقع الموت في المواشي.

وإن كان في أيلول: فإنه يحسن حال الزرع، وهكذا حال بقية الشهور.

أحوال البرد

وأما أحوال البرد.

فإن وقع في نيسان: فيدل على قوة السلطان ببابل.

وإن كان في أيار: يدل على قتل الملك ومعه كبار حاشيته ويكون حرب كثير عظيم.

وإن وقع في حزيران: يدل على خصب السنة وحسن حالها.

وإن وقع في تموز: يدل على الغلاء الشديد وتضايق الأمور بالناس وافتقارهم.

وإن وقع في آب: يدل على قلة الغلات ويتلوه الرخص سريعاً.

وإن وقع في أيلول: يدل على برد شديد.

وإن وقع في تشرين الأول: يدل على الوباء وخروج الخوارج في بابل.

وإن وقع في تشرين الثاني: يدل على الجوع خصوصا بمصر والبصرة ويخرج الخوارج ببابل ويكثر الموت في البلدان التي وقع فيها البرد والثلج.

وإن كان في كانون أول: يدل على خروج خوارج على الملك ويقتلهم الملك.

وإن كان في كانون الثاني: يدل على اضطراب عظيم.

وإن وقع في شباط: يدل على ظهور الجراد وفساد الغلات وسخط السلطان على أصحابه والرعية وكثرة الحروب وتغلو الأسعار.

وإن وقع في آذار: يدل على تسارع الخيرات والخصب إلا أنه يكون قتال شديد ومنازعات.

ظهور قوس قزح

وأما ظهور قوس قزح:

فإن ظهر في نيسان: يدل على اختلاف بين الناس وارتفاع المطر في ذلك الشهر.

وإن ظهر في أيار: يدل على الوباء في البقر وحسن حال الثمار ووقوع الصلح بين الملك وبين من يعاديه وكثرة الأمطار، ووقوع الوباء في السودان.

وإن ظهر في المغرب: يدل على الغلاء واضطراب الناس في نواحي المغرب ويقوى أمر الملك ويقتل أعاديه.

وإن ظهر في حزيران: يدل على موت خواص الملك. ويكون هلاكهم على يدي الملك.

وإن ظهر في الغرب: يدل على وقوع الغلاء في المغرب.

وإن ظهر في آب من المشرق: يدل على تشويش بين الملوك وغلاء في خراسان ثلاث سنين.

وإن ظهر في أيلول من ناحية المشرق: يدل على اشتباك الحروب بين ملك فارس والأهواز.

وإن ظهر في تشرين الأول من ناحية المشرق: يدل على اضطراب الروم وموت الحيوانات.

وإن ظهر في المغرب: يدل على السلامة والفرح وعلى نكد المماليك على مواليهم وحسن حال الثمار.

وإن ظهر في تشرين الثاني من المشرق: يدل على كلب الكلاب والسباع وتأذي الناس بها ووقوع البلاء والوباء والابتلاء ببابل ثلاث سنين.

فإن ظهر بالمغرب: يدل على كثرة الأمطار والتمور.

وإن كان في ظهر كانون الأول من المشرق: يدل على حسن الغلات والثمرات واتصال المطر مدة ثلاثة أشهر وكثرة الوباء والأوجاع والحرب واختلاف بين الناس وكثرة العشب.

وإن ظهر من المغرب: يدل على خصب السنة وظهور الجراد والمرض والقتال.

وإن ظهر في كانون الثاني: يدل على وقوع الملك في أيدي أعاديه وكثرة الثلوج وحسن حال الروم والثمرات.

وإن ظهر في المغرب يدل على كثرة الأمطار وزيادة الغلات ويشتد الغلاء في بلاد الروم. **وإن ظهر في شباط من المشرق**: يدل على كثرة الحروب وظفر من الملك بأعدائه.

وإن ظهر في آذار المشرق: يدل على فتنة بين الملكين وظفر أحدهم بالآخر وعلى الأمطار وموت الأطفال.

وإن ظهر في ناحية المغرب: يدل على الوباء وانتقال الناس من أماكنهم وكثرة الغلات والعصافير ويظهر الجراد ويكون الغلاء بعده.

أحوال الزلازل

وأما أحوال الزلازل:

فإن كان في نيسان: نهاراً دل على حسن حال الفواكه والعنب.

وإن كان ليلاً: ينتقل الناس من أماكنهم.

وإن كان في أيار نهاراً: دلت على كثرة الرخص والخصب التام والمطر في أكثر البلاد.

وإن كان ليلا: فموت يقع في الناس والبقر والغنم وحرب تقع في خراسان.

وإن كان في حزيران نهاراً: دلت على الغلاء في تلك السنة وقلة المراعي.

وإن كان ليلاً: تخرب مدينة بابل ويقع الموت في النساء ويمرض خاصة الملك ويموت ملك نينوى.

وإن كان في تموز نهاراً: يدل على موت رجل جليل القدر ببابل.

وإن كان ليلاً: دلت على أن في خراسان مرضاً وشراً عظيماً في أيام الحصاد.

وإن كان في آب نهاراً: دلت على حسن حال الطعام وكثرة القتال والسبي وتظهر اللصوص.

وإن كان ليلاً: دلت على ظهور اللصوص وقطع الطريق وفوران الحروب.

وإن كان في أيلول نهاراً: دلت على كثرة التناسل وحسن حال الغلات والثمار وموت رجل جليل القدر.

وإن كان ليلاً: يقع الحرب.

وإن كان في تشرين الأول نهاراً: دلت على ظهور ملك يستولي على الدنيا ويفتقر الأغنياء وتستغني الفقراء ويكون موت في خراسان.

وإن كان ليلاً: يدل على إسقاط أهل الجبال.

وإن كان في تشرين الثاني نهاراً: دلت على كثرة الأمراض.

وإن كان في كانون الأول نهاراً: دلت على موت الحيوان.

وإن كان في كانون الثاني: دلت على موت الأطفال وكثرة الخيرات ويكون أمراض كثيرة.

وإن كان ليلاً: يدل على اضطراب الناس.

وإن كان في شباط نهاراً: تدل على اتصال الأمطار ومرض الأطفال واجتماع الجيوش وتعصى الأولاد على آبائهم ولا يقبلون منهم ويقع الجوع والوباء.

وإن كان ليلاً: يدل على عموم الغم لسائر البلدان ويتكلم الجنين في بطن أمه ويكثر الشر والأمراض ويموت رجل عظيم.

وإن كان في آذار نهاراً: يدل على كثرة اللصوص ويقتل الملك ويموت الناس ثم يكون في آخر السنة فرح كثير ويكثر الطعام ويقع الجوع في بلاد الروم ويكثر الموت في هذه السنة.

وإن كان ليلاً: يكون القتال بمصر وتكثر المياه ويظهر الموت في الناس ويصلح حال الأشجار والثمار، تم والحمد لله.

المثلثات اللغوية لقطرب البصري

قال أبو علي قطرب بن أحمد البصري: هذا كتاب المثلث وهو أن يكون الحرف واحداً ويتصرف على ثلاثة أوجه رفع ونصب وجر فمن ذلك:

الغَمر الغِمر الغُمر: فأما الغمر بالنصب فالماء الكثير وأما الغمر بكسر الغين فالحقد في الصدور، وأما الغمر بالضم فالشات القليل الحيلة الضعيف في حالاته.

السَّلام السِّلام السُّلام: أما السلام بفتح السين فالتحية، وأما السلام بكسر السين فالحجارة، وأما السلام برفع السين فعروق الظهر.

الكَلام الكِلام الكُلام: فأما الكلام بفتح الكاف فالكلام بعينه، وأما الكلام بكسر الكاف فالجراحات، وأما الكلام بضم الكاف فالأرض الطلية فيها الحجارة والحصى.

ومنه **حَلم حِلم حَلُم**: فأما الحلم بفتح الحاء فمن الحلم في النوم، وأما حلم بنصب الحاء وكسر اللام فهو إفساد الأديم، وأما حلم بفتح الحاء وضم اللام فمن الحلم والاحتمال.

ومنه **الحَجر الحِجر الحجر**: فاما الحجر بالفتح فالمنع وجميع مقدم القميص، وأما الحجر

بكسر الحاء فالعقل، قال الله تعالى في قسم: ﴿لِّذِى حِجْرٍ﴾[1] وأما الحجر بضم الحاء فهو اسم رجل.

ومنه الدَّعوة الدِّعوة الدُّعوة: فأما الدعوة بنصب الدال فالرجل يناديك، وأما الدعوة بكسر الدال فالرجل يدعى إلى قوم ليس منهم، وأما الدعوة برفع الدال فالرجل يدعى إلى طعام وغيره.

ومنه السَّبت السِّبت السُّبت: أما السبت بفتح السين فهو من الأيام، وأما السبت بكسر السين فالنعال اليمانية، وأما السبت برفع السين فنبت يشبه الخطمي.

الحَرة الحِرة الحُرة: فالحرة بنصب الحاء الأرض فيها حصاة سود وبيض، وأما الحرة بكسر الحاء فأشد ما يكون من الحر والعطش، وأما الحرة بضم الحاء فالحرة من النساء.

ومنه السَّهام السِّهام السُّهام: أما السهام بنصب السين فشدة الحر، وأما السهام بكسر السين فالنبال وأما السهام بضم السين فهو لعاب الشمس.

الشَّرب الشِّرب الشُّرب: أما الشرب بفتح الشين فالقوم يجتمعون على طعام واحد، وأما الشرب بكسر الشين فموضع الماء، وأما الشرب برفع الشين فهو الشرب بعينه.

ومنه الخَرق الخِرق الخُرق: فأما الخرق بفتح الخاء فالصحراء الواسعة البعيدة الأطراف، وأما الخرق بكسر الخاء فالشاب النظر الكامل في خصاله، وأما الخرق بضم الخاء فهو الجهل والحمق.

ومنه الشَّكل الشِّكل الشُّكل: أما الشكل بفتح الشين فالمثل والشبيه، وأما الشكل بكسر الشين فهو القبح والذل، وأما الشكل بضم الشين فجميع أشكال الدابة.

الرَّقاق الرِّقاق الرُّقاق: فاما الرقاق بفتح الراء والقاف فالرمان المتصلة، وأما الرقاق بكسر الراء فما نص عنه الماء من شطوط الأنهار والأودية، وأما الرقاق بضم الراء فالخبز الرقيق.

ومنه عَمِرت عمَرت عمُرت: فأما عَمِرت بفتح العين وكسر الميم فمن طول العمر، وأما عمرت بفتح الميم فالدور والمنازل إذا صلحت، وأما عمرت بضم الميم فمن عمارة الأرض والبلاد.

ومنه الطَّلا الطِّلا الطُّلا: فأما الطلا بنصب الطاء فالولد إذا سقط من أمه، وأما الطلا بكسر العطاء فهو الخمر، وأما الطلا برفع الطاء فهي الأعناق.

الصَّرة الصِّرة الصُّرة: فأما الصرة بنصب الصاد فالجماعة من الناس، قال الله عز وجل: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾[2] فأما الصرة بكسر الصاد فالليل البارد فأما الصرة بضم الصاد فالخرقة يصر فيها الشيء.

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٥. (٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٩.

ومنه المَلا المِلا المُلا: فأما الملا بفتح الميم فالصحراء الواسعة التي لا ينبت فيها شيء، وأما الملا بكسر الميم فجمع ملا كل آنية يقال: قدح ملان دماء وقداح ملا، وأما الملا برفع الميم فالملا حف من الكتاب وغيره.

ومنه اللَّحا اللِّحا اللُّحا: فأما اللحا بنصب اللام فالملاحات والمحل، وأما اللحا بكسر اللام فجمع لحية، وأما اللحا برفع اللام فجمع اللحى وهي العظم الذي ينبت عليه اللحية.

ومنه السَّقط السِّقط السُّقط: فأما السقط بنصب السين فهو الثلج، وأما السقط بكسر السين فعين النار، وأما السقط برفع السين فالولد لغير تمام.

القَسط القِسط القُسط: وأما القسط بنصب القاف فالجور، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾(١)، وأما القسط بكسر القاف فالعدل والحق، قال الله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾(٢) وأما القسط بضم القاف هو ما يدخر به.

ومنه القَمة القِمة القُمة: فالقمة بفتح القاف فما أخذ الأسد بفيه، وأما القمة بكسر القاف فأعلا السنام وأعلا الرأس، وأما القمة بضم القاف فجمع ما كنس وهي المزبلة.

ومنه العَرف العِرف العُرف: فالعرف بفتح العين فما بدا لك من ريح طيبة، وأما العرف بكسر العين فهو الصبر عند الشدائد، والعرف بضم العين فالمعروف.

ومنه الجَد الجِد الجُد: فأما الجد بفتح الجيم فمن القرابة وهو أب الأب والعظمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾(٣). وأما الجد بكسر الجيم الحق، والجد في الأمر، وأما الجد بضم الجيم فالبئر القديمة.

ومنه الكلا الكلا الكلا: فأما الكلا بفتح الكاف فالنبت وما رعى، وأما الكلا بكسر الكاف فجمع كلابه وهو الحفظ، وأما الكلا برفع الكاف فجمع كليه.

الجَوار الجِوار الجُوار: وأما الجوار بفتح الجيم فجمع جارية والجواري وهي السفن، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾(٤)، وأما الجوار بكسر الجيم فهي المجاورة، وأما الجوار بضم الجيم فالصوت العالي.

ومنه المَسك المِسك المُسك: فأما المسك بفتح الميم فإنه الاهاب وهو الجلد، وأما المسك بكسر الميم فهو الطيب، وأما المسك بضم الميم فما أمسك من طعام وغيره.

ومنه اللَّمة اللِّمة اللُّمة: اللمة بنصب اللام فالطائف من صرع أو جنون، وأما اللمة بكسر اللام فالوفرة، وأما اللمة بضم اللام فالجماعة من الناس بعضهم على بعض.

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٥.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٩.
(٣) سورة الجن، الآية: ٣.
(٤) سورة الرحمن، الآية: ٢٤.

ومنه **الحَمام الحِمام الحُمام**: فأما الحمام بفتح الميم فالطير، وأما الحمام بكسر الميم، فهو الموت وأما الحمام بضم الحاء فاسم رجل.

ومنه **الصَّل الصِّل الصُّل**: فأما الصل بفتح الصاد فصوت الحديد يضرب بعضه على بعض، وأما الصل بكسر الصاد فحية صفراء دقيقة تكون في الرمل، وأما الصل بضم الصاد فما تغير من اللحم واللبن.

الكَرى الكِرى الكُرى: فأما الكرى بفتح الكاف فالنوم، وأما الكرى بكسر الكاف فهو النوم أيضاً، وأما الكرى بضم الكاف فجمع الكرة.

الرَّشا الرِّشا الرُّشا: وأما الرشا بفتح الراء فولد الظبية إذا قوي ومشى وتحرك، وأما الرشا بكسر الراء فالجبل، وأما الرشا بضم والراء فجمع رشوة.

الجَمام الجِمام الجُمام: فأما الجمام بفتح الجيم فالاستئناس وقلة التعب، وأما الجمام بكسر الجيم فالماء إذا طال مكثة، وأما الجمام بضم الجيم فجمام القدح والميكال مملوءة.

ومنه **القَلب القِلب القُلب**: وأما القلب بفتح القاف فالفؤاد، وأما القلب بكسر القاف فطائر يشبه العصفور، وأما القلب بضم القاف فالسوار.

القَرى القِرى القُرى: أما القرى بفتح القاف فالظهر، وأما القرى بكسر القاف فمن قرى الأضياف، وأما القرى بضم القاف فجمع قرية.

اللَّقاء اللِّقاء اللُّقاء: فأما اللقاء بفتح اللام فما ألقي خلف البيت والخباء من رذالة المتاع، وأما اللقاء بكسر اللام فاللقاء عند الحروب، وأما اللقاء بضم اللام فالفالوده.

الكَما الكِما الكُما: فأما الكما بفتح الكاف يقال كماه، وأما الكما بكسر الكاف فهم الأبطال الشداد، وأما الكما بضم الكاف فجمع كماة.

السَّنة السِّنة السُّنة: فأما السنة بفتح السين فمن الدهر، وأما السنة بكسر السين فالنوم والنعاس، وأما السنة بضم السين فجمال الوجه.

المَرة المِرة المُرة: فأما المرة بفتح الميم فمن قولك وأتيه مرة واحدة، وأما المرة بكسر الميم فأحكام القفل وغيره، وأما المرة بضم الميم فكل شجرة مرة.

النَّي النِّي النُّي: فأما الني بفتح النون فهو اللحم الطري، وأما الني بكسر النون فهو الشحم، وأما الني بضم النون الحفرة حول الخيمة ينصب فيها ماء المطر.

الحَب الحِب الحُب: وأما الحب بفتح الحاء فحب الطعام، وأما الحب بكسر الحاء فالذي يحب الشيء، وأما الحب بضم الحاء فحبك الشيء.

ومنه **العَدى العِدى العُدى**: فأما العدى بفتح العين فهو البعد، وأما العدى بكسر العين فالموالاة بين الشيئين، وأما العدى بضم العين فالأعداء.

الدَّف الدِّف الدُّف: أما الدف بفتح الدال فالجنب، وأما الدف بكسر الدال فمن الدفاء، وأما الدف بضم الدال فالذي يلعب.

البر البر البر: فأما البر بفتح الباء فالرجل البار بوالديه وغيره، وأما البر بكسر الباء فمصدر بررته، وأما البر بضم الباء فمن الطعام.

الجَنة الجِنة الجُنة: أما الجنة بفتح الجيم فالبستان قال الله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[1]، وأما الجنة بكسر الجيم فجماعة الجن قال الله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[2] وأما الجنة بضم الجيم فالسلاح.

الحَباب الحِباب الحُباب: فأما الحباب بفتح الحاء فطرائق الماء ورغوته وزبده وموجه، وأما الحباب بكسر الحاء فجمع حب، وأما الحباب بضم الحاء فهي الحية.

القَبل القِبل القُبل: فأما القبل بفتح القاف فهو أن ترد الإبل وتصب الإبل في الحوض على أفواهها إذا لم يكن لها موضع شرب، وأما القبل بكسر القاف فهو فوق طاقتك للشيء، وأما القبل فهو الفرج.

السَّورة السِّورة السُّورة: فأما السورة بفتح السين فسورة الحدة والوثوب، وأما السورة بكسر السين فالمذهب الجميل والقبيح، يقال: سار فيهم سيرة حسنة وقبيحة، وأما السورة بضم السين غير مهموز فالرقبة.

الرَّمة الرِّمة الرُّمة: وأما الرمة بفتح الراء فمن الرمة للشيء تقول: «رممته رماً حسناً»، وأما الرمة بالكسر فالعظم البالي، وأما الرمة بالضم فالحبل البالي.

اللَّهى اللِّهى اللُّهى: فأما اللهى بالفتح فجمع لهاة يسقط من الإنسان فتعالج وهي بالصبيان خاصة أكثر سقوطاً، وأما اللهى بالضم فجمع لهوة وهي قبضة من الطعام تلقى في قلب الرحا.

السَّوار السِّوار السُّوار: فأما السوار بالفتح فجمع سارية، وأما السوار بالكسر فسوارات المرأة، وأما السوار بالضم ففارس العجم وهو الرامي.

الظَّلم الظِّلم الظُّلم: وأما الظلم بالفتح فسواد في اللثة يضرب إلى حمرة وهي أحسن ما يكون في اللثات، وأما الظلم بالكسر فهو ذكر ولد النعام الواحد ظليم، وأما الظلم بالضم فمن ظلم الناس بعضهم بعضاً.

العَذرة العِذرة العُذرة: وأما العذرة بالفتح قطاع الأغدار يعلم للمحبوب، وأما العذرة بالكسر فما اشتق من الاعتذار، وأما العذرة بالضم فعذرة الحلق وهي التي تكون في حلق الصبي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٢) سورة الناس، الآية: ٦

العَقار العِقار العُقار: فأما العقار بالفتح فما يورث من مسكن أو ضياع، وأما العقار بالكسر فجمع عقر وهي الجراحات، وأما عقار بالضم فهو من اسماء الحمر.

القَلا القِلا القُلا: فأما القلا بالفتح فالأتان من الحمير، وأما القلا بالكسر فالهجر والبغض، وأما القلا بالضم فجمعه قلة وقلا فكأنه الجمع الأول وقلا لجمع الجمع وهي خشبة تلعب عليها الصبيان.

اللَّبان اللِّبان اللُّبان: فأما اللبان بالفتح فالصدر، وأما اللبان بكسر اللام الرضاع، وأما اللبان بالضم فشجرة الكندر.

الطَّوال الطِّوال الطُّوال: فأما الطوال بفتح الطاء فمن طول الدهر، وأما الطول بكسر الطاء فجمع طويل، وأما الطوال بضم الطاء فمن قولك: رجل طويل وطوال.

المَنة المِنة المُنة: فأما المنة بالفتح فمن الامتنان وكأنه مصدر منها، وأما المنة بكسر الميم فواحدة المنن. وأما المنة بالضم فهي النفس نفس الرجل بعينها يقال: انه لشديد المنة.

نظم كتاب المثلثات

[البحر الرجز المجزوء]

هذه القصيدة نظم كتاب قطرب على ما تقدم الكلمة تنقسم إلى ثلاث معانٍ وهي هذه:

أريحُ ما يخطرُ في الجنانِ … وخيرُ ما يجري على اللسانِ
الحمدُ والإيمانُ للمنانِ … منزّلِ الآياتِ فينا والسورْ
ثم صلاةُ الملكِ الجبارِ … على النبيِّ المصطفى المختارِ
محمدٍ وآلهِ الأبرارِ … أشرفِ مبعوثٍ به الحقُّ ظهرْ
سألتَني نظمَ كتابِ قطربِ … لتقتدي في الحفظِ غير متعبِ
فاسمعْ بنيَّ من أبٍ خيرِ أبِ … حيَّاه بالفضلِ على ابنِ مسطرِ
منازلُ الأعرابِ قد نظمتُهُ … والضمُّ قبل الفتح قد جعلتُهُ
والكسرُ قد تلاهُما نظمتهْ … فجاء درٌّ قد علا لمن نظرْ
فالأولُ البئرُ العميقُ الجدُّ … والبختُ والذكرُ الجميلُ الجدُّ
والضدُّ للهزلِ المثيرِ الجدُّ … يورثُ في القلبِ لذي التقوى أثرْ
والغاربُ الرأيِ الجبانُ الغمرُ … والماءُ إنْ كان كثيراً غمرُ
والحقدُ في طيِّ القلوبِ غمرْ … يوحشُ ما بينَ الرجالِ إنْ ظهرْ
وبعضُ أقطارِ البلادِ قطرُ … والمطرُ الهامي اليسيرُ قطرُ
والمهلُ من دربِ النحاسِ قطرُ … تشوى بهِ الاو...[1]

(١) هكذا في الأصل.

واسمُ الفَتى كان قديماً حجرْ ومقدمُ الثوبِ يُسمى حجرْ
والعقلُ عند العارفين حجرْ لـــــــهُ آلــــــــه... (١)
وكلُّ صوتٍ فاعلٍ جَواري السفنُ في تيّارها جَواري
والقربُ من دار الفَتى جواري وعن أذى الجارِ اللُّهى قد زجرْ
والخمرُ من أسمائها عقارُ وكلُّ أملاكِ الفتى عقارُ
ثم جراحاتُ الفتى عقارُ يؤخذُ فيها بالقصاصِ منْ عقرْ
والجمعُ في القريةِ للفظِ قرى والصلبُ للشبابِ والشيبِ قَرى
والطعمُ للزادِ لدى الجوعِ قِرى يكسبُ حمداً بين بادٍ وحضرْ
وبعضُ أجناسِ البخورِ قسطُ والجورُ في فعلِ الرجالِ قسطُ
والعدلُ في حكمِ الولاةِ قسطُ به اللُّهي لذوي الأمرِ أمرْ
والخمرُ ما لم تصفُ فهي سقطْ والثلج في أعلى الجبالِ قد سُقط
والولدُ المولودُ منها سقط ليسَ عليه في الحسابِ من وزرْ
وكلُّ شيءٍ صرٌّ فهو صُرّة والعشر من جمعِ النساء صِرةْ
وليلة البرد الشديد صَرةْ فأنها مانعةٌ من السفرْ
والكاعبُ الحورُ الحسانُ حُرةْ وكلُّ أرضٍ ذات حزنٍ حرّةْ
والظالمُ المردي الشديدُ جِرةْ أعدّه اللهُ الجبارُ كفرْ
والصوتُ من داعي الطّعام دعوةْ وصوتُ من يدعو إلا إله دِعوةْ
والأنتسابُ في الرجالِ دُعوه سيّان في ذلك أنثى وذكرْ
وكلُّ جبلٍ للنبيّ أمّةْ والشجةُ المرتاعُ منها أمّةْ
ونعمةُ تُولي السّرور امةْ يدنيها على عبدٍ شكرْ
وقوةُ النفس تسمى منّه وحية تحكي السواد منّةْ
ومصدر للامتنان مِنّةْ يكسبُها عند الجناءِ من غفرْ
والاشتباكُ في اللقاءِ لمّةْ والعقلُ إنْ خالطَ عقلاً لمّةْ
ولحيةُ المرء تسمّى لُمّةْ إنْ نشرتْ وإن كها المرء ظفرْ
وكلّما يكنسُ فهو قُمّةْ وعضة الليث الهصور قَمّةْ
وكل عال من سنام قِمّةْ وهي من الرأسِ السواءِ والشعرْ
والمنحُ والإعطاءُ والبذلُ لهَىَ وهي لهاءِ المرءِ والجمع لهى

(١) هكذا في الأصل.

وقضيةُ الكفّ لدَى الطحنِ لهَى ... يقذفها قابضُها تحتَ الحجرْ
والكرةُ الجوُّ لها الجمعُ كرى ... والنومُ للأجفانِ نسمّيه كَرى
وقال قومٌ إنه أيضاً كِرى ... والكلُّ في ذلك للحقّ ذكرْ
والجمعُ للرشوةِ في اللفظ رُشا ... والطفل للظبية مقصوراً رَشى
والحبلُ تسميه ذوو العقل رشى ... والويلُ للمرءِ إذا الحبلُ انتشرْ
وكليةُ المرءِ لدى الجمع كِلا ... وكل نبت تنبت الأرض كَلا
والحفظ والرعي من الله كُلا ... ليس ذليلاً من له اللهُ بصرْ
والعودُ أن ينحت للعب قلى ... ومن رماه الخلُّ بالهجرِ قلا
والبغضُ والهجرُ لدى الناس قلا ... ومن رماه الخلُّ بالهجر هجر
والجمعُ للأعناقِ للناسِ طلا ... وكلّما يولدُ للريم طِلا
والخمرُ إنْ كان غليظاً فطُلا ... يبدو لها عندَ المزاحِ كالشررْ
والشربُ للماءِ الزلالِ شربٌ ... والجمعُ في شربِ المعامِ شُرب
وكلْ مجرىً فيه ماءٌ شِربٌ ... إلى كروم وزروع وشجرْ
وكلُّ معروفِ الكرامِ عُرفٌ ... والنشرُ من طيبِ النسيمِ عرفٌ
والصبرُ في كلِّ الأمورِ عرفٌ ... ولم يفتْ نيلُ الأماني مَن صبرْ
وماسكُ الروحِ فذاكَ مسكٌ ... وجلد كل الحيوان مُسكٌ
والطيبُ عند الغانياتِ مِسكٌ ... يطربُ من شمّ له وقتَ النظرْ
وأحمقُ الناسِ الجهولُ خَرق ... والمهملةُ السربُ الفضاءَ خُرق
والسيدُ السمحُ الجوادُ خِرق ... يُثني عليه بالذي يُولي البشرْ
وعرقُ ظهرِ الراحة السُّلامُ ... والبشرُ والتحيةُ السَّلامُ
والصخرةُ النابتةُ السِّلام ... تبدو كفردٍ بارزٍ لمنْ نظرْ
ثم الحِمى في الإبلِ الحُمام ... والطير في أوكارها الحَمام
والموت ما بين الورى الحِمام ... يأتي عليهمْ بقضاءٍ وقدرْ
الأرضُ إذا ما عطلتْ كُلام ... وكلُّ ألفاظِ الورى كلامُ
وكلُّ جرحٍ مؤلمٍ كِلام ... يعقبُ للصحةِ في الجسمِ ضررْ
. . . . جُمام(١) ... وكلُّ أفراحِ الورى جَمامُ
والماءُ مع تغييرِه جمامُ ... وأيُّ صفوٍ لم يكدره كدرْ

(١) هكذا في الأصل.

ثم لعابُ الشمسِ فالسّهامُ ... والبردُ في فصلِ الشّتا السُّهامُ
والنبلُ في يوم الوغى السّهام ... ترشقُ عن قسيّها مثل المطرْ
وبعضُ رؤيا النائمين حلمُ ... ومفسد الجلد الأديم حلمْ
والصفحُ عن جرمِ الجناةِ حلمُ ... لا سيّما إذا أتى ممّن قدرْ
وفعل ما لا يستجار ظلم ... وكل عذب في الثغور ظلمُ
وجمعُ ظلمانِ النعامِ ظلمُ ... راتعةً بين رمالٍ ومدرْ
والشطنُ للخيلِ الجيادِ شكلُ ... والمثلُ في كلِّ الأمور شكلُ
والذلُّ والقبحُ جميعاً شكلُ ... كما تُضاهي الشمسُ في جو القمرْ
وموضعُ الماءِ القليلِ صُلُّ ... والصوتُ من وقعِ الحديد صَلُّ
وحيةُ الرملِ القتولُ صلُّ ... وكلُّ من تنظرُه على خطرْ
والخبزُ عند العربِ الرُّقاقُ ... والرملُ ان يتصل الرُّقاقُ
وكل شاطىءِ دجلةٍ رُقاقُ ... يزرعُها الناسُ إذا جعلَ الماء جزرْ
ثم القواريرُ هي الزُّجاج ... وبعده القرنفلُ الزُّجاج
وجمعُ نصلٍ جمعُها زجاجُ ... أخرسُ أن زل عن القوسِ صفرْ
والجمعُ في وقتِ الزفاف عرسُ ... وموضعُ الليثِ الهصور عرسُ
والكاعبُ الخودُ الحسانُ عِرس ... تسفرُ كالبدرِ إذا البدرُ سفرْ
فهذه الأبياتُ للكتابِ ... محكمةٌ عند ذوي الألبابِ
جامعةٌ لسائرِ الآدابِ ... شرحتُها الشرحَ الجليَّ المختصرْ

قال الشاعر: [البحر السريع]

ما عاينتْ عينايَ في فضلي ... أقلَّ من حظّي ومن بخْتي
قد بعْت عبْدي وحِماري وقد ... أصبحتُ لا فوْقي ولا تحْتي

وقال آخر: [البحر الطويل]

سألتُ النَّدى هل أنتَ حرٌّ فقال: لا ... ولكنّني عبدٌ ليحْيى بن خالدِ
فقلتُ شراءً قال: لا، بل توارثاً ... توارثني من والدٍ بعدَ والدِ

حديث حسن

من التذكرة للعالم الأديب السيد علي صدر الدين الشيرازي قال أبو الفرج بن الجوزي: قيل: من قرابتك يا رسول الله الذين وحبت علينا مودتهم؟

قال: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وفي وصفهم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ

﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] يا حسين فإذا كنت غصن هذه الشجرة وشجاع هذه الجوهرة المطهرة كيف يباح دمك.

فقال: يا قوم قضي الأمر وجف القلم وعمل الحاكم فيما حكم، فأولياؤه وخواصه قد حضوا في هذه الدار بالبلاء والنقم والعناء والسقم، وصبت عليهم من البلايا ما لو صبت على جبل لانهدم أو ركن لانثلم، ومن أشبه أباه فلا ظلم، أبي قتل مظلوماً وجدي مات مسموماً، فلو لم أسلك سبيلهم لكنت فيهم ملوماً، فنحن السعداء في الحياة والشهداء في الممات، ولولا شرف الأبوة ما ألحقت درجة النبوة، أما رمي في النار إبراهيم الخليل أما اضطجع للذبح إسماعيل، إما ضني بالبلاء أيوب أما عمي بالبكاء يعقوب، أما ناح نوح حتى ثوى أما بكى داود حتى دوى، اما نشر بالمنشار زكريا أما ذبح الحصور يحيى، فكيف لا أسلك سبيل الأنبياء وطريق الأولياء ونحن أهل بيت خصصنا بالبلاء، كان جدي كلما كر عليه كرب الموت يقول: واكرباه وكانت أمي تقول: واكرباه لكربك يا أبتاه، فكان يقول: لا كرب على أبيك بعد اليوم فأخذت من هذه العبارة إشارة فكنت كلما كربلاء في كربلاء أقول لا كرب ولا حزن شعراً:

أمَا والذي لدَمي حلّلا ... وخصّص أهلَ الولا بالبَلا
لئن ذقتُ فيك كروبَ الحمام ... لما قال قلبي لساقِيه لا
ولا كنتُ ممّن يشكّي الجَوى ... ولو قدّني مِفصلاً مفصلا
رضيتُ وحقّك كلَّ الرِّضا ... إذا كان يُرضيك أنْ أقتلا
أنا ابنُ البتولِ وسبطُ الرسولْ ... وجدّي فيكمْ بجدٍّ علا
أنا ابنُ الفَتى الهاشميّ الذي ... لمرحبَ في خيبرٍ جدّلا
فلا غرْو إن رمتُ موتَ الكرامْ ... كما ماتَ في الحبِّ من قد خلا
أتنكرُ بين الملا قتْلتي ... ورأسي يُطاف به في المَلا
فيا حبّذا حينَ صلّى على ... صلاةِ الشهيدِ على كربلا
فمتُّ كما مات أهلُ الهوى ... كما رسم الحبّ أن يفعلا
مضتْ سنةُ اللهِ في خلقِه ... بأن الحبيبَ هو المبتلى
يقولُ لهم عندَ بلواهمُ ... أليسَ لي الحكمُ قالوا بلى
فكمْ في الهوى من فتىً عاشقٍ ... على مركبِ الموتِ قد عوّلا
ومزّق بالشوقِ أستاره ... وخالف في حبّه العُذّلا
ونادى على نفسِه جهرةً ... كذا من تحبُّ وإلاّ فلا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

خري أميركم

وفي كامل البهائي: أن معاوية كان يخطب على منبره يوم الجمعة فضرط ضرطة عظيمة فتعجب الناس من وقاحته فقطع الخطبة وقال: الحمد لله الذي خلق أبداننا وجعل فيها رياحاً وجعل خروجها راحة فربما انفلتت في غير وقتها فلا جناح على من جاء منه ذلك والسلام، فقام إليه صعصعة وقال: إن الله تعالى خلق أبداننا وجعل فيه رياحاً وجعل خروجها للنفس راحة ولكن جعل ارسالها في الكنيف سنة وعلى المنبر بدعة، ثم قال: قوموا يا أهل الشام فقد خري أميركم فلا صلاة له ولا لكم ثم توجه إلى المدينة.

ألا تستحي

وسئل الشعبي: عن مسألة قال: لا علم لي بها، فقيل: ألا تستحي؟ فقال: ولم أستحي مما لا استحت عنه الملائكة حين قالت: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[1].

قصة الملك مع غلامه فيروز

وحكي: أن بعض الملوك نظر من فوق قصره إلى امرأة أعجبته فقيل له: إنها زوجة غلامك فيروز، فكتب الملك إليه كتاباً وأرسله إلى بعض النواحي فأتى فيروز إلى أهله وبات ليلته وخرج ولكنه نسي الكتاب، وأما الملك فإنه لما توجه فيروز أتى مختفياً إلى داره فدخل على امرأته فقال لها: أنا السلطان أتيت زائراً، فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة، ثم أنشدت شعراً عن الأوائل:

[البحر الوافر]

سأتركُ ماءَكم من غيرِ وردِ ... وذاك لكثرة الورّاد فيهِ
إذا وقعَ الذُّبابُ على طعامٍ ... رفعتُ يدي ونفسي تشتهيهِ
وتجتنبُ الأسودُ ورودَ ماءٍ ... إذا كانَ الكلابُ ولغْنَ فيهِ
ويرتجعُ الكريمُ خميصَ بطنٍ ... ولا يَرضى مناهمة السفيهِ

ثم قالت: تأتي أيها الملك إلى موضع شرب منه كلبك لتشرب، فاستحى من كلامها وخرج وتركها ونسي نعله، وأما ما كان من فيروز فإنه لما فقد الكتاب في عرض الطريق رجع إلى داره فوافق وصوله خروج الملك من داره ووجد نعله فيه فطاش عقله وعرف حيلة الملك في إرساله، فلما رجع العبد من سفره دفع إليه الملك مائة دينار فاشترى بها ثياباً ودفعها إلى زوجته وسرحها إلى أهلها وبقيت عندهم، ثم إن أخاها قال له: ما سبب غضبك عليها، فحاكمه إلى القاضي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

وكان القاضي عند الملك فقال أخو الزوجة: أيد الله القاضي أني أجرت هذا الغلام بستاناً سالم الحيطان فيه عين جارية وأشجار مثمرة فأكل ثمرة وخرب حيطانه وأعمى عين مائه.

فقال فيروز: أيها القاضي قد سلمت إليه البستان بأحسن ما كان، فقال له أخو الزوجة: قل له أي شيء السبب في رده؟

قال يا مولاي: ما رددت البستان كرهاً فيه وإنما جئت يوماً من الأيام فوجدت أثر الأسد فيه فخفت أن يغتالني فحرمت دخول البستان إكراماً للأسد وكان الملك متكئاً فاستوى جالساً وقال: يا فيروز ارجع إلى بستانك مطمئن القلب فوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثراً ولا التمس منه ورقاً ولا ثمراً ولم يلبث غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس، فو الله ما رأى الأسد مثل بستانك ولا أشد احتراساً من حيطانه على شجره، فرجع فيروز إلى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره من ذلك شيئاً.

افضل الخلق بعد رسول الله ﷺ

وحكي: عن ابن الجوزي أنه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته وهما فريقان سنة وشيعة فقيل له: من أفضل الخلق بعد رسول الله أبو بكر أو علي؟ فقال: أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته، فأوهم على الحاضرين ولم يعرفوا مذهبه، فقالو نسأله غير هذا، فقالوا: كم الخلفاء بعد رسول الله؟ فصاح: أربعة أربعة، إيماء إلى الأئمة اثني عشر عليهم السلام.

خطاب درواش لهشام

وفي الكتاب: أن البادية قحطت في أيام هشام فدخلت عليه العرب وهابوه أن يكلموه وكان بينهم درواش بن حبيب وهو صبي فوقف بين يديه وقال: يا أمير المؤمنين أن للكلام نشراً وطياً ولا يعرف ما في باطنه إلا بنشره فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أتكلم نشرته، فأعجبه كلامه وقال: انشره لله درك.

فقال: يا أمير المؤمنين قد أصابتنا سنون ثلاث سنة إذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة إذابت العظم وفي أيديكم فضول مال فإن كانت لله ففرقوها في عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم وإن الله يجزي المتصدقين.

فقال هشام: ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف دينار ثم قال له: أما لك حاجة؟

فقال: ما لي حاجة في خاصة نفسي دون المسلمين، فخرج من عنده وهو من أجل القوم.

خطاب الخالديين لبعض العلويين

من التذكرة: كان الخالديان قد مدحا بعض العلويين فأبطأ عليهما بالجائزة وأراد الخروج إلى بعض الجهات فدخلا عليه وأنشداه: [البحر البسيط المجزوء]

قلْ للشريفِ المستجارْ ... به إذا عدمَ المطرْ
وابنِ الأئمةِ من قريشٍ والميامينِ الغررْ
أقسمتُ بالريحانِ ... والنغمِ المضاعفِ والوترْ
لأن الشريفَ مضى ... ولم ينعمْ لعبديْه النظرْ
لنشاركنَّ بني أمية ... في الضلالِ المشتهرْ
ونقولُ لم يغضبْ أبو بكرٍ ... ولم يظلمْ عمرْ
ونرى معاويةً إماماً ... من يخالفهُ كفرْ
ونقولُ إنَّ يزيدَ ما ... قتلَ الحسين ولا أمرْ
ونعدُّ طلحةَ والزبيرَ ... من الميامينِ الغررْ
ويكونُ في عنقِ الشريفِ ... دخولُ عبدَيْهِ سقرْ

وهذا الشريف هو أبو الحسن محمد بن عمر الراوندي الحسيني قلت: وعلى هذا الأسلوب نظم ابن منير قصيدته المشهورة التي انتهت الإشارة إليها في أسلوبها، وكان سبب نظمه لها أنه كان بينه وبين الشريف نقيب الأشراف مودة أكيدة ومراسلات لأن الشريف كان رئيس المذهب الإمامي وكان منير من كبار الإمامية وأجلاء طرابلس، فيقال: إنه أرسل إلى الشريف بهدية مع عبد أسود فأرسل الشريف يعتبه فكتب إليه:

أما بعد فلو علمت عدداً أقل من الواحد أو لو ناشراً من السواد بعث به إلينا والسلام، وكان الشريف معروفاً بالشهامة وكان ابن منير يهوى مملوكاً له يسمى: «تتر» وكان لا يفارقه في نوم ولا يقظة حتى أنه متى اشتد غمه أو رأى محنة نظر إليه فيزول ما به فحلف ألا يرسل إلى الشريف هدية إلا مع أعز الناس إليه فجهز الهدايا مع مملوكه "تتر" وأخذ يقاسي مشاق فرقته، فلما وصل المملوك إلى الشريف توهم أنه من جملة الهدايا تعويضاً من ذنب العبد الأسود فمسكه وطال الأمر فلم ير ابن منير ما يشتكي به الشريف ويبعثه على إرسال المملوك إلا اظهار النزوع عن التشيع والدخول في مذهب السنة وإن ذلك دليل أمر خروجه عن العقل حتى فارق مذهبه، فكتب إليه هذه القصيدة وهي بديعة في بابها مع رقة ألفاظها وانسجامها وهي هذه:

[البحر الكامل المجزوء]

عذّبتُ طرْفي بالسهرْ ... وأذبتُ قلبي بالفكرْ
مزجتُ صفوَ مودّتي ... من بعدِ بُعْدِكَ بالكدرْ
ومنحتُ جثماني الضّنى ... وكحلتُ عيْني بالسهرْ

وجفوتُ صبّاً ماله عن حسنِ وجهِك مصطبرْ
يا قلبُ ويحك كم تخادعُ بالغرورِ وكم تغر
والامَ تكلفُ بالأغنِ من الظباءِ وبالأغرّ
ريمٌ يفوقُ أن رماك بسهمِ ناظرةِ النظرْ
تركتْك أعينُ تركِها من يأسهنَّ على خطرْ
ورمتْ فأصمتْ عن قسيٍّ لا يُناطُ بها وترْ
جرحتْك جُرحاً لا يخيطُ بالخيوطِ ولا الإبرْ
تلهوَ وتلعبُ بالعقولِ عيونُ أبناءِ الخزرْ
فكأنهنَّ صوالجٌ وكأنهنَّ لها أكرْ
تُخفي الهَوى وتسرُّه وخفيُّ سرّك قد ظهرْ
أفهلْ لوجدِك من مدىً يُفضي إليه فينتظرْ
نفسي الفداءُ لشادنٍ أنا من هواه على خطرْ
عذلَ العذولُ وما رآه فحين عاينه عذرْ
قمرٌ يزينُ ضوءِ صبحِ جبينه ليلُ الشعرْ
وترى اللواحظَ خدَّه فيرى لها وجهٌ أثرْ
هو كالهلالِ مُلثّماً والبدرِ حُسْناً إنْ سفرْ
ويلاهُ ما أحلاهُ في قلبي الشجيّ وما أمر
يومي المحرمُ بعده وربيعُ لذّاتي صفرْ
باللهِ ربّك إن رأى بغدادَ طرْفُك أو نظرْ
قلْ للبغاددةِ السراةِ من الكرامِ أولي النظرْ
وأولي الدعابةِ والفكاهةِ والخلاعةِ والسمرْ
بالمشعرين وبالصّفا والبيتِ أُقْسمُ والحجرْ
وبمنْ سعى فيه وطاف به ولبّى واعتمرْ
لئنِ الشريفُ الموسويُّ ابنُ الشريفِ أبي مضرْ
أبدى الجحودَ ولم يردَّ إليَّ مملوكي تترْ
والسيتُ آلَ أميةَ الطهرِ المياميين الغررْ
وجحدتُ بيعةَ حيدرٍ وعدلتُ عنه إلى عمرْ
وإذا جرى ذكرُ الغديرِ أقولُ ما صحَّ الخبرْ
وإذا جرى ذكرُ الصحابةِ بين قومِ واشتهرْ

قلتُ المقدمُ شيخُ تيمٍ ثم صاحبهُ عمرْ
ما سلَّ قطُّ ظبىً على آلِ النبيِّ وما شهرْ
كلا ولا صدَّ البتول عن التراثِ ولا زجرْ
وأثابها الحُسنى ولا شقَّ الكتابَ ولا بقرْ
وإن امرؤٌ طلبَ الدليلَ وردَّ قولي واستمرْ
فيقالُ هذا مسلمٌ أقولُ لا هذا كفرْ
وبكيتُ عثمانَ الشهيدَ بكاءَ نسوانِ الحضرْ
وشرحتُ حسنَ صلاتِه جنحَ الظلامِ المعتكرْ
وقرأتُ من أوراقِ مصحفِه البراءة والزبرْ
ورثيتُ طلحةَ والزبيرَ بكلِّ شعرٍ مبتكرْ
وأزورُ قبرهُما وأزجرُ من نهاني أو زجرْ
وأقولُ أم المؤمنينَ عقوقُها إحدى الكبرْ
ركبتْ على جملٍ لتصلحَ من بنيها في زمرْ
وأتتْ لتصلحَ بين جيشِ المؤمنين على غرزْ
فأتى أبو حسن وسلَّ حسامه وسطا وكرّ
وأذاقَ إخوتَه الردى وبعيرَ أمهمُ عقرْ
ما لو كان كفَّ وعفَّ عنهمْ إذ قدرْ
وأقولُ إنَّ إمامكم ولَّى بصفينِ وفرّ
وأقولُ إنْ أخطا معاويةٌ فما أخطا القدرْ
هذا ولم يغدرْ معاويةٌ ولا عمروٌ مكرْ
بطلٌ بسوأتِه يقاتلُ لا بصارمه الذكرْ
وجنيتُ من رطبِ الخوارج ما تنمَّر واختمرْ
وأقولُ ذنبُ الخارجين على عليٍّ مغتفرْ
لا ثائرٌ بقتالهم في النهروانِ ولا أثرْ
والأشعريُّ بما يؤولُ إليه أمرُهما شعرْ
قال انصبوا لي منبراً فأنا البريُّ من الخطرْ
فعلا وقال خلعتُ صاحبكم وأوجزَ واختصرْ
وأقولُ إنَّ يزيد ما شربَ الخمورَ ولا فجرْ
ولجيشِه بالكفِّ عن أبناءِ فاطمةٍ أمرْ

وخلقتُ في عشرِ المحرمِ ما استطالَ من الشعرْ
والشمرُ ما قتلَ الحسينَ ولا ابنُ سعدٍ ما غدرْ
وأباحهمْ ماءَ الفراتِ وما حماهُ وما حضرْ
ونويتُ صوم نهارِه وصيامَ أيامٍ أخرْ
ولبستُ فيه أجلَّ ثوبٍ للملابسِ يدّخرْ
وسهرتُ في طبخِ الحبوبِ من العشاءِ إلى السحرْ
وغدوتُ مكتحلاً أصافحُ من لقيتُ من البشرْ
وأقلْ لمن صافحتُه هنّيت في عيدِ الظّفرْ
ووقفتُ في وسطِ الطريقِ أقصُّ شاربَ من عبرْ
وأكلتُ جرجير البقولِ بلحمِ جرّي الحفرْ
وجعلتُها خير المآكلِ والفواكهِ والخضرْ
وغسلتُ رجلي كلّه ومسحتُ خُفي في السفرْ
وآمينَ أجهرُ في الصلاةِ كمنْ بها قبلي جهرْ
وأسنُّ تسنيمَ القبورِ لكلِّ قبرٍ يحتفرْ
ولبستُ فيه من الملابسِ ما اضمحلَّ وما دثرْ
وسكنتُ جلّق فاقتديتُ بهمْ وإن كانُوا بقرْ
وأقولُ مثل مقالهم بالفاشري ما قد فشرْ
مصطيختي مكسورةٌ وفطيرتي فيها قصرْ
بقرٌ يُرى برتيسهمْ طيشُ الظليم إذا نفرْ
وخفيفُهم مستثقلٌ وصوابُ قولهمُ هذرْ
وطباعهُمْ كجبالهم جليتْ وقدّت من حجرْ
ما يدركُ التشبيبُ تغريدَ البلابلِ في السحرْ
وأقولُ في يومٍ تحارُ له البصيرةُ والبصرْ
هذا الشريفُ أضلّني بعدَ الهدايةِ والنظرْ
ما لي مضلٌّ في الورى إلا الشريفَ أبا مضرْ
فيقالُ خذ بيدِ الشريفِ فمستقرُّ كُما سقرْ
لواحةٌ تسطوُ فما تُبقي عليه ولا تُذرْ
واللهُ يغفرُ للمسيءِ إذا تنصّل واعتذرْ
إلا لمنْ جحدَ الوصيَّ ولاءَه ولمنْ كفرْ

فاخشَ الآلهَ بسوءِ فعْلِك ... واحتذرْ كلَّ الحذرْ
وإليكها بدويةٌ رقتْ لرقَّتها الحضرْ
شاميةٌ لو شامَها ... قسُّ الفصاحةِ لافتخرْ
ودرى وأيقنَ أنّني ... بحرٌ وألفاظي دُرَرْ
خيّرتُها فغدتْ كزهرِ الروضِ باكرة المطرْ
وبديعةٌ كبديعةٍ ... عذراءَ ترفلُ في الحبرْ
وإلى الشريفِ بعثتُها ... لمّا قراها وابتهرْ
ردّ الغلامَ وما استمر ... على الجحودِ ولا أصرّ
واثابني فجزيتُه شكراً ... وقال لقد صبرْ

فلما وصلت القصيدة إلى الشريف ضحك وقال: لقد أبطأن عليه فهو معذور ثم جهز المملوك مع هدايا حسنة فمدحة ابن منير فقال: [البحر الطويل]

إلى المرتضى حثُّ المطيِّ فإنَّه ... إمامٌ على كلِّ البريةِ قد سما
نرى الناسَ أرضاً في الفضائلِ عنده ... ونجلُ الزكيِّ الهاشميِّ هو السَّما

قال ابن حجة: إن ابن منير حين هادى الشريف كان الشريف ببغداد وقوله: «وأقول مثل مقالهم» يفسره ما بعده من الكلمات المهملة التي يستعملها أهل الخلاعة، «والمصطيخة» خشبة في الأصل تجعل تحت دود القز وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطيخة ويكون معهم في المواسم ولقد تطرف في الخلاعة والمجون حيث قلب اللفظ فنسب القصر إلى الفطرة والكسر إلى المصطيخة والمستعمل العكس فأنهم يضعون الصوالج قائمة فمن جاء صولجانه قصيراً خرج من اللعب فيقول: مصطيختي قصيرة وكذا من لعب الفطيرة، يريد من كان فطيرته مكسورة، وقوله إلى الشريف: «بعثنها» قد يتوهم أنه ملحق بعد رد المملوك وليس كذلك وإنما قاله تفاؤلاً وحسن ظن بالشريف واعتماداً على شهامته، وهذا من دهاء ابن منير لعلمه بسجايا الشريف - انتهى.

قلت: وكثير من الناس يظن أن الشريف المذكور هو أبو القاسم علي بن طاهر ذي المناقب أحمد أبي الحسين الشهير بالشريف المرتضى علم الهدى اخو الشريف الرضي رحمهما الله تعالى، وليس به فإن ابن منير متأخر عن الشريف المرتضى ولم يدرك زمانه لأن وفاة الشريف المرتضى يوم الأحد الخامس من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة وولادة ابن منير سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، فيكون موت الشريف المرتضى قبل أن يخلق ابن منير بنحو من سبع وثلاثين سنة ، فيتعين أن يكون الشريف الذي خاطبه ابن منير غير سيدنا الشريف المرتضى علم الهدى رحمهم الله جميعاً.

يقول جامع هذه التحف وناقل هذه الطرف: وابن منير هو أبو الحسن أحمد بن منير بن مفلح

الطرابلسي الملقب مهدي الملك عين الزمان المشهور الشاعر، قال ابن خلكان في تاريخه: ومنير بضم الميم وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها راء وطرابلس مدينة بساحل الشام قريبة من بعلبك وقال: من محاسن شعره القصيدة التي أولها: [البحر البسيط التام]

من ركبَ البدرَ في صدر الرُّدينيِّ ... وموّه السحرَ في حدّ اليمانيِّ
وأنزلَ النيّرَ الأعلى إلى فلكٍ ... مداره في القباءِ الخُسروانيِّ
طرفٌ رنا أم قرابٌ سلَّ صارمه ... وأغيدٌ ماسَ أم أعطافُ خطّيِّ
أذلّني بعدَ عزٍّ والهوى أبداً ... يستعبدُ الليثَ للظبيِ الكِناسيِّ
أما وذوائبُ مسكٍ من ذوائبِه ... على أعالي القضيبِ الخيزرانيِّ
وما يجنُّ عقيقيُّ الشفاهِ من آل ... ريق الرحيقيِّ والثغرِ الجمانيِّ
لو قيلَ للبدرِ من في الأرضِ يحسدُه ... إذا تجلّى لقالَ ابنُ الفلانيِّ
أربَى عليَّ بشيءٍ من محاسنِه ... تألفتْ بين مسموعٍ ومرئيِّ
أباه فارس في لبنِ الشام مع آل ... طرفِ العراقيِّ والنطقِ الحجازيِّ
وما المدامةُ بالألبابِ أفتَكُ من ... فصاحةِ البدوِ في ألفاظِ تركيِّ

وقال: صاحب الكتاب المتقدم ذكره: الخالديان هما أبو محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم، قال الثعالبي في اليتيمة: إن هذان لساحران يغريان في ما يجلبان ويبدعان فيما يصنعان، وكان ما يجمعهما أخوة الأدب مثلما يجمعهما من أخوة النسب في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ويشتركان في نظم الشعر وينفردان ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان، وكانا في التساوي والتشابك والتشاكل كما قال أبو تمام: رضيعي لبان شريكي عنان عتيقي رهان حليفي صفاء بل كما قال البحتري: [البحر الكامل]

كالفرقدينِ إذا تأملَ ناظرٌ ... لم يعْدُ موضعَ فرقدٍ من فرقدِ

بل كما قال أبو إسحاق الصابي فيهما: [البحر الكامل]

ارى الشاعرينِ الخالديّينِ سيّرا ... قصائدَ يفنى الدهرُ وهي تخلَّد
جواهرُ من أبكارِ لفظٍ وعونِه ... يقصرُ عنها راجزٌ ومقصّدُ
تنازعَ قومٌ فيهما وتناقضُوا ... ومرَّ جدالٌ بينهم يتردَّدُ
وصارِ إلى حكمي فأصلحتُ بينهُم ... وما قلتُ إلا بالتي هي أرشدُ
هما في اجتماعِ الفضلِ روحٌ مؤلّفٌ ... ومعناهُما من حيثُ يثبتُ مفردُ
كذا فرقدُ الظلماءِ لما تشاكلا ... عليّ أشكلا هذاك أم ذاك أمجدُ
فزوجُهما ما مثلُه في اتفاقِه ... وفردُهما بين الكواكبِ أوحدُ
فقاموا على صلحٍ وقال جميعهم ... رضينا وساوى فرقد الأرضِ فرقدُ

ومن محاسن: شعر أبي بكر وهو الأكبر منهما: [البحر الكامل]

لو أشرقتْ لك شمسُ ذاك الهودجِ لأرتْك سالفتي غزاك أدعجِ
أرعى النجومَ كأنَّها في افقها زهر الأقاحي في رياضِ بنفسجِ
والمشتري وسطَ السماءِ تخالُه وسناه مثلَ الزيبقِ المترجرجِ
مسمارُ تبرٍ أصفرٍ ركَّبتُه في فصِّ خاتمِ فضةٍ فيروزجِ
وتمايلُ الجوزاءِ يحكي في الدُّجي ميلان شاربِ قهوةٍ لم يمزجِ
وتنقبتْ بخفيفِ غيمٍ أبيضٍ هي فيه بين تخفرٍ وتبرّجِ
وتنافسُ الحسناءِ في المرآةِ إذ كملتْ محاسنُها ولم تتزوجِ

وقوله: في مرثية الحسين عليه السلام: [البحر الكامل]

إذا تفكرْتُ في مصابهمْ أثقب زندَ الهمومِ قادحَهْ
فبعضهمْ قربتْ مصارعُهْ وبعضهمْ بعدتْ مطارحُهْ
أظلمَ في كربلاءَ يومهمُ ثم تجلّى وهمْ ذبائحُهْ
لا برحَ الغيثُ كلُّ شارقةٍ تهمي غواديه أو روائحُهْ
على ثرىً حلّه غريبُ رسولُ اللهِ مجروحةً جوارحُهْ
ذلَّ حماهُ وقلَّ ناصرهُ ونالَ أقصى مناهُ كاشحُهْ

ومنها أيضاً:

عفّرتمُ بالثّرى جبينَ فتىً جبريلُ بعد النبيِّ ماسحُهْ
يطلُّ ما بينكم دمُ ابنِ رسولِ اللهِ وابنُ السّفاحِ سافِحُهْ
سيّانَ عندَ الأنامِ كلهمْ خاذِلُه منكمُ وذابحُهْ

أسماء بلدان جبل عامل

هذه أسماء بلدان جبل عامل: بسم الله الرحمن الرحيم هذه يا مولانا أسماء بلدان جبل عامل وإن وفق الله نرسمها لجنابكم بدائرة جدول كل بلدة بالجهة التي بها ونبتدئ باسم بلد عبدكم ومخلصكم تبركاً وهي:

أنصار، جبع، مشغرة، ميس، لويزة، حانين، عيناته، كونين، الطيبة، مركبة، رب ثلاثين، دير سريان، القنطرة، علمان، عديسة، الزقية، مجدل سليم، عيديب، فرون، جل مرتبة، تبنين، صديقين، صفد البطيخ، الصوانة، شقرة، برعشيت، بنت جبيل، عثرون، المالكية، قدس، وهي تدبن بلد شعيب عليه السلام، بليدة وهي بجوارها وبها البئر الذي سقى منه موسى عليه السلام غنم

شعيب بلد يوشع به مسميه وبها مدفنه، راج، مارون الرأس، يارون، مارون الركبة، صلحة، غينيب، الطيرة، حاريص، حداثة، تزميخة، البصة، الناقورة، مسرقية، المجادل، طير زبنة، مارون، صريفا، بافليه، شحور، طير سمحات، طيرفلسيه، معروب، حلوسية، دير قانون، بدياس، برج رحال، العباسية، معركة، جوية، المزرعة، دوبية، دير عامص، قانة، عيتيت، البازورية، فقعية، مجدل زون، شمع، بلد بها مدفن شمعون الصفا وصي عيسى عليه السلام وله مقام عظيم، صور، العزية، القاسمية، حناوية بها مقام يحيى عليه السلام وبها قبر حيرام «لع» يارين الشمر «لع» خراب وبقربها قرب مائة قرية جميعها خراب ونشفت آبارهم وغارت مياههم وهي بلدة عظيمة أثارها المعشوقة، أم الأعماد، بعال الخيام، بلاط، دبين، كفركلا، البويضة، سحمر، كفرحونة، مليخ، بعل مليخ، الريحان، عرمتة الجديدة، كفررمان، المأذنة، طهرة، النباطية العليا النباطية السفلى، جيوش الكفور، دير الزهراني، النميرية، الدوير، الشرقية، القطينية، شل بعل، ذمول جب شيث، كفعم، حاروف، زبدين، شوكين، عبه، عدشيت تلفت لحاهم، ثوك وبها عين تصاد منها السمكة المشهورة بالشقنقور في شهر شباط القصير، القصيبة، بريقع، الأجنحية، القاقعية، صير، كفرصير، برج يالوش الذي ادعى النبوة وقتله الشهيد الأول وقتل بسببه قدس الله روحه، جزين، العيشية، بقيره القلعة المعروفة بالشقيف أرنون المذكورة في حديث العسكري عليه السلام، زوطر، الحمرة، يحمر السماحية، بصفور، كفر تبنيت، مربصع، سينيه، قويص المغيرية، الزريرية، أرزية، المطرية، المهدومة، السكينة، جهيم، الواسطة، الكوثرية، فريص، جدروث، الحارثية، الأنصارية، دير ثقلا، الصرفند أهلها نواصب وبها مقام لأبي ذر، عدلون، القبية، البيسارية، البابلية، قاقعية، الصنوبر، تفاحة، الغسانية، المروانية، خرطوم، الغازية، صيده مدينة البلاد وبها الباشه من قبل الروم غير الله دولتهم الحاوارة، عنقون، جرجوع، عين قانة، حومين العليا، حومين السفلى، كفرحته، الأسبغية، كفر ملكه، نصلية، العدوسية، الخنوصية، عقبية، زلوم، السكسكية، الداوودية، ديرقبة، شاذنية، رفتة، كرك نوح عليه السلام في بلاد بعلبك وبها مقام نوح عليه السلام من أولاد نوح عليه السلام ولإقامة الشيخ علي بن عبد العال العاملي بها عرف وهي سفر يومين عن بلاد جبل عامل ومن طرف البلاد سفر يوم، جون الجية وبها مقام يونس عليه السلام ومحل يقال إنه خرج من بطن الحوت من هناك لأنها بحد البحر جزين بلد الشهيد الأول وبها ذريته في هذا العصر وهو أهل صلاح وعلم، عرب صاليم ياطر، علمة، غمران، السماعية، رأس العين، الجارودية، الاسبغيه، عيديب، عين بعال، دير بستين، رومبين، أركية، دير قانون النهر، طير سخات، قنويه، الخالصة هذا يا مولانا ما حضرني من أسماء القرى المذكورة المعمورة وهي مع أعيانها وأعزائها كأنهم نصب عين المخلص نسأل جنابكم الشريف الدعاء لأهلها بالتوفيق وكف يد الظلم عنهم وأن يمن على مخلصكم بوصوله إلى تلك البقاع لأنها أول أرض مس جسمي ترابها فواشوقاه إليها وأنى لي بها فأتمثل: [البحر الكامل]

كيف الوصولُ إلى سعادَ ودونَها قللُ الجبالِ ودونهنَّ حتوفُ
الرّجلُ حافيةٌ وما لي مركبٌ والكفُّ صفرٌ والطريقُ مخوفُ

للشيخ حسن ابن شيخنا الشهيد الثاني (قدس الله سره). [البحر البسيط التام]

قفْ بالديارِ وسلْها عن أهاليها عسى تردُّ جواباً إذ تُناديها
واستفهمنْ من لسانِ الحالِ ما فعلتْ ايدي الخطوبِ وماذا ابرمتْ فيها
فسوف تنبيك أن القومَ قد رحلُوا ولم تكنْ بلغتْ منهم أمانيها
وغادرتْها صروفُ الدهرِ خاليةً قد هدّمتْ أسفاً منها مغانيها
ونابَ عن عزّها ذل الكآبةِ إذ تغيرَتْ بعد ما بانُوا معانيها

وله أيضاً: قدس الله روحه. [البحر الوافر]

فؤادي ضاعنٌ اثرَ النياقِ وجسمي قاطنٌ أرضَ العراقِ
ومن عجبِ الزمانِ حياةُ شخصٍ ترحّلَ بعضُه والبعضُ باقي
وحلَّ السقمُ في جسمي فأمسى له ليلُ النوى ليلَ المحاقِ
وصبْري راحلٌ عمّا قليلٍ لشدةِ لوعتي ولظى اشْتياقي
وظمَّأني النّوى وأراقَ دمعي فلا أُروى ولا دمعي براقِ
وقيّدني على حالٍ شديدٍ فما حرزُ الرقى منه براقي
أبا اللهِ المهيمنِ أن تراني عيونُ الخلقِ محلولَ الوثاقِ
أبيتُ لدى الزمانِ لنارِ وجدي على جمرٍ يزيدُ به احتراقي
وما عيشُ امرىءٍ في بحرِ غمٌ يُضاهي كربه كربُ اشتياقي
يودُّ من الزمان صفاءَ يوم يلوذُ بظلّه ممّا يُلاقي
سقتْنا نائباتُ الدهرِ كأساً مريراً من أباريقِ الفراقِ
ولم يخطرْ ببالي قبلَ هذا لفرطِ الجهلِ أنَّ الدهرَ ساقِ
وفاضَ الكأسُ قبلَ البينِ حتّى لعمري قد جرتْ منه سواقي
فليسَ لداءِ ما ألقى دواءٌ يؤمّلُ نفعُه إلا التلاقي
وفرطُ الوجدِ أصبحَ لي خليعاً ولمّا ينوِ في الدّنيا فِراقي
وتعبثُ نارُه في الروحِ حيناً فيوشِك أن تبلُغَها التراقي

غيره لغيره: [البحر البسيط التام]

ماذا على من أذى الأشواقِ تنهكُه لو أفصحَ الدمعُ عنه حين يسفكهُ
يا لائمي في هوى من لستُ أتركهُ كم أكتمُ الوجدَ والأجفانُ تهتكُهُ

وأطلقُ الحبَّ والأحشاءُ تمسكُهُ قالوا دعِ الحبَّ يا هذا ومسلكهُ
فكم سعى فيه من صبٍّ فأهلكهُ فقلت والشوقُ داعي البينِ حرّكهُ
عصانيَ القلبُ لمّا أن تملّكه غيري فوا أسفي لو كنت أملكُهُ
السحبُ تروي حديثَ الغيثِ من جدثي والورقُ تنقلُ سجعَ النوحِ من قلقي
سلِ الذي نامِ عن شوقي وعن أرقي ما ضرَّ من لم يدعْ مني سوى رمقي

لو كان يسمح بالباقي ويتركه

حكى البهائي: في الكشكول أنه كان رجل اسمه أزآد مرد عند الحجاج فبدرت منه بادرة فخجل فأراد أن يرفع الخجل عنه فقال له: قد وضعت عنك الخراج هل من حاجة غيرها؟ وكان قد أحضر الحجاج أعرابياً يريد قتله فقال له: هب لي هذا الأعرابي، فوهبه له فخرج الأعرابي يقبل إسته ويقول: بأبي إست يحط الخراج ويفك من القتل لا يحق المدح والثناء إلا له.

ما جاء في الجاحظ

وفي الأثر: أن الجاحظ كان من العلماء النواصب وهو قبيح الصورة حتى قال الشاعر:

[البحر الرجز المجزوء]

لو يُمسخُ الخنزيرُ مِسخاً ثانياً ما كان إلا دونَ قُبْحِ الجاحظِ

وقال يوماً لتلامذته: ما أخجلتني إلا امرأة أتت بي إلى صائغ فقالت: هذا، فبقيت حائراً فلما ذهب سألت الصائغ، فقال الصائغ: استعملتني لأسوغ لها صورة جني فقلت: لا ادري كيف صورته؟ فأتت بك.

الجزء الثاني

في تصدق علي عليه السلام بالخاتم في الصلاة

ومن التذكرة الصدرية: قد اعترض بعض علماء النواصب أنكم تقولون: إذا دخل أمير المؤمنين عليه السلام في الصلاة استغرق فكره في عالم الملكوت فما يحس ولا يشعر بهذا العالم، ومن ثم كانوا يخرجون النصال من بدنه إذا أخذ في الصلاة فكيف شعر بالسائل حتى أعطاه خاتمه وهو في الركوع؟ فأنشد ابن الجوزي: [البحر البسيط التام]

يسقى ويشربُ لا تُلهيه سكرتُه ... عنِ النديمِ ولا يلهُو عن الْكاسي

أطاعَه سكرُه حتّى تمكّن من ... فعلِ الصّحاةِ فهذا أعظمُ الناسِ

وتحقيق الجواب: أنه عليه السلام قد انتقل عن طاعة العبادة إلى طاعة الصدقة فهو في الخدمة دائماً فلا يقدح في استغراق فكره في العالم القدسي، ومن ثم أنزل فيه قرآناً يتلى على صفحات الدهور: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1] وفي الحديث أن ذلك الخاتم الذي أعطاه للسائل كان الخاتم الذي ملك به مشارق الأرض ومغاربها، وقد بعث النبي صلى الله عليه وآله من اشتراه من ذلك السائل بمائتي درهم ثم دفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام لأنه من مواريث الأنبياء وهو الآن كغيره من المواريث في خزانة مولانا الصاحب عليه السلام والأئمة كانوا تصدقوا وقت الركوع فدخلوا تحت عموم الآية.

قال أبو بكر: لقد تصدقت بأربعين خاتماً وأنا في الصلاة لينزل في ما نزل في علي بن أبي طالب فما نزل.

أقول: بل نزل فيه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾[2].

وتحقيق هذا الجواب: ما روي أنه أُهدي إلى النبي صلى الله عليه وآله ناقتان فقال: من صلى ركعتين بحضور قلب أعطيه ناقة فلم يجبه أحد من الناس غير أمير المؤمنين عليه السلام فقام وصلى ركعتين فلما

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٢) سورة القيامة، الآية: ٣١ - ٣٢.

فرغ طلب الناقة، فقال له النبي ﷺ: إنه خطر ببالك أي الناقتين أسمن حتى آخذها، فبينما هم في الكلام إذ أتى جبرائيل عليه السلام فقال: يا رسول الله إن الله يأمرك أن تدفع إلى علي الناقة لأنه خطر بقلبه من السمينة منهما حتى أنحرها للمساكين والفقراء إلا أن هذا الخاطر لا ينافي الإقبال والحضور.

ومن الكتاب لطيفة: حكى لي بعض إخواني قال: كنت جالساً بعض الأيام عند قاضي بغداد الحنفي فسمعنا سائلاً يقرأ قصيدة التصدق بالخاتم فقال لي: اسمع هؤلاء الروافض كيف نظموا القصائد في مدح علي بن أبي طالب عليه السلام على تصدقه بخاتمه ما يبلغ قيمته أربعة دراهم وأبو بكر تصدق بجميع ماله ولا يذكره أحد في نظم ولا نثر؟

فقلت له: أصلح الله القاضي ليس للروافض ذنب في هذا المعنى إن كان شيء فهو من عالم الملكوت لأنه أنزل في ذلك الخاتم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ولم ينزل في شأن أبي بكر آية ولا سورة مع تصدقه بالمال الجزيل فحرك يده فقال: يا أخي خطر هذا في بالي إلى يوم القيامة ولكن كيف الحيلة.

يقول جامع هذه الفنون الظريفة والنكت اللطيفة: قد نقل هذه اللطيفة أيضاً السيد نعمة الله الجزائري قدس سره في كتاب الأنوار النعمانية، والظاهر أنها منقولة أيضاً في موضع آخر من هذا الكتاب عنه، هذا وخبر التصدق بالخاتم مما اعترف به علماء النصاب فأوردوه في غير كتاب منهم: أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره رواه فيه بطرق عديدة، والزمخشري في كشافه، وابن مغازلي الشافعي والفاضل النيشابوري في تفسيره، واعترف به الناصبي العنيد القوشجي في شرح التجريد وقال: إن الآية نزلت باتفاق المسرين في علي بن أبي طالب عليه السلام حين تصدق وأعطى السائل خاتمه وهو راكع في صلاته انتهى.

وقال الغزالي في كتاب سر العالمين: إن الخاتم الذي تصدق به علي عليه السلام على السائل خاتم سليمان بن داود عليه السلام وقع إلى جماعة فأهدوه إلى سيد المرسلين فأعطاه أمير المؤمنين عليه السلام وأن السائل كان جبرائيل بأمر الملك العلام في صورة المسكين، وكان ذلك عند صلاة الظهر، ونزلت الآية الكريمة في ذلك بعد الفراغ انتهى. ولله در حسان حين أنشد في ذلك: **[البحر الطويل]**

أبا حسنٍ تفديك نفسي ومُهجتي ... وكلّ بطيٍّ في الهوى ومُسارعِ
أيذهبُ مدحي في المحبين ضائعاً ... وما مدحُ في جنب الإلَهِ بضائعِ
وأنتَ الذي أعطيتَ إذْ كنتَ راكِعاً ... فدتْك نفوسُ القومِ يا خيرَ راكعِ
فـأنـزلَ فـيـكَ اللهُ خـيـرَ ولايـةٍ ... فبيّنها في مُحكَماتِ الشّرائعِ

وقال الشيخ فرج الخطي: من قصيدة له في مدح الأمير صلوات الله عليه أولها:

[البحر الطويل]

تـبـاركْـتَ ربّ أنـتَ مَـنْ بـركـاتُـه ... لتنقذَ أهلَ الدينِ من هلكاتِه

[البحر الطويل]

وقد جعل في جملتها أبيات المصراع الأول من البيت في مدح الأمير عليه السلام والمصراع الأخير في ذم أعدائه ومن جملتها: [البحر الطويل]

ومَن جادَ إذ صلّى بخاتمِ كفِّه — كمَن لم يجُد إلا بثقبِ هناتِه
ومَن قال فيه المصطفى أنتَ قائمٌ — مَقامي كمَن نحّاه يومَ صلاتِه
ومن أثرِ القُربى صلاةٌ لأحمدٍ — كمَن غصبَ الزّهرا لقطعِ صلاتهِ

إلى أن قال:

فأينَ الثّريا والثّرى عندَ منصفٍ — وأينَ صلاةُ الله ملءَ لعناتِه

وكان الشاعر: المشار إليه شديد التعصب في التشيع والوقوع في أهل السنة والمخالفين.

مناظرة المفيد مع عمر في المنام

حكاية رائقة بل جوهرة فائقة: قال الشيخ الجليل أحمد بن أبي طالب الطبرسي عطر الله مرقده في الاحتجاج: حدث الشيخ أبو علي الحسن بن محمد الرقي بالرملة في شوال سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، عن الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن النعمان قال: رأيت في المنام سنة من السنين كأني قد اجتزت في بعض الطرق فرأيت حلقة دائرة فيها أناس كثيرة فقلت: ما هذا؟

فقالوا: هذه حلقة فيها رجل يعظ قلت: ومن هو؟

قالوا: عمر بن الخطاب، ففرقت الناس ودخلت الحلقة فإذا أنا برجل يتكلم على الناس بشيء لم أحصله فقطعت عليه الكلام وقلت: أيها الشيخ أخبرني ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر عتيق ابن أبي قحافة من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾؟

فقال: يوجه الدلالة على فضل ابني بكر في هذه الآية على ستة مواضع:

الأول: إن الله تعالى ذكر النبي وذكر أبا بكر وجعله ثانيه.

والثاني: وصفهما بالاجتماع في مكان واحد لتأليفه بينهما فقال: ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾.

والثالث: أنه أضافه إليه بذكر الصحبة فجمع بينهما فبما تقتضي الرتبة فقال: ﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾.

والرابع: أنه أخبر عن شفقة النبي صلى الله عليه وآله ورفقه به لموضعه عنده فقال: ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾[1].

والخامس: أخبر أن الله معهما على حد سواء صر لهما ودافع عنهما فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾.

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

والسادس: أنه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر لأن رسول الله لم تفارقه سكينته قط قال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾(١) فهذه ستة مواضع تدل على فضل أبي بكر من آية الغار حيث لا يمكنك ولا غيرك الطعن فيها. فقلت له: خبرتك بكلامك في الاحتجاج لصاحبك عنه وأني بعون الله سأجعل ما أتيت به كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف:

أما قولك إن الله تعالى ذكر النبي وجعل أبا بكر معه ثانيه: فهو إخبار عن العدد ولعمري لقد كانا اثنين فما في ذلك من الفضل، فنحن نعلم ضرورة أن مؤمناً ومؤمناً أو مؤمناً وكافراً اثنان فما أرى لك في ذلك العد طائلاً تعتمده.

وأما قولك: إنه وصفهما بالاجتماع في المكان: فإنه كالأول لأن المكان يجمع الكافر والمؤمن كما يجمع العدد المؤمنين والكفار، وأيضاً فإن مسجد النبي ﷺ أشرف من الغار وقد جمع المؤمنين والمنافقين، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾(٢)، وأيضاً فإن سفينة نوح عليه السلام قد جمعت النبي والشيطان والبهيمة والكلب والمكان لا يدل على ما أوجبت من الفضيلة فبطل فضلان.

وأما قولك: إنه إضافة إليه بذكر الصحبة: فإنه أضعف من الفضلين الأولين لأن اسم الصحبة تجمع المؤمن والكافر والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾(٣)، وأيضاً فإن اسم الصحبة يطلق على العاقل والبهيمة، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل بلسانهم فقال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾(٤) إنه قد سموا الحمار صاحباً فقال الشاعر: [البحر الكامل]

إنَّ الحمارَ معَ الحميرِ مطيّةٌ ... فإذا خلوْتَ به فبئْسَ الصاحبِ

وأيضاً قد سموا الجماد مع الحي صاحباً فقالوا ذلك في السيف وقالوا شعراً:

[البحر الخفيف]

زرتُ هنداً وكان غيرَ اجتنانْ ... معي صاحبٌ كتومُ اللّسانْ

يعني السيف، فإذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر وبين العاقل والبهيمة وبين الحيوان والجماد فأي حجة لصاحبك فيه.

وأما قولك: إنه قال ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾ فإنه وبال عليه ومنقصه له ودليل على خطئه لأن قوله: ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾(٥) نهي وصورة النهي قول القائل: لا تفعل فلا يخلو أن يكون الحزن قد وقع من أبي بكر طاعة أو معصية، فإن كان طاعة فالنبي ﷺ لا ينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو إليها، وإن كانت معصية فقد نهاه النبي عنها وقد شهدت الآية بعصيانه بدليل أنه نهاه.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة المعارج، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٧.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

وأما قولك إنه قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾(١): فإن النبي ﷺ قد أخبر أن الله معه وعبر عن نفسه بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٢)، وقد قيل أيضاً إن أبا بكر قال: يا رسول الله حزني على علي بن أبي طالب عليه السلام ما كان منه، فقال له النبي ﷺ: لا تحزن فإن الله معنا أي معي ومع أخي علي بن أبي طالب.

وأما قولك: إن السكينة نزلت على أبي بكر: فإنه ترك للظاهر لأن الذي نزلت عليه السكينة هو الذي أيده الله بالجنود كذا يشهد ظاهر القرآن في قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾(٣).

فإن كان أبو بكر هو صاحب السكينة على النبي في الموضعين كان معه قوم مؤمنون فشركهم فيها فقال في أحد الموضعين: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(٤)، وقال في الموضع الآخر: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ولما كان في هذا الموضع خصه في السكينة وحده فقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾(٥) فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين، فدل إخراجه من السكينة على خروجه من الإيمان، فلم يحر جواباً وتفرق الناس واستيقظت من نومي هذا انتهى.

أقول: روى الكليني قدس الله سره في كتاب الروضة من الكافي، عن محمد بن أحمد عن ابن فضال، عن الرضا «فأنزل الله سكينة على رسوله وايده بجنود لم تروها»: قلت هكذا؟

قال: هكذا نقرأها وهكذا تنزيلها. وبهذا الخبر المعتبر يظهر أن الآية المذكورة من جملة ما حرفه أولئك الكفرة ليتم لهم الاستدلال بها على تقديم العجل ونصبه كما ذكره سامر به صب الله عليهم وعلى أتباعهم وأشياعهم صب انتقامه.

في منع عمر كتابة النبي الكتاب

فائدة: روى البخاري في صحيحه، بإسناده عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي».

فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا من بعده، ومنهم من يقول:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٦.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي فقال: قوموا عني. فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه أن عمر قال: إن رسول الله ﷺ ليهجر. وفي مسند أحمد بن حنبل أنه يهجر.

أقول: قد اضطرب أولياء عمر في سد هذه الثلمة وتأويل هذه الكلمة فقال ابن حجر العسقلاني في شرح صحيح البخاري نقلاً عن النووي: أن العلماء اتفقوا على أن قول عمر: «إن الرجل ليهذي أو ليهجر حسبنا كتاب الله» إنما كان عن قوة فهم ودقيق نظر لأنه خشي أن يكتب أموراً تعجز الأمة عنها فيستحقوا العقوبة بكونها منصوصة فمنعه وأمر أن لا ينسد باب الاجتهاد انتهى ملخصاً.

قال بعض علمائنا بعد نقل هذا الكلام عنه: تأمل فيه فإنه يرشدك إلى عماهم عن الحق حتى جوزوا الاجتهاد في حضور النبي ﷺ وهو مخالف للكتاب والسنة والإجماع، وجوزوا بل حكموا بأعطفية عمر على الأمة ممن بعث رحمة للعالمين، وحكموا بأن رأي عمر أصوب من رأي من لا ينطق عن الهوى، ولم يشعروا بأن مخالفة النبي إذا كان بعد مماته سبباً للعقوبة تكون في حياته أولى فكأنه قال: إن عمر رضي بمخالفة النبي ﷺ في حال حياته بأن يعاقب بالنار لئلا يستحق غيره فتأمل - انتهى.

وقال الناصب المهان فضل الله بن روزبهان الجنحي أصلاً الشيرازي مولداً في شرحه بل جرحه على كتاب كشف الحق ونهج الصدق للعلامة الحلي قدس الله سره بعد أن نقل العلامة الخبر المشار إليه عن صحيح مسلم ما لفظه وأما قوله: «إن نبيكم ليهجر» فليس في البخاري وإن سلمنا صحة الرواية فالهجر هو الكلام الذي يقوله المريض فيكون المعنى موافقاً لما هو في بعض الصحاح والمراد أنه يتكلم بكلام المرضى وهو متوجع فلا إساءة أدب في هذا، وأما منع عمر عن كتابة الكتاب فقال العلماء: إن عمر خاف أن يكتب رسول الله ﷺ شيئاً لا يفهمه المنافقون لغلبة وجعه فيقع الاختلاف بين المسلمين، وقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ تكلم بكلام المرضى إلا أنه لا يريد الكتابة كما يقول المريض ناولوني فلاناً وفلاناً وهو لا يريد، والأول أظهر لأن عمر في أيام صحة رسول الله ﷺ كثيراً ما كان يقول له: افعل فلاناً ولا تفعل فلاناً، وكان رسول الله ﷺ يوافقه في رأيه، فكان له هذا المنصب عند رسول الله ﷺ أيام حياته - إلى آخر كلامه أذاقه الله تعالى شديد انتقامه.

قال الفاضل المحقق السيد نور الله الشوشتري في كتاب إحقاق الحق بعد نقل كلام هذا الناصب: أقول كأن الناصب الشقي اقتدى في هذا الفصل بإمامة عمر فلم يأت إلا بالهذيان والهذر، فإن عبارة الحديث في صحيح مسلم واقع على الوجه الذي نقله المصنف ويقول: إن

هذا الكلام في صحيح مسلم، وهذا الشقي المحيل يتجاهل ويقول في الجواب: قوله: «إن نبيكم ليهجر» ليس في البخاري، ثم إن الشيخ ابن حجر العسقلاني قال في مقدمة شرحه للبخاري موافقاً لما في كتب اللغة المتداولة:

إن الهجر هو الهذيان ويطلق على كثير الكلام الذي لا معنى له وهذا الناصب الشقي يحتال في تفسيره ويفسر بكلام المرضى تفسيراً يلازم لا: يكون صريحاً في معنى الهذيان حتى يتأتى له أن يقول: ليس فيه إساءة أدب من عمر، مع آن الآن كما كان فإن قولنا يتكلم بكلام المرضى معناه في متفاهم العرف أنه يهذي ويهجر فعاد إساءة الأدب غضاً طرياً، ثم كيف يظن في شأن النبي أن يهذي ويتكلم بكلام المرضى مع ما ورد في شأنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1] ومع ما ذكر في المشكاة وغيره أنه صلوات الله عليه بعد مطالبة الكتاب ومخالفة الأصحاب وصدور العتاب أمرهم بثلاث قال:

اخرجوا المشركين من جزيرة العرب.

وأجيزوا الوفد بما كنت أجيزهم إلى آخره، وهل يكون هذا مقالة من غلب عليه الوجع ويتكلم بهذيان المرضى؟ كلا لا يتكلم بنسبة هذا إلى سيد الأنبياء إلا الذين في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً.

وأما ما نقله الناصب عن علماء السوء من أن عمر خاف أن يكتب النبي ﷺ شيئاً لا يفهمه المنافقون الخ، فمع أن حاصله يرجع إلى الخوف أن يكتب ﷺ هذياناً وهذراً فيه دليل على نفاقهم في الدين وخروجهم عن الطريق الواضح المبين وأين لقي في المدينة من المنافقين من يحتاجون إلى عرض كتاب النبي ﷺ أو يعتد بفهمه ويصار في ذلك إليه، ثم كيف يوجب اعوجاج فهم شرذمة قليلة من المنافقين الخاملين وقوع الاختلاف بين جماهير المسلمين الذين كانوا لأوضاع الكلام فاهمين لولا أن غالب من عبر عنهم بالمسلمين كانوا مخالفين للنبي وآله الطاهرين، مع أنا نعلم أن طعن المنافقين وشرهم لم يكن أقبح ولا أشد مما فعله هو بحضرة النبي ﷺ من نسبة الهجر إليه والهذيان.

وهذه مقارنة فاحكموا

ومن العجب أن النبي ﷺ قال: «ائتوني بقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي» ولم يقبلوا قوله ولم ينقادوا لأمره بل قالوا فيه مرة قد غلب الوجع وأخرى اهجر.أو ليهجر، ولما كتب أبو بكر في مرض موته: «إني استخلفت عمر فإن عدل فذلك ظني به ورأيي فيه وإن بدل وجار فلكل امرىء ما اكتسبت يداه» قبلوا قوله ووصيته وانقادوا لأمره وأخذوا بمنزلة النصوص، مع أن

(١) سورة النجم، الآية: ٣-٤

كتاب أبي بكر كان على وجه يقيم الناظر في مقام الطعن والتردد حيث تردد في شأن عمر بقوله: فإن عدل، ويدل أن وصية النبي ﷺ كان على وجه القطع والتعيين، وأعجب من هذا أنهم يستدلون على خلافة عمر بأن أبا بكر نص عليه بها مع أن ذلك وقع منه في حال المرض أيضاً بإجماع الكل فكيف لا يحتمل كلام أبي بكر الهذيان والهذر واحتمل كلام النبي ﷺ ذلك؟ فهل كان أبو بكر أكمل من النبي ﷺ، ولنعم ما قال بعضهم في هذا المعنى: [البحر الكامل]

أوصَى النّبيُّ فقال قائلُهم ... قد ظلَّ يهجرُ سيدُ البشرِ

وأرى أبا بكرٍ أصابَ ولمْ يهجْر وقد أوْصى إلى عمرِ

إلى آخر كلامه أفاض الله عليه سوائح إكرامه.

ما قاله الغزالي في الكتاب

أقول: ومن أعجب العجب تصريح علمائهم زيادة على نقلهم لهذه الأخبار بهذه الفضائح والمناكر وسطرها رأي العين لكل ناظر، فمن ذلك ما صرح به أبو حامد الغزالي الملقب عندهم بحجة الإسلام في كتابه المسمى: «بسر العالمين وكشف الدارين» في المقالة الرابعة التي وضعها لتحقيق أمر الخلافة بعد الأبحاث وذكر الاختلافات فيها ما هذه عبارته.

ولكن الحجة وجهها وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبة الغدير وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال: بخ بخ لك يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فهذا تسليم ورضا تحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى وحب الرياسة وحمل عمود الخلافة وعقود البندوق وخفقان الهوى في قعقعة الرايات واشتباك ازدحام الخيول وفتح الأمصار والأمر والنهي فعادوا إلى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئسما يشترون، ولما مات النبي قال وقت وفاته: «آتوني بدواة وبيضاء لأزيل عنكم مشكل الأمر وأذكر لكم من المستحق لها بعدي».

فقال عمر: دعوا الرجل أنه ليهجر، وقيل: يهذي إلى آخر كلامه.

وقد توهم بعض من يميل إلى الصوفية من علمائنا رجوع الغزالي بسبب رجوع هذا الكلام منازعة أنه رجع عن مذهبه الأول إلى مذهب الشيعة، والحق أن هذا مما أظهره الله على ألسنتهم وإقامة الحجة عليهم كما وقع أمثال ذلك من غيره منهم، وكيف لا وهو يقول عقيب هذا الكلام: والعجب منه منازعة معاوية بن أبي سفيان علياً، أليس رسول الله ﷺ قطع طمع من طمع فيها بقوله: «إذا ولي خليفتان فاقتلوا الأخير منهما» والعجب من حق واحد كيف ينقسم بين اثنين والخلافة ليست بجسم ولا عرض فيتجزى ثم قال: أول حكومة تجري في المعاد والعباد بين علي ومعاوية فيحكم الله لعلي على معاوية والباقون تحت المشيئة انتهى.

فانظر إلى جعله ما عدى معاوية تحت المشيئة وما فيه من الدلالة على قوله بإمامتهم مع

اعترافه بخطأهم نعم في كلامه في هذا الكتاب دلالة على عدوله عنها وكان عليه أولى من التعصب الشديد والنصب الذي ليس عليه من مزيد كما لا يخفى على من طالع كتابه احياء العلوم وغيره.

ومن ذلك ما نقله ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة عن شيخه النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد بن أبي مرثد، بعد تقدم كلام في الخلافة ما هذا لفظه: إن القوم لم يكونوا يذهبون إلى أنها من معالم الدين وأنها جارية مجرى العبادة الشرعية كالصلاة والصوم، ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأمور الدنيوية مثل تأمير الأمراء وتدبير الحروب وسياسة الرعية وما كانوا يبالون بمخالفة هذا الأمر وأمثاله من مخالفة نصوصه ﷺ إن رأوا المصلحة في الإسلام في غيرها، ألا تراه كيف نص على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أسامة ولم يخرجا لما رأيا في مقامهما مصلحة للدولة والملة وحفظاً للبيضة ودفعاً للفتنة.

وقد كان رسول الله ﷺ يخالف في أمثال هذا وهو حي فلا يكره ولا يرى به بأساً. ثم نقل شطراً من المواضع التي خولف فيها إلى أن قال: وقد أطبقت الصحابة إطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة ولم يقعوا من موارد النص، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد فرجح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة كأنهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور وكأنهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله، وتقدير ذلك القيد فعلوا كذا من رأيتموه مصلحة إلى أن قال: ومما جرى عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن علي مع ما كان يسمعه من الرسول ﷺ في أمره أنه أنكر على الرسول أموراً اعتمدها فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ بل رجع في كثير منها إليه وأشار عليه بأمور نزل القرآن فيها بموافقة فاطمة ذلك في الإقدام على اعتماد كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة مما هي على خلاف النص، وذلك نحو إنكاره في الصلاة على عبد الله بن أبي الموافق، وإنكاره فداء أسارى بدر وإنكاره عليه تبرج نسائه، وإنكاره عليه قضية الحديبية، وإنكاره أمان العباس لأبي سفيان بن حرب، وإنكاره أمره ﷺ من قال: «لا إلّه إلا الله دخل الجنة» وإنكاره على النساء بحضرة رسول الله ﷺ هيبتهن له دون رسول الله إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إنكاره قول رسول الله ﷺ في مرضه: «اتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً» وقوله ما قال وسكوت النبي ﷺ.

وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار فبعضهم يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ، وبعضهم يقول: ما قال عمر، فقال رسول الله ﷺ وقد كثر اللغط وعلت الأصوات: قوموا عني فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هذا التنازع، فهل بقي للنبوة مزية أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين فرجح قوم هذا وقوم

هذا، فليس هذا دالاً على أن القوم قد سووا بينه وبين عمر وجعلوا القولين مسألة خلاف ذهب كل فريق منهم إلى نصرة واحد منهما كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام فينصر قوم هذا وذاك آخرون، فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر المصلحة يراها ويعدل عن النص، ومن الذي كان ينكر عليه ذلك وهو في القول الذي قاله للرسول ﷺ في وجهه غير خائف من الإنكار ولا أنكر عليه لا رسول الله ﷺ ولا غيره، وهو أشد من مخالفة النص في الخلافة وأفظع وأشنع إلى أن قال ابن أبي الحديد: وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبي جعفر رحمه الله ولم يكن إمامي المذهب ولا كان يبرأ من السلف الصالح ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة ولكنه كلام أجراه على لسانه البحث والجدل بيني وبينه - انتهى كلامه زيد انتقامه.

خبث البواطن والسرائر

ومنه ما يكشف عن خبث بواطنهم وسرائرهم وقبح عقائدهم وضمائرهم وأن قولهم بتقديم أولئك الأوغاد بعدما عرفوهم مما نسبوه إليهم من الظلم والفساد مجرد بغض وعناد لأولئك السادة الأمجاد، وانظر إلى اعتذارهم عن مخالفة خليفتهم للرسول ﷺ فيما كان يأمر به ويقول وما صدر منه في جرأته عليه في الحياة وبعد الممات من التمويه بأنه كان وأتباعه أعرف منه بوجوه المصالح والتدبيرات حتى أكثروا الجدال عنده وهو في حياض الممات، فآذوه صلوات الله عليه بالخصام بينهم ورفع الأصوات حين أمر بذلك الكتاب ليرفع الاختلاف بينهم ويزيل عنه المشكلات، أرأيت أن الله سبحانه كان كاذباً في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1] حتى يحتاج إلى أن يسدده عمر أو غيره من ذوي الهوى والغوى، وأنه سبحانه حيث نهى عن رفع الأصوات فوق صوته وعن الجهر له بالأقوال حتى توعد عليه بحبط الأعمال كان قد استثنى ابن الخطاب وأتباعه من ذلك المقال، واستثناه أيضاً وأتباعه حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2]، وأن الأمر لم يبلغ إلى حد الإيذاء له، وقد نسبوه إلى الهجر والهذيان الموجب لجعله في عداد المجانين أو الصبيان وأكثروا عنده اللغو ورفع الأصوات حتى قال لهم: «قوموا عني فما ينبغي عندي هذا النزاع والاختلاف».

فبالله يا معشر ذوي العقول هل يجوز في مثل هذا الوقت الضنك المجال المشرف فيه على التفوض بينهم والترحال أن يقابلوه بمثل هذه الفعال؟ أليس هذا لو صدر مع سائر الرجال في مثل تلك الحال لعد نقصاً وسوء أدب عند ذوي الكمال؟ وليت شعري أليس هناك من يهتدي لوجوه

(١) سورة النجم، الآية: ٣-٤.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

المصالح غير ابن الخطاب والذي ضرب على قلبه دون الإيمان القفل والحجاب؟ أين علي بن أبي طالب من أغلاط ابن عمه وأين العباس وأين بنو هاشم الذين هم ذروة الشرف وأرباب الرياسة دون الناس؟ ألم يهتدوا لمصلحة من تلك المصالح التي اهتدى إليها ابن الخطاب فتروى لنا في باب من تلك الأبواب؟

ما هذا إلا كفر وتجاوز الحد من هؤلاء الأفاضل وكان ذلك حمية على ابن الخطاب ومن تبعه من الأشقياء الأرذال ينسبون الجهل إلى نبيهم ويجوزون عليه الغلط ليصححوا به جرأة ابن الخطاب وما سلف منه فرط فليتهم اتخذوه نبياً غير ذلك النبي بل الأمر كذلك إن كنت تفهم ما هنالك وبقي من ذلك ما ذكره محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل حيث قال في المقدمات: المقدمة الثالثة في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها في الأولى ومن مظهرها في الأخرى أعلم.

أول شبهة وقف شبهة إبليس

إن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس عليه اللعنة ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم وهي الطين، وانشعبت عن هذه الشبهة وسارت في الخليقة وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب وبدعة وضلالاً، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة إنجيل لوقا ومرقس ويوحنا ومتي ومذكورة في التوراة متفرقة في شكل المناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه ثم ذكر تلك الشبه مفصلة وما نشأ منها من الشبهات في سائر الأمم وقال: إنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور وترجع جملتها إلى إنكاره الأمر بعد الاعتراف بالحق وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص، وختم الكلام بقوله: قال عليه السلام: «لتسلكن سبيل الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل والقذ بالقذ حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه».

ثم قال المقدمة في بيان أولى شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها، وكما قررنا أن الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان كذلك يمكن أن يقرر في كل زمان نبي ودور كل صاحب ملة وشريعة إن شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والمنافقين وأكثرها من المنافقين وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادي الزمان فلم يخف من هذه الأمة، إن شبهاتها نشأت من شبهات منافقي زمن النبي صلى الله عليه وآله إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى وشرعوا فيما لا شرع فيه للفكر ولا مسرى وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه. إلى أن قال: فهذا ما كان في زمانه صلى الله عليه وآله وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الإسلام ويبطنون النفاق وإنما يظهر

نفاقهم في كل وقت بالاعتراض على حركات النبي ﷺ وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهرت منها الشبهات كالزروع، وأما الاختلافات الواقعة في حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة فهي اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم فيها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين، فأول تنازع في مرضه ﷺ فيما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بإسناده عن ابن عباس ثم ساق الرواية حسبما قدمناه في صدر المقالة ثم قال: والخلاف الثاني في مرضه أنه قال: «جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه».

فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتد مرض النبي ﷺ فلا تسع قلوبنا لمعارفته والحال في هذه فنصبر حتى أي شيء يكون من أمره ثم قال: وإنما أوردت هذين التنازعين لأن المخالفين ربما عدوا ذلك من المخالفات المؤثرة في أمر الدين وهو كذلك وإن كان الغرض منه كله إقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب وتسكن نائرة الفتن المؤثرة عند تقلب الأمور - انتهى كلامه.

فيا معشر ذوي العقول والأحلام تأملوا في كلام هؤلاء الفحول الأعلام وأنصفوا فالإنصاف من شيم الكرام، وهل نقل عن أحد من أولئك الأصحاب الخلاف له ﷺ في باب من الأبواب غير ابن الخطاب في الحياة وحال الوفاة بل وبعده من تلك الأوقات، وهل أحد تجرأ عليه في وجهه برد كلامه وأساء الأدب إليه غير ذلك المرتاب؟ هب سلمنا أن غيره في زمنه ﷺ خالفه في بعض الأمور وامتنع عن قبول بعض أحكامه في ورد أو صدور، هل أثر خلافه في الأمة أو جرى في الأسماع غير مخالفات ابن الخطاب التي سارت في جميع الأصقاع وامتلأت بها الفجاج والبقاع، بل صارت له مناقب تتلى على رؤوس الأشهاد ويفتخر بها أتباعه بين العباد، حتى بنوا وشيدوا عليها الأحكام وجعلوها أصولاً يرجع إليها في الحلال والحرام، فهذه هي البذور بمقتضى تقريره المسطور وما بناه عليها أتباعه هي الزرع التي سيحصدونها يوم المآب والرجوع.

والعجب من عقولهم الواهية بعد ذكر هذه الفضائح المستنكرة يرومون التستر عنها بهذه الأعذار البالغة في السماجة والوقاحة إلى حد قد تجاوز الساحة، حيث إنه خذله الله تعالى بعد أن قرر في المقدمة الثالثة أن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس وإن مصدرها استبداده بالرأي في مقابلته بالنص واختياره الهوى في معارضة الأمر، وإن هذه الشبهة هي أصل شبهة الضلال السائرة في الأمم وجملتها ترجع إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف والجنوح إلى الهوى في مقابلة النص، وكان هذا كله صادقاً على ما وقع من أئمته من الخلاف للرسول ﷺ أراد أن يعتذر عنهم بما لا يزيد معهم إلا فضيحة الأبد والخزي الظاهر عند كل أحد، متى كان الغرض من مخالفتهم إنما هو إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين، فاللازم منه أن الرسول ﷺ المرسل لإقامة الدين ورحمة للعالمين يأمره بتلك الأشياء قد خرج عن طريق الحق وخالف جادة الشرع المبين، وهذا هو الكفر الصراح الذي لا يحتاج إلى بيان ولا إيضاح. اللهم إلا أن يقولوا

إن أمره بتنفيذ جيش أسامة كان من قبيل الأمر بذلك الكتاب الذي وقع عن هجر منه وهذيان وعدم شعور في ذلك الباب وحينئذٍ فيتم الاعتذار ويستقيم الجواب.

فإن قيل: لا يلزم من كون غرضهم ذلك صحته واقعاً لجواز أن يكونوا قد اجتهدوا في ذلك وإن كان اجتهادهم خطأ. قلنا: يلزم من اعتقادهم ذلك - وإن كانوا مخطئين - نسبتهم الرسول ﷺ إلى مخالفة الشرع والإخلال بمراسمه حتى أنهم يريدون استدراكه عليه وهذا مثل الأول. ثم انظر إلى نسبة الاختلافات إلى الصحابة على الإجمال وتستره عن النسبة إلى أئمة ذوي الأثقال والأحمال، وانظر إلى نقله عن الرسول ﷺ: «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة» مع أن المتخلفين هم أولو الخلافة عنده والإمامة كما هو مسلم عند الخاصة والعامة، وإلى قوله: وإنما أوردت هذين المتنازعين (اه) فإنه لو لم يوردهما لكان أولى بشأنه وأحق بنقصانه ولكن أبى الله سبحانه إلا إظهار فضيحة أئمته على لسانه والطعن فيهم بعامل قلمه وسنانه.

ومن ذلك ما صرح به القاضي أمير حسين اليزدي الشافعي في شرحه للديوان المرتضوي بالفارسية حيث قال: أول فتنة كه درميان اسلام واقع شد آن بودكه پغمبر ﷺ فرمود: قوموا عني لا ينبغي التنازع - انتهى.

ومما يدخل في المقام ما ذكره علامتهم التفتازاني في شرح المقاصد حيث قال: ما وقع للصحابة من المحاورات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ والمذكور على ألسنة الثقات يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق وبلغ حد الفسوق والظلم، وكان الباعث عليه الحقد والعناد وطلب الملك والرياسات والميل إلى اللذات والشهوات وليس كل صحابي معصوماً ولا كل من لقي النبي ﷺ بالخير موسوماً، إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله ﷺ ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلال في حق كبار الصحابة سيما المهاجرين منهم والأنصار المبشرين بالثواب في دار القرار - انتهى.

أقول: انظر أيدك الله تعالى إلى هذا الكلام المضطرب غاية الاضطراب والمتناقض تناقضاً لا يخفى على الجهال فضلاً عن ذوي الألباب، وإلى هذا الاعتذار الفاضح الذي زخرفه هذا النحرير والعثار الواضح الذي وقع في هذا التحوير وقد أبطل مذهبه من حيث لا يدري وسب شيوخه سب المجتري. وبالجملة فذيل الكلام في هذا المقام واسع لا تفي به الأقلام ولو إلى القيام، وإلى الله المشتكى من أولئك اللئام صب الله عليهم صيب الانتقام.

من مسائل الشيخ الصالح الجزائري من البهائي

ومن جملة مسائل الشيخ صالح بن حسن الجزائري التي أرسلها لخدمة شيخنا بل شيخ المسلمين بهاء الملة والدين، مسألة سيدي وسندي ومن عليه بعد الله وأهل البيت معتمدي هذه

الأبيات لبعض النواصب تبر الله أعمارهم وأخرب ديارهم، فالمأمول من أنفاسكم وألطافكم الظاهرة لمن تشرفوا خادمكم بجواب منظوم عن هذه الأبيات نكسر به سورة هذه الناصب وأمثاله من الطغاة نصر الله بكم الإسلام بمحمد وآله الطاهرين الكرام، وهي هذه:

[البحر البسيط التام]

أهوى عليّاً أميرَ المؤمنين ولا ... أرضى بسبِّ أبي بكرٍ ولا عُمرا
ولا أقولُ إذا لم يُعْطيا فدَكاً ... بنتَ النبيِّ رسول الله قد كفرا
الله أعلم ماذا يأتيان به ... يوم القيامةِ من عذرٍ إذا اعتذرا

الجواب: الثقة بالله وحده. التمست أيها الأخ الأفضل الوفي الألمعي الذكي أطال الله بقاك وأدام في معارج العز تقاك الإجابة عما هدر به هذا المخذول فقابلت التماسك بالقبول وطفقت أقول:

[البحر البسيط التام]

يا أيُّها المدّعي حبَّ الوصيّ ولم ... تسمحْ بسبِّ أبي بكرٍ ولا عُمرا
كذبْتَ واللهِ في دَعْوى محبَّتِه ... تبَّتْ يَداك ستَصلى في غدٍ سَقرا
وكيفَ تَهْوى أميرَ المؤمنين وقد ... أراك في سبِّ مَنْ عاداه مُفتَكِرا
فإنْ تكنْ صادِقاً فيما نطقْتَ به ... فابرأ إلى اللهِ ممّن خانَ أو غَدرا
وأنكر النص في خم وبيعته ... وقال إن رسول الله قد هجرا
أتيتَ تَبْغي قيامَ العذرِ في فدكٍ ... أتحسبُ الأمرَ بالتمويهِ مُستترا
إنْ كان في غصبِ حقِّ الطهرِ فاطمةٍ ... سيقبلُ العذرَ ممّن جاءَ معتَذرا
فكلُّ ذنبٍ له عذرٌ غداة غدٍ ... وكلُّ ظلم يُرى في الحشر مُغْتَفَرا
فلا تقُولوا لمَنْ أيامُه صرفتْ ... في سبِّ شيخِكم قد ضلَّ أو كَفرا
بلْ سامِحوه وقولُوا لا نؤَاخذهُ ... عسى يكونُ له عذرٌ إذا اعْتذرا
فكيفَ والعذرُ مثلُ الشمسِ إذ بزغتْ ... والأمرُ متَّضحٌ كالصبحِ إذ ظَهرا
لكنَّ إبليسَ أغواكمْ وصيَّركم ... عُمْياً وصُمّاً فلا سَمْعاً ولا بَصرا

طرف مما يتعلق بالكميت الشاعر

يقول جامع الكشكول وساطر هذه النقول: قد نقل أفاضل أصحابنا عن الشيخ المفيد رحمه الله في شرحه لقصيدة السيد إسماعيل الحميري البائية التي أولها: «هلا وقفت على المكان المعشب» بإسناده إلى سليمان المسترق عن السيد يعرف بقاسم الخياط قال: حججت مع السيد في أيام هشام فلقيت الكميت بن زيد الشاعر الأسدي فسلم عليه السيد وعظمه وقال: أنت أعزك الله القائل:

[البحر البسيط التام]

ولا أقولُ إذا لم يُعطيا فَدكاً بنتَ الرسولِ ولا ميراثَه كَفرا
اللهُ أعلمُ ماذا يأتيانِ به يومَ القيامةِ من عذرٍ إذا اعتذَرا

قال الكميت: نعم أنا الذي أقوله، فقال السيد: لولا إقامة الحجة لوسعني السكوت أضعف يا هذا عن الحق ثم ذكر له شيئاً من الاحتجاج ثم قال له: فانظر في أمرك! فقال الكميت: أنا تائب إلى الله من شك فيما قلت - انتهى.

ومن المفهوم من كلام جملة من أصحابنا ومنهم العلامة في الخلاصة وابن داود أيضاً في خلاصته أن الرجل إمامي المذهب ممدوح، وقد نقل الكشي أيضاً روايات يمدحه منها قول الباقر عليه السلام: «لا تزال مؤيداً بروح القدس ما دمت تقول فينا».

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال له: «لا تزال معك روح القدس ما ذبيت عنا» وبالجملة فإن الرجل من المتفق على إماميته. ونقل الشيخ فخر الدين النجفي في كتابه مجمع البحرين أن من شعره بحضرة الباقر عليه السلام ما صورته: [البحر الرجز المجزوء]

إن المُصرَّيْنِ على ذَنْبيهِما والمُخْفيا الفتنةَ في قلبَيْهِما
فالخالعانِ العقدةَ من عنقَيْهِما والحاملانِ الوزْرَ على ظهريْهِما
كالجبتِ والطاغوتِ في مثليْهِما فلعنةُ اللهِ على رُوحيْهِما

فضحك الباقر عليه السلام. وقد عده في مجالس المؤمنين أيضاً من خلص الإمامية ونسب إليه هذه الأبيات الآتية، وقد قدمنا نسبتها إليه أيضاً من كتاب ابن الجوزي وهو قوله:

[البحر الوافر]

ويومَ الدّوحِ دوحِ غديرِ خمٍّ أبانَ له الخلافةَ لو أُطيعا
ولكنَّ الرجالَ تَبايعُوها فلم أرَ مثلَها يوماً شَنيعا

ثم نقل فيه عن الكميت أنه رأى أمير المؤمنين عليه السلام في النوم فاستنشده الأبيات وأمره بتغيير المصراع الأخير فقال: قل: «ولم أر مثله حقاً أضيعا» ونقل له من الأشعار في مدح الأمير عليه السلام وذم مخالفيه قطعة وافرة إلا أن في استثناء الإمام الباقر عليه السلام فيما روي عنه مما قدمنا في مدحه من قوله: «ما دمت تقول فينا». وقوله في الحديث الثاني: «ما ذبيت عنا» ما يشعر بالرجوع والانقلاب كما وقع مثله في دعاء النبي لحسان بن ثابت وفي الآية الشريفة لنساء النبي صلى الله عليه وآله.

والمفهوم من مناظرة السيد الحميري المنقولة في كلام الشيخ المفيد وكلامه له أن الرجل كان سابقاً على خلاف ذلك الاعتقاد، وإن بحثه معه إنما كان بطريق النصح وإيضاح الحق بعد عروض الشبهة له، وربما أيد ذلك ما نقله في كتاب مجالس المؤمنين عن بعض علماء الشافعية في شرح كتاب قاضي عياض المالكي عند ذكر السيد إسماعيل الحميري وأنه كان من غلاة الشيعة وأنه يكفر الخلفاء الثلاثة قال: إن الكميت لا يكفر الصحابة. والله سبحانه أعلم بحقائق الأمور.

فقير دخل في الطواف فصار غنياً

كتاب المستطرف: وأخبرني أبو الوليد التاجي عن أبي ذرة قال: كنت أقرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزءاً من الحديث في حانوت رجل يبيع العطر، فبينما أنا جالس معه في الحانوت إذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر، في طبق يحمله في يده فدفع إليهم عشرة دراهم وقال له: ادفع إلي أشياء سماها له من العطر فأخذها في طبقه ومضى، فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما كان فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه.

فقال أبو حفص لصاحب الحانوت: لعلك تعينه على بعض هذه الأسباب!

فقال: سمعاً وطاعة، فنزل وجمع له ما جمع منها ودفع ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له: لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك.

فقال الطواف: انظر أيها الشيخ إن جزعي ليس لضياع ما ضاع لقد علم الله إني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف ومعها فصوص قيمتها مثل ذلك فما جزعت لضياعه، ولكن ولد لي في هذه الليلة ولد فاحتجت في البيت إلى ما يحتاج إليه النساء وليس عندي غير هذه العشرة فخشيت أن أشتري بها حوائج النفساء فأبقى بلا رأس مال ولا أقدر على التكسب، فقلت لنفسي أشتري بها شيئاً وأطوف بها صدر النهار فعسى استفضل شيئاً أسد به رمق أهلي ويبقى رأس المال أكتسب فيه، فلما قدر الله لي ضياعه فزعت وقلت لا عندي ما أرجع به إليهم ولا أكتسب به وعلمت أنه لم يبق إلا الفرار منهم وتركهم على هذه الحال يبكون بعدي، فهذا الذي أوجب جزعي.

قال الشيخ أبو ذرة: وكان رجل من الجند واقفاً على باب داره يستوجب الحديث فقال للشيخ أبي حفص: يا سيدي أريد أن تأتوا بهذا الرجل وتدخلوا به إلى منزلي، فظننا أنه يريد أن يعطيه شيئاً قال: فدخلنا إلى منزله فأقبل على الطواف وقال: عجبت من جزعك فأعاد عليه القصة، فقال له الجندي: وكنت في تلك القافلة؟

قال: نعم وكان بها فلان وفلان، فقال له: وما علامة الهميان وفي أي موضع سقط منك؟ فوصف له المكان والعلامة فقال له الجندي: إذا رأيته عرفته؟

قال: نعم. فأخرج الجندي همياناً ووضعه بين يديه، فقال: هذا همياني وعلامة صحة قولي ظان فيه كيت وكيت، ففتح الهميان فوجده كما ذكره. فقال له الجندي: خذ مالك بارك الله فيه.

فقال له الطواف: إن هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها لك وأنت في حل ونفسي طيبة بذلك. فقال الجندي: ما كنت لآخذ على أمانتي مالاً فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الأغنياء.

ذبح علي عليه السلام للموصلي

كتاب إرشاد الديلمي: روي أنه كان ببلد الموصل شخص يقال له: أحمد بن حمدون العلوي، وكان شديد العناد كثير العداوة والبغض لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام فأراد بعض أعيان الموصل الحج فجاء إليه يودعه وقال: إني قد عزمت على الحج فإن كان لك حاجة هناك فعرفني حتى أقضيها.

فقال: إن لي حاجة مهمة وهي عليك سهلة، فقال له: مرني بها حتى أفعلها، قال: إذا وردت المدينة وزرت النبي صلى الله عليه وآله فخاطبه عني وقل له: يا رسول الله ماذا أعجبك من علي بن أبي طالب حتى زوجته ابنتك أعظم بطنه، أو دق ساقه، أو صلعة رأسه؟ ثم حلفه وعزم عليه أن يبلغ هذا الكلام رسول الله صلى الله عليه وآله فلما بلغ الرجل المدينة وقضى أمره نسي الرجل تلك الوصية فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه يقول: لم لا بلغت وصية فلان؟ فانتبه ومضى من وقته وساعته إلى القبر المقدس وخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بما أوصاه ذلك الرجل ثم نام فرأى أمير المؤمنين عليه السلام قد أخذه بيده ومضى هو وإياه إلى منزل ذلك الرجل، وأخذ أمير المؤمنين مدية فذبحه بها ثم مسح المدية بملحفة كانت عليه ثم جاء إلى سقف باب الدار فرفعه بيده ووضع المدية تحته فخرج، فانتبه الحاج فزعاً مرعوباً من ذلك وكتب صورة المنام هو وأصحابه الذين معه من الموصل بالمدينة.

قال: فلما رأى الرجل مقتولاً انتهى خبره إلى سلطان الموصل في تلك الليلة فأخذ الجيران والمتهمين ورماهم في السجن وتعجب أهل الموصل من قتله حيث لم يجدوا نقباً في جدار ولا أثر تسلط على حائط ولا باباً مفتوحاً حتى أن السلطان بقي متحيراً في أمره ما يدري ما يصنع في قضيته، ولم يزل أولئك في السجن حتى قدم الحاج من مكة فسأل عن أولئك المسجونين، فقيل له: إنهم في السجن فسأل عن سبب ذلك؟

فقيل: إن الليلة الفلانية وجد فلان مذبوحاً في داره ولم يعرف قاتله فكبر الحاج هو وأصحابه وقال لأصحابه: أخرجوا صورة المنام المكتوبة عندكم، فأخرجوها فوجدوا ليلة المنام هي ليلة القتل، ثم مضى الحاج هو وأصحابه إلى بيت المقتول وأمرهم بإخراج الملحفة وأخبرهم بالدم الذي كان فيها فوجدوها كما قال ثم أمرهم برفع مردم الباب فوجدوا السكين تحته فعرفوا صدق منامه فأفرج عن المحبوسين ورجع أهل المقتول وكثير من أهل البلد إلى الإيمان، وكان ذلك من لطف الله سبحانه وتعالى في حقهم. وهذه القصة مشهورة وهي من الغرائب.

معجزة لأمير المؤمنين عليه السلام

ومن الكتاب المذكور: روي عن كمال الدين بن عفان القمي قال: دخلت حضرة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فزرت وتوسلت بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ثم قمت فعلق مسمار من الضريح المقدس صلوات الله على مشرفه في قبائي فمزقه، فقلت مخاطباً لأمير المؤمنين عليه السلام: ما

أعرف عوض هذا إلا منك يا مولاي، وكان إلى جانبي رجل رأيه غير رأيي فقال لي مستهزئاً: ما يعطيك عوضه إلا قباءً ورديا، وانفصلنا من الزيارة وجئنا الحلة وكان جمال الدين بن القاسم الناصري قد هيأ قباءً ورديا لشخص يريد أن ينفذه إليه ببغداد، فخرج الكلام على لسان ابن القاسم أن قال للخادم: اطلبوا كمال الدين القمي، فطلبني فجئت فأخذ بيدي فأدخلني الخزانة وألبسني قباءً ورديا فخرجت ودخلت على ابن القاسم لأسلم عليه وأقبل كفيه لما فعل عندي، فلم يعرفني ونظر إلي شزراً فعرفت الكراهية في وجهه ثم التفت إلى الخادم كالمغضب وقال: أظننت فلاناً؟

فقال الخادم: إنما طلبت الذي أمرتني به، قال: أين هو؟

قال: أليس هذا هو كمال الدين القمي الذي أمرتني بطلبه، فقطب وجهه وأنكر ذلك فشهدت الجماعة الذين كانوا جلساء الأمير بما قال الخادم وقالوا للأمير: إنما أمرت باحضار كمال الدين القمي، فنكس رأسه الأمير فقلت: أيها الأمير ما خلعت أنت عليّ هذه الخلعة ولا خادمك بل خلعها عليّ أمير المؤمنين عليه السلام فالتمس الأمير مني الحكاية فحكيت له فخر لله ساجداً شكراً وقال: الحمد لله إذ كانت على يدي.

فضيلة علوية

وروي عن القاضي ابن يزيد الهمداني الكوفي: وكان رجلاً صالحاً متعبداً قال: كنت في جامع الكوفة ذات ليلة وكانت ليلة ممطرة فدق باب مسلم جماعة ففتح لهم الباب وذكر بعضهم أن معهم جنازة فأدخلوها وجعلوها على الصفة التي تجاه باب مسلم بن عقيل رضي الله عنه ثم إن أحدهم نعس فنام فرأى في منامه قائلاً يقول للآخر: أما تبصر حتى تنظر هل لنا معه حساب أم لا؟ فكشف له عن وجه الميت فقال لصاحبه: بل لنا معه حساب فينبغي أن نأخذه منه معجلاً قبل أن يتعدى الرصافة فلا يبقى لنا معه طريق، قال: فانتبه الرجل وحكى لأصحابه، فقال: خذوه عجلاً فأخذوه ومضوا في الحال إلى المشهد المقدس صلوات الله على مشرفه (شعر):

[البحر الطويل]

إذا متُّ فادْفني إلى جنبِ حيدرٍ … أبي شبّرٍ أكرمْ به وشبيرِ
فلستُ أخافُ النارَ عندَ جوارهِ … ولا أتّقي من منكرٍ ونكيرِ
فعارٌ على حامي الحِمى وهو في الحِمى … إذا ضلَّ في البَيْدا عقالُ بعيرِ

الكلام في المعاد

من كتاب تهافت الفلاسفة: الأقوال الممكنة في أمر المعاد على خمسة وقد ذهب إلى كل منها جماعة:

الأول: ثبوت المعاد الجسماني فقط وأن المعاد ليس إلا لهذا البدن، وهو قول نفاة النفس الناطقة المجردة وهم أكثر أهل الإسلام.

الثاني: ثبوت المعاد الروحاني فقط، وهو قول الفلاسفة الالّهيين الذين ذهبوا إلى أن الإنسان هو النفس الناطقة فقط وإنما البدن آلة يستعمل وتتصرف فيه لأشكال جوهرها.

الثالث: ثبوت المعاد الروحاني الجسماني معاً، وهو قول من يثبت النفس الناطقة المجردة من الإسلاميين كالإمام الغزالي والراغب وغيرهما وكثير من المتصوفة.

الرابع: عدم ثبوت شيء منها، وهو قول قدماء الطبيعيين الذين لا يقتدى بهم ولا بمذهبهم لا في الملة في الفلسفة.

الخامس: المتوقف، وهو المنقول عن جالينوس فقد نقل عنه أنه قال في مرضه الذي مات فيه: إني ما علمت هل أن النفس هي المزاج فتنعدم عند الموت فيستحيل إعادتها أو هي جوهر باقٍ بعد فساد البدن فيمكن المعاد.

لابن الدمينة: واسمه عبد الله وهو من العرب العرباء من بني عامر: **[البحر الطويل]**

قِفي يا أُميمَ القلبِ نقضي لبانةً ... ونشكُو الهوى ثم افْعلي ما بَدا لكِ
أرى الناسَ يرجون الربيعَ وإنّما ... ربيعي الذي أرجو زمانُ نوالكِ
تعالَلْتِ كي أشجى وما بكِ علةٌ ... تريدين قَتلي قد ظفرْتِ بذلكِ
لئنْ ساءَني إذْ نلْتني بمساءةٍ ... فقدْ سرَّني إني خطرتُ ببالكِ
أبيني أفي يُمْنى يديْك جعلتِني ... فأفرحُ أم صيَّرتني في سمالكِ

كتاب يوحنا

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أنقذني من الملل الباطلة، ونجاني من النحل العاطلة، وبصرني مزالق الآراء الواهية، وأرشدني إلى الفرقة الناجية من الفرقة الهاوية، وعرفني الأئمة المعصومين ومراتبهم الجالية، فواليت من والاهم وعاديت من عاداهم في السر والعلانية، فصل اللهم على خاتم أنبيائك الماضية وقائد أولئك الآتية، محمد المنعوت في الكتب الخالية، والمبعوث بالملة الزاهرة، صلاة دائمة باقية هامرة، وعلى عترته الطاهرة، سادات الدنيا والآخرة.

وبعد: فيقول يوحنا بن إسرائيل الذمي: إني كنت رجلاً ذمياً متقناً للفنون العقلية ممتعاً من العلوم النقلية لا يحيدني عن الحق مموهات الدلائل ولا يلقيني في الباطل مزخرفات العبارات ومنمقات الرسائل، انجر ينابيع التحقيق من أطواد الحلوم واستخرج بالفكر الدقيق المجهول من العلوم، أتصفح بنظر الاعتبار ومعتقد فريق فريق وأميز بين ذلك سواء الطريق، والناس إذ ذاك قد

مزقوا دينهم وكانوا شيعاً وتمزقوا كل ممزق وتبروا قطعاً، فلهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، يخبطون خبط عشواء فهم لا يبصرون ويتعسفون مهانة الضلالة فهم في ريبهم يترددون، فبعضهم دينه صابئي وغيرهم مجوسي وهذا يهودي وهذا نصراني وآخر محمدي، وبعض عبدوا الكواكب وبعض عبدوا الشمس، وطائفة عبدوا النار وقوم عبدوا العجل، وكل فرقة من هؤلاء صاروا فرقاً لا تحصى فلما رأيت تشعب القول وشاهدت تناقض النقول طابقت المعقول بالمنقول وميزت الصحيح من المعلول وأقمت الدليل على وجوب اتباع ملة الإسلام والاقتداء بها إلى يوم الحساب والقيام، فأظهرت كلمة الشهادة وألزمت نفسي بما فيه من العبادة وجمعت الكتب الإسلامية من التفاسير والأحاديث والأصول والفروع من جميع الفرق المختلفة وجعلت أطالعها ليلاً ونهاراً وأتفكر في المناقضات التي وقعت في دين الإسلام.

فقال بعضهم: إن صفات الله تعالى عين ذاته، وبعض قال: لا عين ذاته ولا زائدة، وبعض قال: إن الله عزّ وجلّ أراد الشر وخلقه وبعض نزهه عن ذلك، وبعض جوز على الأنبياء الصغائر، وبعض جوز الكبائر، وبعض جوز الكفر، وبعض أوجب عصمتهم وبعض أوجب النص بالإمامة، وبعض أنكره، وبعض قال بإمامة أبي بكر وأنه أفضل، وبعض كفره، وبعض قال بإمامة علي، وبعض قال بإلّهيته، وبعض ساق الإمامة في أولاد الحسن، وبعض ساقها في أولاد الحسين، وبعض وقف على موسى الكاظم، وبعضهم قال باثني عشر إماماً إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تحصى.

وكل هذه الاختلافات إنما نشأت من استبدادهم بالرأي في مقابلة النص واختيارهم الهوى في معارضة النفس وتحكيم العقل على من لا يحكم عليه العقل وكان الأصل فيما اختلف فيه جميع الأمم السالفة واللاحقة من الأصول شبهة إبليس، وكان الأصل في جميع ما اختلف فيه المسلمون من الفروع مخالفة وقعت من عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ واستبداده برأي منه في مقابلة الأمر النبوي فصارت تلك الشبهة والمخالفة مبدأ كل بدعة ومنبع كل ضلالة.

أما شبهة إبليس فتشعبت منها سبع شبه فصارت في الخلائق وفتنت العقلاء وتلك الشبهات السبع مسطورة في شرح الأناجيل مذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بين إبليس وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه، فقال إبليس للملائكة: إني سلمت أن الباري تعالى إلّهي وإلّه الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته وأنه مهما أراد شيئاً قال له كن فيكون وهو حكيم إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة. قالت الملائكة: وما هي؟ وكم هي؟

قال إبليس: سبع.

الأول: أنه قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل مني فلم خلقني أولاً وما الحكمة في خلقه إياي؟.

الثاني: إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلفني بطاعته وأماط الحكمة في التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعته ولا يتضرر بمعصيته؟.

الثالث: إذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في طاعتي ومعرفتي؟.

الرابع: إذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فإذا لم أسجد لعنني وأخرجني من الجنة، ما الحكمة في ذلك بعد إذ لم أرتكب قبيحاً إلا قولي لا أسجد إلا لك؟.

الخامس: إذ خلقني وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلما لم أطع في السجود فلعنني وطردني فلم طرقني إلى آدم حتى دخلت الجنة وغررته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها ولم أخرجه معي وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة امتنع استخراجي لآدم وبقي في الجنة؟.

السادس: إذ خلقني وكلفني عموماً وخصوصاً ولعنني ثم طرقني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يروني وتؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر فيَّ حولهم ولا قوتهم ولا استطاعتهم وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلاهم على الفطرة دون من يغتالهم عنها فيعيشون طاهرين سالمين مطيعين كان أليق وأحرى بالحكمة؟.

السابع: سلمت لهذا كله خلقني وكلفني مطلقاً ومقيداً وإذاً لم أطع طردني ولعنني وإذا أردت دخول الجنة مكنني وطرقني وإذ عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم إذ استمهلته أمهلني فقلت: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(١) قال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝﴾(٢) وما الحكمة في ذلك بعد إذ لو أهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم أليس ببقاء العالم على نظام الخير خير، من امتزاجه بالشر؟ قال: فهذه الحجة حجتي على ما ادعيته من كل مسألة.

قال شارح الإنجيل: فأوحى الله تعالى إلى الملائكة قولوا له: أما تسليمك الأولى إني إلٰهك وإلٰه الخلق فإنك غير صادق فيه ولا مخلص إذ لو صدقت إني إلٰه العالمين لما احتكمت علي بلم وأنا الله الذي لا إلٰه إلا هو لا أسأل عما أفعل والخلق يسألون. قال يوحنا: وهذا الذي ذكرته من التوراة في الإنجيل مسطور على الوجه الذي ذكرته.

وأما المخالفة التي وقعت من عمر بن الخطاب أنه لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي توفي فيه دخل عليه جماعة من الصحابة وفيهم عمر بن الخطاب وعرف رسول الله ﷺ رحلته من الدنيا واختلاف أمته بعده وضلال كثير منهم فقال للحاضرين: «ائتوني بدواة وبيضاء لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي».

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤.   (٢) سورة ص، الآيات: ٨٠-٨١.

قال عمر بن الخطاب: إن النبي قد غلب عليه الوجع وإن الرجل ليهجر وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله، فلو أن عمر لم يحل بينه وبين الكتاب لكتب الكتاب ولو كتبه لارتفع الضلال عن الأمة لكن عمر منعه من الكتابة فكان هو السبب في وقوع الضلال، وأنا والله لا أقول هذا تعصباً للرافضة ولكني أقول ما وجدته في كتب أهل السنة الصحيحة وهو مصرح في صحيح مسلم الذي يعتمدون عليه.

ومن الخلاف الذي جرى بين عمر وبعض الصحابة أنه لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي توفي فيه جهز جيشاً إلى الروم إلى موضع يقال له موته وبعث فيه وجوه الصحابة مثل أبي بكر وعمر وغيرهما فأمر عليهم أسامة بن زيد فولاه وبرزوا عن المدينة، فلما ثقل المرض برسول الله ﷺ تثاقل الصحابة عن السير وتسللوا وبقي أبو بكر وعمر يجيئان ويتجسسان أحوال صحة رسول الله ﷺ ومرضه ليلاً ويذهبان إلى المعسكر نهاراً ورسول الله يصيح بهم:

«جهزوا جيش أسامة لعن الله المتخلف عنه» حتى قالها ثلاثاً، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وقال قوم: لا تسع قلوبنا المفارقة. ولا يخفى على العاقل قصد النبي ﷺ في بعث أبي بكر وعمر تحت ولاية أسامة في مرضه وحثهم على المسير، ولا يخفى أيضاً مخالفتهم ورجوعهم من غير إذنه لما كان ذلك، ولا يخفى لعن النبي ﷺ المتخلف عن جيش أسامة فلماذا كان؟ فإنها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(١).

ومن الخلاف أنه لما مات النبي ﷺ قال عمر: «والله ما مات محمد ولن يموت ومن قال إن محمداً مات قتلته بسيفي هذا وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى ابن مريم»، فلما تلا عليه أبو بكر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٢) رجع عمر وقال: كأني لم أسمع بهذه حتى قرأها أبو بكر.

ما جرى في السقيفة

ومن الخلاف الواقع في الإمامة أنه ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الإمامة، وهو أنه لما مات النبي ﷺ اشتغل علي بتجهيزه ودفنه وملازمته ذلك ومضى أبو بكر وعمر إلى سقيفة بني ساعدة فمد عمر يده فبايع أبا بكر وبايعه الناس، وتخلف علي عليه السلام عن البيعة وعمه العباس والزبير وبنو هاشم وسعد بن عبادة الأنصاري ووقع الخلاف الذي سفك فيه الدماء، ولو ترك عمر بن الخطاب الاستعجال وصبر حتى تجتمع الحل والعقد ويبايعوا الأول لكان أولى ولم يحصل الخلاف لمن بعدهم في الاستخلاف.

ومن الخلاف أنه لما مات النبي ﷺ وفي يد فاطمة عليها السلام فدك متصرفة فيه من عند أبيها فوقع أبو بكر يدها عنه وعزل وكلاءها فأتت إلى أبي بكر وطلبت ميراثها من أبيها فمنعها واحتج

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

بأن النبي ﷺ قال: ما تركناه يكون صدقة، واحتجت فاطمة فلم يجبها فولت غضبانة عليه وهجرته فلم تكلمه حتى ماتت، وفي أثناء المحاجة أذعن أبو بكر لقولها فكتب لها بفدك كتاباً فلما رآه عمر مزق الكتاب وكان هذا هو السبب الأعظم في الاعتراض على الصحابة والتشنيع عليهم بإيذاء فاطمة عليها السلام مع روايتهم: أن من آذاها فقد آذى رسول الله ﷺ، وفي الحقيقة ما كان لائقاً من الصحابة أن يعطي رسول الله ﷺ ابنته مما أفاء الله عليه فينزعه أبو بكر وعمر منها مع علمهم أنها كانت تطحن الشعير بيدها، وإنما كانت تريد بالذي ادعته من فدك صرفه للحسن والحسين عليهما السلام فيحرمونها ذلك ويتركونها محتاجة كئيبة حزينة، وعثمان بن عفان يعطي مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ مائتي مثقال من الذهب من بيت مال المسلمين ولا ينكرون عليه ولا على أبي بكر، ولو أن عمر لم يمزق الكتاب أو أنه ساعد فاطمة في دعواها لكان لهم أحمد عاقبة ولم تبلغ الشنيعة ما بلغت.

قال يوحنا: ومن الخلاف الذي وقع كان سببه عمر الشورى، فإنه جعلها في ستة وقال: إذا افترقوا فريقين فالذي فيهم عبد الرحمن بن عوف فهم على الحق، وعبد الرحمن لا يترك جانب عثمان كما هو معلوم حتى قال علي عليه السلام للعباس: يا عم عدل بها عني فيا ليته تركها هملاً كما يزعم أن رسول الله ﷺ تركها أو كان ينص بها كما نص أبو بكر فخالف الأمرين حتى أفضت الخلافة إلى عثمان فطرد من آواه رسول الله ﷺ وآوى من طرده رسول الله ﷺ وأحدث أموراً قتل بها وفتح بها باب القتال إلى يوم القيامة، وأفضت الخلافة إلى معاوية الذي ألب عائشة وطلحة والزبير على حرب علي عليه السلام حتى قتل يوم الجمل ستون ألفاً ثم حارب علياً عليه السلام ثمانية عشر شهراً وقتل في حربه مائة وخمسون ألفاً، وأفضت الخلافة إلى ولده يزيد فقتل الحسين عليه السلام بتلك الشناعة وحاصر عبد الله بن الزبير في مكة فلجأ إلى الكعبة فنصب بمكة المناجيق وهدم الكعبة ونهب المدينة وأباحها لعسكره ثلاثة أيام.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «المدينة حرم ما بين عاير إلى وعير، ومن أحدث فيه حدثاً فعليه لعنة الله» فما ظنك بمن يقتل أولاده ويرفع رؤوسهم على الرماح ويطوف بها في البلاد جهراً، وأفضى الأمر إلى أنهم أمروا بسب علي على المنابر ألف شهر وطلب العلويين فقتلوهم وشردوهم، وأفضى الأمر إلى الوليد بن عبد الملك الذي تفاءل يوماً بالمصحف فظهر له قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[1] فنصب المصحف يوماً فرماه بالنشاب وأنشد شعراً: [البحر الوافر]

تهدّدني بجبّارٍ عنيدٍ فها أنا ذاك جبّارٌ عنيدُ
إذا ما جئتَ ربّك يومَ حشرٍ فقلْ يا ربّ مزّقني الوليدُ

فإذا نظر العاقل إلى هذه المفاسد كلها لرأى أن أصلها منع رسول الله ﷺ عن كتابة الكتاب

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٥.

وجعل الخلافة باختيار الناس من غير نص ممن له النص فكل السبب من عمر بن الخطاب. ولا يظن أحد أني أقول هذا بغضاً لعمر لا والله وإنما هو مسطور في كتبهم والحال كذلك فما يسعني أن أنكر شيئاً مما وقع ومضى.

اختلاف المذاهب

قال يوحنا: فلما رأيت هذه الاختلافات من كبار الصحابة الذين يذكرون مع رسول الله ﷺ فوق المنابر عظم على الأمر وغم علي الحال وكدت أفتتن في ديني، فقصدت بغداد وهي قبة الإسلام لأفاوض فيما رأيت من اختلاف علماء المسلمين لأنظر الحق وأتبعه، فلما اجتمعت بعلماء المذاهب الأربعة قلت لهم: إني رجل ذمي وقد هداني الله إلى الإسلام فأسلمت وقد أتيت إليكم لأنقل عنكم معالم الدين وشرائع الإسلام والحديث لازداد بصيرة في ديني. فقال كبيرهم وكان حنفياً: يا يوحنا مذاهب الإسلام أربعة فاختر واحداً منها ثم أشرع في قراءة ما تريد.

فقلت له: إني رأيت تخالفاً وعلمت أن الحق منها واحد فاختاروا لي ما تعلمون أنه الحق الذي كان عليه نبيكم.

قال الحنفي: إنا لا نعلم يقيناً ما كان عليه نبينا بل نعلم أن طريقته ليست خارجة من الفرق الإسلامية وكل من أربعتنا يقول إنه محق لكن يمكن أن يكون مبطلاً، ويقول إن غيره مبطل لكن يمكن أن يكون محقاً، وبالجملة إن مذهب أبي حنيفة أنسب المذاهب وأطبقها للسنة وأوفقها بالعقل وأرفعها عند الناس، إن مذهبه مختار أكثر الأمة بل مختار سلاطينها فعليك به تنجُ.

قال يوحنا: فصاح به إمام الشافعية وأظن أنه كان بين الشافعي والحنفي منازعات فقال له: اسكت لأنطقت والله لقد كذبت وتقولت ومن أين أنت والتميز بين المذاهب وترجيح المجتهدين؟ ويلك ثكلتك أمك وأين لك وقوفاً على ما قاله أبو حنيفة وما قاسه برأيه، فإنه المسمى بصاحب الرأي يجتهد في مقالة النص ويستحسن في دين الله ويعمل به حتى أوقعه رأيه الواهي في أن قال: لو عقد رجل في بلاد الهند على امرأة كانت في الروم عقداً شرعياً ثم أتاها بعد سنين فوجدها حاملة وبين يديها صبيان يمشون ويقول لها: ما هؤلاء؟

وتقول له: أولادك فيرافعها في ذلك إلى القاضي الحنفي فيحكم أن الأولاد من صلبه ويلحقونه ظاهراً وباطناً يرثهم ويرثونه، فيقول: ذلك الرجل وكيف هذا ولم أقربها قط؟

فيقول القاضي: يحتمل أنك أجنبت أو أن يكون أمنيت فطار منيك في قطعة فوقعت في فرج هذه المرأة هل هذا يا حنفي مطابق للكتاب والسنة؟

قال الحنفي: نعم إنما يلحق به لأنها فراشه والفراش يلحق ويلتحق بالعقد ولا يشترط فيه

الوطي. وقال النبي ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فمنع الشافعي أن يصير فراشاً بدون الوطي وغلب الشافعي الحنفي بالحجة.

ثم قال الشافعي: وقال أبو حنيفة: لو أن امرأة زفت إلى زوجها فعشقها رجل فادعى عند قاضي الحنفية أنه عقد عليها قبل الرجل الذي زفت إليه وأرشى المدعي فاسقين حتى شهدا له كذباً بدعواه فحكم القاضي له تحرم على زوجها الأول ظاهراً وباطناً وثبتت زوجية تلك المرأة للثاني وأنها تحل عليه ظاهراً وباطناً وتحل منها على الشهود الذين تعمدوا الكذب في الشهادة! فانظروا أيها الناس هل هذا مذهب من عرف قواعد الإسلام؟ قال الحنفي: لا اعتراض لك عندنا إن حكم القاضي ينفذ ظاهراً وباطناً وهذا متفرع عليه، فخصمه الشافعي ومنع أن ينفذ حكم القاضي ظاهراً وباطناً بقوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾(١) ولم ينزل الله ذلك.

ثم قال الشافعي: وقال أبو حنيفة: لو أن امرأة غاب عنها زوجها فانقطع خبره فجاء رجل فقال لها: إن زوجك قد مات فاعتدي، فاعتدت ثم بعد العدة عقد عليها آخر ودخل عليها وجاءت منه بالأولاد ثم غاب الرجل الثاني وظهر حياة الرجل الأول وحضر عندها فإن جميع أولاد الرجل الثاني أولاد للرجل الأول يرثهم ويرثونه، فيا أولي العقول فهل يذهب إلى هذا القول من له دراية وفطنة؟

فقال الحنفي: إنما أخذ أبو حنيفة هذا من قول النبي ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فاحتج عليه الشافعي بكون الفراش مشروطاً بالدخول فغلبه.

ثم قال الشافعي: وإمامك أبو حنيفة قال: أيما رجل رأى امرأة مسلمة فادعى عند القاضي بأن زوجها طلقها وجاءت بشاهدين شهدا له كذباً فحكم القاضي بطلاقها حرمت على زوجها وجاز للمدعي نكاحها وللشهود أيضاً، وزعم أن حكم القاضي ينفذ ظاهراً وباطناً.

ثم قال الشافعي: وقال إمامك أبو حنيفة: إذا شهد أربعة رجال على رجل بالزنا فإن صدقهم سقط عنه الحد وإن كذبهم لزمه وثبت الحد فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ثم قال الشافعي: وقال أبو حنيفة: لو لاط رجل بصبي واوقبه فلا حد عليه بل يعزر، وقال رسول الله ﷺ: «من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول».

وقال أبو حنيفة: لو غصب أحد حنطة فطحنها ملكها بطحنها فلو أراد أن يأخذ صاحب الحنطة طحينها ويعطي الغاصب الأجرة لم يجب على الغاصب إجابته وله منعه فإن قتل صاحب الحنطة كان دمه هدراً ولو قتل الغاصب قتل صاحب الحنطة به.

وقال أبو حنيفة: لو سرق سارق ألف دينار وسرق آخر ألفاً آخر من آخر ومزجها ملك الجميع

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

ولزمه البدل وقال أبو حنيفة: لو قتل المسلم والتقي العالم كافراً جاهلاً قتل المسلم به والله يقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾(١).

وقال أبو حنيفة: لو اشترى أحد أمه أو أخته ونكحهما لم يكن عليه حد وإن علم وتعمد.

وقال أبو حنيفة: لو عقد أحد على أمه أو أخته عالماً بها أنها أمه أو أخته ودخل بها لم يكن عليه حد لأن العقد شبهة.

وقال أبو حنيفة: لو نام جنب على طرف حوض من نبيذ فانقلب في نومه ووقع في الحوض ارتفعت جنابته وطهر.

وقال أبو حنيفة: لا تجب النية في الوضوء ولا في الغسل وفي الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات».

وقال أبو حنيفة: لا تجب البسملة في الفاتحة وأخرجها منها مع أن الخلفاء كتبوها في المصاحف بعد تحرير القرآن.

وقال أبو حنيفة: لو سلخ جلد الكلب الميت ودبغ طهر وأن له الشراب فيه ولبسه في الصلاة، وهذا مخالف للنص بتنجيس العين المقتضى لتحريم الانتفاع به.

ثم قال: يا حنفي يجوز في مذهبك للمسلم إذا أراد الصلاة أن يتوضأ بنبيذ ويبدأ بغسل رجليه ويختم بيديه ويلبس جلد كلب ميت مدبوغ ويسجد على عذرة يابسة ويكبر بالهندية ويقرأ فاتحة الكتاب بالعبرانية ويقول بعد الفاتحة دو برگك سبز يعني مدها متان ثم يركع ولا يرفع رأسه ثم يسجد ويفصل بين السجدتين بمثل حد السيف وقبل السلام يتعمد خروج الريح فإن صلاته صحيحة وإن أخرج الريح ناسياً بطلت صلاته. ثم قال: نعم يجوز هذا، فاعتبروا يا أولي الأبصار هل يجوز التعبد بمثل هذه العبادة أم يجوز لنبي أن يأمر أمته بمثل هذه العبادة افتراء على الله ورسوله.

فافحم الحنفي وامتلأ غيظاً وقال: يا شافعي اقصر فض الله فاك وأين أنت عن الأخذ على أبي حنيفة وأين مذهبك من مذهبه؟ فإنما مذهبك بمذهب المجوس أليق لأن في مذهبك يجوز للرجل أن ينكح ابنته من الزنا وأخته ويجوز أن يجمع بين الأختين من الزنا، ويجوز أن ينكح أمه من الزنا وكذا عمته وخالته من الزنا والله يقول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ﴾(٢)، وهذه صفات حقيقية لا تتغير بتغير الشرائع والأديان، ولا تظن يا شافعي يا أحمق إن منعهم من التوريث يخرجهم من هذه الصفات الذاتية الحقيقية ولذا تضاف إليه فيقال: بنته وأخته من الزنا، وليس هذا التقييد موجباً لمجازيته كما في قولنا أخته من النسب بل لتفصيله، وإنما التحريم شامل للذي يصدق عليه الألفاظ حقيقة ومجازاً اجتماعاً، فإن الجدة

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤١.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.

داخلة تحت الأم إجماعاً وكذا بنت البنت ولا خلاف في تحريمها بهذه الآية، فانظروا يا أولي الألباب هل هذا إلا مذهب المجوس يا خارجي.

وأما يا شافعي إمامك أباح للناس لعب الشطرنج مع أن النبي ﷺ قال: «لا يحب الشطرنج إلا عابد وثن» وأما يا شافعي إمامك أباح للناس الرقص والدف والقصب فقبح الله مذهباً فيه الرجل أمه وأخته ويلعب بالشطرنج ويرقص ويدف، فهل هذا الظاهر الافتراء على الله ورسوله، وهل يلزم بهذا المذهب إلا أعمى القلب وأعمى عن الحق.

قال يوحنا: وطال بينهما الجدال واحتمى الحنبلي للشافعي واحتمى المالكي للحنفي ووقع النزاع بين المالكي والحنبلي وكان فيما وقع بينهم أن الحنبلي قال: إن مالكاً أبدع في الدين بدعاً أهلك الله عليها أمماً وهو أباحها وهو لواط الغلام وأباح لواط المملوك وقد صح أن رسول الله ﷺ قال: «من لاط بغلام فاقتلوا الفاعل والمفعول» ومالك يقول في المنظومة:

[البحر الرجز المجزوء]

وجائزٌ نيكُ الغلامِ الأمردِ ... مجوّزٌ للرجلِ المجرّدِ
هذا إذا كان وَحيداً في السفرْ ... ولم يجدْ أنثى تفي إلا الذَّكَرْ

وأنا رأيت مالكياً ادعى عند القاضي على آخر أنه باعه مملوكاً والمملوك لا يمكنه من وطئه فأثبت القاضي أنه عيب في المملوك ويجوز له رده، أفلا تستحي من الله يا مالكي يكون لك مذهب مثل هذا وأنت تقول مذهبي خير من مذهبك؟ وإمامك أباح لحم الكلاب فقبح الله مذهبك واعتقادك.

فرجع المالكي عليه وصاح به: اسكت يا مجسم يا حلولي يا حولي يا فاسق بل مذهبك أولى بالقبح وأحرى بالتعيير إذ عند إمامك أحمد بن حنبل أن الله جسم يجلس على العرش ويفضل عن العرش بأربع أصابع، وأنه ينزل كل ليلة جمعة من سماء الدنيا على سطوح المساجد في صورة أمرد قطط الشعر له نعلان شراكهما من اللؤلؤ الرطب راكباً على حمار له ذوائب، ورأيت علماء الحنابلة يبيتون على سطوح المساجد ويبنون عليها معالف ويضعون فيها شعيراً ليأكل منه حمار الله تعالى وهو منزه عن هذا عزّ وجلّ.

ومن المشهور أن ليلة جمعة صعد رجل من زهاد الحنابلة على سطح مسجد الجامع ويترجى أن الله ينزل عليه، فاتفق أنه رأى على سطح المسجد غلاماً نغاطاً وكان مليح الوجه قطط الشعر، فلما وقع نظر الحنبلي عليه ظنه ربه فوقع الحنبلي على قدميه يقبلهما ويقول: سيدي ارحمني ولا تعذبني ويبكي ويتضرع، فبهت الغلام وظن أنه يريد منه فعلاً قبيحاً فصاح بالناس إن هذا يريد أن يفسق بي في سطح المسجد، فأتى إليه جماعة النغاطين وأوجعوه ضرباً ومضوا به إلى الحاكم فحبسه إلى الغد لينظر في حاله، فأقبل جماعة من علماء الحنابلة إلى الحاكم وأقسموا بالله أن هذا الرجل مما لا يظن فيه هذا الأمر وإنما ظن أنه ربه فأراد أن يقبل قدميه، فقبح الله مذهبك يا حنبلي ومعتقدك.

قال يوحنا: فوقع بين الحنبلي والمالكي والشافعي والحنفي النزاع فعلت أصواتهم وأظهروا قبائحهم ومعايبهم حتى ساء كل من حضر كلامهم الذي بدا منهم وعاب العامة عليهم فقلت لهم: على رسلكم فوا الله قسماً أني نفرت من اعتقاداتكم فإن كان الإسلام هذا فيا ويلاه، واسوأتاه، لكني أقسم عليكم بالله الذي لا إله إلا هو أن تقطعوا هذا البحث وتذهبوا فإن العوام قد أنكروا عليكم.

قال يوحنا: فقاموا وتفرقوا وسكتوا أسبوعاً لا يخرجون من بيوتهم فإذا خرجوا أنكر الناس عليهم، ثم بعد أيام اصطلحوا واجتمعوا في المستنصرية فجلست غداً إليهم وفاوضتهم فكان فيما جرى أن قلت لهم: كنت أريد عالماً من علماء الرافضة نناظره في مذهبه فهل عليكم أن تأتونا بواحد منهم فنبحث معه؟

فقال العلماء: يا يوحنا الرافضة فرقة قليلة لا يستطيعون أن يتظاهروا بين المسلمين لقلتهم وكثرة مخالفيهم ولا يتظاهرون فضلاً أن يستطيعوا المحاجة عندنا على مذهبه فهم الأرذلون الأقلون ومخالفوهم الأكثرون، فهذا مدح لهم لأن الله سبحانه وتعالى مدح القليل وذم الكثير بقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2] ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3] ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[4] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[5] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[7] إلى غير ذلك من الآيات.

ما جاء في علي عليه السلام

قالت العلماء: يا يوحنا حالهم أعظم من يوصف لأنهم لو علمنا بأحد منهم فلا نزال نتربص به الدوائر حتى نقتله لأنهم عندنا كفرة تحل علينا دماءهم، وفي علمائنا من يفتي بحل أموالهم ونسائهم.

قال يوحنا: الله أكبر هذا أمر عظيم أتراهم بما استحقوا هذا فهم ينكرون الشهادتين؟

قالوا: لا. قال: افهم لا يتوجهون إلى قبلة الإسلام؟ قالوا: لا. قال: إنهم ينكرون الصلاة أم الصيام أم الحج أم الزكاة أم الجهاد؟ قالوا: لا بل هم يصلون ويصومون ويزكون ويحجون ويجاهدون. قال: إنهم ينكرون الحشر والنشر والصراط والميزان والشفاعة؟ قالوا: لا بل مقرون بذلك بأبلغ وجه. قال: افهم يبيحون الزنا واللواط وشرب الخمر والربا والمزامر وأنواع

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٢) سورة هود، الآية: ٤٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٣٧.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠٠.

الملاهي؟ قالوا: بل يجتنبون عنها ويحرمونها، قال يوحنا: فيالله والعجب قوم يشهدون الشهادتين ويصلون إلى القبلة ويصومون شهر رمضان ويحجون البيت الحرام ويقولون بالحشر والنشر وتفاصيل الحجاب كيف تباح أموالهم ودماؤهم ونساؤهم ونبيكم يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ونساءهم إلا بحق وحسابهم على الله».

قال العلماء: يا يوحنا أنهم أبدعوا في الدين بدعاً فمنها أنهم يدعون أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ويفضلونه على الخلفاء الثلاثة، والصدر الأول أجمعوا على أن أفضل الخلفاء كبير تيم.

قال يوحنا: افترى إذا قال أحد أن علياً يكون خيراً من أبي بكر وأفضل منه تكفرونه؟ قالوا. نعم لأنه خالف الإجماع.

قال يوحنا: فما تقولون في محدثكم الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه؟ قال العلماء: هو ثقة مقبول الراوية صحيح المثل.

قال يوحنا: هذا كتابه المسمى بكتاب المناقب روى فيه أن رسول الله قال: «علي خير البشر ومن أبى فقد كفر» وفي كتابه أيضاً يسأل حذيفة، عن علي عليه السلام قال: «أنا خير هذه الأمة بعد نبيها ولا يشك في ذلك إلا منافق»، وفي كتابه أيضاً عن سلمان، عن النبي ﷺ أنه قال: «علي بن أبي طالب خير من أخلفه بعدي»، وفي كتابه أيضاً، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب»، وعن إمامكم أحمد بن حنبل، روى في مسنده أن النبي ﷺ قال لفاطمة: «أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً»، وروي في مسند أحمد بن حنبل أيضاً أن النبي ﷺ قال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك» فجاء علي بن أبي طالب في حديث الطائر، وذكر هذا الحديث النسائي والترمذي في صحيحيهما وهما من علمائكم. وروى أخطب خوارزم في كتاب المناقب وهو من علمائكم عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع فلا يحاجك أحد من قريش: أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بأمر الله وبعهده، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم بالرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم يوم القيامة عند الله عز وجل في المزية» وقال صاحب كفاية الطالب من علمائكم: هذا حديث حسن عال رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء.

قال يوحنا: فيا أئمة الإسلام فهذه أحاديث صحاح روتها أئمتكم وهي مصرحة بأفضلية علي وخيرته على جميع الناس فما ذنب الرافضة؟ وإنما الذنب لعلمائكم والذين يروون ما ليس بحق ويفترون الكذب على الله ورسوله.

قالوا: يا يوحنا أنهم لم يرووا غير الحق ولم يفتروا بل الأحاديث لها تأويلات ومعارضات.

قال يوحنا: فأي تأويل تقبل هذه الأحاديث بالتخصيص على البشر، فإنه نص في أنه خير من أبي بكر إلا أن تخرجوا أبا بكر من البشر. سلمنا أن الأحاديث لا تدل ذلك فأخبروني أيهم أكثر جهاداً؟ فقالوا: علي.

قال يوحنا: قال الله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] وهذا نص صريح. قالوا: أبو بكر أيضاً مجاهد فلا يلزم تفضيله عليه.

قال يوحنا: الجهاد الأقل إذا نسب إلى الجهاد الأكثر بالنسبة إليه قعود، وهب أنه كذلك فما مرادكم بالأفضل؟ قالوا: الذي تجتمع فيه الكمالات والفضائل الجبلية والكسبية كشرف الأصل والعلم والزهد والشجاعة والكرم وما يتفرع عليها.

قال يوحنا: فهذه الفضائل كلها لعلي عليه السلام بوجه هو أبلغ من حصولها لغيره.

قال يوحنا: أما شرف الأصل فهو ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وزوج ابنته وأبو سبيطة. وأما العلم فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وقد تقرر في العقل أن أحداً لا يستفيد من المدينة شيئاً إلا إذا أخذ من الباب، فانحصر طريق الاستفادة من النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام وهذه مرتبة عالية وقال صلى الله عليه وآله: «أقضاكم علي»، وإليه تعزى كل قضية وتنتهي كل فرقة وتنحاد إليه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها، كل من برع فيها فمنه أخذ وبه اقتفى وعلى مثاله احتذى، وقد عرفتم أن أشرف العلوم العلم الإلٓهي ومن كلامه اقتبس وعنه نقل ومنه ابتدأ. فإن المعتزلة الذين هم أهل النظر ومنهم تعلم الناس هذا الفن هم تلامذته، فإن كبيرهم واصل بن عطا تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأبو هاشم عبد الله تلميذ أبيه وأبوه تلميذ علي بن أبي طالب عليه السلام وأما الأشعريين فإنهم ينتهون إلى أبي الحسن الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي وهو تلميذ واصل بن عطا، وأما الإمامية والزيدية فانتهاؤهم إليه ظاهر.

وأما علم الفقه: فهو أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام فإليه يعزي نفسه أما مالك فأخذ الفقه عن ربيعة الرأي وهو أخذ عن عكرمة، وهو أخذ عن عبد الله وهو أخذ عن علي.

وأما أبو حنيفة فعن الصادق عليه السلام، وأما الشافعي فهو تلميذ مالك، والحنبلي تلميذ الشافعي، وأما فقهاء الشيعة فرجوعهم إليه ظاهر، وأما فقهاء الصحابة فرجوعهم إليه ظاهر كابن عباس وغيره، وناهيكم قول عمر غير مرة: «لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر» وقوله: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن»، وقوله: «لولا علي لهلك عمر»، وقال الترمذي في صحيحه والبغوي عن أبي بكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

طالب» وقال البيهقي بإسناده إلى رسول الله ﷺ : «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في خلقه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب» وهو الذي بين حد الشرب، وهو الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر، وبقسمة الدراهم على صاحب الأرغفة والآمر بشق الولد نصفين، والآمر بضرب عنق العبد، والحاكم في ذي الرأسين ومبين أحكام البغاة، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية.

ومن العلوم علم التفسير: وقد علم الناس حال ابن عباس فيه وكان تلميذ علي عليه السلام . وسئل فقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كبشة مطرفي البحر المحيط.

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وعلم التصوف: وقد علمتم أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي والحنبلي وسري السقطي وأبو زيد البسطامي وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم، ويكفيكم دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم وكونهم يسندونها بإسناد معنعن إليه أنه واضعها.

ومن العلوم علم النحو والعربية: وقد علم الناس كافة أنه هو الذين ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامع تكاد تلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بمثل هذا الاستنباط. فأين من هو بهذه الصفة من رجل يسألونه ما معنى (أبا) فيقول: لا أقول في كتاب الله برأيي، ويقضي في ميراث الجد بمائة قضية يغاير بعضها بعضاً، ويقول: إن زغت فقوموني وإن استقمت فاتبعوني. وهل يقيس عاقل مثل هذا إلى من قال: سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عن طرق السماء فوالله إني لأعلم بها منكم من طرق الأرض؟ وقال: إن هاهنا لعلماً جماً وضرب بيده على صدره، وقال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. فقد ظهر أنه أعلم.

وأما الزهد: فإنه سيد الزهاد وبدل الأبدال وإليه تشد الرحال وتنقص الأحلاس، وما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس لبساً ومأكلاً.

قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت على علي عليه السلام يوم عيد فقدم جراباً مختوماً فوجد فيه خبزاً شعيراً يابساً مرضوضاً فتقدم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين فكيف تختمه وإنما هو خبز شعير؟ فقال: خفت هذين الولدين يلتانه بزيت أو سمن. وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أخرى ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرباس الغليظ فإن وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخيطه، وكان لا يزال ساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى بلا لحمة، وكان يأتدم إذا ائتدم بالخل والملح فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات، وكان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم يداً.

وأما العبادة: فمنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير، ومن محافظته على ورده إن بسط له نطع بين الصفين لبلة الهرير فيصلي

عليه والسهام تقع عليه ويمر على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته. فأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وتعالى وإجلاله وما تضمنته من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وكان زين العابدين عليه السلام يصلي في كل ليلة ألف ركعة ويقول: إنى لي بعبادة علي عليه السلام.

وأما الشجاعة: فهو ابن جلاها وطلاع ثناياها، نسي الناس فيها ذكر من قبله ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحروب مشهورة تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فر قط ولا ارتاع من كتيبة ولا بارز أحداً إلا قتله ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت إلى ثانية. وجاء في الحديث: إذا ضرب واعتلا قط وإذا ضرب واعترض قط. وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً، وكان المشركون إذا أبصروه في الحرب عهد بعضهم إلى بعض، وبسيفه شيدت مباني الدين وثبتت دعائمه وتعجبت الملائكة من شدة ضرباته وحملاته.

وفي غزوة بدر الداهية العظمى على المسلمين قتل فيها صناديد قريش كالوليد بن عتبة والعاص بن سعيد، ونوفل بن خويلد الذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة وعذبهما، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه» ولم يزل في ذلك يصرع صنديداً بعد صنديد حتى قتل نصف المقتولين فكان سبعين وقتل المسلمون كافة مع ثلاث آلاف من الملائكة متسومين النصف الآخر، وفيه نادى جبرائيل: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي».

ويوم أحد لما انهزم المسلمون عن النبي صلى الله عليه وآله ورمي رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأرض وضربه المشركون بالسيوف والرماح وعلي عليه السلام مصلت سيفه قدامه، ونظر النبي صلى الله عليه وآله بعد إفاقته من غشوته فقال: يا علي ما فعل المسلمون؟ فقال: نقضوا العهود وولوا الدبر.

فقال: اكفني هؤلاء فكشفهم عنه ولم يزل يصادم كتيبة بعد كتيبة وهو ينادي المسلمين حتى تجمعوا، وقال جبرائيل عليه السلام: «إن هذه لهي المواساة لقد عجبت الملائكة من حسن موالاة علي لك بنفسه».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه». ولثبات علي عليه السلام رجع بعض المسلمين ورجع عثمان بعد ثلاثة أيام، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فقد ذهبت بها مريضة.

وفي غزاة الخندق إذ أحدق المشركون بالمدينة كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[1] ودخل عمرو بن عبد ود الخندق على المسلمين ونادى بالبراز فأحجم عنه المسلمون وبرز علي عليه السلام متعمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وبيده سيف فضربه ضربة كانت توازن عمل الثقلين إلى يوم القيامة، وأين هناك أبو بكر وعمر وعثمان. ومن نظر غزوات الواقدي وتاريخ البلاذري علم محله من رسول الله من الجهاد وبلاءه

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٠.

يوم الأحزاب وهو يوم بني المصطلق ويوم قلع باب خيبر وفي غزاة خيبر وهذا باب لا يغني الأطناب فيه لشهرته.

وروى أبو بكر الأنباري في أماليه، أن علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده أناس، فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب.

فقال عمر: لمثله أن يتيه والله لولا سيفه لما قام عمود الدين وهو بعد أقضى الأمة وذو سابقتها وذو شأنها، فقال له ذلك القائل: فما منعكم يا أمير المؤمنين منه؟

فقال: ما كرهناه إلا على حداثة سنه وحبه لبني عبد المطلب وحمله سورة براءة إلى مكة. ولما دعا معاوية إلى البراز لتسريح الناس من الحرب بقتل أحدهما.

فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل، فقال له معاوية: ما غششتني كلما نصحتني إلا اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطوق؟ أراك طمعت في إمارة الشام بعدي. وكانت العرب تفتخر لوقوعها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخر رهطهم لأنه عليه السلام قتلهم وأظهر وأكثر من أن يحصى وقالت في عمرو بن عبد ود مرثية (شعر):

[البحر البسيط التام]

لو كانَ قاتلُ عمروٍ غير قاتِله بكيتُه أبداً ما عشتُ في الأبدِ
لكنَّ قاتلَه من لا نظيرَ له قد كان يُدعى أبوه بيضةَ البلدِ

وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتمي وباسمه من مشارق الأرض ومغاربها.

وأما كرمه وسخاؤه: فهو الذي كان يطوي في صيامه حتى صام طاوياً ثلاثة أيام يؤثر السؤال كل ليلة بطعامه حتى أنزل الله فيه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾(١) وتصدق بخاتمه في الركوع فنزلت الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(٢) تصدق بأربعة دراهم فأنزل الله فيه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾(٣) وتصدق بعشرة دراهم يوم النجوى فخفف الله سبحانه عن سائر الأمة بها، وهو الذي كان يستسقي للنخل بيده ويتصدق بأجرته، وفيه قال معاوية بن أبي سفيان الذي كان عدوه لمحصين الضبي لما قاله له: جئتك من عند أبخل الناس، فقال: ويحك كيف قلت؟ تقول له أبخل الناس ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفق تبره قبل تبنه، وهو الذي يقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري بي تعرضت أم لي تشوقتِ هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، وهو الذي جاد بنفسه ليلة الفراش وفدى النبي صلى الله عليه وآله حتى نزل في حقه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾(٤).

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ١.
(٢) سورة المائدة الآية، الآية: ٥٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

قال يوحنا: فلما سمعوا هذا الكلام لم ينكره أحد منهم وقالوا: صدقت أن هذا الذي قلت قرأناه من كتبنا ونقلناه عن أئمتنا لكن محبة الله ورسوله وعنايتهما أمر وراء هذا كله، فعسى الله أن يكون له عناية بأبي بكر أكثر من علي فيفضله عليه.

قال يوحنا: إنا لا نعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى وهذا الذي قلتموه تخرص وقال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[1] ونحن إنما نحكم بالشواهد التي لعلي عليه السلام على أفضليته فذكرناها، وأما عناية الله به فتحصل من هذه الكمالات دليل قاطع عليها، فأي عناية خير من أن يجعل بعد نبيه أشرف الناس نسباً وأعظمهم حلماً وأشجعهم قلباً وأكثرهم جهاداً وزهداً وعبادة وكرماً وورعاً وغير ذلك من الكمالات القديمة، هذا هو العناية.

محبة علي عليه السلام ورسوله

وأما محبة الله ورسوله فقد شهد بها رسول الله صلى الله عليه وآله في مواضع.

منها: الموقف الذي لم ينكر وهو يوم خيبر، إذ قال النبي صلى الله عليه وآله: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فأعطاها علياً.

وروى عالمكم أخطب خوارزم في كتاب المناقب أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا علي لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثلما قام نوح في قومه وكان له مثل جبل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومد في عمره حتى حج ألف حجة على قدميه ثم قتل ما بين الصفا والمروة مظلوماً ثم لم يواليك يا علي لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها».

وفي الكتاب المذكور قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لم يخلق الله النار». وفي كتاب الفردوس: حب علي حسنة لا تضر معها سيئة ولا تنفع معها حسنة.

وفي كتاب ابن خالويه عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن يتصدق بفصه الياقوت التي خلق الله بيده ثم قال لها: كوني فكانت فليتوال علياً بن أبي طالب بعدي».

وفي مسند أحمد بن حنبل في المجلد الأول: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين وقال: «من أحبني وأحب هذين وأحب أباهما كان معي في درجتي يوم القيامة».

قال يوحنا: يا أئمة الإسلام هل بعد هذا كلام في قول الله تعالى ورسوله في محبته وفي تفضيله على من هو عاطل عن هذه الفضائل.

قالت الأئمة: يا يوحنا الرافضة يزعمون أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى بالخلافة إلى علي عليه السلام ونص عليه بها، وعندنا أن النبي صلى الله عليه وآله لم يوص إلى أحد بالخلافة.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ١٠.

قال يوحنا: هذا كتابكم فيه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[(١)]. وفي بخاريكم يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من حق امرىء مسلم أن يبيت إلا وصيته تحت رأسه» أفتصدقون أن نبيكم يأمر بما لا يفعل مع أن في كتابكم تقريع للذي يأمر بما لا يفعل من قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[(٢)] فوالله إن كان نبيكم قد مات بغير وصية فقد خالف أمر ربه وناقض قول نفسه ولم يقتد بالأنبياء الماضية من ايصائهم إلى من يقوم بالأمر من بعدهم، على أن الله تعالى يقول: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[(٣)] لكنه حاشاه من ذلك وإنما تقولون هذا لعدم علم منكم وعناد فإن إمامكم أحمد بن حنبل، روى في مسنده أن سلمان قال: يا رسول الله فمن وصيك؟ قال: يا سلمان من كان وصي أخي موسى عليه السلام؟ قال: يوشع بن نون. قال: فإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب.

وفي كتاب ابن المغازلي الشافعي، بإسناده عن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي وصي ووارث وأنا وصيي ووارثي علي بن أبي طالب.

وهذا الإمام الغزالي محيي سنة الدين وهو من أعاظم محدثيكم ومفسريكم، وقد روى في تفسيره المسمى بمعالم التنزيل عند قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[(٤)] عن علي عليه السلام أنه قال: لما نزلت هذه الآية أمرني رسول الله ﷺ أن أجمع له بني عبد المطلب فجمعتهم وهم يومئذٍ أربعون رجلاً لا يزيدون رجلاً أو ينقصون، فقال لهم بعد أن أضافهم برجل شاة وعس من لبن شبعاً ورياً وأنه كان أحدهم ليأكله ويشربه: يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني عليه ويكون أخي ووصيي وخليفتي من بعدي، فلم يجبه أحد.

قال علي: فقمت إليه وقلت: أنا أجبتك يا رسول الله. فقال لي: أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا، فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

وهذه الرواية قد رواها أيضاً إمامكم أحمد بن حنبل في مسنده، ومحمد بن إسحاق الطبري في تاريخه، والخركوشي أيضاً رواها، فإن كانت كذباً فقد شهدتم على أئمتكم بأنهم يروون الكذب على الله ورسوله والله تعالى يقول: ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[(٥)] ﴿الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[(٦)] وقال الله تعالى في كتابه: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[(٧)] وإن كان لم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.
(٢) سورة ، الآية: ٤٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.
(٦) سورة يونس، الآية: ٦٠.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

يكذبوا وكان الأمر على ذلك فما ذنب الرافضة، إذاً فاتقوا الله يا أئمة الإسلام، بالله عليكم ماذا تقولون في خبر الغدير الذي تدعيه الشيعة؟

قال الأئمة ﷺ: أجمع علماؤنا على أنه كذب مفترى.

قال يوحنا: الله أكبر فهذا إمامكم ومحدثكم أحمد بن حنبل، روى في مسنده إلى البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكشح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين وصلى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى، فأخذ بيد علي ورفعها حتى بان بياض إبطيهما وقال لهم: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله». فقال له عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. ورواه في مسنده بطريق آخر وأسنده إلى أبي الطفيل. ورواه بطريق آخر وأسنده إلى زيد بن أرقم. ورواه ابن عبد ربه في كتاب العقد ورواه سعيد بن وهب وكذا الثعالبي في تفسيره، وأكد الخبر مما رواه من تفسير: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾(١) إن حارث بن النعمان الفهري أتى رسول الله ﷺ في ملأ من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا أن نشهد أن لا إلّه إلا الله وإنك محمد رسول الله. فقبلنا وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلنا، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلنا، ثم لم ترض حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فهذا شيء منك أم من الله؟

فقال: والله الذي لا إلّه إلا هو أنه أمر من الله تعالى، فولى الحارث بن النعمان وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، فما وصل إلى راحلته حتى رمى الله بحجر فسقط على رأسه وخرج من دبره فخر صريعاً، فنزل: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾(٢) فكيف يجوز منكم أن يروي أئمتكم وأنتم تقولون إنه مكذوب غير صحيح؟.

قال الأئمة: يا يوحنا قد روت أئمتنا ذلك لكن إذا رجعت إلى عقلك وفكرك علمت أنه من المحال أن ينص رسول الله ﷺ على علي بن أبي طالب الذي هو كما وصفتم ثم يتفق كل الصحابة على كتمان هذا النص ويتراخون عنه ويتفقون على إخفائه ويعدلون إلى أبي بكر التيمي الضعيف القليل العشيرة، مع أن الصحابة كانوا إذا أمرهم رسول الله ﷺ بقتل أنفسهم فعلوا فكيف يصدق عاقل هذا الحال من المحال؟

قال يوحنا: لا تعجبوا من ذلك فأمة موسى عليه السلام كانوا ستة أضعاف أمة محمد ﷺ واستخلف عليهم أخاه هارون وكان نبيهم أيضاً وكانوا يحبونه أكثر من موسى، فعدلوا عنه إلى السامري وعكفوا على عبادة عجل جسد له خوار، فلا يبعد من أمة محمد أن يعدلوا عن وصيه

---

(١) سورة المعارج، الآية: ١.

(٢) سورة المعارج، الآية: ١.

بعد موته إلى شيخ كان رسول الله ﷺ تزوج ابنته، ولعله لو لم يرد القرآن بقصة عبادة العجل لما صدقتموها.

قال الأئمة: يا يوحنا فلم لا ينازعهم بل سكت عنهم وبايعهم؟

قال يوحنا: لا شك أنه لما مات رسول الله ﷺ كان المسلمون قليلاً واليمامة فيها مسيلمة الكذاب وتبعه ثمانون ألفاً والمسلمون الذين في المدينة حشوهم منافقون، فلو أظهر النزاع بالسيف لكان كل من قتل علي بن أبي طالب بنيه أو أخيه كان عليه وكان الناس يومئذٍ قليلاً من لم يقتل علي من قبيلته وأصحابه وأنسابه قتيلاً أو أزيد وكانوا يكونون عليه، فلذلك صبر وشاققهم على سبيل الحجة ستة أشهر بلا خلاف بين أهل السنة ثم بعد جرى من طلب البيعة منهم فعند أهل السنة أنه بايع وعند الرافضة أنه لم يبايع، وتاريخ الطبري يدل على أنه لم يبايع وإنما العباس لما شاهد الفتنة صاح: بايع ابن أخي وأنتم تعلمون أن الخلافة لو لم تكن لعلي لما ادعاها ولو ادعاها بغير حق لكان مبطلاً، وأنتم تروون عن رسول الله ﷺ أنه قال: «علي مع الحق والحق مع علي» فكيف يجوز منه أن يدعي ما ليس بحق فيكذب نبيكم يومئذٍ ما هذا بصحيح. وأما تعجبكم من مخالفة بني إسرائيل نبيهم في خليفته وعدولهم إلى العجل والسامري ففيه سر عجيب أنكم رويتم أن نبيكم قال: «ستحذو أمتي حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه» وقد ثبت في كتابكم أن بني إسرائيل خالفت نبيها في خليفته وعدلوا عنه إلى ما لا يصلح لها.

قال العلماء: يا يوحنا أفتدري أنت أن أبا بكر لا يصلح للخلافة؟ قال يوحنا: أما أنا فوالله لم أر أبا بكر يصلح للخلافة ولا أنا متعصب للرافضة لكني نظرت الكتب الإسلامية فرأيت أن أئمتكم أعلمونا أن الله ورسوله أخبر أن أبا بكر لا يصلح للخلافة. قال الأئمة: وأين ذلك؟ قال يوحنا: رأيت في بخاريكم وفي الجمع بين الصحاح الستة وفي صحيح أبي داود وصحيح الترمذي، ومسند أحمد بن حنبل أن رسول الله ﷺ بعث سورة براءة مع أبي بكر إلى أهل مكة فلما بلغ ذي الخليفة دعا علياً عليه السلام ثم قال له: أدرك أبا بكر وخذ الكتاب منه فاقرأه عليهم، فلحقه بالجحفة فأخذ الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنزل في شيء؟

قال: لا ولكن جاءني جبرائيل عليه السلام وقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك. فإذا كان الأمر هكذا وأبو بكر لا يصلح لأداء آيات يسيرة عن النبي ﷺ في حياته فكيف يصلح أن يكون خليفته بعد مماته ويؤدي عنه كله، وعلمنا من هذا أن علياً عليه السلام يصلح أن يؤدي عن النبي ﷺ. فيا أيها المسلمون لم تتعلمون عن الحق الصريح ولم تركنوا إلى هؤلاء وكم ترهبون الأهوال.

قال الحنفي: منهم يا يوحنا؟ والله إنك لتنظر بعين الإنصاف وإن الحق لكما تقول وأزيدك في معنى هذا الحديث، وهو أن الله تعالى أراد أن يبين للناس أن أبا بكر لا يصلح للخلافة فترك

رسول الله حتى أخرج أبا بكر بسورة براءة على رؤوس الأشهاد ثم أمر رسول الله ﷺ أن يخرج علياً وراءه ويعزله عن هذا المنصب العظيم ليعلم الناس أن أبا بكر لا يصلح لها وأن الصالح لها علي عليه السلام، فقال لرسول الله ﷺ: والله لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك، فما تقول أنت يا مالكي؟

قال المالكي: والله فإنه لم يزل يختلج في خاطري أن علياً نازع أبا بكر في خلافته مدة ستة أشهر وكل متنازعين في الأمر لا بد وأن يكون أحدهما محقاً، فإن قلنا إن أبا بكر كان محقاً فقد خالفنا مدلول قول النبي ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي» وهذا حديث صحيح لا خلاف فيه، فما تقول يا حنبلي؟

قال الحنبلي: يا أصحابنا كم نتعامى عن الحق والله إن اليقين أن أبا بكر وعمر غصبا حق علي عليه السلام فكأنا آثمين غادرين خائنين، فقال له الحنفي: ولا بهذه العبارة.

فقال الحنبلي: يا حنفي تيقظ لأمرك فإن البخاري ومسلم أوردا في صحيحهما أنه لما توفي أبو بكر وجلس عمر مكانه أتى العباس وعلي إلى عمر وطلبا ميراثهما من رسول الله فغضب عمر وقال كلاماً يقول فيه: فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب علي هذا ميراث امرأته من أبيها فقال لكما أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه يكون صدقة» فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، ثم توفي أبو بكر فقلت أنا ولي رسول الله ﷺ من بعده وولي أبي بكر فجئت أنت وعلي وأنتما جميعاً أمركما واحد فقلتم: الأمر لنا دونكم. فقلت لكما مقالة أبي بكر فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً. وقول عمر هذا لعلي عليه السلام كان بمحضر أنس بن مالك وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد ولم يعتذر أمير المؤمنين علي ولا العباس عما نسب إليهما من الاعتقاد الذي ذكره عمر ولا أحد من الحاضرين اعتذر إلى أبي بكر، فيا حنفي إن كان عمر صدق فيما نسب لأبي بكر وإلى نفسه فمن يعتقد فيه العباس وعلي أنه كاذب آثم خائن غادر فكيف يصلح للخلافة، وإن قلت أن عمر كان كاذباً في ذلك فكفاه ذلك.

قال يوحنا: يا أئمة الإسلام هذه الرواية هي سبب تجري الناس على أبي بكر في الطعن عليه وعلى عمر، فإذا سمعت الرافضة أن في بخاريكم أن عمر قد شهد على نفسه أن علياً هو الذي رويتم فيه أن رسول الله ﷺ قال في حقه: «علي مع الحق والحق مع علي» والعباس عم رسول الله ﷺ شهد على أبي بكر وعمر أنهما كاذبان آثمان خائنان فكيف لا يتجرأون عليهم ويجعلون هذه مبدأ أشياء أخر.

قالت العلماء: يا يوحنا إن الرافضة يطعنون في أكثر الصحابة، وهذا هو الذي أوجب قتلهم إن رسول الله مدح الصحابة وقال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فكيف يصح للرافضة أن يطعنوا فيهم؟

قال يوحنا: علماء الإسلام لا تقولوا هذا فمن الجائز أن يكون هذا المدح لهم في زمن رسول الله ﷺ وبعد رسول الله حصل لبعضهم الارتداد، فإن إمامكم ومحدثكم الحميدي روى في الجمع بين الصحيحين من المتفق عليه عندكم من الحديث الستين من مسند عبد الله بن العباس قال: إن النبي ﷺ قال: ألا أنه سيجيء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول لهم كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[1] فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند عائشة عن عبد الله الحديث الحادي عشر من أفراد مسلم قال: إن النبي ﷺ قال: «إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم؟» قال عبد الرحمن: نكون كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال رسول الله: «بل تتنافسون وتتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون وتنطلقون إلى مساكن المهاجرين فتحملون المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض». أليس هذا وعداً بارتدادهم، وناهيك بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾[2] قالت العلماء: يا يوحنا هذا الذي ذكرته يدل على أن ذلك البعض أبو بكر وعمر وأتباعهما وما ندري ما الذي جرأهم على ذلك ومن أين جاز لهم ذلك؟

قال يوحنا: جرأهم على ذلك أئمتكم وعلماؤكم كالبخاري ومسلم، فإنهم أوردوا أنه لما مات رسول الله ﷺ أرسلت فاطمة صلوات الله عليها إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة من فدك وما بقي من خمس خيبر، فأبى أبو بكر أن يرد على فاطمة عليها السلام شيئاً منه، فوجدت فاطمة على أبي بكر مما أقلقها وأحزنها فهجرته ولم تتكلم مما وقع عليها منه من الأذى وما زالت تتنفس حتى ماتت، وأنها عاشت بعد أبيها ستة أشهر فلما توفيت دفنها عليه السلام ليلاً سراً ولم يؤذن بها أبا بكر. ومع هذه الشناعة روى أئمتكم في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ويؤذيني ما آذاها» فأخذ الرافضة هذين الحديثين وركبوا منهما مقدمتين وهو: أبو بكر آذى فاطمة، ومن آذى فاطمة فقد آذى رسول الله ﷺ، ولا شك أن الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾[3] ولو احتج عليكم أحد بهذه الحجة لم يسعكم إنكار مقدمة من مقدماتها ولا إنكار نتيجتها.

وقال يوحنا: فاختبط القوم وكثر بينهم النزاع لكن كان مآل كلامهم، إن الحق في طرف

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٧-١١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

الرافضة وكان أقربهم إلى الحق أذن أمام الشافعية فقال لهم: أراكم تشكون أن النبي ﷺ قال: من مات ولم يعرف إمام زمانه فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً فما المراد بإمام الزمان ومن هو؟ قالوا: إمام زماننا القرآن فإنا به نقتدي.

فقال الشافعي: أخطأتم لأن النبي ﷺ قال: الأئمة من قريش ولا يقال للقرآن إنه قريشي. فقالوا: النبي إمامنا. فقال الشافعي: أخطأتم لأن علماءنا لما اعترض عليهم بأن كيف يجوز لأبي بكر وعمر أن يتركا رسول الله ﷺ مسجى غير مغسل ويذهبا لطلب الخلافة، وهذا دليل على حرصهم عليها وهو قادح في صحة خلافتهما أجاب علماؤنا أنهم لمحوا أقول النبي ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ولم يجوزوا على أنفسهم الموت قبل تعيين الإمام فبادروا لتعيينه هرباً من ذلك الوعيد، فعلمنا أن ليس المراد بالإمام هنا النبي.

فقالوا للشافعي: فأنت من إمامك يا شافعي؟

قال: إن كنت من قبيلتكم فلا إمام لي وإن كنت من قبيل الاثني عشرية فإمامي محمد بن الحسن.

فقال العلماء: هذا والله أمر بعيد كيف يجوز أن يكون واحد من مدة لا يعيش أحد مثله ولا يراه أحد هذا بعيد جداً.

فقال الشافعي: هذا الدجال من الكفرة تقولون إنه حي وموجود وهو قبل المهدي والسامري كذلك ووجود إبليس لا تنكرونه، وهذا الخضر، وهذا عيسى تقولون إنهما حيان، وقد ورد عندكم ما يدل على التعمير في حق السعداء والأشقياء، وهذا القرآن ينطق أن أهل الكهف ناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنين لا يأكلون ولا يشربون، أفبعيد أن يعيش من ذرية محمد ﷺ واحد مدة طويلة يأكل ويشرب إلا أنه لا يخبرنا أحد أنه رآه، واستبعادكم هذا بعيد جداً.

قال يوحنا: فأطرق القوم فقالوا يا شافعي: الناس اختلفوا وكل أحد منهم أخذ طرفاً والله ما ندري ماذا نصنع؟

قال يوحنا: إن نبيكم قال: «ستفترق أمتي من بعدي ثلاثاً وسبعين واحدة ناجية واثنتان وسبعون في النار» فهل تعرف الناجية من هي؟

قالوا: إنهم أهل السنة والجماعة لقول النبي ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية من هم فقال: «الذين هم على ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

قال يوحنا: فمن أين لكم أنكم أنتم اليوم على ما كان عليه النبي ﷺ؟

قالوا: ينقل ذلك الخلف عن السلف. فقال يوحنا: فمن الذي يعتمد على نقلكم؟ قالوا: وكيف ذلك؟

قال: لوجهين:

الأول: إن علماءكم نقلوا كثيراً من الأحاديث التي تدل على إمامة علي عليه السلام وأفضليته وأنتم تقولون إنه مكذوب عليه، وشهدتم على علمائكم أنهم ينقلون الكذب فربما يكون هذا يتفق أيضاً كذباً ولا مرجح لكم.

الثاني: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يصلي كل يوم الصلوات الخمس في المسجد، ولم يضبط له أنه هل كان يبسمل للحمد أم لا، وهل كان يعتقد وجوبها أم لا، وهل كان يسبل يديه أم لا ولو كان يعقدهما فهل يعقدهما تحت السرة أو فوقها، وهل كان يمسح في الوضوء ثلاث شعرات أو ربع الرأس أم جميع الرأس، حتى أن أئمتكم اختلفوا فبعض أوجب البسملة وبعض استحبها وبعض كرهها، وبعض أسبل يديه وبعض عقدها تحت السرة وبعض فوقها وبعض أوجب مسح ثلاث شعرات، وبعض ربع الرأس وبعض جميعه، فإذا كان سلفكم لم يضبط شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعله في اليوم والليلة مراراً متعددة فكيف يضبطون شيئاً لم يفعله في العمر إلا مرة واحدة أو مرتين هذا بعيد.

وكيف تقولون إن أهل السنة هم على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله والحال أنهم يناقض بعضهم بعضاً في اعتقاداتهم واجتماع النقيضين محال.

قال يوحنا: فأطرقوا جميعاً ودار الكلام بينهم وارتفعت الأصوات بينهم وقالوا: الصحيح أنا لا نعرف الفرقة الناجية من هي وكل منا يزعم أنه هو الناجي وأن غيره هو الهالك، ويمكن أن يكون هو الهالك وغيره الناجي.

قال يوحنا: هذه الرافضة الذين تزعمون أنهم ضالون يجزمون بنجاتهم وهلاك من سواهم ويستدلون على ذلك بأن اعتقادهم أوفى للحق وأبعد عن الشك.

قالت العلماء: يا يوحنا قل وأنّا والله لا نتهمك لعلمنا أنك تجادلنا على إظهار الحق.

قال يوحنا: أنا أقول باعتقاد الشيعة إن الله قديم ولا قديم سواه وإنه واجب الوجود وأنه ليس بجسم ولا في محل وهو منزه عن الحلول، واعتقادكم أنكم تثبتون معه ثمانية قدماء هي الصفات حتى أن إمامكم الفخر الرازي شنع عليكم وقال: إن النصارى واليهود كفروا حيث جعلوا مع الله إلّهين اثنين قديمين، وأصحابنا أثبتوا قدماء تسعة، وابن حنبل أحد أئمتكم قال: إن الله جسم وأنه على العرش وأنه ينزل في صورة أمرد، فبالله عليكم أليس الحال كما قلت؟ قالوا: نعم.

قال يوحنا: فاعتقادهم إذاً خير من اعتقادكم، واعتقاد الشيعة إن الله سبحانه لا يفعل قبيحاً ولا يخل بواجب، وليس في فعله ظلم، ويرضون بقضاء الله لأنه لا يقضي إلا بالخير، ويعتقدون أن فعله لغرض لا لعبث، وأنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يضل أحداً من عباده، ولا يحيل بينهم وبين عبادته، وأنه أراد الطاعة ونهى عن المعصية وأنهم مختارون في أفعال أنفسهم، واعتقادكم أن الفواحش كلها من الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وأنه كلما يقع في الوجود من الكفر والفسوق والمعصية والقتل والسرقة والزنا فإنه خلقه الله تعالى في فاعليه، وأراده منهم

وقضى عليهم به ورفع اختيارهم ثم يعذبهم عليه، وأنتم لا ترضون بقضاء الله بل إن الله تعالى لا يرضى بقضاء نفسه، وأنه هو الذي أضل العباد وحال بينهم وبين العبادة والإيمان، وإن الله تعالى يقول ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] فاعتبروا أهل اعتقادكم خير من اعتقادكم أو اعتقادكم خير من اعتقادكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون.

وقالت الشيعة: أنبياء الله معصومون من أول عمرهم إلى آخره عن الصغائر والكبائر فيما يتعلق بالوحي وغيره عمداً وخطأً، واعتقادكم أنه يجوز عليهم الخطأ والنسيان، ونسبتم أن رسول الله ﷺ سَها في القرآن بما يوجب الكفر فقلتم: إنه صلى الصبح فقرأ في سورة النجم: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾[2] تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترجى، وهذا كفر وشرك جلي، حتى أن بعض علمائكم صنف كتاباً فيه تعداد ذنوب نسبها للأنبياء عليهم السلام فأجابته الشيعة عن ذلك الكتاب بكتاب سموه بتنزيه الأنبياء، فماذا تقولون أي الاعتقادين أقرب إلى الصواب وأدنى من الفوز؟.

واعتقاد الشيعة أن رسول الله ﷺ لم يقبض حتى أوصى إلى من يقوم بأمره بعده وأنه لم يترك أمته هملاً ولا يخالف قوله تعالى، واعتقادكم أنه ترك أمته هملاً ولم يوص إلى من يقوم بالأمر بعده ومن كتابكم الذي أنزل عليكم فيه وجوب الوصية، وفي حديث نبيكم وجوب الوصية، فلزم على اعتقادكم أن يكون النبي ﷺ أمر الناس بما لا يفعله، فأي الاعتقادين أولى بالنجاة؟.

واعتقاد الشيعة أن رسول الله ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى نص بالخلافة على علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يترك أمته هملاً فقال له يوم الدار: «أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا أمره» وأنتم نقلتموه ونقله إمام القراء والطبري، والخركوشي وابن إسحاق.

وقال فيه يوم غدير خم «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» حتى قال عمر: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، نقله إمامكم أحمد بن حنبل في مسنده.

وقال فيه لسلمان: «إن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب» رواه إمامكم أحمد بن حنبل.

وقال فيه: «إن الأنبياء ليلة المعراج قالوا لي بعثنا على الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب ورويتموه في الثعلبي والبيان وقال فيه: «أنه يحب الله ورسوله» رويتموه في البخاري ومسلم.

وقال فيه: «لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني» وعنى به علياً بن أبي طالب ورويتموه في الجمع بين الصحيحين.

وقال فيه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» ورويتموه في البخاري.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٩-٢٠.

وأنزل الله فيه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾(١) وأنزل فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(٢) وأنه صاحب آية الصدقة، وضربته لعمرو بن عبد ود العامري أفضل من عمل الأمة إلى يوم القيامة، وهو أخو رسول الله ﷺ وزوج ابنته، وباب المدينة إمام المتقين، ويعسوب الدين، وقائد الغر المحجلين حلال المشكلات وفكاك المعضلات هو الإمام بالنص الإلٓهي.

ثم من بعده الحسن والحسين اللذان قال فيهما النبي ﷺ: «هذان إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما».

وقال النبي ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ثم علي زين العابدين ثم أولاده المعصومون الذين خاتمهم الحجة القائم المهدي إمام الزمان الذي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية.

وأنتم رويتم في صحاحكم عن جابر بن سمرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون بعدي إثنا عشر أميراً» وقال كلمة لم أسمعها، وفي بخاريكم قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً» ثم تكلم بكلمة خفيفة خفيت علي.

وفي صحيح مسلم «لا يزال أمر الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش» وفي الجمع بين الصحيحين والصحاح الستة أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي إثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

وروى عالمكم ومحدثكم وثقتكم صاحب كفاية الطالب فإنه قال: حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد، وحدثنا أبو محمد هارون بن موسى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وحدثنا أبو علي محمد بن الأشعث أبو همام، وحدثنا عامر بن كثير البصري قال هارون: حدثنا ابن نعيم السمرقندي قال: حدثنا أبو النظر محمد بن مسعود العياشي عن يوسف بن إسحاق البصري عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر بن هشام بن يزيد عن الحسين بن محمد عن أبي شعيب عن مسكين بن نكير أبو بسطام عن شعبة بن سعد بن الحجاج عن هاشم بن يزيد عن أنس بن مالك قال: كنت أنا وأبو ذر وسلمان وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم عند النبي ﷺ إذ دخل الحسن والحسين ﷺ فقبلهما رسول الله وقام أبو ذر فانكب عليهما وقبل أيديهما ورجع فقعد معنا، فقلنا له سراً: يا أبا ذر رأيت شيخاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقوم إلى صبيين من بني هاشم فينكب عليهما ويقبلهما ويقبل أيديهما؟ فقال: نعم لو سمعتم ما سمعت لفعلتم بهما أكثر مما فعلت. فقلنا: وما سمعت فيهما عن رسول الله ﷺ يا أبا ذر؟

فقال: سمعته يقول لعلي ولهما: «والله لو أن عبداً صلى وصام حتى يصير كالشن البالي إذاً ما نفعه صلاته ولا صومه إلا بحبكم والبراءة من عدوكم.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

يا علي من توسل إلى الله بحقكم فحق على الله أن لا يرده خائباً.

يا علي من أحبكم وتمسك بكم فقد تمسك بالعروة الوثقى» قال: ثم قام أبو ذر وخرج فتقدمنا إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله أخبرنا أبو ذر بكيت وكيت، فقال: «صدق أبو ذر والله ما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

ثم قال ﷺ: «خلقني الله تعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف عام ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات». قلت يا رسول الله: وأين كنتم وعلى أي شأن كنتم؟

فقال رسول الله ﷺ: «كنا أشباحاً من نور تحت العرش نسبح الله ونقدسه». ثم قال ﷺ: لما عرج بي إلى السماء وبلغت إلى سدرة المنتهى ردعني جبرائيل. فقلت: يا حبيبي جبرائيل في مثل هذا المقام تفارقني؟

فقال: يا محمد إني لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنحتي، ثم زج بي من النور إلى النور ما شاء الله تعالى فأوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ: إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها وجعلتك نبياً؛ ثم اطلعت ثانياً، فاخترت منها علياً وجعلته وصيك ووارث علمك وإماماً من بعدك وأخرج من أصلابكم الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمي، ولولاهم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار، أتحب أن تراهم؟

فقلت: نعم يا رب، فنوديت يا محمد ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي والحجة ابن الحسن يتلألأ من بينهم كأنه كوكب دري.

فقلت: يا رب من هؤلاء ومن هذا؟

فقال سبحانه وتعالى: هؤلاء الأئمة من بعدك المطهرون من صلبك وهذا هو الحجة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويشف صدور قوم مؤمنين. فقلنا: بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله لقد قلت عجباً. فقال ﷺ: واعجب من هذا أن أقواماً يسمعون هذا مني ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله ويؤذونني فيهم لا أنالهم الله شفاعتي.

قال يوحنا: واعتقادكم أنتم أن رسول الله ﷺ لما مات مات على غير وصية ولم ينص على خليفته، وإن عمر بن الخطاب اختار أبا بكر وبايعه وتبعته الأمة وأنه سمى نفسه خليفة رسول الله ﷺ، وأنتم تعلمون كلكم أن أبا بكر وعمر لما مات رسول الله ﷺ تركوه بغير غسل ولا كفن وذهبا إلى سقيفة بني ساعدة فنازعا الأنصار في الخلافة، وولي أبو بكر الخلافة ورسول الله ﷺ مسجى، ولا شك أن رسول الله ﷺ لم يستخلفه وأنه كان يعبد الأصنام قبل أن يسلم

أربعين سنة، والله تعالى يقول: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّلِمِينَ﴾(١) ومنع فاطمة ارثها من أبيها رسول الله ﷺ بخبر روى هو حتى يخبر.

قالت فاطمة: يا أبا بكر ترث أباك ولا إرث أبي لقد جئت شيئاً فرياً وعارضته بقول الله: ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾(٢) ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾(٣) وقال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾(٤) ولو كان حديث أبي بكر صحيحاً لم يمسك علي بن أبي طالب عليه السلام سيف رسول الله ﷺ وبغلته وعمامته ونازع العباس علياً بعد موت فاطمة في ذلك، ولو كان هذا الحديث معروفاً لم يحز لهم ذلك، وأبو بكر منع فاطمة فدكاً لأنها أدَّعت ذلك وذكرت أن النبي ﷺ نحلها إياه فلم يصدقها في ذلك مع أنها من أهل الجنة وإن الله تعالى أذهب عنها الرجس الذي هو أعم من الكذب وغيره، واستشهدت علياً عليه السلام وأم أيمن مع شهادة النبي ﷺ لها بالجنة فقال: رجل مع رجل وامرأة، وصدق الأزواج في ادعاء الحجرة، ولم يجعل الحجرة صدقة، فأوصت فاطمة وصية مؤكدة أن يدفنها علي ليلاً حتى لا يصلي عليها أبو بكر.

وأبو بكر قال: أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم، فإن صدق فلا يصح له التقدم على علي بن أبي طالب وإن كذب فلا يصلح للإمامة، ولا يحمل هذا على التواضع لجعله شيئاً موجباً لفسخ الإمامة وحاملاً له عليه.

وأبو بكر قال: إن لي شيطاناً يعتريني فإذا زغت فقوموني. ومن يعتريه الشيطان فلا يصلح للإمامة.

وأبو بكر قال في حقه عمر: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ووقى الله المسلمين شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، فتبين أن بيعته كانت خطأ على غير الصواب وإن مثلها مما يجب المقاتلة عليها.

وأبو بكر تخلف عن جيش أسامة وولاه عليه ولم يول النبي ﷺ على علي أحد.

وأبو بكر لم يوله رسوله الله ﷺ عملاً في زمانه قط إلا سورة براءة وحين ما خرج أمر الله تعالى رسوله بعزله وأعطاها علياً.

وأبو بكر لم يكن عالماً بالأحكام الشرعية حتى قطع يسار سارق، وأحرق بالنار الفجاءة السلمي التيمي، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يعذب بالنار إلا رب النار». ولما سئل عن الكلالة لم يعرف ما يقول فيها فقال: أقول برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمن الشيطان.

وسألته جدة عن ميراثها فقال: لا أجد لك في كتاب الله شيئاً ولا في سنة محمد ارجعي حتى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦.
(٣) سورة النمل، الآية: ١٦.
(٤) سورة النساء، الآية: ١١.

أسأل فأخبره المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ أعطاه السدس، وكان يستفتي الصحابة في كثير من الأحكام.

وأبو بكر لم ينكر على خالد بن الوليد في قتل مالك بن نويرة، ولا في تزويج امرأته ليلة قتله من غير عدة.

وأبو بكر بعث إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام لما امتنع من البيعة فأضرم فيه النار وفيه فاطمة عليها السلام، وجماعة من بني هاشم وغيرهم فأنكروا عليه.

وأبو بكر لما صعد المنبر جاء الحسن والحسين، وجماعة من بني هاشم وغيرهم وأنكروا عليه، وقال له الحسن والحسين عليهما السلام: هذا مقام جدنا ولست أهلاً له.

وأبو بكر لما حضرته الوفاة قال: يا ليتني تركت بيت فاطمة لم أكشفه وليتني كنت سألت رسول الله ﷺ هل للأنصار في هذا الأمر حق.

وقال: ليتني في ظلة بني ساعدة ضربت على يد أحد الرجلين وكان هو الأمير وأنا الوزير. وأبو بكر عندكم إنه خالف رسول الله ﷺ في الاستخلاف لأنه استخلف عمر بن الخطاب ولم يكن النبي ﷺ ولاه قط عملاً إلا غزاة خيبر فرجع منهزماً، وولاه الصدقات فشكا العباس فعزله النبي ﷺ، وأنكر الصحابة على أبي بكر تولية عمر حتى قال طلحة: وليت عمر فظاً غليظاً.

وأما عمر فإنه أتي إليه بامرأة زنت وهي حاملة فأمر برجمها فقال علي عليه السلام: إن كان لك عليها سبيل فليس لك على حملها من سبيل، فأمسك وقال: لولا علي لهلك عمر. وعمر شك في موت النبي ﷺ وقال: ما مات محمد ولا يموت حتى تلا عليه أبو بكر الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١) فقال: صدقت، وقال كأني لم أسمعها.

وجاؤوا إلى عمر بامرأة مجنونة قد زنت فأمر برجمها فقال له علي عليه السلام: القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق، فأمسك فقال: لولا علي لهلك عمر، وقال في خطبة له: من غالى في مهر امرأته جعلته في بيت مال المسلمين، فقالت له امرأة: تمنعنا ما أحل الله لنا حيث يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا﴾(٢) فقال: كل أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت. وكان يعطي حفصة وعائشة كل واحدة منها مائتي ألف درهم، وأخذ مائتي ألف درهم من بيت المال فأنكر عليه المسلمون فقال: أخذته على وجه القرض. ومنع الحسن والحسين عليهما السلام إرثهما من رسول الله ﷺ ومنعهما الخمس.

وعمر قضى في الحد بسبعين قضية وفضل في العطاء والقسمة. ومنع المتعتين وقال: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ حلالتان وأنا محرمهما ومعاقب من فعلهما وخالف

---

(١) سورة الرمز، الآية: ٣٠. (٢) سورة النساء، الآية: ٢٠.

النبي ﷺ وأبا بكر في النص وعدمه، وجعل الخلافة في ستة نفر ثم ناقض نفسه، وجعلها في أربعة نفر ثم في الثلاثة، ثم في واحد فجعل إلى عبد الرحمن بن عوف الاختيار بعد أن وصفه بالضعف والقصور، ثم قال: إن اجتمع علي وعثمان فالقول ما قالا وإن صاروا ثلاثة ثلاثة فالقول للذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، لعلمه أن علياً وعثمان لا يجتمعان على أمر، وإن عبد الرحمن بن عوف لا يعدل بالأمر عن ابن أخته وهو عثمان، ثم أمر بضرب عنق من تأخر عن البيعة ثلاثة أيام.

وعمر أيضاً مزق الكتاب كتاب فاطمة عليها السلام وهو أنه لما طالت المنازعة بين فاطمة وأبي بكر رد عليها فدك والعوالي، وكتب لها كتاباً فخرجت والكتاب في يدها فلقيها عمر فسألها عن شأنها فقصت قصتها، فأخذ منها الكتاب وخرقه ودعت عليه فاطمة، فدخل على أبي بكر ولامه على ذلك واتفقا على منعها.

وأما عثمان بن عفان فجعل الولايات بين أقاربه فاستعمل الوليد أخاه لأمه على الكوفة فشرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران فطرده أهل الكوفة فظهر منه ما ظهر، وأعطى الأموال العظيمة أزواج بناته الأربع فأعطى كل واحد من أزواجهن مائة ألف مثقال من الذهب من بيت مال المسلمين، وأعطى مروان ألف ألف درهم من خمس إفريقية، وعثمان حمى لنفسه عن المسلمين ما منعهم عنه، ووقع منه أشياء منكرة في حق الصحابة، وضرب ابن مسعود حتى مات وأحرق مصحفه، وكان ابن مسعود يطعن في عثمان ويكفره، وضرب عمار بن ياسر صاحب رسول الله ﷺ حتى صار به فتق، واستحضر أبا ذر من الشام لهوى معاوية وضربه ونفاه إلى الربذة مع أن النبي ﷺ كان يقرب هولاء الثلاثة، وعثمان أسقط القود - عن ابن عمر - لما قتل النوار بعد الإسلام، وأراد أن يسقط حد الشراب عن الوليد بن عتبة الفاسق فاستوفى منه علي عليه السلام، وخذلته الصحابة حتى قتل ولم يدفن إلا بعد ثلاثة أيام ودفنوه في حش كوكب، وغاب عن المسلمين يوم بدر ويوم أحد وعن بيعة الرضوان، وهو كان السبب في أن معاوية حارب علياً عليه السلام على الخلافة ثم آل الأمر إلى أن سب بنو أمية علياً عليه السلام على المنبر وسموا الحسن وقتلوا الحسين وشهروا أولاد النبي ﷺ وذريته في البلاد يطاف بهم على المطايا، فآل الأمر إلى الحجاج حتى أنه قتل من آل محمد اثني عشر ألفاً وبنى كثيراً منهم في الحيطان وهم أحياء، وكل السبب في هذا أنهم جعلوا الإمامة بالاختيار والإرادة ولو أنهم اتبعوا النص في ذلك ولم يخالف عمر بن الخطاب النبي ﷺ في قوله: «ائتوني بدواة وبيضاء لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً» لما حصل الخلاف وهذا الضلال.

قال يوحنا: يا علماء الدين هؤلاء الفرقة الذين يسمون الرافضة هذا اعتقادهم الذي ذكرنا وأنتم هذا اعتقادكم الذي قررناه ودلائلهم هذه التي سمعتموها ودلائلكم هذه التي نقلتموها.
فبالله عليكم أي الفريقين أحق بالأمر إن كنتم تعلمون؟.

فقالوا بلسان واحد: والله إن الرافضة على الحق وأنهم المصدقون على أقوالهم لكن الأمر جرى على ما جرى فإنه لم يزل أصحاب الحق مقهورين، وأشهد علينا يا يوحنا إنا على موالات آل محمد ونتبرأ من أعدائهم إلا أنا نستدعي منك أن تكتم علينا أمرنا لأن الناس على دين ملوكهم.

قال يوحنا: فقمت عنهم وأنا عارف بدليلي واثق باعتقادي بيقين. فلله الحمد والمنة ومن يهدي الله فهو المهتد فسطرت هذه الرسالة لتكون هداية لمن طلب سبيل النجاة، فمن نظر فيها بعين الإنصاف أرشد إلى الصواب وكان بذلك مأجوراً، ومن ختم على قلبه ولسانه فلا سبيل إلى هدايته كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1] فإن أكثر المتعصبين ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾[2] أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم.

اللهم إنا نحمدك على نعمك الجسام ونصلي على محمد وآله المطهرين من الآثام مدى الأيام على الدوام إلى يوم القيامة. إلى هنا ما وقفنا عليه من الكتاب المذكور ولله سبحانه الحمد والمنة.

لشيخنا أبي الحسن: الشيخ سليمان البحراني قدس سره: [البحر الطويل]

أقولُ وقد هامَ المحبون بالسرى ... وطيَّ الفَيافي بكرِها وعوانِ
ألاَ أيُّها السّارون في طرقِ الهوى ... إلى خيرِ قدسٍ في أجلِّ مكانِ
أمَا ترقبُوني كي تزولَ عوائِقي ... فأشركَكُم في ذلك الوخذانِ
أهمُّ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعُه ... وقد حيلَ بين العيرِ والنزوانِ

وله أيضاً قدس الله سره: [البحر الكامل]

خلعَ النواصبُ ربقةَ الإيمانِ ... فصلاتُهم وزناهُم سيّانِ

قد جاء ذلك في واضح الآثار عن آل النبي الصفوة الأعيان. وقد تقدمه في ذلك الخليفة الناصر العباسي فقال: [البحر الكامل]

قسماً بمكةَ والحطيمِ وزمزمٍ ... والراقصاتِ وسعْيهنّ إلى مِنى
بغْضُ الوصيّ علامةٌ مكتوبةٌ ... كتبتْ على جبهاتِ أولادِ الزّنا
من لم يوالِ في البريةِ حيْدراً ... سيّانَ عندَ اللهِ صلّى أم زَنا

أقول: روى الثقة الجليل النجاشي طاب ثراه في ترجمة محمد بن الحسن بن شمون من كتاب الرجال قال: أخبرنا أبو الحسن الجندي قال: حدثنا أبو علي بن همام قال: حدثنا عبيد

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٦. (٢) سورة البقرة، الآيتان: ٦-٧.

الله بن العلاء المذاري عن محمد بن الحسن بن شمون قال: ورد داود الرقي البصرة بعقب اجتياز أبي الحسن موسى عليه السلام بها في سنة تسع وسبعين ومائة فسار بي أبي إليه وسأله عنهما فقال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سواء على الناصب صلى أم زنا.

حكايات وطرائف

صحة صلاة الجمعة

حكي: أن رجلاً أدركته صلاة الجمعة في قرية من قرى حمص فتوضأ وأراد أن يصلي الجمعة فلما دخل الجامع منعه البواب وقال: لأي شيء ما تأتي بما يصح به الجمعة؟ فقال: وما هو؟ فقال: بقفة وسكينة ومغرفة ووقار. فقال له الرجل: والذي لا يملك ذلك إن في المسجد أوقافاً وفيه جميع ما وصفته لك امض إلى دار الوقف وخذ منه ذلك، فمضى إلى دار الوقف فدفعوا له ذلك ثم صلى الجمعة مع القوم فإذا هم كلهم على هذه الصفة، فقال لأحدهم: من آمركم أن تفعلوا هذا؟ فقالوا: الخطيب. فلما انفض الناس دنا من الخطيب وآنسه بالكلام ولاطفه وقال له: في أي كتاب وجدت هذه المسألة؟ قال: في كتاب التثنية. قال: وما معنى العبارة؟

قال: حدثني يحيى عن يحيى عن سفيان الثوري قال: لا يصح جمعة أحدكم إلا بقفة وسكينة ومغرفة ووقار فقال: من فضلكم أرني، فغاب قليلاً ثم أتى بكتاب وناوله إياه فوجده كتاب التنبيه تصحف عليه بكتاب التثنية، وقوله يحيى عن يحيى أي يحيى عن محيي عن سفيان الثوري لا تصح جمعة أحدكم إلا بفقه وسكينة ووقار ومغرمة.

كلهم أعداء الله

مر: بعضهم بقارىء يقرأ «الّم غلبت الترك في أدنى الأرض» فقال له: قل غلبت الروم، فقال: كلهم أعداء الله قاتلهم الله.

تصوم ويدك مغلولة

وجاء: رجل إلى فقيه فقال: أفطرت يوماً في شهر رمضان. فقال: اقض يوماً مكانه. فقال: قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي إليها فأكلت. فقال: أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك.

خريت بإجماع سائر المذاهب

وجاء: رجل إلى بعض الفقهاء فقال له: إني رجل حنبلي المذهب توضأت وصليت على مذهب ابن حنبل فبينما أنا في الصلاة إذ أحسست ببلل في سراويلي يتلزق فشممته فإذا رائحته كريهة خبيثة فقال الفقيه: عافاك الله خريت بإجماع سائر المذاهب.

لا كثر الله مثلك في المسلمين

وجاء: رجل إلى فقيه فقال: افسو في ثيابي حتى تفوح روائحي فهل يجوز أن أصلي فيها؟ قال: نعم لا كثر الله مثلك في المسلمين.

أريتها عيوبي

وقع: بين الأعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل إليها فقال: إن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتف إبطيه وبخر فمه وحمر كفيه. فقال الأعمش: قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه.

سرق مصحف الجيران

أحضر رجل ولده إلى القاضي فقال: يا مولانا القاضي إن ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلي. فأنكر ولده ذلك فقال أبوه: يا سيدي فصلاة تكون بغير قراءة؟ فقال الولد: إني أعرف القرآن وأعرف القراءات. فقال القاضي: اقرأ حتى أسمع فقال: **[البحر الرمل المجزوء]**

علقَ القلبُ الرّبابا بعدَما شابتْ وشابا

إن دينَ اللهِ حقٌّ لا نَرى فيه ارتيابا

فقال أبوه: إنه لم يتعلم هذا إلا البارحة، سرق مصحف الجيران وحفظ منه هذا. فقال القاضي: قاتلكم الله يتعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به.

كيف بمن رأى المنام عياناً

رفعت: امرأة زوجها إلى القاضي وادعت أنه يبول في الفراش كل ليلة. فقال الرجل للقاضي: لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي، إني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عالٍ وفوق القصر قبة عالية وفي القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وإن الجمل يطأطىء

رأسه إلى البحر ليشرب فإذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف. فلما سمع القاضي ذلك بال في ثيابه وقال: يا هذه إني قد أخذني البول فبلت من هول حديثه فكيف من رأى الأمر عياناً.

قلب الله حمص

حكي: أن تاجراً عبر إلى حمص فسمع مؤذناً يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأهل حمص يشهدون أن محمداً رسول الله. فقال: والله لأمضين إلى الخطيب، فجاء إليه فوجده قد قام وهو يصلي على فرد رجل ورجله الأخرى متلوثة بالعذرة، فمضى إلى المحتسب ليخبره بالخبر فسأل عنه فقيل هو في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى إليه فوجده وبين يديه باطية مملوءة بالخمر وفي حجره مصحف وهو يحلف للناس بحق المصحف أنه خمر صرف وليس فيه ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع، فقال: والله لأمضين للقاضي فمضى إليه فوجده نائماً وعلى ظهره غلام يفعل به فقال التاجر قلب الله حمص.

فقال القاضي: لم تقول هذا؟ فأخبره بجميع ما رأى فقال: يا جاهل أما المؤذن فإن مؤذننا مرض فاستأجرنا يهودياً يؤذن مكانه وهو يقول ما سمعت، وأما الإمام فتلوث رجله بالعذرة وضاق الوقت وأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الأخرى ولما فرغ غسلها، وأما المحتسب فإن الجامع ليس له وقف إلا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره ويبيعه خمراً ويحلف عليه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما أنا فهذا الغلام مات أبوه وخلف مالاً كثيراً وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة وشهدوا عندي أنه بلغ فأنا أمتحنه. فخرج التاجر من البلد وحلف ألا يعود إليها.

بالصفع على الأروس

وقف نحوي: على بياع عنده أرز بعسل وبقل بخل فقال: بكم الأرز بالأعسل والأخل بالأبقل؟ فقال: بالصفع على الأروس والأضرط بالأذقن.

أنا ضامن لك أن لا تعود

ادعى: رجل النبوة في زمان خالد بن عبد الله القسري فأتى به إلى خالد فقال له: ما تقول؟ فقال: عارضت القرآن. قال: بماذا؟ قال: قال الله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[1] وقلت: إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر

(١) سورة الكوثر، الآية: ١-٣.

ولا تطع كل ساحر. فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب، فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده الخشبة فقال: إنا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود.

ما قال لا نبية بعدي

تنبأت: امرأة في زمان المتوكل فلما حضرت بين يديه قال لها: أنت نبية؟ قالت: نعم. قال: أتؤمنين بمحمد ﷺ؟ قالت: نعم. قال: فإنه قال: «لا نبي بعدي». قالت: فهل قال لا نبية بعدي؟ فضحك المتوكل فأطلقها.

أنتم أحق مني بالسؤال

وقف: سائل على باب دار فقالوا: يفتح الله عليك. فقال: كسرة. فقالوا: ما نقدر عليها فقال: قليل من بر أو شعير. قالوا: ولا نقدر. قال: فشربة من ماء. قالوا: وليس عندنا ماء. قال: فما جلوسكم هاهنا قوموا اسألوا فأنتم أحق مني بالسؤال.

يكفيني كفارة ستة أشهر

سمعت: امرأة الحديث «صوم يوم كفارة سنة» فصامت إلى الظهر ثم أفطرت وقالت: يكفيني كفارة ستة أشهر.

إلى بيتنا والله يذهبون

قال: طفيلي مررت بجنازة ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول: أين يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء. فقال ابني: إلى بيتنا والله يذهبون.

الآن استحققت الضرب

نقل: عن هارون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديداً فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي: إني أرقت في هذه الليلة وضاق صدري ولم أعرف ما أصنع؟

وكان خادمه مسرور واقفاً فضحك فقال له: مم تضحك أتستهزىء بي أم استخفافاً؟

فقال: لا ومراتبك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك عمداً ولكن خرجت بالأمس أتمشى بظاهر بغداد إلى أن جئت إلى جانب دجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلاً واقفاً يضحك الناس يقال له ابن المغازلي، فتفكرت الآن في شيء من كلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين.

فقال الخليفة: ائتني به الساعة. فخرج مسرور مسرعاً إلى أن جاء إلى ابن المغازلي فقال له: أجب الأمير. فقال له: سمعاً وطاعة. فقلت: بشرط أنك إذا دخلت عليه وانعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي من إنعامه، فأبى فقال: اجعل لي النصف فأبى، فقال الثلث لي ولك الثلثان فأجابه إلى ذلك بعد جهد عظيم، فلما دخل على أمير المؤمنين فأبلغ وترحم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين: إن أنت أضحكتني أعطيتك خمسمائة دينار وإن لم تضحكني ضربتك بهذا الجراب ثلاثاً. فظن في نفسه أن الجراب فارغ فوقف وتكلم وتمسخر وفعل أفعالاً تضحك الجلمود فلم يضحك أمير المؤمنين ولم يتبسم، فتعجب ابن المغازلي وضجر وخاف فقال أمير المؤمنين: الآن استحققت الضرب. ثم إنه أخذ الجراب ولقد كان في أربع ظلعات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة، فلما وقع الضرب في رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر في الشرط الذي شرط عليه مسرور فقال:

العفو يا أمير المؤمنين إن مسرور شرط شرطاً واتفقت أنا وإياه على مصلحة، وهو أن ما يحصل لي من صدقات أمير المؤمنين يكون له الثلثان ولي الثلث وما أجابني إلى ذلك إلا بعد جهد عظيم، والآن لم يحصل لي غير الضرب وقد شرطت على يا أمير المؤمنين بثلاث ضربات تصبني واحدة وتصيبه اثنان وقد أخذت نصيبي وها هو واقف فادفع له نصيبه يا أمير المؤمنين، فعند ذلك ضحك أمير المؤمنين وأعجبه ذلك ودعا بمسرور فضربه فصاح وقال: يا أمير المؤمنين قد وهبت لك ذلك، فضحك وأمر لهما بألف دينار لكل واحد خمسمائة دينار.

القصائد السبع العلويات

المجد

[البحر الطويل]

هذه القصائد السبع العلويات لابن أبي الحديد عبد الحميد حشره الله مع من أحب.

ألاَ إنّ نجدَ المجدِ أبيضُ ملحوبُ ... ولكنّه جمُّ المهالكِ مرهوبُ
هو العسلُ الماذي يشتارُ أمره ... بُغاه وأطرافُ الرماحِ اليعاسيبُ
ذقِ الموتَ إنْ شئتَ العُلى وأطعمِ الردّى ... فنيلُ الأماني بالمنيةِ مكسوبُ
خضِ الحتفَ تأمنْ خطةَ الخسفِ إنّما ... يبوحُ ضرامُ الخطبِ والخطبُ مشبوبُ
ألم تخبرِ الأخبارَ في فتحِ خيبرٍ ... ففيها لذي اللبِّ الملبِّ أعاجيبُ
وفوزُ عليٍّ بالعُلى فوزُ ما به ... فكلٌّ إلى كلٍّ مضافٌ ومنسوبُ
حصونُ حصانِ الفرجِ حيثُ تبرجتْ ... وما كلُّ ممتطّ الجزارةِ مركوبُ
يناطُ عليها للنجومِ قلائدٌ ... ويسفلُ عنها للغمامِ أهاضيبُ

وتنهلُ للجرباءِ فيها ولم تصبْ رذاذاً على شمِّ الجبالِ أساكيبُ
فكم كسرتْ جيشاً لكسرى وقصرّت يدا قيصرٍ تلك القنانُ الشناخيبُ
وكم من عميدٍ بات وهو عميدُها ومن حربِ أضحى بها وهو محروبُ
وارعنُ موارّ ألمَّ بمورها فلم يغنِ فيها جرٌّ مجرٍ وتكتيبُ
ولا حامَ خوفٍ للعدى ذلك الحمى ولا لاب شوقاً للردى ذلك اللوبُ
فللخطبِ عنها والصروفِ صوارفٌ كما كان عنها للنواكبِ تنكيبُ
تقاصرُ عنها الحادثاتُ فللرّدى طرائقُ إلا نحوها وأساليبُ
فلما أرادَ اللهُ فضَّ ختامِها وكلُّ عزيزٍ غالب الله مغلوبُ
رماها بجيش يملأُ الأرضَ فوقه رواقٌ من النصرِ الإلهيِّ مضروبُ
يسدّده هديٌ من اللهِ واضحٌ ويرشدُه نورٌ من اللهِ محجوبُ
مغاني الرّدى فيه فأصيدُ أشوسٌ وأجردُ ذيالٌ ومقّاءُ سرحوبُ
وقضاءُ زعفٍ كالحبابِ قتيرُها وأسمرُ عسالٌ وأبيضُ مخشوبُ
نهارُ سيوفٍ في دُجى ليلِ عثيرٍ فأبيُض وضّاح وأسودُ غربيبُ
عليٌّ أميرُ المؤمنين زعيمُه وقائدُ نسرِ المفازةِ والذيبُ
فصبَّ عليها منه سوطَ بليةٍ على كلِّ مصبوبِ الإساءةِ مصبوبُ
فغادرُها بعد الأنيسِ وللصّدى بأرجائها ترجيعُ لحنٍ وتطريبُ
ينوحُ عليها نوح هارون يوشعٌ ويذري عليها دمع يوسف يعقوبُ
بها من زماجير الرجال صواعقٌ ومن صوب آذي الدماءِ شآبيبُ
فكم خرّ منها للبوارقِ مبرقٌ وكم ذلّ فيها للقنا السلب مسلوبُ
وكم أصبحَ الصعبُ الحرونُ بأرضها وكم بات فيها صاحبٌ وهو مصحوبُ
وكم عاصبٍ بالعصبِ هامتُه ضُحىً فلم يمسِ إلا وهو بالعصبِ معصوبُ
لقد كان فيها عبرةٌ لمجربٍ وإن شاب ضراً بالمنافعِ تجريبُ
وما أنسَ لا أنسى اللّذين تقدّما وفرهما والفر قد علما حوبُ
وللرايةِ العظمى وقد ذهبا بها ملابس ذلٍّ فوقها وجلابيبُ
يشلّهما من آلِ موسى شمردلٌ طويلُ نجادِ السيفِ أبيضُ يعبوبُ
يمجُّ منوناً سيفُه وسنانُه ويلهبُ ناراً غمدُه والأنابيبُ
أحضرُهما أم حضُر أخرج خاضبٍ وذان هما أم ناعمُ الخدِّ مخضوبُ
عذرتُكما إن الحمامَ لمبغضٌ وإن بقاءَ النفسِ للنفسِ محبوب،
ليكرهُ طعم الموتِ والموتُ طالبٌ فكيف يلذُّ الموتَ والموتُ مطلوبُ

دعا قصب العليا بملكها امرؤ	بغير أفاعيل الدناءة مقضوبُ
يرى أن طول الحربِ والبؤس راحةٌ	وإن دوام السلم والخفض تعذيبُ
فلـلـهِ عيـنـاً مـن رآه مبـارزاً	وللحرب كاسٌ بالمنيةِ مقطوبُ
جوادٌ على ظهر الجواد واحشبٌ	تزلزلُ منه في النزال الأخاشيبُ
وأبيضُ مشطوبٌ الفرندِ مقلدٌ	به أبيضٌ ماضي العزيمةِ مشطوبُ
أجدّك هل تحبى بموتِك إنني	أرى الموتَ خطباً وهو عندك مخطوبُ

دماءُ أعاديك المدامُ وغابةُ الرماح ظلالٌ والنصالُ أكاويبُ

تجلى لك الجبار في ملكوتهِ	وللحتفِ تصعيدٌ إليك وتصويبُ
وللشمسِ عينٌ عن علاك كليلةٌ	وللدهر قلبٌ خافقٌ منك مرعوبُ
فعاينَ ما لولا العيانُ وعلمُه	لما ارتابَ شكاً أنه فيك مكذوبُ
وشاهدُ مرءٍ جلّ عن أن يحدّه	من القولِ نظم في الصحائفِ مكتوبُ
واصليتَ فيها مرحبَ القومِ مقضباً	جرازاً به حبل الأمانيّ مقضوبُ
وقد غصتِ الأرضُ الفضاءُ بخيلِه	وضرّج منها بالدماء الضنابيبُ
يعاقيبُ ركضٍ في الربودِ سوابحٌ	يماثِلها لولا الوكونُ اليعاقيبُ
فأشربه كأس المنية أحوس	من اللحم طعيم وللدم شريبُ
إذا رامَه المقدارُ أو رامَ عكَسه	فللقربِ تبعيد وللبعد تقريبُ
فلم أرَ دهراً يقتلُ الدهر قبلها	ولا حتف عضب وهو بالحتفِ معضوبُ
حنانيك فاز العربُ منك بسؤددٍ	تقاصرَ عنه الفرسُ والرومُ والنوبُ
فما ماس موسى في رداءٍ من العُلى	ولا آب ذكراً بعد ذكرك أيوبُ
أرى لك ذكراً ليس يجلبُ حمده	بمدحِ وكل الحمد بالمدح مجلوبُ
وفضلاً جليلاً إن ونى فضل فاضل	تعاقَب إدلاجاً عليه وتأويبُ
لذاتك تقديس لرمسِك طهرةٌ	لوجهِك تعظيم لمجدِك ترجيبُ
تقيلتَ أفعالَ الربوبية التي	عذرتَ بها من شكَّ أنك مربوبُ
وقد قيل في عيسى نظيرك مثله	فخسراً لمن عادى علاك وتتبيبُ
عليك سلامُ الله يا خير من مشى	به بازل عبر المهامهِ خرعوبُ
ويا خيَر من يُرجى لدفع ملمةٍ	فيأمنُ مرعوبٌ ويترف قرضوبُ
ويا ثاوياً حصباء مثواه جوهرٌ	وعيدانه عود وتربته طيبُ
تكوس به غر الملائك رفعة	ويكبر قدراً أن تكوس به النيبُ

يحلُّ ثراه أن يضرّجه الدمُ المراقُ وتغشاه الشوى والعراقيبُ

ويا علةَ الدنيا ومن بدء خلقِها له وسيتلو البدو في الحشر تعقيبُ
ويا ذا المعالي الغر والبعض محسبٌ دليلٌ على كلٍّ فما الكل محسوبُ
ظننت مديحي في سواك هجاءه وخلت مديحي أنه فيك تشبيبُ
وقال له الرحمن ما قال يوسفٌ عَداك بما قدمت لوم وتثريبُ

يزاحمه جبريل

وله أيضاً: في فتح مكة شرفها الله تعالى: [البحر الطويل]

جللتَ فلما دقَّ في عينِك الورى نهضتَ إلى أم القرى أيد القرى
جلبتَ لها قبَّ البطونِ وإنما تـقـودُ لـهـا دام حـبـوكـرا
وسقت إليها كل أسوق لو بدت له معفر ظننته بالرمل جوذرا
يبيت على أعلى المصاد كأنما يؤم وكونُ الفتح يلتمسُ القِرى
يفوقُ الرياحَ العاصفاتِ إذا مشى ويسبقُ رجعَ الطرفِ شَداً إذا جرى
جيادٌ عليها للوجيهِ ولاحقٌ دلائلُ صدقٍ واضحاتٌ لمن يرى
ففيها سلوٌّ للمحبِّ وشاهدٌ على حكمةِ الله المدبر للورى
هي الروضُ حسناً غير أنك إن تبرْ لها مخبراً تسمجْ لعينيك منظرا
عليها كماةٌ من لويٍّ بنِ غالبٍ يجرون أذيالَ الحديدِ تبختُرا
رميتَ أبا سفيانَ منها بجحفلٍ إذا قيسَ عداً بالثّرى كان أكثرا
يـدبّـره رأيُ الـنـبـيِّ وصـارمٌ بكفّك أهدى في الرؤوسِ من الكَرى
فطار إلى أعلى السماءِ تصاعداً فلما رأى أن لا نجاةَ تحذّرا
وحـاذرَ غـربـي مشرفيٍّ مـذكـرٍ هززتَ فالقى المشرفيَّ المذكرا
وأعطى يداً لم يعطِها عن مودةٍ وقولَ هدًى ما قالَه متخيّرا
فكنتَ بذاك العفوَ أولى وبالعُلى أحقُّ وبالإحسانِ أحْرى وأجْدرا
لأفصحتَ يا مخفي العداوةِ ناطقاً بتعظيم من عاديتَه متستّرا
وحسبُك أن تُدعى ذليلاً منافِقاً وتبطنَ ضِداً للذي ظلتَ مُظهرا
وجستَ خلالَ المروتَيْن فلم تدعْ حطيماً ولم تتركْ ببكةَ مَشعرا
طلعتَ على البيتِ الحرامِ بعارضٍ يمجُّ نجيعاً من ضُبى الهندِ أحمرا
فألقى إليك السلم من بعد ما عصى جلندى وأعيي تبّعاً ثم قيصرا
وأظهرتَ نورَ اللهِ بين قبائلٍ من الناسِ لم يبرحْ بها الشركُ نيرّا
وكسرتَ أصناماً طعنتَ حماتِها بسمرِ الوشيجِ اللّدنِ حتى تكسّرا

رقيتَ بأسمى غاربٍ أحدقتْ به ... ملائكُ يتلون الكتابَ المطهّرا
بغاربِ خير المرسلين وأشرفِ الأنام وأزكى فاعلٍ وطأ الثّرى
فسبحَ جبريلٌ وقدسَ هيبةً ... وهلّل إسرافيلُ رغباً وكبّرا
فيا رتبةً لو شئتَ أن تلمسَ السُّهى ... بها لم يكنْ ما رمتَه متعذّرا
ويا قدمَيْهِ أيَّ قدسٍ وطأتما ... وأيَّ مقامٍ قمتُما فيه أنْورا
بحيثُ أفاءت سدرةُ العرشِ ظلّها ... بضوحَيه فاعتدّت بذلك مفخَرا
وحيث الوميضُ الشعشعانيُّ فائض ... من المصدر الأعلى تبارك مصدَرا
فليس سواعٌ بعدَها بمعظّمٍ ... ولا اللاتُ مسجود لها ومعفرا
ولا ابن نفيل بعد ذاك ومقيسٌ ... بأولٍ من وسّدته عفرَ الثّرى
صدمتَ قريشاً والرماح شواجرٌ ... فقطعتَ من أرحامِها ما تشجّرا
ولولا أناةٌ في ابن عمّك جعجعتْ ... بعضبك أجرى من دم القوم أبْحرا
ولكنّ سرَّ الله شطر فيكُما ... فكنت لتسطُو ثم كان ليغفِرا
وردتَ حُنيناً والمنايا شواخصٌ ... فذلك من أركانها ما توعرا
وكم من دم أضحى بسيفِك قاطراً ... بها من كميٍّ قد تركت مقطرا
وكم فاجرٍ فجرت ينبوع قلبه ... وكم كافر في التربِ أمسى مكفرا
وكم من رؤوسٍ في الرماحِ عقدتها ... هناك لأجسام محللة العرى
واعجبَ إنساناً من القوم كثرةٌ ... فلم يغنِ شيئاً ثم هرولَ مُدبرا
وضاقتْ عليه الأرضُ من بعد رحبِها ... وللنصِّ حكمٌ لا يدافعُ بالمِرا
وليسَ بنكرٍ في حنينَ فرارُه ... وفي أحدٍ قد فر خوفاً وخيْبرا
رويدَك أن المجد حلو لطاعمٍ ... غريبٍ فإن مارسْته ذقت ممُقرا
وما كلُّ من رامَ المعالي تحملتْ ... مناكبُه منها الركامَ الكنَهْورا
تنحى عن العلياءِ يسحبُ ذيلَها ... همامٌ تردّى بالعُلى وتأزرا
فتىً لم يعرقْ فيه تيمُ بن مرةٍ ... ولا عبد اللات الخبيثة أعْصرا
ولا كان معزولاً غداةَ براءةٍ ... ولا عن صلاةٍ أم فيها فأخرا
ولا كان في بعثِ ابن زيد مؤمراً ... عليه فأضحى لابن زيد مؤمّرا
ولا كان يوم الغارِ يهفُو جنانُه ... حذاراً ولا يومَ العريشِ تستّرا
إمامُ هدىً بالقرصِ آثر فاقتضى ... له القرصُ رد القرص أبيضَ أزهرا
يزاحمُه جبريلُ تحت عباءةٍ ... لها قيل كلُّ الصيد في جانب الفرا
حلفتُ بمثواه الشريفِ وتربةٍ ... أحال حَصاها طيبُ ريّاه عنب؛را

لاستنفذنَّ العمرَ في مدحي له ... وإن لامني فيه العذولُ فأكثرا

حاشا لنور الله

وله أيضاً : [البحر الكامل]

عن ريقِها يتحدّثُ المسواكُ ... أرجاً فهل شجرُ الكباء أراكُ
ولطرفها خنثُ الجبانُ فإن رنتْ ... باللّحظِ فهي الضيغمُ الفتاكُ
شركُ القلوبِ ولم أخلْ من قبلها ... إن القلوبَ تصيدُها الأشراكُ
هيفاءُ مقبلةٌ تميلُ بها الصّبا ... مرَحاً فإن هي أدبرت فضناكُ
يا وجهها المسفوكُ ماء شبابه ... ما الحتفُ لولا طرفُك السفاكُ
أم هل أتاك حديثُ وقفتِنا ضُحى ... وقلوبُنا بشِبا الفراقِ تشاكُ
لصدورِنا خفقُ البروقِ تحركاً ... وجسومُنا ما إن بهنَّ حراكُ
لا شيءَ أقطعُ من نوى الأحباب أو ... سيفِ الوصيِّ كلاهُما فتّاكُ
الجوهرُ النبويُّ لا أعمالُه ... ملقٌ ولا توحيدُهُ إشراكُ
ذو النورِ إن نسجَ الضلالُ ملاءةً ... دكناءَ فهو لسجفِها هتاكُ
علاّم أسرارِ الغيوبِ ومن له ... خلقَ الزمانُ ودارت الأفلاكُ
في عضبِهِ مرّيخها وبعزة الملهوب منها مرزم وسماكُ
فكّاك أعناقِ الملوك فإن يردْ ... أسْراً لها لم يقضِ منه فكاكُ
طعنٌ كأفواهِ المزاد ودونه ... ضرب كأشداقِ المخاضِ دراكُ
ما عذرُ من دانت لديه ملائكٌ ... ألّا تدين لعزه الأملاكُ
متعاظمُ الأفعالِ لا هويتُها ... للأمر قبل وقوعِه دراكُ
أوفَى من القمرِ المنيرِ لنعله ... شسعٌ وأعظمُ من ذكاءَ شراكُ
الصافحُ الفتّاكُ والمتطولُ المنّاع والأخاذُ والترّاكُ
قد قلتُ للأعداءِ إذ جعلوُا له ... ضداً أيجعلُ كالحضيض شكاكُ
حاشا لنور الله يعدلُ فضله ... ظلمُ الضلالِ كما رأى الأفاكُ
صلّى عليه اللهُ واكتستِ الرُّبى ... بُرداً بأيدي المعصراتِ تحاكُ

الورع التقي

وله أيضاً : [البحر الكامل المجزوء]

فـكّ الـحـبـيـسُ فـعـفّـروا فـي الـتـربِ تـعـفـيـر الـحـبـسْ
الـصـمـت إجـلالاً لـمـوضـعـهـا الـقـديـم بـل الـخـرسْ
غـلـطَ الـمـجـوسُ هـي الـتـي عـبـدَ الـمـزمـزمُ إذ درسْ
مـا دار فـي خـلـد الـزمـان لـهـا الـنـظـيـر ولا هـجـسْ
قـدمـتْ فـضـلٌ بـهـا الـورى فـالأمـرُ فـيـهـا مـلـتـبـسْ
لا الـجـنُّ تـذكـرُ عـهـد مـولـدهـا الـقـديـم ولا الأنـسْ
قـمْ يـا نـديـمُ فـغـالـطِ الأ وقـاتِ فـيـهـا واخـتـلـسْ
بـالـراحِ رح فـهـي الـمُـنـى وعـلـى جـمـاحِ الـكـاسِ كـسْ
لا تـلـقـهـا إلا بـبـشـرك فـالـقـطـوب مـن الـدنـسْ
مـا أنـصـف الـصـهـبـاء مـن ضـحـكـت إلـيـه وقـد عـبـسْ
فـإذا سـكـرتُ فـغـنّ لـي ذهـب الـشـبـاب فـمـا تـحـسْ
للهِ أيـامُ الـشـبـابِ وحـبّـذا تـلـك الـخـلـسْ
كـم لـيـلـةٍ لـم ألـق بـعـدَ عـشـائـهـا إلا الـغـلـسْ
قـصـرتْ وقـد ركـضَ الـصـبـاحُ بـجـنـحِـهـا ركـض الـفـرسْ
وكـذاكَ أيـامُ الـمـسـرّة رجـعُ طـرفٍ أو نـفـسْ
نـاديـتُ فـي ظـلـمـاتِـهـا عـذب الـلـمـى حـلـو الـلـعـسْ
فـي كـفّـه قـبـسُ الـمـدام وفـي الـحـشـا مـنـه قـبـسْ
وسّـدتـه كـفـي فـنـبّـه لـوعـتـي لـمـا نـعـسْ
هـل مـن فـريـسـةِ لـذة إلا وكـنـتُ الـمـفـتـرسْ
أيـام اغـتـرفُ الـصّـبـا غـضّ الأديـم وانـتـهـسْ
حـتـى قـضـيـت مـآربـي وصـرمـتـهـا صـرم الـمـرسْ
فـإذا عـصـارةُ ذاك حـوبٌ فـي الـمـغـبّـة أو طـفـسْ
فـافـرغ إلـى مـدح الـوصـي فـفـيـه تـطـهـيـر الـنـجـسْ
ربّ الـسـلاهـبِ والـقـواضـبِ والـمـقـانـب والـخـمـسْ
والـبـيـضِ والـبـيـضِ الـقـواطـع والـغـطـارفـة الـحـمـسْ
والـجـامـحـاتِ الـشـامـسـات وفـوقـهـا الـصـيـدُ الـشـمـسْ
مـن كـلّ مـوارِ الـعـنـان مـطـهّـم صـعـبٍ سـلـسْ
لـلـشـركِ فـيـهـا مـأتـم والـطـيـرُ مـنـهـا فـي عـرسْ
عـفـتِ الـرسـوم الـعـسـكـرُ الـجـمـلـيُّ قـدمـاً فـانـدرسْ
وثـنـتْ أعـنّـتـهـا إلـى حـرب ابـن حـرب فـارتـكـسْ

رفعَ المصاحف يستجيرُ من الحمامِ ويبتئسْ
خافَ الحسامَ العندميَّ وحاذرَ الرمحَ الورسْ
فانصاعَ ذا عينٍ مسهّدةٍ وقلبٍ مختلسْ
وسرتْ بأرضِ النهروانِ فزعزعت ركني قدسْ
اللونُ برقٌ مختلسْ والصوتُ رعدٌ مرتجسْ
فغدت سنابكُها على هام الخوارج كالقبسْ
يرمي بها بحرَ الوغى أسدُ الملاحمِ والوطسْ
الزاهد الورع التقي العالم الحبر الندسْ
صلّى عليه اللهُ ما غارَ الحجيجُ وما جلسْ

وارث علم المصطفى

وله أيضاً : **[البحر الطويل]**

لمنْ ظعنٌ بين الغميمِ وحاجرِ بزغنَ شموساً في ظلامِ الدياجرِ
شبيهاتُ بيضاتِ النعامِ يقلها من العيس أشباه النعامِ النوافرِ
ومن دونِ ذاك الخدرِ ظبيةُ قايضٍ تريقُ دماءَ المشبلاتِ الخوادرِ
تنوءُ بأعباءِ الحليّ وأنها لتضعفُ عن لمحِ العيونِ النواظرِ
إذا اعتجرتْ قاني الشفوف فيالَها تباريحُ وجدٍ في قلوبِ المغافرِ
تميلُ كما مال النزيفُ وتنثني تثني منصورِ الكتيبةِ ظافرِ
لها محضُ ودي في الهوى وتحنّني وخالصُ إضماري وصوف سرائري
فيا ربُّ بغضها إلى كلِّ عاشق سوايَ وقبّحها إلى كلِّ ناظرِ
وبغضْ إليها الناسَ غيري كما أرى قبيحاً سواها كل باد وحاضرِ
فيا جنةٌ فيها العذابُ ولم أخفْ حلولَ عذاب في الجنانِ النواظرِ
يعاقبُ في حسبانِها غيرُ مشركٍ ويحرمُ من نعمائها غير كافرِ
فديتكُ لاقرب الديارِ بنافعي لديك ولا بعد الديار بضائري
وما قربُ أوطان بها متباعدُ المودةِ إلا مثلَ قربِ المقابرِ
حلفتُ بربِ القعضبية والقنا المثقفِ والبيضِ الرقاقِ البواترِ
وبالسابحاتِ السابقاتِ كأنها من الناشراتِ الفارقاتِ الأعاصرِ
وعوجٍ مرناتٍ وصفرٍ صوائبٍ وفلكٍ باذيّ العبابِ مواخرِ
لقد فاز عبد للوصيّ ولاؤه ولو شابَه بالموبقات الكبائرِ

وخابَ مُعاديه ولو حلقتْ به قوادمُ فتخاءِ الجناحين كاسرِ
هو النبأُ المكنونُ والجوهرُ الذي تجسد من نورٍ من القدس زاهرِ
وذو المعجزاتِ الواضحاتِ أقلُّها الظهور على مستودعات السرائرِ
ووارث علم المصطفى وشقيقهُ أخاً ونظيراً في العُلى والأواصرِ
ألا إنما الإسلامُ لولا حسامُه كعفطةِ عنز أو قلامة عافرِ
ألا إنما التوحيد لولا علومه كعرضة ضليلٍ ونهبةِ كافرِ
ألا إنما الأقدارُ طوعُ يمينِه فبوركَ من وترٍ مطاع وقادرِ
فلو ركضَ الصمَّ الجلاميدَ واطياً لفجّرها بالمترعاتِ الزواخرِ
ولو رامَ كسفَ الشمسِ كوّر نورها وعطّل من أفلاكِها كل دائرِ
هو الآيةُ العظمَى ومستنبطُ الهُدى وحيرةُ أرباب النُّهى والبصائرِ
رمى اللهُ منه يوم بدرٍ خصومَه بذي فنذٍ في آل بدرٍ مبادرِ
وقد جاشتِ الأرضُ العريضة بالقنا فلم يلفَ إلا ضامرٌ فوق ضامرِ
فلو نتجتْ أم السماءِ صواعقاً لما شجَّ منها سارحٌ رأس حاسرِ
فكان وكانوا كالقُطامي ناهضَ البغاثِ فصرّى شلوه في الأظافرِ
سرى نحوهمْ رسلاً فسارتْ قلوبُهم من الخوفِ وخداً نحوه بالحناجرِ
كأن ضباة المشرفيةِ من كرى فما يبتغي إلا مقرَّ المحاجرِ
فلا تحسبنَّ الرعد رجس غمامة ولكنه من بعض تلك الزماجرِ
ولا تحسبنَّ البرق ناراً فإنه وميض أتى من ذي الفقار بفاقرِ
ولا تحسبن المزنَ تهمي فإنها أناملُه تهمي بأوطف هامرِ
تعاليتَ عن مدحٍ فأبلغ خاطب بمدحك بين الناسِ أقصرُ قاصرِ
صفاتُك أسماءٌ وذاتُك جوهر بريءُ المعالي من صفات الجواهرِ
يجلُّ عن الأعراضِ والأين والمُتى ويكبرُ عن تشبيهه بالعناصرِ
إذا طاف ناسٌ في المشاعرِ والصَّفا فقبرُك ركني طائفاً ومشاعري
وإن ذخرَ الأقوامُ نسك عبادةٍ فحبُّك أوفى عدتي وذخائري
وإن صامَ ناسٌ في الهواجرِ حسبةً فمدحُك أسنى من صيام الهواجرِ
واعلمُ أني إن أطعتُ غوايتي فحبُّك أنسي في بطون الحفائرِ
وإن أكُ فيما جئتُه شرَّ مذنبٍ فربُّك يا خيرَ الورى خيرُ غافرِ
فوالله لا أقلعتُ عن لهو صَبوتي ولا سمعَ اللاحون يوماً معاذري
إذا كنت للنيران في الحشر قاسماً أطعت الهوى والغي غير محاذرِ

نصرتُك في الدنيا بما أستطيعُه فكن شافعي يومَ المعادِ وناصري
فليتَ تراباً حالَ دونك لم يحلْ وساترَ وجهٍ منك ليس بساترِ
لتنظرَ ما لاقى الحسينُ وما جنت عليه العِدى من مفضعات الجرائرِ
من ابن زياد وابن هند وامرة ابن سعد وأبناء الإماء العواهرِ
رموهُ بيحموم الأديمِ غطامطاً تعيد الحصى رفعاً بوقع الحوافرِ
لهام فلا فرعُ النجومِ بمسبل عليه ولا وجه الصباح بسافرِ
فيا لك مقتولاً تهدمت العُلى وثلت به أركان عرش المفاخرِ
ويا حسرةً إذا لم أكنْ في أوائلٍ من الناسِ يُتلى فضلهُم في الأواخرِ
فأنصرُ قوماً إن يكنْ فاتَ نصرُهم لدى الروعِ خطّاري فما فات خاطري
عجبت لأطوادِ الأخاشيبِ لم تمذ ولا أصبحتْ غوراً مياهُ الكوافرِ
وللشمس لم تكسفْ وللبدرِ لم يحل وللشهب لم تقذف بأشأم طائرِ
أما كان في رزءِ ابن فاطمَ مقتضى هبوطِ رواسٍ أو كسوفِ زواهرِ
ولكنما غدرُ النفوسِ سجيةٌ لها وعزيز قومٍ صاحب غير غادرِ
بني الوحي هل أبقى الكتابُ لناظمٍ مقالة مدحٍ فيكم أو لناثرِ
إذا كان مولى الشاعرين وربهم لكم بانياً مجداً فما قدر شاعرِ
فأقسم لولا أنكم سبل الهدى لضل الورى عن لاحبِ النهج ظاهرِ
ولو لم تكونوا في البسيطة زلزلتْ وأخربَ من أرجائِها كلّ عامرِ
سأمنحكمْ منّي مودَة وامق يغضُّ قليً عن غيرِكم طرف هاجرِ

يا من له ردت ذكاء

وله أيضاً: [البحر الكامل]

يا رسمُ لا رسمتْك ريحٌ زعزعُ وسرتْ بليل في عراصِك خروعُ
لم ألفِ صدري من فؤادي بلقعاً إلا وأنت من الأحبةِ بلقعُ
جاري الغمامُ مدامعي بك فانثنتْ جونُ السحابِ فهي حسرى ضلعُ
لا يمحُكَ الهتنُ الملثُّ فقد محا صبري دثورُك مذ محتْك الأدمعُ
ما تم يومُك وهو أسعد أيمنٍ حتى تبدّل وهو أنكدُ أشنعُ
شروى الزمانِ يضيءُ صبحٌ مسفرٌ فيه فيشفعه الظلامُ الأسفعُ
لله درُّك والضلالُ يقودُني بيدِ الهوى فأنا الحرون فأتبعُ
يقتادني سكرُ الصبابةِ والصبا ويصيحُ بي داعي الغرام فأسمعُ

دهرٌ تقوَّض راحلاً ما عيبَ من عُـقـبـاه إلا أنـه لا يـرجـعُ
يـا أيُّهـا الـوادي أجلُّك وادياً وأعزُّ إلا في حماك فاخضعُ
وأسوف تربك صاغراً وأذلُّ في تلك الرُّبى وأنا الجليد فأخنعُ
أسفي على مغناك إذ هو غايةٌ وعلى سبيلك وهو لحب مهيعُ
أيـام أنـجـم قـعـضـبٌ دريـةٌ في غير أوجهِ مطلعٍ لا تطلعُ
والسمهريةُ تستقيمُ وتنحني فكأنما بين الأضالعِ أضلعُ
والبيضُ توردُ في الوريدِ فترتوي والسمرُ تشرعُ في الوتين فتشرعُ
والسابقات اللاحقاتُ كأنها العقبانُ تُردي في الشكيم وتمزعُ
والربعُ أنورُ بالنسيم مضمخٌ والجوُّ أزهرُ بالعبيرِ مردّعُ
ذاك الزمانُ هو الزمانُ كأنما قيضُ الخطوبِ به ربيعٌ ممرعُ
وكأنما هو روضةٌ ممطورةٌ أو مزنةٌ في عارضٍ لا تقلعُ
قد قلتُ للبرقِ الذي شقَّ الدُّجى فكأن زنجياً هناك يجدعُ
يا برقُ إن جئت الغريَّ فقلْ لها أتراك تعلمُ من بأرضِك مودعُ
فيك ابنُ عمرانَ الكليمُ وبعدَه عيسى يقفّيه وأحمدُ يتبعُ
بل فيك جبريلٌ وميكالٌ وإسْرا فيل وُالملأُ المقدسُ أجمعُ
بل فيك نورُ الله جلَّ جلالُه لذوي البصائرِ يستشفُ ويلمعُ
فيك الإمام المرتضى فيك الوصيُّ المجتبى فيك البطين الأنزعُ
الضاربُ الهامِ المقنّعِ في الوغى بالخوف للبهم الكماة يقنعُ
ولنترعِ الحوضَ المدعدعَ حيثُ لا وادٍ يفيضُ ولا قليبٌ يترعُ
ومبدِّدُ الأبطالِ حيثُ تألبّوا ومفرقُ الأحزابِ حيثُ تجمعوا
والحبرُ يصدعُ بالمواعظِ خاشعاً حتى تكاد له القلوب تصدعُ
حتى إذا استعر الوغى متلظّياً شربَ الدماءَ بغلةٍ لا تنقعُ
متجلبِباً ثوباً من الدم قانياً يعلوه من نقع الملاحم برقعُ
زهدُ المسيحِ وفتكةُ الدهرِ الذي أودى به كسرى وفوزٌ تبعُ
هذا ضميرُ العالمِ الموجود عن عدم وسر وجوده المستودعُ
هذي الأمانةُ لا يقومُ بحملِها خلفاءُ هابطةٌ وأطلسُ أرفعُ
تأبى الجبالُ الشمُّ عن تقليدها وتضجُّ تيهاء وتشفقُ برقعُ
هذا هو النورُ الذي عذباتُه كانت بجبهةِ آدمَ تتطلعُ
وشهابُ موسى حيث أظلمَ ليلهُ رفعتْ له لألاؤه تتشعشعُ

يا من له ردَّت ذكاءُ ولم يفز بنظيرِها من قبلُ إلّا يوشعُ
يا هازمَ الأحزابِ لا يثنيه عن خوض الحمامِ مدجج ومدرعُ
يا قالعَ الباب الذي عن هزها عجزت أكفٌ أربعون وأربعُ
لولا حدوثك قلت إنك جاعل الأرواح في الأشباح والمتنزعُ
لولا مماتك قلت إنك باسط الأرزاق تعطي من تشاء وتمنعُ
ما العالمُ العلويُّ إلا تربةً فيها لجثتك الشريفة مضجعُ
ما الدهرُ إلا عبدك القنُّ الذي بنفوذِ أمرِكِ في البريةِ مولعُ
أنا في مديحك الكن لا أهتدي وأنا الخطيبُ الهبزري المصقعُ
أأقولُ فيك سميدعٌ كلا ولا حاشا لمثلِك أن يقال سميدعُ
بل أنت في يومِ القيامةِ حاكمٌ في العالمين وشافعٌ ومشفعُ
ولقد جهلتُ وكنت أحذقَ عالمٍ أغرارُ عزمِك أم حسامك أقطعُ
وفقدتُ معرفتي ولست بعارفٍ هل فضلُ حلمِك أم جنابُك أوسعُ
لي فيك معتقد سأكشفُ سرَّه فليصغ أربابُ النُّهى وليسمعوا
هي نفثةُ المصدور يُطفي بردَها حرُّ الصبابةِ فاعذلوني أودعوا
واللهِ لولا حيدرٌ ما كانتِ الدنيا ولا جمع البرية مجمعُ
من أجلِه خلق الزمانُ وضوأت شهبٌ كنسن وجنَّ ليل أدرعُ
علم الغيوبِ إليه غيرُ مدافعٍ والصبحُ أبيض مسفرٌ لا يدفعُ
وإليه في يوم المعادِ حسابنا وهو الملاذُ لنا غداً والمفزعُ
هذا اعتقادي قد كشفتُ غطاءه ليضرَّ معتقداً له أو ينفعُ
يا من له في أرضِ قلبي منزل نعمَ المرادُ الرحبُ والمستربعُ
أهواك حتى في حشاشةِ مهجتي نارٌ تشبُّ على هواك وتلذعُ
وتكادُ نفسي أن تذوبَ صبابةً خلقاً وطبعاً لا كمن يتطبعُ
ورأيت دين الاعتزال وأنني أهوى لأجلك كل من يتشيعُ
ولقد علمتُ بأنه لا بدَ من مهديِّكم وليومه أتوقعُ
تحميهِ من جندِ الإلّهِ كتائب كاليم أقبلَ زاخراً يتدفعُ
فيها لآلِ أبي الحديدِ صوارمٌ مشهورةٌ ورماحُ خطٍ شرعُ
ورجالُ موتٍ مقدمون كأنهم أسدُ العرين الربدُ لا تتكعكعُ
تلك المُنى أما أغبْ عنها فلي نفسٌ تنازعني وشوق ينزعُ
ولقد بكيتُ لقتل آلِ محمدٍ بالطفِّ حتى كلُّ عضوٍ مدمعُ

عقرتْ بناتُ الأعوجيةِ هل درتْ   ما يستباحُ بها وماذا يصنعُ
وحريمُ آلِ محمدٍ بين العِدى   نهباً تقاسمها اللئامُ الوضّعُ
تلك الظعائنُ كالإماءِ متى تسقْ   يعنف بهنَّ وبالسياط تقنّعُ
من فوق أقتابِ الجمالِ يشلُّها   لكَعٌ على حنق وعبد أكوعُ
مثلَ السبايا بل أذلّ تشق   منهنَّ الخمارَ ويُستباحُ البرقعُ
فمصفّدٌ في قيدِه لا يُفتَدى   وكريمةٌ تُسْبى وقرطٌ يُنزعُ
تاللهِ لا أنسى الحسينَ ورهطَه   تحت السنابِك بالعراءِ موزعُ
متلفعاً حمرَ الثيابِ وفي غد   بالخضرِ من فردوسِه يتلفعُ
تطأُ السنابكُ صدرَه وجبينَه   والأرضُ ترجفُ خيفةً وتضعضعُ
والشمسُ ناشرةٌ ذوائب ثاكلٍ   والدهرُ مشقوقُ الرداءِ مقنعُ
لهفي على تلك الدماءِ تُراقِ في   أيدي أمية عنوة وتضيعُ
بأبي أبو العباسِ أحمدُ أنه   خيرُ الورى من أن يطل ويمنعُ
فهو الولي لثارها وهو الحمولُ لعبئها إذ كل عود يضلعُ
الدهرُ طوعٌ والشبيبةُ غضبة   والسيفُ عضبٌ والفؤادُ مشيعُ

يا أيها النبأ العظيم

وله أيضاً:

الصبر، إلاّ في فراقِك يجملُ   والصعبُ إلا عن ملالِك يسهلُ
يا ظالماً حكمته في مهجتي   حتّام في شرع الهوى لا تعدلُ
أنفقتُ عمري في هواك تكرُّماً   وتضن بالنزر القليل وتبخلُ
إن ترم قلبي تصم نفسك أنه   لك موطنٌ تأوي إليه ومنزلُ
أتظنُّ أني بالإساءة مقلعٌ   كيف الدواءُ وقد أصيب المقتلُ
أعرضْ وصد وجرُ فحبكُ ثابتٌ   بتنقّلِ الأحوالِ لا يتنقّلُ
والله لا أسلُوك حتى أنطوي   تحت الترابِ وتحتويني الجندلُ
تتبدُّل الدنيا وحبُّك ثابتٌ   في القلبِ لا يفنَى ولا يتبدَّلُ
من لي بأهيفَ قد أقامَ قيامَتي   خدٌّ له قانِ وطرفٌ أكحلُ
نشوانُ من خمرِ الصّبا لا يفهمُ الشّكوى ويُصغي للوشاةِ ويقبلُ
متغيرٌ متلوّنٌ متعتب   متمنعٌ متعنتٌ متدلّلُ
إن قلتُ متُّ من الصبابةِ قال لي   ظلْماً وأيُّ صبابةٍ لا تقتلُ

أو قلتُ قد طال العذابُ يقول لي ... ما سوفَ تلقى من عذابِك أطولُ
قسماً بتربِ نعاله فمَحاجري ... أبداً بغيرِ غبارِهِ لا تكحلُ
وصعيدِ بيت حلَّه فركائبي ... تسعَى له دون البيوتِ وترملُ
لأخالفنَّ عواذِلي لو أنه ... ممنْ يظلُّ على هواه ويعذلُ
ولأهتكنَّ على الهوى ستر الحيا ... إن الفضيحةَ في المحبةِ أجملُ
يصفرُّ وجهي حينَ أنظرُ وجهه ... خوفاً فيدركُه الحياءُ ويخجلُ
فكأنما بخدوده من حمرة ... ظلت إليها من دمي تتحولُ
هو مُلبسي حللَ الضنا ومعلمي ... من زلّتي ما كنت منها أجهلُ
لولاه لم أردِ الحياةَ ولم أقلُ ... طلبُ الثراء من القناعة أفضلُ
من أجله أخشى المماتَ وأتقي ... ولأجلِه أرجو الغنى وأؤملُ
أستعذبُ التعذيبَ فيه كأنما ... جرعُ الحميمِ هي البرودُ السلسلُ
لا فرّج الرحمنُ كربةَ عاشقٍ ... طلبَ السلوَ فخاب فيما يسألُ
لا تُنكروا فيضَ الدموعِ فإنها ... نفسي يصعّدها الغرامُ المشعلُ
هيَ مهجتي طوراً تحلل بالبُكا ... أسَفاً وطوراً بالزّفيرِ تحللُ
يا كرخُ جادَ عليك مدرار الحيا ... وسقى ثَراك من الرواعدِ مسبلُ
إن كان جسمي عنك أصبحَ راحِلاً ... كرهاً فقلبي قاطنٌ لا يرحلُ
ما رمتُ بعدك بالمدائن صبوةً ... إلا ثَنى الثاني هواك الأولُ
أنا عاذرٌ إن طلَّ بعد طِلاك لي ... حباً دمٌ أو غازلتني المغزلُ
يا راكباً تهوي به شدنيةٌ ... حرف كما تهوي حصاة من علُ
هوجاء تقطعُ جوزَ تيار الفلا ... حتى تبوص على يديها الأرجلُ
عج بالغريِّ على ضريحٍ حوله ... نادٍ لأملاكِ السماء ومحفلُ
فمسبّح ومقدّسٌ وممجّد ... ومعظّمٌ ومكبرٌ ومهللُ
والثمْ ثَراه المسك طيباً واستلم ... عيدانَه قبلاً فهنَّ المندلُ
وانظر إلى الدعواتِ تصعدُ عندَه ... وجنودُ وحي الله كيف تنزلُ
والنورُ يلمعُ والنواظرُ شخّص ... واللسنُ خرسٌ والبصائرُ ذهلُ
واغضضْ وغضَّ فثمَّ سرٌّ أعجمٌ ... دقتْ معانيه وأمرٌ مشكلُ
وقل السلامُ عليك يا مولَى الورى ... نصٌّ به نطقَ الكتابُ المنزلُ
وخلافةٌ ما أن لها لو لم تكنْ ... منصوصةً عن جيدِ مجدِك معدلُ
عجَباً بقومٍ أخّروك وكعْبك العالي وخدُّ سِواك أضرعُ أسفلُ

إن تمس محسوداً فسؤددك الذي   أعطيتَ محسودُ المحلِّ مبجلُ
عضبٌ تخرُّ به الرقابُ بمدّه   رأيٌ بعزمتِه يحزُّ المفصلُ
وعلومُ غيبٍ لا تنالُ وحكمةٌ   فضلٌ وحكمٌ في البريةِ فيصلُ
عجباً لهذي الأرضِ يضمرُ تربَها   أطوادُ مجدِك كيف لا تتزلزلُ
عجباً لأملاكِ السماءِ يفوتُها   نظرٌ لوجهكِ كيف لا تتهيلُ
يا أيُّها النبأُ العظيمُ فمهتدٍ   في حبّه وغواةُ قومٍ ظللُ
يا أيُّها النارُ التي شبَّ السَّنا   منها لمُوسى والظلامُ مجللُ
يا فلكَ نوحٍ حيث كلُّ بسيطةٍ   بحرٌ يمورُ وكلُّ بحرٍ جدولُ
يا وارثَ التوراة والإنجيلِ والفرقانِ والحكمِ التي لا تعقلُ
لولاكَ ما خلقَ الزمانُ ولا دجى   غبَّ ابتلاجِ الفجرِ ليلٌ أليلُ
يا قاتلَ الأبطالِ مجدُك للعِدى   من غربِ مخذمِك المهندِ أقتلُ
بذباب سيفك قر قارع طوده   بعد التأود واستقام الأميلُ
إن كان دينُ محمدٍ فيه الهُدى   حقاً فحبُّك بابُه والمدخلُ
لولاك أصبحَ ثلمةً لا تلتقي   أطرافُها ونقيصةً لا تكملُ
كم جحفلٍ للجزءِ من أجزائِه   يوم النزالِ يقلُّ قولَك جحفلُ
أثوابه ألزردُ المضاف ونسجُه   لكنّه بالزاغبيّةَ مخملُ
يُحيي المنيةَ منه طعنٌ أبخلُ   برحٌ محاجرُه وضربٌ أهذلُ
نهنهتَ صورتَه بقلبٍ قلبٍ   ثبتٍ يحالفُه صقيلٌ مصقلُ
صلى عليك الله من مُستربلٍ   قمصاً بهنَّ سِواك لا يتسربلُ
وجزاك خيْراً عن نبيِّك أنه   ألفاك ناصره الذي لا يُخذلُ
سمعاً أميرَ المؤمنين قصائِداً   يعنُو لها بشرٌ ويخضعُ جرولُ
الدرُّ من ألفاظِها لكنّه   درٌّ له ابنُ الحديد يفصلُ
هي دونَ مدحِ الله فيك وفوقَ ما   مدحَ الورى وعُلاك منها أكملُ

تمت السبع العلويات ولله در القائل: [البحر البسيط التام]

كلُّ العداوةِ قد تُرجى افاقتُها   إلّا عداوةُ من عاداك من حَسدِ

ابن مقبل: وقد سمع حمامة فاهتاج وقال: [البحر الطويل]

ولو قبلَ مبْكاها بكيتُ صبابةً   إذاً لشفيتُ النفسَ قبلَ التندّمِ
ولكنْ بكتْ قبلي فهيَّج لي البُكا   بُكاها فقلت الفضل للمتقدّمِ

أحاديث حسنة

عنه عليه السلام: ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة: الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد.

وفي: حديث آخر: إن الحسد عشرة أجزاء منها: تسعة بين العلماء وواحد في الناس، ولهم من ذلك الجزء الحظ الوافر.

وعنه: لا يخلو المؤمن من شيطان يغويه، ومنافق يقفو أثره، ومؤمن يحسده، أما أنه أشد عليه أما أنه يقول القول فيه فيصدق.

وعن الصادق عليه السلام: إن المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد، ولا يغبط.

وفي الخبر: عن الصادق عليه السلام: طووا ثيابكم بالليل فإنها إذا كانت منشورة لبسها الشيطان بالليل.

وفيه أيضاً: عن عبد الله بن جبلة الكناسي قال: استقبلني أبو الحسن عليه السلام وقد علقت سمكة في يدي فقال: اقذفها إني لأكره للرجل السري أن يحمل الشيء الدنيء بنفسه، ثم قال: إنكم قوم أعداؤكم كثيرة عاداكم الخلق يا معشر الشيعة أنه قد عاداكم الخلق تزينوا لهم بما قدرتم عليه. وفيه دلالة على استحباب الزينة في أعين الأعداء.

مراسلة غريبة

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب أرسله الشيخ الفاضل الأمجد الشيخ أحمد ابن المرحوم الشيخ محمد بن عطية البحراني الأصبعي، لجناب الشيخ الفاضل الكامل العلامة الشيخ صلاح الدين ابن العلامة الفردوسي الشيخ علي بن سليمان البحراني القدمي، وكان الشيخ صلاح الدين المذكور في صغره يقرأ على الشيخ أحمد المذكور فعذله قوم معاندون للشيخ أحمد عن درسه عليه وقراءته لديه فقالوا له: كيف يجوز أن يتقدم المفضول على الفاضل أم كيف يصح أن يسود الناقص على الكامل؟ فتأخر الشيخ صلاح الدين عن الشيخ أحمد وملازمته وترك مباحثته وممارسته فكتب له الشيخ أحمد عاتباً عليه وناصحاً إليه، فلما وصل الكتاب الشيخ صلاح الدين رجع إلى ما كان عليه من الدرس على الشيخ أحمد المذكور والمباحثة، وترك قول العاذلين له والمناقشة، وقد شرحه السيد الشريف السيد علي ابن السيد الشريف الفردوسي السيد حسين العلامة المشهور الكتكاني التوبلي البحراني وهذه صورة الكتاب المذكور:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد حمد الله وإن كلب الزمان وخان الإخوان واختلف الأهواء وتشتت الآراء، والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي صدع بالرسالة، وبالغ في الدلالة وجاهد في سبيل الله حق جهاده وأدب نفسه في إرشاد عباده، لم يبل بشقاق مشتاق ولا خذل،

ولم تأخذه في الله لومة لائم ولا عذل عاذل، وآله الذين سقوا كؤوس الخذلان وتجرعوا زعاف الهوان، واحتملوا في الله عظيم الأذى وأغضوا على أليم القذى وشروا نفوسهم في طاعة الجبار واشتروا بدار الغيار دار القرار.

فقد اصطفيتك من الإخوان وجعلتك إنسان عين الزمان وبعجت لك بطني، وقلت قطني من الأصحاب قطني وغذوتك من لبان العلم والحكمة ما بين الأبرص والأكمه، وصيرت ودك ألصق بقلبي من الجود بحاتم والشرف بهاشم، وأنقضت ظهري في تأديبك وتهذيبك، وبذلت جهدي في تأبيرك وتشذيبك حتى ضارعت قساً وسحبان بعد أن كنت وباقلا رضيعي لبان، واحتملت فيه كيد فلان وهو داهية، وظهيره الذي هو أدهى وأمر وصبرت منهما على ضرب أخماس لأسداس وعذت من شرهما برب الناس، وقد كان أظهر إليّ المودة ولم أدر أن الذئب يسمى أبا جعدة حتى لقيت منهما من الأهوال ما وددت تعويض يسيره بالسمام، ورميت من الأوجال بما يزيل عشيرة بين أبناء سماء، غير أن الله أخرجني بلطفه من مكائدهما وأنقذني من حبائلهما ومصائدهما، وكأن الغادر لم يعي ما قال ربه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(١) مع ما لقيته منك من إذلال الصبوة وجفوة النخوة، وما زلت مع ذلك أرأف بك من والدك وانصر لك من ساعدك، فكان جزائي منك أن تركتني تركة ظبي ظله وحملتني على شاه إله خير حالبيك تنطحين، أبعد الوهي ترتعين وأنت مبصرة.

أما والذي له الحمد والشكر ما لي ذنب إلا ذنب صخر، ولعمري لم يزل الأخيار يجزون جزاء سمار، وهبك أبدلتني بنظرة ذي علق، نظرة ذي حنق أسرق العلم أم فسق أم ظهر منه بعد الوقار والطيش النزق حتى استوجب أن تشفع هجري بهجره، وتطرح مع إطراني عظيم فخره.

[البحر الوافر]

ألاَ مـن يـشـتـري سَـهـراً بـنـومٍ ... ويـتـبـعُ دهـرَه دومـاً بـيـومِ

ما هذا الاشتراء الحمقا وبيع الخرقا أفلا تصبر على مرارة دواء اجتمع جميع الحكماء على أنه أبلغ الأدوية في الشفاء، استراح من لا عقل له لغب العالمون وودع الجهلة (شعر):

[البحر الوافر]

ألاَ قـمْ فـاسـعَ لـلـعـلـيَا لـعـلّـكْ ... لعلّكَ أن تحوزَ المجدَ علمكْ

فـلـيـسَ بـنـافـعٍ بـأبـيـكَ فـخـرٌ ... كذا التحقيقُ إن لازمتَ جهلكْ

أتلبثُ في الجفونِ وأنت عضب ... إذا ما سلَّ يومَ الروحِ أهلكْ

وتقنعُ بـالـخـمـولِ وأنـت مـمّـنْ ... ترى من ذا الورى بالعلمِ أملكْ

لـقـد أمَّـتْـك أبـكـارُ الـمـعـالـي ... وقد طلبتْ غواني الفضلِ وصلكْ

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

وجنيكَ قد سفرنَ لك ابتهاجاً — وما أسفرنَ للخطابِ قبلكْ
فهل لك في معانقةِ الغواني — على سررِ العُلى والعز هل لكْ
وهل لك في بكارات إذا ما — فضضتَ ختامَها أعلَتْ محلكْ
وهل لك أن يذل لديك قوم — تراهم حاولوا ذا اليوم ذلكْ
وفي قولِ الأفاضلِ بعد درسٍ — أدام الله للعلياء ظلكْ
وخلّدك المليكُ مدى اللّيالي — واغرزِ كيمَ تحت الأرضِ وبلكْ

وها أنا قد أدبتك بأسواطي، وكررت في الطواف بكعبة نصحك أسابيع أشواطي (شعر):

[البحر السريع]

دونكَ كاسْ النصحِ فاشربْ بها — ووجهِ النفسَ إلى ربِّها
وإن أبت الأخلاقُ دربَ الهُدى — فاكفف هَداك اللهُ من غربِها
وذكّرْنها عرصاتِ البلا — وموقفاً تسألُ عن ذنْبِها
وحرُّ نارِها نورها ظلمةٌ — أعوذُ بالرحمنِ من لهبِها

فكن لوصيتي من الحافظين لا من الحافظين ولا تكن ممن يجعل العظاة عضين، وإياك أن تكون مضروب المثل إن الموصين بنو سهوان فتتعرض لذلك عند الله للهوان، أعوذك بالله أن تكون كذلك، واسأله إصلاح بالك واستقامة أحوالك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

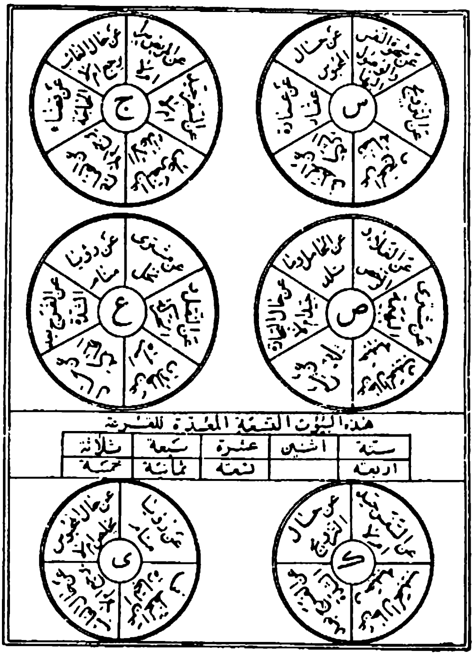
خيرة الطير

بسم الله الرحمن الرحيم، بعد الحمد والصلاة. فيقول منمق هذه الكلمات والأحرف كثير الزلات، قليل التأسف، فريد عصره في الذنوب بلا ثاني أحمد بن سالم بن عيسى البحراني: وقفت على بعض الآثار المنقولة عن الأئمة الأطهار ﷺ في باب الاستخارات وهو «ما حار من استخار» فتتبعتها من مضانها، فإذا هي أنواع شتى فوجهت نفسي في تحصيل ما تطمئن به النفس منها بالتجارب، فاخترت منها الخيرة المروية عن ثامن الأئمة الشهيرة بخيرة الطير فجربتها مراراً لا تخرصاً فوجدتها كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(1) ولكن العمل بها موقوف على معرفة عشرة دوائر، أربعة منها كبار، وستة صغار، ولكل من الدوائر الأربع فيها مطلب، وكل مطلب فيها فهو مذكور في الدوائر الست وبالعكس.

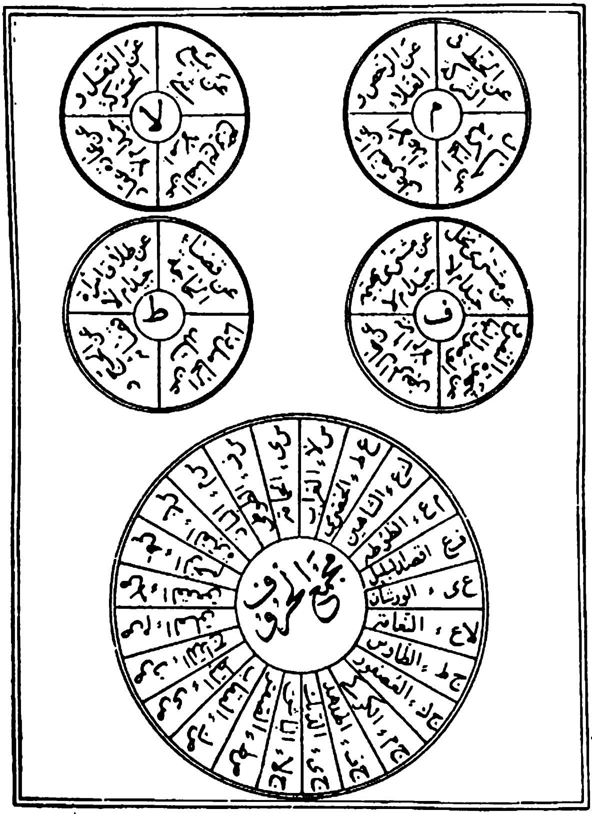
وأيضاً في وسط كل دائرة من الدوائر العشر دائرة صغيرة، فيها حرف من حروف التهجي، وبعد هذه الدوائر دائرة عظيمة مشتملة على أربع وعشرين زاوية وفي كل زاوية، منها حرفان من حروف التهجي، وفي كل زاوية اسم طير، فإذا أردت العمل فانظر حاجتك أولاً في زوايا

(1) سورة النجم، الآية: ٤.

الدوائر الأربع ثم انظرها من زوايا الدوائر الست، وخذ حرف التهجي من الدائرتين اللتين فيها حاجتك، ثم حصلهما من أحد زوايا الدائرة العظيمة، ثم قارع آخر، ثم عد بعدد القرعة طيوراً وابتدىء.



اشكال الدوائر الستة مع البيوت التسعة للقرعة



وقعت في الدوائر اغلاط سابقاً صححناها وهي كما يلي :

الغلط « عن مشترى النخل » ، الصحيح « عن مشتري الأملاك » .

الغلط « عن الرخص والغلاء » ، الصحيح « عن المعاش والرزق » .

وقعت في الدوائر أغلاط سابقاً صححناها وهي كما يلي:

الغلط «عن مشتري النخل»، الصحيح «عن مشتري الأملاك».

الغلط «عن الرخص والغلاء»، الصحيح «عن المعاش والرزق».

بالطير الذي في سمت الحرفين اللذين في الدوائر العظيمة ثم خذ الطير الذي انتهى إليه العدد فهو المطلب.

وينبغي أن تقرأ قبل المقارعة الفاتحة والإخلاص ثلاثاً ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾[1] إلى آخرها وعليك بالاعتقاد والطهارة قبل ذلك.

الطاووس ج ط: سؤالك عن قضاء الحاجة اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب. سؤالك عن التحويل والنقل أسرع تنال كل ما تريد.

سؤالك عن طيف رأيته فهو مليح وتعبيره إلى خير.

سؤالك عن مشتري الأملاك اشتر فإنه مليح إن شاء الله تعالى.

سؤالك عن المناظرة والمرافعة إلى القاضي تنصر وتظفر.

سؤالك عن الخلاص من الغم أبشر تسر وتقر إن شاء الله تعالى.

سؤالك عن الطلاق لا تعجل فإنه ليس فيه خير ولا غنيمة. سؤالك عن عمارة الأملاك اعمر واشتر ترَ فيه الفائدة.

سؤالك عن الحظ من السلطان ترى منه الحظ الوافر الكثير.

سؤالك عن الوصول إلى المرام اصبر تصل إلى ما تريد إن شاء الله.

العصفور ك ح: سؤالك عن السفر اعمد إلى القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن قضاء الحاجة تقضى سريعاً كما تحب وتريد.

سؤالك عن التحويل والتنقل لا تعجل والخير في الصبر.

سؤالك عن طيف رأيته فإنه يعبر بالخير وبما يسرك.

سؤالك عن مشتري الأملاك اجهد وجد تلقَ الفائدة.

سؤالك عن المناظرة إلى القاضي فاحذر فإنه لا خير فيه.

سؤالك عن الخلاص من الغم ابشر فإن الله يفرج عن قريب.

سؤالك عن الطلاق لا تفعل فإنك لا ترى فيه خيراً.

سؤالك عن عمارة الأملاك ترى الخير والفائدة والبركة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

سؤالك عن التوجه إلى السلطان اقصد ترَ الخير والبركة.

الكركي ج م: سؤالك عن الظفر بالعدو اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن السفر اعزم تجد الفائدة والربح والخير.

سؤالك عن قضاء الحاجة ابشر فإنها تقضى كما تحب.

سؤالك عن النقل والحركة أسرع ترَ السعادة.

سؤالك عن طيف رأيته لا تظهره لأحد واكتمه عن الناس.

سؤالك عن مشتري الأملاك اشتر وابشر بالفائدة.

سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي احترز من ذلك واحذر.

سؤالك عن الخلاص من الغم أبشر ترَ الفرح والسرور.

سؤالك عن الطلاق احذر كي لا تندم وتخسر.

سؤالك عن عمارة الأملاك بادر وأسرع ترَ الفائدة.

الهدهد ج ف: سؤالك عن حال المريض اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن الأعداء ومناظرتهم احذرهم تنج من شرهم.

سؤالك عن السفر احذر كيلا ترَ الخسارة والشدة والتعب.

سؤالك عن قضاء حاجتك الحاجة متعسرة فلا تعجل.

سؤالك عن التنقل والتحويل اصبر لا تعجل فليس فيه فائدة.

سؤالك عن طيف رأيته ابشر فإن تعبيره خير يسرك.

سؤالك عن مشتري الأملاك في وقت آخر يسهل.

سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي اعزم وتوكل ترى الظفر.

سؤالك عن الخلاص من الغم اصبر أياماً ترَ الفرج.

سؤالك عن الطلاق لا تعجل كي تندم.

الديك ج ي: سؤالك عن الغائب اقصد عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن حال المريض ابشر يشف سريعاً إن شاء الله تعالى.

سؤالك عن العدو ابشر تظفر به سريعاً إن شاء الله تعالى.

سؤالك عن السفر اعزم وتوكل فإنه مليح فيه خير وسعادة.

سؤالك عن قضاء حاجتك تقضى سريعاً كما تحب وترضى.

سؤالك عن التنقل والتحويل لا تعجل كيلا تندم وتتأسف.

سؤالك عن طيف رأيته اكتمه ولا تظهره لأحد.

سؤالك عن مشتري الأملاك اشترِ ترَ الخير والفائدة.

سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي احذر فإن الخصم غالب.

سؤالك عن الخلاص من الغم ابشر فإن الفرج قريب والفرح كثير.

الباشق ج لا: سؤالك عن الضائعة اقصد عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن الغائب يصل بعد مدة بالسلامة والخير والبركة.

سؤالك عن المريض يشفى بعد أيام من غير ضرر إن شاء الله تعالى.

سؤالك عن العدو احذر منه فلا تظفر عليه إلا بتعب.

سؤالك عن السفر فإنه ليس مناسب في هذا الوقت.

سؤالك عن قضاء حاجتك تقضى كما تريد وتحب.

سؤالك عن النقل والحركة بادر إليه فإنه مليح ومناسب.

سؤالك عن طيف رأيته تعبيره مليح وفيه الخير والمسرة.

سؤالك عن مشتري الأملاك احذر فإنه لا فائدة فيه.

سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي ابشر فإن لك الظفر.

الصقر ص ط: سؤالك عن الحامل اقصد عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن الضائعة تأمل الخير فإن الرجوع يحصل.

سؤالك عن الغائب يبطيء في سفره فاستعذ بالله عز وجل.

سؤالك عن المريض يشفى من مرضه سريعاً إن شاء الله تعالى.

سؤالك عن العدو ولا تظهر منه احذر منه غاية الحذر.

سؤالك عن السفر احذر فإن ما فيه فائدة ولا خير ولا بركة.

سؤالك عن قضاء حاجتك تقضى إن شاء الله تعالى.

سؤالك عن التحويل والنقل والحركة في هذا الوقت لا ينفع أبداً.

سؤالك عن طيف رأيته تعبيره الخير والسعادة والتوفيق.

سؤالك عن مشتري الأملاك اشتر فإنه مليح نافع مجرب.

العقاب ص ك: سؤالك عن المحبة اقصد عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن الحامل تلد أنثى مباركة القدم وفيها الخير.

سؤالك عن الضائعة لا يأس من رحمة الله فإنك تظفر.

سؤالك عن الغائب يصل إليك سريعاً كما تحب وتريد.
سؤالك عن المريض يبطئ في مرضه والعاقبة إلى خير وسلامة.
سؤالك عن العدو ابشر فإن الظفر لك إن شاء الله تعالى.
سؤالك عن السفر أخره إلى وقت تنجُ من الملامة.
سؤالك عن قضاء الحاجة فإنها موقوفة على الصبر والتأمل.
سؤالك عن التحويل والتنقل ليس في ذلك صواب ولا خير.
سؤالك عن طيف رأيته ابشر ينالك خير كثير.
البط ص ي: سؤالك عن التجارة اقصد عدد القرعة تجد المطلب.
سؤالك عن المحبة والمحبوب تظفر بالمطلوب سريعاً.
سؤالك عن الحامل فإنها تلد ولداً مباركاً ذكراً ميموناً.
بسؤالك عن الضائعة آمن بالله تجد ما ضيعت ويرجع سريعاً.
سؤالك عن الغائب يجيء سريعاً على ما تريد وتهوى وتطلب.
سؤالك عن المريض يشفى إن شاء الله تعالى ويعافى من مرضه.
سؤالك عن الأعداء تحذر منهم لا يظفروا عليك.
سؤالك عن السفر لا تتحرك من مكانك تنجُ من الملامة.
سؤالك عن قضاء الحاجة ابشر فإنها تقضى سريعاً بإذن الله.
سؤالك عن النقل والتحويل لا تتحرك فإنه غير نافع.
الدراج ص ف: سؤالك عن مشترى الحيوانات اقصد عدد القرعة تجد المطلب.
سؤالك عن التجارة ما فيها مصلحة ولا فائدة ولا بركة.
سؤالك عن المحبوب تظفر به على ما تريد وتهوى وتشتهي.
سؤالك عن الحامل تلد ولداً مباركاً في أسرع وقت وحين.
سؤالك عن الضائعة لا تصل إليك إلا بالتعب والمشقة والأذى.
سؤالك عن الغائب يجيء بإذن الله تعالى سالماً سريعاً غانماً.
سؤالك عن الأعداء هم يجدون لك في المضرة واحذرهم.
سؤالك عن السفر لا فيه فائدة ولا مضرة ولا خير ولا شر.
سؤالك عن قضاء حاجتك تقضى بعد أيام إن شاء الله تعالى.
العلق ص ي: سؤالك عن المعاش والرزق اقصد عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن مشتري الحيوانات لا تشترِ فإن ما فيه فائدة.
سؤالك عن المحبوب تظفر به سريعاً وتنال مطلوبك ومرادك.
سؤالك عن الحامل تلد أنثى مباركة القدم والبركة فيها.
سؤالك عن الضائع تصدق بشيء ترَه ان شاء الله تعالى.
سؤالك عن الغائب يبطيء ولكنه يجيء سريعاً سالماً مسلماً باذن الله.
سؤالك عن المريض يشفى بعد أسبوعين إن شاء الله.
سؤالك عن العدو ابشر فإن الله يظفرك عليه.
سؤالك عن السفر قر عينك وتلقى ما تريده وترجاه.
العقعق ص لا: سؤالك عن البيع اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.
سؤالك عن المعاش بعد يومين إن شاء الله ترزق خيراً كثيراً.
سؤالك عن مشترى الحيوانات اشتر ترَ الفائدة.
سؤالك عن التجارة موافقة للفائدة وفيها المنفعة والربح.
سؤالك عن المحبوب تظفر به إن شاء الله تعالى.
سؤالك عن الحامل تلد ولداً مباركاً جميلاً بإذن الله تعالى.
سؤالك عن الضائعة تصل إليك ما تحب وتريد وتود.
سؤالك عن المريض يكون أياماً في زحمة عظيمة ومشقة.
سؤالك عن الأعداء تظفر بهم إن شاء الله وتنصر عليهم.
الرخم س ط: سؤالك عن الحج اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.
سؤالك عن البيع لا تبع فإنك تأسف وتندم وتخسر.
سؤالك عن المعاش ابشر فإنك تنال خيراً كثيراً مباركاً.
سؤالك عن مشتري الحيوانات لا تشتر فإنه ليس فيه فائدة.
سؤالك عن التجارة ترى فيه مكسب وراحة وسعة رزق.
سؤالك عن المحبوب اعلم أنه ليس بصادق معك ولا موافق لك.
سؤالك عن الحامل تلد أنثى مباركة القدم والأقدام.
سؤالك عن الضائعة تصل إليها سريعاً كما تحب وترضى.
سؤالك عن الغائب تراه قريباً كما تريد بإذن الله تعالى.
القنبرة س ك: سؤالك عن الزواج اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن الحج توجه ترَ الفائدة والبركة والخير.
سؤالك عن البيع بع وتوكل على الله ترَ الفائدة والبركة.
سؤالك عن المعاش والرزق ترى الخير والبركة والسعة.
سؤالك عن مشترى الحيوانات اشتر ترَ خيراً كثيراً وسعة.
سؤالك عن التجارة اعزم ترَ الخير والبركة وسعة الرزق.
سؤالك عن المحبوب ترى ما تهوى من مرام الخاطر والمراد.
سؤالك عن الحامل تلد ولداً مباركاً إن شاء الله تعالى.
سؤالك عن الضائعة تلقاها بعد مدة طويلة وأيام كثيرة.
سؤالك عن الغائب يجيء إن شاء الله تعالى.
البازي س م : سؤالك عن الشركة اقصد إلى عدد القرعة تجد المطلب.
سؤالك عن الزواج ما فيه في هذا الوقت خير ولا فائدة.
سؤالك عن الحج توقف لا تعجل في هذا الوقت واصبر.
سؤالك عن البيع بع وتوكل على الله فإنه مبارك طيب.
سؤالك عن المعاش والرزق يأتيك رزقاً واسعاً كثيراً.
سؤالك عن مشترى الحيوانات احذر ما فيها فائدة ولا بركة ولا خير.
سؤالك عن التجارة ما يتيسر في هذا الوقت اصبر وتأمل.
سؤالك عن المحبوب هو مشغول عنك بغيرك وتاركك.
سؤالك عن الحامل تلد أنثى مباركة القدم والأقدام.
سؤالك عن الضائعة لا تقنط من رحمة الله يرجع بإذن الله.
الطوطي ف س: سؤالك عن الوصول إلى المرام اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.
سؤالك عن الشركة شارك تجد الخير والبركة والسعة.
سؤالك عن الزواج تزوج ترَ الخير واليمن والبركة والهناء.
سؤالك عن البيع فإنه ما فيه فائدة ولا مصلحة.
سؤالك عن الحج لا تعجل فإنه ما فيه فائدة ولا مصلحة.
بسؤالك عن المعاش والرزق ترَ رزقاً واسعاً وخيراً كثيراً.
سؤالك عن مشتري الحيوانات لا تشتري فإنها ما فيها فائدة.
سؤالك عن التجارة في هذا الوقت ما فيه فائدة ولا خير.

سؤالك عن المحبوب ما معك قرب أبعد منه واتركه.
سؤالك عن الحامل تلد أنثى مباركة القدم.
الحمامة ي س: سؤالك عن الحظ اقصد عدد القرعة تجد المطلب.
سؤالك عن الوصول إلى المرام ابشر تظفر بما تروم وتطلب.
سؤالك عن الشركة احذر فإنها ما فيها فائدة ولا خير ولا بركة.
سؤالك عن الزواج لا تعجل فإنه ما فيه خير ولا بركة.
سؤالك عن الحج لا تعجل في هذا الوقت فإنك لا تجد المطلوب.
سؤالك عن البيع لا تعجل فإنه ما فيه فائدة ولا بركة.
سؤالك عن المعاش والرزق توجه إليك الإقبال سريعاً.
سؤالك عن مشتري الحيوانات لا تشترِ ما هو بنافع.
سؤالك عن التجارة لا تعزم عليها في هذا الوقت اصبر وتأمل.
سؤالك عن المحبوب هو متعلق بغيرك لا ترجاه ولا تهواه.
الغراب س لا: سؤالك عن عمارة الأملاك اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.
سؤالك عن السلطان والحظ منه احذر مالك فيه فائدة.
سؤالك عن الوصول إلى المرام تصل إليه بعد المشقة والتعب.
سؤالك عن الشركة ما لك فيها فائدة ولا صلاح ولا خير.
سؤالك عن الحج اعزم عليه فيه اليمن والخير والصلاح والبركة.
سؤالك عن البيع لا تعجل فإنه ما فيه فائدة ولا خير ولا بركة.
سؤالك عن المعاش والرزق تنال الرزق سريعاً وتربح.
سؤالك عن مشترى الحيوانات اشتر فإنه مبارك جيد تربح.
سؤالك عن التجارة فإنها ما فيها فائدة ولا مكسب ولا مغنم.
الحضرمي ط ع: سؤالك عن الطلاق اعمد إلى القرعة تجد المطلب.
سؤالك عن عمارة الأملاك اعمر وعجل ترَ حاجتك تقضى.
سؤالك عن الحظ من السلطان اقصد ترَ الحظ والفائدة.
سؤالك عن الوصول إلى المرام تبلغ ما تروم إن شاء الله تعالى.
سؤالك عن الشركة احذر فإنها ما فيها فائدة ولا خير ولا بركة.
سؤالك عن الزواج اصبر لا تعجل لئلا تندم وتخسر وتتأسف.

سؤالك عن الحج أسرع ترَ الخير والفائدة والسعادة.

سؤالك عن المعاش والرزق ترى ما تروم بالتمام.

سؤالك عن مشتري الحيوانات اشتر فإن فيها الراحة.

الشاهين ك ع: سؤالك عن الخلاص من الغم اقصد عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن الطلاق إن عزمت طلق فإنه مليح مبارك.

سؤالك عن عمارة الأملاك عجل واعمر ترَ الخير والبركة.

سؤالك عن الحظ من السلطان ابعد عنه في هذا الوقت.

سؤالك عن الوصول إلى المرام تصل إلى ما تروم وتريد إن شاء الله.

سؤالك عن الشركة اعزم وشارك ترَ الخير والفائدة والبركة.

سؤالك عن الزواج تزوج ترَ الخير والفائدة والسعادة.

سؤالك عن الحج فإنه متيسر لك إن شاء الله تعالى فعجل تنلِ المطلوب.

سؤالك عن البيع والشراء لا تبع ولا تشترِ فإنه ليس فيه فائدة.

سؤالك عن المعاش والرزق ترى السعادة والرزق الواسع.

طوطي م ع: سؤالك عن المحاكمة اقصد عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن الخلاص من الهم ترَ الفرج عن قريب إن شاء الله.

سؤالك عن الطلاق احذر لكي لا تندم وتغتم وتهتم.

سؤالك عن عمارة الأملاك عجل واسرع واعمر ترى الخير.

سؤالك عن الحظ من السلطان يصل إليك منه صلة وشفقة.

سؤالك عن الوصول إلى المرام تبلغ ما تروم إن شاء الله تعالى.

سؤالك عن الشركة مليحة والعاقبة إلى خير وعافية.

سؤالك عن الزواج ابشر تراها جميلاً حسناً وترزق منه خيراً كثيراً.

سؤالك عن الحج لا تعزم فإنه في غير هذا الوقت أيسر وأجمل.

سؤالك عن البيع فإنه مليح في العاقبة إن شاء الله تعالى.

البلبل ق ع: سؤالك عن المشتري الأملاك اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي ترى الظفر والغلب بإذن الله.

سؤالك عن النجاة من الغم ترى الفرج عن قريب إن شاء الله تعالى.

سؤالك عن الطلاق احذر لا تطلق تندم وتهتم.

سؤالك عن عمارة الأملاك مالك فيها فائدة ولا بركة.

سؤالك عن الحظ من السلطان تنال العز والخيرات والرزق.

سؤالك الوصول إلى المرام لا يتيسر في هذا الوقت.

سؤالك عن الشركة شارك واعزم ترَ الفائدة.

سؤالك عن الزوج فإنها موافقة مباركة لك.

سؤالك عن الحج بادر إليه فإنه مليح في الغاية.

الورشان ي ع: سؤالك عن طيف رأيته اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن مشتري الأملاك لا تشترِ ليس فيه فائدة.

سؤالك عن المناظرة إلى القاضي احذر لا خير فيه.

سؤالك عن الخلاص من الغم ترى الفرج في قريب.

سؤالك عن الطلاق لا تعجل ليس بمليح.

سؤالك عن عمارة الأملاك بادر إليه ترَ الفائدة.

سؤالك عن النصيب ممن السلطان بادر إليه ترَّ الفائدة.

سؤالك عن الوصول إلى المرام تلقى مرامك سريعاً.

سؤالك عن الشركة احذر فإنها لا فائدة فيها.

سؤالك عن الزواج تزوج ترَ الخير والفائدة.

النعامة لا ع: سؤالك عن النقل والحركة اعمد إلى عدد القرعة تجد المطلب.

سؤالك عن طيف رأيته لا بد أن يصل إليك.

سؤالك عن مشتري الأملاك فإنه ليس فيه فائدة.

سؤالك عن المحاكمة إلى القاضي اعمد ترَ الظفر.

سؤالك عن الخلاص من الغم اصبر إلى أن يأتيك الفرج.

سؤالك عن الطلاق إن عزمت طلق فإنها مليحة.

سؤالك عن عمارة الأملاك تأخر عن ذلك لا صلاح فيه.

سؤالك عن الحظ من السلطان تنال من الجاه والعز.

سؤالك عن الوصول إلى المرام اطمع فإنه يحصل لك.

سؤالك عن الشراكة احذر لا تشارك ليس فيه خير.

وإذا لم يكمل عدد المقارعة حيث انقطع إلى هنا فليرجع إلى السؤال ويكمل العدد من هناك.

اختلاجات الأعضاء

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال لعبد له: يا معلى إن الاختلاج فيه زجر وتخويف وموعظة. فقال: جعلت فداك بين لي قال: اعلم أن ذلك علم يقين من غير شك ولا ريب، فقال عليه السلام إفهم اختلاجات الرأس: اليافوخ إصابة ملك وشرف ومال وذكر جميل، أم الرأس: خير ومحبة وصحة في الرأس. ما بين اليافوخ والجبهة: تصيب خيراً. شق الرأس الأيمن: رزق واسع، والأيسر: سفر فيه خير، وفي رواية: أنه سرور، الجبهة: إصابة خير، وفي رواية: ترى بحبشي عليه من السلطان.

الصدغ الأيمن: عين الصدغ الأيسر: همّ يلحقه. **الحاجب الأيمن**: إصابة خير، وفي رواية: يرى من يحب، **والأيسر**: إصابة فرح حديث يغيظه، **ما بين العين الأيمن**: يصلح حاله. **صاق الأيسر**: خيرة. جفن العين الأعلى من اليسرى: يتحدث الناس فيه بما يكره. **الأسفل**: يلتقي بغائب، وفي رواية: سرور وغبطة. **جفن عينه الأعلى من اليمنى**: يتحدث الناس فيه بمكروه. **الأسفل منها**: يتحدث فيه بخير، **مؤخر العين اليسرى**: يلتقي بغائب، **مؤخر اليمنى**: يموت له ميت من بيته. **العين كلها**: صحة في جسمه.

جنب **الأنف**: ينجو من شر من يخافه، جنب **الأيسر**: تلقاه مضرة، وفي رواية خير ونعمة. **الأنف كله**: مال كثير ورفعة.

الصدغ الأيمن: فرح وسرور، وفي رواية: موت قريب له إنسان. **الصدغ الأيسر**: صحة جسم وقرار عين، وفي رواية موت قريب وشفاء مريض من أهل بيته.

الأذن الأيسر: قدر يصيبه ثم ينجو منه وإن كانت امرأة تزوج. **اليمنى**: يمنع كلا ما يعجبه يأتي أرضاً غير أرضه ويصيب مالاً ويرجع سالماً.

الخد الأيمن: يسمع حديثاً شرياً، وفي رواية: يصح جسمه ويأتيه من يحب. **الأيسر**: يأتيه داء في جسمه ومرض.

الشفة اليسرى: يدل على إنسان يبغضه. **السفلى**: يقع في خصومة ويتكلم الناس بما يكرهه فيه. وفي رواية: اليمنى من الشفتين كلام يغمه.

اللسان بأسره: صحة من تعب جانب. اللسان الأيمن من داخل: شر. **والأيسر**: صلاح أمره وكلامه.

جانب الفم الأيسر: يسمع ما يحب. الفم كله: يعانق من يحب. **والأيمن**: خير.

جانب العنق الأيمن: يأتيه خير وسرور. **الأيسر**: إصابة خير وسعة ومال كثير.

العنق كله.

نعوذ بالله من ذلك ومن الشيطان الرجيم.

المنكب الأيمن: هم وحزن ومصيبة. **الأيسر**: يعمل عملاً يكسب فيه خيراً. وفي رواية: يكشف عليه علم كثير.

العضد الأيمن: مرض يصيبه وينجو منه. **الأيسر**: فرح يأتيه.

المرفق الأيمن: وجع شديد. **الأيسر**: فرح وسرور.

الذراع الأيمن: معانقة حبيب، وفي رواية: معانقة حبيب امرأة يحبها، ويدخل على السلطان وينال منه خيراً. **الأيسر**: رزق يأتيه واسعاً.

الراحة اليمنى: يخاصم ويضرب، وفي رواية: يدل على خصومة ويضرب بعصا أو يد أو سوط.

الإبهام اليمنى: إصابة كرامة. **اليسرى**: إصابة رفعة، وفي رواية: خصومة من صديق. **سبابة اليمنى**: حديث سوء يسمعه. **اليسرى**: بشر بنصر اليمنى خير يصيبه. **اليسرى**: غائب يأتيه. **خنصر اليمنى**: رزق يأتيه. .**اليسرى**: فرح وقوة. **عين اليمنى**: **كلها**: رزق يأتيه من بعض السلاطين وكرامة. **اليسرى**: كلها إصابة عز وغبطة وكرامة وسرور. **الجانب الأيمن**: يتحول مما يكره أو يسافر. **الأيسر**: مرض يصيبه.

الخاصرة اليمنى: أمر يقر عينيه. **اليسرى**: يتزوج بمن يريد الصدر يعانق من يحب.

السرة: فرح وسرور. **ما بين السرة والرقبة**: فرح.

الذكر: فرح. وفي رواية: يفعل قبيحاً ويتقي الله تعالى.

البيضة اليمنى: تقضي حوائجه.

الكف الأيمن: فرح وسرور. **الأيسر**: سرور وفرح.

الثدي الأيمن: يكثر ماله، **الأيسر**: علو منزلة.

الفؤاد بأسره: هم وغم.

الجانب الأيمن من المتن الأيمن: رزق حرام. **الأيسر**: مولود يقر عينه.

الورك الأيمن: يفعل ما يحمد عليه. **الورك الأيسر**: هم يزول عنه.

ما بين السرة والعانة: جلالة شرف. **العانة كلها**: مولود يسر به. **البيضة اليسرى**: نكاح جديد.

العجز الأيمن: فرح وسرور. **والأيسر فرح**: وسرور.

الإلية اليمنى: فرح يأتيه. **اليسرى**: تكذب عليه.

الفخذ الأيمن: سرور يتجدد. **الأيسر**: يملك دابة.

الركبة اليمنى: صحبة سلطان. **اليسرى**: رفعة عند ملك.

الساق الأيمن: خصومة أو سفر. **الأيسر**: رزق جديد.

الكعب الأيمن: هم يزول. **الأيسر**: فرح وغبطة. **العقب الأيمن**: يلقى ما يكره. **الأيسر**: رفعة من سلطان. **ظاهر قدم الأيمن**: يكره كلامه. **الأيسر**: صدع حاله. **باطن قدم الأيمن**: صنعه بين الناس. **الأيسر**: منزلة جديدة، **إبهام الرجل اليسرى**: يفعل الخير.

السبابة من اليمنى: يمرض ويبرأ. **السبابة من الرجل اليسرى**: يخاصم ويظفر. **الوسطى من اليمنى**: غنيمة تناله. **الوسطى من اليسرى**: يكثر ماله. **البنصر من الرجل اليمنى**: فرح وقرة عين. **البنصر من اليسرى**: كرامة في سفر. **والبنصر من اليمنى**: رزق واسع. **ومن اليسرى**: يصل إليه مال. **أصابع الرجل اليمنى**: كلها تكبر نفسه في المعيشة. **أصابع الرجل اليسرى**: تناله مشقة. **القدم الأيمن كله**: يسافر ويغنم. **القدم الأيسر كله**: يسافر ويغنم بأصدقاء.

أول من صنع البربط

نادرة: نقل الشيخ جمال الدين بن نباتة في كتابه المسمى بسراج العيون إن واضع العود بعض حكماء الفرس، ولما فرغ منه سماه البربط تفسيره باب النجاة، ومعناه أنه مأخوذ من صرير باب الجنة، وجعل أوتاداً أربعة بأزاء الطبائع فالزير بأزاء السوداء، والبم بأزاء الصفراء، والمثنى بأزاء الدم، والمثلث بأزاء البلغم، فإذا اعتدلت أوتاده المرتبة على ما يحب جانسه الطبائع وأنتجت الطرب وهو رجوع النفس إلى الحالة الطبيعة دفعة واحدة، وبدأ العلم ببطليموس وختم بإسحاق بن إبراهيم الموصلي.

إبدال السين إلى العين

ويحكى: إن النضر مرض فدخل عليه قوم يعودونه منهم أبو صالح فقال له: مسح الله ما بك. فقال: قل بالصاد مصح الله أي ذهب وتفرق. فقال له الرجل: إن السين تبدل من الصاد؟ فقال له النضر: إذاً أنت أبو صالح.

ويشبه: هذه النادرة إن بعض الأدباء جوز بحضرة الوزير ابن فرات أن تقام السين مقام الصاد في كل موضع فقال الوزير: تقرأ ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾(1) أو من صلح؟ فخجل الرجل.

والذي ذكره أرباب اللغة في جواز بدل الصاد من السين أن كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها في آخر الكلمة الحروف الأربعة وهي: الطاء والخاء والعين والقاف فيقول: السراط والصراط وسخر لكم وصخر لكم ومسبغة ومصبغة وفي صيقل سيقل وقس على هذا.

---

(1) سورة الرعد، الآية: ٢٣.

للرقاشي: في خالد عامل الري: [البحر الطويل]

أخالدُ أن الريَّ قد أجحفتْ بنا وضاقَ علينا رحبُها ومعاشُها
وقد أطمعتْنا منك يوماً سحابةٌ أضاءتْ لها برقٌ وابطَى رشاشُها
فلا غيمُها يصحُو فيرجعُ طامعاً ولا ودقُها يهْمي فتروي عطاشَها

قصة للأحنف مع معاوية

وحكى صاحب العقد قال: بينا معاوية جالس إذ دخل عليه رجل من أهل الشام، فقام خطيباً وسب علياً عليه السلام فقال الأحنف: يا معاوية إن هذا القائل لو يعلم رضاك في لعن المرسلين لعنهم فاتق الله، ودع عنك علياً فقد أتى ربه وأفرد في قبره. فقال معاوية: يا أحنف لتصعدن المنبر وتسب علياً طوعاً أو كرهاً. فقال: إن أعفيتني خير لك. فقال: وما أنت القائل؟

قال: أحمد الله وأصلي على نبيه ثم أقول: إن علياً ومعاوية اقتتلا واختلفا وادعى كل واحد منهما أنه مبغى عليه فإذا دعوت فآمنوا اللهم العن أنت وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية رحمكم الله، يا معاوية لا أزيد على هذا ولا أنقص ولو كان فيه ذهاب نفسي. فقال معاوية: إذاً عفيتك.

قصة المنصور والهذلي

ومن غرائب المنقول: إن المنصور العباسي وعد الهذلي بجائزة ونسي ومر في المدينة ببيت عاتكة فقال الهذلي: هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص: «يا دار عاتكة التي أتغزل» فأنكر عليه المنصور العباسي ذلك لأنه تكلم من غير أن يسأل، فرجع الخليفة ونظر في القصيدة إلى آخرها ليعلم ما أراد الهذلي بإنشاد ذلك البيت وإذا فيها: [البحر الكامل]

وأراك تفعلُ ما تقولُ وبعضُهم مذقُ اللسانِ يقولُ ما لا يفعلُ

فعلم المنصور أنه أشار إلى هذا البيت، فذكر له ما وعده وأنجز له واعتذر له من النسيان.

الزوجة التي كانت تسرق المال وتعطيه إلى عشيقها

ومن الذكاء المفرط: إن المنصور العباسي جلس يوماً في إحدى غرف المدينة فرأى رجلاً ملهوفاً يجول في الطرقات، فأتى به فأخبره أنه خرج في تجارة وأفاد مالاً كثيراً ولما رجع أعطاه زوجته فذكرت أن المال سرق من المنزل ولم ير نقباً فقال له المنصور: منذ كم قد تزوجتها؟

قال: منذ سنة. قال: تزوجتها بكراً أم ثيباً؟

قال: ثيباً لكنها شابة، فدعا المنصور بقارورة طيب وقال: تطيب بهذا يذهب همك، فأخذها إلى أهله وقال المنصور لجماعة من ثقاته: اقعدوا على أبواب المدينة فمن شممتم منه روائح ذلك الطيب فأتوني به ومضى الرجل بالطيب إلى أهله فأعجب المرأة ذلك الطيب وبعثته إلى رجل كانت تحبه وهو الذي دفعت إليه المال فتطيب به ومر مجتازاً ببعض الأبواب، ففاحت منه رائحة الطيب فأخذوه إلى المنصور وقال: من أين استفدت هذا الطيب فتهدده فأقر بالمال وأحضره بعينه، فدعا صاحب المال وأعطاه المال وحكى له وأمره بطلاق زوجته.

ذكاء مفرط

ومن ذلك: إنه قدم رجل إلى بغداد ومعه عقد يساوي ألف دينار، فجاء به إلى عطار موصوف بالصلاح فأودعه عنده ومضى إلى الحج، فلما قدم وأراده من العطار جحده وضربه وصدقه الناس فعرض له عضد الدولة فقال: اذهب غداً واجلس على دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك في اليوم الرابع وأقف وأسلم عليك فلا تزيد على رد السلام، فإذا انصرفت أعد عليه ذكر العقد ففعل، ولما كان في اليوم الرابع جاء عضد الدولة في موكبه العظيم فسلم على الرجل فلم يتحرك ولكن رد عليه السلام فقال: يا أخي تقدم العراق ولا تأتينا ولا تعرض علينا حوائجك؟

فقال: ما اتفق هذا والعسكر واقف، فانذهل العطار وأيقن بالموت فلما انصرف التفت العطار وقال: يا أخي من أودعني هذا العقد وفي أي شيء هي ملفوف فذكرني لعلّي ناس؟

فذكر له أوصافه فحلّ جراباً وأخرجه منه وقال: كنت ناسياً. ومضى إلى عضد الدولة وأخبره وعلقه في عنق العطار وصلبه على باب دكانه ونودي عليه: هذا جزاء من استودع فجحد.

حيلة القاضي إياس مع أمينه

ومثله: ما ذكر عن إياس الذي سارت به الركبان وكان قاضياً قيل: إن رجلاً أودع عند أمينه مالاً وخرج إلى الحجاز فلما رجع إليه جحده فأخبر إياس القاضي فقال له: انصرف إلى يومين، فمضى الرجل ودعا إياس أمينه فقال: قد حضر عندنا مال كثير وأريد أن أسلمه إليك فحصن منزلك قال: نعم، وقال له: أحضر من يحمل المال. فرجع الرجل إلى إياس فقال له: انطلق إلى صاحبك فإن أعطاك فذاك وإن جحد فقل إني أخبر القاضي بالقصة، فأتى الرجل صاحبه فقال: أعطني الوديعة أو أشكوك إلى القاضي، فدفع إليه المال ورجع الرجل وأخبر إياس وجاء الأمين ليأخذ المال الموعود فزبره وقال: لا تقربني بعد هذا يا خائن.

من ذكاء أبي حنيفة

من الحيل: أنه كان بجوار أبي حنيفة شاب يأتي مجلسه فقال له يوماً: إني أريد التزويج إلى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبت إليها وطلبت من المهر فوق طاقتي. فقال له أبو حنيفة: أعطهم ما طلبوا، فلما أراد عقدة النكاح جاء إلى أبي حنيفة فقال: إني سألتهم أن يأخذوا مني البعض ويدعوا البعض عند الدخول فأبوا فما ترى؟

فقال: افترض حتى تدخل بأهلك فإن الأمر يكون أسهل عليك، ففعل ذلك فلما رقت عليه ودخل بها قال أبو حنيفة: ما عليك إلا أن تظهر الخروج من هذه البلدة إلى موضع بعيد. فأكرى الرجل جملين وأحضر آلات السفر وأظهر أنه يريد الخروج من البلد في طلب المعاش وأن يصحب أهله معه، فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى أبي حنيفة يستشيرونه فقال لهم: إن للرجل أن يخرجها حيث يشاء فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتم منه، فأجابوه إلى ذلك فقال الفتى: لا بد من زيادة تأخذها منهم. فقال: أرض وإلا أقرت المرأة بدين يزيد على المهر ولا يمكنك السفر بها إلا بعد أن تقضي ما عليها من الدين.

فقال الفتى: الله الله يا إمام لا يسمع أحد منهم بذلك، ثم أجاب وأخذ ما بذلوه من المهر.

قصة أولاد نزار الأربعة وذكاء العرب

ومن ذلك: ما هو منقول من الإفراط في ذكاء العرب قيل: توجه ربيعة ومضر وأياد وإنمار أولاد نزار بن معد إلى أرض نجران، فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر حشيشاً قد رعي فقال مضر: البعير الذي رعى هذا الحشيش أعور، فقال ربيعة: وهو أزور، فقال إياد: وهو أبتر، فقال أنمار: وهو شرود. فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل على راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر: أهو أعور؟

قال: نعم. قال ربيعة: أهو أزور؟

قال: نعم. قال أياد: أهو أبتر؟

قال: نعم. قال أنمار: أهو شرود؟

قال: نعم هذه والله صفات بعيري دلوني عليه، فحلفوا أنهم ما رأوه فلزمهم فقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفونه بصفته، فساروا حتى أتوا بحران فنزلوا بالأفعاء الجهرمي، فقال صاحب البعير: هؤلاء وصفوا لي بعيري بصفته ثم أنكروه، فقال الجهرمي: كيف وصفتموه ولم تروه؟

فقال مضر: يرعى جانباً ويدع جانباً فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة: إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره، وقال أنمار: أنه كان يرعى في المكان الملتف نبته، ثم يجوز إلى مكان أرق منه وأخبث، وقال أياد: عرفت بتره باجتماع بعره

ولو كان ديالاً لتفرق. فقال الأفعى: ليسوا بأصحاب بعيرك، ثم سألهم من هم فعرفهم وبالغ في إكرامهم.

ظريفة: قال المتوكل يوماً لجلسائه: نقم المسلمون على عثمان بأشياء منها إن الإمام أبا بكر لما تسنم المنبر هبط عن مقام النبي ﷺ بمرقاة، ثم قام عمر دون مقام أبي بكر بمرقاة، وصعد عثمان ذروة المنبر، فقال عباد الله: ما أحد أعظم منه عليك من عثمان لأنه صعد ذروة المنبر ولو أنه كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر فضحك المتوكل.

أبيات للشافعي والرد عليها من المؤلف

مما نسب للشافعي: **[البحر الكامل]**

يا راكباً قفْ بالمحصّب من مِنى ... واهتفْ بساكنِ خيفِها والناهضِ
سحَراً إذا فاضَ الحجيجُ إلى منى ... فيضاً كملتطمِ الفراتِ الفائضِ
لو كان رفْضي حبّ آلِ محمدٍ ... فليشهدِ الثّقَلان إنّي رَافضي

وله أيضاً: **[البحر المنسرح]**

قالوا ترفَّضت قلتُ كلّا ... ما الرفضُ ديني ولا اعتْقادي
لو كان حبُّ الوصيّ رفضاً ... فإنّني أرفضُ العبادِ

وله أيضاً: **[البحر السريع]**

لو شُقَّ قلبي لرأوْا وسطَه ... خطين قد خُطّا بِلا كاتبِ
الشرعُ والتوحيدُ في جانبٍ ... وحبُّ أهلِ البيتِ في جانبِ

جوابه: لمحرره الجامع لهذا التأليف. **[البحر السريع]**

كذبتَ في دعواكَ يا شافعي ... فلعنةُ الله على الكاذبِ
بل حبُّ أشياخِك في جانبٍ ... وبغضُ أهلِ البيتِ في جانبِ
عبدتُمُ الجبتَ وطاغوتَه ... دون الإلَهِ الواحدِ الواجبِ
فالشرعُ والتوحيدُ في معزلٍ ... عن معشرِ النصّابِ يا ناصبي
قدمتمْ العجلَ مع السّامري ... على الأميرِ ابنِ أبي طالبِ
محضتمُ بالودّ أعداءه ... من جالبِ الحربِ ومن غاصبِ
وتدّعون الحبَّ ما هكذا ... فعلُ اللبيبِ الحازمِ الصائبِ
قد قرّروا في الحبّ شرْطاً له ... أن تبغضَ المبغضَ للصاحبِ
وشاهدي القرآنُ في (لا تجدْ) ... أكرمْ به من نيّرٍ ثاقبِ

وكلمةُ التوحيدِ إن لم يكنْ عن الطريقِ الحقّ بالناكبِ
وأنتمُ قرّرتم ضابطاً لتدفعوا العيب من الغائبِ
بأنّنا نسكتُ عمّا جرى من الخلافِ السابقِ الذاهبِ
ونحملُ الكلَّ على محملُ الخير لنحظى برضا الواهب
تبّاً لعقلٍ عن طريقِ الهُدى أصبحَ في تيهِ الهوى عازبِ

والإشارة بقولنا لا تجد إلى قوله سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(١) فإنه غير مؤمن به ودعواه الإيمان مع ذلك كذب بحت، فلذلك من ادعي في أحد حباً مع حبه لعدوه فهو كاذب. وعلى هذا أيضاً تدل كلمة التوحيد فإنها تضمنت إثبات الإلّهية ونفي الشريك عنه سبحانه. ومثل ذلك أيضاً ما صرح به العلماء في من أسلم من أنه لا بد من الإقرار بالنبوة ومن البراءة من دينه الذي كان عليه. وشواهد ذلك كثيرة قد أتينا عليها في رسالة الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب.

مسألة نحوية

فائدة: من شرح كتاب التوحيد للسيد المحدث العلامة نعمة الله الجزائري: اتفق علماء الإسلام - كما قاله ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب - على أن كلمة «سلوني قبل أن تفقدوني» ما قالها أحد غير علي بن أبي طالب إلا كان كاذباً، وفي الأثر أن قتادة لما قدم من الشام إلى الكوفة وقعد في المسجد قال: إن علياً بن أبي طالب قال في هذا المسجد «سلوني قبل أن تفقدوني» وأنا أقول مثلما قال، فاتصل الخبر بأبي حنيفة فقال: سلوه عن النملة التي كلمت سليمان عليه السلام أذكر أم أنثى، فسألوه فلم يرد جواباً فلما رجعوا إلى أبي حنيفة قال: إنها كانت أنثى لقول الله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾(٢) ولم يقل قال نمل، وذلك إن النملة تقع على الذكر والأنثى كالحمامة والشاة: وإنما تميز بينها بعلامة التأنيث، فانظر إلى هذا المعجب بنفسه كيف انقطع هكذا. وجه صاحب الكشاف تحقيق جواب أبي حنيفة: وقال ابن الحاجب في بعض تصانيفه: إن مثل الشاة والنملة والحمامة تأنيث لفظي، ولذلك كان قول من زعم أن النملة في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾(٣) أنثى لورود تاء التأنيث في قالت وهماً، لجواز أن يكون مذكراً في الحقيقة وورد تاء التأنيث في قالت معهما كورودها في فعل المؤنث اللفظي، ولذا قيل إفحام قتادة خير من جواب أبي حنيفة - انتهى.

وقواه السيد رحمه الله وعلى هذا فقد افتضح المدعي وصاحب الجواب بالإفحام والغلط.

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٢) سورة النمل، الآية: ١٨.
(٣) سورة النمل، الآية: ١٨.

فوائد قهر النفس

وورد في الخبر: أن رجلاً كافراً كان يجتمع إليه الناس في ميدان بغداد وكان يخبرهم عما أضمروه في قلوبهم وعما ادخروه في بيوتهم، فحكى فعله للإمام موسى بن جعفر عليه السلام فأتى إليه متنكراً فأمر من معه أن يضمر أمراً غريباً فأظهره ذلك الكافر وطلبه عليه السلام وأخرجه من مجتمع الناس وقال له: ما أتيت من الطاعات حتى أعطيت هذه المرتبة العظيمة وهي من درجات النبوة؟

فقال: ما لي عمل سوى مخالفة النفس.

فقال: أعرض الإسلام على نفسك فتغشى بثوب فتعكر ثم قال: إن نفسي لا تميل إلى الإسلام. فقال:

ما أعطيت إلا بخلافها فخالفها ثم أسلم وحسن إسلامه وكان يحضر مجلس أبي الحسن عليه السلام فأمر رجلاً أن يضمر فقال للرجل المسلم: أتعرف ما أضمر؟

ففكر فلم يعرف ما أضمر فعجب من ذلك وقال: يا بن رسول الله كنت كافراً واعرف ما في الضمير وأنا الآن مسلم فكيف لا أعرف؟ فقال عليه السلام: إنك أعطيت ثواب ذلك العمل في الدنيا لأن الكافر لا حظ له في الآخرة والآن ذخر الله لك جزاء عملك وقطع عنك الجزاء في الدنيا.

قصة عقبة الأزدي

حكى: صاحب كتاب ثمرات الأوراق أن عقبة الأزدي كان مشهوراً بمعالجة الجان وقراءة العزائم، فأتى بجارية قد جنّت في ليلة عرسها فعزم عليها فإذا هي خالية من الصرع فقال لأهلها: اخلوني بها، فلما خلا بها قال: أصدقيني عن نفسك وعلي خلاصك. فقالت: إنه كانت زالت بكارتي وأنا في بيت أهلي فخفت الفضيحة عند الزوج فهل عندك حيلة؟

فقال: نعم فخرج إلى أهلها وقال: إن الجني قد أجابني إلى الخروج منها فاختاروا من أي عضو يخرج فإن العضو الذي يخرج منه الجني لا بد أن يفسد فإن خرج من عينها عميت، أو من أذنها صمت أو من يدها شلت، أو من رجلها زمنت أو من فرجها ذهبت بكارتها: فقال أهلها: هذا أهون فأخرج الشيطان منها، فأوهمهم أنه فعل ذلك وأدخلت المرأة على زوجها.

ذكاء طبيب لهارون الرشيد

نادرة: عن بعض أذكياء الأطباء أن جارية من خواص الرشيد تمطت، فلما جاءت تمد يدها لم تطق وجعل فيها الورم فصاحت وآلمها فشق على الرشيد وعجز الأطباء عن علاجها، فقال له طبيب حاذق: لا دواء لها إلا أن يدخل إليها رجل أجنبي غريب فيخلو بها ويمرغها بدهن أعرفه، فأجاب الخليفة إلى ذلك فأحضر الرجل والدهن، وأمر بتعريتها فعريت فأضمر الخليفة قتل

الرجل، فلما دخل الغريب عليها وقرب منها سعى إليها وأومأ بيده إلى فرجها ليمسه غطت الجارية فرجها بيدها التي كانت قد عطلت، ولشدة ما دخلها من الحياء والجزع حمي جسمها بانتشار الحرارة الغريزية فأعانت على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يدها في ذلك، فلما غطت فرجها قال لها الرجل:

الحمد لله على العافية، فأخذ الخادم وجاء به إلى الرشيد وأعلمه بالحال وما اتفق فقال الرشيد: وكيف نعمل في رجل نظر إلى حرمنا، فمد الطبيب يده إلى لحية الرجل فانتزعها، فإذا هي ملصقة وإذا الشخص جارية فقال: ما كنت أبدل حرمك للرجال، ولكن خشيت أن تعلم الجارية وتبطل الحيلة لأني أردت أن أدخل في قلبها فزعاً شديداً ليجر طبعها ويقودها إلى تحريك يدها وتمشي الحرارة الغريزية في أعضائها بهذه الواسطة، ففرح الرشيد وأجزل عطيته.

ذكاء النساء

ومن ذكاء النساء: حكى المدائني قال: خرج ابن زياد في فوارس فلقوا رجلاً معه جارية حسنة فقالوا له: خل عنها فرماهم بقوسه فخافوا منه فعاد ليرمي فانقطع الوتر فهجموا عليه وأخذوا الجارية ومدوا يدهم إلى أذنها وفيه قرط فيه درة فقالت: وما قدر هذه الدرة لو رأيتم ما في قلنسوته من الدرر لاستحقرتم هذه فتركوها وتبعوه وقالوا: الق ما في قلنسوتك وكان فيها وتر وقد نسيه من الدهش، فلما ذكره ركبه في قوسه فولى القوم عنه وخلوا عن الجارية.

ذكاء الكلب

ومن ذكاء الكلب: ما ذكره ابن الجوزي، وهو أن بعض الأكابر مر بمقبرة وإذا قبر مكتوب عليه هذا قبر الكلب، فسأل شيخاً من بعض أهل القرية فقال: كان هناك ملك عظيم الشأن وكان له الكلب، رباه لا يفارقه فخرج يوماً إلى بعض منتزهاته وقال للطباخ: أصلح لنا ثردة بلبن، فجاؤوا باللبن إلى الطباخ ونسي أن يغطيه فخرج من بعض السقوف أفعى فكرع في اللبن ومج فيه في الثردة من سمه والكلب رابض يرى ذلك ولم يجد له حيلة يصل بها إلى الأفعى، فلما أتى الملك من الصيد قال للغلام: أدركوني بالثردة، فلما وضعت بين يديه لج الكلب بالصياح فلم يعلم مراده ورمى إلى الكلب من ذلك فلم يلتفت إليه وعينه إلى الملك، فلما أراد أن يضع اللقمة في فمه طفر بها إلى وسط المائدة، وأدخل فمه وكرع في اللبن فسقط ميتاً وتناثر لحمه وبقي الملك متعجباً من الكلب، فقال الملك: هذا الكلب قد فدانا بنفسه وقد وجب أن نكافيه وما يحمله ويدفنه غيري، وبنا عليه هذه القبة.

لبعض النواصب: خذلهم الله تعالى: [البحر الكامل]

لهفي عليه مدلدلٌ فوق الخِصي ... شبهَ العليلِ فديتُه من نائمِ

طمع الغواني في انتظارِ قيامه طمعُ الروافضِ في انتظار القائمِ

جوابه: للشيخ فرج المادح الخطي رحمه الله: [البحر الكامل]

سيقومُ قائمُ آلِ بيتِ محمدٍ رغماً على أنفِ الحسودِ الظالمِ
وينامُ حظُّ الناصبيّ كايره المعتل عند قيامِ حظّ السالمَ

جواب آخر: للشيخ محمد بن خليفة البلادي البحراني رحمه الله: [البحر لكامل]

إنْ كان أيرُك نامَ فوق الخصي فالأيرُ عندي كالسّنان القائمِ
نعمَ الهديةُ للدلامِ وحبترٍ من بعدِ صلبٍ في ظهورِ القائمِ

منتخبات من شعر المغربي

للشيخ محمد بن يوسف: أحد فقهاء المغاربة مخمساً بها البيتين المنسوبين إلى أمير المؤمنين عليه السلام: [البحر المتقارب]

إذا أزمةٌ نزلتْ قبلي وضقتُ وضاقتْ بها حيلي
تذكرتُ بيت الإمامِ علي رضيتُ بما قسمَ اللهُ لي
وفوضتُ أمري إلى خالقي

لأنَّ آلهَ الورى قد قضى على خلقِه حكمه المرْتضى
فسلِّمْ وقلْ قول من فرضا كما أحسن اللهُ فيما مضى
كذلك يحسنُ فيما بَقي

وله أيضاً: أرجوزة ضمن فيها مصارع من ألفية ابن مالك ومدح بها الشيخ أحمد المقري منها: [البحر الرجز المجزوء]

ذاك الإمامُ ذو العُلى والهممْ كمعلمِ الأشخاصِ لفظاً وهو عم
فلم ترى في علمه مثيلاً مستوجباً ثنائي الجميلا
أوصاف سيدي بهذا الرجز تقرب الأقصى بلفظ موجز
فهو الذي له المعالي تعتزي ويبسطُ البذلَ بوعدٍ منجزِ
رتبتُه فوق العلى يا من فهمْ كلامُنا لفظٌ مفيدٌ كاستقمْ
وكم أفادَ دهره من تحفِ عندَ تأول بلا تكلّفِ
لقد ربي على المقامِ الباهرِ كطاهرِ القلبِ جميلِ الطاهرِ
وفضلُه للطالبينَ وجدا على الذي في رفعِه قد عهدا
قد حصّل العلمَ وحرّرَ السيرْ وما بالاً أو بإنّما انحصرْ

في كلّ فنٍّ باهرٍ صفْه ولا | يكونُ إلا غايةَ الذي تلا
سيرتُه سارتْ على نهجِ الهُدى | ولا يلي إلا اختياراً أبداً
وعلمُه وفضلُه لا ينكرُ | ممّا به عنه مبيناً يخبرُ
يقولُ دائماً بصدرٍ انشرحْ | اعرفْ بنا فإنّنا نلنا المنحْ
يقولُ مرحباً لقاصديه من | يصلْ إلينا يستعنْ بما يعنْ

ومنها:

والزمْ خباءه وإيّاك المللْ | أن يستطلْ وصلاً وإن لم يستطلْ
واقصد خباءه ترَ مآثره | واللهُ يقضي بهباتٍ وافرهْ
وانسبْ له فإنه ابن معطِ | وتقتضي رضاً بغير سخط
واجعلْه نصبَ العينِ والقلبِ ولا | تعدلْ به فهو يُضاهي المثلا

مراسلة لطيفة

ومن انشاء: الشيخ عبد علي بن ناصر بن رحمة الحويزي كتب إلى القاضي تاج الدين المالكي: طبقات صحائف الأوراق وإن كانت السبع الطباق، وأعلام الأقلام وإن كانت عدد الآجام، وبحار المداد وإن سفحت على الأطواد ليست بمستقلة بالإحاطة بيسير من كثير الاشتياق، وليس ضرب الصفح وطي الكشح عن إعلامه من مكارم الأخلاق، فرقمت هذه الصحيفة من سويداء القلب بسواد الأحداق، أنموذجاً يستدل بها الإخوان على الإخوان بما جرى من الشان عن الشان، مجبلة ما تجده القلوب عليها مرجعة ما يطلب منها إليها:

[البحر المنسرح]

وحقّ من أرتجي شفاعتهُ | يومَ تكونُ السماءُ كالمهلِ
ما سرتُ عنكم ولي حشاً بسوى | حبّاً لكم مذْ ناءت في شغلِ
يا تاجَ دينِ الاخا ما أنا من | يعقلُ عنكم وكاتبَ الرسلِ
لكنّني قد جعلتُ معتمَدي | ما أثبتته لنا يدُ الأزلِ
وخذْ من البعدِ ما هَما مطرُ | تحيةً من أخيك عبدِ علي

فراجعه القاضي: تاج الدين بقوله: وصل الكتاب الذي تفتقت كمام ألفاظه عن زهور معانيه، فإذا هي من حميد كريم حكيم، وتلا المخلص عند وروده: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾[1] فقبله المخلص ألفاً وقرأه حرفاً حرفاً، ولم يكد يسطع أن يتجاوز منه فقرة إلى أخرى، واعترف

(١) سورة النمل، الآية: ٢٩.

أن منشأه بالتقدم في محراب البلاغة أخرى، وأما الشوق فلو دخل التسلسل في دائره الإمكان لا نهى للمخلص ما يجد منه من الهيمان، وكيف ينهي شوقاً لا يتناهى وتوقاً كلما وصل إلى رتبة تجاوزها وتعداها. لكنه نفث بنموذج من ذلك نفثة مصدور وتنفس مضرس من البين موتور:

[البحر المنسرح]

واللهِ واللهِ ثـمَّ ثـالـثـةً ... بـخـاتـمِ الأنـبـيـاءِ والـرسـلِ
وليس لي في توسّلي طلبٌ ... غير حصول اللقاءِ بالعجلِ
يـا سـيّـداً أكـدتْ سـيـادتُـه ... تـسـمـيـةً فـضـلـت فـي الأزل
كـلـلـتُ سـمـعـي لآلـئـاً فـعـلـى ... نـداك ديـنُ الإخـاءِ فـي الـمـلـلِ
عليك ما هبّت الصّبا سحراً ... تحيةٌ من محبٍّ عبدِ علي

توبيخ لطيف للسيد ناصر القاروني

كتاب السلافة: للسيد علي خان المشهور بصدر الدين: أخبرني شيخنا العلامة جعفر بن كمال الدين البحراني قال: كنت ذات يوم جالساً في مسجد السدرة - أحد مساجد القرية المعمورة المسماة بجد حفص إحدى قرى البحرين - وهو مدرسة العلم ومجمع أولي الفضل والحلم، وكان عميد البلاد وكبيرها وقاضيها القائم بتدبيرها السيد حسين بن عبد الرؤوف جالساً في ذلك المجلس وإلى جانبه السيد ناصر ابن السيد سليمان القاروني البحراني وأحد المدرسين يقري كتاب القواعد المشهور، فجاء ابن أخ السيد حسين المشار إليه نافخاً بكمه وزحزح السيد ناصر عن مكانه وجلس بجنب عمه، فغضب السيد ناصر وتناول القلم مسرعاً وكتب:

لا تعجبن من تقدم ذي البنان الخاضب على ذي البيان الخاطب وطي الطرف المفتون على ذي الظرف والفتون، وذي الجسم الفاضل على ذي الجسم الفاصل، وذي الطول على ذي الطول، فإن الزمان طبع على هذه الشيمة مذ كان في المشيمة. وكتب ناصر بن سليمان البحراني ورمى البطاقة وقام وأقام على المضيء من البلاء ما أقام.

كذبة من بعض المنجمين

نقل: إن في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة من الهجرة وقع قران زحل ومشتري في برج الميزان وهو برج هوائي فحكم المنجمون ومنهم الأنوري - الشاعر المعروف - بأن معمورة الأرض تنهدم بالريح في يوم كذا، وخاف الناس من ذلك وبنوا عمارات تحت الأرض وآووا إليها في هذا اليوم، فلما كان ذلك اليوم لم يهب ريح أصلاً، فأمر سلطان طغرل أن يوقد مصباحاً على منارة في هذا اليوم وكان المصباح يضيء إلى الليل، فقال بعض الأكابر في هذا الشعر:

كفت انوري كه از اثر بادهاي سخت ويران شود عمارت كاخ سكندري
در روز حكم أو نوزيده است هيچ باد يا مرسل الرياح توداني وانوري

تفسير حديث «لا تعادوا الأيام»

كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة: بسنده عن الصقر قال: لما حمل المتوكل سيدنا أبي الحسن عليه السلام جئت لأسأله عن حاله فدخلت عليه فإذا هو عليه السلام جالس على صدر حصير وبحذاه قبر محفور، قال: فسلمت فرد ثم أمرني بالجلوس فجلست ثم قال: يا صقر ما أتى بك؟

فقلت: سيدي جئت أتعرف خبرك. قال: ثم نظرت إلى القبر فبكيت فنظر إلي وقال: يا صقر ما أتى بك؟

فقلت: سيدي حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وآله لا أعرف معناه؟

قال: وما هو؟ قلت:

قوله صلى الله عليه وآله: «لا تعادوا الأيام فتعاديكم» ما معناه؟ فقال: نعم الأيام نحن ما قامت السماوات والأرض، فالسبت اسم رسول الله، والأحد أمير المؤمنين عليه السلام، والاثنين الحسن والحسين عليهما السلام، والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام، والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا، والخميس ابني، والجمعة ابن ابني، وإليه تجتمع عصابة الخلق وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا يعادوكم في الآخرة ثم قال: ودع واخرج فلا آمن عليك.

أيهما أفضل

وجدت: بخط شيخنا العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني: أخبرني جماعة من أصحابنا قالوا: أخبرنا الشيخ الفقيه المحدث الشيخ سليمان بن صالح البحراني قال: أخبرني العالم الرباني الشيخ علي بن سليمان البحراني قدس الله روحه قال: أخبرني شيخنا العلامة البهائي قدس سره وكان سئل عن ابن بابويه فعدله ووثقه وأثنى عليه وقال: سألت قديماً عن زكريا بن آدم والصدوق محمد بن علي بن بابويه أيهما أفضل وأجل مرتبة فقلت: زكريا بن آدم لتواتر الأخبار بمدحه، فرأيت شيخنا الصدوق قدس سره عاتباً علي حتى قال: من أين ظهر لك فضل زكريا بن آدم علي؟ واعرض عني.

رأي الخوارج في العاصي

في الحديث: الدين واسع ولكن الخوارج ضيقوا على أنفسهم، قال الشارح المحقق

المازندراني في شرح أصول الكافي: لعل المراد بسعته هنا سعته باعتبار أن الذنوب كلها غير الكفر تجامع الإيمان ولا ترفعه، خلافاً للخوارج فإنهم قالوا الذنوب كلها كفر.

ومن الشرح المذكور: ذهب الخوارج إلى أن من فعل كبيرة أو صغيرة أواصر عليها فهو كافر خارج عن الإسلام مستحق للقتل، ولذلك حكموا بكفر أمير المؤمنين عليه السلام للتحكيم لزعمهم أن التحكيم معصية صدرت منه عليه السلام. وقد أخطأوا.

أما أولاً: فلأن التحكيم وقع بغير رضاه كما هو مسطور في الكتب.

وأما ثانياً: فلأن المقصود في التحكيم هو الرجوع إلى حكم الله تعالى في كتابه وتعيين الأحق بالخلافة منه، ولا ريب في أنه ليس بمعصية واغترار الحاكم من صاحبه وحكمه بخلاف ما في كتاب الله معصية صدرت من ذلك الحاكم لا من أمره بالحكم الحق.

في العنبر

فائدة: اختلف كلام أهل اللغة في حقيقة العنبر، فقال في القاموس: العنبر من الطيب روث دابة بحرية أو بيع عين فيه، ونقل ابن إدريس في السرائر عن الجاحظ في كتاب حياة الحيوان أنه قال: العنبر يقذفه البحر إلى جزيرة فلا يأكل منه شيئاً إلا مات ولا ينقره طائر بمنقاره إلا نصل فيه منقاره وإذا وضع رجله عليه نصلت أظفاره، وحكى الشهيد في البيان عن أهل الطب أنهم قالوا: إنه جماجم تخرج من عين في البحر أكبرها دون ألف مثقال.

طبقات السماء والأرض

روى: الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝﴾[1] فقال: هي محبوكة إلى الأرض، وشبك بين أصابعه، فقيل: كيف يكون محبوكة إلى الأرض والله يقول: ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[2]؟

فقال: سبحان الله أليس الله يقول: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[3] فقيل: بلى، فقال: ثم عمد ولكن لا ترونها. فقيل: كيف ذلك؟ فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال:

هذه أرض الدنيا والسماء الدنيا عليها فوقها قبة

والأرض الثانية فوق السماء الدنيا، والسماء الثانية فوقها قبة.

والأرض الثالثة فوق السماء الثانية، والسماء الثالثة فوقها قبة.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٧.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢.

والأرض الرابعة فوق السماء الثالثة، والسماء الرابعة فوقها قبة.

والأرض الخامسة فوق السماء الرابعة، والسماء الخامسة فوقها قبة.

والأرض السادسة فوق السماء الخامسة، والسماء السادسة فوقها قبة.

والأرض السابعة فوق السماء السادسة، والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق السماء السابعة، وهو قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾(١) فأما صاحب الأمر فهو رسول الله ﷺ والوصي بعد رسول الله ﷺ قائم على وجه الأرض، فإنما يتنزل إليه من فوق السماء من بين السماوات والأرضين قيل: فما تحتنا إلا أرض واحدة؟ فقال ما تحتنا إلا أرض واحدة وإن الست لهي فوقنا. وفي تفسير العياشي عنه عليه السلام مثله.

أقول: هذا الخبر وأمثاله مما ينادي بخلاف ما ذهب إليه علماء الهيئة من أن الأرض واحدة وإنما انقسامها إلى سبع إنما هو باعتبار الأقاليم، فإنه خلاف ما دلت عليه الأخبار واستفاضت عليه الآثار، إلا أن في هذا الخبر المذكور أشكالاً وهو أنه:

قد دل على أن الأرضين فوق أرضنا هذه وإن الست الأرضين كلها فوقنا، والمستفاد من غيره من الأخبار أن الست الأرضين كلها تحتنا وإن أرضنا هذه هي الفوقانية.

فمن ذلك ما رواه ثقة الإسلام في روضة الكافي في حديث زينب العطارة عن النبي ﷺ أنه قال: إن هذه الأرض بمن عليها عند التي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة قي، وهاتان بمن فيها عند التي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة قي، والثالثة - حتى انتهى إلى السابعة وتلا هذه الآية: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾(٢) والسبع الأرضين بمن فيهن ومن عليهن على ظهر الديك كحلقة ملقاة في فلاة قي، والسبع والديك والصخرة والحوت بمن فيه، ومن عليه على البحر المظلم كحلقة ملقاة في فلاة قي، والديك له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب، ورجلاه في التخوم، والسبع الديك والصخرة والحوت والبحر المظلم على الهواء الذاهب كحلقة ملقاة في فلاة قي، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهوى على الثرى كحلقة في فلاة قي، ثم تلا هذه الآية ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾(٣) ثم انقطع الخبر عند الثرى - الحديث، وهو طويل نقلنا منه موضع الحاجة. والظاهر أن معنى قي: هي الأرض القفرة الخالية.

ومنها: ما رواه قطب الدين الراوندي سعيد بن هبة الله في كتاب قصص الأنبياء في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله خلق من الجن روحانيين لهم أجنحة فخلقتهم دون خلق

---

(١) سورة سورة الطلاق، الآية: ٢.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.
(٣) سورة طه، الآية: ٦.

الملائكة وحفظهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهن - الحديث.

كتاب النهاية: فيه «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أي من النقصان بعد الزيادة، وقيل من إفساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمامة بعد لفها.

تأويل الشمس والقمر

تفسير الثقة: الجليل علي بن إبراهيم القمي عن الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾(١) قيل: هما بعذاب الله، قيل الشمس والقمر يعذبان. قال: سألت عن شيء فأتقنه أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له ضوءهما من نور عرشه وحرهما من جهنم، فإذا كانت القيامة على العرش نورهما وإلى النار حرهما، وإنما عناهما لعنهما الله، أوليس قد روى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن الشمس والقمر نوران في النار؟» قيل: بلى. قال: ما سمعت قول الناس فلان وفلان شمسا هذه الأمة ونورهما فهما في النار والله ما عنى غيرهما.

ومنه أيضاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦﴾(٢) قال: تتحول النطفة من الدم فتكون أولاً دماً ثم تصير النطفة في الدماغ في عرق يقال له الوريد وتمر في فقار الظهر فلا تزال تجوز فقرا فقرا حتى تصير في الحاليين فتصير أبيض، وأما نطفة المرأة فإنها تنزل من صدرها.

لبعض الإمامية: رحمه الله: **[البحر السريع]**

قـومٌ قـوافـيـهـمْ إذا ذُكـرتْ ... كـانـتْ نـجـاةً لـسـائـرِ الـبـشـرْ
لـيـس كـقـومٍ تـرى قـوافـيـهـمُ ... عـلامـةً لـلـتـيـوسِ والـبـقـرْ

يعني أن أواخر (محمد وعلي والحسين) دال وياء ونون فهي إذا ركبت دين وآخر (عتيق وعمر وعثمان) قاف وراء ونون وهي إذا جمعت قرن.

لغز وتفسيره

نقل: في بعض التواريخ في ترجمة ابن الحاجب: وأنشدني الشيخ جمال الدين أبو عمرو عثمان بن الحاجب ما ذكره بعض أصحاب التواريخ في المعميات وهو: **[البحر الخفيف]**

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٥. (٢) سورة النجم، الآية: ٤٥-٤٦.

ربمّا عالجَ القَوافي رجالٌ ... في القوافي فتلْتوي وتلينُ
طاوعتهمْ عينٌ وعينٌ وعينٌ ... وعصتْهم نونٌ ونونٌ ونونُ

ثم قال: كتب هذان البيتان إلى حاذق بإخراج المعميات، فأقام ستة أشهر ينظر فيها إلى أن كشفها ثم حلف بإيمان مغلظة أن لا ينظر في معمى أبداً ولم يذكر تفسيرها أصلاً، فأضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرهما من سياق الحكاية، ثم بعد أربعين سنة خطر لي في الليل فتفكرت فيهما فظهر لي أمرهما فإنه إنما أراد بقوله: «طاوعتهم عين وعين وعين» يعني نحو يد وغد ودد لأنها عينات مطاوعات في القوافي مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة ولكل واحد منها عين لأنها عين الكلمة لأن وزن غدفغ ووزن يدفع ووزن ددفع، وأراد بقوله «عصتهم نون ونون ونون» الحوت لأنه يسمى نون والدوات لأنها تسمى نون والنون الذي هو الحرف وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي إذ لا يلتئم واحد منها مع الآخر. ثم نظم ذلك ﷺ في بيتين على وزن السؤال وهي أي غد مع يدودد: [البحر الرمل المجزوء]

ذو حروفٍ طاوعتْ ... في الرّوي وهي عيونُ
ودواةٌ والحوتُ والنونُ ... عصتهمْ وأمرُها مستبينُ

ولا يشك عارف بالمعميات أنه لم يرد سوى ذلك - انتهى.

قلت: الذي ذكره الشيخ ﷺ في غاية الحسن والدلالة على ذكائه المفرط، ولكن الذي ذكره في أمر العينات مسلم، وأما النونات فلا نسلم أنها تعصي في القوافي ولا تلتئم لأنها تقع قوافي على صيغة النون فتكرر في كل مرة قافية نون ويكون ذلك من باب الجناس الذي اتفق لفظه واختلف معناه، كما نظم الناس القوافي المتعددة في لفظ العين والخال والهلال وغير ذلك من المشترك. وقد ذكرت هذا في أول شرح لامية العجم وفيه زيادات تتعلق بهذين البيتين أيضاً.

ومنه أيضاً: ولد ابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الإمام العلامة الكردي سنة سبعين أو إحدى وسبعين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وأربعين وستمائة، وكان أبوه جندياً كردياً حاجباً.

حكاية الأصمعي والشاب العاشق

حكى الأصمعي: أنه قال: بينما أنا أسير بالبادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت: [البحر الطويل]

أيا معشرَ العشّاقِ باللهِ خبّروا ... إذا حلَّ عشقٌ بالفتى كيفَ يصنعُ

فكتبت: [البحر الطويل]

يُداوي هواهُ ثمّ يكتمُ سرَّه ... ويخشعُ في كلِّ الأمورِ ويخضعُ

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوباً تحته: [البحر الطويل]

فكيف يُداوي والهوى قاتلُ الفَتى   وفي كلِّ يومٍ قلبُه يتقطّعُ

فكتبت تحته: [البحر الطويل]

إذا لم يجدْ صبراً لكتمانِ أمرِه   فليسَ له شيءٌ سوى الموتِ انفعُ

فوجدت مكتوباً تحته: [البحر الطويل]

سمعْنا أطعْنا ثم متْنا فبلّغوا   سلامي على من كانَ بالوصلِ يمنعُ

فعدت في اليوم الثالث فوجدت شاباً ملقى تحت الحجر ميتاً.

لشيخنا العلامة أبي الحسن: الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني مضمناً: [البحر الكامل]

قد كنتُ في شرخِ الشبابِ بصحةٍ   وبنعمةٍ طابتْ بها الأكوانُ
الروضُ أنفٌ بالمكارمِ والعُلى   والحوضُ من نعمائِها ملآنُ
ذهبتْ ولم أعرفْ لها أقدارها   والماء يعرفُ قدره الظمآنُ

وله أيضاً: في المعنى مضمناً: [البحر الرجز المجزوء]

للهِ أيامٌ تقضّت بالغَضا   في صحبةِ الأحبابِ بنّا وبانوا
قد كنتُ فيها غافلاً عن ذكرِها   والقلبُ من كأسِ اللّقاريّانُ
ذهبتْ فهمتُ هيام هيمٍ لغبٍ   والماءُ يعرفُ قدره الظمآنُ

وله أيضاً: في المعنى بعينه: [البحر الرجز المجزوء]

قد كنتُ في روقِ الصّبا ذا نعمةٍ   ما إنْ لموقعِها لديَّ مكانُ
ذهبتْ غضارتُها فهمتُ بذكرها   والماءُ يعرفُ قدرَه الظمآنُ

وجدت: بخط شيخنا المشار إليه ما صورته: رأيت في بعض ليالي شهرنا هذا - وهو شهر ذي الحجة الحرام سنة العشرين بعد المائة والألف - كأني أنظر في كتاب كأنه الذكرى في نجاسة الماء القليل بالملاقاة وفيه ما هذا حكايته. ولما أظهر الحسن بن أبي عقيل القول بعدم نجاسة الماء القليل بالملاقاة بمكة استخف به وهجره أصحابه هذه صورة المنام وهو من غريب المنامات.

مسألة من المسائل البغدادية

وهي للمحقق قدس الله سره: إذا أتلف الإنسان على غير دابة أو جارية هل يلزمه المثل والقيمة وما الحكم في ذلك؟.

الجواب: يلزمه القيمة لأن المثل متعذر فالزامه حرج وضيق وهما منفيان. نعم لو أمل وجود المثل من كل وجه وإن كان نادراً ودفعه المتلف لزم صاحب التالف أخذه، وظاهر كلام الأصحاب أن المستقر في الذمة القيمة لا غير، ويلزم على هذا جواز امتناع صاحبه عن قبض

مثله لو اتفق - انتهى. قال شيخنا أبو الحسن المتقدم ذكره بعد نقل هذا الكلام: ما أفاده قدس الله سره في غاية المتانة والقوة.

لله در القائل: [البحر البسيط التام]

الأرض تبكي عليكم

لله قومٌ إذا ما الليلُ جنّهمُ قاموا من الفرش للرحمن عبّادا
ويركبُون مطايا لا تملّهم إذا همُ بمنادي الصبحِ قد نادى
هم إذا ما بياضُ الصبحِ لاح لهم قالوا من الشوقِ ليتَ الليلَ قد عادا
هم المطيعُون في الدّنيا لسيدِهم وفي القيامةِ سادوا كلَّ من سادا
الأرضُ تبكي عليهمْ حين تفقدُهم لأنهمْ جُعِلوا للأرض أوتادا

غيره لغيره: [البحر الطويل]

حشاشةُ نفسي في حشاها سكنتمُ فدىً لكم ربعٌ به قد حللتمُ
منائي من الدّنيا وإنْ جرتم أنتمُ قنعتُ بطيفٍ من خيالٍ بعثتمُ
وكنتُ بوصلٍ منكمُ غيرَ قانعِ
إذا ما بدا برقٌ من النجدِ سحرُه ونارُ الهوى أجرتْ على الخدّ عبرهْ
وألقى النّوى بين الأضالع جمرَه تمنيتُ من ليلى على البعدِ نظرهْ
لتطفي جوىً بين الحشا والأضالعِ
طويلُ أسى ليلٍ عظامي قد برى وللصبرِ قلت في نواها قِوى العرى
وبالطيفِ منها كان يطعمُني الكرى فقالتْ نساءُ الحيّ تطمعُ أن ترى
محاسن ليلى متْ بداءِ المطامعِ
فقلتُ وهل يوماً أمرُّ ببابِها وعيني أجلُوها بكحلِ ترابِها
فجارتُها قالتْ بحسنِ خطابِها فكيفَ ترى ليلى بعينٍ ترابِها
سِواها وما طهّرتها بالمدامعِ
أتحسبُ أن تحظَى بوصلٍ وتظفرا وتلقَى جناب العزِّ منها مشمّرا
وتعرضُ ما لاقيت منها وما عرى وتلتذُّ منها بالحديثِ وقد جرى
حديثُ سِواها في خروقِ المسامعِ

غيره لغيره: [البحر الكامل]

أصبحتُ من ألمِ الفراقِ على شَفا وسِوى الوصالِ فما لدائي من شِفا

يا هاجرين ترفقوا بمتيّم ما حالَ عن حالِ المودِّ والوَفا
كلا وما نقضَ العهودَ ولم يزلْ كلِفاً بحفظِ الودِّ لا متكلّفا
ما ينثني عنكم ولا يُصغي إذا ما نمّق الواشي الكلامَ وزخْرفا
ألفَ الوفا وجفا الجَفا ونفى عن الجفنِ الكرى فغدا بطرفٍ ما عفا
صافاكم فصفا وسُمّيَ في الهوى متصوّفاً صافي الضمائرِ منصفا
فعلام قاطعتم محباً طالما واصلتموه تكرُّماً وتعطُّفا
عودوا بعودكم عليلاً منكم ما اعتاد هجراً فالعدوُّ قد اشْتفى

المكتبات القديمة المهمة

فائدة: حكى صاحب عمدة النسب أن كتب السيد المرتضى كانت ثمانين ألف مجلد قال: ويحكى عن الصاحب إسماعيل بن عباد أن كتبه كانت تحتاج إلى سبعمائة بعير. قال: وحكي عن الشيخ الرافعي أن كتبه مائة ألف وأربعة عشر ألف مجلداً. قال: وقد أناف القاضي عبد الرحمن الشيباني على جميع من جمع الكتب فاجتمعت خزانته على مائة ألف مجلد وأربعين ألف وأربعة عشر ألف مجلداً. كذا نقله سيدنا السيد هاشم البحراني في كتاب مدينة المعاجز.

منام أبي كثير الكوفي

وروى ابن شهرآشوب: قال: حدث أبو عبد الله محمد بن أحمد الديلمي البصري عن محمد بن أبي كثير الكوفي قال: كنت لا أختم صلاتي ولا أستفتحها إلا بلعنهما، فرأيت في منامي طائراً معه نور من الجوهر فيه شيء أحمر شبه الخلوق، فنزل إلى البيت المحيط برسول الله ﷺ ثم أخرج شخصين من الضريح فأخلقهما بذلك الخلوق في عوارضهما ثم ردهما إلى الضريح وعاد مرتفعاً، فسألت من حولي ما هذا الطائر وما هذا الخلوق؟

فقال: هذا ملك يجيء في كل جمعة فيخلقهما، فأزعجني ما رأيت فأصبحت لا تطيب نفسي بلعنهما، فدخل على الصادق عليه السلام فلما رآني ضحك وقال: رأيت الطائر؟

فقلت: نعم يا سيدي.

فقال: اقرأ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(١) فإذا رأيت شيئاً تكرهه فاقرأها، والله ما هو ملك موكل بهما لاكرامهما بل هو ملك موكل بمشارق الأرض ومغاربها إذا قتل قتيلاً ظالماً أخذ من دمه فطوقهما به في رقابهما لأنهما سبب كل ظلم مذ كانا.

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٠.

معجزة للإمام الباقر عليه السلام

كتاب عيون المعجزات: للسيد المرتضى علم الهدى قال: روى لي الشيخ أبو محمد بن الحسن بن محمد بن نصر رحمه الله يرفع الحديث برجاله إلى محمد بن جعفر الراسي مرفوعاً إلى جابر قال: لما أفضت الخلافة إلى بني أمية سفكوا في أيامهم الدم الحرام ولعنوا أمير المؤمنين عليه السلام على منابرهم ألف شهر، واغتالوا شيعته في البلدان وقتلوهم واستأصلوا شأفتهم وأعانتهم على ذلك علماء السوء رغبة في حطام الدنيا، وصارت محنتهم على الشيعة ولعن أمير المؤمنين عليه السلام فمن لم يلعنه قتلوه، فلما فشا ذلك في الشيعة وكثر وطال اشتكت الشيعة إلى زين العابدين وقالوا:

يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أجلونا عن البلدان وأفنونا بالقتل الذريع وقد أعلنوا بسب أمير المؤمنين عليه السلام في البلدان وفي مسجد رسول الله وعلى منبره لا ينكر عليهم منكر ولا يغير عليهم مغير فإن أنكر واحد منا على لعنه قالوا: هذا ترابي ورفع ذلك إلى سلطانهم وكتب إليه هذا ذكر أبا تراب بخير ضرب وحبس ثم قتل، فلما سمع ذلك نظر إلى السماء وقال:

سبحانك ما أعظم شأنك: أمهلت عبادك حتى ظنوا أنك أهملتهم وهذا كله بعينك إذ لا يغلب قضاؤك ولا يرد تدبير: محتوم أمرك فهو كيف شئت وأنّى شئت عالماً أعلم به منا، ثم دعا بابنه محمد بن علي الباقر عليه السلام فقال: يا محمد. قال:

لبيك. قال: إذا كان غداً فاغد إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخذا الخيط الذي نزل به جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فحركه تحريكاً ليناً ولا تحركه تحريكاً شديداً فيهلكوا جميعاً.

قال جابر: فبقيت متعجباً من قوله لا أدري ما أقول، فلما كان من الغد جئته وقد طال علي ليلي حرصاً لأنظر ما يكون من أمر الخيط، فبينما أنا بالباب إذ خرج عليه السلام فسلمت عليه فرد السلام فقال: ما غدا بك يا جابر ولم تأتنا في هذا المكان وفي هذا الوقت؟

فقلت: لقول الإمام بالأمس: خذ الخيط الذي أتى به جبرائيل عليه السلام وصر إلى مسجد جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وحركه تحريكاً ليناً ولا تحركه تحريكاً شديداً فيهلك الناس جميعاً.

قال الباقر عليه السلام: والله لولا الوقت المعلوم والأجل المحتوم والقدر المقدور لخسفت بهذا الخلق المنكوس في طرفة عين بل في لحظة، ولكنا عباد مكرمون لا نسبقه بالقول وبأمره نعمل يا جابر. فقال جابر: فقلت: يا سيدي ومولاي ولم تفعل بهم هذا؟

قال لي: أما حضرت بالأمس والشيعة إلى أبي ما يقولون؟

فقلت: يا سيدي ومولاي نعم. فقال: إنه أمرني أن أرعبهم لعلهم ينتهون وكنت أحب أن تهلك طائفة منهم ويطهر الله العباد والبلاد منهم. قال جابر: فقلت: يا سيدي ومولاي وكيف ترعبهم وهم أكثر من أن يحصى؟

فقال الباقر عليه السلام : امض بنا إلى مسجد رسول الله لأريك قدرة من قدرة الله تعالى التي خصنا بها ومن بها علينا من دون الناس. فقال جابر: فمضيت معه إلى المسجد فصلى ركعتين ثم وضع خده في التراب وتكلم بكلام ثم رفع رأسه وأخرج من كمه خيطاً دقيقاً فاح منه رائحة المسك فكان في المنظم أدق من سم الخياط ثم قال: خذ يا جابر طرف الخيط وامض رويداً وإياك أن تحركه. قال: فأخذت طرف الخيط ومشيت رويداً فقال عليه السلام : قف يا جابر، فوقفت ثم حرك الخيط تحريكاً خفيفاً ما ظننت أنه حركه من لينه، ثم قال عليه السلام : ناولني طرف الخيط فناولته وقلت: ما فعلت به يا سيدي؟

قال: ويحك اخرج فانظر ما حال الناس. قال جابر: فخرجت من المسجد وإذ الناس في صياح واحد والصائحة من كل جانب فإذا بالمدينة قد زلزلت زلزلة شديدة وأخذتهم الرجفة والهدمة، وقد خربت أكثر دور المدينة وهلك منها أكثر من ثلاثين ألفاً رجالاً ونساء دون الوالدان، وإذ الناس في صياح وبكاء وعويل وهم يقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون خربت دار فلان وخرب أهلها ورأيت الناس فزعين إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يقولون: هدمة عظيمة، وبعضهم يقول: زلزلة، وبعضهم يقول: كيف لانخسف وقد تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظهر فينا الفسوق والفجور وظلم آل الرسول صلى الله عليه وآله والله ليزلزل بنا أشد من هذا أو يصلح من أنفسنا ما أفسدنا. قال جابر: فبقيت متحيراً أنظر إلى الناس حيارى يبكون فأبكاني بكاؤهم وهم لا يدرون من أين أتوا، فانصرفت إلى الباقر عليه السلام وقد حف به الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يقولون: يا بن رسول الله أما ترى إلى ما ترك بنا فادع الله تعالى لنا؟

فقال عليه السلام : افزعوا إلى الصلاة والدعاء والصدقة، ثم أخذ بيدي وسار بي فقال: ما حال الناس؟

فقلت: لا تسأل يا بن رسول الله خربت الدور والمساكن وهلك الناس ورأيتهم بحال رحمتهم. فقال عليه السلام : لا رحمهم الله، أما أنه قد بقيت عليه بقية ولولا ذلك لم ترحم أعداءنا وأعداء أوليائنا، ثم قال: سحقاً سحقاً بعداً بعداً للقوم الظالمين، والله لولا مخالفة والدي لزدت في التحريك وأهلكتهم أجمعين، فما أنزلونا وأولياءنا من أعدائنا هذه المنزلة غيرهم وجعلت أعلاها أسفلها وكان لا يبقي فيها داراً ولا جداراً ولكني أمرني مولاي أن أحرك تحريكاً ساكناً ثم صعد عليه السلام المنارة وأنا أراه والناس لا يرونه فمد يده وأدارها حول المنارة فنزلت المدينة زلزلة عظيمة وتهدمت دورهم ثم تلا الباقر عليه السلام : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾(1) ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾(2) وتلا أيضاً: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾(3) وتلا: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾(4).

---

(1) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.
(2) سورة سبأ، الآية: ١٧.
(3) سورة هود، الآية: ٨٢.
(4) سورة النحل، الآية: ٢٦.

قال جابر: فخرجت العواتق من خدورهن في الزلزلة الثانية يبكين ويتضرعن متكشفات لا يلتفت إليهن أحد، فلما نظر الباقر عليه السلام إلى تحير العواتق رق لهن فوضع الخيط في كمه فسكنت الزلزلة، ثم نزل عن المنارة والناس لا يرونه وأخذ بيدي حتى خرجنا من المسجد فمررنا بحداد اجتمع الناس بباب حانوته والحداد يقول: أما سمعتم الهمهمة في الهدم؟ فقال بعضهم: بل كانت همهمة كثيرة، فقال قوم آخرون: بل والله كلام كثير إلا إنا لم نقف على الكلام.

قال جابر رضي الله عنه فنظر إلى الباقر عليه السلام وتبسم، ثم قال يا جابر: هذا لما طغوا وبغوا. فقلت: يا بن رسول الله ما هذا الخيط الذي فيه العجب؟ فقال: بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة وينصبه جبرائيل، ويحك يا جابر أنا من الله بمكان ومنزلة رفيعة فلولا نحن لم يخلق الله سماء ولا أرضاً ولا جنة ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً ولا جنة ولا إنساً، ويحك يا جابر لا يقاس بها أحدٌ، يا جابر بنا والله أنقذكم وبنا نعشكم وبنا هداكم ونحن والله دللناكم على ربكم فقفوا عند أمرنا ونهينا ولا تردوا علينا ما أوردنا عليكم، فإنا بنعم الله أجل وأعظم من أن ترد علينا وجميع ما يرد عليكم منا فافهموه فاحمدوا الله عليه وما جهلتموه فأنكلوه إلينا وقولوا أئمتكم أعلم ما قالوا.

قال جابر رضي الله عنه: ثم استقبله أمير المدينة المقيم بها من قبل بني أمية قد نكب ونكب حواليه حرمه وهو ينادي: معاشر الناس أحضروا ابن رسول الله علياً بن الحسين عليه السلام وتقربوا به إلى الله تعالى وتضرعوا إليه وأظهروا التوبة والإنابة لعل الله أن يصرف عنكم العذاب. قال جابر: فلما بصر الأمير بالباقر محمد بن علي عليه السلام سارع نحوه وقال: يا بن رسول الله أما ترى ما نزل بأمة محمد صلى الله عليه وآله وقد هلكوا وفنوا؟

ثم قال: أين أبوك حتى نسأله أن يخرج معنا إلى المسجد فنتقرب إلى الله تعالى فيرفع عن أمة محمد البلاء. فقال الباقر عليه السلام نفعل إن شاء الله تعالى ولكن أصلحوا من أنفسكم وعليكم بالتوبة والنزع عما أنتم عليه فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. قال جابر: فأتينا زين العابدين عليه السلام بأجمعنا وهو يصلي فانتظرنا حتى انفتل وأقبل علينا ثم قال لي سراً: يا محمد كدت أن تهلك الناس جميعاً. قال جابر: والله يا سيدي ما شعرت بتحريكه حين حركه.

فقال عليه السلام: يا جابر لو شعرت بتحريكه ما بقي عليها نافخ نار فأخبر الناس فأخبرنا فقال: ذلك مما استحلوا منا محارم الله وانتهكوا من حرمتنا. فقلت: يا بن رسول الله إن سلطانهم بالباب فقد سألنا أن نسألك أن نحضر المسجد حتى تجتمع الناس إليك فيه فيدعون الله ويتضرعون إليه ويسألونه الإقالة، فتبسم عليه السلام ثم تلا: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾(١) قلت: يا سيدي ومولاي العجب أنهم

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٠.

لا يدرون من أين أتوا. فقال عليه السلام: أجل ثم تلا: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(١) هي والله يا جابر آياتنا وهذه والله إحداها وهي مما وصف الله تعالى في كتابه ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾(٢) ثم قال عليه السلام: يا جابر ما ظنك بقوم أماتوا سنتنا وضيعوا عهدنا ووالوا أعداءنا وهتكوا حرمتنا وظلمونا حقنا وغصبونا إرثنا وأعانوا الظالمين علينا وأحيوا سنتهم وساروا سيرة الفاسقين الكافرين في فساد الدين وإطفاء نور الحق. قال جابر فقلت: الحمد لله الذي منّ علي بمعرفتكم وعرفني فضلكم وألهمني طاعتكم. الحديث ورواه ابن شهرآشوب في كتاب المناقب أيضاً.

ظهور الفضل بعد الموت

قال: السيد نعمة الله قدس الله سره في كتاب شرح غوالي اللئالي: إن شيخنا المتقدم صاحب التفسير الموسوم بذور الثقلين المشتمل على تفسير القرآن المجيد بالأحاديث وحدها لما ألفه في شيراز كنت أقرأ عنده في أصول الكافي فأتيت يوماً إلى الأستاذ المحدث الشيخ جعفر البحراني فقلت له: إن كان تفسير الشيخ عبد علي مفيداً نافعاً استكتبته وإلا فلا، فأجابني إن هذا التفسير ما دام مؤلفه في الحياة فهو لا تعادل قيمته فلساً واحداً وإذا مات أول من يكتبه أنا، ثم أنشدني بيتين: **[البحر السريع]**

ترى الفَتى يُنكرُ فضلَ الفتى حيّاً فإذا ما ذهبْ
لجّ به الحرصُ على نكتةٍ يكتبها عنه بماءِ الذهبْ

منتخب من شرح غوالي اللئالي

وقال أيضاً قدس الله سره: في مقدمة شرح الكتاب المذكور:

الفصل الأول: في السبب الذي حداني على شرح هذا الكتاب وهو أمور:

الأول: أنه وإن كان موجوداً في خزائن الأصحاب إلا أنهم معرضون عن مطالعته ومدارسته ونقل أحاديثه وشيخنا المعاصر أبقاه الله تعالى ربما كان وقتاً من الأوقات يرغب عنه بتكثر مراسيله، ولأنه لم يذكر مأخذ الأخبار من الكتب القديمة ويرجع بعد ذلك إلى الرغبة فيه لأن جماعة من متأخري أهل الرجال وغيرهم من ثقات أصحابنا وثقوه وأطنبوا في الثناء عليه ونصوا على إحاطة علمه بالمعقول والمنقول، وله تصانيف فائقة ومناظرات في الإمامة وغيرها مع علماء الجمهور سيما مجالسه في مناظرات الفاضل الهروي في الإمامة في مجلس السيد محسن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥١. (٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

في المشهد الرضوي - على ساكنه وأبنائه وآبائه من الصلوات أكملها ومن التحيات أجزلها - ومثله لا يتهم في نقل الأخبار من مواردها ولو فتحنا هذا الباب على اجلاء هذه الطائفة لأفضى بنا الحال إلى الوقوع على أمور لا نحب ذكرها.

على إنا تتبعنا ما تضمنه هذا الكتاب من الأخبار فحصل الإطلاع على أماكنها التي انتزعها منه مثل الأصول الأربعة وغيرها من كتب الصدوق وغيره من ثقات أصحابنا أهل الفقه والحديث، ولعلنا نشير في تضاعيف هذا الشرح إلى جملة وافية منها.

وأما إطلاعه وكمال معرفته بعلم الفلاسفة وحكمتها وعلم التصوف وحقيقته فغير قادح في جلالة شأنه، فإن أكثر علمائنا من القدماء والمتأخرين قد حققوا هذين العلمين ونحوهما من الرياضي والنجوم والمنطق، وهذا غني عن البيان وتحقيقهم لتلك العلوم ونحوها ليس للعمل بأحكامها وأصولها والاعتقاد بها، بل لمعرفتهم بها والإطلاع على مذاهب أهلها.

حكى لي عالم من أولاد شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه أن بعض الناس كان يتهم الشيخ في زمان حياته بالتسنن لأنه كان يدرس في بعلبك وغيرها من بلاد المخالفين على المذاهب الأربعة نهاراً ويدرس على مذهب الإمامية ليلاً، وكان معرفته بفقه المذاهب الأربعة وإطلاعه طاب ثراه على كتب أحاديثهم وفروعهم أعلى من معرفتهم بمذاهبهم. وكذلك الشيخ كمال الدين ميثم البحراني عطر الله مرقده، فإنه في تحقيق حكمة الفلاسفة ونحوها أجل شأناً من أفلاطون وأرسطو ونحوهما من أساطين الحكماء، ومن طالع شرحه الكبير على كتاب نهج البلاغة علم صحة هذا المقال.

وأما ما ذكر من التأويلات التي ينطبق ظاهرها على لسان الشريعة فإنما هي في ظاهر المقال أو عند التحقيق حكاية لأقوال الحكماء والصوفية ومن قال بمقالاتهم، وليس هو قولاً له في تلك التأويلات البعيدة.

وأما شيخنا بهاء الملة والدين طيب الله ثراه وقد تكلم فيه بعضهم تارة بميله إلى علوم الصوفية، وأخرى بسماعه الغناء وثالثاً بحسن معاشرته لطوائف الإسلام وأهل الملل بل وغيرهم من الملاحدة وأهل الأقوال الباطلة، حتى أني وردت البصرة وكان أعلمهم رجلاً يسمى الشيخ عمر فتجارينا في البحث والكلام حتى انتهينا إلى أحوال الشيخ بهاء الدين ﷺ فقال: لعلكم تزعمون أنه من الإمامة لا والله بل هو من أهل السنة والجماعة وكان يتقي من سلطان العصر، فلما سمعت منه هذا الكلام أطلعته على مذهب الشيخ وعلى ما تحقق به عنده إنه من الإمامية، فتحير ذلك الرجل وشك في مذهب نفسه، بل قيل إنه رجع عنه باطناً.

وحدثني عنه أوثق مشايخي في أصفهان أنه أتى في بعض السنين إلى السلطان الأعظم الشاه عباس الأول تغمده الله برضوانه جماعة من علماء الملاحدة طالبين المناظرة مع أهل الأديان فأرسلهم إلى حضرة الشيخ بهاء الدين فاتفق أنهم وردوا مجلسه وقت الدرس وعلم ما أتوا به

فشرع في نقل مذاهب الملاحدة وفي دلائلهم وفي الجواب عنها حتى مضى عامة النهار. فقام الملاحدة وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا: هذا الشيخ هو عالمنا وعلى ديننا ونحن له تبع، ثم لما تحققوا مذهبه بعد ذلك رجعوا إلى دين الإسلام. ولو أنه طاب ثراه ناظرهم كمناظرة الخصوم لكان منهما عندهم ولما رجعوا عن باطلهم.

وهذا نوع لطيف من المناظرة استعمله الأنبياء والأئمة عليهم السلام في المباحثة مع المعاندين وأهل التعصب في المذاهب الباطلة، وقد أمروا به لقول الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] ومنهم ما حكاه عن رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «أنا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين»[2] وفي سورة الكافرين: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾[3] إلى قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[4].

ومن طالع كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي قدس سره يظهر له أن هذه الطريقة في الأصل والأنفع في استجلاب المخالفين إلى الدخول في الدين القويم.

وحدثني أيضاً ذلك الشيخ أبقاه الله تعالى أن رجلين من أهل بلدة بهبهان شيعي وسني تناظرا وتباحثا في المذاهب فاتفق رأيهما على أن يأتيا إلى أصفهان ويسألا ذلك الشيخ عن مذهبه، فلما وردا أصفهان جاء الرجل الشيعي إلى الشيخ سراً عن صاحبه وحكى له ما جرى بينه وبين ذلك الرجل، فلما وردا على الشيخ نهاراً وأعلماه أنهما تراضيا بدينه شرع في حكاية المذهبين ودلائل الفريقين وما أجاب به علماء المذهبين حتى انقطع النهار، فقاما من عنده وكل منهما يدعي أن الشيخ على مذهبه، فلما بحث الرجل السني عن مذهبه وأنه على دين الإمامة رجع إليه.

وأيضاً كان رحمه الله كثير السفر إلى بلاد المخالفين وفيها وطنه وأقاربه وعشائره، فكان يحسن المعاشرة معهم لذلك وأمثاله، ولقد صدق في وصف نفسه من قصيدته الرائية حيث قال:

[البحر الطويل]

وإنّي امرؤٌ لا يدركُ الدهرُ غايتي ... ولا تصلُ الأيدي إلى قعرِ أسراري
مقامي بفرقِ الفرقدين فما الذي ... يؤثّره مسعاهُ في خفضِ مِقداري
أعاشرُ أبناءَ الزمانِ بمقتضى ... عقولهمُ كيْلا يفوهُوا بإنْكاري

وحدثني بعض من أثق به أن بعض علماء هذه الفرقة المحقة كانوا ساكنين في مكة «زادها الله شرفاً وتعظيماً» فأرسلوا إلى علماء أصفهان من أهل المحاريب والمنابر أنكم تسبون أئمتهم في أصفهان ونحن في الحرمين نعذب بذلك اللعن والسب.

وأيضاً المحقق الإمام شيخنا الشيخ عبد علي عطر الله مرقده لما قدم أصفهان وقزوين في عصر السلطان العادل الشاه طهماسب أنار الله برهانه مكنه من الملك والسلطان وقال له: أنت

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الكافرون، الآية: ٢-٣.
(٤) سورة الكافرون، الآية: ٦.

أحق بالملك لأنك النائب عن الإمام عليه السلام وأنا أكون من عمالك وأقوم بأوامرك ونواهيك. ورأيت للشيخ أحكاماً ورسائل إلى الممالك الشاهية إلى عمالها وأهل الاختيار فيها يتضمن قوانين العدل وكيفية سلوك العمال مع الرعية في أخذ الخراج وكميته ومقدار مدته، والأمر لهم بإخراج العلماء من المخالفين لئلا يضلوا الموافقين لهم والمخالفين وأمر بأن يقرر في كل بلدة وقرية إماماً يصلي بالناس ويعلمهم شرائع الدين، والشاه تغمده الله برضوانه يكتب كتابه إلى أولئك العمال بامتثال أمر الشيخ وأنه الأصل في تلك الأوامر والنواهي.

وكان رحمه الله لا يركب ولا يمضي إلى موضع إلا والشباب يمشي في ركابه مجاهراً بلعن الشيخين ومن على طريقهم، ولما سمع الملوك من المخالفين بهذا الأمر ثارت الفتن بين السلاطين وسفكت الدماء ونهبت الأموال، وكان الشيخ بهاء الملة والدين يلاحظ مثل هذه الأمور ويحسن المعاشرة مع أرباب المذاهب خوفاً من إثارة الفتن.

وأما حكاية الغناء فهو طاب ثراه ممن نص على تحريمه وحكى الإجماع عليه وناقش من ذهب إلى تحليله من علمائهم كالغزالي وجماعة من الشافعية، حيث ذهبوا إلى أن الحرام منه ما كان مع آلات اللهو كالعود والطنبور والمزمر ونحن على ذلك وأما الغناء وحده فحلال، وسيأتي إن شاء الله تحقيق الغناء والكلام فيه والرد على الفاضل الكاشي حيث صار في كتاب الوافي إلى ما حكيناه عن الغزالي.

ثم حكى لي أن الشيخ البهائي طاب ثراه كان يسمع الشعر بألحان ما كان يعتقد أنها من أنواع الغناء - وإن كان مما أجمع الأصحاب على تحريمه- إلا أنهم اختلفوا في تحقيق معناه فبعضهم أرجعه إلى العرف والعادة، وبعضهم حمله على قول أهل اللغة، فتكون المسألة من مسائل الاجتهاد ولا يلام من قال وذهب إلى قول من الأقوال فيها.

وأما استحسانه لبعض أشعار الصوفية مثل جملة من أشعار المثنوي ومحيي الدين ابن عربي ونحوهما فأما تحسين الكلام والحكمة ضالة المؤمن، وفي الحديث: أن إبليس لما ركب مع نوح نبي الله في السفينة ألقى إليه جملة من النصائح والمواعظ، فأمر الله نوح عليه السلام بقبولها والعمل بها وقال: أنا الذي أجريتها على لسانه

وكان سيدنا الأجل المرتضى علم الهدى طيب الله ثراه يميل إلى مصاحبة أهل الأديان ويمدح في أشعاره من يستحق المدح لمرتبته في العلم، سيما إسحاق الصابي فإنه كان ملازماً لمجلسه مصاحباً له في الحضر والسفر، ولما مات رثاه بقصيدة من قصائد ديوانه ما أظنه رثا أخاه الرضي بمثلها. ونقل أنه كان وصل إلى قبره راكباً يترجل له حتى يتعداه ويركب، فقيل له في ذلك فقال: إنما أترجل تعظيماً لما كان عليه من درجة الكمال لا تعظيماً لمذاهبه.

وأما ما حكي عن الشيخ رحمه الله بقوله في شأن المولى الرومي ولي دار وكتاب فلم يثبت وعلى تقدير ثبوته فهو من باب ما حكيناه عن السيد قدس الله روحيهما.

مناظرة بين شيعي وسني

لطيفة: نقل بعض أصحابنا في كتاب له في الإمامة عن رجلين اختصما في الإمامة ثم تراضيا بحكومة أول من لقياه بالباب، فطلعا على يهودي فتحاكما إليه فقال: أنا يهودي فتحاكما إلى غيري فقالا: لا بد من ذلك فإنا قد تراضينا بأول من نلقاه قل ما شئت فقل تطع. فقال: أما أنت أيها السني فقدمت من اختلف فيه هل هو كافر أو مسلم فويل لك إن كان كافراً، وأما أنت أيها الشيعي فقد قدمت من اختلف فيه هل هو رب أو إمام فطوبى لك في اعتقادك بتقدمه.

الضمير الراجع إلى النكرة نكرة أم معرفة؟

فائدة: قال شيخنا البهائي في الكشكول: قال الإمام في الأربعين: اختلفوا في أن ضمير النكرة نكرة أو معرفة في مثل «جاءني رجل وضربته» فقال بعضهم: إنه نكرة لأن مدلوله كمدلول المرجع إليه وهو نكرة فوجب أن يكون الراجع أيضاً نكرة والتعريف والتنكير باعتبار المعنى، وقال قوم: إنه معرفة وهو المختار، والدليل عليه أن الهاء في «ضربته» ليست شائعة شياع رجل لأنها تدل على الرجل الجائي خاصة لا على الرجل، والذي يحقق ذلك أنك تقول: «جاءني رجل» ثم تقول: «أكرمني الرجل» ولا تعني الرجل سوى الجائي، ولا خلاف في أن الرجل معرفة فوجب أن يكون الضمير معرفة أيضاً لأنه بمعناه. ويعلم من هذا جواب شبهة من زعم أنه نكرة أعني قوله لأن مدلول كمدلول المرجع إليه - انتهى.

وفي الخبر: عن الصادق عليه السلام اطووا ثيابكم بالليل فإنها إذا كانت منشورة لبسها الشيطان بالليل.

للشيخ فرج الخطي: تغمده الله برحمته موشحاً: **[البحر الكامل]**

اسمعْ هديت نصيحة الإخوانِ وانهضْ لها واسرعْ بغير توانِي
يا أيُّها العبدُ الضعيفُ الجاني زرْ بالغريّ العالمَ الربّاني
كنزَ العلوم ومعدنَ الإيمانِ
واسألْ هداك اللهُ واجعلْ جهداً والمرسلين مع الأئمةِ مقْصدا
واخضعْ لحيدرةَ الوصيّ ممجّداً وقلِ السلامُ عليك يا علمَ الهدى
يا أيُّها النبأُ العظيمُ الشانِ
يا منْ له الرحمنُ شرّف أصلَه وأحلَّه العليا وطهَّر نسلَه
وحبَاه فاطمةَ البتولةَ أهله يا من له الأعرافُ تشهدُ فضلَه
يا قاسمَ الجناتِ والنيرانِ
مولايَ خذْ بيدي غداةَ الموعدِ فالفوزُ كلُّ الفوزِ إذ علقتْ يدي

بولائِك السببِ القويِّ وفي غدٍ نارٌ تكون قسيمَها يا سيّدي
أنا آمنٌ منها على جثماني

مناط إرجاع الخلافة العلم والشجاعة

فائدة: قال القاضي - وهو من أشد المتعصبين في الإمامة - في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ (١) ما محصله: إن مناط إرجاع الخلافة العلم والشجاعة فلا يؤثر الله أحداً بها بعد كمال غيره فيها - انتهى.

قال بعض الأجلاء بعد نقل ذلك عنه: فكأنه غفل عن نقصان خفائه في الأمرين أو ذهل عن الإجماع المنعقد على كمالهما في الأئمة المصطفين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾(٢) - انتهى.

أقول: قال القاضي: أن يجاب بأن خلافة المشايخ ليست من جهة الله بل من جهة أصحابهم فلا منافاة بين كون أمير المؤمنين خليفة من عند الله ورسوله والمشايخ خلفاء من جهة إجماع الأمة لما عرفوا من المصلحة في مخالفة أمر الله ورسوله كما صرح به غير واحد من علمائهم، وقد بسطنا الكلام في المقام ونقلنا جملة من كلام أولئك الأعلام في رسالة الشهاب الثاقب، فلا يرد ما أوردناه هنا فافهم. فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً. إلا انها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

جعل العقيق في فم الميت

فائدة: قال السيد الأجل ابن طاوس في كتاب فلاح السائل: كان جدي ورام بن أبي فراس قدس الله سره - وهو ممن يقتدى بفعله - قد أوصى أن يجعل في فمه بعد وفاته فص عقيق عليه أسماء الأئمة عليهم السلام فنقشت أنا فصاً عقيقاً عليه «الله ربي ومحمد نبي وسميت الأئمة إلى آخرهم أئمتي ووسيلتي» وأوصيت بأن يجعل في فمي بعد الموت ليكون جواب الملكين عند المسألة في القبر - انتهى. وظاهر كلام السيد عدم الوقوف على خبر بذلك بل فعله اقتداء بجده قدس الله سره - والله أعلم.

قصيدة منسوبة إلى الشهيد

شعر حسن: [البحر الطويل]

ألمّتْ بنا والليلُ من دونِها سترُ ولاحَ لنا شمسٌ وقد طلعَ البدرُ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧. (٢) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

فقلتُ لها من أنتِ قالت تعجّباً وهل سائلٌ للبدرِ من أنت يا بدرُ
أنا الفضةُ البيضاءُ قد نالَها جمرُ أنا الكوكبُ الدري أنا الكاعبُ البكرُ
فبتْنا على رغم الحسودِ وبيننا حديثٌ كنشرِ المسكِ شيبَ به خمرُ
حديثٌ لو أنّ الَميتَ يؤتى ببعضِه لأصبحَ حيّاً بعد ما ضمّه القبرُ
فوسدْتها زندي وبتُّ ضجيعَها وقلتُ لليلي طلْ فقد رقدَ البدرُ
فلمّا أضاءَ الصبحُ فرّق بيننا وأيُّ نعيمٍ لا يكدّره الدهرُ
أمَا والذي أبْكى وأضحكُ والذي أماتَ وأحْيا والذي أمرُه الأمرُ
لقد تركتْني أحسدُ الوحشَ أن أرى أليفيْن منها لا يروعهُما ذعرُ
فيا حبّها زدْني جوىً كلَّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيامِ موعدُك الحشرُ
عجبتُ لساعي الدهرِ بيني وبينها فلما انقْضى ما بيننا سكنَ الدهرُ
وإني لتعروني لذكراكِ هزةٌ كما انتفضَ العصفورُ بلّله القطرُ

هذه الأبيات قد نسبها بعض أولاد الشيخ الشهيد قدس الله سره إلى جده الشيخ الشهيد المشار إليه وقال: إن قوله «أما والذي» إلى آخره لم يوجد في كثير من النسخ ولكنه وجده في كتاب عتيق من خط الشهيد قدس الله سره وكان اسم الرجل المشار إليه الشيخ مكي بن محمد بن شمس الدين بن الحسن بن زين الدين بن محمد بن علي بن شهاب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن شمس الدين بن محمد بن بهاء الدين بن علي بن ضياء الدين محمد بن شمس الدين محمد الشهيد ابن شرف الدين مكي والد السعيد الشهيد، هكذا نسب نفسه أطال الله بقاه وقد اجتمعت به في النجف الأشرف وقت تشرفت بتقبيل أعتاب ذلك المقام النير الأعلام على مشرفه أفضل الصلاة والسلام، وقد أتى سلمه الله من بلاده جبل عامل مهاجراً في طلب العلم، وكان على غاية من التقى والصلاح والديانة، وقد صارت له معنا سلمه الله صحبة أكيدة ومحبة زائدة أمده الله تعالى بالتوفيقات الربانية والرواشح السبحانية.

ترجمة إياس بن معاوية

حكى المسعودي: في شرح الإلّهامات أن المهدي العباسي لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة وإياس يقدمهم، فقال المهدي: اف لهؤلاء العباسيين أما كان فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث. ثم إن المهدي التفت إليه وقال: كم سنك يا فتى؟

فقال: سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد لما ولاه رسول الله جيشاً فيهم أبو بكر وعمر. فقال له: تقدم بارك الله فيك. قال بعض أشياخنا وقد جمع بعضهم مجلداً في ذكر إياس بن معاوية وذكائه وأجوبته.

يقال: إنه نظر يوماً إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء فقال: هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر. فسئلن فكان الأمر على ما ذكر فقيل له: من أين لك هذا؟

قال: لما فزعن وضعت إحداهن يدها على بطنها. والأخرى يدها. على ثديها والأخرى يدها على فرجها.

ونظر يوماً إلى رجل غريب لم يره قط أبداً فقال: هذا غريب واسطي معلم مكتب هرب منه غلام فوجد كما ذكر، فقيل له: من أين علمت ذلك؟

قال: رأيته يمشي ويلتفت فعلمت أنه غريب ورأيت على ثوبه حمرة تراب واسط ورأيته يمر بالصبيان فيسلم عليهم ويدع الرجال وإذا مر بذي هيئة لم يلتفت إليه وإذا مر بأسود ذي أسمال تأمله.

قال القاضي عبد الوهاب المالكي: لما خرج من بغدادي يريد مصر (شعر):

[البحر البسيط التام]

بغدادُ دارُ الأهلِ والمالِ قاطبةً ... وللمفاليسِ دارُ الضَنْكِ والضيقِ
أقمتُ فيها مُضاعاً بين ساكنها ... كأنّني مصحفٌ في كفِّ زنديقِ

لبعضهم: [البحر الطويل]

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروةٍ ... يُواسيك أو يسليك أو يتوجعُ

لأن الشكوى إليه إما أن يواسيك في همك وهذه المرتبة العليا وهو الصديق الكريم ذي المروة، وإما أن يسليك وهو المرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم المهذب ذو التجارب، وأما أن يتوجع وهذه الرتبة السفلى وهو الصديق العاجز فإن خلا الصديق من هذه المراتب الثلاث كان وجوده ودمه سواء بل عدمه خير من وجوده.

قال الشاعر: [البحر الطويل]

إذا كنتَ لاعلمٌ لديْك تفيدُنا ... ولا أنت ذو دينٍ فيرجوك للدينِ
ولا أنت ممّن يرتجى لكريهةٍ ... عملنا مثالاً مثل شخصِك من طين

قال الصفدي: لو كان لي في هذين البيتين حكم لأهدمت القافيتين وقلت: [البحر الطويل]

إذا كنت لاعلمٌ لديْك تفيدُنا ... ولا أنت ذو دين فنرجُوك للقرى
ولا أنت ممّن يُرتجى لكريهةٍ ... عملنا مثالاً مثل شخصك من خرى

مناظرات بين مذاهب أهل السنة

مباحثات: قال الشافعي: إن أبا حنيفة ذهب إلى أنه لو عقد رجل في أقصى الهند على امرأة

بكر وهي في الروم عقداً شرعياً، ثم أتاها بعد سنين متعددة فوجدها حاملاً وبين يديها أولاد يمشون فيقول لها: ما هؤلاء؟

فتقول له: أولادك، فيترافعها في ذلك إلى قاضي الحنفية فيحكم أن الأولاد لصاحبه يلحقون به ظاهراً وباطناً يرثهم ويرثونه، فيقول ذلك المسكين: كيف ذلك ولم أقربها قط؟

فيقول القاضي: يحتمل أن يكون احتلمت وأطالت الريح منيك في قطيفة فوقعت في فرج هذه المرأة فحملت، فهل يا حنفي هذا مطابق للكتاب والسنة؟

قال: نعم لقوله ﷺ «الولد للفراش» والفراش يتحقق بالعقد، فمنعه الشافعي وغلب على الحنفي.

وقال الشافعي أيضاً: قال أبو حنيفة لو أن امرأة غاب عنها زوجها وانقطع خبره فجاء رجل آخر وقال: زوجك قد مات، فبعد العدة تزوجت وأتت بأولاد من الثاني، ثم جاء الزوج الأول يكون الأولاد أولاده لقوله: «الولد للفراش».

ومنها قول أبي حنيفة: إن من لف على ذكره خرقة ودخل بأمه وبنته جاز، ومنها قول أبي حنيفة: لو عقد على أمه وأخته عالماً بأنها أمه وأخته ودخل بها لم يكن عليه حد لأن العقد شبهة، ومنها أنه قال: مذهبك يا حنفي أنه يجوز للمسلم إذا أراد الصلاة أن يتوضأ بنبيذ ويلبس جلد كلب مدبوغ ويفرش مثل ذلك ويسجد على عذرة يابسة ويكبر بالهندية ويقرأ بالعبرانية والفارسية ويقول بعد الفاتحة: دو برك سبز يعني «مدهامتان» ثم يركع ولا يرفع رأسه ثم يفصل ويسجد بين السجدتين بمثل حد السيف وقبل التسليم بتعمد خروج الريح فإن صلاته صحيحة وإن أخرج الريح ناسياً بطلت صلاته.

ثم رجع الحنفي على الشافعي فقال: إن الشافعي أباح للناس لعب الشطرنج مع أن النبي ﷺ قال: «لاعب النرد والشطرنج كعابد الوثن» وأباح الشافعي الرقص والدف والقصب.

ووقع النزاع أيضاً بين الحنبلي والمالكي فقال الحنبلي: إن مالكاً أبدع في الدين بدعاً أهلك الله عليها أمماً وهو أباحها، فأباح وطء الملوك وقد صح عن النبي ﷺ: «من لاط بغلام فاقتلوا الفاعل والمفعول» ومالك يقول في المنظومة: [البحر الرجز المجزوء]

وجائزٌ نيكُ الغلامِ الأمردِ   وجوّزوا للرجلِ المجرّدِ
هذا إذا كان وحيداً في السّفرْ   ولم يجدْ أنثى تفي ولا ذكرْ

ثم قال: وأنا رأيت مالكياً ادعى على الآخر عند القاضي أنه باعه مملوكاً والمملوك لا يمكنه من وطئه، فأثبت القاضي أنه عيب في المملوك يجوز له رده به، وأيضاً إمامك المالكي أباح لحم الكلب.

فقال المالكي للحنبلي: اسكت يا مجسم يا حلولي مذهبك أولى بالقبح، لأن عند إمامك إن

الله تبارك وتعالى جسم يجلس على العرش وينفصل عن العرش بأربع أصابع، وأنه ينزل كل ليلة جمعة من سماء الدنيا على سطوح المساجد في صورة أمرد قطط الشعر له نعلان شراكهما من اللؤلؤ الرطب على حمار له ذوائب، وعلماء الحنابلة يبنون على سطوح المساجد معالفاً ويضعون فيها تبناً وشعيراً ليأكل منه حمار ربهم.

وفي ليلة جمعة صعد واحد من زهاد الحنابلة سطح مسجد الجامع يرتجي إن الله تعالى ينزل إليه، واتفق أنه كان على سطح مسجد الجامع غلام وكان قطط الشعر فظنه ربه فوقع على قدميه يقبلهما ويقول: سيدي ارحمني ولا تعذبني، فظن الغلام أنه يريد أن يفعل به القبيح فصاح بالناس وقال: هذا الرجل يريد أن يفسق بي، فأوجعوه ضرباً وحبسه الحاكم، فأتى علماء الحنابلة إلى الحاكم وقالوا: ظن أنه ربه فقبل قدميه - إلى غير ذلك من المحرمات العجيبة والحكايات الغريبة. والله يجازي كلاً بفعله.

قصيدة الشفهيني

للشيخ علي: [البحر الكامل]

يا عينُ ما سفحتْ غروبُ دماكِ … إلاّ بما ألهمتِ حبَّ دماكِ
ولطولِ إلفك بالطول أراكِ … أقمارَ اسفرن على غصونِ أراكِ
ما ريقَ دمعُك حين راق لكِ الهوى … إلا لأمرٍ في عناك عناكِ
لك ناظرٌ في كلِّ غصنٍ ناضرٌ … منّاك تسويفاً بلوغ مُناكِ
كم نظرةٍ أسلفتِ نحو سوالفٍ … سئمتْ أساك بها علاج أساكِ
فجنيتِ دون الوردِ ورداً متلفاً … وأنهارَ دون شِفاك فيه شفاكِ
يا بانة السعديّ ما سلّت على … ظباك إلاّ من جفونِ ظُباكِ
شعبتْ فؤادي في شعابك ظبيةٌ … تصمي القلوبَ بناظرٍ فتّاكِ
شمسٌ تبوأت القلوب منازلاً … مأنوسة عوضاً عن الأفلاكِ
سكنت بها فسكونها متحركٌ … وجسومها ضعفت بغير حراكِ
أسديّة الآباءِ إلاّ أنها … نسبُ الخؤولة من بني الأتراكِ
تبدو هلالَ دجى وتلحظ جؤذراً … وتميسُ غصناً في ربيعِ صباك
أشقيقة الحسبين هل من زورةٍ … فيها يبلُّ من الضّنى مضناك
ماذا يضرّك يا ظبية بابلٍ … لو أن حسنك مثله حسناكِ
أنكرتِ قتل متيّم شهدت له … خدّاك ما فعلت به عيناكِ
وخضبتِ من دمه بنانك عنوةً … وكفّاك ما شهدت به كفّاك

حجبتْكِ من أسد أسودُ عرينها وحماك لحظُك من أسودِ حماكِ
حجبوكِ عن نظري فيالله ما أدناك من قلبي وما أقصاكِ
ظنّ الكرى بالطّيف منك فلم يكنْ أسراكِ بل هجر الكرى أسراكِ
ليت الخيالَ يجودُ منك بنظرةٍ إن كان عزّ على المحبّ لقاكِ
فارقت أرض الجامعين فلا الصّبا عذبٌ ولا طرفُ السحائبِ باكي
كلا ولا بردُ الكلابيد الحيا فيها يحاكي ولا الحمام يحاكِ
أبكي فراقكمُ الفريق فأعينُ المشكوّ تبكي رحمةً للشاكي
كنا وكنتِ عن الفراقِ بمعزلٍ حتى رمانا عامداً ورماكِ
وكذا الأولى من قبلنا بزمانِهم وثقوا فصيّرهم حكاية حاكي
يا نفسُ لو أدركت حظّاً وافراً لنهاكِ عن فعلِ القبيح نهاكِ
وعرفتِ من أنشاكِ من عدمٍ إلى هذا الوجودِ وصانعٍ سوّاكِ
وشكرتِ منّته عليك وحسنَ ما أولاك من نعمائِه مولاكِ
أولاكِ حبَّ محمدٍ ووصيّه خيرِ الأنام فنعم ما أولاكِ
فهما لعمرك علماك الدين في الدّنيا وفي الأخرى هما علماكِ
وهما أمانُك يوم بعثك في غدٍ وهما إذا انقطع الرجاءُ رجاكِ
وإذا الصحائفُ في القيامةِ نشرت سترا عيوبك عند كشفِ غطاكِ
وإذا وقفتِ على الصراطِ تبادرا وتقدّماك فلم تزل قدماكِ
وإذا انتهيتِ إلى الجنانِ تلقياكِ وبشّراكِ بها فيا بُشراكِ
هذا رسولُ الله حسبُك في غدٍ يوم الحسابِ إذا الخليلُ جفاكِ
ووصيّه الهادي أبو حسنٍ إذا أقبلت ضاميةً إليه سقاكِ
فهو المشفّع في المعادِ وخيرُ من علقت به بعد النبيّ يداكِ
وهو الذي للدينِ بعد خمولِه حقّاً أراكِ فهذبت أراكِ
لولاهُ ما عرف الهدى ونجوتِ من متضايقِ الأشراكِ والإشراكِ
هو فلكُ نوحٍ بين ممتسكٍ به ناجٍ ومطّرحٍ مع الهلّاكِ
كم فيلقٍ في مأزقٍ قد غادرتْ مزقًا حدودُ حسامه البتاكِ
سلْ عنه بدراً حين بادر قاصمُ الأملاكِ قائدُ موكب الأفلاكِ
من صبّ صوبَ دمِ الوليدِ ومن ترى أخلى من البهمِ الحماة حماكِ
واسأل فوارسها بأحدٍ من ترى لقّاك وجه الحتفِ يوم لقاكِ
وأطاح طلحةَ عند مشتبكِ القنا ولواكِ كسْراً عند نكس لواكِ
واسأل بخيبرَ خابريها من ترى عفّا فذاك ومن أباح فناكِ

وأذاق مرحبكَ الرّدى وأحلّه ضيقَ الشباكِ وفلّ حدّ شباكِ
واستخبرِ الأحزاب لمّا جرّدتْ بيضَ المداكي فوق جردِ مداكي
من ذا لعمرُكَ نفسُ عمرك ظلّ مختلساً وخضب من لحاكِ لحاكْ
فاستشعرت فرقاً جموعك إذ غدتْ فرقاً وأدبر إذ قفاك قفاكِ
قد قلتُ حين تقدّمته عصابةٌ جهلتْ حقوق حقيقةِ الادراكِ
لا تفرحي فبقدرِ ما استعذبت في أولاك قد عذّبت في أخراكِ
يا أمةً نقضتْ عهود نبيّها أفمن إلى نقضِ العهودِ دعاكِ
وصّاكِ خيراً في الوصيّ كأنما متعمّداً في بغضه وصّاكِ
أو لم يقلْ فيه النبيُّ مبلّغاً هذا عليُّك في العلى أعلاكِ
وأمينُ وحي اللهِ بعدي وهو في إدراكِ كلّ قضيةٍ درّاكِ
والمؤثرُ المتصدقُ الوهابُ إذا لهاك في دنياكِ جمعُ لهاكِ
إياكِ أن تتقدّميه فإنه في حكم كلِّ قضيةٍ أقضاكِ
فأطعتِ لكنْ باللسانِ مخافةً من بأسِه والغدرُ حشوُ حشاكِ
حتى إذا فُقدَ النبيُّ ولم يطلْ يوماً مداك له سللتِ مداكِ
وعدلتِ عنه إلى سواه ضلالةً ومددتِ جهلاً في خطاكِ خُطاكِ
وزويتِ بضعة أحمدٍ عن إرثها ولبعلِها إذ ذاك طالَ أذاكِ
يا بضعة الهادي النبيّ وحقّ من أسماكِ حين تقدستْ أسماكِ
لا فازَ من نار الجحيم منافقٌ عن إرثِ والدِك النبي زوّاكِ
أتراه يغفرُ ذنب من أقصاكِ عن فدكٍ واسخطَ إذ أباك أباكِ
كلا ولا نال الشفاعةَ من غوى وعداك ممتسكاً بحبلِ عداكِ
يا تيمُ لا تمّت عليك سعادةٌ لكنْ دعاكِ إلى الشقاق شقاكِ
واللهِ ما نلت السعادة إنما أهواكِ في درك الجحيم هواكِ
إني استقلْت وقد عقدتْ لآخرٍ حكماً فكيف صدقتِ في دعواكِ
لولاكِ ما ظفرت علوج أميةٍ يوماً بعترة أحمدٍ لولاكِ
ولأنتِ أكبرُ يا عدي عداوة والله ما عضد النّفاق سواكِ
لا كنتِ يوماً عشت فيه وساعةً فض النفيلُ بها ختام صحاكِ
وعليك خزيٌ يا أميةُ دائماً يبقى كما في النارِ دام بقاكِ
فلقد حملت من الأثام جهالةً ما عنه ضاقَ كمن وعاك وعاكِ
هلّا صفحتِ عن الحسينِ ورهطه صفح الوصيّ أبيه عن آباكِ
وعففتِ يوم الطفِّ عفة جده المبعوثِ يوم الفتحِ عن طلقاكِ

أفهل يدٌ سلبت إماءك مثلما سلبت كريماتِ الحسينِ يداكِ
أم هل برزن بفتحِ مكة حسّراً كنسائِه يوم الطفوفِ نساكِ
يا أمةً باءتْ بقتلِ هُداتها أفمن إلى قتلِ الهداةِ هداكِ
أم أيُّ شيطانٍ رماك بغيّه حتى عراكِ وفل عقد عُراك
أنى يكونُ للكِ الأمانُ ولم تبتْ خوفَ المنيةِ أمنيةُ أمناكِ
فلئن سررتِ بقتله أسررتِ في قتلُ الحسين فقد دَهاكِ دُهاكِ
ما كان في سلبِ ابنِ فاطمَ ملكه ما عنه يوماً لو كففْتِ كفاكِ
بئسَ الجزاءُ لأحمد في آلهِ وبنيه يوم الطفّ كان جزاكِ
لهفي على الجسد المعاذرِ بالعرى شلواً تقلّبه حدود ظُباكِ
لهفي على الخدّ التريبِ تخدّه سفهاً بأطرافِ القنا سفُهاكِ
لهفي لآلك يا رسول اللهِ في أيدي الطغاةِ نوائحاً وبواكي
ما بين نادبةٍ وبين مروعةٍ في أسرِ كلّ معاندٍ أفّاكِ
تاللهِ لا أنساك زينب والعِدى قسراً تجاذبُ عنك فضل رداكِ
بالطفّ حاسرةَ القناع سليبة القرطين عزّ على أخيك عزاكِ
لم أنسَ لا واللهِ وجهك إذ هوتْ بالرّدنِ ساترةً له يُمناكِ
فإذا همُ همّوا بسلبك صحتِ باسم أخيك واستصرخت ثمّ أخاكِ
لهفي لندبك باسم ندبك وهو مجروحُ الجوارحِ في السياق يُساكِ
تستصرخيهِ أسىً وعزّ عليه أنْ تستصرخيهِ فلا يجيبُ نداكِ
والله لو أن النبيّ وصنوه يوماً بعرصةِ كربلا شهداكِ
لم يُمسِ منتهكاً حماك ولم يمطْ يوماً أميةُ عنكِ سجف خباكِ
يا عينُ إن سفحتْ دموعك فأبكن حزناً على سبط النّبي بكّاكِ
وابكِ القتيل المستظام ومن بكتْ لمصابه الأملاكُ في الأفلاكِ
أقسمتُ يا نفس الحسينِ إليه بجميلِ حسنِ بَلاك يوم بلاكِ
لو أن جدّك في الطفوفِ مشاهدٌ وعلى الترابِ تريبة خداكِ
ما كان يؤثرُ أن يرى حرّ الصّفا يوم وطاكِ ولا الخيولُ تطاكِ
أو أنّ والدكَ الوصيّ براكِ في أيدي الطغاةِ من الحتوفِ وقاكِ
لفداك مجتهداً وودّ بأنه بالنفس من ضيقِ الشّراك شراكِ
قد كنت شمْساً يستضاءُ بنورها تعلوُ على هامِ السّماكِ سماكِ
وحميً يلوذ به المخوفُ ومنزلاً عذباً يصوبُ نداك قبل نداكِ
غالوكَ لما أن علوتَ فآهٍ من خطبٍ تراه على عُلاك علاكِ

ما ضرّ جسمك حرّ جندلها وقد ... أمسى سحيقُ المسكِ ترب ثراكِ
أفإن سقيت الحتفَ ظامية ... فمن الرحيقِ العذبِ ريُّ صداكِ
فلئن حرمت نعيمها الفاني ففي ... دار البقاءِ تضاعفت نعماكِ
ولئن بكتْك الطاهراتُ لوحشةٍ ... فالحورُ تبسمُ فرحةً للقاكِ
ما بتّ في حمرِ الملابس غدوةً ... إلا غدتْ خضر قبيل مساكِ
إني ليُقلقني التأسُّف والأسى ... إن لم أكنْ بالطفّ من شُهداكِ
لأقيك من حرّ السيوفِ بمهجتي ... وأكون إذ عزّ الفداءُ فداكِ
ولئن تطاولَ بعد حينك مدتي ... حيناً ولم أكُ مسعداً سُعداكِ
فلأبكينّك ما حييت بعبرةٍ ... حتى أوسد ثاوياً بفناكِ
ولأنصرنّك ما استطعتُ بخاطرٍ ... تحكي غرائبُه غروب مداكي
وبمقولٍ ذربِ اللسانِ أشدّ من ... جندٍ مجنّدةٍ على أعداكِ
ولقد علمتُ حقيقةً وتيقّنا ... أني سأسعدُ في غدٍ بولاكِ
وولاءِ جدّك والزكيّ وحيدرٍ ... والتسعةِ النجباءِ من أبناكِ
قومٌ عليهمْ في المعادِ توكّلي ... وبهمْ من الأسر الوثيقِ فكاكي
فليهْن عبدُكم عليٌّ فوزَه ... بجنانِ خلدٍ في جنابِ عُلاكِ
صلّى المليكُ عليك ما أملاكُه ... طافتْ مقدسةً بقدسِ حماكِ

من عادات أهل الهند

مسطور في الكتب: إن من بعض بلاد الهند بلد عادة أهلها أن يخرجوا إلى الصحراء على رأس كل مائة سنة مرة ويكون ذلك اليوم عندهم من أعظم الأعياد، فإذا خرجوا من البلد واجتمعوا في ذلك المكان وقد كانوا نصبوا فيه صخرة عظيمة فيأمرون رجلاً ينادي: أيها الناس من حضر العيد السابق فليقم على هذه الصخرة وليحك الناس كيفية ذلك العيد، فلا يقوم أحد لانقراض أهل ذلك العصر وربما قام شيخ فانٍ أو عجوز فانية فيقف أحدهما على تلك الصخرة ويحكي لهم وقائع ذلك العيد واسم سلطانه ومكانه ووزرائه والقاضي والأعاظم ونحو ذلك، ثم يقوم خطيبهم بعد ذلك على المنبر فيكثر لهم من المواعظ والاعتبار فيكثرون من الاستغفار والتوبة فتعلو أصواتهم بالنوح والبكاء فيخرجون من حقوق الناس ومن حقوق الله تعالى ويتصدقون على الفقراء والمساكين.

وكان عادتهم إذا مات ملكهم وضعوه على عرابة يطوفون به محال البلد وجعلوا رأسه على طرف العرابة وشعره يخط على التراب وخلفه عجوز تنفض التراب من شعره وتنادي بالناس: اعتبروا بهذا الملك الذي كان بالأمس محفوفاً بالجنود وفراشه الديباج والحرير فصار إلى ما

ترون، فيكثر عند ذلك بكاؤهم ويشتد حزنهم ويرجعون إلى التوبة والندامة على ما فرط من الذنوب.

تربية بهرام الملك ابنه

في التاريخ: إن بهرام الملك كان له ولد رديء الطباع سيئ الأخلاق بخيل اليد جبان القلب ولم يكن عنده غيره، فاحتال فيه أن يرفع عنه تلك الأخلاق ليكون قابلاً للملك بعده، فأداه الفكر إلى أمره له بمصاحبة حسان الوجوه من البنات والجواري وأمرهن بالمزاح معه والقرب منه لعله يعشق واحدة منهن، فاتفق أن قلبه علق بجميلة منهن وكانت عالمة بمراد بهرام، فلما أخذ حبها بمجامع قلبه وسلبت عقله ولبه أظهرت له البعد وأعطته الدلال والغنج فألح عليها في الوصول فقالت له يوماً: إنك لا تليق بالوصال لمكان أخلاقك الردية ثم إنه بعد ذلك سعى في رفع تلك الأخلاق والتخلق بأضدادها وصار من معالي الأخلاق بدرجة فاق بها على أولاد الملوك، وتملك بعد أبيه على أحسن القانون المطلوب من الملوك والسلاطين.

أقول: وهو مصداق ما قيل: إن العشق يشجع الجبان ويجبن الشجاع.

تفسير حديث: «هلم إلى الحج»

روى: الصدوق عطر الله مرقده في الفقيه أن إبراهيم عليه السلام لما بنى البيت صعد على جبل أبي قبيس فنادى: ألا هلم إلى الحج هلم إلى الحج. فلو نادى: هلموا إلى الحج، لم يحج إلا من كان يومئذٍ إنسياً مخلوقاً ولكنه نادى هلم إلى الحج فلبى الناس في أصلاب الرجال وأرحام النساء.

قال: شيخنا أبو الحسن سليمان بن عبد الله البحراني قدس سره في كتابه أزهار الرياض: سئلت عن هذا الخبر قديماً فكتبت في الجواب: لعل مراده - والله أعلم بمراد أوليائه عليهم السلام - إن الخطاب بصيغة الجمع تتناول الموجودين وتناوله لغيرهم إنما هو بدليل من خارج من إجماع أو غيره كما تقرر في الأصول مستوفى والمخالف فيه الحنابلة خاصة وأطبق الكل على فساده، وصيغة «هلموا» من هذا القبيل.

فأما «هلم» فإنه يمكن أن يجعل من قبيل الخطاب العلم كما تقرر في المعاني والبيان قد يترك الخطاب من المعين إلى غير المعين قصداً للعموم وإرادة كل من يصلح لذلك، وجعلوا منه قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا﴾(١) ونحوه فكأنه يصلح لغير الموجودين أيضاً فيدخلون بعد اتصافهم بالوجود والكمال، وحينئذٍ فحاصله أن العدول من هلموا إلى هلم لذلك فإن صيغة هلم تصلح

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٧.

للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، والاعتبار المذكور لغير الموجود بالتقريب السابق فيدخل بعد كماله ووجوده، بخلاف هلموا. ومعنى لم يحج يومئذٍ الآن من كان إنسياً مخلوقاً لم يحج إلا من كان مخلوقاً من الإنس لأنهم المقصودون بالخطاب المذكور دون غيرهم هذا ما ظهر لي فتأمله - انتهى كلامه قدس الله سره.

قال: الفاضل المحدث نعمة الله الحسيني الجزائري نور الله ضريحه: الوجه أن المقام ظاهراً يقتضي صيغة الجمع فالعدول عنه إلى الأفراد لا بد له من نكتة وعلة مناسبة وليست هي إلا إرادة استغراق جميع الأفراد من شهد ومن غاب، على أن أهل البلاغة ذكروا أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع، ونص عليه العلامة في مواضع من الكتاب - انتهى.

وقال: المحقق ملا محسن الكاشاني طيب الله مضجعه: أن حقيقة الإنسان موجودة بوجود فردها وتشمل جميع الأفراد وجدت أم لم توجد، وأما الفرد الخاص منه فلا يصير فرداً خاصاً جزئياً منه ما لم يوجد، وهذا من لطائف المعاني نطق به الإمام عليه السلام لمن وفق لفهمه - انتهى.

ظريفة عن أبي نواس

حكي: عن أبي نواس أنه قال: دخلت خربة فرأيت سقاء يلوط بنصراني فانهزم السقاء وبقي النصراني، فعنفته على ذلك الفعل فقال: يا أبا نواس لومك لي إغراء والمرء حريص على ما منع منه فلا تلمني، فأخذ هذا المعنى أبو نواس وقال في مدح الخمرة شعراً: [البحر البسيط التام]

دعْ عنك لومي فإنّ اللومَ إغراءُ — وداوني بالّتي كانت هي الداءُ
صفراءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتَها — لو مسَّها حجرٌ مسَّته سرّاءُ
من كفّ ذاتِ حِرٍ في زيّ ذي ذكر — لها محبّانِ لوطيٌّ وزنّاءُ
قامتْ بإبريقِها والليلُ معتكرٌ — فلاحَ من ضوئِها في البيتِ لألاءُ
فأرسلتْ من فمِ الإبريقِ صافيةً — كأنما أخذُها بالنوم إغفاءُ
رقّتْ عن الماءِ حتى ما يلائِمُها — لطافةً وخفي عن لطفِها الماءُ
دارتْ على فتيةٍ ذلّ الزمانُ لهمْ — فما تصيبهمُ إلا بما شاؤوا

كلمات حكمية

ومن كلام لقمان: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواضع: الشجاع عند الحرب، والحليم عند الغضب، وأخوك عند حاجتك إليه.

وقال بعضهم: ثلاثة ليس فيهم حيلة: فقر يخالطه كسل، وعداوة يداخلها حسد، ومرض يمازجه هرم.

وقال: لا ينبغي للأصاغر أن يتقدموا الأكابر إلا في ثلاثة مواطن: إذا ساروا ليلاً، أو خاضوا سيلاً، أو واجهوا خيلاً.

وقال: الحسن بن سهل: ثلاثة أشياء تذهب ضياعاً: علم بلا عمل، وقدرة بلا فعل، ومال بلا بذل.

في الحديث: اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

قال بعض الحكماء اليونانيين: لا يتم جمع المال لا بخمس خصال: التعب في كسبه، والشغل عن الآخرة بإصلاحه، والخوف من سلبه، واحتمال اسم البخل دون مفارقته، ومقاطعة الإخوان بسببه.

وقال بعض الحكماء: لا ينبغي للعاقل أن يسكن بقعة ليس واحداً من خمسة: سلطان حازم، وطبيب عالم، وقاض عادل، ونهر جار، وسوق قائم.

قال: لا يحصل العلم إلا بخمس: عزيزة متوافقة، وجد كامل، وكفاية مغنية، وصبر تام، ومعلم ناصح.

قال أمير المؤمنين: من كرم المرء خمس خصال: ملكته للسانه، وإقباله على شأنه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظه لقديم إخوانه.

قال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أن يكون من خمسة على حذر: الكريم إذا أهانه، واللئيم إذا أكرمه، والعاقل إذا أحرمه، والأحمق إذا مازحه، والفاجر إذا عاشره.

قال الأحنف بن قيس: جهد البلاء خمسة: خادم كسلان، وحطب رطب، وبيت يكف، وخوان ينتظر، وجندي يدق الباب.

في الحديث: ستة لا تفارقهم الكآبة: الحقود، والحسود، وفقير قريب العهد بالغنى، وغني يخشى الفقر، وطالب رتبة يقصر عنها قدره، وجليس أهل الأدب وليس منهم.

كفر أبي سفيان

حكى الإسكافي: في مقاماته بإسناد ذكره أن أبا سفيان حضر مجلس عثمان - وقد كف بصره - فأذن المؤذن وكان علي حاضراً فقال أبو سفيان: هل علينا من عين، قال عثمان: لا، وإنما قال ذلك لأنه لا يمكنه أن يقول علي عين علينا. فقال: انظروا أخا هاشم أين وضع اسمه؟ فقال علي عليه السلام: أسخن الله عينك أبا سفيان ما وضع اسمه حيث وضعه إلا بعد أن وضعه الله حيث يقول: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1] فقال أبو سفيان: بل أسخن الله عين نعثل قال: ما علينا من عين.

---

(١) سورة الشرح، الآية: ٤.

وحكي: أيضاً في مقاماته أن أبا سفيان حضر مجلس عثمان بعد ما كف بصره وهناك علي صلوات الله عليه، فتذاكر الإمام السير فقال أبو سفيان لعثمان: هل علينا من عين؟

فقال له عثمان: لا، ولم يمكنه أن يقول نعم لمكان علي عليه السلام فقال له أبو سفيان: تلقفوها يا بني أمية وحق في هذه البنية مأثم جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب فقال علي عليه السلام: أسخن الله عينك يا أبا سفيان. فقال أبو سفيان: بل أسخن الله عين نعثل حيث قال: ما علينا من عين.

أجوبة وأشعار ظريفة

قال: الحجاج ليحيى بن سعيد إنك تشبه إبليس. فقال: وما ينكر الأمير أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن؟ فأعجبه جوابه.

قال: بعض الأعراب لابنه في أثناء محاورته: اسكت يابن الأمة. فقال: لهي والله أعذر منك حيث لم ترض إلا حراً.

قال: المنتصر لأبي العيناء: ما أحسن الجواب؟ قال: ما أسكت المبطل وحير المحق.

عزى: أعرابي معاوية فقال: بارك الله لك في الفاني وأجرك في الباقي. فظن معاوية أنه غلط، فقال الأعرابي: ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ.

وعن ابن عباس: أبهم البهائم كل الأمور إلا أربع: معرفة صانعها، وابتغاء النسل، وطلب المعاش، وحذر الموت.

لبعضهم: [البحر الكامل]

وصل الكتابُ أنا الفداءُ لفطرة ... نظمتْ نفيس الدرِّ فيه أسْطرا
ففضضتُه عن طيّه فتأرجّتْ ... نفحاتُه مسكاً وفاحتْ عنبرا

غيره لغيره في المعنى: [البحر الطويل]

ولمّا أتاني من عزيزِ جمالكم ... كتابٌ كريمٌ ناشرٌ بعضَ فضلِه
لثمتُ محيّاه وناديتُ معلناً ... أبى الفضلُ إلاّ أن يكون لأهلِه

غيره لغيره في المعنى: [البحر الكامل]

وردَ الكتابُ فلا عدمتُ أناملاً ... قد رصّعتْ في الطّرس درُّ سطورِه
فلثمتُه وشممتُ طيب نسيمِه ... فحييتُ باستنشاقِ عرفِ عبيرِه
وسألتُ ربي أن يعيدَ لناظري ... بعد الأسى بالقربِ بهجة نورِه
فيزيلُ همّ القلبِ بعد فراقِنا ... مستبدلاً أحزاننا بسرورِه

غيره لغيره في المعنى فقال: [البحر الكامل]

وافى مشرّفك الكريمُ ففاح لي ... من طيّهِ نشرٌ كمسكٍ أذفرِ

وظننتُه لمّا فتحتُ ختامه ... طرساً من الكافور خطَّ بعنبرِ

غيره لغيره في المعنى: [البحر الكامل]

وردَ الكتابُ فسرّني بورودِه ... وملأتُ من نظري إليهِ سرورا
فكأنني يعقوبُ من شغفٍ به ... إذ عادَ من شمِّ القميصِ بصيرا

غيره لغيره في المعنى: [البحر الوافر]

فضضتُ ختامه فوجدتُ فيه ... قلائدَ عنبرٍ نُظمتْ سطورا
فكانَ كثوبِ يوسفَ حينَ وافى ... إلى يعقوبَ عادَ به بصيرا

لبعضهم: [البحر الكامل]

بيني وبينَك يا خليلُ فراسخٌ ... أمّا ودادُك في القلوبِ فراسخُ

غيره لغيره في المعنى: [البحر الطويل]

وقفتُ على مكتوبٍ من لا عدمته ... فهاجت إلى تلقاءِ كاتبهِ روحي
وأزعجني شوقاً فلولا تعلّلي ... بلقياهُ عن قربٍ لقلتُ لها روحي

غيره لغيره في المعنى: [البحر الطويل]

كتبتُ ولولا أنّ قلبي وعدتُه ... بقربِ التّلاقي لم تطعني الأصابعُ
ولو لم أعذْ إنسان عيني بأنّه ... يراكمْ قريباً غرّقته المدامعُ

الجذر

من كشكول البهائي: الجذر ثمانية وعشرون جزءاً وكل جزء، ثمانية وعشرون صفحة، كل صفحة ثمانية وعشرون سطراً، كل سطر ثمانية وعشرون بيتاً، في كل بيت أربعة أحرف، الحرف الأول بعدد الجزء، والثاني بعدد الصفحة، والثالث بعدد الأسطر، والرابع بعدد البيوت، فاسم جعفر مثلاً يطلب من البيت العشرين، من السطر السابع عشر، من الصفحة السادسة عشرة، من الجزء الثالث وقس على ذلك.

في المعاد الجسماني

ومنه: قال الإمام: القائلون بالمعاد الروحاني والجسماني معاً أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة قالوا: قد دل العقل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله تعالى ومحبته، وأن سعادة الأجسام في إدراك المحسوسات والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن. إن الإنسان مع استغراقه في تجلي أنوار عالم الغيب لا يمكنه الالتفات إلى شيء من

اللذات الجسمانية ومع استغراقه في هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية، وإنما لم يقدر على هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة في هذا العالم فإذا فارقته بالموت واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت، فإذا أعيدت إلى الأبدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الأمرين، ولا شبهة في أن هذه الحالة هي الغاية القصوى من مراتب السعادة. ومنه المعاد الجسماني وهو تأليف أجزاء البدن وجمعها بعد تفريقها لا يعدم بالكلية، أو احداث الجسم مرة أخرى من كتم العدم بناء على أنه يعدم بالكلية، وكل من الأمرين محتمل. والمتكلمون لم يجزموا بشيء منهما نفياً ولا إثباتاً وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(١) ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢) لا يدل على الإعدام بالكلية إذ التفريق مع خلع الصورة هلاك وفناء - انتهى.

يقول ناظم هذه الدرر ومطرز هذه الحبر: المستفاد من أخبار أهل الذكر صلوات الله عليهم كما حققناه في كتابنا الموسوم بالكواكب الدرية في شرح الندابة الحرية أن الطينة الأصلية التي خلق منها لا تبلى بل تبقى مستديرة في القبر حتى يخلق منها كما خلق أول مرة، وأما جسده فيبلى حتى لا يبقى جسم ولا لحم ولا عظم لكنه بعد أن يصير تراباً يبقى محفوظاً عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض، وأن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين المبعث مطرت السماء فتربو الأرض ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء والزبد من اللبن إذا مخض فتجمع تراب كل قالب فينقل بإذن الله إلى حيث الروح فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها وتلج الروح.

من الكلمات الحكمية للعرب

من كلامهم: ثوب الرجل لسان نعمة الله عليه. زكاة الرأي نصيحة المستشير. جهد البلاء الإقلال والعيال. صديق الوالد عم الولد. صواب الجاهل كخطأ العاقل. علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف. ظن العاقل خير من صواب الجاهل. كلب جوال خير من أسد رابط. من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلاً. لسان الجاهل مالكه. موت الخير راحة لنفسه وموت الشرير راحة لغيره. خير مالك ما وقاك وشره ما وقيته. خير الأوطان أعونها على الزمان. فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها. ظلم الضعيف أفحش الظلم. خاطر بنفسه من استبد برأيه. من صلاح نفسك معرفتك بفسادها. غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله ارع حق عظمك لغير حاجة إليك. ارض من خلك إذا ولي ولاية بعشر وده قبلها. قارب الناس في

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٦سورة التوبة، الآية: ٤٠.

عقولهم تسلم من غوائلهم. اعرف أخاك بأخيه قبلك. دع ما شاء القلب لا ما شاء الرب. لا تفتح باباً يعييك سده. لا ترسل سهماً يعجزك رده. لا تشح من إعطاء القليل فإن المنع أقل منه. لا تكن ممن يلعن إبليس في العلانية ويواليه في السر. لا تحمد أمة يوم شراها. لا تكن جراداً يأكل ما وجده ويأكله من وجده. لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر. لا يزيدك لطف الحسود إلا وحشة منه. لا تشرب السم اتكالاً على ما عندك من الترياق. لا تتهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو. لا تقل ما لم تعلم فتتهم فيما تعلم. لا تصحب الأشرار فإنهم يمنون عليك بالسلامة منهم. إذا فاتك الأدب فالزم الصمت. إذا اشتبه عليك أمران فاجتنب أقربهم من هواك. إذا اتسعت القدرة نقصت الشهوة. إذا قبح السؤال حصن المنع. إذا لم يكن ما تريد فرد ما يكون. مجالسة الثقيل حمى الروح. جهل يعولك خير من عقل تعوله.

قال معاوية لصعصعة بن صوحان: إنما أنت هاتف بلسانك لا تنظر في أول الكلام واستقامته، فإن كنت تنظر في ذلك فأخبرني عن أفضل المال؟

فقال: والله لأدع الكلام حتى يختمر في صدري ثم لا أهتف به حتى أقيم أوده وأثقف معوجه، وإن أفضل المال نخلة سمراء في تربة غبراء أو نعجة صفراء في بقعة خضراء أو عين فوارة في أرض خوارة. وقال: فأين أنت عن الذهب والفضة لله أبوك؟

فقال: هما حجران يصطكان إن أقبلت عليهما فقدا وإن تركتهما لم يزدا.

ما قيل في القحط الواقع في البلاد

من كشكول البهائي: وفي تاريخ اليمن أنه وقع في نيشابور خصوصاً وفي خراسان عموماً في سنة إحدى وأربعمائة قحط عظيم حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، وكان الرجل من الناس لا يخرج إلا في جماعة يحرسونه من القانصين لئلا يقتنصونه ويأكلونه، وفيه يقول أبو نصر الكاتب: [البحر البسيط المجزوء]

قـد أصبـحَ النـاسُ فـي غـلاءٍ   وفـــي بـــلاءٍ تـــداولـــوهُ
مـن يلـزمِ البيـت مـات جـوعـاً   أو يـشـهـدِ النـاسَ يـأكـلـوهُ

قال كاتب الأحرف: وقد قلت على هذا المنوال في غلاء قد وقع في تبريز سنة ثمان وثمانين وتسعمائة: [البحر البسيط المجزوء]

لا تـخـرجـنّ مـن الـبـيـوتِ   وكـن لـجـوعـك كـالـفـريـسـهْ
لا يـخـطـفـنّـك الـجـائـعـونْ   ويـطـبـخُـوك لـهـم هـريـسـهْ

ولكاتب الأحرف على هذا المنوال: [البحر البسيط المجزوء]

لا تـخـرجـنّ مـن الـبـيـوتْ   لـعـازةٍ أو غـيـرِ عـازهْ

لا يـقـتـنـصْـك الـقـانـصـونْ فـيـطـبـخـونـك ذو پـيـازهْ

وفي كتاب درة الغواص: في أوهام الخواص يقولون: ابدأ به أولاً فيوهمون فيه والصواب ابدأ به أولُ بالضم كما قال: [البحر الطويل]

لعمرُك ما أدري وأنّي لأوجلُ على أيّنا تعدُو المنيّةُ أولُ

وإنما بنى أول هنا لأن الإضافة مرادة فيه تقدير الكلام ابدأ به أول الناس فلما انقطع عن الإضافة بني، كأسماء الغايات التي هي قبل وبعد ونظائرهما، ومعنى تسميتها بأسماء الغايات إنها جعلت غاية للنطق بعدما كانت مضافة، ولهذه العلة استوجبت أن تبنى لأن آخرها حين قطع على الإضافة صار كوسط الكلمة ووسط الكلمة لا يكون إلا مبنياً.

لبعضهم: [البحر الكامل]

ومصاحبُ السلطانِ مثلُ سفينةٍ في البحرِ ترجفُ دائماً من خوفه
إن أدخلت من مائها في جوفها دخلت وما في جوفها في جوفه

في الخبر: عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي صلوات الله عليه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفي يده خاتم فضة جزع يماني فصلى بنا فلما قضى صلاته دفعه إلي وقال لي: يا علي تختم به في يمينك وصل فيه، أو ما علمت أن الصلاة في الجزع سبعون صلاة، وأنه يسبح الله ويستغفره وأجره لصاحبه.

وفيه: عن أبي بصير عنه عليه السلام قال: سألته عما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن ولد الزنا شر الثلاثة؟» قال عليه السلام عنى به الأوسط شر ممن تقدمه وممن تلاه.

وفيه: أيضاً عنه صلى الله عليه وآله قال: «إن الله تبارك وتعالى يبدأ بالنصر إلى زوار الحسين عليه السلام عشية عرفة قبل النظر إلى أهل الموقف». قلت: قبل نظره إلى أهل الموقف؟ قال: نعم. قلت: وكيف ذلك؟ قال: «لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا».

قال: رجل لرابعة العدوية: قد عصيت الله أفترينه يقبلني؟ فقالت: ويحك أنه يدعو المدبرين عنه فكيف لا يقبل المقبلين إليه.

هجرة اليهود إلى المدينة قبل البعثة

وروى الكليني: قدس الله سره في روضة الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجر محمد صلى الله عليه وآله ما بين عير واحد، فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يسمى (حداد) فقالوا: حداد واحد سواء، فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيم وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر، فاشتاق الذي بتيم إلى بعض إخوانهم فمر بهم أعرابي من قيس فتكاروا منه فقال لهم: أمر بكم ما بين عير واحد.

فقالوا: إذا مررت بهما فأذنا بهما فلما توسط بهم أرض المدينة قال لهم: ذلك عير وذلك واحد، ونزلوا عن ظهر أبله وقالوا: قد أصبنا الموضع فهلموا إلينا، فكتبوا إليهم: إنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الأموال وما أقربنا منكم فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم، فاتخذوا بأرض المدينة الأموال فلما كثرت أموالهم بلغ تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم فكانوا يرقون لضعفاء تبع فيلقون إليهم بالليل الثمر والشعير، فبلغ ذلك تبع فرق لهم وقال: إني قد استبطنت بلادكم ولا أراني إلا مقيماً فيكم. فقالوا: إنه ليس ذلك لك أنها المهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك. فقال لهم: إني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلف حيين الأوس والخزرج فلما كثروا كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث محمد ﷺ ليخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلما بعث الله محمداً ﷺ آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود وهو قول الله تعالى ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

وفي الخبر: عن الصادق عليه السلام قال: المشي للمريض نكس، إن أبي عليه السلام إذا اعتل جعل في الثوب فحمل لحاجته - يعني الوضوء - وذلك أنه كان يقول: إن المشي للمريض نكس.

يقول ناقل هذا الخبر ومنظم هذه الدرر: المراد بالوضوء هنا الاستنجاء كما ورد في بعض الأخبار أيضاً وقرينة المقام ظاهرة.

الجليس

لله در القائل: [البحر المتقارب]

حديثُ الجليسِ بغيرِ الجميلْ   يدلّ على طينتِه الفاسدَهْ
إذا كانَ أبوهُ تقيّاً نقي   فكان الفسادُ من الوالدَهْ
وإن كان اثناهُما ناجيانْ   فلا بدّ للأصلِ من قاعدَهْ
تجودُ الملوكُ بأموالها   وتأبى العبيدُ بني الشاردَهْ

السر

صفي الدين الحلي: [البحر الطويل]

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ من سرِّ نفسِه   فصدرُ الذي يستودعُ السرَّ أضيقُ
إذا المرءُ أفشى سرَّه بلسانِه   ولام عليه غيره فهوَ أحمقُ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

أقول: قد صرح بعض الفضلاء بأن معنى «كل سر جاوز الاثنين شاع» يعني جاوز الشفتين، وهذان البيتان يؤيدان كلامه.

عيون الأحبة

وله أيضاً: [البحر الطويل]

عيونٌ لها مرأى الأحبةِ اثمدُ   عجبتُ لها في عمرِها كيف ترمدُ
وعينٌ خلتْ من نور وجه حبيبِها   عجبتُ لها في عمرِها كيف ترغدُ

لشيخنا البهائي: ﷺ تعالى:

العشاق

رُفعتْ رايتي على العشاقِ   واقتدى بي جميعُ تلك الرفاقِ
وتنحّى أهلُ الهوى عن طريقي   وانثنى عزمُ من يرومُ لحاقي
سرتُ في الحبِّ سيرةً لم يسرها   عاشقٌ في الورى على الإطلاقِ
ضُربت سكةُ المحبةِ باسمي   ودنتْ لي مشابرُ العشاقِ
كان للقومِ في الزجاجةِ باقٍ   أنا وحدي شربت ذاك الباقي
شربةٌ لا يَزالُ سكرانَ منها   ليتَ شعري ماذا سقاني السّاقي

ابن الزنا

سلطان سليم: [البحر السريع]

من كان ذا علمٍ وذا فطنهْ   وبغض أهلِ البيتِ من شانِهْ
فإنّما الذنبُ على أمّهْ   إذ حملتْ من بعضِ جيرانِهْ

الحمد والذم

لبعضهم: [البحر الكامل]

من كان يحمدُ أو يذمُّ مورّثاً   للمالِ من آبائِه وجدودِهِ
فأنا امرؤٌ للهِ أشكرُ وحدَه   شكراً كثيراً جالِباً لمزيدِهِ
في أشقرٍ سمحِ العنانِ معاودٍ   يعُطيك ما يُرضيك من محمودِهِ
ومهنّدٍ غضبٍ إذا جرّدتُه   خلتُ البروق تموجُ في تجريدِهِ

ومثقفٍ لدنِ البنانِ كأنّما أمّ المنايا ركّبتْ في عودِهِ
وبذا حويتُ المالَ إلا أنّني سلّطتُ جود يدي على تبديدِهِ

ظريفة لأبي نواس مع الخليفة

ظريفة: قيل إن هارون الرشيد خلا في قصره ذات ليلة مع جارية في غاية الحسن، فلما أراد أن يجامعها لم يقم أيره فقال: نامي على أربع، ففعلت ولم يقم فقال لها: العبي به عسى أن يقم، ففعلت فلم يزدد إلا رخاوة فقالت: **[البحر المتقارب]**

إذا كان أيرُك ذا ميّتاً فلا خيرَ فيه ولا منفعهْ

فلما صار الصبح قال: من بالباب من الشعراء؟ فقيل: أبو نواس، فطلبه فقال: أنشدني شعراً يكون فيه «فلا خير فيه ولا منفعة» وتضمنه على ما في خاطري، فأنشأ يقول: **[البحر المتقارب]**

لحى اللهُ أيريَ ما أضيعهْ يحقّ لي واللهِ أن أقطعهْ
فيا من يلمْني على سبِّه أفقْ واستمعْ ما جرى لي معهْ
حظيتُ بغيداءَ في خلوةٍ فريدةِ حسنٍ به مبدعهْ
بطرفٍ كحيلٍ وردفٍ ثقيلْ وخصرٍ نحيلٍ فما ألمعهْ
فخاطبتُها النّيكَ قالت نعمْ مطيعةُ أمرِك لا ممنعهْ
فنامتْ على ظهرِها لم يقمْ فقلتُ فنامي على الأربعهْ
ومسّته في كفّها فانثنى وخيّب ظنّي ذا المصقعهْ
فقلتُ لها العبي لي به لعلّ يكونُ به مرجعه
فمدّت أنامل مثل اللّجين وكفّاً رطيباً فما أبدعهْ
فصارتْ تلاعبُه فانطوى فكادت من الغيظِ أن تقطعهْ
فقالتْ إذا كان أيرُك ذا ميّتاً فلا خيرَ فيه ولا منفعهْ

فقال له الرشيد: قاتلك الله كأنك معنا حاضراً ومطلعاً على أمرنا؟ فقال: لا والله ولكن خطر في بالي شيء فقلت، فأمر له بأربعين ألف دينار.

معرفة ما في بطن الحاملُ

نقل: بالسند المتصل إلى خط الشيخ الأجل بهاء الملة والدين محمد رحمه الله إذا سألك سائل عن الحامل ما في بطنها ذكراً أو أنثى فاحسب اسمها واسم أمها واسم اليوم الذي سألك فيه وأسقط ثلاثة ثلاثة، فإن بقي واحد فهو ذكر، وإن بقي اثنان فهو أنثى، وإن بقي ثلاثة فهو ساقط،

وإذا سألك سائل عن الخبر هل هو صحيح أم لا؟ فاحسب اسمه واسم أمه واسم اليوم الذي سألك فيه وأسقط اثنين اثنين، فإن بقي واحد فهو غير صحيح، وإن بقي اثنان فالخبر صحيح، وإذا سألك سائل عن المرض هل يشافي أم لا؟ فاحسب اسم السائل واسم المسؤول واسم أمه واسم اليوم الذي سألك فيه، وأسقط ثلاثة ثلاثة فإن بقي واحد فإنه يموت، وإن بقي اثنان فهو يهون عليه المرض وإن بقي ثلاث فإنه يطول مرضه.

وحكي: أن بسام شرب يوماً عند صديق له، فوقعت عينه على غلام في المجلس واختلط الظلام وقد سكر القوم، وقام ليدب عليه فلسعته عقرب فصاح فاجتمع عليه القوم بأنواع الترياقات فقال:

ولقد عزمت على الهدو لموعد أخلصته من غادر كذاب
فإذا على ظهر الطريق معدة سوداء قد عرفت أوان ذهابي
لا بارك الرحمن فيها عقربا دبابة دبت على دباب

مع ابن شبرمة

شهد: قوم عند ابن شبرمة على قراح فيه نخل، فسألهم عن عدد النخل فلم يعرفوا فرد شهادتهم، فقال رجل منهم: أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة فكم فيه من اسطوانة؟ فأجاز شهادتهم.

العقل

قال العلماء: العقل كالبعل والنفس كالزوجة والبدن كالبيت، وإذا غلبت النفس كان سعيها فاسداً كالمرأة التي قهرت زوجها ففسدت الجملة.

قال إسكندر: لا تحقر الرأي الجزيل من الرجل الحقير فإن الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها.

عزيز القوم

مما قاله السموأل: [البحر الطويل]

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللؤمِ عرضُه فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ
وإنْ هو لم يحمل عن النفسِ ضيمها فليس إلى حسنِ الثناءِ جميلُ
تعيّرنا أنا قليلٌ عدادنا فقلتُ لها إن الكرام قليلُ
وما ضرّنا أنا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين قليلُ
لنا جبلٌ يحتلُّه من نجيرُه منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ

وإنّا لقومٌ لا نرى القتلَ سبّة إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
يقربُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا وتكرهُه آجالُهم فتطولُ
وما مات منّا سيدٌ في فراشِه ولا طلّ منّا حيثُ كان قتيلُ
تسيلُ على حدّ الظباة نفوسُنا وليستْ على غير الظُّباةِ تسيلُ
صفونا فلم نكدر وأخلص سرُّنا إناثٌ أطابتْ حملنا وفحولُ
إذا مات منّا سيدٌ قام سيد مؤولٌ بما قال الكرامُ فعولُ
وننكرُ إن شئنا على الناسِ قولهم ولا ينكرون القول حيث نقولُ
وما أخمدت نارٌ لنا دون طارقٍ ولا ذمّنا في النّازلين نزيلُ
وأسيافُنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ بها من قراعِ الدّارعين فلولُ
معودة أن لا تسلّ نصالُها فتغمدَ حتى يستباح قتيلُ

قصيدة للشاخوري

للشيخ الأمجد: الشيخ محمد ابن المرحوم الشيخ أحمد ابن الشيخ سليمان الشاخوري رحمه الله: [البحر البسيط التام]

لمّا تكأدني ذنبي وأوزاري وجهتُ وجهي لربٍّ خيرِ غفارِ
قريحُ جفنٍ أناجيه بأسحاري يا قاهراً بالمنايا كلّ جبارِ
بنورِ وجهِك اعتقني منَ النارِ
ذنبي عظيمٌ وجرمي قد تكأدني وفادحُ الإثمِ والأوزارِ ضهّدني
وقابضُ الروحِ لمّا أمَّ يقصدُني إليك أسلمني من كان يعضدُني
من أهلِ ودّي وإخواني وأنصاري
فضلتُ في سكرةٍ للروحِ مدهشةٍ وغمرةٍ للقوى والقلب مجهشةٍ
ينوشني كدام حيات معشعشةٍ في قعرِ مظلمةٍ غبراء موحشةٍ
فرداً غريباً وحيداً تحت أحجارِ
فارفقْ إلّهي بعبدٍ فارق الوطنا وخلّفَ الولد والإخوان والخدنا
وجاء يرجو قراك اليوم والمننا أمسيتُ ضيفَك يا ذا الجودِ مرتهنا
وأنت أكرمُ منزولٍ به قاري
فأولني من مزيدِ اللطفِ مكرمةٍ ونعمةٍ من عظيم العفوِ وافرةٍ
ووقني كرةً في الحشرِ خاسرة واجعل قراي بفضلٍ منك مغفرة
أنجو إليك بها يا خير غفّار

مولاي قد شابتِ الهاماتُ واللممُ   منّي وزادَ الخَطا والإثمُ والجرمُ
فوقّني لاهباً في الحشرِ يضطرمُ   إنّ الملوكَ إذا شابتْ عبيدُهم
في رقهِمْ أعتقوهمْ عتق أحرارِ
فأين يعدلُ بي يا ربّ عنك وما   رجوتُ في كرتي الأَك معتصَما
وجئتُ بالعدلِ والتوحيدِ ملتزِماً   وأنت يا سيّدي أولى بنا كرَما
قد شبت في الرّقِ فأعتقني من النارِ
يا خالقَ النارِ إنّ النارَ تؤلمني   ولفحةٌ من لظاها لم يطقْ بدني
فجدْ عليّ وفرّج سيدي محني   إن لم تكنْ يا إلّهي أنت ترحمُني
سحبتُ حقاً على وجهي إلى النارِ

جواز نكاح الجان

كتاب الفوائد النجفية: لشيخنا أبي الحسن قدس الله سره: سئلت في الديار العجمية عن جواز نكاح الجن والتزويج بهن فكتبت: لم أقف لأصحابنا في هذه المسألة على كلام نفي أو إثبات فأحكيه، وللعامة فيه اختلاف مشهور نقله الدميري الشافعي في حياة الحيوان، فمن منع علل باختلاف الجنس وبظاهر قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[2] وبخبر في طريقه أبي هليعة أن النبي ﷺ نهى عن نكاح الجن، وهو مذهب جماعة من الشافعية والحنابلة، ومن أجاز احتج بأصالة الجواز وعموم ما دل على شرعية النكاح والترغيب فيه وعدم كون اختلاف الجنس مانعاً وهو المنقول عن الحسن البصري وأبيّ وقتادة وغيرهما، واختاره جماعة من الشافعية ونقل عن جماعة فعله. هذا ملخص ما ذكره في الكتاب المذكور والذي يقوي في نفسي هذا الجواز، لنا - مضافاً إلى ما تقدم - ما رواه الجمهور عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: كان إحدى أبوي بلقيس جنياً.

وروى الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه بإسناده عن القاسم بن عروة عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام: أن الله تعالى أنزل على آدم حورية من الجنة زوجها أحد ابنيه وزوج الآخر ابنة الجان، فما كان من الناس من جمال كثير وحسن خلق فهو من الحور وما كان فيهم من سوء الخلق فهو من ابنة الجان. وإذا أثبت جوازه في الشرائع المتقدمة ثبت جوازه في شريعتنا لعدم ثبوت نسخه - فتأمل.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٢.   (٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

وحكى: لي بعض الثقات من الطلبة أنه رأى في المدينة المشرفة كتاباً كبيراً في أحكام الجان لبعض العامة سماه (الدر والمرجان).

هل يمكن استفادة الأصول من الكتب

ومن الكتاب المذكور: من مسائل السيد السعيد مهنا بن سنان بن عبد الوهاب المدني للعلامة ﷺ في علم الأصول هل يجوز استفادته من الكتب وذلك لأنه أمر عقلي فقد ينتج الإنسان فيه بالمطالعة في الكتب ما يجب عليه معرفته بخلاف الفروع فإنها أمر نقلي فلا بد فيه من التلقي والنقل فهل هذا صحيح أم لا؟

الجواب: نعم يكفي في الأصول الإطلاع في الكتب إذا حصل للناظر فيها من العقائد ما يوجب عليه اعتقاده بخلاف المسائل النقلية فإنه لا بد فيها من الرواية عن المشايخ.

أقول: الفرق بين الأصول والفروع في ذلك لا يخلو من تحكم وخفي، لأن من كان ذا ذوق سليم وطبع مستقيم وفطنة صادقة وكان عنده أصول صحيحة موثوق بها من أصول الحديث، وله الإطلاع على أقوال الفقهاء ناش من تصفح كتب الخلاف والفقه كان له أخذ الفروع كذلك من غير حاجة إلى الرواية عن المشايخ والسلف.

يقول جامع هذه الدرر ومطرز هذه الحبر: ظني أن كلام شيخنا لا يخلو من بعد، إذ من ذكره إن كان ممن له ملكة الجمع بين مختلفات الأخبار ونظمها على وجه صحيح المعيار فليس هو من محل السؤال في شيء، إذ المسؤول عنه من ليس كذلك وإلا فكلامه لا يخلو من نظر.

القاضي أبو منصور: **[البحر الطويل]**

وما زلتُ منحازاً بعرضيَ جانباً عن الذلّ اعتدُّ الصيانةَ مغنما
إذا قيلَ هذا موردٌ قلتُ قد أرى ولكنَّ نفس الحرِّ تحتملُ الظما
وأنهاها عن بعضِ ما لا يشينها مخافةَ أقوالِ العدى فيم أولما
فأصبحُ عن عيبِ السليم مسلّما وقد رحتُ في نفسِ الكريمِ مكرّما
يقولون لي فيك انقباضٌ وإنّما رأوا رجلاً عن موقفِ الذلّ أحجما
أرى الناسَ من داناهمُ هانَ عندَهم ومن أكرمتْه عزةُ النفسِ أُكرما
ولم أقضِ حقّ العلمِ إن كان كلّما بدا طمعٌ صيّرتُه لي سلّما
ولم أبتذلْ في خدمةِ العلمِ مُهجتي وأخدمُ من لاقيتُ إلاّ لأخدُما
ولو أنّ أهلَ العلمِ صانوه صانَهم ولو عظّموه في النفوسِ لعظّما
ولكنْ أهانوه فهانُوا ودنّسوا محيّاه بالإجماعِ حتّى تجهّما
وكم قد رأيْنا من فتى متجملٍ يروحُ ويغدو ليس يملكُ درهَما

يبيتُ يُراعي النجم من سدةِ الجوى ويصبحُ يُلقى ضاحِكاً متبسّما
ولا يسألُ الركبان ما في رحالهم ولو مات جوعاً عفة وتكرُّما
وأني إذا ما خانني الدهرُ لم أبتْ أقلّب كفّي أثره متندّما
ولكنّه إن جاء عفواً قبلتُه وإنْ مال لم أتبعْه هل وليتُما
.... (١) إليهِ ولو كان الرئيس المعظّما
وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزُّ بي ولا كلُّ من في الأرضِ أرضاً منهّما
ولكنْ إذا ما اضطرّني الأمر لم أزلْ أقلّب فكري منجداً ثم متهما
إلى من أرى من لا أغصُّ بذكرِهِ إذا قلت قد أسدى إلي وأنعما
فكم نعمةٍ كانت على العبد نقمةً وكم منعمٍ يعتدُّه الحرُّ مغرما
وماذا عسى الدّنيا وإنْ جلّ خطبها يبالي بها مَن صيّر الصبرَ معصما

درر خطية في هجو السبيطية

من غرر: قصائد الشيخ جعفر الخطي هي القصيدة التي يصف فيها حاله وكان آتياً من قرية توبلي وتعرف قديماً بمري بكسر الميم وتشديد الراء ثم الياء المثناة من تحت متوجهاً لقرية البلاد ومعه ابنه حسان وبينهما خليج من البحر، فلما توسط ضربته في وجهه سمكة تعرف بالسبيطية فشجت وجهه فأنشأ هذه القصيدة وينقل أنه لم يوجد بعد ذلك شيء من السبيطية في هذا البحر وهي هذه: [البحر الطويل]

برغمِ العوالي والمهنّدة البترِ دماءٌ أراقتها سبيطيّةُ البحرِ
ألا قد جنى بحرُ البلادِ وتوبلي عليّ بما ضاقت به ساحة البرِّ
فويلُ بني شن ابن أقصى وما الذي رمتهم به أيدي الحوادثِ من وترِ
دمٌ لم يُرق من عهدِ نوحٍ ولا جرى على حدِّ نابٍ للعدوِّ ولا ظفرِ
تحامتْه أطرافُ القنا وتعرضتْ له الحوتُ يا بؤس الحوادثِ والدهرِ
لعمرُ أبى الأيام إن باءَ صرفُها بثار امرىءٍ من كل صالحة نثرِ
فلا غروَ فالأيامُ بين صروفِها وبين ذوي الأخطارِ حربٌ إلى الحشرِ
ألا فأبلغِ الحيّين بكراً وتغلباً فما الغوثُ إلا عند تغلب أو بكرِ
أيرضيكُما أن امرءاً من بنيكما وأيُّ امرىءٍ يُدعى إلى الخيرِ والشرِّ
يراقُ على غيرِ الظُّبى دمُ وجهِه ويجري على غير المثقّفةِ السمرِ

---

(١) هكذا في الأصل بياض.

وتنبُو ينوبُ الليثُ عنه وينثني ... أخو الحوتِ عنه دامي الفمِ والثغرِ
ليقضِ امرؤٌ من قصّتي عجباً ومن ... يرد شرح هذا الحالِ ينظرْ إلى شعري
أنا الرجلُ المشهورُ ما من محلةٍ ... من الأرضِ إلا قد تخلّلها ذكري
فإن أمسِ في قطرٍ من الأرضِ إن لي ... بريد اشتهارٍ في مناكبِها يسري
تولعَ بي صرفُ القضاءِ ولم يكنْ ... ليجري صرفُ الدهرِ إلا على الحرّ
توجهتُ من مريٍ ضُحى فكأنما ... توجهتُ من مري إلى العلقم المرّ
تلجلجتُ خور القريتين مشمّراً ... وشبلي معي والماءُ في أولِ الحزرِ
فما هو إلاّ أن فجئتُ بطافرٍ ... من الحوتِ في وجهي ولا ضربةِ الفهرِ
لقد شقّ يمنى وجنتيّ بنطحةٍ ... وقعت لها دامي المحيّا على قطرِ
فخيّل لي أن السماواتِ أطبقت ... عليّ وأبصرتُ الكواكب في الظهرِ
فقمتُ كهديٍ ندّ من يدّ ذابحٍ ... وقد بلغتْ سكينُه ثغرة النحرِ
يطوّحني نزفُ الدماءِ كأنني ... نزيفُ طلاً مالتْ به نشوةُ الخمرِ
ووافيتُ بيتي ما رآني امرؤٌ ولم ... يقلْ أو هذا جاءَ من ملتقى الكرّ
فها هو قد أبقى بوجهي علامةً ... كما اعترضتْ في الطرسِ اعرابةُ الكسرِ
فإن يمح شيءٌ من محيايَ أثرَها ... بمقدارِ أخذِ المحوِ من صفحةِ البدرِ
فلا غروَ فالبيضُ الرقاقُ إذلّها ... على العنقِ ما لاحتْ به سمةُ الأثرِ
وقلْ بعد هذا للسبيطيةِ افخري ... على سائرِ الشجعانِ بالفتكةِ البكرِ
وقلْ للظّبى فيه إليك عن الطّلا ... وللسّمرِ لا تهتزّ يوماً إلى صدري
فلو همّ غيرُ الحوتِ بي لتواثبت ... رجالٌ يخوضون الحمامَ إلى نصري
فأما إذا ما عزّ ذاك ولم يكن ... لادراك ثاري منه ما مدّ في عمري
فلستُ بمولى الشعرِ إن لم أزجّه ... بكلّ شرودِ الذكرِ أعدى من العرّ
أضرّ على الأجفانِ من حادثِ العَمى ... وأولى على الأذانِ من عارضِ الوقرِ
يخافُ على من يركبُ البحرَ شرُّها ... وليس بمأمونٍ على سالِك البرّ
بحوس خلال الماءِ تطفحُ تارةً ... وترسو رسوّ الغيضِ في طلب الدرّ
تناولَ منه ما تعالى بشجّه ... وتدركُ دون العقرِ مبتدر العقرِ
لعمرُ أبي الخطيّ إن بات ثارُه ... لذي غير كفوٍ وهو نادرةُ العصرِ
فثارُ عليٍ بات عند ابن ملجمٍ ... وأعقبَه ثارُ الحسينِ لذي شمرِ

ولما عرضت هذه القصيدة على السيد ماجد العلامة ابن السيد هاشم البحراني قدس سره كتب عليها مقرظاً: أجلت رائد النظر في ألفاظها ومعانيها وأحلت صاعد الفكر في أركانها

ومبانيها فوجدتها قرة في عين الإبداع ومسرة في قلب الاختراع والحق أحق بالاتباع، فالحمد لله على تجديد معالم الأدب بعد اندراسها وتقويم راية البلاغة بعد انتكاسها وإزالة وحشتها وإيناسها.

صدور العالم هل هو بالاختيار أو بالإيجاب

من كتاب كشكول البهائي: لما كانت المشاجرة بين الفلاسفة والمتكلمين في أن صدور العالم عن الواجب تعالى هل هو بالاختيار أو بالإيجاب، وكان مذهب الفلاسفة أن صدوره بالإيجاب لأنه خير محض لا ينفك عن الفياض المطلق يلزم من ذلك قدمه تعلق غرض المتكلمين بإبطال هذه الدعوى فأثبتوا حدوث العالم، فانهدم بنيان الفلاسفة وانقطعت مشاجرتهم من أن صدوره بالإيجاب وأما صدور بعض المجردات عنه تعالى بالإيجاب وصدور العالم عن ذلك المجرد للقدرة والاختيار فغير معقول عند الخصم الذي عرضنا تزييف كلامه - أعني الفلسفي القائل باستحالة الانفكاك عن الواجب - لأنه حاصل على هذا التقدير، فيلزم الوقوع فيما فر منه، فالواسطة المذكورة بينه وبين العالم غير معقولة عند الفريقين من العقلاء إذ الفلاسفة يوافقون المتكلمين على نفيها، فلا فائدة مهمة في ذكرها والتعرض لإبطالها.

قال كاتب الأحرف: الظاهر أن هذا الذي قررته هو مراد المحقق بقوله في التجريد: وجود العالم بعد عدمه نيف الإيجاب والواسطة غير معقولة، فاندفع ما أورده الشارح الجديد في هذا المقام من قوله: «فللمعترض أن يقول» اهـ تدبر فإنه من خواص الكشكول.

من مستطرفات السرائر لابن إدريس

الفوائد النجفية: فائدة من مستطرفات السرائر لابن إدريس رحمه الله مما استطرفه من كتاب أبي عبد الله السياري صاحب الرضا عليه السلام قال: وكان عثمان إذا أوتي بشيء من الفيء فيه ذهب عزله وقال: هذا لطوق عمرو، فلما كثر ذلك قيل له: كبر عمرو عن الطوق، فجرى به المثل.

قلت: وروى عطر الله مرقده في المستطرفات في موضع آخر عن هارون بن مسلم عن عمرو بن خلاد عن الرضا عليه السلام قال: كان فلان إذا أتي بمال أخذ منه وقال: هذا لطوق عمرو.

وهذا هو عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الأبرش قالوا: وكان خاله جذيمة جمع غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه منهم عدي، وكان جميلاً فعشقته رقاش أخت جذيمة فقالت له: إذا سقيت الملك وسكر فاخطبني إليه، فسقى عدي جذيمة فلما سكر قال له: سلني. قال:

زوجني رقاش أختك. قال: قد فعلت، فعلمت رقاش أنه سينكر ذلك إذا أفاق فقالت للغلام: ادخل على أهلك الليلة ففعل، فأصبح في ثياب جدد وطيب، فلما رآه جذيمة قال: ما

هذا؟ قال: أنكحتني أختك البارحة، قال: ما فعلت؟ وجعل يضرب وجهه ورأسه وأقبل على رقاش وقال: [البحر الخفيف]

حدثيني وأنتِ غيرُ كذوبِ أبحرٌ زنيتِ أمْ بهجينِ
أم بعبدٍ وأنتِ أهلٌ لعبدٍ أم بدونٍ وأنتِ أهلٌ لدونِ

قالت: بل زوجتني كفواً كريماً من أبناء الملوك، فأطرق جذيمة، فلما رآه عدي قد فعل ذلك خافه وهرب ولحق بقومه فمات هناك، وعلقت منه رقاش وأتت بابن سماه جذيمة عمراً وتبناه وأحبه حباً شديداً وكان جذيمة لا يولد له، فلما ترعرع كان يخرج مع الخدم يجتنون للملك الكمأة، وكانوا إذا وجدوا كمأة خياراً أكلوها وأتوا بالباقي إلى الملك، وكان عمراً لا يأكل مما يجني ويأتي به كما هو ويقول: [البحر المنسرح]

هذا جناايَ وخيارُه فيه إذ كلُّ جانٍ يدُه إلى فيهِ

ثم إنه خرج يوماً وعليه حلي وثياب فاستطير ففقد زماناً فطلب في الآفاق فلم يوجد وأتى على ذلك ما شاء، ثم وجده مالك وعقيل بن فارج رجلان كانا متوجهين إلى جذيمة بهدايا، فبينما هما بواد في سماوة انتهى إليهما عمرو بن عدي وقد عفت أظفاره وشعره فسألاه: من أنت؟

فقال: أنا ابن التنوخية فلهيا عنه وقالا لجارية معهما: أطعمينا، فأطعمتهما فأشار عمرو إليها أن أطعميني فأطعمته ثم سقتهما، فقال عمرو: اسقيني، فقالت الجارية: لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع. ثم إنهما حملاه إلى جذيمة فعرفه وضمه وقبله وقال لهما: حكمتكما فسألاه منادمته فلم يزالا نديمه حتى فرق الموت بينهم، وبعث عمرو إلى أمه فأدخلته الحمام ولبسته وطوقته طوقاً كان له من ذهب، فلما رآه جذيمة قال: كبر عمرو عن الطوق.

قال المنصور: إن من بركتنا على المسلمين ارتفاع الطاعون عنهم في أيامنا، قال له بعض من حضر: أبى الله أن يجمع الطاعون والطاعون.

قال: ابن المهلبي: كنت عند المنتصر فدخل عليه الجماز وقد شاخ وهرم، فقال لي المنتصر: سله هل بقي فيه للنساء شيء؟

فسألته قال: نعم. قلت: ما هو؟

فقال: أقود عليهن، فضحك المنتصر حتى استلقى على قفاه.

بعض ما قيل في بدعة عشيقة إسحاق

قال: محمد بن الشائب كنت مع جماعة من الشعراء قصدنا إسحاق بن أيوب أمير الموصل والجزيرة مادحين له مؤملين فضله فلم يعطنا شيئاً وطال مقامنا، وكان إسحاق يعشق بدعة جارية غريب المأمونية، فقلت: والله لأخدعنه، فوقفت بين يديه يوماً وقلت: [البحر المنسرح]

تـدرونَ مـا قـالـتْ لأتـرابِـهـا   فـي الـبرّ مـنّـا بـدعـةُ الـعـالـمِ

فهش لمقالي وأقبل علي وقال: ويحك ما قالت؟ فقلت: [البحر المنسرح]

بـالله إن صـغـتـنَّ لـي خـاتـمـاً   فـانقشن إسحاق عـلى الـخـاتـمِ

قال: فارتاح وطرب وتهلل وجهه واهتز وقال: مليح والله ما قالت، وأمر لي بمائة دينار وفرس ومركب ثقيل وخلعة، فقال: هذا لك كل سنة ولم يعط أحدهم شيئاً. وكان لإسحاق غلام بديع الجمال فأهداه إلى بدعة، فكان يحمل عودها ويحضر معها، فقال فيه بعض شعراء ذلك العصر: [البحر الخفيف]

عـجـبَ الـنـاسُ مـن رفـاعـة إسـحـاقٍ وفـعـلٍ أتـاه غـيـرُ جـمـيـلِ
حـينَ أهـدى إلى الـغـزالـةِ ظـبـيـاً   ذا قـوامٍ لـدنٍ وخـدٌّ اثـيـلِ
أتـراهـا تـعـفُّ عـنـه إذا مـا   خـلـوا لـلـعـنـاقِ والـتـقـبـيـلِ
فـكـأنـي بـديـل بـدعـةَ قـد صـارَ   لـصـيـقـاً لـلـقـرطـقِ الـمـحـلـولِ
قـلـتُ لا تـعـجـبُـوا فـإنّ لـهُ   عذراً صحيح القياسِ غير عليلِ
بـعـدتْ دارُهـا وقـامَ عـلـيـه   فـاشـتـهـى أن يـنـيـكـهـا بـرسـولِ

قصص وحكايات قصيرة

قيل: تظلم أهل الكوفة إلى المأمون من وال كان عليهم فقال المأمون: كفوا فلا أرى أعدل منه في عمالي ولا أقوم. فقال المتظلم: إن كان له هذا الوصف فاجعل لكل بلد فيه نصيباً ليستوفي العدل، وإذا فعل أمير المؤمنين ذلك لم يكن نصيبنا أكثر من ثلاث سنين فعزله:

[البحر الطويل]

إذا أنتَ لم تطربْ ولم تدرِ ما الهوى   فكنْ حجراً من بالسِ الصخرِ جامدِ

اللهم أغنني عن شرار الناس

قال: رجل لابن عباس: ادع الله أن يغنيني عن الناس. فقال: إن حوائج الناس متصلة بعضها ببعض فما يستغني المرء عن بعض حوائجه، ولكن قل: اللهم اغنني عن شرار الناس.

خذوها من غير فقيه

سمع: أعرابي ابن عباس يقرأ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1] فقال

---
(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

الأعرابي: والله ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه.

البغلة تكفيني

قيل: لأمير المؤمنين عليه السلام وهو على بغلة له في بعض الحروب: لو اتخذت الخيل يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنا لا أفر عن من كرو لا أكر على من فر فالبغلة تكفيني.

كلكم خير منه

عن ابن عباس: قال: قدم على النبي صلى الله عليه وآله قوم فقالوا: إن فلاناً صائم الدهر قائم الليل كثير الذكر، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أيكم يكفيه طعامه وشرابه؟» فقالوا: كلنا. قال صلى الله عليه وآله: «كلكم خير منه».

قيل: من لم يستوحش من ذل السؤال لم يأنف عن لؤم الرد.

تفسير حديث مشكلُ

ومن الأخبار المشكلة: ما رواه شيخنا ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن عبد الله بن مسكان عمن رواه عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قال وأنا عنده لعبد الواحد الأنصاري في بر الوالدين في قول الله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1] فظننا أنها الآية التي في بني إسرائيل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾[2] فلما كان بعد سألته فقال: هي التي في لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾[3] حسناً ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[4] فقال: إن ذلك أعظم من أن يأمر بصلتهما وحقهما على كل حال ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فقال: لا بل يأمر بصلتهما وإن جاهداه على الشرك ما زاد حقهما إلا عظماً.

ولا يخفى: ما فيه من الاشكال: وقد أجاب عنه بعض المحققين بأن فيه تقديماً وتأخيراً، وفي بعضه تحريفاً وتبديلاً، وهو يقع في العبارات كثيراً، فإن قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مؤخر عن قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[5] إذ الإمام عليه السلام أجل من أن يقول لعبد الواحد في بر الوالدين ويذكر قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾[6] اه ثم يقول بعد ذلك الآية التي في لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾[7]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٨.
(٤) سورة لقمان، الآية: ١٥.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٤٠.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٨٣.
(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

إلى آخره، بل الأصل فيه - والله أعلم- قال: وأنا عنده لعبد الواحد الأنصاري في بر الوالدين في قوله تعالى فظننا أنها الآية التي في بني إسرائيل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ ونحو ذلك ليشتبه كثيراً إذا كان في آخر السطر أنه من السطر الأول أو الثاني ونحو ذلك والمراد أنه عليه السلام قد ذكر لعبد الواحد الأنصاري في بر الوالدين في قوله عز وجل من غير أن يبين له في أي موضع وسورة، فظن لذلك أن مراده عليه السلام الآية التي في بني إسرائيل.

ويحتمل أن يقال: فقال: إن ذلك أصله، فقلت: إن ذلك بقرينة قوله: بعد، فقال: لا، وحاصله أني قلت له عليه السلام: إن هذا عظيم وهو أنه كيف يأمر بصلتهما وحقهما على كل حال وإن وقعت منهم المجاهدة على الشرك والمعاندة على الكفر، فالخطاب حينئذٍ حكاية للفظ الآية الكريمة كما ترى.

فقال عليه السلام: لا أي ليس ذلك بعظيم ولا خطير كما ظننت بل الله عز وجل يأمر بصلتهما وحقهما وإن وقعت منهم المجاهدة على ذلك، فإن حصولها لا يسقط صلتهما ولا يمنع حقهما بل إنما يزيده عظماً، فحق الوالدين إذا لم يسقط مع المجاهدة على ذلك كان أعظم منه في عدم المجاهدة، وعلى هذا يكون «إن» في: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾[1] وصلية في كلام الراوي وإن كانت شرطية في الآية، وأما في كلام الإمام عليه السلام يحتمل كونها وصلية، وقوله عليه السلام: «فلا تطعهما» متفرع على ما تقدمه، وكونها شرطية أيضاً وجواب الشرط قوله: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ وأما لفظ «حسناً» فإما أن يكون زائداً من النساخ أو سهواً من الراوي، وقد وقع مثل ذلك مراراً كثيرة في الأحاديث الشريفة مما ليس في القرآن المجيد، وهم صلوات الله عليهم أعلم.

نعم هو مسطور في سورة العنكبوت وهي: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾[2] - انتهى ملخصاً.

منتخبات من نهج البلاغة

كتاب نهج البلاغة: قال عليه السلام: من أحد سنان الغضب لله قوي على قتل أشد الباطل. إذا هبت أمراً فقع فيه فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه. آلة الرياسة سعة الصدر. ازجر المسيء بثواب المحسن. احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك. من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع. اللجاجة تسل الرأي. الطمع رق مؤبد. ثمرة التفريط الندامة وثمرة الحزم السلامة، لا خير في الصمت كما لا خير في القول بالجهل، يابن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك. إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها فإن القلب إذا أكره عمي. وكان عليه السلام يقول: متى أشفي غيظي إذا غضبت حين أعجز عن الانتقام فيقال لي «لو

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٨. (٢) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

صبرت» أم حين أقدر عليه فيقال لي: «لو عفوت». إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة. لا يزهدنك في المعروف من ألا يشكر لك فقد يشكرك عليه، من لا يستمتع بشيء منه وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر والله يحب المحسنين. كل وعاء يضيق بما وضع فيه إلا وعاء فيه العلم فإنه يتسع. أول عوض الحليم من حلمه إن الناس أنصاره على الجاهل. إن لم تكن حليماً فتحلم فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم. من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر.

إجازة ابن فهد

صورة إجازة: الشيخ العالم الفقيه الشيخ أحمد بن محمد بن فهد (قدس سره).

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين: الحمد لله المنقذ من الحيرة والغواية، المرشد إلى سبيل الصواب والهداية، الشارع لعباده طريق الرواية ليصلوا إلى منهاج الحق والدراية، من تبليغ ما جاءت به رسله المكرمون وأنبياؤه وأئمته المعصومون، ليصل الحق إلى أقصى الأطراف والسبل، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وإزاحة لعلل المكلفين وتنبيهاً للغافلين ليصل السعيد إلى الحظ الأوفى، ولئلا يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[1]. وصلى الله على نبيه البشر النذير وآله المعصومين المخصوصين بآية التطهير والعلم الغزير، صلاة دائمة ما بقي التهليل والتكبير.

وبعد: فإن الله تعالى لما اقتضت حكمته جلت عظمته خلق المكلفين وأوجبت رأفته تكليف العالمين ليصلوا إلى السعادة الأبدية والنجاة السرمدية، واستحال ذلك في عدله بدون أعلامهم ما يريد منهم ويرضى به عنهم فبعث الرسل لتبليغ الإسلام ونصب الأمة لتعليم الأنام، ولما توقف ذلك على نقل الرواة وأخبار الثقات حث سبحانه على ذلك في الذكر المصون والكتاب المكنون فقال جل جلاله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2] وكان نقل الأحكام والآثار في الطبقة الأولى طوراً بالنقل والعمل وطوراً بالإفتاء والقول، وفيما بعدها من الطبقات للمشايخ والرواة طوراً بالحديث والرواية وطوراً بالسماع والإجازة وطوراً بالمناولة لتبقى السنة على التواتر ولا يغيرها الاندراس، وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذا فقال: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، ومن لم يفعل فعليه لعنة الله» ورغب في النقل فقال: «من حفظ من أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً».

وكان المولى الفقيه العالم العامل العلامة محقق الحقائق ومستخرج الدقائق الفاضل الكامل

(١) سورة طه، الآية: ١٣٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

زين الإسلام والمسلمين عز الملة والحق أبو الحسن علي بن يوسف المعروف بابن العسرة ممن أخذ من هذا القسم بالحظ الأولى وفاز بالسهم المعلى التمس من عندي إجازة ما رويناه من مشايخنا، ولم أك من أهل هذا الميدان ولا من فرسان الكلام والبرهان، ولولا تحتم إجابته وحذر الإجلال بطاعته لكون ذلك من باب الرواية وقد تقدم وجوب إشاعتها وتحريم كتمانها عن مستحقها لأحببت الإمساك عن ذلك لعي عبارتي وعدم براعتي وقلة بضاعتي، ولرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ولنبدأ أولاً بما نرويه مشافهة متصلاً.

فأقول: حدثني المولى السعيد العالم الفاضل الكامل أبو العز السيد جلال الدين عبد الله بن شرفشاه الحسيني قال: حدثني شيخي الإمام العلامة مولانا نصير الدين علي بن محمد القاشي قدس الله سره قال: حدثني جلال الدين ابن دار الصخر قال: حدثني الفقيه نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد قال: حدثني الفقيه ابن الجهم قال: حدثني المعمر السنبسي قال: سمعت من مولاي أبي محمد العسكري عليه وعلى آبائه وولده الصلاة والسلام يقول: أحسن ظنك ولو بحجر يطرح الله سره فيه فتتناول نصيبك منه. فقال: يا بن رسول الله ولو بحجر؟ فقال: ألا تنظر إلى الحجر الأسود.

ومن ذلك ما حدثني به السيد السعيد بهاء الدين علي بن عبد الحميد النسابة عن السيد السيد تاج الدين محمد بن محمد الحسني، عن الفقيه العالم الفاضل زين الدين علي بن الحسين بن حماد، عن المولى السعيد العالم الفاضل النسابة جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد بن التقي النسابة، عن أبيه عبد الحميد المذكور، عن أبيه المحدث العالم الورع الفاضل شمس الدين محمد المذكور، عن أبيه الجد السعيد المحدث العالم الفاضل الورع البارع عبد الحميد بن التقي النسابة المذكور، عن السيد الشريف أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن عمر العلوي الحسيني الزيدي نسباً العيسوي محتدى، عن الثقة أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن المنصور، عن أبي الخير المبارك عن عبد الجبار بن أحمد الصولي عن أبي الحسن علي بن أحمد الحراني القزويني عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان البزاز عن أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر بن سلمان الطائي عن أبيه أحمد المذكور عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه الإمام موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام عن أبيه الحسين السبط عن أبيه المفترض الطاعة على سائر الأنام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

لما بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله بتعليم الأذان أتاه جبرائيل عليه السلام بالبراق فاستصعب عليه ثم أتاه بدابة أخرى يقال لها (برقة) فاستصعب عليه فقال لها جبرائيل: اسكني يا برقة فما ركبك أكرم على الله منه فسكنت قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فركبتها حتى انتهيت إلى الحجاب التي يلي الرحمن عز ربنا وجل فخرج ملك من وراء الحجاب فقال: الله أكبر الله أكبر. قال: قلت: يا جبرائيل من هذا الملك؟

فقال: والذي أكرمك بالنبوة ما رأيت هذا الملك قبل ساعتي. فقال الملك: الله أكبر، فنودي من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر. فقال الملك: أشهد أن لا إلّه إلا الله فنودي من وراء الحجاب: صدق عبدي لا إله إلا أنا. فقال الملك: أشهد أن محمداً رسول الله، فنودي من وراء الحجاب: أنا أرسلت محمداً رسولاً. فقال الملك: حي على الصلاة، فنودي من وراء الحجاب: صدق عبدي ودعا إلى عبادتي. فقال الملك: حي على الفلاح، فنودي من وراء الحجاب: صدق عبدي ودعا إلى عبادتي. وقد أفلح من واظب عليها. قال رسول الله ﷺ يومئذٍ أكمل لي الشرف على الأولين والآخرين.

وحدثني السيد السعيد بهاء الدين علي بن عبد الحميد الحسيني أيضاً قال: اجتمعت بالشاعر الأستاذ الواعظ الخطيب يحيى بن النجل الزيدي وكان من أعيان فقهاء الزيدية وكان من المعمرين، قال: روى عن صالح بن عبد الله اليمني مولى بني سالم كان يحيى بن النجل قدم الكوفة ورأيته بها في شهور سنة أربع وثلاثين وسبعمائة هجرية عن أبيه عبد الله اليمني المذكور وأنه كان من المعمرين وأدرك سلمان الفارسي رضي الله عنه وأنه روى له عن النبي ﷺ أنه قال: حب الدنيا رأس كل خطيئة، ورأس العبادة حسن الظن بالله.

وأجزت له أيضاً أن يروي عني عن الشيخ الإمام العالم الفاضل الورع العلامة أبي محمد نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي عن شيخه الإمام المحقق المدقق أبي طالب فخر الدين محمد بن الحسن بن المطهر جميع مصنفات والده الإمام القمقام بحر العلوم أفضل العلماء الراسخين مكمل علوم الأولين والآخرين الإمام العلامة جمال الدين أبي منصور الحسن بن المطهر جميع مصنفاته الفقهية والكلامية وجميع ما صنفه من العلوم النقلية والعقلية وجميع ما صنفه ولده الإمام فخر المحققين، وأجزت له أيضاً أن يروي عني عن شيخي الإمام ظهير الدين علي بن يوسف بن عبد الخليل النيلي قدس الله روحه عن شيخه الإمام فخر الدين محمد بن الحسن بن المطهر جميع مصنفاتهما ومقروآتهما ومجازاتهما، ويروي عني أيضاً مصنفات شيخي ظهير الدين ومقروآته ومجازاته، وأجزت له أن يروي عني عن شيخي الإمامين الأكرمين النبيلين عن شيخهما عن أبيه الإمام العلامة جميع مصنفات الإمام العالم الفاضل المحقق المدقق الكامل أبي القاسم نجم الدين جعفر بن سعيد جميع مصنفاته في العلوم العقلية والنقلية، وأجزت له أن يروي عن الشيخين المذكورين بالطريق إليهما جميع مصنفات الإمام العلامة شيخ المذهب أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله سره في العلوم العقلية والنقلية من الفقه والتفسير والحديث وجميع كتب الشيخ الإمام المرتضى محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد جميع مصنفاته في سائر العلوم، وأجزت له أيضاً أن يروي عني عن الشيخ السعيد المرحوم زين الدين علي بن الحسن الخازن الحائري جميع مصنفات السعيد الشهيد أبي عبد الله محمد بن مكي قدس سره، وأجزت له أن يروي عني جميع ما صنفته من الكتب والرسائل والمسائل، فليرو ذلك لمن أشاء وأحب فهو أهل لذلك. والحمد لله رب العالمين والصلاة

والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين. وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد بن فهد في ثاني عشر شهر شعبان من سنة أربعين وثمانمائة هلالية هجرية. وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم.

ثم كتب بعد ذلك بخطه ما صورته: والعبد أقل من هذا المقام الذي أهلني له وندبني إليه، واسأل من مكارمه وأنعامه أن يجرينا على خاطره الكريم في أوقات دعواته وخلواته، ونسأل الله تعالى بأن يجعلنا من المؤمنين ومن شيعة أمير المؤمنين المخلصين جمعنا الله وإياه مع ساداتنا في الدنيا والآخرة أنه حقيق بتحقيق رجاء الراجين وأرحم الراحمين.

صورة إجازة الشهيد الأولُ

إجازة شيخنا الشيخ محمد بن مكي الشهيد الأول: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي مصير كل شيء إليه والمعول في كل مهم عليه، والصلاة على أحظى خلقه لديه محمد بن عبد الله النبي الأمي أفضل مصطفيه، وعلى آله الأولى حفظوا شريعته وأقاموا سنته صلاة تتزايد بتزايد الدهور وتتضاعف بتضاعف الأيام والشهور.

وبعد: فإن المعترف بنعم الله جل اسمه المغترف من تيار بحاره، المستوعب جميع أيامه في الأذعان بالقصور عن السير على ما يجب من شكره في سره وجهره، السائل من عميم فيضه وسيبه المدرار أن يعفو عنه ما اقترفه في سالفه أناء الليل وأطراف النهار محمد بن مكي سامحه الله في هفواته وغفر له خطياته يقول:

لما كان شرف الإنسان إنما هو بالعقل الذي امتاز به عن العجماوات وشابه به ملائكة السماوات وبالعلم الذي يستحق به رفيع الدرجات، ويفضل به على أبناء نوع من ذوي الجهالات، وكانت العلوم متعددة وأصنافها متبددة، وكان أشرفها وأفضلها العلم بالله تعالى وكمالاته وكيفية تأثيراته والعلم بكتابه العزيز وشرعه القويم وصراطه المستقيم المأخوذ عن خاتم الأنبياء وأفضل الأولين بطريق عترته الأئمة النجباء والبررة الأمناء عليهم السلام ما تعاقب الظلام والضياء واتبع الصباح المساء، وما يتوقف اتقان هذين العلمين عليه من المعقولات والمنقولات، وتلك العلوم هي العلوم الإسلامية والقوانين الشرعية صلوات الله على الصادع به وسلامه على أحمد عترته وأطايب صحابته، وكان الأخ في الله المصطفى في الأخوة المختار في الدين المولى الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المفتي صاحب المباحث السنية والأفهام الدقيقة العلية والفكرة الدقيقة المؤيد بتأييد رب العالمين شمس الملة والحق والدين أبو جعفر محمد ابن الشيخ الإمام العالم الزاهد العابد تاج الدين أبي محمد عبد العلا بن نجدة أسعده الله في أولاه وأخراه وأعطاه ما يتمناه، وبلغه ما يرضاه ممن أقبل على تحصيل الكمالات النفسانية وفاز بالسبق على أقرانه في الخصال المرضية، وانقطع بكليته إلى طلب المعالي ووصل يقظة

الأيام بإحياء الليالي حتى بلغ من آماله ما شرفه وعظمه وجعله من أعلام العلماء وأكرمه، وكان من جملة ما قرأه على العبد الضعيف عدة كتب فمنها: كتاب قواعد الأحكام معرفة الحلال والحرام قرأه وسمع معظمه، ومنه كتاب اللمع في النحو للإمام أبي الفتح عثمان بن الجني.

ومنه كتاب الخلاصة المنظوم للإمام العلامة ملك الأدباء جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك الطائي الجبائي قرأه حافظاً دارساً شارحاً باحثاً، وسمع كتباً كثيرة غير ذلك بقراءة غيره في فنون شتى مثل كتاب تحرير الأحكام الشرعية، وكتاب التلخيص والإرشاد، وكتاب المناهج في علم الكلام، وكتاب شرح النظم في علم الكلام، وكتاب شرح الياقوت في الكلام، وكتاب نهج المسترشدين كل ذلك من مصنفات الإمام الأعلم أستاذ الكل الملك في الكل جمال الملة والحق والدين أبي منصور الحسن بن المطهر الحلي رفع الله مكانه في جنته وجمع بينه وبين أحبته، وكتاب شرائع الإسلام، ومختصره للإمام السعيد فخر المذهب محقق الحقائق نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد شرف الله في الملأ الأعلى قدره واطلب في الدارين ذكره، ومن ذلك كتاب عيون أخبار الرضا عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والتحيات تأليف الشيخ الإمام الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه رحمه الله، ومن ذلك كتاب مختصر مصباح المتهجدين من مصنفات الشيخ الإمام الأعلم السعيد الموفق شيخ المذهب محيي السنن أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله وغير ذلك مما يطول عدده ويعسر حيطته.

وقد أجزت له أسبغ الله فضائله رواية جميع ما قرأه وسمعه علي ونقله واقرأه والعمل به عني من مشايخي الذين عاصرتهم وحضرت دروسهم واستفدت من أنفاسهم واقتبست من علومهم رضوان الله عليهم أجمعين، بل أجزت له جميع ما صنفه علماؤنا الماضون وسلفنا الصالحون من الطبقة التي عاصرتها إلى طبقات الأئمة المعصومين في جميع الأزمنة بالطرق التي لي إليهم على اختلافها، وأجزت له جميع ما رويته عن جميع مشايخنا أهل السنة شاماً وحجازاً وعراقاً وهو كثير، وأجزت له رواية جميع ما صنفته وألفته ونظمته في سائر العلوم التي شاركت فيها بعض أهلها فمما سمعه علي من مصنفاتي غاية المراد في شرح الإرشاد، والرسالة الألفية في فقه الصلاة، وخلاصة الاعتبار، في الحج والاعتمار ورسالة التكليف وغيرها.

وها أنا مثبت نبذة من الطرق إلى العلماء المذكورين وجاعل استيفاء ذلك مفوضاً إليه أدام الله نعمه عليه، وإلى ما عساه يتيسر لي في مستقبل الأوقات من الكتابة له والزيادة على ذلك: فأما مصنفات ابن المطهر قدس سره فأني رويتها من عدة من أصحابنا منهم المولى السيد الإمام المرتضى علم الهدى شيخ أهل البيت في زمانه عميد الحق والدين أبو عبد الله عبد المطلب بن الأعرج الحسيني طاب ثراه وجعل الجنة مأواه، ومنهم الشيخ الإمام سلطان العلماء منتهى الفضلاء والنبلاء خاتمة المجتهدين فخر الملة والدين أبو طالب محمد ابن الشيخ الإمام السعيد جمال الدين بن المطهر مد له في عمره مداً وجعل بينه وبين الحادثات سداً، ومنهم الشيخ الإمام الفقيه

المحقق والحبر المدقق زين الدين أبو الحسن علي بن طراد المطارباذي جميعاً عنه أعني الإمام جمال الدين بلا واسطة، وأجزت له دامت أيامه رواية مصنفات هؤلاء المذكورين أيضاً ومؤلفاتهم ومروياتهم عني وعنهم بلا واسطة.

وبهذا الإسناد عن الإمام جمال الدين مصنفات الإمام نجم الدين بن سعيد ﵀ ، ويرويها الإمامان الأولان عميد الحق والدين وفخر الحق والدين أيضاً عن الشيخ الإمام العلامة رضي الحق والدين علي بن المطهر عن الإمام نجم الدين أيضاً، ويرويها الإمامان الآخران رضي الدين وزين الدين عن الشيخ الإمام العلامة صفي الدين محمد بن سعيد عن الإمام نجم الدين أيضاً، ويرويها الإمام الأخير زين الدين عن الشيخ الإمام سلطان الأدباء ملك النظم والنثر المبرز في النحو والعروض تقي الدين أبي محمد الحسن بن داود عن الإمام نجم الدين أيضاً، ورواياتها عالياً عن الشيخ الإمام الخطيب المصقع البليغ جلال الدين محمد ابن الشيخ السعيد ملك الأدباء والشعراء والخطباء شمس الدين محمد الكوفي الهاشمي الحارثي عن الشيخ نجم الدين بلا واسطة.

وبالإسناد عن الشيخ جمال الدين جميع روايات الشيخ السعيد العلامة المغفور رئيس المذهب في زمانه نجيب الدين أبي زكريا يحيى بن الحسين بن سعيد صاحب الجامع وغيره.

وبالإسناد عن الشيخ جمال الدين مصنفات ومرويات الإمامين السعيدين المرتضيين السيدين الزاهدين العابدين البدلين الفريدين رضي الحق والدين أبي القاسم علي وجمال الدين أبي الفضائل أحمد بن طاوس الحسنيين سقى الله عهدهما صيب الغمام ونفعنا ببركتهما وبركة أسلافهما الكرام، وعن الشيخ جمال الدين مصنفات والده الإمام السعيد المعظم سديد الدين أبي المظفر يوسف بن المطهر.

وبالإسناد عن السيدين المذكورين نجم الدين ونجيب الدين ابني سعيد وسديد الدين بن المطهر مصنفات ومرويات الشيخ الإمام العلامة قدوة المذهب نجيب الدين أبي إبراهيم محمد بن نمى الحلي الربعي، ومصنفات ومرويات السيد السعيد العلامة إمام الأدباء والنساب والفقهاء شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي ﵀ ، وعن ابن نمى والسيد فخار مصنفات الإمام العلامة شيخ العلماء حبر المذهب فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إدريس ﵀ وعن السيد فخار بلا واسطة ونجيب الدين بن نمى ﵀ بواسطة الشيخ الإمام السيد أبي عبد الله محمد بن جعفر المشهدي ﵀ جميع مصنفات الشيخ شاذان بن جبرائيل نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله ﷺ ، وعن ابن إدريس مصنفات الشيخ الإمام السعيد أبي جعفر الطوسي بحق روايته عن عربي بن مسافر العبادي عن إلياس بن هشام الحائري عن المفيد أبي علي ابن الشيخ أبي جعفر الطوسي عن والده، ونرويها أيضاً عن شيخنا الإمام السعيد جلال الدين أبي محمد الحسن بن نمى ﵀ ، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد عن السيد الإمام المرتضى

السيد العلامة محيي الدين أبي حامد محمد بن زهرة الحسيني الحلبي الإسحاقي طاب ثراه، عن الشيخ الإمام السعيد رشيد الدين أبي جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني صاحب كتاب المناقب عن أبي الفضل الداعي والسيد الإمام ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي الحسني والشيخ أبي الفتوح أحمد بن علي الرازي والشيخ الإمام أبي عبد الله محمد وأخيه أبي الحسن علي ابني علي بن عبد الصمد النيسابوري وأبي علي محمد بن الفضل الطبرسي، جميعاً عن الشيخين أبي علي الحسن المفيد وأبي الرقا عبد الجبار المقري، كليهما عن الشيخ أبي جعفر الطوسي.

وبهذا الإسناد مصنفات الشيخ الإمام السعيد مرجع المذهب أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله عن الشيخ الطوسي عنه، وعن الشيخ الطوسي رحمه الله مصنفات الإمام السعيد المرتضى علم الهدى خليفة أهل البيت عليهم السلام أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي.

وبالإسناد عن الشيخ المفيد عن الشيخ الصدوق محمد بن بابويه جميع مصنفاته.

وأما مصنفات الإمام العلامة السعيد ملك الأدباء علامة الفضلاء أبي الحسن محمد الرضي جامع نهج البلاغة من كلام الإمام الرباني وارث علم الله وخليفته أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام فإني أرويها عن جماعة كثيرة منهم من تقدم إلى ابن شهرآشوب رحمه الله عن السيد الإمام أبي الصمصام ذو الفقار بن معد الحسيني المروزي عن السيد الرضي بواسطة أبي عبد الله محمد بن علي الحلوائي.

وأما مصنفات القاضي الإمام الحبر المحقق خليفة الشيخ أبي جعفر الطوسي في البلاد الشامية عز الدين عبد العزيز بن البراج قدس الله سره فإني أرويها بالطريق المذكور إلى السيد محيي الدين بن زهرة عن الشريف عز الدين أبي الحارث محمد بن الحسن الطوسي العلوي البغدادي عن الإمام الشيخ السعيد قطب الدين أبي الحسن الراوندي عن الشيخ أبي جعفر بن علي بن الحسن الحلبي عن القاضي ابن البراج رحمه الله.

وأما مصنفات الشيخ الإمام السعيد خليفة المرتضى رحمه الله في علومه أبي الصلاح تقي الدين بن نجم الحلبي فعن الشيخ سديد الدين أبي الفضل شاذان بواسطة محيي الدين بن زهرة والسيد فخار بحق روايته عن شاذان عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن عمر الطرابلسي عن القاضي عبد العزيز بن أبي كامل أبلسي عن الشيخ أبي الصلاح، وعن محيي الدين بن زهرة جميع مصنفات والده جمال الدين أبي القاسم عبد الله بن علي بن زهرة وعمه السيد الإمام المرتضى محمد بن أبي المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني صاحب كتاب الغيبة وكتاب نقض الفلاسفة وجواب المسائل البغدادية وغيرها.

وأما مصنفات الإمام الحبر العلامة عماد المذهب أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي نزيل الرملة البيضاء رحمه الله فإنا نرويها بالإسناد إلى أبي الفضل شاذان رحمه الله عن الشيخ الفقيه أبي محمد

ركان بن عبد الله الحشي عن القاضي عبد العزيز بن أبي كامل عن المصنف الكراجكي المذكور.

ولنذكر طريقاً واحد إلى سيدنا وسيد الأنبياء وسيد البشر وسيد الممكنات رسول الله ﷺ تبركاً وليكن آخر من أثبتناه من علماءنا آنفاً عن الشيخ الكراجكي رحمه الله قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد رحمه الله عن أحمد بن الوليد عن والده عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن أبي عمير عن عبد الله بن بكير عن زرارة بن أعين عن الإمام المعصوم أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على عشرة أسهم: شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة، والصلاة وهي الفريضة، والصوم وهو الجنة، والزكاة وهي المطهرة، والحج وهو الشريعة، والجهاد وهو العز، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وهو الحجة، والجماعة وهي الألفة، والعصمة وهي الطاعة.

وأما كتاب اللمع في النحو فرويته له عن الشيخ العلامة رضي الدين بن المزيدي عن والده جمال الدين أحمد عن الشيخ نجيب الدين يحيى عن الشيخ الأديب أبي البقاء العكبري وعن الشيخ العالم علي بن فرج السوراوي كليهما عن الشيخ زين الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي عن السيد النقيب هبة الله بن السمري الحسني عن السيد ابن المعمر يحيى بن هبة الله بن طباطبا الحسني عن القاضي أبو القاسم عمر بن ثابت التماسي النحوي عن المصنف.

وأما الخلاصة المالكية الألفية فإني رويتها له بحق قراءة بعضها وإجازة الباقي على الشيخ العلامة ملك النحاة شهاب بن أبي العباس أحمد بن الحسن الحنفي النحوي فيه الصخرة الشريفة بيت المقدس زاده الله شرفاً بحق قراءته على الشيخ الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري بمقام النبي إبراهيم الخليل عليه السلام عن الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن أبي الفتح الدمشقي عن ناظمها وراقم علمها ابن مالك رحمه الله.

ومما أرويه كتاب الجامع للصحيح تأليف الإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري عن عدة من العلماء منهم الشيخ الإمام العلامة المفضال فخر الحق والدين محمد بن الحسن بن المطهر الحلي، والشيخ الإمام العلامة شرف الدين محمد بن بكتاش البشري ثم البغدادي ثم الشافعي مدرس المدسة النظامية، والشيخ الإمام القاري ملك القراء والحفاظ شمس الدين محمد بن عبد الله البغدادي الحنبلي، والشيخ الإمام فخر الدين محمد بن الأعسر الحنفي والشيخ الإمام المصنف المدرس بالمستنصرية رضوان الله على منشئها شمس الدين أبو عبد الرحمن المالكي جميعاً عن الإمام الشيخ رحلة الأمصار رشيد الدين محمد بن أبي القاسم عبد الله بن عمر المقري شيخ رحلة دار الحديث بالمستنصرية رضوان الله على منشئها بحق سماعه على الإمام أبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبه القلانسي الصفوي بحق سماعه عن ابن

الموقب عبد الأولى بن عيسى السنجري، سماعه على أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي، بسماعه من أبي محمد عبد الله بن حمويه الحموي السبرخشي، بسماعه على أبي عبد الله محمد العزيزي، بسماعه على البخاري قال: حدثنا مكي بن إبراهيم نبأنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: من يقل ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار. وهذا الحديث من الثلابيات وسمعتها تقرأ على الشيخ الإمام المحدث سراج الدين الدمنهوري تجاه الكعبة الشريفة وأجاز لي روايتها ورواية جميع الكتاب عن مشايخه إلى البخاري.

وأما صحيح الإمام العلامة المحدث مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري فإني أرويه عن الشيخ شرف الدين الشافعي المذكور عن الإمام المحدث الرحالة عفيف الدين محمد بن عبد المحسن عرف بابن الخراط وبابن الدوالبي، بسماعه عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر بن عبد الكريم المباذتيني، بسماعه على أبي الحسن المؤبدي ومحمد بن علي الطوسي بإسناد عن الإمام مسلم.

فليرو الشيخ شمس الدين محمد جميع ما ذكرته وغيره لمن شاء، وكتب أصغر العباد محمد بن مكي عاشر شهر رمضان المعظم قدره سنة سبعين وسبعمائة حامداً مصلياً ومسلماً. آخر كلامه رحمه الله والحمد لله وحده.

صورة إجازة الشهيد الثاني

إجازة شيخنا الشهيد الثاني للشيخ حسين بن عبد الصمد قدس سره: بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين. الحمد لله الذي أوضح للأنام سبل الإكرام وجعل الرواية ذريعة إلى درك الأحكام، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا محمد الداعي إلى دار السلام، وعلى آله الكرام وأعلام الأنام وأصحابه العظام.

وبعد: فإن العبد الضعيف المفتقر إلى عفو ربه تعالى زين الدين بن علي بن أحمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح بن مشرف العاملي وزعه الله تعالى شكر نعمته وتولاه بفضله ورحمته يقول: إنه قد تطابق شاهد العقل وهو الذي لا يبدل وشاهد الشرع وهو المزكى المعدل على أن أرجح المطالب وأربح المكاسب وأنجح المأرب هو العلم الذي يمتاز به الإنسان من ذوي الجهالات ويضاهي به ملائكة السماوات ويستحق به رفيع الدرجات، وإن أشرف أنواعه العلم به سبحانه وما يلحقه من الكمالات ومعرفة سفرائه وما يتبعه من تفصيل الأحوال، وهو المعبر عنه بعلم الكلام على قانون الأسلام، ثم معرفة كتابه الكريم وشرعه القويم المأخوذ على سيد المرسلين وعترته الأكرمين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما يتوقف عليه من العلوم العقلية والأدبية وهي العلوم الإسلامية التي قد استقرت عليها حكمة المالك الجليل وأمن أن

يعتريها تغيير أو تبديل، وقد نصب الله سبحانه عليها دليلاً لا يعول إلا عليه وباباً لا يؤتى إلا منه، وكان من أهم ما أرشد إليه هو الإخبار عن سفرائه حسب ما دل عليه، وكان السلف رضوان الله عليهم همهم أبداً رعاية الأخبار بالهمم العالية والفطن الصافية تارة بالحفظ لما يروونه والفرق بين ما يقبلونه أو يردونه وأخرى بالتصنيف والإقراء والرواية على أكمل وجوه الرعاية، ثم درست عوائد التوفيق وطمست فوائد التحقيق وذهبت معالم الشريعة النبوية في أكثر الجهات وصارت الأحكام المصطفوية في حيز الشتات وبقي الأمر كما تراه يروي إنسان هذا الزمان ما لا يحقق معناه ولا يعرف من رواه. [البحر الطويل]

كأنْ لم يكن بين الحجونِ إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسمرْ بمكةَ سامرُ

والله سبحانه لم يبعثهم لهذا التضييع ولا خلقهم للانهماك في هذا الجهل الفظيع، فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأما نحن فضيلتنا الاعتراف بالتقصير ونسبتنا إلى تلك المفاخر نسبة الحقير إلى الكبير، لكن لكل جهده بحسب زمانه وقوة جنانه.

ثم إن الأخ في الله المصطفى في الآخرة المختار في الدين المترقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين الشيخ الإمام الأوحد ذا النفس الطاهرة الزكية والهمة الباهرة العلية والأخلاق الزاهرة الانسية عضد الإسلام والمسلمين عن الدنيا والدين الشيخ حسين ابن الشيخ الصالح العالم العامل المتقي خلاصة الإخوان الشيخ عبد الصمد ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الشهير بالجبعي الحارثي الهمداني - أسعد الله جده وجده وسعده وكبت عدوه وضده ووفقه للعروج على معارج العالمين وسلوك مسالك المتقين - ممن انقطع بكليته إلى طلب المعالي، ووصل يقظة الأيام بإحياء الليالي، حتى أحرز السبق في مجاري ميدانه، وحصل بفضله السبق على سائر أقرانه، وضرب برهة جميلة من زمانه في تحصيل هذا العلم، وحصل منه على أكمل نصيب وأوفر سهم، فقرأ على هذا الضعيف وسمع كتباً كثيرة في الفقه والأصولين والمنطق وغيرها، فمما قرأه من كتب أصول الفقه مباديء الوصول وتهذيب الأصول من مصنفات الداعي إلى الله تعالى جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر قدس سره وشرح جامع البين في مسائل الشرحين للشيخ الإمام الأعلم شمس الدين محمد بن مكي عرج الله بروحه إلى دار القرار وجمع بينه وبين أئمته الأطهار، ومن كتب المنطق رسائل كثيرة منها الرسالة الشمسية للإمام نجم الدين الكاشي القزويني وشرحها للإمام العلامة سلطان المحققين والمدققين قطب الدين محمد بن محمد بن أبي جعفر بن بابويه الرازي أنار الله برهانه وأعلا في الجنان شانه، وسمع من كتب الفقه كتاب الشرائع والإرشاد، وقرأ جميع كتاب قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام من مصنفات شيخنا الإمام الأعلم أستاذ الكل في الكل جمال الدين أبي منصور الحسن ابن الشيخ سديد الدين يوسف بن المطهر شرف الله قدره ورفع في العليين ذكره قراءة مهذبة محققة جمعت بين تهذيب المسائل وتنقيح الدلائل حسب ما وسعته الطاقة واقتضاه الحال، وقرأ وسمع كتباً أخرى.

وقد أجزت له أدام الله نسله وكثر في العلماء مثله رواية جميع ما قرأه وسمعه علي واقرأه والعمل به عن مشايخي الذين عاصرتهم واستفدت من أنفاسهم أو اتصلت الرواية بهم، بل أجزت له رواية جميع ما صنفه ورواه وألفه علماؤنا الماضون وسلفنا الصالحون من جميع العلوم النقلية والعقلية والأدبية والعربية بالطرق التي لي إليهم وجميع ما رويته عنهم وعن غيرهم متى علم أنه داخل تحته، وإنني مثبت بعض الطرق إلى أعيان العلماء ومشاهيرهم وجاعل استيفاء ذلك إليه أسبغ الله نعمه وفضله عليه متى ثبت عنده إنه طريقي إليهم رضوان الله تعالى عليهم.

فأما مصنفات شيخنا الإمام الأعظم محيي الدين ومظهر ما درس من سنن سيد المرسلين ومحقق حقائق الأولين والآخرين الإمام السعيد أبي عبد الله الشهيد محمد بن مكي بن محمد بن حامل العاملي قدس الله روحه ونور ضريحه فإني أرويها عن عدة مشايخ بطرق عديدة أعلاها سنداً عن شيخنا الإمام الأعظم بل الوالد المعظم شيخ فضلاء الزمان ومربي العلماء الأعيان الشيخ الجليل الفاضل المحقق العابد الزاهد الورع التقي نور الدين علي بن عبد العالي الميسي العاملي رفع الله مكانه في جنته وجميع بينه وبين أحبته بحق روايته عن الشيخ الإمام السعيد ابن عم الشهيد شمس الدين محمد بن محمد بن داود الشهير بابن المؤذب الجزيني عن الشيخ ضياء الدين عن نجل الشيخ الجليل السعيد شمس الدين محمد بن محمد عن والده قدس الله أرواحهم الزاكية الطاهرة وجمع بينهم وبين أئمتهم الزاهرة.

وبهذا الإسناد جميع مصنفات علمائنا السابقين من الطبقة التي عاصرتها إلى طبقة الأئمة المعصومين في جميع الأزمنة بالطرق التي له إليهم، وأرويها أيضاً بالإسناد إلى الشيخ شمس الدين بن داود عن الشيخ أبي القاسم علي بن علي عن الشيخ شمس الدين العريضي عن السيد حسن بن أيوب الشهير بابن نجم الدين الأعرج الحسيني عن الشهيد رحمهم الله، وعن الشيخ شمس الدين المذكور عن الشيخ عز الدين بن الحسن بن العشرة عن الشيخ الصالح الزاهد العابد جمال الدين أحمد بن فهد عن الشيخ زين الدين علي بن الخازن الحائري عن الشهيد ﵀، وعن الشيخ شمس الدين بن داود عن السيد الأجل المحقق السيد علي بن قمقام الحسيني عن الشيخ الفاضل المحقق شمس الدين محمد بن شجاع القطان عن الشيخ المحقق أبي عبد الله المقداد بن عبد الله السيوري الحلي الأسدي عن الشهيد ﵀ بهذا الإسناد عن المقداد جميع مصنفاته.

وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد جميع مصنفاته.

وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ عز الدين بن العشرة عن الشيخ شمس الدين محمد بن نجدة الشهير بابن عبد العالي عن الشهيد، وأرويها أيضاً عن شيخنا الأجل الأعظم الفقيه الكبير العالم فخر السيادة وبدرها ورئيس الفقهاء وأبو عذرها السيد حسن ابن السيد جعفر ابن السيد فخر الدين بن السيد حسن بن نجم الدين بن الأعرج الحسيني عن شيخنا الجليل نور الدين علي بن عبد العالي بطرقه، وعن السيد بدر الدين حسن المذكور جميع ما صنفه وأملاه وأنشأه فما صنفه

كتاب المحجة البيضاء والحجة الغراء جمع فيه من فروع الشيعة والحديث والتفسير والآيات الفقهية عندنا منه كتاب الطهارة أربعون كراساً، ومن مصنفاته كتاب عمدة الجليلة في الأصول الفقهية قرأنا ما خرج عليه منه ومات ﷺ قبل إكمالها، ومنها كتاب مقنع الطلاب فيما يتعلق بكلام الأعراب وهو كتاب حسن الترتيب ضخم في النحو والتصريف والمعاني والبيان مات ﷺ قبل إكمال القسم الثالث منه، ومنها كتاب شرح الطيبة الجزرية في القراءات العشر، وليس له رواية كتب الأصحاب إلا عن شيخنا المذكور فأدخلناه في الطريق تيمناً به قدس الله روحه الزكية وأفاض على تربته المراحم الإلّهية.

وأرويها أيضاً عن الشيخ الإمام الحافظ المتقي خلاصة الأتقياء والفضلاء والنبلاء الشيخ جمال الدين أحمد بن الشيخ شمس الدين محمد بن خاتون عن والده الشيخ شمس الدين محمد عن الشيخ جمال الدين أحمد ابن الحاج علي شهير بذلك عن الشيخ زين الدين جعفر بن الحسام عن السيد حسن بن نجم الدين عن الشهيد ﷺ، وعن الشيخ جمال الدين أحمد وجماعة من الأصحاب الأخيار عن الشيخ الإمام المحقق المنقح المدقق نادرة الزمان ويتيمة الأوان الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الكركي قدس الله تعالى روحه عن الشيخ الإمام الأعظم نور الدين علي بن هلال الجزائري عن الشيخ جمال الدين بن فهد عن الشيخ علي بن الخازن الحائري عن الشهيد السعيد شمس الدين محمد بن مكي قدس الله روحه وأرواحهم أجمعين بمحمد وآله الطاهرين عن مشايخه مفصلاً.

وبهذه الطرق وغيرها التي لنا إلى الشيخ شمس الدين الشهيد جميع ما صنفه وألفه ورواه وأجازه في مسائل العلوم على اختلافها وتباين أوصافها الشيخ الإمام العلامة سلطان العلماء وترجمان الحكماء جمال الملة والدين الحسن ابن الشيخ الإمام سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر قدس الله روحه عن جماعة من تلامذته عنه منهم ولده الشيخ الإمام العالم المحقق فخر الدين أبو طالب محمد، والسيد الجليل الطاهر ذو المجدين المرتضى عميد الدين عبد المطلب ابن السيد مجد الدين أبي الفوارس محمد بن علي بن الأعرج الحسيني العبيدي، والسيد العالم الإمام العلامة النسابة المرتضى النقيب تاج الدين أبو عبد الله محمد بن القاسم بن معية الحسني الديباجي، والسيد الجليل العريق الأصيل أبو طالب أحمد بن أبي محمد بن محمد بن الحسن بن زهرة الحلبي، والسيد الكبير العالم نجم الدين سلطان المحققين وأكمل المدققين قطب الملة والدين محمد بن محمد الرازي صاحب شرح المطالع والشمسية وغيرهما، والشيخ الإمام العلامة ملك الأدباء والفضلاء رضي الدين أبو الحسن علي ابن الشيخ جمال الدين أحمد بن يحيى المعروف بالمزيدي، والشيخ الإمام المحقق زين الدين أبو الحسن علي بن طراد المطاربادي وغيرهم عن العلامة جمال الدين ﷺ، وعن هؤلاء الجماعة جميع مصنفاتهم ومؤلفاتهم ورواياتهم عنه وعن غيره من المشايخ، وأروي مصنفات وروايات السيد تاج الدين بن معية المذكور بغير واسطة.

وأما ضياء الدين علي فبالإسناد إلى الشيخ شمس الدين بن داود عنه. وأما أبو طالب محمد فبالإسناد إلى الشيخ عز الدين بن العشرة عنه، ورأيت خط هذا السيد المعظم بالإجازة لشيخنا السعيد شمس الدين محمد بن مكي ولولديه محمد وعلي ولأختهما أم الحسن فاطمة المدعوة بست المشايخ ولجميع ممن أدرك جزءاً من حياته بجميع ذلك عن مشايخه منهم الشيخ جمال الدين العلامة، والسيد مجد الدين أبو الفوارس محمد بن علي الأعرج، والسيد ضياء الدين وعميد الدين رحمهما الله تعالى والسيد الجليل النسابة علم الهدى والدين المرتضى ابن السيد جلال الدين عبد الحميد بن السيد النسابة الطاهر الأوحد فخار بن معد الموسوي، والسيد رضي الدين علي بن السيد غياث الدين عبد الكريم ابن السيد جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن طاوس الحسيني، والسيد كمال الدين الحسن بن محمد الأوي الحسيني، والشيخ صفي الدين محمد بن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، والشيخ جمال الدين يوسف بن حماد. والشيخ جلال الدين محمد بن الكوفي، وغيرهم عن مشايخهم وجميع مصنفات هؤلاء ومؤلفاتهم، وبالإسناد إلى الشيخ أبي طالب محمد والد شيخنا الشهيد جميع مصنفات ومرويات والده والشيخ فخر الدين بن المطهر عنه بغير واسطة إجازة سبقت منه إليه.

وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ رضي الدين علي بن أحمد الزيدي وزين الدين علي بن طراد المطرباذي جميع مصنفاته ومرويات الشيخ الفقيه الأديب النحوي العروضي ملك الأدباء والشعراء تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي صاحب التصانيف الغزيرة والتحقيقات الكثيرة التي من جملتها كتاب الرجال سلك فيه مسلكاً لم يسبقه إليه أحد من الأصحاب ممن وقف عليه علم جلية الحال فيما أشرنا إليه، وله من التصانيف في الفقه نظماً ونثراً مختصراً ومطولاً وفي المنطق والعربية والعروض وأصول الفقه نحواً من ثلاثين مصنفاً كلها في غاية الجودة بالطرق التي له إلى العلماء السابقين، وقد ذكر بعضها في كتاب الرجال، وعنه قدس الله سره جميع مصنفات ومرويات السيد الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن موسى بن جعفر بن طاوس الحسيني مصنف، كتاب بشرى المحققين في الفقه ست مجلدات، وكتاب ملاذ علماء الإمامية في الفقه أربع مجلدات، وكتاب حل الإشكال في معرفة الرجال، وهذا كتاب عندنا موجود بخطه المبارك وغيرها من الكتب تمام اثنين وثمانين مجلداً كلها من أحسن التصانيف وأحقها قدس الله سره وروحه الزاكية، وجميع مصنفات ومرويات السيد غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاوس صاحب المقامات والكرامات وغيرهم.

وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر مشايخ هؤلاء الأفاضل واتصالهم بمن تقدم، وعن السيد غياث الدين جميع مصنفات ومرويات الإمام السيد المحقق سلطان الحكماء والفقهاء والوزراء نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي بالإسناد المتقدم عن العلامة جمال الدين بن المطهر عنه أيضاً، وعن السيد غياث الدين أيضاً وإنما أفردنا هما هنا عن مشايخ الشيخ جمال الدين لفائدة ما.

وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ رضي الدين علي بن أحمد المزيدي جميع ما رواه عن مشايخه مضافاً إلى الشيخ جمال الدين العلامة فمنهم الشيخ الصالح العالم شمس الدين محمد بن أحمد بن صالح السبيي القيني تلميذ السيد فخار بن معد الموسوي ومنهم السيد رضي بن معية الحسني، ومنهم الشيخ الإمام العلامة فخر الدين أبو الحسن علي بن يوسف البوفي اللغوي، والشيخ العالم صفي الدين محمد بن نجيب الدين يحيى بن سعيد، والشيخ تقي الدين الحسن بن داود، والشيخ الإمام الأعلم شيخ الطائفة وملاذها شمس الدين محمد بن جعفر بن نمى الحلي المعروف بابن البريسمي، ومنهم والده السعيد جمال الدين أحمد بن يحيى المزيدي وغيرهم عن مشايخهم بطرقهم إليهم وعن هؤلاء المشايخ جميع مصنفاتهم ومروياتهم.

وبالإسناد المتقدم إلى السيد المرتضى عميد الدين عبد المطلب جميع ما يرويه عن والده السيد مجد الدين أبي الفوارس محمد بن علي الأعرج تلميذ الشيخ يحيى بن سعيد والشيخ مفيد الدين محمد بن جهم وغيرهما، وجميع ما رواه عن جده السعيد فخر الدين علي والسيد فخر الدين يروي عن السيد جلال الدين عبد الحميد ابن السيد فخار عن والده وغيرهم، وجميع ما رواه عن الشيخ رضي الدين علي ابن الشيخ سديد الدين يوسف بن المطهر قدس الله روحه، وبالإسناد إلى الشيخ الإمام العلامة فخر الدين بن المطهر جميع ما رواه مضافاً إلى والده السعيد جمال الدين عن عمه الإمام رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر عن والده سديد الدين يوسف والشيخ نجم الدين جعفر بن سعيد وغيرهما.

وأما مصنفات ومرويات الشيخ الإمام الفاضل العلامة جمال الدين الحسن بن المطهر فإنا نرويها بطرق أخرى مضافة إلى ما تقدم منها عن شيخنا السعيد بدر الدين علي بن عبد العالي الميسي عن الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد الصيهوني عن الشيخ المحقق جمال الدين أحمد الشهير بابن الحاجي علي عن الشيخ زين الدين جعفر بن الحسام عن السيد الجليل حسن بن أيوب الشهير بابن نجم الدين الأعرج الحسيني عن السيدين الفقيهين الأبرين ضياء الدين عبد الله بن محمد بن علي بن الأعرج وأخيه السيد عميد الدين عبد المطلب وعن الشيخ فخر الدين أبي طالب جميعاً عن العلامة جمال الدين، وعن شيخنا السعيد المذكور عن الشيخ شمس الدين بن داود عن الشيخ زين الدين أبي القاسم علي بن علي عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله العريضي عن السيد بدر الدين حسن بن نجم الدين عن المشايخ الثلاثة ضياء الدين، وعميد الدين وفخر الدين جميعاً عن العلامة جمال الدين، وعن الثلاثة رضوان الله عليهم جميع مصنفاتهم، وعن الشيخ شمس الدين محمد بن داود عن الشيخ عز الدين حسن بن العشرة عن الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد الحلي عن الشيخ عبد الحميد النيلي عن المشايخ الثلاثة عن العلامة، وعن الشيخ شمس الدين الصيهوني عن الشيخ عز الدين حسن بن العشرة عن الشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي عن الشيخ أبي طالب فخر الدين بن المطهر عن والده العلامة، ومنها عن الشيخ الجليل المتقن جمال الدين أحمد ابن الشيخ شمس

الدين محمد بن خاتون وغيره من صالحي الأصحاب عن الشيخ الإمام ملك العلماء والمحققين الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الكركي المؤيد الغروي الخاتمة عن الشيخ الجليل نور الدين علي بن هلال عن الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد الحلي عن الشيخ نظام الدين عبد الحميد النيلي عن المشايخ الثلاثة عن العلامة وعن الشيخ جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي ﷺ وعن العلامة عن والده الشيخ سديد الدين يوسف وعن الشيخ المحقق نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن السعيد الحلي وابن عمه الشيخ نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد والشيخ معيد الدين محمد بن جهيم الأسدي الحلي والسيدين الإمامين السعيدين الزاهدين العابدين البدلين رضي الدين أبي القاسم علي وجمال الدين أبي الفضائل أحمد ابني موسى بن جعفر بن محمد الطاوس الحسني جميع مصنفاتهم ومؤلفاتهم ورواياتهم بغير واسطة.

وأروي مصنفات الشيخ المحقق نجم الدين جعفر بن سعيد عالياً عن شيخنا الشهيد عن الشيخ الإمام البليغ جمال الدين محمد ابن الشيخ الإمام ملك الأدباء شمس الدين محمد الكوفي الهاشمي الحارثي عن الشيخ نجم الدين بلا واسطة وأرويها أيضاً عن الإمامين عميد الدين وفخر الدين عن الشيخ رضي الدين يوسف بن المطهر عن المحقق.

وأرويها أيضاً بالإسناد المتقدم عن السيد تاج الدين بن معية الحسني والشيخ رضي الدين علي بن أحمد المزيدي والشيخ زين الدين علي بن طراد المطربادي جميعاً عن الشيخ صفي الدين محمد بن يحيى بن سعيد عن عمه المحقق نجم الدين ﷺ، وعن الجماعة كلهم رضوان الله عليهم جميع مصنفات ومرويات الشيخ الإمام العلامة قدوة المذهب نجيب الدين أبي إبراهيم محمد بن جعفر أبي البقاء هبة الله بن نمي الحلي ومصنفات ومرويات السيد العلامة المرتضى إمام الأدباء والنساب والفقهاء شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي ومصنفات ومرويات الشيخ العلامة قدوة المذهب السيد السعيد محيي الدين أبي حامد محمد بن القاسم عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني الصافي الحلبي وعن المشايخ الثلاثة جميع مصنفات ومرويات الشيخ الإمام العلامة المحقق فخر الدين أبي عبد الله محمد بن إدريس الحلي ومصنفات ومرويات الشيخ السعيد سديد الدين أبي جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني صاحب كتاب المناقب وغيره ومصنفات ومرويات الشيخ الإمام العالم أبي الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل القمي نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله ﷺ كل ذلك بغير واسطة متروكة إلا في الشيخ نجيب الدين بن نمى نروي عن شاذان بن جبرائيل بواسطة الشيخ السعيد أبي عبد الله محمد بن جعفر المشهدي.

وبالإسناد عن السيد فخار وجميع مصنفات الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي بن البطريق الحلي الأسدي صاحب كتاب العمدة وغيره ورواياته، وجميع مصنفات الشيخ الإمام المحقق الضابط

البارع عميد الدين هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب عنهما بغير واسطة، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن إدريس جميع مصنفات السيد الطاهر أبي المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحلبي صاحب كتاب غنية الشروع في الأصوليين والفروع وغيره، وعن جنيه محيي الدين محمد المتقدم عنه أيضاً، وجميع مصنفات ومرويات الشيخ عربي بن مسافر العبادي الشيخ نجم الدين عبد الله بن جعفر الدوريسي، وعن الشيخ شاذان بن جبرائيل جميع مصنفات، ومرويات الشيخ الجليل أبي عبد الله جعفر بن محمد الدوريسي تلميذ الشيخ المفيد، وصاحب كتاب الكفاية في العبادات وكتاب الاعتقاد وغيرهما، وعن شاذان عن الشيخ الفقيه عبد الله بن عمر والطرابلسي عن القاضي عبد العزيز بن أبي كامل عن الشيخ أبي الفتح محمد بن عثمان الكراجكي نزيل الرملة جميع تصانيفه، وعن شاذان عن الشيخ الفقيه أبي محمد ريحان بن عبد الله الحبشي عن القاضي عبد العزيز بن أبي كامل عن الشيخ أبي الفتح الكراجكي أيضاً، وعن القاضي عبد العزيز أيضاً جميع مصنفات الشيخ الفقيه السعيد خليفة المرتضى في البلاد الحلبية أبي الصلاح التقي بن نجم الحلبي وعن الشيخ شاذان، وعن أبي القاسم العماد محمد بن أبي القاسم الطبري مصنفات ومرويات الشيخ الفقيه أبي علي الحسن بن الشيخ الإمام شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وعن أبي علي مصنفات ومرويات والده الشيخ أبي جعفر ﷺ التي من جملتها كتاب التهذيب والاستبصار وغيرهما من كتب الحديث والأصول والفروع، وعن الشيخ أبي جعفر مصنفات ومرويات السيد المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي ومصنفات ومرويات أخيه السيد رضي الدين من جملتها كتاب نهج البلاغة ومصنفات الشيخ سلار بن عبد العزيز الديلمي، ومصنفات ومرويات الشيخ أبي عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري التي من جملتها كتاب الرجال ومصنفات ومرويات الشيخ الجليل الضابط أبي عمر الكشي بواسطة الشيخ الجليل هارون بن موسى التلعكبري وجميع مصنفات ومرويات الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ﷺ وعن الشيخ المفيد ﷺ جميع مصنفات ومرويات الشيخ الإمام العالم الفقيه الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ومصنفات ومرويات الشيخ الفقيه أبي القاسم جعفر بن قولويه وعن الصدوق أبي جعفر جميع مصنفات والده علي بن الحسين وعن ابن قولويه جميع مصنفات، ومرويات الشيخ الإمام شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني التي من جملتها كتاب الكافي وهو خمسون كتاباً بالأسانيد التي فيه لكل حديث متصلة بالأئمة ﷺ.

وطريق آخر إلى الشيخ المفيد ومن قبله أعلى من ذلك وعن السيد فخار بن معد الموسوي المتقدم عن شاذان بن جبرائيل عن جعفر الدوريسي عن المفيد وعن الدوريسي عن أبي محمد عن الصدوق بن بابويه وعن الشيخ شاذان بن جبرائيل عن السيد أحمد بن محمد الموسوي عن ابن قدامة عن الشريف المرتضى وأخيه السيد الرضي وعن الشيخ جعفر بن محمد الدوريسي عن الرضي أيضاً وعن أخيه المرتضى.

وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ المحقق المعظم خواجة نصير الدين الطوسي عن أبيه عن السيد فضل الله الحسني عن المرتضى الرازي عن جعفر بن محمد الدوريسي عن السيد الرضي.

وبالإسناد المتقدم إلى السيد غياث الدين أحمد بن طاوس عن السيد جمال الدين عبد الحميد ابن السيد فخار بن معد الموسوي عن الشيخ برهان الدين القزويني عن السيد هبة الله بن السخري البحري عن ابن قدامة عن السيد الرضي.

وبالإسناد المتقدم إلى شيخ رشيد الدين محمد بن شهرآشوب السروي المازندراني عن السيد المسمى بابن المزيدي كسايكن الحسيني البحرجاني عن السيد الرضي عن ابن شهرآشوب عن السيد فضل الله بن علي الراوندي عن عبد الجبار المقري عن أبي علي عن والده عن السيد الرضي ﷺ وعن ابن شهرآشوب عن السيد أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسني المروزي عن الشيخ ابن عبد الله محمد بن علي الحلواني عن السيد ابن السعيد بن البدلين وعلي ومحمد المرتضى والرضي قدس الله روحيهما ونور ضريحهما، وعن السيد أبي الصمصام الحسني مصنفات الشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس التي من جملتها كتاب الرجال وعن النجاشي مصنفات الشيخ أبي عبد الله الحسين بن عبد الله الغضائري صاحب كتاب الرجال وغيره.

هذا ما اقتضاه الحال من ذكر الطريق المشترك من الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم، ولنا إلى الشيخ السعيد أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه طرق أخرى مضافة إلى ما تقدم، فمنها السيد رضي الدين علي بن طاوس الحسيني عن الشيخ حسين بن أحمد السوراوي عن محمد بن القاسم الطبري عن الشيخ أبي علي عن والده الشيخ أبي جعفر، وعن السيد رضي الدين عن الشيخ علي بن يحيى الحناط عن عربي بن مسافر العبادي عن محمد بن القاسم الطبري عن أبي علي عن والده، وعن السيد رضي الدين طاوس المذكور عن أسعد بن عبد القاهر الأصفهاني عن أبي الفرج عن أبي الحسين الراوندي عن أبي جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلي عن الشيخ أبي جعفر، وعن السيد رضي الدين عن السيد محيي الدين أبي حامد محمد بن زهرة الحلبي عن الشيخ أبي الحسن يحيى بن الحسن بن البطريق الأسدي عن العماد محمد بن القاسم الطبري عن الشيخ أبي علي عن والده.

وبالإسناد المتقدم إلى الإمام السعيد خواجة نصير الدين الطوسي عن والده عن السيد فضل الله الراوندي عن السيد المجتبى ابن الداعي عن الشيخ أبي جعفر.

وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ العلامة جمال الدين بن المطهر عن والده عن الشيخ يحيى بن محمد بن الفرج السوراوي عن الفقيه الحسين بن هبة الله بن رطبة عن أبي علي عن والده، وعن الشيخ جمال الدين عن والده عن السيد أحمد بن يوسف العريضي العلوي عن برهان الدين محمد بن محمد الهمداني القزويني عن السيد فضل الله بن علي الراوندي عن السيد عماد الدين أبي الصمصام ذي الفقار بن معبد الحسني عن الشيخ أبي جعفر.

وبالإسناد المتقدم إلى شيخنا الشهيد رحمه الله عن الشيخ رضي الدين علي بن أحمد المزيدي رزين الدين علي بن طراد المطربازي، وعن الشيخ العلامة تقي الدين الحسن بن داود عن الشيخ المحقق نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد عن أبيه عن أبيه يحيى الأكبر عن عربي بن مسافر عن إلياس بن هشام الحائري عن الشيخ أبي علي عن والده، وعن الشهيد رحمه الله عن السيد تاج الدين بن معية عن السيد المرتضى علي ابن السيد جلال الدين عبد الحميد بن فخار الموسوي عن أبيه عن جده فخار عن شاذان بن جبرائيل عن العماد الطبري عن والده، وعن شيخنا الشهيد عن السيد رضي الدين المزيدي عن الشيخ الصالح محمد بن أحمد بن صالح السيبي العبسي عن السيد فخار عن شاذان بن جبرائيل عن العماد الطبري عن أبي علي عن والده، وعن المشايخ السيد فخار الدين تقدموا إلى المفيد وغيره.

قال الشيخ محمد بن صالح روي إلى السيد فخار في السنة التي توفي فيها رحمه الله وهي سنة ثلاثين وستمائة، وسبب ذلك أنه جاء إلى بلادنا وخدمناه وكنت أنا صبي أتولى خدمته فأجاز لي وقال: ستعلم فيما بعد حلاوة ما خصصتك به.

وعن الشيخ محمد بن صالح عن والده أحمد عن الفقيه قوام الدين محمد بن محمد البحراني عن السيد فضل الله الراوندي عن السيد المجتبى ابن الداعي الحسني عن الشيخ أبي جعفر الطوسي، وعن والده أحمد عن الشيخ علي بن فرج السوراوي عن الحسين بن رطبة عن أبي علي عن والده، وعن والده أحمد عن الفقيه الأديب المتكلم اللغوي راشد بن إبراهيم الهجراني عن القاضي جمال الدين علي بن عبد الجبار الطوسي عن والده عن الشيخ محمد بن صالح عن محمد بن أبي البركات الصنعاني عن عربي بن مسافر عن الحسين بن رطبة عن أبي علي عن والده، وعن أبي صالح عن السيد رضي الدين بن طاوس والشيخ المحقق نجم الدين بن سعيد بسندهما المتقدم إلى الشيخ أبي جعفر، وعن صالح عن الشيخ علي بن ثابت بن عصيدة السوراوي عن عربي بن مسافر عن الحسين بن رطبة عن أبي علي عن والده وعن ابن صالح، وعن الشيخ نجيب الدين محمد بن نمى عن والده جعفر وعن ابن إدريس كلاهما عن الحسين بن رطبة عن أبي علي عن والده، وعن ابن صالح عن السيد الفقيه الزاهد رضي الدين محمد بن محمد بن محمد زيد ابن الداعي الحسيني عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه الداعي الحسيني عن الشيخ أبي جعفر الطوسي، وعن السيد المرتضى علم الهدى وعن الشيخ سلار والقاضي عبد العزيز بن البراج والشيخ أبي الصلاح بجميع ما صنفوه ورووه.

وبالإسناد إلى شيخنا الشهيد رحمه الله عن شيخه الجليل الفقيه الصالح جلال الدين الحسن بن أحمد ابن الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نمى عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن الشيخ أبي عبد الله الحسين بن محمد بن طحال المقدادي عن أبي علي والده الشيخ أبي جعفر الطوسي.

وبهذه الطرق يروي جميع مصنفات من تقدم على الشيخ أبي جعفر من المشايخ المذكورين وغيرهم، وجميع ما اشتمل عليه كتابه فهرست أسماء المصنفين وجميع كتبهم ورواياتهم بالطرق التي له إليهم ثم بالطرق التي تضمنتها الأحاديث. وإنما أكثرنا الطريق إلى الشيخ أبي جعفر رحمه الله لأن أصول المذهب كلها ترجع إلى كتبه ورواياته.

وأجزت له أدام الله معاليه أن يروي عني جميع ما رواه الشيخ الإمام الحافظ منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الحسن المدعو حسكا بن الحسين بن الحسين بن الحسين بن علي بن الحسين بن بابويه عن مشايخه، عن والده وجده وباقي أسلافه، وعن عمه الأعلى الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بالطرق التي له إليه، وجميع ما اشتمل عليه كتاب فهرست أسماء العلماء المتأخرين عن الشيخ أبي جعفر الطوسي بطرقه فيه إليهم، وكان هذا الرجل حسن الضبط كثير الرواية عن مشايخ عديدة.

وبالإسناد المتقدم إلى السيدين الأعظمين رضي الدين علي وجمال الدين أحمد ابني طاوس والشيخ سديد الدين بن المطهر جميعاً عن السيد صفي الدين أبي جعفر محمد بن معد الموسوي عن الشيخ الفقيه برهان الدين محمد بن محمد بن علي الحمداني القزويني نزيل الري عن الشيخ منتجب الدين رحمه الله.

وبهذا الإسناد جميع مصنفات السيد صفي الدين بن معد ورواياته ومصنفات الشيخ برهان الدين القزويني ورواياته، وعن الحمداني مصنفات الشيخ أمين الدين أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ومصنفات الشيخ سديد الدين الحمصي ومصنفات فضل الله الراوندي ومصنفات الكراجكي والصهرشتي عنهم بغير واسطة، وكتب الشيخ السعيد أبي الحسين ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري بواسطة الشيخ منتجب الدين رحمهم الله تعالى.

وأروي أيضاً مصنفات ومرويات الشيخ منتجب الدين المذكور عن الشيخ شمس الدين بن مكي عن السيد تاج الدين بن معية الحسني عن السيد رضي الدين علي ابن السيد غياث الدين عبد الكريم بن طاوس عن والده عن الوزير السعيد نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي عن برهان الدين الحمداني عنه، وعن العلامة جمال الدين عن والده سديد الدين عن السيد أحمد بن يوسف العريضي عن برهان الدين القزويني عن الشيخ منتجب الدين رحمه الله.

وبهذا الطريق عن الشيخ منتجب الدين عن المرتضى والمجتبى ابن الداعي الحسني عن المفيد عبد الرحمن بن أحمد الحسني النيسابوري جميع مصنفاته ومصنفات السيد المرتضى وأخبار الرضي والشيخ أبي جعفر وسلار وابن البراج والكراجكي بغير واسطة.

وأجزت له - حرس الله مجده وكبت عدوه وضده - أن يروي الصحيفة الكاملة عن مولانا سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام بالإسناد المتقدم إلى شيخنا الشهيد عن السيد النسابة تاج الدين بن معية عن والده أبي جعفر القاسم عن خاله تاج الدين أبي عبد الله جعفر بن محمد بن

معية عن والده السيد مجد الدين محمد بن الحسن بن معية عن الشيخ أبي جعفر محمد بن شهرآشوب المازندراني عن السيد أبي الصمصام ذي الفقار بن محمد بن معد الحسني عن الشيخ أبي جعفر الطوسي بسنده المذكور في أولها، وبطريق آخر عن السيد تاج الدين بن معية عن السيد كمال الدين المرتضى محمد بن محمد ابن السيد رضي الدين الأوي الحسيني عن خواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي عن والده عن السيد أبي الرضا فضل الله الحسيني عن السيد أبي الصمصام عن الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله.

وأما كتب القراء فإنا نروي كتاب التيسير للشيخ أبي عمرو الدواني بالإسناد المتقدم إلى السيد تاج الدين بن معية عن جمال الدين يوسف بن حماد عن السيد رضي الدين بن قتادة عن الشيخ أبي حفص عمرو بن معن الزرنري الضرير إمام مسجد رسول الله ﷺ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف البزنطي عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد الحراني الضرير المالقي عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن سهل عن الشيخ أبي عمرو الدواني المصنف، وارويه أيضاً عن شيخنا الشهيد عن الشيخ عز الدين أبي البركات خليل بن يوسف الأنصاري عن عبد الله بن سليمان الأنصاري القرناطي عن أحمد بن علي بن الطباع الرعيني عن عبد الله بن محمد بن مجاهد العبدي عن أبي خالد زيد بن محمد بن رفاعة اللخمي عن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري عن علي بن الحسين الموسوي عن الشيخ أبي عمرو الدواني وأما كتاب حرز الأماني المشهور بالشاطبية فإني أرويها بهذا الطريق عن الشيخ خليل الأنصاري عن الجعفري بسنده عن مصنفها أبي القاسم بن فيرة الرعيني، وأرويها أيضاً عن شيخنا الشهيد عن الشيخ جمال الدين أحمد بن الحسين بن محمد بن المؤمن الكوفي عن الشيخ شمس الدين محمد بن الغزالي المصري عن الشيخ زين الدين علي بن يحيى الربعي عن السيد عز الدين حسين بن قتادة المدني عن الشيخ مكين الدين يوسف بن عبد الرزاق عن ناظمها، وعن الشهيد رحمه الله عن الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله البغدادي عن الشيخ محمد بن يعقوب المعروف بابن الحرابدي عن المصنف عن والده الناظم.

وأما كتاب الموجز في القراءة والرعاية على التجويد وما في كتب مكي بن أبي طالب المقري وكتاب الموقف والابتداء للشيخ شمس الدين محمد بن بشار الأنباري وباقي كتبه فإني أرويها بالإسناد المتقدم إلى السيد رضي الدين بن قتادة عن أبي حفص الديري عن القاضي بهاء الدين بن رافع بن تميم عن ضياء الدين يحيى بن سعدون القرطي عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن عتاب عن الإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب المقري، وبالإسناد عن ابن رافع عن ضياء الدين عن أبي عبد الله عن الحسين بن محمد بن عبد الوهاب عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن المسلم عن أبي القاسم إسماعيل بن سعيد عن محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، وأروي كتاب الشيخ جمال الدين أحمد بن موسى بن مجاهد في القراءات السبع بالإسناد إلى الشيخ جمال الدين بن المطهر عن والده سديد الدين يوسف عن السيد صفي الدين

محمد بن معد الموسوي عن نصير الدين راشد بن إبراهيم البحراني عن السيد فضل الله الحسيني عن أبي الفتح بن الفضل الأخشيدي عن أبي الحسن علي بن القاسم بن إبراهيم الخياط عن أبي جعفر عمر بن إبراهيم الكتاب عن مصنفه أحمد بن مجاهد.

وأما كتب اللغة والعربية فإني أروي صحاح إسماعيل بن حماد الجوهري بالإسناد إلى الشيخ سديد الدين بن المطهر عن مهذب الدين الحسين بن درة عن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الصمد التميمي عن أبيه عن جد أبيه عن الأديب أبي منصور بن أبي القاسم البيتكي عن الجوهري المصنف. وأروي كتاب الجمهرة مع باقي مصنفات ابن دريد ورواياته وإجازاته بالإسناد المتقدم إلى السيد فخار الموسوي عن أبي الفتح محمد بن الميداني عن الجواليقي عن الخطيب أبي زكريا البربري عن أبي محمد الحسن بن علي الموهري عن أبي بكر ابن الجراح عن ابن دريد المصنف، وبالإسناد عن أبي الفتح الميداني جميع مصنفات يعقوب بن السكيت صاحب كتاب إصلاح المنطق وجميع رواياته عن الرئيس الحسين بن محمد بن عبد الوهاب المعروف بالبارع عن أحمد بن مسلم المعدل عن أبي القاسم إسماعيل بن أسعد بن إسحيل بن سويد عن أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري عن أبيه القاسم عن عبد الله بن محمد الرستمي عن المصنف، وعن السيد فخار جميع مصنفات الهروي صاحب كتاب العريسي عن أبي الفرج بن الجوزي عن ابن الجواليقي عن أبي زكريا الخطيب التبريزي عن الوزير أبي القاسم المقري عن الهروي المصنف.

وبالإسناد إلى الخطيب التبريزي عن أبي الفتح سليمان بن أيوب الرازي عن الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس صاحب كتاب مجمل اللغة له ولجميع مصنفاته، وعن ابن الجواليقي عن أبي الصقر الواسطي عن الحبشي التنسي عن الأنطاكي عن أبي تمام حبيب بن أوس الطائي صاحب الحماسة لها ولجميع تصانيفه ورواياته عن السيد فخار جميع مصنفات أبي العباس أحمد بن يحيى المشهور بتغلب صاحب الفصيح عن عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب عن ابن القصار عن أبي الحسين محمد بن أحمد بن كيسان النحوي عن تغلب. وأما الخلاصة المالكية فإني أرويها عن شيخنا السعيد شمس الدين بن مكي عن الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن الحسن بن أحمد النحوي فقيه الصخرة بيت المقدس عن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري عن الشيخ شمس الدين محمد بن أبي الفتح الدمشقي عن ناظمها.

وبالإسناد المتقدم إلى الشيخ رضي الدين المزيدي عن والده أحمد عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد عن الشيخ الأديب مهذب الدين بن كرم النحوي عن الشيخ نجيب الدين أبي البقاء العكبري والشيخ علي بن فرج السوراوي كلاهما عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد الخشاب النحوي عن السيد النقيب هبة الله بن الشجري عن السيد أبي المعمر يحيى بن هبة الله بن طباطبا الحسني عن العاصي أبي القاسم عبد بن ثابت اليماني النحوي عن ابن جني لكتاب اللمع وغيره من مصنفاته.

وبالإسناد إلى السيد فخار عن أبي الفتح الميداني عن ابن الجواليقي جمع كتبه، وعن ابن الجواليقي عن أبي زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي جميع كتبه، وعن التبريزي عن أبي العلاء المعري والثمانيني وأبي الحسين بن عبد الواهب جميع كتبهم، وعن الثمانيني عن ابن جني جميع كتبه، وعن ابن جني عن أبي علي الفارسي جميع كتبه، وعن الربعي جميع كتبه، وعن أبي علي الفارسي عن أبي بكر بن السراج، وعن ابن السراج عن الزجاج جميع كتبه، وعن أبي عثمان المازني عن الجرمي جميع كتبه، وعن أبي الحسن الأخفش جميع كتبه، وعن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه جميع كتبه، وعن سيبويه عن الخليل بن أحمد العروضي جميع كتبه. فهؤلاء أئمة الأدب واللغة ومن تأخر عنهم إنما اقتفى آثارهم ونسج على منوالهم فلا جرم اقتصرنا على ذكر الطريق إليهم وإيثار الاختصار، ولو حاولنا ذكر كل طريق إلى كل من بلغنا من المصنفين والمؤلفين لطال الخطب. والله تعالى ولي التوفيق هو أعلى ما اشتملت عليه هذه الطرق إلى مولانا وسيدنا وسيد الكائنات رسول الله ﷺ ويعلم منه مفصلاً ما عندنا من السند إلى كتب الحديث كالتهذيب والاستبصار والفقيه والكافي وغيرها.

أخبرنا شيخنا السعيد نور الدين علي بن عبد العالي أجازة عن الشيخ شمس الدين محمد بن داود عن الشيخ ضياء الدين علي عن والده السعيد محمد بن مكي عن رضي الدين المزيدي عن محمد بن صالح عن السيد فخار عن الشيخ ضياء الدين بن مكي عن السيد تاج الدين بن معية عن الشيخ جمال الدين بن المطهر عن نجم الدين بن سعيد عن السيد فخار وعن الشيخ شمس الدين بن مكي عن محمد بن الكوفي عن نجم الدين بن سعيد عن السيد فخار عن شاذان بن جبرائيل عن جعفر الدوريسي عن المفيد عن الصدوق أبي جعفر بن بابويه قال: حدثنا محمد بن القاسم الجرجاني حدثنا يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سنان عن أبويهما عن مولانا وسيدنا أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

قال رسول الله لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبد الله أحبب في الله وابغض في الله ووال في الله وعاد في الله، فإنه لا ينال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، ولقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها على الدنيا عليها يتوادون وعليها يتباغضون وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً.

قال الرجل: يا رسول الله كيف لي أن أعلم أني قد واليت في الله وعاديت في الله ومن ولي الله عزّ وجلّ حتى أواليه ومن عدوه حتى أعاديه؟ فأشار له رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام فقال: أترى هذا؟

فقال: بلى. فقال: ولي هذا ولي الله وعدو هذا عدو الله فعاده. فقال: ولي هذا ولو أنه قاتل أبيك وعاد عدوه ولو أنه أبوك وولدك.

فليرو هذا عني بهذه الطرق وغيرها مما ذكره الأصحاب في كتبهم وضمنوه إجازاتهم خصوصاً كتاب الإجازات لكشف المغارات الذي جمعه السيد السعيد الطاهر رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاوس الحسني، والإجازة التي أجازها العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر للسيد الطاهر الأصيل أبي الحسن علي بن محمد بن زهرة، فإنها اشتملت على المهم من كتب الأصحاب وأكثر علماء الإسلام من الحديث والتفسير واللغة والعربية والنثر والنظم وغيرها، وكتاب فهرست الشيخ منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه، وفهرست الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله سرهم وحباهم بالجنان وسرهم وجعلنا من رفقائهم في الرفيق الأعلى بجاه سيد المرسلين وآله الطاهرين، وآخذ عليه ذلك ما أخذ علي من العهد بملازمة تقوى الله سبحانه فيما يأتي ويذر ودوام مراقبته والأخذ بالاحتياط التام في جميع أموره وخصوصاً في الفتيا فإن المفتي على شفير جهنم، وبذل العلم لأهله وبذل الوسع في تحصيله وتحقيقه والإخلاص لله تعالى في طلبه وبذله، فليس وراء هذا السبب من مطلب إذا حصلت شريطته فقد روينا عن مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع العرصات وعليه حلة لا يقوم لأول سلك منها الدنيا بحذافيرها، وينادي مناد: هذا عالم من بعض تلامذة علماء آل محمد ألا فمن أخرجه من ظلمة جهله في الدنيا فليتشبث به يخرجه من حر ظلمة هذه العرصات إلى نزهة الجنان، فليخرج كل من كان في علمه خيراً وفتح عن قلبه من الجهل قفلاً وأوضح له عن شبهة - الحديث.

وعن مولانا العسكري عليه السلام أنه قال: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أشد من يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه فلا يدري كيف حكمه فيما ابتلى به من شرائع دينه، ألا من كان من شيعتنا عالماً بعلومنا فهذا الجاهل لشريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى.

نسأل الله سبحانه بنور وجهه الكريم ونتوسل إليه بأكرم أحمد عليه محمد، وأهل بيته الطاهرين أن يصلي عليهم أجمعين وأن يحشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم ويقفو بنا آثارهم ويجعلنا من عدد أوليائهم إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين. وكتب الأحرف بيده الفانية زين الدين بن علي الشهير بابن الخواجة تجاوز الله عن سيئاته ووفقه لمرضاته ليلة الخميس لثلاث ليال مضين من شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. حامداً مصلياً على رسوله وآله مستغفراً من ذنوبه. والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه - انتهى كلامه أعلى الله مقامه.

من قصائد الشيخ فرج الخطي

للشيخ فرج الخطي: في مدح الأمير صلوات الله وسلامه عليه: **[البحر البسيط التام]**

قد أفلحَ المؤمنون القائلون بما أقامه اللهُ في أرضٍ له وسما
اللهُ ألهمه خيرَ الدليلِ إلى نهج السبيلِ فكانوا قدوة العُلما
لمّا توالوا أمير المؤمنين وقد أحلّه اللهُ في أوج الهُدى علَما
للهِ من نور قدسٍ قد تجسّم في خيرِ الهياكلِ والأجسامِ وانتظَما
لولاهُ لم يخلقِ الأفلاك خالقُها ولا أعدّله لوحاً ولا قلما
ولا أضاءتْ لنا شمسٌ ولا قمرٌ ولا اهتدى أحدٌ من حيرةٍ وعمى
اللهُ أذهبَ عنه الرجسَ إذ طهرتْ نفسٌ له ربُّها زكّى وقد عصَما
وكان لطفاً من اللهِ الكريم له أقامُ حجّته في الخلقِ إذ حكما
يكفي محبّيه عن تعدادِ سؤددِهِ وفضلِه بعضَ ما قالتْ به الخُصما
وأثبتوه جميعاً في صحائحهم فاعجب لأمرٍ عظيمٍ يبهرُ الحُكما
فليشكرِ اللهَ من والى عليّ فقد فازتْ يداه بحبلِ اللهِ واعتصما
ومن يساوي أمير المؤمنين بمن ناواه في ظلماتِ الكفرِ إذ ظلما
أمن عبادتِه الأصنام عادته كسيد قد نشا في كسرِها ونما
وصائمِ الصيفِ ندباً لا كمن شرب الصّهبا نهاراً بشهرِ اللهِ في النُّدما
ومن يَقولُ سلوني قبل مفتقدي كمن يقولُ أقيلوني وقد فحما
ويوم خيبرَ قد هدّ الحصونَ ومن أردى القرون كمن قد خاب وانهزَما
ومن بأحدٍ وقى الهادي بمهجتِه طوعاً كمن فرّ لا استحيا ولا احتشما
ومن ببدرٍ أباد المشركين كمن تلقاه تحت عريشِ الكرمِ مكتتما
من قدّ عمروَ بن ودٍّ في النزالِ كمن الآمن الخوف إلا يرفعَ القدما
ومن حباه آلهُ العرشِ فاطمةً كمن له بجهات الردِّ قد رجما
من بات يفدي رسول اللهِ ليس كمن يغتاله ليلةً فيها الدبابَ رمى
ومن قضا دين خيرِ المرسلين كمن لا يعرفنّ الورى من ذا إليه نما
فلينظر العاقلون المنصفون إلى الضّدين وليحكموا بالفرقِ بينهما
بعداً وسحقاً لمن كانت أئمّتهم شرّ البريةِ لم يسقوا بيومِ ظما
لكنهمْ بايعوا ضبّاً فلا عجباً منهم إذا عبدُوا بعد الهُدى صنَما
إنّي إلى اللهِ أبرا من عقائِدهم وأجعلُ الآل لي ملجاً ومعتصما
يا سيّدي يا وليّ اللهِ خذْ بيدي إنّي لدَيك فقيرٌ أطلبُ الكُرما

أولاكمُ اللهُ أهل البيت عقدَ ولاء المسلمينَ فمن والاكم سلما
يرجو بكم فرجٌ يا سادتي فرجاً من كلّ همٍّ وخوفٍ دقَّ أو عظُما
ثم الصلاةُ عليكم والتحيةُ والإكرامُ ما افترّ ثغرُ الصبحِ وابتسما

وله أيضاً: عفا الله عنه في مدح القائم عليه السلام: [البحر البسيط التام]

متى يبلُّ غليل الوجدِ واجده ويشتفى من زمانٍ عضّ ناجدُه
وتستردُّ حقوقٌ بعد ما غصبتْ فيه فيعلو سنامَ المجدِ ما جدُه
ويستبينُ لخلقِ اللهِ قاطبةً طاغوتُهم ومواليه وعابدُه
ودينُ آلِ رسولِ الله منتظمٌ بأهلِه ولهم تثنى وسائدُه
ويبدلُ اللهُ خوفَ الأولياءِ بهمْ أمناً فيفلحُ من تصفو عقائدُه
والنغلُ فرعونُ مصلوبٌ وصاحبُه عجلُ الخوارِ على جذعٍ نشاهدُه
والنارُ تخرجُ من جوفيهما وهما في لاهبٍ من لظىً يشتدُّ واقدُه
هذا إذا ظهر المهدي وقام له داعٍ إلى منهلٍ تحلو مواردُه
والشمسُ تطلعُ من غرب لخجاتها من نوره مشرقاً والنصرُ عاضدُه
ويرجع الدينُ دين المؤمنين إلى مسالكٍ قعدت فيها قواعدُه
والسيفُ يصطاد أرواح اللئامِ على أيدي الكرام فلا تخطو مصائدُه
والعدلُ والأمنُ والإيمانُ منتشرٌ على البسيطةِ بل يزدادُ زائدُه
إيّاه لا الجاه مقصودٌ على رجلٍ تأبى سوى طلبِ الدّنيا مقاصدُه
ولا المحققُ في الشرعِ الشريف له ما يشتهي منه والباقي يعاندُه
ولا يضيّع حقّ اللهِ في حبلٍ مستهجناتٍ كما يرويه جاحدُه
لكن عفافٌ وإيمانٌ ومعرفةٌ في دولة الحقّ لمّا قام قاعدُه
والشملُ مجتمعٌ والحقُّ متبعٌ والرزقُ متسعٌ مدّت موائدُه
فذلك الوقتُ سعدُ المؤمنين إذا استقام دين الهدى واشتدّ ساعدُه
فانهض إمام الهدى فالدينُ منقطعٌ يبدي شكايته واللهُ شاهدُه
وأنت أولى به يا سيّدي وبمن ينقاد في حكمه بل أنت واحدُه
فمن لنا بإمام العصرِ ينقذنا من حادثِ الدهرِ حتى لا نكابدُه
ولا نعدُّ من المستضعفين ولا يقودُنا للبلا والسوءِ قائدُه
ولا تذلُّ رجالُ اللهِ في يدِ من زنت به أمُّه الشوها ووالدُه
آهٍ على الجبر بعد الكسر في زمنٍ يؤمّنا فيه من عمّت محامدُه
ذاك الغنى والهنا والأمنُ من زللٍ والمستفادُ الذي جلّت فوائدُه

أكرمْ برجعة أهلِ البيت من وطنٍ ... لم يقضه غيرُ من طابت موالدُه
ومن نعيم مقيم لا نفادَ له ... يبكي عليه بكى الثكلاءِ فاقدُه
يا ربّ عجّلْ بذاكَ الفتح واعطِ به ... الرّاجي أبا الفتحِ ما يزدادُ زائدُه
سمعاً أولي الأمرِ والدين المشار له ... من مادحٍ حسنتْ فيكم مدائحُه
يقرّبُ اللهُ منكم من يقرّبه ... ويبعدُ اللهُ منكم من يباعدُه
ثم السلامُ عليكمْ سادتي أبداً ... من خالقِ الخلقِ مُبديهِ وعائدُه

في عطش الحسين وأصحابه

روى: صاحب كتاب ثاقب المناقب نقلاً من الجزء السادس والثمانين من كتاب البستان تصنيف محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن شاذان بن محمد بن سنان قال: سئل علي بن موسى الرضا عن الحسين بن علي عليه السلام أنه قتل عطشاناً؟ قال: من أين ذلك وقد بعث الله له أربعة أملاك من عظماء الملائكة فهبطوا وقالوا: الله ورسوله يقرآن عليك السلام ويقولان اختر إن شئت أن تختار الدنيا وما فيها بأسرها ومكنتك من كل عدو لك أو الرفع إلينا، فقال الحسين عليه السلام: وعلى رسول الله السلام بل الرفع إليه، ودفعوا إليه شربة ماء فشربها وقال: لا تظمأ بعدها أبداً.

وروي: أيضاً عن الرضا عليه السلام أنه هبط على الحسين عليه السلام ملك وقد شكا إليه أصحابه العطش فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: هل من حاجة؟

فقال الحسين عليه السلام: وقد شكا إليّ أصحابي ما هو أعلم به مني من العطش، فأوحى الله إلى الملك قل للحسين خط لهم بإصبعك خلف ظهرك يرووا فخط الحسين بإصبعه السبابة فجرى نهر أبيض من اللبن وأحلى من العسل فشرب منه أصحابه، فقال الملك: يا بن رسول الله أتأذن لي أن أشرب منه فإنه لكم خاصة وهو الرحيق المختوم الذي ختامه مسك؟

فقال الحسين عليه السلام: إن كنت تحب أن تشرب منه فدونك.

وروى: ابن شهرآشوب قال: لما منع الحسين عليه السلام من الماء أخذ سهماً وعد فوق خيام النساء تسع خطوات فحفر الموضع فنبع ماء رطب فشربوا وملأوا قربهم.

وروي: أن القاسم لما رجع إلى عمه الحسين عليه السلام من قتال البغاة الخوارج قال: يا عماه العطش أدركني بشربة من الماء، فصبر الحسين عليه السلام وأعطاه خاتمه وقال له: حطه في فمك ومصه. قال القاسم: فلما وضعته في فمي كأنه عين ماء فارتويت وانقلبت إلى الميدان.

وروى: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لما منع الحسين عليه السلام الماء نادى فيهم من كان ظمآناً فليجيء، فأتاه رجل رجل وهو

يجعل إبهامه في راحة أحدهم ولم يزل يشرب الرجل بعد الرجل حتى ارتووا، فقال بعضهم لبعض: والله لقد شربت شراباً ما شربه أحد في دار الدنيا.

قال: شيخنا المحدث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح البحراني قدس الله سره بعد نقل هذه الأخبار ما لفظه: هذه الأخبار مخالفة لما اشتهر غاية الاشتهار بين أهل السير ونقلة الآثار من أنه صلوات الله عليه وأصحابه قتلوا معطشين ظامئين ومن الفرات ممنوعين، فلعل الوجه في الجمع بينها بأن العطش إنما كان قبل معاينة الحمام والانتقال إلى جوار الملك العلام، وإنما حصل لهم الشرب في الدنيا عند الاحتضار أو قبيله بيسير، أو أن الأخبار التي دلت على المنع إنما هو من شرب ماء الدنيا. وهذه الأخبار محمولة عى أنهم شربوا من ماء الجنة، أو أن تلك محمولة على ما ظهر للناس دون ما في الواقع ونفس الأمر والله أعلم - انتهى كلامه زيد مقامه.

أحاديث وقصص

روي في الحديث: أبناء الدنيا كالذباب لا يقع من البدن إلا على جراحات البدن وعيوبه.

وفيه أيضاً: مثل الذي يسمع الكلام ولمواعظ فلا يحكي إلا ما يستقبحه منها مثل رجل عنده قطيع غنم معها كلبها فطلب منه رجل حيواناً منها فقال: امض إليها واختر ما تريد، فمضى وأخذ بأذن الكلب وخلى القطيع. ومن ثم ورد في الرواية: إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب.

وروي: عن البهلول ﷺ أنه مر على جماعة يتذاكرون الحديث ويروون عن عائشة أنها قالت: لو أدركت ليلة القدر لما سألت ربي إلا العفو والعافية، فقال البهلول: والظفر على علي بن أبي طالب.

حكي: عن ابن الجوزي أنه سئل وهو على منبره وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته وهما فريقان سنة وشيعة فقيل له: من أفضل الخلق بعد رسول الله أبو بكر أو علي بن أبي طالب؟ فقال:

أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته، فأوهم على الحاضرين ولم يعرفوا مذهبه. فقالوا: نسأله غير هذا فقالوا: كم الخلفاء بعد رسول الله؟ فصاح:

أربعة أربعة أربعة ايماء إلى الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم.

وفي الحديث: أن رجلاً من الشيعة دخل على الرضا عليه السلام فقال: يابن رسول الله أن فلاناً من شيعتك صار سنياً رأيته في بغداد والناس معه يطوفون به في الأسواق وعليه الخلع الفاخرة وينادي عليه المنادي: ألا أيها الناس إن هذا الرجل كان رافضياً فتاب، ثم يقال له: تكلم فيقول: أيها الناس أن خير الخلق بعد رسول الله ﷺ أبا بكر، يفعل هذا مراراً. فقال عليه السلام: إذا خلوت فأعد علي هذا الكلام، فلما خلا المجلس أعدت عليه الكلام فقال: لم يقل ذلك

الرجل إلا خيراً لأنه لو قال أبو بكر بالرفع لكان قد فضله على أمير المؤمنين وإنما قال أبا بكر على النداء فكأنه قال خير الخلق بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب يا أبا بكر فقال هذا دفعاً لوقوع الضرورية.

وفي الحديث: أيضاً أن رجلاً من خواص هارون الرشيد قال لرجل من أعظم الشيعة: إنك تزعم أن موسى بن جعفر إمام وأمير المؤمنين الرشيد غير إمام؟ فقال: أما أنا فأزعم أن موسى بن جعفر غير إمام ومن زعم غير هذا فعليه لعنة الله، فاستحسن قوله ذلك الرجل ووصله، فأخذ الكلام بعض الشيعة شاكياً عليه عند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وحكى له قول ذلك الرجل، فقال عليه السلام: إنه أثبت إمامتي بذلك القول.

قال: بعض مشايخنا بعد نقل هذا الخبر. **أقول**: وذلك أنه نصب لفظ غير فيكون مفعولاً لفعل محذوف ومعناه: أنا أزعم أن موسى بن جعفر عليه السلام يغاير غير إمام، يعني يغاير من هو غير إمام وهارون الرشيد وكافة الخلق غير إمام، فإذا كان موسى عليه السلام مغايراً لهم يكون هو الإمام وهذا من ألفاظ التقية وأغرب التورية.

حديث المتكلمة بالقرآن

قال عبد الله بن المبارك: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينما أنا في بعض الطريق إذا أنا بسواد يلوح فإذا هي عجوز فقلت: السلام عليك. فقالت: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾(١). فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟ قالت: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾(٢)، فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها: أين تريدين؟

فقالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾(٣). فعلمت أنها قضت حجها وتريد بيت المقدس فقلت لها: أنت كم في هذا الوضع؟ فقالت: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾(٤). فقلت: ما أرى معك طعاماً تأكلين؟ قالت: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾(٥). قلت: فبأي شيء تتوضين؟

قالت: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾(٦) قلت: إن معي طعاماً فهل تأكلين؟ قالت: ﴿أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾(٧). قلت: ليس هذا شهر رمضان. قالت: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾(٨).

---

(١) سورة يس، الآية: ٥٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.
(٤) سورة مريم، الآية: ١٠.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٧٩.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٦.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

قلت: قد أبيح لنا الإفطار في السفر. قالت: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[١]. قلت: فهل تتكلمين مثل كلامي؟

قالت: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٢] فقلت: من أين الناس أنت؟ قالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٣]. قلت: قد أخطأت فاجعليني في حل.

قالت: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾[٤] قلت: هل لك أن أحملك على ناقتي فتدركي القافلة؟

قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[٥] فأنخت ناقتي فقالت: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[٦]. فغضضت بصري عنها فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها قالت: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٧].

قلت لها: اصبري حتى أعقلها. قالت: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[٨]. فشددت لها الناقة وقلت: اركبي. فركبت فقالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[٩].

قلت: فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[١٠]، فجعلت أمشي رويداً وأترنم بالشعر فقالت: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[١١].

فقلت لها: لقد أوتيت خيراً كثيراً. قالت: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[١٢]. فلما مشيت بها قليلاً قلت لها: ألك زوج؟

قالت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[١٣]. فسرت حتى أدركت القافلة فقلت لها: هذه القافلة من لك فيها؟

قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[١٤]. فعلمت أن لها أولاداً قلت: فما شأنهم في الحج؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.
(٢) سورة ق، الآية: ١٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٦) سورة النور، الآية: ٣٠.
(٧) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٨) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.
(٩) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣-١٤.
(١٠) سورة لقمان، الآية: ١٩.
(١١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(١٢) سورة الرعد، الآية: ١٩.
(١٣) سورة المائدة، الآية: ١٠١.
(١٤) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

قالت: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[(١)]. فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعماريات فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟

قالت: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[(٢)]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[(٣)]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[(٤)]. فناديت: يا موسى يا إبراهيم يا يحيى فإذا بشبان كأنهم الدنانير قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[(٥)]، فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه فقالت: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[(٦)] وقلت: الآن طعامكم علي حرام فأخبروني بأمرها.

فقالوا: إنها أمنا ولها منذ أربعين سنة لا تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن.

قراءة قرآن

سئل: محمد بن سيرين عن الرجل يقرأ عليه القرآن فيصعق، فقال: ميعادنا بيننا وبينهم على حائط فقرأ عليهم القرآن فإن سقط فهو كما قالت.

كتب ابن رقيق العبد إلى ابن نباتة وهو في سفره: [البحر السريع]

كم ليلةٍ فيها وصلتُ السُّرى ... لا نعرفُ الغمضَ ولا نستريخ
وكادتِ الأنفسُ ممّا بها ... تزهقُ والأرواحُ منها تطيخ
واختلفَ الأصحابُ ماذا الذي ... يزيلُ من شكواهمُ أو يريخ
فقيلَ تعريسهُم ساعةً ... فقيل بل ذِكراك وهو الصحيخ

فأجابه ابن نباتة: [البحر السريع]

في ذمةِ اللهِ وفي حفظِه ... مسراك والعودُ بعزمٍ نجيخ
لو جازَ أن تسلك أجفانُنا ... إذاً فرشنا كلّ جفنٍ قريخ
لكنّها بالبعدِ معتلّةٌ ... وأنت لا تسلكُ إلا الصحيخ

أخاف النساء

قال بعض العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأنه يقول سبحانه:

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٤.
(٤) سورة مريم، الآية: ١٢.
(٥) سورة الكهف، الآية: ١٩.
(٦) سورة الحاقة، الآية: ٢٤.

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[١] وقال سبحانه في النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٢].

تركيب الحروف

إذا قيل: كم يحصل من تركيب حروف المعجم كلمة ثنائية سواء إن كانت مهملة أو مستعملة؟ فاضرب ثمانية وعشرين في سبعة وعشرين فالحاصل الجواب.

فإن قيل: كم تركب منها كلمة ثلاثية بشرط أن لا يجتمع حرفان من جنس؟ فاضرب ثمانية وعشرين في سبعة وعشرين ثم المبلغ في ستة وعشرين يكون تسعة عشر ألفاً وستمائة وستة وخمسين.

وإن سئل عن الرباعية؟ فاضرب هذا المبلغ في خمسة وعشرين. والقياس فيه مطرد في الخماسي فما فوقه.

مع ابن الأثير

كان ابن الأثير: صاحب النهاية محظيّاً عند الملوك وتولى لهم المناصب الجليلة، فعرض له مرض في يديه ورجليه فانقطع في منزله وترك المناصب الجليلة فحضر له بعض الأطباء والتزم بعلاجه، فلما قارب الصحة دفع إليه شيئاً من الذهب وقال له: امض لسبيلك. فلامه أصحابه وقالوا له: هلا أبقيته إلى وقت الشفاء؟

فقال لهم: إني متى عوفيت طلبت المناصب ودخلت فيها وكلفت قبولها وأما ما دمت على هذه الحالة فإني لا أصلح لذلك فأصلح أوقاتي في تكميل نفسي ومطالعة كتب العلم ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لا بد منه، وفي تلك المدة ألف كتاب جامع الأصول والنهاية وغيرهما من الكتب المعتبرة.

خير المصاحبة

قيل لإبراهيم بن الأدهم: ألا تصحب الناس؟ فقال:

إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله وإن صحبت من هو فوقي تكبر عليّ وإن صحبت من هو مثلي حسدني فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملال، ولا في وصله انقطاع، ولا في الإنس به وحشة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٨.

العيد لمن آمن بالآخرة

سئل بعض الرهبان: متى عيدكم؟

قال: يوم لا يعصى الله فيه ليس العيد لمن لبس الفاخرة إنما العيد لمن آمن بالآخرة.

وصف ضرار لعلي عليه السلام عند معاوية

عن ضرار بن ضمرة: قال: دخلت على معاوية قبل موت أمير المؤمنين عليه السلام فقال لي: صف علياً، فقلت: اعفني، فقال: لا بد أن تصفه، فقال: أما إذاً فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزخرفها، ويأنس بالليل ووحشته غزير العبرة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، فاشهد الله لقد رأيته في بعض موافقه وقد أرخى الليل سدوله وغابت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غري غيري أبي تعرضتي أم إلي تشوقتي هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وخطرك ليسير وعيشك حقير، آه آه من طول السفر وقلة الزاد ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال:

رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار، فقلت: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقى عبرتها ولا تسكن حرتها. فالتفت معاوية إلى أصحابه وقال: لو فارقتموني من كان منكم يثني علي كما أثنى هذا الرجل على صاحبه؟ فقال بعضهم: الصاحب على قدر صاحبه.

قصيدة لأبي السعود المفسر

للفاضل المحقق أبي السعود صاحب التفسير: [البحر الطويل]

أبعدَ سُليمى مطلبٌ ومرامٌ ... وغيرُ هواها لوعةٌ وغرامُ
محوتُ نقوش الجاهِ عن لوحِ خاطري ... فأضحى كأن لم تجرِ فيه قلامُ
وآتت بآفاتِ الزمانِ وذلّه ... فيا عزةَ الدّنيا عليك سلامُ
دهورٌ نقضّت بالمسرّة ساعةً ... وعامٌ تولّى بالمساءةِ عامُ
وللهِ درُّ الغمّ حيثُ أمدّني ... بطولِ حياةٍ والغمومُ سهامُ
خبت نارُ أعلام المعارف والهدى ... وشبّت لنيران الضّلال ضرامُ

وكان سريرُ العلمِ صرحاً ممرداً يُناغي القباب السبع وهي عظامُ
يلوحُ سنا برقِ الهُدى من بروجه كبرق بدا بين السّحاب بشامُ
فجرّت عليها الراسياتُ ذيولها فخرّت عروشٌ منه ثمَّ دعامُ
وسيق إلى دارِ المهانةِ أهله مساق أسيرٍ لا يزالُ يضامُ
فما كلُّ قيلٍ قيل علمٌ وحكمةٌ وما كلُّ أفراد الحديد حسامُ
ومن يكُ في الدّنيا فلا يقبلنّها فليس عليها معتبٌ وملامُ
سلِ الأرض عن حال الملوك التي لهم علا فوق فرقِ الفرقدين مقامُ
بحبك عن أسرارِ الشؤونِ التي جرتْ عليهم جواباً ليس فيه كلامُ
بأنّ المنايا أقصدتهم نبالُها وما طاش عن مرمى لهنّ سهامُ
وسيقوا مساق الغابرين إلى الردّى واقفر منهم منزلٌ ومقامُ
وحلّوا محلاً غير ما يعهدونه فليس لهم حتى القيام مقامُ
ألمَّ بهم ريبُ المنون فغالهم فهم تحت أطباقِ الرّغام رغامُ

المنظومة الزاهرة للبهائي

قال شيخنا بهاء الملة والحق قدس سره: بسم الله الرحمن الرحيم. [البحر الرجز المجزوء]

الحمدُ للهِ العليّ العالي ذي المجدِ والافضالِ والجلالِ
ثم الصلاةُ والسلامُ السّامي على النبيّ المصطفى التّهامي
وآلهِ الأئمةِ الأطهارِ ما اختلف الليلُ مع النهارِ
يقولُ راجي العفو يوم الدينِ المذنبُ الجاني بهاءُ الدينِ
تجاوز الرحمن عن ذنوبِه وأسبل الستر على عيوبِه
بليتُ في قزوين وقتاً برمدْ مقرّحاً للقلب من فرط الكمدْ
يمنعُ من صرف النهار فيما يُرضي اللبيب الحاذقَ الفهيما
من بحثٍ أو تلاوةٍ أو ذكر أو درسٍ أو عبادةٍ أو فكر
حتى سئمتُ من لزوم منزلي والنفسُ عن أشغالها بمعزلِ
ولم تكنْ من عادتي البطالهْ لأنّها من شيمِ الجهالهْ
فرمتُ شيئاً مشغلاً لبالي عمّا أقاسيهِ من البلبالِ
فلم أجدْ أبهى من الأشعارِ وليس نظمُ الشعرِ من شعاري
وكنت في فكر بأدنى وادي ألقي جياد الفكرِ في اضطرادي
فبينما الأمرُ كذا إذ سألا مني بعضُ الأصدقاء النُّبلا

إن أصفِ الهراة في أبياتي جامعةً للنشر والشتات
معربةً عنها على الحقيقةْ مطربةً لكلِّ ذي سليقةْ
فقلتُ والدمعُ بجفنه سخا على الخبيرِ قد سقطت يا أخا
ثم نظمتُ هذه الأرجوزه رائقةً بديعةً وجيزهْ
قضيتُ في نظمي لها نهاري كما تقضّى الليلُ بالأسمارِ
سمّيتُها إذْ كملت بالزّاهره فهاكها مائة بيتٍ فاخرهْ

مقدمة في وصفها على الإجمال:

إنّ الهراة بلدٌ لطيفهْ بديعةٌ شايقةٌ شريفهْ
رشيقةٌ نفيسةٌ منيعهْ أنيقةٌ أنيسةٌ بديعهْ
خندقها متصلٌ بالماءِ وسورها سامٍ إلى السماءِ
ذاتُ فضاءٍ يشرحُ الصّدورا ويورثُ النشّاط والسّرورا
حوتْ من المحاسن الجليله والصورِ البديعةِ الجميلهْ
ما ليس في بقيّة الأمصارِ ولم يكنْ في سائرِ الأعصارِ
لست ترى في أهلِها سقيما طُوبى لمن كان بها مُقيما
ما مثلُها في الماء والهواءِ كلاً ولا الأثمارِ والنساءِ
كذلك الباغاتُ والمدارسْ فما لها في هذه مجانسْ

فصل في وصف هوائها:

هواؤها من الوباء جنَّهْ كأنّها من نفحاتِ الجنّهْ
ينشّطُ الروح وينفي الكربا ويشرح الصدر ويشفي القلبا
لا عاصفٌ منه تملُّ الحرّهْ ولا بطيء السير فردٌ مرّه
بل وسطاً يهبُّ باعتدالِ كغادةٍ ترفل في أذيالِ
فمن رماه الدهرُ بالإفلاسِ حتى من المسكن واللباسِ
فلا يصاحبْ بلدةً سواها لأنه يكفيه في هَواها
جبّتُه واحدةٌ في القرّ شريتُه واحدةٌ في الحرّ
فهذه في حرّها تكفيهِ وتلك عند بردها تكفيهِ

فصل في وصف مائها:

لو قيل إنّ الماء في الهراةِ يعدلُ ماء النيل والفراتِ
لم يكُ ذاك القولُ بالبعيدِ فكم على ذلك من شهيدِ
تراه في الأنهار صافٍ صافي كأنه لئالئ الأصدافِ

لا يحجبُ الناظر عن قرارهْ بل يطلعنّه على أسرارهْ
تظنُّ غزر عمقه شبرين من الصّفا وهو على رمحينِ
يهضمُ ما صادف من طعامِ كأنّما أكلته من عامِ

فصل في وصف نسائها:

نساؤها مثل الظباء النافرهْ ذوات ألحاظٍ مراض ساحرهْ
يسلبْن حلم الناسك الأوّاه ويسلمنّه إلى ألدّواهي
من كلِّ خوذٍ عذبة الألفاظِ تقتل من تشاء بالألحاظِ
أضيقُ من عيش اللبيب ثغرها يضعف من حال الأديبِ خصرُها
فاتكةٌ قد شهدتْ خدّاها بما به تفعله عيناها
ترنو بطرفٍ ناعس فتّاكِ تفسدُ دين الزاهدِ النسّاكِ
والصدغُ واوٌ ليس واو العطفِ والشديُ رمانٌ عزيزُ القطفِ
والجسمُ في رقّته كالماءِ والقلبُ مثل صخرة صمّاءِ
ولفظُها وثغرها والرّدفُ سحرٌ حلالٌ إقحوانٌ حقفُ
وقدُّها ونهدها والخدُّ غصنٌ ورمانٌ طريٌّ وردُ
والشعرُ والرّضابُ والأجفانُ صوارمٌ مدامُه ثعبانُ
غيدٌ حميداتٌ خصالهنَّهْ طوبى لمن كنَّ وما لهنَّهْ

فصل في وصف ثمارها على الإجمال وهي هذه:

ثمارُها في غاية اللطافهْ لا ضررٌ فيها ولا مخافهْ
عديمةُ القشور عند الحسِّ تكادُ أن تذوب حال اللمسِ
مع أنها بهذه الكيفيّه رخيصة عندهم رديّهْ
يطرحها البقال فوق الحصرِ حتى إذا ما جاء وقتُ العصرِ
وقد بقي شيءٌ من الثمارِ يطرحُها في معلف الحمارِ

فصل في وصف عنبها:

ولستُ بالمحسن وصف العنبِ فإنّه قد نال أعلى الرّتبِ
أدقُّ من فكر اللبيب قشرُهْ أرقُّ من قلب الغريب قشرهْ
أبيضُه في لطفِه والطولُ يحكي بنان غودةٍ عطبولُ
أحمرُه أشهى إلى القلب الصّدي من لثم خدٌ ناصعٍ موردِ
أسودُه أبهى لذي الطريفِ من غمز طرفٍ فاترٍ ضعيف
أصنافه كثيرةٌ في العدِّ ليس لها في حسنها من حدِّ

فمنه فخريٌّ وطائعيٌّ — وكشمشيٌّ ثم صاحبيٌّ
وغيرها من سائر الأقسامِ — فوق الثمانين بلا كلامِ
ترى الذي ما مثله في الفقرِ — يبتاع منه الوتر بعد الوترِ
وربّما يعلفه الحميرا — إن لم يصادف عنده شعيرا

فصل في وصف بطيخها:

بطّيخُها من حسنه يحيّرُ — في وصفه ذو الفطنة الخبيرُ
جميعه حلوٌ بغير حدٌ — أحلى من الوصال بعد صدٌ
مهما يقولُ الواصفون فيه — فإنّه نزرٌ بلا تمويهِ
يباعُ بالجنس القليل النزرِ — لأنه وافٍ بغير حصرِ
يأتي به المرء من الصحاري — ولا يفي بأجرةِ المكاري

فصل في وصف مدرسة الميرزا:

وما بني فيها من المدارسْ — ليس لها في الحسنِ من مجانسْ
أشهرُها مدرسةُ الميرزاءِ — مدرسةٌ رفيعةُ البناءِ
رشيقةٌ رايقةٌ مكينه — كأنّها في سعةٍ مدينهْ
في غايةِ الزينة والسّدادِ — عديمةُ النظيرِ في البلادِ
بالذهبِ الأحمر قد تزخرفتْ — كأنّها جنةُ عدنٍ أزلفت
في صحنِها نهرٌ لطيفٌ جاري — مرصّفٌ جنباه بالأحجارِ
في وسطِه بيتٌ لطيف مبني — كأنه بعضُ بيوتِ عدنِ
من الرخامِ كلُّه مبنيٌّ — كأنه صانعه جنّيٌّ
وكلّما يقولُه النبيلُ — في وصفِه فإنه قليلُ

فصل في وصف كارزكاه:

وبقعةٍ تُدعى بكارزكاه — ليس لها في حسنِها مباهي
هواؤها يُحيي النفوس إن بدا — وماؤُها يجلوُ عن القلب الصّدى
والسرُّ في رياضِها المطبوعه — كخرّدٍ أذيالها مرفوعهْ
فيها البساتينُ بغير حصر — يقصدها الناس بعيدِ العصرِ
من كلّ صنفٍ ذكر وأنثى — وحرة وأمةٍ وخنثى
لا همَّ عندهم ولا نكاد — كأنهم قد حوسبوا وعادُوا
كأنهم كالخيلِ في الطّرادِ — وكلُّ شخصٍ منهمُ يُنادي
لا شيء في ذا اليوم غير جائزِ — إلاّ نكاح المرء للعجائزِ

خاتمة: في التحسر على فراقها وبعد مداها:

يـا حـبّـذا أيـامُـنـا الـلّـواتـي — مضتْ لنا إذ نحن في الهراة
نـسـتـرقُ الـلـذاتِ والأفـراحـا — ولا نـمـلُّ الـهـزل والـمـزاحـا
وعـيـشُـنـا فـي ظـلّـهـا رغـيـدُ — والـدهـرُ مـسـعـفٌ بـمـا نـريـدُ
واهاً إلـى الـعـودِ إلـيـهـا واهـا — فما يطيبُ العيشُ في سِواها
سقيتِ يـا لـيـالـي الـوصـالِ — بـصـوبِ غـيـثٍ وابـلٍ هـطّـالِ
وأنـتِ يـا سـوالـف الأيـامِ — عـلـيـكِ مـنّـي أطيبُ الـسـلامِ

تمت الأرجوزة والحمد لله رب العالمين.

تعلم يحيى البرمكي الكرم من عمارة بن حمزة

ذكر ابن خلكان: إنه قيل للفضل بن يحيى البرمكي: ما أحسن كرمك لولا تيه فيك؟ فقال: تعلمت الكرم والتيه من عمارة بن حمزة لأن أبي كان عاملاً على فارس فانكسر في مال الخليفة وبقي عليه ثلاثة آلاف ألف درهم لا يعرف لها وجهاً وكان بينه وبين عمارة منافرة شديدة، فقال لي وأنا صبي: امض إلى عمارة واطلب منه هذا المبلغ قرضاً، فخرجت حتى أتيت داره فوجدته في صدر الإيوان ووجهه إلى الحائط وكان لا يجلس إلا مثله لتيهه، فوقفت أسفل الإيوان وسلمت فلم يرد السلام فقصصت عليه القصة فقال: حتى ننظر، فخرجت نادماً بالحرمان وعزمت أن لا أعود إلى أبي حيث إنه كلفني الإذلال، فجئت بعد ساعة فوجدت أبغالاً محملة في الباب وقالوا: إن عمارة قد سير المال، فدخلت على أبي فأخبرته فمكثنا قليلاً وعاد إلى أبي الولاية فرفع إلى ذلك المال وقال: تحمله إليه، فجئت به فوجدته على الهيئة الأولى فسلمت عليه فلم يرد وعرفته بوصل المال فقال لي:

ويحك أصيرفياً كنت لأبيك اخرج عني لا بارك الله فيك هو لك، فخرجت ورددت المال إلى أبي فقال: خذ منه ألف ألف درهم واترك لأبيك ألفي ألف درهم، فتعلمت الكرم والتيه منه وكان ذلك في أيام المهدي وقال المهدي لمن يطالبه إن أدى المال قبل يومنا هذا وإلا فأتني برأسه، وكان المهدي مغضباً عليه. وعمارة المذكورة من أولاد عكرمة مولى ابن عباس، وكان كاتب المنصور وكان تائهاً معجباً كريماً بليغاً فصيحاً أعوراً، وكان المنصور وولده المهدي يقدمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته، وولي لهما الأعمال الكبار.

لمجنون قيس العامري: [البحر الطويل]

روتْ لي أحاديث الغرام صبابةً — بإسنادها عن جيرة العلمِ الفردِ
وحدّثنا مرُّ النسيم عن الصّبا — عن الدوحِ عن وادي الغضى عن رُبى نجدِ

عن الذّوح عن جفني القريحِ عن الجوى عن السّوق عن قلبي الجريح عن الوجدِ
بأنَّ غرامي والأسى قد تحالفا على تلفي حتى أُوسّدَ في لحْدي

الفارابي في مجلس سيف الدولة

نادرة لطيفة: ورد أبو نصر الفارابي إلى دمشق على سيف الدولة - وهو إذ ذاك سلطانها - فلما دخل عليه وهو بزيِّ الأتراك وكان ذلك زيه دائماً وقف فقال سيف الدولة: اجلس. فقال: حيث أنا أو حيث أنت؟

فقال: حيث أنت، فتخطى رقاب الناس حتى أقبل إلى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه، وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يساورهم به، فقال لهم بذلك اللسان: إن هذا الشيخ قد ساء الأدب وأني مسائله عن أشياء إن لم يعرف بها اخرقوا به. فقال له أبو نصر: أيها الأمير اصبر فإن الأمور بعواقبها. فتعجب سيف الدولة منه وعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده، ثم أخذوا يكتبون ما يقوله وصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال: هل لك في أن تأكل؟ قال: لا. قال: فهل تشرب؟

قال: لا. قال: فهل تسمع؟

قال: نعم، فأمر بإحضار الفتيان فحضر كل ماهر في الصنعة بأنواع الملاهي فخطأ الجميع فقال سيف الدولة: وهل تحسن هذه الصنعة؟

فقال: نعم. ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك كل من في المجلس، ثم فكها وركبها تركيباً آخر فبكى كل من في المجلس، ثم فكها وغير تركيبها وحركها فنام كل من في المجلس حتى البواب، فتركهم نياماً وخرج. وهو الذي وضع القانون وكان لا يجالس الناس، ومدة إقامته بدمشق لا يكون غالباً إلا عند مجتمع المياه ومشتد الرياض، وكان يؤلف كتبه هناك، وكان أزهد الناس في الدنيا، وكان مقرره من بيت المال أربعة دراهم لم يقبل غيرها. وتوفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة، وقد بلغ ثمانين سنة ودفن في ظاهر دمشق خارج باب الصغير. كذا قاله صاحب كتاب ثمرات الأوراق في علم الأدب.

نادرة ابن منقذ مع صاحب حلب

نادرة بديعة: منقولة عن أبي الحسن علي بن منقذ صاحب قلعة شيراز وهو أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه قلعة شيراز وصاحب حلب يومئذٍ تاج الملوك محمود بن صالح، فجرى أمراً

خاف علي بن منقذ على نفسه منه فخرج من حلب إلى طرابلس الشام وصاحبها يومئذٍ جلال الملك بن عثمان فأقام عنده، فتقدم محمود صاحب حلب إلى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين أن يكتب إلى علي بن منقذ كتاباً يتشوقه فيه ويستدعيه إلى حلب، ففهم الكاتب أنه يريد به الشر، فكتب الكتاب كما أمر به مخدومه إلى أن بلغ إلى آخره وهو إن شاء الله تعالى فشدد النون وفتحها، فلما وصل الكتاب عرضه على ابن عثمان صاحب طرابلس وخواصه فاستحسنوا ما فيه فقال:

إني أرى ما لا ترون في الكتاب ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة الكتاب: أنا الخادم المقر بالأنعام، وكسر الهمزة من أنا وشدد النون، فلما وصل الكتاب إلى محمود سر بما فيه وقال لأصدقائه: علمت أن الذي كتبته لا يخفى على مثله، وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾(١)، فأجاب بقوله: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾(٢) فكانت هذه النادرة معدومة من شدة يقظته وفهمه.

رأي مغاير

قال ابن خلكان: في ترجمة أبي علي الفارسي: أنه كان يوماً يساير عضد الدولة ابن بويه في ميدان شيراز فقال: لماذا انتصب المستثنى في قولنا «قام القوم إلا زيداً» قال: بفعل محذوف مقدر تقديره «استثني زيداً» فقال له عضد الدولة: هلا رفعته وقدرت الفعل «امتنع زيد» فانقطع وقال: هذا جواب ميداني. ثم لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه.

بعض ما ورد في الرمان

في الحديث: إن في كل رمانة حبة من حب رمان الجنة، وإن الكافر إذا أكل الرمانة بعث الله ملكاً يختطف تلك الحبة.

روي: عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن أبي كان يحب المشاركة في المأكولات إلا الرمانة رغبة في تلك الحبة، وأنه كان يأخذ الرمانة يصعد إلى السطح ويأكلها وحده حتى لا يراه الصبيان.

من كتاب زهر الربيع: للسيد العالم المحدث السيد نعمة الله الجزائري: ومن عجيب الاتفاق أن رجلاً كافراً في ذلك الزمان أتى برمانة إلى جماعة من المسلمين وقال: آكلها كلها وحدي

(١) سورة القصص، الآية: ٢٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

حتى تلك الحبة وأنتم تقولون إن طعام الجنة حرام على الكفار، فأكل تلك الرمانة إلى آخرها فقال: أينما قلتم؟ وكان له لحية طويلة كثيفة، فلما نفض لحيته كان قد تعلقت بها حبة من الرمانة فسقطت إلى الأرض فالتقطها ديك كان هناك فأخزاه الله تعالى.

التفاؤل بالقرآن

وعنه أيضاً: نقل إن أعظم الأكاسرة شاه عباس الماضي لما أراد المسير إلى بغداد استخار بالقرآن المجيد فجاءت الآية ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ۝٣﴾[1] ثم تفاءل في ديوان خراجه حافظ فجاء الفأل (بياكه نوبت بغداد ووقت تبريز است) فسار عليها وفتحها.

تاريخ الشهيد الثاني

ومنه أيضاً: تاريخ شهادة شيخنا الشهيد الثاني على ما قاله الشيخ بهاء الدين:

[البحر الرجز]

تاريخُ وفاةِ ذلك الأواهْ   الجنةُ مستقرّهُ والله

وتاريخ وفاة بهاء الملة والدين على ما قاله الشيخ الجليل الشيخ صالح البحراني.

[البحر السريع]

شمسُ العراقينِ خفي ضوؤه   ونيّر الشّامي وبدرُ الحجازْ
أردتُ تاريخاً فلم أهتدِ   لهُ فألهمُت قلِ الشيخُ فازْ

تفسير ومعنى

وعن الصادق: سمي الدرهم درهماً لأنه دارهم، وسمي الدينار لأنه دين النار.

قال الشاعر: **[البحر البسيط التام]**

النارُ آخرُ دينارٍ نطقتُ به   والهمُّ آخرُ هذا الدرهم الجاري
والمرءُ ما زالَ مشغوفاً بحبِّهما   معذبٌ بين ذاك الهمِّ والنارِ

في وقت فضيلة الظهر والعصر

مسألة: قال في شرح اللمعة في مبحث الزوال: ويناسبه المنقول من فعل النبي ﷺ

(١) سورة الروم، الآيات: ١-٣.

والأئمة عليهم السلام أقول: وجه المناسبة أنه لما كان المروي عنهم عليهم السلام هو أداء النافلة والفريضة في وقت واحد، بناء على أن وقت فضيلة الظهر هو مجموع المثل الأول، والعصر هو من أول المثل الثاني مع محافظتهم عليهم السلام على أوقات الفضائل لا جرم كان وقت النافلة حينئذٍ هو مقدار المثل والمثلين الذي هو وقت الفضيلة، كما هو مدلول بعض الأخبار التي أشار إليه.

وأنت خبير بما فيه.

(أما أولاً)؛ فما ادعاه من أفضليته تأخير العصر إلى المثل الثاني وإن كان مشهوراً بينهم إلا أنه خلاف المستفاد من الأخبار المستفيضة، فإنها متفقة الدلالة على أنه لا يستحب تأخير العصر إلا بمقدار ما يصلي نافلتها بعد الظهر، فمن ذلك صحيحة ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى أصلي الظهر؟

فقال: صل الزوال ثمانية ثم صل الظهر ثم صل سبحتك طالت أم قصرت ثم صل العصر.

ورواية سماعة بن مهران قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إذا زالت الشمس فصل ثماني ركعات ثم صل الفريضة أربعاً فإذا فرغت من سبحتك قصرت أو طولت فصل العصر.

وصحيحة زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما بين الظهر والعصر حد معروف؟

قال: لا.

وموثقة ذريح قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام أناس وأنا حاضر فقال: إذا زالت الشمس فهو وقت لا يحبسك منها إلا سبحتك تطيلها أو تقصرها، فقال بعض القوم: إنا نصلي الأولى إذا كانت على قدمين والعصر على أربعة أقدام؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: النصف من ذلك أحب إلي، وغيرها من الأخبار الكثيرة، مضافاً إلى الأخبار الدالة على أفضلية أول الوقت.

وأما ثانياً: فما ادعاه من دلالة بعض الأخبار على الامتداد بامتداد وقت فضيلتي الظهر والعصر لم نقف عليه في كتب الأخبار، ولعله أراد بذلك صحيحة زرارة عن أبي حفص الدالة على أن حائط مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كان قامة، وكان إذا مضى من فيئه ذراع صلى الظهر وإذا مضى من فيئه ذراعان صلى العصر، بحمل القامة فيه على الذراع كما حمله عليه في المعتبر، فإنه استدل عليه في المعتبر على هذا المطلب ففيها - مع الإغماض عن المناقشة في إطلاق القامة على ذلك - ما ينافي هذا الحمل في عجز الخبر وهو قوله عليه السلام: أتدري لم جعل الله الذراع والذراعين؟

قلت: لم جعل ذلك؟

قال: لمكان النافلة لك أن تتنفل من زوال الشمس إلى أن يمضي ذراع فإذا بلغ فيك ذراع بدأت الفريضة وتركت النافلة - الخبر. فإنه كما ترى صريح في اعتبار القامة فيه بمعنى قامة

الإنسان، وإنما أراد به الروايات الدالة على اعتبار المماثلة كموثقة زرارة الدالة على أن صلاة الظهر بعد صيرورة ظل الشخص مثله والعصر بعد صيرورته مثليه وإضرابها.

وقد صرح بعضهم بأن من ذهب إلى أن وقت النافلة مقدار المثل والمثلين خذ بظاهر هذه الروايات. ففيه أن إطلاق الأخبار لا يساعد على هذه المناسبة، إذا الظاهر من تلك الأخبار أن هذا الوقت بأجمعه للنافلة لا تزاحمها الفريضة في شيء منه، ففي بعضها «إذا صار ظلك مثلك فصل الظهر وإذا صار ظلك مثليك فصل العصر» وفي بعضها «قامة للظهر وقامة للعصر» وهي كما ترى دالة على أن صلاة كل من الظهر والعصر إنما هو بعد المثل والمثلين والقامة والقامتين، حتى أشكل ذلك شيخنا البهائي قدس سره في الحبل المتين فقال:

إن ما تضمنه هذا الحديث من توقيت الظهر بصيرورة الظل مثل الشخص مشكل جداً ولم يقل به أحد فيما أظن، ونقل عن بعض الأصحاب تخصيصه ببعض البلاد ببعض الأوقات كبلد يكون ظل الزوال فيه حال القيض خمسة أقدام مثلاً فإذا صار مع الزيادة الحاصلة بعد الزوال مساوياً للشخص يكون قد زاد قدمين فينطبق على أحاديث الأقدام. ثم قال قدس الله سره: ولا يخفى أنه محمل بعيد ومع ذلك لا يتمشى في قوله عليه السلام: «إذا كان ظلك مثليك فصل العصر» - انتهى.

هذا وقد صرح الشارح قدس سره في المسالك بأن ظاهر الأصحاب أن هذا الوقت - أعني المثل والمثلين بأجمعه - للنافلة فيبقى فيه أداء ولا تزاحم الفريضة شيئاً منه.

وقال في المدارك: واعلم أن ظاهر الروايات استيثار النافلة بجميع الذراع والذراعين والمثل والمثلين، بمعنى أنه لو بقي من ذلك الوقت قدر النافلة خاصة أوقعها فيه وأخر الفريضة - انتهى.

نعم عبارة الشيخ في المبسوط والمجمل والخلاف صريحة في استثناء قدر إيقاع الفريضة من المثل والمثلين.

قال في المدارك: والأخبار لا تساعده. وأقول: الظاهر أن الشيخ لما كان قائلاً بتعين هذا الوقت للمختار بحيث لا يجوز له التأخير عنه إلا لعذر أو ضرورة فلا معدل عنه عن استثناء وقت للفريضة تزاحم فيه النافلة، وإن خالف في ذلك ظاهر هذه الأخبار، وكأنه يخصص هذه الأخبار بالأخبار الدالة على ما ذهب إليه من تعين هذا الوقت للمختار، وأما من عداه ممن لم يساعد على هذه المقالة فمع وقوفه على ظاهر هذه الأخبار لا مجال له عن الالتزام بما ذكر، وحينئذٍ فهذه الأخبار الدالة على اعتبار المثل والمثلين منافية بظاهرها لما هو المشهور بين الأصحاب من جعل هذا الوقت وقتاً للفضيلة، إذ ظاهرها - كما عرفت - هو استيثار النافلة بذلك الوقت والقول بمزاحمة الفريضة لما فيه خروج عن ظاهرها، والظاهر أن كل من ذهب إلى اعتبار المثل والمثلين للنافلة واستدل عليه بهذه الأخبار أخرجها عن ظاهرها وحملها على استثناء قدر الفريضة من ذلك الوقت، كالشارح هنا فإن كلامه صريح في مزاحمة الفريضة لها في ذلك الوقت.

وقال في المسالك بعد ذكر ما أسلفنا نقله عنه: ويحتمل استثناء قدر الفريضة من آخره إيثار الفضيلة الواجب وخروجاً من خلاف المانع من تأخيرها اختياراً ولأن الخطب في النافلة أسهل، وهو حسن لولا ما عرفت. ولعل هذا هو وجه الإشكال الذي أشار إليه في كتاب الحبل المتين، إذ كل من عمل بهذه الأخبار وجعلها مستنداً لمذهبه أخرجها من مقتضى ظاهرها، ولم ينقل عن أحد منهم الوقوف مقتضى ظاهرها والقول به صريحاً، فالعمل بها على ظاهرها مشكل جداً.

وهذا وقد صرح بعض الأصحاب بأن الأولى في هذه الرواية الحمل على الإبراد المأمور به في الأخبار، وهو حسن لكن الإبراد المأمور به إنما هو في صلاة الظهر خاصة.

وأيضاً فالظاهر من كلام الأصحاب رضي الله عنهم أن الإبراد لا يبلغ هذا المقدار ولعل الأولى حملها عليه وإن خالف ظاهر كلامهم، ويتأيد ذلك بما رواه الكشي في رجاله بسنده عن ابن بكير قال:

دخل زرارة على أبي عبد الله عليه السلام وقال: إنكم قلتم لنا في الظهر والعصر على ذراع وذراعين ثم قلتم أبردوا بها في الصيف فكيف الإبراد بها؟

وفتح ألواحه ليكتب ما يقول فلم يجبه أبو عبد الله عليه السلام بشيء فأطبق ألواحه وقال: إنما علينا أن نسألكم وأنتم أعلم بما عليكم وخرج، ودخل أبو بصير على أبي عبد الله عليه السلام فقال: إن زرارة سألني عن شيء ولم أجبه وقد ضقت من ذلك فأذهب أنت رسولي إليه فقل: صل الظهر في الصيف إذا كان ظلك مثلك والعصر إذا كان مثليك، وكان زرارة هكذا يصلي في الصيف ولم أسمع أحداً من أصحابنا يفعل ذلك غيره وغير ابن بكير.

ما ورد في الحسد

لا يخفى أنه قد ورد في الأخبار بل استفاضت به أن الحسد من جملة الذنوب الموجبة لدخول النار وأنه يأكل الأعمال كما تأكل النار الحطب، مع أنه قد ورد في بعض الأخبار ما يدل على أنه لا يجوز منه أحد وأنه من الأمور الجبلية في الطبيعة البشرية مثل ما رواه الصدوق عطر الله مرقده.

ومثله ما رواه الشيخ ورام في كتابه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن والطيرة والحسد، وسأحدثكم بالمخرج من ذلك: إذا ظننت فلا تتحقق، وإذا نظرت فامض، وإذا حسدت فلا تبع.

لإبراهيم بن دريد: صاحب كتاب الجمهرة يهجو نفطويه بهذه الأبيات:

[البحر الرجز المجزوء]

وشاعرٌ يُدعى بنصفِ اسمه   مستأهلٌ للصفع في اخدعيْهِ
أحرقه اللهُ بنصفِ اسمه   وصيّر الباقي صراخاً عليهِ

فأجاب نفطويه يهجو ابن دريد: **[البحر المجزوء المشطور]**

ابـن دريـد بـقـره وفـيـه عـيٌّ وشـره
ويـدّعـي مـن حـمـقـه وضـع كـتـاب الـجـمـهـره
وهـو كـتـاب الـعـيـن إلا أنـه قـد غـيـره

أقول: وكتاب العين في اللغة ينسب للخليل بن أحمد إلا أن جل الفضلاء أنكروا نسبته إليه لاشتماله على أغلاط يجل الخليل عن مثلها كما بسط الكلام فيه في كتاب المزهر.

سؤال حول إحياء عيسى يحيى

سؤال: للسيد الجليل الأعظم الأفخم جمال الدين أحمد بن المقدس السيد زين العابدين في الحديث: وأوصى عيسى ابن مريم إلى شمعون الصفا بن حمون وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا. هذا بظاهره ينافي ما في الكافي بقوله: علي بن محمد عن بعض أصحابنا عن علي بن الحكم عن عبد الله بن سليم العامري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريا وكان سأل ربه أن يحيي يحيى له، فدعاه فأجابه وخرج له من القبر وقال: ما تريد مني؟

فقال: أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا. فقال له: يا عيسى ما سكنت على حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود إلي حرارة الموت، فتركه فعاد إلى قبره.

وجه دفع التناقض: بما وصل إليه فهم أحمد بن عبد السلام البحراني لا زالت فضائلكم مشهورة وبيوتكم بأنوار الإفادة معمورة على تقديم تسليم الحديثين، وأنهما خارجان من آفاق الصدق وبازغان من مطالع الحق يمكن رفع التنافي في المفهوم من ظاهرهما أن عيسى حيث كان باقياً بنشأته الصورية في عالم الأفلاك إلى آخر الزمان، كانت الوصية الصادرة من عيسى عليه السلام إلى شمعون عند خروجه بقالبه الصوري إلى السماء، وسؤاله من ربه أن يحيي له يحيى بعد وصية شمعون إليه وشهادته على يد الأشقياء، ولا محذور في ذلك بل لولا ذلك لوقع التنافي في الحديث الثاني بعضه ببعض كما يظهر لك أخيراً.

فإن قيل: هذا الكلام يخالف الظاهر في الحديث الثاني أن عيسى ابن مريم عليهما السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام لأن الظاهر من ذلك أن وقوع ذلك اليوم إذ كان عيسى في العالم العنصري قبل عروجه للعالم الفلكي.

فالجواب: إن عروجه إلى العالم الفلكي غير مانع من ذلك، فإن المفهوم من الروايات أنه يزور قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام والاستحالة في ذلك إذ مجيئه عليه السلام لقبور شركائه في النبوة والولاية أقرب مدركاً من الحكم بمجيء الأرواح المفارقة لأجسامها في هذه النشأة مع ثبوت

ذلك بالروايات الصحيحة الصريحة على أن الظاهر من الحديث أن المجيء إلى القبر مجيء روحاني أو مثالي لا صوري.

وكذا إجابة يحيى وخروجه من القبر إليه، إذ لو كان محمولاً على هذه النشأة العنصرية والحياة الفانية لم يكن الاستعفاء ويجيء من العود المتعلق بالقلب الصوري وجه يركن إليه، ولم يفعله لتعليقه عدم قبول إلى التعلق الجسماني بالخوف من حرارة الموت محل يعتمد عليه، لأن حمله على ظاهره يستدعي وقوع التعلق الجسماني وحصول المغايرة التي كانت موجودة قبل الموت، فكيف يتحقق الاستعفاء مما وقع أم كيف يعلل طلب الاستعفاء بالخوف من لحوق حرارة الموت الذي لا بد من وقوعه حينئذٍ على تقدير عوده إلى حالته التي كان عليها من المفارقة الواقعة قبل طلب عيسى عليه السلام، فعلمنا من ذلك كله أن سؤال عيسى عليه السلام وإجابة يحيى وخروجه كل ذلك إما في عالم الأرواح أو عالم المثال، وحينئذٍ فلا يتحقق التنافي بين الحديثين.

وهذا ما وعدنا به سابقاً من قولنا كما يظهر لك أخيراً والله أعلم بالصواب، وفي الحديثين طول لا يسع المقام ذكره والسلام عليكم. والمأمول من الألطاف الأحمدية دامت فيوضاتها أن يجري العبد الكاتب دائماً على صفحات باله الشريف وخياله المقدس المنيف، خصوصاً عند ظهور لوامع إشراقاته وتأرج نفحات أنفاسه كتب المحب أقل العباد عملاً وعلماً أحمد بن عبد السلام البحراني.

يقول ناظم هذه الدرر ومطرز هذه الخبر: وهذا الشيخ النجيب رحمه الله كان من أجلاء فضلاء البحرين وكان معاصراً للشيخ العلامة المحدث الذي هو أول من نشر علم الحديث بديار البحرين الشيخ علي بن سليمان القدمي البحراني صاحب الحواشي على كتب الحديث الموعوز إليها ع س، وهذا الشيخ النجيب كان خطيباً مصقعاً وكان هو الخطيب يوم الجمعة لشيخنا الشيخ علي المذكور لبلاغته وفصاحته وحسن صوته، وكان الشيخ قدس الله سره بعد فراغه من الخطبة يرقى المنبر ويخطب خطبة خفيفة احتياطاً، وله معه قدس الله روحيهما صحبة أكيدة وأخوة خالصة، وكان الشيخ أحمد المشار إليه ابن فاضل يسمي الشيخ حسن، وكان مبرزاً في الحكمة البدنية ومرجعاً لبلاد البحرين في ذلك، إلا أنه على ما سمعت من غير واحد ممن أثق به وأعتمد عليه كان مختبطاً في أصوله وله مع العامة ربط في الباطن حتى أن ابن عمه الشيخ إبراهيم الملقب بطوير الجنة وكان تقياً ورعاً متناهياً في حب أهل البيت عليهم السلام كان يلعنه ويدير السبحة بلعنه ويأمر الناس بذلك، وكان من جملة مخترعات الشيخ حسن المذكور أنه أوصى أن يوضع في قبره ويغطى وجه القبر ولا يدفن إلى مدة ثلاثة أيام والله أعلم بحقائق عباده.

كتاب المؤلف إلى ابنه محمد

كتاب: كتبته لابني محمد حفظه الله تعالى وقت التوجه للعتبات العالية في المرة الثانية في الطريق بتاريخ سلخ شهر رجب الأصب السنة الرابعة والخمسين والمائتين والألف.

أما بعد حمد الملك المنان على ما أنعم من الجود والإحسان، والصلاة على سيد ولد عدنان بل سيد الإنس والجان وآله أمناء الرحمن: فإني أوصيك بوصيتي فهذه وصيتي إليك أيها الولد العزيز ثمرة القلب والمهجة المرجو للسرور والبهجة لوصيتي هذه فاتبعها وأهديك نصيحتي هذه فخذها ولا تضيعها.

اعلم هداك الله تعالى سبيل التوفيق وجعله لك خير صاحب ورفيق إني قد أتعبت في تأديبك قلبي وقالبي، وجعلتك همي في دنياي ومأربي، وأطلت في عرفات تكميلك وقوفي، وشحذت لمعركة أمرك ونهيك سيوفي، وكشفت عن جوهر فهمك خبث الغباوة، وصقلت مرآة فهمك بما أزال عنها صدى الغشاوة حتى إذا أيقنت أن جوهرك صاف من الأكدار ولؤلؤك يفوق لئالي البحار طفقت أحمد الله الواهب على جزيل العطايا والمواهب أسأله إتمام تلك الرغائب بإسبال ذيول العناية عليك في جميع المآرب، وهدايتك إلى أعلى المراتب فاحرص وفقك الله تعالى على ما به سعادة داريك ونجح أمريك وهو العلم الذي به تدخل في حقيقة الإنسان الذي هو أشرف نوع الحيوان عند الملك المنان، وله أعدت المنازل العالية في أعلى قصور الجنان وهيئت له الحور والولدان وسخرت له الملائكة والإنس والجان، ومن تخلى عن العلم وإن تحلى بحلية الإنسان وشابهه في الجوارح والأركان فهو إنسان قشري وبسر قسري، فإنك إذا حققته لم تجده إلا من أحد البهائم أو السباع لما قد اكتسبه منها من الأخلاق والطباع.

وإذا أردت بيان حقيقة هذا الكلام لئلا تظنه مجازاً أو من جملة الأوهام فاعلم أنه قد أطبق أرباب الحقيقة وقصاد تلك الطريقة إن الإنسان ليس إنساناً باللحم والجسد ولا بالجوارح المركبة فيه مدى الأبد بل بالروح والنفس الناطقة لا من حيث هي كذلك بل من حيث استكمالها بكمالاتها اللائقة بما هنالك، ولله در من قال: [البحر البسيط التام]

يا خادمَ الجسمِ كم تشقى بغلتّه ... وتطلبُ الربحَ ممّا فيه خسرانُ

فلازم - وفقك الله تعالى له - الدروس والنظر: [البحر البسيط التام]

اقبلْ على النفسِ واستكملْ طرائقها ... فأنت بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانُ

واتخذ الخلوة والعزلة حجاباً عن البشر فليس في الصحبة إلا الوبال والضرر وإياك والرغبة فيما لا يهمك ولا يعنيك بل ربما يغمك ويعييك من أمور هذه الدار المملوءة بالهموم والأكدار والاشتغال بكثرة الكتابة للمجاميع والقراطيس بما يمنعك عن نيل ذلك الجوهر النفيس، فاصرف أيدك الله تعالى للعلم همتك وبيض لأجله لمتك وأغلق له دكانك وشدد له أركانك واهجر له صحبك وإخوانك واعطه كلك عسى أن يعطيك بعضه ولا يوليك هجره وبغضه، وانتهز

الفرصة فإنها تمر مر السحاب وخذ الأهبة قبل أن يغلق الباب فليس أبوك بباق لك مدى الأوقات ولا زمانك يفي لك بالسلامة من الآفات والمخافات (شعر): [البحر السريع]

عليكَ بالعلمِ وتحصيلِه — والسعي كلَّ السعي في نيلهِ
والجدَّ في تحقيق أبوابهِ — والشرب من كاسات تبجيلهِ
واجعلْ له الليل نهاراً عسى — تكشفُ عن فجر دُجى ليلهِ
والزمْ له العزلةَ في خلوةٍ — كيما ترى أنوارَ تأويلهِ
واعطه كلَّك كي ربّما — يُعطيك منه بعض تفضيلهِ
ودعْ لداعي الجهلِ أربابه — فالكلُّ مشغولٌ بتضليلهِ
وأوصِ على التّقوى لتقوى بهِ — على العُلى في حمل إكليلهِ
فإنّ بالعلم تنالُ المُنى — في الدينِ والدّنيا بتفضيلهِ
وتغْتدي رأساً تدوسُ الورى — فيهرعُ الكلُّ لتقبيلهِ
تخدمُك الأملاكُ في أرضِها — نصّاً عن الصّادق في قيلهِ
والإنسُ والجنُّ كما قد رُوي — فضلاً من اللهِ ومن طولهِ
وترْتجي ذُخراً إذا ما عرى — خطبٌ يشيبُ الرأسُ من هولهِ
يعنُو لك السلطانُ في جندهِ — يُبدي لك العزّ بتذليلهِ
بنيّ ظنّي فيك لا تنسهُ — وحقّقِ الظنَّ بمأمولهِ
فاشربْ بكأسِ النصح من والدٍ — يرجُو لك العزّ بتكميلهِ
فإنّني أرجوك عند الوغى — من صارمِ الهند ومصقولهِ
وفقك اللهُ لما أرتجي — من العلى والجدّ في نيلهْ

وقد أرسلت إليك بنظمي ونثري ولم آل جهداً في نصحك دهري، فاختر لنفسك أحد النجدين وأوقفها على أحد الحدين. هداك الله تعالى بمنه سبيل الرشاد وأيدك بالتوفيق والسداد والسلام الختام.

مدح المؤلف لأمير المؤمنين عليه السلام

ومما جرى: به قلم جامع هذا الكتاب عفا الله عنه في مدح سيده أمير المؤمنين صلوات الله عليه حين التوجه إلى زيارته صلوات الله عليه في العام المقدم ذكره آنفاً على طريق أصفهان وذلك في الطريق بين شيراز وأصفهان، وقد لامه بعض الناصحين من الإخوان على السفر في ذلك الوقت لأسباب منها: وقوع الحرب بين الشاه المؤيد حرمته الله تعالى وبين ملك الروم، ومنها البرد الشديد في تلك الطريق حيث إن السفر كان في مبادىء الخريف، والعبد صمم العزم على

السفر وجرت هذه الأبيات على الخاطر في أثناء الطريق بتاريخ عشرين من شهر رجب الأصب السنة السادسة والخمسين بعد المائة والألف: [البحر الطويل]

إليكَ أمير المؤمنين وفودي ... فأنت مناني من جميع قُصودي
هجرتُ لذيذ الغمضِ إذ لذّلي الولا ... وإذ بي في الوادي المقدّسِ نُودي
قطعتُ الفيافي في تلاف جزائرٍ ... تجرُّ إلى وقدٍ بذات وقودِ
وخضت بحوراً كي أفوز بحورها ... بخلدٍ بها أرجو هُناك خلودي
تركتُ هوى ليلى وسعدى بمنزلٍ ... لمنزلِ سعدٍ بل وسعدِ سعودي
رمتني سهام العدلِ من كلِّ ناصحٍ ... ببردِ شتاءٍ وازدحامِ جنودِ
وجسمٍ بأسقامِ الزمان مشطرٍ ... لأيسر بردٍ يحتمي ببرودِ
عذرتُ عذولي حيثُ لم يدر أنّني ... يلين لعزمي صمُّ صخر وجلمودِ
يهونُ لنفسي في المعالي ركوبها ... رؤوس العوالي كلّ أبيض مبرودي
عذولي عذولي لا يُرام فإنّني ... أسيرُ هوى لا يستطاعُ حبودي
أخوضُ بحار الموت في حبِّ سيدٍ ... به سؤددي ديناً وبطنُ لحودي
فيا روحُ روحي في هواه وسارعي ... لديه وجُودي فهو أصلُ وجودي
بلِ الأصلُ في كلِّ الوجود كما به ... أتى النصُّ حقّاً في صحيحِ ورودي
ولولاهُ حوّا ما حوا بطنها فتى ... ولا ولدتْ يوماً هناكَ بمولودِ
ولا قُبلت منها وآدم توبةٌ ... مدى الدهر بل آبا نجيبة مطرودِ
ولا آب أيوبٌ بكشفِ بلائه ... ولا عن خليلٍ خلّيت نارُ نمرودِ
وطوفانُ نوحٍ منه نوحٌ به انجلى ... سفينته إذ ذاكَ قرّت على الجُودي
شهابُ لساني ثاقبٌ غير أنّه ... عن المدحِ يخبُو ناكصاً بخمودِ
أمولاي ماذا يبلغ المدحُ في فتىً ... به الخلقُ تاهت بين عبدٍ ومعبودِ
محبّوه أخفوا فضله خيفة العِدى ... وبغضاً عداه قابلوا بجحودِ
وشاع له من بين ذين مناقبٌ ... أبت أن تُضاهي في الحساب لمعدودِ
أمولاي يا من جوده ووجودُه ... رضيعا لبان كنَّ بطن ولودِ
ويا من على أعتابه وببابِه ... وفوق الثريّا سيدٍ ومسودِ
ويا من يُناديه المقدّسُ للنّدى ... موائد مدّت لازدحام وفودِ
ركائبُ آمالي تؤمّل مرتعاً ... بوادي نَداك الآن يا خيرَ مقصودي
فيا خيبتا إن خاب طالعُ طالعي ... وصرتُ لآصار بذلّةِ مردودِ
فما هكذا أنبئتُ يا أكرم الورى ... وليس ذميمُ البخل منك بمعدودِ

ألستَ الذي يمسي ويصبحُ طاوياً | وما لك للوفّادِ أكرمُ منفودِ
ألست عزيز الجار إن جار حادثٌ | وحامي الحمى يوماً لكلِّ ودودِ
فخذ بيدي مولاي والأهلِ جملةً | وصحبي أخا الإحسان والفضلِ والجودِ
عليك صلاةُ اللهِ يا خيرَ من مشى | وماستْ به في بيدِها قلّصُ القودِ

قصة الرجل وأطفال الزنا

من كتاب زهر الربيع: للسيد نعمة الله الجزائري رحمه الله حكي لي أن رجلاً من أهل شوشتر كان في شيراز عند صديق له فخرج يوماً فرأى امرأة محتضنة لشيء لا يعلمه فقالت: أيها الرجل لي إليك حاجة فيها ثواب جزيل، فأعطته شيئاً من الدراهم وقالت: إن زوجي في بلدة أخرى وأرسل خط طلاقي وضاع مني وأريد التزويج والعلماء لا يجيزون إلا بالخط فامض معي إلى عالم وقل: إني أنا زوج هذه المرأة وأريد طلاقها حتى يطلقني ولك به ثواب جزيل، فلما قبض الدراهم أتى مع المرأة إلى رجل من أهل المدرسة وتنازعا عنده وأشار عليهما بالصلح فلم يقبلا وحلف الرجل أنه لا يجتمع مع المرأة، فأوقع ذلك العالم صيغة الطلاق وكتب الخط، فلما أراد الرجل المضي لزمته المرأة وقالت: أيها العالم طلقني هذا الرجل وهذا ولده رضيع عندي كيف أعمل به؟ فقال له: خذ ولدك من المرأة، والرجل لا يقدر على الإنكار فأخذ الولد ومضت المرأة فأتى به إلى بيت صديقه فضحك وقال: ما عندك؟

فحكى له القصة وقال: لا تخرج إذا صار وقت السحر فاخرج به إلى المسجد الجامع واطرحه فيه، فخرج به وقت السحر فلما طرحه في المسجد كان خادم المسجد يكنسه وسمع بكاء الصبي والرجل يريد الخروج فلحقه وجعل يضربه بالمكنسة ضرباً وجيعاً ويقول له: إن هذا المسجد ما بناه الناس لتضع أنت فيه أولاد الزنا، وكان قبله طرح صبي آخر في المسجد فقال له: احملهما فأخذهما هذا على كتف وهذا على آخر وأتى منزل صديقه فضحك وقال: خرجت بواحد وأتيت باثنين فحكى له وضحك فقالت امرأة الصديق: لا تجزع خذهما وامض بهما إلى الحمام الفلاني وناد خادمة الحمام وقل لها إن صالحة تقول لك: خذي هذين الطفلين حتى أجيء إلى الحمام فسلمهما إلى الخادمة، والظاهر أنه كان في المحلة امرأة اسمها صالحة تنفست في تلك الأيام وبقي الصبيان في عنق خادمة الحمام.

قصة القاضي الذي أراد مجامعة دابة

ومنه أيضاً: كان رجل من قضاة العامة يقرأ علي في علوم العربية في شيراز فبقي مدة طويلة في شيراز، فسألته يوماً: ألا تسافر إلى بلادك؟

فضحك ثم قال: ما أقدر على معاشرة أهل بلادي لقضية وقعت علي بها. فقلت: ما هي؟

قال: إن المتعة في بلادي حرام وقد غلبت علي العزوبية وشبق الجماع وما كنت قادراً على التزويج فمضيت إلى خارج القرية فرأيت رجلاً يرعى حيوانات تلك القرية فحكيت له قصتي فقال: في هذه الحيوانات أتان صبور، يعني حمارة فعينها لي وقال:

خذها إلى المكان المنخفض واقض حاجتك منها فأعطيته بعض الفلوس وأتيت إلى الحمارة في ذلك الموضع فلما أوقفتها لقضاء الحاجة خفت أنها في الأثناء تركض عني وكانت لي عمامة طويلة فشددت مئزري في رقبتها وأخذت طرفيه من الطرفين وشددت بهما وسطي حتى ألصق بها وقت الحاجة، فلما شرعت في حاجتي أخذت الأتان بالزقط بالجوز وركضت وأنا محلول السراويل وأخذت تسحبني على الشّوق فما شعرت إلا وأنا في وسط السوق والحمارة تجرني مكشوف العورة، فصاح عليّ أهل السوق: هذا القاضي فخلصوني منها، وفي ذلك اليوم خرجت إلى شيراز فكيف أطيق الرجوع إليها.

رائحة الفم دليل خير أو شر

قال: بعض الحكماء: لو كان للخطايا ريح لافتضح الناس ولم يتجالسوا، وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ: «لو تكاشفتم لما تدافنتم».

قال: بعض مشايخنا: إن الذنوب لها مزيج لكن المذنب لا يشمها لتكيف شامته بها وأما المقربون فيشمونها. ولذا ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن الملائكة الكاتبين كيف يطلعون على النيات حتى يكتبونها؟

فقال عليه السلام: إن المؤمن إذا نوى الخير خرج من فمه مثل رائحة المسك فيشمونها ويعلمون أنه نوى الطاعة فيكتبونها، وإذا نوى الشر خرج من فمه مثل رائحة الكنيف فيتكرهون به ويعلمون أنه نوى الشر فيكتبونها عليه. وهذا إحدى معاني «ويسر على الكرام الكاتبين مؤونتنا».

حكاية اليهودي مع الرجل المسلم

حكى: بعض من يوثق به أن رجلاً من المسلمين كانت عنده امرأة حسنة وكانت تحب رجلاً يهودياً فاحتالت في إخراج زوجها إلى السفر حتى تخلو باليهودي فقالت لليهودي: اعطه بضاعة يخرج بها إلى بعض البلدان: فطلبه اليهودي وقال:

أقرضك دراهم واسترهن من بدنك مائة مثقال من اللحم، فكتب عليه كتاباً وأعطاه الدراهم وخرج إلى التجارة وبقيت امرأته مع اليهودي، فلما خرج من البلد قطع عليه الطريق وأخذ المال

منه فرجع وسمع به اليهودي فخرج إليه يطلب ماله أو الرهن فلزمه وأراد إحضاره عند القاضي فمرا على رجل كان حماره في الوحل فاستعان بالرجل فلزم ذنب حماره ليخرجه من الوحل فانقطع فلزمه بقيمة الحمار فصارا مدعيين، فأتوا إلى مسجد ينامون فيه إلى الصباح فجعل الرجل داخل المسجد وباتا على الباب لئلا يهرب منهما، فلما ناما صعد على سطح المسجد ورمى بنفسه ليخلص منهما فاتفق أن رجلاً مع ولده كانا نائمين تحت جدار المسجد فوقع على الرجل النائم فأهلكه فلزمه الولد بدم أبيه وصاح حتى انتبه الرجلان فصاروا ثلاثة، فأخذوه إلى بيت القاضي فسألوا عن القاضي فقيل لهم: إنه في خلوته، فلما جلسوا قال ذلك الرجل: أنا أرمي بنفسي إلى القاضي في خلوته لعله يفتكر في حالي فركض ودخل على القاضي فوجد غلاماً يلوط به فجلس حتى فرغ القاضي وحكى له الحكاية فقال له القاضي: اشرط على نفسك أن لا تحكي بما رأيت وأنا أخلصك من هذه الدعاوى كلها، فشرط له وحلف فخرج القاضي إلى دار القضاء فتقدم اليهودي وقد كان شرط عليه القاضي أن لا ينكر شيئاً من الدعاوى.

فقال اليهودي: أريد إما دراهمي أو رهني مائة مثقال من لحمه، فصدقه الرجل فقال القاضي: خذ واقطع من لحمه مائة مثقال لا تزيد ولا تنقص وإلا فعليك القصاص. فتحير اليهودي ثم قال: أسقطت عنه دعواي عليه، فقال القاضي: ألا كنت أسقطت عنه قبل حضورك دار القضاء، فأخذ منه القاضي مثل الدراهم التي يطلبها من الرجل وخلّى عنه.

ثم تقدم طالب الدم فأقر الرجل بأنه قتل أباه بالسقوط عليه فقال القاضي: امض إلى الرجل واضجعه مكان أبيك وأسقط عليه من فوق السطح واقتله كما قتل أباك، فتحير الرجل بالسقوط وأنه ربما مات من السقطة فقال: وهبته دم أبي فقال القاضي: ألا كان ذلك قبل حضور دار القضاء، فأخذ منه القاضي مالاً كثيراً وخلّى عنه، فلما رأى صاحب الحمار قضية الرجلين أسرع في العدو فقال له القاضي: إلى أين؟

قال: آتي بشهود يشهدون على أن حماري ما كان له ذنب حتى لا تقضي علي بهذا القضاء.

من مهاترات ابن العربي والغزالي

من عظماء الصوفية: محيي الدين بن عربي وذكر في فتوحاته أن إبليس سيد الموحدين، وذلك أن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم لم يقل إني لم أسجد مطلقاً بل أبى عن السجود لبشر مثله مشيراً إلى أنه لا يسجد إلا لله تعالى، على أنه لحظ إن الله سبحانه أراد من سجود الملائكة أنهم إذا اشتغلوا بالسجود علم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها والشيطان أراد أن لا يزيد علم آدم على علمه فلذا لم يسجد حرصاً على سماع العلوم الملكوتية، ومن هذا كان أعلم العلماء والملائكة.

وذكر أيضاً، أن قوم نوح عليه السلام حكم عليهم ربهم بأنهم مغرقون يعني في بحر الرحمة وأن

نوح ومن ركب السفينة معه كانوا مبعدين محفوظين عن تلك الرحمة بركوب السفينة فهي سفينة النجاة من الرحمة لا من الهلاك.

أقول: وهذا الزنديق من أعظم مشايخ الصوفية ويستندون إليه في أكثر عقائدهم ويعتمدون على كتبه وما ينقل منه.

وأما الغزالي فذكر في الأحياء في باب اللعن فصلاً طويلاً وقال: إن لعن اليهود وأهل الكتاب لا يجوز مطلقاً، نعم يجوز على طريقة الشرط والتقييد ويقول: لعن الله فلان اليهودي إن لم يمت على الإسلام، لأن صدور الإسلام منه جائز. بل قال: إن لعن يزيد غير جائز وأنكر قتله للإمام الحسين عليه السلام قال: وعلى تقدير قتله فلو قتل مسلم مسلماً لا يكون القاتل كافراً مع احتمال التوبة من ذلك. وقد نقل عنه ذلك ابن خلكان في تاريخه ومناقب الأعيان ونقلناه نحن عنه في رسالة الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، ثم قال في باب اللعن من كتاب الأحياء: نعم يجوز اللعن على الرافضة مطلقاً من غير شرط لحصول القطع بأن الرافضي لا يتوب ولا يرجع عن مذهبه ورفضه.

هذا وبعض أصحابنا توهم رجوعه في آخر عمره إلى مذهب الشيعة واغتر بمقالته التي في كتاب سر العالمين في تحقيق الخلافة، والحق أن تلك العبارة لا تدل على طلك بل هي مما أظهره الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه من مساوىء مشايخه كما وقع للتفتازاني في شرح المقاصد ولابن أبي الحديد في شرح النهج وللشهرستاني في كتاب الملل والنحل كما نقلناه جميعاً في رسالتنا المتقدمة ذكرها نعم كلامه في هذا الكتاب مما يؤذن برجوعه عما كان عليه من النصب الشديد وقت تصنيفه الأحياء، وكلامه في تتمة المقالة المذكورة يشعره بما ذكرناه من بقائه على نصبه ورجوعه عما كان عليه من ذلك التعصب، فراجع ذلك يظهر لك الحال.

أبو السعادات: كان له صاحب انقطع عنه أياماً فنسيه بالكتاب فكتب إليه صاحبه:

[البحر الخفيف]

لا تزرْ من تحبُّ في كلِّ شهرٍ غيرَ يومٍ ولا تزده عليهِ
فاجتلاءُ الهلالِ في الشهرِ يومٌ ثم لا تنظرُ العيونُ إليهِ

فقال في جوابه: **[البحر الوافر]**

إذا حققتَ من خلٍّ وداداً فزره ولا تخف منه مَلالا
وكنْ كالشمسِ تطلعُ كلَّ يومٍ ولا تكُ في زيارته هِلالا

مشاورة أرسطو على الإسكندر

ذكر الصفدي: أنه لما استولى الإسكندر على ملك فارس كتب إلى أرسطو يأخذ برأيه في

ذلك، فكتب إليه: الرأي أن توزع ممالكهم بينهم وكل من وليته ناحية سمه بالملك وأفرده بملك ناحيته واعقد التاج على تارحه وإن صغر ملكه، فإن المسمى بالملك لا يجتمع إلى غيره ثم يقع بينهم تغالب على الملك فيعود حربهم لك حرباً بينهم فإن دنوت منهم دانوا لك وإن نأيت تعززوا بك، وفي ذلك شغل لهم عنك وأمان لأحداثهم بعدك شيئاً، فلما بلغ الإسكندر ذلك علم أنه الصواب وفرق القوم في الممالك فسموا ملوك الطوائف فيقال: إنهم لم يزالوا برأي أرسطو مختلفين أربعمائة سنة ولم ينتظم لهم أمر.

معاهدة المأمون لملوك النصارى

حكى: الصفدي أن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى أظنه صاحب جزيرة قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا عالم واحد منهم قال: جهزوها فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها. وكان الشيخ تقي الدين يقول: ما أظن أن الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من ادخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها. ويحيى بن خالد البرمكي عرب لأجله كتاب المجسطي من كتب اليونان. والمشهور أن أول من عرب من كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيمياء.

الترجمة

وللتراجمة في النقل طريقان:

أحدهما: طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما يدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة بمفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك فيبينها، وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. وهذه الطريقة ردية لوجهين:

أحدهما: أنه لا يوجد في العربية كلمة تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها.

الثاني: إن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً وإنما يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريق الثاني: من التعريب طريق حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بكلمات تطابقها سواء ساوتها

الألفاظ أو خالفتها. وهذه الطريقة أجود، ولهذا لم يحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية فأما أوقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة وكذا المجسطي والمتوسطات بينهما.

قبرص

قال: السيد نعمة الله قدس الله سره في كتابه زهر الربيع بعد نقل ذلك أقول: أما قبرص فهو عمل من أعمال الجزيرة ومحال من محالها قد شاهدنا آثار قلاعه وعظمة بناءته، والأظهر أن المراد به هنا بلدة من بلاد الروم. واليونان موضع كان بأرض الروم وبه مدن وقرى كثيرة وكانت منشأ حكم اليونانيين فاستولى عليها الماء، ومن عجائبها أن من حفظ شيئاً بتلك الأرض لا ينساه. وحكى التجار أنهم إذا وصلوا ذلك الموضع ذكروا ما غاب عنهم وينسب إليها سقراط أستاذ أفلاطون شهدوا عليه أنه كان يحب الصبيان فقتلوه بالسم وينسب إليهم أفلاطون أستاذ أرسطاطاليس كان يقول بالتناسخ.

علم الفلاسفة

وحكي: أن اسكندر ذهب إليه فكان أفلاطون بشرفة من الشمس قد أسند ظهره إلى حائط فقال له: هل من حاجة؟

فقال: حاجتي أن تزيل عني ظلك فقد منعتني الرفق بالشمس. وينسب إليها أرسطاطاليس ويقال له (المعلم الأول) لأنه نقح علم الحكمة. وينسب إليها بطليموس الذي عرف حركات الأفلاك. وينسب إليها بلبياس صاحب الطلسمات. وينسب إليها فيثارغوس صاحب علم عمل الموسيقى زعموا أنه وضع الألحان على أصوات حركات الفلك بذكائه وينسب إليه أقليموس وهو صاحب الفراسة. وينسب إليها أوقليدس واضع علم أعداد الوفق. وينسب إليها بقراط صاحب كليات الطب. وينسب إليها جالينوس.

وهؤلاء الحكماء استغنوا عن متابعة الأنبياء عليهم السلام بعقولهم وعلومهم العقلية حتى أنه نقل أن أفلاطون قال للمسيح عليه السلام لما دعاه إلى دينه: أرسلك علة العلل إلى تكميل العقول الناقصة وإرشادهم وأما أنا وأمثالي فلا حاجة بنا إليك.

وأما قول بطريقهم - أي عالمهم - أنه ما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها فهو كما قال، لأن مبنى تلك العلوم على عقول الفلاسفة المباينة لقواعد الشرائع، وحيث إن علم الفلاسفة علم يميل الطبع إليه يؤثر في النفوس كما هو الواقع منه في هذه الاعصار وما قبلها وأصول مسائله على خلاف ما جاءت به النبوات، مضافاً إلى ما وقع في التعريب من الأمور السابقة وإن أكثر المعربين كانوا من علماء النصارى وادخلوا في مسائل الفلسفة وقت التعريب ما أفسد شرائع الإسلام.

ويعجبني كلام بعض المفسرين حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾[1] إن الله سبحانه خلق الكلاب. وجاء في الرواية أنها أحسن المخلوقات وفي الرواية عنه ﷺ: «لو لم تكن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلبٌ» ومع ذلك لما ورد الحكم من الله سبحانه بحل ما يقتله الكلب من الصيد أمر بأنكم لا تعلمونهم لأجل الصيد إلا العلم الذي علمك الله تعالى وهو العلم المذكور في كتب الفقهاء ولم يرض لكلب الصيد أن يعلموه ما اخترعته عقولهم، فكيف رضي الحكماء من الفلاسفة وغيرهم أن يعلموا أشرف المخلوقات وهو الإنسان العلم الذي أوجدوه بإنكارهم الفاسدة. على أنك لو تصفحت كلام الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وجدت كلما يحتاج إليه وما لا يحتاج إليه فينقل عنهم في كتب الأخبار ومن أراد أن يدون كتاباً مفرداً في آداب الكنيف وأحوالها أمكنه ذلك فما سمعنا في خبر من الأخبار باسم الهيولة ولا الصورة ولا العقول العشرة ولا قدم العالم ولا نحو ذلك بل الوارد عنهم عليهم السلام نقيض هذه الأمور.

مدح الإمام المنتظر للبهائي

لشيخنا البهائي قدس الله سره: في مدح صاحب الأمر صلوات الله عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين.

[البحر الطويل]

سرى البرقُ من نجدٍ فهيّج تذكاري ... عهودٌ بخروى والعذيبِ وذي قارِ
وهيّج من أشواقنا كلّ كامنٍ ... وأجّج في أحشائنا لاهب النارِ
ألاَ يا لييلاتِ الغوير وحاجرٍ ... سُقيتِ بها من هاتن المزن مدرارِ
ويا جيرةً بالمازمينِ خيامُهم ... عليكم سلامُ اللهِ من نازحِ الدارِ
خليليّ ما لي والزمانُ كأنما ... يطالبني في كلّ آنٍ بأوتارِ
فابعدَ أحبابي وأخلى مرابعي ... وأبدلني من كلّ صفوٍ بأكدارِ
وعادل بي من كان أقصى حرامِه ... من المجدِ أن يسمو إلى عُشرِ معشارِ
ألمْ يدراني لا أذلُّ لخطبِه ... وإنْ سامني خسفاً وأرخص أسعاري
مقامي بفرقد الفرقدين فما الذي ... يؤثّره مسعاهُ في خفض مقداري
وإني امرؤٌ لا يدرك الدهرُ غايتي ... ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أخالطُ أبناء الزمان بمقتضى ... عقولهم كيلا يفوهوا بإنكاري
وأظهر أني مثلهم تستفزّني ... صروف الليالي باختلاء وإمرارِ

(1) سورة المائدة، الآية: ٤.

وإني ضاري القلب مستوفرُ النُّهى ... أسرُّ بيسرٍ أو أساءُ بإعسارِ
ويضجرُني الأمرُ المهولُ لقاؤه ... ويطربُني الشادي بعودٍ ومزمارِ
ويُصمي فؤادي ناهد الثدي كاعبٌ ... بأسمر خطارٍ وأحور سحّارِ
وإني لأسخي بالدموع لوقفةٍ ... على طللٍ بالٍ ودارسِ أحجارِ
وما علمُوا إني امرؤٌ لا يروعني ... توالي الرّزايا في عشيٍّ وإبكارِ
إذا دُكَّ طودُ الصبرِ من وقعِ حادثٍ ... فطود اصطباري شامخٌ غيرُ منهارِ
وخطبٌ يزيلُ الروعِ أيسرُ وقعِه ... كؤودٌ كوخزٍ بالأسنّةِ مسعارِ
تلقيتُه والحتفُ دون لقائه ... بقلبٍ وقور في الهزاهز صبّارِ
ووجهٍ طليقٍ لا يملُّ لقاءه ... وصدرٍ رحيبٍ في ورودٍ وإصدارِ
ولم أبدِه كيلا يساء لوقعه ... صديقي ويأسى من تسعّره جاري
ومعضلةٍ دهماء لا يهتدى لها ... طريقٌ ولا يهدي إلى ضرّها الساري
تشيبُ النّواصي عند حلٍّ رموزها ... ويحجمُ عن أغوارِها كل مغوارِ
أجلتُ جياد الفكرِ في حلباتها ... ووجّهتُ تلقاها صوائب أنظاري
فأبرزتُ من مستورها كلّ غامضٍ ... وثقّفتُ منها كلّ أصور موّارِ
أأضرع للبلوى وأُغضي على القذى ... وأرضى بما يرضى به كلُّ خوّارِ
إذاً لا ورى زندي ولا عزّ جانبي ... ولا بزغت في قمةِ المجدِ أقماري
ولا بلّ كفي بالسّماع ولا سرتْ ... بطيب أحاديثي ركائب أخباري
ولا انتشرت في الخافقين فضائلي ... ولا كان في المهديِّ رائق أشعاري
خليفة ربِّ العالمين وظلُّه ... على ساكني الغبراء من كلِّ ديارِ
هو العروةُ الوثقى الذي من بذيله ... تمسّك لا يخشى عظائم أوزارِ
إمامُ هدى لاذ الزمان بظلّه ... وألقى إليه الدهرُ مقواد حوّارِ
ومقتدرٌ لو كلفَ الصمّ نطقه ... بأجدارها فاهت إليه بأجدارِ
علومُ الورى في جنبِ أبحرِ علمِه ... كغرفةِ كفٌّ أو كغمسةِ منقارِ
فلو زار أفلاطونُ أعتاب قدسه ... ولم يغشه عنها سواطعُ أنوارِ
رأى حكمةً قدسيةً لا يشوبها ... شوائب أنظارٍ وأدناس أفكار
بإشراقها كلُّ العوالم أشرقت ... لما لاح في الكونين من نورها الساري
إمام الهدى طود النهى منبع الهدى ... وصاحب سرِّ اللهِ في هذه الدارِ
به العالمُ السفلي ليسمو ويعتلي ... على العالم العلويِّ من دون إنكارِ
ومنه العقولُ العشرُ تبغي كمالها ... وليس عليها في التعلم من عارِ

همامٌ لو السبعُ الطباقُ تطابقت على نقض ما يقضيه من حكمه الجاري
لنكّس من أبراجها كلّ شامخ وسكّن من أفلاكِها كلّ دوّارِ
ولا انتشرت منه الثوابتُ خيفةً وعاف السرافي سورها كلّ سيّارِ
أيا حجةَ اللهِ الذي ليس جارياً بغيرِ الذي يرضاه سابق أقدارِ
ويا من مقاليدُ الزمان بكفّه وناهيك من مجدٍ به خصّه الباري
أغثْ حوزة الإسلام واعمر ربوعه فلم يبق منها غيرُ دارسِ آثارِ
وانقذ كتاب اللهِ من يدِ عصبةٍ عصوا وتمادوا في عتوٍّ وإضرارِ
يحيدون عن آياته لروايةٍ رواها أبو شعبون عن كعبِ أحبارِ
وفي الدين قد قاسوا وعاثوا وخبّطوا باحرائهم تخبيط عشوى ومعشارِ
وانعش قلوباً في انتظارك أقرحت وأضجرها الأعداء آيّة إضجارِ
وخلّص عباد الله من كلّ غاشمٍ وطهّر بلاد اللهِ من كلّ كفّارِ
وعجّلْ فداك العالمون بأسرِهم وبادر على اسم الله من غير إنذارِ
تجدْ من جنود اللهِ خير كتائبٍ وأكرم أعوانٍ وأشرفَ أنصارِ
بهمْ من بني همدان أخلصُ فتيةٍ يخوضون أغمار الوغى غير نكّارِ
بكلِّ شديدِ الباس عبلٍ شمردلٍ إلى الحتف مقدامٍ على الهولِ مصبارِ
تحاذره الأبطالُ في كلِّ موقفٍ وترهبُه الفرسانُ في كلِّ مضمارِ
أيا صفوةَ الرحمن دونك مدحةً كدرٍّ عقودٍ في ترائبِ أبكارِ
يهنّى ابنُ هاني إن أتى بنظيرها ويعنو لها الطّائيُّ من بعد بشّارِ
إليك البهائيُّ الحقير يزفُّها كغانيةٍ ميّاسةِ القدِّ معطارِ
تغامُ إذا قيستْ لطافةُ نظمها بنفحة أزهارٍ ونسمةِ أسحارِ
إذا رُدّدت زادت قبولاً كأنّها أحاديثُ نجدٍ لا تملُّ بتكرارِ

معارضة الخطي قصيدة البهائي

نقل أنه لما دخل الشيخ جعفر الخطي ﷺ أصبهان اجتمع بالشيخ بهاء الدين ﷺ وعرض عليه أدبه فاقترح عليه الشيخ معارضة قصيدته الرائية المذكورة هنا، ونقل أن الشيخ ﷺ قال له: قد أمهلتك شهراً، فقال الشيخ جعفر ﷺ: بل يوماً بل في مجلسي هذا، فاعتزل ناحية وأنشأ هذه القصيدة البديعة في غاية الجودة وهي: [البحر الطويل]

هي الدارُ تستسقيك مدمعك الجاري فسقياً فأجدى الدمعِ ما كان للدّارِ
ولا تصتضِعْ دمعاً تُريق مصونه لعزّته ما بين نؤياً وأحجارِ

فأنتَ امرؤٌ بالأمس قد كنت جارها ... وللجار حقٌّ قد علمت على الجارِ
عشوت إلى اللذات فيها على سني ... سناء شموسٍ ما يغبْن وأقمارِ
فأصبحتَ قد أنفقت أطيب ما مضى ... من العمر فيها بين عونٍ وأبكارِ
نواصعُ بيضٌ لو أفضن على الدّجى ... سناهنّ لاستغنى عن الأنجم السّاري
حرائرُ يبصون الأصولَ بأوجه ... تغصُّ بأمواه النضارةِ أحرارِ
معاطيرُ لم تغمسْ يدٌ في لطيمةٍ ... لهنّ ولا استعبقنَ جونة عطّارِ
ابحنك ممنوع الوصالِ نوازِلا ... على حكم ناهٍ كيف شاء وأمّارِ
أذا بتَّ تستسقي الثغورَ مدامةً ... أتتك فحيّتك الخدودُ بأزهارِ
أموسم لذّاتي وسوق مآربي ... ومجنى لُباناتي ومنهبَ أوطاري
سقتْك برغمِ المحلِ أخلاقُ مزنةٍ ... تلفُّ إذا جاشت سهولاً بأوعارِ
وفجّ كما شاءَ المجالُ حشوتَه ... بعزمةٍ عوّادٍ على الهولِ كرّارِ
تمرّسَ بالأسفار حتى تركنه ... لدقَّتِه كالقدحِ أرهفه الباري
إلى ماجدٍ يُعزى إذا انتسب الورى ... إلى معشرٍ بيضٍ أماجد أخيارِ
ومضطلعٍ بالفضل زرُّ قميصه ... على كنزِ آثارٍ وعيبةِ أسرارِ
سميُّ النبيُّ المصطفى وأمينُه ... على الدين في إيرادِ حكمٍ وإصدارِ
به قامَ بعد الميلِ وانتصبت به ... دعائمُ قد كانت على جُرُفٍ هارِ
فلما أناختْ بي على بابِ دارِه ... مطاياي لم أذمم مغبّة أسفاري
نزلت بمعشيّ الرواقينِ دارُه ... مثابة طوّافٍ وكعبة زوّارِ
فكان نزولي إذ نزلت بمغدقٍ ... على المجدِ فصل البرد عارٍ من العارِ
أساغ على رغمِ الحوادثِ مشربي ... وأعذبَ ورد العيش لي بعد إمرارِ
وأنقذني من قبضةِ الدهرِ بعدما ... ألحَّ بأنيابٍ عليَّ وأظفارِ
جهلتُ على معروفِ فضلي فلمْ يكن ... سِواه من الأقوام يعرفُ مقداري

ولما انتهى في الإنشاد إلى هذا البيت قال الشيخ له وأشار إلى جماعة من سادات البحرين وأعيانهم وكانوا عنده: «وهؤلاء يعرفون قدرك إن شاء الله تعالى».

على أنه لم يبق في ما أظنُّه ... من الأرضِ شبرٌ لم تطبقه أخباري
ولا عزوفاً لإكسيرٍ لأكبرَ شهرةً ... وما زالَ من جهلٍ به تحتَ أستارِ
متى بلّ بي كفٌّ فليس بآسفٍ ... على درهمٍ إن لم ينله ودينارِ
فيابن الأولى أثنى الوصيُّ عليهم ... بما ليس تُثني وجهه يدُ إنكاري
بصفيّن إن لم يلفِ من أوليائِه ... وقد عضّه نابُ الوغى غيرَ فرّارِ

وأبصر منهم جنّ حربٍ تهافتوا على الموت إسراع الفراش إلى النارِ
سراعاً إلى داعي الحروبِ يرونها على شربها الأعمار موردَ اعماري
أطاروا غمودَ البيضِ واتكلوا على مفارقِ قومٍ فارقُوا الحقّ فُجّارِ
وارسوْا وقد لاثوا على الرّكبِ الحبى بُروكاً كهَدي أبركوه لجزّارِ
فقال وقد طابتْ هنالك نفسُه رضاً وأقرُّوا عينه أيّ إقرارِ
فلو كنتُ بواباً على بابِ جنةٍ كما أفصحتْ عنه صحيحاتُ آثارِ

يشير بذلك إلى همدان وهي قبيلة من اليمن إليهم ينتهي نسب الممدوح، وكانوا قد أبلوا يوم صفين بلاء حسناً فروي أنهم في بعض أيامها حين اشتجر القتل ورأوا فرار الناس عمدوا إلى عمود سيوفهم فكسروها وعقلوا أنفسهم بعمائمهم وجثوا للركب وبركوا للقتل فقال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام: [البحر الطويل]

لهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يزينها وبأسٌ إذا لاقوا وحسنُ كلامِ
ولو كنتُ بواباً على بابِ جنةٍ لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلامِ

وقال علي عليه السلام يوم الجمل: «لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته» وكان إذا رآهم تمثل بقول الشاعر: [البحر البسيط التام]

ناديتُ همدانَ والأبوابُ مغلقة ومثلُ همدانَ سني فتحةُ البابِ
كالهندوانيّ لم تفلل مضاربُه وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجّابِ

منها: [البحر الطويل]

لأثقلتُ ظهري بالصنيعِ فلم أكنْ أبوءُ بأعباءٍ ثقلن وأوقاري
وروضتُ فكري بعدما صحّ بتُّه بمنعبقٍ من ماءِ فضلِك مدرارِ
وكلّفتني جرياً وراءك بعدما بلغتُ مكاناً دونه يقفُ الجاري
فجشّمتَنيها خطةً لا ينالُها توثّبُ مستوفِ الجناحينِ طيّارِ
وأينَ مجاراتُ السكيتِ مجلّياً تناولَ سوءَ السبقِ في كلِّ مضمارِ
وألزمْتني مدح امرئٍ لو مدحتُه بشعر بني حوا ودع عنك أشعاري
لقصّرتُ عن مقدار ما يستحقُّه علاه فاقلالي سواءٌ وإكثاري
إمامُ هدى طهر نقيٌ إذا انْتهى إلى سادةٍ حلوُ الشمائلِ أطهارِ
وبرٌّ لبرٍّ ما نسبتُ فصاعداً إلى آدمٍ لم ينمِه غيرُ أبرارِ
ومنتظرٌ ما أخّر اللهُ وقته لشيءٍ سوى إبرازِ حقٍّ وإظهارِ
له عزمةٌ تثني القضاء وهمةٌ تؤلفُ بين الشاةِ والأسدِ الضّاري
وعضبٌ أغبّته الغمودُ وينتضي لإدراكِ ثاراتٍ سبقن وأوتارِ

أبا القاسم انهضْ واشفِ غلَّ عصابةٍ قضَى وطراً من ظلمِها كلُّ كفارِ
إلام وحتّام المُنى وانتظارُنا سحائبُ قد ظلّلننا دون أمطارِ
ذوتْ نظرةُ الصبرِ الجميلِ وآذنتْ بيأسٍ لإهمالٍ تمادى وإنذارِ
أبخ حرمَ الجورِ المنيعِ جنابُه بجرٍّ خميس يملأُ الأرض جرّارِ
به كلُّ مسجورِ العزيمةِ مظهرٍ على خشيةِ الجبّارِ هيبةُ جبّارِ
إذا انحطمَ الرمحُ انتضى السيف مغمداً لأسمر عمالٍ وأبيضَ بتّارِ
أزرتُك منزورَ الثناءِ فلم يكنْ جزائي على مقدارِ شعري ومقداري
ودونكما عذراءَ لم يجلَ مثلُها على أحدِ الأك أسارُ أفكاري
ولا زالَ تسليمُ المهيمنِ واصلاً إليكَ به يسري عشياً وأبكارِ

قال الغنوي وهو منشد الخطي وراويته: أنه لما فرع من إنشاد القصيدة المذكورة على الشيخ بهاء الدين قدس الله سره كتب الشيخ قدس سره عليها مقرظاً: أيها الأخ الأغر الفاضل الألمعي بدر سماء أدباء الاعصار وغرة سيماء بلغاء الأمصار أيم الله إني كلما سرحت بريد نظري في رياض قصيدتك الغراء ورويت رائد الفكر في حياض خريدتك الغدراء زاد بها ولوعي وهيامي واشتد إليها ولهي وأرامي فكأنما عناها من قال: [البحر الطويل]

قصيدتُك الغرّاء يا فردَ دهره تنوبُ عن الماءِ الزلالِ لمن يظمي
فنودي متى نروي بدائع لفظِها ونظمي إذا لم تزرِ يوماً لها نظمي

ولعمري لا أراك آخذاً بأزمة أوابد اللسن تقودها حيث أردت وتوردها أنّى شئت وارتدت حتى كأن الألفاظ تتحاسد على التسابق على لسانك والمعاني تتغاير في الامتثال على جنابك.
وكتب المحب الإخلاصي بهاء الدين العاملي محمد.

مدح الشيخ عيسى للشيخ جعفر البحراني

قال الشيخ عيسى بن صالح بن عصفور الدرازي يمدح بها الشيخ العلامة الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني يوم كان في الهند، وقد وفد عليه فأجازه جائزة سنية، وهذا الشيخ هو عم جدي الشيخ إبراهيم ابن الحاج أحمد بن صالح بن عصفور: [البحر البسيط التام]

الهندُ بعد صلاةِ الليلِ في القدمِ يا ضيعة العمرِ بل يا زلّةَ القدمِ
وبعد تعفيرِ خدٍّ وابتهالِ يدٍ بين الحطيمِ وبين الحجرِ والحرمِ
وبعدما عرفتْ واستشعرت ورمت وأثرت في منى من أعظم النعمِ
وبعدما وقفت واستأذنت ودنتْ من حجرة حل فيها أفضل الأممِ
وبعدما عطرت بالعفو تربتها في داره بين طوّافٍ ومستلمِ

وبعدما جدّدت عقد الولاءِ لمنْ حلَّ البقيع ونالتْ أوفر القسمِ
وبعدما غسلت أدرانها ونقت أديانها رجعت بالخسر والندمِ
تبّاً لها يا لها عن حالها غفلتْ أم ساقها ما جرى في اللوحِ والقلمِ
قالت لديّ حديثٌ إن صغوت له كفيت من خطرات الهمّ والألمِ
فكنْ لما أنت لا ترجو على ثقةٍ وما رجوت له فاعزب ولا تقمِ
فربَّ طالب نارٍ جاء مصطلياً وربّ طالب سحرٍ جاء بالسلمِ
إني لأوردُك الكهفَ الذي قصرت عن دون محتده الأملاكُ في القدمِ
أرحِ الأعنَّة طُوبى إنْ ظفرت به يُغنيك عن عوضٍ منسي وبي بهمِ
وعن شيتا وعن أم الخشيب وعن فيضِ المدامعِ والدلماءِ والقرمِ
فقلت من ذا فقالت جعفر فغدا يسوقُني الشوقُ للمستكملِ الشيمِ
حتى أنختُ بواديه الكريمِ فيا بُشرى لما وفّق الرحمنُ في القسمِ
رأيتُ شخصاً كأنّ الله قلّده أعباء وحيٍ تلاها الروحُ بالحكمِ
فتى إذا المرءُ عاداه الزمانُ دعا بجاهه جاءه في جملةِ الخدمِ
أين الأكابرُ والساداتُ من هجرٍ شمُّ الأنوف سقاه المحلُ بالديمِ
أعطى الإلّه يميناً في خلائقه أن لا يقلّ ولا يلوي لها بفمِ
أمسى يميرُ عشار المزن وابله ليضحك البحر والأشجار في الأجمِ
فكنت لأفواهِها الأصدافُ من علمتْ بوبله فغدتْ باللؤلؤِ الرخمِ
مستْ يديْ حاتمٍ يُمناه فافتخرتْ في صلب آدم بين الماء والأدمِ
لا غروَ ان أخجلَ الأنواء نائله فالأرضُ لولا نكا جدواهُ لم يقمِ
شمسٌ بلا كسفٍ بدرٌ بلا كلفٍ بحرٌ بلا تلفٍ قد فاض بالنعمِ
أضحت إليه وفود الركب شاكرةً والنوقُ شاكيةً والسفن في اليممِ
وافيتُه فسمعتُ الجود ينشدني من أمّ باب جوادٍ فاء بالنعمِ
أبوابُ غيرك ما فيها لنا اربٌ ولا لغيرِك تثني العيسُ بالرممِ
أسدي إليك يداً سرُّ البنين بها وأدخل الروح للاباء في الرممِ
خذ يا أخا الدهر فيما سدت محمدةً فأبعدَ الله من لم يجز بالنعمِ
صلى الإله على المبعوث من مضرٍ وآله ما حدا الحادي بذي سلمِ

وأشار بقوله في صدر القصيدة «في القدم» إلى مسجد كان يصلي فيه صلاة الليل في قرية الدراز، وبقوله «يغنيك عن عوض منسي» وما بعده إلى مواضع في البحر يغوصونها أهل البحر من البحرين إذ كان مدار أهل البحرين سيما طائفة الشيخ المذكور على الغوص.

وهذا الشيخ الممدوح عطر الله مرقده كان علماً علامة فقيهاً محدثاً نحوياً عروضياً قارئاً، وكان في البحرين فضاقت به المعيشة هو والشيخ العالم الشيخ صالح بن عبد الكريم الكزركاني البحراني فخرجا من البحرين معاً واستوطنا دار العلم شيراز مدة ثم اتفق رأيهما على أن يمضي أحدهما إلى ديار الهند والآخر يقيم بولاية إيران وأيهما آثر وإلا يمد الآخر بالمال منه، فسافر الشيخ جعفر بن كمال الدين قدس الله سره إلى ديار الهند واستوطن حيدرآباد وبقي الشيخ صالح في شيراز فبعد وقت يسير ارتفع شأن كل منهما في محله وصار هو المشار إليه بالبنان من بين من فيها من الأجلاء والأعيان، ولنا إليهما قدس الله سرهما طرق في الإجازة منهما وهما يرويان عن جملة من الأعلام منهم السيد نور الدين أخ السيد محمد صاحب المدارك وغيره. والشيخ جعفر المشار إليه من جملة مشايخ السيد نعمة الله الجزائري قدس سره.

قصة الجارية وابنتها وزوجها

روى البيهقي عن ذي النون المصري قال: كنت في الطواف وإذا أنا بجاريتين قد أقبلتا وأنشأت إحداهما تقول: [البحر الطويل]

صبرتُ وكان الصبرُ خير معيشةٍ وهل جزعٌ منّي بمجدٍ فأجزعُ
صبرتُ على ما لو تحمّل بعضه جبالٌ برضوى أصبحت تتصدعُ
ملكتُ دموع العينِ ثم رددتها إلى ناظري فالعينُ في القلبِ تدمعُ

فقلت: مما ذا يا جارية؟

قالت: من مصيبة نالتني لم تصب أحد قط. فقلت: وما هي؟ قالت: كان لي شبلان يلعبان أمامي وكان أبوهما ضحى لهما بكبشين فقال أحدهما لأخيه: يا أخي أريك كيف ضحى أبوك بكبشه؟

فقام وأخذ شفرة فنحره وهرب القاتل، فدخل أبوهما فقلت: إن ابنك قتل أخاه وهرب فخرج في طلبه فوجده قد افترسه السبع، فرجع الأب فمات في الطريق عطشاً وجوعاً.

للشيخ جعفر الخطي: المادح عفا الله عنه بمنه وكرمه: [البحر المنسرح]

يا مسرعاً للجحيمِ علّك أنْ تسألَ فيها المزنمَ ابن حجرْ
هل أحرقتْ غيرهُ صواعقُه أو ألقمت مثله العين حجرْ

مدح الأزري لسلمان الفارسي وحذيفة اليماني

مما قاله محمد كاظم الأزري في مدح سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما:

[البحر الخفيف]

بين وادي النّقا وبين المصلّى ... زمنٌ مرّ ما ألذ وأحلى
إن يوم اللّقا لأعظمُ يومٍ ... جلبتْه لنا المُنى فاستهَلا
حيّ ذاك المحلّ من حيّ نعمٍ ... طابَ ما كان بالنعيم محَلا
فانثنى ذلك الزمانُ زمانًا ... وكذاك المحلُّ جدباً ومخْلا
لا تلمْ بالسوادِ صحفَ اللّيالي ... خطّ في لوحِها القضاءُ فأملى
قم بنا نسألُ الفلا والمطايا ... كيف نيل العُلى وأين استقلا
إن أيدي النياقِ أذرعُ عزٍّ ... تذرعُ الحادثاتِ حزناً وسهْلا
كيف تُرجى الحياةُ لولا المعالي ... وإذا الروحُ فارق الجسم ولّى
خلّها في السّرى تمدّ خُطاها ... فعساها ترى الثريا محلا
يترامى بها إلى خير وادٍ ... داءُ شوقٍ يُصحّه من أعلاّ
لا تلمها في تركها كلَّ مرعىً ... من رأى نجدَ لم يجد عنه شُغلا
إن براها السّرى فحلّ بُراها ... لبست عقد عزمةٍ لن تُحلا
شامت البارق الإلّهيّ وهناً ... فترامت كأنما هي ثُكْلا
أخذتْها تلك المطامعُ حتى ... عقلتها تلك الأشعةُ عقلا
وبدا خيرُ طالعٍ من معالي ... خادم المصطفى فأهْلاً وسهْلا
نورُ علمٍ لا يمتري الظنُّ فيه ... إنه الشمسُ بل أجلُّ وأعلى
ويقولُ النبيُّ سلمانُ منّا ... شرفٌ يُحتذى من الشمس نعلا
أحدقتْ في الوجودِ منه أمورٌ ... بالغاتٌ بها غدا الدهرُ طِفلا
صيرتْ ذاتُه العيوبَ حيارى ... ليس تدري أصدره اللوحُ أم لا
حلّ منه النّهى بتمثالِ لطفٍ ... كان بالجوهرِ الربوبيّ شكلا
كلما حاولت مُنى راحتيهِ ... غصنُ أكرومةٍ دنا فتدلّى
ذاك روحُ القدسِ الذي مذ حواه ... هيكلُ الدهرِ كان للدهرِ مثلا
جوهرٌ لو يقاسُ بالجوهرِ الفردِ عُلاه لكان أعلى وأغلى
هيكلٌ طلسمته أيدي المعالي ... فحشت جانبي هيولاهُ فضلا
بأبي ناظرٌ بمرآةِ علمٍ ... أوجه الغيبِ دونها تتجلّى
بأبي من له المعالي تخلّتْ ... مخلصاتٍ وللمعالي تخلّى
بأبي الماجد الذي اتخذته ... كلُّ بكرٍ من الفضائلِ بعلا
يا أخا المكرمات إن ذنوبي ... حملتني إلى معادي ثقلا
إن تكنْ شافعي فغيرُ عجيبٍ ... أنت يا سيد المشفّع أولى

من مُعيني على مدائح ندبٍ صحَّ عنه الكمالُ نقلاً وعقلا
وأخيهِ الفتى حذيفة لا يرهج قولاً ولا يرنّقُ فعلا
وأمينُ النبيّ في كلِّ سرٍّ كان للمخبر الإلٓهي أهْلا
قد رمى في الحشا لحاظاً صحاحاً فأصابت هادي الورى والمضِلا
كيف يطوي النفاقُ أهلوه عن من حُشي العلمُ فيه حاشا وكلا
لحظتْ مقلةُ الشجاعةِ منه أسداً لم يزل له الموتُ شبلا
سيدٌ يلتقي صدور المعالي مثلما تلتقي الجواهرُ وبلا
سلْ قنا الخطّ أو ظبى الهندِ عنه تلق عزّ الدنيا بكفّيه ذُلاّ

نقل أهل الحساب

إذا وقع العقد في السرطين تموت المرأة، والبطين يموت الزوج، في الثريا تلذذ، الدابران نحس، والهقعة تأتي المرأة عبوس الهنعة تلد المرأة إناثاً. الذراع حسن جداً. النثرة نحس. الطرف المرأة تكره زوجها. الجبهة يجري الفراق بين الزوجين. الزبرة حسنة جداً. الصرفة نحسة جداً والعواء نحسة جداً. السماك حسن ومليح. العفر ليس فيه نحس ومليح الزنان. قبيح. الإكليل ليس وراءه إلا الفقر، القلب نحس والشولة مثله، النعائم حسنة والبلدة سعيدة الذابح ذابح للزوج. بلغ بالغ المرأة. سعد السعود سعود. الأخبية حسنة. فرع المقدم والمؤخر فيه تقم النساء. الحوت حسنة.

الكلام على ضبط سداد

ذكر أبو عبيد: في مثالب أهل البصرة أن النضر بن إسحاق النحوي كان عالماً بفنون العلم وهو من أصحاب الخليل بن أحمد، فاتفق أن ضاقت به المعيشة فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو عروضي أو لغوي أو إخباري أو فقيه، فلما أبعدوا عن البلد جلس فقال: يا أهل البصرة يعز علي فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلاً ما فارقتكم فلم يكن منهم من يتكلف له ذلك القدر اليسير، وسار إلى خراسان فإذا فيها مالٌ عظيم فمن ذلك أنه أخذ على حرف واحد ثمانين ألف درهم قال: كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت ذات يوم فذكر النساء فقال:

حدثني هشام عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان سداد من عوز بفتح السين فقلت: حدثنا عوف عن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ إذا تزوج الرجل المرأة لدينها

وجمالها كان فيه سداد من عوز بكسر السين فقال: يا نظر كيف قلت سداد قلت: نعم لأن سداد بالفتح هنا لحن فقال: أو تلحنتي؟

قلت: إنما هو لحن هشام فتبع أمير المؤمنين لفظه قال: فما الفرق بينهما؟

قلت: السداد بالفتح القصد في الدنيا والسبيل، والسداد بالكسر البلغة وكلما سددت به شيئاً فهو سداد قال: أوتعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم هذا العرجي يقول: [البحر الوافر]

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِداد ثغرِ

فقال المأمون: قبح الله من أدب له، ثم قال: ألا أفديك مالاً؟

قلت: إني لذلك محتاج، فأخذ القرطاس وكتب وقال لخادمه: امض معه إلى الفضل بن سهل، فلما قرأ الكتاب قال: يا نظر أن أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب؟ فأخبرته فقال: لحنت أمير المؤمنين؟

قلت: إنما لحن هشام وتبعه أمير المؤمنين وقد تتبع ألفاظ رواة الآثار بم أمر لي الفضل بثلاثين ألف درهم.

منقبة علوية

نقل العلامة: قدس الله سره في كتابه المسمى بمنهاج اليقين في فضائل مولانا أمير المؤمنين عمن رواه أنه وقع في بعض السنين قتال بقم وكان بها جماعة من العلويين فتفرق أهل البلاد، وكان فيها امرأة صالحة وكان لها أربع بنات صغار من ابن عمها وقد أصيب في ذلك القتال فخرجت مع بناتها فقدمت إلى بلخ أيام الشتاء فبقيت متحيرة ما تدري أين تذهب، فقيل إن بالبلد رجل من أكابرها معروف بالإيمان والصلاح يأوي الغرباء فقصدته فلقيته جالساً على باب داره وحوله غلمانه وأصحابه فقالت: أيها الملك إني امرأة علوية أنا وبناتي قدمنا هذه البلدة وليس لنا من نأوي إليه فقال:

ومن يعرف أنك علوية ائتيني على ذلك بشهود، فلما سمعت كلامه خرجت من عنده باكية فبقيت واقفة في الطريق متحيرة فمر بها رجل سوقي فقال: ما لك أيتها المرأة واقفة والثلج يقع عليك هذه الأطفال معك فقالت: أنا امرأة غريبة فقال: امضي خلفي حتى أدلك على الخان الذي تأوي إليه الغرباء فمضت خلفه وكان بمجلس ذلك الملك رجل مجوسي فلما رأى العلوية وكيف ردها الملك وطلب منها الشهود وقعت الرحمة في قلبه فقام مسرعاً في طلبها فلحقها وأخذها معه إلى منزله فأفرد لها بيتاً من خيار بيوته وجاء لها بالنار والحطب وحدث امرأته بقصتها مع الملك ولم تزل امرأته وجواريه يخدمنها، فلما دخل وقت الصلاة قالت للمرأة: ألا تقومين لقضاء الفرض؟

فقالت: أنا امرأة مجوسية ولسنا على دينكم وزوجي مجوسي لكن وقع حبك في قلبه لأجل

جدك فقالت العلوية: اللهم بحق جدي وحرمته عند الله أن يوفق زوجك لدين جدي ثم قامت العلوية إلى الصلاة والدعاء طول ليلها بأن يهدي الله ذلك المجوسي لدين الإسلام، فلما أخذ المجوسي مضجعه ونام مع أهله تلك الليلة رأى في منامه أن القيامة قد قامت والناس في المحشر وقد أخذهم العطش والمجوسي في أعظم ما يكون من ذلك، فأتى إلى النبي ﷺ وأهل بيته وهم يسقون من نهر الكوثر وعلي واقف على شفير الحوض وبيده الكأس والنبي ﷺ جالس وحوله أهل بيته، فطلب المجوسي منه الماء فقال له علي عليه السلام: إنك لست على ديننا فنسقيك، فقال له النبي ﷺ: «يا علي اسقه إنه آوى ابنتك فلانة وبناتها فكنهم عن البرد وأطعمهم من الجوع وها هي الآن في منزله مكرمة».

فقال علي عليه السلام: ادن مني فدنا منه فناوله الكأس بيده فشرب منه شربة وجد فيها بردها على قلبه فانتبه المجوسي وهو يجد بردها على قلبه ورطوبتها على شفتيه ولحيته، فانتبه مرتاعاً فقالت له زوجته: ما شأنك؟

فحدثها بما رأى وأراها رطوبة الماء على لحيته وشفتيه فقالت له: يا هذا إن الله ساق إليك خيراً بما فعلت مع هذه المرأة العلوية والأطفال العلويين. فقال: نعم والله لا أطلب أثراً بعد عين، فقام الرجل من ساعته وأسرج الشمع وخرج هو وزوجته حتى دخل على العلوية وحدثها بما رأى فسجدت لله شكراً وقالت: والله إني لم أزل ليلتي هذه أطلب من الله هدايتك إلى الإسلام والحمد لله على استجابة دعائي فيك. فقال لها: اعرضي علي الإسلام، فعرضته عليه فأسلم هو وزوجته وجميع من في بيته.

وأما ما كان من الملك فإنه رأى في تلك الليلة مثلما رآه المجوسي وأنه قد أقبل إلى الكوثر فقال: يا أمير المؤمنين اسقني فإني ولي من أوليائكم، فقال علي اطلب من رسول الله ﷺ فإني لا أسقي أحداً إلا بإذنه، فطلب من رسول الله الماء وقال: إني ولي من أوليائكم فقال ﷺ: «آتني على ذلك بشهود». فقال: يا رسول الله كيف تطلبون مني الشهود دون غيري من أوليائكم؟

فقال ﷺ: «وكيف طلبت الشهود من ابنتنا العلوية لما آتتك»، ثم انتبه وهو شديد الظمأ فوقع في الحسرة والندامة على ما فرط منه في حق العلوية، فلما أصبح ركب يطلب العلوية فقصدها إلى دار المجوسي وطرق الباب فقيل: من بالباب؟

فقيل له: الملك واقف ببابك يطلبك، فخرج إليه مسرعاً فلما رآه الملك وجد عليه أثر الإسلام ونوره، فقال الرجل للملك: ما سبب مجيئك إلى منزلي؟

قال: من أجل هذه المرأة العلوية وقد جئت في طلبها ولكن أخبرني عن حال هذه الحلية التي عليك فإني أراك قد صرت مسلماً؟

فقال: نعم ببركة هذه العلوية ودخولها منزلي فأسلمت أنا وجميع من في منزلي. فقال: وما السبب في ذلك؟

فحدثه بحديثه ثم قال: وأنت أيها الملك ما السبب في حرصك على التفتيش عنها بعد إعراضك عنها وطردك لها؟

فحدثه الملك بما رأى في منامه وما وقع له النبي ﷺ ثم دخل الرجل على العلوية وأخبرها بحال الملك فبكت وخرت لله ساجدة على ما عرفه من حقها، فدخل عليها الملك وحدثها بما جرى له مع جدها وسألها الانتقال إلى منزله فأبت، وقال صاحب المنزل: إني قد وهبتك هذا المنزل وما أعددت فيه من الأهبة وأنا وأهلي وبناتي كلهن في خدمتك، فأتى الملك بيته وأرسل لها ثياباً وهدايا كثيرة وجملة من المال فردت ذلك ولم تقبله منه.

فضيلة علوية

ومن الكتاب المذكور: رواه بإسناده إلى عبد الله بن المبارك قال: كنت ولعاً بالحج إلى بيت الله الحرام شديد المداومة في كل عام على حضوره، ففي بعض السنين لما قرب التأهب للحج تأهبت أنا أيضاً، فقمت وشددت على وسطي كيساً فيه خمسمائة دينار وخرجت إلى سوق الإبل لأشتري جمالاً للحج فلم يقع في يدي ما يصلح للطريق فرجعت إلى المنزل فرأيت في الطريق امرأة جالسة على مزبلة وقد أخذت دجاجة ميتة كانت على الكناسة وهي تنتف ريشها من حيث لا يشعر بها أحد فقمت من ورائها بالقرب منها وقلت: لم تفعلين هكذا يا أمة الله؟

فقالت: امض لشأنك واتركني. فقلت: سألتك بالله إلا ما أعلمتيني بحالك. فقالت: نعم إذ ناشدتني بالله اعلم إني امرأة علوية ولي ثلاث بنات علويات صغار وقد مات قيمنا ولنا ثلاث ليال بأيامهن على الطوى لم نطعم شيئاً ولم نجده، وقد خرجت عنهن وهن يتضورن جوعاً لألتمس لهن شيئاً فلم يقع في يدي غير هذه الدجاجة الميتة فأردت إصلاحها كلها وقد حلت لنا الميتة، فلما سمعت ما قالت وقف شعري واقشعر جلدي وقلت في نفسي: يا بن المبارك وأي حج أعظم من هذا؟

فقلت: أيتها العلوية إن هذه الدجاجة قد حرصت عليك افتحي حجرك حتى أعطيك شيئاً من النفقة، ثم حليت الكيس وصببت الدنانير في حجرها بأجمعها، فقامت مسرورة عجلة ثم دعت لي بخير فرجعت إلى منزلي ونزع الله إرادة الحج من قلبي فلزمت منزلي واشتغلت بعبادة الله تعالى وخرجت القافلة إلى الحج، فلما قدم الحاج من مكة خرجت للقاء الحاج والإخوان فصافحتهم فكنت لم ألق أحداً ممن يعرفني إلا وهو يقول لي: يا بن المبارك ألم تكن معنا ألم أشاهدك في موضع كذا وموقف كذا فتعجبت من ذلك فلما رجعت إلى منزلي وبت تلك الليلة رأيت في منامي رسول الله ﷺ وهو يقول: يابن المبارك إنك لما أعطيت الدنانير لابنتنا وفرجت كربتها وأصلحت شأنها وشأن أيتامها بعث الله ملكاً على صورتك فهو يحج عنك في كل عام ويجعل ثواب الحج لك إلى يوم القيامة فما عليك إن حججت بعداً ولم تحج فإن ذلك الملك

لا يترك الحج عنك إلى يوم القيامة، فانتبهت وأنا أحمد الله على هذا التوفيق قال الراوي: ولقد سمعت كثيراً من المحدثين أن الحاج يشاهدون في كل عام ابن المبارك بمكة يحج مع الحاج وأنه يقيم بالعراق.

من غرائب كلمات الأمير عليه السلام

من جواهر: كلام الإمام عليه السلام تسع كلمات قطعت أطماع البلغاء ثلاث في المناجاة وثلاث في العلم وثلاث في الأدب:

فأما التي في المناجاة: فقوله عليه السلام: «كفاني عزاً أن تكون لي رباً، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً، أنت لي كما أحب فوفقني لما تحب»

وأما التي في العلم: فقوله عليه السلام: «المرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه، ما هلك امرؤ عرف قدره، تكلموا تعرفوا»

وأما التي في الأدب: فقوله عليه السلام: «أنعم على ما شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى ما شئت تكن أسيره».

من ترجمة الغزالي

نقل: شيخنا البهائي قال: حكى بعض الصلحاء قال: رأيت الغزالي في البرية وعليه مرقعة وبيده كوة وعصا فقلت: أيها الإمام أليس تدريس العلم ببغداد خير من هذا؟

فنظر إليّ نظر الازدراء وقال: لما بزغ بدر السعادة من فلك الإرادة وجنحت شمس الأصول إلى مغارب الوصول:

تركتُ هوى ليلى وسعدى بمنزلِ　　وعدتُ إلى مصحوبِ أولِ منزلِ
وناديتُ في الأسواقِ مهلاً فهذهِ　　منازلُ من تهوى رويدك فانزلِ

وبعد اعتزاله كتب إليه الوزير نظام الملك يستدعيه إلى بغداد فأبى وكتب إليه كتاباً شافياً - انتهى. وعنه أيضاً حجة الإسلام أبو حامد الغزالي هو تلميذ إمام الحرمين، اشتغل عليه في نيسابور مدة وخرج منها بعد موته وقد صار ممن تعقد عليه الخناصر، ثم ورد بغداد فأعجب به فضلاء العراق واشتهر به وفوض إليه تدريس النظامية. وكان يحضر مجلس تدريسه نحواً من ثلاثمائة من الأعيان المدرسين في بغداد ومن أبناء الأمراء أكثر من مائة، ثم ترك جميع ذلك وتزهد وآثر العزلة واشتغل بالعبادة وأقام بدمشق مدة وبها صنف الأحياء ثم انتقل إلى بيت المقدس ثم إلى مصر وأقام بالإسكندرية ثم ألقى عصاه بوطنه الأصلي وآثر الخلوة وصنف الكتب المفيدة. ونسبته إلى غزالة قرية من قرى طوس انتهى.

أقول: ونقل الفيومي في كتاب المصباح المنير عن ابن بنت الغزالي بسنده فيه إليه أنه قال: أخطأ الناس في تثقيل اسم جدنا وإنما هو مخفف نسبته إلى غزالة القرية المشهورة.

نقل بعض المعاصرين: عن التفسير المنسوب إلى فرات بن إبراهيم من قدماء أصحابنا في جملة حديث عن أحدهم أنه قال: يا فلان مخاطباً له باسمه أما علمت أن للحيطان آذاناً إن لنا أعداء من الجن ينقلون أخبارنا إلى أعدائنا من الإنس الحديث. (لبعضهم) وقد أجاد:

[البحر الطويل]

بقدرِ لغاتِ المرءِ يكثرُ نفعُه ... وهنَّ له عند الشدائدِ أعوانُ
فهافت على حفظ اللغات مبادراً ... فكلُّ لسانٍ في الحقيقةِ إنسانُ

من جوابات أبي القاسم الفندرسكي

زهر الربيع: للسيد المحدث نعمة الله الجزائري قال: حكى لي بعض من أثق به أن العالم الجليل الأمير أبو القاسم الفندرسكي لما كان في الهند عند سلطانها فاتفق أنه كان في السفر مع علماء العامة فبال في البرية ولم يتفق له الماء فجفف موضع البول بالتراب وقام، فقال له اعلم علمائهم: هذا الذي صنعت إنما يوافق مذهبنا لا مذهبكم. فقال الأمير أبو القاسم: نعم بلت اليوم على مذهبكم.

وكان رحمه الله حاضر الجواب فقال له سلطان الهند يوماً: لأي شيء تجوزون اللعن على معاوية وهو خال المؤمنين ومن جملة كتاب الوحي؟

فقال: أعز الله السلطان إذا اتفق لك عسكران يتحاربان وكان مقدم أحدهما أمير المؤمنين عليه السلام ومقدم الآخر معاوية فيكون السلطان أعزه الله مع أي عسكر يقاتل؟

فقال: في عسكر أمير المؤمنين أقاتل من يقاتله. فقال: إذا أتى معاوية يضرب أمير المؤمنين بسيفه فقال لك أمير المؤمنين أقتل معاوية تقتله أم لا فقال:

نعم يجب علي أن أضرب عنقه فقال: أعز الله السلطان إذا وجب قتله فكيف لا يجوز لعنه، فضحك السلطان ولعن معاوية. عليه وعلى ابنه يزيد من تضاعيف اللعن مما يربو على ذلك ويزيد.

رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى زرارة

روى: الثقة الجليل أبو عمر والكشي في كتاب الرجال عن حمدويه بن نصير عن اليقطيني عن يونس عن عبد الله بن زرارة وحدثنا محمد بن قولويه والحسين بن الحسن معاً عن سعد عن هارون عن الحسن بن محبوب عن محمد بن عبد الله بن زرارة وابنيه الحسن والحسين عند عبد الله بن زرارة قال:

قال لي أبو عبد الله: اقرأ مني على والدك السلام وقل له: إنما أعيبك دفاعاً مني فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربنا وحمدنا مكانه لإدخال الأذى فيمن نحبه ونقربه ويذمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه مني ويرون ادخال الأذى عليه وقتله ويحمدون كل من عيناه نحن وإن حمد أمره، وإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبميلك إلينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر بمودتك ولميلك إلينا فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين يعيبك وينقصك ويكون ذلك منا دافعاً لهم شرهم يقول الله عز وجل: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (١) هذا التنزيل من عند الله صالحة، والله ما عليها إلا لكي تسلم من الممالك ولا تعطب على يديه ولقد كانت صالحة ليس للعيب فيها مساغ، والحمد لله فافهم المثل يرحمك الله فإنك والله أحب الناس إلي وأحب أصحاب أبي عليه السلام حياً وميتاً فأنت أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر وإن من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يركب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهند ليأخذها غصباً ثم يغصبها وأهلها ورحمة الله عليك حياً ورحمته عليك ميتاً، ولقد أدى إليَّ ابناك الحسن والحسين رسالتك أحاطهما الله وكلاهما ورعاهما وحفظهما بصلاح أبيهما كما حفظ الغلامين، فلا يضيقن صدرك من الذي أمرك به أبي وأمرتك به وأتاك أبو بصير بخلاف الذي أمرناك به، فلا والله ما أمرناك ولا أمرناه إلا بأمر وسعنا ووسعكم الأخذ به ولكل ذلك عندنا تصاريف ومعان توافق الحق ولو أذن لنا لعلمتم أن الحق الذي أمرناكم فردوا إلينا الأمر وسلموا لنا واصبروا لأحكامنا وارضوا بها، والذي فرق بينكم فهو راعيكم الذي استرعاه الله خلقه وهو أعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها فإن شاء فرق بينها لتسلم ثم يجمع بينها ليأمن من فسادها ومن خوف عدوها، وفي إيثار ما يأذن الله ويأتيها بالأمر من مأمنه والفرج من عنده عليكم بالتسليم والرد إلينا وانتظار أمرنا وأمركم وفرجنا وفرجكم فلو قد قام قائمنا وتكلم متكلمنا ثم استأنف بكم تعليم القرآن وشرائع الدين والأحكام والفرائض كما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله لأنكر أهل البصائر فيكم ذلك اليوم إنكاراً شديداً لم تستقيموا على دين الله وطريقته إلا من تحت حد السيف فوق رقابكم.

إن الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ركب الله بهم سنة من كان قبلكم فغيروا وبدلوا وحرفوا وزادوا في دين الله ونقصوا منه، فما من شيء عليه الناس اليوم إلا وهو محرف عما نزل به الوحي من الله. فاحسب رحمك الله من حيث تدعى إلى حيث تدعى حتى يأتي من يستأنف بكم دين الله استئنافاً، وعليك بالصلاة الستة والأربعين وعليك بالحج أن تهل بالأفراد وتنوي الفسخ إذا قدمت مكة وطفت وسعيت فسخت ما أهللت به وقلبت الحج عمرة أحللت إلى يوم التروية ثم استأنف الإهلال بالحج مفرداً إلى منى وتشهد المنافع بعرفات والمزدلفة كذلك حج رسول الله صلى الله عليه وآله وهكذا أمر أصحابه أن يفعلوا أن يفسخوا ما أهلوا به ويقلبوا الحج عمرة، وإنما أقام

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

رسول الله ﷺ على إحرامه ليسوق الذي ساق معه فإن السائق قارن والقارن لا يحل حتى يبلغ هديه محله ومحل النحر بمنى فإذا بلغ أحل، فهذا الذي أمرناك به حج التمتع فالزم ذلك ولا يضيقن صدرك والذي أتاك به أبو بصير من صلاة إحدى وخمسين والإهلال بالتمتع بالعمرة إلى الحج وما أمرنا به من أن يهل بالتمتع فلذلك عندنا معان وتصاريف لذلك ما يسعنا ويسعكم ولا يخالف شيء منه الحق ولا يضاده.

الإيمان أنس

روى عبيد بن زرارة: عن الصادق عليه السلام أنه قال: ما من مؤمن إلا وقد جعل الله له من إيمانه أنساً يسكن إليه حتى لو كان على قلة جبل لم يستوحش.

رجوع المرء إلى الله

أوحى الله سبحانه: إلى بعض أنبيائه: إن أردت لقائي غداً في حضيرة القدس فكن في الدنيا غريباً وحيداً محزوناً مستوحشاً كالطير الوحداني يطير في السماء ويأوي الأرض المقفرة ويأكل من رؤوس الأشجار المثمرة، فإذا كان الليل آوى إلى وكره ولم يكن مع الطير استئناساً بي واستيحاشاً من الناس.

خفق النعال

عن: أمير المؤمنين عليه السلام ما أرى شيئاً أضر بقلوب الرجال من خفق النعال وراء ظهورهم.

الأنس والسرور

لله در من قال: [البحر الوافر]

أنستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي وطاب الأنسُ لي وصفا السرورُ
وأدّبني الزمانُ فلا أبالي بأنّي لا أزارُ ولا أزورُ
ولستُ بسائلٍ ما عشتُ يوماً أسار الجند أم ركب الأميرُ

ذكاء شاعر

حكي: أن رجلاً كان شاعراً وكان له عدو، فبينما هو سائر ذات يوم وإذا بعدوه إلى جانبه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال: يا هذا اعلم أن المنية قد حضرت ولكني سألتك بالله

إذا أنت قتلتني امض إلى داري وقف بالباب وناد: «ألا أيها البنتان إن أباكما» وكانت للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل «ألا أيها البنتان إن أباكما» أجابتاه «قتيل خذا بالثار ممن أتاكما».

ثم تعلقنا بالرجل وحملاه إلى الحاكم ثم طلبتا دم أبيهما فاستقروه فأمر بقتله وقتل بأبيهما.

لبعضهم:

قسوة أهل مكة

[البحر الكامل]

لا تنكرنّ لأهلِ مكة قسوةً ... والبيت فيهم والحطيم وزمزمُ
آذوا رسولَ اللهِ وهو نبيُّهم ... حتى حماه أهلُ طيبة منهمُ
خافَ الإله على الذي قد جاءه ... سلباً فلا يأتيه إلا محرمُ

في التصحيف الواقع في الكلام

ومن كتاب الشيخ إبراهيم الكفعمي قدس الله روحه: في التصحيف يسمى جناس الخط، وهو ما تغاير ركناه بالنقط كقوله: وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. وقوله: والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين. وقوله: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾(1). وقوله: ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾(2). وقول النبي ﷺ: «عليكم بالابكار فانهن أشد حباً وأقل خبا».

وقول علي عليه السلام: قصر ثوبك فهو أتقى وأنقى وأبقى. ومن محاسن الكلام: خلف الوعد خلق الوغد. ومن كلام أحمد بن إبراهيم الضبي: إذا بقي ما فاتك فلا تيأس على ما فاتك. إلى أن قال: التصحيف المنتظم وهو عدم الفصل بين الحروف، قال المقداد في تجويده: وهو كقولهم.

الحبيب المجيب وهو سر البأس أي الخبيث المخبث وهو شر الناس. وفي كتاب حذيفة: أنه من محاسن الشعر المصحف أن تمدح بالألفاظ إذا صحف كان هجواً كقوله:

[البحر الكامل]

أنتَ الفتىُ وأنت أفخرُ من مشى ... لا زلت بين الأغنياء محبَّبا

وتفسيره معروف. ومن هذا النوع قولهم: «خل بيتنا يقتل» أي حل بيننا ثقيل «كل عنب الكرم نعطيه» أي كل عيب الكرم يغطيه، وأمثلته كثيرة.

ثم هذا التصحيف قد يقع في القرآن وقد يقع في الحديث وقد يقع في الشعر وقد يقع في النشر، والأقسام أربعة:

الأول: وقوعه في القرآن لمن قرأه في المصحف من غير أخذ من أفواه العلماء فنقول: حدث أبو الحسن الدارقطني في كتاب التصحيف: أن حماد الراوية حفظ القرآن من المصحف من غير تلقين فسعى به إلى الأمير عقبة بن مسلم الباهلي فامتحنه بقراءة القرآن فصحف هذه الآيات التي نذكرها إلا أنها صحيحة المعاني وهي اثنا عشر مكاناً:

(أ) صنعة الله ومن أحسن من الله صنعة وصنعة بالعين المهملة.

(ب) قال عذابي أصيب به من أساء بالسين المهملة.

(ج) ومن الشجر ومما يغرسون بالغين المعجمة والسين المهملة.

(د) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه بالباء المفردة.

(هـ) وهم أحسن أثاثاً وزياً بالزاي المعجمة.

(و) ليكون لهم عدواً وحرباً بالراء المهملة والباء الموحدة.

(ز) وما يجحد بآياتنا إلا كل جبار بالجيم والباء المفردة.

(ح) بل الذين كفروا في غرة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة.

(ط) ويعززوه ويوقروه بالزاءين المعجمتين.

(ي) سلام عليكم لا نتبع الجاهلين بالعين المهملة من الاتباع.

(يا) فاستعانه الذي من شيعته على الذي من عدوه بالعين المهملة والنون.

(يب) والغاديات صبحاً بالغين المعجمة والصاد المهملة المضمومة.

وذكر ابن الجوزي في كتابه المسمى (آفة أصحاب الحديث) إن عبد الله بن عمر قرأ ويغوث ويعوق وبشراً بالباء الموحدة والشين المعجمة، وقرأ محمد بن حميد الرازي: وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يجرحوك بالجيم والحاء من الجراح. وقرأ أبو بكر الساعدي: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوياً بالياء المثناة من تحت المشددة. وقرأ عثمان بن أبي شيبة: وجعل السقاية في رجل أخيه بالجيم.

وفي كتاب المحيط قال بعضهم: رأيت رجلاً يقرأ في المصحف وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك؟

فقال: أكلت اليوم مع الجواري مخيض ثم نظرت في المصحف فرأيت يسألونك عن المخيض فاعتزلوا النساء في المخيض، فقلت له: إنه قد بين في الصحف كل شيء حتى أكل اللبن مع الجواري.

وتفاءل بعضهم لامرأة غاب ولدها فطلع في السطر السابع «وحسن مآب» فقال لها: ما اسم ابنك؟

قالت: حسن. قال: إنه مات لأنه يقول وحسن مات فأقامت أمه وأهله المأتم.

قال الجاحظ: سمعت من يقرأ «ض والقرآن» بالضاد المعجمة، وقرأ آخرون «وفرش مرقوعة» بالقاف.

قال صاحب المحاضرات: حتى أن بعضهم صحف وأول لأنه قرأ «فأوجس في نفسه جيفة موسى» فقيل له: بل خيفة بالخاء. فقال: بل بالجيم وذلك أن موسى عليه السلام توضأ ونسي ولم يغسل فرجه. وقرأ بعضهم «في روضة يخبزون» بالخاء المعجمة والزاي من خبز العجين فقيل له: اخشكار أم جواري؟

فقال: ما أرادوا ففيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. وقرأ آخرون «فاسئل به جبيراً» فقيل: من جبير؟

قال: ولد سعيد. فقيل له: أتصحيف وتفسير؟

وقرأ آخرون «بل عجنت ويشجرون» فقيل له: أحسنت فمع العجن شجر التنور.

القسم الثاني: في تصاحيف وقعت في الحديث. قال ابن الجوزي في كتابه «آفة أصحاب الحديث» إن محمد بن عباد المهلبي حدث «أن النبي صلى الله عليه وآله ضحى بهرة» وإنما هي بقرة إلا أنه التصقت الهاء بالقاف. وحدث بعضهم أن النبي صلى الله عليه وآله «بلع قديداً» وإنما هو بلغ قديد. وحدث آخر «أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحب العسل يوم الجمعة» وإنما هو الغسل. وعن بعضهم قال: حضرت شيخاً يروي عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله عز وجل. وحدث بعضهم «أن النبي صلى الله عليه وآله كان يغسل خصي الحمار» وإنما هو حصى الجمار فقيل: وما أراد النبي صلى الله عليه وآله بذلك؟

قال: التواضع. وذكر ابن الجوزي عنهم في هذا المعنى ما يطول.

تتمة: كتب الوليد بن عبد الملك إلى واليه بالمدينة «أحص من قبلك من الزناة» فرنم الذباب على الحاء فقرأ الكاتب أخص فخصا منهم جماعة ثم تبين لهم التصحيف.

ونقل: أن جعفر بن يحيى نقش على خاتمه اسمه واسم أبيه وكان يختم بذلك على صناديق ماله، فمضت واحدة من سرائره إلى الصائغ وكانت قد أمرت رجلين أن يأتيا إليها عند الصائغ وأن يقول كل واحد منهما إن اسمه جعفر إذا سألته عن اسمه، فلما أتيا سألتهما فقال كل واحد منهما أن اسمه جعفر. فقالت للصائغ: انقش لي على فص هذا الخاتم جعفر بن يحيى فقد تفاءلت باسمه، فنقش لها الصائغ ذلك على فص خاتمها فأخذته وانصرفت إلى منزلها، ثم عمدت إلى صندوق من صناديق جعفر فأخذت نصف ما فيه من أكياس الذهب ثم ختمته بخاتمها كما كان ثم بعد مدة اضطر جعفر إلى ما في الصندوق ففتحه فوجد الأكياس ناقصة ولم يشك في ختمه فتحير، فأخبرته السرية بفعلها فتعجب من ذلك وقال: لا والله لا ختمت عليك صندوقاً أبداً.

وفي كتاب معجم أهل الأدب: أنه روي عن علي بن أحمد بن المهلبي وكان إماماً في النحو واللغة ورواية الأخبار وتفسير الشعر قال: وقع بيني وبين المتنبي في قول العدواني:

[البحر البسيط التام]

يا عمرو إلاّ تدعْ شمتي ومنقصتي أضرِبْك حتى تقولَ الهامة اسقُوني

وذلك أن المتنبي قال: إن الناس يغلطون في هذا البيت والصواب «اشقوني» بالشين المعجمة من شقأت رأسه بالمشقاة وهو المشط. قال المهلبي: فقلت له أخطأت من وجوه.

الأول: أنه لم يرو إلا السين المهملة.

الثاني: أنه يقال «شقأت» بالهمز ولا همزة في اسقوني.

الثالث: إني أظنك لا تعرف الخبر فيه وما تقول العرب في الهامة، وذلك أنه لم يثأر بصاحبها لا تزل تقول اسقوني اسقوني فإذا ثاروا به سكن كأنه شرب ذلك الدم.

ومن ذلك: ما ذكره صاحب المحاضرات: أنه حضر المقدم الهذلي عند جعفر بن سليمان الهاشمي فقال له أنت القائل في: [البحر الرجز المجزوء]

يابن الزّواني من بني معاويهْ أنتَ لعمري منهم ابنُ الزّانيهْ

ثم قال: وهذا خطك. قال: صدقت هو خطي ولكن إنما قلت: [البحر الرجز المجزوء]

يا بنَ المُرائي أنت وابنَ الرايثهْ أيُّ اللّواتي ينحن على موتاهمُ

ومنها: أنه اجتمع جماعة من الصوفية على علوية الشاعر وقالوا له: أنت قلت «طاب لنا الرفض بغير حشمة» فقال إنما قلت «طاب لنا الرقص» بالقاف فانصرفوا عنه.

قلت: وقول الكفعمي يسمع في علم البديع الموارية وهو أعلم من التصحيف مأخوذ من رب العرق إذا أفسد فكأن المتكلم أفسد ظاهر كلامه وهو أن يقول المتكلم كلاماً يتوجه عليه فيه المواحدة كما ذكر آنفاً من حكاية أبي المقدم وحكاية علوية الشاعر فإذا أنكر عليه تخلص إما تحريف كلمة أو تصحيفها أو بزيادة أو نقص أو إعراب ليخرج بذلك من الإنكار على كلامه الأول، كما روي أن أبا نواس هجا خالصة سرية المأمون لما مدحه ولم يجد شيئاً وكان عليها حينئذٍ ثلاثة عقود جواهر فقال: [البحر السريع]

لقد ضاعَ شعري على بابكمْ كما ضاع حليٌ على خالِصَه

فلما أنكر عليه المأمون قال: لم أقل ذلك وإنما قلت: [البحر السريع]

لقد ضاءَ شعري على بابكمُ كما ضاءَ حليٌ على خالصهْ

فقال المأمون: هذا بيت قلعت عيناه فأبصر.

ويحكى: أن أبا نواس سمع بعض سراري المأمون تقول: [البحر الهزج]

أنــا نــفــحــةُ الــمــســكِ عــلــى الــوردِ مــرشــوشُ

فقال: [البحر الهزج]

بــكــسٌّ طــولُــه شــبــرٌ عــلــيــهُ الــشــعــرُ مــنــقــوشُ

فلما أنكر عليه قال: إني لم أقل ذلك وإنما قلت: [البحر الهزج]

بــكــأسٍ طــولُــه شــبــرٌ عــلــيــه الــشــعــرُ مــنــقــوشُ

ومن التصاحيف الشعرية ما قال بعضهم في بخيل: [البحر الطويل]

رأى الصيفُ مكتوباً على بابِ دارهِ فصحّفه ضيفاً فماتَ من الخوفِ
فقلتُ له خيراً فظنَّ بأنّني أقولُ له خبزاً فقامَ إلى السيفِ

وقول المتنبي في مدح كافور الأخشيدي ملك مصر. [البحر الطويل]

جرى الخلفُ إلاّ فيك أنّي واحدٌ وأنك ليثٌ والملوكُ ذئابُ
وإنك أن قويست صحّف قاري ذُباباً ولم يخطِ فقال ذيابُ

وقول الصفي: [البحر الطويل]

وذي مرحٍ عارضتُه في طريقِه فلمّا رآني قال امضِ لشانِكا
فقلتُ لَه قال سعيدٌ مبشّر بتصحيفِه إني أمصُّ لسانكا

وهجا ابن نواس أبان اللاحقي بقوله: [البحر الرمل المجزوء]

صحّفتَ أمُّك إذْ سمَّتك في المهدِ أبانا
قد علمْنا ما أرادتْ لم تُرِد إلاّ أتانا

ولبعضهم: [البحر الطويل]

أياديهِ ما شحّتْ وسحّت تكرُّماً وكم أنشأتْ ألفاً وكم أنشأتْ ألفا
وكم عمَّرتْ أرضاً وكم عمرّتْ رضاً وكم وهبتْ ضعْفاً وما وهنتْ ضعفا

ومن التصاحيف التي كلها متتالية ما ذُكره الراغب في محاضراته أن عبد الله بن طاهر استؤمر في بناء موضع من نواحي بغداد يقال له لبناً فوقع في ذلك نبنا لبنا لبنا لبناء لبنا ورقع في رقعة أخرى معونة معاوية ليحيى لحبي خراج جراح فقد فقد.

ومن محاسن هذا النوع ما ذكره ميثم ﷺ في تجويده أن علياً عليه السلام كتب إلى معاوية «غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك تهدأ بهذا».

في التشريع والمراجعة والاكتفاء وتشابه الأطراف والقهقرى

ومن الكتاب المذكور: في التشريع والمراجعة والاكتفاء وتشابه الأطراف والقهقرى فههنا خمسة مباحث.

الأول: التشريع ويسمى ذا القافيتن وسماه ابن أبي الأصبغ التوأم وهو أن يبني القصيدة على وزنين وقافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما كقول الحريري: [البحر الكامل]

يا خاطب الدّنيا الدنية إنها شركُ الرّدي وقرارةُ الأكدارِ
دارٌ متى ما أضحكتْ في يومِها أبكتْ غداً تبّاً لها من دارِ

إلى آخر الأبيات وقال الصفي رحمه الله في بديعته: [البحر البسيط التام]

فلو رأيتُ مصابي عندما رحلُوا رأيتُ لي من عذابي يوم بينهمُ

وقول مخزوم في تخميس بديعة الصفي: [البحر البسيط التام]

بلوعتي واكتئابي يُضربُ المثلُ أظهرتُ في الحبِّ ما بي والهوى الجللُ
فخلٌ عنك خطابي أيُّها الرجلُ

الثاني: في المراجعة ومنهم من يعمى هذا النوع السؤال والجواب وهو أن يحكي المتكلم ما جرى بينه وبين الغير من سؤال وجواب بأرجز عبارة وألطف معنى كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾[1] ومن ذلك ما جرى بين فرعون وبين موسى، وما جرى بين بني يعقوب، وقوم يوسف في سورة يوسف ومن أمثلته الشعرية قول الكفعمي: [البحر الطويل]

وقائلةٍ ما الحالُ قلتُ لها ارْحمي قتيلَ الْهوى فالوجهُ أصفرُ فاقعُ
ومن ذاريات الدمع في مرسلاتِه أرى مُهجتي في النازعاتِ تنازعُ
فقالتْ وصالي لا يليقُ بناقصٍ فهلْ لك فضلٌ قلتُ كالشمسِ شائعُ
فقالتْ وقدرٌ قلتُ كالبدر ظاهرٌ فقالتْ وذكرٌ قلتُ كالمسكِ واقعُ
فقالتْ وعزٌّ قلت كالحصن مانعٌ فقالتْ ومالٌ قلت كالبحر واسعُ
فقالتْ وسهمٌ قلت كاللحظ صائبٌ فقالتْ وسيفٌ قلت كالبينِ قاطعُ
فقالتْ وضدٌّ قلت إنْ وهو آفلٌ فقالتْ وجدٌّ قلت بالسعدِ طالعُ
فقامتْ تفدّيني وبتُّ منعّماً يجيءُ وعيشي باللذائذِ جامعُ

ومنها: [البحر الرجز المشطور]

أتيتُ عمرواً زائِراً وذاك عارٌ لازمُ

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٣-٣١.

فقلتُ إنّي قاعدٌ   فقال إنّي نائمُ

الثالث: في الاكتفاء وهو أن يأتي الشاعر ببيت وقافية متعلقة بمحذوف لدلالة اللفظ عليه، ويكتفي المعلوم في الذهن عن إتمامه ومن أمثلته القرآنية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١) فجواب إذاً محذوف تقديره ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا﴾ الآية أعرضوا، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾(٢) فإن جواب لو محذوف وتقديره لكان خيراً لهم، وروي أن المهاجرين قالوا للنبي ﷺ: إن الأنصار قد فصلونا وفعلوا بنا كذا وكذا فقال النبي ﷺ: «ألستم تعرفون ذلك؟»

قالوا: بلى. قال: «فإن ذلك» قال أبو عبيد: والمعنى فإن ذاك مكافأة، أي معرفتكم إحسانهم مكافأة لهم. ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: [البحر الرجز المشطور]

كلُّ ماضٍ فكأنْ لمْ   كلُّ آتٍ قدْ ومنْ

هذا المعنى قول النبي ﷺ: كفى بالسيف شيئاً، أي شاهداً قاله الطبرسي ومن أمثلته النثرية قول ابن أبي حجلة المغربي في مقامة له وقد وعده بعض إخوانه الإتيان إلى مأدبة له: وقد تقدم من وعده مولانا الصادق ما هو به أعلم ونحن الآن نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أي ويعلم أن قد صدقتنا. وقوله في كتابه مجتبى الأدباء في ترجمة أهل العصر: وله في تصانيفه الدساس والرطب واليابس فرد من علومه العذب المورد وأجن الثمار وخل القود، وهو إشارة إلى قول بعضهم: [البحر البسيط التام]

خذْ من علُومي ولا تنظرْ إلى علمي   واجنِ الثمارَ وخلِّ القود للنارِ

ومن أمثلته الشعرية ما ذكره ابن حجلة في كتاب الأغاني قال: من أطرف ما وقفت عليه في هذا المعنى قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الحمري: [البحر الرجز المشطور]

رامُوا فِطامي عن هوى   غذّيتُه طِفلاً وكهلا
فوضعتُ في جيبي يديَّ وقلتُ خلّوني وإلاّ

وله أيضاً: [البحر الرمل]

اغضبَ العشاقَ من أنّني   لم أبغ في حبِّه رُشدي بغيْ
قلتُ قد أضنيتَ جسمي قال قدْ   قلتَ كي تذهبَ روحي بكي

ومنه قول الكفعمي رحمه الله: [البحر المتقارب]

وبدرٌ ترشّفتُ معسوله   فكانَ ألذَّ من القرقفِ
وقبّلتُ في خدِّه خاله   وسبّحتُ يا مولج الليلِ في

---

(١) سورة يسٓ، الآية: ٤٥.   (٢) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

وله: [البحر الرجز]

تـبّـاً لـقـومٍ غـدروا وخـانُـوا ... وعن طريقَيْ رشْدِهم قد بانُوا
تـلـوتُ لـمّـاً أهـلـكُـوا وهـانُـوا ... وما ظـلـمْـنـاهـم ولـكـن كـانُـوا

وحكي أن الأمير بدر الدين الخازندار أحضره إلى البلاد المصرية تاجراً كان يحسن إليه وهو في رقه فلما باعه ونقلت به الأيام إلى ما صار إليه من الأمر والحكم وافتقر التاجر فيما بعد حضر إليه إلى الديار المصرية وكتب إليه رقعة فيها. [البحر البسيط التام]

كنّا جميعيْن في بؤسٍ نكابدُه ... والقلبُ والطرفُ منّا في أذى وقذى
والآنَ أقبلتِ الدّنيا عليك بما ... تهوى فلا تنسني إنَّ الكرام إذا

يشير إلى قول الشاعر: [البحر البسيط التام]

إنَّ الكرام إذا ما أيسروا ذكرُوا ... منْ كان يألفُهم في المنزلِ الخشنِ

فلما فهم هذه الإشارة أعطاه عشرة آلاف درهم.

ومن هذا الباب أن إنساناً بعث إلى بعض الرؤساء يسأله في شفاعة فكتب إليه ذلك الرئيس «هذا الأمر علي فيه مشقة» فلما وصلت إليه الورقة كتب تحت قوله هذا الأمر علي مشقة «لولا المشقة» ثم أعادها إليه وقصد بذلك قول أبي الطيب المتنبي: [البحر البسيط التام]

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهمُ ... الـجـودُ يـفـقـرُ والإقـدامُ قـتّـالُ

فلما وقف عليها وفهم إشارته قام معه وقضى حاجته.

الرابع: في تشابه الأطراف وسماه بعضهم الموصول، وهو أن يعيد لفظ القافية من كل بيت في أول الذي يليه وأمثلته كثيرة منها: [البحر الكامل]

مـا إنْ تـريـمُ فـؤادَه أشـجـانُـه ... كـثـرتْ بـه يـوم الـنَّـوى أحـزانُـه
أحـزانُـه لـمّـا جـرتْ بـعـظـامِـه ... من حبٍّ من شهدتْ له أجفانُه
أجفانُه شـهـدتْ لـه أن الـورى ... طـرّاً أذاب رقـابـهـمْ سـلـطـانُـه
سـلـطـانُـه بـرعَ الـجـمـالُ بـوجـهِـه ... وروادفٌ خـضـعـتْ لـهـا أركـانُـه
أركـانُـه أبـداً تـمـيـدُ إذا مـشـى ... ويـكـادُ يـقـطـرُ كـفُّـه وبـنـانُـه
وبـنـانُـه كـالـخـيـزرانِ وقـدُّه ... قدُّ القضيبِ به زهتْ أغصانُه

الخامس: في القهقرى وهو أن يعكس المتكلم كلامه فيقرأه من آخره إلى أوله كالرسالة التي ذكرها الحريري في مقاماته أولها «الإنسان صنعه الإحسان» إلى آخرها، وقد تقع في النظم كقول بعضهم: [البحر الرمل]

رقَّ لي من شجو قلبي يا خلي ... يا خلي من شجو قلبي رقَّ لي
لا يَلي فيك بحالِي عاشقٌ ... عاشقٌ فيك بحالِي لا يلي

إنَّ لي فيك فؤاداً هائماً هائماً فيك فؤاداً إنَّ لي
غنِّ لي باسمِ حبيبي دائماً دائماً باسمِ حبيبي غنِّ لي
أملِ لي كأسَ مدامي مترعاً مترعاً كأسَ مدامي أملِ لي
تُنجلي عنّي همومي كلّما كلّما عنّي همُومي تنْجلي

ومن ذلك بل أجل صناعة وأجل صياغة قول الكفعمي ﷺ: بيتين يقرآن على وجوه متعددة غير أنهما إذا قرئا طرداً كانا مدحاً وإن قرئا عكساً كانا قدحاً: [البحر الكامل]

شكرُوا وما نكثتْ لهم ذممٌ ستُرُوا وما هتكتْ لهم حرمُ
صبرُوا وما كلمتْ لهم قممٌ نصرُوا وما وهنتْ لهم هممُ

عداء ابن الزبير لبني هاشم وقبائحه

نقل الشيخ عز الدين بن أبي الحديد المعتزلي في كتاب شرح نهج البلاغة قال: قطع عبد الله بن الزبير في الخطبة ذكر رسول الله ﷺ جمعاً كثيرة فاستعظم الناس ذلك فقال: إني لا أرغب عن ذكره ولكن له أهيل سوء إن أنا ذكرته اتلعوا أعناقهم فأنا أحب أن أكبتهم.

وقال: لما كاشف عبد الله بن الزبير بني هاشم وأظهر بعضهم وعابهم بما هم به في أمرهم ولم يذكر رسول الله ﷺ في خطبته لا يوم جمعة ولا غيرها عاتبه على ذلك قوم من خاصته وتشأموا بذلك منه وخافوا عاقبة أمره فقال: والله ما تركت ذلك علانية إلا وأنا أقوله سراً وأكثر منه، ولكني رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره أشرأبوا واحمرت ألوانهم وطالت رقابهم، والله ما كنت آتي لهم سروراً وأنا أقدر عليه، والله لقد هممت أن أحفر لهم حفيراً ثم أضرمها عليهم ناراً فإني لا أقتل منهم إلا آثماً كفاراً سحاراً، إلا إنما هم والله، ولا بارك عليهم بيت سوء لا أول لهم ولا آخرهم، والله ما ترك نبي الله فيهم خيراً استفرغ نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس، فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال: وفقك الله يا أمير المؤمنين أنا أول من أعاونك في أمورهم، فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي فقال:

والله ما قلت صواباً ولا هممت برشد رهط رسول الله تعيب وإياهم تقتل والعرب حولك، والله لو أن قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوغه الله لك، والله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره. فقال: اجلس أبا صفوان فلست بنا موس.

فبلغ الخبر عبد الله بن العباس فخرج مغضباً ومعه ابنه حتى أتى المسجد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال: أيها الناس إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله ولا آخر فيا عجب كل العجب لافترائه وكذبه، والله إن أول من أخذ الإيلاف وحمى عيرات قريش لهاشم، وإن أول من سقى بمكة عذباً وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب، والله لقد

إنشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش وأنا كنا لثالثهم إذا قالوا وخطباؤهم إذا خطبوا وما عد مجد كمجد أولنا ولا كان في قريش مجد لغيرنا لا في كفر ماحق ودين فاسق وضلة وضلالة في عشواء عمياء حتى اختار الله لنا نوراً وبعث لنا سراجاً فانتجبه طيباً من طيبين لا ينسب بمسه ولا يبغي عليه غائله، فكان أحدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا، ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحد بعد واحد، ثم أنا لخير الناس بعده أكرمهم أدباً وأشرفهم حسباً وأقربهم منه رحماً. واعجباً كل العجب لابن الزبير يعيب بني هاشم وإنما شرف هو وأبيه وجدته بمصاهرتهم، أما والله أنه لمصلوب قريش ومتى كان عوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب، قيل للبغل: من أبوك يا بغل؟

قال: خالي الفرس.

ثم نزل. وقال خطب ابن الزبير بمكة على المنبر وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر فقال: إن هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره، يزعم أن المتعة حلال من الله ورسوله ويفتي في القملة وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس وترك المسلمين بها يرتضحون النوى، وكيف ألومه في ذلك وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ ومن وقاه بيده.

فقال ابن عباس لقائده سعيد بن جبير بن هشام مولى بني أسد بن خزامة: استقبل بي وجه ابن الزبير وارفع من صدري وكان ابن عباس قد كف بصره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير وأقام قامته وحسر عن ذراعيه ثم قال: يا بن الزبير. **[البحر الرجز]**

قد أنصفَ القارةَ من راماها ... أنّا إذا ما فئةٌ نلْقاها
نردُّ أولاها على أخراها ... حتى تصيرَ حرضاً دعْواها

فأما العمى فإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾(١)، وأما فتياي في القملة والنملة فإن فيهما حكمين لا تعلمها أنت ولا أصحابك، وما حملي المال فإنه كان مالاً جبيناه فأعطيناه كل ذي حق حقه وبقيت بقية هي دوننا حقنا في كتاب الله فأخذنا بحقنا، وأما المتعة فسل أمك أسما إذا نزلت عن بردي عوسجة.

وأما قتالنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بك ولا بأبيك فانطلق أبوك وخالك إلى حجاب مده الله عليهما فهتكا عنها ثم اتخذاها فتنة يقاتلان دونها وصانا حلائلهما في بيوتهما، فلا أنصف الله ولا محمداً من أنفسهما إذا برزا زوجة نبيه وصانا حلائلهما، وأما قتالنا إياكم فإنا لقيناكم زحفاً فإن كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم منا وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا، وأيم الله لولا مكان صفية فيكم ومكان خديجة فينا لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظماً إلا كسرته.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألها عن بردي عوسجة فقالت: ألم انهك عن ابن عباس وعن بني هاشم فإنهم كعم الجواب إذا بدهوا. فقال: بلى وعصيتك فقالت: يا بني احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الإنس والجن، واعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها فإياك وإياه آخر الدهر. فقال أيم ابن خزيم بن فاتك الأسدي: [البحر البسيط التام]

يا بنَ الزبيرِ لقد لاقيتَ بائقةً — من البوائقِ فالطف لطف محتالِ
لاقيتَه هاشميّاً طاب منبتُه — في مغرسيهِ كريمُ العمِّ والخالِ
ما زالَ يقرعُ منك العظم مقتدراً — على الجوابِ بصوتٍ مسمعٍ عالي
حتى رأيتُك مثل الكلب منحجراً — خلف الغبيطِ وكنت الباذخَ العالي
لأن ابنَ عباسٍ المعروفُ حكمتُه — خيرُ الأنامِ له حالٌ من الحالِ
عيّرته المتعةَ المتبوع سنّتُها — وبالقتالِ وقد عيّرتَ بالمالِ
لمّا رمَاك على رسلٍ بأسهمه — جرّتْ عليك كسوف الحالِ والبالِ
فاحتزَّ مقولك الأعلى بشفرتِه — حزّاً وحيّا بلا قيلٍ ولا قالِ

إلى أن قال:

واعلمْ بأنّك إنْ عاودت غيبتَه — عادتْ عليك مخازٍ ذاتُ أذيالِ

قال: وروى عثمان بن طلحة العبدري قال: شهدت من ابن عباس ﷺ مشهداً ما سمعته من رجل من قريش، كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن حكم وهو يومئذٍ أمير المدينة سرير آخر أصغر من سريره فيجلس عليه عبد الله بن العباس إذا دخل وتوضع الوسائد فيما عدا ذلك، فأذن مروان يوماً للناس وإذا بسرير آخر قد أحدث تجاه سرير مروان فأقبل ابن عباس فجلس على سريره وجاء عبد الله بن الزبير وجلس على السرير المحدث وسكت مروان والقوم، فإذا يد ابن الزبير تتحرك فعلم أنه يريد أن ينطق ثم نطق فقال:

إن ناساً يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطاً وفلتة ومغالبة إلا أن شأن أبي بكر كان أعظم من أن يقال فيه هذا، ويزعمون أنه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم والله ما كان من أصحاب محمد أحدٌ أثبت إيماناً ولا أعظم سابقة من أبي بكر، فمن قال غير ذلك فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر فلم يكن إلا ما قال؟

ثم ألقى عمر خطهم في خطوط وجدهم في حدود فقسمت تلك الخطوط فأحز الله سممهم وأدحض حجتهم وولى الأمر عليهم من كان أقوم منهم فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجاً من القرية فأصابوا منه غرة ثم قتلهم الله كل قبيلة به وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب.

قال ابن عباس ﷺ: على رسلك أيها القائل في أبي بكر وعمر الخلافة، أما والله ما نالاها ولا نال أحد منهم شيئاً إلا وصاحبنا خير ممن نال ولا أنكرنا تقدم من تقدم لعيب عبناه عليه، ولو

تقدم صاحبنا لكان أهلاً وفوق الأهل، ولولا أنك إنما تذكر حظ غيرك وشرف أمر سواك لكلمتك ولكن ما أنت وما لاحظ لك فيه، اقتصر على حظك ودع تيماً لتيم وعدياً لعدي وأمية لأمية، ولو كلمني تيمي أو عدوي أو أموي لكلمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر ولا خبر غائب عن غائب، ولكن ما أنت وما ليس لك فإن يكن في أسد بن عبد العزى شيء فهو لك. أما والله لنحن أقرب بك عهداً وابيض عندك يداً وأوفى عندك نعمة ممن أميت، تظن أنك تصول به علينا وما أخلق ثوب صفية بعد. والله المستعان على ما تصفون.

وقال المسعودي: في كتاب مروج الذهب: أن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن محمد ابن الحنفية في حبس مظلم وأراد قتله، فأعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وفيها أبوه محمد بن الحنفية ثم إن عبدالله جمع بني هاشم كلهم في سجن عارم وأراد أن يحرقهم بالنار وجعل في فم الشعب حطباً كثيراً فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف.

فقال أبو عبد الله لأصحابه: ويحكم إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بني هاشم فأتى عليهم فانتدب هو بنفسه في ثمانمائة فارس من جريدة فما شعر بهم ابن الزبير إلا والرايات تخفق بمكة فقصد الشعب فأخرج الهاشميين منه ونادى بشعار محمد ابن الحنفية وسماه المهدي وهرب ابن الزبير فلاذ بأستار الكعبة فنهاهم محمد بن الحنفية عن طلبه وعن الحرب وقال: لا أريد الخلافة إلا أن طلبني الناس كلهم واتفقوا علي ولا حاجة لي في الحرب.

قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر عبد الله أخاه في حصر بني هاشم في الشعب وجمعه الحطب ليحرقهم ويقول: إنما أريد بذلك أن لا تنشر الكلمة ولا يختلف المسلمون وأن يدخلوا في الطاعة فتكون الكلمة واحدة كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار - انتهى ما أردنا نقله عن ابن أبي الحديد.

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي هذه النقول: انظر أيها العاقل المنصف إلى ما ينقله هذا الفاضل وأمثاله من علماء أهل السنة تصديقاً للشيعة من قصد عمر حرق بيت فاطمة عليها السلام وتراهم في مقام البحث ينكرونه أتم الإنكار وينسبونه إلى متفردات الشيعة وأنه كان من أكاذيبهم حمية على أصحابهم الأبرار.

ثم أقول: لا عجب مما جبل عليه ابن الزبير من عداوة بني هاشم سنام العلى والمكارم وذروة الشرف كارماً من كارم، فإن الأصل عتيق الذي قصد بيت النبوة بالحريق كما اعترف به هذا الزنديق والخالة الكافلة المربية له ذات الهودج التي قد غدت من بين النساء لحرب بني هاشم يبرج فهو مما جبل عليه من البعض لهم خليق وأي خليق وما مكي به العداوة حقيق وأي حقيق.

منتخبات من نهج البلاغة وشرحه

كتاب نهج البلاغة: قيل له بأي شيء غلبت الأقران؟

فقال: ما لقيت أحداً إلا أعانني على نفسه. يومي عليه السلام إلى تمكين هيبته في القلوب.

قال الشارح ابن أبي الحديد: قالت الحكماء: الوهم مؤثر وهذا حق لأن المريض إذا تقرر في وهمه أنه مرض قاتل له ربما هلك بالوهم، وكذا من تلسعه الحية ويقع في خياله أنها قاتله فإنه لا يكاد يسلم منها، وقد ضربوا لذلك مثالاً «الماشي على جذع معترض على مهواة» فإن وهمه وتخيل السقوط يقتضي سقوطه، وإلا فمشيه عليه وهو منصوب على المهواة كمشيه عليه وهو ملقى على الأرض لا فرق بينهما إلا الوهم والخوف والإشفاق والحذر، فكذلك الذين بارزوا علياً عليه السلام من الأقران لما كان قد طار صيته واجتمعت الكلمة أنه ما بارزه أحد إلا كان المقتول غلب الوهم عليهم فقصرت أنفسهم عن مقاومته وانخذلت أيديهم وجوارحهم عن مناهضته، وكان هو في الغاية القصوى من الشجاعة والإقدام يقتحم عليهم فيقتلهم.

ومن الكتاب المذكور: قال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال عليه السلام: إنما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفت أرجلكم من ماء البحر حتى قلتم لنبيكم ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾(1) قال: إنكم قوم تجهلون.

قال الشارح المذكور: ما أحسن قوله: «اختلفنا عنه لا فيه» وذلك أن الاختلاف لم يكن في التوحيد والنبوة بل في فروع خارجة عن ذلك نحو الإمامة والميراث والخلاف في الزكاة هل هي واجبة أم لا، واليهود لم يختلفوا كذلك بل في التوحيد الذي هو الأصل.

وقد روي: حديث اليهودي على وجه آخر قال اليهودي لعلي عليه السلام: اختلفتم بعد نبيكم ولم يجف ماؤه يعني غسله صلى الله عليه وآله؟

فقال عليه السلام: وأنتم قلتم اجعل لنا إلَهاً ولم يجف ماؤكم.

ومنه: قال عليه السلام لكاتبه عبد الله بن أبي رافع: الق دواتك وأطل جلفة قلمك وفرج بين السطور وقرمط الحروف، فإن ذلك أجدر بصباحة الخط.

ومنه: قال عليه السلام: مودة الآباء قرابة بين الأبناء والقرابة أحوج إلى المودة منها إلى القرابة.

قال الشارح: وكأن يقال: الحب يتوارث والبغض يتوارث. قال الشاعر: [البحر البسيط التام]

أبقى الضغائن أبناءٌ لنا سلفُوا ... فلنْ تبيد وللآباءِ أبناءُ

ولا خير في القرابة من دون مودة فقد قال القائل لما قيل له: أيما أحب أقريبك أم صديقك؟

إنما أحب أخي إذا كان صديقاً، فالقربى محتاجة إلى المودة والمودة مستغنية عن القربى.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

وقال: إن للقلوب إقبالاً وإدباراً فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل: وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض.

وقال: لابنه محمد: يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه. وقال عليه السلام: الفقر منقصة للدين ومدهشة للعقل وداعية للمقت. وقال عليه السلام: لا يصدق إيمان عبد حتى يكون ما في يد الله سبحانه أوثق منه بما في يده. وقال عليه السلام: اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله جعل الحق على ألستهم. وقال عليه السلام: رسولك ترجمان عقلك وكتابك أبلغ من أن ينطق عنك. وقال عليه السلام: ما قال الناس بشيء طوبى له إلا وقد جنى له الدهر يوم سوء.

حسن الظن

●قال الشارح: كان محمد بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد في قصره على دجلة وإذا بحشيش على وجه الماء في وسطه قصبة عليها رقعة، فأمر بأخذها وإذا فيها:

تاهَ الأعيرجُ واستعلى به النظرُ   فقيلَ له خيرُ ما استعملته الحذرُ
أحسنْتَ ظنَّك بالأيام إذ حسنتْ   ولم تخف سوء ما يأتي به القدرُ
وسالمتك اللّيالي فاغتررتَ بها   وعند صفوِ اللّيالي يحدثُ الكدرُ

فما أنفع لنفسه بعده.

قال يحيى بن خالد: أعطانا الدهر فأسرف ثم مال علينا فأجحف.

قال عليه السلام: قليل يدوم عليه أرجى من كثير مملوك. وقال عليه السلام: من تذكر بعد السفر استعد. وقال عليه السلام: يا بن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك.

القلوب

●وقال عليه السلام: إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً فأتوها من قبل شهواتها وإقبالها فإن القلب إذا أكره عمي. وقال عليه السلام: متى أشفي غيظي إذ غضبت أحين أعجز عن الانتقام فيقال لي لو صبرت، أم حين أقدر عليه فيقال لي لو غفرت. وقال عليه السلام: إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة.

وقال عليه السلام: إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خلياً بينه وبينه وإن الأجل جنة حصينة. وقال عليه السلام: لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر ما أضاع الكافر والله يحب المحسنين.

المعروف

قال: بعض الشعراء في هذا المعنى:

لعمُرك ما المعروفُ في غيرِ أهلِه وفي أهله إلاّ كبعضِ الودائعِ
فمستودعٌ ضاعَ الذي كان عندَه ومستودعٌ ما عندَه كان ضائعُ
وما الناسِ في شكر الصنيعة عندهمْ وفي كفرِها إلا كبعضِ المزارعِ
فمزرعةٌ طابتْ وأضعفَ نبتُها ومن زرعةٍ أكدتْ على كلِّ زراعِ

من حكمه عليه السلام

وقال علي عليه السلام: كل وعاء يضيق بما وضع فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع. وقال عليه السلام: أول غوص الحليم من حلمه إن الناس أنصاره على الجاهل. وقال عليه السلام. إن لم تكن حليماً فتحلم فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم. وقال عليه السلام: عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله. وقال عليه السلام: من لان عوده كثفت أغصانه.

قال الشارح: ومعنى هذه الكلمة إن من حسن خلقه ولانت كلمته كثر محبوه وأعوانه وأتباعه، ونحو ذلك من لانت كلمته وجبت محبته. وقال عليه السلام: الخلاف يهدم الرأي. قال الشارح: هذا مثل قوله في موضع آخر: «لا رأي لمن لا يطاع» ويروى «لا مرة لمن لا يطاع» وقال علي عليه السلام: في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال. قال الشارح: ومعناه لا يعلم أخلاق الإنسان إلا بالتجربة واختلاف الأحوال عليه قال الشاعر: [البحر البسيط التام]

لا تحمدنَّ أمرءاً حتّى تجرِّبَه ولا تذمنَّه من غيرِ تجريبِ

وقالوا: التجربة محك. وقال عليه السلام: حسد الصديق من سقم المودة. وقال عليه السلام: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع. وقال عليه السلام: ليس من العدل القضاء على الثقة بالظنة. وقال عليه السلام: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد. وقال عليه السلام: من أشرف أفعال الكريم غفلته عن ما يعلم. وقال عليه السلام: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. وقال عليه السلام: بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالنصفة يكثر الواصلون، وبالإفضال يعظم الاقتدار، وبالتواضع تتم النعمة، وباحتمال المؤن يجب السؤدد، وبالسيرة العادلة يقهر المناوىء، وبالحلم على السفيه يكثر الأنصار عليه. وقال عليه السلام: كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً.

وسئل عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾[1] فقال: هي القناعة. وقال عليه السلام: شاركوا الذي أقبل عليه الرزق فإنه أخلق بالغنى وأجدر بإقبال الحظ. وقال عليه السلام: يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم. وقال عليه السلام: اتق الله

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

بعض التقى وإن قل واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رق. وقال عليه السلام: إن لله تعالى في كل نعمة حقاً فمن أداه زاده منها ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته. وقال عليه السلام: إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة. وقال عليه السلام: احذروا نفاد النعم فما كل شارد بمردود. وقال عليه السلام: حلفوا الظالم إذا أردتم يمينه أنه بريء من حول الله وقوته فإنه إذا حلف بها كاذباً عوجل، وإذا حلف بالله الذي لا إله إلا هو لم يعاجل لأنه قد وحد الله تعالى.

ما جرى ليحيى بن عبد الله

وقال الشارح: روى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين أن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام لما أمنه الرشيد بعد خروجه بالديلم فصار إليه بالغ في إكرامه وبره، فسعى بعد مدة عبد الله بن مصعب الزبيري إلى الرشيد وكان يبغضه وقال له: إنه قد عاد يدعو إلى نفسه سراً وحسن نقض أمانه، فأحضره وجمع بينه وبين عبد الله بن مصعب ليناظره فيما فرقه به ورفعه عليه، فجبهه ابن مصعب بحضرة الرشيد وادعى عليه الحركة في الخروج وشق العصا، فقال يحيى: يا أمير المؤمنين أتصدق هذا علي وتستنصحه وهو عبد الله بن الزبير الذي أجلس أباك عبد الله وولده بالشعب وأضرم عليهم النار حتى خلصه ابن عبد الله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب منه عنوة، وهو الذي ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين جمعة في خطبته فلما التفت عليه الناس قال: «له اهيل سوء إذا صليت عليه وذكرته أتلعوا أعناقهم وسروا الزكاة فأكره أن أسرهم وأقر أعينهم» وهو الذي كان يشتم أباك ويلصق به العيوب حتى ورا كبده، ولقد ذبحت بقرة يوماً لأبيك فوجدت كبدها قد تفتت.

فقال علي لابنه: أما ترى كبد هذه البقرة يا أبت، فقال: يا بني هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك، ثم نفاه إلى الطائف فلما أحضرته الوفاة قال لعلي ابنه: يا بني إذا مت فالحق بقومك من بني عبد مناف بالشام ولا تقم في بلد فيه لابن الزبير امرة، فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبد الله بن الزبير، والله إن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعاً بمنزلة سواء ولكنه قوي علي وضعف عنك فقرب لي إليك ليظفر منك في بما يريد إذا لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي منك أن تسوغه ذلك في، فإن معاوية بن أبي سفيان وهو أبعد نسباً منك إلينا، ذكر الحسن بن علي يوماً بسبه فساعده عبد الله بن الزبير على ذلك فزجره وانتهره فقال: إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين. فقال: إن الحسن لحمي أكله ولا أوكله ومع هذا فهو الخارج مع محمد أخي على أبيك المنصور أبا جعفر والقائل لأخي في قصيدة طويلة أولها: [البحر البسيط التام]

إنَّ الحماية يوم السغب من وتنٍ هاجتْ فؤاد محبٍّ دائمِ الحزنِ

يحرض أخي فيها عن الوثوب والنهوض إلى الخلافة ويمدحه ويقول له:

[البحر البسيط التام]

لا عزَّ ركناً نزارٌ عند سطوتِها   إنْ أسلمتك ولا ركناً ذوي يمنِ
ألستَ أكرمهم عُوداً إذا نُسِبوا   يوماً وأطهرَهم يوماً من الدَّرنِ
وأعظمَ الناسِ عندَ الناس منزلةً   وأبعدَ الناسِ من عيبٍ ومن وهنِ
قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتها   إنَّ الخلافةَ فيكم يا بني حسنِ
إنَّ التأملَ أن يرتدَّ ألفتُنا   بعد التدابرِ والبغضاءِ والإحنِ
حتى يثاب على الإحسانِ محسننا   ويأمن الخائفُ المأخوذ بالدّمنِ
وتنقضي دولةٌ أحكامُ قادتها   فينا كأحكام قومٍ عابدي وثنِ
فطالما قد برت بالجورِ أعظُمنا   بري الضياعِ قداحَ البيعِ بالسفنِ

فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر وتغيظ على ابن مصعب، فابتدى ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إلّه إلا هو وبإيمان البيعة إن هذا الشعر ليس له وأنه لسديف، فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين ما قال غيره وما حلفت صادقاً ولا كاذباً بالله قبل هذا، وإن الله عَزَّوَجَلَّ إذا مجده العبد في يمينه فقال. والله الطالب الغالب الرحمن الرحيم أستحى أن يعاقبه، فدعني أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذباً إلا عوجل. قال: فحلفه.

فقال له: قل برئت من حول الله وقوته واعتصمت بحولي وقوتي وتقلبت الحول والقوة من دون الله استكباراً على الله واستعلاء عليه واستغناء عنه إن كنت قلت هذا الشعر، فامتنع عبد الله من الحلف بذلك فغضب الرشيد وقال للفضل بن الربيع: يا عبس ما له لا يحلف إن كان صادقاً هذا طيلساني علي وهذه ثيابي لو حلفتني بهذه اليمين إنها لي لحلفت، فوكز الفضل عبد الله برجله وكان له فيه هوى وقال له: احلف ويحك، فجعل يحلف بهذه اليمين ووجهه متغير وهو يرعد، فضربه يحيى بين كتفيه وقال: يابن مصعب قطعت عمرك لا تفلح بعدها أبداً. قالوا فما برح من موضعه حتى عرض له أعراض الجذام استدارت عيناه وتفقأ وجهه وقام إلى بيته فتقطع وتشقق لحمه وانتثر شعره ومات بعد ثلاث، وحضر الفضل بن الربيع جنازته فلما جعل في القبر انخسف اللحد به حتى خرجت منه غبرة شديدة وجعل الفضل يقول: التراب التراب قد خرجت منه رائحة مفرطة النتن فرأيت إحمال شوك تمر في الطريق فقلت: علي بذلك الشوك فأتيت به فطرحت به على موضع قبره فطرح في تلك الوهدة، فما استقر حتى انخسف ثانية.

فقلت: علي بألواح ساج فطرحت على موضع قبره وطرح التراب عليها فانخسف فلم يستطيعوا سده حتى شغف عشب وطم عليه، فكان الرشيد يقول بعده للفضل: رأيت يا عباسي ما أسرع ما أدل يحيى من ابن مصعب.

من حكمه عليه السلام أيضاً

وقال عليه السلام: الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم وإن لم يندم فجنونه مستحكم: وقال عليه السلام: إذا ملكتم فتاجروا والله بالصدقة. وقال علي عليه السلام: الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله والغدر بأهل الوفاء وفاء عند الله. وقال عليه السلام في الدنيا عاملان: عامل عمل في الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته يخشى على من يخلف الفقر ويأمنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره، وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاء الذي له في الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً وملك الدارين جميعاً فأصبح وجيهاً عند الله لا يسأل الله شيئاً فيمنعه. وقال عليه السلام: أصدقاؤك ثلاثة وأعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك وعدو عدوك، وأعداؤك: عدوك، وعدو صديقك، وصديق عدوك.

وقال عليه السلام: المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً وأزل شيء نفساً، يكره الرفعة ويشنوء السمعة، طويل غمه بعيد همه كثير صمته مشغول وقته شكور صبور، مغمور بفكرته ضنين بخلته، سهل الخليقة لين العريكة، نفسه أصلب من الصلد وهو أزل من العبد. وقال عليه السلام: المسؤول حر حتى يعد. وقال عليه السلام: يابن آدم الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك، فلا تحمل هم سنتك على هم يومك كفاك كل يوم ما فيه، فإن تكن السنة من عمرك فإن الله سبحانه وتعالى سيؤتيك في كل يوم جديد بما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك، ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قدر لك.

وقال عليه السلام: وقد سئل عن معنى قولهم: «لا حول ولا قوة إلا بالله» إنا لا نملك مع الله شيئاً ولا نملك إلا ما ملكنا فمتى ملكنا ما هو أملك به منا كلفنا ومتى أخذه منا وضع تكليفه عنا. قال الشارح: معنى هذا الكلام أنه عليه السلام جعل الحول عبارة عن الملكية والتصرف وجعل القوة عبارة عن التكليف، كأنه يقول لا تملك ولا تصرف إلا بالله ولا تكليف لأمر من الأمور إلا بالله، فنحن لا نملك مع الله شيئاً أي لا نستقل أن نملك شيئاً لأنه لولا أقداره إيانا وخلقته لنا أحياء لم نكن مالكين ولا متصرفين، فإذا ملكنا شيئاً هو أملك به أي أقدر عليه مناصرنا مالكين له كالمثال مثلاً حقيقة وكالعقل والجوارح والأعضاء مجازاً وحينئذٍ يكون مكلف لنا أمراً يتعلق بما ملكناه إياه، نحو أن يكلفنا الزكاة عند تكليفنا المال ويكلفنا النظر عند تمليكنا العقل وتكليفنا الجهاد والصلاة والحج وغير ذلك عند تملكنا الأعضاء والجوارح، ومتى أخذ منا المال وضع عنا تكليف الزكاة ومتى أخذ العقل سقط تكليف النظر ومتى أخذ الأعضاء والجوارح سقط تكليف الجهاد وما يجري مجراه. هذا هو تفسير قوله عليه السلام.

وأما غيره فقد فسره بشيء آخر قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: لا حول على الطاعة ولا قوة على ترك المعاصي إلا بالله. وقال قوم وهم المجبرة لا فعل من الأفعال إلا وهو صادر

من الله وليس في اللفظ ما يدل على ما أدعوا وإنما فيه أنه لا اقتدار إلا بالله، وليس يلزم من نفي الاقتدار إلا بالله صدق قولنا لا فعل من الأفعال إلا وهو صادر عن الله. والأولى في تفسير هذه اللفظة أن تحمل على ظاهرها وذلك أن الحول هو القوة والقوة هي الحول كلاهما مترادفان. ولا ريب أن القدرة من الله تعالى فهو أقدر للمؤمن على الإيمان والكافر على الكفر ولا يلزم من ذلك مخالفة العدل لأن القدرة ليست موجبة.

فإن قلت: فأي فائدة في ذكر ذلك وقد علم كل أحد أن الله تعالى خلق القدرة في جميع الحيوانات؟

قلت: المراد بذلك الرد على من أثبت صانعاً غير الله كالمجوس والثنوية فإنهم قالوا بآلهين: أحدهما يخلق قدرة الخير، والآخر يخلق قدرة الشر - انتهى.

وقال عليه السلام: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله. قال الشارح: قال الشاعر: **[البحر المتقارب]**

قنعتُ فأعتقتُ نفسي ولم ... أملك ذا ثروةٍ رقَّها
ونزهتُها عن سؤالِ الرجالْ ... ومنة من لم يرِ حقَّها
وإنّ القناعة كنزُ اللبيبْ ... إذا ارتبقتْ فتقتْ رتقَها
سيبعثُ رزقُ الشفاءِ الغراثْ ... وخمص البطونِ الذي شفَّها
فما فارقتْ مهجةٌ جسمها ... لعمرُك إنْ وفيتْ رزقها
مواعيدُ ربّك مصدوقةٌ ... إذا غيرُها فقدتْ صدقَها

وقال عليه السلام: القلب مصحفه البصر. قال الشارح: يقول عليه السلام كما أن الإنسان إذا نظر إلى المصحف قرأ ما فيه كذلك إذا أبصر الإنسان صاحبه فإنه يرى قلبه بواسطة رؤية وجهه ثم يعلم ما في قلبه من حب أو بغض أو غيرهما كما يعلم برؤية الخط الذي في المصحف ما يدل الخط عليه قال الشاعر: **[البحر البسيط التام]**

إنّ العيونَ لتُبدي في تقلُّبِها ... ما في الضّمائرِ من ودٍّ ومن حنقِ

أقول: وهو من قبيل قوله عليه السلام في هذا الكتاب أيضاً: ما أضمر أحدكم شيئاً إلا أظهره الله في صفحات وجهه وفلتات لسانه.

وقال عليه السلام: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله فيما بينه وبين الناس. وقال عليه السلام: إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محاسن غيرهم وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم. وقال عليه السلام: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً على القدرة. وقال عليه السلام: صدر العاقل صندوق سره والبشاشة حبالة المودة والاحتمال قبر العيوب. وقال عليه السلام: من رضي عن نفسه كثر الساخط

عليه. وقال عليه السلام: البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حاجته والمقل غريب في بلدته - إلى هذا ينتهي ما اخترنا نقله.

في الشعر المشجر

وقال الكفعمي في كتابه المتقدم ذكره: (المشجر) هذا النوع لم يذكره الصفي رحمه الله في بديعته ولا السكاكي في مفتاحه ولا ابن أبي الأصبغ في تحريره ولا التفتازاني في تلخيصه ولا ميثم في تجريده ولا المقداد في تجويده، وذكر الشيخ العالم أبو سعيد شعبان بن محمد القرشي المصري في قصيدته المسماة عقد البديع في مدح الشفيع يسمى عند علماء البديع بالتشجير والمشجر والفرع بالعين المهملة والبيت معه يسمى الشجرة الفنوي يسمى بذلك لكثرة شعباته تشبيهاً بالفنوي أي ذات الأفنان والأغصان، وصفته أن يأتي الشاعر إلى بيت فيجزئه أجزاء يشتمل كل جزء من تلك على بيتين إذا قرىء البيت من أول، وأحسنه ما كثرت أجزاؤه لأن ذلك فيه تكثير الأبيات، وهو دليل على قوة الشاعر ومهارته وسعة استطاعته مثل قول الكفعمي:

للكفعمي يلذ مدح محمد* مولى جليل جل في إعظامه* كيف نحصي ممادح في مليك* جوده في البلاد كالرافدين

[البحر الرجز]

قـــرُب مـــقـــامُـــهُ ... بـــدرُ تـــمـــامِـــهُ
يـــرْتـــوي بـــغـــمـــامِـــهْ ... يـــهـــتـــدي بـــإمـــامـــهْ
أزيـلَ الـكـفـرُ مـن صـمـصـامـهْ ... أبـادَ الـشـرك حـدُّ حُـسـامـهْ
شُـمَّ طـرازُ الـنـصـرِ مـن أعـلامـهْ ... بـطـلٌ أقـام الـديـن حـقَّ قـيـامـهْ
المصطفىَ* المعصومُ في أفعاله وكلامهْ ... المجتبى الهادي* فهذا الشرعُ من أحكامهْ
نشرَ فضائلَ لنبيه كالمسكِ عند ختامهْ ... ذكر مناقب* للمقتدى بصلاتِه وصيامِهْ
يطيبُ وصفُ سميدعٍ ربُّ العلى قد خصّه بسلامِهْ ... يروقُ مدحُ المرتقى* فلك السّما نبيه وإمامهْ

عبدُ السميعِ لا آملُ مدحاً لكم قد روى عن الثقتينِ ... حصى عبدُ السميعِ كمالاً وعلا فأنا على المدركين
فضائلُ فيكَ حقاً قد علا فضلُها على العالمين ... نعوتُ مولى ثناءٍ لعبيرٍ يصوغُ ولا تفحين
من حصرِها فيه طرّاً أصيب بالأبكمين ... الفضلُ فيمن وجهُه في الضياءِ كالقمريْن
فــازَ فــي الارتــقــاء والأمــنــيــن ... خــصَّ بــالاعــتــلاء والأســبــيــن
الــســبــلُ طــبّــقَ الــخــافــقــيْــنْ ... الأنــامُ كــالأطــيــبــيــنْ
كــالــفــرقــديْــن ... كــالأرجــويْــن

ما جرى عند شيخ الحنابلة من السب

نقل: ابن أبي الحديد عن مقدم الحنابلة إسماعيل بن علي الحنبلي قال: دخل عليه واحد من الحنابلة فجعل الشيخ يسأله عن حاله وعن قصده حتى قال: يا شيخ لو شاهدت الزيارة يوم الغدير وما يجري عند قبر علي عليه السلام من الأقوال والفضائح وسب الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة؟ فقال إسماعيل: وأي ذنب لهم والله ما أجرأهم على ذلك ولا فتح الباب إلا صاحب ذلك القبر. فقال: علي؟ فقال: يا سيدي هو الذي علمهم؟ قال؟ نعم هو ذلك. قال: يا سيدي فإن كان محقاً فما لنا نتولى فلان وفلان. وإن كان مبطلاً فما لنا نتولاه، ينبغي أن نتبرأ منه أو منهما، فقام إسماعيل مسرعاً فلبس نعليه وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل ابن الفاعلة إن كان يعرف جواب هذه المسألة ودخل حرمه انتهى.

قال بعض أصحابنا بعد نقل ذلك عن ابن أبي الحديد: ولقد أنصف الشارح حيث لم ينكر هذه المقالة ولم يتعرض لجوابها مع تصلبه في حماية أشياخه فتأمل - انتهى.

تحقيق ابن الجوزي في حديث الغدير

فائدة: قال ابن الجوزي الحنبلي في كتاب تاريخ الخلفاء في المجلد الرابع منه فيما يختص بأمير المؤمنين عليه السلام. وأولاده بعد ذكر أخبار حديث الغدير وحملته من طرقه ما هذه صورته: (الكلام على الحديث) اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة، وكان معه من الصحابة ومن الأعراب من يسكن حول مكة والمدينة مائة وعشرون ألفاً، وهم الذين شهدوا معه حجة الوداع وسمعوا منه هذه المقالة. قال أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره: ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصار فبلغ ذلك النعمان بن الحارث الفهري فأتاه على ناقة له فأناخها على باب المسجد ثم علقها ودخل المسجد ورسول الله جالس فيه فجاء حتى جلس بين يديه أو جثا ثم قال: يا محمد إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك أقوالك، وإنك أمرتنا أن نصلي الخمس صلاة في الليل واليوم وصوم شهر رمضان ونزكي أموالنا ونحج البيت فقبلنا منك ذلك، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت ضبعي ابن عمك ففضلته على الناس وقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فهذا شيء من الله أو منك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد احمرت عيناه: «والله الذي لا إله إلا هو أنه من الله وليس مني»، قالها ثلاثاً فقام النعمان وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك (وفي رواية: إن كان ما يقول محمد حقاً) ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. قال: فوالله ما بلغ

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على هامته فخرج من دبره فمات فنزل على رسول الله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾(١) الآية.

ولا بد من تفسير لفظة المولى وما المراد بها فنقول: اختلف علماء العربية فيها على أقوال:

أحدها: إنها ترد بمعنى المالك قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ... وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾(٢) أي مالك رقه.

والثاني: المولى المعتق بكسر التاء.

والثالث: المولى المعتق بفتح التاء.

والرابع: بمعنى الناصر، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾(٣).

والخامس: ابن العم ومنه قوله أنشد ما هلا: [البحر البسيط التام]

بني عمّنا مهلاً موالينا لا تنبشُوا بيننا ما كان مدفونا

السادس: الحليف ومنه قول الذيبان من موالي حلف لا موالي قرابة، ويقول: هم خلفاء لا أبناء عم.

والسابع: المتوالي لضمان الجريرة وحيازة الميراث وكان ذلك في الجاهلية ثم نسخ بآية الميراث.

والثامن: الجار لماله من الحقوق بالمجاورة.

والتاسع: السيد المطاع وهو المولى المطلق.

والعاشر: بمعنى الأولى ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾(٤) أي أولى بكم، وإذا ثبت هذا لم يجز حمل لفظة المولى على مالك الرق ولا على المعتق بفتح التاء لأن أمير المؤمنين عليه السلام كان حراً ولا على الناصر لأنه كان ينصره ولا على ابن العم لأنه كان ابن عمه ولا على الحليف لأن الحليف يكون بين الغرباء للتعاضد والتناصر وهذا المعنى موجود فيه ولا على المتولي ضمان الجريرة لأن ذلك منسوخ ولا على الجار لأنه يكون لغواً من الكلام فتعين السيد المطاع والأولى ومعناه: من كنت مولاه فعلي أولا به مولاه.

وقد صرح بهذا الحافظ أبو الفرج يحيى بن سعيد الأصفهاني الثقفي في كتابه المسمى بمرج البحرين ومقصودي هذا الحديث وقال: فأخذ رسول الله بيد علي عليه السلام وقال: «من كنت وليه

---

(١) سورة المعارج، الآية: ١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٥ – ٧٦.

(٣) سورة محمد، الآية: ١١.

(٤) سورة الحديد، الآية: ١٥.

فعلي وليه» هذا نص صريح في إثبات إمامته وقبوله طاعته وكذا قوله: «وأدر الحق معه حيث ما دار» نص صريح في ذلك وإجماع الأمة منعقد على أنه ما جرى خلاف بينه وبين أحد من الصحابة إلا وكان الحق مع أمير المؤمنين، ألا ترى أن السفهاء استنبطوا أحكام البغاة من وقعة الجمل وصفين وقد أكثر الشعراء في يوم الغدير فقال حسان بن ثابت: [البحر الطويل]

يناديهمُ يوم الغدير نبيُّهم ... بخمٍّ واسمع بالنبيِّ مُناديا
وقال: فمنْ مولاكمُ ووليُّكم ... فقالوا: ولم يُبدوا هناك التّعاديا
إلّهك مولانا وأنت وليُّنا ... ومالك منّا في الولايةِ عاصِيا
فقال له: قمْ يا عليُّ فإنّني ... رضيتُك من بعدي إماماً وهادِيا
فمن كنتُ مولاه فهذا وليُّه ... وكونُوا له أنصار صدقٍ مَواليا
هناك دَعا اللهمَّ والِ وليَّه ... وكنْ للّذي عادى عليّاً مُعاديا

فقال له النبي ﷺ: لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نافحت عنا بلسانك.

وقال قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وأنشدها بين يدي أمير المؤمنين كرم الله وجهه: [البحر الرمل]

قلتُ لما بِغلا العدوِ علينا ... حسبُنا اللهُ ونعمْ الوكيلُ
وعليٌّ إمامُنا وإمامُ لمنْ ... سِوانا حقّاً أتى به التزيلُ
يومَ قال النبيُّ من كنتُ مولاهُ فهذا مولاهُ خطبٌ جليلُ
إنمّا قولُ الرسولِ على الأمةِ ... حتمٌ ما فيه قالُ وقيلُ

وقال: الكميت رحمه الله: [البحر الوافر]

نفى عن عينك الأرق الهجوعا ... وممّا يمتري عنها الدّموعا
لذي الرحمن يشفعُ بالمَثاني ... وكان لنا أبو حسنٍ شَفيعا
ويومَ الدوح دوح غدير خمٍّ ... بانّ له الولايةَ لو أطيعا
ولكنَّ الرجال تدافعوها ... فلم أرَ مثلها خطباً شَنيعا

ولهذه الأبيات قصة عجيبة حكاها لي بعض إخواننا قال: أنشدت ليلة هذه الأبيات وبت متفكراً فيها فنمت فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام في منامي فقال: أنشدني أبيات الكميت، فأنشدته إياها فلما أنهيتها قال عليه السلام: فلم أر مثل ذلك ولم أر مثله حقاً أضيعا. قال: فانتبهت مذعوراً.

قال السيد الحميري: [البحر السريع]

يا بائعَ الأخرى بدنياهُ ... ليس بهذا أمر اللهُ
من أين أبغضتَ عليّ الرّضا ... وأحمدُ قد كان يرضاهُ
من الذي أحمدُ من بينهم ... يومَ غديرِ الخمّ ناداهُ

أقامَه من بين أصحابِه وهمْ حواليه فسمَّاهُ
هذا عليٌ بنُ أبي طالبٍ مولى لمن قد كنتُ مولاهُ
فوالِ من والاهُ يا ذا العُلى وعادِ من قد كان عاداهُ

وقال: بديع الزمان الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني: [البحر البسيط المجزوء]

يا دارَ منتجعِ الرسالهْ يا بيتَ منتجعِ الملائكْ
يابنِ الفواطمِ والعواتكْ والترائِكْ والأرائكْ
أنا حائكٌ إن لم أكنْ مولى ولائك وابنُ حائكْ

انتهى ما أردنا نقله.

وقال أيضاً: في الكتاب المذكور: (حديث في ذكر شيعته) قال ابن الغطريف بهذا الإسناد أخبرنا عمر الكاغدي أخبرنا محمد بن يحيى الصوفي حدثنا يحيى بن الحسن بن الفرات أخبرنا عبد الله بن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي كرم الله وجهه فقال: «هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة».

حديث رد الشمس

أخبرنا أبو القاسم عبد الحسن بن عبد الله بن أحمد الطوسي أخبرنا أبو الحسين بن النقور أخبرنا ابن حنانة حدثنا البغدادي حدثنا طالوت بن عباد عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس قالت: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر علي كرم الله وجهه وهو يوحى إليه، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله: «اللهم أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس»، فردها الله له. وقد ضعف قوم هذا الحديث وذكره جدي في كتاب الموضوعات وقال: في إسناده جماعة ضعفاء وسماهم ثم قال: وصلاة العصر صارت قضاء فلا يفيد رجوع الشمس.

قلت: قد حكى القاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى عن الطحاوي أنه ذكره في شرح مشكل الحديث قال: روي من طريقين صحيحين عن أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ كان رأسه في حجر علي عليه السلام وهو يوحى إليه وذكره فيه فقال له رسول الله ﷺ: «أصليت العصر؟»

قال: لا. قال رسول الله ﷺ: «اللهم أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» قالت أسماء: فرأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على رؤوس الجبال وذلك بالصهباء في خيبر.

قال الطحاوي: وهاتان الروايتان ثابتتان ورواهما الثقات. قال الطحاوي كان أحمد بن

صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حديث أسماء لأنه من علامات النبوة، وقوله: «صارت صلاة العصر قضاء» قلت: إذا كان رجوع الشمس من علامات صحة نبوة نبينا ﷺ فكيف تصير صلاة العصر أداءً حكماً لأن القضاء يحكي الفائت، والعجب من هذا وقد ثبت في الصحيح أن الشمس حبست ليوشع بن نون ولا يخلو إما أن يكون ذلك معجزة لموسى أو ليوشع فإن كان لموسى فنبينا ﷺ أفضل وعلي كرم الله وجهه أقرب إليه من يوشع بن نون، وإن كان معجزة ليوشع فلا خلاف أن علياً كرم الله وجهه أفضل من يوشع بن نون لأن أدنى أحواله أن يكون كواحد وقد قال ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» فعلم أن الحديث ثابت.

وفي الباب: حكاية عجيبة حكاها جماعة من مشايخنا قالوا: جلس أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ بالناجية مدرسة بباب أبرز ببغداد بعد النصر وذكر حديث رد الشمس وشرع في فضائل أهل البيت، فنشأت سحابة غطت الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت فقام ابن منصور على المنبر قائماً وأومأ إلى الشمس وارتجل في الحال: [البحر الرجز المجزوء]

لا تغرُبي يا شمسُ حتى ينقضي ... مدحي لآل المصطفى ولنجلِه
واثني عنانك إن أردتِ ثناءهم ... أنسيتِ أنْ كان الوقوفُ لأجلِه
إنْ كان للمولى وقوفُك فليكنْ ... هذا الوقوفُ لخيله ولرجلِه

فطلعت الشمس فلا يدري ما رمي عليه من الأموال والثياب.

وفي حديث: رد الشمس يقول الصاحب كافي الكفاة ابن عباد: [البحر الرمل المجزوء]

مَنْ كمولاي عليٌّ ... والوغى تحمي لظاها
من يصيدُ الصيدَ فيها ... بالظُّبى حين انتضاها
كم وكم حربٍ ضروسٍ ... سدَّ بالمرهفِ فاها
اذكرا أفعال بدرٍ ... لستُ أبغي ما سواها
اذكرا غزوة أحدٍ ... إنه شمسُ ضُحاها
اذكرا حربَ حنينٍ ... إنه بدرُ دجاها
اذكرا الأحزاب قدماً ... إنه ليثُ شراها
اذكرا مهجة عمرٍو ... حين أفناها تجاها
اذكرا أمر براتٍ ... وأصدقاني من تلاها
حالُه حالةُ هارونٍ لمُوسى فافهماها
أعلى حبٌّ علي ... لامني القومُ سفاها
أولُ الناسِ صلاةً ... جعل التقوى حُلاها
رُدّتِ الشمسُ عليهِ ... بعد ما غابتْ سناها

انتهى ما أوردنا نقله من الكتاب المذكور من ذلك الموضع.

أقول: انظر إلى ما نقله هذا الفاضل وأمثاله من علمائهم في حديث غدير خم، وتصريحهم بكونه نصاً في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام مع عدولهم عنه وتقديم غيره عليه، وما أدري ما الحجة لهم في ذلك بعد اعترافهم بما هنالك، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾(1).

قصيدة الشفهيني

مما قال: الشيخ علي الشفهيني نور الله ضريحه وطيب ريحه: **[البحر الطويل]**

أبرقٌ تراءى عن يمينِ ثغورِها ... أم تبسمتْ عن لؤلؤٍ من ثغورِها
ومرتْ بليلٍ في بليلٍ عراصِها ... بنا سحراً أم نفحةٌ من عبيرِها
وطلعةُ بدرٍ أم تراءت عن النّوى ... لعينك ليلى من خلالِ ستورها
نعم هذه ليلى وهاتيك دارها ... بسقط اللّوى يغشاك لألاءُ نورها
سلامٌ على الدار التي طالما غدت ... جلاءً لعينٍ ذرةٌ من ذرورها
وما عطفت عطفيّ ميلاً إلى الصّبا ... بها شغفاً إلاّ بدورُ بدورها
قضيت بها عصر الشباب برئته ... من الريب ذاتي مع ذواتِ خدورها
أتمّ جميلٍ من جميلٍ وسؤددٍ ... وأكثر كسبٍ للعُلى من كثيرِها
وبتُّ بريئاً من دنوٌ دناءةٍ ... أغابت من مخطورها وخطيرها
لعلي إلي في المعاد مناقشٌ ... حساباً على قطميرها ونقيرها
وما كنت من يسخو بنفسٍ نفيسةٍ ... فارخصُ بذلا سعرها بسعيرها
وأجملُ ما يُعزى إلى المجدِ عزوةٌ ... بدا مسفراً بالبشرِ وجهُ بشيرها
اعذرٌ لمبيضّ العذارِ إذا صبا ... وأكبرُ مقتاً صبوةٌ من كبيرها
كفى بنذير الشيب نهياً لذي النُّهى ... وتبصرةٌ فيها هدى لبصيرها
وما شبتُ إلا من وقوع شوائبٍ ... لأصغرها يبيضُّ رأسُ صغيرها
ولولا مصابُ السبط بالطفّ ما بدا ... بليلِ عذراي السبط وخطُّ قتيرها
رمته بحربٍ إلى حربٍ وأقبلت ... إليه نفوراً في عداد نفورها
تقودُ إليه القود في كلّ جحفلٍ ... إلى غارةٍ معتدّةٍ من مُغيرها
وما عدلت في الحكمِ بل عدلت به ... وقائعُ صفينٍ ويومُ هريرها

---

(1) سورة الحج، الآية: ٤٦.

وعاضدها في غيّها شرُامةٍ على الكفرِ لم تسعدْ برأيٍ مشيرها
خلافُ سطورٍ في طروسٍ تعطّلتْ طلائعُ غدرٍ في خلالِ سطورها
فحين أتاها واثقُ القلب أصبحت نواظرها مزورّةً غبّ زورها
وقد أوسعتْ في الدين خرقاً ولا سعتْ إلى جورِها إلا لتركِ أجورها
بنفسي إذ وافى عصاهُ عصابةً غرارُ الظبى مشحوذةٌ من غرورِها
قُولا لأنصارٍ لديهِ وأسرةٍ لدى العرشِ سرٌّ مودعٌ في صدورها
أعيذكمُ أن تطعمُوا الموت فاذهبوا بمغفرةٍ مرضيةٍ من غفورها
فأجملُ في ردّ الندى كلّ ذي ندى ينافسُ عن نفسٍ بما في ضميرها
أعن فرقٍ نبغي الفراق وتصطلي وحيداً بلا عونٍ شرارُ شرورها
وما العذرُ في يوم العصيب لعصبةٍ وقد خفرت يوماً ذمام خفيرِها
وهل سكنتْ روحٌ إلى روحِ جنةٍ وقد خالفت في الدين أمر أميرِها
أبى اللهُ إلاّ أن تُراق دماؤنا ونصبح نهباً في أكفّ نشورها
وثابُوا إلى كسب الثوابِ كأنهمْ أسودُ الشرى في كرّها وزفيرها
تهشُّ إلى الأقدام علماً بأنها تحلُّ محلُّ القدسِ عند مصيرها
قضتْ فقضت من جنة الخلدِ سولها وسادتْ على أحبارها بحبورها
وهان عليها الصعبُ حين تأملت إلى قاصراتِ الطرفِ بين قصورِها
وما أنسَ لا أنسى الحسينَ مجاهداً بنفسٍ خلت من خلّها وعشيرِها
يصولُ إذا زرقُ النصول تأوّدتْ لنزعِ قسيٍّ أعجبت من صريرِها
ترى الخيلَ من اقدامها منه ما ترى محاذرةً أن أمّها من هصورها
فتصرفُ عن بأسٍ مخافة بأسِه كما جفلت كدرُ القطا من صقورها
تحيّرها مات الكماة حسامه له بدلاً عن جفنها وجفيرها
فلا فرقةٌ إلا وأوسع سيفُه بها فرقاً أو فرقةً في نفورها
أجدّك هل سمرُ العوالي تجتني لكم عسلاً مستعذباً من مريرها
أم استكبرتْ أنس الحياة نفاسةً نفوسكمُ فاستبدلتْ أنسَ حورِها
بنفسيَ مجروحُ الجوارح آيساً من النصرِ خلواً ظهرُه من ظهيرِها
بنفسي محزوز الوريد معفّراً على ظمأ من فوق حرِّ صخورها
يتوقُ إلى ماءِ الفراتِ ودونها خدود شفارٍ أحدقتْ بشفيرِها
قضى ظامياً والماءُ يلمعُ طامياً وغودر مقتولاً دوين غديرها
هلالُ دجى أمسى يحدُّ غزوها غريباً على قيعانها ووعورها

فيا لك مقتولاً علتْ بهجةُ العلى ... به ظلمةٌ من بعد ضوءِ سفورها
وقارونُ قرن الشمسِ كسفٌ ولم تعذْ ... تطايرُها حزناً لفقد نظيرِها
وأعلنتِ الأملاكُ نوحاً واعولتْ ... له الجنُّ في قيعانها ووعورها
وكان تمورُ الأرضُ من فرط حسرةٍ ... على السبطِ لولا رحمةٌ من مميرِها
ومرت عليهم زعزعٌ لتذيقهم ... مرير عذابِ مهلكٍ بمرورها
أسفتُ وقد آبوا نجيّاً ولم يرح ... لهم دابرٌ مقطوعةٌ بدبورها
واعجب إذ شالت كريم كريمها ... لتكبيرها في قتلها لكبيرها
فيا لك عيناً لا تجفُّ دموعها ... ونارٌ يذيب القلب حرُّ زفيرها
على مثل هذا الحزن يستحسنُ البكا ... وتقلع منا أنفسٌ عن سرورها
أيقتلُ خير الخلق أمّاً ووالداً ... وأكرمُ خلق اللهِ وابنُ نذيرِها
ويُمنعُ من ماءِ الفراتِ وتغتدي ... وحوش الفلا ريّانةٌ من نميرها
أجلُّ حسيناً أن يمثّل شخصُه ... بمثلة قتلٍ كان غير جديرها
يديرُ على رأس السنانِ برأسه ... سنانٌ الا شلّتْ يمينٌ يديرها
ويؤتى بزين العابدين مكبّلاً ... أسيراً ألا روحي الفدا لأسيرها
يقادُ ذليلاً في القيود ممثّلاً ... لأكفرِ خلق اللهِ وابن كفورِها
ويمشي يزيدٌ رافلاً في حريره ... ويمشي حسينٌ عارياً في حرورها
ودارُ بني صخر بن حربٍ أنيسةٌ ... بنشدِ أغانيها وسكب خمورها
تظلُّ على صوتِ البغايا بغاتُها ... بها زمرةٌ تلحن بلحن زمورها
ودارُ عليٍّ والبتول وأحمدٍ ... وشبّرها مولى الورى وشبيرها
معالمُها تبكي على علمائها ... وزائرُها يبكي لفقد مزورها
منازلُ وحيٍ اقفرت فصدورُها ... لوحشتِها تبكي لفقد صدورها
تظلُّ صياماً أهلُها ففطورُها ... التلاوةُ والتسبيحُ فضلُ سحورِها
إذا جنَّ ليلٌ زان فيه صلاتهم ... صلاةٌ فلا يحصى عداد يسيرها
وطولٌ على طولِ الصلاةِ ومن عدا ... مقيماً على تقصيرِه في قصيرها
قفا نسأل الدارَ التي درس البلا ... معالمها من بعدِ درسِ زبورِها
متى أفلتْ عنها شموسُ نهارِها ... وأظلم ظلْماً جوها من بدورها
بدورٌ بأرض الطفّ طاف بها الرّدى ... فأهبطها من أوجه في قبورها
كواسرُ عقبانٍ عليها تعاقبتْ ... بغاثُ نُسورٍ قد نأتْ عن وكورها
عراةٌ عراها وحشةٌ فأذاقها ... وقد رمضت بالهجر حرُّ هجيرها

قضتْ عطشاً والماء طام فلم يجد ... له منهلاً إلا دماء نحورها
ينوحُ عليها الوحش من طُول وحشةٍ ... وتندبُها الأصداءُ عند بكورها
ستسألُ تيمٌ عنهم وعديُّها ... أوائلها ما أكّدت لاخيرِها
ويسألُ عن ظلم الوصيِّ وآله ... مشير غواةِ القومِ من مستشيرها
وما جرَّ يوم الطفّ جورُ أميةٍ ... على السبطِ إلاّ جرأة ابن أجيرها
تقمّصها ظلماً فأعقب ظلمةً ... تعقّب ظلم في قلوبِ حميرِها
فيا يوم عاشوراءَ حسبُك أنكَ المشؤومُ وإن طالَ المدى من دهورها
لانت وإنْ عظمت أعظم فجعةٍ ... وأشهرُ عندي بدعةً من شهورها
فما محنُ الدّنيا وإن جلّ خطبُها ... تشاكل من بلواك عشرُ عشيرها
بني الوحي هل من بعد خيرة ذي العلى ... بمدحكمُ من مدحةٍ لخبيرها
كفَى ما أتى في هل أتى من مديحكم ... وأعرافِها للعارفين وطورِها
إذا رمتُ أن أجلو جُمان جميلكم ... وهل حصرُ ينهي صفاتِ حصورها
تضيقُ بكم مدحاً بحورُ عروضها ... ويحسدكم سحّاً عريضُ بحورها
منحتكمُ شكراً وليس بضائعٍ ... بضائع مدحي منحةً من شكورِها
أقيلُوا عثاري يوم لافيه عثرةً ... تقالُ إذا كم تشفعُوا لعثورِها
فلي سيئاتٌ بتُّ من خوف نشرِها ... على وجلٍ أخشى عقابَ نشورِها
فما مالكٌ يوم المعادِ بمالكي ... إذا كنتمُ لي جُنّةً من سعيرِها
وإنّي لمشتاقٌ إلى نور بهجةٍ ... سنا فجرها يجلُو ظلام فجورها
ظهورُ أخي عدلٍ له الشمسُ آيةٌ ... من الغرب تبدو معجزاً في ظهورها
متى يجمعُ اللهُ الشتات وتجبرُ القلوبُ التي لا جابرٌ لكسيرها
متى يظهرُ المهديُّ من آل هاشمٍ ... على سيرةٍ لم يبق غيرُ يسيرها
متى تقدمُ الراياتُ من أرض مكةٍ ... ويضحكني بشراً قدومُ بشيرها
وتنظرُ عيني بهجةً علويةً ... ويسعدُ يوماً ناظري من نظيرِها
وتهبطُ أملاك السّماء كتائباً ... لنصرته عن قدرةٍ من قديرها
وفتيانُ صدقٍ من لويِّ بن غالبٍ ... تسيرُ المنايا رهبةً لمسيرها
تخالهمُ فوق الخيول أهلةً ... ظهرْن من الأفلاكِ أعلى ظهورِها
هنالك تعلو همةٌ طال همُّها ... لإدراكِ ثارٍ سالفٍ من مثيرِها
فإن حان حيني بعد ذاك ولم يكنْ ... لنفسٍ عليٍّ نصرةٌ من نصيرها
قضى ظامياً قبل انقضاءِ مراده ... وليس يضيعُ اللهُ أجر صبورها

أبو الفتح: محمد الشهرستاني صاحب الملل والنحل منسوب إلى شهرستان اسم لثلاث مدن.

الأولى: في خراسان بين نيشابور وخوارزم.

الثانية: قصبة بناحية نيشابور.

والثالثة: مدينة بينها وبين أصفهان ميل، ونسبة أبي الفتح المذكور إلى الأولى.

الجنون فنون

للمحقق التفتازاني: **[البحر الطويل]**

طويتُ لإحرازِ الفنونِ ونيلها رداءَ شبابي والجنونُ فنونُ
فلمّا تعاطيتُ الفنون وخضتُها تبيّن لي أن الفنون جنونُ

العتاب

الصفي الحلي: **[البحر السريع]**

قالتْ: كحلت الجفن بالوسنِ قلتُ: ارتقاباً لطيفك الحسنِ
قالتْ: تسلّيت بعد فرقتِنا فقلتُ: عن مسكني وعن سكني
فقالتْ: تشاغلتَ عن محبّتِنا قلتُ: بفرطِ البكاءِ والحزنِ
قالتْ: تنافيتَ، قلتْ: عافيتي قالت: تسلّيت، قلت: عن وطني
قالتْ: تخليت، قلت: عن جلدي قالتْ: تغيرت، قلت: في بدني

سمي المال: مالاً لأنه مال بالناس عن طاعة الله.

وصف أديب لجمل هزيلٌ

سأل: بعض الأدباء بعض الوزراء جملاً فأرسل إليه جملاً ضعيفاً، فكتب الأديب إليه: حضر الجمل فرأيته متقادم الميلاد كأنه من نتائج قوم عاد قد أفنته الدهور وتعاقبته العصور، فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما الله لنوح في سفينته وحفظ بهما جنس الجمال لذريته ناحلاً ضئيلاً بالياً هزيلاً، يعجب المعاقل من الحياة به وتأتي الحركة فيه لأنه عظم مجلد وصوف مبلد، لو ألقي للسبع لأباه ولو ألقي للذئب لعافه وقلاه، قد طال للكلاء فقده وبعد بالمرعاء عهده، لم يرعى إلا نائماً ولم يعرف الشعير إلا حالماً، وقد خيرتني بين أن أقتنيه ففيه غناء الدهر أو ذبحه فيكون فيه عظيم الذخر فملت إلى استقنائه لا نعلم من محبتي التوفير ورغبتي في التمييز وجمعي

للولد وادخاري للغد فلم أجد فيه مدلفاً لفناء ولا مستمتعاً لبقاء لأنه ليس بأنثى فيحمل ولا فتى فينسل ولا صحيح فيرعى ولا سليم فيبقى فملت إلى الآخر من رأيك وعملت على الثاني من قوليك فقلت أذبحه فيكون وظيفة للعيال وأقيمه رطباً مقام قد الغزال، فأنشدني وقد أضرمت النار وجددت الشفار وشمر الجزار وقال: ما الفائدة في ذبحي وأنا لم يبق مني إلا نفس خافت ومقلة إنسانها تاهت، لست بذي لحم فأوكل لأن الدهر قد أكل لحمي ولا جلدي يصلح للدباغ لأن الأيام مزقت أديمي ولا صوفي يصلح للغزل لأن الحوادث قد خربت وبري، فإن أردتني للوقود فاكتف ببعري عن ناري ولن تفي حرارة جمري بريح فقاري، فوجدته صادقاً في مقالته ناصحاً في مشورته ولم أدر من أي أمر به أعجب أمن مماطلته الدهر بالبقاء أم صبره على الضر والبلاء أم قدرتك عليه مع إعواز مثله أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره، فما هو إلا كقائم من القبور أو ناشر عند نفخ الصور والسلام.

ما نقص من أحدهما زاد في الآخر

قال الأصمعي: العميان أكثر الناس نكاحاً والخصيان أصح الناس أبصاراً لأنهما ظرفان ما نقص من أحدهما زاد في الآخر.

إنك تعلم ما نريد

وحكي: أنه جاء الطفيليون إلى وليمة فسد الباب فعلوا الجدار فرآهم صاحب الوليمة وقال: أتنظرون إلى حرمنا ونسائنا وبناتنا، فقالوا: قد علمت ما لنا في بناتك من حق وأنك لتعلم ما نريد.

طفيلي ذكي

قال طفيلي: حضرت يوماً في دعوة بعض الأكابر وعنده طبق لوز فأخذ واحداً وأعطاني فقلت: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾(١).

فأعطاني ثانياً فقلت: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾(٢).

وثالثاً: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾(٣).

ورابعاً: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾(٤).

(١) سورة الصافات، الآية: ٤.
(٢) سورة يسٓ، الآية: ١٤.
(٣) سورة يسٓ، الآية: ١٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

وخامساً: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾(1).

وسادساً: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(2).

وفي السابع: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾(3).

وفي الثامن: ﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾(4).

وفي التاسع: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(5).

وفي العاشر: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾(6).

وفي الحادي عشر: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾(7).

وفي الثاني عشر: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾(8)، ثم وضع الطبق بين يدي وقال: إني أخاف أن تقرأ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(9).

حسن السكوت

لعلي: بن عبد الله وصيف الشاعر المشهور وكان شيعياً: **[البحر الكامل]**

أنّى ليهجرني الصديقُ تجنّباً ... فأُريه أنّ لهجرِه أسبابا
وأخافُ إن عاتبتُه أغريتُه ... فأرى له ترك العتاب عِتابا
وإذا بليتُ بجاهلٍ متعاقلٍ ... يدعو المحالَ من الأمورِ صوابا
ولّيتُه مني السكوتَ وربّما ... كان السكوتُ عن الجوابِ جوابا

بعض ما جرى للعلامة في مجلس خدابنده

كتاب مجالس المؤمنين: في ترجمة العلامة قدس الله سره: وآن لطائف كلماتي كه جناب شيخ رادر جواب سيد موصلي واقع شده انست كه روزي در مجلس سلطان محمد خدابنده مناظره مخالفان اشتغال نمود، بعد از اتمام مطلب خود برسم شكر كزاري خطبه مشتمله برحمد إلّهي وصلوات حضرت رسالة يناهي وآل ولاية جاهي أداء كرد چنجنله در مذهب إماميه جائزاست صلوات برآل برسبيل انفراد فرستاد، سيد مذكور جون در ادله شيخ دخل نتوانست

---

(1) سورة الكهف، الآية: ٢٢.
(2) سورة يونس، الآية: ٣.
(3) سورة النبأ، الآية: ١٢.
(4) سورة الحاقة، الآية: ٧.
(5) سورة النمل، الآية: ٤٨.
(6) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.
(7) سورة يوسف، الآية: ٤.
(8) سورة التوبة، الآية: ٣٦.
(9) سورة الصافات: الآية: ١٤٧.

نمود مناسب چنان ديدكه در منع جواز توجيه صلوات برآل مناقشه پيش آد شايد درانجا كاري تواند ساخت لاجرم باشيخ كفت كه: دليل داري برجواز توجيه صلوات برغير أنبياء؟

شيخ درجواب كفت كه: دليل آية كريمة است ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾(1) ان ناسيد ازغاية عناد وإضاعة حقوق أباء وأجداد كفت علي بن أبي طالب وأولاد أو راچه مصيبت رسيده؟

جناب شيخ مصائب مشهوره أهل بيت رابه ظهور واكذاشته انفعال أو فرمود: كه رامصيبت ازاين بدتر باشد مانندتو فرز ندى ايشا نرابهم رسيده كه تفضيل بعض از منافقان بريشان ميدهي ورجحان كروهي ازجهان وايشان مينمائي حاضرون ازقوت بديهيه جناب شيخ تعجب نموده برنا سيد مذكور خنديد ند، وبعض فضلاء شعراء كه درآن مجلس حاظر بودند اين بيت راد رشأن آن ناسيد نظم كردي. [البحر الوافر]

وكان الكلبُ خيراً منه طبْعاً لأنّ الكلبَ طبعُ أبيه فيهِ

من قصص بهلول ومناظراته

ومنه أيضاً في: ترجمة البهلول: أورده اندكه روزي بهلول رابرد رخانه أبو حنيفة كذار افتاد استماع نمودكه باتلامذه خود ميكويد كه إمام جعفر الصادق عليه السلام ميكويد جهتي كه من انرانمى پسندم ميكويد: شيطان به اتش معذب خواهدشد چون تونند بودكه ازاتش است به اتش معذب كردد، وديكر ميكويد كه خداي تعالى بران نميتواند ديد وجون تواند بودكه جيزكه. موجود باشد انرانتواند ديد، ديكرانكه ميكويد كه بنده فاعل فعل خوداست وحال انكه نصوص بر خلاف إن وارداست؟

جون اين سخن تمام شد بهلول كلوخي اززمين برداشت وحواله أبو حنيفة كرد بحسب اتفاق أن كلوخ برپيشاني أبو حنيفة خورده كوفته وآزرده شد، أبا حنيفة باتلامذه از عقب أو دويد ند اوراكر فتندجون خويش خليفة بوداورا آزار نتوانستند نمود لاجرم اورا بخدمت خليفة برد إظهار شكايت نمود، بهلول يا أبو حنيفة كفت كه: ازمن جه ستم به تور سيده؟

أبو حنيفة كفت: كلوخي برپيشاني من زده وسر من درد ميكند؟ بهول كفت: درد ترا بمن بنماي، أبو حنيفة كفت: درداجون توان ديد؟

بهلول كفت: پش فوجي اعتراض براامام جعفر عليه السلام ميكردي وميكفتي كه: جه معني داردكه خداي تعالى موجود باشد ورانا نتوان ديد؟

---

(1) سورة البقرة، الآيتين: ١٥٦ - ١٥٧.

ديكر تورا خواندن آزردكي كلوخ كاذبي زيراكه أن كلوخ خاك بودوتواز خاكي ايدكه خاك ازخاك متأثر نشود ومعذب نكردد وبرقياس اعتراض كه توبر إمام ميكردي شيطان ازاتش است وجه كونه ازاتش معذب شود، ديكر تو استبعاد قول إمام مينمودي كه بنده فاعل فعل خوداست كفته وهركاه بنده فاعل فعل خود بناشد پس جراتو مرافش خليفة آورده دعوى قصاص ميكني أبو حنيفة ديد جون سخني معقول دربرا برنتوانست كفت شر منده كشته از مجلس برخواست.

ومنه أيضاً: وشيخ أجل متكلم محمد بن جرير بن رستم الطبري در كتاب إيضاح رواية كرده كه بهلول روزي دريكي ازكو جهاي بصره ميرفتى جماعتي راديدكه پشيراز اويه شتاب ميرفتند به يكي ازان مردم كفت كه: باوجو دكه اين حيوانات بي شبان به كجامير وند؟

انكس ازروي خوش طبعي كفت كه: به طلب آب وعلف ميروند، بهلول كفت كه: باوجود قلت حمى وقرب علف كجابهم ميرسد والله كه علف بسيار بوداما انراد وبردندوار زاني بوداتش دران زدند وبعد ازان اين أبيات را انشاد نمود: **[البحر المتقارب]**

بـرئـتُ إلـى اللهِ مـن ظـالـمٍ ... لـسـبـطِ الـنـبـيّ أبـي الـقـاسـمِ
ودنـتُ إلَـهـي بـحـبِّ الـوصـيِّ ... إمـام الـورى مـن بـنـي هـاشـم
وذلـك حـرزٌ مـن الـنـائـبـاتِ ... ومـن كـلِّ مـتّـهـم غـاشـمِ
بهمْ ارتجي الفوز يوم المعادْ ... وانـجُـو غـداً من لـظًى ضـارمِ

وجون انجماعت سخنان اوراشنيدند بركرد يدند وكفتندان جماعت مجلس محمد بن سليمان كه پسرعم هارون وحاكم بصره است ميروند، كفت: ازبراي جه پيش اوميروند؟

كفتند كه: عمر بن عطا عدولي كه ازاولاد عمر بن الخطاب وازعلماء زمان است در مجلس حاضر رمده ميخوا هندكه تحقيق حال ومبلغ فضل وكمال أو نمايند واگرتو نيزابا ما موافقت كني كه ما با أو مناظره كنيم سزاوار خواهد بود. بهلول گفت: واي برشما مجادله با عاصي موجب زيادتي جرات أو بر عصيان مي شود وصاحبان بصيرة راگاه باشد كه در شبهه اندازد ودر نزد خداى تعالى شكي نيست ودر حق أو اشتباه والتباسي نه، اگر شماز أهل معارف عيبي ديديد قناعت مينموديد به انچه از أهل عرفان أخذ آن نموده ايد وجون انجماعة از بهلول نوميد گرديدند وبملجس محمد بن سليمان حاضر شدند قصه خودرا با بهلول نزد أو ظاهر ساختند، انگاه أو خادمان خودرا أمر نمود كه اورا حاضر سازند، چون بهلول نزديك در خانه محمد بن سليمان رسيد عمر بن عطاي بر خواست واز محمد بن سليمان التماس رخصت مناظرة با بهلول نمود، محمد اورا رخصت داد وچون بهلول بخانه درامده كفت: السلام على من اتبع الهدى وتجنب الصلالة والغوى، عمر بن عطا كفت: وعلى المسلمين اجلس يا بهلول. كفت: واي برتو كه أمر ميكني مرا به چيزي كه دران ترا مدخلتي نيست وتقدم مينمائي دران بر كسي كه فضل أو بر تو ظاهر است، ومثل تودر اين باب مثل كسي است كه خود طفيلي خان ديگران باشد وخواهد كه

از آن خان برديگران منت نهد ودر طفيلي وإحسان أو چيزي نيست عمر بن عطا در جواب أو مبهوت ماند انگاه محمد بن سليمان به عمر بن عطا كفت كه: تو ميخواستي كه أو باتو سخن كويد وچون باتو در سخن باز نمود تو ساكت ومبهوت شدي؟

بهلول كفت: اين أمر نزد خداي تورا كه ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1] پس محمد بن سليمان با بهلول گفت كه: بنشين كه مجلس منست ومن ترا إذن ميدهم بهلول اورا دعا كرده چفت: عمر الله مجلسك وأسبغ نعمه عليك وأوضح برهان الحق لديك وأراك الحق حقاً وأعانك على اتباعه وإدراك الباطل باطلاً وأعانك على اجتنابه.

پس عمر بن عطا گفت: أي بهلول طريق حق را التزام كن واز هزل دور باش وسخن نيكو گوي، بهلول گفت: واي بر تو ايتهواز كلام إلهي سخن ميباشد وجدي در غير أو هست، پس تو سخن خودرا پاكبزه ساز واشاره بعيب ديگران منماي پيش از انكه مر عيب خود اگاه گردي. انگاه عمر بن عطا گفت: أي بهلول خودرا از مشهوران زمان ميداني ودعواي اطلاع بر معارف مينمائي ميخو هم كه تواز من سؤال كنى يا من از تو، بهلول گفت: دوست تميدارم كه سائل باشم ونه مسؤول؟

عدوي گفت: چرا؟

بهلول گفت: زيرا كه اگراز تو چيزي را سؤال كنم كه نميداني جواب انرا نميتواني واكرتو از من سؤال كني ميدا نم كه از من سؤال به طريق تعنت وعناد خواهي كرد وقصد آن خواهي كرد كه حق را به باطل خود ضائع سازي وأمر واضح را بجدل خود پنهان گرداني، وأين هنگام توازآن جمله كه خداي تعالى نهي از مجالسه وهمرا هي ايشان نموده انجاكه ميفرد مايد ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2].

پس عدوي: باو كفت كه: تواز أهل إيماني بگوي كه ايمان چيست؟

بهلول كفت: مولاي ما (صادق) جعفر بن محمد عليه السلام فرموده است كه: «الإيمان عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان» عدوي كفت: از صادق گفتن تو امام خودرا چنان معلوم ميشود كه در زمان أو صادقي ديگر نبود؟

بهلول گفت چنين است وباوجود اين سخن تو جاري ميشود درانكه جد تو عمر أبا بكر را صديق نام كرد چه دراينجا ميكويم كه مگر در زمان أبي بكر ديگر صديقي نبود؟

عدوي گفت بلي نبود. بهلول گفت: أين سخن تو رد است بر كتاب وسنة، أما كتاب زيراكه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٨سورة التوبة، الآية: ٤٠.

خداي تعالى هركس راكه إيمان بخدا ورسول آورده بأشد صديق ناميده وفرمود: والذين آمنوا بالله ﴿وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(١) وأما سنة زيرا كه حضرت رسالة پناه ﷺ با بعض از أصحاب خود فرموده اند كه «إذا فعلت الخير كنت صديقاً» عدوي گفت: بواسطة أن أبو بكر راصديق نام كردند گه اول كسي بود كه تصديق حضرت رسالة نمود. بهلول گفت: با انكه أوليت أو ممنو عست وتخصيص أن خطاست درلفت ودراست براويتي كه مذكور شدي عدوي ازآن شاخ بشاخ ديگر پرواز نموده واز بهلول پرسيد كه: إمام تو كيست؟

بهلول گفت: «إمامي من سبح في كفه الحصي وكلمه الذئب إذ عوى وردت الشمس له بين الملا وأوجب الرسول له على الخلق الولا وتكاملت فيه الخيرات وتنزه عن الخلائق الدنيات فذلك إمامي وإمام البريات» پس گفت واي برتو مگر هارون الرشيد إمام خود نميداني كه أين صفات ومحمد را بر آن ميتواني؟

بهلول گفت: تو بر چه كه أمير المؤمنين را از أين صفات مذكوره ومحامد مأثورة خالي وعاري ميداني، والله كه من تورا گمان ندارم إلا انكه دشمن أوباشي وخلاف أو بهتان ميداري وخلافة اورا اظهار ميكني، وبخدا سوگند كه اگر أين خبر أو رسد ترا تأديب بليغ خواهد نمود.

محمد بن سليمان مضمون أين كلام لطافة مشحون فهميده بخنده در آمد وبا عمر بن عطا خطاب نموده گفت: والله بهلول ترا ضائع وناچيز گردانيد ودر ورطه تضييع شنيع كه تو ميخواستي كه أو را بيندازي أو ترا انداخت، وگه خوبست كه ادمي خودرا دور دارد از آنگه اورا بكار نيايد، وچه قبيحت كه خود را آراسته نمايد به آنچه زيبند، آن نيست اناه به يكى از غلامان خود أمر نمود كه دست عمر بن عطا واگرفته از مجلس اخراج نمود پس بهلول خطاب نموده كفت: «ما الفضل إلا فيك وما الفضل إلا عندك والمجنون من سماك مجنوناً» أي بهلول بمن خبرده كه علي بن أبي طالب افضلت يا أبار بكر؟

بهلول كفت: اصلح الله الأمير، إن علياً من النبي ﷺ والصنو من الصنو كالعضد من الذراع وأبو بكر ليس منه ولا يوازيه في فضله إلا مثله ولكل فاضل فضله» ديگر بار محمد از أو پرسيد كه بگوي كه أولاد علي بخلافة احقند يا أولاد عباس؟

در أين مرتبه بهلول از خوف محمد كه عباسي بود ساكت شد، محمد گفت: چرا سخن نميكني؟

بهلول گفت: ديواناً نرا كجاقوت تميز وسر سوادي تحقيق أين أمور است بكن از ذكر گذشتكان وچيزي پيش آركه صلاح ما درآن باشد والحال من گرسنه ام. محمد بن سليمان گفت كه: از خودرنيها چه چيز ترا مطلوب است؟

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

بهلول گفت: آنچه سد باب جوع ميماند پس محمد فرمود كه چند رنك طعام باچند نان پيش أو حاضر ساختند اورا أمر بخوردن نمود. بهلول گفت: «أصلح الله الأمير طعام طاب المحشي ولا المغشي» يعني در تاريكي ودرميان جماعت طعام خوردن نيكو نميماند اگر مرا اذن ميدهي كه ابن طعام را بيرون برم بر من وارا خواهد شد. محمد اورا اذن خروج نمود، انگاه بهلول آن أطعمه رابر كنار خود ريخت وفرياد كنان بيرون رفته أين ابيات رابزيان راند:

[البحر البسيط التام]

فـالـزمْ جـفـونـك فـي جـدٍّ وفـي لـعـبِ

إيّاك من أن يقولوا عاقلٌ فطنٌ   فتبتلى بطويلِ الكدِّ والنّصبِ

مولاكَ يعلمُ ما تطويهِ من خلقٍ   فما يضرُّك إن سبُّوك بالكذبِ

پس كودكان براو جمع آمدند وطعامي كه در كنار أو بوداز اوبر بودند واز ايشان گريخته در مسجد كه دران نزديكي بود در آمد ودر مسجد را بسته برپشت بام بر امد واين آيه را بايشان ميخواند: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[1] چون محمد بن سليمان ما جراي بهلول باكود كان مشاهده نمود بخنده آمد وفرمود كه: كودكان را از أو دور كردند وگفت لا إله إلا الله لقد رزق الله علي بن أبي طالب كل ذي لب.

نقلست: كه جمعي ظريف كه عقيده بهلول راميد انستند به أو گفتند كه: در أخبار وارد شده كه ابو بكر وعمر را با ساير أمت وزن كردند ايشان راجح آمدند. بهلول در بديهه گفت كه: اگر أين خبر صحيحت السته در ميزان قصوري بود.

آورده اند: كه بهلول بمجلس جمعي رسيد كه مذاكره حديث ميكردند در أن أثناء از عائشة روايت كردند كه ميگفته كه: «لو أدركت ليلة القدر ما سألت ربي إلا العفو والعافية» بهلول چون آن كلام شنيد گفت: نصف ديگر أين دعا راگذاشته ايد. گفتند: كدام است؟

كفت «والظفر على علي بن أبي طالب».

در تاريخ گزيده: مسطور است كه روزي بهلول نزد هارون الرشيد رفت هارون در عمارتي گفت: بنويس، بهلول پاره فحم برداشت در انجا بنوشت كه: «رفعت الطين ووضعت الدين ورفعت الجص ووضعت النص فإن كان من مالك فقد أسرفت والله لا يحب المسرفين وإن كان من مال غيرك فقد ظلمت والله لا يحب الظالمين».

تقلست: كه هارون روزي بهلول را در راهي ديد كه براسب بني سوار شده باكودكان ميدوانيد. پيش رفته بر أو سلام كرد والتماس پندي از أو نمود بهلول گفت: أي هارون هركه را خداي تعالى مالي وجمالي داده باشد واو بآن برائيت سازد هارون الرشيد از أين سخن حسن

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٣.

طلبي فهميده گفت: أمر كرديم كه دين ترا بد هند، بهلول گفت: حاشا هر گز دين بدين ديگر نده كه نميشود چه آنچه در دست تست دين مردم است كه به ايشان بازده وبر من منت نه. هارون گفت: پندی دگر بده. گفت هذه قبورهم وهذه قصورهم يعني مشاهدة قصور سلاطين ماضيه وقبور ايشان پندي عظيم است هارون گفت: حاجتي از من بخواه بهلول گفت: حاجة انست كه تو مرا نبيني ومن ترا، بعد از آن بأسب خود بحركت در امده گفت: دور شويد كه اسب من لكد ميزند.

تقلست: كه شخصي از أهل سنة كه قائل بتعصيب در ميراث شد به طريق استهزاء از بهلول پرسيد كه: شخصي مرده ووارث از مادري ودختري وزوجه مانده واز مال چيزي نگذاشته به هر يك چه ميرسد؟

بهلول در جواب گفت: دختر را سمي ميرسد ومادر ابنوحه واضطراب وزوجه راخانه خراب وباقي نصيب عصبة والله اعلم بالصواب.

عجبت لأهل العلم الغافلين

كشكول البهائي: من تفسير النيسابوري عند قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1] والآية في سورة الزمر ما لفظه: كان أبو فتح المهني قد برع في الفقه وتقدم عند القوم وحصل له مال كثير ودخل بغداد وفوض إليه تدريس النظامية وادركه الموت بهمذان فلما دنت وفاته قال لأصحابه: اخرجوا، فخرجوا فطفق يلطم وجهه ويقول: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ ويقول: أيا أبا الفتح ضيعت العمر في طلب الدنيا وتحصيل الجاه والمال والتردد إلى أبواب السلاطين وينشد: [البحر الطويل]

عجبتُ لأهلِ العلمِ كيف تغافلُوا … يجرُّون ثوبَ الحرصِ عند المهالكِ
يدورُون حول الظَّالمين كأنَّهم … يطُوفون حول البيتِ وقت المناسكِ

ويرددن هذه الآية حتى مات. إلى هنا بلفظ النيشابوري نعوذ بالله من الموت في هذه الحال ونسأله جل شأنه أن يمن علينا بالتوفيق للخلاص من هذا الوبال والضلال.

حوادث بالبصرة والكوفة

ذكر في الكامل: سنة ألف ومائتين وثمانية وخمسين أنه حدث بالبصرة ريح صفراء ثم خضراء ثم سوداء ثم تتابعت الأمطار وسقط برد وزن كل واحدة مائة وخمسون درهماً. وفي هذه

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

السنة حدث بالكوفة ريح صفراء وبقيت إلى المغرب ثم اسودت فتضرع الناس، ثم حصل مطر عظيم ومطرت قرية من نواحي الكوفة تسمى (أحمدي باد) حجارة.

قال: الشيخ الفقيه أمين الإسلام الطبرسي عند قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾(١) اختلف في معنى قوله بجهالة على وجوه:

أحدها: إن كان معصية يفعلها العبد جهالة وإن كانت على سبيل العهد، لأنه يدعو إليها الجهل ويزينها للعبد عن ابن عباس وعطا ومجاهد وقتادة، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل ذنب عمله العبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه، فقد حكى سبحانه قول يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾(٢) فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله.

وثانيها: أن معنى الجهالة أنتم لا تعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة عن الفراء.

ثالثها: أن معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص فيفعلونها إما بتأويل يخطئون فيه وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها عن الجبائي، وضعف الرماني هذا القول بأنه خلاف ما أجمع عليه المفسرون، ولأنه يوجب أن لا يكون لمن علم أنها ذنوب توبة لأن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾(٣) تفيد أنها لهؤلاء دون غيرهم.

لأبي فراس في أهل البيت

مما قاله الأمير أبو فراس: [البحر البسيط التام]

الحقُّ مهتضمٌ والدينُ مخترمٌ ... وفيءُ آلِ رسولِ اللهِ مقتسمُ
والناسُ عندك لا ناسٌ فيحفظُهم ... سوْمُ الرعاةِ ولا شاءٌ ولا نعمُ
إنّي أبيتُ قليلَ النوم ارّقني ... قلبٌ تصارع فيه الهمُّ والهممُ
وعزمةٌ لا ينامُ الليل صاحبُها ... إلاّ على ظفرٍ في طيّه كرمُ
يُصانُ مهري لأمرٍ لا أبوحُ به ... والدرعُ والرمحُ والصمصامةُ الحذمُ
وكلُّ مأثرةِ الضبعين مسرحُها ... رمثُ الجزيرة والخذرافُ والعنمُ
وفتيةٌ قلبهمُ قلبٌ إذا ركبُوا ... وليس رأيهم في الورى رأياً إذا عزموا
يا للرجالِ أما للهِ منتصرٌ ... من الطغاةِ أما للهِ منتقمُ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٧.

بنُو عليٍّ رعايا في ديارهمُ والأمرُ تملكه النسوانُ والخدمُ
محلّئون فأصفى شربهم وشلٌ عند الورودِ وأوفى ودُهمَ لمم
فالأرضُ إلا على ملاّكها سعةٌ والمالُ إلاّ على أربابِه ديمُ
فما السعيدُ بها إلاّ الذي ظلمُوا وما الغني بها إلا الّذي حرموا
للمتّقين من الدّنيا عواقبها وإن تعجّل فيها الظالمُ الأثمُ
لا يُطغني بني العباسَ ملكهمُ بنُو عليٍّ مواليهم وإنْ زعموا
أتفخرون عليهم لا أباً لكمُ حتّى كأنَّ رسول الله جدكمُ
وما توازن يوماً بينكم شرفٌ ولا تساوت بكم في موطنٍ قدمُ
ولا لعرقكم من عرقهم شبهٌ ولا نثيلتُكم من أمّهم أممُ
قال النبيُّ لها يوم الغدير لهمْ واللهُ يشهدُ والأملاكُ والأممُ
حتى إذا أصبحتْ في غيرِ صاحبها باتتْ تنازعُها الذُّؤبان والرّخمُ
وصيّروا أمرهم شُورى كأنهمُ لا يعرفون ولاة الحق أيّهمُ
تاللهِ ما جهلَ الأقوامُ موضعها لكنهمْ ستروا وجه الذي علمُوا
ثم ادّعاها بنو العباسِ ملكهمُ وما لهمْ قدمٌ فيها ولا قدمُ
لا يذكرون إذا ما معشرٌ ذكروا ولا يحكّم في أمرٍ لهم حكمُ
ولا رآهمْ أبو بكرٍ وصاحبُه أهلاً لما طلبُوا منها وما زعموا
فهل همُ مدّعوها غير واجبةٍ أم هل أئمتُهم في أخذها ظلموا؟
أمّا عليٌّ فأدنى من قرابتكم عند الولايةِ إن لم تكفر النعمُ
أينكرُ الحبرُ عبدُ اللهِ نعمته أبوكمُ أم عبيدُ اللهِ أم قثمُ
بئس الجزاءُ جزيتم في بني حسنٍ أباهمُ العلمُ الهادي وأمهمُ
لا بيعةٌ ردعتكم عن دمائهمُ ولا يمينٌ ولا قُربى ولا ذممُ
هلاّ صفحتمْ عنِ الأسرى بلا سببٍ كالصّافحين ببدرٍ عن أسيرِكمُ
هلاّ كففتم عن الديباجِ سوطكمُ وعنْ بناتِ رسولِ اللهِ شتمكمُ
ما نُزّهت لرسولِ اللهِ مهجتُه عن السياط فهلاّ نُزّه الحرمُ
ما نالَ منهم بُنو حربٍ وإن عظمتْ تلك الجرائمُ إلا دون نيلكمُ
كم غدرةٍ لكمْ في الدينِ واضحةٍ وكم دمٍ لرسولِ اللهِ عندكمُ
أنتم له شيعةٌ فيما ترون وفي أظفارِكمْ من بنيهِ الطّاهرين دمُ
هيهاتِ لا قرّبت قُربى ولا رحمٌ يوماً إذا أقصتِ الأخلاقُ والشيمُ
كانتْ مودةُ سلمانٍ لهم رحماً ولم يكنْ بين نوحٍ وابنه رحمُ

يا جاهِداً في مساويهِمْ يكتّمها غدرُ الرشيدِ بيحيى كيف ينكتمُ
ليس الرشيدُ كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرّضا لو أنصف الحكمُ
ذاق الزبيريُّ غبَّ الحنثِ وانكشفتْ عن ابنِ فاطمة الأقوالُ والتهمُ
باؤوا بقتلِ الرّضا من بعد بيعتِهِ وأبصرُوا بعض يومٍ رشدهم وعموا
يا عصبةً شقيتْ من بعدما سعدت ومعشراً هلكوا منْ بعدِما سلموا
لبئسما لقيتْ منهمْ وإن بليتْ بجانبِ الطفِّ تلك الأعظمُ الرممُ
لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا ولا الهبيريِّ نجىَّ الحلفُ والقسمُ
ولا الأمانُ لأهلِ الموصل اعتمدوا فيه الوفاء ولا عن عمّهم حلموا
أبلغ لديك بني العباس مالكةً لا يدّعوا ملكها ملاّكها العجمُ
أيُّ المفاخرِ أمست في منازلكم وغيرُكم آخر فيها ومحتكمُ
أنّى يزيدكمُ من مفخرٍ علمٌ وفي الخلافِ عليكم يخفقُ العلمُ
خلّوا الفخارَ لعلاّمين إنْ سئلوا يومَ السؤالِ وعمّا لين إن علموا
لا يغضبون لغيرِ اللهِ إن غضِبوا ولا يُضيعون حكم اللهِ إن حكمُوا
تُنْشا التلاوة في أبياتهم سحراً وفي بيوتِكم الأوتارُ والنّغمُ
منكم عليّةُ أم منهم وكان لكمْ شيخُ المغنّين إبراهيمُ أم لهمُ
أمّن تشادُ له الألحانُ سائرةً عليهم ذو المعالي أم عليكمُ
إذا تلا سورةً غنّى أمامكمُ قفْ بالطلولِ التي لم يعفِها القدمُ
ما في بيوتهم للخمرِ معتصرٌ ولا بيوتكمُ للسوءِ معتصمُ
ولا تبيتُ لهم خُنثى تنادمهمْ ولا يُرى لهمُ قردٌ ولا حشمُ
الركنُ والبيتُ والأستارُ منزلهمْ وزمزمٌ والصّفا والحجرُ والحرمُ
صلّى الإلٰه عليهم كلّما سجعتْ ورقٌ فهمْ للورى كهفٌ ومعتصمٌ

توضيح: قوله «مجليون» يعني مطرودون، يقال جلأت الناقة عن الحوض أي طردتها والصحيح: محلئون. و «الوشل» الماء القليل. و «اللمم» مصدر لم به لمما. قوله: «نثيلتكم من أمهم أمم» الأمم القصد وهنا بمعنى القرب يريد أنها ما تقاربها في الحسب والشرف، ونثيلة هذه أم العباس وأم عبد الله أبي النبي ﷺ وأم أبي طالب فاطمة بنت عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم المخزومية شريفة في قومها فأما نثيلة هذه ابنة كليب بن مالك بن حباب بن النمر كانت تعاب في الجاهلية.

قوله: «أما علي فقد أدنى قرابتكم» يشير إلى أنه بعد أن أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فإنه ولى عبد الله بن العباس البصرة وولى أخاه قثم مكة وولى أخاه عبد الله اليمن.

وقوله: «بئس الجزاء جزيتم في بني حسن» إشارة إلى ما فعله العباسيون في أولاد الحسن عليه السلام ومنه ما فعله المنصور بمحمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن وجماعة من أهلهم من حملهم من المدينة في أسوأ حال وحبسهم في أضيق مكان وقتلهم.

قوله: «لا بيعة ردعتكم» إشارة إلى ما وقع بعد موت مروان الحمار آخر ملوك بني أمية واجتماع بني هاشم على بيعة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام وفيهم السفاح والمنصور وبعد أن أفضى الأمر إلى المنصور بعد موت السفاح تتبع محمد وأخاه إبراهيم وضيق عليهما حتى قتلهما وجماعة من أهل بيتهما.

قوله: «هلا صفحتم عن الأسرى» يشير إلى أن فعل المنصور بأبناء الحسن عليه السلام وإلى صفح النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر عن العباس. ونقل أنه لما وصل إلى الربذة يريد الحج وفيها أبناء الحسن مغلغلين مكبلين بالحديد عليهم المسوخ فخرج المنصور راكباً بغلة شقراء ومعه الربيع فناداه عبد الله بن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا بأسراكم يوم بدر فلم يجبه ولم يعرج عليه.

قوله: «هلا كففتم عن الديباج» محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن نظر إليه المنصور فقال: أنت الديباج الأصفر؟

قال: نعم.

قال: والله لأقتلنك قتلة ما قتلها أحد من أهل بيتك، ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرقت ثم أدخل فيها وبنى عليه وهو حي وكان الناس يختلفون إليه ينتظرون إلى حسه بعد مماته.

من أخبار أبي الحسن العسكري الأديب

أبو الحسن: أحمد بن عبد الله بن سعيد العسكري أحد أئمة الأدب في الآداب والحفظ وله تصانيف مهذبة، وكان الصاحب ابن عباد يؤول إلى الاجتماع به ولا يجد له سبيلاً فقال لمخدومه مزيد الدولة: إن البلد الفلاني قد اختل حاله واحتاج إلى كشف، فأذن له في ذلك، ولما وصل الصاحب توقع أن يزوره أحمد المذكور لم يزره فكتب إليه ابن عباد هذه الأبيات:

[البحر الطويل]

ولمّا أبيتمْ أن تزُوروا وقلتمُ ... ضعفْنا فلم نقدرْ على الرخذانِ
أتيناكمُ من بعدِ أرضٍ نزوركمْ ... وكم منزلٍ بكرٍ لنا وعوانِ

وكتب مع ذلك شيئاً من النثر، فأجاب أحمد بنثر وبالبيت المشهور: **[البحر الطويل]**

أهمُّ بأمرِ الحزمِ لا أستطيعُه ... وقد حيلَ بين العيرِ والنزوانِ

فتعجب الصاحب من اتفاق هذا البيت.

وذكر: أنه لو عرف أن يتفق له هذا البيت لغير الروي والبيت المذكور لأخي الخنساء صخر

ابن عمر بن الشريد، وكان قد حضر محاربة بني أسد فطعنه ربيعة بن ثور الأسدي فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه وبقي مدة حول في أشد ما يكون من المرض وأمه وزوجته سلمى يعللانه، فضجرت زوجته منه فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله فقالت: لا هو حي يرجى ولا ميت ينسى، فسمعها صخر فأنشد: [البحر الطويل]

أرى أمَّ صخر لا تملُّ عيادتي ... وملَّ سُليماً مضجعي ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكون جنازةً ... عليك ومن يغترّ بالحدثانِ
لعمْري لقد نبّهتُ من كان نائِماً ... وأيقظتُ من كانت له أذنانِ
وأيُّ امرىءٍ واسى بأم حليله ... فلا عاش إلا في شقى وهوان
أهمُّ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعُه ... وقد حيلَ بين العيرِ والنزوانِ
فلا موتَ خيرٌ من حياةٍ كأنّها ... معرّسُ يعسوبٍ برأسِ سنانِ

قصة ابن معمر التميمي والجارية

نقل: أنه اشترى عبد الله بن معمر التميمي جارية فارهة بعشرين ألف دينار، وكانت تسمى (الكاملة) لكمالها في علم الغناء وجودة الضرب ومعرفة اللسان والقرآن والشعر والكتابة وفنون الطبخ والعطر، وكانت عند فتى أدبها لنفسه وكان معجباً بها واجداً بها وجداً شديداً فلم يزل ينفق عليها حتى أملق واحتاج وجعل يسأل إخوانه، فمكث بذلك حيناً هو وهي في أكدر العيش وضيق شديد في معيشتهما فقالت الجارية: والله إني لأرى لك وأشفق عليك وأرغب بك عما أنت فيه ولو أنك بعتني نلت غنى الدهر ولعل الله يصنع بنا جميلاً فحملها إلى عبد الله بن معمر فأعجبته فاشتراها بالثمن المذكور، فلما قبض الفتى الثمن استعبر كل واحد منهما فأنشأت الجارية تقول: [البحر الطويل]

هنيئاً لك المالُ الذي قد حويتَه ... ولم يبقَ في فكْري إلاّ تفكُّري
أقولُ لنفْسي وهي في حالِ كربةٍ ... أقلّي فقد بانَ الحبيبُ أو اكثري
إذا لم يكنْ للمرءِ عندكِ حيلةٌ ... ولم تجدي شيئاً سوى الصبر فاصْبري

قال فأجابها الفتى يقول: [البحر الطويل]

ولولا قعودُ الدهرِ بي عنكِ لم يكنْ ... لفرقتِنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذري
أبوءُ بحزنٍ من فراقِك موجعٍ ... أناجي به قلباً طويل التفكرِ
عليك سلام لا زيادة بيننا ... ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمرِ

فقال عبد الله وقد رق لهما: خذ بيدها وانصرفا راشدين والمال الذي نقدته في ثمنها أنفقه عليها والله لا أخذت منه درهماً واحداً.

تعابير رؤيا لابن سيرين

حكي: أن امرأة جاءت إلى ابن سيرين وهو يتغدى فقالت: يا أبا بكر رأيت رؤيا، فقال تقصين أو تتركين حتى آكل؟

فقالت: بل أتركك حتى تأكل، فلما فرغ قال لها: قصي علي رؤياك. فقالت: رأيت القمر قد دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي امضي إلى ابن سيرين فقصي عليه هذا. قال: فقبض ابن سيرين يده وقال: ويلك كيف رأيت؟

فأعادت فاصفر وجهه وقام وهو آخذ ببطنه فقالت له: ما لك؟

قال: زعمت هذه المرأة أني ميت بعد سبعة أيام فعددت من ذلك اليوم سبعة أيام فمات في اليوم السابع.

وحكي: أنه جاءه رجل فقال: إني رأيت طائراً سميناً ما أعرف ما هو قد تدلى من السماء فوقع على شجرة وجعل يلتقط الزهر ثم طار، فتغير وجه ابن سيرين وقال:

هذا موت العلماء فمات في ذلك العام الحسن البصري ومحمد بن سيرين.

مما يتعلق بالجرير والفرزدق

توفي: جرير والفرزدق في السنة الخامسة بعد المائة، وكان بينهما مهاجات ومن أخبار جرير أن دخل على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة أولها: [البحر الوافر]

أتصحُو أم فؤادُك غيرُ صاحِ ... عشيةَ همَّ صحبُك بالرّواحِ
تقولُ العاذلاتُ علاكَ شيبٌ ... أهذا الشيبُ يمنعُني مزاحي
ثقِي باللهِ ليس له شريكٌ ... ومن عندِ الخليفةِ بالنجاحِ
سأشكرُ إن رددتِ إليَّ ريشي ... وأثبتَّ القوادمَ في الجناحِ
ألستمْ خيرَ من ركب المَطايا ... وأندى العالمين بطونَ راحِ

قال جرير: فلما أنهيت إلى هذا البيت كان عبد الملك متكئاً فاستوى جالساً وقال: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا وإلا فليسكت، ثم التفت إلي وقال: يا جرير أترى حرباً ترويها مائة ناقة بني كلب؟

قلت: يا أمير المؤمنين نحن مشايخ وليس بأحدنا فضل من الروحات والإبل أباقة فلو أمرت لي بالرعاة، فأمر لي بثمانية مماليك وكان بين يديه صحاف من ذهب وبيده قضيب فقلت: يا أمير المؤمنين المحلب؟

وأشرت إلى الصحاف فنبذها إلي بالقضيب وقال: خذها.

ولما مات الفرزدق بكى عليه جرير وقال: إني والله لأعلم أني قليل البقاء ولقد كنا نجباً واحداً، وكل منهما مشغول بصاحبه وقل ما مات ضد أو صديق إلا وتبعه صاحبه، وكذلك كان.

وكانت وفاة جرير باليمامة وعمره نيف وثمانون سنة.

وعن أبي عمر قال: حضرت موت الفرزدق وهو يجود بنفسه فما رأيت أحسن ثقة منه بالله، فلم ألبث أن قدم جرير من اليمامة فاجتمع إليه الناس فأنشدهم فما وجدوه كما عهدوه، فقلت له بذلك؟

فقال: أطفأ موت الفرزدق جمرتي والله وأسال عبرتي وقرب مني منيتي، ثم شخص إلى اليمامة.

مدح الفرزدق الإمام السجاد عليه السلام

وينسب: إلى الفرزدق مكرمة يرجى بها الفوز إلى الجنة والنجاة من النار وهي أنه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه طاف وجهد أن يسعى إلى الحجر يستلمه فلم يقدر لكثرة الناس والزحام، فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس وزوال الزحام ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام فطاف بالبيت فتنحى عنه الناس حتى استلم الحجر فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي هابته الناس هذه الهيبة؟

فقال هشام: لا أعرفه وخاف هو أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً قال: أنا أعرفه. فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟

فقال شعراً: [البحر المسبط التام]

يا سائِلي أينَ حلَّ الجودُ والكرمُ ... عندي بيانٌ إذا طلابُه قدِموا
إذا أتاني فتىً يستاءُ من خبرٍ ... فإنَّ فضلَ عليٍّ ليس ينكتمُ
هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عباد اللهِ كلِّهِم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
إذا رأتْه قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يُنمى إلى ذروةِ العزّ التي قصرتْ ... عن نيلها عربُ الإسلامِ والعجمُ
يكادُ يمسكهُ عرفانُ راحته ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جاء يستلمُ
لو يعلمُ البيتُ من قد جاء يلثمه ... لخرَّ يلثمُ منه ما وطا القدمُ
في كفِّه خيزرانٌ ريحُه عبقٌ ... في كفِّ أروع في عرنينِه شممُ
يُغضي حياءً ويغضى من مهابتِه ... ولا يُكلَّمُ إلاّ حين يبتسمُ
من جدِّه دانَ فضلُ الأنبياءِ له ... وفضلُ أمّتِه دانتْ لها الأممُ

يبينُ نورُ الهُدى من نور غرّتِه — كالشمس تنجابُ عن إشراقِها الكتَمُ
مشتقّةٌ من رسولِ اللهِ نبعتُه — طابتْ عناصرُه والخيمُ والشيَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنت جاهلَه — بجدِّه أنبياءُ اللهِ قد خُتموا
اللهُ شرَّفه قدماً وعظّمه — جرى بذاك له في لوحِه القلمُ
وليس قولُك هذا من بضائِره — العربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ
كلْتا يديهِ غياثٌ عمَّ نفعُهما — يُستوكفانِ فلا يعروهُما عدمُ
سهلُ الخليقةِ لا تُخشى بوادرُه — يزينُه اثنانِ حسنُ الخلقِ والشيَمُ
حمّالُ أثقال أقوام إذا قدحوا — حلوُ الشمائلِ تحلُو عنده النعمُ
لا يخلفُ الوعدَ ميمونٌ نقيبتُه — رحبُ الفناءِ أريب حين يعتزمُ
ما قال لا قطُّ إلاّ في تشهّدِه — لولا التشهّدُ كانت لاءَه نعم
عمَّ البريةَ بالإحسانِ فانقشعتْ — عنها الغياهبُ والأملاكُ والعدمُ
من معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضهمُ — كفرٌ وقربهم منجىً ومعتصمُ
إنْ عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمّتهمْ — أو قيلَ من خيرُ أهلِ الأرضِ قيلَ همُ
لا يستطيعُ جوادٌ بُعد غايتِهم — ولا يدانيهم قومٌ وإنْ كرُموا
همُ الغيوثُ إذا ما أزمةٌ أزمتْ — والأسدُ أُسدُ الشرى والباسُ محتدمُ
لا يقبض العسرُ بَسطاً من أكفّهمُ — سيّانَ ذلك إنْ أثروْا وإنْ عدِموا
يُستدفعُ السوء والبلوى بحبّهمُ — ويستزادُ به الإحسانُ والنّعمُ
مقدّمٌ بعد ذكرِ اللهِ ذكرُهمُ — في كلِّ فرض ومختومٌ به الكلمُ
يأبى لهمْ أن يحلَّ الضيمُ ساحتهم — خيمٌ كريمٌ وأيدٍ بالنّدى ضخمُ
من يعرفِ اللهَ يعرف أوّلوية ذا — الدينُ من بيتِ هذا نالَه الأممُ

قال: فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق فأنفذ له زين العابدين عشرة آلاف درهم فردها وقال: مدحة لله لا للعطاء، قال زين العابدين إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها الفرزدق.

ومن هذه الحكاية: يعلم كونه من شيعة أهل البيت، وكذلك عده في كتاب مجالس المؤمنين ونقل فيه بعض الثقات أنه لقي الرسول ونقل فيه أنه بلغ من العمر مائة سنة، وقيل مائة وثلاثين سنة، وأنه مات في سنة العشرين بعد المائة، ونقل بعض أهل التواريخ أنه توفي في البصرة قبل جرير بأربعين يوماً.

من ظرائف أبي دلامة

أبو دلامة بن الجون: وكان صاحب نوادر وحكايات وأدب ونظم ذكر ابن الجوزي أنه توفي لأبي جعفر المنصور ابنة عم فحضر جنازتها وهو متألم لفقدها، فأقبل أبو دلامة وجلس قريباً منه، فقال له أبو جعفر المنصور: ويحك ما أعددت لهذا المكان؟

فقال ابنة عم الملك أمير المؤمنين، فضحك المنصور حتى استلقى على قفاه وقال: ويحك فضحتنا بين الناس.

نقل: أنه لما قدم المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد إذ دخل عقبه أبو دلامة للسلام والتهنئة بقدومه فقال المهدي: كيف أنت يا أبا دلامة؟

فأنشد: [البحر الكامل]

إنّي حلفتُ لئن رأيتُك سالماً ... تغزُو العراق وأنتَ ذو وفرِ
لتصلّينَّ على النبيِّ محمدٍ ... ولتملأنَّ دراهماً حجْري

فقال المهدي: أما الأولى فنعم، وأما الثانية فلا فقال: جعلني الله فداك أنهما كلمتان لا يفرق بينهما فقال: يملأ حجر أبي دلامة دراهماً، فقعد فبسط حجره فملأه دراهماً وقال له: قم الآن يا أبا دلامة. فقال: ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين، فردها، إلى الأكياس ثم قام.

ومن أخباره: أنه أوصى ولده فاستدعى له طبيباً وشرط له جعلاً معلوماً، فلما برىء قال له: والله ما عندنا شيء نعطيك ولكن ادع على فلان اليهودي وكان ذا مال بمقدار الجعل وأنا وولدي نشهد لك بذلك، فمضى الطبيب إلى القاضي وادعى على اليهودي بذلك المبلغ فأنكر اليهودي فقال: لي عليك بينة، فخرج لإحضارهما فأحضر أبو دلامة وولده فدخل المجلس فخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية وأنشد في الدهليز قبل دخوله إعلاماً للقاضي بحيث يسمعه:

[البحر الطويل]

لئنْ سترُوا عيبي سترتُ عيوبهمْ ... وإنْ بحثُوا عنّي فعنهمْ أباحثُ
وإنْ نبشُوا بيري نبشتُ بيارهمْ ... لتعلم مني كيف تلك النبائشُ

ثم حضرا بين يدي القاضي وأديا الشهادة فقال له القاضي: كلامك وشهادتك مقبولة. ثم غرم القاضي المبلغ المذكور من عنده ومسموع أطلق اليهودي، وما أمكنه أن يرد شهادتهما خوفاً من لسانه. وكان القاضي يومئذٍ محمد بن عبد الله بن أبي ليلا، وقد قيل عبد الله بن شبرمة.

حكي: أن روح المهلبي كان والياً على البصرة وخرج إلى حرب الجيوش الخراسانية ومعه أبو دلامة زيد بن الجون، فخرج رجل من صف العدو مبارزاً فخرج إليه جماعة من أصحاب روح فقتلهم الفارس واحداً بعد واحد، فتقدم روح بن خاتم إلى أبي دلامة وأشار عليه أن يبارز الفارس، فامتنع أبو دلامة فألزمه روح في ذلك فاستعفاه فلم يعفه فأنشد: [البحر البسيط التام]

إنّي أعوذُ بروحٍ أن يقدّمَني إلى القتالِ فتجزى بي بنُو أسدِ
إلى المهلّبِ حبُّ الموتِ ارثكمُ ولم أرثْ قطُّ حبُّ الموتِ من أحدِ
إنّ الذنوبَ من الأعداءِ أعلمه ممّا يفرّق بين الروحِ والجسدِ

فأقسم عليه ليخرجن فقال: له لماذا تأخذ رزق السلطان؟

قال: لأقاتل عنه. قال: فما بالك الآن لا تدنو من العدو؟

قال: أيها الأمير إن جئت إليه لحقت بمن مضى وما الشرط أن أقتل عن السلطان بل أقاتل عنه فحلف روح ليخرجن إليه لتقتله أو تأسره أو تقتل دون ذلك فلما رأى أبو دلامة الجد من روح قال: أيها الأمير اعلم أن هذا اليوم أول أيام الآخرة ولا بد من الزوادة، فأمر له بذلك فأخذ رغيفاً مطوياً على دجاجة ولحم وسطيحة من شراب وشيئاً من نقل وشهر سيفه وحمل، وكان تحته فرس جواد فأقبل يحرك فرسه ويلعب بالرمح وكان مليحاً في الميدان والفارس يلاحظه ويطلب منه غرة وغفلة، حتى إذا وجدها حمل عليه والغبار كالليل فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل، لا تعجل واسمع عني عافاك الله كلمات ألقيها إليك فإنما أتيتك في مهم، فوقف الفارس مقابله فقال: ما هو المهم؟

قال: أتعرفني؟

قال: لا.

قال: أنا أبو دلامة زيد بن الجون. قال: سمعت بك فكيف برزت إلي وطمعت في بعد ما قتلت أصحابك؟ قال: أنا أبو دلامة ما خرجت لأقتلك ولكني رأيت لياقتك وشهامتك فاشتهيت أن تكون لي صديقاً وأدلك على ما هو أحسن من قتالنا.

قال: قل لي على بركات الله.

قال أبو دلامة: أراك قد تعبت وأنت سغبان ظمآن.

قال الخراساني: كذلك هو.

قال أبو دلامة: ما علينا من خراسان ولا من العراق إن معي خبزاً ولحماً وشراباً ونقلاً كما يتمنى المتمني وهذا غدير بالقرب منا فهلم بنا إليه نتغدى ونضطجع وأترنم إليك بشيء من حدي العرب.

فقال الخراساني: هذا غاية أملي فقال أبو دلامة: ها أنا أستطرد بين يديك فاتبعني حتى نخرج من حلقة النضال، ففعلا.

هذا وروح يطلب صاحبه فلا يجده والخراسانية تطلب صاحبها فلم تجده، فلما طابت نفس الخراساني من الأكل والشرب قال له أبو دلامة: إن أميرنا روح كما علمت من أبناء الملوك الكرام وحسبك من ابن المهلب جواداً وأنه يبذل لك خلعة فاخرة وفرساً جواداً ومركباً مفضضاً

وسيفاً محلاً ورمحاً طويلاً ويزيد لك في كثرة العطاء، وهذا خاتمه معي لك فقال له الفارس: ويحك ما أصنع بأهلي وعيالي؟

فقال: استخر الله وأسرع معي ودع عيالك فالكل يخلفه عليك، فقال: سر بنا على بركات الله تعالى. فسار حتى قدما من وراء العسكر فهجما على الأمير روح فقال: يا أبا دلامة وإن كنت في حاجتك أما قتل الرجل فلا أطيقه وأما سفك دمي فلا طبت له نفساً وأما الرجوع خائباً فلا أقدر عليه فقد تلطفت بالرجل وأتيتك بالرجل أسير كرمك وقد بذلت عنك كيت وكيت قال روح: تمضي إذاً وتوثق منه قال: بماذا؟

قال: بنقل أهله. قال الرجل: أهلي علي بعيد ولا يمكن نقلهم ولكن امدد يدك أيها الأمير احلف لك متبرعاً بطلاق الزوجة إني لا أخونك فإذا لم أوف لك إذا حلفت بطلاقها لم ينفعك نقلها قال: صدقت، فحلف له وعاهده ووفى بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه وانقلب الخراساني معهم يقاتل الخراسانية، وكان أكبر أسباب ظفر روح بن حاتم المهلبي به.

نقل: أنه كان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة منها دار أبي دلامة، فكتب إلى المنصور:

[البحر الخفيف]

يا بنَ عمّ النبيّ دعوةُ شيخٍ ... قد دنا هدمُ دارِه وبوارِهْ
فهيَ كالماخضِ التي أعيا بها الطّلقُ فقرّتْ وما يقرُّ قرارُهْ
لكمُ الأرضُ كلُّها فأعيرُوا ... عبدكمْ ما احتوى عليه جِدارُهْ

نهاية المعتصم

في السنة: الستمائة والستة والخمسين دخلت التتار بغداد ووضعوا فيهم السيف واستمر بهم القتل والسبي نيفاً وثلاثين يوماً، وقيل إن القتلى ألف وثمانية ألف ذكر. وكان سبب دخولهم بغداد أن المؤيد بن العلقمي كاتبهم وحرضهم على دخول بغداد لأجل ما جرى على إخوانه الشيعة من الذل والإهانة، وكان يكاتبهم سراً فأشار الوزير ابن العلقمي على الخليفة المعتصم بالله بأني أخرج إليهم لتقرير الصلح فخرج وتوثق لنفسه وإخوانه بالإيمان المغلظة ثم رجع وقال للخليفة: أن الملك قد رغب أن يزوج ابنته بابنك الأمين أبو بكر وأن يكون له كما كان يفعله أجدادك مع الملوك السلجوقية ثم يرتحل عنك، فخرج المستعصم في أعيان الدولة ثم استدعى العلماء والوزراء والرؤساء ليحضروا العقد بزعمه، فخرجوا فضربت رقاب الجميع وصار يخرج طائفة بعد طائفة فيضرب أعناقهم حتى قتل من أهل الدولة وغيرهم ما قتل من العدد المذكور. وكان المعتصم آخر الخلفاء العباسيين وكانت دولتهم خمسمائة وأربعة وعشرين سنة.

عدد ملوك بني أمية

أولهم عثمان بن عفان ثم معاوية بن أبي سفيان ثم يزيد بن معاوية ثم معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك ثم إخوته الثلاثة سليمان ويزيد وهشام أولاد عبد الملك بن مروان ثم عمر بن عبد العزيز ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن عبد الملك ثم مروان بن محمد بن الحكم بن أبي العاص وهو آخر ملوك بني أمية.

عدد ملوك بني العباس

وأما عدد ملوك بني العباس أولهم السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثم أخوه جعفر عبد الله المنصور ثم المهدي بن المنصور ثم الهادي موسى بن المهدي ثم الرشيد هارون المهدي ثم الأمين محمد بن هارون الرشيد ثم أخوه المأمون عبد الله بن هارون ثم أخوهما المعتصم محمد بن هارون ثم الواثق بن المعتصم ثم المتوكل جعفر بن المعتصم ثم المستنصر محمد بن المتوكل ثم المستعين ثم المعتصم ثم المعتز بن المتوكل ثم المهدي محمد بن الواثق ثم المعتمد أحمد بن المتوكل ثم المعتضد أحمد بن الموفق ثم المكتفي علي بن المعتضد ثم المقتدر جعفر بن المعتضد ثم القاهر أحمد بن محمد بن المعتضد ثم الراضي بن المقتدر ثم المتقي بن المقتدر ثم المستكفي بن محمد المكتفي ثم المطيع الفضل بن المقتدر ثم الطائع عبد الكريم بن المطيع ثم القادر بن المقتدر ثم القائم بن القادر ثم المقتدي بن القائم ثم المستظهر بن المقتدي ثم المسترشد بن المستظهر ثم الراشد بن المسترشد ثم المكتفي بن المستظهر ثم المستنجد بن المكتفي ثم المستضيء بن المستنجد ثم الناصر بن المستضيء ثم الطاهر بن الناصر ثم المستنصر أحمد بن الناصر ثم المعتصم عبد الله بن المستنصر وهو آخر ملوكهم لعن الله المخالف منهم.

لابن عساكر: صاحب التاريخ وهو علي بن حسن بن هبة الله عساكر: [البحر الوافر]

ألاَ إنّ الحديثَ أجلُّ علمٍ ... وأشرفُه أحاديثُ الغَوالي
وأنفعُ كلِّ نوعٍ منه عندي ... وأحسنُه الفوائدُ في الأمالي
وأنّك لا ترى للعلمِ شيئاً ... يحقّقه كأفواهِ الرجالِ
فكنْ يا صاحِ ذا حرصٍ عليه ... وخذْهُ من الرجالِ بِلا ملالِ
ولا تأخذْه من صحفٍ فترمى ... من التصحيفِ بالداءِ المضالِ

الفضل بن يحيى مع الأعرابي

قال الأصمعي: إن أعرابياً قصد الفضل بن يحيى البرمكي وكان عندي من أخيه جعفر وذلك

الأعرابي لم يعرفه قبل ذلك اليوم وقال فيه: [البحر الطويل]

أَلَمْ تر أنَّ الجودَ من لدنِ آدمٍ تحدَّرَ حتى صارَ يملكُه الفضلُ
فلو أمُّ طفلٍ مضَّها جوعُ طفلِها غذتْه باسمِ الفضلِ لم يفطمِ الفضلُ

فقال له الفضل: أحسنت والله يا أخا العرب فإن قال لك الفضل: هذان البيتان قالهما شاعر غيرك وأخذ الجائزة عليهما فأنشد غيرهما فما كنت قائلاً؟.

قال: إذن والله كنت أقول أيها الأمير: [البحر الكامل]

قد كانَ آدمُ حينَ حانَ مماتُه أوْصالَ وهو يجودُ بالجوباءِ
ببنيهِ أن ترعاهمُ فرعيتَهم وكفيْتَ آدم عيلةَ الأبناءِ

قال: أحسنت يا أخا العرب فإن قال لك الفضل: هذان البيتان مسروقان أنشدني غيرهما فما كنت قائلاً؟.

فقال الأعرابي: لئن زاد الفضل امتحاني لأقول أربعة أبيات ما سبقني إليها عربي ولا عجمي، ولئن زاد في امتحاني لأدخلن قوائم ناقتي في رحم أم الفضل ولأرجعن إلى قضاعة خائباً.

قال: فنكس الفضل رأسه ثم قال: يا أخا العرب سمعني الأبيات الأربعة فقال:

[البحر الطويل]

ولائمةٍ لامتْك يا فضلُ في الرَّدى فقلتُ لها هل يقدحُ اللومُ في البحرِ
أرادتْ لتنهَى الفضل عن بذلِ مالِه ومن ذا الذي ينهى السحابَ عن القطرِ
كأنَّ نوالَ الفضلِ من كلِّ وجهةٍ تحدّرَ صوبَ المزنِ في مهمهٍ قفرِ
كأنَّ وفودَ الناس من كلِّ بلدةٍ إلى الفضلِ لاقُوا عنده ليلةَ القدرِ

قال: فخر الفضل على وجهه ضاحكاً وقال: يا أخا العرب أنا الفضل قال الأعرابي: وقد عرفت أيها الأمير أنك الفضل أقلني ما ماضى من الكلام قال: أقلتك والله أذكر حاجتك قال: عشرة آلاف دينار فأمر له بعشرة آلاف مثلها.

وفاة أبي نواس وبعض نوادره

توفي: أبو نواس الحسن بن هاني الشاعر المشهور في سنة مائة وستٍ وتسعين، قيل هو من الطبقة الأولى من المولدين.

قيل: كان المأمون يقول: لو وصفت لي الدنيا نفسها لما وصفت مثل قول أبي نواس:

[البحر الطويل]

ألاَ كلُّ حيٍّ هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسبٍ في الهالكينَ عريقِ
إذا امتحنَ الدّنيا لبيبٌ تكشّفتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

وإنما قيل له (أبو نواس) لذؤابتين كانتا يتوسطان على عاتقه.

قال أبو حاتم السجستاني كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس وقال: لولا أن العامة استبدلت بهذين البيتين لكتبا بماء الذهب لأبي نؤاس رحمه الله: [البحر الوافر]

ولو أنّي استزدتُك فوقَ ما بي ... من البَلوى لأعوزَك المزيدُ
ولو عُرضتْ على المؤتى حياتي ... بعيشٍ مثل عيشي لم يريدُوا

لطيفة لأبي نواس

ويحكى: له من النوادر والمخترعات والعجائب، فمن ذلك ما حكي عن هارون الرشيد أنه كان ذات ليلة يطوف في داره فرأى جارية من جواريه وكان يحبها حباً شديداً ويجد بها وجداً ويلتمس منها حاجة فوجدها في تلك الليلة سكرى فخمشها فانحل إزارها وسقط خمارها فقالت أمهلني: الليلة فغداً أصل إليك فخلاها، فلما أصبح أرسل إليها خادمه فقال: أجيبي أمير المؤمنين: فقالت: ارجع إليه وقل له «كلام الليل يمحوه النهار» فعرفه بذلك فقال: انظر من على الباب من الشعراء فرجع إليه فقال: الرقاشي وأبا مصعب وأبا نواس. فقال: ادخلهم إلي فلما حضروا بين يديه قال لهم: عرفتم لماذا طلبتكم؟

فقالوا: لا.

قال: يقول كل واحد منكم شعراً آخره «كلام الليل يمحوه النهار».

فقال الرقاشي: [البحر الوافر]

متى تصحُو وقلبُك مُستطارُ ... وقد منعَ القرارُ فلا قرارُ
وقد تركتكَ صبّاً مُستهاماً ... فتاةٌ لا تزورُ ولا تزارُ
إذا وعدتك صدَّتْ ثم قالت ... كلامُ الليلِ يمحُوه النهارُ

وقال مصعب: [البحر الوافر]

أمَا واللهِ لو تجدينَ وجْدي ... لأذهبَ بالكرى عنكِ السّرارُ
فكيفَ وقد تركتِ العينَ عبرى ... وفي الأحشاءِ من ذكراكِ نارُ
فقالتْ أنت مغرورٌ بوعدي ... كلامُ الليلِ يمحُوه النهارُ

وقال أبو نواس: [البحر الوافر]

وليلةِ أقبلتْ في القصرِ سكرَى ... ولكنْ زيَّنَ السُّكرى الوقارُ
وهزَّ الريحُ أردافاً ثقالاً ... وصدراً فيه رمّانٌ صغارُ
وقد سقطَ الرّدى عن منكبيها ... من التخميشِ وانحلَّ الإزارُ
فقلتُ لها تعالي عانقيني ... فقالتْ في غدٍ طابَ المزارُ

فقلتُ الوعدَ سيّدتي فقالتْ   كلامُ الليلِ يمحُوه النهارُ

فأمر الخليفة لكل من الاثنين بألف دينار وقال: علي بسيف ونطع لأجدن رقبة أبي نواس فقال: ولِمَ ذاك؟

قال لأنك معنا البارحة فقال: والله ما بت إلا في داري وإنما استدللت بكلامك، فقبل منه وأمر له بعشرة آلاف دينار.

حال أبي نواس مع هارون

ومما نقل: من غرائب أبي نواس أن هارون الرشيد طرقه ذات ليلة قلق وسهاد فمنعه الراحة والرقاد، فافتكر فيما يزيل عنه الهم والسهد ويجلب له النوم والفرح فدار في مواضع حتى دخل على بعض سرائره فوجدها نائمة وجوارها يضربن المعازف عند رأسها، فلما دخل الخليفة انصرفن من حولها فكشف عن وجهها وقبل موضع خال في خدها، فانتبهت وهي فزعة فقالت: من هذا؟

فقال ضيف فقالت: نكرم الضيف بسمعي والبصر فلما أصبح استدعى بأبي نواس فقال أبو نواس: قل للخليفة ثيابي مرهونة عند الحمار على ستمائة درهم إن استنكها إلي لبستها وجئت إليه فالتزم الرشيد بذلك القدر فجاء وقال: أريد منك أن تنظم لي شعراً آخره «نكرم الضيف بسمعي والبصر» فقال في الحال: [البحر الرمل]

طالَ ليْلي ثم عاداني السّهرْ   ثم فكّرتُ وأحسنتُ النّظر

جئتُ أمشي في زوياتِ الحمى   ثم طوراً في مقاصيرِ الحجرْ

إذ بوجهٍ مقمرٍ قد لاح لي   زانه الرحمنُ من بينِ البشرْ

ثم أقبلتُ إليه مُسرِعاً   ثم طأطأتُ وقبّلتُ الأثرْ

فاستفاقتْ فزعاً قائلةً   يا أمينَ اللهِ ما هذا الخبرْ

قلتُ ضيفٌ طارقٌ في دارِكم   هل تُضيفوه إلى وقتِ السّحرْ

فأجابتْ بسرورٍ سيّدي   نكرمُ الضيفَ بسمْعي والبصرْ

فقال هارون: يا فاعل يا تارك كنت البارحة معنا تحت السرير تسمع كلامنا اضربوا عنقه فحلف أبو نواس ما هذا كان مني وشفعوا فيه فقال: إن كنت صادقاً فقل شعراً في شيء أنا أبصره هذا الساعة. وكانت جارية واقفة قبالة الرشيد تضرب ستراً في أصل سدرتين لابسة في أحد كفيها خاتمين وهي في مكان لا يراها فيه أبو نواس ولا أحد من الناس غير الرشيد فقال في الحال: [البحر الرمل المجزوء]

نظرتْ عيْني لحيْني   واشْتكى وجْدي لبيْني

تـحـتَ ظـلِّ الـسِّـدرتـيـنِ شـبـحـاً مـثـل الُّـلـجـيـنِ
يـضـربُ الـصـدر بـكـفٍّ وبـأُخـرى خـاتـمـيـنِ

فقال: أنت تبصرها يا فاعل يا تارك فاقتلوه فحلف أبو نواس إنه لم يبصر شيئاً وشفع فيه فلم يقبل الخليفة، فقالت جارية بالقرب من الرشيد لا ينظرها غيره ولا يبلغ كلامها إلى أحد سواه بالله يا سيدي خله عنا فأشار إليها الرشيد أن لا أخليه حتى تمشي إلي عريانة فخلعت ثيابها ومشت حتى جاءته فخلى عنه وعفا فلما صار أبو نواس عند الباب قال: أي والله يا سيدي:

[البحر البسيط التام]

ليسَ الشفيعُ الذي يأتيك متَّزراً بلِ الشفيعُ الذي يأتيكَ عريانا

فخرج هارباً.

أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم العنبري الشاعر المشهور، من شعره ما حكاه أشجع المشهور وقال: أذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا وأمرنا بالجلوس واتفق أن جلس بجنبي بشار بن برد وكان مكفوفاً فسكت المهدي وسكت الناس فسمع بشار حساً فقال: من هذا؟

فقلت: أبو العتاهية. فقال: أتراه ينشد في هذا المحفل؟

قلت: أحسبه، فأمره المهدي أن ينشد فأنشد: [البحر المتقارب]

ألاَ مـا لـسـيِّـدتـي مـالـهـا أدلَّـت فـأجـمـلَ ادلالَـهـا
لـقـد أتـعـب اللهُ قـلـبي بِـهـا فـألـفـتْ مـن الـلـومِ عـذّالَـهـا

فلما بلغ إلى قوله:

كـان بـعـيْـنـي مـن ابـنِ مـا نـظـرتْ مـن الأرضِ تـمـثـالَـهـا

فنخسني بشار وقال: هل جروه برجله؟

قلت: لا، حتى بلغ إلى قوله:

أتـتْـه الـخـلافـةُ مـنـقـادةً إلـيـه تـجـرِّرُ أذيـالَـهـا
ولـم تَـكُ تـصـلـحُ إلاّ لـهُ ولـم يـكُ يـصـلـحُ إلاّ لَـهـا
ولـو رامَـهـا أحـدٌ غـيـرُه لـزلـزلـتِ الأرضُ زِلـزالَـهـا

فقال: انظر ويلك بالشجع هل طار الخليفة عن سريره؟

قلت: لا ولكنه رجف حتى صار إلى جانب السرير، فوالله ما انصرف من ذلك المجلس بجائزة غيره.

ومن شعره: هذه الأبيات: [البحر الكامل]

إنّي أمنتُ من الزمانِ وصرفِه لـمّا عقلتُ من الأميرِ حِبالا

لو تستطيعُ الناسُ من إجلالِه　　جعلُوا له حُسنَ الخدودِ نِعالا
إنّ المطايا تشتكيك لأنّها　　قطعتْ إليك سباسِباً ورِمالا
فإذا وردْن بها وردْن خفايفاً　　وإذا صدرْن بها صدرْن ثِقالا

قال: فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه، فغار الشعراء بذلك فجمعهم فقال: يا معشر الشعراء ما أشد حسدكم وبغضكم بعضاً لبعض أن أحدكم يأتينا يمدحنا بقصيدة يشبب فيها بصديقه بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى يذهب لذاذة مدحه ورونق شعره.

وقد أتى أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال كذا وكذا وأنشد الأبيات المذكورة فما لكم تغارون.

ولما انتهت وفاة أبي العتاهية قال: أشتهي أن يحيي فلان المغني ويغني تحت رأسي بهذين البيتين: [البحر الطويل]

إذا ما انقضتْ منّي عن الدهرِ مدّتي　　فإنَّ عزاءَ الباكياتِ قليلُ
سيُعرضُ عن ذِكري وينسى مودّتي　　ويحدثُ بعدي للخليلِ خليلُ

قصة العنقاء في إثبات القضاء والقدر

كتاب بدء المخلوقات: للغزالي قصة العنقاء في إثبات القدر والقضاء عن جعفر عن أبيه عن محمد قال: عاتب سليمان الطيور يوماً في بعض عتابه فقالت الطيور: تالله رب السماوات والثرى إنا لنحرص على الهدى ولكن قضاء الله وقدره لا ملجأ منه. فقال سليمان: صدقتم لا حيلة في القضاء فقالت العنقاء: لست أومن بهذا فقال لها سليمان: ألا أخبرك بأعجب العجب؟

قالت: بلى. قال: إنه ولد الليلة غلام في المغرب وجارية في المشرق هذا ابن الملك وهذه ابنة الملك يجتمعان في أشنع موضع وأهوله على سفاح بقدرة الله فيهما. قالت العنقاء: هل اختبرت بهما ما اسمهما واسم أبويهما؟

قال: نعم اسمهما كذا وكذا. فقالت: أنا أفرق بينهما وأبطل القدر وأثبت المشيئة قال سليمان: لا تقدرين على ذلك فقالت: بلى فاشهد سليمان عليهما الطيور وكفلها البومة.

ومرت العنقاء لذلك وكانت في أكبر جبل ووجهها وجه إنسان وثديها كذلك ويداها وأصابعها كذلك فتعلقت في الهوى حتى أشرفت على الدنيا وأبصرت كل دار حتى أبصرت الجارية في مهدها وحولها حي الاضار، فاختلست الجارية مع المهد وطارت حتى انتهت إلى جبل شاهق وسط البحر وعليه شجرة عالية في السماء لا ينالها الطيور إلاّ بجهد لها ألف غصن كل غصن كأعظم شجرة فاتخذت لها وكراً عظيماً عجيباً واسعاً فارتضعتها واحتضنتها وتأتيها بأنواع الطعام والشراب وتنكها من الحر والبرد وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحداً بشأنها وتغدو إلى سليمان وتروح إلى وكرها، فعلم سليمان بذلك ولم يبدها لها.

فبلغ الغلام إلى مبلغ الرجال وكان صار ملكاً من الملوك وكان مولعاً بالصيد فقال لأصحابه: صيد البر قد نلته فلو ركبت البحر وآتي من صيده فأي بأس؟

فقال أصحابه: نعم ما رأيت، فأمر الغلمان بالجهاز وهيأ فركب السفر هو والغلمان والوزراء والعلماء والطباخين والخبازين والدواب والبارات والصقور والكلاب وغير ذلك مما يريده ويشتهيه من الملاهي والشراب ومر في البحر يتصيد ويتلذذ حتى صار مسيرة شهر فأرسل الله على سفينته ريحاً فضربتها وساقتها إلى جبل العنقاء والجارية مصيرة خمسمائة سنة ثم ركدت السفينة بإذن الله تعالى فأصبح الغلام فرأى سفينة راكدة فشال رأسه فإذا هو بجبل شاهق في ناحية البحر في لون الزعفران وطوله لا يدري ولا عرضه، فإذا هو بشجرة خضراء ملتفة كثيرة الأغصان والورق ليس لها ثمر ولا نوى بيضاء الساق.

فقال: إني أرى عجباً جبلاً شاهقاً وشجرة حسناء فحرك سفينته ونادى بأن قربوها إلى هذا الجبل فجاذبوها فسمعت الجارية التي في عش العنقاء صوت الماء وصوت الآدميين ولم تكن سمعت قبل ذلك فأخرجت رأسها من عشها فرأى الغلام صورتها في الماء فتعجب من جمالها وكثرة شعرها وذوائبها، فرفع رأسه ويادر إلى الشجرة فإذا هو بالجارية مطلعة عليه، فناداها: من أنت؟

فألهما الله لغته فقالت: أنا بنت العنقاء فقالت تغدو إلى ملكها سليمان فتعلم عليه وتقيم عنده إلى الليل ثم تجيء إلي وأنه لملك عظيم على ما تصف لي أمي العنقاء فخاف الغلام وقال: عرفته وهو الذي قتل أبي وأمي وأنا لمن طلقائه وأنا ممن يؤدي إليه الخراج ورسله الطير والرياح، ثم بكى الغلام ساعة فقالت له: وما يبكيك؟

قال: على وحدتك في مثل هذا الموضع وأمثالك على وجه الأرض من المدر والحجر كلهم في النعم والتلذذ والأزواج أرأيت أن هاجت الريح وأزعجتك من وكرك ووقعت في البحر فمن ذا الذي يخرجك؟

ففزعت الجارية وقالت: فكيف لي بأن تكون معي وتحفظني عما ذكرت؟

فقال: إن الله الذي اتخذ سليمان نبياً يرحمك وساقني إليك لأكون لك وليفاً وصاحباً وإني من أولاد الملوك فقالت الجارية: كيف تصير إلي وهذه تروح إلى عند ملكها سليمان وتجيء؟

فقال الغلام: أكثري من بكاك وجزعك على وحدتك ووحشتك في نهارك فانظري ماذا تقول فأخبريني.

فجاءت العنقاء فوجدت الجارية باكية حزينة فقالت لها: ما بالك تبكين؟

فقالت: من الوحشة في نهاري. فقالت: لا تحزني فأنا أستأذن من سليمان أنا آتية يوماً بعد يوم فأكون معك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال الغلام: إني أريد أن أنحر فرساً وأبقر بطنها وأخرج جميع ما فيها وألقيه على مؤخر السفينة وأدخل أنا في جوفها، فإذا جاءت العنقاء

قولي لها احملي هذا الشيء الذي هو ملقى على مؤخر السفينة إلي فاستأنس به ولا تلبثي عندي نهاراً لأن مجيئك بأخبار سليمان إلي أحب من أن تكوني معي فلما جاءت العنقاء قالت لها ذلك فقالت العنقاء: هي دابة ميتة ألقوها قالت: فاحمليها إلي أنظر إليها، فحملتها العنقاء إلى عشها فقالت: يا أماه ما أحسن هذه فضحكت وخرجت العنقاء بعد ذلك ثم طارت إلى سليمان وخرج الغلام من جوف الفرس ولاعبها ولامسها وافتضها وأحبلها وفرح كل واحد منهما بصاحبه وقد جاءت الريح سليمان بخبرهما واجتماعهما فوافت العنقاء وكان مجلس سليمان يومئذٍ مجلس الطير فجلس سليمان ودعا عرفاء الطيور وأمرهم أن لا يدعوا طيراً إلا اجتمع عنده ثم طلب الجن والشياطين ثم الإنس ثم من كل دابة واشتد الخوف وقالوا: نشهد بالله أن نبي الله سليمان بن داود قد أهمه أمر فأول سهم خرج في تقديم الطيور سهم الحدأة وكان الطير لا يتقدم للحكم إلا بالسهام وكذلك الشياطين والجن والإنس يضرب لهم بالسهام فتقدمت الحدأة وقالت: يا نبي الله إن زوجي يفسدني أي يجامعني حتى إذا احتضنت على بيضتي وأخرجت ولدي جحدني وقال: ما هذا ولدي فقال سليمان لزوجها: ما تقول؟

قال: يا نبي الله إنها لا تمنع نفسها فلا أدري متى حملت مني أم من غيري فقال سليمان: أين ولدك؟

فأوتي به فوجده يشبه أباه فلحقه به ثم قال للأنثى: لا تمكنيه من سفاد أي جماع أبداً حتى تشهدي على ذلك الطير كي لا يجحد. بعد ذلك قال: فمتى سفدها ذكرها كانت تصيح وتقول: يا طيور اشهدوا فإنه سفدني ثم رمى السهم الثاني فخرجت العنقاء فتقدمت فقال سليمان: أين الشرط الذي بيني وبينك زعمت أنك بقوتك تفارقين بين الجارية والغلام؟

فقالت: قد فعلت. قال سليمان: أتيني بها الساعة والخلق شهود لأعلم تصديق قولك، وأمر عريف الطيور أن يكون معها لا يفارقها، فمرت العنقاء وكانت الجارية إذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها، فلما سمعها دخل الغلام جوف الفرس فأتت وقالت للجارية إن لك شأناً وأن سليمان قد أمرني بإحضارك الساعة لأمر كان جرى بيني وبينه ما لي أراك وأنا أرجو نصري اليوم بك قالت: كيف تحمليني؟

قالت: على ظهري. قالت: إني أخاف فلا آمن أن أزل فأسقط في البحر فأهلك. قالت: ففي منقاري. قالت: كيف أكون في منقارك؟

قالت: العنقاء وكيف ولا بد من إحضارك إلى عند سليمان وهذا عريف الطيور معنا. فقالت: ادخل أنا في جوف الفرس هذه ثم تحملين الفرس على ظهرك أو في مناقيرك فلا أرى شيئاً ولا أفزع قالت: أصبت، فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس وطارت حتى وضعتها بين يدي سليمان وقالت يا نبي الله هي الآن في جوف الفرس قد أتيت بها فأين الغلام؟

فتبسم سليمان طويلاً ثم قال لها: أتؤمنين بالقضاء والقدر أنه لا حيلة لدفع القضاء والقدر قالت العنقاء: القضاء والقدر من الله وأقول إن المشيئة للعباد فمن شاء فليعمل شراً ومن شاء فليعمل خيراً.

فقال: كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيئاً ولا يدفع قضاء الله وقدره بحيلة وأن الغلام الذي ولد بالمغرب والجارية التي ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن في مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية منه.

فقالت العنقاء: لا تقل يا نبي الله هكذا فإن الجارية في جوف هذه الفرس فقال سليمان: الله أكبر أين البومة المتكلفة بالعنقاء؟

قالت: ها أنا.

قال سليمان على مثل قول العنقاء أنت؟

قالت: نعم فأخرجتهما من جوف الفرس فتاهت العنقاء وفزعت وطارت في جوف السماء وأخذت نحو المغرب واختفت في بحر من بحاره وآمنت بالقضاء والقدر وحلفت أن لا تنظر الطيور في وجهها حياء منها وأما البومة فلزمت الآجام والآكام والجبال وقالت: أما بالنهار فلا أخرج، فهي إذا خرجت نهاراً تحفها الطيور ويقلن لها يا قدرية فهي تخضع لهم. فهذا آخر ما كان من شأن العنقاء والغلام والبومة والجارية.

وصف بساط سليمان

ومن الكتاب المذكور: قال مقاتل بن سليمان: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبرٌ من ذهب في وسطه فيقعد عليه، وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تجلس الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن وحول الجن الشياطين وتظللهم الطير بأجنحتها لا تقع عليهم الشمس، وترفعه ريح الصبا مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح وشهر من الرواح إلى الصباح، وكان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرن للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحوش وخمسة وعشرون للطيور، وكان له بيتٌ من قوارير على الخشب فيه ثلاثمائة مهيرة من وجه وسبعمائة سرير، فأمر الرياح العاصفة فحملته فأوحى الله إليه: إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الرياح وأخبرتك به.

صفة قصر بلقيس

صفة قصر بلقيس: قال الشعبي: يروى أن بلقيس لما ملكت أمرت أن يجلب لها خمسمائة

أسطوانة طول كل أسطوانة خمسون ذراعاً وأمرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء، وجعلت بين كل أسطوانتين عشرة أذرع ثم جعلت عليها سقفاً مبسوطاً بأنواع الرخام والحمت بعضه بعضاً بالرصاص حتى صارت لوحاً واحداً، ثم بنت فوق ذلك قصراً مربعاً من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب وفضة مشرقة في الهوى فيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بأنواع الجواهر وجعلت فيها شرفاً مطليةً بماء الذهب مفضضة بأنواع الجواهر، وكان إذا طلعت الشمس عليه التهب الذهب والجواهر كالتهاب النيران تكاد تغشى الأعين، وجعلت باب ذلك القصر مما يلي المدينة بدرج من الرخام الأبيض والأحمر والأخضر في جانبيها حجر ملجج بها وبوابها وخدامها وحراسها على قدر مراتبهم، وعرشها كان مقدمه من ذهب مفصصاً بالياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ومؤخره من فضة مكللة بأنواع الجواهر، وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وأخرى من ياقوت أحمر والثالثة من زمرد أخضر والرابعة من در، وصفائح السرير من ذهب وعليه سبعة أبيات وكل بيت مغلق، وكان عرضه ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانون ذراعاً، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[1].

قصة أحمد اليتيم مع الجارية

كتاب المستطرف في كل فن مستظرف: ذكر عبد الكريم وكان مطلعاً على أحوال أحمد بن طولون عارفاً بأموره عالماً بوروده وصدوره فقال: ما معناه: أن أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلاً مطروحاً فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم، فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زياً وصورة صار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرس.

فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش به بأخذه إليه، فلما مات أحمد بن طولون أحضره الأمير أبو الجيش إليه وقال: أنت عندي بمنزلة أرعاك بها ولكن عادتي أن آخذ العهد على كل من أصرفه في شيء من حوائجي أنه لا يخونني، فعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذاً على المقام حاكماً على جميع الحاشية الخاص والعام، والأمير أبو الجيش بن طولون يحسن إليه كلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه مستقيمة بالنجح، فركن إليه واعتمد في أسباب بيوته عليه فقال له يوماً:

يا أحمد امض إلى الحجرة الفلانية ففي المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فجئني بها، فمضى إلى الحجرة فوجد جارية من مغنيات الأمير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هو من الأمير بمحل قرب، فلما رأياه خرج الفتى فجاءت الجارية وعرضت نفسها عليه ودعت إلى قضاء وطره فقال: معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن إلي وأخذ العهد عليَّ، ثم تركها وأخذ السبحة

(١) سورة النمل، الآية: ٢٣.

وانصرف إلى الأمير وسلم السبحة إليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد لا يذكر حالها للأمير فأقامت أياماً لا تجد من الأمير ما غيره عليها.

ثم اتفق أن الأمير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وعمها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض عن الشفقة بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها، وكان أولاً مشغولاً بتلك الجارية الخائنة، فلما أعرض عنها اشتغالاً بالجديدة المجيدة المسعدة السعيدة الرصيفة الموصوفة الأليفة المألوفة صرف لبهجة محاسنها وآدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف رضاب أضرابها، وكانت تلك الأولى لحسنها متأمرة فكبر عليها إعراضه عنها ونسبت ذلك إلى أحمد اليتيم وإطلاعه على ما كان منها، فدخلت على الأمير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب مكرها وأعلنت بالكآبة لديه لاتمام كيدها وقالت: إن أحمد اليتيم قد راودني عن نفسي فلما سمع الأمير بذلك استشاط غيظاً وغضباً وهم في الحال بقتله، ثم عاوده حاكم عقله فتأني في فعله واستحضر خادماً يعتمد عليه وقال له: إذا أرسلنا إليك إنساناً ومعه طبق ذهب وقلت له على لسانه: املأ هذا الطبق مسكاً فاقتل ذلك الإنسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره معظماً.

ثم إن الأمير أبو الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم من مجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر في خاطره شيء ولا هجس في قلبه، فلما تمثل الأمير وأخذ منه الشراب قال: يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم وقل له يملأه مسكاً، فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه الندماء والخواص فقاموا وسألوه الجلوس معهم فقال: أنا ماض في حاجة الأمير أمرني بإحضارها في هذا الطبق فقالوا: أرسل من ينوب عنك في إحضارها وخذها أنت وأحضرها إلى الأمير؛ فأدار عينه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال: له امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املأ هذا مسكاً، فمضى ذلك الفراش إلى الخادم وذكر ذلك له فقتله وقطع رأسه وجعله في الطبق وغطاه وأقبل به فناوله لأحمد اليتيم وليس عنده علم من باطن الأمر، فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال: ما هذا؟

فقص عليه القصة وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذه الطبق والرسالة مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكر.

قال: أفتعرف لهذا الفراش خبراً يستوجب ما جرى عليه؟

فقال: أيها الأمير أنا الذي ثم عليه مما ارتكبه من الجناية وقد كنت رأيت الأعراض عن أعلام الأمير بذلك، وأخذ أحمد اليتيم بما شاهده وما جرى من حديث الجارية من أوله إلى آخره لما أنفذه لإحضار السبحة الجوهر، فدعا الأمير أبو الجيش تلك الجارية واستقرها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد، فأعطاه الجارية وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وجعل جميع ما يتعلق به بيديه.

مدح الصاحب ابن عباد للرضا عليه السلام

للصاحب ابن عباد: في مدح الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام : **[البحر السريع]**

يا سائراً زائراً إلى طوسَ ... مشهدِ طهرٍ وأرضِ تقديسِ
أبلغْ سلامي الرّضا وحطّ على ... أكرمِ رمسٍ لخيرِ مرموسِ
واللهِ واللهِ حلفةُ صدرٍ صادقٍ ... من مخلصٍ في الولاءِ مغموسِ
أنيّ لو كنتُ مالكاً أربي ... كان بطوسِ الفناءِ تعريسي
وكنتُ أمضي الغويمَ مرتحلاً ... منتسفاً فيه قوّة العيسِ
لمشهدٍ بالزكاءِ ملتحفٍ ... وبالسّنا والثناءِ مأنوسِ
يا سيّدي وابن سادةٍ ضحكتْ ... وجوهُ دهري بعقبِ تعبيسِ
لمّا رأيتُ النواصب انتكستْ ... راياتُها في ضمانِ تنكيسِ
صدعتُ بالحقّ في ولائكم ... والحقُّ مذ كان غيرُ منكوسِ
يابْن النبيّ الذي به قمع اللهُ ظهورَ الجبابرةِ الشوسِ
وابن الوصيّ الذي تقدّم في الفضلِ على البزل القناعيسِ
وحائزُ الفضلِ غيرُ منتكصٍ ... ولابسُ المجدِ غيرُ تلبيسِ
إن بني النصبِ كاليهودِ وقد ... يخلطُ تهويدُهم بتمجيسِ
كم دفنُوا في القبورِ من بخسٍ ... أولاً به الطرحُ في النواويسِ
عالمهم عندما أباحثه ... في جلد ثورٍ ومسك جاموسِ
إذا تأملتُ شؤمَ جبهته ... عرفتُ فيها إشراك إبليسِ
لم يعلموا أو الأذانُ يرفعكم ... صوت أذان أم قرع ناقوسِ
أنتم حُبالى اليقينِ أعقلها ... ما وصل العمرُ حبل تنفيسِ
كم فرقتْ فيكم تكفرُني ... ذللْتُ هاماتِها بتفطيسِ
قمعتُها بالحجاجِ فانخذلتْ ... تجفلُ عنّي بطيرٍ منحوسِ
إنّ ابن عبّادٍ استجارَ بكمْ ... فما يخافُ الليوثَ في الخيسِ
كونوا يا سادتي وسائله ... يفسح له الله في الفراديسِ
كم مدحةٍ فيكمْ أحبرها ... كأنّها حلّةُ الطواويسِ
وهذهِ كم يقولُ قائلُها ... قد نشر الدرُّ في القراطيسِ
يملكُ رقّ القرائضِ قائلُها ... ملكَ سليمانَ عرشَ بلقيسِ
بلّغهُ الله ما يؤمّلُه ... حتّى يزور الإمام في طوسِ

وله أيضاً: عامله الله بغفرانه وأسكنه نعيم جنانه : **[البحر الرجز المشطور]**

يا زائراً قد نهضا　　مبتدراً قد ركضا
وقد مضى كأنّه　　البرقُ إذا ما أومضا
أبلغْ سلامي زاكياً　　بطوسِ مولاي الرّضا
سبطِ النبيّ المصطفى　　وابنِ الوصيّ المرتضى
من حاز عزّاً أقعسا　　وشادَ مجداً أبْيضا
وقلْ له عن مخلصٍ　　يرى الولا مفترَضا
في الصدرِ لفحُ حرقةٍ　　تتركُ قليم حرضا
من ناصبين غادروا　　قلب الموالي ممرضا
صرّحتُ عنهم معرضا　　ولم أكن معرّضا
نابذتهم ولم أبلْ　　إنْ قيل قد ترفّضا
يا حبّذا رفضي لمنْ　　نابذكم وأبْغضا
ولو قدرتُ زرتُه　　ولو على جمرِ الغَضا
لكنّني معتقلٌ　　بقيدِ خطب عرَضا
جعلتُ مدحي بدلاً　　من قصدِه وعوضا
أمانةٌ مورّدةٌ　　على الرّضا ليرتضا
رام ابنُ عبّادٍ بها　　شفاعةً لن تدحَضا

مسألة شرعية في النذر

مسألة: سأل عنها بعض الإخوان من القاطنين ببلدة بهبهان وكان قد اتفق وقوعها في ذلك الزمان، وهذه صورة ما كتبه: رجل نذر أن وفق للحج أن يتصدق بجميع ما يملكه على الفقراء في النجف الأشرف على مشرفه السلام فوفق للحج ومات بعده وانعقد النذر وكانت عليه ديون، فما حكم الديون فهل تخرج من أصل التركة وما بقي يصرف في وجه النذر أو أن التركة وما خلفه ينتقل إلى الفقراء المنذور لهم لتعلق النذر به ويبقى الدين في ذمة الميت الناذر إلى يوم القيامة، فإن بعض علمائنا يقولون: إن المال انتقل إلى الفقراء والدين يبقى في ذمة الميت، فما كلام الأصحاب في ذلك وما اعتقادكم وما الدليل على ذلك فتفضلوا بإنجاز رد الجواب وإرساله بيد من يقدم عاجلاً لأن الواقعة في البين ونحن في غاية الاحتياج، وهل فرق بين الدين والخمس ورد المظالم؟.

فكتب له ما صورته الجواب: ومنه سبحانه إفاضة الصواب: إن من المقرر في كلام الجمهور من أصحابنا رضي الله عنهم وعليه دلت أخبارنا أنه لا ينعقد من النذر إلا ما كان طاعة الله سبحانه

لاشتراطه بالقربة نصاً وإجماعاً، ولا تقرب بالمرجوح من مكروه أو حرام نصاً وإجماعاً، وكذلك المباح المتساوي الطرفين على الاستهزاء الأظهر لما ذكرنا، والمخالف نادر ودليله غير ناهض، ومما يدل على اشتراط القربة في النذر المستلزم لكونه طاعة لله قوله في صحيحة منصور فيمن قال: عليَّ المشي إلى بيت الله الحرام وهو محرم لحجه «فليس بشيء لله على المشي إلى بيته».

وفي صحيحة الكناني «ليس النذر بشيء حتى تسمي لله شيئاً صياماً أو صدقة أو هدياً أو حجاً» ومن المقر المجمع عليه أيضاً أنه يشترط في انعقاد النذر كون ما نذر به من أفراد الطاعات مشروعاً على الوجه الذي نذر قبل النذر والألم ينعقد نذره إلا ما خرج بدليل على خلاف فيه أيضاً.

وحينئذٍ فنقول: من نذر التصديق بجميع ماله ولا يملكه مع أنه مشغول الذمة يومئذٍ بديون وحقوق واجبة فلا ريب أن نذره هذا مخالف لمقتضى القواعد المقررة المبرهن عليها بالأخبار المعتبرة، فإن هذا التصدق قبل النذر به مكروه بل الظاهر أنه غير جائز شرعاً.

أما أولاً: فلاستلزامه الإخلال بأداء الديون أواجبة يقيناً، سيما مع الفورية كرد المظالم والحال من الديون.

وأما ثانياً: فلاستلزامه إدخال الضرر على نفسه، ولا سيما إذا كان من ذوي الوجاهة والوقار والثروة واليسار بلبس ثياب الذل والانكسار وبذل ماء الوجه المنهي عنه في صحاح الأخبار.

وأما ثالثاً: فللأخبار المستفيضة بالنهي في الانفاق عن الإسراف والأمر بالاقتصاد في ذلك والكفاف، فمنها رواية حماد اللحام المروية في الكافي وتفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام قال. لو أن رجلاً أنفق ما في يده في سبيل الله من سبل الله ما كان أحسن ولا وفق للخير، أليس الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١) يعني المقتصدين، وهي صريحة الدلالة على المراد منطبقة على السؤال حسبما يراد ورواية هشام بن المثنى عن أبي عبد الله عليه السلام الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٢).

فقال: «كان فلان ابن فلان الأنصاري سماه وكان له حرث فكان إذا أخذ يتصدق به يبقى هو وعياله بغير شيء فجعل الله ذلك سرفاً» وفي صحيحة الوليد بن صبيح قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فجاءه سائل فأعطاه ثم جاء آخر فأعطاه ثم جاء آخر فقال: يسع الله عليك، ثم قال: «إن رجلاً لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألف درهم ثم شاء أن لا يبقى منها إلا وضعها في حق فيبقى لا مال له فيكون من الثلاثة الذين يرد دعاؤهم» قلت: من هم؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

قال: «أحدهم رجل كان له مال فأنفقه في وجهه ثم قال: يا رب ارزقني، فيقال له: ألم أرزقك» ومن الظاهر البين أنه متى كان مؤاخذاً بإنفاقه غير مستجاب لذلك دعاؤه فهو دليل على كون إنفاقه ذلك معصية، لأن المعاصي هي التي تحبس الرزق كما ورد في الأدعية والأخبار عن العترة الأطهار.

هذا والآيات الواردة بالنهي عن الإسراف والتبذير والأمر بالاقتصاد والقوام في الإنفاق، وكذلك الأخبار الواردة في ذلك أكثر من أن يسع المقام نشرها. فإذا ثبت تحريم هذا التصدق قبل تعلق النذر به فلا إشكال ولا خلاف في عدم انعقاد نذره إذ هو معصية فكيف يصح التقرب به ولو نوقش في التحريم فلا أقل من الكراهة المستلزمة للمرجوحية وهي كافية في عدم انعقاد النذر.

لا يقال: إن الصدقة عبادة ومكروه العبادة بمعنى الأقل ثواباً فلا ينافي انعقاد النذر: لأنا نقول: الذي ترجح عندنا من الأخبار هو التحريم لكن لو تنزلت المنازع ينازع في ذلك فلا أقل من الكراهة وليست الكراهة كما مر بما يتوهم كراهة متعلقة بالصدقة لأن الإنفاق على هذا الوجه لا يدخل في باب الصدقة بوجه، كيف وهو داخل في باب الإسراف الذي لا يحب الله تعالى صاحبه وداخل في باب الالقاء لليد إلى التهلكة مسجلاً عليه بأن صاحبه ما أحسن ولا وفق للخير أو داخل فيما يمنع إجابة الدعاء، بل المراد بهذه الكراهة إلحاقه بالمباحات المكروهة.

فإن قيل: قد ورد في صحيحة محمد بن يحيى الخثعمي عن الصادق فيمن نذر أن يتصدق بجميع ماله أنه يقوّم ماله من منزل ومتاع وجميع ما يملكه بقيمة عادلة ثم يضمنها في ذمته ويعود إلى ماله ويتصرف فيه كما كان أولاً، ثم يتصدق بما ضمنه في ذمته من القيمة شيئاً فشيئاً تدريجاً على وسعه حتى ينعقد، فإنه دال على انعقاد النذر المذكور. قلت: لا ريب أنه قد علم مما قدمنا بيانه كون هذا النذر مخالفاً لمقتضى القواعد المقررة المؤيدة بالأخبار الصحيحة الصريحة المشتهرة، وبموجب ذلك يجب طرح ما عارضها من هذه الرواية وغيرها لكن حيث كانت الرواية صحيحة الإسناد متلقاة بالقبول بين أصحابنا رضوان الله عليهم وجب الوقوف على موردها من الحكم بصحة النذر المذكور إذا أمكن التخرج منه على الوجه المقرر في الرواية، بأن يكون الناذر حياً غير مطالب بحقوق واجبة مالية سيما إذا كانت فورية فيقوم أملاكه ويضمن القيمة في ذمته ويتصرف في أملاكه كما كان أولاً ثم يتصدق بالقيمة كما ذكرنا.

بل ربما يقال: إن هذه الرواية بالدلالة على ما ندعيه من بطلان هذا النذر المسؤول عنه هنا أشبه، لأنه لو كان النذر على هذا الوجه المذكور في الرواية صحيحاً منعقداً بمجرد إيقاع صيغة النذر كذلك لأمره عليه السلام ذلك الرجل بالخروج من أملاكه جميعاً بها، ولما جاز نقلها إلى الذمة بالقيمة إذ مقتضى النذر هو الصدقة بالأعيان فيجب الصدقة بها حينئذٍ، ولكن أمره بنقلها إلى ذمته بالقيمة ثم التصدق بها حينئذٍ تدريجاً على وجه يندفع به الضرر الموجب لبطلان النذر.

ولو لم يكن كذلك كما هو مقتضى الأخبار وكلام الأصحاب علمنا أن ثبوت هذه للأشياء مما له مدخل في الصحة البتة. فعلى هذا لا بد في صحة النذر المذكور في السؤال وانعقاده من أن يقوّم الناذر جميع أملاكه المنذور بها ويضمن قيمتها في ذمته فتكون عليه كسائر ديونه، وحينئذٍ فلو مات قبل إخراجها كلا أو بعضاً صارت من قبيل الديون التي متى تزاحمت حكم بينها بالتقسيط.

وأنت خبير بأن إجراء هذا الوجه المصحح للنذر الرافع للضرر كما تضمنه الخبر في محل السؤال غير متجه، فإن الناذر المذكور لم يقوم أمواله المذكورة ولم ينقل القيمة إلى ذمته، وبدون ذلك لا ينتقل القيمة إلى الذمة وبدون الانتقال إلى الذمة لا يمكن الحكم بالصحة لخروج ذلك عن مورد الخبر، فإذا كان مقتضى الأصل بطلان هذا النذر وهذا الخبر الذي أوجبنا الوقوف على مورده لا يشمله فكيف يمكن الحكم بصحته؟.

ولا أعرف خلافاً في أن مضمون هذه الرواية جار على خلاف مقتضى قواعدهم كما صرح به غير واحد منهم وأنهم إنما قالوا بها من حيث اندفاع الضرر بما ذكره عليه السلام من التقويم ثم ضمان القيمة ثم التصدق تدريجاً، حتى أن بعضاً منهم كالمحدث الكاشاني رحمه الله في المفاتيح حمل الرواية المذكورة على الاستحباب جمعاً بينها وبين مقتضى تلك القواعد الدالة على الإبطال، وإن أشعر آخر كلامه بالتوقف من حيث عدم القائل بذلك، وحينئذٍ فالقول بصحة هذا النذر وانعقاده من غير توقف على شيء وراي مجرد صيغته، رد لكلام عامة الأصحاب وخلاف على الأصول الصحيحة الصريحة الواردة عن أبواب الملك الوهاب وخروج عن مقتضى تلك الصحيحة التي هي المستند في ذلك الباب.

وبالجملة فإنه لما اتفقت كلمة الأصحاب المؤيدة بالأخبار على أن النذر المستلزم للنظر دنياً أو ديناً غير منعقد، وهذا الفرد الذي تضمنته الرواية إنما انعقد من حيث زوال الضرر بما ذكر فيها، وما نحن فيه من محل السؤال لا مدفع للضرر عنه كما عرفت، فلا وجه للقول فيه بالصحة والانعقاد بل الوجه هو البطلان وقوفاً على تلك القواعد المقررة لعدم المخرج عنها.

والقول بانعقاد النذر فيما زاد من التركة على الديون لا أعرف لها وجهاً، لأنه نذر واحد فإن صح ففي جميع ما اشتمل عيه وإلا بطل في الجميع، على أن ما شرحناه من القول بالبطلان لا يتوقف على وجود ديون في البين والقائل الذي نقلتم عنه القول بالصحة والانعقاد وإبقاء الديون في ذمة الميت إن سلم كون هذا النذر جار على خلاف القواعد الشرعية والضوابط المرعية فلا بد له في الحكم بصحته من الدليل المخصص، والصحيحة المذكورة لا تنهض له حجة لكونها مخالفة للأصول كما عرفت مقصورة على موردها كما أوضحناه.

والفرق بين موردها وبين ما نحن فيه ظاهر كما بيناه، على أن ما تضمنته لا ينطبق على المنقول عنه، حيث إنه ذهب إلى التصدق بتلك الأعيان والصحيحة المذكورة دلت على نقلها إلى

الأثمان وجعلها في الذمة فتصير من جملة الديون كما عرفت، وإن منع لك فهو محجوج بما أجمع عليه الأصحاب من تلك القواعد المنصوصة التي يدور عليها النذر صحة وبطلاناً. والله سبحانه وتعالى أعلم بحقائق أحكامه.

قصيدة للمؤلف في رثاء الحسين

هذه القصيدة: مما سمحت به القريحة الجامدة في رثاء مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

[البحر الكامل]

برق تألّق بالحمى لحماتِها ... أم لامعُ الأنوارِ من وجناتِها
وعبيرُ ندٌّ عطّر الأكوانَ أم ... ذا عنبرٌ أهدته من نفحاتِها
أكريمةَ الحسينِ هل من ذروةٍ ... تشفي المعنىّ من عنا حسراتِها
شابَ العذارُ ولم تشوبوا هجرَكم ... منها بشيءٍ لا ولا بعُداتِها
جودوا ولو بالطيف أن خيالكم ... يطفي من الأحشاء لظى لهباتها
قمْ يا خليلُ فخلِّ عن تذكارِهم ... واحبسْ سخين الدمعِ من عبراتِها
يا هل رأيت متيماً تمت له ... في هذه الدنيا سوى نكباتها
وأعذ عليَّ حديثَ وقعةِ نينوى ... ولواعجَ الأشجانِ في ساحاتِها
لله أيّة وقعةٍ لمحمّدٍ ... في كربلا ريب على وقعاتِها
ضربتْ عران الذل في أنفِ الهُدى ... فغدا يقادُ به بنُو قاداتها
للهِ من يومٍ به قد نُكّستْ ... تلك الكماةُ الصيدُ عن صهواتها
للهِ أنصارٌ هناك وفتيةٌ ... سادت بما حفظته من ساداتِها
فوق الخيولِ تخالُها كاهلّةٍ ... وبدورِ حسنٍ لجن في هالاتِها
وإذا سطتْ تخشى الأسود لكرِّها ... في الحربِ من وثباتِها وثباتِها
شربتْ بكأس الحتفِ حين بدا لها ... في نصر خيرتها سنا خيراتها
الجسم منها بالعراء وروحها ... في سندس الفردوس من جنّاتِها
نفسي لآل محمدٍ في كربلا ... محروقةُ الأحشاءِ من كرباتِها
ترنُو الفرات بغلّةٍ لا تنطفِي ... عطشاً وما ذاقت لطعم فراتِها
جوىً لفقدِ حُماتِها وولاتِها ... والسوطُ يعلُوها على هاماتِها
أطفالُها غرثى أضرَّبها الطُّوى ... وهداتها صرعى على وهداتِها
يا حسرةً لا تنقضي ومصيبةً ... تترقصُ الأحشاءُ من زفراتها
دارُ النبيِّ بلاقعٌ من أهلِها ... للبومِ نوحٌ في فنا عرصاتِها

تبكي معالمُها لفقدِ علومِها أسفى وحسنِ صلاتها وصلاتِها
وديارُ حربٍ بالملاهي والغِنا قد شيّدت وبها شدى قيناتِها
معمورةٌ بخمورِها وفجورِها وبغاتُها نشوى على نغماتِها
وحريمُ آلِ محمدٍ محرومةٌ بين العدى تقتادُ في فلواتِها
شعثاً حيارى لا تفيقُ من البُكا قد فارق الأجفان طيب سناتِها
ونساءُ آلِ أميةٍ في صونِها وحصونِها جلستْ على غرفاتها
في غبطةٍ من دهرِها مأنوسةً مسرورةً بالعزِّ من دولاتِها
نفسي لزينب في السَّبايا حاسرٍ تبكي ومنظرُها إلى أخواتِها
تستعطفُ القوم اللئام فلا ترى إلاّ وجيع الضّربِ من شفراتِها
فلذاك خاطبتِ الزمان وأهله بشكايةِ الشعراءِ في أبياتِها
قد قلتُ للزمن المضر بأهله ومغيّر الساداتِ عن عاداتِها
إنْ كان عندك يا زمانُ بقيةٌ ممّا تهينُ به الكرامُ فهاتِها
يا للرّجالِ لوقعةٍ ما مثلها أذكت بقلبِ المصطفى جذواتِها
يا للرّجالِ لعصبةٍ علويةٍ تبعتْ أميةً بعد فقدِ حُماتِها
من مخبرُ الزهراءِ أنَّ حسينَها طعمُ الرّدى والعزّ من ساداتها
أتُرى درتْ أنّ الحسينَ على الثّرى بين الورى عارٍ على تلعاتها
ورؤوسُ ابناها على سمرِ القنا وبناتُها تُهدى إلى شاماتها
يا فاطم الزهراءَ قومي واندبي أسراك في أشراكِ ذلّ عُداتها
يا عينُ جودي بالبُكاء وساعدي ستَّ البناتِ على مُصابِ بناتِها
نفسٌ تذوبُ وحسرةٌ لا تنقضي وجوى عراماً مدّ في سنواتها
هذي المصائبُ لا يُداوى جرحُها إلاّ بسكبِ الدمعِ من عبراتها
إنّي إذا هلَّ المحرمُ هاجَ لي حزناً يذيقُ النفسَ طعم مماتِها
يا يومَ عاشوراءَ كم لك لوعةٌ تتفتّتُ الأكبادُ من صدماتها
يا أمةً ضاعتْ حقوقُ نبيِّها وبنيه بين طُغاتِها وبُغاتِها
في أيِّ دينٍ أميّةٌ قد حلّلتْ لكمُ دماءَ من ذوي قرباتها
زعمت بأنّ الدين حلّلَ قتلها أو ليس هذا الدينُ من أبياتها
ضربتْ بسيفِ محمدٍ أبناءه ورأتْ له الأغمادَ من هاماتها
شادتْ أميةُ بالدلامِ وحبترٍ قد أسّسوا من سالفاتِ هناتِها
فعلى الدلامِ وحبترٍ وأميةٍ أضعافُ ما للهِ من لعناتِها

ومتى إمامُ العصرِ يظهرُ في الورى يُحيي الشريعةَ بعد طولِ مماتها
ومتى نرى الراياتِ تُشرقُ نورها وكتائبُ الأملاك في خدماتها
يا سعد حظّي في الورى إن ساعد التّوفيقُ في نصري لدينِ هداتها
لأريَ العِدى طعم الرّدى بصوارمٍ ولأمرينّ الأرض من هاماتها
يا ربّ عجّل نصره وانصرْ بهِ أشياعه اللُّهفا وخذْ ثاراتها
يا سادةً قرنتْ سجايا جودها لوجودها فالنجحُ من عاداتها
واليتُكم وبرئتُ من أعدائكم أبغي بذاك الفوز في درجاتها
ما لابنِ أحمد يوسفٍ لذنوبِه إلاّكمُ يرجوه في شدّاتها
وإليكمُ أهدي عروساً غادةً في الحسنِ قد فاقت على غاداتِها
قد زفها والمهرُ حسنُ قبولكم يا سادتي والعفوُ عن زلاتها
وعلى النبيِّ وآلهِ صلواته ما غرّد القمريُّ في باناتِها

في تصغير يحيى وصرفه

من كتاب الفوائد النجفية: لشيخنا علامة الزمان وأعجوبة الدوران الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني قدس الله سره:

فائدة: سئلت قديماً عن لغز الشيخ ابن الحاجب وهو هذا: **[البحر الرمل]**

أيّها العالمُ بالتصريفِ لا زلت تحيا
قالَ قومٌ إن يخيى أن يصغر فيحيى
فأبى قومٌ وقالوا ليس هذا الرأيُ حيّا
إنّما كان صواباً لو أجابُوا بيحيا
كيف قد ردّوا تحيا والذي اختاروا يحيا
أتُراهم في ضلالٍ أم تُرى وجْهاً محيّى

فكتب في هذا الجواب ما هذا لفظه: لا بد من تقديم أمور يتوقف عليها توجيه هذا اللغز.

الأول: إن أهل العربية قد اختلفوا في وزن يحيى فقيل فعلاً وقيل يفعل، قيل والأول أرجح لأن فيه دعوى الزيادة حيث لا حاجة.

الثاني: إن الحرف التالي لياء التصغير حقه الكسر كالتالي لألف التكسير حملاً لعلامة التقليل على علامة التكسير حملاً للنقيض، وقد استثنى من ذلك صعد منها ما كان متلواً بألف التأنيث كحبلى فلا يكسر صوناً لها من الانقلاب.

الثالث: إنه إذا اجتمع في آخر المصغر ثلاث ياءات فإن كانت الياء زائدة وجب بالإجماع حذف الثانية منه لا منوية كغطاء إذا صغر تقول غطيبي بثلاث ياءات ياء التصغير والياء المنقلبة عن ألف المد والياء المنقلبة عن لام الكلمة فتحذف الثالثة ويوقع الإعراب على ما قبلها، وإن كان غير زائد قال أبو عمرو: لا تحذف لأن الاستثقال إنما كان متأكداً لكون اثنتين منها زائدتين، وقد ذكروا في نحو أخرى ويحيى أنه لما كانت تجتمع فيه ثلاث ياءات بسبب قلب العين ياء فبعد حذف الثالث اختلفوا في شأنه، فكان سيبويه يمنع صرفه لأنه وإن كان زال عن وزن الفعل لفظاً أو تقديراً أيضاً بسبب حذف اللام نسياً لكن الهمزة ترشد إليه كما منع صرف يعد ودي اتفاقاً وإن نقص عن وزن الفعل بحذف الفاء والعين وجوباً، وكان عيسى بن عمر ويصرفه نظراً إلى نقصان الكلمة عن وزن الفعل نقصاناً لازماً وفيه ما لا يخفى، وكان أبو عمرو بن العلى لا يحذف الثالثة نسياً بل إنما يحذفها مع التنوين كما حذف ياء قاض.

إذا تقرر هذا فنقول: من قال إن يحيى فعلاً قال في تصغيره يحيى كما تقول في تصغير حبلى حبيلى وعلى هذا يتنزل قول الناظم: [البحر الرمل المجزوء]

إنَّما كانَ صواباً لو أجابُوا بيحيى

وذلك لأنه استعمله مجروراً ففتحه لمنع صرفه، ثم أشبع الفتحة فصارت ألفاً للقافية وبه كمل ما أراد من الألغاز حيث صار في اللفظ على الصورة الأولى التي ذكرها الأولون، والفرق بينهما ما ذكرناه من أن الألف في الصورة الأولى للتأنيث وفي الصورة الثانية للإشباع، فالألف الأولى من تمام الكلمة وبها يحصل الجواب والألف الثانية من عند الناظم بعد تمام الكلمة.

ما كتبه الثوري عن الإمام الصادق عليه السلام

روى: ثقة الإسلام في الكافي عن محمد بن الحسن عن بعض أصحابنا عن علي بن الحكم بن مسكين عن رجل من قريش من أهل مكة قال: قال سفيان الثوري: اذهب بنا إلى جعفر بن محمد عليه السلام فذهبت معه إليه فوجدناه وقد ركب دابته فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف قال: دعني حتى أذهب في حاجتي فإني قد ركبت فإذا جئت حدثتك. فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لما حدثتني قال: فنزل له فقال له سفيان: مر بدواة وقرطاس حتى أثبته، فدعا به ثم قال اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف: نظر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم تبلغه.

أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىءٍ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم. فإن دعوتهم محيطة من ورائهم والمؤمنون إخوة تكافىء دمائهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم.

فكتبه سفيان ثم عرضه وركب أبو عبد الله عليه السلام وجئت أنا وسفيان فلما صرنا في بعض الطريق قال لي: كما أنت، ثم نظر في الحديث وقلت له: قد والله ألزم عبد الله عليه السلام رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك أبداً فقال: وأي شيء ذلك؟

فقلت: ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله قد عرفنا والنصيحة لأئمة المسلمين من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وكل من لا تجوز شهادته عندنا ولا تجوز الصلاة خلفهم، وقوله: «واللزوم لجماعتهم» فأي الجماعة: مرجيء يقول من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل من جنابة وهدم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبرائيل وميكائيل، وقدري يقول لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس، أو حروري يبرأ من علي بن أبي طالب ويشهد عليه بالكفر، أوجهني يقول إنما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان بشيء غيرها؟

فقال: ويحك أي شيء يقولون؟

فقلت: يقولون إن علياً بن أبي طالب عليه السلام والله الإمام الذي يجب نصيحته ولزوم جماعتهم أهل بيته. قال: فأخذ الكتاب فخرقه ثم قال: لا تخبر بها أحد.

وفي هذا الخبر ما يكشف عن معنى المرجيء والقدري والجهني والحروري.

قصة الطفيلي الداخل بين الزنادقة وإبراهيم بن المهدي

ذكر ثمامة بن أشرس: قال: بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب إلى قول ماني بالنور والظلمة من أهل البصرة، فأمر بحملهم إليه بعد أن سموا إليه واحداً بعد واحد، فلما جمعوا نظر إليهم طفيلي فقال: ما اجتمع هؤلاء إلا الصنيع، فدخل في وسطهم ومضى معهم وهو لا يعلم بشأنهم حتى صار بهم الموكلون إلى السفينة فما كان بأسرع من أن جيء بالقيود فقيد القوم والطفيلي معهم فقال الطفيلي: بلغ أمر تطفيلي إلى القيود، ثم أقبل على الشيوخ فقال: فديتكم ايش أنتم؟

قالوا: بلى من أنت وايش أنت ومن إخواننا أنت؟

قال: والله ما أدري ما أنتم غير أني رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم من منزلي فلقيتكم فرأيت منظراً جميلاً وعوارض حسنة ونعمة ظاهرة فقلت شيوخ وكهول وشبان جمعوا لوليمة فدخلت في وسطكم وحاذيت بعضكم كأني في جملة أحدكم فصرتم إلى هذا الزرق فرأيت قد فرش بهذه الفرش ورأيت سفرة مملوءة وجوفاً وسلالاً فقلت نزهة بمضمون إليها إلى بعض القصور والبساتين إن هذا اليوم مبارك، فابتهجت سروراً إذ جاء الموكل بكم وقيدكم وقيدني معكم فورد على ما قد زال عقلي، فأخبروني ما الخبر؟

فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به سروراً ثم قالوا له: الآن قد حصلت في الإحصاء وثقلت في الحديد وأما نحن فيمانية غمز بنا إلى المأمون وسندخل عليه ويسائلنا عن أحوالنا ويكشف عن مذهبنا ويدعونا إلى التوبة والرجوع عنه وامتحاننا بضروب من المحن منها إظهار صورة ماني لنا ويأمرنا أن نتفل عليها ونتبرأ منها ويأمرنا بذبح طائرها وهو التدرج فمن أجابه إلى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل، فإذا ادعيت وامتحنت فأخبر عن نفسك باعتقادك على حسب ما توديك الدلالة إلى القول به.

فلما وصلوا إلى بغداد وأدخلوا على المأمون وجعل يدعوهم بأسمائهم رجلاً رجلاً فيسأله عن مذهبه فيخبره بالإسلام فيمتحنه ويدعوه إلى البراءة من ماني ويظهر له صورته ويأمره بالتفل عليها والبراءة منها فيأبون فيمر بهم على السيف، حتى فرغ من العشرة وبلغوا إلى الطفيلي وقد استوعبوا عدد القوم فقال المأمون للموكلين: من هذا؟

قالوا: والله ما ندري غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به. فقال المأمون: ما خبرك؟

قال: يا أمير المؤمنين امرأته طالق إن كان يعرف من أقوالهم شيئاً وإنما أنا رجل طفيلي، وقص عليه القصة من أولها إلى آخرها فضحك المأمون ثم أظهرت له الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال: أعطنيها حتى أسلح عليها والله ما أدري ما ماني يهودياً كان أو نصرانياً أو مسلماً، فقال المأمون يؤدب على فرط تطفيله ومخاطرته بنفسه.

وكان إبراهيم بن المهدي قائماً بين يدي المأمون فقال: يا أمير المؤمنين هب لي ذنبه وأحدثك بحديث عجيب في التطفيل قال: قل يا إبراهيم قال: يا أمير المؤمنين خرجت يوماً فمررت في سكك بغداد متطرقاً حتى انتهيت إلى موضع سماه فشممت رائحة أبا زير من جناح في دار عالية وقدور قد فاح قتارها فتاقت نفسي إليها فوقفت على خياط فقلت: لمن هذا الدار؟

فقال لرجل من التجار البزازين. قلت: فما اسمه؟

قال: فلان ابن فلان، فرفعت طرفي إلى الجناح فإذا فيه شباك فنظرت إلى كف قد خرجت من الشباك ومعصم ما رأيت مثله قط فشغلني يا أمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور فبقيت مهموماً قد ذهب عقلي.

ثم قلت للخياط: هو ممن يشرب النبيذ؟

قال: نعم واحسب أن عنده اليوم دعوة لا ينادم إلا تجاراً مثله مستورين، فإني كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لي الخياط: هذان منادماه. فقلت: ما اسمهما وما كناهما؟

فقال: فلان وفلان، فحركت دابتي حتى دخلت بينهما وقلت: جعلت فداكما قد استبطأكما فلان أعزه الله، وسايرتهما حتى انتهينا إلى الباب فقدماني فدخلت ودخلا، فلما رآني صاحب المنزل لم يشك إلا أني منهما بسبيل، فرحب بي وأجلسني في أجل موضع فجيء يا أمير

المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف وآتانا بتلك الألوان فكان طعمها أطيب من رائحتها، فقلت في نفسي هذه الألوان قد أكلتها وبقي الكف والمعصم، ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا ثم سرنا إلى مجلس المنادمة فإذا أنبل مجلس وأجل فرش وجعل صاحب المنزل يلطف بي ويقبل علي بالحديث والرجلان لا يشكان أني منه بسبيل، وإنما كان ذلك الفعل منه في لما ظن أني منهما بسبيل، حتى إذا شربنا أقداحاً خرجت علينا جارية تتثنى كأنها جان فأقبلت وسلمت غير خجلة وثنيت لها وسادة وأتي بعود فوضع في حجرها فحسبته فتبينت الحذق في حسبها ثم اندفعت تغني: [البحر الطول]

تـوهّـمـه طـرفـي فـألـم خـدّه ... فصارَ مكانَ الوهمِ من ناظري أثرُ
وصـافـحَـه كـفّـي فـآلـم كـفَّـه ... فمن لمس كفّي في أناملِه عقرُ
ومرّ بـفـكْـري خاطِراً فـجرحـتُـه ... ولـم أر شيئاً قطُّ يجرحُه الفكرُ

فهيجت عليّ يا أمير المؤمنين بلا بلي وطربت لحسن غنائها وحذقها ثم اندفعت تغني:

[البحر الطويل]

أشرتُ إليها هل علمت مودّتي ... فردّت بطرفِ العينِ أنّي على العهدِ
فحدتُ عن الاظهارِ عمداً لسرِّها ... وحادت على الاظهارِ أيضاً على عمدِ

فجاءني من الطرب ما لم أملك معه النفس والضمير، ثم اندفعت تغني بهذه:

[البحر الطويل]

أليسَ عـجيباً أنَّ بيتاً يـضُمُّنا ... وإيّـاك لا تـخـلُـو ولا نـتـكـلّـمُ
سوى أعينٍ تشكُو الهوى بجفونِنا ... وترجعُ أحشاءٌ على النارِ تضرمُ
إشـارةُ أفـواهٍ وغـمـزُ حـواجـبٍ ... وتـكـسيرُ أجفانٍ وقلبٌ مسلّمُ

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء وإصابتها معنى الشعر وأنها لم تخرج من الفن الذي ابتدأت به، فقلت: بقي عليك يا جارية شيء، فغضبت وضربت بعودها الأرض وقالت: متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء، فندمت على ما كان مني ورأيت القوم قد تغيروا عليّ، فقلت: أليس ثم عود؟

قالوا: بلى يا سيدنا، فأتيت بعود فأصلحت من شأني واندفعت أغني: [البحر الكامل]

ما لـلـمـنازلِ لا يُـجبنَ حزيناً ... أصُـمْـمنَ أم بُعدُ المدى فبَلينا
راحُـوا الـعـشيـةَ روحةً مذكـورةً ... إن متنَ متنَ وإن حيين حيينا

فما أسمعته جيداً حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلي تقبلهما وهي تقول: المعذرة والله إليك يا سيدي ما سمعت من يغني هذا الصوت مثلك، وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها وطربوا واستحثوا الشراب فشربوا بالكاسات ثم اندفعت أغني شعراً: [البحر الطويل]

أبا للهِ هل مُمتسين لا تذكرينني وقد سجمتْ عيناي من ذكركِ الدّما
إلى اللهِ أشكُو بخلها وسماحتي لها عسلٌ منّي وتبدلُ علقَما
فردَى مصابِ القلبِ أنتِ قتلته ولا تتركيه ذاهل العقلِ مغرما
إلى اللهِ أشكُو إنّها أجنبيةٌ وأنّي لها بالودِّ ما عشتُ مكرما

فجاء من طرب القوم يا أمير المؤمنين ما خشيت أن يخرجوا من عقولهم فأمسكت ساعة حتى إذا هدأ القوم اندفعت أغني الثالث: [البحر البسيط التام]

هذا محبُّكِ مطويٌّ على كمدهْ صبٌّ مدامعُه تجري على جسدِهْ
له يدٌ تسألُ الرحمنَ راحته ممّا به ويدٌ أُخرى على كبدِهِ
يا منْ رأى كلفاً مستهيَراً أسفاً كانت منيّتُه في قبضه ويدِهْ

فجعلت الجارية يا أمير المؤمنين تصيح: السلام هذا والله الغناء يا مولاي وسكر القوم وخرجوا من عقولهم وكان صاحب المنزل جيد الشراب ونديماه دونه، فأمر غلمانه مع غلمانهم يحفظونهم وصرفهم إلى منازلهم، وخلوت معه وشربنا أقداحاً ثم قال: يا سيدي ذهب والله ما خلا من أيامي إذا كنت لا أعرفك من أنت يا مولاي؟

فلم يزل يلح عليّ حتى أخبرته فقبل رأسي وقال: يا سيدي وأنا أعجب وأنى يكون هذا الأدب إلا لمثلك، وسألني عن قصتي وكيف حملت نفسي على ما فعلته، فأخبرته خبر الطعام والكف والمعصم فقال: يا فلانة لجارية له قولي لفلانة تنزل محفل ينزل إلي جواريه جارية فانظر إلى كفها فأقول: ليس هي حتى قال: والله ما بقي غير أمي وأختي لأنزلهما إليك، فعجبت من كرمه وسعة صدره وقلت له: جعلت فداك ابدأ بالأخت قبل الأم فعسى أن تكون صاحبي فقال: صدقت ففعل فلما رأيت كفها ومعصمها قلت: هي جعلت فداك فأمر غلمانه من فوره فصاروا من فورهم إلى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فأحضروا وجيء ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ثم قال: هذه أختي فلانة وأنا أشهدكم أني قد زوجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي ومهرتها عنه عشرة آلاف درهم، فرضيت وقبلت النكاح ودفعت إليهما البدرة الواحدة وفرقت الأخرى على المشايخ وقال لهم: اعذروا فهذا الذي حضر في هذا الوقت، فقبضوها وانصرفوا فقال لي: يا سيدي أمهد لك بعض البيوت فتنام مع أهلك، فاحشمني والله يا أمير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره فقلت: بل أحضر عمارية وأحملها إلى منزلي، فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حل إلي من الجهاز ما ضاق عنه بعض بيوتي فتعجب المأمون من كرم هذا الرجل وسعة صدره وأطلق الطفيلي وأجازهم جائزة سنية وأمر إبراهيم بإحضار ذلك الرجل فصار بعد من خواص المأمون وأمر دونه ولم يزل معه على أفضل الأحوال السارة في المنادمة وغيرها.

الفرق بين المجتهدين والأخباريين

فائدة جليلة وجوهرة نبيلة: قد كثر السؤال في كلام الطلبة عن الفرق بين المجتهد والأخباري وأكثر المسؤولون من وجوه الفروق بينها حتى أنهانا شيخنا المحدث الصالح الشيخ عبد الله بن صالح البحراني قدس الله سره في كتاب منية الممارسين في أجوبة الشيخ يَس إلى نيف وأربعين، وقد كنت في أول الأمر ممن ينتظم لمذهب الأخباريين وقد أكثرنا البحث فيه مع بعض علمائنا المجتهدين رحمهم الله وأورد عنا كتابنا الموسوم (بالمسائل الشيرازية) جملة وافرة من الأبحاث الشافية في مقالة مبسوطة تؤيد ما اخترناه وتدل على ما ادعيناه إلا أن الذي ظهر لنا بعد إعطاء التأمل حقه في المقام وإمعان النظر في كلام علمائنا الأعلام هو الإغماض عن هذا الباب وإرخاء الستر دونه والحجاب وإن كان قد فتحه أقوام وأوسعوا فيه دائرة النقض والإبرام:

أما أولاً: فلاستلزامه القدح في علماء الطرفين والأرزاء بفضلاء الجانبين كما قد طعن به من كل علماء الفريقين على الآخر، بل ربما انجر إلى القدح في الدين سيما من الخصوم المعاندين، كما شنع به عليهم الشيعة من انقسام مذهبهم إلى المذاهب الأربعة وشنع كل منهم على الآخر.

وأما ثانياً: فلأن ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جله بل كله عند التأمل لا يثمر فرقاً في المقام، فإن من أظهر ما اعتمدوه فرقاً في المقام هو كون الأدلة عند المجتهدين أربعة: الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل الذي هو عبارة عن البراءة الأصلية والاستصحاب خاصة، وأما عند الأخباريين فالأولان منها، وفي هذا أوجه نظر فإن الإجماع وإن ذكره الأصحاب في الكتب الأصولية واستسلفوه في الكتب الفروعية إلا أنك تراهم في مقام التحقيق يناقشون في ثبوته وحصوله وينازعون في تحققه وعدم وجود مدلوله حتى يضمحل أثره بالكلية كما لا يخفى على من تصفح الكتب الاستدلالية كالمسالك والمدارك والمعتبر ونحوها.

وأما دليل العقل فالخلاف في حجيته بين المجتهدين مصرح به في غير موضع والمحققون منهم على منعه، وقد فصل المحقق قدس سره في كتاب المعتبر والمحقق الشيخ حسن في كتاب المعالم وغيرهما في غيرهما الكلام في البراءة الأصلية والاستصحاب على وجه يرفع تمسك الخصم به في هذا الباب فليراجع ذلك من أحب الوقوف عليه. وقد أوضحنا ذلك أيضاً في كتاب المسائل الشيرازية بما لا مزيد عليه.

ومن الفروق التي ذكروها أن الأشياء عند الأخباريين إما حلال بين أو حرام بين أو شبهة وعند المجتهدين ليس إلا الأولان خاصة، ومنشأ ذلك العمل بالبراءة الأصلية وعدمه. وفي هذا الوجه أيضاً أن الشيخ في العدة وقبله الشيخ المفيد قائل بالتثليث كما هو المنسوب إلى الأخباريين مع أنهما من أساطين المجتهدين، وكلام الصدوق في كتاب الاعتقادات ظاهر في التثنية حيث قال:

باب الاعتقاد: في الحضر والإباحة. قال الشيخ رضي الله عنه: اعتقادنا في ذلك أن الأشياء

كلها مطلقة حتى يرد في شيء منها نهي انتهى. وهو مضمون الخبر المروي عنهم عليهم السلام من قولهم: «كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهي» فالأشياء عنده إما حلال أو حرام كما عليه المجتهدون مع أن الصدوق رئيس الأخباريين، إلى غير ذلك من المواضع التي يطول بنقلها الكلام.

وأما ثالثاً: فلأن العصر الأول كان مملوءاً من المحدثين والأصوليين مع أنه لم يرتفع صيت هذا الخلاف ولم يطعن أحد منهم على الآخر بالاتصاف بهذه الأوصاف، وإن ناقش بعضهم بعضاً في جزئيات المسائل واختلفوا في تطبيق تلك الدلائل فالأولى والأليق بذوي الإيمان والأحرى والأنسب في هذا الشأن أن يقال: إن عمل الفرقة المحقة «أيدهم الله بالنصر والتمكين» إنما هو على مذهب أئمتهم فإن جلالة شأنهم وسطوع برهانهم وورعهم وتقواهم المشهور بل المتواتر على ممر الدهور يمنعهم عن الخروج من تلك الجادة القويمة والصراط المستقيم، ولكن ربما حاد بعضهم عن الطريق غفلة أو توهماً أو لقصور إطلاع أو قصور فهمهم أو نحو ذلك في بعض المسائل. أو في بعض تلك الدلائل فهو لا يوجب تشنيعاً ولا قدماً، وكل من تلك المسائل التي جعلوها مناط الفرق من هذا القبيل كما لا يخفى على من خاض بحار التحصيل.

وإنا نرى كلاً من المجتهدين والأخباريين يختلفون في آحاد المسائل بل ربما خالف أحدهم نفسه مع أنه لا يوجب تشنيعاً ولا قدحاً، وقد ذهب رئيس الأخباريين الصدوق رحمه الله إلى مذاهب غريبة لم يوافقه عليها مجتهد ولا إخباري، مع أنه لم يقدح ذلك في علمه وفضله ولم يرتفع صيت هذا الخلاف ولا وقوع هذا الاختلاف إلا من صاحب الفوائد المدنية سامحه الله تعالى برحمته المرضية. وبالجملة فالأحسن والأليق في الدين هو حسم هذه المادة وركوب ما ذكرنا من الجادة.

في مدح الشيعة

روضة الكليني: حدثنا ابن محبوب عن أبي يحيى كوكب الدم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن حواري عيسى كانوا شيعة، وإن شيعتنا كانوا حوارينا، وما كان حواري عيسى عليه السلام بأطوع من حوارينا لنا، وإنما قال عيسى عليه السلام للحواريين: (من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) فلا والله ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه، وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله ينصروننا ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذبون ويشردون في البلدان جزاهم الله عنا خيراً.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لو ضربت خيشوم محبينا بالسيف ما أبغضونا، والله لو أدنيت إلى مبغضينا وحثوت لهم من المال ما أحبونا.

ومنها: أيضاً محمد بن أحمد بن فضال عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾(١) قلت: هكذا؟ قال: هكذا نقرأها وهكذا تنزيلها.

ومنها: أيضاً محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن صفوان عن ذريح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما خرجت قريش إلى بدر وأخرجوا بني عبد المطلب معهم خرج طالب بن أبي طالب فنزل رجازهم وهم يرتجزون ونزل طالب بن أبي طالب يرتجز ويقول:

[البحر الرجز المجزوء]

يا ربّ أما تقرّرن بطالبِ ... في منقبٍ من هذه المناقبِ
بجعلِه المسلوب غير السّالبِ ... وجعلِه المغلوبَ غيرَ الغالبِ

وقالت: قريش إن هذا ليغلبنا فردوه. وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان أسلم.

ومنها: سهل بن زياد عن بكر بن صالح عن محمد بن سنان عن معاوية بن وهب قال: تمثل أبو عبد الله عليه السلام ببيت شعر لابن عقبة: [البحر الطويل]

وينحرُ بالزّوراءِ منهم لدى ضُحىً ... ثمانُون ألفاً مثلما تُنحرُ البدنُ

ورُوي غيره «البزل» ثم قال لي: تعرف الزوراء؟ قال قلت: جعلت فداك يقولون إنها بغداد. قال: لا ثم قال: دخلت الري؟ قلت: نعم. قال: أتيت سوق الدواب؟ قلت: نعم. قال: رأيت الجبل الأسود عن يمين الطريق، تلك الزوراء يقتل فيها ثمانون ألفاً منهم ثمانون رجلاً من ولد فلان كلهم يصلح للخلافة. قلت: من يقتلهم جعلت فداك؟ قال: يقتلهم أولاد الأعاجم.

ومنها: محمد بن يحيى بن المبارك بن عبد الله بن جبلة عن إسحاق بن عمار أو غيره قال: قال أبو عبد الله عليه السلام نحن بنو هاشم وشيعتنا العرب وسائر الناس الأعراب.

سهل عن الحسن بن محبوب عن حنان عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن قريش وشيعتنا العرب وسائر الناس علوج.

ومنها: علي بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا، وما عليك إلا شنى عليك الناس، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إن كنت محموداً عند الله تبارك وتعالي، أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين يزداد فيها كل يوم إحساناً: فرجل يتدارك منيته بالتوبة والى له والتوبة فوالله إن لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله عز وجل منه عملاً إلا بولايتنا أهل البيت، أو من عرف حقنا أو رجى الثواب بنا رضي بقوته نصف مد لكل يوم وما يستر به عورته وما أكن به رأسه، وهم مع ذلك والله خائفون وجلون أن لا يقبل منهم ودوا أنه حظهم من الدنيا، وكذلك وصفهم الله عز وجل حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾(٢) ما الذي أتوا به أتوا والله بالطاعة مع المحبة والولاية وهم في ذلك خائفون أن لا

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

يقبل منهم، وليس والله خوفهم خوف شك فيما هم فيه من إصابة الدين ولكنهم خافوا أن يكونوا مقصرين في محبتنا وطاعتنا. ثم قال: إن قدرت على أن لا تخرج من بيتك فافعل فإن عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتضيع ولا تداهن.

قال: نعم صومعة المسلم بيته كفّ فيه بصره ولسانه ونفسه وفرجه، إن من عرف نعمة الله بقلبه استوجب المزيد من الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن يظهر شكرها على لسانه، ومن ذهب يرى أن له على الآخر فضلاً فهو من المتكبرين فقلت: إن من يرى أن له عليه فضلاً بالعافية إذ رآه مرتكباً للمعاصي فقال: هيهات فلعله أن يكون قد غفر له ما أتى وأنت موقوف تحاسب أما تلوت قصة سحرة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم قال: كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه وكم من مستدرج يستر الله عليه وكم من مفتون بثناء الناس عليه؟

ثم قال: إني لأرجو النجاة لمن عرف حقنا من هذه الأمة إلا لأحد ثلاثة: صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلن. ثم تلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(١) ثم قال لي: يا حفص الحب أفضل من الخوف. ثم قال: والله ما أحب الله من أحب الدنيا ووالى غيرنا، ومن عرف حقنا وأحبنا فقد أحب الله تبارك وتعالى، فبكى رجل فقال: أتبكي لو أن أهل السماوات كلهم أجمعون اجتمعوا يتضرعون إلى الله تعالى أن ينجيك من النار ويدخلك الجنة لم يشفعوا فيك!

ثم قال: يا حفص كن ذنباً ولا تكن رأساً، يا حفص قال رسول الله ﷺ: «من خاف الله كل لسانه» ثم قال: بينا موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ مع بعض أصحابه إذ قام رجل فشق قميصه فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليه يا موسى قل له لا تشق قميصك ولكن اشرح لي عن قلبك. ثم قال له: مر موسى بن عمران على رجل من أصحابه وهو ساجد فانصرف من حاجته وهو ساجد على حاله فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لو كانت حاجتك بيدي لقضيتها لك، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبلته حتى يتحول عما أكره إلى ما أحب.

رسائل من المؤلف إلى بعض إخوانه

نبذة من المكاتبات: التي كتبتها فمن ذلك ما كتبته للإخوان لما سافروا إلى الهند سنة ألف ومائة وإحدى وأربعين من الهجرة المحمدية: [البحر الطويل]

أيا راكِباً يطوي الفيافي مُيمّماً إذا ما أتيتَ الهندَ قصْداً فخيِّما
وحطّ بجهنباد أرضٍ بها سرتْ بدر ومسرّاتي فأصبحتُ مُظلما
فها هو يعلمُ نورُها وضياؤُها لأقمارِ حسنٍ قد تجلّت من السّما

(١) سورة آل عمران، الآية، ٣١.

وها أنا في غيمِ الغيومِ مُقاسياً ... اليومٌ كلومٌ صرتُ منها مُكلما
وحطّ بوادي قدسِهم فخيامُهم ... هُناك به واخضعْ لديها وسلّما
وعفّرْ رعاكَ اللهُ خدّيْك عندها ... ففيها شفاءٌ للقلوبِ ملا الظّما
وقلْ لهم يا جيرة الحيِّ جرتمُ ... على مدنفٍ أضحى عليكم متيّما
سرتْ سحراً عنه جمالُ جمالكم ... وغنّى بها الحادي وسارَ ميمّما
وخلّفتمُ في قلبِهِ جمرة الجوى ... لفرطِ النّوى أضحت لهيباً مضرّما
حليفُ أسىً قد فارق الغمض جفنه ... مريضُ حشا يشكُو إلى بارىء السّما
ويدعُو بجمع الشّملِ من خالقِ الورى ... بإحسانه واللطفِ منه تكرّما
فيا حضرةَ الألفافِ لطفاً بمعشرٍ ... سقتْهم يدُ التّفريقِ صاباً وعلقما
ويا نفحة القدسِ اعطفي نحو جيرةٍ ... كستها قسيُّ الجور نبلاً وأسهُما
ويا طرسُ بلّغهمْ لئالي تحيّتي ... ودرَّ سلامي والثّناء منظّما
وصفْ لهمُ حالي وفرطَ تشوّقي ... فها هو وجدي ظاهرٌ لن يكتّما
وقلْ لهم منّي السلامُ عليكمُ ... فما غيرُه باللهِ أسطيعُ سلما

قد أوجب أن ماء المواجهة والمخاطبة التيمم بصعيد أرض الموات سلة والمكاتبة وحتم شرع القرآن على ذوي الاتفاق بخلع ملابس الحشور والاعتناق، فأبت تلك الأرواح الروحانية إلا التعلق بالمحبوب فعاقها دون نيل مرامها القدر الذي على جباهها مضروب، فرجعت إذ ذاك معترفة بالعجز عن نيل ذلك المطلوب مزمعة على الركوب مطية كل مكتوب، فقنعت بالوشل بعد شرابها علاً واستبدلت بخمرها خلاً وبمائها طلاً، فها هي تبدي من التسليمات ما قد خجل بنشره الروض الأنيق الرائق وأورى بعطر المسك الفتيق العابق، ومن الأثنية ثناء طرزت بأنامل الأرض بروده واقتطفت من أشجار الاختصاص وروده، ومن الأدعية دعاء نظمت في سلك الوفاء عقوده وأورق في سماء الإجابة عوده لبدور آفاق الكمال المشرفة في بروج العدالة والاعتدال، أجلت جلت نور هداها أبصار البصائر فنار بنورها مدلهمات حنادس الجهل وحوالك الدياجر المشايخ الأجلاء العظام والأعلام السامية على كل مقام، لا زالت سحائب الألطاف بواديهم الأقدس ماطرة وركائب التوفيقات لمحلهم الأنفس عامرة وأيامهم الغراء باسمة الثغور وأعلامهم النور مشرقة البدور.

مراسلة بليغة: ومن كتاب كتبه للعيال بعد خروجه من أوال وتقلب الدهر فيها وتراكم الأهوال: أما بعد حمد الله سبحانه على ما أبرمته أيدي الأقضية والأقدار وأتاحته تصاريف الأدوار والشكر له جل ثناؤه على السراء والضراء والشدة والرخاء وإن بعدت الدار وشط المرار، والصلاة على خير مبعوث من بني نزار وأشرف من عقد عليه النطاق وشد عليه الإزار، وآله الصائمين بأعباء رسالته في السر والإجهار.

فالغرض الداعي من إرسال جياد الأقلام في ميادين الأوراق والمطلب الكلي من إطلاق أعنتها في ميادين السباق هو بث أحاديث الوجد ونشر صحائف كسر والاشتياق وسورة مرارة الفراق التي لا تطاق وتلاوة مثاني التذكار الذي أقل الهجوع وقراءة زبور التزفار الذي أحرق الظلوم. [البحر الكامل]

قلبي لأجلِ فراقكم موجوعُ　　هل لي إلى ذاك الوصالِ رجوعُ
وحياتُكم من بعدِكم ما لذّلي　　عيشٌ وإني بالخيالِ قنوعُ
رقّوا لصبٍّ زيّنتْ أجفانُه　　ببكائِها طولَ المَدى ينبوعُ
كيف التصبّرُ والحشا قد ضمَّه　　ماءٌ ونارٌ والهَوى مجموعُ

وإني وحق العلي العظيم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم كلما جاش ذكركم في خاطري وتردد بين صدري وحناجري نغص عليَّ لذيذ طعامي وشرابي وترادف عليَّ همي واكتئابي وتصاعدت لذلك زفراتي وعلا نحيبي وتضاعفت حسراتي وهجرني قراباتي. [البحر الطويل]

تباعدتمُ لا أبعدَ اللهُ داركم　　وأوحشتمُ لا أوحشَ اللهُ منكمُ
تباعدتمُ عن ناظِري وسكنتمُ　　ضميري وحلّيتم به وأقمتمُ
فلا عينَ إلا مثلُ عيني قريحةٌ　　ولا قلبَ إلا مثلُ قلبي متيّمُ

وها أنا وحقكم حليف الوجد والأسى مشطر الجسم بين لعل وعسى، قد ترادفت علي لعظم الهموم والأمراض وتناوشتني لما أنا فيه يد الأمراض حتى صرت في ذلك مدة دنيف الفساد قلق الفؤاد عديم الرقاد، ولقد أشغل نار الهم والتزفار وأشغل الفكر وأطال التذكار ذكر الأولاد وما هم فيه من التضور والانكسار والتضرر الذي لا يرجى له انجبار إلا بتوفيق من بيده أزمة الأمور والأقضية والأقدار لجمع الشمل بهم في تلك الديار. [البحر الطويل]

أحبَّتنَا الغادون لاشتَّ شملُكم　　ولا ذقتمُ من لوعةِ البينِ ما عنْدي
تحمّلتمُ لي كلكمْ شوق واحدٍ　　وحمّلتموني شوقَ أجمعكم وحْدي

فيا ليت عين الدهر الذي رمانا بالشتات والفراق وسقانا علقم البعد المر المذاق وجرعنا كؤوس البين بعد الالتئام والنأي بعد الاجتماع والانتظام أن يغلب علينا النوم عن نظرنا والوسن أو يرميها الله بالعمى فيما بقي من الزمن، فتهب علينا عند ذلك نفحة من الجناب الأقدس السبحاني وتمر بنا لمحة من لمحات وجوده الصمداني وتعيد علينا تلك اللوتلات الأنيسة وتجود لدينا بتلك الأيام النفيسة وتمن بالقرب والتلاق فقد ضاق بجنود الهموم الخناق وبلغت الروح منها إلى التراق: [البحر الطويل]

رعى اللهُ أيّامي بكمْ يا أحبّتي　　وحيّا زماناً كنتمُ فيه جيرتي
لقد كان لي بالقربِ منكم بقيةٌ　　وحلتمْ فأفنى البعدُ منّي بقيّتي
أنوحُ على ما فاتني من وصالِكم　　وتجري عليكم بالمدامعِ عبْرتي

ثم إن أحببتم الوقوف والإطلاع على بعض ما جرى لنا في هذه البقاع وما لقينا في هذه الأصقاع: فإنا قد بقينا مدة من الزمان وجلسنا برهة من الأوان في محلة يقال لها (بيميد) قوم قلوبهم أقسى من الحديد وريح طباعهم أنتن من الحديد، لا يأوون فيها غريباً لغربته ولا يعطفون على ملهوف لتنفيس كربته، يضنون برد السلام خوفاً من الطمع لما لديهم من الطعام، فكأنما عناهم من قال: [البحر البسيط التام]

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافَ كلبهمُ قالوا لأمّهمُ بُولي على النّارِ
فضيّقتْ فرجها شحّاً ببولتِها ولا تـبـدّدُهـا إلاّ بـمِـقـدارِ

حتى هجرنا بسبب جلوسنا فيها الحميم والصديق وفرّ عنا لذلك الخليل والرفيق، حيث إن صحبتهم لنا ليست إلا لقصد الطمع والتحصيل، فلما لم يجدوا إلى ذلك من سبيل بعض خفية وبعض جهاراً وألبسونا بين الناس ذلاً وعاراً وخزياً وشناراً. وإلى الله المشتكى من زمان تهجر فيه الإخوان وتفر فيه الخلان. نسأل الله تعالى بكرم منه أن يختم الأمور بما تنشرح له الصدور ويزول به المحذور في الورود والصدور. والسلام عليكم كلما اشتاق الفؤاد إليكم.

ومن كتاب: كتبته لبعض الخلان الأجلاء ما لروض الأنيق المتفتحة فيه أزهار العرار والشقيق ولا السلاف العتيف المقتول بمختوم أريج الرحيق بأزهر ولا أحلى ولا ألذ ولا أشهى من تسليمات يتفجر من خلالها عيون الإخلاص وتحيات يتضوع من نشرها أريج الاختصاص ودعوات جمعت شرائط الإجابة وقرنت بالقبول والاستجابة للجناب العالي الذي جر على ظهره المجرة أذياله وحسدته الثوابت أن تنال مناله، والمقام السامي الذي هو ملاذ الأرباب والأكابر وكعبة أرباب المكارم والمفاخر المرتقى ذروة الحكم النظرية والعملية والممتطي صهوة السعادة الدينية والدنيوية مجمع بحر العلوم والأعمال ومنبع زلال الفضل والإفضال نور حدقة الأيالة والرئاسة والإقبال ونور حديقة البسالة والسياسة والإجلال، البحر الزاخر والدر الفاخر والبدر الزاهر في سماء المفاخر، البدر المضيء والكوكب الدري والمورد الروي، حرس الله تعالى شمس كماله عن الكسوف وصان بدر جماله عن الخسوف ولا برحت تلك الحضرة القدسية حرماً آمناً يجبى ثمرات كل شيء إليه وحصناً حصيناً لكل من لاذ به واعتمد عليه.

أما بعد: فمن الغني عن البيان والمكتفي بالضرورة عن البرهان وقوف المحب الإخلاصي على عهد الوداد وثبات المخلص الحقيقي على منهاج الاتحاد والقيام بالمقدور من مطوي نشر الثناء والميسور من بسط كف الابتهال والرجاء، وكذلك جملة من معنا من الأخلاء الأجلاء. الأعلام العلماء ما حالوا عن سنة المحبة القديمة ولا مالوا عن طريقة المودة المستقيمة، ولا يزالون مستنشقين أخبار تلك الذات مستغرقين في الدعاء باعتدال تلك الأوقات.

ومن كتاب آخر: أبهى ما نشرته أيدي الأقلام في طي مصحف والرسائل وأولى ما نطقت به الألسن فتضوع في أرجاء أوقات الفضائل عرائس تسليمات تتأرج الأرجاء بشذاها وتتألق آفاق

السماء بسماها، وخرائد دعوات تعجز الأوهام عن نظمها في سمط التحرير وتقصر الأفهام عن وصفها في كليات الحصر والتقرير، وصوافي أثنية تزري لطافة النسيم وتنسي حلاوة ماء التسنيم لعالي جناب خريدة الأفاضل الأعلام وبيت قصيد الأماثل الكرام، قناص أو أبد الدقائق بفطنته الوقادة ورباط شوارد اللطائف البصيرية النفادة قاطع البراهين والدلائل وفاتح معلقات المسائل. أدام الله تعالى وداده وثبت قواعد إخلاصه واتحاده وأسبل عليه شآبيب إسعافه وإمداده ورفع رايات جده واجتهاده.

وبعد: فالاشتياق إلى ذي الحضرة البهية والطلعة المضية لاطمس الدهر لها من صفحات الوجود اسماً مما لا يحصر سلسلة آحاده ولا ينطبق برهان التطبيق على مراتب أعداده، فالواجب ضرب الصفح عن هذا الباب وترك التغلغل بهذه الشعاب، والابتهال إلى الله تعالى، بأن يكسر سورة الاشتياق بسلسبيل التلاق، وإن يمد أشعة تلك الطلعة الشروقية في أسعد قران، ويجعله مناراً يهدي به الساري وبرهاناً لطالب البرهان وشمساً طالعة في آفاق المعالي ومجلياً في مضمر الفضل والبيان.

كتاب آخر: ما الرياض الممطورة بسطت الرفوف والعبقري الحسان قد تفتحت أنوارها بأنوار الدر والعقيان وقامت أزهار على زبرجد القضبان مائسة في حل الأوراق متماثلة التقبيل والاعتناق وتغنت أطيارها بضروب النغمات والألحان وتجاوبت عندليبها وهزارها على بواسق الأفنان بأجلب المسرات والأفراح وأطيب عند النفوس والأرواح من سلام ربطت بأكيد المحبة والأخوة أطنابه وضربت بين رياض الألفة والمروة قبابه ودعاء تألقت في سماء الاستجابة أنواره وثناء أخذت في عالم الأرواح عهوده واقتفت من أشجاره الاتحاد وروده لمن امتطى مطي الفضل والكمال وصعد ذري المجد التي تقاصر عنها أعاظم الرجال محقق حقائق الآمال ومقتنص شوارد الأفضال مولانا المهذب الصفي المرتقي من العليا أعلى مكان علي، لا زالت شموس فضله من آفاق العيان مشرقة وعرائس جوده في حقائق البيان مورقة وغرائس وجوده في أنواع الخيرات مغدقة - أمين أمين لا أرضى بواحدة. أما بعد.

ومما كتبته: للعلامة المحقق ذي الفضل البديع أخوند ملا محمد رفيع المجاور في المشهد المقدس الرضوي حياً وميتاً تغمده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه طالباً منه الجواب عن بعض المسائل المغلقات: بعد الحمد لله تعالى على سوانح آلائه الغامرة والشكر له جل ثناؤه على ترادف نعمائه الفاخرة، والصلاة على من هو علة الوجود في الدنيا والآخرة وآله الأعلام الزاهرة فيقول العبد الفقير الجاني والقن الأسير العاني تراب أقدام العلماء العاملين وخادم أبواب الفضلاء الصالحين يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني ملكه الله نواصي الأماني وذلل له شواس المعاني:

إني طال ما اختلج في خاطري بعض المسائل الدينية المشكلة علي ودار في خلدي شيء من

الأحكام اليقينية المعضلة لدي، ولم أجد من ألجأ إليه في تحقيق الحق فيها والصواب ولا من اعتمد عليه في تمييز القشر منها عن اللباب، حتى بقيت مدة من الزمان في زاوية الخمول ونسجت عليها عناكب النسيان والذهول، فلما تداولتني في هذا الزمن أيدي الحل والترحال وترامت بي عن الوطن حوادث الأيام والليال أعظم ما جرى علي في تلك البلاد بل على جملة من فيها العلماء الأمجاد والكبراء من ذوي الفضل والسداد على أيدي ذوي النصب والفساد الشاربين بكأس الكفر والإلحاد حتى خرقوا شملهم في أقاصي البلدان ومزقوا جمعهم بحسام الجور والطغيان بعد أن جرعوهم غصص المصائب والعدوان وأذاقوهم كؤوس النوائب والخذلان، وكنت ممن رمته أيدي تلك المصائب الشنعاء في دار الأمان وقذفته منجنيقات تلك الحوادث الشوهاء في هذا المكان المعمور بالإخوان والخلان، فإذا مناد في هذه الديار قد هتف! الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف أين أنت عن تلك المسائل المخزونة وهلا استخرجت من تلك الدرر المؤونة، فها أنت قد جللت بحلال مشكلاتها الذي عليه المعول ونزلت بمزيل معضلاتها الذي ليس عنه محول، بحر العلوم الذي لا ينتهي إلى ساحل وكعبة الفضائل التي تطوى إليها المراحل، موضح مناهج الحق بمصابيح أنظاره الثاقبة وفاتح رياح الدقائق بمفاتيح أفكاره الصائبة، واسطة عقد العلماء فلم يزل عليه الخناصر تعقد وعمدة أعيان الفضلاء فما قيس إليه في فن من الفنون إلا قيل هذا أحمد، نور حدقة الزمان بل إنسان عين الإنسان، الكهف الإلّهي المنيع مولانا أخوند ملا محمد رفيع لا زالت سحائب التوفيقات الربانية بواديه الأقدس ماطرة وضرائب الواردات الصمدانية بناديه الأنفس هامرة، ولكن حيث لم تساعده الاستخارة الربانية على الوصول لخدمته في هذه الأوقات ولم تعارضه الاستشارة الصمدانية على التشريف بطلعته في هذه الساعات، وما ذاك إلا لضعف طالعي الضالع في جميع الحالات ونقص حظي الشاسع في جميع الأنات، وما هو حظي بأول فائت مني ثم في فيما أردت مرام لا جرم إني بعثت بذلك لعالي خدمته السامية وصدعت بما هنالك رفيع حضرته النامية، راجياً منه تعالى أن يطلع من آفاق القرب عزته اللامعة ويضيء بطلعته النيرة مرابع الأنس ومجامعه.

ولقد اكتفينا عن شرح قصص الأشواق الموقدة في الجوانح نيرانها بذكر عهود الولاء الموثقة في عالم الأرواح أركانها علماً بأن صلة المحبة الموصولة بربط التعارف الأولى مستغنية عن العائد وقضية الاشتياق بعد ثبوتها باستفاضة العبرات لا تحتاج إلى حجة ولا شاهد، والمرجو من جميل ألطافه الهامرة وجزيل أذياله الغامرة أن يتفضل بالتوجيه للجواب ويمن بهداية قنه لما هو الحق عنده في ذلك والصواب، ويرخي عنان القلم مهما اقتضى ذلك المقام ويطلق له لجريان في إبرام النقض ونقض الإبرام، وأن يقرط آذان تلك الأجوبة بعد التمام ويزيلها بعد الفراغ بتوفيق الملك العلام بإجازة منه مشتملة على طرقه دام ظله لمشايخه العظام ويشرق محبته بحصله من جملة القائمين فأعباء ذلك التمام.

ومن كتاب: كتبته لبعض الأخلاء العلماء جواب كتاب مراسلة أرسله إلي وكنت يومئذٍ في كرمان وهو في يم من توابع كرمان، وقد تمتع فيها بامرأة والفقير قد تمتع بامرأة من سرجون قبل ذلك، فكتب إلي يوبخني على ذلك ظرافة وملاحة فكتبت إليه الجواب وأغلظت له في ذلك الباب فظنه خروجاً عما عليه كافة الأصحاب فأفرط الجواب وأخرج إلى مخرج العتاب بل الضراب، فأردفته بهذا الكتاب.

أما بعد حمد الله سبحانه وإن كلب الزمان وخانت الإخوان، والصلاة على من مدت له الفصاحة رواقها من بني عدنان وشدت عليه البلاغة نطاقها من بين الإنس والجان محمد المحمود في مقام البيان وآله أقطاب الوجود وصفوة الملك الديان.

أما بعد فالغرض الداعي لتخضيب وجوه الأوراق ومباشرة الإقدام لها باللثم والاعتناق هو إسراج خيول الخطاب وتجريد مرهفات الجواب وإرسال جنود العتاب بل أسود الضراب لمن أطلق أعنة الإقدام في مضامير الفراق ورمى بتواتر السهام جيوش الإخاء والوفاق وحز حيزوم الأخوة بهدير فلتات كلامه لا عن التفات وبري حلقوم المروة بصرير حركات أقلامه لا عن تدبر وثبات وأهرق ماء المحيا المصون، وبذل ذرة العزيز المكنون بما أودعه في كتابه من الهرج الذي لا يرجع إلى طائل والمرج الذي لا يعود إلى حاصل، تسجيعات منمقة بالحمرة ومن ثياب البلاغة عارية بالمرة، وكلمات ملفقة في تلك الربوع وهي لا تسمن ولا تغني من جوع، فكأنها صدرت من غير روية ولا شعور وكأنما بدت من فم محرز ومثبور، ولعل ذلك ناش عن شدة الخوف المستوعب للجوف من أولئك الجماعة حتى يخيل إليك أنهم يشاهدون حركاتك وسكناتك في كل ساعة، أو أنه مسبب عن الحب المذيب اللب لهذه العروس الأعجمية حتى أعمت منك عين البصيرة بالكلية، وإلا فقد عهدتك منطقياً لا تجارى في ميادين الفصاحة ونحريراً لا تبارى في فرسان الملاحة، فما بال خيول سباقك قد ضلعت في هذا الميدان وعجزت عن إدراك شأو أولئك الفرسان، ولقد كنت أظنك عند الهزاهز وقوراً وفي جميع المواكر صبوراً لا تعتريك خفة ولا طيش ولا يلحقك ترق ولو تكدر منك العيش، ولم أعرف لما كتبت بلا سبب ولا جناية ولا موجب لسلوكك في أودية تلك الغواية سوي نكتنا لتلك القرحة المقرحة ولمسنا لتلك الجراحة المترحة، ولا شك من أوذي في قرحته يصرخ صراخ الثكلى ومن بلي في مهجته يصيح صياح العذراء، فيذب عن نفسه بما طاله ساعده ولسانه ويمنع عن نفسه بما ناله سيفه وسنانه، ومن أحسن ما يقال في هذا المقام وأنسب ما يدخل في حيز هذا الكلام المثل الجاري على الألسن وهو من قولهم: «فقحة المجرم تطن» وهذا وإن كان عند البلغاء مثل مستهجن إلا أنه في جواب ذلك الكتاب مستحسن.

فيا أيها الأخ النبخ السابح في بحور الجفاء والحماقة والخل المخل السايح في ميادين عدم الوفاء والطلاقة أي ذنب قد أذنبه أخوك الناقص الطالع حتى كبا جواد حظه عندك فهو ناقص

ضالع ولم يستوجب منك مجرد دعاء وسلام لا في الابتداء ولا بعد الختام بل تكتب له بما يوحش منه القلب والخاطر ويسهر منه العين والناظر، من غير ما ذنب أذنبته في جهتكم ولا جرم أجرمته في حرمتكم أبغير الواقع لكم قد كتب أو في شيء من إخباراته قد كتب، فليت شعري هكذا مقتضى طباع المتخلقين بطباع العجم أم ذاك ناش بالخصوص من هوى بم أم من ورقها البيض المجتمعة بعد العدم حتى أذهبت منك صفاء الوقار والعلم وعطلت منك زوايا الاعتبار والحلم، فهب أن أخاك الخاطىء أخطأ بجهله عليك وفيما كتبه لم يتأدب لديك، أليس قد رويت وروينا في الأخبار وعلمت وعلمنا عن الأئمة الأبرار «احمل أخاك المؤمن من الخير على سبعين محملاً» ومع عدم واحد منها فراجع نفسك وعاتبها وتأمل وقل: يا نفس إنه أخوك في الإيمان وله عليك بذلك شأن وأي شأن، فلعل لمراده معنى لم تصلي إليه وسراً في الباطن لم تعثري عليه، فارجعي بجهلك عما ارتكبت في جنابه واعتذري بكلمك مما أخطأت في معنى خطابه، مضافاً إلى ما ورد عنهم في تأكيد حقوق الأخوة وتواتر في تشييد مراسم المروة، وكأنك عن هذه الأخبار قد عميت أو تعاميت وعن الاعتبار بتلك الآثار المهمة قد نسيت أو تناسيت، فأينا أحق بالوعظ الذي أودعته في كتاب الفخري ومن الأحرى منا بذلك الخطاب المرزي، فراجع في ذلك نفسك إن رجعت إلى الإنصاف واركب جادة السداد وسلها عما هنالك إن تجنبت الاعتساف وسلكت وادي الرشاد.

أمن فصم عرى الإخاء بهفوات خطابه وقسم ظهر المودة بسطوات جوابه وخالف في ذلك المعقول والمنقول واستوجب أن يقال فيه من كل قائل ما يقول وخرج من ربقة شريعة أرباب الاتفاق والوفاء ومزق عن طريقه منهاج ذوي الوفاق والصفاء تعدى القواعد المعصومية وتجاوز الحدود النبوية، أم من أقام ببنان الإخلاص بجزيل دعائه وسلامه وشيد مباني الاختصاص بجميل ثنائه وكلامه وأعلى منار الصفاء بما اصطفى من درر أهداها ومرجان وجلا أبصار الوفاء بما استوفى من حور أبدانها لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان وأحيى رسوم السنة النبوية المطهرة وأقام أودها على ما وردت به الأخبار المعصومية المنورة، فعاجلك نفسك بالتوبة قبل حلول التوبة وتدارك أمرك بالندم فقد زلت منك القدم واعمد إلى إهليلج الاستغفار فدقه دقاً في جيد هاون الاصطبار، ثم انظر إذ انتصف الليل وهدأت العيون فاستق بدلاء المناجاة من الشؤون المتحادر من مقرحات الجفون وصبه عليه حتى يكون به معجوناً وأي معجون، ثم الق الجميع في طنجة التضرع والابتهال وأرقد تحته بنار الخوف والخشية لذي الجلال وإن أضفت إلى ذلك بليج التوكل والرضاء وآملة التسليم لما يجري به القضاء كان غاية في الوصول إلى المأمول ونهاية في القبول ونيل المحصول، حتى إذا اشتد قوامه واعتدل واستقام نظامه على الوجه الأكمل فداوم على تناوله سيما في الأسحار فإنه أنفع شيء في جلب اليسار لقلوب الأبرار وأعظم مانع من طوارف الأكدار المختلفة في الليل والنهار.

وأما ما اطلعت به الكتاب وسجلت به الخطاب في دختر سرحون فهي ثقبة ثقب بها صدرك

تبني بأنك بما أنت فيه مفتون وبما خامرك من حب البمية مجنون وأي مجنون، فما ذكرته حق لكن في حقك وصدق أنباء عن ناطق سرك، وليس يقاس يا أخي النوخذا بالبحار ولا الأجير بأكابر التجار، فوالهفا عليك أدرأت من بعد ذلك عينك البحرين وواأسفا مما يحل بك من مكحولة العين، وكأني برنة عليك بعد الدخول وثياب مقطعة منك بعد ضرب مهمول وأنت مع ذلك تستغيث فلا تغاث، ومن أين من أيدي الصقور الخلاص للبغاث وأنى لك بالخلاص ولات حين مناص حتى إذا انتهزت الفرصة للهرب بعد أن سقيت كأس الغصة وقضوا منك الأرب اختفيت ببيت الهمة وانتدبت بها لهذه الملمة، وشغفت بها في محض ذلك الرين ولو استثنت بها في ذلك بالشيخ حسين، ولكن هيهات هيهات كيف يمحى ذلك من ألواح قلوبهم أو تندمل عليه في المضاجع جراح جنوبهم، يتوقعون قدوم ذلك المولود الأعجمي عليهم صبحاً وعصراً ويتجرعون من نظره علقماً ودفاعاً مراً، ولكن لعل بواسطة كون الشيخ هو الملتمس يرخصون لك بالجلوس في ناحية من المجلس شعراً: [البحر الكامل]

ولقد عهدتُك منصِفاً متورّعاً ... في القولِ والأفعالِ لا متشرّعا
قد كنتُ ألفُ منك قدماً شرعةً ... للسّالكين تضيءُ وهجاً مهيعا
وطريقةً للطّارقين مساعةً ... أودعتها بحراً لحلمِك مترَعا
وجنابُ قدسي قد تقدّس أن أمري ... متلوثاً بصدَى الصدورِ مصدّعا
والآنَ لاح لديَّ منك بوارقٌ ... برقتْ سحائبُها وسخّت يرمعا
وهديرُ أقلامِ الملامِ لقد عدا ... من طورِه متجاوزاً متتابِعا
من بينِ وعظٍ تارةً وشتيمةٍ ... أخرى فما أخراه لو قد ضيّعا
فعلامَ خالفت الصّفاء أخا الوفا ... ورميت خلاً بالخصاصةِ مولَعا
ولقيتَه بوقاحةٍ وقباحةٍ ... ما كان يأملُ أن يكون تضيّعا

وهذه نفثة مصدور جرى بها القلم ووعكة مضرور أدبه الألم، وكأني بمن يقول: سيأتي الجواب عن هذه الرسالة بما يصدع مقالها. فقلت له: إن عادت العقرب عدنا لها، ولسنا بحمد الله من يعتدي ويتعدى الحدود أو يرتدي برد الخمول لتصعر منه الخدود، ولا ممن تداس منه الأكناف ولو برشق الحواجب ولا من تركب منه الأكتاف ولو نال به أعلى المطالب، فكيف وإني ومتى ذلك يكون وأنا ابن من لا يجارى في فن من الفنون إلا خلد صناديده في أضيق السجون ولا ترشق لديه نصال السهام إلا بدر راميها بضربة على الهام فألقاه مقطراً على الرغام متجرعاً كؤوس الحمام، وهذه اللبوة من ذلك الأسد تقفو أثره في كل وجه سديد وأسد وتحذو حذوه لا تثنى ولا ترد، ولنقطع الكلام على حمد الملك العلام والصلاة على خيرته من الأنام ليكون على حذو الافتتاح الاختتام.

ومن كتاب آخر: ما الغيث الهامر في الجريان والتقاطر ولا البحر الزاخر بالأمواج التي لا

نهاية لها ولا آخر بأسرع جرياً من دمعي الهتون المتقاطر ولا أعظم دفعاً من ماء شوقي الهتون المتحادر دفع قد أججته نيران الوجد والأشواق وماء قد أخرجه لهيب البعد المر المذاق فأجمع من ماء مجتمع مع النار أي عجب وذلك من خواص المحترقين بنار الحب والطرب.

[البحر الكامل]

قلبي لأجلِ فراقكمْ موجوعُ ... هل لي إلى ذاك الوصالِ رجوعُ
كيف التصبّرُ والحَشا قد ضمَّه ... ماءٌ ونارٌ والهوى مجموعُ

وحينئذٍ فمع تعذر الاجتماع بالأحباب والانتساب معهم في تلك الرحاب لضرب أعنة الصفح وترخي دونه الحجاب، ونعال النفوس بما يزيل عنها بعض البؤس من إرسال حظ سلام أو كتاب منمقة أسطاره بزواهر جواهر دعوات، فحيث تعذر الاجتماع بإخوان الصفا والتلاق وامتنع الجري معهم في ميادين الوفاء والاتفاق لا مندوحة عن ركوب مطي المكاتبة والمراسلة والتيمم بصعيد أرض المؤانسة والمواصلة فها نحن نهدي من التسليمات ما يخجل بنشره العتيق الفائق ويزري بعطره الند العتيق العابق، ومن التحيات ما يطرب بسماع ألحانها غريب ذلك النادي ويميل بضرب قيانها أهيل ذلك الوادي، ومن الدعوات ما غردت به حمائمها على رؤوس الأغصان وترنمت به عنادلها في عوالي الأفنان لمن قرط آذان الإخوان بأقراط الجود والإحسان وطوق أعناق الجلال بأطواق الفضل والامتنان، بالوداد الصافي الذي لا يشوبه كدر والاتحاد الوافي الذي لا تعتريه الغير.

أبيات: كتبتها في صدر كتابي لأخي الشيخ محمد في مكة المشرفة لما رجع من الهند:

[البحر الطويل]

أحاديَ ركبِ الحاجِ رفقاً بخاطري ... ومهلاً فقد فطّرت أقصى مرائِري
وكدّرت عيشي حين قوّضت راجِلاً ... فرفقاً فقد أجريت دمعة ناظِري
وصبْراً قليلاً أن لي بك حاجةٌ ... لها أحوجتني فادحاتُ الفواترِ
رمتْني سهامُ الجورِ منها وشتّتتْ ... رجالي فكسْري بعدهم غيرُ جابرِ
ولا سيّما من بينهم من ودادُه ... تملّك أقصى مُهجتي وضمائري
فسمعاً هداك اللهُ مني رسالةً ... أسالتْ أماقي بالدموعِ الهوامرِ
إذا ما أنخت الركب في أرضِ مكةٍ ... بأبطحِها فاقصدْ هناك وبادرِ
وسلْ لي من سلَّ من جفني الكرى ... وشبَّ لظىّ هجرانُه في سرائري
محمدُ المحمودُ في كلِّ ما أتى ... وذخري وغوثي في الزمانِ وناصِري
فإذْ ما ترى عيناك صفحة وجهِه ... وتسعدُ يا حادِي بأسعدِ طائرِ
فقبّلْ محيّاه وحيِّ جمالَه ... وكنْ حافِياً ماشٍ له بتصاغرِ
وقلْ يا غريباً قد رمتْه يد النّوى ... بأسهمِ جورٍ عن قسيّ الأعاصرِ

أخوكَ غريبُ الدارِ بعدَك قد غدا قريحاً على فقدِ الحمى والعشائرِ
ترامَى به البلدانُ شرقاً ومغرباً يقلّبُ كفّاً حائِراً أيّ حائرِ
فيوماً ببيميدٍ ويوماً بشهرِها ويوماً بشيرازٍ لدورِ الدوائرِ
له زفرةٌ لو أن بعضَ زفيرِها يمرُّ على حيٍّ رمَى في الحفائرِ
يمرُّ ببالي ذكرُكم فأبلّ من دُموعي رُبوعي بالبُكا المتواترِ
إذ جالَ تذكارُ الدّيار بخاطِري وذكرُ أهيلِ الحيّ أهلِ المآثرِ
وذكرُ اجتماعِ الشملِ منا ونحن في سرورِ نعيم دائم وتفاخرِ
يكادُ فؤادي أن يذوب صبابةً ونفسيَ أن تصبُو لسُكْنى المقابرِ
ألاَ يا لحى اللهُ الزمانَ فإنه عدوٌّ لأربابِ العلى والمفاخرِ
نوائبُه تترى على كلِّ فاضلٍ وإفضالُه تُهدى إلى كلِّ فاجرِ
متى تصدحُ الورقاءُ يوماً بقربِنا وتنشرُ أعلامُ الهَنا والبشائرِ
فلله يومَئذٌ لا يشقُّ غباره ودهرٌ كريمٌ إن وفى غيرُ ماكرِ
ولله نذرٌ إنْ رأيتُ بياضه لأسجدُ شكراً ضارِعاً بتصاغرِ
فدمْ في سرورٍ يا أخيّ ونعمةٍ مجلّلةٍ لا يعتري حصرُ حاصري
عليك سلامٍ من سلام مهيمنٍ ومن والهٍ قد صارَ في زيِّ صابرِ

ومن كتاب: كتبته لبعض الإخوان الأخلاء من العلماء الأجلاء، وكل منا يومئذٍ في السفر: ما الروض الممطور تفتحت آكامه بأزهار الجواهر والعقيان، ولا الخرد الحور المشرفة من أعلى القصور الجنان، ولا المسك الفتيق الفائق عطر بنشره الأكوان، ولا الند الأنيق الرابق عبق ريحه بكل مكان بألذ ولا أحلى في القلوب والخواطر ولا أهدى ولا أجلى في العيون والنواظر من تسليمات سبكتها يد المحبة والوداد بعد أن أذابتها في بواتق الألفة والاتحاد وتحيات صرحت مطربة بالسرور أطيارها مغردة بالحبور حجلها وهزارها، ودعوات تدعو إلى الشرب بزلال رحيق التلاقي الأصفى وتنادي بالقرب والاغتراف بكأس الاعتناق الأوفى لمطلع شمس العلوم والمعارف ومنبع فيوض الحقائق واللطائف مجلى حلبة المسائل في ميدان السباق والفائز بالعلى من قداح الفضائل على الإطلاق يتيمة عقد الأخوة المتعالية عن أن يحيط بها الوصف وجوهرة قلادة المروة متجلية عن أن يدركها الطرف الساحب ذيول المعالي سحبان وائل السابق في مضمار البلاغة الأواخر والأوائل موضح مشكلات البيان بفهمه الصائب ومنقح عويصات الدلائل بذهنه الثاقب الأوحد الأمجد فلا محمدة إلا وهو فيها الأحمد، لا زالت كواكب سعده في بروج التوقيعات مشرقة ولا برحت ثواقب شهب مجده لأعدائه راجمة محرقة وذاته العلية مقصداً للواردات السبحانية ومحلته السنية مورداً للفيوضات الربانية وأيامه الغر باسمة الثغور وأعوامه النوراء مشرقة البدور. بمحمد المتوج بغيايم النور وآله الأقمار المشرقة في طخياء الديجور.

أما بعد: فأحاديث الاشتياق إل تلك الذات المحمودة الأخلاق لا يحيط بها العدو مرارة سورة الفراق المر المذاق لا ينبغي مداها إلى حد ونار الوجد قبل شب لظاها بين الضلوع واليم الوقد منها قد أجرى الدموع واقد الهجوع ولا سيما إذا انتظم إلى ذلك تذكار الغوير وحاجر وظباه الصائبة لحبات القلوب بسهام المحاجر والسالبة للبمّات العقول ببوائر النواظر رشف سلسبيل رضابهن الذي هو مصفى العسل أحلى وأعذب وشرب زلال لعابهن الذي هو من كري المقل أشهى وأطيب فعسى نفحة من الجناب الأقدس السبحاني ولمحة من المولد الأنفس الصمداني تهب على هذه الجسوم المحرقة فتجعلها بمياه الوصل مورقة مغدقة وتودن لنا ولكم باجتناب تفاح الخدود من أغصان تلك القدود واقتطاف رمان النهود من بين هاتيك الورود، ويمن علينا وعليكم بلثم حجر الحسن الذي ركب منهن في الحنك بعد طوافي بهن بين هاتيك السكك.

ثم الإيلاج في ذلك الباب المربوط بالتكك ثم إن عطفت عواطف المحبة والأخوة ورشحت رواشح الألفة والمروة بالفخر والسؤال عن أحوال من لا حال عن العهد القديم ولا طال ولم يغيره عن ذلك النهج القويم مرور الليالي ولا تكدر الأحوال، فهو بحمد الملك المتعال في أطيب عيش وأرخى بال بيد أن الخاطر لما ألبس من ثياب النوى في أعوال القلب لما اعتراه من ألم الجوى في بلبال والفكر لما لحقه من هم الحل والترحال في اشتعال هذا واشتعال ومحبكم في علم من لا يزول ولا يزال دائم الفحص والاستخبار عما يراد من آثار ذلك المقام العالي المنى ورافعاً يد الضراعة والابتهال لحضرة ذي الجلال الذي لا يزال أن يحرس بدر كمالكم عن الأفول ويصون غصن جمالكم عن الذبول.

ومن كتاب: كتبه الشيخ المحدث الصالح الشيخ عبد الله ابن الحاج صالح لوالدي قدس الله سرهما وبحضيرة القدس خصهما وسرهما يتضمن العتاب في بعض الأبواب وهذه صورته: النهي من صالح الأمنية وأكمل التسليم وخالص الأدعية وأجل التعظيم لمولانا عمدة العلماء الأعلام وقدوة الأمناء الكرام فقيه العصر ومرجع أهله وموضع عقده وحله العلامة الفهامة والحبر العارج على معارج الكرامة والناهج مناهج الاستقامة، شيخنا المحقق المدقق الأوحد الأمجد العالم العامل والفاضل الكامل أدام الله تعالى مجده ووجوده وأشرق في أقطار الأرض سعوده وأكمد باستقامة أحواله في صلاح النشأتين عدوه وحسوده بحق محمد الأمين وآله الميامين.

وبعد: فلا يخفاكم أدام الله علاكم إن المحب العذري والأخ المخلص الحقيقي لا تغره زخارف الوشاة عن الإخلاص القديم ولا تزعجه عواصف أرباب الغايات في الانقلاب عن ذلك النهج المعلوم القويم ولا تتداخله فيكم الشبهات في معارضة اليقين ولا ينقلع بما يبلغنا عنكم عن أمور يفوح من روائح ناقلها التفريق والتفتين، فأنا الثابت القدم في محبتكم على جميع

الأحوال والناشر العلم في ولايتكم بالأقوال والأفعال معتقداً نصحكم على أبلغ وجه وأكمله وأفضل أمر وأجمله، وكلما أشرتم به علينا ووجهتموه إلينا فهو إنما صدر عن إخلاص وورد على وجه الاتحاد والاختصاص، لكن يا مولانا وشيخنا وأخانا واعتمادنا ورجانا إنما اطلعتم على الظاهر ولم تتطلعوا على حقائق الأول والآخر، والأمر الحقيقي في الباطن والظاهر لا يعلمه من الناس أحد غيري وغير أخي الشيخ ناصر فخذ منه الحقيقة واستبن منه الطريقة، والعذر إلى الله تعالى وإليكم من عدم قبول ما أشرتم به عليّ ووجهتموه لدي من تخليص المرأة من يدي فإنه كان بحسب ما ظهر لكم إن الأمر كما ذكرتم والرأي كما أشرتم لكن لا تحمل أخاك إلا على أحسن الوجوه ولا تنسبه إلى الدخول في أمر مشتبه أو مكروه فإن في علم الله تعالى، والله يعلم أنه في هذه القضية التي وقعت علينا فيها البلية وعظمت الرزية في اعتقاده فيما بينه وبين الله تعالى أنه لم يخرج عن سبيل الورع والعفاف ولم يتطرق إلى مسائل الشبهة وتقحم موارد الخلاف والخروج عن طريقة الإنصاف، وعندي والله يعلم أن الطلاق صحيح لا شبهة فيه ولا مرية تعتريه وكذا العقد عليها إن شاء الله تعالى يقع سالماً من الارتياب جامعاً لشرائط الصحة الموافقة لقواعد السنة ومحكمات الكتاب، وما اشتهر بين الناس وشاع وملأ الأصقاع والأسماع وظهر عندكم ما اعترفنا به لكم وسنخبركم بحقيقته وسنعرفكم بجليته ودقيقته عند إحكام الأمر وتمامه وإيجابه وإبرامه فلا تظن بأخيك إلا خيراً وإن كنا ليس من أهله فأنتم من أهله ولا تخرج من الأصول المحكمة بالمشتبهات الظنية التي يتطرق فيها الاحتمالات وتتسع فيها ميادين المقالات، واحمل أخاك على سبعين محملاً من الخير، كذّب سمعك وكذّب بصرك عن أخيك وأكثر من هذا ما أوصيك فإنه كناقل التمر إلى هجر والحوت إلى قطر.

وأما الإعراض عن هذه المقدمة: والانفكاك عنها والتبري والخلاص منها فأمر لا يجوز لي ارتكابه ولا يسعني اجتنابه.

أما أولاً فلأن الدغدغة الشرعية عندي منتفية، وأما الإعراض عن كلام الناس فلا مجال عنه ولا محيص ولا نجاة منه ولا تخليص لأن الطلاق إن كان غير صحيح فالتزويج بها مطلقاً فيه دغدغة من الله وكلام الناس فيه واقع، وإن كان من جهة العقد عليها مع الخلوة على قول الشيخ وتخليصها من هذه الجهة فإن كان مع العلم فالطلاق إنما حصل بعد ما وقع من الكلام فالكلام واقع لا محالة وإنه لم يصدر الطلاق عن رغبة من الفقير، فهو إما مرتكب للشبهة أو فار عن الجهالة، وأنا في علم الله ليس عندي من هذه الشبهة شيء حتى على هذا القول، إما ظاهراً فقد أخبرتكم وإما باطناً فسنخبركم إن شاء الله تعالى.

بقي أمر ثالث: وهو اعضال عن الأزواج والفقير يعتقد فيما بينه وبين الله أنه أمر محرم عليه وردها إلى العقد الأول بعقد جديد على ابن عمها محال، فما بقي إلا عضالها عن الزواج مطلقاً وهو لا يجوز في اعتقادي مع أن هذا الكلام فيه واقع من الناس لا محالة قطعاً أو إطلاقها للغير

وهو خلاف المروة وعدم القيام بحقوق الأبوة والأخوة مع ما عرفت من كلام الشيخ دام ظله، ثم إنه بعد ما خرجنا من عند الشيخ دام ظله وترخصنا من خدمتكم بعد أن ذكرت لكم ما سمعتم من الشيخ وأشرتم بالاستخارة بعد أن لم ترضوا بها أولاً استخرنا بذات الرقاع في يوم الخميس فخرجت نهياً في أربع من الفكاك، والوالد والوالدة سلمهم الله تعالى أيضاً غير راضين بذلك والوالد يقول أنا ما رضيت بزوجة تزوجتها إلا بهذه لأن هذه بنت لنا وأنت وهي في المنزلة سواء هكذا صورة جوابه.

وأما رضا الناس فغاية لا تنال مع أني ما دخلت في هذه المقدمة في أول الأمر ابتداء مني في علم الله تعالى وإنما أردت تشبيكها بالغير وإيقاع الطلاق على وجه غير هذا الوجه، لكن القضاء إذ قضى سبب الله تعالى له أسباباً، ولعل السر في ذلك امتحاناً بما امتحن به من هو أقرب منا عند الله منزلة وأعظم لديه وسيلة، ولولا وقوع ما وقع لرأيت كيف الأمر بلغ وإن كان قد وقع على أخيكم كسر لا ينجبر في عرضه وجرح لا يندمل في حقه من كلام الناس حتى شمت به الشامتون واستبشر به الحاسدون ولم ينصره ناصر ظاهر ولم يجبر خاطره جابر غير الشيخ دام ظله فإنه جزاه الله خيراً قد سدد وأيد وأعان وشيد.

وأما أنتم فإن وقع منكم تسديد فلا عجب وإن لم يكن فلا عتب، أما الأول فللاتحاد الذي بيننا والأخوة المربوطة بالعهد والمواخاة التي صدرت عنا، وأما الثاني فلأنه قد ظهر لكم الذي ظهر عندي في نفس الأمر.

وبالجملة فبعد وقوع هذه المقدمات كلها فقد وجب على الفقير الإقدام على هذا المرام تقرباً بذلك إلى مالك الأنام فإن كسر قلب عبد مؤمن أو أمة مؤمنة بغير ذنبه مع كونه خلاف الوفاء وضد الصفاء أمر لا يجوز لي الإقدام إليه والإصرار عليه بمجرد كلام الناس وأهل الشك والوسواس مع أنه لا يخلص من كلام الناس أيضاً.

على كل حال فليس لنا مجال إلا الإقدام على ما فيه رضا الله ورضا الوالدين ورضا شيخ الإسلام، وليس هذا أمراً دنيوياً بل الأمر ديني في علم الله والله إنه لقسم عظيم وحق الأخوة والمروة، هذا الآن قصدي وهو معتمدي وإلا فربما في أول الأمر كان مشوباً بشيء آخر بعدما حصحص الحق إن ليس وعندهم شيء من المال ولا مزيد جمال.

نعم إنهم في غاية من الديانة والكمال والمرأة الصالحة عزيزة الوجود جداً وهو الآن يستحثني على هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم، أيضاً فإنه ربما ينالنا من حسنات الناس حتى من إخواننا ما لم نعمل بشيء من الجوارح ولم نكدح فيه أنفسنا بالعمل الصالح ومن يكره الهدية الدنيوية فكيف الهدية الأخروية، فإن كففتم عنا ألسنة الطاعنين ورددتم عنا ألسنة اللاعنين فذلك المؤمل منكم والمعدود عنكم، وإن خذلتم مع جملة الخاذلين وتركتمونا عرضاً لسهام القائلين ومضغة لألسنة القائلين وزلتم عن اعتقادكم السابق فينا وأعرضتم عن إحسانكم إلينا فنحن لا

نعارضكم إلا بالصفاء ولا نقابلكم بالإعراض والجفاء، وعندنا من العلم القاطع والبرهان الساطع إنكم لا تعاملون بذلك ولا تسلكون بنا في هذه المسالك التي أوجبت المهالك، لأنكم لا تعتقدون كما أفدتمونا على تقدير الخلاف كما ظهر للناس إلا الصحة في الطلاق وكذا العقد على تقديرنا الخلوة، وإن كان قد شاع بين الناس الجهال إنكم تنكرون على مرتكب هذا الأمر وتعتقدون عدم الصحة في كلا الأمرين فإنه لا شبهة عندنا في بطلان ما ينقله النمامون الملاقون فاحذروهم كما بلغكم الله أني يؤفكون فإنهم يريدون تفرقة الكلمة وشق العصي بين الأمة.

وبعد: فالمأمول منكم الاستئناس بالجواب في رد الكتاب ليحصل لنا به الأنس عند الوحشة والأمن عند وقوع الدهشة، عرفونا بما في خاطركم الشريف والمأمول منكم الدعاء والعفو عن الخطأ فإنه لكم منا مبذول ومنكم مسؤول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فكتب له: الوالد قدس الله سره: بسم الله والحمد لله بعد إهداء عرائس أنفاس الدعوات الخالصة عن شوب الأكدار وإبهاء صحائف شرائف التسليمات الناشئة من صفاء الإخلاص في الأسرار والإجهار للجانب الفاخر والمقام الباهر والعلم الظاهر والورع الطاهر والبدر الزاهر في سماء المفاخر الشيخ الأواه والأخ في الله دام علاه وبلغ مناه وعم نداه بمحمد وآله الهداة، فقد وصل الكتاب من خلاصة الأصحاب وصفوة الأحباب فسرحت بريد نظري في مبانيه وأرسلت جواد فكري في تأمل دقائقه ومعانيه فوجدته مشحوناً بنفائس الخطاب وقوارع العقاب مملوءة بلطائف شرائف عبارات في زواهر إشارات وجوامع درر كلم في لوامع غرر حكم، مومياً بها إلى تصحيح مقدمات ديانته وأمانته العرية عن الشك والارتياب وتمهيد قواعد إخوته ومروته الخالية عن الريب والاضطراب وتشييد مباني محبته القديمة ومودته المستقيمة البرية عن وصمة المين والكذب وإقامة البرهان اللمي والآني على رسوخ إخلاصه واختصاصه، وعدم قبول الانقلاب وتأكيد البيان بعد إقامة البرهان على عدم إقلاعه وارتفاعه عن رواسخ الوداد وتعين الاعتقاد بترهات أباطيل أهل الباطل وتمويهات أهل البغي والفساد، وعدم قبول لوح قلبه الملكوتي لنقوش زخارف أضاليل الوشاة وأهل الكساد، وعدم تلوث مرآة خاطره الشريف لأكدار أهل الاعتساف، وعدم تزلزل اعتقاده الثابت الأركان المتطابق فيه اللسان والجنان بتوارد شبهات أهل التفتين والخلاف.

فلا غرو فهو الثابت المقدم والناشر للعلم في مقام الولاء والاختصاص والإنصاف، وثابت الجنان وقوي الأركان في مزالق الإقدام ومداحض الأفهام وهزاهز الاختلال، حتى أنه كما ذكر سلمه الله تعالى لا تتداخله فينا الشبهات في معارضة اليقين ولا ينزعج بما يبلغه عنا من أمور يفوح من روائح نقلها التفريق والتفتين، وكل ذلك حق لا ريب فيه وصدق لا شك يعتريه بل تلك المقدمات والأخبار صارت في الوضوح والاشتهار كالشمس في رابعة النهار، لكن ألقاءها للعالم بها ولازمها لا يحسن مثله من العلماء الأبرار والخلصاء الأخيار إلا بضرب من التأويل

وسلوك طريق التنزيل إخراجه عن لوازم تحصيل الحاصل بجعل العالم منزلة الجاهل، وذلك لعدم الجري على موجب العلم الجليل الموجب لطرحه في منزلة التجهيل أو تنزيله منزلة المنكر، إذا لاح عليه إمارة الإنكار وصدر منه خلاف الإذعان والتسليم لتلك الأخبار وحاشا مثله دام ظله عن قصد هذه الأمور التي تضيق لأجلها متسع الصدور ولكن لسان الحال نفث بهذا المقال تحرزاً من بقائه في زاوية الكمون وتنزيه ساحة النفس الإخلاصية عن كونه معتقداً، إلا أن ما بعد هذه المقدمات الحقة اليقينية والقضايا الضرورة البديهية من شرح حال تلك القضية التي شاعت بين البرية وعمت بها البلية وطمحت إليها طوامح الأفهام وعارضت فيها العقول الأوهام بل صارت هدفاً لألسنة الأنام التي هي أحد من السهام وأشد من الأمراض والآلام ومطمحاً لآراء ذوي الأحلام بالنقض والإبرام فهم ما بين غال مفرط في الاهتمام بشأن هذا المرام وأحكامه أي أحكام واعتقاده أنه الأصلح بل الواجب إلا التزام وأنه من أعظم القربات للملك العلام وما بين شأن مفرط في العتب والملام على الدخول والإقدام والنهوض في هذا المقام والطعن به، خصوصاً على العلماء الأعلام الذين هم قدوة الأنام ومعتمد الإسلام ونوائب الأئمة عليهم السلام.

وناهيك بهذا المقام الذي هو فوق كل مقام وأنا أقول الحق في هذا المقام: لزم الوسط وترك جادة الشطط، فإن العدل في كل الأنام بلزوم الأوساط ومجانبة جانبي التفريط والإفراط كما تحقق في فن الحكمة التي هي شفاء للناس الأكمه والأبرص، فإن الظاهر عندي في هذه المعاملة التي قد كثرت فيها المجادلة بمقتضى الدليل الراجح والمستند الواضح صحة التزويج بها لمن تحقق عنده كون الطلاق صلاحاً للمجنون كما هو الشرط الذي عليه العلماء المجوزون، وأما القول بالمنع من الطلاق كما عليه بعض الحذاق فهو غير واضح السبيل ولا بين الدليل.

وأما شبهة العقد في العدة بناء على قول الشيخ قدس سره فهي تندفع عن الجاهل بالخلوة بالعقد في ثاني مرة، فلا اشكال بمقتضى ذلك في الحل والصحة في التزويج بها والسعي في أسبابها والدخول في أبوابها، فالعتب والملام من جهة الصحة بالتهجم على الحرام لا تجوز من أحد من الأنام في حق مثلكم الخلي عن وصمة الآثام ولا سيما من العلماء الأعلام والأخيار العظام، وأما إن الأصلح والأولى في هذا الباب التنزه عن التعريض المتعنف والعتاب وصون العرض عن التدنس بأكدار الملام من الخواص والعوام وحفظ سيرة العلماء الأعلام عن الطعن بألسنة الأنام فهو من الأمر المعلوم المتلقي بالقبول عند الفحول بل مقتضى الأمر المسلم عند ذوي الألباب والعقول، فإن الاحتياط في مقام الخلاف شيمة أهل الإنصاف وسجية أهل التقوى والعفاف والاختباط في موارد الشبهة ومواضع الاختلاف سجية أهل الاعتساف الذين ينتهزون فرصة مطالبهم وأغراضهم ولا يبالون بالقدح في أعراضهم، أولئك الذين غطت على مزايا نفوسهم غواشي الأكدار والأطماع واستولت على أنوار قلوبهم ظلمات الجهل حتى غطت على الأبصار والأسماع فهم في حيرتهم لا يجدون طريقاً ولا يهتدون سبيلاً أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

وأنتم دام ظلكم ممن لا شك في انتهاجه على سبل التقوى وتمسكه في ذلك بما هو السبب الأعظم والأقوى والواجب لرعاية جلالة شأنكم ورفعة قدركم ومكانكم التنزه عن المطلوب، خصوصاً في أبواب الفروج التي أمرها شديد بأوساخ الشبهة وأكدار الخلاف وإن كان في المحل السعيد، لأن زيادة صفاء جوهر نفوسكم القدسية مما يدعو إلى تأثرها بمجرد ما يرد عليها من الكدورات الدينية كما أن زيادة صفاء المرآة الحسنة أشد في تكدرها بما يرد عليها من الغواشي الظلمانية، فنزه عرضك المصون أيها الأخ إلى الإخلاص عن مطاعن أسنة ألسنة الجهال وإن كانت في مواضع الحلال وأرفع بنفسك العلوية عن حضيض الكدورات الدنيوية الداعية إلى الاختلال ولا تعلل نفسك بأن الأصح هو الصحة في هذه الحادثة وتجادل في ذلك أي جدال فإن التقوى غير التقوى كما اشتهر بين العلماء الأبدال، على أن من الورع على ما ذكره الفضلاء العظام وصرحت به الأخبار عن أهل العصمة ﷺ ترك الحلال الذي يتخوف أن ينجر إلى الحرام، ففيما ورد عن النبي ﷺ: لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما بأس به وذلك بمثل التحدث بأحوال الناس مخافة أن ينجر إلى الغيبة، وهذا المقام ورع المتقيم كما صرح به علماؤنا المحققون، ودون هذا المقام مقام ورع الصالحين بالتوقي عن الشبهات والتحرز عنها من جميع الجهات، فإن من رتع حول الحمى أوشك أن يدخله وهو المأمور فيه بالاحتياط عنهم ﷺ والمعنى بقوله ﷺ: دع ما لا يريبك إلى ما يريبك إذ ليس المراد بالشبهات هنا في هذا المقام مواضع اشتباه الحكم الشرعي إما لعدم قيام الدليل عليه أو لتعارض الدليلين لديه، بل قد تطلق الشبهة في مقام طرف الاحتمال وإن كان مخالفاً لظاهر الحكم الشرعي في الحال، والشبهة بهذا المعنى غير عزيزة الوجود في الأخبار كما لا يخفى على من جاس خلال الديار.

وقد روى الشيخ قدس الله سره في التهذيب مسنداً إلى النبي ﷺ قال لا تجامعوا في النكاح على الشبهة وقفوا عند الشبهة، يقول إذا بلغك إنك أرضعت من لبنها أو أنها لك محرم وما أشبه ذلك فإذاً الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكة، فإن الظاهر أن المراد بذلك مع عدم قيامه وجه شرعي على أنه أو ضمته أو محرم له وإلا فليس ذلك حينئذٍ بشبهة بل حرام محض.

وبالجملة فالشبهة المأخوذ تركها في ورع الصالحين ليس الدخول فيها حراماً ولا يوجب ارتكابها فسقاً وإن كان خلاف ورع التائبين على ما ذكرت وهو أدنى مراتب الورع، وإن من نزل عنه فهو فاسق لأنه على ما عرفوه بأنه يخرج عن كونه فاسقاً، فإذاً تكون الشبهة في ذلك المقام جائزة شرعاً لكنها مرتفعة ورعاً وإن من استعملها غير ورع بورع الصالحين وإن كان ورعاً بورع التائبين، وكل ذلك معلوم عند مولانا بيقين لكن المطلوب بيان المسألة المذكورة من هذا القبيل وتسليكها في هذا السبيل فإنها من الشبهات وموارد الخلاف كما لا يخفى على ذوي الإنصاف، وإن ادعى مولانا سلمه الله غير ذلك فهو أعرف بما هنالك فإن الذي ظهر لي من أخبار غير واحد ممن نعتمد على إخباره وصدقه في أسراره وإجماره أن الزوج المعلوم بيقين وأنه لا يصح الطلاق

الواقع عنه نفسه على التعيين وصحة طلاق وليه وإن كان هو الصحيح الراجح والقول المشهور والواضح إلا أنه ليس بذلك البرء عن الخلاف لوقوع النزاع فيه والاختلاف.

هذا ما عند المحب الإخلاصي في هذا المقام كما سمعته في سابق الأيام لا يحول عنه ولا يزول ولا يرى لك الصلاح في الدخول في هذا الأمر بل العدول، فإن صديقك من صدقك وأخوك من محضك النصح وما مذقك، وكل ما ذكرناه يا مولانا في هذا المقام فهو على طريق الإلزام والحتف عن الخروج من هذا المرام بل على طريق الاستصلاح وإبداء ما عندي من وجه الصلاح، إلا فقد سمعت ما سمعت من شيخ الإسلام وحثه على الإقدام على هذا المرام وكذا ما نقلته عن الوالدين الكرام اللذين طاعتهما من طاعة الملك العلام وغيرهم من أهل الإعزاز والإعظام وأهل الفضل والأنعام، وأمر هؤلاء واجب مطاع وحقيق بالامتثال والاتباع، خصوصاً موافقة اعتقادك الجازم وقولك اللازم.

وبالجملة فقد بان لك النجدان ووصلت في ذلك منتهى الحدين فاسلك من النجدين أزكى مسلك لا لمم وإن كنت تهوى القوم فاسلك سبيلهم، ومحبك الداعي ومخلصك الراعي باق على محض الوداد وإخلاص الاتحاد لا تأخذه فيك لومة لائم ولا عذل عاذل ولا يستفزه عن محض النصح لك في كل الأمور عدم المساعد أو خذل خاذل، وأما ما ذكرته في هذا الكتاب من إبداء الاعتذار ومقدمات العتاب فلا حاجة لنا إلى التعريض لإيجادها والجواب عن كل واحد من أفرادها، لكن في النفس شيئاً من قول مولانا إنك لم تطلعني إلا على الظاهر ومن ثم وقع العتب مني في الخاطر، ولو أطلعتني على الباطن الذي اختصصت به مع الشيخ الفاخر الشيخ ناصر فزال الملام بتلك الآلام وعلام لم تتطلعني عليه وكأنك لم تجدني مؤتمناً لديه، ولكن يا أخي لا ينفع صلاح الباطن مع فساد الظاهر وتحدث الرعاع به في المجالس والمحاضر ونقله بلسان البادي والحاضر، ولعل ما تبديه من الباطن الذي أنت به معذور إنك مغلوب على أمرك ومقهور، وهذا لا يروج سماعه من أمثالك السالكين في الورع والعفاف أحسن المسالك، وكذا قولك في ذلك الكتاب تصريحاً في مواضع وتلويحاً في أخرى إن المحب كاف عن نصرتك موافق لأهل الطعن والملام في جهتك، وإني لك في هذه القضية من الخاذلين وغير دافع عنك ألسنة النائلين ولا ترهات أقاويل القائلين وتمويهات أباطيل المبطلين وحاشا مثلي في مثلك من الخروج عن الصفاء ومجانبة جانب الود والوفاء وسلوك جادة الإعراض والجفاء والاتباع لأولئك الجهال المبطلين والاقتفاء وأخذ عرضك في هذه القضية زيادة على ما وقع من البلية، ولكن يا مولانا كف ألسنة الأنام سيما أهل المطالب والعوام غير مقدور لأحد من الأعلام.

وقد قيل في أهل العصمة من الأنام ما قيل من شنيع الكلام بل قيل فيما هو فوق هذا المقام، فكيف يسع لمثلي كف ألسنة العوام مع إن هذه طريقتهم المذمومة في جميع الأيام، على أن المحب قد صار عليه من الشناع ما طبق جميع الأصقاع من السباب والشتم وفظيع الكلام ما هو أشد من الأمراض والأسقام من سفهاء بني جمرة، وقد سمعت إذنك وغيرك مرة بعد مرة وكرة

بعد كرة ونقلت لك كما نقلت لغيرك أخبارهم واطلعت على أفعالهم وتصانيف أشعارهم بحيث لا يمكن ولا يسوغ إنكاره من أحد لعظم انتشاره واشتهاره، وها هم إلى الآن يتلون صحائف أورادهم بالسباب في جميع أوقاتهم وأيامهم ومقدمهم في العتب والسباب من هو لك أعظم الأصحاب وأقدم الكتاب، وقد أمهضته النصح والوداد وبلغته في الصداقة والخلة فوق المراد مع ما علمت من أقوال الكل من الرجال وغوابط أهل العلم والكمال أن صديق العدو أحد الأعداء كما أن عدو العدو أحد الأصدقاء أراني لم تعترني فيك المؤاخذة ولا عتبت عليك بعدم المساعدة بل أغضيت طرفي عن ذلك وحملتك على أحسن المسالك لعلمي بحسن سيرتك وصفاء سريرتك، فكيف يحسن من مثلك في مثلي العتاب على مؤاخذة أهل الباطن والكذاب وأنت تعلم أنه غير مقدور لي ولا لك يحسن التعرض في ذلك لأولئك وإن الدواء لدفع دائهم الباطل المكنون الكف عن سببه الداعي إلى بذل عرضك المصون وتنزيهها مما كان أو يكون، كلا لو تعلمون ثم كلا لو تعلمون بما تلوكه من عرضكم الجاهلون وما تهتز به طرباً وتضحك منه عجباً الخاذلون وتوسع له الرضا وتمنحه القبول والانغضاء الحاسدون تتحدث به الذاكرون في محافلها والنسوان في مغازلها ويسير به المسافرون لعدلتم البتة عن هذه المادة أبلغ العدول ولو كان لكم فيها غاية المأمول ومنتهى السؤول، ولكن كما أشرتم في كتابكم أنه يجوز أن يكون ذلك من الأمر المعلوم والقضاء المبرم المحتوم فلا يسعكم الخروج عن القبول وعدم الدخول والعدول، وهذا كلام لا يعجبني منكم لأنه يفوح منه رائحة الجبر والاضطرار الذي عليه الأشاعرة الخارجون عن الاعتبار.

وبالجملة قد أطلنا في الكتاب وأشبعنا في الجواب على أن الخاطر غير متفرغ للأطناب والبال مشوش عن الإطالة والإسهاب وإلا لتجاوزنا هذا المقدار في الجواب والمبالغة في محض النصح والصواب، والمرجع في ذلك كله ما يجوز في الخاطر العاطر ويرقم في فكركم الباهر فاعملوا بما ترون لكم من الصلاح وتعقدونه من جادة الفلاح ولا عليكم ممن يقول إذا لم يصادف محلاً من الصحة والقبول، واعذروا وسامحوا في ذلك لا زلتم محروسين بعين عناية الرب المالك في جميع المسالك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

تخميس صفي الدين الحلي لقصيدة السموألُ

للصفي الحلي: عند نزوله بدمشق مخمساً لقصيدة السموأل. [البحر الطويل]

قبيحٌ بمن ضاقتْ عن الرزقِ أرضُه وطولُ الفَلا رحبٌ لديهِ وعرضُهُ
ولم يبلُ سربالُ الدّجى فيه ركضه إذا المرءُ لم يدنسْ من اللّؤمِ عرضُهُ
فــكــلُّ رداءٍ يــرتــديــه جــمــيــلُ
إذا المرءُ لم يحجبْ عن العينِ نومها ويُعلي من النفسِ النفيسةِ سومها

أُضيع ولم تأمنْ معاليه لومها   وإن هو لم يحمل عن النفسِ ضيمها
فليسَ إلى حسنِ الثناء جميلُ
وعصبةُ غدرٍ أرغمتها جدودُنا   فبانتْ ومنها ضدُّنا وحسودُنا
إذا عجزتْ عن فعلِ كيدٍ يكيدُنا   تعيّرنا إنّا قليلٌ عديدُنا
فقلتُ لها: إنّ الكرام قليلُ
رفعنا على هام السّماكِ محلّنا   فما ملكٌ إلا تفيّأ ظلّنا
وقد خافَ جيشُ الأكثرين أقلّنا   وما ذلّ من كانت بقاياهُ مثلنا
شبابٌ تسامى للعلى وكهولُ
يُواري الجبالَ الراسياتِ وقارُنا   وتُبنى على هامِ المجرّةِ دارُنا
ويأمنُ من صرفِ الزمانِ جوارُنا   وما ضرّنا انّا قليلٌ وجارُنا
عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ
ولمّا حللْنا الشامَ تمّت أمورُه   لنا وحبانا ملكُه وزيرُه
وبالنيّرِ الأعلى الذي عزّ طورُه   لنا جبلٌ يحتلُّهُ من يجيرُه
منيعٌ يردُّ الطرف وهو كليلُ
يُريك الثريّا من خلالِ شعابِه   وتحدق شهب الأفق حول هضابهِ
ويقصرُ خطوُ السحبِ دون ارتكابه   رسا أصلُه تحت الثّرى وسما بهِ
إلى النجمِ فرعٌ لا يُنال طويلُ
وقصرٌ على الشقراءِ قد فاض نهرُه   وفاق على فخرِ الكواكبِ فخرُه
وقد شاعَ ما بين البريّةِ شكرُه   هو الأبلقُ الفردُ الذي شاعَ ذكرُه
يعزُّ على من رامه ويطولُ
إذا ما غضبنا في رضا المجدِ غضبةً   لندركَ ث اراً ولنبلّغ رتبةً
نزيدُ غداةَ الكرِّ في الموتِ رغبةً   وأنا لقومٌ لا نرى الموت سبّةً
إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
أبادتْ ملاقاتُ الحروبِ رجالنا   وعاشَ الأعادي حين ملّوا قتالنا
لأنّا أذا رامَ العداةُ نزالنا   يقرّبُ حبُّ الموتِ أجالنا
وتكرهُه آجالُهم فتطولُ
فمنّا معيدُ الليثِ في قبضِ كفِّه   وموردُه في أسرِه كاس حتفِه
ومنا مبيدُ الألف في يوم زحفِه   وما مات منّا سيّدٌ حتف أنفِه
ولا طلَّ منّا حيثُ كان قتيلُ

إذا خافَ ضيماً جارُنا أو جليسنا   فمن دونه أموالُنا ورؤوسُنا
وإنْ اجتنبْ نارُ الوقائعِ شوسُنا   تسيلُ على حدّ الظُّباةِ نفوسُنا
وليس على غير الظُّباة تسيلُ
جنى نفعُنا الأعداء طوراً وضرّنا   فما كان أخلانا لهم وأمرّنا
ومذ خطبُوا قدماً صفانا وبِرّنا   صفُونا فلم نكدرْ واخلص سرُّنا
إناثٌ أطابَت حملنا وفُحولُ
لقد وفتِ العلياءُ في المجدِ قسطَنا   وما خالفتْ من منشأِ الأصلِ شرطنا
فمذْ حاولتْ في ساعةِ العزّ هبطنا   علوْنا على الخيرِ الظهورِ وحطّنا
لوقتٍ إلى خيرِ البطونِ نزولُ
تقرُّ لنا الأعداء عند انتسابنا   وتخْشى خطوبُ الدهر فصل خطابِنا
لقد بالغتْ أيدي العلى في انتجابِنا   فنحنُ كماءِ المزنِ ما في سحابِنا
جهامٌ ولا فينا يعدُّ بخيلُ
نفيتُ بنو الدّنيا ونحنُ لحولهمْ   كما يومنا في العزّ يعدل حولهمْ
ونحنُ أناسٌ تحسدُ السحبُ طولهم   ونُنكر إنْ شئْنا على الناسِ قولهمْ
ولا يُنكرون القولَ حين نقولُ
لأشياخِنا سعيٌ به الملكُ أيّدٌ   ومن سعْينا بيتُ العلاءِ مشيّدٌ
فما زالَ منّا في الدسوتِ مؤيّدٌ   إذا ماتَ منّا سيّدٌ قام سيّدٌ
قؤولٌ بما قال الكرامُ فعولُ
سبقْنا إلى شأوِ العلى كلّ سابقٍ   وعمّ عطانا كلّ راجٍ ووامقِ
وكم قد جنتْ في المحلِ نارُ منافقٍ   وما خمدتْ نارٌ لنا دون طارقٍ
ولا ذمّنا في النّازلين نزيلُ
علوْنا فكان النجمُ دون علوِّنا   وسام العداةُ الخسف فرط سموِّنا
فماذا يسرُّ الضدَّ في يوم سونا   وأيامنا مشهورةٌ في عدوِّنا
لنا غررٌ مجلوّةٌ وحجولُ
لنا يومَ حربِ الخارجيّ وتغلبٍ   وقائعُ فلّتْ بالعِدى كلّ مضربِ
وأحسابُنا من عهدِ فهرٍ ويعربِ   وأسيافُنا في كلّ شرقٍ ومغربِ
بها من قراعِ الدّارعين فلولُ
أبدْنا الأعادي حين ساءَ فعالُها   فعادَ علينا كيدُها ووبالُها
ببيضٍ جلاليلُ العجاجِ صقالُها   معودةٍ ألاّ تسلَّ نصالُها
فتغمدُ حتى يُستباحَ قتيلُ

هم هوّنوا في قدرِ من لا يهنهمُ ... وخانُوا غداة السلم من لا يخنهمُ
فإنْ شئتِ خبرَ الحالِ منّا ومنهمُ ... سلي إنْ جهلتِ النّاسَ عنّا وعنهمُ
فليس سواءٌ عالمٌ وجهولُ
لئن ثلمَ الأعداءُ عرضي بسومهمْ ... فكم حملوني في الكرى عند نومهمْ
وإنْ أصبحُوا قطْباً لأبناءِ يومهمْ ... فإن بَنى الرّيانُ قطْباً لقومهمْ
تدورُ رحاهمْ حولهم فتجولُ

أبيات غزلية لشعراء مختلفين

عيني لا يطيب كراها

[البحر الطويل]

أأحبابنا بنتُمْ عنِ الدارِ فاشتكتْ ... لبعدكمُ آصالُها وضُحاها
وفارقتمُ الدّارَ الأنيسةَ فاستوتْ ... رسومُ معانيها وفاحَ كلاها
لأنكمُ يوم الفراقِ رحلتمُ ... بنومي فعيني لا يطيبُ كراها
وكنتُ شحيحاً من دموعي بقطرةٍ ... فقد صرتُ سمْحاً بعدكمْ بدِماها
يراني بسّاماً خليلي يظنُّ بي ... سُروراً وأحشائي الهمومُ ملاها
وكم ضحكةٍ في القلبِ منّي حرارةٌ ... يشبُّ لظاها لو كشفتِ غطاها
رعى اللهُ ليلاتٍ بطيب حديثكم ... تقضّتْ وحيّاها الحيَا وسقاها

الجاهل

لصالح بن عبد القدوس: [البحر السريع]

ما تبلغُ الأعداءُ من جاهلٍ ... ما يبلغُ الجاهلُ من نفسِه
والشيخُ لا يتركُ أخلاقَه ... حتّى يوارى في ثَرى رمْسِه
إذا ارعوى عاد إلى جهله ... كذا الضّنى عادَ إلى نكسِه
وإنَّ من عذّبته في الصّبا ... كالعودِ يسقى الماءَ في غرسِه
حتّى تراه مورِقاً يا ناظراً ... بعد الذي أبصرت من يبسِه

عوادي الزمان

ولهُ أيضاً : [البحر الكامل]

الـمـرءُ يـجـمـعُ والـزّمـانُ يـفـرّقُ ... ويظلّ يرقعُ والخطوبُ تمزّقُ
ولـئـنْ يُـعـادي عـاقـلاً خيـرٌ لـه ... من أنْ يكون له صديقٌ أحمقُ
فارغبْ بنفسِك أن تعاشرَ أحمقاً ... إنّ الصديق على الصديقِ مصدّقُ
وزنِ الكلام إذا نطقت فإنّـما ... يُبدي عقول ذوي العقولِ المنطقُ
لا ألـفـيـنَّـك ثـاوِيـاً فـي غـربـةٍ ... إنّ الغريب بكلّ سهمٍ يرشقُ

بُعد الأحباب

[البحر الطويل]

تـبـاعـدتـمُ لا أبـعـدَ اللهُ داركـم ... وأوحشتمُ لا أوحش اللهُ منكمُ
تباعدتمُ عن ناظري وسكنتمُ ... ضميري وحلّيتم به وأقمتمُ
فلا عينَ إلاّ مثل عيني قريحةٌ ... ولا قلب إلاّ مثل قلبي متيَّمُ
ولستُ ألاقي رائحاً عن ديارِكم ... ولا غـاديـاً إلاّ واسـألُ عـنـكـمُ

الهوى والنّوى

[البحر الطويل]

وحقّ الهوى ما ملتُ يوماً عن الهوى ... ولكنّ نجمي في المحبّةِ قد هَوى
ومن كنتُ أرجُو قربه قاتلي نوىً ... وأضنى فؤادي بالقطيعةِ والنّوى

حامل الهوى تعب

[البحر المقتضب]

لـيـسَ فـي الـهـوى عـجـبٌ ... إنْ أصـابـنـي الـنـصـبُ
حـامـلُ الـهـوى تـعـبٌ ... يـسـتـفـزّه الـطّـربُ

أنحله الغرام

[البحر الطويل]

خوالجُ لا ينفكُ صبّاً متيّماً ... غريقُ دموعٍ قلبُه يشتكي الظّما
لفرطِ البُكا قد صار جلداً وأعظُماً ... فلا عجبٌ أن يمزج الدّمع بالدّما
الـغـرامُ أنـحـلـهُ ... إذ أصـابَ مـقـتـلـهُ
إنْ بـكـى يـحـقُّ لـه ... لـيـس مـا بـهِ لـعـبُ
ألاَ قلْ لذاتِ الخالِ يا ربّة الذّكا ... ومن بضياءِ الوجهِ فاقتْ على ذُكا

شكوتُ غرامي لو رثيتِ لمن شكا وأطلقتُ دمعي لو شفَى الدمعُ من بَكى
فـانـثـنـيـتِ سـاهـيـةْ والـقـلـوبُ واهـيـةْ
تـضـحـكـيـن لاهـيـةْ والـحـبـيـبُ يـنـتـحـبُ
أسرتِ فؤادي حين أطلقتُ عبرتي وبذَّلتني من مُنيتي بمنيّتي
ولمّا رأيتُ السقمَ انحل مُهجتي تعبتُ من سقمي وأنكرتُ قتلتي
صـرتُ إذا بـدا ألـمـي عـنـد مـا أرقـتِ دمـي
تـعـجـبـيـن مـن سـقـمـي صـحّـتـي هـي الـتـعـبُ
تحجبتِ عن عيْني فأيقنت بالشَّقا وآيسني فرطُ الحجابِ من اللُّقا
فلما أمنتُ الستَرَ وارتحتُ باللّقا غضبتُ بلا ذنبٍ وغادرتني لقا
حـيـن تـرفـعُ الـحـجـبُ مـنـكِ يـعـلُـو لـهـبُ
كـلّـمـا قـضَـى سـبـبُ مـنـكِ عـاديـتـنـي

ما علينا من عين

حكى الإسكافي: في مقاماته بإسناد ذكره أن أبا سفيان حضر مجلس عثمان وقد كف بصره فأذن المؤذن وكان علي عليه السلام حاضراً فقال أبو سفيان: هل علينا من عين؟

فقال عثمان: لا وإنما قلل ذلك لأنه يمكنه أن يقول علي عين علينا، فقال: انظروا أخا هاشم أين وضع اسمه فقال علي عليه السلام: اسخن الله عينيك يا أبا سفيان ما وضع اسمه حيث وضعه إلا بعد أن وضعه الله حيث يقول: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1] فقال أبو سفيان: بل اسخن الله عيني من قال ما علينا من عين.

أسخن الله عينيك

وحكى أيضاً: في مقاماته أن أبا سفيان حضر مجلساً بعدما كف بصره وهناك علي صلوات الله عليه فتذاكر الأيام والسير فقال أبو سفيان لعثمان: هل علينا من عين؟

فقال: لا ولم يمكنه أن يقول نعم لمكان علي عليه السلام فقال أبو سفيان: تلقفوها يا بني أمية فوحق هذه البنية ما ثم جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب.

فقال علي عليه السلام: اسخن الله عينيك يا أبا سفيان بل أسخن الله عيني نعثل حيث قال ما علينا من عين.

(١) سورة الشرح، الآية: ٤.

نزول الآيتين

في الحديث: عن الباقر عليه السلام قال: أتى رجل أبي عليه السلام فقال: إن فلاناً - يعني عبد الله بن العباس - يزعم أنه يعلم كل آية نزلت في القرآن وفي أي يوم نزلت، فقال عليه السلام فاسأله فيمن نزلت: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾(١) وفيمن نزلت: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾(٢) فسأله فقال: وددت الذي أمرك بهذا أن يواجهني به، فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال له ما قال أو قد أجابك في الآيتين؟

قال: لا.

قال ولكن أجيبك فيهما بنور الله وعلم غير المدعي والمنتحل الآيتان نزلتا فيه وفي أبيه.

لمعرفة القمر في أي برج: اضرب ما مضى من الشهر في ثلاثة عشر وزد على الحاصل ستة وعشرين وابسطها على البروج ثلاثين ثلاثين مبتدئاً بالبرج الذي فيه الشمس فالمنتهى هو البرج الذي فيه القمر وخذ للكسر بحسابه من الدرجات، أي خذ بعدد الأيام التي انقضت عن الثلاثين درجات فيكون القمر على الدرجة التي وقف عليها العدد من البرج الذي كان فيه القمر، وما مضى من شهرك عشرة والشمس في الحمل مثلاً ففي ذلك اليوم فالقمر في الدرجة السادسة من السنبلة.

عساكر ثلاثة

في الحديث: عن أمير المؤمنين عليه السلام إن لله في كل يوم ثلاثة عساكر: فعسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام، وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض، وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة.

تفسير حديث: «الأرواح جنود مجندة»

ومن كتاب أزهار الرياض: لشيخنا العلامة أبوالحسن قدس الله سره قال النبي صلى الله عليه وآله: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» قال السيد العلامة أبو الرضي فضل الله بن علي الراوندي روح الله وروحه في ضوء الشهاب: هذا الحديث مما تسكب فيه العبرات ولا يؤمن في تفسيره العثرات ثم ذكر بعد الفصيل معنى الروح ما هذه عبارته: فقال بعض من تكلم على هذا الحديث أنه على حذف المضاف فالتقدير ذوو الأرواح وهذا قريب المأخذ، وعند جماعة من محققي أصحاب الأصول أنه يجوز عقلاً أن يكون إذا استشهد الله

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢. (٢) سورة هود، الآية: ٣٤.

الشهيد أو توفي النبي أو الصالح من بني آدم ينتزع من جسده أجزاء بقدر ما تحل الحياة التي كانت الجملة بها حية فيها فيردها إلى تلك الأجزاء ليصير حياً وإن كانت جثة صغيرة فيرفعها إلى حيث شاء فإنه لا اعتبار في الحي بالجثة، وظاهر الكتاب يشهد بصحة ذلك حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

وفي الحديث: «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تهلف من ورق الجنة ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش» وهذا الحديث أيضاً مما يعضد هذه المقالة، فعلى هذا تتعارف هذه الأجساد اللطيفة بعد موت صاحبها كما كانت في دار الدنيا يعرف بعضها بعضاً فيأتلف وبالعكس. وروت عائشة في هذا الحديث أن مخنثاً قدم المدينة فنزل على مخنث من غير أن يعلم أنه مخنث فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: الأرواح جنوده مجندة.

يقول ناظم هذه الدرر ومطرز هذه الحبر: لا يخفى عليك ما في كلام هذا الفاضل، وأعجب من ذلك نقل شيخنا المشار إليه ذلك وعدم تعرضه لما فيه، من مخالفة الأخبار الواردة عن العترة الأبرار، حيث إنه استند فيما ادعاه من تفسير الخبر المذكور إلى مجرد هذا التجويز العقلي وادعى تأييده بظاهر الكتاب وتمحل له بجواز انتزاع أجزاء من جسده الأصلي لتسكن فيه الروح بعد مفارقة البدن الأصلي، وليت شعري كأنه لم يقف على شيء من أخبار أهل البيت عليهم السلام الواردة في هذا المقام فإنها صريحة الدلالة في أن الأرواح بعد مفارقة الأجسام العنصرية تتعلق بأشباح مثالية يخلقها الله تعالى بقدرته تشابه تلك الأبدان، بحيث لو رأيته لقلت فلان وإنهم يجلسون حلقاً حلقاً يتحدثون ويأكلون وأنهم في ظهر الكوفة الموسوم بوادي السلام وهو بقعة من جنات عدن، هذا إن كانوا مؤمنين والكفار في بئر برهوت وهو في واد حضرموت.

فمن الأخبار الواردة في ذلك ما رواه في الكافي بسنده عن حبة العرني قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى ظهر الكوفة فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت حتى نالني أولاً ثم جلست حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي: يا حبة إن هي إلا محادثة مؤمن أو مؤمنة. قال قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم لكذلك؟

قال: نعم ولو كشف ذلك لرأيتهم حلقاً حلقاً يتحدثون. فقلت: أجسام أم أرواح، فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وإنها بقعة من بقاع جنة عدن.

---

(١) سورة آل عمران: الآية، ١٦٩. (٢) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

وروى الشيخ في التهذيب عن مروان بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له إن أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها. فقال: ما تبالي حيث ما مات أما أنه لا يبقى من شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى دار السلام. قلت له: وأين وادي السلام؟

قال: ظهر الكوفة، أما كأني بهم حلقاً حلقاً يتحدثون - إلى غير ذلك من الأخبار. والظاهر أن بناء كلام هذا الفاضل على مذهب من قال إن الإنسان عبارة عن هذه الجملة المشاهدة وأن الروح هي النفس المتردد في مخارق الحيوان وهو أجزاء الحيوان، كما نقله جماعة من أصحابنا منهم أمين الإسلام الطبرسي قدس الله سره في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(١) فإنه على تقدير هذا القول لا يتم إثبات الحياة في عالم البرزخ إلا بما ذكره هذا الفاضل، ولكن الأخبار كما عرفت ترده.

ويؤيد القول بأن الإنسان في الحقيقة إنما هو عبارة عن تلك النفس الناطقة والجواهر المجردة، وهي المستعدة للبيان وفهم الخطاب وهي محل الثواب والعقاب المسماة بالروح في قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(٢) وقد تحير في حقيقتها فحول العلماء وتاهت فيها آراء الفضلاء، والذي عليه المحققون إنها جوهر مجرد خارجة عن البدن غير داخلة فيه بالجزئية والحلول بل هي بريئة عن الصفات الجسمية منزه عن العوارض المادية متعلقة بالبدن تعلق التدبير والتصرف فقط كتعلق الهواء بالسفينة.

قال الشيخ البهائي قدس الله سره: وهذا القول هو مختار أعاظم العلماء الإلّهيين وأكابر المتصوفين والإشراقيين وعليه استقر رأي أكثر المتكلمين من الإمامية كالشيخ المفيد وابن نوبخت والمحقق نصير الدين الطوسي والعلامة جمال الدين الحلي ومن الأشاعرة الراغب الأصفهاني وأبي حامد الغزالي والفخر الرازي، وهو المذهب المنصور الذي أشارت إليه الكتب السماوية وانطوت عليه الأنباء النبوية وعضدته الدلائل العقلية وأيدته الإمارات الحدسية والمكاشفات الذوقية - انتهى كلامه زيد مقامه.

وحينئذٍ فبعد مفارقة النفس لهذا البدن فهي باقية في ذلك العالم الآخر في القالب المثالي الذي يخلقه الله سبحانه وتعالى، ومن الأخبار الدالة على ما قلنا زيادة على ما تقدم ما رواه ثقة الإسلام في الكافي في الصحيح عن أبي ولاد الخياط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جعلت فداك يروون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور حول العرش، قال: لا، المؤمن أكرم على الله أن يجعل روحه في حويصلة طير أخضر لكن في أبدان كأبدانهم.

وروي فيه أيضاً عن أبي بشير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنا نتحدث عن أرواح المؤمنين تكون في حواصل طيور خضر ترعى من الجنة فتأوي إلى قناديل تحت العرش، فقال: لا وكنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٤. (٢) سورة الإسراء: الآية، ٨٥.

قلت يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش. فقال أبو عبد الله عليه السلام: سبحان الله المؤمن أكرم على الله أن يجعل روحه في حويصلة طير أخضر، يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون، وإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا.

وهذه الأخبار كما ترى صريحة في رد ما نقله ذلك الفاضل من الحديث الدال على أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، وظاهر نسبة القول بذلك إلى الناس ربما يعطي التقية في هذا الحديث حملاً على العامة كما هو المتعارف في الأخبار.

وروي فيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين؟

فقال: في حجرات في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويقولون ربنا أقم لنا الساعة وانجز لنا ما وعدتنا وألحق آخرنا بأولنا.

وروي فيه أيضاً عن أبي بصير عنه عليه السلام أن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تتعارف تتسايد، فإن قدمت الروح على الأرواح تقول دعوها فإنها أقبلت من هول عظيم، ثم يسألونها ما فعل فلان، فإن قالت لهم حيّاً ارتجوه وإن قالت لهم هلك قالوا قد هوى إلى غير ذلك من الأخبار المستفيضة، وهي دالة على أن وجود تلك الأرواح في عالم البرزخ وجود حقيقي وإنها بعد المفارقة لأبدانها العنصرية تتعلق بأشباح مماثلة لتلك الأبدان وتتصف هناك بصفات الأحياء من الأكل والشرب والكلام والجلوس ونحو ذلك، وفيه دلالة واضحة على تجرد النفس الناطقة وإن الحياة الثابتة في عالم البرزخ للأموات بهذا المعنى لا بمعنى أن ينحل من هذا البدن العنصري أجزاء بقدر ما تحل الحياة التي كانت الجملة بها حية كما ذكره ذلك الفاضل وجمد عليه شيخنا الناقل.

بقي هنا شيئان: ينبغي التنبيه عليهما.

أحدهما: إن المفهوم من أكثر الأخبار أن تلك الأشباح التي تتعلق بها الأرواح بعد مفارقة البدن العنصري، بدليل إثبات لوازم الجسمية لها من الأكل والشراب والجلوس ونحوها، وحديث حبة العرني المتقدم يدل على أنها أرواح لا أجسام، والظاهر أن المراد بالجسمية المنفية في هذا الخبر هي العنصرية، فكأن الراوي لما أخبره عليه السلام بأنهم حلقاً حلقاً يجلسون توهم أنهم بأبدانهم العنصرية ينقلون إلى وادي السلام فأجاب عليه السلام بأنهم أرواح لا أجسام.

ويمكن أن يقال أيضاً في الجمع بين نفي الجسمية عنها تارة وإثباتها لها أخرى بأن المراد أن تلك الأشباح ليست في كثافة الماديات ولا في لطافة المجردات، بل هي ذات جهتين وواسطة بين العالمين، وبهذا صرح شيخنا البهائي رحمه الله وقال القيصري في شرح الفصول: إن العالم المثالي ضرر روحاني من جوهر النوراني شبيهاً بالجوهر الجسماني في كونه محسوساً مقدارياً،

وبالجوهر العقلي في كونه نورانياً وليس بجسم مادي ولا جوهر مجرد عقلي بأنه برزخ فاصل بينهما وكلما هو برزخ بين الشيئين فهو غيرهما وله جهتان تشبه بكل منهما ما يناسب عالمه. اللهم إلا أن يقال: إنه جسم نوري في غاية ما يمكن من اللطافة، فيكون حداً فاصلاً بين الجواهر المجردة اللطيفة وبين الجواهر الجسمانية الكثيفة، وإن كان بعض هذه الأجسام ألطف من بعض كالسماوات بالنسبة إلى غيرها - انتهى.

وثانيهما: إن هذه الأخبار التي أسلفناها قد دلت على أن المؤمنين تنقل في ذلك القالب المثالي إلى دار السلام وأرواح الكفار إلى برهوت بئر في وادي حضرموت، وقد دلت الأخبار المتعددة أنه يفتح للمؤمن الميت في قبره مد بصره ويفتح له باب الجنة فيتحف من روحها إلى يوم القيامة ويقال له: نم قرير العين نومة الشباب الناعم، ويفتح للكافر باب إلى النار يدخل عليه من حرها إلى يوم القيامة وتسلط عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها تنهشه، وإن الميت يأنس بمن يزوره في قبره، ونحو ذلك مما يدل على أن للميت إحساساً باللذة في قبره والألم.

ويمكن الجواب عن ذلك بأنه يجوز أن يجعل الله تعالى للميت في قبره من الحياة ما يلتذ به ويتألم. قال في شرح المقاصد: اتفق أهل الحق على أنه تعالى يعيد إلى الميت في القبر نوع حياة قدر ما يتألم ويلتذ، لكن توقفوا في أنه هل تعاد الروح إليه أم لا، وما يتوهم من امتناع الحياة بدون الروح ممنوع وإنما ذلك في الحياة الكاملة التي تكون معها القدرة والأفعال الاختيارية - انتهى.

والأظهر في الجواب ما أفاده بعض مشايخنا المتأخرين قدس الله لطفهم وأجزل تشريفهم وادعى وروده في بعض الأخبار أيضاً من أن الروح لها اطلاع على القبر بانعكاس أشعتها النورانية إليه كما أن الشمس مركوزة في الفلك وأشعتها في جميع الأقطار، مع أن ذلك عالم الأرواح وهو وراء طور العقل. لأن الأرواح من عالم المجردات ونسبتها إلى جميع الأشياء على السوية، والقالب المثالي لا يمنعها من الإطلاع والإشراق بالانعكاس على جميع الأشياء لعدم كثافته بخلاف القالب الجسماني فإنه يمنع من ذلك ويختص بالحضور.

وفي حديث طويل في الكافي أنه يدخل عليه في قبره ملكا القبر منكر ونكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه - الحديث، وظاهره الروح الكاملة كما يكون في الدنيا وإن كان بعد السؤال تفارقه وتتعلق به حسبما ذكرنا في الجواب والله سبحانه وأوليائه أعلم.

بعدٌ وجفاء

[البحر الرمل المجزوء]

قُلْ لمن ملَّ هوانا ... وتولى وجفانا
ولمن أعرض عنّا ... بعد ما كنّا وكانا
من تبدلت علينا ... ومن اخترت سوانا

نحن ندري أنك اخترت ... فلاناً وفلانا
نحن لا نعجلُ بالأخذِ ... على عبدٍ عصانا
قل لنا أيُّ قبيح ... قد جرى منّا وبانا
كم تتبّغنا مراضيك ... ولم تتبغ رضانا
كم دعوناك إلينا ... وعلينا تتوانى
كم توقعناك للصلحِ ... وطوّلت الزّمانا
كم رأيناك على ذنبٍ ... وما كنت ترانا
كم أمرْناك وخالفت ... هوانا في هوانا
هكذا الحرُّ الموافي ... هكذا كان جزانا

الشيب

للسراج الوراق: [البحر الوافر]

وقالتْ يا سراجُ علاك شيبٌ ... فخذ بحديده خلع العذارِ
فقلتُ لها نهارٌ بعد ليلٍ ... فما يدعوك أنت إلى النّفارِ

فقالت قد صدقت وما سمعنا.

السراج والهوى

وله أيضاً: [البحر الطويل]

وسائلةٍ عنّي وقد سكن الهوى ... بقلبي لما حرّكته يدُ النّوى
فقلتُ عجيباً تسألين وتعلمي ... فديتُك ما حالُ السراج مع الهَوَى

المعلم الثاني: أبو نصر الفارابي:

أنتم نوري

[البحر الطويل]

نظرتُ بنورِ العلمِ أوّلَ مرّةٍ ... عن الأكوانِ وارتفع اللّبسُ
وما زالَ قلبي لائذاً بجمالِكم ... وحضرتِكم حتى فنت فيكم النّفسُ
فصار بكم ليلي نهاري وظلْمتي ... ضياءً ولاحتْ من جمالكم الشمسُ

عتاب

غيره لغيره: [البحر الطويل]

أقولُ لقلبي في عتاب أسرَّه عدمتُك من قلبٍ وإن كنت في صدري
أتقوى على ما لا يطاقُ من الهوى وتعجزُ عمّا يستطاعُ من الصبرِ
وما هي إلا ليلةٌ ثم يومها ويومٌ إلى يوم وشهرٌ إلى شهرِ
مطايا يقرّبْن الجديدَ إلى البلا ويُدنين أشلاء الصحيحِ إلى القبرِ

تأسٍ وعزاء

غيره لغيره: [البحر الطويل]

مررْنا بأكناف العقيق فأعشبتْ أباطحُ من أجفاننا ومسائلُ
فمن واقفٍ في جفنِه الدمعُ واقفٌ ومن سائلٍ في خدِّه الدمعُ سائلُ
تأسَّى بيأسٍ أو تعزَّى بسلوةٍ فما لك في أطلالِ عزَّة طائلُ

خفة الجسوم

ابن دريد: [البحر الرمل]

ثقلتْ زجاجاتٌ اتتنا فزعاً حتّى إذا مُلئت بصرف الرّاحِ
خفّتْ وكادت أن تطير بما حوتْ وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ

ملابس أحزاني

غيره لغيره: [البحر الطويل]

وقائلةٍ لمّا رأتْ شيب لمَّتي استُره عن وجهها بخضابِ
أتسترُ عنّي وجه حقٍّ بباطلٍ وتُوهمُني ماءً بلمعِ سرابِ
فقلتُ لها كُفّي ملامَك أنّها ملابسُ أحزانيِ لفقد شبابي

المسك والكافور

غيره لغيره: [البحر البسيط التام]

قالتْ أرى مسكة الليلِ البهيمِ غدتْ كافورةً غيّرتها صبغةُ الزّمنِ

فقلتُ طيبٌ بطيبٍ والتبدّل في روائحِ الطّيبِ أمرُ غيرُ ممتهنِ
قالتْ صدقتَ ولكنْ ليس ذاك كذا المسكُ للحرسِ والكافورُ للكفنِ

التنافس

أبو نصر الفارابي: [البحر المتقارب]

أخي خلِّ حيزاً ذي باطلٍ وكنْ والحقائقَ في حيّزِ
فما الدارُ دارُ مقامٍ لنا ولا المرءُ في الأرضِ بالعجّزِ
ينافسُ هذا لهذا على أقلَّ من الكلِمِ الموجزِ
وهل نحنُ إلاّ خطوطٌ وقعن على نقطةٍ وقع مستوفزِ
محيطُ السماواتِ أولى بنا فماذا التنافسُ في المركزِ

بهر نوره أنوارهم

روى الصدوق: عطر الله مرقده في الأمالي قال: حدثنا أبو زيد النحوي الأنصاري قال: سألت الخليل بن أحمد العروضي فقلت له: لم هجر الناس علياً عليه السلام وقرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله قرباه وموضعه من المسلمين موضعه وعناه في الإسلام عناه؟

فقال: بهر والله نوره أنوارهم وغلبهم على صفو كل منهل، والناس إلى أشكالهم أميل، أما سمعت الأول حيث يقول: [البحر السريع]

وكلُّ شكلٍ لشكلِه إلِفا أما ترى الفيل يألفُ الفِيلا

قال: وأنشدنا الرياشي في معناه عن العباس بن الأحنف: [البحر السريع]

وقالَ كيفَ تهاجرتُما فقلتُ قولاً فيه إنصافُ
لم يكُ من شكلي فهاجرتُه والنّاسُ أشكالٌ وآلافُ

الإسرائيلي الفقير الذي صار غنياً

وروى ثقة الإسلام: في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل عابد وكان محارفاً لا يتوجه بشيء فيصيب فيه شيئاً فأنفقت عليه امرأة حتى لم يبق عندها شيء فجاءت يوماً من الأيام فدفعت إليه نصلاً من غزل وقالت: ما عندي غيره انطلق فبعه واشتر لنا شيئاً نأكله، فانطلق بنصل الغزل ليبيعه فوجد السوق وقد أغلقت ووجد المشتريين قد قاموا وانصرفوا، فقال: لو أتيت هذا الماء وتوضأت منه وصببت عليَّ منه وانصرفت، فجاء إلى البحر

وإذا هو بصياد قد ألقى شبكته فأخرجها وليس فيها إلا سمكة ردية قد مكثت عنده حتى صارت رخوة متننة فقال له: بعني هذه السمكة وأعطيك هذا الغزل تنتفع به في شبكتك. قال: نعم، فأخذ السمكة ودفع إليه الغزل وانصرف بالسمكة إلى منزله فأخبر زوجته الخبر، فأخذت السمكة لتصلحها فلما شقتها بدت من جوفها لؤلؤة، فدعت زوجها فأرته إياها فأخذها وانطلق بها إلى السوق فباعها بعشرين ألف دينار وانصرف إلى منزله فوضعها، وإذا سائل يدق الباب يقول:

يا أهل الدار تصدقوا على المسكين رحمكم الله تعالى. فقال الرجل له: ادخل، فدخل فقال: خذ أحد الكيسين وانطلق فقالت امرأته سبحان الله بينما نصف مياسير إذ ذهبت يسارنا، فلم يكن ذلك بأسرع من دق الباب وسائل يقول: ارزقونا رزقكم الله. فقال له الرجل ادخل، فدخل فوضع الكيس في مكانه ثم قال: كل هنيئاً مريئاً إنما أنا ملك من ملائكة السماء إنما أراد بك أن يبلوك فوجدك شاكراً ثم ذهب.

بركة اسم محمد

في الخبر عنه عليه السلام: إذ سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجهاً.

وعنه: ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمد وأحمد فادخلوه في مشورتهم الا هو خير لهم.

وعنه: ما من مائدة وضعت فقعد عليها من اسمه محمد وأحمد إلا قدس ذلك المنزل في كل يوم مرتين.

جمل يحج عليه

وروى: شيخنا المجلسي في كتاب حلية المتقين عن الرسول صلى الله عليه وآله إن كل جمل يحج عليه مرات ويحضر في موقف عرفة فإن الله تعالى يجعله يوم القيامة مع حيوانات الجنة، في بعض الروايات خمس مرات، وفي بعض ثلاث مرات.

فيما ورد في الوزغ

روي: في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من حجرته ومروان وأبوه يستمعان إلى حديثه فقال له الوزغ ابن الوزغ قال أبو عبد الله عليه السلام فمن يومئذٍ ترون الوزغ يستمع الحديث.

أبان عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام لما ولد مروان عرضوا به إلى عائشة ليدعو له

فلما قربته منه قال: اخرجوا عني الوزغ قال زرارة: ولا أعلم إلا أنه قال ولعنه.

وعن: عبد الله بن طلحة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوزغ، فقال: رجس وهو مسخ كله فإذا قتلته فاغتسل، ثم قال: إن أبي كان قاعداً في الحجر وكان معه رجل يحدثه فإذا هو بوزغ يولول بلسانه فقال أبي للرجل: أتدري ما يقول هذا الوزغ؟

فقال: لا علم لي بما يقول قال: فإنه يقول والله لئن ذكرتم عثمان بشتيمة لأشتمن علياً حتى تقوم من هاهنا، وأنه قال ليس يموت من بني أمية ميت إلا مسخ وزغاً، وقال: إن عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت مسخ وزغاً فذهب من بين يدي من كان عنده وكان عنده ولده، فلما أن فقدوه عظم ذلك عليهم فلم يدروا كيف يصنعون ثم اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً فيضعوه كهيئة الرجل. قال: ففعلوا ذلك والبسوا الجذع درعاً ثم لفوه في الأكفان فلم يطلع عليه أحد من الناس إلا أنا وولده.

أجوبة مقنعة

قال الحجاج: ليحيى بن سعيد إنك تشبه إبليس. فقال: وما ينكر الأمير أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن، فأعجبه جوابه.

قال: بعض الأعراب لابنه في أثناء محاورته: اسكت يا بن الأمة. فقال: لهي والله لا عذر منك حيث لم ترض إلا حراً.

قال: المنتصر لأبي العيناء: ما أحسن الجواب؟ قال: ما أسكت المبطل وحير المحق.

قال: ابن عباس أبهم عن البهائم كل الأمور إلا أربع: معرفة صانعها، وابتغاء النسل، وطلب المعاش، وحذر الموت.

عز: أعرابي معاوية فقال: بارك الله لك في الفاني وآجرك في الباقي، فظن معاوية أنه غلط، فقال الأعرابي: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾(١).

مصائب السلطان

لبعضهم: وقد أجاد: **[البحر الكامل]**

ومصائبُ السلطانِ مثلُ سفينةٍ ... في البحرِ ترجفُ دائماً من خوفِهِ
إن أدخلتْ من مائِه في جوفِها ... دخلتْ وما في جوفِها في جوفِهِ

(١) سورة النحل، الآية: ٩٦.

المجالسة

غيره لغيره: [البحر المتقارب]

حديثُ الجليسِ بغير الجميلْ يدلُّ على طينتِه الفاسدهْ
إذا كان أبوهُ تقيّاً نقيّاً فكان الفسادُ من الوالدهْ
وإنْ كان أثناهُما ناجيانْ فلا بدَّ للأصلِ من قاعدهْ
تجودُ الملوكُ بأموالِها وتأبى العبيدُ بني الشاردهْ

ولد الزّنا

أبو بصير: قال: سألته عما روي أن ولد الزنا شر الثلاثة قال عليه السلام عنى به الأوسط شر ممن تقدمه وممن تلاه.

الخاتم

وفي الخبر: عن علي عليه السلام قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفي يده خاتم فضة جزع يماني، فصلى بنا فلما قضى صلاته دفعه إلي وقال: يا علي تختم به في يمينك وصل فيه، أو ما علمت أن الصلاة في الجزع سبعون صلاة، وأنه يسبح الله تعالى ويستغفره وأجره لصاحبه.

كتمان السر

صفي الدين الحلي: [البحر الطويل]

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ من سرِّ نفسِه فصدرُ الذي يستودعُ السرَّ أضيقُ
إذ المرءُ أفشى سرَّه بلسانِه ولامَ عليه غيرَه فهو أحمقُ

يقبل المقبلين

قال: رجل لرابعة العدوية: قد عصيت الله أفترينه يقبلني؟

قالت: ويحك إنه يدعو المدبرين عنه فكيف لا يقبل المقبلين إليه.

من كشكول: شيخنا البهائي: الجفر ثمانية وعشرون جزءاً كل جزء ثمانية وعشرون صفحة كل صفحة ثمانية وعشرون سطراً كل سطر ثمانية وعشرون بيتاً في كل بيت أربعة أحرف الحرف الأول بعدد الجزء، والثاني بعدد الصفحة، والثالث بعدد الأسطر والرابع بعدد البيوت، فاسم

جعفر مثلاً يطلب من البيوت العشرين من السطر السابع عشر ومن الصفحة عشر من الجزء الثالث وقس على ذلك.

التواضع

أبو عبادة البحتري: [البحر الوافر]

دنوتُ تواضُعاً وعلوتُ مجْداً فسناكَ الخدارُ والارتفاعُ
كذاك الشمسُ تبعدُ إنْ تسامتْ ويدنو الضوء منها والشعاعُ

في معرفة علم الكتف

من كتاب: شرح القانون للعلامة الشيرازي في الفصل الخامس في علامات من ليس يجيد الحال في خلقته الماهر في علم الأكتاف: متى نظر فيها علم أن ألسنة الآتية مجذبة ومخضبة وهل هي كثيرة الحروب، وأبلغ من هذا أنه يعلم من ذلك حال الملك والوزير والأمير في استمرارهم على حالهم وعدمه، غير أن هذا الحكم موقوف على شروق: منها أن يذبح رأس الغنم على نية المسؤول له وهو والذابح طاهرين نظيفي الملبوس، ومنها أن يكون الذابح في روضة وبقرب مياه جارية، ومنها أن لا يوصل إلى الكتف سكيناً ولا حديدة بالكلية، ومنها أن يوجه إلى الشمس بحيث يكون ظهره إلى وجه الشمس ووجه الكتف الذي في وسطه الزائدة يحاذي وجه الناظر، ومنها أن يستوفي الغنم، ومنها أن يأخذ الكتف الأيمن، ومنها أن ينظف من اللحم تنظيفاً بالغاً، وبعد ذلك يبالغ في التفتيش وأخذ العادات والعلامات من الرقوم والأشكال والدائرة والنقطة، فإنهم يعرفون منها الأمور وليس لها علة إلا كثرة المباشرة والملابسة بهذا الفن وشدة القوة الحافظة.

أعمال آخر أربعاء من صفر

من كتاب جوهر قطب الغوث: في كل سنة ثلاثمائة ألف وعشرون ألف بلية تنزل في آخر أربعاء من شهر صفر، فيكون بضعف أيام السنة تصلّي في ذلك اليوم أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[1] سبع عشرة مرة والتوحيد خمس مرات والمعوذتين مرة واحدة، فإذا سلم دعا بهذا الدعاء (يا شديد القوي يا شديد يا عزيز ذلت لقدرتك جميع خلقك يا منعم يا مكرم لا إلٰه إلا أنت يا أرحم الراحمين).

---

(١) سورة الكوثر، الآية: ١.

وفي بعض الروايات: فصل أربع ركعات بتسليم واحد تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة والكوثر سبع مرات والتوحيد سبع عشرة مرة والمعوذتين مرة فإذا سلم قال قبل أن يتكلم ويقوم من مقامه: (بسم الله الرحمن الرحيم يا شديد المحال) اهـ ويكتب ويشد في عضده (يا شديد القوى يا شديد المحال يا عزيز ذلت لعزتك جميع خلقك يا مجمل يا مفضل يا كافي يا وافي يا حافظ يا حفيظ يا من بيده مقادير كل شيء وإليك ألجأ وبك ألوذ وعليك توكلت فاحرسني بحراسة حفظك وحل بيني وبين من ناواني فإني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره فاكفنيه يا رب لا إله إلا أنت برحمتك يا أرحم الراحمين).

أهل بيت النبي ﷺ

روى الصدوق: قدس الله سره في كتاب الأمالي عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي عامر أبي حمزة البطائني عن أبي بصير قال: قلت للصادق عليه السلام. من آل محمد؟

قال: ذريته.

قلت: من أهل بيته؟

قال: الأئمة الأوصياء.

فقلت: من عترته؟

قال: أصحاب العباء.

فقلت: من أمته؟

قال: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء من عند الله تعالى المستمسكون بالثقلين الذين أمروا بالتمسك بها كتاب الله وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهما الخليفتان على الأمة بعد رسول الله ﷺ.

ضيق الصدر

روضة الكافي: بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي قال: حدثني محمد بن علي بسبعين حديثاً لم أحدث بها أحداً قط ولا أحدث بها أحداً أبداً، فلما مضى محمد بن علي ثقلت على عنقي وضاق بها صدري فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك أن أباك حدثني سبعين حديثاً لم يخرج مني شيء منها ولا خرج شيء منها إلى أحد وأمرني بسرها وقد ثقلت على عنقي وضاق بها صدري فما تأمرني؟

فقال: يا جابر إذا ضاق بك من ذلك شيء فاخرج إلى الجبانة واحفر حفيرة ثم دل رأسك فيها

وقل: حدثني محمد بن علي بكذا وكذا، ثم طمه فإن الأرض تستر عليك. قال جابر: ففعلت ذلك فخف عني ما كنت أجده.

العدو والعاقل

قيل لكسرى: أي الناس تحب أن تكون عاقلاً؟

قال: عدوي. قال: ولمَ؟

قال: لأنه إذا كان عاقلاً كنت منه في أمنٍ وعافية.

العداوة

لبعض العلماء: [البحر الوافر]

بـلاءٌ لـيـسَ يـشـبِـهُـه بـلاءُ عـداوةُ خيـر ذي حـسـبٍ وديـنِ
يبيحُك منه عرْضاً لم يصنْه ويرتعُ منك في عرضٍ مصونِ

الترحيب

لبعضهم: [البحر السريع]

كنّا إذا جئنا لمن قبلكم أجادَ في الترحيبِ بعد القيامْ
والآنَ صرْنا حين نأتيكُمُ نقنعُ منكم بلطيفِ الكلامْ
لا غـيَّـر اللهُ بـكـم خـشـيـةً منْ أنْ يُحيِّ من لا يردّ السلامْ

المصلّي الصّائم

قيل: إن أعرابياً دخل المسجد فرأى رجلاً يصلي بخشوع وخضوع فأعجبه ذلك فقال له: نعم المصلي؟

فقال: وأنا صائم فإن صلاة الصائم تضعف صلاة المفطر. فقال الأعرابي: تفضل واحفظ ناقتي هذه فإن لي حاجة حتى أقضيها؟

فخرج لحاجته فركب المصلي ناقته وخرج، فلما قضى الأعرابي حاجته رجع فلم ير الرجل ولا الناقة فطلبه فلم يقدر عليه فخرج وهو يقول: [البحر الكامل]

صلّى فأعجبَني فصامَ فرابني نحِّ القلوصَ عن المصلّي الصائمِ

في أحوال النفس

قال: مولانا المحدث الكاشاني في كتاب علم اليقين في بيان أحوال النفس: قيل وما أشبه حال النفس الإنسانية في تقلبها في أطوار الخلقة وقوعها من عالم الفطرة في مزابل الجهل ونسيانها عالمها عند الهبوط، إلى منازل الأرذال إلى أن تصل إلى درجة العقل بحال البذر في تقالب الأطوار، إلى أن تبلغ مرتبة الثمار فيبتدىء أوله وهو بذر بعد لبسه في الأرض يعني عن ذاته في الأماكن الغريبة، ثم يستحيل بقوة نامية من حال إلى حال حتى ينتهي إلى ما كان أولاً ويصل إلى درجة اللب التي كان عليها في بدء أمره مع عدد كثير من أفراد نوعه وفوائد وأرباح كثيرة حاصلة في سفره من الأوراق والقشور والأشجار والأنوار، ويخرج من بين تلك القشور لباً صافياً بإذن الله تعالى وثمرة صالحة هي نتيجة تلك المقدمة ونهاية تلك الانبعاثات تكون موجودة باقية لبقاء موجدها مع انفساد تلك الأمور وزوالها.

ما أكثر الوصف وأقل الفعل

روى ثقة الإسلام: في الكافي عن أبي مريم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبي يوماً وعنده أصحابه: من فيكم يطيب نفسه أن يأخذ جمرة في كفه فيمسكه حتى تطفيء؟

قال: فكاع الناس كلهم ونكلوا فقمت وقلت: يا أبت أتأمر أن أفعل؟

فقال ليس إياك عنيت إنما أنت مني وأنا منك بل إياهم أردت، وكررها ثلاثاً ثم قال: ما أكثر الوصف وأقل الفعل قليل إلا وإنا لنعرف أهل الفعل والوصف معاً وما كان هذا منا تعامياً عليكم بل لنبلو أخباركم ونكتب آثاركم، فقال: والله لكأنما مادت بهم الأرض حياء مما قال حتى أني لأنظر إلى الرجل منهم يرفض عرقاً ما يرفع عينيه من الأرض، فلما رأى ذلك منهم قال: رحمكم الله فما أردت إلا خيراً والجنة درجات فدرجة أهل الفعل لا يدركها أحد من أهل القول ودرجة أهل القول لا يدركها غيرهم، فوالله لكأنما نشطوا من عقال.

شيعة علي عليه السلام من صدق قوله

موسى بن بكر الواسطي: قال: قال أبو الحسن عليه السلام لو ميزت شيعتي ما وجدتهم إلا واصفة ولو امتحنهم لما وجدتهم إلا مرتدين ولو تمخضتهم لما خلص من الألف واحد ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلا ما كان لي، إنهم طالما أنكثوا على الأرائك نحن شيعة علي وشيعة على من صدق قوله فعله.

جزاك الله خيراً

الحسين بن أعين: قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الرجل للرجل «جزاك الله خيراً» ما يعني به؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: إن خير نهر في الجنة مخرجه من الكوثر والكوثر مخرجه من ساق العرش عليه منازل الأوصياء وشيعتهم على حافتي ذلك النهر جواري نابتات كلما قلعت واحدة نبتت أخرى بذلك النهر، وذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾[1] فإذا قال الرجل لصاحبه «جزاك الله خيراً» فإنما يعني بذلك تلك المنازل التي أعدها الله تعالى لصفوته وخيرته من خلقه.

أبو بصير: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن في الجنة نهراً حافتاه حور نابتات، فإذا أمر المؤمن بإحداهن فأعجبته اقتلعها فأنبت الله عز وجل مكانها.

المستودع

العياشي: عن الباقر عليه السلام أنه قال لأبي بصير حين سأله عن هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[2] ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه؟

قال يقولون: مستقر في الرحم ومستودع في الصلب، فقال: كذبوا المستقر من استقر الإيمان في قلبه فلا ينزع أبداً والمستودع الذي يستودع الإيمان زماناً ثم يسلبه، وقد كان الزبير منهم.

الدفع عن شيعتنا

الكافي والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: إن الله ليدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا لو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا، وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3] فوالله ما نزلت إلا فيكم ولا عنى بها غيركم.

وعنه: إن الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله، لا يزالون في حفظ الله تعالى ما دام فيهم.

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

شعر ابن قريعة وشرحه

للقاضي أبي بكر: محمد بن عبد المعروف بابن قريعة من عظماء المخالفين:

[البحر الكامل المجزوء]

لا تـكـشـفـنَّ مـغـطّـاً ... فـلـربّـمـا كـشـفـتَ جـيـفـةْ
ولـربَّ مـسـتـورٍ بَـدا ... كـالبطلِ من تـحتِ القـطـيـفـةْ
إن الـجـوابَ لـحـاضِـرٌ ... لـكـنّـنـي أخـفـيـهِ خـيـفـةْ
لـولا حـدودُ صـوارمٍ ... أمْـضـى مـضـاربَـهـا الـخـلـيـفـةْ
وحـدودُ أسـيـافٍ بـهـاً ... هـامـاتُـهـا أبـداً نـقـيـفـةْ
تـغـنـيـكـمُ عـمّـا رواهُ مـالـكٌ وأبـو حـنـيـفـةْ
لـنـشـرتُ مـن أسـرارِ آلِ مـحـمـدٍ جُـمـلاً لـطـيـفـةْ
وأريـتـكـم أن الـحـسـيـنَ أصـيـب فـي يـوم الـسـقـيـفـةْ
ولأيِّ شـيءٍ الـحِـدثْ ... بـالـلـيـلِ فـاطـمـةُ الـشـريـفـةْ
ولِـمـا حـمـتْ أشـيـاخُـكـم ... عـن وطءِ حـجـرتِـهـا الـمـنـيـفـةْ
آسَـفـاً لـبـنـتِ مـحـمـدٍ ... مـاتـتْ بـغـصّـتِـهـا أسـيـفـةْ

متى قتل الحسين عليه السلام

قال شيخنا أبو الحسن: قدس الله سره في رسالته الذخيرة في المحشر في نسب عمر: قوله: «وأريتكم أن الحسين» - اهـ، قد روي مضمونه في بعض الأخبار عنهم عليهم السلام انتهى.

وذكر الشهيد الثالث في مجالس المؤمنين في ترجمة الكميت بن زيد أن بعض ملوك مازندران سأل بعض أهل العلوية فقال: أيها السيد اقتل الحسين بكربلاء؟

فقال السيد: لا بل في السقيفة حين بويع أبو بكر، وهو بعينه ما قاله القاضي ابن قريعة في هذه الأبيات - انتهى.

عهد عمر إلى معاوية

ويؤيده خبر العهد المروي في كتاب دلائل الإمامة عن سعيد بن المسيب المتضمن أن يزيداً إنما فعل ذلك بعهد من عمر بن الخطاب إلى معاوية، وهو طويل وفي آخره: إياك يا معاوية وشرحي لك ما قد شرحته وبنيت عليه، فإني لك ناصح أمين ومشفق عليك من ضيق غضبك وحرج صدرك وقلة حلمك أن تعجل فيما وصيتك به ومكنتك منه من شيعة محمد وأمته أن تبدي لهم مطالبة بظغن أو شماتة بموت أو رد عليه فيما أوتي به واستصغاراً لما أمر به فتكون من

الهالكين فتخفض ما رفعت وتهدم ما بنيت، واحذر كل الحذر وصدق في كل ما أوتي به وأورده ظاهراً أو باطناً وأظهر التحرز في رعيتك وأوسعهم حلماً وأعمهم بالعطايا ولا تريهم أنك تدع الله حقاً أو تنقص فرضاً، ولا تغير لمحمد ﷺ سنة فتفسد علينا الأمة بل خذهم من مأمنهم واقتلهم بأيديهم واضربهم بسيوفهم ولا تناجزهم ولِن لهم ولا تخش عليهم وافسح لهم في مجلسك وتوصل إلى قتلهم برئيسهم وأظهر البشر والبشاشة، فما أمن عليك من وثبة عليٍّ وشبليه الحسن والحسين، فإن أمكنك في عدة من الأمة فبادر ولا تقنع بصغار الأمور واقصد لعظيمها، واحفظ وصيتي إليك وعهدي واخفه ولا تبده وامتثل أمري ونهيي وانهض بطاعتي، وإياك والخلاف علي واسلك طريق أسلافك واطلب بثأرهم واقتص آثارهم، وقد خرجت إليك بسري وجهري وشفعت هذا بقولي: [البحر الطويل]

معاويَ إنَّ القومَ ضلَّتْ حلومُهم ... بدعوةِ منْ عمَّ البريةَ بالوترِ
صبوتُ إلى دينٍ به باد أسرتي ... فأبعدْ بدينٍ قد قصمتُ به ظهري
فلا أنسَ لا أنسى الوليد وشيبةً ... وعتبةَ والعاصَ الصريعَ لذي بدرِ
وتحتَ شغافِ القلبِ لدغٌ لفقدهم ... أبو حكمٍ منجي الضئيلِ من الفقرِ
أولئك فاطلبْ يا معاويَ ثارهم ... ببيضِ سيوفِ الهندِ والأسلِ السمرِ
وصلْ برجالِ الشامِ في معشرٍ ... هم الأسدُ والباقون هم أكمُ الوعرِ
توصلْ إلى التخليطِ في الملةِ التي ... أتانا بها الماضي المموّهُ بالسحرِ
وطالبْ بأحقادٍ مضتْ لك مظهراً ... لعلّةِ دينٍ عمَّ كلَّ بَني النّضرِ
فلست تنال النارَ إلا بدينِهم ... وتقتلْ بسيفِ القومِ جيلَ بني عمرِ
لهذا لقدْ ولَّيْتك الشامِ راجِياً ... وأنتَ جديرٌ أن تؤولَ إلى صخرِ

كيفية الصلاة والتسليم على النبي

كتاب جمال الأسبوع: لابن طاوس ﷺ عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد ابن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: كيف الصلاة على رسول الله ﷺ في دبر الفريضة وكيف السلام عليه؟

فقال: تقول (السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا محمد بن عبد الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا أمين الله، أشهد أنك رسول الله وأشهد أنك محمد بن عبد الله وأشهد أنك قد نصحت لأمتك وجاهدت في سبيل ربك وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين، فجزاك الله يا رسول الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته، اللهم صل على محمد وآل محمد أفضل ما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد).

ثلاثة بثلاثة

قال: لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا في مواضع: الشجاع عند الحرب، والحليم عند الغضب، وأخوك عند حاجتك إليه.

قال: ثلاثة ليس فيهن حيلة: فقر يخالطه كسل، وعداوة يداخلها حسد، ومرض يمازجه هرم.

وقال: لا ينبغي للأصاغر أن يتقدموا الأكابر إلا في ثلاثة مواطن: إذا ساروا ليلاً، وخاضوا سيلاً، وواجهوا خيلاً.

قال الحسن بن سهل: ثلاثة أشياء تذهب ضياعاً: دين بلا عمل، وقدرة بلا فعل، ومال بلا بذل.

من كنوز الجنة

في الحديث: أربع من كنوز الجنة: كتمان الحاجة، وكتمان المصيبة، وكتمان الوجع.

الأكل في حالة المشي

في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: خرج رسول الله قبل الغداة ومعه كسرة قد غمسها في لبن وهو يأكل ويمشي وبلال يقيم الصلاة وصلى بالناس.

وفيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام لا بأس أن يأكل وهو يمشي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك.

يقول ناظم هذه النقول وجامع هذا المنقول: إن في هذين الخبرين وأمثالهما رداً على رد اشتهر بين متأخري أصحابنا رضوان الله عليهم من أن مثل ذلك قادح في العدالة التي هي عندهم عبارة عن الملكة الراسخة الباعثة على ملازمة التقوى والمروة، وفسر المروة بأنها عبارة عن اتباع محاسن العادات واجتناب مساويها وما ينفر عنه من المباحات ويؤذن بخسة النفس، ويؤيد هذا الخبر ما روي عنه صلى الله عليه وآله كان يحلب الشاة ويركب الحمار العاري ويردف علياً عليه السلام خلفه، والحق أن تفسير العدالة بما ذكروه من الملكة لا دليل عليه عقلاً ولا نقلاً، بل الأخبار الواردة في تفسيرها جملة منها دالة على أنها عبارة عن حسن الظاهر وبعض منها دل على الإسلام، وإلى كل منهما ذهب بعض الأصحاب، والمختار هو الأول منهما، والأخبار الدالة على الثاني لا تأبى الانطباق على الأول كما أوضحناه في بعض الأجوبة عن مسائل بعض الأخلاء الأجلاء، وما فسروا به المروة أيضاً لا دليل عليه في الأخبار ولا مستمسك له في الآثار.

وقد روى الصدوق قدس الله سره في كتاب معاني الأخبار أخباراً عديدة في بيان معنى المروة لم يتضمن شيئاً منها هذا المعنى، ففي بعضها أنها عبارة عن أن يضع الرجل خوانه في فناء داره، وفي بعضها أنها عبارة عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[1] فالعدل الإنصاف والإحسان التفضل، وفي بعضها شح الرجل على دينه في إصلاح ماله وقيامه بالحقوق، وفي بعضها حفظ الرجل دينه وقيامه في صلاح ضيعته وحسن منازعته وإفشاء السلام ولين الكلام والكف والتحبب إلى الناس، وفي بعضها العفاف في الدين وحسن التقدير في المعيشة والصبر على النائبة، وفي بعضها المروة مروتان: مروة الحضر ومروة السفر، فأما مروة الحضر فتلاوة القرآن وحضور المساجد وصحبة أهل الخير والنظر في الفقه، وأما مروة السفر فبذل الزاد والمزاح في غير ما يسخط الله وقلة الخلاف على من صحبك وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم.

لابن الرومي: في غلام يلعب بالقوس: [البحر الوافر]

فديتُك أيُّها الرّامي بقوسٍ ولحظٍ يا ضنى جَسدي عليهِ
لقوسِك نحو حاجبِكَ انجذابٌ وشبهُ الشيءِ منجذبٌ إليهِ

الصلاح الصفدي: [البحر الكامل]

دبّ العذار فظنَّ منه لائمي إنّي أكونُ عن الغرامِ بمعزلِ
لا كانَ ذاك فإنّني من معشرٍ لا يسألون عن السّوادِ المقبلِ

وصايا

كتاب معاني الأخبار: عنه ﷺ في وصيته لعلي عليه السلام يا علي إذا كنتما جنباً فلا تقرآ القرآن فإني أخاف أن تنزل عليكما نار من السماء فتحرقكما وفيه كما ترى دلالة على المنع من القراءة مطلقاً من غير استثناء، وربما أشعر ظاهره بالتحريم.

وفيه أيضاً يا علي لا تجامع إلا ومعك خرقة ومع امرأتك خرقة لئلا تقع الشهوة على الشهوة فتقع بينكما العداوة حتى الطلاق.

أقول: وهذا الحكم مما اشتهر بين النساء ولم أطلع على من ذكره من الأصحاب.

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الجزء الثالث

تواريخ جملة من العلماء

الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: صاحب الكافي مات سنة تسع وعشرين وقيل ثمان وعشرين وثلاثمائة.

الشيخ علي بن الحسين بن بابويه: مات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: صاحب الفقيه وغيره مات في السنة الحادية والسبعين بعد الثلاثمائة.

جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه: أستاذ الشيخ المفيد مات سنة تسع وستين وثلاثمائة وقيل الثامنة والستين بعد الثلاثمائة.

الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد: ولد يوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة الثلاث وقيل الثامنة والثلاثين بعد الثلاثمائة. ومات قدس الله سره ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة الثالثة عشرة بعد الأربعمائة ودفن في داره سنين ثم نقل إلى مقابر قريش بالقرب من الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام إلى جانب قبر شيخه ابن قولويه وصلى عليه الشريف المرتضى.

أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي: صاحب كتاب الرجال كان مولده في صفر في السنة الثالثة والسبعين بعد الثلاثمائة، ووفاته في جمادى الأولى سنة الخمسين بعد الأربعمائة.

الحسين بن عبد الله القصاري: شيخ الشيخ الطوسي والنجاشي معاً مات سنة الحادية عشرة بعد الأربعمائة.

الشيخ محمد بن الحسن الطوسي: شيخ الطائفة ولد في شهر رمضان سنة الخامسة والثمانين بعد الثلاثمائة وتوفي ليلة الاثنين ثاني عشرة شهر المحرم سنة الستين بعد الأربعمائة.

السيد المرتضى: علي بن الحسين علم الهدى كان مولده في شهر رجب سنة الخامسة والخمسين بعد الثلاثمائة ووفاته في شهر الربيع لخمس بقين منه سنة السادسة والثلاثين بعد الأربعمائة.

السيد الرضي: محمد بن الحسين مولده سنة التاسعة والخمسين بعد الثلاثمائة وتوفي في السادس من المحرم سنة السادسة بعد الأربعمائة.

الشيخ الرئيس: أبو علي بن سينا مولده في صفر سنة ٣٧٠ ووفاته في شهر رمضان سنة ٤٢٨.

الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: مولده في رجب سنة ٣٨٩ ووفاته سنة الحادية وقيل الرابعة والسبعين بعد الأربعمائة.

الإمام الرازي: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر مولده في ١٥ شهر رمضان سنة الثالثة وقيل الرابعة والأربعين بعد الخمسمائة وتوفي سنة السادسة بعد الستمائة.

أبو حامد الغزالي: محمد بن محمد بن أحمد حجة الإسلام مولده سنة ٤٥٠ ووفاته يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخر سنة ٥٥٠.

أخوه أبو الفتوح: أحمد بن محمد الغزالي توفي سنة ٢٠ وقيل سنة ٥١٧.

الخواجة نصير الدين: محمد بن الطوسي مولده يوم السبت حادي عشر جمادى الأولى وقت طلوع الشمس والطالع الحوت سنة ٥٩٧ ووفاته آخر نهار الاثنين ثامن عشر ذي الحجة وقت غروب الشمس سنة ٦٧٢ ببغداد ودفن بالمشهد الشريف الكاظمي على مشرفه السلام.

الرضي الاسترابادي: محمد بن الحسن شارح الكافية والشافية توفي سنة ٦٧٦.

العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري: مولده يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧ وتوفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨ بجرجانية خوارزم.

العلامة سراج الدين السكاكي: المعتزلي صاحب المفتاح مولده وقت الصبح من يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأولى سنة ٥٥٥ بخوارزم وتوفي في أوائل رجب سنة ٦٢٦.

الكاتبي: علي بن عمر القزويني صاحب الشمسية وحكمة العين ووفاته سنة ٦٧٥.

المولى بهاء الدين: الوزير علي بن عيسى الأربلي صاحب كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة مولده سنة ٦٢٥ ووفاته سنة ٦٩٢.

القاضي ناصر الدين: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي القاضي البيضاوي صاحب التفسير المشهور مات سنة ٦٩٢.

الصاحب: أبو القاسم إسماعيل بن عباد الوزير مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٣٢٦ وتوفي ليلة الجمعة رابع عشر شهر صفر سنة ٣٧٥.

محيي الدين بن العربي: مولده في شهر رمضان سنة ٥٦٥ ووفاته في عشرين من ربيع الأولى سنة ٦٣٨.

الخليل بن أحمد الفراهيدي: مولده سنة ١٠٥ ووفاته سنة ١٧٠ وقيل سنة ١٧٥.

أبو الفضل: أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذاني توفي يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٨.

أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري: مولده سنة ٥ وقيل ٩٧ وتوفي في البصرة سنة ١٦١.

محمد بن سيرين: ذو اليد الطولى في التعبير مولده لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وتوفي تاسع شوال يوم الجمعة بالبصرة سنة ١١٥.

اياس بن معاوية المزني: المضروب به المثل في الذكاء والفطنة توفي سنة ١٢٢ وعمره يومئذ ٦٧ سنة.

النعمان بن ثابت: أبو حنيفة مولده سنة ٨٥ ووفاته سنة ١٥٥.

سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان توفي سنة ١٩٦ وعمره ٣٢ سنة وقبره بشيراز معروف.

أبو منصور الثعالبي: عبد الملك بن محمد صاحب يتيمة الدهر مولده سنة ٣٥٥ ووفاته سنة ٤٢٩.

أبو بكر محمد بن زكريا: الطبيب المشهور توفي سنة ٣١١.

الحسن بن أبي الحسن البصري: مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ووفاته بالبصرة مستهل رجب سنة ١٥١.

الكسائي علي بن حمزة: توفي سنة ١٧٢ بطوس.

مالك بن أنس: الإمام مولده سنة ٩٥ ومدة الحمل به ثلاث سنين كما نقله علماؤهم ووفاته في شهر ربيع الأول سنة ١٢٩.

محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: صاحب القاموس مولده في ربيع سنة ٧٣٩ ووفاته بزبيد ليلة العشرين من شهر شوال سنة ٨١٧.

أبو النظر إسماعيل بن حماد الجوهري: صاحب الصحاح مات سنة ٣٧٣.

أبو القاسم الجنيد: بن محمد الزاهد المشهور مات سنة ٧٠ وقيل ٢٩٨.

جلال الدين الدواني: مات سنة ٩٥٩.

عبد الرحمن الجامي: نسبة إلى جام من أعمال نيسابور مات سنة ٨٩٨.

المولى عبد الغفور: تلميذ الجامي وصاحب الحاشية على شرح الجامي مات سنة ٩١٢.

ميرزا جامي: الشيرازي مات سنة ٩٩٥.

الحكيم داود البصير المصري: صاحب التذكرة في الطب مات سنة ٥٥٩.

حسن چلبي: صاحب حاشية المطول والبيضاوي مات سنة ٨٨٦.

مير حسن الميبدي: اليزدي مات سنة ٩٥٨.

جلال الدين السيوطي: مات سنة ٩١١.

العلامة عمر بن مسعود التفتازاني: الشافعي مات سنة ٧٩٢.

ملا عصام الإسفراييني: مات سنة ٩٤٤.

ابن حجر العسقلاني: مات سنة ٨٥٢.

الأمير ابن المقرب: الشاعر المشهور مات سنة ٥٠٤.

الإمام محمد بن إدريس الشافعي: مولده سنة ١٥٥ ومات يوم الجمعة آخر يوم من شهر رجب سنة ٢٥٤.

الإمام أحمد بن حنبل: مولده في ربيع الأول سنة ٢١٤ وتوفي سنة ٢٤١.

أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري: صاحب الصحيح مولده في شوال سنة ١٩٤ ومات ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦.

القاضي شمس الدين: أحمد بن خلكان صاحب التاريخ مولده يوم الخميس حادي عشر ربيع الآخر سنة ٦٥٨ ومات يوم السبت ١٦ شهر رجب بدمشق سنة ٦٨١.

أبو نصر: محمد بن محمد بن طرخان الفارابي الحكيم المشهور توفي سنة ٣٣٩.

الحريري: محمد بن القاسم بن علي صاحب المقامات مولده سنة ٤٤٦ ووفاته سنة ٥١٦ وقيل سنة ٥١٥.

مسلم بن الحجاج: صاحب الصحيح توفي في رجب بنيسابور سنة ٢٦١ وعمره ٥٥.

العلامة الحلي: الحسن بن يوسف بن المطهر مولده على ما نص عليه في الخلاصة تاسع عشر شهر رمضان سنة ٦٤٨ ووفاته تغمده الله برحمته حادي عشر محرم الحرام سنة ٧٢٦.

السيد رضي الدين: علي بن موسى بن طاوس صاحب الكرامات مولده يوم الخميس منتصف شهر محرم سنة ٥٧٩ ووفاته صبح يوم الاثنين خامس ذي القعدة سنة ٦٦٤ وكانت ولايته للنقابة ثلاث سنين وأحد عشر شهراً.

المحقق نجم الدين: جعفر بن سعيد مات ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٦٩٦.

نجيب الدين: يحيى بن سعيد صاحب الجامع توفي ليلة عرفة في الثلث الأول من الليل شهر ذي الحجة سنة ٦٨٩.

الشيخ حسين بن عبد الصمد: والد شيخنا البهائي مولده كان أول يوم من المحرم سنة ٩١٨ وتوفي بقرية المصلى من قرى البحرين لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ٩٨٤.

الشيخ محمد بن مكي الشهير بالشهيد الأول: قتل بالسيف ثم صلب ثم رجم ثم أحرق تاسع شهر جمادى الأولى سنة ٧٨٦ لعن الله الساعي والقاتل والراضي والمعين.

السيد محمد صاحب المدارك: مولده سنة ٩٤٦ وتوفي ليلة السبت ثامن عشر ربيع الأول من السنة ١٠٥٩.

السيد نور الدين بن أبي الحسن: أخ السيد محمد المذكور لأبيه كانت ولادته سنة ٩٨٠ ووفاته لثلاث بقين من ذي الحجة الحرام سنة ١٠٦٨.

الشيخ زين الدين الشهير بالشهيد الثاني: توفي سنة ٩٦٥ وكانت ولادته في سنة ٨٩١ لعن الله الساعي لقتله والآمر والفاعل والراضي.

الشيخ بهاء الدين: محمد بن الحسين بن عبد الصمد مولده ببلدة بعلبك غروب الشمس يوم الخميس لثلاث عشر بقين من شهر محرم سنة ٩٥٣ وتوفي قدس الله سره لاثني عشر خلون من شهر شوال سنة ١٠٣١.

الشيخ عبد الصمد: أخي الشيخ بهاء الدين توفي سنة ٢٠٥ حوالي المدينة المنورة ونقل جسده الشريف إلى النجف الأشرف.

السيد حسين عبد السيد محمد: صاحب المدارك توفي سنة ١٠٦٨.

الشيخ حسن: ابن شيخنا الشهيد الثاني ولادته سنة ٩٤٩ وتوفي سنة ١٠١٦.

الشيخ محمد: ابن الشيخ حسن المذكور توفي سنة ١٠٣٥.

الشيخ زين الدين: ابن الشيخ محمد بن الشيخ حسن ابن شيخ زين الدين توفي سنة ١٠٦٢.

المحقق الشيخ علي بن عبد العالي: توفي سنة ٩٤٥.

الشيخ علي بن عبد العال الميسي: توفي سنة ٩٣٠.

الميرزا محمد بن علي إبراهيم الإسترابادي: صاحب كتب الرجال الثلاث توفي في مكة لثلاث عشرة خلون من ذي القعدة سنة ١٠٢٨.

ملا محمد أمين: صهره صاحب الفوائد المدنية المجاور بمكة المشرفة توفي بها سنة ١٠٣٣.

السيد حسين: الشهير بخليفة سلطان صهر سلطان العجم توفي سنة ١٠٦٦.

صدر الدين: محمد بن إبراهيم الشيرازي الشهير بملا صدرا توفي بالبصرة وهو متوجه للحج سنة ١٠٥٥.

ميرزا رفيع الدين: الشهير بميرزا رفيعا توفي سنة ١٠٨٥.

السيد ماجد: بن هاشم بن علي بن مرتضى بن علي بن ماجد الحسيني البحراني توفي سنة ١٠٢٨ وقبره بشيراز معروف في مشهد السيد أحمد المشهور بشاه چراغ.

السيد أبو محمد: بن حسين بن حسن بن أحمد بن سليمان الغريفي البحراني صاحب كتاب الغيبة توفي سنة ١٠٥١.

ملا أحمد الأردبيلي: توفي في شهر صفر سنة ٩٩٣.

الشيخ جمال الدين: أبي العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي توفي سنة ٨٤١ وقد بلغ من العمر ٨٨ سنة.

مير محمد باقر: الشهير بالداماد توفي سنة ١٠٤١.

الشيخ محمد باقر الشهير بالمجلسي: توفي سنة ١١١١ وتاريخه غم وحزن وقال قدس الله سره في حاشية له على كتاب بحار الأنوار عند ذكره هذه التسمية ما صورته: ومن الغرائب أنه وافق تاريخ ولادتي عدد جامع كتاب بحار الأنوار كما تفطن له بعض أصحابنا الأخيار - انتهى. ومنه يظهر أن مولده كان سنة ١٠٣٥ فعلى هذا كان عمره قدس الله سره ٨٤ سنة.

الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني: المستوطن في حيدرآباد من ولاية الهند توفي بها سنة ١٠٨٨.

الشيخ علي: بن سليمان بن حسن بن سليمان بن درويش بن حاتم القدمي توفي في سنة ١٠٤٤.

الشيخ أحمد: ابن الشيخ محمد بن يوسف المقابي البحراني توفي جوار الكاظم عليه السلام سنة ١١٥٢.

الشيخ محمد بن يوسف: والده توفي بعده في سنة ١١٥٣.

السيد هاشم التوبلي البحراني: توفي سنة ١١٥٧.

الشيخ سليمان: بن علي بن سليمان بن راشد بن أبي ظبية توفي سنة ١١٥١.

الشيخ سليمان: بن صالح بن أحمد بن عصفور أحد أجداد الفقير توفي في سنة ١٠٨٥ في جوار سيد الشهداء في كربلاء.

أخوه: الحاج أحمد بن صالح وإن لم يكن من جملة العلماء إلا أنا استطردنا بذكره لكونه جدنا توفي سنة ١٠٧٥.

جدي: الشيخ إبراهيم ابن الحاجي أحمد المذكور استطردنا بذكره أيضاً لما ذكرنا توفي في جوار الكاظمين عليهما السلام سنة ١١٢٥.

والدي الشيخ أحمد بن إبراهيم المذكور: والد الفقير توفي في بلدة القطيف سنة ١١٣١ وعمره يومئذ ٤٧ سنة وقد قدمنا ترجمته في هذا الكتاب وعدد من مصنفاته.

الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي: البحراني مولده في شهر رمضان من السنة ١٠٧٥ في ليلة النصف منه وتوفي باليوم السادس عشر من شهر رجب سنة ١١٢١.

الشيخ حسين: ابن الشيخ مفلح بن حسن الصميري توفي في البحرين في قرية سلماباد مفتتح شهر محرم الحرام سنة ١٢٣٥ ينيف على ثلاثين سنة.

الشيخ عبد الله: بن صالح بن جمعة السماهيجي البحراني توفي ليلة الأربعاء ٩ جمادى الثانية سنة ١١٣٦.

الشيخ أحمد: بن صالح بن حاجي بن علي بن عبد الحسين بن شنبه الدرازي البحراني المتوطن بجهرم من توابع شيراز وبها توفي سنة ١١٢٤ وكان مولده على ما رأيته بخطه في سنة ١٠٥٧.

الشيخ علي: بن جعفر بن الشيخ علي بن سليمان القدمي البحراني توفي سنة ١١٣١.

الشيخ محمد: بن يوسف بن علي بن كنبار البلادي توفي شهر ذي القعدة سنة ١١٣٥.

الشيخ أحمد: بن عبد الله بن حسن البلادي كانت وفاته غروب الشمس من يوم الاثنين رابع عشر رمضان سنة ١١٣٨.

أبو طالب: محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر فخر الدين الحلي مولده ليلة الاثنين نصف الليل تقريباً ليلة العشرين من جمادى الأولى سنة ٦٨٢ ووفاته ليلة الجمعة ٢٥ شهر جمادى الآخرة سنة ٧٧١.

الشيخ محمد بن نمى: توفي بعد رجوعه من زيارة الغدير في ذي الحجة سنة ٦٤٥.

السيد عبيد الله: عبد المطلب ولد ليلة النصف من شهر شعبان سنة ٦٨١ بالحلة وتوفي ليلة الاثنين عاشر شعبان سنة ٧٥٤ ببغداد ونقل إلى المشهد الغروي على مشرفه السلام.

الشيخ أبو علي الطبرسي: صاحب التفسير توفي في شهور السنة ٩٤٨ في شيراز ثم نقل إلى المشهد المقدس الرضوي على مشرفه السلام.

السيد علي صدر الدين: السيد بهي صاحب السلافة وغيرها الشيرازي مولده سنة ١٠٥٢ وتاريخه بي غم ووفاته سنة ١١١٨ في شيراز وقبره في مشهد السيد أحمد المذكور بشاه چراغ معروف وتاريخ وفاته سر مقر شيراز.

جامع هذا الكتاب: الشيخ الفاضل الأوحد الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن إبراهيم البحراني قدس الله سره ميلاده على ما صرح في غير موضع سنة ١١١٧ ووفاته في رابع ربيع الأول سنة ١١٨٦ في كربلاء المعلى ودفن في سرداب قريب إلى الشهداء رضوان الله عليهم وبابه من خارج الحرم. وكتب هذين السطرين ولده حسن الله عنهم وتاريخ وفاته رحمه الله تعالى بكاه يوسف تأويل الأحاديث.

مبغض علي ابن زنا أو ابن حيضة

لطيفة حسنة: نقل شيخنا أبو الحسن قدس الله سره في كتاب رسالة الذخيرة في الحشر في نسب عمر: إنه ذكر العلامة قدس الله سره في بعض كتبه وأظنه (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين) إن جماعة من حاضري مجلس أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي تذاكروا الحديث الوارد عنهم عليهم السلام أنه قال لعلي عليه السلام: يا علي لا يبغضك إلا ابن زنا وابن حيضة. فقال ابن لأبي دلف: هذا الحديث غير صحيح وبالغ في إنكاره وقال: أيخان الأمير في أهله؟

فقالوا: لا. فقال: ها أنا أبغض علياً أشد البغض فدخل أبو دلف المجلس وهم يتشاجرون في ذلك فسألهم عما يتشاجرون فيه فكتموا فحلف عليهم ألا أخبروه فأخبروه بالخبر وبما قال ابنه ثم قال أبو دلف: الخبر صحيح، ثم قال لابنه: أنت ابن زنا وابن حيضة معاً، وحكى لهم أنه كان مريضاً عند أخيه وإن أم الغلام المذكور كانت جارية أخيه فبعثها إليه لتخدمه وتحمل إليه طعامه وشرابه، فمالت نفسه إلى مخالطتها فدعا إلى ذلك فأبت واعتذرت بأنها حائض قال: فلم التفت إليها وأكرهتها وجامعتها حائضاً فحملت بالولد المذكور.

يقول جامع هذا الكشكول وناظم هذه النقول: قد اطلعت قديماً على هذه الحكاية على وجه أبسط من هذا النقل إلا أنه لا يحضرني الآن اسم الكتاب المنقول عنه وملخص ذلك أن الجماعة الحاضرين في المجلس تذاكروا الحديث المشار إليه بزيادة ملوط في عجانه على ابن الزنا وابن الحيضة، فلما دخل أبو دلف المجلس وسأل عما يتشاجرون عنه فيه كتموا الأمر عنه فلما ألح عليهم فأخبروه فقال: نعم إن هذا الملعون - يعني ابنه - كمل الثلاث الخصال، فحكى لهم أن أخاه كان ببلدة بعيدة عنه وأنه أشتاق إلى لقائه فسافر إليه، ثم اتفق أن مرض هناك فعين له أخوه حجرة على حدة وعين له جارية تخدمه، فلما طاب من مرضه مالت نفسه إلى الجارية فواقعها واتفق أنها حائض ثم إنه سافر بعد ذلك ورجع إلى بلده فما مضت الأيام حتى ظهر الحمل بالجارية المشار إليها، فأنكر منها سيدها فأخبرته أن أخوه هو الذي فعل بها ذلك يوم كان عنده فلما سمع ذلك أرسل إلى أخيه وأعطاه إياها فوضعت عنده بهذا الغلام. قال: إني في بعض الأيام خرجت إلى المكان الذي فيه الخدم فإذا واحد من الخدم يلوط بهذا الملعون، فلا تعجبوا من بغضه علياً فتعجب الحاضرون من ذلك أتم العجب.

أقول: والذي وقفت عليه من الأخبار في هذا المعنى ما رواه شيخنا الصدوق عطر الله مرقده في كتاب العلل بإسناده عن جابر الجعفي عن إبراهيم القرشي قال: كنت عند أم سلمة فقالت: سمعت عن رسول الله ﷺ يقول: يا علي لا يبغضنك إلا ثلاثة ولد الزنا والمنافق ومن حملته أمه وهي حائض.

وما رواه فيه أيضاً بإسناده عن جابر قال: قال أبو أيوب الأنصاري: اعرضوا حب علي على أولادكم فمن أحبه فهو منكم ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق أو ولد زنية أو من حملت به أمه وهي حائض».

وما رواه الحميري في كتاب قرب الإسناد عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي جعفر عليه السلام عن أبيه قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: جعلني الله فداك إني أحبكم أهل البيت. قال: وكان فيه لين فأثنى عليه عدة فقال له: كذبت ما يحبنا مخنث ولا ديوث ولا ولد زنا ولا من حملت به أمه وهي في حيضها. قال: فذهب الرجل فلما كان يوم صفين قتل مع معاوية.

أولاد الحلال

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى. قال صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي رحمه الله تعالى: [البحر الوافر]

أميرَ المؤمنينَ أراكَ لمّا ذكرتُك عند ذي حسبٍ صفا لي
وإن كرّرت ذكرك عند نغلٍ تكدّرَ عيشُه وبغى قِتالي
فصْرتُ إذا شككتُ بأصل مرءٍ ذكرتُك بالجميلِ من المقالِ
فليسَ يُطيقُ سمعَ ثناك إلّا كريمُ الأصلِ محمودُ الفعالِ
فها أنا قد عرفتُ بك البَرايا فأنتَ محكُ أولادِ الحلالِ

مولد النصّاب

وقال الشيخ علي بن حماد البصري رحمه الله: [البحر الكامل]

طابتْ موالدُنا بحبِّ أئمةٍ همْ ظاهرون من العيوبِ أطائبُ
وموالدُ النّصابِ قد خبثَتْ ففيها شبهة معروفة وشوائب
إبليسُ يشركُ فيهمُ آباؤُهُمْ فالخبثُ فيهم لا محالة لازبُ

حب علي (ع)

وقال الصاحب ابن عباد قدس سره: [البحر المتقارب]

بحبِّ عليٍّ تزولُ الشكوكْ وتزكُو النفوسُ ويصفُو النّجارْ
فمَهْما رأيتُ محبّاً لهُ فثمَّ الزّكاءُ وثمَّ الفَخارْ
ومَهْما رأيتُ عدُوّاً لهُ ففي أصْلِه نسبٌ مُسْتعارْ
فلا تعْذِلوهُ على فعْلِه فحيطانُ دارِ أبيهِ قِصارْ

حبه معيار (ع)

وقال الأمير سيف الدولة: [البحر السريع]

حبُّ عليِّ بن أبي طالبٍ للنّاسِ مقياسٌ ومعْيارُ
يُخرِجُ ما في أصْلِهم مثلَما يُخرجُ غشَّ الذّهبِ النّارُ

فضل آل فاطمة

وقال عبد الله بن أبي طالب القمي : [البحر المنسرح]

ما شكّ في فضلِ آلِ فاطمةٍ إلا امـرؤٌ مـا لأمّـهِ بـعـلُ
نـغـلٌ إذا الـحرّ طابَ مولـدُه وكيف يهوى أولي الهُدى نغلُ
خـدّي لأقـدامِ آلِ فـاطـمـةٍ إذا تخطّوا على الثّرى نعلُ

التمسك بحبالهم (ع)

وقال أبو الأسود الدؤلي : [البحر الكامل]

أمُفنّدي في حبّ آلِ محمدٍ حجرٌ بفِيك فدعْ ملامَك أوْزِدِ
من لم يكنْ بحبالِهمْ متمسّكاً بل يعترفْ بولادةٍ لم ترشدِ

ذنبه على أمه

وقال السلطان سليم أحد سلاطين الروم : [البحر السريع]

مـن كـانَ ذا عـلـمٍ وذا فـطْـنَـهْ وبغضُ أهلِ البيتِ ما شأنَهْ
فـإنّـمـا الـذنـبُ عـلـى أمّـهِ إذ حملَتْ من بعضِ جيرانِهْ

حب الوصي

ولبعضهم وهو مشهور : [البحر السريع]

لا عذّبَ اللهُ أمّي إنّها شربَتْ حبَّ الوصيّ واسقَتْنيهِ في اللّبنِ
وكان لي والدٌ يهْوَى أبَا حسنٍ فكنْتُ من ذا وذا أهْوَى أبَا حسنِ

مع الإمام الرضا (ع)

وروى الصدوق قدس الله سره في كتاب عيون أخبار الرضا عن معمر بن خلاد وجماعة قال علي الرضا عليه السلام فقال له بعضنا : جعلني الله فداك ما لي أراك متغير الوجه فقال : إني بقيت الليلة ساهراً متفكراً في قول مروان بن أبي حفصة : [البحر الكامل]

أنّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ لِبَني البناتِ وراثةُ الأعمامِ

ثم نمت فإذا بقائل وقد أخذ بعضادتي الباب وهو يقول : [البحر الكامل]

أنىَّ يكونُ وليسَ ذاك بكائنٍ ... للمشركين دعائمُ الإسلامِ
لِبَني البناتِ نصيبُهم من جدِّهم ... والعمُّ متروكٌ بغيرِ سهامِ
ما للطَّليقِ وللتّراثِ وإنّما ... سجدَ الطليقُ مخافةَ الصمصامِ

فائدة: المستفاد من الأخبار التي يضيق عن نقلها المقام أن صحة النسب وحب أهل البيت عليهم السلام متلازمان كما أن نقيضيهما كذلك، ومن هنا ذهب جمع من الأصحاب إلى كفر ولد الزنا والأخبار الدالة عليه كثيرة.

وقد روى السيد الجليل رضي الدين بن طاوس في كتاب ربيع الشيعة عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة دعي الناس كلهم بأسماء أمهاتهم ما سوى شيعتنا فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مواليدهم».

من جملة أسباب الزنا أكل الخمس

وقد تواترت الأخبار معنى بتحليل الخمس للشيعة لتطيب ولادتهم، وفي بعضها أن الزنا وخبث الولادة إنما دخل على المخالفين من جهة الخمس، ففي رواية أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا. قلت: فكيف لي بالمخرج من هذا؟

فقال: يا أبا حمزة كتاب الله المنزل إن الله جعل لنا أهل البيت سهاماً ثلاثة في جمع الفيء. ثم قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(1)، فنحن أصحاب الخمس والفيء، وقد حرمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا، والله يا أبا حمزة ما من أرض تفتح ولا خمس يخمس ويضرب على شيء منها إلا كان حراماً على ما كان يصيبه فرجاً كان أو مالاً، ولو قد ظهر الحق لقد بيع الرجل الكريمة عليه نفسه فيمن لا يريد، حتى أن الرجل منهم ليفتدي بجميع ماله ويطلب النجاة لنفسه فلا يصل إلى شيء من ذلك، وقد أخرجونا وشيعتنا من حقنا ذلك - الحديث.

وفي صحيحة ضريس الكناسي قال: قال أبو عبد الله : أتدري من أين دخل على الناس الزنا؟

قال: لا أدري. فقال: من قبل خمسنا أهل البيت إلا شيعتنا الأطيبين فإنه يحل لهم لميلادهم - إلى غير ذلك من الأخبار.

الماء

عن الصادق عليه السلام: إن من شرب الماء من قيام بالنهار أدر للعرق وأقوى للبدن.

---

(1) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

وفي المحاسن: عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن علي عليه السلام أنه كان يشرب وهو قائم.

عن أبي عبد الله: الوضوء قبل الطعام وبعده يذهبان بالفقر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سره أن يكون خير في بيته فليتوضأ عند حضور طعامه.

فقال عليه السلام: من غسل يده قبل الطعام وبعده عاش في سعة وعوفي في بلوى جسده.

قال: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ابدأوا بالملح في أول الطعام فلو علم الناس ما في الملح لاختاروه على الترياق المجرب.

طول آدم وحوا

علي بن إبراهيم: عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن مقاتل بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام كم كان طول آدم عليه السلام حين هبط إلى الأرض وكم كان طول حوا؟

قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام إن الله عزّ وجل لما أهبط آدم إلى الأرض وزوجه حوا كان رجلاه بثنة الصفا ورأسه دون أفق السما، وأنه شكا إلى الله عزّ وجل من حر الشمس فأوحى الله إلى جبرائيل عليه السلام أن آدم قد شكا ما يصيبه من حر الشمس فأغمزه غمزة وصير طوله سبعين ذراعاً واغمز حوا غمزة وصير طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها.

إحصاء من قتله الحجاج صبراً

تاريخ ابن الجوزي: عن هشام بن حسان قال: أحصينا من قتلة الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً. قال: ووجد في سجنه ثلاثة وثلاثون ألفاً ما يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ولا قتل، وكان سجنه حائطاً محوطاً لا سقف فيه، فإذا آوى المسجونين إلى ظل الجدار يستظلون به من حر الشمس رمتهم الحرس بالحجارة، وكان يطعمهم خبز الشعير مخلوطاً بالملح والرماد، وكان لا يلبث الرجل في سجنه إلا يسيراً حتى يسود ويصير كأنه زنجي، حتى أن غلاماً حبس فيه فجاءت إليه أمه بعد أيام تتعرف خبره فلما تقدم إليها أنكرته وقالت: ليس هذا ابني هذا بعض الزنج فقال: لا والله يا أماه أنت فلانة بنت فلان وأنا فلان، فلما عرفته شهقت شهقة كان فيها خروج نفسها. وكانت إمارة الحجاج على العراق عشرين سنة وآخر من قتل سعيد بن جبير فوقعت الأكلة في بطنه، وأخذ الطبيب لحماً فشده في خيط وأمره بابتلاعه ثم استخرجه فإذا قد لصق به دود كثير فعلم أنه ليس بناج.

في حمل الأئمة عليهم السلام

من كتاب الهداية: للحسين بن حمدان الحضيني عن الإمام أبي محمد الحسن بن علي

العسكري في حديث مولد القائم عليه السلام في كلامه لعمته حكيمة إنا معاشر الأوصياء ليس نحمل في البطون وإنما نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام وإنما نخرج من الفخذ الأيمن من أمهاتنا لأننا نور الله الذي لا تناله الدناسات.

ومنه أيضاً: عند ذكر فاطمة عليها السلام إنها ولدت الحسن والحسين عليهما السلام من فخذها الأيمن وزينب وأم كلثوم من فخذها الأيسر.

قال: ومثله روي عن وهب بن منبه أن مريم عليها السلام ولدت المسيح عليه السلام من فخذها اليمن وإن النفخة كانت من جنبها والكلمة كانت في قلبها.

وفي تفسير: جابر عن الباقر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[1] إن النفخة كانت في جنبها والكلمة على قلبها، وصح أن النفخة في آدم عليه السلام لم تكن في فرجه وإنما كانت في جنبه -انتهى.

أقول: إن الذي في كتب الرجال أن الحسين بن حمدان الحضيني كان فاسد المذهب كذاباً صاحب مقالة ملعون لا يلتفت إليه، وظاهر لمن تدبر هذا الكتاب وهو الهداية أنه من أجلاء الإمامية والله علم.

فائدة رجالية

من فوائد: شيخنا العلامة أبي الحسن الشيخ سليمان قدس سره كتاب الفصول المهمة من تصانيف الشيخ الجليل علي بن محمد المكي المالكي كما ذكره مولانا العلامة الأردبيلي قدس الله سره في آيات الأحكام والشافعي كما ذكره مولانا المحقق مير نور الله التستري المرعشي في كتاب مصائب النواصب فعلى التقديرين فأمره عجيب لأن الذي يظهر من حاله في هذا إما إنه إمامي صحيح العقيدة والظاهر أنه كذلك في الواقع وإن إظهاره أحد المذهبين تقية وإستصلاح وقد وقع مثله في رجالنا كثيراً منهم محمد بن إبراهيم بن يوسف الكاتب فقد ذكر أصحابنا أنه كان على الظاهر تفقه على مذهب الشافعي ويرى رأي الشيعة الإمامية في الباطن وله كتب على المذهبين، ومنهم الشيخ الجليل والعالم النبيل زين الدين الحسن بن قرطة الحلي صاحب كتاب مراصد العرفان ومقاصد الإيمان ومنهم صاحب كتاب روضة الأحباب وغيرهم ممن يطول تعدادهم - انتهى كلامه قدس الله سره.

جواب شريك لعمر

حكي في المثل السائر: قال: كان عمر بن هبيرة الفزاري وشريك النميري سائرين في طريق

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢.

فتقدمت بغلة شريك في المسير فصاح به عمر اغضض لجامها، فقال شريك: أصلح الله الأمير إنها مكتوبة فتبسم عمر وقال: ويحك إني لم أرد هذا، فقال شريك: والله ولا أنا رددته، كأن عمر أراد قول جرير: [البحر الوافر]

فغضَّ الطَّرْفَ إنّك من نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بلغْتَ ولا كِلابا

فأراد شريك قول الآخر: [البحر البسيط التام]

لا تأمنَنَّ فزاريّاً نزلْتَ له على قَلوصِك وأكْتُبْها بأسيارِ

من قصص مجنون وليلى

قال ابن الجوزي في تاريخه: لما تزوجت ليلى جاء المجنون إلى زوجها وهو يصطلي في يوم شات، فوقف وقال له: [البحر الوافر]

بربِّك هل ضمَمْتَ إليكَ لَيْلى قُبَيْلَ الصُّبحِ أو قَبَّلْتَ فَاها
وهل رفَّتْ عليكَ قرونُ لَيْلى رفيفَ الأقحوانةِ في نَداها

فقال: اللهم إذ حلفتني فنعم فقبض بكلتا يديه قبضة من الجمر فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه فسقط الجمر مع لحم يديه. توفي المجنون سنة سبعين من الهجرة كذا نقل في كشكول شيخنا البهائي رحمه الله.

مع توبة الحميري

ومنه أيضاً: توبة بن الحمير كان يعشق ليلى الأخيلية وهو أشهر من أن يذكر توفي سنة خمس وسبعين ومن شعره قوله: [البحر الطويل]

ولو أنَّ لَيْلى الأخْيَلِيَّةَ سلَّمتْ عليَّ ودُوني جنْدلٌ وصفائحُ
لسلَّمْتُ تسليمَ البشاشةِ أوْزَقا إليها صَدًى من جانبِ القبرِ صائحُ

وله أيضاً: [البحر الطويل]

ولو تَلْتقي أصداؤُنا بعدَ موتِنا ومن دونِ رمْسَيْنا من الأرضِ سبْسَبُ
لظلَّ صدَى صوْتي وإنْ كنتُ رِمَّةً لصوتِ صدَى لَيْلى يَهِشُّ ويطرَبُ

قال ابن الجوزي: في كتابه صفوة الصفوة أن ليلى الأخيلية تزوجت بعد موت توبة، ثم أن زوجها مر في بعض الأيام بقبر توبة وليلى معه فقال لها يا ليلى هل تعرفين هذا القبر؟

قالت: لا.

قال: هذا قبر توبة فسلمي عليه فقالت إمض لشأنك فما تريد من توبة وقد بليت عظامه.

قال: أريد أن تكذبيه في قوله: (ولو أن ليلى الأخيلية سلمت) البيتين، فوالله لا برحت أو

تسلمي عليه فقالت: السلام عليك يا توبة ورحمة الله وبركاته وبارك الله لك فيما صرت فيه، فإذا طائر خرج من القبر فضرب صدرها فماتت في المكان.

الأحاديث المروية عن أبي موضوعة

قال السيد الشريف: في حواشي الكشاف في آخر تفسير الفاتحة إن أكثر الأحاديث المروية عن أبي بن كعب في فضائل السور موضوعة. قال الصنعاني وضعها رجل من عبادان فلما قيل له في ذلك اعتذر بأن الناس قد اشتغلوا بالأشعار وفقه أبي حنيفة وغير ذلك ونبذوا القرآن فأردت أن أرغبهم فيه - انتهى.

قال شيخنا البهائي: بعد نقل ذلك عنه أقول: رأيت في بعض الكتب أنه قيل لهذا الرجل: أما سمعت قول النبي ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» فقال: أنا لم أكذب عليه بل كذبت له.

من كشكول البهائي: قدس الله سره ذهب البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[1] إلى أن الفاعل غير نائب الفاعل كما هو مذهب ابن الحاجب وابن مالك. وفي تفسير سورة الجن ذهب إلى أن نائب الفاعل فاعل فقال في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[2] إنه استمع فاعل أوحى كما قال جار الله العلامة.

مراتب أهل العصمة

كتاب قبس المصباح: للشيخ الصهرشتي أخبرنا الشيخ الصدوق أبو الحسين أحمد بن علي بن أحمد النجاشي الصيرفي المعروف بابن الكوفي ببغداد في أواخر شهر ربيع الأول سنة ٤٤٢ وكان شيخنا بهياً ثقة صدوق اللسان عند المؤالف والمخالف رحمه الله قال: أخبرني أبو الحسن محمد بن جعفر التميمي قراءة عليه قال: حكى أبو الوفا الشيرازي وكان صديقاً لي أنه قبض على أبو علي إلياس صاحب كرمان. قال: فقيدني وكان الموكلون بي يقولون إنه قدهم فيك فتلقت لذلك وجعلت أناجي الله تعالى بالنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام فلما كانت الجمعة فرغت من صلاتي ونمت فرأيت النبي ﷺ وهو يقول: «لا تتوسل بي ولا بابني لشيء من أعراض الدنيا إلا بما تبتغيه من طاعة الله ورضوانه، وأما أبو الحسن أخي فإنه ينتقم لك ممن ظلمك»، قال: فقلت يا رسول الله: كيف ينتقم لي ممن ظلمني وقد لبب في حبل فلم ينتقم فغضب عليه ولم يتكلم قال: فنظر إلي كالمتعجب وقال:

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٢) سورة الجن، الآية: ١.

«ذلك عهد عهدته إليه فلم يجز له إلا القيام به وقد أدى الحق فيه إلا أن الويل لمن تعرض لولي الله.

وأما علي بن الحسين فللنجاة من السلاطين.

وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فللآخرة وما يتبعه من طاعة الله عزّ وجلّ.

وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله عز وجل.

وأما علي بن موسى فاطلب به السلامة في البراري والبحار.

وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى.

وأما علي بن محمد للنوافل وبر الإخوان وما يتبعه من طاعة الله عز وجل.

وأما الحسن بن علي فللآخرة.

وأما صاحب الزمان فإذا بلغ منك السيف إلى هنا ووضع يده على حلقه فاستعن به فإنه يعنيك فناديت في نومي: يا مولاي يا صاحب الزمان أدركني فقد بلغ بي مجهودي قال أبو الوفا: فانتبهت والموكلون يأخذون قيودي.

قلت: الصهرشتي هو شارح النهاية وهو من تلاميذ الشيخ الطوسي رحمه الله واسمه سليمان بن محمد بن سليمان. كما ذكره الشيخ الجليل منتجب الدين علي بن عبد الله بن بابويه في كتاب فهرست من تأخر عن الشيخ قدس الله سره.

الحجة البالغة

في كتاب الأمالي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾(١) فقال: إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: «كنت عالماً»؟

فإن قال: نعم قال له: أفلا علمت، وإن كان جاهلاً قال له: أفلا تعلمت حتى تعلم؟ فيخصمه فتلك الحجة البالغة.

كيفية خلق اللؤلؤ

كتاب قرب الإسناد: أبو البختري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي عليه السلام قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾(٢) قال: من ماء السماء ومن ماء البحر، فإذا أمطرت فتحت الأصداف أفواهها في البحر ويقع فيها من ماء المطر فتخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٢.

قال شيخنا العلامة أبو الحسن: قدس الله سره بعد نقل هذا الخبر: هذا معنى شريف وهو مطابق لما صرح به الكامل والفيلسوف المحقق صاحب رسائل إخوان الصفا كما نقلناه في الكشكول بتمامه، وقد غفل عن ذلك المفسرون من الخاصة والعامة وارتكبوا التأويلات البعيدة كقول أكثرهم أنه من قبيل التغليب، وقول آخر: إنه من قبيل الإضمار أي من أحدهما، وقول ثالث إنه من قبيل التجوز، وقول رابع إنه يخرج من الحلو كما هو مقتضى الآية انتهى كلامه زيد مقامه.

صارت الأنثى رجلًا

الكشكول للبهائي: قال في كتاب حياة الحيوان نقلاً عن ابن الأثير في كامل التاريخ في حوادث سنة ٦٢٢ قال: كان لنا جار وله بنت اسمها صفية فلما صار عمرها خمس عشرة سنة نبت لها ذكر وخرج لها لحية، وذكر نظير هذا مما أورده ﷺ في كتاب نزهة القلوب، وأورده بعض المؤرخين أيضاً أن بنتاً كانت من قميشة وهي من ولايات أصفهان تزوجت فحصل لها ليلة الزفاف حكة في عانتها ثم خرج لها في تلك الليلة ذكر وأنثيان فصارت رجلاً.

أهل العلم وأهل الجهل

عن أمير المؤمنين: ما أخذ على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا.

خاب الظن

أبو نواس: [البحر الكامل]

قد كنتَ عُدَّتِيَ التي أسطُو بها ويَدي إذا اشتدَّ الزمانُ وساعِدي
فرميتُ منك بضدِّ ما أمَّلْتُه والمرءُ يشرقُ بالزّلالِ البارد

خذ حذرك

لأبي علي بن سينا: [البحر الكامل]

اجعلْ غداءَك كلَّ يوم مرّةً واحذرْ طَعاماً قبلَ أكلِ طعامِ
واحذرْ منيَّك ما استطعْتَ فإنّه ماءُ الحياةِ يُصَبُّ في الأرحامِ

طرف فاتن

ابن فارس صاحب مجمل اللغة: [البحر السريع]

مرّتْ بِنا هيْفاءُ مجْدولةٌ ... تركيَّةٌ تُنْمَى لتُرْكِيِّ
ترنُو بطرْفٍ فاتنٍ فاترٍ ... أضعفُ من حجّةِ نحْويِّ

تاريخ مولد النبي ﷺ

فائدة: قال ثقة الإسلام في الكافي في باب تاريخ مولد النبي ﷺ ولد النبي ﷺ لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال.

وروي أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى - انتهى.

وما ذكره قدس سره: من تاريخ الولادة مخالف لما عليه الشيعة سلفاً وخلفاً من أنه كان ليلة الجمعة في السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل عند طلوع الفجر، وموافق لمذهب العامة إما اعتقاداً أو تقية، ويرد على كلامه قدس الله سره، أشكال مشهور قد ذكره غير واحد من علمائنا وهو أنه يلزم من كون الحمل به في أيام التشريق وولادته في ربيع الأول أن مدة حمله ﷺ إما ثلاثة أشهر أو سنة وثلاثة أشهر مع أن أصحابنا رضوان الله عليهم اتفقوا على أنه لا يكون الحمل أقل من ستة أشهر ولا أكثر من سنة، ولم يذكر أحد من العلماء أن ذلك من خصائصه ﷺ.

والجواب على ذلك: كما ذكروه أن هذا مبني على النسيء المتعارف في زمن الجاهلية المنسوخ بالإسلام وهو المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾(١) لأنهم كانوا يحرمون الحلال ويحللون الحرام لمصالح تدعوهم إلى ذلك مثل إرادة القتل والغارة، فكانوا إذا أرادوا القتال وكان ذلك في أحد الأشهر الحرم حللوا القتل فيها وعوضوا عنها شهراً آخر من الشهور المحللة، فعلى هذا يجوز أن يكون حجهم حين حملت به أمه ﷺ في أيام التشريق كان شهر جمادى الثانية ويكون مدة حمله ﷺ حينئذ تسعة أشهر كما هو المشهور المتعارف.

قال الشيخ الطبرسي: في تفسير هذه الآية نقلاً عن مجاهد: كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

الوداع فوافقت ذي الحجة فقال في خطبته: «ألا وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثني عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب مفرد بين جمادى وشعبان» أراد بذلك أن الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها وعاد الحاج إلى ذي الحجة وبطل النسيء.

واستنبط بعض الأفاضل من هذا الكلام أن مدة حمله ﷺ على هذا الحساب تكون أحد عشر شهراً ويكون ذلك دليلاً على حقيقة مذهب من قال أن أقصى مدة الحمل سنة. قال: لأن عمره ﷺ كان ثلاثاً وستين سنة وقد وافق حجهم في آخر عمره ﷺ في ذي الحجة بناء على قوله فإذا رجعنا من آخر عمره إلى أوله مصطين لكل شهر من شهور السنة حجتين يكون وقوع وضع حمله ﷺ في شهر ربيع الأول الذي اتفق حجهم في تلك السنة في شهر جمادى الأولى أول حجهم فيه بعد وضع حمله ﷺ فيكون حمله في العام السابق في شهر ربيع الثاني في أيام التشريق فيكون مدة الحمل إحدى عشر شهراً كما لا يخفى.

ونقل عن الفاضل الأسترابادي أنه ارتضاه وصححه واعترض عليه أنه يلزم على هذا التقدير أن يكون سنه الشريف ﷺ خمساً وستين سنة، إذ في كل دورة كاملة يزيد عمره على عدد حجهم في تلك الدورة بسنة، فإذا كان الابتداء من جمادى الأولى والانتهاء إلى ذي الحجة في الدولة الثالثة يرتقي عدد حجهم في تلك الشهور إلى ثلاثة وستين سنة فيجب أن يكون عمره حينئذ خمساً وستين سنة.

وتوضيح ذلك: أنه على تقدير الابتداء من جمادى الأولى ووصول الدورة إلى شهر ربيع الأول وإتمام حجهم فيه يكون عدد حجاتهم اثنين وعشرين حجة كنا لعمره ﷺ كذلك فإذا زاد في عمره سنة وانتهى إلى هذا الشهر لم يحضر بعد زمان حجهم يكون عمره ثلاثاً وعشرين بلا زيادة ونقصان وعدد حجهم كما كان وكذلك الحال في الدورة الأخرى بعينها فيجب أن يكون ابتداء حجهم بعد وضع حمله ﷺ في شهر جمادى الثانية حتى يكون عدد حجهم حين الانتهاء إلى حجة الوداع إحدى وستين ويوافق مع ثلاث وستين من عمره، وعلى هذا يكون حمل أمه في العام السابق في شهر جمادى الأولى، فيكون مدة حمله عشرة أشهر ويكون منطبقاً على المذهب المشهور.

وأنت خبير بأن هذا على تقدير صحة ما نقله مجاهد كما حكاه الطبرسي رحمه الله، وهو منظور فيه من وجهين:

أحدهما: أن الذي صرح به جملة المفسرين في معنى النسيء، إنما هو عبارة عن تحليل هذه الأشهر الحرم واستباحة الغارة والقتال فيها وتعويض غيرها من أشهر السنة عوضها فيحرمون فيها القتال ويحجون فيها كما قدمنا بيانه، لا أنه عبارة عما ذكره إذ لا يظهر لمعنى النسيء، وجه بالكلية، لأنه متى كان الحج عندهم في كل شهر من شهور السنة مرتين وكان هذا أمراً مستمراً

وعادة مطردة عندهم يكون موسم الحج عندهم معروفاً لا تقديم فيه ولا تأخير، فلا يظهر للنسيء في الحج معنى، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾[1] إنما ينطبق على ما ذكرنا.

وفي تفسير الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي أنه كان سبب نزولها أن رجلاً من كنانة كان يقف في الموسم فيقول: قد أحللت دماء المحلين طي وخثعم في شهر المحرم وأنسأته وحرمت بدله صفر، فإذا كان العام المقبل يقول: قد أحللت صفر وأنسأته وحرمت بدله شهر المحرم، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ﴾ الآية.

وثانيهما: إن ما ذكره من كون الحجة التي قبل حجة الوداع كانت في ذي القعدة ترده الأخبار الواردة بقراءة أمير المؤمنين عليه السلام آيات براءة في موسم الحج في تلك السنة، فإنها صريحة في كون الحج كان في ذي الحجة، ففي حديث عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[2] فهذه أشهر السياحة عشرين من ذي الحجة والمحرم وربيع الأول وفي حديث آخر عنه عليه السلام فلما قدم علي عليه السلام مكة وكان يوم النحر بعد الظهر وهو يوم الحج الأكبر قام ثم قال: إني رسول الله إليكم فقرأ عليهم: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[3] عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشراً من ربيع الآخر إلى غير ذلك من الأخبار.

فقد اتضح بذلك أن الأظهر في وجه التناقض فيما نقله شيخنا ثقة الإسلام قدس الله سره هو ما قدمنا نقله أولاً وأن يكون مدة الحمل به تسعة أشهر. وعلى تقدير صحة كلام مجاهد فالذي يلزم منه أيضاً أن مدة حمله صلى الله عليه وآله عشرة أشهر كما عرفت لا ما توهمه ذلك القائل المتقدم من كونه سنة.

وبذلك يظهر لك ما في كلام شيخنا الشهيد الثاني قدس الله سره في شرح اللمعة حيث قال بعد نقل الأقوال في أقصى مدة الحمل: واتفق الأصحاب على أنه لا يزيد عن السنة مع أنهم رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه حملت به أمه أيام التشريق واتفقوا على أنه ولد في شهر ربيع الأول فأقل ما يكون لبثه في بطن أمه سنة وثلاثة أشهر، وما نقل أحد من العلماء أنه من خصائصه صلى الله عليه وآله فإنه ناش عن عدم إعطاء التأمل حقه في المقام.

قال شيخنا المجلسي: قدس الله سره في كتاب الأربعين الحديث بعد نقل كلام الكليني نور الله ضريحه وإيراد الأشكال عليه ثم كلام مجاهد ما صورته إذا عرفت هذا فقيل إنه على هذا يلزم أن مولده صلى الله عليه وآله في جمادى الأولى لأنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ودورة النسيء أربعة

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢.

(٣) سورة التوبة: الآيتان: ١ - ٢.

وعشرون ضعف عدد الشهور، فإذا أخذنا من الثانية والستين ورجعنا تصير السنة الخامسة عشرة ابتداء الدورة لأنه إذا نقص من اثنين وستين ثمانية وأربعون يبقى أربعة عشر الاثنتان الأخيرتان منها لذي القعدة واثنتان قبلهما لشوال وهكذا، فيكون الأوليان منها لجمادى الأولى وكان الحج عام مولد النبي ﷺ وهو عام الفيل في جمادى الأولى، فإذا فرض أنه ﷺ حملت به أمه في الثاني عشر منه ووضعت في الثاني عشر من ربيع الأول يكون مدة الحمل عشرة أشهر لا مزيد ولا نقيصة.

أقول: ويرد عليه أنه قد اختاره في حساب الدورة وجعلها أربعة وعشرين سنة إذ الدورة على ما ذكر إنما تتم في خمسة وعشرين سنة إذا في كل ستين يسقط شهراً من شهور السنة باعتبار النسيء ففي كل خمس وعشرين سنة يحصل أربعة وعشرون حجة تمام الدورة. وأيضاً على ما ذكره يكون مدة الحمل أربعة عشر شهراً إذ لو كان عام مولده أول حج في جمادى الأولى يكون في عام الحمل الحج في ربيع الثاني، فالصواب أن يقال في عام حمله ﷺ الحج في جمادى الأولى وفي عام مولده في جمادى الثانية ويكون في حجة الوداع كانت مسبوقة بالحج في ذي القعدة. وقوله غير معتمد في مقابلة الخبر إن ثبت أنه رواه خبر أو تكون مدة الحمل على هذا تسعة أشهر إلا يوماً، فيوافق ما هو المشهور في حمله ﷺ عند المخالفين - انتهى كلامه زيد مقامه.

قصة ديك الجن مع المتوكل

نقل في غير كتاب: من كتب التواريخ والأخبار أن المتوكل عليه اللعنة سهر ذات ليلة من الليالي وأقلقه السهر فطلب نديماً يفرج همه وغمه فأرسل من حضر له الحسن الكركدان المعروف بديك الجن، وكان الحسن المذكور شاعراً ماهراً أديباً وكان معروفاً بحب أهل البيت عليهم السلام فلما وصلوا إلى داره طرق الشرطة الباب فقال: من بالباب؟

فقالوا: نحن رسل الخليفة إليك يدعوك إلى حضرته الشريفة، فلما سمع مقالتهم قال (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وقام من وقته، وساعته واغتسل غسل الأموات وتحنط بالذريرة والكافور ولبس كفنه ومضى إليه، فلما وصل إلى الخليفة قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال له المتوكل: لا سلام عليك ولا حياك ولا رعاك. فقال: على رسلك يا أمير المؤمنين فما أمر الله عز وجل بهذا حيث يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[1] قال: فاستحسن المتوكل كلامه وخجل منه فقال: ادن مني قريباً فدنا فشم منه رائحة الكافور فقال له: ما لي أشم رائحة الموتى؟

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

فقال: لما دعوتني في هذا الوقت خفت على نفسي القتل فاغتسلت غسل الأموات وحضرت بين يديك فافعل ما بدا لك فقال: لا تخف إن كنت صادقاً فقد بلغني عنك كلام وأنا أسألك عنه فاصدق تَنْجُ. قال: أسأل أخبرك بعون الله وحسن توفيقه. قال: بلغني أنك إذا خلوت بنفسك تنشد هذه الأبيات: [البحر الكامل]

أصبحتُ جمَّ بلابلِ الصّدرِ   وأبليتُ مطويّاً على الجمر
إن بحتُ يوماً طلَّ فيه دَمي   وإن سكتُّ يضيقُ به صدْري

قال: قل لي ما يطل به دمك ويضيق صدرك؟

فقال: ولي الأمان؟

فقال: قل ولك الأمان. فقال: [البحر الكامل]

ممّا جَناه على أبي حسنٍ   عمرٌ وصاحبُه أبو بكرِ
جعلُوك رابعَهم أبا حسنٍ   منعُوك حقَّ الإرثِ والصّهرِ
والى الخلافةِ سابقُوك وما   سبقُوك في أُخدٍ ولا بدْرِ
وقتلتَ في بدرٍ مشايخَهم   فلأجلِ ذا طلبُوك بالوترِ
فعلَى الذي يُرضى بفعْلِهمُ   أضعافُ ما حملُوا من الوْزرِ

فقال المتوكل: قاتلك الله يا كركدان تشتمني في وجهي؟

فقال: حاشا الله بل لا أقول إلا الحق وشيمتك العدل والإنصاف. فقال له: يا كركدان يجوز في مذهبك واعتقادك أن يزيد بن معاوية كان كافراً؟

قال: نعم ورأسك العزيز. قال: بماذا؟

قال: لما قتل الحسين عليه السلام وحمل الله سبايا الحسين والرأس معهم حط الرأس في طشت من الذهب قدامه وبقي ينظر إلى الأوصاف الهاشمية والبهجة الفاطمية ويقرع ثناياه بقضيب كان عنده، فنسق غراب من أعلى القصر من أعلى حيطان داره فاستوحش من كان في مجلسه من بني أمية فأنشد يقول: [البحر الرمل]

يا غرابَ البينِ ما شئْتَ فقلْ   إنّما تنتدب أمراً قد فعلْ
ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا   وقعةَ الخزرجِ مع وقعِ الأسلْ
لأهلّوا واستهلّوا فرَحاً   ثم قالُوا يا يزيدُ لا تشَلْ
قد قتلْنا القرمَ من ساداتِهم   وعدلْناه ببدرٍ فاعتدلْ
لستُ من خِنْدِفَ إن لم أنتقمْ   من بني أحمدَ ما كان فعلْ
لعبتْ هاشمُ بالملكِ فلا   خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نزلْ

قال: هذا شعر يزيد؟

قال: نعم ورأسك العزيز. فقال: قاتله الله ما كان أجرأه على الكفر، لكن يا حسن من أين أخذ هذا وإلى من استند وعلى رأي من اعتمد؟

قال: على رأي معاوية. قال: يجوز في مذهبك واعتقادك أن معاوية كاتب الوحي كان كافراً؟

قال: نعم. قال: وبماذا؟

قال: لأنه لما مرض مرض الموت عادته زوجته فقالت: وحقك لا أنكح بعدك بعلاً فقال شعراً: [البحر الطويل]

إذا متُّ يا أمَّ الحميرةِ فانْكحي ... فليس لنا بعدَ المماتِ تَلاقيا
فإنْ كنتِ قد أخبرتِ عن مبعثٍ لنا ... أساطيرَ لهوٍ يجعلُ القلبَ ساهِيا

فقال المتوكل: هذا شعر معاوية؟

قال: نعم هذا شعر معاوية ورأسك العزيز قال: يا حسن من أين أخذ هذا وإلى من استند وعلى رأي من اعتمد؟

فقال: على رأي ابن الحبشية صهاك فقال: أيجوز في مذهبك واعتقادك أنه كان كافراً؟

قال: نعم.

قال: بماذا؟

قال: لأنه دخل عليه يوم من شهر رمضان وهو مخمور فقال لزوجته: انبذي لنا تمراً في ماء لنشربه. فقالت له: أما تستحي من الله تشرب النبيذ في شهر رمضان؟ [البحر الوافر]

فأنشد يقول:

أأوعدُ في المعادِ بشربِ خمرٍ ... وأُنهى الآنَ عن ماءٍ وتمرِ
أبعثٌ ثم حشرٌ ثم نشرٌ ... حديثُ خرافةٍ يا أمَّ عمروِ

قال المتوكل: هذا شعره؟

قال: نعم ورأسك العزيز. قال: قاتله الله ما أجرأه على الكفر لكن يا حسن من أين أخذ هذا وإلى من استند وعلى رأي من اعتمد؟

فقال: اعتمد على رأي الأول. فقال المتوكل: ما بقي عند عبادان قرية لكن يا حسن يجوز في مذهبك واعتقادك أن الأول كان كافراً؟

قال: نعم قال: بماذا ؟

قال: لأنه نادى زوجته في شهر رمضان أئتنا بغدائنا فقالت له: أما تستحي من الله تأكل في شهر رمضان؟

فأنشأ يقول شعراً: [البحر الوافر]

دَعينا نصطبخْ يا أمَّ بكرٍ ... فإنَّ الموتَ نقبٌ عن هشامِ
ونقبٌ عن أبيكِ وكان قرْماً ... شديدَ البأسِ شرِّيبَ المدامِ
يخبِّرُنا ابنُ كبشَةَ أن سنَحْيَى ... وكيفَ حياةُ أشلاءٍ وهامِ
ولكنْ باطلٌ قد قالَ هذا ... وافكٌ من زخاريفِ الكلامِ
ولا يكفيهِ جمعُ المالِ حتّى ... أمرْنا بالصلاةِ وبالصيامِ
ويعجزُ أن يكفَّ الموتَ عنّي ... ويُحيينِي إذا بليتْ عِظامي
فقلْ للهِ يمنعُنِي شَرابي ... وقلْ للهِ يمنعُنِي طَعامي
ألا هلْ مخبرُ الرحمنِ عنّي ... بأنّي تاركٌ شهرَ الصيامِ
وتاركُ كلِّ ما يُوحى إليه ... حديثٌ من أساطيرِ الكلامِ
ولكنّ الحكيمَ رأى حَميرا ... فألجَمها فتاهتْ في اللجامِ

فقال المتوكل: ويلك يا كركدان لقد رفعت القناع وأزلت الخداع لكن يا حسن أريد منك أن تخبرني من يكون يستحق أن يكون أمير المؤمنين ويسمي نفسه خليفة رب العالمين؟

وقال في نفسه: إن قال عني سلم وإن عنى غيري قتلته. فقال: يا أمير المؤمنين لا يستحق ذلك إلا لمن لمس العرق اليابس فأورقه ومسك الحمل والعنكبوت فاستحقه وقبض خالد بن الوليد فطوقه وتفضل على ابن أبي سفيان فأعتقه وملك نعيم الدنيا فطلقه ودفع باب الشرك وأغلقه وهزم جيش المشركين ومزقه، زين الزين وقرة العين والمصلي إلى القبلتين الضارب بالسيفين الطاعن بالرمحين فارس أحد وبدر وحنين إمام الحرمين وأبو الحسن والحسين صفر اليد من البيضاء واللجين المنزه من كل شين عالي النسبين وإمام الثقلين ليث بني غالب مظهر العجائب مفرق الكتائب أعني به علياً بن أبي طالب قال: فلما سمع المتوكل ذلك قال: والله لقد كان ابن عم أفضل ممن قلت ثم إنه ملأ فم الحسن الكركدان من الدرر والجوهر ورده إلى عياله معافىً سالماً.

الله الرازق

من نهج البلاغة: قال عليه السلام: ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا يفتح على عبده باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة ولا ليفتح على عبده باب التوبة ويغلق عنه باب القبول.

ومنه أيضاً: قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه من أتجر بغير فقه ارتطم في الربا. منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دينار.

هبة آدم عليه السلام لداود

روى ثقة الإسلام في الكافي عن عبد الله بن سنان قال: لما قدم أبو عبد الله عليه السلام إلى العباس وهو بالحيرة خرج يوماً يريد موسى بن عيسى فاستقبله بين الكوفة والحيرة ومعه ابن شبرمة القاضي فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله ؟

فقال: أردتك فقال: قد قصر الله خطوك. قال فمضى معه فقال له ابن شبرمة: يا أبا عبد الله في شيء سألني عنه الأمير فلم يكن عندي فيه شيء؟ فقال: وما هو؟

فقال: سألني عن أول كتاب في الأرض؟

قال: نعم إن الله عرض على آدم ذريته غرض العين في صور الدر نبياً فنبياً وملكاً فملكاً ومؤمناً فمؤمناً وكافراً فكافراً، فلما انتهى إلى داود عليه السلام قال: من هذا الذي قد نبيته وكرمته وقصرت عمره؟

قال: فأوحى الله تعالى إليه هذا ابنك داود وعمره أربعون سنة وإني قد كتبت الآجال وقسمت الأرزاق وأنا أمحو ما أشاء وأثبت وعندي أم الكتاب، فإن جعلت له شيئاً من عمرك ألحقته له. فقال له: يا رب قد جعلت له من عمري ستين سنة تمام المائة. قال: فقال الله لجبرائيل وميكائيل اكتبوا عليه كتاباً فإنه سينسى. قال: فكتبوا عليه كتاباً وختموه بأجنحتهم من طينة عليين. قال: فلما حضرت آدم الوفاة أتاه ملك الموت فقال: يا ملك الموت ما الذي جاء بك؟

قال: جئت لأقبض روحك. قال: بقي من عمري ستون سنة. قال: إنك جعلتها لابنك داود. قال: ونزل عليه جبرائيل وأخرج عليه الكتاب فقال أبو عبد الله : فمن أجل ذلك إذا خرج الصك على المديون دل المديون فقبض روحه.

أقول: وفي خبر آخر رواه الكليني أيضاً أن الذي وهبه آدم لداود خمسين سنة، وفي الجمع اشكال نبه عليه جملة من مشايخنا وهو لزوم السهو على آدم عليه السلام مع كون ذلك خلاف ما يقتضيه قواعد الإمامية، ولم يخالف فيه إلا الصدوق ابن بابويه وشيخه محمد بن الحسن بن وليد وحمله على التقية لذلك ليس ببعيد كما احتمله بعض أصحابنا إلا أنه يمكن حمل النسيان على معنى الترك كما ورد مثله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ﴾(1). فروى الصدوق قدس الله سره في العلل في حديث قال: وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصيائه من بعده ولاة أمري وخزان علمي وإن المهدي انتصر به لديني وأظهر به دولتي وانتقم به من أعدائي وأعبد به طوعاً وكرهاً.

قالوا: أقررنا يا رب وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يقر فثبت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ولم يكن لآدم على الإقرار به وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَمُ

(1) سورة طه، الآية: ١١٥.

عَـزْمًا﴾ قال: إنما هو فترك الحديث - وحينئذٍ فيكون قوله سبحانه في الحديث: «فإنه سينسى» أي يترك ذلك ويرجع فيما أعداه، ولعل ذلك على جهة الرجاء والأمل من كرم الله تعالى أن يعطيه ذلك. وأن الله سبحانه وأولياءه أعلم.

وزن قيد الغلام

روى الصدوق: عطر الله مرقده في الفقيه عن جعفر بن غالب الأسدي رفع الحديث قال: بينما رجلان جالسان في زمن عمر بن الخطاب إذ مر بهما رجل مقيد فقال أحد الرجلين: إن لم يكن في قيده كذا وكذا فأمر أنه طالق ثلاثاً فقال الآخر: وإن كان فيه كما قلت فامرأته طالق ثلاثاً، فذهبا إلى مولى العبد فقالا له: إنا حلفنا على كذا وكذا فحل قيد غلامك حتى نزنه فقال: مولى العبد امرأته طالق إن حللت قيد غلامي فارتفعوا إلى عمر فقصوا عليه القصة فقال: ما أهون هذا، ثم دعا بجفنة وأمر بقيد العبد فشد فيه خيط وأدخل رجليه والقيد في الجفنة ثم صب عليه الماء حتى امتلأت، ثم قال: ارفعوا القيد فرفعوا القيد حتى خرج من الماء فلما خرج نقص الماء ثم دعا بزبر الحديد فأرسله في الماء حتى تراجع الماء في موضعه والقيد في الماء ثم قال: زنوا هذه الزبر فهو وزنه.

قال في الفقيه: إنما هدى أمير المؤمنين عليه السلام إلى معرفة ذلك ليخلص به الناس من أحكام من يخبر الطلاق باليمين.

ترجمة ابن أبي الحديد المعتزلي

كتاب مجمع الآداب: في مجمع الألقاب تأليف الشيخ المؤرخ كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أبي المعالي الشيباني ملخص أحوال الشيخ عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسين هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني الحكيم الأصولي: كان من أعيان العلماء الأفاضل وأكابر الصدور الأماثل، حكيماً فاضلاً كاتباً كاملاً عارفاً بأصول الكلام يذهب مذهب المعتزلة وخدم في الولايات الديوانية والخدم السلطانية، وكان مولده في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦ واشتغل وحصل وصنف وألف، فمن تصانيفه (شرح نهج البلاغة) عشرون مجلداً وقد احتوى هذا الشرح على ما لم يحتو عليه كتاب من جنسه، صنفه لخزانة الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي رحمه الله ولما فرغ من تصانيفه نفذه إليه على يد أخيه موفق الدين بن أبي المعالي فبعث إليه بمائة ألف دينار وخلعة سنية وفرساً، فكتب إلى الوزير بهذه الأبيات: [البحر الوافر]

أيا ربَّ العبادِ رفعتُ ضَبْعي وطلتُ بِمِنْكبي وبللْتُ ريقي

فزيغَ الأشعريِّ كشفتُ عنّي فلم أسلكْ بنيّاتِ الطّريقِ

أحبُّ الاعتزالَ وناصريه ذوو الألبابِ والنظرِ الدقيقِ
فأهلُ العدلِ والتوحيدِ أهلي نعمْ وفريقُهم أبداً فريقي
وشرحُ النهجِ لم أدركْه إلاّ بعونِك بعدَ مجهدةٍ وضيقِ
تمثَّل إذ بدأتُ به لعيني علاءُ الذروةِ الطودِ السحيقِ
فتمَّ بحسنِ عونِك وهو أنا من العيّوقِ أو بيضِ الأنوقِ
بآلِ العلقميِّ وريْ زنادي وقامتْ بين أهلِ الفضلِ سُوقي
فكم ثوبٍ أنيقٍ نلتُ منهم ونلتُ بهم وكم طرفٍ عتيقِ
أدامَ اللهُ دولتَهم وانحى على أعدائِهم بالخنْعقيقِ

ومن تصانيفه أيضاً كتاب العبقري الحسان وهو كتاب غريب الوضع قد اختار فيه قطعة وافرة من الكلام والتواريخ والأشعار وأودعه شيئاً من إنشائه ومنظوماته، ومن تصانيفه كتاب الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريعة للسيد المرتضى قدس الله سره وهو ثلاث مجلدات، ومنها الفلك الدائر على المثل السائر لابن الأثير الجوزي، ومنها كتاب شرح المحصل للإمام فخر الدين وهو يجري مجرى النقض له، ومنها كتاب نقض المحصول في علم الأصول للإمام فخر الدين أيضاً، ومنه شرح مشكلات الغرر لأبي الحسين البصري في أصول الكلام، ومنها تقرير الطريقتين في أصول الكلام، ومنها شرح الياقوت لابن نوبخت في الكلام أيضاً، ومنها كتاب الوشاح الذهبي في العلم الأدبي، ومنها انتقاد المستصفى للغزالي في أصول الفقه، ومنها الحواشي على كتاب المفصل في النحو سوى ما له من التعاليق ولم أتتبع معرفته.

وأما أشعاره فكثيرة أجلها وأشرفها القصائد السبع العلويات وذلك لشرح الممدوح عليه أفضل التحية والسلام نظمها في صباه وهو في المدائن في شهور سنة ٦١١ وأما ما وليه من الولاية فلا حاجة إلى ذكره هنا.

قال الشيخ كمال الدين: ولما أخذت بغداد كان ممن خلص من القتل في دار الوزير مع أخيه موفق الدين وحضر بين يدي المولى السعيد خواجة نصير الدين الطوسي قدس الله سره وفوض إليه أمر خزائن الكتب ببغداد مع أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين علي بن أنجب، ولم تطل أيامه رحمه الله في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦، فمدة عمره والحال هذه سبعون سنة وستة أشهر - انتهى ما نقلناه من الكتاب المقدم ذكره.

ووجدت بخط بعد الأجلاء نقلاً عن خط شيخنا الشهيد رحمه الله ما صورته الوزير السعيد العالم مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد العلقمي استوزره المعتصم بالله آخر الخلفاء العباسيين، وكان قبله أستاذ الدار في عهد المنتصر ثم استوزره السلطان هلا كوخان مزيل الدولة العباسية فلم تطل مدته حتى درج إلى رحمة الله تعالى عالم الواقعة سنة ٦٥٦ ثاني جمادى الآخرة، وكان قدس سره إمامي المذهب صحيح الاعتقاد رفيع الهمة محباً للعلماء والزهاد كثير المبار ولأجله

صنف عز الدين عبد الحميد شرح النهج في عشرين مجلداً والسبع العلويات - انتهى.

وفي التواريخ: أن السبب في أخذ بغداد في تلك الواقعة كان مؤيد الدين المشار إليه، فإنه كاتب التتار وحرضهم على دخول بغداد لأجل ما جرى على إخوانه الشيعة من الذل والإهانة، وكان مكاتبهم سراً وقد تقدم نقل ذلك الكتاب.

مما ينسب للإمام: [البحر الهزج]

ولا تصحبْ أخَا الجهلِ ... فإيَّاكَ وإيَّاهُ
وكمْ من جاهلٍ أرْدى ... حَكيماً حينَ وافاهُ
يقاسُ المرءُ بالمرءِ ... إذا ما هو ما شاهُ
والشَّيءُ على الشَّيءِ ... مقايِيسٌ وأشباهُ
وللقلبِ على القلبِ ... دليلٌ حين يلقاهُ

حذر العدو

ولله در القائل: الحارث بن كعب: [البحر الكامل المجزوء]

احذرْ عدوَّك مرّةً ... واحذرْ صديقَك ألفَ مرّةْ
فلربّما انقلبَ الصّديقُ ... فكانَ أبصرَ بالمضرّةْ

لبعضهم: [البحر الوافر]

عدوُّك من صديقِك مستفادُ ... فلا تستكثِرَنَّ منَ الصّحابِ
فإنَّ الداءَ أكثرُ ما تراهُ ... يكونُ من الطّعامِ معَ الشرابِ

إياك والرئاسة

روى الصدوق قدس الله سره: في كتاب معاني الأخبار عن سفيان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : يا سفيان إياك والرئاسة فما طلبها أحد إلا هلك فقلت له: جعلت فداك قد هلكنا إذ ليس أحد منا إلا وهو يحب أن يذكر ويقصد ويؤخذ عنه. فقال: ليس حيث تذهب إليه إنما ذلك أن تنصب رجلاً دون الحجة فتصدقه في كل ما قال وتدعو الناس إلى قوله.

الكبر

وروي: فيه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لن يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال خردل من كبر، ولا يدخل النار عبد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان. قلت: جعلت

فداك أن الرجل ليلبس الثوب أو ليركب الدابة فيكاد يعرف منه الكبر. فقال: ليس بذاك إنما الكبر إنكار الحق والإيمان والإقرار بالحق.

قصة عجيبة غريبة

نقل: السيد المحدث العلامة السيد نعمة الله الجزائري في كتاب شرح التهذيب قال: وقع فيما قارب عصرنا أن رجلاً من أهل بغداد سافر إلى الشام وبقي أعواماً ولما قدم على امرأته وجد عندها أولاداً فتعجب، فقالت: هلم نتحاكم إلى القاضي الحنفي. فلما تحاكما إليه ألحق الأولاد به وقال: الولد للفراش فلما ضاق على الرجل فضاء الأرض احتال على القاضي وقال: إني أعلم أن هؤلاء أولادي بحكم مولانا الحنفي لكني رجل فقير وعاجز عن نفقة هؤلاء الأطفال فإن رأى مولانا القاضي من يتكفل بأحوالهم، فعمد القاضي إلى الثروة من الحاضرين فقال: كل رجل منك يأخذ واحداً من أولاد هذا الفقير يتكفل بتربيته حتى يكبر، فرفع كل رجل واحداً وكان بين الحاضرين رجل خصي فقال له: ارفع واحداً فأخذ ولداً من الصغار وخرج به واضعاً له على كتفه، فلقيه رجل في السوق فسألوه ما هذا الولد؟

فقال: كنا في مجلس القاضي وكان يقسم أولاد الزنا بين أهل المجلس فكان هذا سهمي والخير عنده كثير لمن أراد.

يقول جامع هذا الكشكول وناظم هذه النقول: قد قدمنا سابقاً مستنداً لهذه الحكاية من مذهب أبي حنيفة في كتاب يوحنا وفي موضع آخر أيضاً.

زهر الرياض

لابن طباطبا وقد أبدع: [البحر الكامل]

انظرْ إلى زهرِ الرياض كأنّه ... ثوبٌ تنشّره الأكفُّ منمْنَمُ
والنورُ يهوي كالعقودِ تبدّدت ... والوردُ يخجلُ والأقاحي تبسمُ
ويكادُ يذري الدمعَ نرجسُه إذا ... أضحى ويقطرُ من شقائقِه الدمُ

العشاق

للقاضي محيي الدين في مملوكه نسيم: [البحر الرجز المجزوء]

إنْ كانتِ العشاقُ من أشواقِهم ... جعلُوا النسيمَ إلى الحبيبِ رَسولا
فأنَا الذي أتلُو عليهم ليتَني ... كنتُ اتّخذتُ مع الرسولِ سَبيلا

الطيب

الشريف المرتضى رحمه الله: **[البحر الطويل]**

ومعتادةٍ بالطيبِ ليس تغبُّه ... منعمةُ الأطرافِ تدْمَى من اللّمسِ
إذا ما دخانُ النّدِ من ثوبِها عَلا ... على وجهِها أبصرتُ غيْماً على شمسِ

تأملات

[البحر الطويل]

مما ينسب للأمير صلوات الله عليه:

إذا كنتَ ذا علم ولم تكُ مُوسِراً ... فأنتَ كذي رجلٍ وليس لها نعلُ
وإنْ تكُ ذا مالٍ ولستَ بعالمٍ ... فأنت كذي نعلٍ وليس لها رجلُ
ألاَ إنّما الإنسانُ غمدٌ لعقلِهِ ... ولا خيرَ في غمدٍ إذا لم يكنْ نصلُ
ولا خيرَ في عيشٍ إذا لم يكنْ غنىً ... ولا خيرَ في مالٍ إذا لم يكنْ فعلُ
إذا اجتمعَ العاهاتُ فالبخلُ شرُّها ... وشرٌّ من البخلِ المواعيدُ والمطلُ

الكريم

[البحر البسيط التام]

ومما ينسب إليه صلى الله عليه:

ليس الكريمُ الذي إنْ نالَ منزلةً ... أو نالَ فضلاً على إخوانِه تاها
الحرُّ يزدادُ للإخوانِ تكرمةً ... إنْ نالَ فضلاً من السلطانِ أو جاها

الحكيم

أبو الحسين أحمد بن فارس: **[البحر المتقارب]**

إذا كنتَ في حاجةٍ مرْسِلاً ... وأنتَ بها كلِفٌ مُغْرَمُ
فأرسلْ حكيماً ولا تُوصِه ... وذاك الحكيمُ هو الدِّرْهَمُ

المرء بأصغريه

[البحر البسيط المجزوء]

وله:

قد قالَ فيْما مضَى حكيمُ ... ما المرءُ إلّا بأصْغرَيْهِ
فقلتُ قولَ امرِئٍ حكيمٍ ... ما المرءُ إلاّ بأصغَرَيْهِ

فقلتُ قولَ امرئٍ لبيب ... ما المرءُ إلا بدِرْهميْهِ
من لم يكنْ درهمٌ لدَيْهِ ... لم تلتفتْ عرسُه إليهِ
وكان من ذلّه حقيراً ... يبولُ سنّوره عليه

المحبة

[البحر الكامل]

مما نسبه بعض علماء العامة إلى أبي حنيفة:

حبُّ اليهودِ لآلِ موسى ظاهرٌ ... وولاؤُهم لبَني أخيهِ بادِ
وإمامُهم من نسلِ هارونَ الولا ... بهم اقتدَوْا ولكلّ قوم هادِ
وكذا النّصارى يكرمون محبّه ... لمسيحِهم نجْراً من الأعوادِ
ومتى يُوالي آلَ أحمدَ مسلمٌ ... قتلُوه أو سمّوه بالإلحادِ
هذا هو الدّاءُ العضالُ لمثلِه ... ضلَّت حلومُ حواضرٍ وبوادِ
لم يحفظوا حق النبيّ محمدٍ ... في آلهِ واللهُ بالمرصادِ

منتخب من أشعار الشيخ سليمان البحراني

رفقاً بالحبيب

[البحر الكامل]

لشيخنا أبي الحسن الشيخ سليمان رحمه الله:

يا آسري بالنّاظرِ القنّاصِ ... وله هوايَ وخالصُ الإخلاصِ
قد همتُ فيك فهل ترى لي مُخلصاً ... أين الخلاصُ ولاتَ حينَ مناصِ
رفْقاً برقّك واعطفنَّ فإنه ... وقفٌ عليك ولن تراه بعاصِ
قل لي اسحرٌ في جفونِك حلَّ أم ... ضربٌ من الإعجازِ والإرهاصِ
راقبْ إلَهك في دمَي يا ظالمي ... واحذرْ غداةَ غدٍ عظيمَ قصاصِ

وله: قدس سره في حاكم البحرين كلب على سلطان بالجور والطغيان:

[البحر الرجز المشطور]

لمّا تعدّوا طورَهم ... أهلٌ أوالٍ في المعاصي
وغدَوْا يُحاكون الكلابَ بلا انتفاع واقتناص
ولّى عليهم حاكماً ... كلبَ الهراشِ بلا خلاصِ
فرمى نبالَ وبالِه ... نحو الأداني والأقاصي

وله قدس سره في ذم البحرين لما لقيه آخر عمره من بعض أكابرها : [البحر الوافر]

لقد طوفتُ في الآفاقِ طُرّاً وعاشرتُ الأعاظمَ والموالي
ونلتُ المُرتَجى منها ولكنْ أبتْ نفسي سِوى سكني أوالِ
لقد حَرصتُ على خيرٍ قليلٍ وقد رغبتْ عن الدررِ الغوالي
فما هيَ في الديارِ كما تَراها تُذادُ عن المعاني بالعوالي

قنطرة المعالي

وله في مدح البحرين قديماً : [البحر الوافر]

هيَ البحرين قنطرةُ المعالي ومعراجُ المحاسنِ والكمالِ
فلا تلحقْ بها أرضاً سِواها فما ماءٌ زلالٌ مثلُ آلِ
بلغتُ بها الأماني باجتهادٍ وصلتُ بها إلى أوجِ المعالي
ونلتُ بها المحاسنَ والمَزايا وغصتُ على الفوائدِ واللّئالي
فنُوني في الكمالِ مبيّنات وفقتُ السابقينَ من الرجال

وله في مدح شرح الهياكل للدواني جلال الدين محمد بن سعد : [البحر الطويل]

إذا رمْتَ أن تخظى بحلّ المشاكلِ وتحريرِها فالزمْ كتابَ الشواكلِ
كتابُ جَلا الأفكارَ فوقَ منصّتِ الظّهور وجلّي مُبهماتِ الهياكلِ
ولا غرْوَ فالنحريرُ ناظمُ درِّه جليلٌ دوانٌ مقدمٌ غيرُ ناكلِ
فتىً أسعدٌ أعني الجلالَ محمداً جليلُ الرزايا مستطابُ الشواكلِ

وله قدس سره تخميس : [البحر الوافر]

تَبَتَّلَ في شؤونك للوليّ مفيضُ الخيرِ ذي القدسِ البهيّ
ولا يتسأمْنُ الفرجُ الوحيُّ فكم للهِ من لطفٍ خفيّ
يدقُّ جفاهُ عن فهمِ الذكيّ
وكم للهِ من فتْحٍ ونصرٍ وكم جبرٍ بَدا من بعدِ كسْرِ
وكم رشْحٍ أفاضَ بكشْفِ ضُرٍّ وكم يسْرٍ أتَى من بعدِ عُسْرِ
ففرّجَ كربةَ القلبِ الشّجيّ
وكم دَنِفٍ بلطفِ اللهِ راحا صحيحُ الجسمِ ينشرحُ انْشِراحا
ولم أعرفْ من الملكوتِ فاحا وكم أمرٍ تشاءُ به صباحا
فتأتيكَ المسرّةُ بالعشيّ

فعمْ في بحر لطفِ الله عوْماً   وتابعْ في جهادِ النفسِ قوْما
على هامِ السُّهى حقباً ودوْماً   إذا ضاقتْ بكَ الأحوالُ يوْما
فثقْ بالواحدِ الفردِ العليّ

تنصَّلْ في الدُّجَى من كلِّ ذنبِ   وحاذرْ كي تحاطَ بلطفِ ربِّ
وشمّرْ للعُلى تشميرَ ندبِ   توسّل بالنبيِّ في كلِّ خطبِ
يهونُ إذا توسّل بالنبيّ

ولا تحزنْ إذا ما ضاقَ رحبٌ   ولا تفرغْ إذا وافاك كربٌ
ولا تفرحْ إذا ما ساغَ عذبٌ   ولا تجزعْ إذا ما نابَ خطبٌ
فكم للهِ من لطفٍ خفيّ

وله قدس سره في مدح شرح الكوشجي: [البحر الكامل]

للهِ درُّ الكوشجيِّ فقد جَلا   تلك العرائسَ في مضاتِ الجملا
قد جرّدَ التجريدَ من إبهامِه   وعَلا بتحقيقاته أوج العُلَى
قد دارَ حيثُ الفكرُ دار بفطنةٍ   قدسيةِ الآثارِ لن تتَحمَّلا
لكنهُ في العدلِ خالفَ طبعَه   فغدا به سبلُ القيادِ مضلّلا
وكذا الإمامة تاه في بيدائها   لهفي على النحرير إن تضللا
يا أيُّها النّحريرُ كنتَ مجليّاً   فغدوتَ في بحرِ الإمامةِ فشْكلا
فإليكَ مني في الحواشي ما بَدا   أجلُو الدُّجى وبه أحلُّ المُشْكِلا

وله طاب ثراه في مدح كتاب التجريد: [البحر الكامل]

كتبُ الكلامِ إذا تأملَ منصفٌ   في جنبِ تجريدِ العقائدِ كالْهبا
أبحاثُه منظومةٌ كفرائدٍ   غرٌّ وتلكَ تفرّقتْ أيدي سَبا
فهي الجواهُر في الثيابِ وتلك الأعراضُ شتّان المهابطُ والرُّبى
وكأنّها لبنُ الرضاعِ محرّماً   بعدَ العضالِ وإنه مثلُ اللّبا
قد أشبهتْ بيضُ المشيبِ بُرهنِها   وغدا يُحاكي في العُلى غصنَ الصّبا
لا غرْوَ فالطُّوسيُّ طرّزَ نظمَه   ببنانِ فكرٍ في الحقائقِ أغربا
الفيلسوفُ العجُّ أبذى لقطَه   وكسَاه أثوابَ الكمالِ ورتّبا
فهو المنقّبُ في الحقائقِ والعُلى   أكرمْ به من بارعٍ قد نقّبا
بلغَ السُّهى في الحكمَتَيْن وحازَه   وحقائقَ الشرعِ المقدسِ هذّبا
هذا المحصّلُ اض غيرَ محصلٍ   إذ نقدهُ تلك السفاسَط خرّبا
ذهبتْ شكوكُ ابنِ الخصيبِ بأسرِها   ولكرْبِها الرّازيُّ صالَ واغجبا

ذاك المشكّكُ في المعارفِ جملةً وهو المحققُ مُصعِداً ومصوِّبا
لا زالتِ الألطافُ تصمدُ نحوَه في عالمِ القدسِ البهيِّ المُجتبى

وله قدس الله سره وحشره مع الأئمة: [البحر البسيط التام]

شمسٌ من الدينِ في أفقِ الحجى ظهرتْ أنوارُها طلعتْ آثارُها ظهرتْ
إذا توارتْ خفافيشُ التعقّلِ في صقعِ الدهورِ وعن عليائِها انحدرتْ
بدتْ أشعّتُها للسّالكين وما بعدَ النهارِ ولكن النُهى حسرتْ
فذا الخَفاءُ لإفراطِ الجَلاءِ فلا تمارِ فيه فما غابتْ وما استَترتْ
بالضوءِ تنصرحُ الأكوانُ قاطبةً ومنه قاطبةُ الأفهامِ قد قصرتْ

وله تغمده الله بغفرانه: [البحر البسيط التام]

مَنْ لي وقد عفتِ الأيامُ آثاري واستأصلَ الدهرُ خلْصائي وأنْصاري
طالَ الزمانُ على صُبْحي مجاهرةً فاغتالَهم بمخاليبِ وأظفارِ
كانوا نجومَ ذآدي المشكلاتِ وحفاظَ الشريعةِ الأعلامَ للبارِي
من كلِّ قرمٍ همامٍ يُستجارُ به حامي الحقيقة حرٌّ وابنُ أحرارِ
زاكي النّجارِ عزيزُ الجارِ مضطلعٌ بالفضلِ عارٍ عن العوراءِ والعارِ
عطاهمُ الدهرُ كاسَ الاصطلامِ على عمدٍ فبانُوا عن الأهلين والدارِ
وخلّفونِيَ في اللأواء تمساً خلْواً عن الخلِّ والسّمارِ والجارِ
تهجّمتْنيَ أناس ليسَ ينضمُهم سلكُ المعالي وما فازُوا بمقداري
هذا العضالُ ألْرضى بالقَذى كحُلاً وبالأذى بدَلا عن مجديَ الهَاري
أسامُ ضيْماً ولي في الفضل منزلةٌ قُصْوى وقد طبَّق الآفاقَ أخباري
يسوسُني في العُلَى مَنْ ليس يعلَمُ ما كنْهُ المعالي وما صلَّى بمضمارِ
وما تناولَ ساقَ المكرماتِ عُليٌ وما ترقَّى لآثارٍ وأسرارِ
وما ألمَّ بمعنَى المجدِ في زمنٍ ولم يذقْ وارداتِ الواحدِ الباري
تلك الخفافيشُ قد عالتْ ذُكاءَ فلم يظهرْ سَناها لمرتادٍ لأنوارِ

بعض ما يتعلق بالشافعي وأبي حنيفة

ونقل السيد المشار إليه في الكتاب المذكور نقل بعض علمائهم أن أم محمد بن إدريس لما غاب عنها زوجها إليها بعد أربع سنين فوجدها حاملاً بمحمد فوضعته، فلما بلغ هذا المبلغ من العلم والرئاسة وعرف ذلك الحال ذهب إلى هذا القول، وبعض محققيهم جعل العلة فيه أن أبا حنيفة كان في الوجود ولا يجتمع إمامان ناطقان في عصر واحد، فاستتر الشافعي في بطن أمه

أربع سنين ولما علم بموت أبي حنيفة خرج إلى عالم الوجود.

فانظر رحمك الله إلى هذا المولود المبارك وما جرى من أحواله، وإلى تلك المرأة العفيفة وكيف ألصقت ذلك بزوجها وعلى العلة المذكورة وتلقى أسماعهم لها بالقبول في شأن هذا الرجل الذي صار إماماً في المذهب.

من جملة الأربعين: وأغلب الناس في هذه الأعصار وما قبلها ثابتون على دينه وفتاواه (يا ناعي الإسلام قم فانعه) وهذا الرجل مع وضوح هذا النسب المبارك أوفق بمذهبنا وحب أهل البيت عليهم السلام من باقي أئمتهم لأنه كان يحب أمير المؤمنين عليه السلام وله من الأشعار والنثر في مدائحه ومناقبه كثيرة.

وأما أبو حنيفة: فكان يقول: قال علي عليه السلام وأنا أقول خلافاً لقوله. وحكي عنه أنه كان يقول: خالفت جعفر بن محمد في جميع أقواله وفتاواه ولم يبق إلا حالة السجود فما أدري أنه يغمض عينيه أو يفتحهما حتى أذهب إلى خلافه وأفتى الناس بنقيض فعله.

عهد النبي على العرب والعجم والقبط والحبشة

روى الحافظ البرسي في كتاب مشارق الأنوار عن أبي الحمراء قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً: يا أبا الحمراء انطلق وادع لي مائة رجل من العرب وخمسين من العجم وثلاثين رجلاً من القبط وعشرين رجلاً من الحبشة قال: فذهبت فأتيت بهم فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فصف العرب ثم صف العجم خلف العرب ثم صف القبط خلف العجم ثم صف الحبشة خلف القبط، ثم حمد الله وأثنى عليه بمحامد لم يسمع الخلائق بمثلها ثم قال: معاشر العرب والعجم والقبط والحبشة أقررتم بشهادة أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله؟

قالوا: نعم. قال: اللهم أشهد حتى قالها ثلاثاً. ثم قال: يا علي آتيني بدواة وبيضاء فأتاه بها فقال اكتب: هذا ما أقرت به العرب والعجم والقبط والحبشة أقروا بأن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن علياً أمير المؤمنين ولي الله ثم ختم الصحيفة بخاتمه ودفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروي فيه: أيضاً، أنه كان يقول لابن عباس: كيف أنت إذا ظلمت العيون العين؟

فقال: يا مولاي كلمتني بهذا مراراً ولم أعلم معناه؟

فقال: عين عتيق وعمر وعبد الرحمن بن عوف وعين عبد الرحمن بن ملجم وعين عمر بن سعد لعنهم الله.

مدح حذافة بن غانم لبني هاشم

نقل عز الدين بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن الحسن عن محمد بن طلحة عن أبيه قال: إن ركباً من حذام خرجوا صادرين عن الحج من مكة ففدوا رجلاً منهم عالية بيوت مكة فلقوا حذافة العذاري فربطوه وانطلقوا به، فتلقاهم عبد المطلب مقبلاً من الطائف معه زمعة ابنة أبي لهب تقود به فتلقاهم عبد المطلب وحينئذ قد ذهب بصره، فلما نظر إليه حذافة بن غانم هتف به فقال عبد المطلب لابنه: ويلك من هذا؟

قال: هذا حذافة بن غانم مربوطاً مع ركب قال: فالحقهم وسلهم ما شأنهم وشأنه فلحقهم أبو لهب فأخبروه الخبر فرجع إلى أبيه وأخبره فقال: ويحك ما معك؟

قال: لا والله ما معي شيء. قال: ألحقهم لا أم لك فاعطهم بيدك وأطلق الرجل فلحقهم أبو لهب فقال: هل عرفتم تجارتي ومالي أحلف لكن لأعطيتكم عشرين أوقية ذهب وعشراً من الإبل وفرساً وهذا ردائي رهناً، فقبلوا ذلك وأطلقوا حذافة. فلما أقبل به وقربا من عبد المطلب سمع عبد المطلب صوت أبي لهب ولم يسمع صوت حذافة فصاح به: وأبي إنك لعاصم ارجع لا أم لك. فقال: يا أبتاه هذا الرجل معي فناداه عبد المطلب: ياحذافة ارفع صوتك واسمعني حسك.

فقال: ها أنا ذا بأبي أنت وأمي يا ساقي الحجيج اردفني، فأردفه حتى دخل مكة. فقال حذافة بن غانم يمدح أبا لهب ويوصي ابنه خارجة بالانتماء إلى بني هاشم: **[البحر الطويل]**

أخارجُ أما أهلكنَّ فلا تزلْ ... لهم شاكراً حتى تغيَّبَ في القبرِ
بَني شيبةِ الحمدِ الكريمِ فعالُه ... يضيءُ ظلامَ الليلِ كالقمرِ البدرِ
لِساقي الحجيجِ ثم للشيخِ هاشمٍ ... وعبدِ منافِ ذلك السيدِ العمرِ
أبو عتبةَ الملْقي إليَّ جوارَه ... وعن هجانِ اللونِ من نفر غرٌّ
قصيّ الذي قد كان يُدعى مجمّعاً ... به جمعَ اللهُ القبائلَ من فهرِ
كهولهمُ خيرُ الكهولِ ونسلهُم ... كنسلِ الملوكِ لا يبورُ ولا يجري
ملوكٌ وأبناءُ الملوكِ وسادةٌ ... تفلقُ عنه بيضةُ الطائرِ الصقرِ
متى تلقَ منهم طامِحاً في عنانِه ... تجدْه على أجراءِ والده يجري
همُ ملكوا البطحاءَ مجْداً وسؤدداً ... وهمْ نكلُوا عنها غواةَ بنَي بكرِ
وهمْ يغفرون الذنبَ ينقمُ مثله ... وهمْ تركُوا رأيَ السفاهةِ والهجرِ
أخارجُ أما أهلكنَّ فلا تزلْ ... لهم شاكِراً حتى تغيّبَ في القبرِ

فيما جاء في القضاة

كتاب شرح النهج: لابن أبي الحديد خرج شريك وهو على قضاء الكوفة يتلقى الخيزران وقد أقبلت تريد الحج، وكان قد استقضى وهو كاره فأتى شاهي فأقام بها ثلاثاً فلم تواف فخفف زاده وكان معه فجعل يبلله بالماء ويأكل بالملح، فقال العلاء بن منهال الغنوي:

فإنْ كان الذي قد قلتَ حقّاً ... بأنْ قد أكرهوك على القضاءِ
فما لك موضِعاً في كلِّ يوم ... تلَقى من يحجُّ منَ النساءِ
مقيْماً في قُرى شاهي ثلاثاً ... بِلا زادٍ سِوى كسرٍ وماءِ

[البحر الطويل]

وتقدمت كلثم بنت سريع مولى عمر بن حريث وكانت جميلة وأخوها الوليد بن سريع إلى عبد الملك بن عمير وهو قاض بالكوفة، فقضى لها على أخيها فقال ذهيل الأشجعي:

وجاءتْ إليه كلثمٌ وكلامُها ... شفاءٌ من الدّاءِ المخامرِ والخبلْ
فأدْلَى يزيدٌ عندَ ذاك بحقّه ... وكان وليدٌ ذا مراءٍ وذا جدلْ
فدكّهتِ القبطيَّ حتى قضى لها ... بغير قضاءِ اللهِ في محكمِ الطولْ
فلو كان مَنْ في القصر يعلمُ علمَه ... لما استعملَ القبطيّ فينا على عملْ
له حينَ يقضي بالنساءِ تخاوضٌ ... وما كان فيه للتخّاوضِ والجولْ
إذا ذات دَلٍّ كلّمَتْه لحاجةٍ ... فهمّ بأن يقضي تنحنحَ أو سعلْ
وبرّكَ عينَيْه ولاكَ لسانَه ... يرى كلَّ شيءٍ ما عدا وصلها خللْ

وكان عبد الملك بن عمير يقول: لعن الله الأشجعي لو الله لربما جاءتني السعلة والنحنحة وأنا في المتوضي واردهما لما شاع من ذكره وشعره.

أزتفت جميلة بنت عيسى بن جواد وكانت جميلة كاسمها مع خصم لها إلى الشعبي وهو قاضي عبد الملك فقضى لها. [البحر الرمل المجزوء]

فُتِنَ الشعبيُّ لمّا ... رفعَ الطّرفَ إليها
فتنته بثناياها ... وقوسيْ حاجبيْها
فقضى جوراً على الخصمِ ... ولمْ يقضِ عليها

فقضى الشعبي عليه وضربه ثلاثين سوطاً. قال ابن أبي ليلى: ثم انصرف الشعبي يوماً من مجلس القضاء وقد شاعت الأبيات وتناشدها الناس ونحن معه فمررنا بغسال الثياب وهو يقول: (فتن الشعبي لما) ولا يحفظ تمام البيت، فوقف إليه ولقنه وقال (رفع الطرف إليها) ثم ضحك وقال: أبعده الله والله ما قضيت إلا بالحق.

في الرد على تارك الجمعة

ومن كلام نفث به صدر جامع هذا الكتاب في التعريض بجميع من خالفوا السنة والكتاب مع ادعاء أنهم من العلماء الأنجاب يجري مجرى الخطبة في هذا الباب حيث قد أفتوا بتحريم صلاة الجمعة ومنعوا الناس منها بدعوى أنها بدعة: الحمد لله الذي نجانا بركوب سفينة أهل البيت من أمواج الضلالة والفتن، وهدانا بامتثال أوامره إلى معرفة الفضائل والسنن، ووفقنا لافتضاض أبكار عرائس نفائس أحكامه وذلك من أعظم المنن يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، جمع قلوبنا على الاجتماع في مجامع الجمعة والجماعات، وقشع عن أبصار بصائرنا غشاوة الشكوك في ذلك وسحائب الشبهات، وكشف عن قلوبنا أغطية الريب فيما هنالك بأنوار الآيات والروايات قل: ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

فسبحانك اللهم ما أوضح الحق على من هديته سبيله، وما أضيق الطريق على من لم تكن دليله وما أشد المضيق على من قطعت عنه الوسيلة وهم المتمسكون بعروة ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾(٢).

والصلاة على رسوله المقرر لقواعد الدين بالدلائل الناطقة والبراهين، والموضح لطريق الحق المبين بالحجج الساطعة الأنوار باليقين لا بالتخمين، فتعس من ضل عن تلك الطريق ووقع في لجج المضيق وكان من الهالكين، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى آله الموضحين لتلك الشريعة الغراء فها هو طريقها مشرق واضح، والمفصحين عن تلك الملة النوار فها هو سبيلها بين لائح إلا على من أعمى الله بصر بصيرته فهو في تيه الباطل قائم طائح، وهم الذين يصدون عن سبيل الله وهم بالآخرة كافرون.

أيها الإخوان أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله تعالى في الباطن والظاهر، وغسل ألواح النفوس عن درن المعاصي وتطهير السرائر فحسن الظاهر مع قبح الباطن من أعظم المهلكات في اليوم الآخر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾(٣).

وعليكم بالجد وتمام الجد في تحصيل الواجبات الدينية واكتسابها من العلماء الحافظين لها بالأدلة المعصومية لا بتقليد المشهورات واتباع ظواهر العبارات من غير فكر ولا روية، فليس كل من نصب نفسه لذلك نال تلك المرتبة العالية العلية، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٤)، ولقد كثرت الفتيا الفاسدة وادخل نفسه في تلك الصناعة من كان على غاية البعد من تلك الموارد، وتسمي بذلك من ليس له فيها يد ولا ساعد، فتراه يخبط خبط عشوى في هاتيك المقاصد ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١].

ترى أحدهم إذا وردت عليه المسألة هيأ لها كتاب اللمعة أو الشرائع أو الإرشاد، وأصدر الجواب منه ومن غير علم يكون ذلك على صحة فيه أو فساد، هذا إذا كان متورطاً فاضلاً بزعمه بين العباد، وإلا فهو يخبطها خبطاً لا يحوم حوله سداد ورشاد، وتراه يكابر على ذلك ويعاند أشد العناد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[٢].

والحامل له على ذلك هو الشيطان العدو المبين، بتسويله له إنك إن لم تجب فيها سريعاً كنت في عداد الجاهلين، ونقصت من بين جملة من العلماء الفاضلين، ونزلت من أعين الجالسين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾[٣].

وترى أحدهم يجلس نفسه بين صفوة الجهال الذين لا يميزون الجواب من السؤال، ويكثر لهم من القيل والقال، ويتلو عليهم أحاديث لا يفهمها سوى روى عنه وقيل له وقال، والله لا معرفة له بصحيح منها ولا ضعيف ولا ما يدخل في ذلك المجال، ولا جمع بين مختلفاتها بل ولا فهم معانيها على حال من الأحوال ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٤]

قد اتخذوا ذلك لهم عادة وسجية، واستكبروا عن التحصيل للعلوم الدينية من معادنها الحقيقية، واكتفوا مما قنعت به الجهال منهم في تلك القضية وما يعلموا ما هم فيه من تلك البلية ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[٥].

ألم يعلموا أن ذلك منصب لا ينال إلا بالجد والاجتهاد، ورتبة لا تنال بالآباء والأجداد، وإن الأوامر القرآنية والزواجر المعصومية قد تواترت وخرجت من حيز الآحاد، بالمنع من ذلك إلا لمن غاص بحري القرآن والحديث ونال منه غاية المقصود والمراد ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[٧] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٨] إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٩].

ألم يؤخذ عليكم ميثاق الكتاب إلا يقولوا على الله الحق ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١٠] فأولئك هم الفاسقون فأولئك هم الظالمون ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٦.
(٤) سورة الصف، الآية: ٨.
(٥) سورة النحل، الآية: ٣٧.
(٦) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٧) سورة يونس، الآية: ٥٩.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.
(٩) سورة البقرة، الآية ١٦٩.
(١٠) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

عِلْمٌ﴾(١) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾(٢).

وفي الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له في: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾(٣) فقال: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن احلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبة له: أيها الناس إنما بدأ وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع ويخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالاً فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف - الخبر.

عن الصادق عليه السلام أنهاك عن خصلتين فيها هلك من هلك: إياك أن تفتي الناس برأيك، أو تدين بما لا تعلم. وفي خبر أيضاً عنه عليه السلام أنهاك عن خصلتين فيها هلك الرجال: أن تدين الله بالباطل، وتفتي الناس بما لا تعلم. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه - إلى غير ذلك من الأخبار المستفيضة.

وأفظع من ذلك ما تداولته ألسن الجهال الذين ينعقون مع كل ناعق وجل بهؤلاء الرعاع الذين يصعقون مع كل صاعق من أمر صلاة الجمعة التي صار ذكرها منشوراً بينهم في كل كحفل وبقعة لما قد أفتاهم بعض أولئك العلماء بأنها بدعة وأي بدعة وفعلها شنيعة وأي شنيعة، فتراهم تارة يقبلون وأخرى يدبرون، وتارة يصلون وأخرى يتركون ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾(٤).

فيا عجباً لهؤلاء الفئة مع هؤلاء الأحوال، الذين لا يلوون بآية ولا حديث في ذلك المجال، بل غاية ما يتمسكون به إن فلاناً ذهب إلى ذلك وفلاناً قال، من غير علم لهم بكون ذلك على صواب أو ضلال، ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾(٥) ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٦).

فتباً أيها السابح في بحور الجهل إن قبلت النصيحة لتنجو غداً في المعاد من التوبيخ والفضيحة، عليك بالتمسك بالثقلين وما اشتملا عليه من الأدلة الصريحة والرجوع على حملتها العارفين بأحكامها عن ملكة راسخة وقريحة ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٧).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٢) سورة النحل، الآية: ١١٦.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٣١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧.
(٥) سورة يونس، الآية: ٥٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١١١.
(٧) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

ولو كنت في ذلك من المتقين لكنت فيما هنالك سالكاً سبيل الاحتياط المبين، إذ لا أقل أن يكون بملاحظة هذه الأخبار الجمة في وجوب الجمعة من المشككين، فتصلي الفريضتين معاً وتأخذ بالجزم واليقين، ولكن غلبت عليك الحمية في الدين ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

فيا بؤساً لزمان قد علت فيه القبائح والمناكر، حين عمدوا إلى أعظم الفرائض ينادى بتحريمها على رؤوس الأشهاد والمنابر، مع ما عليه من القبائح التي لا يعدها عاد ولا يحصرها حاصر ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(٢).

اللهم اكشف عنا هذه المحن بظهور فجر الطلعة المهدية، وأزل عنا عنادس هذه الفتن ببزوغ تلك الشمس المضية، وبلغت الروح التراق من تفاقم البلية فاجعل رب الفرج بعنايتك الشاملة الأزلية، واجعلنا وإخواننا من الناعمين تلك الدولة العلية ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣).

مناظرة أبي حنيفة مع الإمام الكاظم عليه السلام

روى الشيخ الطبرسي في الاحتجاج وغيره في غيره أنه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له: يا أبا حنيفة إن ها هنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد عليهم السلام فاذهب بنا نقتبس منه علماً، فلما أتيا إذا هما بجماعة من الشيعة ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث السن فقام الناس هيبة له فالتفت أبو حنيفة فقال: يا بن مسلم من هذا؟

قال: هذا موسى ابنه.

قال: والله لأجبهنه بين يدي شيعته.

قال: مه لن تقدر على ذلك. فقال: والله لأفعلنه، ثم التفت إلى موسى فقال: يا غلام أين يضع الغريب حاجة في بلدكم هذه؟

قال: يتوارى خلف الجدار ويتوقى أعين الجار وشطوط الأنهار ومسقط الثمار ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها فحينئذ يضع حيث يشاء.

ثم قال: يا غلام فممن المعصية؟

قال: يا شيخ لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإما أن يكون من العبد وليس من الله شيء فإن شاء عفا وإن شاء عاقب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

قال: فأصابت أبا حنيفة سكتة كأنما ألقم فوه حجراً قال: فقلت ألم أقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله ﷺ. وفي ذلك يقول الشاعر: [البحر البسيط التام]

لم تَخْلُ أفعالُنا اللاتي نذمُّ بها ... إحدَى ثلاثِ معانٍ حين نأتيها
أما تفرّدُ بارينا بصنعتِها ... فيسقطُ اللومَ عنّا حين نُنشيها
أو كان يشركُنا فيها فيلحقُه ... ما كان يلحقُنا من لائمٍ فيها
أو لم يكنْ لآلهي في جنايتِها ... ذنبٌ فما الذنبُ إلا ذنبُ جانيها

قصة ديك الجن مع الرشيد

نقل صاحب كتاب المناقب الفاخرة وهو من الأصحاب رضوان الله عليهم قال: ذكر الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان قدس الله سره في كتابه كتاب المثاقب في المناقب تصنيفه رحمه الله قال: كان على عهد الرشيد بن المهدي رجل يقال له إسحاق بن إبراهيم الملقب بديك الجن كان عالماً فاضلاً شاعراً أديباً فقيهاً عارفاً بكثير من العلوم وكان مع ذلك شيعياً، فوشى به إلى الرشيد وقيل له: إن ديك الجن رجل لا يثبت صانعاً ولا يقول ببعثة ولا نبوة، وهو ممن يقع في الإسلام وأهله فإن قبله أمير المؤمنين أراح الناس منه والإسلام من شره، فأحضره الرشيد فلما مثل بين يديه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له الرشيد: لا أهلاً ولا سهلاً ويلك بلغني عنك أنك لا تثبت صانعاً ولا تقول ببعث ولا نبوة وأنك ممن يقع في الإسلام وأهله وأن قتلك يريح الإسلام منك والمسلمين من شرك.

فقال له ديك الجن: معاذ الله أن يكون هذا مذهبي أو تلك مقالتي وما ينطوي عليه ضميري، وكيف يا أمير المؤمنين لا أثبت صانعاً مع وجوه الشواهد الدالة عليه، وعندي أن من الموت مثله كمثل النوم وأن المبعث مثله كمثل اليقظة، وعندي أن الله سبحانه وتعالى لا يخلق الأرض ليخلي المكلفين من لطف إما نبي أو وصي نبي يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد من الفساد ثم أوجب الله تعالى ألا يخرج ذلك القطب من الدنيا حتى يجعل له خليفة كهو يكون الناس معه كحكايتهم مع الصدر الأول حتى يقوم مقامه، فوالله يا أمير المؤمنين هذا مذهبي فلا تسمع في يا أمير المؤمنين قول المبدعين المنحرفين المحرفين المغيرين المبتكين، أذان الأنعام الهمج الرعاع الذين يطيرون مع كل ريح ويتبعون كل ناعق وناهق الذين تفرعت الزندقة عن مذهبهم وعلموا بالقياس في أديانهم وزوروا الخلافة عنك وأبيك العباس بما رووه كذباً عن رسول الله ﷺ من قوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه يكون صدقة» كيف يقول رسول الله ﷺ ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾[1] وقال تعالى لزكريا: ﴿يَرِثُنِي

(١) سورة النمل، الآية: ١٦.

﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[1] فقال له الرشيد: ويلك ألست القائل في شعرك: [البحر الكامل]

أصبحتُ جمَّ بلابلِ الصدرِ وأبيتُ مطوياً على الجمرِ
إن بحت يوماً طل فيه دمي وإن أكتمْ يضيق لديكمُ صدري

فقال: بلى والله أنا القائل لما ذكرت فأين تمامه؟

قال له الرشيد: ويلك كان له تمام؟

قال: نعم قال قل: فأنشد: [البحر الكامل]

ممّا أتاهُ إلى أبي حسنٍ عمرٌ وصاحبُه أبو بكرِ
فعلى الذي يرضى بفعلِهما مثلَ الذي احتقبا من الوزرِ
جعلُوك رابعَهم أبا حسنٍ كذبوا وربِّ الشفعِ والوترِ
وقتلْتَ في بدرٍ سراتَهم لا غرْوَ أن طلبُوكَ بالوترِ

قال: فقطع الرشيد عليه شعره وقال له: يا ويلك جئت بك لاستابتك عن الزندقة خرجت إلى مذهب الرافضة لقد زدت كفراً إلى كفر. قال: يا أمير المؤمنين إن كان كل من قال بمحبتكم وولايتكم واعتقد أنك قرابة رسول الله ﷺ وممن تجب له المودة بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] يكون كافراً فأنا ذلك الكافر. فقال له الرشيد: ألست القائل في شعرك: [البحر السريع]

باحَ لمثْلي بمضمرِ الصدرِ ما ذاك إلّا لمعظمِ الأمرِ
فليسَ بعدَ المماتِ مرتجعٌ وإنّما الموتُ بيضةُ المقرِ

فقال: معاذ الله يا أمير المؤمنين إن كان هذا قولي أو أكون ممن أتلفظ به إلا ناقلاً له عن أشياخي رافعاً له إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فإنه كان زنديقاً لا يثبت صانعاً ولا يقول ببعثة ولا نبوة، وروي عنه أنه تفأل بالمصحف يوماً فخرج قاله: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾[3] الآية فجعل المصحف غرضاً للنشاب ورماه بالنبل حتى خرقه وقال:

تهدّدُني بجبّارٍ عنيدٍ فها أنَا ذاك جبارٌ عنيدُ
إذا ما جئْتَ ربَّك يومَ حشرٍ فقلْ يا ربِّ مزّقني الوليدُ

فقال: وإلا ما هذان البيتان الآخران لك: فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين فقال: لعن الله الوليد بن يزيد ما كان يثبت صانعاً ولا يقول ببعثة ولا نبوة أتدري من أين أخذ ذلك العين قوله هذا؟.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٣) سورة إبراهيم، الآيتان: ١٥ - ١٦.

قلت: نعم إن أعطاني الأمير على النفس والأهل والمال وضمن الجائزة إن قلت ممن أخذ ذلك؟

قال: لك ذلك ثم أخرج خاتمه من إصبعه ورمى به إلي فقلت: يا أمير المؤمنين عن عشر عمر بن سعد حين خرج إلى حرب الحسين عليه السلام حيث يقول: [البحر الطويل]

فـوالله مـا أدري وإنّـي لـحـائـرٌ أفكّرُ في أمري على خطَرَيْنِ
أأتركُ مُلكَ الريِّ والريُّ مُنيتي أم ارجعُ مأثوماً بقتلِ حسينِ
حسينُ ابنُ عمّي والحوادثُ جمّةٌ وما عاقلٌ باعَ الوجودَ بدينِ
يـقـولـونَ إنَّ الله خـالـقُ جـنـةٍ ونـارٍ وتـعـذيـبٍ وغـلٍّ يـدَيْـنِ
فإنْ صدَقوا فيما يقولون إنّني أتوبُ إلى الرحمنِ من سنتَيْنِ
وإن كذبُوا فزْنا بدنياً هينئةٍ وملكٍ عظيمٍ دائمِ الحجلَيْنِ

فقال: لعن لله عمر بن سعد كان لا يثبت صانعاً ولا يقول ببعثة ولا نبوة أتدري ممن أخذه اللعين؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين أخذه من شعر يزيد بن معاوية؟

قال وما قال يزيد بن معاوية؟

قال: [البحر الطويل]

عـليّةٌ هـاتي نـاوليني وأعْـلـني حديثَك إنّي لا أحبُّ التّناجيا
حديثَ أبي سفيانَ لمّا سمَا به إلى أحدٍ حتّى أقامَ البَواكيا
فـرامَ بـه عـمـروٌ عـليّـاً فـفـاتَـه وأدركَه الشيخُ اللعينُ مُعاويا
فإن متُّ يا أمَّ الأحيمرِ فانكحي ولا تأملي بعدَ المماتِ تَلاقيا
فإنّ الذي حدّثتِ في يومِ بعْثِنا أحاديث زور تتركُ القلبَ ساهيا
ولولا فضولُ الناسِ زرتُ محمداً بمشمولةٍ صرفٍ تزوّي عِظاميا
ولا خلفَ بين الناسِ أنّ محمداً تـبـوّأ قـبْـراً بـالـمـديـنـةِ ثـاويـا
فقد ينبتُ المرْعَى على دمَنِ الثَّرى له غصنٌ من تحته السرُّ بادِيا
ونفْنَى ولا نبقَى على الأرضِ دمنةً وتبْقى حزازاتُ النفوسِ كما هِيا

قال: لعن الله يزيد بن معاوية ما كان يثبت صانعاً ولا يقول ببعثة ولا نبوة أتدري من أين أخذه اللعين؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين أخذه من شعر أبيه معاوية بن أبي سفيان قال: وما قال معاوية؟

قلت قال: [البحر البسيط التام]

قُمْ سائلِ الديرَ من بُصرى صبابات ... فلا تلُمْني فما تُغني الملاماتُ
في طورِ ظلماءَ تَجْلي صبحَ شمسِ ضُحًى ... نجومَها الزهرَ طاساتٌ وكاساتُ
لعلّنا أن يدعْ داعي الفراقِ بنا ... نمْضي وأنفسُنا منها رواياتُ
خذْ ما تعجّلَ واتركْ ما وعدْتَ به ... فعلَ اللبيبِ فللتّأخيرِ آفاتُ
قبلَ ارتجاجِ اللّيالي كلّ عاريةٍ ... فإنّما خلعُ الدّنيا استعاراتُ

فقال: لعن الله معاوية بن أبي سفيان ما كان يثبت صانعاً ولا يقول ببعثة ولا نبوة أتدري من أين أخذ الملعون؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين أخذه من شعر عمر بن الخطاب حين ولاه الشام وقلده إياها.

قال: وما قال عمر بن الخطاب؟ قلت قال: [البحر الطويل]

معاويَ إنّ القومَ ضلّتْ حلومُهم ... بدعوةِ مَنْ عمَّ العشيرةَ بالوترِ
صبوْتُ إلى دينٍ به بادَ أُسرتي ... فأبعدْ به ديناً قصمْتُ به ظهري
فإن أنسَ لا أنسى الوليدَ وعتبةً ... وشيبةَ والعاصَ الصّريعَ لدى بدرِ
توصّلْ إلى التخليصِ في الليلةِ التي ... أتيْنا بها الماضي المموّهَ بالسحرِ
لهذا وقد قلّدْتك الشامَ راجياً ... وأنت جديرٌ أن تعودَ إلى صخرِ

فقال: يا أبا إسحاق أو كان عمر كافراً بما جاء على محمد ﷺ؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين: فقال: من أين أخذ الزنديق هذا؟

فقلت: أخذه من شعر أبي بكر بن أبي قحافة. قال: وما قال أبو بكر بن أبي قحافة؟

قلت قال: [البحر الوافر]

أتوعِدُ في المعادِ بشربِ خمرٍ ... وتَنْهى الآنَ عن ماءٍ وتمرِ
كما قال الغرابُ لسهمِ رامٍ ... لقد جمّعتَ من ريشي بضَرّي
حديدةُ صيقلٍ وقضيبُ نبعٍ ... ومن عصبِ البعيرِ وريشِ نسرِ
أتطمعُ في حياةٍ بعد موتٍ ... حديثُ خرافةٍ يا أمّ عمروِ

فقال: يا أبا إسحاق أو كان الصدر الأول كافراً بما جاء على النبي ﷺ؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: أتدري من أين أخذ الزنديق هذا؟

قال: نعم أخذه من شعر لنفسه حيث قال: [البحر الوافر]

ذَرينا نصطبحْ يا أمَّ بكرٍ ... فإنَّ الموتَ نقبٌ عن هشامِ
ونقبٌ عن أبيكِ وكان قرْناً ... من الأبطالِ شرّيبَ المدامِ
يؤدّبُني المغيرةُ لو فدَاه ... بألفِ مُدَجّجٍ وبألفِ رامي

كأنّي بالقليبِ قليب بدر ... من الأقوامِ والشرفِ الكرامِ
كأنّي بالطّويّ طويّ بدرٍ ... من الشيزيِ المكلّلِ بالسّنامِ
أيوعدُنا ابنُ كبشةَ أن سنحْيا ... وكيفَ حياةُ أصْداءٍ وهامِ
ويعجزُ أن يكفّ الموتَ عنّا ... ويُحيينا إذا بليْت عِظامي
خلا أن الحكيمَ رأى حميراً ... فألجَمها فتاهتْ في اللجامِ
ولم يكفيه جمعُ المالِ حتّى ... بَلانا بالصلاةِ وبالصيامِ
فهلْ من مبلغِ الرحمنَ عنّي ... بأنّي تاركٌ شهرَ الصيامِ
فقلْ لله يمنعُني شَرابي ... وقلْ لله يمنعُني طَعامي

فقال: يا أبا إسحاق أو كان الصدر الأول كافراً بالله وبما أنزل على محمد ﷺ من الله ومكذباً بآيات الله وشاكا في قدرته؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: والله لقد كفر هذا الزنديق كفراً ما كفر به فرعون ذو الأوتاد أتدري من أين أخذ الزنديق؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: من أين أخذه لعنه الله؟

قلت: أخذه من شعر عبد اللات بن الزبعرى حيث قال: [البحر الرمل]

لستُ من خِنْدِفَ إنْ لم أنتقمْ ... من بَني أحمدَ ما كان فعلْ
لعبتْ هاشمُ بالملكِ فلا ... خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نزلْ
ولعبْنا نحنُ في دولتِنا ... هكذا الأيامُ والدّنيا دُوَلْ

فقال: والله لقد كفر هؤلاء كفراً ما سبق إليه الأولون ولا الآخرون أشهد على إني أبرأ إلى الله من أولهم ثم أكتم ذلك علي، ثم خلع عليه وأسنى له الجائزة وأخرجه مكرماً.

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي هذه النقول: قد قدمنا نقل هذه الحكاية بوجه آخر عن ديك الجن مع المتوكل والمعتمد على ما حكيناه هنا عن الكتاب المتقدم ذكره، وفي ظني إني رأيتها كذلك سابقاً.

مما قاله الأعور السلمي معرضاً بتخلف علي عليه السلام عن البيعة: [البحر المتقارب]

إذا اجتمعَ الناسُ في واحدٍ ... وخالفَهمْ في الرّضا واحدُ
فقد دلّ إجماعُهم كلُّهم ... على أنّه عقلُه فاسدُ

فأجابه أبو سعيد النيلي رحمه الله: [البحر المتقارب]

ألا قلْ لمنْ قال في كفرهِ ... وردَّ على قولِه شاهدُ
إذا اجتمعَ الناسُ في واحدٍ ... وخالفَهمْ في الرّضا واحدُ
فقد دلّ إجماعُهم كلُّهم ... على أنه عقلُه فاسدُ

كذبْتَ وقولُكَ غيرُ الصحيحْ وزعمُكَ ينقدُه الناقدُ
قد اجتمعتْ قومُ موسى جميعْ على العجلِ يا رجسُ يا ماردُ
وداموا عُكوفاً على عجلهمْ وهارونُ منفردٌ فاردُ
فكان الكثيرُ هم المخطئونْ وكان المصيبُ هو الواحدُ

قصيدة غزلية للشهفيني

للشيخ علي بن الحسين الشفهيني الحلي رحمه الله : [البحر الكامل]

نَمّ العذارُ بعارضَيْهِ وسلْسلا وتضمّنتْ تلك المراشفُ سلْسلا
قمرٌ أباحَ دمَ الحرامِ محلّلا إذْ ماسَ يخطرُ في قِباه محلّلا
رَشَأ تردّى بالجمال فلم يدع لأخِ الصبابةِ في هواهُ تجمُّلا
كتبَ الجمالُ على صحيفةِ خدِّه بيراعِ معناه البهيّ ومثّلا
فبدَا بنونَيْ حاجبَيْه معرّفاً من فوقِ صادي مقلتَيْه فاقفَلا
ثم استمَدَّ فمدَّ أسفلَ صدْغِه ألِفاً ألفتُ به العذابَ الأطوَلا
واعجبْ له إذ همَّ ينقطُ نقطةً من فوقِ حاجبِهِ فجاءَتْ أسْفلا
وتحقّقتْ في حاءِ حمرةِ خدِّه خالٌ تهيمُ هواهُ قلبي المُبْتلَى
ما لي أرى قمرَ السماءِ إذا بَدا في عقربِ المرّيخِ حلّ مؤثّلا
وإذا بَدا قمَري وقارنَ عقْربيْ صدْغَيْه أدركَه السعودُ فأكمَلا
أنا بينَ طرَّتِه وسحرِ جفونِه رهنُ المنيةِ إذ عَلا وتوكّلا
دبّتْ لتسحرَ نورَ وجنةِ خدّهِ دبّاً فقابلتِ العيونَ الغُزّلا
جاءتْ لتلقفَ سحرَها فتلقّفَتْ منها القلوبَ وسحرُها لن يَبْطلا

ما جرى لابن يقطين في الدراعة المهداة إليه من الرشيد

كتاب أعلام الورى: للطبرسي رحمه الله وروى عبد الله بن إدريس عن عبد الله بن سنان قال: حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها، وكان من جملتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب وتقدم علي بن يقطين بحمل تلك الثياب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وأضاف إليها مالاً كثيراً كان أعده رسماً له فيما يحمله إليه من خمس ماله، فلما وصل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام قبل المال والثياب، والدراعة ردها عليه على يد غير الرسول إلى علي بن يقطين وكتب إليه: احتفظ بها ولا تخرجها من يدك فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه.

فارتاب علي بن يقطين بردها عليه ولم يدر ما سبب ذلك فاحتفظ بالدراعة فلما كان بعد أيام تغير ابن يقطين على غلام له كان يختص به فصرفه عن خدمته، فسعى به إلى الرشيد وقال إنه يقول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام ويحمل إليه خمس ماله في كل سنة، وقد حمل إليه الدراعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا وكذا، فاستشاط الرشيد غيظاً وقال: لأكشفن عن هذا الحال وأمر بإحضار علي بن يقطين، فلما مثل بين يديه قال: ما فعلت بتلك الدراعة التي كسوتها لك؟

قال: يا أمير المؤمنين هي عندي في سفط مختوم فيه طيب وقد احتفظت بها، وكلما أصبحت فتحت السفط ونظرت إليه تبركاً بها وأقبلها وأردها إلى موضعها، وكلما أمسيت صنعت مثل ذلك.

فقال: أحضرها الساعة، فقال: نعم فانفذ بعض خدمه فقال: امض إلى البيت الفلاني وافتح الصندوق الفلاني وجيء بالسفط مختوماً ووضع بين يدي الرشيد ففك ختمه ونظر إلى الدراعة مطوية مدفونة في الطيب، فسكن غيظ الرشيد وقال: أرددها إلى مكانها وانصرف راشداً فلن أصدق بعدها عليك ساعياً، وأمر له بجائزة سنية وأمر بضرب الغلام ألف سوط فضرب نحو خمسمائة فمات في ذلك.

صارت الضرطة تاريخاً

يقول جامع هذا الكشكول وناظم هذه النقول: أنه قد نقل أن صفي الدين بن سرايا جلس يوماً مع بعض ندمائه فضرط فافتضح، فخرج من تلك البلدة وهي الحلة الفيحاء إلى البصرة وجلس فيها أعواماً إلى أن ظن النسيان من أهل بلده، فرجع وكان في دخوله لها قد وافق امرأتين تسأل أحدهما الأخرى عن سنة ولادة ولدها. فقال لها الأخرى: أنه قد ولد عام ضرطة صفي الدين، فلما سمع صفي الدين ذلك وكانا لا يعرفانه حس بالشر وقال في نفسه أنها قد صارت تاريخاً فلا يمكن علاجها ورجع من حيث جاء.

امتحان الرشيد لابن يقطين في وضوئه

وروي فيه أيضاً عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن الفضل قال: اختلفت الرواية بين أصحابنا في مسح الرجلين في الوضوء أهو من الأصابع إلى الكعبين أم من الكعبين إلى الأصابع فكتب علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام جعلت فداك أن أصحابنا اختلفوا في مسح الرجلين فإن رأيت أن تكتب بخطك ما يكون عملي فيه فعلت إن شاء الله تعالى.

فكتب إليه: فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء والذي عملك به أن تتمضمض ثلاثاً

وتستنشق ثلاثاً وتغسل وجهك ثلاثاً وتخلل لحيتك وتمسح رأسك كله وتمسح ظاهر أذنيك وباطنها وتغسل رجلك إلى الكعبين ثلاثاً ولا تخالف ذلك إلى غيره فلما وصل ذلك إلى علي بن يقطين تعجب مما رسمه فيه مما أجمعت العصابة على خلافه ثم قال: مولاي اعلم بما قال وأنا ممتثل أمره، فكان يعمل في وضوئه على هذا.

قال: وسعى بعلي بن يقطين إلى الرشيد وقيل: إنه رافضي مخالف لك. فقال الرشيد لبعض خاصته: قد كثر القول في علي بن يقطين وميله إلى الرفض وقد امتحنته مراراً فما ظهرت منه عليّ ما يعرف به، فقيل له أن الرافضة تخالف في الوضوء فتحققه ولا تغسل الرجلين فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه فتركه مدة وناطه بشيء من شغله في الجار حتى دخل وقت الصلاة وكان علي يخلو في حجرة من الدار لوضوئه وصلاته، فلما دخل وقت الصلاة وقف الرشيد من وراء حائط الحجرة بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه، فدعا بالماء وتوضأ على ما أمره الإمام عليه السلام فلم يملك الرشيد نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه ثم ناداه: كذب والله يا علي بن يقطين من زعم أنك من الرافضة. وصلح حاله عنده وورد كتاب الإمام عليه السلام من الآن يا علي بن يقطين توضى كما أمر الله تعالى اغسل وجهك مرة فريضة وأخرى إسباغاً واغسل يدك من المرفقين كذلك وامسح بمقدم رأسك وظاهر قدميك من نداوة فضل وضوئك فقد زال ما أخاف عليك.

امتحان المنصور ابن زربي في الوضوء

وروى الثقة الجليل محمد بن عبد العزيز الكشي في كتاب الرجال بسنده فيه عن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: كم عدة الطهارة؟

فقال: أما ما أوجبه الله فواحدة وأضاف إليها رسول الله صلى الله عليه وآله واحدة لضعف الناس، ومن توضى ثلاثاً فلا صلاة له، أنا معه في ذا حتى جاء داود بن زربي فسأله عن عدة الطهارة فقال: له ثلاثاً ثلاثاً من نقص عنه فلا صلاة له قال: فارتعدت فرائصي وكاد أن يدخلني الشيطان فابصر أبو عبد الله عليه السلام إلي وقد تغير لوني فقال: اسكن يا داود هذا هو الكفر أو ضرب الأعناق.

قال: فخرجنا من عنده وكان ابن زربي إلى جوار بستان أبي جعفر المنصور وكان قد ألقى إلى أبي جعفر أمر داود وإنه رافضي يختلف إلى جعفر بن محمد. فقال أبو جعفر المنصور إني مطلع على طهارته وأنه قد أوضى بوضوء جعفر فإني لأعرف طهارته حققت عليه القول وقتلته، فاطلع وداود يتهيأ للصلاة من حيث لا يدري فاسبغ داود بن زربي الوضوء ثلاثاً كما أمر أبو عبد الله عليه السلام فما أتم الوضوء حتى بعث إليه أبو جعفر المنصور فدعاه.

قال: فقال داود فلما أن دخلت عليه رحب بي وقال: يا داود قيل فيك شيء باطل وما أنت كذلك قد طلعت على طهارتك وليس طهارتك طهارة الرافضة فاجعلني في حل، فأمر له بمائة الف درهم.

قال فقال داود الرقي: التقيت أنا وداود بن زربي عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له داود: جعلت فداك حقنت دماءنا في دار الدنيا ونرجو أن ندخل بحبك وبركتك الجنة. فقال أبو عبد الله عليه السلام : فعل الله بك وبإخوانك من جميع المؤمنين، فقال أبو عبد الله عليه السلام لداود بن زربي: حدث داود الرقي بما مر عليك حتى تسكن روعته، فحدثته بالأمر كله فقال أبو عبد الله عليه السلام : لذا أفتيته لأنه كان أشرف على القتل من يد هذا العدو، ثم قال لداود بن زربي: توضى مثنى مثنى ولا تزد عليه فإنك إذا زدت عليه فلا صلاة لك.

يقول ناظم هذه الدرر ومطرز هذا الخبر هنا فوائد:

الأولى: أراد بالتثنية المستحبة في هذا الخبر الأخير التي هي عبارة عن استحباب غسل الوجه مرتين وغسل كل من اليد اليمنى واليسرى مرتين هو ما صرح به في سابق هذا الخبر من استحباب الغسل الواجب بغرفتين لتحصيل سنة الإسباغ المندوب إليه في الوضوء، لا ما اشتهر بين أصحابنا رضي الله عنهم من استحباب الغسلة الثانية بعد حصول الواجب للغسلة الأولى، وقد أوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه في كتاب المسائل الشيرازية.

الثانية: ما تضمنه هذا الخبر من أن مذهب العامة هو التثليث في الغسل وإن من نقص عنه عرف بالرفض، مع أن المنقول من كتبهم الفروعية أن الأولى فرض والثانية سنة والثالثة كمال النية. ولعل وجهه أنهم كانوا يومئذ يلازمون على التثليث مراغماً للشيعة لإنكارهم له تمام الإنكار، وورد في أخبارهم بكونه مبطلاً للوضوء فلأجل ذلك شدد العامة في الملازمة عليهم عناداً.

اللهم فإنهم قد هجروا جملة من السنن مع اعترافهم بها مراغمة للشيعة حيث لازموا عليها: منها التختم باليمين، ومنها تسطيح القبور، ومنها الجهر بالبسملة وغيرها مما أوضحناه في رسالتنا الموسومة بالشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب.

الثالثة: ما تضمنته رواية داود من قوله عليه السلام وأضاف إليها رسول الله صلى الله عليه وآله الثانية لضعف الناس، لعل المراد به ضعف عقولهم باعتبار مقاومة الوساوس الشيطانية بالشك في وصول الماء في الغرفة الأولى إلى جميع الأعضاء متى اقتصر عليها وقصد تؤدي الواجب بها، فسن الغرفة الثانية ليحصل الجزم واطمئنان الخاطر بوصول الغسل إلى جميع العضو. والله سبحانه وقائله أعلم.

كتاب زهر الربيع: ذكر بهاء الملة والدين نور الله مرقده في كشكوله أن أباه حسين بن عبد الصمد وجد في مسجد الكوفة فص عقيق مكتوب عليه:

أنا درٌّ من السَّما نثروني ... يومَ تزويجِ والدِ السِّبْطين
كنتُ أصفَى من اللُّجيْنِ بَياضاً ... صبغتْني دماءُ نحرِ الحسينِ

فوجدنا في نهر تستر صخرة صغيرة صفراء أخرجها الحفارون من تحت الأرض عليها

مكتوب بخط من لونها: بسم الله الرحمن الرحيم. لا إلّه إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله. فلما قتل الحسين عليه السلام بأرض كربلاء كتب دمه على أرض حصباء. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(١).

ما جاء في النبيذ والسكارى

قال ابن أبي ليلى لأبي حنيفة: أيحل النبيذ وبيعه وشراه؟

فقال: نعم. قال: أيسرك أن تكون أمك نباذة؟

فقال أبو حنيفة: أيحل الغناء وسماعه؟

قال: نعم.

قال أفيسرك أن تكون أمك مغنية؟

وضع رجل بالكوفة على باب المسجد بين يديه نبيذاً وجعل ينادي من يشتري رطلاً بدرهم بتحليل أبي حنيفة. فقال له أبو حنيفة: يا رجل إنك فعلت قبيحاً. فال: ألست حللته؟

فقال: نعم صدقت ومن الحلال أن تجامع امرأتك ولو استحضرتها الجامع وجامعتها لقبح ذلك.

لقي أبو حنيفة سكراناً فقال له السكران: يا أبا حنيفة يا بن الفاعلة إني شربت النبيذ. فقال: أحسنت حيث أحللت النبيذ حتى شربه مثلك.

قال بعضهم: أباح أهل الحرمين الغناء وحرموا النبيذ وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الغناء فأوجدونا السبيل إلى الرخصة فيهما عند اختلافهما إلى أن يقع الاتفاق.

أقول: أشار بأهل الحرمين إلى الشافعي فإنه حجازي قائل بتحليل الغناء وتحريم الخمر وأشار بأهل العراق إلى أبي حنيفة.

لابن الرومي: [البحر الطويل]

أَحلَّ العراقيُّ النبيذَ وشرْبَه ... وقال الحرامانِ المدامة والسكرُ

وقال الحجازي الشرابان واحد ... فحلت لنا بين اختلافهما الخمرُ

مر عمر بن معدي كرب بعينية بن حصين فأطعمه ثم قال: أسقيك لبناً وما كنا نتنادم عليه بالجاهلية؟

فقال: أليس قد أمرنا بتحريمها؟

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

فقال عينية كلا إن الله قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1] فقلنا لا فسكت فسكتنا. قال عمر: هاتها فأنت افقه مني.

قيل: لإياس بن معاوية: ما تقول في الخمر والكثوت والماء هي حلال أم حرام؟

فقال: حلال. فقال: لم تحرم الخمر وإنما يتخذ من ذلك؟

فقال: أرأيت لو صب عليك ماء وتراب وتبن أيوجعك؟

قال: لا. قال: ولو جمع كله وصار لبنة وضرب بها رأسك أليس يوجعك.

قال العتابي: كان في دارنا سكران فقعد على مصلى فسلح فيه فأخذت بيده إلى المستراح فنام فيه فقالت جاريتي: يا عجباً كل شيء منه مقلوب خرىء حيث ينام الناس ونام حيث يخرى فيه.

حضر نصيب عند الملك بن مروان فدعاه إلى الشراب فقال: إني لم أصل إليك بنفسي ولا بحسن صورتي وإنما قربت منك بعقلي فإن رأى الأمير أن لا يحول بيني وبينه فعل.

مرت أعرابية بقوم يشربون فسقوها فلما شربت أقداحاً رأت أريحية فقال: أتشرب نساؤكم هذا؟

فقالوا: نعم. فقالت: ما يدري أحدكم من أبوه إذا زنين ورب الكعبة.

حكى بعضهم قال: كان لنا صديق يكثر التوبة عن الشرب ويعود إليه، ففارقنا يوماً على أنه قد تاب فجاءنا صبيحة غده وقد انمحى من أحد عارضيه لحيته فقال: رأيت إبليس في منامي وهو يستعرض أصحابه فأتى بي إليه بعض أعوانه وقال: قد آذاني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب حلفوه أن لا يتوب فحلفت ثم قال الحسوا: لحيته من أحد جانبيه يكون ذلك تذكرة له، فأصبحت على هذه الحالة.

جلس المتوكل مع جماعة فيهم يحيى بن أكثم فلما شرب الناس ثلاثة أرطال أمر يحيى بالانصراف فقال: ولم يا أمير المؤمنين؟

قال: لأنا قد خلطنا فقال أحوج ما تكونون إلى قاض إذا خلطتم، فاستطرفه المتوكل وأمر بطلي لحيته بالغالية.

كتب أبو سعيد بن بوقه إلى أبي مسلم بن بحر وراسله برسول يكنى أبا بكر:

[البحر الكامل المجزوء]

إنْ كنتَ تأملُ ما حضرْ ... فاحضرْ فإنّك منتظرْ
والساعةُ اقتربتْ لفرطِ الجوعِ وانشقَّ القمرْ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩١.

ورسولُنا بكتابِنا هذا الظريفِ أبو بكَرْ
وبإذنِه حرّكْتُ منه الكافَ كي لا ينكسِرْ

كتب ابن المكرم إلى أبي العيناء: عندنا سكباخ يرعف المجنون وحديث يطرب المحرمون وإخوانك الملحدون فلا تعلو علي وأتوني، فكتب إليه أبو العيناء اخسأوا فيها ولا تكلمون.

محمد بن رياح: [البحر الرمل المجزوء]

عندَنا قدرٌ لذيذٌ ليس للقدرِ شريكْ
ونبيذٌ من زبيبٍ وغزالٌ يستنيكْ
فإنّنا نأكلُ ونشربُ ثم نخلُو ونَنيكْ

مطهرتي مرهونة

روي عن أبي وائل قال: خرجت أنا وأبو ذر إلى سلمان فجلسنا عنده فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن التكلف لتكلفت لكم ثم جاء بخبز وملح ساذج، فقال أبو ذر: لو كان لنا في ملحنا هذا سعتر، فبعث سلمان بمطهرته فرهنها على سعتر، فلما أكلنا قال أبو ذر: الحمد الله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمنا: لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة.

وسّع الله أرزاق الحمقاء

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقول: إن الله وسع أرزاق الحمقاء ليعتبر العقلاء ويعلم أن الدنيا ليس ينال ما فيها بعمل ولا حيلة.

ضارط

وحكي أن الحسن عليه السلام نظر إلى ذي زي حسن فسأل عنه فقيل هو ضارط يكسب بذلك المال. فقال: ما طلب أحد الدنيا بما تستحقه سواه.

شهدت الحجلتان

في كتاب حياة الحيوان: أن بعض مقدم الأكراد حضر على سماط بعض الأمراء وكان على السماط حجلتان مشويتان، فنظر الكردي إليهما فضحك فسأله الأمير عن ذلك فقال: قطعت الطريق في عنفوان شبابي على تاجر فلما أردت قتله تضرع إلي فما أفاد تضرعه، فلما رآني أقتله لا محالة التفت إلى حجلتين كانتا في الجبل فقال: اشهدا عليه، فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه. فقال الأمير: قد شهدتا فأمر بضرب عنقه.

مكر السوء لا يحيط إلا بأهله

قال: بكر بن عبد الله: كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك ويقول: «أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيه إساءته» فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول وتؤثره بغاية الإعظام قد فضحك وزعم إنك أبخر، فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك إذا أخذ مقامه فإنه إذا دنا منك يضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر. فقال له: انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك ودعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال: احسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء ستكفيه مساويه، وكان قد غطى فمه لرائحة الثوم فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلا صادقاً.

قال: وكان الملك لا يكتب بجائزة أو صلة فكتب كتاباً بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك صاحب كتابي هذا فاقتله وأسلخه واحش جلده تبناً وأبعث به إلي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟

قال: خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى إلى العامل فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك فقال: إن الكتاب ليس لي الله الله في أمري حتى أراجع الملك. قال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشي جلده تبناً وبعث به، ثم عاد الرجل إلى الملك لعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال: ما فعلت بالكتاب قال: لقيني: فلان فاستوهبه مني فوهبته له. فقال له الملك: ذكر لي إنك تزعم إني أبخر؟

قال ما فعلت قال: فلم وضعت يدك إلى أنفك؟

قال: كان أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشم رائحته فقال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه.

أنت عبد عبدي

بعث: ملك إلى عابد. ما لك لا تخدمني وأنت عبدي؟

فقال: لو اعتبرت لعلمت إنك عبد عبدي لأنك تتبع الهوى فأنت عبده وإني أملكه فهو عبدي فأنت عبد عبدي.

حكاية بيضة الرخ

من كتاب أخبار بني إسرائيل: حكي أن رجلاً كان مقيماً بثغر مياط وكان يسافر البحر وكان قد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة، قال: سافرت أدور الدنيا فرأيت أعجوبة وهي أنه ركبت

البحر إلى الهند وكنا جماعة في مركبين، فدخلنا إلى جزيرة من جزائر الهند فطلعنا إليها ندور فيها إذا تراءى لنا قبة عظيمة بيضاء، فقصدناها إلى أن أتينا إليها فلم نجد لها باباً فتعجبنا منها فأتى إلينا الرايس فقال:

هذه بيضة الرخ فلا تفسدوها وكنا قد هلكنا من الجوع فأخذنا الفؤوس والمعاول وضربنا بها جانب القبة فسال لنا منها شبه البيض فأخذنا منه وشويناه فأكلنا ما كفانا جميعاً وفضل منه شيء كثير، فلما أكلنا وجدنا له من الجوع لذة عجيبة، وكان المركبان اللذان كنا فيهما من كبار مراكب الهند في كل مركب ما يزيد على خمسماية رجل، وقال الرايس الذي قد منعنا من الأكل يا تجار هذه بيضة الرخ وقد أفسدتموها فلا نأمن أن يأتي وينظر بيضته على هذه الحالة فيهلكنا عن آخرنا وقد طاب الريح فقوموا بنا نركب المراكب ونسير ما دام الريح طيباً، وركبنا المراكب وفتحنا القلوع ونشرنا الشراع وطاب الريح وسرنا مقدار فرسخين، فلم نشعر إلا وغمامة سوداء قد ظهرت علينا فقال الرايس: تنظرون هذه الغمامة؟

قلنا: نعم. قال: هذا الرخ قد جاء إليكم ليهلككم فاستعدوا للبلاء.

فلما سمعنا من الرايس ذلك الكلام أيقنا بالهلاك وتودعنا بعضنا من بعض ولم نشك في هلاكنا لعظم ما وقع في قلوبنا من الهيبة، إلى أن وصل وهم أن يخطف المركب بمخاليبه فمن شدة الهوى الذي ضرب المركب من أجنحته سبقه المركب ولم يتمكن منه فرد راجعاً فسار المركب كالريح الهبوب فاستبشرنا لرجوعه عنا فلم نشعر بعد قليل إلا وقد لحقنا مرة أخرى وفي مخاليبه صخرة قدر المركب فجاء بها إلى أن وقف فوق المركب من مخاليبه على رؤوسنا، فقدر الله سبحانه أن الريح كانت عاصفة تسوق المركب سوقاً يشبه السهم فوقعت الصخرة في البحر إلى جانب المركب فكدنا نغرق من رشاش الماء الذي من الصخرة، فبقي المركب يرتفع وينحط حتى قلنا إن البحر كان فوقنا وكان وقت العصر، فرجع عنا وحالت بيننا وبينه الظلمة وغرق الليل فلم نره بعد وسافرنا في المركب أياماً ثم ثارت علينا ريح شديدة عظيمة فافترقنا، أما نحن فسلمنا ودخلنا الشام.

وأما المركب الآخر فلم نعلم ما جرى عليه غير أنا لما دخلنا الشام فبينما أنا عند باب البريد إذ نظرت شخصاً ممن كان في المركب الآخر فسلمت عليه وسألته عن حاله وحال رفقته فقال: اعلم يا أخي أنا لما افترقنا هاجت علينا ريح عاصفة كسرت المركب وغشينا الغرق، فسلم منا رجال وكنت أنا مع الذين سلموا فطلعنا إلى شاطئ البحر وذلك بعد أن غرقنا بيومين ونحن نمشي في تلك الجزيرة مدة أيام حتى أهلكنا الجوع والعطش إلى أن صرنا نقتات من هوام الأرض ودود البر والبحر إلى أن أيقنا بالهلاك من عدم القوت، وكانت جزيرة ممحلة ليس فيها أشجار ولا أثمار حتى وصلنا إلى غابة على شاطئ البحر كثيرة الشجر فرأينا في الغابة فرخ فيل، فاستبشر أصحابي به قالوا: نذبح هذا الفرخ ونقتات به فقلت لهم: لا تفعلوا ذلك ولا تأكلوه فإنا نخاف

أن يأتي أبوه فيقتلنا، فما التفتوا إلى قولي وذبحوه وأوقدوا ناراً وشووا ذلك اللحم وشرعوا في أكله وعرضوا علي فأبيت ولم آكل منه شيئاً ولم أوافقهم وأنا خائف أن يصير علينا كما صار على أصحابنا الذين كانوا معنا في المركب الآخر يوم الرخ، فلم نشعر إلا وطقطقة عظيمة في الشجر وصرخة مزعجة وإذا نحن بالفيل قد أقبل علينا وشم الرائحة فعلم أن ولده مذبوح.

وأما نحن فقمنا هاربين إلى شجرة عظيمة عالية فطلعنا إلى فوقها حتى وصلنا إلى أعلاها وأنا ألوم أصحابي على ما فعلوا، فأقبل الفيل يركض ويشمر ذيله ويضرب الأشجار بخرطومه حتى جاء إلى المكان الذي ذبح ولده فغيظ غيظاً شديداً وصرخ صراخاً عالياً وتمرغ بدم ولده وبقي يشم ذلك الجلد ويلحسه حتى رأينا دموعه جارية على خدوده، ثم إنه يصرخ تارة ويضرب برأسه الأرض تارة غير أننا لا نفهم لسانه، ثم إنه دار حول النار فلم يجد أحداً فتتبع الأثر حتى أتى الشجرة ووقف، ثم شال رأسه فوجدنا جميعاً فمد زلومته وجعل يتناولنا من أعلى الشجرة واحداً بعد واحد فكل من ينزله يشم رائحته ثم يقبضه بزلومته ويعلو به ويخبطه بالأرض ويدوسه برجله ويفتته حتى لم يترك منا غيري، ثم مد خرطومه فتناولني وكنت أعلاهم وحطني في الأرض وشمني فلم يجد رائحة لا في فمي ولا في يدي، فسجد لي ثم إنه ألوى خرطومه علي ورفعني وأركبني على ظهره وأنا خائف أن يفعل بي مثلما فعل بأصحابي وأنا أترقب الموت ساعة بعد ساعة، ثم سار بي سيراً عنيفاً إلى قرب الظهر وكلما مر على شجرة تناول منها تمراً ويأكل بعضاً ويناولني بعضاً حتى وصلنا إلى بحيرة ماء أحمر وأنا لا أشك أنه دم أحمر لشدة حمرته هذا والفيل قائم في ذلك البحر ثم مد خرطومه وشرب من الماء وأخذ بزلومته وهذه في الهوى فإذا هو ماء أبيض رائق صاف، فعلمت أنه ماء فصار يأخذ على زلومته ويناولني في فمي وأنا أشرب.

فلما أعلم أني ارتويت مد خرطومه إلى قعر البحر وشرع يطلع منه حجراً أحمر يناولني وأنا على ظهره، فنظرته فإذا هو ياقوت أحمر وكانت حمرة الماء من حمرة الأحجار إلى أن ناولني شيئاً منها كثيراً لا أقدر حمله، فطلع بي الساحل وسار بي يقطع البر حتى أتى بي إلى مكان فيه أثر فوضعني من ظهره بلطف وأومى البر إليّ بخرطومه أن سر من ها هنا.

ثم رجع عني وبقيت وحدي في تلك البرية ومعي تلك الأحجار، فسرت إلى الجهة التي أومى إليها ثلاثة أيام، فلما كان صبيحة اليوم الرابع وإذا أنا بملك من ملوك السند في موكبه وعسكره وهو يتنزه في تلك الجزيرة، فلما رآني أصحابه تبادروا إلي وأخذوني وأحضروني بين يدي ملكهم، فسألني عن حالي وما عرفت كلامهم ولا فهمته وأنا أحدثهم وهم لا يعرفون كلامي ورأيت لغتهم كلغة الخطاطيف، فأخذوني وداروا بي إلى البلدان إلى أن وجدوا شخصاً يفهم اللسان العربي ولسانهم، فسأل عن حالي فأخبرته فقلت: أنا رجل من أهل مصر فقال: أما مصر فلا نعرفها فمن أنت من غيرها؟

فقلت: هل تعرف الشام؟

قال سمعت بها قلت: أنا ممن سكنها فشرعوا يتبركون بي ويمسحون ايديهم على يدي ويعظموني وأتي بي إلى الملك في منزله وأكرمني، وسأل عن سفري فحدثته بما جرى علي فأخبرته بقصة الفيل وما عمل معي وكيف أعطاني تلك الأحجار، فصدقني وتعجب من قصتي.

ثم إني قدمت له تلك الأحجار ليأخذها فأبى أن يقبلها وقال: إن الغريب إذا دخل علينا يجب علينا إكرامه ولا يجوز لنا أن نأخذ منه شيئاً وإنما هذا رزق ساقه الله إليك، فأقسمت عليه بمعبوده أن يقبله مني فامتنع فقلت: أنا رجل مجرد عرقان فكل من وجد هذه الأحجار عندي أخذها مني وقتلني ولكن أنت ملك تصلح هذه لك فخذها وأعطني عوضها من المال ما شئت.

فقال: هي عليَّ حرام ولا أخذ منها مثقالاً ونحن ما نستحل مال غيرنا من رعيتنا فكيف الغريب، ولكن اجلس عندي في ضيافتي فجلست عنده مدة من الزمان وهو يعزني ويكرمني ويقدم لي الأطعمة والأشربة فلما كان بعد شهر ضاق صدري وحن خاطري إلى بلدي فسألته أن يوصلني إلى بلد مصر، فقال: نحن لا نعرفها فقلت: نسير من هنا إلى الهند ومن الهند نتوصل إلى نجد ومن نجد نتوصل إلى مصر فقال: نحن لا نعرفها ولكن أرسل معك من عسكري من يوصلك إلى بلدك بعد أن أعطاني مركباً عظيماً مملوءاً من القماش مشحوناً بالأموال، فودعته وانصرفت عنه وقال لأصحابه:

لا ترجعوا عنه إلا إذا وصل إلى بلده وتأتوني بخطه، فسرنا في المركب حتى وصلنا مصر ثم أكرمت تلك الرجال غاية الإكرام وأرسلت إلى الملك من تحف مصر أشياء مثمنة، ثم ودعوني ورجعوا عائدين إلى ملكهم، وجلست في مصر أياماً ثم قصدت الشام. وهذا صورة ما جرى لي والحمد لله حق حمده.

قصص ولطائف قصيرة

من المحاضرات: قال يحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟

قال بعمر بن الخطاب. فقال: كيف هذا وعمر كان أشد الناس فيها؟

قال: لأن الخبر الصحيح قد أتى أنه صعد المنبر فقال: إن الله ورسوله أحل لكم متعتين وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما، فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه.

قال: السيد الجليل المحدث نعمة الله الجزائري بعد نقل ذلك في كتابه زهر الربيع المشهور بين الناس: وذكر صاحب كتاب إحقاق الحق أن السبب في تحريمه متعة النساء أنه أضاف أمير المؤمنين عليه السلام ليلة وأنامه معه في داره فلما أصبح قال له: يا علي ألست قد قلت من كان في البلد فلا ينبغي له أن يبات عزباً؟

فقال عليه السلام: اسأل أختك وكان عليه السلام قد تمتع بها في تلك الليلة.

معدم ودين ثقيل

قال الأصمعي: كان على بعض العرب دين ثقيل فتعلق به غرماؤه وكان معدماً فسألوه أن يحلف لهم بالطلاق أن لا يهرب فحلف لهم بطلاق امرأتين كانتا له ثم هرب فأنشأ يقول:

[البحر الكامل]

لم يعلمِ الغرماءُ ما مقْتي لها ما حلّفوني بالطّلاقِ الموجلِ
قد ملّناَ وملَلْتُ من وجْهَيْهِما عجْفاءُ مرضعةٌ وأُخرى حاملُ

عين الطنابير

ادعى رجل: على آخر طنبوراً عند بعض القضاة فقال القاضي: إن كان عندك الطنبور فعبري في حرامك. فقال: أي يمين هذا؟

فقال: يمين الطنابير.

يمين الاعرابي

اختصم: أعرابيان في حق فأقبلا إلى الوالي فوجبت اليمين على المدعي، فقال المدعى عليه: كله إليّ أيها الحاكم أحلفه فقال: أنت وذاك فدور له دائرة في الأرض قال: اجلس فيها. فقال: قد جعل الله نومك نغصاً وأكلك غصصاً ومشيك رقصاً وشخصك برصاً وقطعك حصصاً وأدخلك قفصاً وأدخل في أستك هذا العصا فأبى أن يحلف وأعطاه حقه.

أجابني عليك

سأل: أعرابي عبد الملك فقال: سل الله تعالى؟ فقال: سألته فأجابني عليك فضحك وأعطاه.

ندفعه بأستاهنا

قدم: بعض الأمويين على عبد الله بن علي السفاح فأمر بقتله فجرد الشاب السيف لقتله فضرط الأموي فانزعج السياف والآن ندفعه بأستاهنا.

طلبناه في النهار

دخل: اللصوص في بيت فقير ليس له شيء فجعلوا يفتشون بيته فانتبه الرجل فرآهم فقال: يا فتيان هذا الذي تطلبونه بالليل قد طلبناه بالنهار فلم نجده.

باب أبويك

قال: نحوي لصبي: في أي باب من أبواب النحو أنت؟

فقال: في باب الفاعل والمفعول. فقال: أنت في باب أبويك إذاً.

ربحنا قصر الصلاة

سافر: أعرابي فرجع خائباً فقال: ما ربحنا من سفرنا إلا ما قصرنا من صلاتنا.

قوموا واسألوا معي

ووقف: سائل على باب قوم فقال: تصدقوا علي فإني جائع فقالوا: لم نخبز بعد. قال: فكتف سويق. قالوا: ما اشترينا بعد. قال: فشربة من ماء فإني عطشان قالوا: ما أتانا السقاي بعد. قال: فيصير من دهن أضعه على رأسي قالوا: ومن أين الدهن. قال: يا أولاد الزنا ما قعودكم هنا قوموا واسألوا معي.

دعاء السائل لقبض روح البخيل

نقل: أن سائلاً أتى رجلاً من أصفهان من الأغنياء وسأل شيئاً فسمعه يقول: يا مبارك قل لقنبر يقول لجوهر يقول لياقوت يقول لهذا السائل يفتح الله عليك، فرفع السائل يده وقال: يا رب قل لجبرائيل يقول لإسرائيل يقول لميكائيل يقول لعزرائيل يقبض روح هذا البخيل.

تهددها فأقرت

قال الأصمعي: دخلت البادية ومعي كيس فأودعته امرأة منهم فلما طالبتها أنكرته فقدمتها إلى شيخ من الأعراب فأقامت على إنكارها فقال: ليس عليها إلا يمين. فقلت: كأنك لم تسمع قوله تعالى: [البحر الوافر]

ولا تقبلْ لسارقةٍ يميناً ... ولو حلفَتْ بربِّ العالمينا

فقال: صدقت تهددها فأقرت وردت إلي ما لي، ثم التفت إلى الشيخ وقال: في أي سورة تلك الآية؟

فقلت: في سورة: [البحر الوافر]

ألا هبيّ بصحبِك فاصْحبينا ولا تبْغي خمُوراً لا تذرينا

فقال: سبحان الله لقد أظنها في سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾(١).

ليس عنده شيء

قدم: قوم غريمهم إلى القاضي وادعوا عليه بألف دينار فقال القاضي: ما تقول؟

فقال: صدقوا فيما ادعوا لكني أسألهم أن يمهلوني لأبيع عقاري وأبلي وغنمي ثم أوفيهم. فقالوا للوالي: ليس عنده مما يقول شيء. قال: أيها الوالي قد سمعت شهادتهم بإفلاسي فكيف يطالبوني، فأمر بإطلاقه.

منتهى الحماقة

كان: في بغداد رجل قد علته ديون كثيرة وهو مفلس، فأمر القاضي أن لا يقرضه أحد شيئاً ومن اقترضه فليصبر عليه وأمر أن يركب على بغل ويطاف به في المجامع ليعرفه الناس ويحترزوا من معاملته، فطافوا به في البلد ثم جاؤوا به إلى باب داره، فلما نزل عن البغل قال له صاحب البغل: أعطني أجرة بغلي. فقال: وفي أي شيء كنا من الصباح إلى هذا الوقت يا أحمق.

أعطني دية الضرطة

في الأثر: أن ابن الأشعث كان يصلي خلف مروان بن عثمان في الصف الأول، فضرط مروان فقطع ابن الأشعث صلاته وانصرف حتى ظن الناس أن تلك الضرطة منه وبقي مروان يصلي، فلما فرغ وانصرف إلى منزله أتى إليه ابن الأشعث فقال: أعطني دية الضرطة التي جعلتها على نفسي وإلا أخبرت أهل المسجد وفضحتك بينهم، فأعطاه ما أراد.

إله الأرض

في كتب السير: إن هولاكو لما دخل الحلة من أرض بابل انهزم الناس وبقي رجل في بقعة فقال له: من أنت؟

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١.

فقال: أنا إله الأرض أما سمعت ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾(١) فقال له: أتقدر على كل شيء؟

قال: نعم، فأشار السلطان إلى صبي معه فقال: فم هذا الصبي ضيق فإن قدرت فوسعه قال: أقدر ولكني تعاهدت مع إلّه السماء أن كل شيء يتعلق بأعالي البدن فتوسيعه إليه وكل شيء يكون في أسافل البدن فتوسيعه إلي، فإن أردت هذا فأنا قادر في ساعتك هذه، فضحك فانصرف عنه.

الهلال ابن ليلته

شكا: رجل إلى امرأة كان يحبها كثرة شعرتها فنتفتها وكتبت إلى حبيبها تقول شعراً:

[البحر الطويل]

فديتُك سهّلْتُ الحبيب الذي اشْتكى　　جوادُك فيه الجفا من خشونتِهْ
فان كنتَ تهْوى أن تزورَ جنابَنا　　فلا تبطئ فالهلالُ ابنُ ليلتِه

من ربع نفسي له الفداء

قيل: لامرأة بصرية: أي الرجال تشتهين؟

فقالت: لا أدري غير إني أعلم أن الأول داء والثاني دواء والثالث شفاء ومن ربع فنفسي له الفداء.

ربما دخل منزلي

في الأمثال: أن ثلاثة من الزنابير ترافقت فدخلت بلدة وقت الشتاء فقالوا: ينبغي لنا أن نتخذ حفراً حصناً نسكن فيها حتى يطيب الهوى، فأتوا امرأة فدخل واحد في حفر أنفها والثاني في فرجها والثالث في دبرها، فلما طاب الهواء خرجوا فسأل بعضهم بعضاً من المنزل فقال الذي دخل الأنف: كان منزلي منزلاً معطراً لا أشم منه إلا رائحة الطيب،

وقال الذي دخل في الفرج: أنا قاسيت شدائد الأهوال لأنه كان يدخل علي في كل حين فارس معتدل القامة على رأسه تاج أحمر فأنزوي عنه من زاوية إلى زاوية وهو يطوف بزوايا البيت ولا يدعني أنام ساعة واحدة. وقال الثالث: إن ذلك الفارس الذي كان يدخل عليك كان يعلق خرجه على باب داري كل ساعة عدلي خرجه يدكدك باب داري حتى يخرج من دارك، وكان ربما دخل منزلي.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

كلام مقنع

وقف: بين يدي الحجاج، رجل من أهل البادية، فلما أخذ في الكلام ضرط فضرب بيده على إسته وقال: إما أن تتكلمي أنت وأسكت أنا وإما أتكلم أنا وتسكتي أنت، فضحك السامعون من قوله.

أنا مع أقراهما

قال: رجل لمجوسي لم لا تسلم؟

قال: حتى يشاء الله قال: قد شاء الله ولكن الشيطان لا يدعك. قال: فأنا مع أقراهما.

العصا لكلاب

قال رجل لمزيد المداني: إذا نبح الكلب عليك فاقرأ ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾[1] فقال: الوجه عندي أن تكون معك عصا فليس كل الكلاب يحفظ القرآن.

ذهب جميع عمرك

ركب: نحوي في سفينة فقال للملاح: هل تلعرف شيئاً من النحو؟

فقال: لا.

فقال: ذهب نصف عمرك. فلما اضطربت السفينة واشتدت الريح وكادت السفينة أن تغرق قال الملاح للنحوي: أتعرف السباحة؟

قال: لا.

قال: ذهب جميع عمرك.

الأجر العظيم

حج خراساني من أهل السنة فلما حضر الموسم أخذ دليلاً يدله على المناسك، فلما فرغ أعطاه شيئاً قليلاً لا يرضيه فأخذه من عنده ثم جاء به إلى ركن شديد ثم نطح الركن برأسه فقال الخراساني: ما هذا؟

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠.

قال: كان معاوية كلما أتى هذا الركن نطحه برأسه وكلما كانت النطحة أشد كان الأجر أعظم، ثم شد الخراساني على وسطه ونطحه نطحة عظيمة حتى سال الدم على وجهه وسقط مغشياً عليه، فتركه الرجل وراح عنه.

ياليتها كانت القاضية

صلى رجل صلاة الفجر وكان به سعال فقرأ سورة الحاقة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[1] فاعتراه السعال فسعل طويلاً حتى كادت روحه أن تخرج ثم قرأ بعد سعاله: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[2] فقال له بعض من خلفه وعلينا صدقة وصيام فضحك الجماعة وتفرقوا.

حكي: صاحب الأغاني قال: صلى الدلال يوماً خلف إمام بمكة فقرأ ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾[3] فقال: ما أدري والله فضحك الناس وقطعوا الصلاة.

رائحة الأماني

حكي أن بعضهم تمنى في منزله قال: يكون عندنا لحم فنطبخه على مرق فما لبث أن جاء جاره بصحن فقال: اغرفوا لنا فيه قليلاً من المرق فقال: جيراننا يشمون رائحة الأماني.

قال: شخص لآخر جئتك في حويجة. قال: اقصد بها رجيلاً.

استرد الزائد

دخل عالم إلى بلد فصلى وإلى جنبه رجل يقول لا سبحان الله: فقال له كيف هذا؟

قال: أردت أن أسبح ثلاثاً وثلاثين فسهوت فسبحت أربعين فأردت أن استرد الزائد.

طاقة نرجس

قالت دلالة لرجل: خطبت لك امرأة كأنها طاقة نرجس فتزوجها فإذا هي عجوز قبيحة المنظر فقال للدلالة: كذبت وغششتني فيها قالت: والله ما كذبت وإنما شبهتها بطاقة نرجس لأن شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر.

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٢٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٢٢.

ضالة المؤمن

خطب الحجاج يوماً فقال: إن الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا أمر الدنيا فليتنا كفينا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا، فسمعها الحسن البصري فقال: هذه ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق.

سورة الفيل

صلى أعرابي مع قوم فقرأ الإمام سورة البقرة، فأطال الوقوف على الأعرابي فقطع الصلاة ومضى ثم سأل عن سورة البقرة ثم صلى مرة أخرى مع جماعة فشرع الإمام في قراءة سورة الفيل، فبادر إلى قطع الصلاة وولى هارباً فقيل له في ذلك فقال: إن ذلك الإمام قرأ سورة البقرة فأعياني الوقوف فكيف وهذه سورة الفيل.

كيف لا أذكر الجمل

حكي أن أعرابياً ضحى يوم العيد بجمل، فذكر للناس أنه ضحى بجمل ثم ذكره في مجمع آخر فقيل له: إلى متى تذكر هذا الجمل؟

فقال الأعرابي: يا سبحان الله إن الله تعالى ذبح كبشاً فدية عن نبيه إسماعيل وذكره في مواضع عديدة من القرآن فكيف لا أذكر أنا الجمل.

حقيقة الحمل

في الكشاف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[1] إن بعض خفاف الأعراب سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه الآية فقال: إذاً حملها طيبة الريح حقيقة الحمل.

اقرأ الحكم على الكلاب

دخل ابن آوى بيتاً ليأكل من دجاجة، فلم يجد شيئاً سوى شمته فحملها ظناً منه أن بها شيئاً يؤكل، فلما خرج فتشها فلم يجد فيها غير قرطاسة مكتوبة، فأخذ القرطاسة فاستقبله جماعة من جنسه فقالوا: ما هذا؟

فقال: لكم البشارة إني مضيت إلى السلطان وأخذت منه حكماً إلى الكلاب لا يأذوننا إذا أخذنا من دجاج البلد، ففرحوا بذلك الحكم فقال: أحدكم أنا جوعان قال خذ الحكم وامض

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

إلى حيث شئت واحمل معك دجاجة لنا، فأخذ الكاغد وأتى إلى بيت وأخذ دجاجة فصاحت الدجاجة فاحتوشته الكلاب تركض خلفه وتنهش لحمه فاستقبله خارج البلد ابن آوى الذي جاء بالحكم فصاح به اقرأ الحكم على الكلاب فقال: أين الفرصة وترى الكلاب مزقن جلدي وقراءة الحكم تريد منبراً يعلوه القارئ واجتماع الناس ودراهم تنثر على الحكم وغير ذلك.

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها

في الأثر أن أبا نواس مر على باب مكتب فقرأ صبياً حسناً فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1] فقال الصبي: لمثل هذا فليعمل العاملون فقال أبو نواس نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. فقال الصبي: لن تنالوا حتى تنفقوا مما تحبون. فقال أبو نواس: اجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى.

فقال الصبي: موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فصبر أبو نواس إلى يوم الجمعة فأتى الصبي فوجده يلعب بين الصبيان فقال: والموفون بعهدهم إذا عاهدوا. فمضى الصبي قدامه وأبو نواس خلفه حتى أتيا إلى مخدع خفي فناوله ديناراً في ورقة فظن الصبي أنه درهم فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[2].

فقال أبو نواس: إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، فعلم الصبي إنه دينار، فاستحى أبو نواس أن يقول للصبي ثم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[3] فحل الصبي سراويله فقال: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[4] فركب أبو نواس فأوجعه فقال الصبي: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾[5]، وكان قريباً منهم شيخ يسمع كلامهم ولا يرونه فقال: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[6] فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[7].

سيدتي مع النداف

وطئ رجل جاريته وأوصاها بأن لا تطلعي سيدتك على ما جرى بيننا فقالت: يا مولاي سيدتي مع فلان النداف منذ خمس سنين يجامعها ولم أخبرك فكيف أخبرها بما فعلت بي مرة واحدة.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
(٤) سورة هود، الآية: ٤١.
(٥) سورة النمل، الآية: ٣٤.
(٦) سورة الحج، الآية: ٥٨.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

أما أنا فالى منزلي

صلى رجل خلف إمام فقرأ الإمام في صلاته ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[١] قال: أما أنا فإلى منزلي وأما هؤلاء الديوثية فلا أدري إلى أين يذهبون.

أنظر أيهما أفضل

سئل: نصراني عيسى أفضل أم موسى؟ فقال: إن عيسى يحيي الموتى وموسى رأى رجلاً فوكزه فقضى عليه، وعيسى تكلم في المهد صبياً وموسى بعد ثمانين سنة قال: احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، فانظر أيهما أفضل.

بع جبتك

قيل لبعض الصوفية: بع جبتك فقال: إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصيد.

آكل الصوفية

كتاب روضة الأحباب يضرب المثل في الأكل بالصوفية فيقال آكل الصوفية.

التصوف

سئل: بعض العلماء عن التصوف فقال: أكلة ورقصة. وقيل فيها جماعة خسيسة همتها الرقص مع الهريسة. ولله در من قال: [البحر الوافر]

أيَا جيلَ التصوّفِ شرُّجيلٍ ... لقد جئتُم بأمرٍ مستحيلِ
أفي القرآنِ قالَ الله فيكمْ ... كلُوا أكلَ البهائمِ وارقصُوا لي

سأل بعض الصوفية قاضي عضد: هل ذكر المشايخ الصوفية في القرآن قال في جنب العلماء حيث يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ما كفر سليمان

ولى المنصور سليمان بن رايبل الموصل وضم إليه ألفاً من العجم فقال: قد ضممت إليك

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

ألف شيطان تذل بهم الخلق فافسدوا في نواحي الموصل. فكتب إليه: كفرت النعمة يا سليمان فكتب إليه: ما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فضحك المنصور وأمده بغيرهم.

صرت مبهوتاً

قال الفرزدق: ما استقبلني أحد بمثل ما استقبلني به نبطي قال لي: أنت يا فرزدق تمدح الناس وتهجوهم وتأخذ أموالهم؟

قلت: نعم. قال: أنت في الكنيف من قدمك إلى أنفك قلت: لم تحاشيت العينين؟

قال: حتى ترى هوان نفسك فصرت مبهوتاً.

جواب مقنع

قال رجل لأرسطاطاليس: أي وقت أجامع؟

قال: إذا شئت أن تضعف.

قيل لحكيم: كم ينبغي للإنسان أن يجامع؟

قال: في السنة مرة قال: فإن لم يقدر؟

قال في كل شهر مرة قال: فإن لم يقدر؟

قال: في كل أسبوع مرة قيل فإن لم يقدر؟

قال: هي روحه أي وقت شاء أخرجها.

أهرب من الخرء

قيل لأعرابي ما تقول في وطى الغلام؟

فقال: ابعد قبحك الله إني لأهرب من الخرء إذا مررت به فكيف ألج عليه في وكره.

أنت طبيب حاذق

وطئ: رجل كلبة فعقدت عليه فافتضح الرجل فأشرف عليه رجل فقال: عض جنبها واضربها، ففعل فأخرجته فقال: لله درك أنت طبيب حاذق في هذا العلم.

منفعته لغيري

قيل لرجل: أتحب أن يكون أيرك عظيماً؟

قال: لا لأن منفعته لغيري وثقله علي.

تبختر ثم تبختر

نظر رجل إلى متبختر فقال: أعلوي أنت أم قرشي؟

فقال: فوق ذلك إني صاحب أير عظيم قال: تبختر ثم تبختر.

أجلس على العمود

قيل لجارية: أتحسنين أن تضربي بالعود؟

قالت: لا ولكن أعرف أن أجلس على العمود.

ضرطة مخنث

صلى مخنث في جماعة فضرط في الصلاة فرفع رأسه وقال: سبح لك علوي وسفلي، فضحك من في المسجد، فقرأ شيخ في المسجد: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1]:

[البحر البسيط التام]

جاءَ الشتاءُ وعندي من حوائجهِ سبعٌ إذا القطرُ عن حاجاتِنا حُبسا
كِنٌّ وكيسٌ وكانونٌ كأسُ طِلاً بعدَ الكبابِ وكسٌّ ناعمٌ وكِسا

وقال آخر: [البحر الطويل]

إذا صحّ كافُ الكيسِ فالكلُّ حاصلٌ لدَيْك وكلُّ الصيدِ في جانبِ الفَرا
يقولون كافاتُ الشتاءِ كثيرةٌ وما هيَ إلا واحدٌ غيرُ مفترى

ذكاء رجل

زهر الربيع: حكى لي من أثق به أن في جبال اليمن كثيراً من القردة السود الألوان، فاتفق أن رجلاً كان عنده عيبة فيها قلانس ملونة حملها للتجارة بها من قرية فنزل في الطريق على رأس

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

الجبل ونام، فلما انتبه لم ير العيبة فطار عقله ونظر إلى الشجر وإذا على كل شجرة قردة كثيرة وعلى رأس كل قرد قلنسوة وهم ينظرون إليه ويضحكون منه فتحير ولم يقدر على الاسترداد منها فبينا هو يبكي إذا رجل على حمار مر به فسأله عن سبب بكائه فحكى له ونظر إلى القردة فوق الأشجار على رؤوسها القلانس فقال له: هل بقي واحدة منها؟

قال: نعم وكانت على رأسه فأخذها الرجل وصاح بالقردة فنظرت إليه فكشف دبره ومسحه بالقلنسوة وألقى القلنسوة إلى الأرض يوهمها أنها وضعت لذلك الفعل الخسيس، فلما رأت القردة هذا رمت كل منها قلنسوتها فجمعها الرجل ومضى.

مع ابليس لعنه الله

ومن غريب المنقول: ما حكى إسحاق النديم عن أبيه قال: استأذنت الرشيد أن يهب لي يوماً أكون مع جواري، فأذن لي في يوم السبت فأقمت في منزلي وأمرت بوابي بإغلاق الباب وأن لا يأذن لأحد، فبينما أنا في مجلسي والحرم قد حففن بي إذا أنا بشيخ عليه هيبة وجمال وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكاز مقمع بفضة وروائح الطيب تفوح منه، فدخلني من دخوله أمر عظيم مع ما قدمت إلى البواب فسلم علي بأحسن سلام وجلس وأخذ في حديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن ما بي، فظننت أن غلماني أدخلوه علي للمسرة بأدبه نعرضت عليه الطعام فأبى وقلت له في الشراب فقال ذلك إليك، فشربت رطلاً وسقيته مثله فقال: يا أبا إسحاق هل لك أن تغني فنسمع منك ما قد فقت به على الخاص والعام، فغاضني منه ذلك وأخذت العود وغنيت فقال: أحسنت يا أبا إبراهيم، ثم قال: زدنا فنكافيك فأخذت العود وغنيت فقال: أحسنت يا سيدي أتأذن لعبدك في الغناء؟

فقلت: نعم، واستضعفت عقله كيف يغني بحضرتي بعدما سمعه مني، فأخذ العود وحبسه فوالله لقد خلته ينطق بلسان واندفع يغني: [البحر الطويل]

ولي كبدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعُني ... بها كَبِداً ليستْ بذاتِ قروحِ
أبَاها عليَّ الناسُ أن يشترونَها ... ومَنْ يشتري ذا علةٍ بصحيحِ

قال إبراهيم: فظننت أن الحيطان والأبواب وكل ما في البيت يجيبه وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلام ولا الحركة ثم غنى: (ألا يا حماة اللوى) الأبيات، ثم قال: يا أبا إبراهيم خذ هذا الغناء وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك، ثم غاب عني فقمت وعدوت نحو الباب وقلت للجواري: أي شيء سمعتن؟

فقلن: سمعن أحسن غناء فخرجت إلى الباب فوجدته مغلقاً فسألت البواب عن الشيخ فقال: فوالله ما دخل إليك اليوم أحد من الناس، فرجعت متأملاً فإذا به قد هتف من جانب الدار: لا بأس عليك أنا إبليس وقد اخترت منادمتك في هذا اليوم فركبت إلى الرشيد وأتحفته

بهذه التحفة فقال: اعتبر الأصوات فأخذتها فإذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد فأمر لي بصلة فقال: ليته أمتعنا يوماً واحداً كما أمتعك.

تظلم امرأة

خرج الرشيد إلى بعض الرساتيق فتظلمت إليه امرأة من جنده فقال: أما تقرأين كتاب الله ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾(١) فقالت: يا أمير المؤمنين إنما قرأت: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾(٢) قال: صدقت فأمر بإخراج العسكر من تلك الناحية.

زعمتك مولاتي

مس عبد ساق مولاه فقال: ما تفعل يا غلام؟ فقال: يا مولاي اعذرني فإني زعمتك مولاتي.

ذكاء القرود

ومن الكتاب المذكور: حدثني من أثق به أن تاجراً سافر إلى الهند وقال: كنت في بعض منازلها قريب قرية نزلت في مكان حسن وكنت أشرب الخمر، فبينما أنا في شربي إذا بقرد مقبل فجلس أمامي فوضعت له شراباً في قدح وقربته إليه فشرب منه ثم مضى، فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتى وفي فمه دينار أحمر من دنانير الهند يطابق الواحد أربعة من الدنانير المعروفة، ثم سقيته مرة أخرى فأتاني بدينار آخر وهكذا إلى ما يقرب من السبعين مرة.

فقلت في نفسي: اتبع القرد وانظر أين كنزه فتبعته وإذا هو يخرج الدنانير من بطن شجرة مجوفة فخليته حتى سكرنا ونام فمضيت إلى تلك الشجرة وأخذت الدنانير كلها وكانت مالاً عظيماً فجمعت أثقالي وحملتها ودخلت القرية وأخذت حجرة في بعض المنازل وحفرت حفيرة لذلك المال ووضعته فيها، فلما أصبحنا وإذا بالآلاف من القرود في فم كل واحد قبضة من الحشيش اليابس وفي فم بعضها مقباس من النار قد دخلت تلك فصعدت سطوح بيوتها لتوقد بها النيران فتحرقها، فاجتمع إليها أهل القرية وقالوا: من آذى هذه القردة فما وجدوا أحداً، وفهموا بالإشارة منها أن رجلاً أخذ منها دنانير عريضة مسكوكة فأكثروا الفحص فرأوا الدنانير مدفونة فأتوا بها إليها وكوموها عندها، فتقدم ذلك القرد وعد منها ما أعطاه الرجل أولاً مما يقرب من السبعين وأخذوا الباقي بأفواهها فمضوا عن القرية.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٤.
(٢) سورة النمل، الآية: ٥٢.

حكم القرد

يقول جامع هذا الكشكول وناظم هذه النقول: حكى لي أيضاً بعض الأجلاء الثقات ممن يتكرر سفره إلى بلاد الهند أنه وقع ذات يوم بين رجل شيعي وآخر سني منازعة في أفضلية علي عليه السلام على أبي بكر وبالعكس، وكان بالاتفاق هناك قرد مربوط بقربهما فاتفقا إلى المحاكمة إليه وكتبا رقعة فيها اسم علي بن أبي طالب عليه السلام ورقعة أخرى فيها اسم أبي بكر بن أبي قحافة ووضعاها بين يدي القرد، فعمد القرد إلى واحدة منهما ووضعها على رأسه والثانية جعلها تحت رجله، فلما أخذوا التي على رأسه إذا هي التي فيها اسم علي عليه السلام.

علام تستخدمني

دخل لص على بعض الفقراء ففتش البيت فلم يجد شيئاً، فلما أراد أن يخرج قال صاحب البيت: إذا خرجت اربط الباب. قال: اللص من كثرة ما أخذت من بيتك تستخدمني.

أقوى أهل بلغان

قال الشيخ صاحب تحفة الألباب: دخلت على باشر قود، فرأيت قبور قوم عاد ورأيت سن أحدهم أربعة أشبار وعرضه شبران، وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعاً وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض أضلاعهم كل ضلع ثلاثة أشبار كاللوح الرخم، ولقد رأيت في بلغان سنة ٥٣٠ من نسل قوم عاد رجلاً أكثر من سبعة وعشرين ذراعاً كان يسمى (دنفي) وكان يأخذ الفرس تحت إبطه كما يأخذ الولد الصغير، وكان من قوته أن يكسر ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل، وكان صاحب بلغان اتخذ له بيضة لرأسه كأنها جبل، وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا لو يضرب به الفيل لقتله، وكان حبراً متواضعاً، وكان إذا لقيتني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني، وكان رأسي لا يصل إلى ركبته ولم يكن في بلغان حمام يمكنه دخوله، وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات وقال لي قاضي بلغان يعقوب بن النعمان: إن هذه المرأة العادية قتلت زوجها وأنه كان اسمه (دمكان) وهو من أقوى أهل بلغان، وأنها ضمته إليها فكسرت أضلاعه.

عوج بن عنق

وروي: عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم إلا أنه كان لا يوصف طوله. قيل: إنه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه مع أن الطوفان كان على رأس الجبال أربعين ذراعاً، وكان يتخطى بحور المدينة كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير، وعمره

الله تعالى دهراً طويلاً حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جباراً يسير في الأرض براً وبحراً ويفسد ما يشاء ويقال: إنه لما حصل بنو إسرائيل في التيه ذهب وأتى بقطعة من الجبل على قدرهم واحتملها على رأسه فانتقب وسطها وانخرقت في عنقه، فأخبر الله تعالى بذلك موسى عليه السلام فخرج إليه وضربه بعصاه فقتله.

ويقال: إن موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وفر في الهوى عشرة أذرع فلم يصل عرقوبه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(١).

وأما أمه: عنق بنت آدم كانت مفردة بغير توأم، وكانت مشوهة الخلق لها يدان في كل يد عشرة أصابع ولكل إصبع ظفران كالمنجلين.

عنق أم عوج

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أول من بقي في الأرض وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر عنق أم عوج، وكان قد أنزل الله على آدم أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها إلى حوا لتحرس بها، فأغفلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة، فدعا عليها آدم عليه السلام وأمنت على ذلك حوا فأرسل الله إليها أسداً أعظم من الفيل فتهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوج بسنين.

خدعت كريماً فانخدع

عن بعض الحكماء قال: حججت فبينما أنا أطوف إذا أنا بأعرابي متوشح بجلد غزال وهو يقول: [البحر الطويل]

أمَا تَسْتحي يا ربّ كيفَ خلقْتني ... أُناجيك عُرياناً وأنتَ كريمُ

قال: وحججت في العام القابل فرأيت الأعرابي عليه ثياب وله حشم وغلمان فقلت له: أنت الذي رأيتك في العام الماضي؟

قال: نعم خدعت كريماً فانخدع.

مناجاة الكريم

وعن الأصمعي: قال: رأيت في الموقف أعرابياً قد رفع يده إلى السماء وهو يقول: [البحر الطويل]

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

أما تستحي يا خالقَ الناسِ كلِّهم ... أُناجيك عُرياناً وأنتَ كريمُ
أترزقُ أولادَ اللئامِ كما ترى ... وتتركُ شيْخاً من سراةِ تميمِ

فقلت له: ما هذه المناجاة؟

فقال: إليك عني إني أعرف من أناجيه الكريم إذا هُزّ اهتزّ، فرأيته بعد أيام عليه ثياب حسنة فقال لي: ألست ترى الكريم كيف أعتب.

مع النحوي

[البحر السريع]

قلتُ لنحويٍّ وفي بطنِه ... قرقرةٌ ما هذِه القرقَرَة
فقالَ يا جاهلُ في نحوِنا ... هذي تُسمَّى الضرطةَ المضمَرَة

له جار سوء

حكي أن رجلاً كان يطأ الغلمان فقالت له زوجته: عندي ما عندهم قال: نعم ولكن له جار سوء.

ما حملتني أنثى إلا وضرطت

ركب الفرزدق بغلة فضرطت فضحكت منه امرأته فالتفت إليها وقال: ما يضحكك فوالله ما حملتني أنثى إلا وضرطت. فقالت له المرأة: قد حملتك أمك تسعة أشهر فالويل للناس من كثرة ضراطها.

لماذا تجرها يا جاهل

قرأ بعض المغفلين: ﴿في بيوت﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ل له شخص: إنما هو بالجر، فقال: يا جاهل إذا كان الله يقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾(١) تجرها أنت لماذا؟

إنك لغويٌّ مبين

سأل رجل مغفل رجلاً فاضلاً فقال: كيف تنسب إلى اللغة؟

(١) سورة النور، الآية: ٣٦.

فقال اللغوي فقال: أخطأت في ضم اللام إنما الصحيح ما جاء في القرآن: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾(١)

حرم اللواط إلا بشاهدين

دخل بعض الفساق بأمرد إلى بيته وكان بينهما ما كان بينهما، فلما خرج الأمرد ادعى أنه هو الفاعل، فقيل له في ذلك الوقت فقال: فسدت الأمانات وحرم اللواط إلا بشاهدين.

جئتك مستعطياً لا مستفتياً

اعترض رجل المأمون فقال: أنا رجل من العرب. قال: ليس تعجب قال: وإني أريد الحج. قال: الطريق أمامك نهج قال: ليس لي نفقة. قال: سقط الغرض عنك. قال: إني جئتك مستعطياً لا مستفتياً فضحك وأمر له بصلة.

إمرأة لا تبالي

خرجت امرأة فاسقة في جوف الليل فلقيها إنسان فقال: أتخرجين في هذا الوقت؟

قالت: ولا أبالي إن لقيني شيطان فأنا في طاعته وإن لقيني رجل فأنا في طلبته.

هذا ضامن

دخل أبو يونس فقيه مصر على بعض الخلفاء فقال له: ما تقول في رجل اشترى شاة فضرطت فوثبت من استها بعرة فقتلت رجلاً؟

فقال: هذا ضامن لأنه باع شاة في استها منجنيق فلم يبره من العهدة.

رب لا يعرف من في الباب

في خبر: أن رجلاً من أهل مصر دفع إلى فرعون عنقود عنب ليصيره له جواهر كباراً، فأخذه وأغلق عليه باب الحجرة وبقي متفكراً فأتى إليه الشيطان وقرع عليه الباب فقال فرعون: من بالباب؟

(١) سورة القصص، الآية: ١٨.

فقال إبليس: ضرطتي بلحية رب لا يعرف من بالباب، فدخل عليه والعنقود في يده وهو متفكر فأخذ العنقود وقرأ عليه أسماء من الأسماء فانقلب جواهر فقال: يا فرعون عليك بالإنصاف أنا في هذا العلم والفضل طردوني وأخرجوني من سلك العبيد وأنت بهذه الحماقة والجهالة تقول: أنا ربكم الأعلى ثم خرج عنه.

ذكر المعاد فاستعصم

راود بعض الأعراب امرأة عن نفسها، فلما قعد منها مقعد الرجل ذكر معاده فاستعصم وقام عنها وقال: من باع جنة عرضها السماوات والأرض بمقدار فتر بين رجليك لقليل المعرفة بالمساحة.

قصة الإسرائيلية وما جرى لها من المحن

كتاب أخبار بني إسرائيل: حكي أنه كان رجل من الأكابر تاجراً متديناً ذا ثروة وحشمة فمرض مرضاً شديداً فدعا ولده وقال: القبر بيت لا بد من دخوله وقد سمعت من الأحبار أن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا بالعيش اليسير ومن نسي الموت لم يرض بالكثير ومن نظر إلى قصر عمره زهد في الدنيا الفانية، وأنا أظن أن مماتي قد دنا وأيامي قد انقضت وما بقي إلا لقاء ربي عز وجل، وقد تركت مائتي ألف دينار من النقد وعشرة عبيد وعشر جواري عدا الآثار والعقار والبساتين وغير ذلك، وما من أحد ينازعك عليها ولا يشاققك فيها غير أختك وقد علمت إنها زاهدة غير راغبة في الدنيا ولا طامعة في حطامها وأنها قد أخلصت أعمالها لله تعالى، فلا نقطع نصيبها من ميراثها الذي فرضه الله لها وليكن نصيبها في يدك ولا تتصرف فيه فإذا طلبت منك شيئاً تدفع إليها ما تطلبه، فإذا وصل إليها حقها فأنت آمن من حسابها، فقال له ولده: السمع والطاعة في كل ما أوصيتني.

ثم مات التاجر إلى رحمة الله فقضى ابنه عزاء أربعين يوماً على ما جرت به العادة، فلما كان بعد ذلك أشار عليه التجار أن يقعد مكان أبيه فجلس يبيع ويشتري وأخته الزاهدة مقبلة على العبادة لربها وتصوم نهارها وتقوم الليل، فدخل عليها أخوها يوماً وهي تنشد أبياتاً:

[البحر الوافر]

ألا يا أيُّها المغرورُ مهْلاً ... لقد أوقفتَ في حفرِ العناءِ
علامَ تدومُ في أملٍ وحرصٍ ... وأنتَ تعومُ في بحرِ الخطاءِ
وتمْشي في عزى وغوًى وتمْشي ... بمْلءِ البطنِ في وشْيِ الملاءِ
أما آنَ الرجوعُ إلى رشادٍ ... ترى ببقائِه خيرَ البقاءِ
أفقْ من رقدةِ الغفلاتِ وانهضْ ... وناجِ لمنْ يُجيبك في الدعاءِ

فتقدم إليها أخوها وحياها تحية لطيفة وجلس عندها ساعة ثم مضى إلى دكانه فبينما هو ذات يوم جالس في الدكان إذا بعجوز قد أقبلت وهي تشق السوق وبيدها سبحة وبيدها الأخرى عصاً تتوكأ عليها، ولم تزل تمشي حتى وصلت إليه ثم نظرت إليه طويلاً وقالت: ألست ابن فلان التاجر؟

قال: بلى، فجلست عنده واستعرضت ما عنده من القماش وهي تقلبه وصلة وصلة وتطيل إليه النظر ثم قالت: أنت متزوج أم عزب؟

قال: بل عزب. فقالت: كيف تقضي عمرك وتنام وحدك مع ما عندك من المال الجزيل فلا خير في المال بلا زوجة تسر قلبك فقال: قد آليت على نفسي ألا أتزوج إلا بمن أراها وأنظر إليها بعيني فقالت: ما تقول إن فعلت لك ذلك؟

قال: إن أعجبتني أتزوج بها وإلا فلا. فقالت له: قم حتى أريك فخير البر عاجله، فأوصى غلمانه بالدكان وذهب خلف العجوز حتى أتت إلى باب ودخلت فيه وهو خلفها حتى انتهت إلى مكان مظلم فقالت له: اعلم أن الظن إذا لم يصيب يورث التهمة وإذا حصلت فضحت، فدعني أشد عينيك بهذا المنديل حتى لا ينكر أحد علينا، فإذا رأوك ظنوا إني قد أتيت بك لأداوي عينيك فإني معودة أداوي أعين الناس لوجه الله تعالى، فشدت على عينيه وجعلت تقوده كالأعمى حتى أتت به إلى باب كبير بمصراعين من خشب الأبنوس فطرقت الباب فخرج خادم وفتح الباب فدخلت العجوز قدام الشاب من دهليز حتى أدخلته إلى قصر فيه بستان وفي ذلك البستان بركة لطيفة وإلى جانب البركة سرير من العرعر مرصع بأنواع الدرر والجواهر على أربع قوائم من عظم الفيل، فأمرته بالجلوس وفتحت عينيه فتعجب من زينة القصر ونظافته ورآها داراً من دور الملوك والأكابر فجلس متفكراً فإذا بالعجوز قد صفقت بيديها فخرج من القصر عشر جواري كأنهن الأقمار وبينهن جارية كأنها الشمس الضاحية في السماء الصاحية، فلما رآها التاجر غاب عن الوجود وافتتن بها ووقع مغشياً عليه، فلما أفاق رفع رأسه وسلم عليها فردت عليه السلام وجلست إلى جنبه وبقيت تمازحه وتلاعبه، فخرس عن الكلام مما أصابه من الدهش والهيام وعلمت ما عنده من الوجد والغرام فقالت العجوز: ما تقول يا غلام في هذه الصبية التي تخجل البدر التمام وما هي إلا فوق رضاك ومناك؟ فانهض واحضر القاضي ليوقع لك عقد النكاح. فقال: ما أنا بحال ممن أساوره وأشرفه على حالي. فقالت: وأي وقت يكون الميعاد؟

فقال لها: غداة إن شاء الله تعالى، فأخرجت العجوز المنديل وعصبت عينيه وأخذت بيده تقوده حتى أخرجته إلى طريق لا يدري أين هو، ثم مضى إلى دكانه وخاطره مشغول بتلك الصبية فجلس ساعة في دكانه ثم أغلقه ومضى إلى داره ودخل على أخته وحكى لها ما جرى له مع العجوز ثم قال: يا أختاه ما عندك من الرأي؟

فقالت: يا أخي تخير لنفسك ما تريد ولكن لا تزرع تبرك إلا في أرض زكية ولا يغرنك

الحسن والجمال حتى تختبر الأصل والأدب والكمال فقال: يا أختاه إن هذه المرأة التي خطبتها لا يخفى عليك من بنات الملوك فقالت: يا أخي إن رضي قلبك بذلك فبارك الله لك فيها، ولكن غرضي منك أن لا تخبرها بأن لك أختاً، فإذا دخلتها في دار أبيك انقلني إلى دار أخرى، واشرج الباب ما بيننا حتى لا تعلم بي لأنها إن علمت بي وجب علي أن أتراود إليها فاعتزل أنت وزوجتك عني حتى أشتغل بعبادة ربي وأدعو لك في خلواتي، فبالله عليك لا تشغلني بأشغال الدنيا وأهلها فاغتاظ أخوها من قولها ثم طردها من دار إلى دار أخرى وسد الباب بينهما وكانت له جارية كبيرة من جواري أبيه يقال لها صالحة، وكانت صالحة كاسمها فقال لها: انفردي مع أختي واقضي لها أشغالها وقد جعلت لكما من القوت ما يكفيكما مدة من الزمان، فإذا نفد فلكما غيره.

ثم بات في داره إلى الصباح وقلبه متعلق بالصبية، فلما أصبح إلى الدكان وجلس فإذا بالعجوز قد أقبلت وسلمت عليه فقام إليها وأكرمها ورحب بها فقالت له أشاورت؟

قال: نعم وأنا في انتظارك، ثم أوصى غلمانه بالدكان ونهض ليرى العجوز وتبعها وهي تمشي بين يديه حتى أتت به إلى ذلك القصر وأدخلته وأجلسته على السرير، ثم صفقت بيديها وإذا قد طلع من القصر خادمان فقالت للأكبر: يا كافور اذهب وأتنا بالقاضي والشهود، فأقبلت العجوز وقالت: أيها القاضي إن هذا التاجر يخطب صاحبة هذه الدار فاكتب لهما كتاب النكاح فقال: بسم الله ولكن أحضريها لأسمع إقرارها، فنهضت العجوز وتكلمت بكلام لطيف لين، فإذا قد خرج عشر جواري وتلك الصبية معهن وهي متنقبة بإزارها وهي كأنها القمر فجلست مع جوارها على منصبة في ذلك القصر، فأشار القاضي إليها وقال: ما اسمك؟

فقالت: اسمي قوة القلوب. فقال القاضي: لقد تسميت باسم أنت أحق به. ثم قال: أترضين أن أزوجك بهذا الشاب؟

فقالت: نعم على خير الله تعالى، فخطب القاضي خطبة النكاح فلما فرغ خلعت العجوز على القاضي خلعة سنية ودفعت إليه خمسين ديناراً، فخرج القاضي ومضى لسبيله والتاجر بقي يومه معها، فلما كان الليل دخل عليها فوجدها بكراً عذراء فاستسر بها سروراً عظيماً وبقي معها في القصر سبعة أيام. فلما كان اليوم الثامن قال لها: عن إذنك أن أنتقل إلى داري. فقالت: كأنك ما يعجبك هذا القصر قال: بلى ولكن حب الوطن من الإيمان ولي كثير من الغلمان والجواري فلا بد من تعاهدها.

فقالت: حباً وكرامة وخرج التاجر إلى داره وأمر العبيد والغلمان والخدم أن ينقلوا الأثاث من دار زوجته إلى داره وأمر الجواري بكنس الدار، فكنسوها ورشوها وعطروها بماء الورد والبخور وانتقلت قوة القلوب بمالها وجوارها وعبيدها إليه وطاب المقام.

ولا زالت على ذلك مدة من الزمان حتى أحست بالحمل فأخبرت بعلها ففرح فرحاً شديداً

وتصدق على الفقراء والمساكين وتصدقت هي أيضاً وكست الفقراء والمساكين حتى انقضت لها تسعة أشهر وأحست بالوضع فوضعت غلاماً كالقمر، فاستسر التاجر سروراً عظيماً وعمل وليمة وأحضر فيها جميع التجار والأكابر، ثم جعل لولده ثلاث جوار إحداهن من العرب والأخرى من الفرس والأخرى من الترك وأمرهن أن يرضعن ولده وأن يربينه ويعلمنه لغاتهن هذا وزوجته لا تعلم أن له أختاً حتى صار عمر الولد سنتين، فبينما هي آخذة ولدها على كتفها تدور به حول الدار إذ اجتازت على بستان هناك فوجدت في حائط البستان باباً مسدوداً بالطين فقالت لجواريها: ما هذا الباب؟

فقلن: لا نعلم. فسألت جواري زوجها فسكتن ولم يردن عليها جواباً لأن سيدهن قد أوصاهن بكتمان ذلك فقالت: يا فاجرات لم لا تخبرنني بخبر هذا الباب؟

فقلن لها: إن سيدنا قد امرنا بكتمان ذلك، فغضبت من كلامهن وقالت: أظن أن لسيدكن زوجة غيري ولم يخبرني بها، فإن كان ذلك فسوف أقتلها أشر قتلة، فقالت الجواري: ليس كما تزعمين لكن في هذه الدار أخت سيدنا وهي مشتغلة بعبادة ربها زاهدة في الدنيا.

فقالت: وليكن لسيدكن أخت فلم لا تعرفنني بها ولا عرفتني بنفسها ولا فرحت بي ولا بولدي لحسدها لي والبغض لي، فلا بد أن أهلكها. ثم قالت: ومن أين المصرف لها؟

فقلن: من سطح هذه الدار، فسكتت وصبرت إلى الليل ولم يتخلف عندها إلا جارية سرها فقالت: إني أريد أن أهلك هذه المرأة، ثم جاءت إلى ابنها وقد خرج الإيمان من قلبها فذبحت ولدها وعزلت رأسه ولطخت بالدم ثوبه وقميصه ثم خرجت إلى السطح وجاريتها معها، فنزلت من الجدار على الزاهدة فوجدتها نائمة على فراشها فوضعت السكين تحت رأسها وألقت رأس ولدها وهو ملفوف بذلك القميص عند رأسها ولطخت جدران الزاهدة بالدم وعادت إلى مكانها وأمرت الجارية أن تكتم ذلك، فلما دخلت بيتها ندمت على قتل ولدها.

فلما أصبحت دخل زوجها عليها وقال: أين ولدي؟

فقالت: في مهده فجاء إليه فوجده جثة بلا رأس فصرخ صرخة عظيمة وقال: من فعل بولدي هذا الفعل؟

فلما سمعت صرخت ولطمت وصاحت وقالت: أيها الجواري من قتل ولدي؟

فقلن: لا نعلم، فخرج التاجر معها يقفيان أثر الدم إلى السطح فقالت: ما قتل ولدي إلا أختك لحسدها وبغضها لي، فمضيا إلى بيتها فنظر أخوها فوجد رأس ولده ملفوفاً بثوب ملطخ بالدم ثم رفع جانب وسادتها فرأى السكين تحت الوسادة وهي ملطخة بالدم، فصرخت وقالت: هذه قتلت ولدي. فقال: ويلك أنها أختي لأبي وأمي وهي الزاهدة فكيف تقتل ولد أخيها وهذا لا يكون أبداً.

فقالت: والله ما قتل ولدي غيرها، فغضب التاجر وتقدم إلى أخته وسألها عن ذلك فلم

تتكلم، فاغتاظ عليها وجذب سيفاً كان بيده وضربها فجاءت الضربة بيدها فقطعها ثم قطع رجليها وتركها مخضبة بدمها وتوهم أنها قد ماتت، فأمر أن يلفوها في عباءة ثم دفن ولده وصبر إلى الليل، فأمر بعض العبيد وألقاها في النهر.

وكان ذلك النهر ينفذ إلى بستان وكان صاحب البستان في تلك الليلة يسقي بستانه فقل عليه الماء، فمضى إلى آخر البستان فنظر إلى الماء فوجده أحمر ورأى عباءة ملفوفة في فم ذلك النهر وقد منعت الماء عن الجريان، فلمسه فإذا هو ثقيل فحمله إلى تحت شجرة ثم أضرم ناراً وعلق مصباحاً ونظر إلى العباءة وفتحها فوجد فيها الزاهدة مقطوعة اليدين والرجلين وهي تسطع بالنور، فحط يده على صدرها فرآها تتنفس، فأتى بماء ورد ورش على وجهها فأفاقت من غشوتها وفتحت عينها وقالت: لا إله إلا الله محي العظام وهي رميم، فتعجب صاحب البستان من حسنها وجمالها وفصاحتها فقال لها: يا هذه من أنت ومن قطع يديك ورجليك؟

فقالت له: من أنت ومن أتى بي إلى هذا المكان؟

فقال: رب القدرة والعظمة ساقك إلى هذا البستان ورأيتك ملفوفة بهذه العباءة على النهر فاعلميني بحقيقة أمرك. فقالت: والله إني مظلومة وليس لي علم بسبب قطع يدي ورجلي، فإن كنت تعمل خيراً لوجه الله تعالى فافعل ولا تسألني عن حالي فإني لا أشرح قصتي إلا إلى عالم أسراري ثم أنشدت تقول شعراً: [البحر الطويل]

خليليّ لا واللهِ ما ينفعُ الشَّكْوى	إلى أحدٍ إلا إلى عالمِ النَّجْوى
فلا تشرحنَّ الحالَ منك إلى امرئٍ	من الخلقِ واشْكُ للذي يكشفُ البلْوَى
فللهِ نشكُو ما تَرى لا إلى الورَى	وفي الصبرِ احوالٌ بها يثبتُ الدَّعْوى

فلما سمع كلامها علم أنها من الصالحات فقال: ما الذي تريدين؟

فقالت: أريد أن تعمل لي عريشاً في بستانك لا يدخله أحد غيري ويكون قريباً من الماء وتجعل فراشي شيئاً من الحشيش ودعني أسكن فيه والله هو الشافي، فمضى وأتى بزيت وحماه وكوى يديها ورجليها وأقبل بشيء من الطعام والماء وعرض عليها فأكلت حسب كفايتها، ثم عمل لها عريشاً قريباً من النهر وفرش تحتها شيئاً من الحشيش وألقاها عليه، وبقيت على ذلك مدة حتى عوفيت فأتاها ذات يوم فقالت له: اعمل لي شريعة إلى الماء لأجل وضوئي وتطهيري، ففعل ذلك فبقيت تنزل إلى الماء وتبغي الوضوء وتنتصب في محرابها وتعبد ربها وتصلي الليل والنهار وهي تزداد حسناً وجمالاً.

وكانت كلما أنزلت إلى الماء يشرق من نور وجهها، وكان لصاحب البستان أربعة أولاد ذكوراً ولم يشعر بها أحد منهم تلك المدة، وكان ينهى أولاده أن يسيروا إلى عريش القطعي، فبينما هي ذات يوم نازلة إلى الماء إذ مضى أحدهم فرآها وهي تتوضأ ونورها يشرق على الماء فانطلق إلى إخوته فأعلمهم بها فأتوا إليها وهي في العريش تصلي، فجعلوا يتضاحكون عليها

ويغمز بعضهم بعضاً فقال أخوهم الأكبر: كفوا عن النظر والاستهزاء بهذه المرأة وانصرفوا عنها حتى نسأل أبانا عنها، ثم مضوا وهم يقولون: لا بد أن نقضي وطرنا عن هذه الجارية، فأتى صاحب البستان إليها فوجدها تبكي وقد شق عليها كلام أولاده فقال لها: ما بالك تبكين ما الذي أصابك؟

فأخبرته بخبر أولاده وما تكلموا به فعظم ذلك عليه وحلف أن يضربهم فقالت: بالله عليك لا تضربهم ولكن أمنعهم عن المجيء إلى هذا المكان، وكان صاحب البستان قد رزق السعادة والبركة على قدومها إليه، فمضى إلى أولاده فجمعهم وقص عليهم القصة وأمرهم أن لا يقربوا عريشها وقال لهم: إن فعلتم ذلك مرة أخرى تركتكم وأخذت هذه الزاهدة وسافرت إلى بلد أخرى، فحلفوا أن لا يقربوا عريشها.

وبقيت القرطى في ذلك البستان إلى أيام الربيع، فاتفق أن الملك خرج ذات يوم للتنزه ومعه أرباب دولته حتى وصل إلى ذلك البستان فقال لوزيره: إني أحب التنزه في هذا البستان فدخله وجاء صاحب البستان وقبل يدي الملك ودعا له بالدولة والسعادة، ثم جلس الملك في ذلك البستان فجاء صاحب البستان إلى الزاهدة وقال لها: اعلمي أن الملك قد أقبل إلى هذا البستان وأنا خائف عليك منه وأخاف أن يأتيك أحد من جنوده ويؤذيك ويضيق صدرك وصدري، فإن أذنت لي نقلتك إلى داري وأخفيت مكانك.

فقالت: حباً وكرامة، فحملها إلى زاوية من البستان وفيها بيت مهجور كان يضع فيه السعف والتبن، وكان حوله نخل كثير قد سد باب البيت وحوله أشجار من الرمان والتين قد أظلم البيت فوضعها هناك وخرج عنها.

فأما الملك فإنه قد قعد في إيوان في ذلك البستان وقدامه روضة فجعل ينظر إلى البستان فأعجبه نظارته وطراوته وزهره فقال: أيها الوزير أما تنظر إلى هذه الحديقة وما كساها الله تعالى من الزهر والألوان؟

فقال: أيها الملك لو علمت ما تقول هذه الورود لزاد تعجبك؟

فقال الملك: أو يتكلم هذا النبات؟

قال: نعم لسان حاله يقول نظماً ونثراً أما الورد فيقول نثراً: إني كنت مستتراً بالأكمام فإنه برز بي الملك العلام لمجلس الكرام وكساني ثوباً قشيباً فلوني أحمر عجيب يضاهي وجنات الحبيب. وأما قوله نظماً: [البحر الرمل]

وردَ الوردُ بشيراً بالذي ... فيه من لطفِ المَعاني قد حَوى
فانثَنى البانُ له منعطِفاً ... يلثمُ النشرِ الذي فيه انطوى
مالَ يشكُو أهيفَ القدِّ له ... فرطَ ما يلقاه من جورِ الْجَوى
فرثاهُ الوردُ إذ قال له ... نحنُ خلّان تساهمْنا الْهوى

فأنا أنتَ كما أنتَ أنا　　نحنُ في المَعْنى جميعاً في الشّوى
قسَماً باللهِ حلْفاً صادِقاً　　بالذي قدْماً على العرشِ اسْتوى
إنّ في شرحِ غَرامي عبرةً　　لذوي اللبِّ إذا القلبُ ارْعوى
أنا بالأمسِ كبدرٍ طالعٍ　　وأنا اليومَ كنجمٍ قد هَوى

وأما النرجس فقوله نثراً: أنا أنظر إلى صحيبي وأسلم عليه بعد مشيبي فخاطري للمشاورة وناظري ناظر للمناظرة قصب الزمرد أساسي وعطري طيب أنفاسي. وأما قوله نظماً فإنه يقول شعراً: **[البحر الكامل]**

أنا نرجسٌ أكْسو المحاسنَ بهجةً　　من نشرِ عِطْري يستطيبُ المجلسُ
في حاسةِ الشمّ الشّذى منيّ بَدا　　وبَدا يقولُ القومُ هذا النرجسُ

وأما الرمان فقوله نثراً يقول: أنا نزهة البستان وعدالة الأغصان وردي وجلناري شقائق خدود الحسان وأنا لذة لكل إنسان فإن كنت للمعروف تفهم فافهم وإن كنت لا تدري فاسأل من يعلم. وأما قوله نظماً فإنه يقول: **[البحر الوافر]**

أنا الزّهرُ الذي أحرقتُ حسْناً　　قلوبَ العاشقين بِجُلّنارى
وذاك لأنّ مَنْ يَهْوى حَبيباً　　يشبّه وجنتَيه بِجُلّنارى

فأعجب السلطان كلام الوزير وفرط ذكائه، وبقي الملك في البستان طوراً يشرب وطوراً يلعب وطوراً يتنزه ويدور ويتفرج، وكان حاجب الملك يدور في ذلك البستان حتى وصل إلى البيت الذي فيه الزاهدة فظنه بيت الخلاء فدخل إليه ليقضي حاجته فوجد الزاهدة وهي تشرق نوراً، فأقبل إليها يراودها عن نفسها فصرخت صرخة عظيمة وكان صاحب البستان لا يغفل عنها ويتطلع مكانها كيلا يقربها أحد من الغلمان، فلما سمع صوتها انطلق كالبرق الخاطف فرأى الحاجب وقد ألقى نفسه على الزاهدة يطلب منها القبيح منها فضربه على رأسه بالمسحاة حتى سال دمه ثم مضى إلى الملك وقبل قدميه فقال: هل عليك ضيم من بعض جنودي؟

فقال: أيها الملك لم تصحب في مجلسك من لا ثقة له ولا إيمان، ثم حدثه بحديث الزاهدة وما رأى من بركاتها وما هي عليه من الصلاح والعبادة ثم حكى بحديث الحاجب وما جرى بينهم، فلما سمع الملك ذلك غضب على حاجبه وقال: أيها الشيخ لم لا قتلته؟

فقال: لحرمتك. فقال الملك: ائتوني بالحاجب فإذا الحاجب قد أقبل والدم ينزل من رأسه وهو يستغيث إلى الملك ويقول: قتلني هذا الشيخ فقال الملك: على أي شيء فعل بك هذا؟

فقال: اعلم أيها الملك أن لي صحيبة أحبها فلما خرجت معك إلى هذا البستان طلبت مني أن أحملها معي فحملتها وتركتها في بيت في زاوية هذا البستان، فلما حصلت لي الخلوة مضيت إليها لأخلو بها وأوانسها وكان قد حصل لها مني غيظاً حيث تركتها وحدها، فلما دنوت منها

صاحت فسمع هذا الشيخ وضربني بالمسحاة، فقال له الملك: لقد كذبت في قولك وإني لأجد منك رائحة الشر فأخبرني ما علامتها هي مليحة ذات جمال أو ذات أسقام واعلال؟

فقال: إنها أعدل من قضيب بان وألطف من ورد شقائق النعمان وثغرها أبسم من الأقحوان سليمة من العلل والأسقام كأنها البدر التمام. فقال الملك: لقد ظهر كذبك فإن الشيخ يزعم إنها امرأة واحدة قطعاً بلا يدين ولا رجلين، ثم قال أيها الشيخ احضرها بين يدي.

فقال: أيها الملك إنها لا ترضى أن تحضر بين قوم غير محرم فإن أردت قم إليها، فنهض الملك والوزير والشيخ بين يديه حتى أتى الزاهدة فرآها وهي تعبد الله وقد أشرق ذلك النور من وجهها والمكان قد أضاء، فلما رآها الملك افتتن بها فقال: سبحان الله خالق الأنام ذي الجلال والإكرام، ثم سلم عليها وقال: هل تعرفين هذا الحاجب فقد زعم إنك صاحبته؟

فقالت: أعوذ بالله منه أن يكون هو الذي ألبسني هذين السوارين في يدي والخلخالين في رجلي، فلما نظر إلى يديها ورجليها وجدها مقطوعة وعلم أن لها شأناً عظيماً وإن الشيخ صادق في قوله، فأمر الملك بقتل الحاجب وتشفعت فيه الزاهدة فقال لها الملك: من فعل بك هذه الفعال؟

فقالت: إني جعلت شكواي إلى الله لا إلى المخلوق فقال: ألا ترضين أن أكون لك بعلاً فعسى أنال ببركتك السعادة؟

فقالت: ما تفعل بامرأة بلا يدين ولا رجلين؟

فقال: أريد بذلك التقرب إلى الله تعالى وأرجو أن يرزقني الله ولداً يرث مني ويرث منك العفاف والتقوى. فقالت: إني زاهدة في الرجال مشغولة بعبادة الرب المتعال فقال: أنا لا أتركك.

فقالت: أتأخذني قهراً وتكون مؤاخذاً يوم القيامة فقال: لا ولكن أتزوجك على سنة الأنبياء.

فقالت: إن خطبة النساء تكون إلى النساء فقال لها: أرسل إليك أمي وأختي، فعند ذلك أرسل إليها فأحضرهن فدخلت أم الملك وأخته على الزاهدة ولاطفتها في الكلام حتى رضيت، فعند ذلك عقد الملك عليها ونقلها إلى داره ثم دخل عليها تلك الليلة ودخل في قلبه الفرح والسرور، واشتغل بها الملك عن سائر نسائه، فحملت الزاهدة من الملك وصار لها من الحمل ستة أشهر وكان قد خرج على الملك خارج من بلاد النصارى فجمع الملك عسكره وقسمه نصفين وأنفذ أخاه في النصف الأول إلى البر وذهب هو مع النصف الآخر إلى البحر وأوصى الملك أمه وأخته بالزاهدة وركب مع عسكره هذا ما كان منها وأما ما كان من أخيها التاجر وزوجته فإنهما قد سمعا أن الملك قد تزوج بالزاهدة وإنها قد كتمت أمر أخيها عن الملك فتعجب من عظم صبرها، وأما زوجته فاختفت بغيظتها وأظهرت مكرها ودعت بعجوز ذات مكر

وقالت: أريد منك أنت ترددي إلى بيت الملك وتدخلي على الزاهدة وتخبريني بأحوالها وكلما يتجدد من أمرها، ووهبت لها من المال كثيراً ومضت العجوز وجعلت تردد إليها حتى كان يوم ولادتها فوضعت ولدين ذكرين ففرحت أم الملك فرحاً شديداً وكتبت إلى الملك:

(بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد اعلم أيها الولد العزيز والملك السعيد أطال الله عمرك أن زوجتك الزاهدة قد ولدت ولدين ذكرين يزيد نورهما على القمرين وهما أشبه الناس بك وسميناهما أحسن الأسماء) ثم دعت بغلام يقال له سلمق ودفعت إليه الكتاب وقالت: امض إلى الملك وبشره بولادة زوجته، فلما رأت العجوز ذلك مضت إلى زوجة التاجر وأخبرتها بخبر الكتاب فعند ذلك نهضت زوجة التاجر ولبست أفخر أثوابها وتطيبت بأحسن طيبها وأتت إلى طريق لا بد أن يمر سلمق منه وجلست عنده، فإذا بسلمق قد أقبل يطلب الملك فغمزته وأومأت إليه بيدها وكشفت له عن وجهها وصدرها، فلما رآها سلمق افتتن وتململ خاطره وقال لها هل لك حاجة؟

قالت: نعم وإن لي أحد القرناء في عسكر الملك وأريد أن أوصيك إليه بوصية فقال لها: سمعاً وطاعة. فقالت: هذا لا يكون إلا أن تدخل داري فقال: بسم الله سيري بنا على بركة الله تعالى، فنهضت قدامه حتى أتت دارها وأدخلته في بيت خلوة وأقعدته في مجلس يليق به ثم أحضرت له شيئاً من الطعام فجلس ليأكل وهي تقبل عليه وتظهر له محاسنها وتتقرب إليه حتى جلست عند ركبتيه وحضنته، فجذبها إليه وجعل يلثمها ويقبل ثغرها وقد حنت جوارحه إليها ثم أحضرت له الشراب فسقته بيدها حتى سكر، فلما دق رأسه السكر أخرجت الكتاب من طي عمامته وكتبت غيره تقول فيه: (اعلم أيها الملك أن زوجتك الزاهدة قد طلعت بخلاف ظنك وقد ولدت ولدين أفطسين أسودين كل منهما يشبه الغول، أشبه الناس بسياس الخيل وقد شاع الخبر في المملكة حتى كثر الكلام في عرضك فإن لم تهلك القطعاء تفتضح، وقد عرفتك الحال ورأيك أعلى والسلام) ثم طوت الكتاب وتركته في طي عمامته ومضت بسبيلها، فلما كان بعد ساعة أفاق سلمق وطلبها فلم يجدها وخرج متوجهاً إلى الملك وقد خنق من غيظه، ولم يزل سائراً حتى وصل إلى الملك فرآه قد انتصر على عدوه وكان لسلمق صاحب في العسكر فلقيه فقال ما وراءك يا سلمق؟

قال: إنني أتيت الملك ببشارة تخصه بمولودين فقال له صاحبه قد أتيت في ساعته نصر وسعد وأرجو أن ينعم عليك بنعمة سنية فأنا شريكك في نصف ما يعطيك لتلك فقال رضيت، وسار سلمق حتى دخل خيمة الملك وسلم وقبل الأرض بين يديه فقال الملك: أهلاً بغلامي سلمق ما عندك من الخبر؟

فدفع إليه الكتاب فأخذه وفضه وقرأه فتغير لونه وتكدر خاطره وأمر أن يضربوه مائة جلدة، فقال: إن لي شريكاً فاجلدوني خمسين وصاحبي خمسين فضحك الملك من قوله وأطلق سبيله

ثم كتب جواب الكتاب يقول: يا أماه قد أتاني كتابك وتأملته وفهمت ما فيه ولكن بحياتي عليك لا يضيقن صدر الزاهدة فإن الله يصور في الأرحام ما يشاء، ثم ختمه وسلمه إلى سلمق فأخذه ومضى به حتى ردد المدينة ومر على دار زوجة التاجر فوجدها واقفة تنتظره، فلما رأته وثبت إليه وتظاهرت بمكرها وأظهرت له محاسنها وقالت: هكذا تتركني وتمضي عني وأنا في انتظارك فانعم إلى الدار، ثم دخلت ودخل معها فلما أجلسته أقبلت عليه تلاطفه في الكلام وتلاعبه وتمازحه وتقبله ثم أحضرت له شيئاً من الطعام فأكل حسب كفايته وطلب منها المواصلة فامتنعت وقالت: عليك بالشراب أولاً، ثم أخذت تسقيه حتى غلب عليه السكر فأخذت الكتاب وكتبت بدلاً له تقول فيه: (أما بعد السلام عليك يا أماه فإني قد وقفت على ما كتبت لي في حق الزاهدة فاعلمي إني قد رأيت مناماً في حقها إنها زانية فاجرة وقد ظهر لي أن أولادها ليس مني فحال وقوفك على كتابي قيدي هذه الفاجرة قيداً ثقيلاً وضعيها وأولادها في صندوق وسلميها إلى عبدي رشيد ليلقيها في البحر، ولا تظهري أمرها واكتمي أثرها إلى قدومي والسلام) ثم طوته وجعلته في طي عمامته وتركته وهربت عنه، فلما كان بعد ساعات انتبه سلمق من سكره فلم يرها فاغتاظ لذلك وقال في نفسه أنا لمن أعرف ما غرضها مني ثم مضى إلى دار الملك وسلم الكتاب فقرأته أم الملك وفهمت ما فيه وحزنت لذلك حزناً شديداً، ثم قامت إليها وقيدتها وغلت عنقها ووضعتها مع ولديها في صندوق زجاج ودعت برشيد وقالت له: خذ هذا الصندوق والقه بالبحر ولا تظهر هذا الأمر فأخذه رشيد ووضعه في شحتور وقصد به البحر فبينما هو سائر وإذ قد سمع ضجيجاً وتضرعاً من داخل الصندوق وقائلاً يقول هذه الأبيات: [البحر الوافر المجزوء]

تـغـلُّ يَـدي إلـى عُـنُـقـي ... ولا خـانَـتْ ولا سـرقَـتْ
وبـيـنَ جـوانِـحـي كـبـدٌ ... أُحُـسُّ بـهـا إذا احـترقَـتْ
وحـقِّـك يـا مـنَـى قـلـبي ... يَـمـيـنـاً بـالـذي عـشـقـتْ
فـلـو قـطَّـعْـتَـهـا قـطَـعـاً ... عـنِ الأحـبـابِ مـا افـترقَـتْ
فـيـا ربَّـاه لـي نـفـسٌ ... بـذكـرِك فـي الـجَـوى نـطـقـتْ
فـمـا ذَنْـبـي ومـا خَـطـأي ... وطَـاعـاتـي لـكـمْ صـدقـتْ

فلما سمع رشيد كلام الزاهدة علم أن في الصندوق شخصاً ففتحه فوجد فيه امرأة مقطوعة اليدين والرجلين ومعها ولدان فقال لها: أخبريني ما كان ذنبك حتى فعلوا بك هذه الفعال؟

فقالت: لا تسأل عما لا يعنيك، فعلم إنها مظلومة فقال: لا والله لا ألقيها في البحر فأكون مؤاخذاً بها، ثم سار إلى ساحل البحر وتركها وولديها هناك وملأ الصندوق حجارة ورماه في البحر ورجع.

وكان إلى جانبها شجرة عظيمة وعين ماء فجاءت إلى العين وتوضأت وأقبلت تعبد الله تعالى تلك الليلة إلى الصباح، فلما أصبحت إذا بشيخ راكب على أتان قد أقبل من قرية على ساحل

البحر فرأى الزاهدة ونورها يسطع، فتقدم وسلم عليها وقال: أيتها الصاحبة ما كان ذنبك حتى قطعت يداك ورجلاك ولأي شيء منفردة في هذا المكان؟

فقالت: هذا قضاء الله السابق في حكمه وعلمه ولكن من أنت ومن أين أقبلت وهل في هذا القرب قرية؟

فقال رجل حطاب أحطب الحطب وأبيعه في هذا القرية فقالت: بكم بيع الحمل؟

قال بثلاثة دراهم، فأخرجت خاتماً من الذهب وقالت: خذ هذا الخاتم فاحملني إلى معمورة واكسب الأجر والثواب. فقال: بسم الله انعمي، ثم حملها على أتانه وذهب بها إلى قرية هناك فلما وصل إلى القرية قال: هل تعرفين أحداً تمضين إليه؟

قالت: لا ولكن هل تعهد في هذه القرية مسجداً للعبادة؟

قال: نعم قالت: اذهب بي إليه، فأتى بها إلى المسجد وكان مسجداً مهجوراً فأدخلها فيه ومضى، وكان في القرية شيخ قد عمل بالحصاد ورجع إلى منزله فأتى في طريقه على ذلك المسجد فدخله للصلاة فوجد الزاهدة تعبد الله تعالى، فأعجبه حسنها وجمالها فمضى إلى بيته وأتى بطبق من الخبز وقدح من اللبن والزبد ووضعه بين يديها، فأكلت وحمدت الله تعالى ثم جاءت جارية الشيخ وأخذت الآنية، فلما كان وقت الظهر أتى صبيان جهال إلى المسجد فنظروا إلى الزاهدة وحسنها وجمالها فألقوا إليها كلاماً قبيحاً فزجرتهم فخرجوا عنها مغتاظين وقال بعضهم: إذا كان الليل نأتي إليها ونقهرها على نفسها فلما كان الليل أقبلوا إلى المسجد فأحست بهم فبسطت كفها إلى الله تعالى وتضرعت فطمس الله عليهم باب المسجد، فقال كبيرهم: ندخل عليها من السطح ونغصبها على نفسها ثم أراد أن يصعد السطح فسقط على وجهه وانكسر ظهره فبقي يصيح وهرب أصحابه، فلما أصبح أتاه أهل القرية فوجدوه مطروحاً وقد يئس من حياته، وكان ذلك الغلام ابن كبير القرية فسأله أبوه عن حاله فأخبره بقصته وما جرى له مع الزاهدة، فدخل أبوه إليها واعتذر منها وسألها أن تدعو الله أن يشفيه، فقالت: قدموه بين يدي، فأمرت يدها على ظهره فشفي من ساعته فتعجب منها كل من كان حاضراً وقالوا: مثل هذه الزاهدة لا يليق أن تكون في المسجد بل ننقلها إلى دورنا ونخلي لها بيتاً وتخدمها جوارنا ونساؤنا.

فقالت: لا أختار بيتاً على بيت لله، وكان أبو الغلام رئيس القرية وكبيرها فعمر ذلك المسجد واشترى أراضي كانت حول المسجد وغرس فيها أشجاراً وزرعها وأرسل إليها جارية لخدمتها، فصار لها في تلك القرية اسم عظيم وبقيت على ذلك أياماً وأهل القرية ينقلون إليها الأموال ويلتمسون دعاءَها حتى كانت أيام الشتاء فأتاها يوم بارد وكانت قد أصابتها نجاسة في قميصها فذهبت لتغسلها فأضرت بيدها وشق عليها ذلك فعادت إلى مكانها وانتصبت في محرابها ودعت الله تعالى أن يكشف عنها ما تجد من ألم بديها ورجليها ثم نامت ورأت في منامها قائلاً يقول:

ابشري بالعافية فإن الله قد رحم بكاءك وتضرعك وسيعود إليك ما عدم منك، فانتبهت من منامها وقامت إلى مصلاها وإذا بالخضر عليه السلام قد أقبل إليها ومسح على يديها ورجليها فشفيت من ساعتها ورد الله عليها يديها ورجليها كما كانت أولاً، فحمدت الله وشكرته على ما أعطاها وسمع بها أهل القرية فأتوا إليها فوجدوها صحيحة اليدين والرجلين فشاع ذكرها في سائر البلدان.

هذا ما جرى لها وأما ما كان من أمر الملك فإنه رجع إلى بلده مؤيداً منصوراً ودخل على أمه وسألها عن الزاهدة فقالت: إنك أرسلت إلي كتاباً أن أغرقها في البحر فغرقتها، فبهت الملك وقال يا أماه ما لي والله بهذا خبر بل إنك كتبت إلي تقولين: إن الزاهدة قد ولدت ولدين أفطسين أسودين وهما أشبه الناس بسياس الخيل.

فقالت له أمه والله ما لي بهذا خبر ولكن كتبت إليك إنها قد أتت بولدين لطيفين كأنهما قمرين وهما أشبه الناس بك وقد سميناهما بأحسن الأسماء، فلما سمع ذلك الملك غضب غضباً شديداً ومزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وقال: يا أماه أحضري لي أولادي وإلا أهلكت نفسي، فقالت له: اصبر ولا تجزع واحضر سلمقاً إليك واسأله من فعل هذا، فأمر بإحضاره فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الملك اتق الله في دمي. فقال الملك له: إن أخبرتني بالصحيح عفوت عنك أخبرني هل مررت على أحد غير الكتاب؟

قال: لا والله لا أدري ذلك سوى أني لما عزمت على السير اعترضتني في بعض الطريق امرأة بديعة الحسن والجمال وسقتني كأس الخمر حتى سكرت فلما انتبهت لم أرها وفعلت ذلك بي في المجيء والذهاب. فقال الملك: ويلك تعرفها؟

قال: لا والله، قال: أتعرف دارها؟

قال: نعم قال: امض بنا فنهض الملك من ساعته حتى وصل دار زوجة التاجر فأمر بإحضارها فعرفها سلمق فقال: يا مولاي هذه التي فعلت بي ما قلت لك. فقال لها الملك: أخبريني الآن بحقيقة الأمر وإلا قتلتك أشر قتلة. قالت: الآن حصحص الحق أنا الذي فعلت ذلك، ثم قصت عليه القصة من أولها إلى آخرها وإنها أخت زوجها وما فعلت ذلك بها إلا حسداً، فأمر الملك بها وبسلمق أن يسجنا حتى يظفر بزوجته وأولاده، ثم أحضر رشيداً وقال: ما فعلت بالتي كانت في صندوق الزجاج؟ فقص عليه القصة، فركب الملك مع خواص عسكره إلى ذلك الساحل حتى وصل إلى الشجرة والعين فقال رشيد: أيها الملك إني طرحتها هنا في هذا المكان، فإذا بصياد قد أقبل من القرية إلى الساحل فسأله الملك عنها فقال: أيها الملك أنا من أهل هذه القرية وسمعت أنه قد وردت إليها امرأة زاهدة على هذه الصفات ولها عندنا شأن.

فقال له الملك: أنعم بنا إليها، فسار الصياد والملك والجنود معه، فلما علم أهل القرية بالملك خرجت إليه المشايخ والرؤساء ودعوا له وقالوا له: لعل في خاطرك أن تمضي إلى

الزاهدة وتتبرك بدعائها، فسألهم عن حالها وحكوا له قصتها فقال: والله هذه زوجتي فتراكض أهل القرية إليها وأخبروها بالملك.

فقالت: والله أنه ليحبب علي أن أغلق باب المسجد ولا أدعه يدخل لأنه جائر يجور على عباد الله وقد جار علي وعلى أولاده، فأخبروا الملك بذلك فقال: والله ما لي ذنب بل فعلت زوجة أخيها ذلك.

ثم إنه دخل المسجد وسلم عليها وأخذ ولديه يقبلهما ويبكي فرحاً ويشكر الله تعالى بعافية يديها ورجليها وردها إليه، ثم جازى الحطاب والصياد بالجزاء الوافر وظعن بها إلى المدينة ففرحت أمه بها وقامت البشارة في المدينة، ثم أحضر الملك زوجة أخيه وأمر بقتلها فشفعت الزاهدة فيها فعفا عنها وعن سلمق، وبقي الملك مع الزاهدة ورزق منها أولاداً كثيراً ولزموا الطاعة حتى توفاهم الله تعالى إلى رحمته.

ما جرى لوزير اليمن مع أخيه

حكي: أن الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه، فأتي له بشيخ ذي هيبة ووقار ودين وعفة ليعلمه وأسكنه في منزل قريب منه، فأقام على ذلك مدة يأتي كل يوم إلى بيت الصاحب بدر الدين يعلم أخاه وينصرف إلى منزله، ثم إن الشيخ امتحن بمحبته ذلك الشاب وقوي غرامه به فشكا له يوماً حاله فقال له الشاب: ما حيلتي وأنا لا أستطيع مفارقة أخي ليلاً ولا نهاراً أما النهار فكما تراه ملازماً لنا وأما الليل فإن سريري مقابل سريره.

فقال له الشيخ: إن منزلي ملاصق لداركم فيمكن إذا غمضت عين أخيك وأخذه النوم أن تقوم لتستعمل ماء فتأتي إلى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس عندي جلسة لطيفة مقدار لحظة ثم تعود من غير أن يشعر أخوك بشيء فقال: سمعاً وطاعة، وتواعدوا على ليلة فجهز له الشيخ من التحف والطرف ما يليق بمقامه.

وأما الشاب فإنه أخذ مضجعه للنوم وأظهر أنه نائم، فلما نام الصاحب بدر الدين واستغرق وأمن من انتباهه قام الشاب ومشى خطوات وفتح باباً وتوصل منه إلى الحائط فوجد شيخه واقفاً ينتظره فتناوله وسار عنده في منزله وكانت ليلة البدر فجلسا وتنادما ودارت بينهما كاسات الشراب ممزوجة ببرد الرضاب، وانتشى الشيخ وأخذ في الغناء وقد رمى القمر جرمه عليهما وهما في مقام يجل عن الوصف إذ انتبه الصاحب بدر الدين فلم يجد أخاه فقام فزعاً ووجد الباب الذي استطرق منه مفتوحاً فقال: من هنا جاء الشر، فدخل منه وصعد الحائط فوجد نوراً ساطعاً من البيت فارتجم إلى السطح ونظر من دور القاعة فرآهما على تلك الحال والكأس في يد الشيخ وهو ينشد بأحسن صورة: [البحر الوافر]

سقاني خمرةً من ريقِ فيهِ وحيًا بالعذارِ وما يليهِ
وباتَ مُعانقي خدّاً بخدٍّ غزالٌ في الأنامِ بِلا شبيهِ
وباتَ البدرُ مطّلعاً علينا سلُوه لا ينِمُّ على أخيهِ

فكان من لطافة الصاحب بدر الدين أن قال: والله لا أنم عليكما وتركهما وانصرف.

المحبة مغناطيس القلوب

ومن الاتفاقات الغريبة: ما نقل أن بعض الناس كان يهوى شخصاً بديع الجمال يلقب ببدر الدين فاتفق أنه توفي ليلة البدر، فلما أقبل الليل وتأمل البدر لم يتمالك محبة رؤيته من شدة الأسف والحزن وأنشد: [البحر المتقارب]

شقيقُك غُيِّبَ في لحدِهِ وتطلعُ يا بدرُ من بعدِهِ
فهلّا كسفتَ وكان الكسوفُ لباسَ السوادِ على فقدِهِ

فكسف القمر من ساعته. فانظر إلى صدق هذه المحبة وتأثيرها في القمر وصدق من قال المحبة مغناطيس القلوب.

حكم الشاة الموطأة بكلب

روى شيخنا بهاء الملة والدين: أن أعرابياً سأل علياً فقال: إني رأيت كلباً وطأ شاة فأولدها ولداً فما حكم ذلك في الحل؟

فقال عليه السلام: اعتبره في الأكل فإن أكل لحماً فهو كلب وإن رأيته يأكل علفاً فهو شاة. فقال الأعرابي: رأيته يأكل هذا تارة ويأكل هذه تارة فقال: اعتبره في الشراب فإن كرع فهو شاة وإن ولغ فهو كلب، فقال الأعرابي: وجدته يلغ مرة ويكرع أخرى فقال: اعتبره في المشي مع الماشية فإن تأخر فهو كلب وإن تقدم أو توسط فهو شاة فقال: وجدته مرة هكذا ومرة هكذا. فقال: اعتبره في الجلوس فإن ترك فهو شاة وإن أقعى فهو كلب فقال: إنه يفعل هذا مرة وذاك أخرى. فقال: اذبحه فإن وجدت له كرشاً فهو شاة وإن وجدت له أمعاء فهو كلب، فبهت الأعرابي عند ذلك من علم أمير المؤمنين عليه السلام.

قصص في التعريض والتلميح

نقل: أن المنصور العباسي وعد الهذلي بجائزة سنية فحجا معاً ومرا في المدينة النبوية ببيت عاتكة وكان من عادة الهذلي أن لا يكلم الخليفة إلا جواباً فقال: يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة

التي يقول فيها الأحوص: [البحر الكامل]

يا بيتَ عاتكةَ التي أتغزّلُ　　حذرَ العِدى وبهِ الفؤادُ موكّلُ

فأنكر عليه أمير المؤمنين ذلك لأنه خالف عادته وتكلم من غير أن يسأل فلما رجع الخليفة استدعى بديوان الأحوص ونظر في القصيدة إلى آخرها ليعلم ما أراد الهذلي فإذا فيها:

[البحر الكامل]

وأراكَ تفعلُ ما تقولُ وبعضُهم　　مذقُ اللسانِ يقولُ ما لا يفعلُ

فعلم أنه أشار إلى هذا لبيت فتذكر ما وعده فأنجزه له واعتذر له من النسيان.

أقول: وهذا نوع من أنواع البديع يسمى التلميح، وربما سماه بعضهم التلميح بتقديم الميم.

تلميح دون تصريح

ونظير هذه الحكاية: ما نقل أيضاً أن أبا العلاء المعري كان يتعصب للمتنبي وحضر يوماً مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر أبي الطيب فتهضم المرتضى من جانبه فقال أبو العلاء: لو لم يكن له من الشعر إلا القصيدة التي أولها (لك يا منازل في القلوب منازل) لكفاه شرفاً وفضلاً، فغضب المرتضى وأمر به فحسب وأخرج، فعوتب المرتضى في ذلك فقال: أتدرون ما عنى بالبيت؟

قالوا: لا.

قال: إنما أراد أبي الطيب المتنبي في القصيدة: [البحر الكامل]

وإذا أتتْك مذمّتي من ناقصٍ　　فهيَ الشهادةُ لي بأنّي كاملُ

جواب لاذع

ومن هذا القبيل: أيضاً قصة السري مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضاً فإن كلا منهما كان من مداح سيف الدولة وجرى يوماً في مجلس سيف الدولة ذكر أبي الطيب فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه، فقال السري: أشتهي أن الأمير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده ويرسم لي بمعارضتها ليتحقق بذلك أنه أركب المتنبي في غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته التي مطلعها: [البحر الطويل]

لعينيكِ ما يلْقى الفؤادُ وما لقي　　وللحبِّ ما لم يبقِ منيّ وما بَقي

قال السري: فكتبت القصيدة واعتبرتها في تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبي الطيب، فعلمت أن سيف الدولة إنما قال ذلك لنكتة ورأيت المتنبي يقول في آخرها في ممدوحه سيف الدولة. [البحر الطويل]

إذا شاءَ أن يلْهو بلحيةِ أحمقٍ أراهُ غباري ثم قالَ له الحقِ

فقلت: والله ما أشار سيف الدولة إلا لهذا البيت، فخجلت وأعرضت عن المعارضة. ومن هذا الباب ما يطول نقله.

بعض أحوال القمر بالنسبة إلى غروبه

فائدة: قال بعض الأعلام اعلم أن القمر يغرب على مضي نصف سبع الليل من أول ليلة من الشهر، وفي الثانية على سبع كامل، وفي الثالثة على سبع ونصف، وفي الرابعة على سبعين وقس على هذا. ويطلع ليلة خامس عشر على مضي سبع، وفي سادس عشر على سبع كامل، وفي سابع عشر على سبع ونصف، وفي ثامن عشر على سبعين وقس على هذا وإن ضربت ماضي ليالي النصف الأول من الشهر في أربعة وأسقطت الخارج خمسة خمسة فلكل خمسة ساعة مضت من الليل عند غروب القمر إلى أربع عشرة ليلة من الشهر، وكذا إن ضربت الليالي الماضية من بعد عشرة في أربعة وأسقطت الخارج من الضرب خمسة خمسة حصل الماضي من الساعات الزمانية عند طلوع القمر وما بقي أقل من خمسة فهو أخماس ساعة، فإن بقي واحد فهو خمس ساعة وإن بقي اثنان فخمساً ساعة وهكذا.

أقول: الظاهر أن ما ذكره هذا البعض هو ما نقله جملة من أصحابنا منهم شيخنا الشهيد في الذكرى عن الجعفي من أصحابنا رحمهم الله قال في الذكرى في بيان انتصاف الليل ومعرفته فانحدار النجوم الطوالع عند غروب الشمس، والجعفي اعتمد على منازل القمر الثمانية والعشرين فإنه قال إنها مقسومة على ثلاثمائة وأربعة وستين يوماً لكل يوم منزل ثلاثة وعشرين يوماً فيكون الفجر مثلاً بسعد الأخبية ثلاثة عشر يوماً ثم ينتقل إلى ما بعده وهكذا، فإذا جعل القطب الشمالي بين الكتفين نظر ما على الرأس وبين العينين من المنازل فيعد منها إلى منزلة الفجر ثم يأخذ لكل منزلة نصف سبع قال: والقمر يغرب في ليلة الهلال على نصف سبع من الليل ثم يتزايد كذلك إلى ليلة أربع عشرة ثم يتأخر ليلة خمسة عشر نصف سبع وعلى هذا آخره قال وهذا تقريبي- انتهى.

معرة النعمان: ينسب إليها أبو العلاء المعري الضرير المشهور بالذكاء ومن العجب أنه مع ذكائه اختفت عليه الموجودات التي ليست مجسمة كالجواهر الروحانية فاعتقد أن كل موجود مجسم حتى قال: [البحر البسيط المجزوء]

قـالُـوا إلَـه لـنـا قـديـمٌ قـلـتُ لـهـم هـكـذا نـقـولُ
قـالُـوا قـديـمٌ بِـلا مـكـانٍ قـلـتُ لـهـم أيـنَ هـوْ فـقـولُـوا
هـذا الـكـلامُ لـنـا خـبـيّاً مـعـنـاه لـيـس لـنـا عـقـولُ

وقال أيضاً: [البحر البسيط التام]

يدٌ بخمسِ مئين عسجدٍ فُدِيَتْ ما بالُها قطعتْ في ربعِ دينارِ

فقال الرضوي الموسوي رضي الله عنه: [البحر البسيط التام]

صيانةُ النَّفسِ أغلَتْها وأرخَصها صيانةُ المالِ فانظرْ حكمَةَ الْباري

وذكر: أنه في آخر عمره تاب عن أمثال هذه المقالات واستغفر وحسن إسلامه.

للصاحب بهاء الدين زهير في توبة الإفلاس: [البحر السريع]

قالُوا فلانٌ قد أتى تائِباً واليومَ قد صلَّى مع الناسِ
قلتُ متَى كان وأنَّى له وكيفَ ينْسى لذَّة الكاسِ
أمسِ بهذي العينِ شاهدْتُه سكرانَ بين الوردِ والآسِ
ورحتُ عن توبتِه سائِلاً وجدتُها توبةَ إفلاسِ

الشريف ابن الهداية: [البحر الوافر]

يقولُ أبي سعيدٍ إذ رآني عفيفاً منذُ عام ما شرْبتُ
على يديّ شيخ قل لي فقلتُ على يدِ الْإفلاسِ تبْتُ

من شعر الصفي الحلي في وصف الربيع

للصفي الحلي في وصف الربيع: [البحر البسيط التام]

من نفخةِ الصّور أم من نفخة الصّورِ أحييْتَ يا ريُح ميْتاً غيرَ مقبورِ
أم من شذَى نسمةِ الفردوسِ حين سرَتْ على بليلٍ من الأزهارِ ممطورِ
أم روضُ وشمك أعدى عطرُ نفحتِه طيَّ النسيمِ بنشرٍ غيرِ منشورِ
والريحُ قد اطلعتْ فضلَ العنانِ به والغصنُ ما بين تقديمٍ وتأخيرِ
في روضةٍ نصبتْ أغصانَها وغدا دلُّ الصّبا بين مرفوعٍ ومجرورِ
والماءُ ما بين مصروفٍ وممتنعٍ والظلُّ ما بين ممدودٍ ومقصورِ
والريحُ تجري رخاءً فوق بحرتِها والماءُ منطلقٌ في زيِّ مأسورِ
قد جمّعتْ جمعَ تصحيحٍ جوانبُها والماءُ يجمعُ فيها جمعَ تكسيرِ
والريحُ ترقمُ في أمواجِه شبَكاً والغيمُ يرسمُ أنواعَ التصاويرِ
والنرجسُ الغضُّ لم تغضضْ نواظرُه فزهرُه بين منفضٍّ ومزرورِ
كأنه ذهبٌ من فوقِ أعمدةٍ من الزمرّدِ في أوراقِ كافورِ
والأقحوانُ زَها بين البهارِ بها مثلَ الدراهمِ ما بينَ الدنانيرِ
وزامرُ القومِ يطْوينا وينشرُنا بالنفخِ بالنّاي لا بالنفخِ في الصّورِ
وقد ترنَّمَ شادٍ صوتُه غَرِدٌ كأنّه ناطقٌ من حلقِ شحرورِ

شادٍ أناملُه ترضَى الأنامُ له إذا شدا وأجابَ أليمُّ بالزّيرِ

وله عطر الله مرقده ونور ضريحه : [البحر البسيط التام]

فيروزجُ الصّبحِ أم ياقوتةُ الشفقِ بدّتْ وهيّجتِ الورقاءَ في الورقِ
أم صارمَ الشوقِ لمّا لاح مختضِباً لما بَدا السّيْفُ محمراً من العلقِ
ومالتِ القضْبُ إذ مرَّ النسيمُ بها سكْرَى كما نبّه الوسنانَ من أرقِ
والغيمُ قد نشرتْ في الجوّ بردَتَه ستْراً تمدّ حواشِيه على الأفقِ
والسحبُ تبكي وثغرُ البرقِ مبتسمٌ والطيرُ يسجعُ من تيهٍ ومن شبقِ
فالطيرُ في طربٍ والسّحبُ في حربٍ والماءُ في هربٍ والغصنُ في قلقِ
وكلّل الطلُّ أوراقَ الغصونِ ضُحًى كما تكلّل خدُّ الخودِ بالعرقِ
وأطلقَ الطيرُ فيها سجْعَ منطقِه ما بين مختلفٍ فيه ومتّفقِ
والظلُّ يسرُقُ بين الدوحِ خطوتَه وللمياهِ دبيبٌ غيرُ مسترقِ
وقد بَدا الوردُ مفترّاً مباسمُه والنرجسُ الغضُّ فيها شاخصُ الحدقِ
من أحمرٍ ساطعٍ أو أخضرٍ نَضِرٍ أو أصفرٍ فاقعٍ أو أبيضٍ يققِ
وفاحَ من أرجِ الأزهارِ طيبُ شذًى نشرٌ تعطرّ منه كلُّ منتشقِ
كأنَّ ذكرَ رسولِ اللهِ مرّ بها فاكسبتْ أرجاً من نشرِه العبقِ

فيما ورد في صوت الحمام

غناء الحمائم : قالوا إن صوت الحمام يسمى الهدير بالراء والهديل باللام واختلفوا فيه هل هو بكاء أم غناء وغير ذلك، فمنهم من جعله بكاء وزعم أنها تبكي على فرخ لها صاده جارح على عهد نوح عليه السلام وما من جماعة إلا وهي تندبه وتبكي عليه إلى يوم القيامة، واسم هذا الطائر المذكور الهديل، وله ذكر في كلام العرب، أنشد الشيخ جمال الدين بن مالك في شواهد العربية قول الشاعر: [البحر الطويل]

على أنّني عند ممّا قدْ مَضى من الهجرِ عشرون حَوْلاً كَميلا
يذكّرُ نِيك حنينُ العجولْ وصوتُ الحمامةِ تدعُو هَديلا

وقال نصيب: [البحر الطويل]

فقلتُ أتَبْكي ذاتُ طوقٍ تذكّرتْ هَديلاً وقد أوْدى وما كان تبّعُ

ومنهم من جعله غناء، قال أبو شيبة الجرمي: [البحر الطويل]

ألا قاتلَ اللهُ الحمامةَ غدْوةً على الأيكِ ماذا هيّجتْ حينَ غنّتِ

تغنَّتْ غناءً أعجمياً فهيَّجَتْ ... من الشَّوقِ ما كانتْ ضُلوعي أجَنَّتِ

ومنهم من توقف فيه فلم يدر ما هو كابن المعتز حيث يقول: [البحر المنسرح]

بشرٌ بالصبحِ طائراً هتَفا ... مسترْقياً للجدارِ مشترِفا
مذكّرٌ بالصبوحِ صاحَ لنا ... كخطابٍ فوق منبرٍ وقَفا
أما ارتياحُه لِسَنا الصبحِ ... وأمّا على الدُّجى أسَفا

وقال الشيخ صفي الدين الحلي: [البحر الخفيف]

تمَّ بنشرِ الرّوضِ حنقُ الرّياحِ ... ونبّهَ الوُرقَ نسيمُ الصّباحْ
وقامَ في الدّوحِ لنعْي الدُّجى ... حمائمٌ تنظرُنا بالصّياحْ
مذْ ولدَ الصبحُ ومات الدُّجى ... صاحتْ فلم ندْرِ غنّى أم نُواحْ

وقال بعضهم: والذي يظهر لي والله أعلم أن ذلك يختلف باختلاف السامع فتارة يسمعه الخلي فيطرب ويسميه غناء وتارة يسمعه المشوق فيحزن ويسميه بكاء وقد صرح بذلك الوزير أبو نصر أحمد بن يوسف الماري حيث قال: [البحر الوافر]

لقد عرضِ الحمامُ لنا بسجعٍ ... إذا أصغَى لنا ركبٌ تَلاحا
هفَا قلبُ الخليِّ فقيلَ غنَّى ... وبرَّح بالشَّجيِّ فقيلَ نَاحا

هذا ما عليه مدار الشعراء وأمراء الكلام لا يخرج شيء في غالب نظمهم ونثرهم عن هذه الأقسام.

لابن المعتز: [البحر الوافر]

وصوتُ حمامةٍ سجعَتْ بليلٍ ... وقد حنَّتْ إلى إلفٍ بعيدِ
فما زلْنا نقولُ لها أعَيدي ... وللسّاقي الأهلْ من مزيدِ

بدر الدين يوسف الذهبي: [البحر السريع]

أبدَى حمامُ الأيكِ شجْواً فناحْ ... ولم يطقْ كتمانَ وجْدٍ فباحْ
أعربَ عن أشجانِه سحرةً ... فصاحَ عن ألحانِ شوقٍ فصاحْ
وليس من ناحَ على أيكةٍ ... كمن غدا من دمعهِ في نباحْ
وهبْه قد قاسَمني ما ألاقيهِ منَ الوجدِ وطولِ النياحْ
أليس إنّيَ قد كتمتُ الذي ... ما بيَ من سكرِ هوًى وهو باحْ
ماذا على طائرِ إيكِ الْحِمَى ... تبليغُ ما بي من جَوًى والنياحْ
وما عليهِ من جناحٍ إذا ... أعارَني نحو جَناحي جناحْ
لنا حديثٌ يا حمامَ الحِمَى ... توضِحُه الأشجانُ أيَّ اتّضاحْ

ألفتَ غصناً وأنا في الهَوى فقدتُ غصناً فوطّانا النواحْ
فهاتِ طارحني فكلٌّ غَداً منّا على غصنٍ تغنّى وصاحْ

حكاية الأصمعي مع الملك

نقل: أن بعض الخلفاء كان يحفظ الشعر من سمعه مرة وعنده مملوك يحفظه من سمعه مرتين وجارية تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلاً جداً، فكان الشاعر إذا أتاه بقصيدة قال له: إن كانت مطروقة بأن يكون أحد منا يحفظها فعلم أنها ليست لك فلا أعطيك جائزة وإن لم يكن أحد يحفظها فلك وزن ما هي فيه مكتوبة فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الملك ويقرأها، ثم يقول الملك وهذا المملوك يقرأها وقد سمعها مرة من الشاعر ومرة من الخليفة، ثم يقول وهذه الجارية تحفظها وقد سمعتها الجارية مرة من الشاعر ومرة من الخليفة ومرة من المملوك فتقرأها بحروفها ويترك الشاعر بغير شيء، وكان الأصمعي من ندمائه وجلسائه فنظم أبياتاً مستصعبة ونقشها على أسطوانة ولفها في ملاء وجعلها على ظهر بعير ولبس جوخة بدوية ومفرجة من قدام وضرب لثاماً لم تبن غير عينيه وجاء إلى الخليفة وقال: إني مدحت أمير المؤمنين بقصيدة: فقال: يا أخا العرب إن كانت لغيرك لا نعطيك لها جائزة وإلا نعطيك زنة ما هي فيه قال قد رضيت وأنشد يقول: [البحر الرجز المشطور]

صوتُ صفيرِ البلبلِ هيّجَ قلبَ الثَّملِ
والماءُ والزهَرُ معاً مع زهرِ لحظِ المُقلِ
وأنتَ يا سيّدي وسؤددي ومؤئلي
وكمْ وكمْ يتَّمنى غُزيل عقَنْقلي
قطفْتُ من وجنتِه بالوهمِ وردَ الخجلِ
وقلتُ بسْ بسْ بسّني فلم يجذ بالقُبلِ
وقالَ لا لا للَّلا وقد غَدا مهرولِ
وفتيةٍ سقونَني قهيْوة كالعسلِ
شممْتُها في أنفِ أزْكَى من القرنْفُلِ
في بُستيانٍ حسنٍ بالزهرِ والسّرولِلي
والعودُ دندَنْ دَدَنِ والطبْلُ طبْطَبْ طَبلي
والرّقصُ أرطبْ طِطبِ والشقْ شقشقْ شَقلي
شوَوا شِوا شُو شِوا على ورقِ السفرْجلِ
وغرّدَ القمريُّ يصيحُ من ملَلي من مَلَلي
فلو تَراني راكِباً على حمارِ أعزلِ

أمـشـي عـلـى ثـلاثـةٍ كـمـشـيـةِ الـعـرنـجـلِ
والـنـاسُ تـرجـمُـنـي بـالـسّـوقِ بـالـقـلّـلي
والـكـلُّ كـغـكـغـكـع لـي خـلـفـي ومـن حـولـلـي
لـكـنْ مـشـيـتُ هـارِبـاً مـن خـشـيـةٍ فـي عـقّـلـلي
إلـى لـقـاءِ مـلـكٍ مـعـظّـم مـبـجّـلِ
يـأمُـرُنـي بـخـلـعـةٍ حـمـراءِ كـالـدمّـلـملِ
أجـرّ فـيـهـا مـاربـاً يـنـعـدد كـالـدلّـلـي

فلم يحفظها لصعوبتها ونظر إلى المملوك ونظر إلى الجارية فلم يحفظ أحد منهما لأنه لم يسمعها إلا مرة واحدة، فقال الخليفة: يا أخا العرب هات التي هي مكتوبة فيه حتى نعطيك زنته. فقال: يا مولانا إني لم أجد ورقاً أكتب فيه وكانت عندي قطعة عمود رخام من عهد أبي وهي ملقاة في الدار ليست لي بها حاجة فنقشتها فيها، فلم يسع الخليفة إلا أن أعطاه زنتها ذهباً فنفذ جميع ما في خزانته من المال فأخذه وانصرف، فلما ولى قال: يغلب على ظني أن هذا الأصمعي فأحضره وكشف عن وجهه فإذا هو الأصمعي.

قصة أبي نواس مع الرشيد

من ظرائف أبي نواس: إنه بات عند الرشيد ذات ليلة ومحبوبة الرشيد عنده، فلما أرادوا النوم استأذن أبو نواس للانصراف فلم يأذن له، ونام الرشيد وقال لأبي نواس أدخل تحت رجلي السرير، فقال: لا أستطيع فقال: لا بد من ذلك، ففعل وانحصر حصراً عظيماً وقال في نفسه: كيف يأخذني نوم على هذه الحالة، وربما كان بين أمير المؤمنين ومحبوبته ما كان ويدري إني غير نائم فلا يحصل لي بسبب ذلك خير، وربما كان الأمر كذلك فإنها راودت أمير المؤمنين فامتنع وقال: ليس في الليلة قابلية على ذلك.

فقالت: لا بد من ذلك فإن لم يدخل أمير المؤمنين صبيحة غد الحمام وإلا ينقص مقامي من بين الجواري فقال: إن كان ولا بد من ذلك فكوني أنت من فوق فإني قد غلب علي الشراب ولا أستطيع الحركة، ففعلت ذلك وأبو نواس لم تعف عينيه ولم يهجع وهو يظهر النوم خوفاً من أمير المؤمنين، فلما كان من أمرهما ما كان ونزلت من فوقه فأراد الخليفة أن يعلم هل هو نائم أو يقظان فقال: يا أبا نواس قال: لبيك يا أمير المؤمنين قال: ما الوقت وهذا الأذان قريب أم بعيد؟

فقال: سل يا أمير المؤمنين الذي نزل من أعلى المأذنة، فضحك الخليفة فقال: أنا والله علمت إنه لم يكن لنا به حاجة.

امتحان الناصر وزيره أبا عامر في هداياه

حكي: أن الوزير أبا عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن عمر بن عيسى كان أهدي إليه غلام من النصارى لا تقع العيون على أحسن منه، فلمحه الناصر فقال: أنى لك هذا؟

قال: هو من عند الله فقال تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر: فاستعذر واحتفل في هدية بعثها إليه مع الغلام وقال له: كن داخلاً في جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي وكتب معه: [البحر الطويل]

أمولايَ هذا البدُر سارَ لأفقِكم ... وللأفُق أولَى للبدورِ من الأرضِ

وأرضيكُم بالنفسِ وهيَ نفيسةٌ ... ولم أرَ قبلي من بمهجتِه يُرْضي

فحسن ذلك عند الملك وتمكنت عنده مكانته، ثم أهديت بعد ذلك جارية للوزير من أجمل نساء الدنيا فخاف أن ينمى ذلك إلى الناصر فيطلبها فتكون كقضية الغلام فاحتفل في هدية أعظم من الأولى وأرسلها مع الجارية وكتب معها: [البحر الطويل]

أمولايَ هذي الشمسُ والبدرُ أولاً ... تقدّمُ كيْما يلْتقي القمرانِ

قرانٌ لَعَمْري بالسعادةِ ناطقٌ ... فدمْ منهُما في كوثرٍ وجنانِ

فما لهُما واللهِ في الحسنِ ثالثٌ ... ولا لكَ في كلِّ البريةِ ثاني

فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض الأعادي عند الملك وقال: إنه بقيت في نفسه من الغلام حزازة وإنه لا يزال يلمح بذكره حين تحركه الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول إليه. فقال الملك للواشي لا تحرك به لسانك والإطار رأسك، وعمل الملك حيلة فكتب على لسان الغلام رقعة فيها: يا مولاي تعلم أنك كنت لي على انفراد ولم أزل معك في نعيم وأنا وإن كنت عند السلطان مشاركاً في المنزلة مجاوراً ما يبدو من سطوة الملك فتحيل في استدعائي منه، وبعثها له مع غلام صغير السن وأوصاه أن يقوله له هي من عند فلان وإن الملك لم يكلمه قط، فلما وقف أبو عامر على الرسالة واستخبر الخادم أحس بالشر وكتب على ظهر الرقعة:

[البحر الطويل]

أمنْ بعدِ أحكام التجاربِ ينْبغي ... لدَى سقط العيرِ في غابةِ الأسدْ

وما أنا ممّن يغلبُ الحبُّ عقلَه ... ولا جاهلٌ ما يدّعيه أولُو الحمدْ

فإن كنتَ رُوحي قد وهبْتك طائِعاً ... وكيف تُرَدُّ الرّوحُ إنْ فارقَ الجسدْ

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد إلى استماع واش به ودخل عليه بعد ذلك فقال له: كيف خلصت من الشرك؟

فقال: لأن عقلي بالهوى غير مشترك.

ما جرى لبعض الصحابة عند موتهم

من كتاب معالم الزلفى: للمحدث العلامة السيد هاشم البحراني الديلي مرفوعاً إلى عبد الرحمن بن أغتم الأزدي حين مات معاذ بن جبل وكانت بنته تحت معاذ بن جبل وكان أفقه أهل الشام وأشدهم اجتهاداً قال: مات معاذ بن جبل بالطاعون فشهدته يوم مات والناس متشاغلون بالطاعون، قال: فسمعته حين احتضر وليس معه في البيت غيري وذلك في خلافة عمر بن الخطاب فسمعته يقول: ويل لي فقلت في نفسي: أصحاب الطاعون يهذون ويقولون الأعاجيب فقلت له: أتهذي؟

قال: لا. قلت: تدعو بالويل والثبور؟

فقال: لممالاتي عدو الله علي ولي الله قلت له: من هم؟

فقال: ممالاتي عتيقاً وعمراً على خليفة رسول الله ﷺ ووصيه علي بن أبي طالب فقلت: إنك لتهجر فقال: يا بن أغتم هذا رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب يقولان: أبشر بالنار أنت وأصحابك أفليس قلتم إن مات رسول الله ﷺ زوينا بالخلافة عن علي بن أبي طالب فلن يصل إليك فاجتمعت أنا وأبو بكر وعمر وابو عبيدة وسالم. قال قلت: متى يا معاذ؟

قال: في حجة الوداع قلت لهم: أنا أكفيكم قومي الأنصار واكفوني قريشاً ثم دعوت قومي على عهد رسول الله ﷺ على هذا الذي قلت فعاهدني عليه بشر بن سعد وأسيد بن الحصين فبايعاني على ذلك. فقلت: يا معاذ إنك لتهجر فألصق خده بالأرض فما زال يدعو بالويل والثبور حتى مات. قال ابن أغتم ما حدثت بهذا الحديث غير قيس بن هلال أحداً إلا ابنتي امرأة معاذ ورجلاً آخر، فإني فرغت مما رأيت وسمعت من معاذ قال ولقيت بالذي غمض أبو عبيدة وسالماً فأخبراني إنه جرى لهما كذلك عند موتهما لم يزد فيه وينقص حرفاً واحداً مثلما قال معاذ بن جبل.

قال سليم: حدثت بحديث ابن أغتم هذا كله محمد بن أبي بكر فقال: اكتم علي وأشهد أن أبي قد قال بعد موته مثل مقالتهم. فقالت عائشة: إن أبي يهجر قال ولقيت عبد الله بن عمر في خلافة عثمان وحدثته بما سمعت من أبي عند موته وأخذت عليه العهد والميثاق ليكتم علي، فقال لابن عمر: أكتم علي فوالله لقد قال أبي مثل مقالة أبيك ما زاد ولا نقص، ثم تداركها عمر: بعد وتخوف أن أخبر بذلك علياً بن أبي طالب عليه السلام لما علم من حبي له وانقطاعي إليه فقال: إنما كان يهجر فأتيت أمير المؤمنين عليه السلام: فأخبرته بما سمعت من أبي وما حدثني ابن عمر قال عليه السلام قد حدثني بذلك عن أبيك وعن أبيه وعن أبي عبيدة وسالم وعن معاذ من هو أصدق منك ومن ابن عمر فقلت: ومن ذاك يا أمير المؤمنين؟

فقال: من حدثني، فعرفت ما عنى فقلت: صدقت ما ظننت أن نسي حدثك وما شهد أبي وهو يقول ذلك غيري.

قال سليم قلت لابن أغتم مات بالطاعون فيما مات أبو عبيدة؟

فقال: بالديلة فلقيت محمد بن أبي بكر فقلت: هل شهد موت أبيك وغير أخيك عبد الرحمن وعائشة وعمر؟

قال لا قلت وسمعوا منه ما سمعت قال: اسمعوا منه طرفاً فبكوا وقالوا يهجر، فأما كلما سمعت فلا. قلت فالذي سمعوا ما هو؟

قال: دعى إلى النار فأدخل قال عمر يا خليفة رسول الله لم تدعو بالويل والثبور؟

قال: هذا رسول الله ﷺ مع علي عليه السلام يبشراني بالنار ومعه الصحيفة التي تعاهدنا عليها في الكعبة وهو يقول: قد وفيت بها وظاهرت على ولي الله فابشر أنت وربعك بالنار في أسفل السافلين، فلما سمعها عمر خرج وهو يقول: إنه ليهجر قال: لا والله ما أهجر أين تذهب؟

قال عمر: كيف لا تهجر وأنت ثاني اثنين في الغار!

قال: آه وأيضاً ألم أحدثك أن محمداً - ولم يقل رسول الله- قال لي وأنا في الغار: إني أرى سفينة جعفر وأصحابه تعوم في البحر. فقلت: أرنيها فمسح يده على وجهي فنظرت إليها فأضمرت عند ذلك أنه ساحر وذكرت لك ذلك بالمدينة فاجتمع رأيي ورأيك أنه ساحر، فقال عمر: يا هؤلاء إن أبا بكر يهذي فأخبوه واكتموا ما تسمعون منه لئلا يشمت بكم أهل البيت، ثم خرج وخرج أخي وخرجت عائشة ليتوضأ للصلاة فأسمعني من قوله ما لم يسمعوا فقلت له لما خلوت به: قل لا إلّه إلا الله قال لا أقولها ولا أقدر عليها أبداً حتى أرد النار فأدخل التابوت، فلما ذكر التابوت ظننت أنه يهجر فقلت: أي تابوت؟

فقال: تابوت من نار مقفل من نار فيه اثنا عشر رجلاً أنا وصاحبي هذا قلت عمر؟

قال نعم قل له عني أنه في جب من جهنم عليه صخرة قلت تهذي؟

قال لا والله ما أهذي لعن الله ابن صهاك هو الذي أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني فبئس القرين، ثم ألصق خده بالأرض فألصقت خدي بالأرض فما زال يدعو بالويل والثبور حتى غمضته ثم دخل عمر علي فقال: هل حدثك بعدنا شيئاً؟

فحدثته؟

فقال عمر: رحم الله خليفة رسول الله اكتم هذا كله فإن هذا كله هذيان وأنت من أهل بيت يعرف لكم الهذيان في موتكم. قالت عائشة: صدقت، ثم قال لي عمر: إياك أن يخرج منك شيء مما سمعت فيشمت بي ابن أبي طالب وأهل بيته. قال قلت لمحمد من تراه حدث أمير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء الخمسة بما قالوا؟

فقال رسول الله ﷺ: إنه يراه في كل ليلة في المنام ويحدثه في المنام مثلما يحدثه في اليقظة والحياة، وقد قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي في النوم ولا اليقظة ولا بأحد من أوصيائي إلى يوم القيامة» فقلت لمحمد: ومن حدثك بهذا؟

فقال: علي. قلت سمعته أيضاً منه وقلت لمحمد فملك من الملائكة حدثه؟

قال: أو ذلك، قلت: فهل تحدث الملائكة إلا الأنبياء؟

قال: أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾(١) ولا محدث، قلت: فأمير المؤمنين محدث قال: نعم وفاطمة محدثة ولم تكن نبية وسارة وكانت تعاين الملائكة فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

قال سليم فلما قتل محمد بن أبي بكر بمصر ونعي عزيت أمير المؤمنين وخلوت به فحدثته بما أخبرني به محمد بن أبي بكر وبما حدثني به ابن أغثم قال صدق محمد ﷺ أما أنه شهيد حي مرزوق، يا سليم إني وأوصيائي أحد عشر رجلاً من ولدي أئمة هدى محدثون قلت: يا أمير المؤمنين ومن هم قال: ابني الحسن ثم الحسين ثم ابني هذا - وأخذ بعضد علي بن الحسين وهو رضيع - ثم ثمانية من ولده واحداً بعد واحد، وهم الذين أقسم الله بهم (ووالد وما ولد) يعني هؤلاء الأحد عشر وصياً صلوات الله عليهم قلت يا أمير المؤمنين أيجتمع إمامان قال: لا إلا واحدهما صامت لا ينطق حتى يهلك الأول.

وروي: في مقتل عمر بن الخطاب عن ابن عباس وكعب الأحبار والحديث طويل وفيه: إنه قال عبد الله بن عمر: ولما دنت وفاة أبي كان يغمى عليه تارة ويفيق أخرى، فلما أفاق قال: يا بني أدركني بعلي بن أبي طالب قبل الموت فقلت: وما تصنع بعلي بن أبي طالب وقد جعلتها شورى وأشركت معه غيره قال: يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول «في النار تابوت يحشر فيه اثنا عشر رجلاً من أصحابي»، ثم التفت إلى أبي بكر وقال احذر أن تكون أولهم، ثم التفت إلى معاذ بن جبل وقال: إياك يا معاذ أن تكون الثاني، ثم قال: إياك يا عمر أن تكون الثالث، وقد أغمي علي يا بني ورأيت التابوت وليس فيه إلا أبو بكر ومعاذ بن جبل وأنا الثالث لا شك فيه.

قال عبد الله: فمضيت إلى علي بن أبي طالب وقلت: يا بن عم رسول الله إن أبي يدعوك لأمر قد أحزنه فقام علي عليه السلام فلما دخل عليه قال يا بن عم رسول الله أما تعفو عني وتحللني عنك وعن زوجتك فاطمة وأسلم لك الخلافة؟

فقال له علي عليه السلام: نعم غير إنك تجمع المهاجرين والأنصار وأعطي الحق الذي خرجت عليه من ملكه وما كان بينك وبين صاحبك من معاهدتنا وأقر لنا بحقنا فاعفو عنك وأحلك وأضمن لك عن ابنة عمي فاطمة.

قال عبد الله: فلما سمع أبي حول وجهه إلى الحائط وقال النار يا أمير المؤمنين ولا العار، فقام علي عليه السلام وخرج من عنده فقال له ابنه: لقد أنصفك الرجل يا أبت فقال له: يا بني أنه أراد أن ينشر أبا بكر من قبره ويضرم له ولأبيك النار وتصبح قريش موالين لعلي بن أبي طالب، والله لا

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢.

كان ذلك أبداً. ثم قال علي لعبد الله بن عمر: ناشدتك الله يا عبد الله بن عمر ما قال لك أبوك حين خرجت من عنده؟

قال: أما إذا ناشدتني الله ما قال لي بعدك فإنه قال لي: أن أصلع قريش يحملهم على المحجة البيضاء ويقيمهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم. قال: يا بن عمر فما قلت له عند ذلك؟

قال: قلت له فما يمنعك أن تستخلفه؟

قال: وما ردَّ عليك؟

قال: ما ردَّ عليَّ أكتمه قال عليه عليه السلام: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني في حياته ثم أخبرني ليلة وفاته فأنشدتك الله يا بن عمر إن أنا أخبرتك به لتصدقني؟

قال: إذا سألت قال لك حين قلت له فما يمنعك أن تستخلفه قال يمنعني الصحيفة التي كتبناها بيننا والعهد في الكعبة، فسكت ابن عمر فقال له علي عليه السلام سألتك بحق رسول الله صلى الله عليه وآله لما سكت عني.

قال سليم رأيت ابن عمر في ذلك المحل قد خنقته العبرة ودمعت عيناه ثم إن عمر تأوه ساعة ومات آخر ليلة التاسع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وقيل لأربع بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة، والأصح الأول، وله يومئذ ثلاث وسبعون سنة.

قاعدة في النجوم

فائدة: قال شيخنا المجلسي قدس الله سره في كتاب البحار والجعفي رحمه الله جعل بناء استعلام زوال الليل تارة على منازل القمر المعروفة بين العرب، ولعله حمل الخبر عليه، وتارة على غروب القمر وطلوعه أما الأول فلأن العرب قسموا مدار القمر ثمانية وعشرين قسماً وضبطوا حدود تلك الأقسام بكواكب وسموها منازل القمر، وهي التي اشتملت عليها هذه الأبيات بالفارسية، ثم نقل أبياتاً تتضمن عدد المنازل الثمانية والعشرين بالفارسية ونحن ننقلها كما نظمها بعضهم بالعربية وهو قوله: [البحر الطويل]

شرطْنا بطيناً للثريّا بأدبارٍ بهقعةٍ ... هـنـعْ درعُـهـا فـصـلُ أزهـارِ
نثْرنا لطرفِ الجبهةِ الزبرةِ الّتي ... صرفْنا لعوا سمْكها صيفِها النارِ
غفرْنا زبان إكليلِ قلبِ لشولةٍ ... لغائمِ بلدٍ للخريفِ فكنْ داري
ذبحْنا بلعْنا سعْدنا في جنائِنا ... فقدّمْ وأخرْ بطنَ حوتَ شتاطاري

ثم قال قدس الله سره ومدة قطع الشمس تلك المنازل ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وشيئاً، فإذا قسمت على المنازل يقع بإزاء كل منزلة ثلاثة عشر يوماً وشيء فإذا حصل الإطلاع على منزل الشمس من تلك المنازل يمكن استخراج ما مضى من الليل وما بقي منه بملاحظة المطالع

والمنحدر والمغارب من تلك المنازل تقريباً بأدنى تأمل، إذ عند غروب الشمس يكون المنزل السابع من المنزل الذي فيه الشمس على نصف النهار والرابع عشر على المشرق، وفي كل نصف سبع من الليل تتفاوت بقدر منزل، فيكون التفاوت في ربع الليل بقدر ثلاثة منازل ونصف وفي نصف الليل بقدر سبعة منازل، وعلى هذا القياس أيضاً تقريبي لاختلاف مدار الشمس والقمر وجهات أخر، فلو حملنا الخبر عليه حملنا النجوم على نجوم المنزل يكون مقابلاً للمنزل الذي فيه الشمس.

وأما الثاني: وهو بناء الأمر على غروب القمر في أوائل الشمس وطلوعه في أواخره فضابطه أن يضرب عدد ما مضى من الشهر إلى الرابع عشر أو من الخامس عشر إلى الثامن والعشرين في الستة وقسمة الحاصل على السبعة، فالخارج في الأول قدر الساعات المعوجة الماضية من الليل إلى غروب القمر وفي الثاني قدر الساعات المذكورة إلى طلوعه. مثاله: إذا ضربنا الأربعة في الستة حصل أربعة وعشرون، فإذا قسمناها على السبعة خرج ثلاثة وثلاثة أسباع ساعة، فيكون غروب القمر في الليلة الرابعة وطلوعه في الثامنة عشر بعد ثلاث ساعات وثلاثة أسباع ساعة، وكذلك إذا قسمنا الحاصل من ضرب الخمسة في الستة وهو الثلاثون على السبعة خرج أربعة وسبعان، فغروب القمر في الليل الخامسة وطلوعه في التاسعة عشرة بعد أربع ساعات وسبعي ساعة وهكذا. وهذا أيضاً تقريبي للاختلاف بسبب كثرة الزمان بين خروج الشعاع وأول ليلة الغرة وقلّته وغيرهما.

بديع الجمال

قيل: اجتمع السراج الوراق مع أبي الحسين الجزار مع ابن الفقيسي فمر عليهم مليح بديع الجمال فقال السراج الوراق: [البحر الوافر]

شمائلُه تدلُّ على اللّطافَهْ   وريقتُه تنوبُ عن السّلافَهْ

فقال الحسين الجزار: [البحر الوافر]

وفي وجناتِه وردٌ ولكنْ   عقاربُ صدْغِه منعتْ قطافَهْ

فقال أبي الفقيسي: [البحر الوافر]

فلوْ أعطى الإمارةَ ذو جمالٍ   لحقَّ له بأنْ يُعطى الخلافَهْ

شواهد على المحب

دخل: سعيد بن حميد على الحسن بن مخلد وبين يديه غلمان له حسان فتناول الدواة وقطع ورقة وكتب: [البحر الكامل]

وزعمْتُ إنّك لا تلوطُ فقلْ لنا هذا المقرْطَقُ واقفٌ ما يصنعُ
شهدت محاسنُه عليك بريبةٍ وعلى المحبِّ شواهدٌ ما تدفعُ

قصة الأحنف مع الرشيد

حكى الأصمعي: قال: كان الرشيد يحب جارية اسمها حنان فنظم فيها ذات ليلة بيتاً من الشعر ورام أن يشفعه بآخر فامتنع عليه القول وأجهد صنفه سعد بن عبد الله عن محمد بن عبد الجبار عن الإمام العسكري عليه السلام قال سئل أبو عبد الله الصادق عليه السلام عن أبي هاشم الصوفي الكوفي قال: إنه فاسد العقيدة جداً وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف وجعله مقراً لعقيدته الخبيثة. ورواه بطريق أخرى في بعضها أنه قال: وجعلها مقراً لنفسه الخبيثة قال قدس الله سره: وهذا الكتاب قد وقع بيدي بخط مصنفه إلى أن قال مؤلف هذه الحديقة أن الشيخ المفيد وابن بابويه وابن قولويه يقولون: إن هذه الطائفة الضالة من الغلاة وإن الشيخ محيي الدين العربي والشيخ عزيز النسعي وعبد الزراق الكاشي قائلون بوحدة الوجود، فإن كل موجود فهو الله أعوذ بالله من هذه الأقاويل.

السنة بدعة والبدعة سنة

ومن الكتاب المذكور: نقل السيد المرتضى ابن الداعي الحسيني الرازي رحمه الله عن الشيخ المفيد عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد عن أبيه سعد بن عبد الله عن محمد بن عبد الجبار العسكري عليه السلام إنه كلم أبا هاشم الجعفري فقال: يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة وقلوبهم مظلمة متكدرة، السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة، المؤمن بينهم محتقر والفاسق بينهم موقر، أمراؤهم جابرون وعلمائهم في أبواب الظلمة سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء، كل جاهل عندهم خبير وكل محيل عندهم فقير، لا يميزون بين المخلص والمرتاب ولا يعرفون الضان من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف، وأيم الله أنهم من أهل العدول والتحرف يحبون مخالفينا ويقلون شيعتنا وموالينا، فإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشا وإن خذلوا عبدوا الله على الرياء، ألا إنهم قطاع طريق المؤمنين والدعاة إلى كلمة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم ولينصر دينه وإيمانه. ثم قال: يا أبا هاشم بهذا حدثني أبي عن آبائه: [البحر الوافر]

وطبْ نفْساً فإنّ الليلَ حُبْلَى عسَى يأتيك بالولدِ النجيبِ

كان للسنجاري صاحب انقطع عنه أياماً فعاتبه بالكتاب، فكتب إليه صاحبه شعراً:

[البحر الخفيف]

لا تزرْ مَنْ تحبُّ في كلِّ شهرٍ غيرَ يوم ولا تزده عليهِ
فاجتلاءُ الهلالِ في الشهرِ يومٌ ثم لا تنظرُ العيونُ إليهِ

فقال في جوابه: [البحر الوافر]

إذا حققتَ من خلٍّ وداداً فزرْه ولا تخفْ منه مِلالا
وكنْ كالشمسِ تطلعُ كلَّ يوم ولا تكُ في زيارتِه هِلالا

لله في خلقه شؤون

قال الأصمعي: العميان أكثر الناس نكاحاً، والخصيان أشد الناس أنصاراً لأنهما طرفان ما نقص من أحدهما زاد في الآخر.

شفاعة الشفيع

لبعضهم وقد أجاد

ما منْ شفيعٍ وإنْ تمّتْ شفاعتُه يوماً بأنجحَ في الحاجاتِ من طبقِ
إذا يلثّمُ بالمنديلِ منطلقاً لم يخشَ صولةَ ثوّابٍ ولا غلقِ

قضاء حاجته

قال رجل لبعض الأمراء: وعدتني كذا؟

فقال: ما أذكره. فقال الرجل: عدم ذكرك له لأن من وعدته كثير وأنال لا أنساه لأن من أسأله قليل فاستحسن ذلك منه وقضى حاجته.

قال الحكماء: وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل.

لبعضهم: [البحر المنسرح]

وشادنٍ في الوصالِ جادَ لنا وعندَ نيلِ الوصالِ جادَ لنا
وبرقعَ الحسنِ قد أماطَ لنا سألته قبلةً فماطَلنا

قصيدة الخطي في مدح الأمير عليه السلام

للشيخ علي بن حبيب الخطي في مدح أمير المؤمنين عليه السلام: [البحر البسيط التام]

سمْعاً مهنهفةَ الهفوفِ من هجرِ أنغمةُ الصوتِ ذي أم ربةُ الوترِ

وذا الذي عطّر الآفاقَ فائحةً ترديدُ أنفاسكِ أم نفحةُ العطرِ
وصفحةُ الوجدِ تبدو منك مسفرةً أم قرصُ شمسِ الضُحى أم غرّةُ القمرِ
وذا الذي فوقَ متنِ الظهرِ منسدلٌ سترُ الدّجى مرتخٍ أودجنّةُ الشعرِ
وذي الوجنةِ الحمراءِ خدّك أم نارٌ بثلجٍ فلا تُدعا من القدرِ
وذا هو الخالُ فوق الخدّ كوّنَ أم قيراطُ مسكٍ مليحِ الكونِ والقدرِ
وذي ثغورُك في فيك العقيّقِ أم عقدٌ من البردِ المنظومِ والدّررِ
وذا الذي فوقَ ملعوسِ الشفاهِ جرى رحيقُ ريقِك أم صهباءُ معتصرِ
وذا هو الجيدُ مصقولُ الجوانبِ أم سبيكةُ الفضةِ المنزوعةِ الكدرِ
وذاك نهداك في بلّورِ صدركِ أم رمّانتان هُما من أحسنِ الثمرِ
وذا الحريرُ أم البطنُ الخميصُ على الخصرِ النحيلِ كخصرِ النحلِ مختصرِ
وذا الذي خلفكِ ضاق الازارُ به مرتجٌّ كفلِك أم حقفٌ من المدرِ
وذا الرطيبُ الذي ماسَ النسيمُ به أفلوذُ غصنكِ أم ذي بانةُ الشجرِ
وإنْ بخلتِ على من سَنّ ساحتَكِ برشفِ خمرِ التّداني يرض بالنظرِ
كم ذا أخاطبْك جهْراً فلم تحي ألنتِ سكرانةٌ أم ذا من البطرِ
فمن أحلَّ لك قتلَ الأسيرِ ومن أفتاكِ في قتلِ من يهواكِ لا تجري
فنادمي وذري كأسَ المدامِ معي فنعسُ طرفِك الجاني إلى السُهرِ
لا أختسي الكأسَ واسقيني بقيّتَه اللهُ اللهُ في نفسِي وفي عُمري
قلبي عليكِ يُضاهي الماءَ رقّتَه وقلبكِ خلتُه أقسَى من الحجرِ
إذا دنوتُ إلى لقياكِ تبْتعدي وإن سألتُك وصْلاً منك تنْتهري
منّي بوصلٍ ولو بالطّيف زائرة ليرضى بالطلّ من لم يَخْضَ بالمطرِ
لا غروَ لو سحرتْ عيناكِ مفتتناً فقوسُ حاجبيكِ يرْمي بِلا وترِ
وذا الطفيلُ رقيقُ الحدّ أنفُك أم سيفٌ كسيفِ عليٍّ سيدِ البشرِ
مروي البواترِ من دمِّ العساكرِ جزّارُ الخناجرِ مولَى الفتحِ والظفرِ
قرمُ الحروبِ وكشّافِ الكروبِ وعلام الغيوبِ جمالُ الآيِ والسورِ
وهو العبوسُ إذا اصطادَ النفوسَ وحاصدُ الرؤوسِ من يلُ البؤسِ والحذرِ
وهو الرؤوفُ ووهّابُ الألوفِ وأخّاذُ الألوفِ أسارَى أخذَ مقتدرِ
بحرُ الفواضلِ ينبوعُ الفضائلِ حلالُ المشاكلِ أوجُ المجدِ من مضرِ
وهو العطوفُ على الملهوفِ والملكُ المعروفُ بالفضلِ والمعروفُ بالغيرِ
ليثُ الجهادِ ومصدامُ الجيادِ ومقدامُ الجلادِ ومهدِي القومِ للحفرِ
مُبدي السرائرِ في روسِ المنابرِ مصباحُ المشاعرِ فجرُ الحجرِ والحجرِ

ومظهرُ الدينِ كهفُ المسلمينَ أميرُ المؤمنينَ وجالي ظلمةِ الحيرِ
وهو المبينُ محكُّ العالمينَ ملاذُ الهالكينَ مجيرُ الخلقِ من سقرِ
ووارثُ الأنبياءِ والمرسلينِ إمامُ المتقينَ وأعلى خيرةِ الخيرِ
سلِ المحاريبَ عنه والحروبَ هو الضّحاكُ في الحربِ والبكاءُ في السحرِ
مُعطي الأسيرِ وصوّام الهجيرِ على قرصِ الشعيرِ وابُّ السادةِ الغررِ
طهرٌ بشوشٌ عبوسٌ ليّنٌ خشنٌ مُحيي مميتٌ وليُّ النفعِ والضررِ
إنْ جالَ ساقطتِ الهاماتُ راحتَه أو جادَ يسقطُ منها الجودُ كالمطرِ
مُردي القرونِ وساقِيها المنون وفتاحُ الحصونِ نصيرٌ أيّ منتصرِ
فتلك سلْعٌ فسلْها عن شجاعتِه واستخبرنْ خيْبراً تخْبرك بالخبرِ
وسلْ تَبوكَ ومُردي العنكبوت وداعي ذا الخمارِ بدمّ النحرِ متّزرِ
وكم بصفينَ من صفٌ فنى ولكمْ أبادَ حزْباً لذي الأحزابِ مع زجرِ
كمْ عنه من نفرٍ خوفَ الرّدى نفرُوا وكم أسودٍ تولّت عنه كالخمرِ
وعمرَ عمرو بن ودٌ قصَّه وسقَى مرّ الرّدى مرةً بالصارمِ الذكرِ
المرتضى الفارسُ الكرارُ والأسدُ المغوارُ سيدُ أهلِ البدوِ والحضرِ
وعيبةُ العلم بيتُ الحلمِ سيد أهلِ الحكمِ قالعُ أساسِ الظلمِ والبطرِ
صنْوُ النبيِّ وفادِيه بمهجتِه فوقَ الفراشِ وما فيه من الحذرِ
الفلكُ والبابُ داحي البابِ حامل العقابِ عابُ الحربِ أيّ جري
خليفةُ المصطفى الرّاقي لمنكبِهِ فانظرْ لمركبِه يا صاحبَ الفكرِ
قاضي القضايا وذو علم البَلايا وطلاعُ الثّنايا وراقي ذروةِ الخطرِ
وافي النذورِ الفتى الليثُ الصبورُ ممدوحُ الزبورِ ومولى الصبورِ والزبرِ
وليُّ ربِّ السّما داعيه آيتُه الكبرى وحجتُه العُظْمى على البشرِ
ثوّابُ رحمتِه سيّافُ نقمتِه خزّانُ حكمتِه أغلوطةُ القدرِ
يا رافِعاً رايةَ الإسلام ناصبَها وجازِماً حركاتِ الكفرِ بالشررِ
لولاكَ لم تخلقِ الأفلاكُ ولا الأملاكُ مع سائرِ الأرواحِ والصورِ
أبلغْ حبيبَ حبيبِ اللهِ وارثَه إنَّ ابن نجلِ حبيبِ من عِداكَ بَري
جد بالقبول عليه بالوصول إلى المسؤول مع غاية المأمول والوطر
إذا قَلا وهَجا ضدٌّ إلى ملكٍ مثنٍ عليه فبالإكرامِ منه حَري
واشفعْ لمن ذلّني طفلاً عليك معاً من فيك شاركني يا خيرَ مدّخرِ
فانجزِ الوعدَ يابن العسكريِّ فقد طالَ انْتظاري فقمْ يا خيرَ منتظرِ
صلّى الإلهُ عليكم ما على شجرٍ طيرٌ علا أو تغنّى ساحةَ الشجرِ

منتخبات من شعر أبي الحسن البحراني

لشيخنا أبي الحسن الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني قدس سره: [البحر البسيط التام]

هاجَتْ لبينِكم تلك الصباباتُ   يا جيرةً في بيوتاتِ الصَّبا باتوا
بتّيتم حبلَ وصْلي بتّه فبها   لم يبقَ من عيشتي إلا صباباتُ
فَرَيْتمُ كَبِداً عَطْشَى بحبّكمُ   والمرْتَجى منكم تلك الكراماتُ
أشمتُّمُ بي من أفرغتُه زمَناً   لو أبصروا طيفَ شخصي في الكراماتُ
يا سائرين بِروحي في هوادِجهم   توقّفوا في فلي في الظعنِ حاجاتُ
بتّمْ ولم يقضِ زيدٌ منكم وطَراً   ولا تقضّتْ ليعقوبٍ لباناتُ
هلا عطفتمْ على نظرٍ لواعجَه   لا تنطفي وله في الركبِ ساداتُ
قد هامَ وجداً بهمْ جَهْراً وحقَّ له   فهمْ بدورٌ لها في الحسنِ هالاتُ

وله قدس الله سره متضمناً [البحر البسيط التام]

وغادةٍ ملكتْ قلبي بأجمَعه   غرّاءُ ما شانَها عيبٌ ولا كدرُ
لوزيّةُ الوجهِ يحكي اللّدنَ قامتُها   محمودةُ الذلّ لا طولٌ ولا قصرُ
منّتْ بطيبِ اللّقى خدْعا فهمتُ بها   حتى الهيامِ فلا سمعٌ ولا بصرُ
فظلتُ أرقبُ ما منّتْ وما وعدَتْ   فخيّبَتْني فلا عينٌ ولا أثرُ
قالتْ وقد عانيتُ وجْدي بها هُزُواً   ما أنتَ أولُ سارٍ غرّه قمرُ

وله تغمده الله برحمته في مدح شيخه البهائي رحمه الله: [البحر البسيط التام]

عشْ يا بهائيُّ في دارِ السلامِ وردْ   عينَ الحياةِ وذقْ صهباءَها وطِبِ
واشهدْ هناك خيامَ الظّاعنين ونلْ   ما رمتَ من وصلِ أهلِ الفضلِ واقتربِ
هذا هو الفضلُ فاصعدْ في مدارجِهِ   في عالمِ الأمرِ فوق السبعةِ الشهبِ

وله أيضاً طيب الله مضجعه مضمناً [البحر الوافر]

لقدَ هجرَ الشّبابُ وبانَ عنّا   على رغمٍ ولازمَنا المشيبُ
فبانَ ببينُ ذاك سرورُ نفسي   وزادَ بوصلِ ذا العجبُ العجيبُ
فلي إنْ تسألي ليلٌ طويلٌ   ويومٌ بعدَ فرقتِه عصيبُ
وقد ناديتُه أن عدْ سَريعاً   رَعاكَ اللهُ لكنْ لا يُجيبُ
أقولُ وقد بَراني الشيبُ بَرْيِ القدحِ وكظني الدهرِ المريبُ
ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً   فأخبرُه بما فعلَ المشيبُ

وله نور الله مرقده مضمناً [البحر الطويل]

أقولُ وقد هامَ المحبّون بالسُّرى　　وطيِّ الفيافي بكرِها وعوانِ
ألا أيُّها السّارون في طرقِ الهَوى　　إلى خيرِ قدسٍ في أجلِّ مكانِ
أما ترقبُوني كي تزولَ عوائِقي　　فأشركَكم في ذلك الوَحدانِ
أهمُّ بأمرِ الحزمِ لا أستطيعُه　　وقد حيلَ بينَ العيرِ والنّزوانِ

ما جرى بين الإمام الصادق وهشام

روى السيد الجليل ذو المقامات والكرامات رضي الدين بن طاوس في كتاب الأمان من أخطار الأسفار والأزمان نقلاً من كتاب دلائل الإمامة تأليف أبي جعفر بن رستم بن جرير الطبري الإمامي من أخبار معجزات مولانا محمد بن علي الباقر عليه السلام ذكر بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق فقال جعفر بن محمد عليه السلام: الحمد لله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً وأكرمنا به، فنحن صفوة الله وخلفاؤه على عباده وخيرته من خلقه، فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا وخالفنا.

قال: فأخبر مسلمة أخاه بما سمع، فلم يتعرض لنا بشيء حتى انصرفت إلى المدينة فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بأشخاص أبي وأشخاصي معه فأشخصنا، فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً ثم أذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا وإذا قد قعد على سرير الملك وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم سماطين متسلحين وقد نصب البرجاس حداه وأشياخ قومه يرمون، فلما دخلنا وأبي أمامي وأنا خلفه فنادى أبي وقال يا محمد ارم مع أشياخ قومك الغرض فقال: إني قد كبرت عن الرمي فإن رأيت أن تعفيني.

فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد صلى الله عليه وآله لم أعفك، ثم أومى إلى شيخ من بني أمية أن أعطه، فتناول أبي عند ذلك القوس ثم تناول فشق فواق سهمه إلى نصله، ثم تابع الرمي حتى شق تسعة أسهم بعضها في جوف بعض وهشام يضطرب في مجلسه، فلم يتمالك أن قال: أجدت يا أبا جعفر وأنت أرمى العرب والعجم كلا زعمت إنك كبرت عن الرمي، ثم أدركته ندامة على ما قال، وكان هشام لم يكن أحد قبل أبي ولا بعده في خلافته فهم به وأطرق إلى الأرض يتروى فيه وأنا وأبي واقف حذاءه مواجه له.

فلما طال وقوفنا غضب أبي فهم به وكان أبي عليه وعلى آبائه السلام إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يتبين الناظر الغضب في وجهه، فلما نظر هشام إلى ذلك من أبي قال له: إليَّ محمد. فصعد أبي السرير وأنا أتبعه، فلما دنا من هشام قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه ثم اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي، ثم أقبل على أبي بوجهه فقال له: يا محمد لا يزال العرب والعجم تسود قريش إذ كان فيهم مثلك لله درك من علمك هذا الرمي وفي كم تعلمته؟

فقال: إني قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتي ثم تركته فلما أراد أمير المؤمنين مني ذلك عدت فيه. قال له: ما رأيت مثل هذا الرمي قط مذ عقلت ولا ظننت أن أحداً في الأرض يرمي مثل هذا الرمي، أيرمي جعفر مثل رميك؟

قال: نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله تعالى على نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١) والأرض لا تخلو ممن يكمل هذه الأمور التي يقصر غيرنا عنها.

قال: فلما سمع ذلك من أبي انقلبت عينه اليمنى فاحولت واحمر وجهه وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب، ثم أطرق هنيئة ثم رفع رأسه فقال: ألسنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد؟

فقال أبي: نحن كذلك ولكن الله جل جلاله اختصنا من مكنون سره وخالص علمه بما لم يختص به أحداً من غيرنا فقال: أليس الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ من شجرة مناف كافة أبيضها وأسودها وأحمرها، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول الله ﷺ مبعوث إلى الناس كافة وذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢) إلى آخر الآية، فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد نبي ولا أنتم أنبياء؟ فقال: من قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾(٣) من الله أن يخصنا به من دون غيرنا، فلذلك كان ناجى أخاه علياً من دون أصحابه فأنزل الله بذلك قرآناً في قوله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾(٤) فقال رسول الله ﷺ: سألت الله أن يجعلها اذنك يا علي»، فلذلك قال علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة: علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم ففتح لي من كل باب ألف باب، رسول الله ﷺ من مكنون سره مما يخص أمير المؤمنين عليه السلام أكرم الخلق عليه كما خص الله نبيه وأخاه علياً من مكنون سره وخالص علمه مما لم يخص به أحداً من قومه حتى صار إلينا فتوارثناه من دون أهلنا. فقال هشام بن عبد الملك: إن علياً كان يدعي علم الغيب والله لم يطلع على غيبه أحد، فمن أين ادعى ذلك؟

قال أبي: إن الله جل ذكره أنزل على نبيه ﷺ كتابا بين فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة في قوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى وموعظة للمتقين﴾ وفي قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(٥) وفي قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾(٦) وفي قوله: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٧) وأوحى الله إلى نبيه ﷺ أن لا يبقى في غيبه وسره ومكنون علمه شيء لا يناجي به علياً، فأمره أن يؤلف القرآن من بعده ويتولى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه، وقال لأصحابه: «حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.
(٣) سورة القيامة، الآية: ١٦.
(٤) سورة الحاقة، الآية: ١٢.
(٥) سورة يس، الآية: ١٢.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٧) سورة النمل، الآية: ٧٥.

فإنه مني وأنا منه له ما لي وعليه ما عليّ، وهو قاضي ديني ومنجز وعدي» ثم قال لأصحابه: «علي بن أبي طالب عليه السلام يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله» ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلا عند علي عليه السلام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أقضاكم علي» أي قاضيكم وقال عمر بن الخطاب: (لولا علي لهلك عمر) يشهد له عمر ويجحد غيره.

فأطرق هشام طويلاً ثم رفع رأسه وقال: سل حاجتك: فقال: خلفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي. فقال: قد آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم لا تقم سر من يومك هذا، فاعتنقه أبي ودعا له وفعلت أنا كفعل أبي ثم نهض ونهضت معه وخرجنا إلى بابه إذ ميدان ببابه وفي آخر الميدان أناس قعود كثير قال أبي: من هؤلاء؟

فقال الحجاب: هؤلاء القسيسون والرهبان وهذا عالم يقعد لهم كل سنة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم، فلف أبي عند ذلك رأسه بفاضل ردائه وفعلت أنا مثل فعل أبي، فأقبل نحوهم حتى قعد وقعدت أنا وراء أبي، رفع ذلك الخبر إلى هشام فأمر بعض غلمانه أن يحضر الموضع فينظر ما يصنع أبي فأقبل وأقبل عدد من المسلمين فأحاطوا بنا وأقبل عالم النصارى قد شد حاجبيه بحريرة صفراء حتى توسطنا، فقام إليه جميع القسيسين والرهبان مسلمين عليه، فجاء إلى صدر المجلس فقعد فيه وأحاط به أصحابه وأبي وأنا بينهم فأدار نظره ثم قال لأبي أمنا أمن هذه المرحومة؟

فقال أبي: من هذه الأمة المرحومة فقال: أنت من علمائها أم من جهالها؟ فقال أبي: لست من جهالها فاضطرب اضطراباً شديداً؟

فقال: أسألك فقال له أبي: اسأل. فقال: من أين ادعيتم أن أهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون وأما الدليل فيما تدعونه من شاهد لا يجهل؟

فقال له أبي: دليل ما ندعيه من شاهد لا يجهل الجنين في بطن أمه يطعم ولا يحدث.

قال فاضطرب النصراني اضطراباً شديداً ثم قال: كلا زعمت إنك لست من علمائها فقال له أبي ولا من جهالها، وأصحاب هشام يسمعون ذلك فقال لأبي: أسألك عن مسألة أخرى فقال له أبي سل فقال: من أين ادعيتم أن فاكهة الجنة أبداً جداً غضة طرية موجودة غير معدومة عند جميع أهل الجنة، وأما الدليل فيما تدعونه من شاهد لا يجهل؟

فقال له أبي: دليل ما ندعي أن تراها أبداً يكون غضاً طرياً موجوداً غير معدوم عند جميع أهل الجنة لا ينقطع، فاضطرب اضطراباً شديداً ثم قال: كلا زعمت أنك لست من علمائها. فقال له أبي ولا من جهالها. فقال له: أسألك عن مسألة أخرى فقال له: سل فقال: أخبرني عن ساعة لا هي من ساعات الليل ولا من ساعات النهار؟

فقال له أبي: هي الساعة التي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يهدأ فيها المبتلي ويرقد فيها الساهر ويفيق المغشي عليه، جعلها الله في الدنيا رغبة للراغبين وفي الأخرى للعاملين لها دليلاً واضحاً وحجاباً بالغاً على الجاحدين المتكبرين التاركين لها.

فصاح النصراني بأعلى صوته صيحة عظيمة ثم قال: بقيت مسألة واحدة والله لا سألتك مسألة لا تهتدي إلى الجواب عنها أبداً. فقال له أبي سل فإنك حانث في يمينك. فقال: أخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد عمر أحدهما مائة وخمسون سنة وعمر الآخر خمسون سنة؟

فقال له أبي ذلك: عزير وعزيره ولدا في يوم واحد، فلما بلغا مبالغ الرجال خمسة وعشرين عاماً مر عزير على حمار راكباً على قرية بانطاكية وهي خاوية على عروشها فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1] وكان الله اصطفاه وهداه، فلما قال ذلك القول غضب الله عليه فأماته مائة عام سخطاً عليه بما قال، ثم بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه، فعاد إلى داره وأخوه عزيره لا يعرفه فأضافه وبعث إليه ولد عزير وولد ولده قد شاخوا وعزير شاب في سن خمسة وعشرين سنة، فلم يزل عزير يذكر أخاه وولده وقد شاخوا وهم يذكرون ما يذكرهم ويقولون: ما أعلمك بأمر قد مضت عليه السنون والشهور؟ ويقول له عزيره وهو شيخ كبير ابن مائة وخمسة وعشرين سنة ما رأيت شاباً في عمر خمس وعشرين سنة أعلم بما كان بيني وبين أخي عزير أيام شبابي منك، فمن أهل السماء أنت أم من أهل الأرض؟

فقال عزير لأخيه عزيره أنا عزير سخط الله علي بقول قلته بعد أن اصطفاني وهداني فأماتني مائة سنة ثم بعثني لتزدادوا بذلك يقيناً إن الله على كل شيء قدير، وها هو وهذا حماري وشرابي الذي خرجت به من عندكم أعاد الله لي كما كان، فعندما أيقنوا فأعاشه الله بينهم خمساً وعشرين سنة ثم قبضه الله وأخاه في يوم واحد.

فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقام النصارى على أرجلهم فقال لهم عالمهم أجئتموني بأعلم مني وأقعدتموه معكم حتى هتكني وفضحني، واعلم المسلمين أن لهم من أحاط بعلومنا وعنده ما ليس عندنا، والله لا كلمتكم من رأسي كلمة واحدة ولا قعدت لكم إن عشت سنة أخرى، فتفرقوا وأبي قاعد مكانه وأنا معه، ورفع ذلك الخبر إلى هشام بن عبد الملك، فلما تفرقوا نهض أبي وانصرف إلى المنزل الذي كنا فيه، فوافانا رسول هشام بالجائزة وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نحتبس لأن الناس ماجوا وخاضوا فيما دار بين أبي وبين عالم النصارى، فركبنا دوابنا منصرفين وقد سبقنا بريد من عند هشام بن عبد الملك إلى عامل مدينة مدين على طريقنا إلى المدينة، وإن ابني أبي تراب الساحرين محمد بن علي وجعفر بن محمد الكذابين فيما يظهران من الإسلام ورد علي، فلما صرفتهما إلى المدينة مالا إلى القسيسين والرهبان من كفار النصارى وأظهرا لهما دينهما وفرقا من الإسلام إلى الكفر ودين النصارى وتقربا إليهم بالنصرانية، فكرهت أن أنكل بهما لقرابتهم فإذا قرأت كتابي هذا فناد في

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

الناس برئت الذمة من يشاربهما أو يبايعهما أو يصافهما أو يسلم عليهم فإنهما قد ارتدا عن الإسلام ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابهما ومن معهما شر قتلة.

قال: فورد البريد إلى مدينة مدين، فلما شارفنا مدينة مدين قدم أبي غلمانه ليرتادوا لنا منزلاً ويشتروا لدوابنا علفاً ولنا طعاماً، فلما قرب غلماننا من باب المدينة أغلقوا الباب في وجوهنا وشتمونا وذكروا أمير المؤمنين علياً ابن أبي طالب عليه السلام وقالوا: لا نزول لكم عندنا ولا شراء ولا بيع يا كفار يا مشركين يا مرتدين يا كذابين يا شر الخلائق أجمعين، فوقف غلماننا على الباب حتى انتهينا إليهم فكلمهم أبي ولين لهم القول وقال لهم: اتقوا الله ولا تغلطون فلسنا كما بلغكم ولا نحن كما تقولون فاسمعونا. فقال لهم: فهبنا كما تقولون افتحوا لنا الباب وشارونا وبايعونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى والمجوس.

فقالوا: أنتم شر من اليهود والنصارى والمجوس لأن هؤلاء يؤدون الجزية وأنتم ما تؤدونها. فقال لهم: افتحوا لنا الباب وانزلونا وخذوا منا الجزية كما تأخذون منهم. فقالوا: لا تفتح الباب ولا كرامة حتى تموتوا على ظهور دوابكم جياعاً وتموت دوابكم تحتكم، فوعظهم أبي فازدادوا عتواً ونفوراً.

قال: فثنى أبي رجله عن سرجه وقال لي: مكانك يا جعفر لا تبرح، ثم صعد الجبل المطل على مدينة مدين وأهل مدين ينظرون إليه ما يصنع، فلما صار في أعلاه استقبل بوجهه المدينة ثم وضع إصبعيه في أذنيه ثم نادى بأعلى صوته ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[1] إلى قوله: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] نحن والله بقية الله في أرضه، فأمر الله ريحاً سوداء مظلمة، فهبت واحتملت صوت أبي فطرحته في إسماع الرجال والنساء والصبيان، فما بقي أحد من الرجال والنساء والصبيان إلا صعد السطوح وأبي مشرف عليهم، فصعد فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السن فنظر إلى أبي في أعلى الجبل فنادى بأعلى صوته: اتقوا الله يا أهل مدين فإنه قد وقف الموقف الذي وقف فيه شعيب عليه السلام حين دعا على قومه، فإن أنتم لم تفتحوا الباب ولم تنزلوه جاءكم من الله عذاب فإني أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر، ففزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا وكتاب العامل بجميع ذلك إلى هشام، فارتحلنا في اليوم الثاني فكتب هشام إلى عامل مدينة مدين يأمره أن يأخذ الشيخ فيظهره رحمة الله عليه وكتب إلى عامل مدينة الرسول أن يحتال في سم أبي في طعام أو شراب، فمضى هشام ولم يتهيأ له من أبي في ذلك شيء.

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي هذه النقول: ما تضمنه هذا الخبر من أن ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ليس من الليل ولا من النهار لا يجري على مذهب أصحابنا الإمامية رضي الله عنهم إذ لا خلاف بينهم في أن صلاة الفجر نهارية وأنه يجب الإمساك على الصائم من طلوع الفجر وأخبارهم بذلك متظافرة، فالنهار يبتدئ من طلوع الفجر الثاني.

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٤. (٢) سورة هود، الآية: ٨٦.

وذهب جمع من العامة ووافقهم سليمان الأعمش من الإمامية إلى أن مبدأ النهار من طلوع الشمس وإن ما قبله من الليل، وأجاب شيخنا البهائي قدس الله سره في كتاب مفتاح الفلاح عن هذا الخبر بأن الإمام عليه السلام لعله أجاب السائل عما يوافق عرفه واعتقاده، لأنه سأل الباقر عليه السلام عن مسائل عديدة لم تكن معروفة إلا بين أكابر علمائهم، وهذه المسألة من جملتها، وحينئذ فلا ينافي ذلك كون النهار حقيقة شرعية فيما بين طلوع الفجر وغروب الشمس.

وكلام شيخنا الطوسي قدس الله سره في كتابه يدل على أن طائفة ذهبت إلى القول بما دل عليه هذا الخبر، فإنه قد نقل فيه القولين المتقدمين وقال: وذهبت طائفة إلى أن ما بين طلوع الشمس ليس من النهار ولا من الليل بل هو زمان منفصل عنهما.

العرق دساس

لله در القائل: [البحر الكامل]

لا تنكحنَّ سوى شريفةِ معشرٍ	فالعرقُ دساسٌ من الطَّرَفَيْنِ
هلا نظرْتَ إلى النتيجةِ شأنُها	تبعُ الأخسِّ من المتقدِّمَيْنِ

قال: بعض الفضلاء العلافية الأمية أشد تأثيراً فإن الولد يتحقق في رحمها وينتقل من رتبة إلى أخرى ويتغذى منها بعد انفصاله من لبنها، وقد اشتهر عنه أن الرضاع بغير الطباع بل جعل صلى الله عليه وآله الرضاع لحمة كلحمة النسب انتهى.

أقول: ويؤيده أيضاً ما ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إياكم وخضراء الدمن» فقيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟

قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء». ويؤيد ذلك ما اشتهر أيضاً بل نقله جملة من العلماء منهم العلامة الداماد قدس سره: ولد الحلال أشبه الناس بالخال.

مجيء فاطمة عليها السلام في الجنة

كتاب كشف الغمة: عن أبي جعفر عليه السلام قال لفاطمة عليها السلام: وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل مؤمن أو كان كافراً فيؤمن بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ فاطمة عليها السلام بين عينيه محباً فتقول: إلٰهي وسيدي سميتني فاطمة وفطمت بي من تولاني وتولى ذريتي من النار ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد فيقول الله عز وجل: «صدقت يا فاطمة إني سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وأحب ذريتك وتولاهم النار ووعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفعك فتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقعك مني ومكانك عندي فمن قرأني بين عينيه مؤمناً أو محباً فخذي بيده فادخليه الجنة».

من الكتاب المذكور: حكى لي السيد تاج الدين محمد بن النصر بن الصلايا الحسيني العلوي سقى الله ثراه وعن أحسن أفعاله الكريمة جزاه: أن بعض الوعاظ ذكر فاطمة عليها السلام ومزاياها وكون الله تعالى وهبها من كل فضيلة مزاياها وصفاياها وذكر بعلها وأباها واستخفه الرطب فأنشد: [البحر المتدارك]

خجلاً من نورِ بهجَتِها تتوارى الشمسُ بالشّفقِ
وحياءً من شمائِلِها يتغطّى الغصنُ بالورقِ

فشق كثير من الناس ثيابهم وأوجب وصفها بكاءهم وانتحابهم.

زفاف فاطمة عليها السلام

ومنه أيضاً: قال بعد نقل جملة من الأخبار المشتملة على زفاف فاطمة عليها السلام وإن أسماء بنت عميس كانت حاضرة ذلك ما صورته: قال علي بن أبي عيسى قد تظاهرت الروايات كما ترى أن أسماء بنت عميس حضرت زفاف فاطمة عليها السلام وفعلت، وأسماء كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب عليه السلام ولم تعد هي ولا زوجها إلا يوم فتح خيبر وذلك من سنة ست من الهجرة، ولم تشهد الزفاف لأنه كان في ذي الحجة سنة اثنين، والتي شهدت الزفاف سلمى بنت عميس أختها، وهي زوجة حمزة بن عبد المطلب، ولعل الأخبار عنها وكانت أسماء أشهر من أختها عند الرواة فرووا عنها أو سَها راوٍ واحد فتبعوه.

ثم ذكر جملة من الأخبار المذكورة وقال في ذيل منها قد اشتمل على ذكر أسماء ما هذا لفظه: قال محمد بن يوسف الكنجي هكذا رواه ابن بطة العكبري الحافظ وهو حسن غال، وذكر أسماء بنت عميس في هذا الحديث غير صحيح لأن أسماء هذه امرأة جعفر بن أبي طالب عليه السلام تزوجها بعد أبي بكر فولدت له محمداً وذلك بذي الحليفة، فلما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له، وما أرى نسبتها في هذا الحديث إلا غلطاً ووقع من بعض الرواة، لأن أسماء التي حضرت في زمن فاطمة عليها السلام أسماء بنت يزيد السكن الأنصاري، وأسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بالحبشة هاجر بها الهجرة الثانية وقدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع، وقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما أدري بأيهما أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟»

وكان زواج فاطمة عليها السلام بعد وقعة بدر بأيام يسيرة، فصح بهذا أن أسماء المذكورة في هذا الحديث هي أسماء بنت يزيد، ولها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله روى عنها شهر بن حوشب وغيره من التابعين، حقق ذلك محمد بن يوسف الكنجي، ونحوه قد ذكرنا فيما تقدم إنها سلمى بنت عميس أخت أسماء وإن أسماء كانت مع زوجها جعفر والله أعلم.

عجائب المخلوقات ببابل

كتاب عجائب المخلوقات: بابل اسم قرية كانت على شاطئ الفرات بأرض العراق في قديم الزمان، والآن ينقل الناس آجرها، فيها جب يعرف بجب دانيال عليه السلام يقصدها اليهود والنصارى في أوقات السنة وأعيادهم. ذكر أكثر الناس أنها بئر هاروت وماروت، ومنهم من ذهب إلى أن أرض بابل هي أرض العراق كلها.

ومن عجائبها ما ذكر عن عمر بن الخطاب أنه سأل دهقان الفلاحة عن عجائب بلادهم فقال: عجائب كثيرة لكن أعجبها أمر المدن السبع، كانت في كل مدينة أعجوبة.

(المدينة الأولى) كان الملك ينزلها وفيها بيت وفي ذلك البيت صورة الأرض بقراها وبساتينها وأنهارها، فمتى امتنع أهل بلدة من حمل الخراج حرق أنهارهم في تلك الصورة وغرق زروعهم فحدث في تلك البلدة مثل ذلك حتى رجعوا عن الامتناع فيسد أنهارهم في تلك الصورة فينسد في بلدهم.

(المدينة الثانية) كان فيها حوض عظيم، فإذا جمع الملك قومه حمل كل واحد معه شراباً ليشربه عند الملك وصبه في ذلك الحوض، فإذا جلسوا للشرب شرب كل واحد معه شراباً يشربه عند الملك من شرابه الذي حمله معه في منزله.

(المدينة الثالثة) كان على بابها طبل معلق، فإذا غاب إنسان من أهل تلك المدينة والتبس أمره ولم يعلم أحي هو أم ميت دقوا ذلك الطبل على اسمه، فإن كان حياً ارتفع صوته وإن كان ميتاً لم يسمع منه صوت البتة.

(المدينة الرابعة) كان فيها امرأة من حديد، إذا غاب رجل عن أهله وأرادوا أن يعرفوا حاله التي هو فيها أتوا بتلك المرأة على اسمه ونظروا فيها ورأوه على الحالة التي هو فيها.

(المدينة الخامسة) كان على بابها عمود من نحاس وعلى رأسه أورة من نحاس، فإذا دخلها جاسوس صاحت صيحة سمعها كل أهل المدينة، فعلموا أن جاسوساً دخل عليهم المدينة.

(المدينة السادسة) كان بها قاضيان جالسان على طرف ماء، فإذا تقدم إليهما خصمان فرأيا شيئاً وتفلا على رجليهما وأمراهما بالعبور على الماء فغاص المبطل في الماء دون المحق.

(المدينة السابعة) كان بها شجرة كثيرة الأغصان، فإن جلس تحتها واحد أظلته إلى ألف نفس، فإن زاد على الألف واحد صاروا كلهم في الشمس.

حكي: عن الأعمش بن مجاهد أنه كان يحب أن يسمع من الأعاجيب ولم يسمع بشيء منها إلا صار إليه وعاينه، فقدم أرض بابل فتلقاه الحجاج وسأله عن سبب قدومه فقال: حاجة إلى رأس الجالوت، فأرسل إليه وأمره بقضاء حاجته. فقال له رأس الجالوت: ما حاجتك؟

قال: إن تريني هاروت وماروت لأنظر إليهما، فانطلق به حتى أتى موضعاً ورفع صخرة فإذا

شبه شرب، فقال اليهودي انزل وانظر إليهما ولا تذكر الله، فنزل مجاهد معه فلم يزل يمشي به اليهودي حتى نظر إليهما فرآهما مثل الجبلين العظيمين منكوسين على رأسيهما عليه الحديد من أعقابهما إلى ركبتهما مصفدين، فلما رآهما مجاهد جمد ولم يملك نفسه فذكر الله فاضطربا اضطراباً شديداً حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد، فخر اليهودي ومجاهد على وجهيهما فلما سكنا رفع اليهودي رأسه وقال لمجاهد: أما قلت لا تفعل ذلك فكدنا نهلك. فتعلق مجاهد به ولم يزل يصعد به حتى خرجا.

مطالعة الحكمة وقراءة الفلسفة

وجدت: بخط شيخنا العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني قدس الله سره ما صورته: وصية لإخواني المؤمنين اعلموا أيدكم الله بروح منه أن قراءة الفلسفة ومطالعة كتب الحكمة والكلام ضرره أكثر من نفعه، وفيه من تشكيك قلوب الضعفاء وزلزال اعتقادهم ما لا يدفع، وكم من عامي لم يلم بمعاهد المعقول بعين ولا أثر ولم يرض نفسه بالمطالب النظرية والقواعد المنطقية ولم يختلف إلى معلم يرشده ولا إلى أستاذ يسدد ما ثبت في اعتقاده من الجبال الراسية ولا يكاد يخالجه وهلة الشك ولا سرعة الريب فهو في غاية الاطمئنان والجزم مستريحاً إلى أحكام الفطرة الإلّهية التي فطر الله الناس عليها، وهي معرفة الصانع وتوحيده وإثبات كل كمال مطلق وتنزيهه عن النقائص على الوجه المطلق الإجمالي، فإن الحق عن بديهة العقل تشهد بذلك كما حررته في رسالة (ضوء النهار) وإليه المشار في قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه هم اللذان يهودانه ويمجسانه».

وكم رأينا ممن توشح لمنصب الإفادة والاستفادة في الحكمتين الطبيعية والنظرية بل تصدى لرتبة الجمع والتصنيف ودرجة التحسين والتزييف قد مضغ كتاب الشفا بين لحييه وحمل حاشية القديم بين إبطيه وهو يضطرب في اعتقاده كاضطراب المتشحط بدمه، ومن ثم منع جماعة من قراءة كتب الفلاسفة ومصنفات الحكمة كما نقله في كتاب الإحياء، وكلامه فيه يدل على حسن التقليد، والمروي عن الصادق عليه السلام من قوله: (ويل لأصحاب الكلام هذا ينقاد وهذا لا ينقاد وهذا ينساق وهذا لا ينساق) الخ. رسول الله ﷺ ركب الناقة والفرس والحمار وركب البراق ليلة المعراج، وكل ذلك دون علي في القوة والشدة قال: فقلت له: عن هذه والله أردت أن أسألك يابن رسول الله ﷺ فأخبرني؟

فقال: إن علياً عليه السلام برسول الله ﷺ تشرف وبه ارتفع وبه وصل إلى أن طفى نار الشرك وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل، ولو علاه النبي ﷺ لحط الأصنام لكان بعلي مرتفعاً وشريفاً وواصلاً إلى حط الأصنام، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى أن علياً عليه السلام قال: لما علوت ظهر رسول الله ﷺ شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها، أما

علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة وانبعاث فرعه من أصله وقد قال علي عليه السلام : أنا من أحمد كالضوء من الضوء، أما علمت أن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله عز وجل قبل الخلق بألفي عام وأن الملائكة لما رأت ذلك النور له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالوا : إلَهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم : هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي وأما الإمامة فلعلي حجتي ووليي ولولاهما ما خلقت خلقي، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يد علي بغدير خم حتى نظر الناس بياض إبطيهما فجعله مولى المسلمين وإمامهم، وقد احتمل الحسن والحسين عليهما السلام يوم خطيرة بني النجار فلما قال له بعض أصحابه : ناولني أحدهما يا رسول الله. قال : نعم الراكبان هما ونعم المطية جدهما وأبوهما خير منهما، وإنه كان يصلي بأصحابه فأطال سجدة من سجداته، فلما سلم قيل له : يا رسول الله لقد أطلت هذه السجدة؟

فقال صلى الله عليه وآله : «إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعاجله حتى ينزل»، وإنما أراد بذلك رفعهم وتشريفهم، فالنبي صلى الله عليه وآله إمام ونبي وعلي إمام وليس بنبي ولا رسول فهو غير مطيق لحمل أثقال النبوة.

قال محمد بن حرب الهلالي فقلت له : زدني يا بن رسول الله صلى الله عليك وعلى آبائك؟

فقال : إنك لأهل للزيادة فإن رسول الله صلى الله عليه وآله حمل علياً عليه السلام على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده وإمامة الأئمة من صلبه كما حول رداءه في صلاته يوم الاستسقاء وأراد أن يعلم أصحابه قد تحول الجدب خصباً. قال قلت له : زدني يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله . فقال : احتمل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يريد بذلك أن يعلم قومه أنه هو الذي يخفف عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله ما عليه من الدين والعدات والأداء عنه من بعده.

قال فقلت له : زدني يا بن رسول الله. فقال : احتمله وما حمله إلا لأنه معصوم لا يحمل وزراً فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي : «يا علي إن الله تبارك وتعالى حملني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي» وذلك قول الله عز وجل : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١) ولما أنزل الله عز وجل عليكم أنفسكم قال النبي صلى الله عليه وآله : «عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، وعليٌّ نفسي وأخي أطيعوا علياً فإنه مطهر معصوم لا يضل ولا يشقى» ثم تلا هذه الآية : ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٢).

قال محمد بن حرب الهلالي : ثم قال جعفر بن محمد : أيها الأمير ولو أخبرتك بما في حمل

---

(١) سورة الفتح، الآية : ٢. (٢) سورة النور، الآية : ٥٤.

النبي ﷺ لعلي عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة من المعاني التي أرادها لقلت إن جعفر بن محمد لمجنون، فحسبك من ذلك ما قد سمعت، فقمت إليه وقبلت رأسه وقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

خبر قس بن ساعدة

كتاب المناقب: روى الكلبي عن الشرفي بن القطامي عن تميم بن وعلة عن الجارود بن المنذر العبدي وكان نصرانياً فأسلم عام الحديبية فأنشد شعراً: [البحر الخفيف]

يا نبيَّ الهُدى أتتْك رجالٌ ... فِداً فِداً وآلاً فآلا
جابتِ البيد والمهامِه حتى ... غالَها من طولِ السُّرى ما غَالا
أنبأ الأولون باسمِك فينا ... وبأسماء بعدَه تتَلالا

فقال رسول الله ﷺ : «أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الأيادي؟»

فقال الجارود: كلنا رسول الله نعرفه غير أني من بينهم عارف بخبره واقف على أثره. فقال سلمان: أخبرنا فقال: يا رسول الله لقد شهدت قساً وقد خرج من ناد من أندية أياد إلى ضحضح ذي قتاد وسمر وعتاد وهو مشتمل بنجاد فوقف في أضحيان ليل كالشمس رافعاً إلى السماء وجهه وإصبعه، فدنوت منه فسمعته يقول: (اللهم رب السماوات الأرفعة والأرضين الممرعة بحق محمد والثلاثة المحاميد معه والعليين الأربعة وفاطم البضعة والحسنان الأبرعة وموسى تبعة سمي الكليم الضرعة أولئك النقباء الشفعة والطريق المهيعة ودراسة الأجيل ومحاة الأضاليل ونفاة الأباطيل الصادق القيل عدد نقباء بني إسرائيل، فهم أول البداية وعليهم تقوم الساعة وبهم تنال الشفاعة ولهم من الله فرض الطاعة اسقنا غيثاً مغيثاً) ثم قال: ليتني مدركهم ولو بعد لأي من عمري ومحياي، ثم أنشأ يقول: [البحر المتدارك]

أقسمُ قسَماً قسَماً ... ليسَ به مكْتَتَما
لو عاشَ ألفي سنةٍ ... لم يلقَ منها سأما
حتّى يُلاقي أحمداً ... والنُّجباءَ الحُكَما
همْ أوصياءُ أحمدٍ ... أفضلُ منْ تحتَ السَّما
يعْمَى الأنامُ عنهمُ ... وهمْ ضياءٌ لِلْعمى
لستُ بناسٍ ذكْرهمْ ... حتّى أحلَّ الرَّجما

قال الجارود: فقلت يا رسول الله أنباني أنبأك الله بخبر هذه الأسماء التي لم نشهدها وأشهدنا قس ذكرها؟ فقال رسول الله ﷺ : «يا جارود ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله إلي أن أسأل من قد ارسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا. قلت: علام بعثوا؟

قال: بعثتهم على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما، ثم عرفني الله تعالى بهم وبأسمائهم»، ثم ذكرهم رسول الله صلى الله عليه للجارود بأسمائهم واحداً واحداً.

البيعة الخاصة والبيعة العامة للنبي ﷺ

كتاب المناقب: كان للنبي ﷺ بيعة عامة وبيعة خاصة، فالخاصة بيعة الجن وليس للإنس فيها نصيب، وبيعة الأنصار ولم يكن للمهاجرين فيها نصيب، وبيعة العشيرة ابتداء وبيعة الغدير انتهاء، وقد تفرد علي عليه السلام بهما وأخذ بطرفيهما. وأما البيعة العامة فهي بيعة الشجرة وهي سمرة، وأراك وهي بيعة الحديبية ويقال لها بيعة (الرضوان) لقوله: «لقد رضي الله عن المؤمنين» والموضع مجهول والشجرة مفقودة، يقال إنها بروحاء فلا يدرى أروحاء مكة عند الحمام أو روحاء في طريقها، وقالوا الشجرة ذهبت بها السيول.

وقد سبق أمير المؤمنين عليه السلام الصحابة كلهم في هذه البيعة أيضاً بأشياء (منها) إنه كان من السابقين فيه وذكر أبو بكر الشيرازي في كتابه عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن أولى من قام للبيعة أمير المؤمنين عليه السلام ثم أبو سفيان عبد الله بن وهب الأسدي ثم سلمان الفارسي. وفي أخبار الليث أول من تابع عمار بن ياسر يعني بعد علي عليه السلام ثم إنه أولى الناس بهذه الآية لأن حكم البيعة ما ذكره الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾[1] الآية. ورووا جميعاً عن جابر الأنصاري إنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على الموت. وفي معرفة النوى إنه سأل سلمة: على أي شيء كنتم تبايعونه تحت الشجرة؟

قال: على الموت.

وفي أحاديث البصريين عن أحمد قال أحمد بن يسار: إن أهل الحديبية بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يفروا وقد صح أنه لم يفر في موضع قط ولم يصح ذلك لغيره ثم إن علق الرضا في الآية بالمؤمنين وكان أصحاب البيعة ألفاً وثمانمائة عن ابن أوفى وألفاً وأربعمائة عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وألفاً وخمسمائة عن ابن أبي المسيب، وألفاً وستمائة عن ابن عباس، لا شك أنه كان فيهم جماعة من المنافقين مثل حمد بن قيس وعبد الله بن أبي سلول.

ثم إن الله تعالى علق الرضا في الآية بالمؤمنين الموصوفين بأوصاف قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ﴾[2] ولم تنزل السكينة على أبي بكر في آية الغار في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

وقال السدي ومجاهد: أول من ﷺ ممن بايعه علي فعالم ما في قلبه من الصدق والوفاء. ثم إن من حكم البيعة ما ذكره الله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾(١) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ (٢).

وإنما سميت بيعة لأنها عقدت على بيع أنفسهم بالجنة للزومهم في الحرب إلى النصر. وقال ابن عباس: أخذ رسول الله ﷺ تحت شجرة السمرة بيعتهم على أن لا يفروا، وليس أحد من الصحابة إلا نقض عهده في الظاهر بفعل أم بقول، وقد ذمهم الله تعالى فقال في يوم الخندق: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾ (٣).

وفي يوم حنين: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (٤).

وفي يوم أحد: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ (٥) وانهزم أبو بكر وعمر يوم خيبر بالإجماع، وعلي عليه السلام في وفاته اتفاق فإنه لم يفر قط وثبت مع رسول الله ﷺ حتى نزل: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٦) ولم يقل كل المؤمنين ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾(٧) يعني حمزة وجعفراً وعبيدة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ (٨) يعني علياً.

ثم إن الله تعالى قال: ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٩) يعني فتح خيبر، وكان على يد علي وقد وجدنا النكث في أكثرهم خاصة في الأول والثاني ولما قصدوا في تلك السنة إلى بلاد خيبر وانهزم الشيخان ثم انهزموا كلهم في حنين، ولم يثبت منهم تحت راية علي عليه السلام إلا ثمانية من بني هاشم ذكرهم ابن قتيبة في المعارف.

النظر بالرأي وترك السنة

روى: الكافي في باب البدع والمقاييس بطريقه إلى يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: بمَ أوحد الله عز وجل؟

فقال: يا يونس لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك ومن ترك أهل بيت نبيه ﷺ ضل وترك كتاب الله وقول نبيه كفر- الحديث.

أقول: وهذا يدل دلالة قاطعة على عدم جواز الاستقلال بالعقل والرأي في العقائد الدينية،

(١) سورة النحل، الآية: ٩١.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١٥.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق.
(٩) سورة الفتح، الآية: ١٨.

بل يجب الرجوع فيه إلى أهل بيت النبي وكتاب الله وسنة نبيه. هذا بالنسبة إلى تفاريع العقائد التفصيلية وإلا فقد بينا أن العقائد الإجمالية تكفي فيها بديهة العقل وصحة التمييز وقوة التعقل، وإن كان ولا بد من الاستئناس ببعض المعقولات فلكيف فيه.

ما حرره: الشريف الجرجاني قدس الله سره في الفتوحات: اعلم أن العقل قاض بأن من كان موجوداً لكل الكمالات التي توجد في جميع الموجدات على طبقاتها ينبغي أن يكون كماله فوق كل كمال ولا يدور النقص ما كان كماله فقط، وهذا مما لا يشك فيه للعقل السليم والذهن المستقيم، فإذا تمكن في العقل هذه المقدمة على وصف استيقان يتمهد عليها قاعدة معرفة الله وإثبات جميع كماله ونفي النقائص منه، فإن الكمال يكون في الألوهية إذ عدمها نقص، والكمال في أن يكون عالماً بالكليات والجزئيات إذ عدم علمه بشيء منها نقص، والكمال في أن يكون قادراً على ما يشاء إذ العجز نقص، والكمال أن صدور الأفعال عنه لإرادته واختياره إذ الصدور بلا اختيار وإرادة نقص، والكمال في أن يكون سميعاً بصيراً متكلماً موجداً إلى سائر صفاته لذاته.

والعقل يقتضي أن يكون جميع صفاته دائمة الثبوت أزلاً وأبداً إذ الخلق عن واحد منها وقتاً ما نقص، ويقتضي أيضاً أن لا يتصور احتياجه إلى شيء ما إذ الاحتياج نقص، وقس على هذه المعاني جميع الصفات الثبوتية والسلبية، فإنك إذا تأملت في هذه المقدمة الإقناعية التي تغني عن البرهانية وتخلص من جميع الشبهات التي تشوش الذهن في المذاهب المختلفة في الإلّهيات والجزئيات تم كلامه في الفتوح الأربعين ولله الحمد وحده.

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي هذه النقول: قد أوضحنا هذه المقالة بأوضح دلالة في كتابنا أعلام القاصدين إلى مناهج أصول الدين، وعضدناها بجملة أخبار الأئمة الطاهرين ونبذة من كلمات علمائنا المحققين.

نحوسات الساعات وجيدها للاستخارة

ووجدت: أيضاً بخطه قدس الله سره: الساعات الطيبة والنحسة للاستخارة بالقرآن عن الإمام الصادق عليه السلام مفتاح المغالق وكاشف الحقائق.

(يوم السبت) أوله جيد إلى الضحى نحسه إلى الزوال جيده إلى العصر نحسه إلى النوم.

(يوم الأحد) أوله جيد إلى الظهر نحسه إلى العصر جيده إلى الليل نحسه إلى النوم.

(يوم الاثنين) أوله جيد إلى طلوع الشمس نحسه إلى الضحى وجيده إلى الظهر نحسه إلى النوم.

(يوم الثلاثاء) أوله نحس إلى الضحى وجيده إلى الظهر نحسه إلى العصر جيده إلى الليل.

(يوم الأربعاء) أوله جيد إلى الظهر نحسه إلى العصر جيده إلى النوم.
(يوم الخميس) أوله جيد إلى طلوع الشمس نحسه إلى الظهر جيده إلى النوم.
(يوم الجمعة) أوله جيد إلى طلوع الشمس نحسه إلى الضحى جيده إلى العصر نحسه إلى المغرب جيده إلى النوم.

أموات الأحياء أربعة

ووجدت أيضاً بخطه: قال أفلاطون أموات الأحياء أربعة: السقيم في بدنه، والمتغرب عن وطنه، والناظر إلى مال لغيره، والمقدم عليه من هو دونه.

وأنا أقول: فيه تقصير بل هم أحياء الأحياء إن علموا بما يجب كما إذا أسر السقيم لسقمه وفوض أمره إلى ربه ورضي بقضائه وفرح ببلائه لصدوره عن محبوبه فإن المحب يعتقد أذى المحبوب نعمة كبرى، وكذا المتغرب عن وطنه المألوف لأن كمال النفس بالخروج عن عالمها ولأن السفر يسفر عن مدار الرجال ويبلغهم درجة الكمال، وأما الثالث فعلاجه ترك النظر إلى زهرة الحياة الدنيا فإنه مقدمة لفتح مغالق أبواب الملكوت والطيران في قضاء الجبروت، وأما الرابع فعلاجه العلم بأن هذه الدار نقله لا دار محله.

لغز نحوي وآخر في الفرائض

لشيخنا المتقدم ذكره أيضاً: [البحر الرجز المجزوء]

يا أيُّها الخرِّيتُ في الأعرابِ — وخائضاً لُججاً من الصّوابِ
أحجيةٌ غنتْ تُحاكي اللّبلا — فهلْ تَرى لكشْفِها سبيلا
واحدةٌ من سبعٍ فيما قالُوا — فهلْ إلى افتضاضها انتقالُ
اسمٌ يصيرُ علَماً لنفسهِ — وذا غريبٌ في بيانِ جنْسه
ووضعُه لذاتِه نوعيٌّ — عمّ الثلاث الوضعُ يا نحويُّ
فَذا معَ التعميمِ هل يعمُّ — جميعُها أم كلُّ ما مرَّ اسمُ
ووصفُه المذكورُ ليس في اللغهْ — ذكرٌ له وليس فيهِ دغدغَهْ
فهل تَرى لفْظاً يكونُ علماً — لنفسِه وذاتِه سنفهما
وهل يجوزُ ذاك في العقولِ — وهل يصحُّ ذاك في المنقولِ
وصحَّ عنْدي جعلُه جنْسيّاً — وشذَّ من يظنُّه شخصيّا

وله قدس الله سره [البحر الرجز المجزوء]

ما قولُكم يا فقهاءَ العصرِ — في معضلٍ من حادثاتِ الدّهرِ

فـي أمـةٍ وزوجُـهـا مـوْلاهـا — من مثـلهـا عبدٌ وقـد أتـاهـا
وبعد ذاك اعتِقتْ في حيلةْ — ثـم أرادتْ نـقـضـه بـحـلّـهْ
فـأبى الشرعُ العليُّ حلفَها — فاستبيحُوا شرحَها وحلّها

جوابه له قدس الله سره [البحر الرجز المجزوء]

حـشـامُـهـا فـضـضْـتُـه بـالـشـرحِ — وما عـلـى بـنـائِـنـا مـن جُـرحِ
فـخـذْ جواباً شافيا للغرضِ — وخذْ حديثاً كافياً للفرضِ
لقد منعْنا فسخَ هذه الأمةْ — لفقدِ مولانا الذي قد قدّمهْ
لأنها ثلثُ الملكِ المولى — ومهرُها ثلثُ وقلَّ طُولا
وجملةُ المتروكِ ثلثُ ما بقي — نصٌّ عليه جملةُ الحذاقِ
وعتقُها وصيّةٌ لا تمضي — إلاّ من الثلثِ الصحيحِ الفرضِ
فلو أجْزنا فسخَها للعقدِ — أوجبَ ذاك رِقَّها بالوُدِّ
فخذْ هُديتَ حاصلَ الجوابِ — وطبّقَن المفضل الصواب

وجوب الرهن

كتاب المحاسن البرقي: عنه عن مروك بن عبيد عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كان الرهن عنده أوثق من أخيه المسلم فأنا منه بريء.

أقول: هذا الخبر بظاهره مشكل، ولعل المراد بالمسلم فيه المسلم الخاص المؤمن الكامل، وهو من ظهرت أمانته وديانته وتقواه من الشيعة، ولعل في التعبير بأخيه نوع إيماء إلى ذلك، وإلا فوجود الفساد في الأمانات والديانات سيما في أعصارنا هذه والاحتياج في التوثق والاستظهار إلى أزيد من الرهن أظهر من أن يخفى. نعوذ بالله من شرور نفوسنا وقبائح أعمالنا.

ثلاثة للمؤمن

ومن الكتاب المذكور: عن مطرف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة للمؤمن فيهن راحة: دار واسعة تواري عورته، وامرأة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة، وابنة أو أخت أخرجها من منزله إما بموت أو بتزويج.

أقول: لعل الوجه في الثالثة باعتبار حصول الخفة في العيال التي هي أحد اليسارين كما ورد في آخر الخبر، بل لصونهما من الزنا وراحته من الفضيحة.

ومن الكتاب المذكور: عن هشام بن الحكم أن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كسب مالاً من غير حله سلط الله عليه البناء والطين والماء.

كتمان العلم وإظهاره

كتاب بصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن الصفار من ثقات أصحابنا عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام وليس بمشترك بين رجلين كما توهمه ابن داود في خلاصته محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن فضال عن الحسن بن عثمان عن يحيى الحلبي عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال له رجل وأنا عنده: إن الحسن البصري يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كتم علماً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار. فقال: كذب والله فأين قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [1] ثم مد بها صوته فقال: ليذهبوا حيث شاؤوا، أما والله لا يجدون العلم إلا ها هنا. ثم سكت ساعة ثم قال: عند آل محمد.

حدثني السندي بن محمد عن أبان بن عثمان عن عبد الله بن سليمان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى وهو يقول: إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذاً مؤمن من آل فرعون، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يؤخذ العلم إلا ما ها هنا.

أقول: كان الحسن البصري يعرض بهم عليهم السلام حيث إنهم يفتون بالتقية في جملة من الأحكام، بل ربما لا يجيبون في بعض الأحيان أيضاً تقية، فرد عليه الإمام بما ذكره والله أعلم.

منتخبات من أشعار مختلفة

لابارك الله فيه

لبعضهم: [البحر الخفيف]

لِيَ أيرٌ لا باركَ اللهُ فيه ... يقطعُ الليلَ والنهارَ قِياما
وإذا ما الحبيبُ نامَ بجنْبي ... اتَّكى فوق خصْيَتَيْه وناما

لو أبصر ما يسره

لآخر: [البحر الطويل]

وقائلةٍ ما بالُ أيرِك لم يقمْ ... فقلتُ لها لا تُكثرين كلاما

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

فلو أبصرتْ عينٌ له ما يسرُّه ... لبادرَ إجْلالاً إليهِ وقاما
ولكنَّه لمّا رأى ما يسوءه ... توسَّد كلْتا خصيتيْه وناما

التقليد

لآخر: [البحر الكامل]

أيرٌ كبيرٌ والصغيرُ يقولُ له ... أطعنْ حشايَ وكنْ به صِنديدا
فأجبْتُ هذا لا يجوزُ فقال لي ... عندي يجوزُ فنكْتُه تقْليدا

اتسع الخرق

الآخر: [البحر السريع]

قالتْ وقد قصَّرتُ في نيكِها ... سدّ فضا مبعري الواسعِ
فقلتُ مولاتيَ عذراً فقد ... اتّسعَ الخرقُ على الراقعِ

الشمس طالعة

للشيخ الطوسي قدس الله سره ونور ضريحه: [البحر البسيط التام]

وما المثالُ الذي ما زالَ مُشْتهراً ... للمنطقيّين في الشرطيّ تسديدُ
أمَا رأوْا وجْه منْ أهْوى وطرَّتَه ... الشمسُ طالعةٌ والليلُ موجودُ

بدر وصدود

لبعضهم في التجنيس [البحر الطويل]

لقد راعني بدرُ السّما بصدودِه ... ووكَّل أجْفاني برعْيِ كواكِبهْ
فيا كَبدي دعْه عَساه يجودُ لي ... ويا مُهجتي صبْراً على ما كواكِبهْ

لذْ به

لآخر فيه أيضاً [البحر السريع]

قلتُ لبدرِ التَّمِّ لمّا بدا ... محتجباً من حسن أوْصافه
إنْ شئْت أن تسرقَ من حسْنِه ... فلُذْ به يا بدرُ أوصافِه

لبعضهم في رجل اسمه عيسى [البحرالبسيط التام]

سمّوك عيسى ولم تأتِ بمكرمةٍ ولم تشابهْهُ في فضلٍ ولا أدبِ
وما أتيتَ بشيءٍ من فضائِله إلاّ بأنَّك من أمٍّ بغيرِ أبِ

سؤال وجواب

ولآخر: [البحر الوافر]

وسائلةٍ تُسائِلُ عن طريقٍ فقلتُ لها مُجيباً أنتِ فيهِ
فغطَّتْ وجهُها عنّي حياءً وظنَّتْ أن أقولَ لها انتفيه

العشاق من خلفه

لبعضهم في الاقتباس [البحر السريع]

أقولُ والعشاقُ من خلْفِه كأنّهم من حدبٍ ينْسِلونْ
وردفُه يقرعُ من خلفِه لمثلِ ذا فلْيعملِ العامِلونْ
تقولُ عيْناه لعشّاقه اليوم تُجزون بما تعْملونْ
وهجرُه يبدو لهم قائِلاً هيهاتِ هيهاتِ لِما توعدونْ

الصدق والكذب

لبعضهم: [البحر الرجز المجزوء]

الصّدقُ في أقوالِنا أقْوى لنا والكذبُ في أفْعالِنا أفْعَى لنا
يا من يقولُ إنهم أشياخُنا عارٌ عليهم يفعلوا شياخَنا

العُلى

لآخر: [البحر السريع]

لا يُدركُ الماجدُ شأوَ العُلى إلاّ إذا فارق أوطانَه
كالسّيفِ لا يفري الطّلا حدُّه إلاّ إذا فارقَ أجفانَهُ
ولا ينالُ العلمَ إلاّ الذي أرّقَ طول الليلِ أجفانَهُ

الإحسان

لآخر: [البحر الوافر]

أرى الإحسانَ عندَ الحرِّ دِيْناً وعنـدَ النَّـذلِ منـقـصـةً وذمّـا
كقطرِ الماءِ في الأصدافِ دراً وفي جوفِ الأفاعي صارَ سُما

العود هو الله

لآخر: [البحر الطويل]

مِنَ اللهِ فاسألْ كلَّ أمرٍ تريدُه فما يملكُ الإنسانُ نفْعاً ولا ضرّا
ولا تتواضعْ للملوكِ فإنَّهم من التّيهِ في حالٍ تميسُ بهم سكرْا
وإيّاك أن ترضى بتقبيلِ راحةٍ فقد قيل فيها إنّها السجدةُ الصُغْرى

الحلم

لآخر: [البحر الرجز المجزوء]

منْ لي بإنسانٍ إذا أغضبتُه وسخطتُ كان الحلمُ ردَّ جوابهِ
وإذا ظمئتُ إلى الشراب رويْتُ من ألفاظِه وسكرْتُ من آدابهِ
جذلانَ يحتملُ الأذى عن رقدةٍ واللآدغاتُ الصمُّ تحتَ ثيابهِ
وتراه يُصغي للحديثِ بسمْعِه وبقلْبِه ولعلَّه أدرى بهِ

الصديق

لآخر: [البحر الطويل]

وليس صديقاً منْ إذا قلتُ لفظةٍ توهَّمَ في أثناءِ موقعِها أمرا
ولكنّه من لو قطعْتُ بنانَه توهُّمها قصْداً لمصلحةٍ أُخرى

حسن المجالسة

عبد الله بن المعتز: [البحر البسيط التام]

وأمطرَ الكاسُ ماءً من أبارقِه فانبتَ الدرَّ في أرضٍ منَ الذهبِ
وسبّحَ القومُ لمّا أنْ رأوْا عجَباً نوراً من الماءِ في نارٍ من الغيبِ

الحياة والموت

السيد الرضي رحمه الله: [البحر البسيط التام]

نخْطو وما خطْونا إلاّ إلى الأجلِ ... وتنقضي وكأنَّ العمرَ لم يطلِ
والعيشُ يؤذنُنا بالموتِ أوّلُه ... ونحنُ نرغبُ بالأيامِ والدّولِ

طول الأناة

وقال الكميت بن زيد الأسدي: [البحر البسيط التام]

قالوا فلم لم يقاتلْهم هُناك على ... حقٍ ليدفعَ عنه الضّيمَ مرهفُه
أم كيفَ أمهلَ من لو سلَّ صارمَه ... في وجْهه لرأيتَ الطيرَ يخطفُه
فقلتُ من ثبّتتْ في العقلِ حكمتُه ... فلا اعتراضٍ عليه حين تُنصفُه
لِمْ عمَّر اللهُ إبليساً وسلّطَه ... على ابنِ آدمَ في الآفاقِ يقذفُه
لِمْ أمهلَ اللهُ فرْعوناً يقولُ لهم ... إنّي أنا اللهُ مُحيي الخلقِ متلفُه
في مجلسٍ لو أرادَ اللهُ كان به ... وبالّذي نصروه كان يخسفُه
أملى لهم فتمادوْا في غوايتِهم ... إن الغويَّ كذا الدّنيا تسوّفُه
وهل خَلا حجةُ اللهِ ويْحك من ... جبارِ سوءٍ على البأساءِ يعطفُه

في الخبر: إن الإمام الصادق عليه السلام رأى السيد الحميري ذات يوم فقال له: سمتك أمك سيداً ووفقت في ذلك، فأنشأ السيد افتخاراً بهذا الكلام: [البحر الكامل]

ولقد عجبتُ بقائلٍ لي مرةً ... علامةٌ فهمٌ منَ الفُهماءِ
سمّاك قومُك سيّداً صدقوا به ... أنتَ الموفّق سيّدُ الشّعراءِ
ما أنتَ حين تخصُّ آلَ محمدٍ ... بالمدحِ منك وشاعرٌ بسواءِ
مدحَ الملوكَ وذي الغِنى لعطائِهم ... والمدحُ منك لهم بغيرِ عطاءِ
فابشرْ فإنّك فائزٌ من حبّهم ... لو قد غدوْت عليهمُ بجزاءِ
ما تعدلُ الدّنيا جميعاً كلُّها ... من حوضِ أحمدَ شربةٌ من ماءِ

الصاحب ابن عباد في مدح أمير المؤمنين عليه السلام: [البحر الكامل]

كان النبيُّ مدينةَ العلمِ الّتي ... حوَت الكمالَ وكنتَ أفضلَ بابِ
رُدّتْ عليك الشمسُ وهي فضيلةٌ ... ظهرتْ فلم تسترْ بلفّ نقابِ
لم أحكِ إلاّ ما روتْه نواصبٌ ... عادتْك وهي مباحةُ الأسباب

وله أيضاً قدس الله سره: [البحر الطويل]

أبا حسنٍ إن كان حبُّك مُدخلي ... جهنمَ كان الفوزُ عندي جحيمُها
وكيف يخافُ النارَ من كان موقناً ... بأنَّ أميرَ المؤمنين قسيمُها

وله أيضاً رحمه الله تعالى: [البحر الكامل]

يا أميرَ المؤمنينَ المرتَضى ... إنَّ قلبي عندكُمْ قد وقَفا
كلّما جدَّدت مَدحي فيكمُ ... قال ذي النصبِ نسيتُ السّلفَا
من كمولايَ عليٌّ زاهدٌ ... طلَّقَ الدّنيا ثلاثاً ووفَى
من دعا للطيرِ إذ يأكلُه ... دلّنا في بعضِ ما لا يُكتفى
من وصيُّ المصطفى عندكمُ ... ووصيُّ المصطفى من يُصطفَى

قصة الفقيرة مع داود النبي عليه السلام

كتاب الأمالي: عن أبي عن أبيه عن آبائه قيل: دخلت امرأة على داود عليه السلام فقالت: يا نبي الله ربك ظالم أم عادل؟

فقال: ويحك هو العدل الذي لا يجور: ثم قال لها: ما قصتك؟

قالت: إني امرأة أرملة عندي ثلاث بنات أقوم عليهن من غزل يدي، فلما كان أمس شددت غزلي في خرقة حمراء وأردت أن أذهب إلى السوق لأبيعه وأبلغ به أطفالي فإذا أنا بطائر قد انقض علي وأخذ الخرقة والغزل وذهب وبقيت محزونة ما لي شيء أبلغ به أطفالي.

قال: فبينما المرأة مع داود عليه السلام في الكلام وإذا بالباب يطرق على داود عليه السلام فأذن بالدخول وإذا بعشرة من التجار مع كل واحد مائة دينار فقالوا: يا نبي الله أعطها لمستحقها. فقال لهم داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال؟

قالوا: يا نبي الله كنا في مركب فهاجت علينا الريح فعاب المركب وأشرفنا على الغرق فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل فسددنا به عيب المركب فهانت علينا الريح وانسد العيب ونذرنا لله أن يتصدق كل واحد منا بمائة دينار، وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت، فالتفت داود إلى المرأة وقال لها: ربك يتجر لك في البر والبحر وتجعليه ظالماً، وأعطاها ألف دينار فقال: أنفقيها على أطفالك والله أعلم بحالك.

سأل الصفدي عن قول قيس:

السهو

أصلي فلا أدري إذا ما ذكرتها ... اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

ما وجه الاثنين والثمان؟

فقال: كأنه لكثرة السهو واشتغال الفكر كان يعد الركعات بأصابعه ثم إنه يذهل فلا يدري هل الأصابع التي ثناها هي التي صلاها أم الأصابع المفتوحة.

قال بعضهم بعد نقل ذلك: أقول ولله در الصفدي في هذا الجواب الرائق الذي صدر عن طبع أرق من السحر الحلال وألطف من خمر شيب بالزلال وإن كان قيساً لم يقصد ذلك.

أخبار الفرار من الطاعون

كتاب مسكن الشجون: في حكم الفرار من الطاعون للسيد العلامة المحدث السيد نعمة الله تغمده الله برحمته (الباب الثالث) في حكم الفرار من الطاعون اعلم وفقنا الله وإياك أن الله عز وجل قدم الاهتمام بالأبدان وحفظ النفوس على الاهتمام بالأديان، ألا ترى إلى من سب نبياً أو إماماً من غير ضرورة داعية إليه كان مرتداً يجب قتله على من سمعه، ومع هذا فقد أباح السب محافظة على النفوس، قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أما إنه سيبليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة وأما البراءة فلا تتبرأوا فإني ولدت على الفطرة وسبقت على الإسلام.

أقول: أراد عليه السلام بذلك الرجل معاوية بن أبي سفيان عليه لعائن الله، وأما الفرق بين السب والبراءة فهو أن السب راجع إلى اللسان والبراءة موردها القلب، وكذلك سوغ التيمم عند خوف استعمال الماء، وأما المكث في بلاد الطاعون فلما كان فيه من الخوف على النفس جوز الشارع الفرار من أرض الطاعون روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى علي بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: القوم يكونون في البلد يقع فيها الموت ألهم أن يتحولوا إلى غيرها؟ قال: نعم قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله عاب قوماً بذلك فقال: أولئك كانوا ربئة بإزاء العدو فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبقوا في موضعهم ولا يتحولوا منه إلى غيره فلما وقع فيهم الموت تحولوا من ذلك المكان إلى غيره فكان تحويلهم من ذلك المكان إلى غيره كالفرار من الزحف.

وفي روضة الكافي بسند حسن عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوباء يكون في ناحية مصر فيتحول الرجل إلى ناحية أخرى أو يكون في مصره فيخرج عنه إلى غيره؟

قال: لا بأس إنما نهى عنه صلى الله عليه وآله عن ذلك المكان ربية كانت بحيال العدو فوقع فيهم الوباء فهربوا منه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «الفار منه كالفار من الزحف» كراهية أن تخلو مراكزهم (والرئية على وزن فعليه بالهمزة وهي العين الطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم العدو).

وروى أيضاً بإسناده إلى أبان الأحمر قال: سأل بعض أصحابنا أبا الحسن عليه السلام عن الطاعون يقع في بلدة وأنا فيها أتحول عنها؟

قال: نعم قال: ففي القرية وأنا فيها؟

قال: نعم قال: ففي الدار وأنا فيها أتحول عنها؟

قال: نعم قلت فأنا نتحدث أن رسول الله ﷺ قال «الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف» قال: إن رسول الله ﷺ إنما قال هذا في قوم كانوا يكونون في الثغور نحو العدو فيقع الطاعون فيخلون أماكنهم ويفرون منها فقال رسول الله ﷺ ذلك فيهم.

وروى علي بن جعفر في كتاب المسائل عن أخيه موسى عليه السلام قال: سألته عن الوباء يقع في الأرض هل يصلح للرجل أن يهرب؟

قال: يهرب منه ما لم يقع في مسجده الذي يصلي فيه ولا يصلح الهرب منه.

أقول: قد تضمنت هذه الأخبار بالفرار من الطاعون والأمر للوجوب عند المحققين على أن الفرار ظاهر في الدلالة عليه إن لم نقل بدلالة الأمر عليه، وأما الندب فلا كلام في الدلالة عليه والزحف الجيش والمراد هنا جيش النبي ﷺ والإمام صلوات الله عليه الذي يجب الثبات فيه، وبعض العلماء اطلع على أول الحديث وهو قوله ﷺ: «الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف» من روايات العامة لأنه رووه عن عائشة، ومن جملة من رواه عنها الغزالي في كتاب الأحياء ولأجل عدم الإطلاع على تفسير الحديث والجزء الأخير منه ذهبوا إلى تحريم الفرار من الطاعون.

وحكي: أن بعضهم ما كان يصلي على من مات فاراً من الطاعون، وهذا غريب جداً لأنه على تقدير التحريم يكون قد فعل حراماً إما صغيرة أو كبيرة، والإجماع منعقد على وجوب الصلاة على كل مؤمن عادلاً كان أو فاسقاً، والغزالي وغيره من علماء العامة مع روايتهم لذلك الخبر ذهبوا إلى كراهية الفرار من الطاعون ولا نعلم من أين جاء التحريم، وبعضهم استند فيه إلى الآية وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾(١)

وروى: الكافي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ فقال: إن هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام وكانوا سبعين ألف بيت وكان الطاعون يقع فيهم في كل أوان، وكانوا إذا أحسوا به خرج الأغنياء لقوتهم وبقي فيها الفقراء لضعفهم، وكان الموت يكثر في الذين أقاموا ويقل في الذين خرجوا فيقول الذين خرجوا لو كنا أقمنا لكثر فينا الموت ويقول الذين أقاموا لو كنا خرجنا لقل فينا الموت.

قال: فاجتمع رأيهم جميعاً إذا وقع الطاعون وأحسوا به خرجوا كلهم من المدينة، فلما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

أحسوا بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحوا عن البلد حذراً من الموت فساروا في البلاد ما شاء الله، ثم إنهم مروا بمدينة خربة قد خلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها فلما حطوا رحالهم واطمأنوا بها قال الله عزّوجلّ: «موتوا جميعاً» فماتوا من ساعتهم وصاروا فيها عظاماً تلوح وكانوا على طريق المارة فكنستهم المارة ونحوهم وجمعوهم في موضع، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له (خرقيل) فلما رأى تلك العظام بكى واستعبر وقال: يا رب لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتهم فعمروا بلادك وولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك من خلقك، فأوحى الله إليه أفتحب ذلك؟

قال: نعم، فأوحى الله عز وجل إليه قل كذا وكذا وقال الذي أمره الله تعالى أن يقول وهو الاسم الأعظم، فلما قال خرقيل ذلك الكلام نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض يسبحون الله عز وجل ويكبرونه ويهللونه، فقال خرقيل عند ذلك أشهد أن الله على كل شيء قدير.

وروي: في حديث آخر عن الصادق عليه السلام أن اليوم الذي أحيا الله فيه تلك العظام يوم النور وصب الماء على العظام فأحيا الله تعالى قال عليه السلام فلذلك صار صب الماء سنة لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، يعني أنه يستحب صب الماء ورشه يوم النوروز في أبواب البيوت وفناء الدور والمنازل ليطرد الله الموت في ذلك العام عن أهل المنزل.

أقول: هذا الحديث حجة لنا لا علينا، وذلك أن أحيائهم صارت معجزة لنبي من أنبياء بين إسرائيل وعلل عليه السلام حياتهم بعد الموت بعبادة الله تعالى وقارنوا حياتهم بالتكبير والتهليل، وليس هذا حال من مات مصراً على الكبائر، فدل على أن فرارهم من الطاعون كان مقلدنا لطاعة الله تعالى ولكن لما فروا من الطاعون وافوا آجالهم وانقضاء أعمارهم فماتوا به، وفي الرواية عن مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه أصاب الناس في زمن داود عليه السلام طاعون حارق فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء فلذا قصده ليدعو فيه، فلما وقف موضع الصخرة دعى الله تعالى في كشف الطاعون عنهم فاستجاب الله له ورفع، باعدوا ذلك الموضع مسجداً وكان الشروع في بنائه لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وتوفي قبل أن يستتم بناؤه وأوصى إلى سليمان بإتمامه.

أقول: في هذا الحديث دلالة على استحباب الخروج من الطاعون لقصد موضع شريف منجياً عن الطاعون ودعا الله سبحانه في رفعه انتهى ما أردنا نقله من كلامه قدس الله سره.

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي هذه النقول: ما نقله سيدنا المحدث قدس الله سره من حديث مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وتجويزه السب له تقية، وقوله: «وأما البراءة فلا تتبرأوا مني» إلى آخره مشكل، وظاهر سيدنا المشار إليه الجمود على ظاهره كما يشعر به كلامه في الفرق بين السب والبراءة، والذي وقفت عليه من هذا الخبر في بعض المواضع خال من لفظ فلا تتبرأوا مني، على أنه قد روي في كتاب قرب الاسناد عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام

قال: قيل له أن الناس يروون أن علياً عليه السلام قال على منبر الكوفة: أيها الناس إنكم ستدعون إلى سبي فسبوني ثم ستدعون إلى البراءة مني وإني لعلى دين محمد صلى الله عليه وآله ولم يقل ولا تتبرأوا مني فقال له السائل: أرأيت أن أختار القتل دون البراءة منه؟

فقال: والله ما ذلك عليه وما له إلا ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث أكرهوه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1] فقال له النبي صلى الله عليه وآله عندها: يا عمار إن عادوا فعد فقد أنزل الله عز وجل عذرك في الكتاب وأمرك أن تعود إن عادوا.

وهذا الخبر صريح كما ترى في جواز البراءة بل أفضليتها محافظة على النفس، وما ذكره سيدنا من الفرق عليل فإن القلب متى كان مطمئناً بالإيمان ومصدر البراءة كالسب إنما هو اللسان، فأي ضرر في البراءة أو نقصان. ثم ما ذكره قدس الله سره في معنى ما روي عن الصادق عليه السلام من أن إحياء تلك العظام كان يوم النوروز يصب الماء عليها وإن صب الماء لذلك صار سنة من أن يستحب صب الماء ورشه يوم النوروز في أبواب البيوت، فإن كان المستند فيه مجرد هذا الحديث ففهمه منه في غاية البعد، فإن الأقرب حمله على الغسل المستحب في هذا اليوم كما ورد في أخبار آخر وهو الملائم لصب الماء على العظام والأنسب بها في هذا المقام، ويكون هذا هو العلة في أصل مشروعية هذا الغسل.

قصيدة الناشىء في مدح الرسول صلى الله عليه وآله

مما قاله: أبو العباس عبد الله بن محمد الناشىء يمدح الرسول صلى الله عليه وآله وقد جمع فيها آباءه وهي هذه القصيدة: [البحر الطويل]

مدحتُ رسولَ اللهِ أبغي بمدحِه ... وفورَ حُظوظي من كريمِ المآربِ
مدحتُ امرءاً فاق المديحَ موحّداً ... بأوصافِه عن مبعدٍ ومقاربِ
نبيٌ تسامى في المشارقِ نورُه ... فلاحتْ بواديه لأهلِ المغاربِ
أتتْنا به الأنبياءُ قبل مجيئِه ... وشاعتْ به الأخبارُ في كلِّ جانبِ
وأصبحتِ الكهانُ تهتفُ باسْمِه ... وتنْعى به رجمَ الظّنون الكواذبِ
ونطّقتِ الأصنامَ نطْقاً تبرأتْ ... إلى اللهِ فيه من مقالِ الأكاذبِ
وقالتْ لأهلِ الكفرِ قولاً مبيناً ... أتاكمْ نبيٌ من لويِّ بْنِ غالبِ
ورامَ استراقَ السمعِ جنٌّ فزيّلتْ ... مقاعدهم منها رجومُ الكواكبِ

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

هدانا إلى ما لم نكنْ نهتدي له ... لطولِ العَمى من واضحاتِ المذاهبِ

أتـانـا بـآيـاتٍ تـبـيّـنَ إنّـهـا ... دلائـلُ جبارٍ مثيبٍ معاقبِ

فمنها انشقاقُ البدرِ حين تعَمّمت ... شعوبُ الضّيا منه رؤوسَ الأخاشبِ

ومنها نبوعُ الماءِ بين بنانِه ... وقد عدِمَ الورّاد قربَ المشاربِ

فروّى به جمّاً غفيراً وأسهلتْ ... بأعناقِه طوْعاً ألوفُ المذاهبِ

وبئرٌ طغتْ بالماءِ من مسِّ سهْمِهِ ... ومن قبلُ لم تسحّ بمذقةِ شاربِ

وضرعُ مراةٍ فاستدرّ ولم تكنْ ... به درةٌ تصُغي إلى كفِّ حالبِ

ونطقٌ فصيحٌ من ذراعٍ مبيتةٍ ... لكيدِ عدوٍّ للعداوةِ ناصبِ

وإخبارهُ بالأمرِ من قبلِ كونِه ... وعند بواديهِ بما في العواقبِ

ومن تلكمُ الآياتِ وحيٌ أتى به ... قريبُ المآتي مستجمُّ العجائبِ

تقاصرتِ الأفكارُ عنه فلم تطِعْ ... بليغاً ولم تخطرْ على قلبِ خاطبِ

حوى كلَّ علمٍ واحْتوى كلَّ حكمةٍ ... وفاتَ مرامَ المستمرِّ المؤاربِ

أتـانـا بـه لاعـنْ رويّـةِ مـرْتإٍ ... لا صحفُ مستملٍ ولا وصفُ كاتبِ

يؤاتيهِ طوْراً في إجابةِ سائلٍ ... وإفتاءِ مستفتٍ ووعظِ مخاطبِ

وإتيانِ برهانٍ وفرضِ شرائعٍ ... وقصِّ أحاديثٍ ونصِّ مآربِ

وتصريفِ أمثالٍ وتثبيتِ حجةٍ ... وتعريفِ ذي جحدٍ وتوقيفِ كاذبِ

وفي مجمعِ النّادي وفي حومةِ الْوغى ... وعند حدوثِ المعضلاتِ الغرائبِ

فيأتي على ما شئت من طرقاتهِ ... قويمَ المعاني مستدرَّ الضرائبِ

يصدّقُ منه البعضُ بعضاً كأنما ... يلاحظُ من معناه بين المواقبِ

وعجزُ الورى من أن يجيئُوا بمثلِه ... وصفْناه معلوماً بطولِ التجاربِ

تأبّى (بعبدِ اللهِ) أكرمِ والدٍ ... تبلّجَ عنه عن كريمِ المناسبِ

(وشيبةِ) ذي الحمدِ الذي فخرتْ به ... قريشٌ على أهلِ العُلَى والمناصبِ

ومن كان يُسْتسقَى الغمامُ بوجهِه ... ويصدرُ عن آرائِه في النوائبِ

و(هاشمٌ) الباني المشيدُ افتخارِه ... بعزِّ المَساعي وامتحانِ المواهبِ

(وعبدُ منافٍ) وهو علّم قومَه ... استطاطَ الأماني واحتكامَ الرغائبِ

وإن (قُصيّاً) من كريمِ غراسِه ... لفي منهلٍ لم يدنُ من كفِّ قاضبِ

به جمعَ اللهُ القبائلَ بعد ما ... تقسّمها نهْباً أكفُّ السّوالبِ

وحلّى (كلاب) من ذُرى المجدِ معقلاً ... تقاصر عنه كلُّ دانٍ وغائبِ

و(مرةُ) لم يحللْ مريرةَ عزمِه ... سَفاه سفيهٍ أو مجوبةُ جائبِ

و(كعبُ) عُليّ عن طالبِ المجدِ كعبه فنالَ بأدنى السّعي أعْلَى المراتبِ
والْوى (لويُّ) بالعداءِ فطوّعتْ لهم همَمٌ شُمُّ الأنوفِ الأغالبِ
وفي (غالبٍ) بأسٌ أبا الباسُ دونهم يدافعُ عنه كلُّ قرنٍ مغالبِ
وكانتْ (لفهرٍ) في قريشٍ خطابةٌ يعوذُ بها عند اشتجارِ المخاطبِ
وما زالَ منهم (مالكٌ) خيرُ مالكٍ وأكرمُ مصحوبٍ وأكرمُ صاحبِ
و(النظر) طُولى يقصرُ الطرفُ دونَه بحيثُ الْتقى ضوءَ النجومِ الثواقبِ
لعمري لقد أبدى (كنانةُ) قبلَه محاسنَ تأبى أن تطوعَ لغالبِ
ومن قبلِه أبقى (خزيمةُ) بعده تليدَ تراثٍ عن حميدِ الأقاربِ
و(مدركةٌ) لم يدركِ الناسُ مثلَه اعفَّ وأغلى عن دنيّ المكاسبِ
و(إلياسُ) كان اليأس منه مقارناً لاعدادِه قبل اعتدادِ الكتائبِ
وفي (مضرٍ) يستجمعُ الفخرَ كلُّه إذا اعتركتْ يوماً زحوفُ المناقبِ
وحلَّ (نزارٌ) من رياسةِ قومِه محلاً تسامى عن عيونِ الرواقبِ
وكان (معدٌّ) عدّةً لوليّهَ إذا خافَ من كيدِ العدوّ المحاربِ
وما زالَ (عدنانٌ) إذا عُدَّ فضلُه توحّدَ فيه عن قرينٍ وصاحبِ
(وادّ) نادى الفضلُ منه بغايةٍ وارثٌ حواه عن قرومٍ أشائبِ
وفي (أددٍ) حلمٌ يزيّن بالحجَى إذا الحكمُ ازهاه قطوبُ الحواجبِ
وما زالَ يستعْلي (هميسعُ) بالعُلى ويبلغُ آمالَ البعيدِ المراغبِ
و(نبتٌ) نبتْه دوحةُ الغرّ فابْتنى معاقلَه في مشمخرّ الأهاضبِ
وحيزتْ (لقيد) سماحةُ حاتمٍ وحكمةُ لقمانٍ وهمةُ حاطبِ
همُ نسلُ (إسماعيل) صادقُ وعدِه فما بعده في الفخرِ مسعىً لذاهبِ
وكان (خليلُ اللهِ) أكرمَ من عنتْ له الأرضُ من ماشٍ عليه وراكبِ
و(تارخُ) ما زالتْ له أريحيّةٌ تبينُ منه عن حميدِ الصوائبِ
و(ناخوُر) نحّارِ العِدى احفظتْ له مآثرُ لمّا يحصِها عدُّ حاسبِ
و(اشرعُ) في الهيجاءِ ضيغمُ غابةٍ يقدُّ الطّلا بالمرهفاتِ القواضبِ
و(أرغوا) فتات في الحروبِ محكمٌ وضنيّنٌ عن نفسِ الشحيحِ المغالبِ
وما (قالع) في فضلِه تلو قومِه ولا (عابر) من دونِه في المراتبِ
و(شارح) و(ارفخشد) و(سام) سمَتْ بهم سجايا حمتْهم كلّ زارٍ وعائبِ
وما زال (نوحٌ) عند ذي العرشِ فاضلٌ يعدّده في المصطفين الأطائبِ
و(لمك) أبوه كان في الروعِ أريعاً حرّياً على نفسِ الكميّ المحاربِ

ومن قبل (لمد) لم يزلْ متوشلخ يذودُ العُلى بالذايداتِ الشواربِ
وكانت (لإدريسَ) النبيِّ منازلٌ من اللهِ لم تقرنْ بهمةِ راغبِ
و(بادر) بحرٌ عند أهلِ سرابةٍ أبيٌّ الخزايا مستدقُّ المآربِ
وكانت (لمهلائيل) فيهم فضائل منزهة عن فاحشات المثالب
و(قينانُ) من قبلُ اجْتنى مجدَ قومِه وفاتَ بشأوِ الفضلِ وخْذَ الركائبِ
وكان (انوشٌ) ناشَ للمجدِ نفسَه ونزّهها عن مردياتِ المطالبِ
وما زالَ (شيثٌ) بالفضائلِ فاضِلاً شريفاً بريّاً عن ذميمِ المعايبِ
وكلّهمُ من نورِ (آدم) اقبسُوا ومن عودِه اجْنوْا ثمارِ المناقبِ
وكان رسولُ اللهِ أكرمَ منجبٍ جرىً في ظهورِ الطيّبين المناجبِ

وقال الخليفة الناصر العباسي: [البحر الكامل]

قسماً بمكةَ والحطيمِ وزمزمِ والراقصاتِ ومشيهنّ إلى مِنى
بغضُ الوصيِّ علامةٌ مكتوبةٌ كُتبتْ على جبهاتِ أولادِ الزّنا
من لم يُوالِ في البريةِ حيْدراً سيّان عندَ اللهِ صلّى أم زنَى

نسب النبي ﷺ وذكر الاختلاف فيه

كتاب الحدائق: تأليف الشيخ أحمد بن صالح البحراني قدس الله سره في أحوال النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام فقد نقل كل منهم بطريق الروايات في حديقة فقال رحمه الله في حديقة النبي ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه عامر ويقال له شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن ادد، وقال رسول الله ﷺ: كذب النسابون ثلاثاً لم يصح لمضر نسب فيما بين معد بن عدنان إلى إسماعيل ولا لليمن نسب للعرب إلى قحطان ثم تلا هذه الآية: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[1] وقول صاحب جواهر الأصفاط كل الطوائف تقول عدنان بن أدد إلا طائفة فإنها تقول عدنان بن أد بن أدد.

وقد روى موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمته أم سلمة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «معد بن عدنان بن أدد بن زيد بن برا بن أعراق الثري». قالت أم سلمة فزيد هو الهميسع وبرا هو نبت وأعراق الثرى هو إسماعيل.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٨.

أقول: ويقال لنبت نابت أيضاً وجمل وقد أجمع النسابون جميعاً العدنانية والقحطانية والأعاجم على أن إبراهيم عليه السلام من ولد عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح، وأجمعوا أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم إلا أنهم اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل، وقيل بينهما سبعة آباء واختلفوا في ذلك في بعض الأسماء، وقيل بينهما سبعة آباء؟

مخالفة أيضاً في بعض وقيل بينهما خمسة عشر وقيل بينهما أربعون وأخذوا ذلك من كتاب بوروخ بن ميرنا كاتب أرميا النبي عليه السلام وكان قد حملا معد بن عدنان من جزيرة العرب ليالي بخت نصر فأثبت بوروخ وفي كتبه نسبة عدنان فهي معروفة عند أخبار أهل الكتاب وعلمائهم مثبتة في أسفارهم، وعند طائفة من علماء العرب لمعد أربعون أبا بالعربية إلى إسماعيل ويحتج بأسمائهم بشعر أمية بن أبي الصلت وغيره من علماء الشعر أيام الجاهلية - انتهى.

ونذكر الآن شيئاً من الاختلافات في نسب عدنان إلى إسماعيل من الكتاب المذكور: عدنان يقال لهم المضرية وقيس أيضاً وهم العرب المستعربة أولاد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل لهم العرب المستعربة لأن لغة إسماعيل كانت عبرانية لو أقام عند أبيه فلما أنزله إبراهيم عليه السلام مع أمه هاجر بمكة نشأ في جرهم وتكلم بلغتهم العربية وتزوج منهم فهم أخوال ولده الذين إليهم سائر أنساب بني عدنان. ويقال إن نزول إسماعيل وأمه هاجر بمكة كان قبل الهجرة بألفين وسبعمائة وثلاثة وتسعين سنة، وقيل كان بين عمران أب موسى وعمران أب مريم عليه السلام ألف سنة وبين يوشع وصي موسى وبين داود أربعمائة سنة وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله خمسمائة سنة، وكان مولد النبي صلى الله عليه وآله يوم ولد وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين فولده من جرهم اثني عشر ولداً منهم قيدار، فلما مات إسماعيل بقي المكد لجرهم وسدانة البيت لبني إسماعيل.

وقيل بل كان بنو إسماعيل ملوكاً وسدنة وإنما ملك بعد نابت بن إسماعيل ويقال ولد لقيدار بن إسماعيل ابن يقال له جمل فولد جمل بن قيدار نبت بن جمل ويقال نابت وقيل نبت بن قيدار وقيل نبت بن إسماعيل، فولد لنبت سلامان وولد لسلامان الهميسع وولد للهميسع اليسع وولد لليسع أدد وولد لأدد ابنه أد وولد للأد ابنه أد وولد لأد عدنان وقيل عدنان بن أدد بن المقوم بن ناخور بن تارخ بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم.

وقيل عدنان بن أدد بن يحشون بن مقوم بن ناخور بن تارخ بن يعرب بن يشجب بن نبت بن إسماعيل وقيل عدنان بن أدد بن ايثحت بن أيوب بن قيدار بن إسماعيل وقيل عدنان بن منيع بن ادد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن قيدار بن إسماعيل.

وروى: الشيخ الثقة النجاشي صاحب كتاب الرجال في ترجمة محمد بن شمون من كتابه المشار إليه بسنده إليه قال: ورد داود الرقي البصرة بعقب اجتياز أبي الحسن موسى عليه السلام في سنة سبعين ومائة فسار بي إليه وسأله عنها فقال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سواء على

الناصب صلى أم زنى وقد نظم شيخنا أبو الحسن سليمان بن عبد الله البحراني فقال:

[البحر الكامل]

خلعَ النواصبُ ربقةَ الإيمانِ … فصلاتُهم وزناهُمُ سَيّانِ
قد جاءَنا في واضحِ الآثارِ عن … آلِ النبيِّ الصفوةِ الأعيانِ

من ترجمة الخليفة الناصر العباسي

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي هذه النقول: الظاهر عن حال الناصر العباسي واسمه أحمد بن المستضيء وكنيته أبو العباس إنه كان شيعي المذهب وبذلك جزم صاحب كتاب مجالس المؤمنين بعد نقل ترجمته في الكتاب المشار إليه، وحكى فيه أنه كان ابن عبد الله نقيب الطالبين في مدينة الموصل كتب على الناصر كتاباً مضمونه أنه قد بلغني إنك قد عدلت عن مذهب التشيع إلى مذهب التسنن فإن كان صحيحاً فاكتب إلي ما السبب في ذلك؟ فلما وصل الكتاب إلى الناصر كتب له في الجواب هذه الأبيات وأرسلها إليه:

يميناً بقومٍ أوضحوا منهجَ الهُدى … وصامُوا وصلّوا والأنامُ نيامُ
أصابَ بهِم نوحاً ونوح بهِمْ نَجا … وناجَى بهم مُوسى وأعقبَ سامُ
لقد كذبَ الواشون فيما تخرّصوا … وحاشا الضُّحى أن يعتريه ظلامُ

وقال في كتاب المجالس ونقله غيره في غيره أيضاً أنه كتب علي بن صلاح الدين يوسف من ملوك آل أيوب إلى الخليفة الناصر كتاباً يشكو عمه أبا بكر وأخاه عثمان حيث اغتصب الملك منه، وذلك لأن أباه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب جعل أكبر ولده، وهو نور الدين على المذكور ولي عهده وأخذ له البيعة على أخيه أبي بكر نجم الدين وعلى ابنه عثمان بن صلاح الدين، ولما مات أبوه صلاح الدين يوسف وثب عثمان مع عمه أبي بكر علي وأخرجاه وملكا دونه، فكتب هذه الأبيات إلى الناصر العباسي ويستصرخه ويشكو حاله: [البحر البسيط التام]

مولايَ إنّ أبا بكرٍ وصاحبَه … عثمانَ قد غصبا بالسيفِ حقَّ علي
وهوَ الذي كان قد ولّاه والدُه … عليهِما فاستقامَ الأمرُ حين وُلي
فخالفاه وحلّا عقدَ بيعتِه … والأمرُ بينهما والنصُّ فيه جَلي
فانظرْ إلى حظّ هذا الاسمِ حيثُ لقي … من الأواخرِ ما لاقَى من الأولِ

فكتب إليه الناصر في الجواب: [البحر الكامل]

وافَى كتابُك يا بنَ يوسفَ ناطِقاً … بالصدقِ يُخبرُ أن أصلَك طاهرُ
غصبُوا عليّاً حقّه إذ لم يكنْ … بعدَ النبيِّ له بيثربَ ناصرُ
فاصبرْ فإنَّ غداً عليه حسابهمْ … وابشرْ فناصرُك الإمامُ الناصرُ

ويروى: أن الناصر عاجله الموت قبل الانتصار له، وقد تقدم في هذا الكتاب في ذكر بني العباس ومدة خلافة كل منهم، وتاريخ وفاته أن مدة خلافة الناصر كانت خمس وأربعون سنة ووفاته كانت السنة السابعة بعد الستمائة.

لبعض الشيعة وهو مهيار الديلمي نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج:

[البحر الرمل المجزوء]

يا ابنةَ الطاهرِ كم يقرعُ بالظلم عصاكِ
غضبَ اللهُ لخطبٍ ليلةَ الطفّ أراكِ
ورعَى النارَ غداً مَنْ رعى أمس حِماك
مرَّ لم يعطفْه شكواكِ ولا استحيَ بُكاكِ
وافتدَى الناسُ به بعد فأرذى ولداكِ
يا ابنةَ الرّاقي إلى السدرةِ في لوحِ الشّكاكِ
لهفَ نفسي وعلى مثلِك فلتبْكِ الْبَواكي
كيف لم تقطعْ يدٌ مدّ إليها ابنُ صهاكِ
فرحُوا يومَ أهانوكِ بما ساؤوا أباكِ
ولقد أخبرَهم أنّ رضاهُ في رضاكِ
دفعَا النصَّ على أرثِك لمّا دفعاكِ
وتعرضْتِ لقدرٍ نافعٍ فانتَهراكِ
وادعَيتِ النِّحلةَ المشهودَ فيها بالسّكاكِ
فاسْتشاطا ثم ما أن كذّبا أن كذّباكِ
فزوى اللهُ عن الرحمةِ زنديقاً زواكِ
ونفَى عن بابِه الواسعِ شيْطاناً نفَاكِ

قال ابن أبي الحديد: بعد نقل هذه الأبيات: فانظر إلى هذه البلية التي صبت من هؤلاء على سادات المسلمين وأعلام المهاجرين، وليس ذلك بقادح في علو شأنهم وجلالة قدرهم - انتهى.

أقول: ليت شعري ما جرم الشيعة بعد تصريحه هو في قدحه المذكور وأمثاله هذه الفضائح ونقلهم لهذه الفوادح كما لا يخفى على من نظر في كتبهم وأخبارهم وتتبع آثارهم، والله يجزي كلاً بعمله.

البحرين

من كتاب مجالس المؤمنين: للسيد نور الدين المعروف بالشهيد الثالث في ترجمة البحرين من الكتاب المذكور: قال صاحب معجم البلدان: إن البحرين اسم لجميع البلدان التي على

ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان، وقال بعضهم إن البحرين قصبة هجر إلى أن قال: والبلاد المشهورة بالبحرين القطيف واده وهجر وينبونه وزاره وجوانا وشابور ودارين وغاية.

وفي السنة الثامنة من الهجرة أرسل رسول الله ﷺ العلا بن عبد الله الحضرمي إلى أهل تلك الديار بالدخول في الإسلام أو قبول الجزية، وكتب بذلك إلى المنذر بن واسحت مرزبان هجر، ولما وصل كتاب النبي إلى هذين الاثنين اللذين هما رئيسا تلك الولاية دخلا في الإسلام وكذلك جميع العرب الذين معهما، وبعض العجم وأهل القرى والزراعة من المجوس واليهود والنصارى صالحوا على نصف غلتهم من الزراعة والتمر وبقوا على مذاهبهم، والعلا في ذلك العام أرسل للنبي ﷺ من مال تلك الولاية ثمانين ألف دينار، وبعد ذلك عزل الرسول العلا وولى أبان بن العاص وسعيد بن أمية وبقيا إلى وقت وفاة الرسول ﷺ فلما ولي أبو بكر عزله وولى العلا أيضاً ولما كان في زمن عزله وولى أبا هريرة، ولما ولي ذلك المكان حصل منه خيانة عظيمة في الأموال التي قبضها.

روى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: استعملني عمر بن الخطاب على البحرين فاجتمعت لي اثنا عشر ألف دينار فلما قدمت إلى عمر قال لي: يا عدو الله وعدو المسلمين أو قال عدو كتابه سرقت مال الله؟

قال قلت: لست بعدو الله والمسلمين أو قال وكتابه ولكني عدو من عداهما قال: فمن أين اجتمعت هذه الأموال؟

قالت: خيل لي تناتجت وسهام اجتمعت. قال: فأخذ مني اثني عشر ألفاً إلى أن قال السيد المشار إليه في الكتاب المذكور: وتسيع أهل البحرين وقصباتها مثل القطيف والحسا من قديم الأيام إلى هذه الأيام ظاهر شائع ومنشأ ذلك شمول اللطف الإلهي لأهل تلك الديار.

وكان في مبدأ الإسلام مدة مديدة عامل تلك الديار أبان بن سعيد من جملة محبي أهل البيت عليهم السلام وكان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر مع بني هاشم، وفي زمان ولاية أمير المؤمنين عليه السلام جعل حكومة تلك الديار على ما في كتاب تحفة الأحياء المذكور مدة بمعبد بن عباس وبعض الأوقات بعمر بن أبي سلمة الذي أمه أم سلمة زوجة النبي ﷺ وكان ممتازاً على غيره في العلم والعبادة والعقل وطيب الطينة وصفاء السريرة وفي ذلك المكان قرر حقيقة الأمير صلوات الله عليه بالخلافة وبيعة الغدير ونفى عن قلوبهم الشك والشبهة في ذلك - انتهى.

في تفسير العياشي: عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾[1] قال: إنه ليس بابنه إنما هو ابن امرأته، وهو لغة طي يقولون لابن المرأة ابن.

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٢.

معرفة النجف

علل الشرائع: بإسناده إلى علي بن أبي حمزة عن نعيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن (النجف) كان جبلاً وهو الذي قال ابن نوح عليه السلام سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه، وكان يسمى ذلك البحر بحرني فقيل نيجف فسمي بنجف ثم صار الناس بعد ذلك يسمونه نجفاً لأنه كان أخف على ألسنتهم.

معنى الأهل والآل والعترة والأمة

روى الصدوق: عطر الله مرقده في كتاب معاني الأخبار في باب معنى الآل والأهل والعترة والأمة بسنده عن عبد الله بن ميسرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أنا نقول: (اللهم صل على محمد وأهل بيته) فيقول قوم نحن آل محمد، فقال آل محمد من حرم الله عز وجل على محمد نكاحه.

وروي: فيه عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك من الآل؟

قال: ذرية محمد صلى الله عليه وآله قال: قلت فمن الأهل؟

قال: الائمة عليهم السلام قلت: قوله عز وجل: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[1] قال: والله ما عنى إلا ابنته.

وروي: فيه عن بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام من آل محمد؟

فقال: ذريته فقلت: من أهل بيته؟

فقال: الأئمة الأوصياء فقلت: من عترته؟

فقال أصحاب العباء فقلت: من أمته؟

فقال: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله المستمسكون بالثقلين اللذين أمروا بالتمسك بهما كتاب الله وعترته أهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهما الخليفتان على الأمة بعده.

استعمالات لفظة أوه

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: أوه على إخواني هي ساكنة الواو ومكسورة الهاء كلمة شكوى وتوجع وقال الشاعر: [البحر الطويل]

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

فـآوهْ لـذِكْـراهـا إذا مـا ذكـرْتُـهـا ومـن بـعـدِ أرضٍ دونَـهـا وسـمـاءِ

وربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا آه من كذا واه على كذا، وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا أوه من كذا، وربما حذفوا مع التشديد وكسروا الواو فقالوا: أو من كذا بلا مد، وقد يقولون: أوه بالمد والتشديد وفتح ألف وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية، وربما ادخلوا فيه التاء تارة يمدونه وتارة لا يمدونه فيقولون: أوتاء وأوتاه الرجل تأويهاً وتأوه تأوهاً إذا قال: أوه والاسم منه الأوه (قال المقتيب العبدي): [البحر الوافر]

إذا مـا قـمـتُ أرجُـلـهـا بـلـيـلٍ تـأوَّهَ أنـفُـه الـرجـلُ الـحـزيـنُ
يـا مـن يـعـيـبُ وعـيـبُه سـيـعـيـبُ كـم فـيـك مـن عـيـبٍ وأنـت تـعـيـبُ

آخر: [البحر الوافر]

وآخـرُ مـن رأيـتُ بـظـهـرِ غـيـبٍ عـلى ظـهـرِ الـرجـالِ أُلي الـعـيـوبِ

عاب رجل عند بعض الأشراف فقال له استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر فيه من عيوب الناس لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها.

مساجلة شعرية بين الخطي والسيد ماجد البحراني

نقل أنه: قد كان بين الشيخ جعفر الخطي ﷺ وبين الشريف العلامة ماجد بن هاشم البحراني ﷺ تعالى مطارحات ومجارات في الأدب، فمن ذلك ما حكاه في ديوانه قال: كنت عنده ليلة والسماء دكناء الجلباب كاسية السحاب فأخذ في الأدب فقلت: [البحر الوافر]

تـوشّـحـتِ الـسـمـاءُ بـبـردِ غـيـمٍ فـأجـمِـلْ بـالـمـوشّـحِ والـوِشـاحِ

فقال الشريف العلامة ﷺ تعالى: [البحر الوافر]

فـقـمْ وانـهـضْ إلى فـرضِ الـتّـصـابي فـلـيـسَ عـلـيـك فـيـهـا مـن جـنـاحِ

فقلت: [البحر الوافر]

امـطْ قـدمَ الـتّـواني واجـلُ مـنـهـا بـآفـاقِ الـكـؤوسِ شـمـوسَ راحِ

فقال الشريف: [البحر الوافر]

كـمـيـتٍ إنْ تـشـبّ بـغـيـرِ مـاءٍ يـسـكّـنُ مـا اعـتـراهـا مـن جـنـاحِ

فقلت: [البحر الوافر]

تـولّـد فـوقَـهـا حـبـبٌ إذا مـا تـغـشّـاهـا فـتـى الـمـاءِ الـقُـراحِ

فقال الشريف: [البحر الوافر]

وتـنـزلا مـن فـمِ الـمـيـزابِ نـبـضـاً كـمـا نـبْـضَ الـدّمـاءِ مـنَ الـجِـراحِ

فقلت: [البحر الوافر]

بكفٍّ مخضَّبِ الكفَّيْنِ رَخْصٍ فسادي في محبّتِه صَلاحي

وللمتقدمين: في هذا النمط كثير ومن ألطف ذلك ما ذكر أن أبا بكر بن المنخل وأبا بكر الملاح المغربيين كانا متواخيين متصافيين ولهما ابنان صغيران قد برعا في الطلب وحازا قصب السبق في حلبة الأدب فتهاجا الابنان بأقذع هجاء فركب ابن المنخل في سحر من الأسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء ابن الملاح وقال له: يا بني قد قطعت ما بيني وبين صديقي وصفيي أبي بكر في اقعادك بابنه فقال له ابنه: إنه بدأني والبادي أظلم وإنما يلحى من بالشر تقدم فعذره أبوه فبينما هما على ذلك إذا أقبلا على واد تنق فيه ضفادع فقال أبو بكر لابنه:

تنق ضفادع الوادي فقال ابنه بصوت غير معتاد.

فقال الشيخ كان نقيق مقولها فقال ابنه بنو الملاح في النادي فلما أحست الضفادع بهما سكتت فقال أبو بكر: وتصمت مثل صمتهم فقال ابنه: إذا اجتمعوا على زاد.

فقال الشيخ فلا غوث لملهوف فقال ابنه ولا غيث لمرتادي ولا خفاء أن هذه الإجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة فكيف بمن في سن الصبا.

رثاء الشيخ البهائي أباه

لشيخنا البهائي: يرثي والده قدس الله سرهما وقد توفي بالمصلى من قرى البحرين لثمان خلون من ربيع الأول سنة أربع وثمانين وتسعمائة عن ستة وستين سنة وشهرين وسبعة أيام، ومولده أول يوم من محرم سنة ثمانية وتسعمائة ﷺ تعالى وهي هذه: [البحر البسيط التام]

قفْ بالطلولِ وسلْها أين سلْماها وروِّ من جُرعِ الأجفانِ جرْعاها
وردّدِ الطرفَ في أطرافِ ساحتِها وأرّجِ الروحَ من أرواحِ جزْعاها
فإنْ يفتك من الأطلالِ مخبرُها فلا يفوتنك مرّاها وريّاها
ربوعُ فضلٍ تُباهي التبر تربتُها ودارُ أنسٍ تُحاكي الدرَّ حصباها
عدا على جيرةٍ حلّوا بساحتِها صرفُ الزمانِ فأبْلاهم وأبْلاها
بدورُ تمٍّ غمامُ الموتِ جلّلها شموسُ فضلٍ سحابُ التربِ غشّاها
فالمجدُ يبكي عليها جازعاً أسفاً والدينُ يندبُها والفضلُ ينعاها
يا حبّذا أزمنٌ في حبّهم سلفتْ ما كان أقصرَها عمْراً وأحْلاها
أوقاتُ أنسٍ قضيْناها فما ذُكرتْ إلاّ وقطّع قلبَ الصبِّ ذِكْراها
يا جيرةً هجروا واستوطنوا هجراً واهاً لقلبي المعنّى بعدَكمْ واها
رعياً لليلاتِ وصلٍ بالحِمى سلفتْ سقياً ولأياً لمن بالخيفِ سُقياها

لفقدِكم شقّ جيبُ المجدِ وانصدعتْ أركانُه ويكمْ ما كان أقواها
وخرّ من شامخاتِ العلمِ أرفعُها وأنهدَّ من باذخاتِ الحلمِ أرساها
يا ثاوياً بالمصلّى من قرى هجرٍ كُسيت من حللِ الرّضوانِ أضفاها
أقمتَ يا بحُر بالبحرين فاجتمعتْ ثلاثةٌ كنَّ أمثالاً وأشباها
ثلاثةٌ أنت أنداها وأغزرُها جوداً وأعذبُها طعماً وأصفاها
حويتَ من دررِ العلياءِ ما حويا لكنَّ درّك أغلاها وأغلاها
يا أعظماً وطأتْ هامَ السُّهى شرفاً سقاكِ من ديمِ الوسميِّ أسماها
ويا ضريحاً عَلا فوق السّماك عُلىً عليك من صلواتِ اللهِ أزكاها
فيك انْطوى من شموسِ الفضلِ أضوءُها ومن معالمِ دينِ اللهِ أسْناها
ومن شوامخِ أطوادِ الفتوةِ أرْساها وأزفعها قدْراً وأبْهاها
فاسحبْ على الفلك لا على ذيول عُلىً فقد حويتَ من العلياءِ أعْلاها
عليك منّا سلامُ اللهِ ما صدحتْ على غصونِ أراكِ الدوحِ ورْقاها

رؤيا والد البهائي

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي النقول: حكى لي والدي قدس الله سره أن السبب في مجيء الشيخ المذكور للبحرين أنه كان بمكة المشرفة وقد قصد المجاورة فيها فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وقد أمر بالبحرين أن ترفع بأرضها إلى الجنة فاختار الانتقال من مكة المعظمة وأتى البحرين وجاور فيها حتى توفي رحمه الله، ولما سمع بقدومه علماء البحرين وقد كان جملة من الفضلاء يجتمعون للدرس والتدريس في مسجد جد حفص ومنهم الشيخ داود بن أبي شافير، وكان ذلك الوقت قد خرج الشيخ داود المزبور من قرية جد حفص لبغاضة حصلت بينه وبين بعض علمائها، فلما سمعا بقدوم الشيخ حسين بن عبد الصمد ﷺ عرفوا أنه بعد مجيئه ربما يحضر المسجد في يوم الدرس، وكان الشيخ داود ذايد طولى في علم المناظرة والجدال فمضوا إليه وأصلحوا وحضر المسجد كما كان سابقاً، فلما ورد الشيخ قدس الله سره سأل عن محل مجمع العلماء في البلد فأخبروه باليوم الذي يحضرون فيه في المسجد المزبور، فاتفق حضوره في بعض الأيام وجرى البحث بينه وبين الحاضرين فتولى ذلك الشيخ داود وأطال النزاع والجدال معه، فلما انصرف الشيخ أنشأ هذين البيتين ثم لم يحضر بعد هناك حتى توفي رحمه الله. [البحر الوافر]

أناسٌ في أوالٍ قد تصدّوا لمحوِ العلمِ واشتغلُوا بلِملمْ
فإن باحثْتهم لم تلقَ منهمْ سوى حرفينَ لم لم لا نسلّمْ

يعني أنه متى ادعى بدعوى طلبوا عليه الدليل ومتى أقام الدليل منعوا.

الفراق

من الديوان المرتضوي: [البحر الكامل]

كنّا كزوجِ حمامةٍ في أيكةٍ   متمتّعين بصحةٍ وشبابِ
دخلَ الزمانُ بنا وفرّق شملَنا   إنّ الزمانَ مفرّقُ الأسبابِ
شيئانِ لو بكتِ الدماءُ عليهما   عينيَّ حتى تؤذنا بذهابِ
لم يبلغِ المعشارَ من حقّيهما   فقدُ الشباب وفرقةُ الأحبابِ

فقد الحبيب

ومنه أيضاً: [البحر الكامل]

ما لي وقفتُ على القبورِ مسلّماً   قبر الحبيبِ فلم يردّ جوابي
أحبيبُ مالك لا تردّ جوابنا   أنسيتَ بعدي خلّةَ الأحبابِ
قال الحبيبُ وكيف لي بجوابكم   وأنا رهينُ جنادلٍ وترابِ
أكلَ الترابُ محاسني فنسيتُكم   وحجبْتُ عن أهلي وعن أترابي
فعليكمُ منّي السلامُ تقطعتْ   عنّي وعنكمْ خلّةُ الأحبابِ

نهاية الظالمين

ومنه أيضاً: [البحر البسيط التام]

باتُوا على قللِ الأجبالِ تحرسُهم   غلبُ الرجالِ فلم تنفعهمُ القللُ
واستنزلُوا بعد عزٍّ من منازلِها   إلى مقابرِهم يا بئْسَ ما نزلُوا
ناداهمُ صارخٌ من بعدِ دفنهمُ   أين الأسرّةُ والتّيجانُ والحُللُ
أين الوجوهُ التي كانتْ محجّبةً   من دونِها تُضربُ الأستارُ والكللُ
فأفصحَ القبرُ عنهم حين ساءلهم   تلك الوجوهُ عليها الدودُ تنتقلُ
قد طالما أكلُوا فيها وما شرِبوا   فاصبحُوا بعد طولِ الأكلِ قد أُكلوا
وطالَما أكثروا الأموالَ وادّخروا   فخلّفوها على الأعداءِ وارتحلُوا
وطالَما شيّدوا دوراً لتحسنهمْ   ففارقُوا الدّورَ والأهلين وانتقلُوا
أضحتْ مساكنُهم وحشَى معطلةً   وساكنُوها إلى الأجداثِ قد رحلُوا
سلِ الخليفةَ إذ وافتْ منيّتُه   أين الجنودُ وأين الخيلُ والخولُ
أين الكنوزُ التي كانت مفاتحُها   تنوءُ بالعصبةِ المُقوين لو حملُوا

أين العبيدُ التي أرصدتَهم عدداً أين الحديدُ وأين البيضُ والأسلُ
أين الفوارسُ والغلمانُ ما صنعُوا أين الصوارمُ والخطّيةُ الذّبلُ
أين الكفاةُ فلم يكفُوا خليفتَهم لمّا رأوْه صريعاً وهو مبتهلُ
أين الكماةُ التي ماجُوا لما غضبُوا أين الحماةُ التي تُحمى بها الدولُ
أين الرماةُ الم تمنعْ بأسهُمِها لمّا أتتْك سهامُ الموتِ تنتصلُ
هيهاتِ ما منعُوا ضيْما ولا دفعُوا عنك المنيّة إذ وافاك الأجلُ
ولا الرُّشى دفعتْها عنك لو بذلُوا ولا الرُّقى نفعتْ فيها ولا الجبلُ
ما ساعدوك ولا واساك أقربُهم بل سلّموك لها يا قبحَ ما فعلُوا
ما بالُ قبرِك لا يأتي به أحدٌ ولا يطوفُ به من بينهمْ رجلُ
ما بالُ ذكرِك منسيّاً ومطّرحاً وكلهمْ باقتسامِ المالِ قد شُغلُوا
ما بالُ قصرِك وحْشاً لا أنيس به يغْشاك من كنفيهِ الروعُ والأهلُ
لا تنكرنَّ فما دامتْ على ملكٍ إلا أناخَ عليه الموتُ والرّحلُ
وكيف يرجُو دوامَ العيشِ متّصلاً وروحُه بحبالِ الموتِ متصلُ
وجسمُه لبنيّاتِ الرّدى عرضٌ وملكُه زائلٌ عنه ومنتقلُ

صراط المهيمن

وروي عن الصادق عليه السلام: **[البحر المتقارب]**

أبا حسنٍ سيّدي أنتَ أنتْ صراطُ المهيمنِ ما أنصفوكا
وأنتَ جعلتَ قريشاً عبيداً ولولا حسامُك كانوا ملُوكا
وأنتَ المقدّمُ في النائباتْ وعند الخلافةِ لِمْ أخروكا
ولكنّهم أخروا حظّهم ولو قدّموا حظَّهم قدّموكا

غاية المجد

عبد المطلب جد رسول الله: **[البحر البسيط التام]**

لنا نفوسٌ لنيلِ المجدِ عاشقةٌ ولو بُسلْنا أسلْناها على الأسلِ
لا ينزلُ المجدُ إلاّ في منازِلنا كالنومِ ليس له مأوىً سوى المقلِ

ذهب الوفاء

لله در القائل: [البحر الكامل المجزوء]

ذهبَ الوفاءُ فلا وفاء ولا حياءَ ولا مروّة
إلاّ التواصلُ باللسانِ من النفوسِ بلاَ أخوّة

أخبار علي عليه السلام عن زوال ملك بني العباس

نقل: شيخنا المجلسي قدس الله سره في كتاب تذكرة الأئمة عن العلامة في بعض كتبه أنه روى بسنده عن الأمير صلوات الله عليه حديثاً في انقراض دولة بني العباس وسلطنة هلاكو خان وانتهاء دولته بالسلاطين الصفوية بما هذه صورته: قال أمير المؤمنين عليه السلام ملك بني العباس عسر لا يسر فيه لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان على أن يزيلوا ملكهم لما قدروا لأن يزيلوه، حتى يشد عنهم مواليهم وأرباب دولتهم ويسلط عليهم من حيث بدأ ملكهم لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع له راية إلا أسكنها، الويل لما ناواه حتى يظفر ثم يدفع ظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به.

قال شيخنا المجلسي: بعد نقل ذلك عن العلامة وتفسيره الحديث بما قدمنا ذكره: وجون أو در زمان سلاطين صفوية نبود إشارة كه انحصرت نموده كه سلطنة از هلاكو خان بمردي از عترت من رسد دار اينجا بوقت كرده است كه فرزند انحضرت كه باشد.

ما ورد في فضل القرآن

قال شيخنا الصدوق عطر الله مرقده في كتاب معاني الأخبار: وقال صلى الله عليه وآله: «ليس منا من لم يتغَنَّ بالقرآن» ومعناه ليس منا من لم يستغن به ولا يذهب إلى الصوت، وقد روي أنه من قرأ القرآن فهو غنى لا فقر بعده.

وروي: أنه من أعطي القرآن فظن أن أحداً أعطي أكثر مما أعطي فقد عظم صغيراً وصغر كبيراً، فلا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أن أحداً من أهل الأرض أغنى ولو ملك الدنيا برحبها، ولو كان كما يقوله قوم أنه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك أن يكون من لم يرجع صوته بالقرآن فليس من النبي صلى الله عليه وآله حين قال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن.

ما ورد في القائم عليه السلام وخلفائه

ومنه أيضاً عن الصادق عليه السلام قيل له: يا بن رسول الله سمعت من أبيك أنه قال: يكون بعد

القائم اثنا عشر مهدياً. فقال: إنما قال اثني عشر مهدياً ولم يقل اثني عشر إماماً، ولكنهم قوم من

وحر من سامحات العلم ارفعها … وانهد من بادخات الحكم ارساها
يا ثاوياً بالمصلّى من قرى هجرٍ … كُسيت من حللِ الرّضوانِ أضفاها
أقمتَ يا بحُر بالبحرين فاجتمعتْ … ثلاثةٌ كنَّ أمثالاً وأشباها
ثلاثةٌ أنت أنداها وأغزرُها … جوداً وأعذبُها طعْماً وأصفاها
حويتَ من دررِ العلياءِ ما حويا … لكنَّ درّك أغلاها وأغلاها
يا أعظماً وطأتْ هامَ السُّهى شرفاً … سقاكِ من ديم الوسميِّ أسماها
ويا ضريحاً عَلا فوقَ السّماك عُلىً … عليك من صلواتِ اللهِ أزكاها
فيك انْطوى من شموسِ الفضلِ أضوءُها … ومن معالمِ دينِ اللهِ أسْناها
ومن شوامخِ أطوادِ الفتوةِ أرْساها … وأرفعها قدْراً وأبهاها
فاسحبْ على الفلك لا على ذيول عُلىً … فقد حويتَ من العلياءِ أعْلاها
عليك منّا سلامُ اللهِ ما صدحتْ … على غصونِ أراكِ الدوحِ ورْقاها

رؤيا والد البهائي

يقول جامع هذا الكشكول وحاكي النقول: حكى لي والدي قدس الله سره أن السبب في مجيء الشيخ المذكور للبحرين أنه كان بمكة المشرفة وقد قصد المجاورة فيها فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وقد أمر بالبحرين أن ترفع بأرضها إلى الجنة فاختار الانتقال من مكة المعظمة وأتى البحرين وجاور فيها حتى توفي رحمه الله، ولما سمع بقدومه علماء البحرين وقد كان جملة من الفضلاء يجتمعون للدرس والتدريس في مسجد جد حفص ومنهم الشيخ داود بن أبي شافير، وكان ذلك الوقت قد خرج الشيخ داود المزبور من قرية جد حفص لبغاضة حصلت بينه وبين بعض علمائها، فلما سمعا بقدوم الشيخ حسين بن عبد الصمد ﷺ عرفوا أنه بعد مجيئه ربما يحضر المسجد في يوم الدرس، وكان الشيخ داود ذايد طولى في علم المناظرة والجدال فمضوا إليه وأصلحوا وحضر المسجد كما كان سابقاً، فلما ورد الشيخ قدس الله سره سأل عن محل مجمع العلماء في البلد فأخبروه باليوم الذي يحضرون فيه في المسجد المزبور، فاتفق حضوره في بعض الأيام وجرى البحث بينه وبين الحاضرين فتولى ذلك الشيخ داود وأطال النزاع والجدال معه، فلما انصرف الشيخ أنشأ هذين البيتين ثم لم يحضر بعد هناك حتى توفي رحمه الله. [البحر الوافر]

أناسٌ في أوالٍ قد تصدّوا … لمحوِ العلمِ واشتغلُوا بلملمْ
فإن باحثْتهم لم تلقَ منهمْ … سوى حرفينِ لم لم لا نسلّمْ

يعني أنه متى ادعى بدعوى طلبوا عليه الدليل ومتى أقام الدليل منعوا.

وذلك إن الله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[١].

مسمط للحريري في الوعظ

للحريري: منقول من مقاماته وقد أجاد فيما أفاد من نوع التسميط: **[البحر الهزج]**

أيَا من مدّعي الفهمْ إلى كم يا أخا الوهمْ
أما بانِ لك العيبُ أما أنذرك الشيبُ
وما في نصحِه عيبُ ولا سمعُك قد صمْ
أما نادى بك الموتُ أما أسمَعك الصوتُ
أما تخشى من الفوتِ فتحتاط وتهتمْ
فكم تسدرُ في السّهوِ وتختالُ من الزّهوِ
وتنصبُّ إلى اللّهوِ كأنّ الموتَ ما عمْ
وحتّام تجافيكَ وأبطا تلافيكَ
طِباعاً جمعتْ فيك عُيوباً شملُها انضمْ
إذا أسخطت مولاكِ فما تقلقُ من ذاكَ
وإنْ أخفقَ مسعاكَ تلظّيت من الهمْ
وإنْ لاحَ لك النّقشُ من الأصفرِ تهتشُّ
وإنْ مرَّ بك النعشُ تغامَمْتَ ولا غمْ
تُعاصي الناصحَ البرْ وتعتاضُ وتزورْ
وتنقادُ لمن غرْ ومن مانَ ومن نمْ
وتسعَى في هوَى النفسِ وتحتالُ على الفلسِ
وتنسى ظلمةَ الرمسِ ولا تُذكى ما ثمْ
ولولا حظُّك الحظُّ لمَا فاحَ بك الحظُّ
ولا كنتَ إذا الوعظُ جَلا الأحزانَ تغتمْ
ستذري الدمَّ لا الدمعَ إذا عاينتَ لا جمعَ
بقي في عرصةِ الجمعِ ولا خالٌ ولا عمْ
كأنّي بك تنحطُّ إلى اللّحظِ وتنغطُّ
وقد أسلمَك الرهطُ إلى أضيقِ من سمْ

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٣.

هناكَ الجسمُ ممدودُ لتستأكله الدودُ
إلى أن ينخر العودُ ويمنعني العظم قدومْ
ومن بعد فلا بدَّ من العرض إذا اعتدَّ
صراطٌ جسرُه مُدَّ على النارِ لمَن أمْ
فكمْ من مرشدٍ ضلْ وكم ذي غزةٍ ذلْ
وكم من عالم زلْ وقال الخطبُ قد جمْ
فبادرْ أيُّها الغمرُ لِما يحلُو به المرُ
فقد كادَ نهى العمر وما أقلعت عن ذمْ
ولا تركنْ إلى الدهرِ وإن لانَ وإنْ سرْ
فتلَقى كمن اغترْ بأفعَى تنفثُ السّمْ
وخفّضْ من تراقيك فإنَّ الموتَ لاقيكَ
وسارَ في تراقيكَ وما ينكلُ أن همْ
وجانبْ صغرَ الخدَّ إذا ساعدَك الجدُّ
وزمَّ اللفظَ أن ندْ فما أسعدَ من زمْ
ونفّسْ عن أخي البثْ وصدّقه إذا نثْ
ورمّ العملَ الرّثْ فقد أفلحَ من رمْ
ورش من ريشه انحص بما عم وما خص
ولا تأسَ على النقصِ ولا تحرصْ على اللّمْ
وعاد الخلقُ الرذلَ وعوّدْ كفَّك البذلْ
ولا تستمعْ للعذلِ ونزّهها عن الضمْ
وزودْ نفسك الخيرْ ودعْ ما يعقبُ الضّيرْ
وهيّ مركبُ بالسيرْ وخفْ من لجّةِ اليمْ
بذا أوصيكَ يا صاحْ فقد بحتُ كمن باحْ
فطُوبى لفتى راحْ بآدابي يأتمْ

من عجائب قصائد الحريري

للحريري: منقول عن مقاماته وهو مشتمل على العجائب وتفسيرها الصائب.

[البحر البسيط التام]

عندي أعاجيبُ أرويها بلا كذبِ عن العيانِ فكنّوني أبا العجبِ

رأيتُ يا قومُ يوماً في غذائهمُ بول العجوزِ وما أعني ابنة العنبِ

بول العجوز لبن البقرة

ومسنتينَ من الأعرابِ قوتَهم أن يشتروا خرقةً تُغني من السّربِ

مسنتين: مجدبين والخرقة: القطعة من الجراد.

وكاتبينَ وما خطَّتْ أناملُهم حرفاً ولا قرأُوا وأما خُطَّ في الكتبِ

الكاتبون: هم الجزارون

وتابعين عُقاباً في مسيرهمُ على تكميهمْ بالبيضِ واليلبِ

العقاب: الراية، وكانت راية ﷺ تسمى العقاب.

ومُنتدين ذوي نبلٍ بدتْ لهمُ نبيلةٌ فانتفوا منها إلى الهرب

النبيلة الجيفة ومنه وتنبل البعير إذا مات وأرواح

وعصبةٍ لم ترَ البيتَ العتيقَ وقد حجَّتْ حثياً بلا شكٍّ على الركبِ

حجت عليه بالحجة حال المجادلة جاثين على ركبهم

ونسوةٍ بين ما أدلجْنَ من حلبٍ صبّحْن كاظمةً من غيرِ ما تعبِ

الكاظمة في هذا الموضع كاظمة الغيظ

ومُدلجين سروْا من أرضِ كاظمةٍ وأصبحُوا حين لاحَ الصبحُ في حلبِ

أي أصبحوا يحلبون لبن مواشيهم وغنمهم

وقادرينَ إذا ما ساءَ صنعهمُ أو قصّروا فيه قالُوا الذنبُ للحطبِ

القادر: الطابخ في القدر والمقدور المطبوخ

ويافعاً لم يُلامسْ قطُّ عانيةً شاهدْتُه وله نسلٌ من العقبِ

النسل: العدو، والعقب: مؤخر القدم

وشايباً مُستهيناً بالمشيبِ بَدا في البدرِ وهو فتىً في السنِّ لم يشبِ

الشايب: مازج اللبن بالماء، والمشوب: اللبن الممزوج

ومُرْضعاً بلبانٍ لم يفُهْ فمُه رأيتُه في شحارٍ بيِّنِ السببِ

شحار: هي المحفة ما لم تظلل وإن ظللت فهودج السبب الحبل

وزارَ عازرَه حتّى إذا حصدتْ صارتْ غبيراء يَهواها أخو الطّربِ

الغبير: هو السكر المتخذ من الذرة

وراكِضاً وهو معلولٌ على فرسٍ قد غلَّ أيضاً وما ينفكُّ من خببِ

المغلول هنا: هو العطشان، وغل: أي عطش

وذا يدٍ طلقٌ يقتادُ راحلةً   مستعجِلاً وهو مأسورٌ أخو كربِ

المأسور: الذي يجد الأسر وهو احتباس القول

وجالساً ماشياً تهوي مطيّتُه به   وما للذي أوردْتُ من ريبِ

الجالس: الآتي نجد أو الماشي الذي كثرت ماشيته

وحايكا أجذمَ الكفّين ذا خرسٍ   فإن عجبتمْ فكم في الخلقِ من عجبِ

الحايك: الذي إذا مشى حرك منكبيه وفج بين ركبتيه

وذا شظاظٍ كصدرِ الرمح قامتُه   صادفتُه بمِنى يشكُو من الحدبِ

الحدب: ها هنا المراد به المكان المرتفع من الأرض

وساعِياً في مسرّاتِ الأنامِ يَرى   أفراحهمْ مأثماً كالظلم والكذبِ

الأفراح: الأثقال ومنه قوله عليه السلام لا يترك في الإسلام مفروح

ومغرَماً بمناجات الرجالِ له   وما له في حديث الخلق من أربِ

الخلق: الكذب ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(١)

وذا ذمامٍ وفتْ بالعهدِ ذمّتُه   ولا ذمامَ له في مذهب العربِ

الذمام الأول العهد والثاني جمع ذمة وهي البئر القليلة الماء

وذا قِوىً ما استبانتْ قطُّ لينتُه   ولينُه مستبينٌ غيرُ محتجبِ

اللين: النخل الدقل ومنه قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾(٢)

وساجدٍ فوق فحلٍ غيرَ مكترثٍ   بما أتى بل يَراه أفضلَ القربِ

الفحل: الحصير المتخذ من فحال النخل

وغادراً مؤلماً من ظلَّ يعذرُه   مع التلطُّفِ والمغدورُ في صخبِ

الغادر: الخاتن، والمغدور: المختون

وبلدةٍ ما بها ماءٍ لمغترفٍ   والماءُ يجري عليها جرْيَ منسربِ

البلدة: الفرجة ما بين الحاجبين

وقريةٍ دون أفحوصِ القَطا شحنتْ   بديلمٍ عيشهُم من خلسةِ السّلبِ

القرية: بيت النمل، والديلم: النمل الكثير

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٣٧.   (٢) سورة الحشر، الآية: ٥.

وكوكباً يتَوارى عند رؤيته الإنسانَ حتى يُرى في أمنعِ الحجبِ

الكوكب: النكتة البيضاء التي تحدث في العين، والإنسان: إنسان العين

وصفحةٍ من نصارٍ خالصٍ شربتْ بعد المكاسِ بقيراطٍ من الذهبِ

النصار: المراد به ها هنا شجر النبع

وروثةٍ توّمتْ مالاً له خطرٌ ونفسُ صاحبِها بالمالِ لا الطّلبِ

الروثة: المراد به ها هنا مقدم الأنف

ومستجيشاً بخشخاشٍ ليدفع به أظلّه من أعاديهِ فلم يجبِ

الخشخاش: الجماعة عليهم دروع وأسلحة

وطالَما مرَّ بي كلبٌ وفي فمِه ثورٌ ولكنّه ثورٌ بلا ذنبِ

الثور: المراد به ها هنا القطعة من الأقط

وكم رأى ناظري فيلاً بلا جملٍ وقد تورّك فوقَ الرجلِ والقتبِ

الفيل: المراد به هنا الرجل القائل الرأي

وكم رأيتُ بعرضِ البيدِ مشتكياً وما اشْتكى قطُّ في جدٍّ ولا لعبِ

المشتكي: المتخذ شوكة وهي القرية الصغيرة

وكنتُ أبصرتُ كرّازاً لراعيةٍ بالدوِّ ينظرُ من عينين كالشّهبِ

الكراز: يحمل عليه الراعي أداته

وعاينتْ مُقلتي عينيْنِ ماؤُهما يَجْري من الغربِ والعينانِ في حلبِ

الغرب: مجرى الدمع، والعينان: المقلتان، وحلب: بلدة

وصادِعاً بالقَنا من غيرِ أن علقتْ كفّاه يوماً برمحٍ لا ولم يثبِ

القنا: ارتفاع الأنف وتحدب وسطه وصدع به كشفه

وكم نزلتُ بأرضٍ لا نخيلَ بها وبعد يوم رأيتُ البسرَ في القلبِ

البسر: الماء الحديث العهد بالمطر، والقلب: جمع قليب

وكم رأيتُ بأقطارِ الفَلا طبقاً يطيرُ في الجوّ منصَبّاً إلى صببِ

الطبق: المراد ها هنا القطعة من الجراد

وكم مشايخَ في الدّنيا رأيتهمُ مخلّدين ومن ينجُو من العطبِ

المراد بالمخلدين هنا هم الذين أبطأ شيبهم

وكم بَدا ليَ وحشٌ يشتكي سغَباً | بمنطقٍ ذلقٍ أمضى من القضبِ

المراد بالوحش ها هنا الرجل الجائع

وكم دعاني مستنجٍ فحادثني | وما أخلَّ وما أظللتُ بالأربِ

المستنجي: الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع

وكم أنختُ قلُوصي تحت جنبدةٍ | تفضلُ ما شئت من عربٍ ومن عربِ

الجنبدة: القبة، والعرب: المرأة المتحبية إلى زوجها

وكم نظرت إلى من سرٌّ ساعته | ودمعُه مستهلُّ القطرِ كالسّحبِ

أي قطع سره والعرب تسمي ما يبقى بعد القطع السرة

وكم رأيتُ قميصاً ضرَّ صاحبه | حتى انثنى واهيَ الأعضاءِ والعصبِ

والقميص: الدابة الكثيرة القماص

وكم ازارٍ لو أنَّ الدهرَ أخلقَه | لخفَّ ليلاً حثيث السيّرِ مضطربِ

المراد بالازار هنا المرأة ومنه قول الشاعر:

فِداً لك من أخي ثقةٍ ازار

هذا وكمْ من أفانينٍ معجّبةٍ | عندي ومن مُلحٍ تُلحى ومن تحبِ

فإنْ ظننتم للحن القولِ بان لكم | صدقي ودلّكم طلعي على رُطبي

فإنْ شدهْتم فإنَّ العارَ فيه عُليَّ | من لا يميّزُ بين العودِ والخشبِ

كفر أبي العلاء المعري

أبو العلاء المعري: واسمه أحمد بن سليمان نسبة إلى معرة النعمان قصبة قرية من حلب، وله أشعار عديدة تدل على كونه زنديقاً منها قوله: [البحر الطويل]

إذا ذكّرونا آدماً وفعاله | فتزويجُه بنتيهِ لابنيهِ بالخَنا

علمْنا بأنَّ الكلَّ من نسلِ فاجرٍ | وإنَّ جميعَ الخلقِ من عنصرِ الزّنا

فأجابه سبطي الشافعي: [البحر الطويل]

لعمريَ أمّا فيك فالقولُ صادقٌ | وتكذبُ في الباقي إذا شطَّ أو دنا

كذلك إقرارُ الفَتى لازمٌ له | وفي غيرِه لغوٌ كذا صارَ شرْعُنا

وينسب إليه أيضاً: [البحر الطويل]

ضحكْنا وكان الضّحكُ منّا سفاهةً | وحقَّ لسكانِ البسيطةِ أن يبْكوا

تحطّمُنا الأيامُ حتى كأنَّنا زجاجٌ ولكنْ لا يُعادُ لنا سبكُ

ونقل أنه كان لا يأكل اللحم ولم يتزوج وأمر أن يكتب على قبره: [البحر الكامل المجزوء]

هذا جناهُ أبي عليّ وما جنيتُ على أحدْ

ومما ينسب إليه قوله: [البحر البسيط التام]

يدٌ بخمسِ مئينٍ عسجدٍ فُديتْ ما بالُها قطعتْ في ربْعِ دينارِ

فأجابه المرتضى قدس الله سره بقوله: [البحر البسيط التام]

حراسةُ الدمِ أغلاها وأرخصُها حراسةُ المالِ فانظرْ حكمة الْباري

ولغيره: [البحر البسيط التام]

هاتيكَ مظلومةٌ غُولي بقيمتِها وتلك ظالمةٌ هانتْ على الباري

وقال بعضهم في جواب ذلك نثر: (لما كانت أمية كانت ثمينة فلما خانت هانت) فنظمه شيخنا الشهيد في قواعده بقوله: [البحر الوافر]

خيانتُها أهانتْها وكانتْ ثميناً عندما كانتْ أمينا

قال قدس الله سره وتذكير الثمين والأمين باعتبار موصوف مذكر أي شيء انتهى والتقدير وكانت شيئاً ثميناً عندما كانت شيئاً أميناً، ومثله ما وقع في قول المتنبي أبي الطيب:

[البحر الطويل]

أتتْ زائراً ما خامرَ الطيبُ ثوبَها وكالمسكِ من أردائِها يتضوَّعُ

أي أتت حال كونها شخصاً زائراً

وادعى بعضهم أن أبا العلاء المعري رجع عما كان عليه حتى أنه صنف كتاباً لدفع المطاعن عنه وسماه: «النخري في دفع التحري عن أبي العلاء المعري»، والذي عليه جملة من العلماء إنه مات على العقيدة الخبيثة نعوذ بالله منها.

طول الظل في ساعات النهار

فائدة: أول ساعة من طلوع الشمس إلى أن يصير الظل من النهار ٣٨ قدماً الساعة الثانية عن ٣٨ إلى ١٨ قدماً الساعة ٣ من ١٨ قدماً إلى ١٩ قدماً الساعة ٤ من ٢٩ إلى ١٦ الساعة ٥ من ١٦ إلى ١٣ قدماً الساعة ٦ من ١٣ قدماً إلى وقوف الظل السابعة من وقوف الظل إلى أن يصير من جانب المشرق ١٣ قدماً الساعة ٨ من ١٣ قدماً إلى ١٦ قدماً الساعة ٩ من ١٦ قدماً إلى تسعة عشر وقيل إلى ١٢ الساعة العاشرة من ١٢ على القول به إلى ١٨ قدماً الساعة ١١ من ١٨ قدماً إلى ٣٨ قدماً الساعة ١٢ من ثمانية وعشرين إلى غروب الشمس.

حظ الجاهل

لابن الراوندي: [البحر البسيط التام]

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيتْ مذاهبُه   وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مرزُوقا
هذا الذي تركَ الأوهامَ حائرةً   وصيّر العالمَ النّحريرَ زنْديقا

جوابه للشيخ صالح بن عبد الكريم [البحر البسيط التام]

إنّ الكريمَ الذي يُعطي على قدرٍ   يراه ذا اللبِّ إحساناً وتوفيقا
فذو الجهالة مرزوقٌ لتكملةٍ   وذو النباهةِ من ذا صار ممحُوقا

سيف الدولة في وصف قوس قزح وقد أبدع: [البحر الطويل]

وساقٍ صبيحٍ للصبوحِ دعوتُه   فقامَ وفي أجفانِه سنةُ الغمضِ
يطوفُ بكاساتِ العُقارِ كأنجمٍ   فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضِّ
وقد نشرتْ أيدي الجنوبِ مطارِفاً   على الجودِ كنّا والحواشي على الأرضِ
يطرّزها قوسُ السّحابِ بأصفرٍ   على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضِّ
كأذيالِ خودٍ أقبلتْ في غلائلٍ   مصبّغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

الشك والإيمان

لبعض الشيعة:

تـبّـاً لـنُـصّـاب الأنـامِ لـقـد   تهافتُوا في الضّلال بل تاهُوا
قامُوا عتيقاً بحيدرٍ سخنتْ   عيونُهم بالذي به فاهوا
كم بين من شكَّ في هدايتِه   أو بين من قالَ إنهُ اللهُ

قال بعض الحكماء لصاحبه: أعلمك شعراً هو خير لك من عشرة آلاف درهم وهو هذان البيتان:

احفظِ الصوتَ إنْ نطقْتَ بليلٍ   والتفتْ بالنهارِ قبلَ المقالِ
ليسَ للقولِ رجعةٌ حين يبدُو   بقبيحٍ يكونُ أو بجمالِ

أربعة يا لهم من أربعة

حكي: أن الحجاج أمر صاحب حرسه أن يضرب عنق كل من يلقوه يمشي في بغداد بعد

العشاء فطاف ليله فوجد أربعة شبان يمشون عليهم أثر الشراب فأحاطت بهم الغلمان وقال لهم صاحب الحرس: من أنتم حتى خالفتم الأمير وخرجتم في هذا الوقت؟

فقال أحدهم شعراً: [البحر المنسرح]

أنا ابنُ من دانتِ الرّقابُ له ... ما بين مخدومِها وخادمِها
تأتيه بالرُّغمِ وهي صاغرةٌ ... يأخذُ من مالِها ومن دمِها

قال: فسكت عنه وقال لعله من أقارب أمير المؤمنين، فقال الثاني شعراً: [البحر الطويل]

أنا ابنُ الذي لا ينزلُ الدهرُ قدرَه ... وإن نزلتْ يوماً فسوفُ تعودُ
ترى الناسَ أفواجاً إلى ضوءِ دارِه ... قيامٌ لها من حولِها وقعودُ

قال: فسكت عنه وقال لعله من أشراف العرب ثم سأل الثالث فأنشأ يقول:

[البحر الطويل]

أنا ابنُ الذي يعلو الرقابَ بسيفِه ... ويضربُ أعناقَ الرجالِ القشاعمِ
ولا ذاك من وحلٍ ولا هو ثائرٌ ... ولكنّه حاوي العُلى والمكارمِ

قال: فسكت عنه وقال لعله ابن حاكم العرب ثم سأل الرابع فأنشأ يقول: [البحر الطويل]

أنا ابنُ الذي خاضَ الصفوفَ بعزمةٍ ... وقوّمَها بالسيفِ حتى استقامتِ
ركاباهُ لا تنفكُّ رجْلاه منهُما ... إذا الخيلُ في يومِ الكريهةِ ولّتِ

قال: فسكت عنه وقال: لعله ابن أشجع العرب، فلما أصبح الصباح جاء بهم إلى الحجاج فكشف عن أمرهم فإذا الأول ابن حجام، والثاني ابن طباخ، والثالث ابن صقيل، والرابع ابن حائك، فأعجب الحجاج لبلاغتهم فأطلقهم وقال لجلسائه: علموا أولادكم الأدب فوالله لولا بلاغتهم لضربت أعناقهم وأنشأ يقول: [البحر المنسرح]

كنِ ابنَ منْ شئْتَ واكتسبْ أدباً ... يُغنيك محمودُه عن النسبِ
إنّ الفتى من يقولُ ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقولُ كان أبي

لبعض النواصب: [البحر الكامل]

قول الروافضِ نحن أطيبُ مولداً ... قولٌ جرى بخلافِ دينِ محمدِ
نكحُوا النساءَ تمتّعاً فولدْن من ... ذاك النّكاحِ فإن طيب المولدِ

فأجابه الشيخ الشهيد وقيل المرتضى ﷺ: [البحر الكامل]

إن التمتّعَ سنةٌ مفروضةٌ ... ورد الكتابُ بها وسنةُ أحمدِ
وروى الروافضُ أنّ ذلك قد جرى ... من غيرِ شكٍّ في زمانِ محمدِ
ثم استمرّ الحالُ في تحليلها ... قد صحّ ذلك من حديثِ المسندِ

عن جابرٍ وعن ابنِ مسعودٍ وعن نقلٍ ابنِ عباسٍ الكريمِ المولدِ
حتى نهى عمرٌ بغيرِ دلالةٍ عنه فكدّر صفوَ ذاكَ المورِدِ
لكنْ مواليدُ النواصبِ جدّدت دينَ المجوسِ فأين دينُ محمدِ
لفُّ الحريرِ على الأيورِ وغمسُها في الأمهاتِ دليلُ طيبِ المولدِ

ما يكتب بالسين والصاد

من كتاب مقامات الحريري في ضبط ما يكتب بالسين والصاد: [البحر البسيط التام]

إنْ شئْتَ بالسّينِ فاكتبْ ما أبيّنُه وإنْ تشأْ فهو بالصّاداتِ يُكتتبُ
مغسٌ وفقسٌ ومصطارٌ ومملسٌ وسالغٌ وصراط الحقِّ والسّقبُ
وسابغِان وسقرٌ والسّويقُ ومسلاقٌ وعن كلِّ هذا تُفصحُ الكتبُ

ومن الكتاب المذكور: المغس الرجع المتعرض في الجوف وهو مسكن الغين، والفقس فقس البيضة، والمصطار الخمرة المزة ويقال لها السطارة أيضاً، والمملس الذي يسقط من يديك ولا تدري، والسالغ آخر أسنان ذوات الصلف، والسقب القرب، والسابغان جانب الفم، والمسلاق الشديد الصوت ومن قوله: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[1]

تصدير القسم بلفظة لا

قال شيخنا البهائي في مشرق الشمسين: وقد كثر في الكلام العزيز وقوع الأقسام على هذا النمط أعني تصدير فعل القسم بكلمة لا، كقوله جل وعلا: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[2]﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[3]﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦﴾[4] وهو سائغ في كلام الفصحاء كما عن امرئ القيس: [البحر المضارع]

فلا وأبيكِ يا ابنةَ العامريِّ لا يدّعي القومُ أنّي أفرُّ

وقد ذكر المفسرون في ذلك وجوهاً.

(منها) أن الغرض المبالغة في وضوح الأمر وظهوره لأنه لا يحتاج إلى القسم وهي زائدة.

(ومنها) أن لفظة لا مزيدة والمعنى فاقسم وزيادتها للتأكيد شاع في نظم أهل اللسان ونثرهم، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾[5] مع قوله تعالى في آية أخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾[6].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.
(٢) سورة القيامة، الآية: ١.
(٣) سورة البلد، الآية: ١.
(٤) سورة التكوير، الآيتان: ١٥ - ١٦.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٦) سورة ص، الآية: ٧٥.

(ومنها) أن التقدير فلانا أقسم حذف المبتدأ ولا أسغب فتحه لام الابتداء.

(ومنها) إن المراد والله أعلم لا أقسم بهذا البلد وربما هو أعظم، وهذا الوجه لا يتمشى في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾(١).

(ومنها) إن لفظة لا لكلام مطوي صدر من الكفار يدل على ما في حيز القسم، في أول سورة القيامة رد لقولهم بنفي المعاد الجسماني كما دل عليه قوله جل شأنه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾(٢).

وفي قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾(٣) رد لقولهم أن القرآن سحر وافتراء كما يدل عليه جواب القسم وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾(٤) وفي الآية التي نحن فيها رد لهذا القول أيضاً كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾(٥) الآية فهذه وجوه خمسة في تصدير القسم بلفظة لا والله أعلم: [البحر المتقارب]

أزمتُ السّفارَ وجنتُ الفقارْ ... وعفتُ النّفار لأجني الفرْح
وخضتُ السيولَ ورضتُ الخيولْ ... لجدّ ذيولِ الصّبا والمرحْ
ومطتُ الوقارَ وبعتُ العقارْ ... لحمي العقارِ ورشفِ القدحْ
ولولا الطماحُ إلى شربِ راحْ ... لمّا كان باحَ فمي بالمُلحْ
ولا كان ساقَ ذِمامي الرفاقْ ... لأرضِ العراقِ بحملي السّبحْ
فلا تغضبنَّ ولا تصخبنْ ... ولا تعتبنّ فعذري وضحْ
ولا تعجبنَّ لشيخٍ ابنْ ... بمغنىً اغنَّ ودنٍّ طفحْ
فإنَّ المُدامَ تقوّي العظامْ ... وتشْفي السقامَ وتنْفي التّرحْ
وأصفَى السرورِ إذا ما الوقورْ ... أماطَ ستورَ الحَيا واطّرحْ
وأحلَى الغرامِ إذا المستهامْ ... أزالَ اكتِتام الْهوى فافتضحْ
فبحْ بهواكَ وبرّدْ حشاكْ ... فزندُ أساك به قد قدحْ
وداوِ الكلومَ وسلّ الهمومْ ... ببنتِ الكرومِ التي تُقترحْ
وخصّ الغبوق بساقٍ يسوقْ ... بلاءَ المشوقِ إذا ما طمحْ
وشادٍ يشيدُ بصوتٍ يميدْ ... جبالَ الحديدِ له إن صدحْ
وعاصِ النصيحَ الذي لا يبيحْ ... وصارَ المليحُ إذا ما سمحْ

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٤٠.
(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٣ - ٤.
(٣) سورة التكوير، الآيتان: ١٥ - ١٦.
(٤) سورة التكوير، الآيتان: ١٩ - ٢٠.
(٥) سورة الواقعة، الآية: ٧٧.

وجلْ في المجالِ ولو بالمحالْ ... ودعْ ما يُقالُ وخذْ ما صلخْ
وفارقْ أباكَ إذا ما أبَاكْ ... ومدّ الشّباكَ وصدْ من سنخْ
وصافِ الخليلَ ونافِ البخيلْ ... وأولِ الجميلَ ووالِ المنخْ
ولذْ بالمتابِ أمامَ الذهابْ ... فمنْ دقَّ بابَ كريمٍ فتخْ

لغز إلى مائة مسألة فقهية

ومن الكتاب المذكور: ملغزاً في جملة المسائل وهي مائة مسألة.

ما تقول فيمن توضأ ولمس ظهر نعله، قال: انتقض وضوؤه بفعله، الفعل الزوجة.

قال: فإن توضى فأنكاه البرد، قال يجدد الوضوء من بعد، البرد النوم.

قال: المسيح المتوضي أنثيه، قال: قد ندب إليه ولم يوجب عليه، الأنثيان: الأذيان.

قال: أيجوز الوضوء ممن يقذفه الثعبان قال: وهل أنظف منه للعريان، الثعبان: جمع ثعب وهو مسيل الوادي.

قال: أيستباح ماء الضرير، قال: نعم ويجتنب ماء البصير، الضرير: حرف الوادي، والبصير: الكلب.

قال: أيحل الطوف في الربيع، قال: يكره للحدث الشنيع، الطوف: التغوط، والربيع: النهر الصغير.

قال: أيجب الغسل على من أمنى، قال: لا ولو تمنى، أمنى نزل منه المني ويقال: منى وامتنى.

قال: فهل يجب على الجنب غسل فروته، قال: أجل وغسل ابرته، الفروة: جلدة الرأس والإبرة: عظم المرفق.

قال: فإن أخل بغسل فاسه، قال: كما لو ألغى غسل رأسه، الفاس: العظم المشرف على نقرة القفا.

قال: فما تقول في من تيمم ثم رؤوضا، قال: بطل تيممه فليتوضأ، الروض: الضبابة وهي البقية من الماء في الحوض.

قال: أيجوز الرجل أن يسجد في العذرة، قال: نعم ويجانب القذرة، العذرة: هي فناء الدار.

قال: فهل يجوز له السجود على الخلاف، قال: لا ولا أحد الأطراف، الخلاف مراد به الكم.

قال: فإن سجد على شماله، قال: لا بأس بفعاله، الشمال: جمع شملة.

قال: فهل يجوز السجود على الكراع، قال: نعم دون الذراع، الكراع: ما استطال من الحرة وهي الحجارة السوداء.

قال: يصلي على رأس الكلب، قال: نعم كسائر الهضب، رأس الكلب ثنية معروفة.

قال: فما تقول فيمن صلى وعانته بارزة، قال: صلاته جائزة، العانة: الجماعة من حمر الوحش.

قال: فإن صلى وعليه صوم، قال: يعيد وإن صلى مائة يوم، الصوم: ذرق النعام.

قال: فإن حمل جرواً وصلى، قال: هو كما لو حمل باقلا، الجرو: الصغار من النفشا والرمان.

قال: أتصح صلاة حامل القروة، قال: ولو صلى فوق المروة، القروة: ميلغة الكلب.

قال: فإن قطر على ثوب المصلى نجو، قال: يصلي ولا غرور، النجو: السحاب الذي قد أهرق ماءه.

قال: أيجوز أن يؤم الرجل مقنع، قال: نعم ومدرع، المقنع: لابس المغفر، والمدرع: لابس الدرع.

قال: فإن أمهم من في يده وقف، قال: يعبدون ولو أنهم ألف، الوقف: السوار من العاج أو المذبل وأراد أنه لا يجور للرجال الائتمام بالنساء.

قال: فإن أمهم في فخذ بادية، قال: صلاته وصلاتهم ماضية، الفخذ: العشيرة، وبادية: الذين يسكنون البدو.

قال: وإن أمهم الثور الأجم، قال: صل وخلا لك الذم، الثور: السيد، والأجم: الذي لا رمح معه.

قال: أيدخل القصر في صلاة الشاهد: قال: لا ولا الغائب، الشاهد: صلاة المغرب تسمى صلاة الشاهد لإقامتها عند طلوع النجم لأن النجم يسمى الشاهد.

قال: أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان، قال: ما رخص فيه إلا للصبيان، المعذور: المختون وهو أيضاً المعذور.

قال: فهل للمعرس أن يأكل فيه، قال: نعم يملأ فيه، المعرس: المسافر ينزل آخر الليل يتريح ثم يرحل.

قال: فإن أفطر فيه العراة، قال: لا تنكر عليهم الولاة، العراة: الذين تأخذهم العروى وهي الحمى المرعدة.

قال: فإن أكل الصائم بعد ما أصبح، قال: هو أحوط له وأصلح، أصبح: أي استصبح بالمصباح.

قال: فإن عمد لأن أكل ليلاً، قال: ليشمر للقضاء ذيلاً، الليل: الأنثى من فراخ الحبارى وقيل هو ولد الكروان.

قال: فإن أكل قبل أن يتوارى البيضاء، قال: يلزمه والله القضاء، البيضاء: من أسماء الشمس.

قال: فإن استثار الصائم الكيد، قال: أفطر ومن أحل الصيد، الكيد: ألقى واستثاره استدعاه.

قال: فهل يفطر بإلحاح الطابخ، قال: نعم لا بطاهي الطابخ، الطابخ: الحمى الصالب.

قال: فإن ضحكت المرأة في صومها، قال: بطل صوم يومها، ضحكت: بمعنى حاضت ومنه الآية: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾[1].

قال: فإن ظهر الجدري على ضرتها، قال: تفطر إن أذن بمضرتها، الضرة: أصل الإبهام وأصل الثدي أيضاً.

قال: ما يجب في مائة مصباح، قال: حقتان يا صاح، والمصباح الناقة تصبح في المبرك.

قال: فإن ملك عشر حناجر، قال: يخرج شاتين ولا يشاجر، الحناجر: النوق، القرا: واحدها حنجر وحنجور.

قال: فإن سمع للساعي بحميمته، قال: يا بشر أي له يوم قيامته، الساعي: جابي الصدقة، والحميمة: حياز المال.

قال: أتستحق جملة الأوزار من الزكاة جزءاً، قال: نعم إذا كانوا غزى، الأوزار: السلاح، وغزى: جمع غازية.

قال: أيجوز للحاج أن يعتمر، قال: لا ولا أن يختمر، الاعتمار: لبس العمارة وهي العمامة، والاختمار: لبس الخمار.

قال: فهل يجوز له أن يقتل الشجاع، قال: نعم كما يقتل السباع، الشجاع هنا مراد به الحية.

قال: فإن قتل زمارة في الحرام، قال: عليه بدنة من النعم، الزمارة: النعامة واسم صوتها المزمار.

قال: فإن رمى ساق حر فجدله، قال يخرج شاة بدله، ساق حر ذكر القهاري.

قال: فإن قتل أم عوف بعداً للإحرام، قال: يتصدق بقبضة من طعام، أم عوف: الجرادة.

قال: أيجب على الحاج استصحاب القارب، قال: نعم ليسوقهم إلى المشارب. الحاج اسم للجميع والواحد والقارب طالب بالليل.

---

(١) سورة هود، الآية: ٧١.

قال: ما تقول في الحرام بعد السبت، قال: قد حل في ذلك الوقت. الحرام: المحرم، والسبت: حلق الرأس، وحل: من تحليل الحج.

قال: ما تقول في بيع الكميت، قال: حرام كبيع الميت، الكميت: يراد به هنا الخمر.

قال: أيجوز بيع الخل بلحم الجمل، قال: لا ولا بلحم الحمل أظل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان.

قال: أيحل بيع الهدية، قال: لا ولا بيع السبية. الهدية ما يهدى إلى الكعبة والسبية: الخمر.

قال: ما تقول في بيع العقيقة، قال: محظور على الحقيقة. العقيقة ما يذبح عن المولود في سابع ولادته.

قال: أيجوز بيع الداعي على الراعي، قال: لا ولا على الساعي. الداعي: بقية اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقة.

قال: أيباع الصقر بالنمر، قال: لا ومالك الخلق والأمر. الصقر الدبس وهو عسل التمر.

قال: أيشتري المسلم سلب المسلمات، قال: نعم ويورث عنه إذا مات. السلب: لحاء الشجر وهو أيضاً خرص الثمام والثمام، نبت ضعيف.

قال: أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه، قال: لا ولكن ليبع صفيه. الصيفي: الولد على الكبر، والصفي: الناقة الغزيرة الدر.

قال: أيباع الأبريق على بني الأصفر، قال: يكره كبيع المغفر، الأبريق: السيف الصيقل كثير الماء وبني الأصفر الروم.

قال: فإن اشترى عبداً فبان بأمه جراح، قال: ما في رده جناح. الأم هنا مراد بها مجتمع الدماغ.

قال: أثبت الشفعة للشريك في الصحراء، قال: ولا للشريك في الصفراء. الصحراء: الأتان التي يمازج بياضها غيره.

قال: أيحل أن يحمى ماء البئر والخلا، قال: إن كلنا في الفلا فلا، يحمى: يمنع، والخلا: الكلا.

قال: ما تقول في ميتة الكافر، قال: حل للمقيم والمسافر، الكافر: البحر، وميته: السمك الطافي فوق مائه.

قال: أيجوز أن يضحي بالحول، قال: هو أجدر بالقبول. الحول: جمع حائل.

قال: فهل يضحي بالطالق، قال: نعم ويقرئ منها الطارق. الطارق: الناقة ترسل ترعى حيث شاءت.

قال: فإن صحى قبل ظهور الغزالة، قال: شاة لحم بلا محالة. الغزالة: الشمس، وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت.

قال: أيحل الكسب بالطرق، قال: هو كالقمار بلا فرق، الطرق: الضرب بالحصا وهو من أفعال الكهنة.

قال: أيسلم القائم على القاعد، قال: محظور فيما بين الأباعد. القاعد: التي قعدت عن الحيض أو عن الأزواج.

قال: أينام العقال تحت الرقيع، قال: أحبب به في البقيع، الرقيع: السماء وعنى بالبقيع المدينة.

قال: أيمنع بقيع الذمي من قتل العجوز، قال: معارضته في العجوز لا تجوز. العجوز: الخمر وقتلها مزجها.

قال: ما تقول في التهود، قال: هو مفتاح التزهد. التهود: التوبة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾(1).

قال: أيجوز للرجل أن ينتقل من عمارة أبيه، قال: ما جوز لخامل ولا نبيه. العمارة: القبيلة.

قال: ما تقول في صبر البلية، قال: أعظم بها من خطية، الصبر: الحبس، والبلية: الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف إلى أن تموت، وكانت الجاهلية تزعم أن صاحبها يحشر عليها.

قال: أيحل ضرب السفير، قال: نعم والحمل على المستشير. السفير: ما تساقط من ورق الشجر، والمستشير: الحمل السمين.

قال: أيعزر الرجل أباه، قال: يفعله البر ولا يأباه. التعزير: التعظيم والنصرة، ومنه الآية الشريفة.

قال: ما تقول فيمن أفقر أخاه، قال: حبذا ما توخاه أفقره أعاره ناقة يركب فقارها أي ظهرها.

قال: فإن أعرى ولده، قال: يا حسن ما اعتمده، أعراه: أعطاه ثمر نخله عاماً.

قال: فإن أصلى مملوكه النار، قال: لا إثم عليه ولا عار. المملوك: العجين الذي قد أجيد عجنه حتى قوي.

قال: أيجوز للمرأة أن تحترم بعلها، قال: ما حضر أحد فعلها. البعل: الذي يشرب بعروقه من الأرض.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

قال: فهل تؤدب المرأة على الخجل، قال: أجل، الخجل: سوء احتمال الغنى.

قال: فما تقول فيمن نحت أثلة أخيه، قال: أثم ولو أذن له فيه. نحت أثلته: إذا اغتابه وقدح في عرضه.

قال: أيحجر الحاكم على صاحب الثور، قال: نعم ليأمن غائلة الجور. الثور هنا مراد به الجنون.

قال: فهل له أن يضرب على يد اليتيم، قال: نعم إلى أن يستقيم. يقال ضرب على يده إذا حجر عليه.

قال: فهل يجوز أن يتخذ له ربضاً، قال: لا ولو كان له رضا. الربض هنا مراد به الزوجة.

قال: فمتى يبيع بدن السفيه، قال: حين يرى الحظ فيه، البدن: بمعنى الدرع القصيرة.

قال: فهل يجوز أن يبتاع له حشا، قال: نعم إذا لم يكن مغشى. الحش: النخل المجتمع.

قال: أيجوز للحاكم أن يكون ظالماً، قال: نعم إذا كان عالماً، الظلم: الذي يشرب اللبن قبل أن يروب ويخرج زبده.

قال: أيستقضي من ليست له بصيرة، قال: نعم إذا أحسنت منه السيرة. البصيرة ها هنا بمعنى الترس.

قال: فإن تعرى من العقل، قال: ذلك عنوان الفصل. العقل: ضرب من الوشي.

قال: فإن كان له زهو جبار، قال: لا إنكار عليه ولا إكبار. الزهو: البسر المتلون، والجبار: النخل الذي فات اليد.

قال: أيجوز أن يكون الشاهد مريباً، قال: نعم إذا كان أريباً. المريب: الذي يكثر عنده اللبن الرايب.

قال: فإن بان إنه لاط، قال: هو كما لو خاط. لاط الحوض إذا طينه.

قال: فإن عثر على أنه غربل، قال: ترد شهادته ولا تقبل. غربل: أي قتل ومنه قول الزاجر: (ترى المملوك عنده بغربله)

قال: فإن وضح أنه مائن، قال: هو في رصفه زائن. المائن: الذي يعول ويكفي المؤونة من مان يمون.

قال: ما يجب على عابد الحق، قال: يحلف بإلّه الخلق. المعابد عنى به الجاحد والحق الدين.

قال: فإن جرح قطاة امرأة فماتت، قال: النفس بالنفس إذا فاتت، القطاة: ما بين الوركين.

قال: ما يقول فيمن فقأ عين بلبل عاماً، قال تفقأ: عيناه قولاً واحداً. البلبل: هنا بمعنى الرجل الخفيف.

قال: فإن ألقت الحامل حشيشاً من ضربه، قال: ليكفر بالإعتاق عن ذنبه. الحشيش: الجنين الملقى ميتاً.

قال: ما يجب على المختفي بالشرع، قال: القطع لإقامة الردع. المختفي: نباش القبور.

قال: فإن سرق ثميناً من ذهب، قال: لا قطع كما لو غصب، الثمين: الثمن كما يقال في النصف نصيف.

قال: فإن بان على المرأة السرق، قال: لا حرج عليها ولا فرق. السرق: هنا هو الحرير الأبيض.

قال: أينعقد نكاح لم تشهد القواري، قال: لا والخالق الباري. القواري: الشهود لأنهم يقرأون الأشياء أي يتبعونها.

ما تقول في عروس باتت بليلة حرة ردت في حافرتها بسحره، قال: يجب لها نصف الصداق، ثم يقال: باتت العروس بليلة حرة إذا امتنعت على زوجها. فإن افتضها يقال: باتت بليلة شيباً، والرد في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الأول وكنى به عن طلاقها وردها إلى أهلها.

نظر إلى نسب عمر بن الخطاب

روى: محمد بن السائب الكلبي النسابة وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي النسابة في كتاب الصلابة في معرفة الصحابة وكتاب التنقيح في النسب الصريح بإسنادهم إلى ابن سيابة عبد الله في نسب عمر بن الخطاب قال: وكان عمر بن الخطاب متولداً من نجيبين متضادين نفيل وهو ومن نجباء الحبشة.

ثم قال ذاكراً نسبته إليهما بعد أن قال: إن نكاح الشبهة من أبواب الحلال وأن المتولد منه ومن الزنا يكون أنجب من الولد للفراش، فقال: واعلم أنه قد اتفق في نسبه من الكرامات ما يناسب شأنه ويليق بحاله من ارتباط نسبه بعض ببعض، وكانت العرب تفتخر إذا اتفق لهم بعض هذه الاتفاقات في أنسابهم أو في دوابهم من أهل السنة ومن الشيعة:

حتى قال يصف ناقة لهم شعراً:

علق أبوها أخوها من مهجته وعمها خالها قود أشمليل

ثم قال: وأما تفصيل نسبه وبيانه وهو أن نفيل كان عبداً لكلب بن لوي بن غالب القرشي فمات عنه ثم وليه عبد المطلب، وكان صهاك قد بعثت لعبد المطلب من الحبشة، فكان نفيل يرعى جمال عبد المطلب وصهاك ترعى غنمه، وكان يفرق بينهما في المرعى فاتفق يوماً اجتماعاً في مراح واحد فهواها وعشقها نفيل، وكان قد ألبسها عبد المطلب سروالاً من الأديم وجعل

عليه قفلاً وجعل مفتاحه معه لمنزلتها منه، فلما راودها قالت: ما لي إلى ما تقول سبيل وقد ألبست هذا الأديم ووضع عليه قفل.

فقال: أنا احتال عليه، فأخذ سمناً من مخيض الغنم ودهن به الأديم وما حوله من بدنها حتى استله إلى فخديها وواقعها فحملت منه بالخطاب، فلما ولدته القته على بعض المزابل بالليل خيفة من عبد المطلب فالتقطت الخطاب امرأة يهودية جنازة وربته، فلما كبر كان يقطع الحطب فسمي الحطاب لذلك بالحاء المهملة فصحف بالمعجمة، وكانت صهاك ترتاده في الخيفة فرآها ذات يوم وقد تطأطأت عجيزتها ولم يدر من هي فوقع عليها فحملت منه بحنتمة، فلما وضعتها ألقتها على مزابل مكة خارجها فالتقطها هشام بن مغيرة بن وليد ورباها فنسبت إليه، فلما كبرت وكان الخطاب يتردد على هشام فرأى حنتمة فأعجبته فخطبها إلى هشام فزوجه إياها فولدت عمر، وكان الخطاب والد عمر لأنه أولد حنتمة إياه حيث تزوجها وحده لأنه سافح صهاك قبل فأولدها حنتمة، وكانت حنتمة أم عمر وبنت الخطاب فكان الخطاب جده وخاله لأن حنتمة والخطاب من أم واحدة وهي صهاك وكانت حنتمة أمه لأنها ولدته وأخته لأن عمر وحنتمة من أب واحد وهو الخطاب وعمته لأن حنتمة والخطاب من أم واحدة وهي صهاك. هذا ملخص كلام الكلبي. وأما ما ذكره أبو مخنف فهو كلام طويل.

قصص وأحاديث وأشعار مختلفة

قيل: لبيروز عمامة من وبر السمندل طولها خمسون ذراعاً إذا توسخت طرحت بالنار فتأكل النار الوسخ فتخرج نظيفة.

صفة أولاد الظباء: فإذا ولدته وبقي يوماً سمي شاذناً، وإذا بقي خمسة أيام سمي وبراً، وإذا كمل له عشرة أيام سمي مها، وإذا كمل له خمسة عشر يوماً سمي رشأ، فإذا كمل له عشرون يوماً سمي خشفاً، وإذا كمل له خمسة وعشرون يوماً يسمى ريماً، وإذا كمل له ثلاثون يوماً سمي جؤدراً، وإذا كمل له خمسة وثلاثون يوماً سمي ظبياً، وإذا كمل له أربعون يوماً سمي غزالاً. ولا يزيد على ذلك.

الزهد

فائدة: قال بعض الخلفاء لبعض الزهاد: إنك لعظيم الزهد: قال: إنك أزهد مني قال: وكيف ذلك؟

قال: لأنك زهدت في نعيم الآخرة وهو دائم عظيم وأنا زهدت في نعيم الدنيا الحقير المنقطع.

الدعاء

للزمخشري: قال في كتاب الكشاف: قيل لإبراهيم بن الأدهم ما لنا ندعو ولا نجاب؟ قال: لأنه دعاكم فلم تجيبوا ثم قرأ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١) الآية.

الفقر

سئل: من عابد ما الفرق بين قوله (الفقر فخري) وبين قوله (الفقر سواد الوجه في الدارين) وبين قوله (يكاد الفقر أن يصير كفراً) قال العابد في جواب السائل: اعلم أن الفقر في اللغة الاحتياج والاحتياج على ثلاثة أنواع احتياج إلى الله فقط واحتياج إلى الخلق فقط واحتياج إليهما. فالحديث الأول إشارة إلى المعنى الأول وهو الاحتياج إلى الحق، والحديث الثاني إشارة إلى المعنى الثاني وهو الاحتياج إلى الخلق، والحديث الثالث إشارة إلى المعنى الثالث وهو الاحتياج إلى الحق والخلق معاً.

كتاب عيون أخبار الرضا: حدثنا أبو علي أحمد بن أبي جعفر البيهقي بعد منصرفي من حج بيت الله الحرام سنة ٣٥٤ قال: حدثنا علي بن جعفر المدني قال: حدثنا علي بن مهرويه القزويني قال: حدثني داود بن سليمان قال: حدثني علي بن موسى بن جعفر عن جده عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ حكمنا فيها فأجابنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبنا فوهب لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفى وصفح».

الخط الكوفي

نقل: أن أول من نقل الخط الكوفي إلى الطريقة العربية ابن مقلة قال أبو منصور الثعالبي في خطه: [البحر البسيط التام]

خطُّ ابن مقلةَ من ارعاهُ مقلتَه ... ودَّتْ جوارحه أن حوّلتْ مُقلا
فالدرُّ من درّه ذو صفرةٍ حسداً ... والنورُ من نورِه ذو حمرةٍ خَجلا

ثم جاء ابن البواب وزاد في تعريف الخط، ثم جاء ياقوت المستعصمي الخطاط وضم في فن الخط وأكمله وأدرج في جميع قوانينه فقال: [البحر الطويل]

أصولُ تركيبِ كراسٍ ولميه صعودٌ وتشميرٌ وإنزالُ وإرسالُ

(١) سورة يونس، الآية: ٢٥.

الشعوبية

كتاب: شرح المفصل الشعوبية بضم الشين قوم متعصبون على العرب يفضلون عليهم العجم وإن كان الشعوب جميل العجم إلا أنه غلبت النسبة إليه لهذا القبيل، ويقال إن منهم معمر بن المثنى وله كتاب في مثالب العرب، وقد أنشد بعض الشعوبية للصاحب ابن عباد يمدحه:

[البحر الوافر]

غَنينا بالطّبولِ عن الطلولِ ... ومن عنَسٍ عذافرةٍ ذمولِ
فلست مباركاً إيوانَ كسْرى ... لتوضحَ أو لحوملَ فالدخولِ
وضبٌّ بالفَلا ساعٍ وذيبٍ ... بها يعوي وليث وسطَ غيلِ
إذا نحَروا فذلك يوم عيدٍ ... وإن ذبحُوا ففي عرسٍ جليلِ
يسلّون السيوفَ لرأسِ ضبٍّ ... مِراساً بالغداةِ وبالأصيلِ
بأيةِ رتبةٍ قدّمْتموها ... على ذي الأصلِ والشرفِ الأصيلِ
أمَا لو لم يكنْ للفرس إلاّ ... نجارُ الصاحبِ العدلِ الجليلِ
لكانَ لهمْ بذلك خيرُ عزٍّ ... وجيلُهم كذلك خيرُ جيلِ

فقال له الصاحب قدك، ثم قال لبديع الزمان أجبه فأجابه مرتجلاً: [البحر الوافر]

أراكَ على شَفا خطرٍ مهولِ ... بِما أودعْتَ رأسَك من فضولِ
طلبتَ على مكارِمنا دليلاً ... متى احتاجَ النهارُ إلى دليلِ
ألسْنا الضّاربين جرى عليكم ... فإن الخزْي أقعدَ بالذليلِ
متى قرعَ المنابرَ فارسيٌّ ... متى عرفَ الأغرَّ من الحجولِ
متى علقتْ وأنت بها زعيمٌ ... أكفُّ الفرسِ أطرافَ الخيولِ
فخرْتَ بملءِ ما ضيّعت فخْراً ... على قحطانِ والبيتِ الأصيلِ
فخرْتَ بأنَّ مأكولاً ولبْساً ... وذلك فخرُ ربّاتِ الحجولِ
قَفا حزنٍ وفي خدٍّ أثيلٍ ... وشعرٍ عن مفارقةٍ رسيلِ

وقال الصاحب للشعوبي كيف ترى؟

فقال: لو سمعت ما صدقت. ثم قال له: جائزتك جوازك إن وجدتك بعدها في مملكتي ضربت عنقك.

الدنيا فانية

روي عن علي عليه السلام: إذا أقبلت الدنيا فانفق منها فإنها لا تفنى وإذا أدبرت عنك فانفق منها فإنها لا تبقى، وأنشد عليه السلام: [البحر البسيط التام]

لا تبخلنَّ لدنيا وهيَ مقبلةٌ ... وليس ينقصُها التبذيرُ والسَّرفُ
وإنْ تولَّت فأحرى أن تجودَ بها ... فالمدحُ منها إذا ما أدبرتْ خلفُ

أهل العلم

لبعضهم: [البحر البسيط التام]

النّاسُ موْتى وأهلُ العلمِ أحياءِ ... والناسُ مرْضى وهمْ فيها أطِبّاءُ
والناسُ أرضٌ وأهلُ العلمِ فوقهمُ ... سماءُ نورٍ وما في النورِ ظلماءُ
وزمرةُ العلمِ روحُ الخلقِ كلّهمُ ... وسائرُ الناسِ في التمثيلِ أعضاءُ

الجهل

لأمير المؤمنين عليه السلام: [البحر الطويل]

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهلِه ... وأجسادُهم قبلَ القبورِ قبورُ
وإنَّ امرءاً لم يحيَ بالعلمِ ميّتٌ ... وليسَ لهم حتّى النشورِ نشورُ

للسيد عبد الرزاق: والسيد حسين الجد حفصي البحراني لما مرض وعاوده بعض الناس من أهل بلده:

العدو

[البحر الكامل]

عادَ العدوُّ وقد مرضتُ وفي الحشا ... منه غليلُ عداوةٍ لا تبردُ
فانصاعَ مسروراً يظنُّ بجهلِه ... إنّي أموتُ وإنه سيخلّدُ
أوَ صمَّ عن بيتٍ تضمَّن حكمةً ... أهلُ العقولِ بما تضمَّن يشهدُ
كم من مريضٍ قد تخطّاه الرّدى ... فنجا وماتَ طبيبُه والعوّدُ

وله أيضاً رحمه الله تعالى: [البحر الكامل]

لمّا مرضتُ أتى الطبيبُ وفتيةٌ ... لعيادتي أنفاسُهم تتصعّدُ
يتأوّهون لِما أصبتُ وأنّني ... لأخالُهم لو أن أصبتُ لعيّدوا
من كلّ مبتسمٍ بوجهٍ أبيضٍ ... مكْراً وحشوُ الصدرِ قلبٌ أسودُ
فشفيتُ من مَرضي ودارَ عليهمُ ... كأسُ المنونِ كأنهمْ لم يُوجدوا
صمَّتْ مسامعُهم عن البيتِ الذي ... يرْوي وما سمعوا به لم يهْتدوا
كم من مريضٍ قد تخطّاه الرَّدى ... فنجا وماتَ طبيبُه والعوّدُ

من ديوان السيد عبد الرؤوف رحمه الله تعالى:

أيها الحادي ترفق بفؤادي واحبس الركب ولو حل عقال فكليم الشوق قد أنس برق القرب من نحو حمى الحب فظن النور في الطور بجنح الليل ناراً فغدا يقتبس النار كما ظن بنعليه فنودي اخلع النعل فهذا ربع ليلى فانثنى من شدة الدهشة كالمجنون حيران إلى أن أنعشته نفحة الأنس من القدس فردت ظلمة الليل نهاراً ولكم حول الحمى حامت قلوب شفها الوجد ورامت فترامت بعدما أن شمرت عن ساعد الأقدام والجد فما ساعدها الجد وصدت دون نيل الغرض المقصود بالذات إلى أن عذب الصب وقتلى أمن القاتل فيهم خشية الحد ومنهم من قضى قبل بلوغ الورد ظمآن ولم يقض مراما.

في مدح الآله: خير من حثت إلى معروفه راجلة الحمد القديم الأبدي الأحد الفرد الذي جلت أياديه فما دائرة الحصر وما مرتبة العد فلا يبلغ أدنى نعته الوصف ولا يدركه عقل ولا يلحقه الحد ولو السبعة مدت يد محص لقليل من كثير عاقها الجزر عن المد ولو رام جنان الفلك الكاتب حصراً أو بنان الكاتب الخط بياناً رجع الأول بالحصر وعن الحصر وبالعجز عن الصدر رجوع القهقرى وانعكس الأمر على الثاني مع الثالث أعني قلم الكاتب حتى راح يشكو ألم القط ويشكو القلم القد وفي تصريفه الأخذ متى شاء وفي قبضته الرد له الملك تعالى وله الحمد وأما وله الشكر على العبد لزاما.

في مدح النبي ﷺ: وإلى أشرف نوع العالم العلوي والأرضي أهدي حبر المدح وما قدر مديحي بعدما خص بلولاك وناهيك بها مرتبة جاوزت الأفلاك وامخطت لها كل ملوك الأرض دعهم وقل الأملاك فهو السيد الأيد حامي الدين ماحي ظلم الإشراك طوراً بسنان يقطر الأحمر موتاً ودماً ركبه النصر على أسمر قد حالفه الحتف على الفتح وطوراً بحسام أرضعته درها أم المنايا السود من قبل بلم في عالم الذر فقيل ما شئت في أبيضه البتاك من وصف وإن خالطك الشك فسل سلعاً وما إشهرها كم قدمن قد شديد الكفر أفاك عتل فهو مغناطيس أرواح الصناديد ومصداق مقالي إنها في ما روت الحرب عليه تتراما.

في مدح النبي ﷺ: يا رسول الله يا أشرف راق فلك الفجر ويا من بحماه نحتمي من نوب الدهر ونستعدي بجدواه على حادثة الفقر فأدنى سمح يمناه على السائل كالنهر ولا نهر وعن نائلة الغمر روى القطر عن البحر وعن عامله العامل في الحرب وعن أبيضه بالضرب روى القطر عن النحر وعن عزمته الماضية الأمر ذوي الفتح عن النصر وعن طلعته الغرا يروي البدر في منتصف الشهر فيا مولاي أرجوك لذنب أثقل الظهر فما لي عمل أرجو به الفوز لدى الحشر سوى حبك مع حب فتًى واساك بالنفس وأعطاك يد الطائع في حالتي الأسرار والجهر فكم جود في نصرك يا خير النبيين حساما.

في مدح علي عليه السلام: ما لعيني كلما أقلقها البارق بالومض تجافي جنبها عن مضجع الغمض

وقلبي كلما رب الصبا الكرخي في البان فحاكى الغصن منه العرق في النبض سعى يلتمس المخرج حتى كاد بالتزفار من صدري ينفض ولا بدع إذا اشتاق إلى أرض بها الكل وكل العالم البعض فمن لي أن يداني بي خطي النجف الأشرف كي أقضي به من قبل أن أقضي ما فات من الفرض وأقصي بمصون السر للمولى الذي أمله في موقف العرض وما لي عند أمالي ما قد وعدتنيه وبعد الوعد كالقرض فإن غرفها نشر ثنائي واشتياقي لك يا مولاي قد أودعت أنفاس الخزاما.

في مدح علي عليه السلام: عجباً من فئة ما عدلت إذ عدلت عن قاسم الجنة والنار مبيد الجن في الغار على الجاه والمقدار بحر الكرم الزخار صدر الجحفل الحرار مروي الأبيض البتار من فيض دم الكفار أعني حيدر الكرار مولاي ومولى كل من آمن بالله كما أبرم نص بألا من كنت مولاه فلولا سيفه في فلك التوحيد ما دار ولو لم يك إلا قتل عمرو بعدما أن جلل الأقوام بالأقدام والأحجام عنه حلة العار وكم من موقف حلا به الكرب عن المختار حيث البيض تستغني عن الأغماد بالأعمار خذ لي يا إمامي من زمان الخائن الغدار بالثار وخلصني من النار إذا اشتدت لهيبا وضراماً.

باطل الملك عارض

عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس: **[البحر الطويل]**

وَرَدْنا مِياهاً مِن أميةَ عذبةً ... وكلْنا لهم بالقتلِ بالصاعِ أصْوَعا
وما في كثيرٍ منهمُ بقتيلِنا ... وفاءٌ ولكنْ كيف بالثارِ أجْمَعا
إذا أنت لم تقدرْ على الثارِ كلِّه ... وأعطيتَ بعضاً فليكنْ لك مُقنِعا
رميْنا نفوساً منهم بسيوفِنا ... وصاحَ بهم داعي الفناءِ فأسْمعا
قضيناهمُ ديناً وردْنا عليهمُ ... كما زادَ بعد القرضِ من قد تطوَّعا
وكان لهمْ من باطلِ الملكِ عارضٌ ... ولما علتْه شمسُ حقٍّ تقشّعا
فليتَ عليَّ الخيرَ شاهدَ أسهُما ... أصابتْهم لم تلقَ في القوسِ منزِعا

امرأة مزواج

نقل: أن حب امرأة مدنية كانت مزواجاً فتزوجت على كبر سنها فتى من بني كلاب وكان لها ابن كهل فمشى إلى مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة فشكاها إليه وقال: أمي السفيهة على كبر سنها وسني تزوجت شاباً من بني كلاب فصيرتني ونفسها حديثاً، فأحضرها مروان فلما حضرت قالت لابنها: يا بن بردعة الحمار رأيت في ذلك الشاب العنطنط والله ليصرعن أمك بين

الباب والطاق وليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه، فقال فيها أبو هرمة الشاعر:

[البحر الطويل]

فما وجدَتْ وجْدي بها أمُّ واحدٍ ولا وجْدَ حبّي يا بن أمِّ كلابِ
رأتْه طويلَ السّاعدين عنطنطاً وما تسْتحي من قوةٍ وشبابِ

الصيف ضيعت اللبن

روي: أن عمر بن عمر بن عدس تزوج دخنوش بنت لقيطة بن زرارة بعد ما أسن، وكان أكثر قومه مالاً فكرهته فطلقها فتزوجها فتى ذو شباب وجمال من آل زرارة ثم غزتهم بكر بن وائل فنهت زوجها فقالت: الغارة فجعل يقول الغارة الغارة فيضرط حتى مات فأغاروا عليها وأخذوها سبية، فأدركهم الحي وعمر وزوجها الأول في السرعان فقتل منهم ثلاثة واستنقذها وقال: أي حليلك وجدت خيراً العظيم فيشة وأيراً أم الشديد للعداوة ضيراً أم الذي ساق العدو سيراً، فتزوجت منهم شاباً ملقى فمرت بها إبل عمرو وكأنها الليل فقالت لجارتيها قولي له: ليسقنا من اللبن، فقال: قولي لها الصيف ضيّعت اللبن فضربت بيدها كتف زوجها وقالت: هذا ومذقه خير.

إتعاظ الرباب

نقل: إن امرأة يقال لها (الرباب) عاهدت زوجها على أن لا تتزوج بعده ولا يتزوج بعدها، فلما مات لم تلبث إلا قليلاً حتى تزوجت فقبل أن يزف عليها أخذتها نعسة فرأته آخذاً بعضادتي الباب وهو يقول: ما أسرع ما نسيت العهد يا رباب وأنشأ يقول:

[البحر البسيط التام]

حييتُ ساكنَ هذي الجارِ كلّهمُ إلاّ ربابَ فإنّي لا أُحيّيها
أمستْ عروساً وأمسى منزلي حدَثاً إنَّ القبورَ تُواري من ثَوى فيها

فيقال: إنها اتعظت وأخذت في طلاقه قبل الدخول.

في الرد على الأشاعرة

فائدة: قال الفاضل المحقق السيد نور الله الشوشتري في كتاب إحقاق الحق في الرد على الأشاعرة حيث ذهبوا إلى أن الله تعالى هو الهادي والمضل مستدلين بقول الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(1) إن هذا مدفوع بما فصله الأصحاب في تحقيق معنى الهداية

(1) سورة النحل، الآية: ٩٣.

والضلالة، وحاصله أن هدى يستعمل في اللغة بمعنى الدلالة والإرشاد نحو ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾(١) ومعنى التوفيق نحو: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾(٢) وبمعنى الثواب نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾(٣) وبمعنى الفوز والنجاة نحو: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾(٤) وبمعنى الحكم والتسمية نحو: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾(٥) يعني أتريدون أن تسموا مهدياً من سماه الله ضالاً وحكم بذلك عليه.

والإضلال يأتي على وجوه.

(أحدها) الجهل بالشيء فيقال: (أضل بغيره) إذا جهل مكانه.

(وثانيها) الإشاعة والإبطال يقال (أضله) أي أضاعه وأبطله ومنه قوله تعالى: ﴿أضل الله أعمالهم أي أبطلها﴾.

(وثالثها) بمعنى الحكمة والتسمية يقال (أضل فلاناً) أي حكم عليه بذلك وسماه.

(ورابعها) بمعنى الوجدان والمصادفة يقال (أضللت فلاناً) أي وجدته ضالاً كما يقال (أبختله) أي وجده بخيلاً، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾(٦) أي وجده، وحمل أيضاً على معنى الحكم والتسمية وعلى معنى العذاب (وخامسها) أن يفعل ما عنده بضل ويضيفه إلى نفسه مجازاً لأجل ذلك كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾(٧) أي يضل عنده.

(وسادسها) أن يكون متعدياً إلى مفعولين نحو: «فأضلونا السبيلا وليضل عن سبيله» وهذا هو الإضلال بمعنى الإغواء وهو محل الخلاف بيننا وبينهم وليس في القرآن ولا في السنة شيء يضاف إلى الله تعالى بهذا المعنى - انتهى كلامه زيد في الخلد إكرامه.

قصة التاجر الذي كان يبذل على السادة

كتاب الروضة: لشيخنا الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه وعن إبراهيم عن ابن مهران قال: كان بالكوفة رجل تاجر يكنى بأبي جعفر وكان حسن المعاملة في الله ومن أتاه من العلويين أعطاه شيئاً ويقول لغلامه: اكتب هذا ما أخذ علي عليه السلام وبقي على هذا أياماً ثم قعد به الوقت وافتقر فنظر يوماً في حسابه فجعل كلما مر عليه اسم حي من غرمائه بعث إليه فطالبه ومن مات ضرب على اسمه، فبينما هو جالس على باب داره إذ مر به رجل فقال: ما فعل غريمك علي ابن أبي طالب؟

(١) سورة الليل، الآية: ١٢.
(٢) سورة محمّد (ص)، الآية: ١٧.
(٣) سورة يونس، الآية: ٩.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.
(٥) سورة النساء، الآية: ٨٨.
(٦) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

فاغتم لذلك غماً شديداً ودخل داره، فلما جن عليه الليل رأى النبي ﷺ وكان الحسن والحسين عليهما السلام يمشيان أمامه فقال لهما النبي ﷺ : ما فعل أبوكما؟

فأجابه علي من ورائه هل أتانا رسول الله؟.

فقال: لم لا تدفع إلى هذا الرجل حقه؟

فقال: بلى يا رسول الله قد جئته به. فقال له النبي ﷺ ادفعه إلي، فأعطاه كيساً من صوف أبيض وقال له: هذا حقك فخذه ولا تمنع من جاءك من ولدي شيئاً فإنه لا فقر عليك بعد هذا. فقال الرجل: فانتبهت والكيس في يدي فناديت زوجتي فقلت لها: هاك فناولتها الكيس وإذا فيه ألف دينار، فقالت: يا هذا الرجل اتق الله ولا يحملك الفقر على أخذ ما لا تستحقه فإن كنت خدعت بعض التجار في ماله فاردده إليه فحدثها الحديث فقالت: إن كنت صادقاً فأرني حساب علي بن أبي طالب عليه السلام فحضر الدستور فلم ير فيه شيئاً بقدرة الله تعالى.

معجزة علوية في الذي كان يسبه

في كتاب الأربعين: الحديث للفاضل فتح الله الواعظ قال نقل في كتاب خاتمة الأربعين عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام بإسناده يرفعه إلى أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي قال وكتبته بإملائه قال: كنت بصور في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة عند أبي علي محمد بن علي المستأمن وإنما لقب بذلك لأنه استأمن من عسكر القرامطة إلى صاحب السلطان بالشام وهو على حماية البلد فجاءه القاضي أبو القاسم بن الديان وكان شاباً أديباً فاضلاً جليلاً واسع المال عظيم الثروة ليلاً فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل عليه قال له: أيها الأمير قد حدث الليلة أمر ما لنا بمثله عهد، وهو أن في البلد رجلاً ضريراً يقوم كل ليلة في الثلث الأخير يطوف بالبلد بأعلى صوته:

يا غافلين اذكروا الله يا مذنبين استغفروا الله ويا مبغضي معاوية عليكم لعنة الله، وإن دايتي التي ربتني كانت لها عادة أن تنتبه على صوته فجاءتني الليلة وأيقظتني وقالت لي: كنت نائمة فرأيت في منامي كأن الناس يهرعون إلى المسجد الجامع فسألت عن السبب فقالوا رسول الله ﷺ هناك فتوجهت إلى المسجد الجامع ودخلته ورأيت النبي على المنبر وبين يديه رجل واقف عن يمينه ويساره غلامان واقفان والناس يسلمون عليهم وهو يرد عليهم السلام حتى رأيت الضرير الذي يطوف بالبلد ويقول كذا وكذا وأعاده ما يقوله فدخل المسجد فسلم فأعرض النبي عنه حتى عاوده ثلاثاً فأعرض عنه النبي، فقال الرجل الواقف: يا رسول الله رجل من أمتك ضرير يحفظ القرآن يسلم عليك فلم حرمته الرد عليه؟

فقال يا أبا الحسن: هذا يلعنك ويلعن ولديك منذ ثلاثين سنة، فالتفت الرجل الواقف فقال:

يا قنبر فإذا برجل قد بدر فقال اصفعه، فصفعه صفعة فخر على وجهه ثم انتبهت فلم أسمع له صوتاً وهذا هو الوقت الذي جرت عليه عادته في الصباح والطواف والتذكير.

قال أبو الفرج: فقلت أيها الأمير تنفذ من يعرف خبره، فأنفذنا في الحال رسولاً قاصداً ليخبرنا عن أمره، فجاءنا يعرفنا أن امرأته ذكرت أن عرض له هذه الليلة حكاك شديد في قفاه فمنعه من الطواف والتذكير، فقلت لأبي علي المستأمن: أيها الأمير هذه آية يجب أن تشاهدها، فركبنا وقد بقيت من الليل بقية يسيرة وجئنا إلى دار الضرير فوجدناه نائماً على وجهه يخور، فسألنا زوجته عن حاله فقالت: انتبه وحك هذا الموضع وأشارت إلى قفاه وكان قد ظهر منه مثل العدسة وقد اتسعت الآن وانتفخت وتشققت وهو الآن على ما تشاهدونه يخور ولا يعقل فانصرفنا وتركناه، فلما أصبحنا هلك فركب أهل صور على تشييع جنازته وتعظيمه.

قال أبو الفرج الأصبهاني: واتفق أني لما وصلت إلى باب عضد الدولة بالموصل سنة ثمان وستين وثلاثمائة لزمت دار خازنه أبي نصر خورشيد بن يزديار وكان يجمع فيها كل يوم خلق كثير من طبقات الناس، فحدثت بهذه الحكاية جماعة في دار أبي نصر منهم القاضي أبو علي التنوخي وأبو القاسم الحسين بن محمد الحيائي وأبو إسحاق الفهمسي وأبو طرخان وغيرهم فكلهم ردوا علي واستبعدوا ما حكيته على أشنع وجه غير القاضي التنوخي فإنه جوزه وشيده وحكى ما يضاهيه، ثم مضت على هذا مدة يسيرة فحضرت دار أبي نصر هذا على العادة فاتفق حضور أكثر الجماعة. فلما استقر بي المجلس سلم علي فتى شاب لا أعرفه فاستنسبته فقال: أنا ابن أبي القاسم بن الريان قاضي صور، فبدأت فأقسمت عليه بالله يميناً وكررته مؤكدة مغلظة محرجة إلا صدق فيما أسأله عنه، فقال: نعم هو ذاك، فبدأ وحدثهم مثلما حدثتهم فعجبوا من ذلك واستطرفوه.

قصة الهادي العباسي وجاريته غادر

حكي: أن الهادي العباسي كان مغرماً بجارية له تسمى غادر، وكانت من أحسن النساء وجهاً وأكثرهن أدباً وألطفهن طبعاً وأطيبهن غناء، فبينما هي تنادمه ذات ليلة وتغنيه إذ تغير لونه وأثر الحزن عليه فقالت: ما بال أمير المؤمنين لا أراه الله ما يكره؟

فقال: قد وقع في فكري الساعة إني أموت وإن أخي هارون يلي الخلافة بعدي وإنك تكونين معه كما أنت معي الآن، فقالت: لا أبقاني الله بعدك وأخذت تلاطفه وتزيل هذا الخيال من خاطره، فقال: لا بد أن تحلفي لي إيماناً مغلظة أن لا تخلي بعدي، فحلفت على ذلك وأخذ العهود والمواثيق ثم خرج وأرسل إلى أخيه هارون وحلفه أن لا يخلو بغادر بعده وأخذ عليه من العهود والمواثيق ما أخذ عليها، فلم يمض إلا شهر حتى مات الهادي وانتقلت الخلافة إلى هارون فطلب الجارية فحضرت فأمرها بالأخذ في المنادمة فقالت: وكيف يصنع أمير المؤمنين بتلك الإيمان والعهود؟

فقال: قد كفرت عنك وعن نفسي ثم خلا بها ووقعت من قلبه. موقعاً عظيماً بحيث لم يكن يصبر عنها ساعة، فبينما هي ذات ليلة نائمة في حجره إذ استيقظت مذعورة فقال: ما بالك فدتك نفسي؟

قالت: رأيت أخاك ينشدني هذه الأبيات: [البحر الرجز المشطور]

أخلفتِ ظنّي بعدما جاورتُ سُكّانَ المقابرْ
وحسبْتني وحنثْتِ في أيمانِك الزّورَ الفواجرْ
ونكحْتِ غادرةً أخي صدقَ الذي سمّاك غادرْ
لا يهْنِك الألفُ الجديدُ ولا يدرْ عنكِ الدّوائرْ
وطعنْتني قبلَ الصباحِ وصرتِ حيث غدوت صابرْ

وأظن إني لاحقة به هذه الليلة فقال: فداك نفسي إنما هي أضغاث أحلام. فقال: كلا ثم إنها ارتعدت واضطربت بين يديه حتى ماتت.

النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة

روى الصدوق ﵀ في كتاب الغيبة، عن أحمد بن زياد بسنده عن الأزدي قال: سألت سيدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1] فقال: النعمة الظاهرة الإمام الظاهر والباطنة الإمام الغائب. فقلت له: ويكون في الأئمة من يغيب؟ قال: نعم ويغيب عن أبصار الناس شخصه ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره وهو الثاني عشر يسهل الله له كل عسر ويذلل له كل صعب ويظهر له كنوز الأرض ويقرب له كل بعيد ويفني به كل جبار عنيد ويهلك على يديه كل شيطان مريد، وذلك من ابن سيدة الأماء الذي يخفى على الناس ولادته ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ثم قال الصدوق قدس الله سره: قال مصنف هذا الكتاب ﵀ لم أسمع هذا الحديث إلا من أحمد بن زياد ﵀ بهمدان عند منصرفي من حج بين الله الحرام، وكان رجلاً ثقة ديناً فاضلاً رحمة الله عليه ورضوانه.

يقول جامع الكشكول وحاكي هذه النقول: في هذا الخبر دلالة على تحريم التسمية مدة الغيبة وهو أحد القولين، والأظهر عندي خلافاً لمن خصه بوقت الغيبة زاعماً أنه وقت الخوف عليه ووقت الطلب وأما بعد ذلك فلا يحرم لعدم الطلب له فيه عليه السلام وفيه.

(أولاً) أن ذلك اجتهاد في مقابلة هذا النص وأمثاله.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(وثانياً) إنه وإن علل بذلك في بعض الأخبار إلا أنه لا يجب الانحصار تلك العلة على أن علل الشرع إنما هي معروفات لا علل حقيقية يدور المعلول مدارها وجوداً وعدماً.

وأنت خبير بما في قول شيخنا الصدوق بعد نقل الخبر المذكور (لم أسمع هذا الحديث) اه من الدلالة على أن عداه من أحاديث هذا الكتاب وغيره كلها متواترة النقل أو مستفيضة عندهم لا مجال للطعن فيها بالشذوذ والندرة واحتمال الافتراء بوجه، وقد وقع له مثل هذا الكلام في غير محل منها بعد هذا الخبر بثلاث أوراق تقريباً بعد أن نقل حديثاً عن علي بن عبد الله الوراق قال في ذيله: قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه لم أسمع بمثل هذا الحديث إلا من علي بن عبد الله الوراق وجدته بخطه مثبتاً مسألته عنه فرواه لي عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن إسحاق كما ذكرته- انتهى.

وبالجملة فإنه متى لم يتفق له نقل الخبر إلا من طريق واحد وكان معتمداً فإنه ينبه عليه ويصرح به، وهو قرينة واضحة على ما ذكرناه والله أعلم.

في الحديث: عن زيد الشحام عن مولانا الصادق عليه السلام قال: قلت له: أيما أفضل الحسن أم الحسين؟

قال إن فضل أولنا يلحق بفضل آخرنا وفضل آخرنا يلحق بفضل أولنا فكل له فضل. قال قلت له: جعلت فداك وسع عليّ في الجواب فإني ما سألتك إلا مرتاداً فقال: نحن من شجرة طيبة برانا الله من طينة واحدة فضلنا من الله وعلمنا من عند الله، ونحن أمناؤه على خلقه والدعاة إلى دينه والحجاب فيما بينه وبين الله أزيدك يا زيد؟

قلت: نعم.

فقال: خلقنا واحد وفضلنا واحد، وكلنا واحد عند الله. فقلت: أخبرني بعدتكم؟

فقال: نحن اثنا عشر هكذا حول عرش ربنا عز وجل في مبدأ خلقنا أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام علمنا واحد وفضلنا واحد ونحن شيء واحد.

ما ورد في ذم الصوفية

كتاب حديقة الشيعة: تأليف مولانا العالم الزاهد المجاهد ملا أحمد الأردبيلي قدس الله سره قال: نقل الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه عن محمد بن الحسين بن الخطاب الزيات قال: كنت مع الهادي علي بن محمد عليه السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري وكان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عظيمة عنده عليه السلام ثم أدخل المسجد جماعة من الصوفية وجلسوا إلى جانبه مستديرين وأخذوا في التهليل،

فقال عليه السلام: لا تلتفتو إلى هؤلاء الخداعين فإنهم خلفاء الشياطين ومخربو قواعد الدين، يتزهدون لإراحة الأجسام ويتهجدون لتصيد الأنام يتجرعون عمراً حتى يذبحوا للإيكاف حمراً، لا يهللون إلا لغرور الناس ولا يقللون الغذاء إلا لملء العساس واختلاف قلوب الدفناس، يكلمون الناس بإملائهم في الحب ويطرحونه بأذيالهم في الجب أورادهم الرقص والتصدية وأذكارهم الترنم والتغفية، فلا يتبعهم إلا السفهاء ولا يعتقدهم إلا الحمقاء، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم فكأنما أعان معاوية وأبا سفيان. فقال رجل من أصحابه: وإن كان معترفاً بحقكم؟

قال: فنظر إليه شبه المغضب وقال: دع ذا عنك فمن اعترف بحقوقنا لم يذهب إلى عقوقنا، أما تدري أنهم طوائف الصوفية والصوفية كلهم مخالفون وطريقتهم مغايرة لطريقتنا وإن هم إلا نصارى أو مجوس هذه الأمة، أولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله والله متمم نوره ولو كره الكافرون.

ومن الكتاب المذكور: بسند صحيح عن أحمد بن محمد بن أبي النظر البزنطي ومحمد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام قال: من ذكر عنده التصوف ولم ينكره بقلبه ولسانه فليس منا، ومن أنكرهم فإنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن الكتاب المذكور: بإسناده عن الرضا عليه السلام إنه قال: لا يقول بالتصوف أحد إلا لخدعة أو ضلالة أو حماقة، وأما من سمى نفسه صوفياً للتقية فلا إثم عليه. ورواه أيضاً في الكتاب بسند آخر وزاد عليه: وعلامته أن يكتفي بالتسمية ولا يقول بشيء من عقائدهم الباطلة.

ومن الكتاب المذكور: بإسناده قال: قال رجل للصادق عليه السلام قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفية فما تقول فيهم؟

فقال عليه السلام: هم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم، وسيكون أقوامٌ يدعون حبنا ويميلون إليهم ويتشبهون بهم ويلقبون أنفسهم بلقبهم ويعولون على أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منا وأنا منه بريء ومن أنكر عليهم ورد عليهم كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن الكتاب المذكور: ورد في الطعن على الصوفية أحاديث كثيرة.

(منها) في أبي هاشم الكوفي واضع مذهب الصوفية ورد الحديث بالطعن فيه من طرق منها: ما رواه علي بن الحسين بن بابويه في كتاب قرب الإسناد الذي صنفه سعد بن عبد الله عن محمد بن عبد الجبار عن الإمام العسكري عليه السلام قال سأل أبو عبد الله الصادق عليه السلام عن أبي هاشم الصوفي الكوفي قال: إنه فاسد العقيدة جداً وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف وجعله مقراً لعقيدته الخبيثة. ورواه بطريق أخرى في بعضها أنه قال: وجعلها مقراً لنفسه الخبيثة قال قدس الله سره: وهذا الكتاب قد وقع بيدي بخط مصنفه إلى أن قال مؤلف هذه الحديقة أن الشيخ المفيد وابن بابويه وابن قولويه يقولون إن هذه الطائفة الضالة من الغلاة وأن الشيخ محيي الدين

العربي والشيخ عزيز النسعي وعبد الرزاق الكاشي قائلون بوحدة الوجود، فإن كل موجود فهو الله أعوذ بالله من هذه الأقاويل.

ومن الكتاب المذكور: نقل السيد المرتضى ابن الداعي الحسيني الرازي رحمه الله عن الشيخ المفيد عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد عن أبيه سعد بن عبد الله عن محمد عبد الجبار عن العسكري عليه السلام إنه كلم أبا هاشم الجعفري فقال: يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة وقلوبهم مظلمة متكدرة، السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة، المؤمن بينهم محتقر والفاسق بينهم موقر، أمراؤهم جابرون وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء، كل جاهل عندهم خبير وكل محيل عندهم فقير، لا يميزون بين المخلص والمرتاب ولا يعرفون الضان من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف، وأيم الله أنهم من أهل العدول والتحرف يحبون مخالفينا ويقلون شيعتنا وموالينا، فإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشا وإن خذلوا عبدوا الله على الرياء، ألا إنهم قطاع طريق المؤمنين والدعاة إلى كلمة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم ولينصر دينه وإيمانه. ثم قال: يا أبا هاشم بهذا حدثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد عليه السلام وهو من أسرارنا فاكتمه إلا من أهله.

نقل: بعض ثقات أصحابنا عن كتاب الرد على أصحاب الحلاج للشيخ المفيد رحمه الله أنه روى فيه عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعد أنه قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الصوفية؟

فقال: إنه لا يقل بالتصوف أحد إلا لخدعة أو ضلالة أو حماقة وربما استجمعها واحد منهم.

وروى: الشيخ الجليل الزاهد النبيل ورام بن أبي فراس في حديث طويل تضمن وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر يقول فيها: «يا أبا ذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتاهم يرون الفضل فيه على غيرهم، أولئك تلعنهم ملائكة السماء والأرض».

وفي كشكول البهائي: قال النبي صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة على أمتي حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية ليسوا مني وأنهم يهود أمتي، يحلقون للذكر رؤوسهم ويرفعون أصواتهم بالذكر يظنون أنهم على طريقة الأبرار بل هم أضل من الكفار وهم أهل النار، لهم شهقة كشهقة الحمار وقولهم قول الأبرار وعملهم عمل الفجار، وهم منازعون العلماء ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من أعمالهم إلا التعب».

حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام

قال عبد الله بن عدي: شهدت الحكمين ثم أتيت الكوفة وكان لي إلى علي عليه السلام حاجة، فلما دخلت عليه قال لي: مرحباً بك يا بن أم قبان أزائراً جئتنا أم لحاجة؟

فقالت: كل جاء بي جئت لحاجة وأحببت أن أجدد بك عهداً، وسألته عن حديث فحدثني على أن لا أحدث به أحداً، فبينما أنا يوماً في المسجد في الكوفة إذا علي عليه السلام متنكباً قرناً فجعل يقول: الصلاة جامعة، وجلس على المنبر واجتمع الناس وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر، فلما اجتمع الناس ورضي منهم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله ﷺ ما ليس عند الناس وأنه ليس عندي إلا ما لي قرني، ثم نكب كنانته فأخرج منها صحيفة فيها (المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده ومن حدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) فقال له الأشعث بن قيس: هذه والله عليك لا لك دعها ترحل، فخفض عليه السلام إليه بصره فقال له: ما يدريك ما علي من مالي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك بن حائك منافق بن زفر، والله لقد أسر الإسلام مرة والكفر أخرى فما ذاك بواحدة منها حسبك ومالك، ثم رفع بصره إلي وقال: [البحر البسيط التام]

أصبحتُ فرداً لِراعي الضأن يلعبُ بي ... ماذا يُريبك منّي راعيَ الضانِ

قلت: بأبي أنت وأمي قد كنت والله أحب أن أسمعها منك. قال: هو والله ذلك فما قيل فيها بعدنا من مقالة ولا علقت منا جديداً ولا درساً.

أقول: والبيت المذكور الذي تمثل بن لأمية بن الأشقر، نقل أنه عمر طويلاً حتى خرف، وكان ذات يوم جالساً في نادي قومه وهو يحدث نفسه إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه فقام لينهض فسقط على وجهه فضحك الراعي منه وأقبل ابناه إليه فلما رآهما أنشد يقول:

[البحر البسيط التام]

أيا بني أميةَ إنّي عنكما غاني ... وما الغِنى غيرُ أنّي مرعشٌ فانِ

أيا بَني أميةَ لا يحفظْكما كبري ... فإنمّا أنتما ثقلٌ يسيئان

أصبحتُ فرداً لراعي الضانِ يلعبُ بي ... ماذا يُريبك منّي راعي الضانِ

أعجبْ لغيريَ إني تابعٌ سلفي ... أعمامَ مجدٍ وإخوانٍ وأخدانِ

وصف أدوية للباه

قال بعض الحكماء: لا يخفى أن الولادة وكثرة الجماع يوسعان الفرج فتذهب لذة الحليقة فينبغي أن يتدارك بأدوية من شأنها أن ترده إلى حالته الأولى فيطيب وطئه ونحن نصف هنا نبذاً من هذه الأدوية، فمن ذلك صفة دواء فيه منافع شتى يضيق الفرج ويسخنه ويقوى على الرحم ويكثر إنزال المني من المرأة ويجذب المواد من الثديين وقد مدحه جالينوس، وهو أن يأخذ السنبل والمرزنجوش والسعتر البري وقشور القندر والأذخر والورد الأحمر وقشور الرمان والترمس من كل واحد مثقال يعجن بعد السحق بدهن البان وتتحمل منه المرأة بصوفة في النهار وتخرجه عند

النوم فإنه نافع لما ذكرنا وإن احتملت من سنبل الطيب والعفص وقشور الرمان والجلنار تصير كالبكر ثم قال: ومن أراد وفور اللذة فليمضغ شيئاً من الكبابة ويمسح به الإحليل وكذا العافر الويزج ولو دقهما وعجنهما بالعسل وأطلى به العانة والإحليل قبل الفعل بساعة ثم مسح بمنديل وباشر لزاد في اللذة أكثر، وأبلغ من ذلك أن يؤخذ مرائر الدجاج وسيما مال الدجاج الأسود ويخلطه بالعسل ويمسح به، ولو خلط مرارة التيس بماء البادروج وشيء من البورق وعجن بعسل ووضع في إناء زجاج وأطلي به وقت الحاجة لخيف الجنون على المرأة من فرط اللذة.

كلام الزمخشري حول الصوفية

الكشاف: للزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(١) الآية قال: فمن ادعى محبة الله وخالف سنة رسول الله ﷺ فهو كذاب وكتاب الله يكذبه، وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصفقته إلا أنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعق وصعق على تصورها، وربما قد رأيت أثر المني قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقاء العامة حواليه قد ملأوا رداتهم بالدموع لما رفقهم من حاله- انتهى.

قال الإمام الرازي معترضاً عليه: خاض صاحب الكشاف في هذا المقام في طعن أولياء الله فكتب هنا ما لا يليق لعاقل أن يكتب مثله في كتب التحقيق، وهب أن اجترى في الطعن في أولياء الله فكيف اجترى على كتبته ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله تعالى فنسأل الله العفو والعصمة- انتهى.

وقال صاحب الكشاف أيضاً في تفسير قوله سبحانه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(٢) الآية محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه، ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم، وأما ما يعتقد أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء، شيئاً وهم الفرقة المفتعلة المقفلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله تعالى وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المراد أن الذين يسمونهم شهداء وصفقاتهم التي أين عنها صفقة موسى عند دق الطور تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ومن كلماتهم: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجحة إلى ذاته دون النعوت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١. (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

والصفات، ومنها الحب شرط أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة - انتهى.

لجامع الكتاب: مخمساً وقد بلي لمرض ضاق به صدره وعيل له صبره.

[البحر الرجز المجزوء]

حلّتْ بيَ الأمراضُ في فصل الشّتا وتطاولتْ حتى غدوتُ لِما أتى
أدْعو بها حتّى متّى والى متّى ولربّ نازلةٍ يضيقُ بها الفَضا
ذرْعا وعندَ اللهِ منها المخرجُ
سدّت لشدةِ وقعها طرقاتُها وترادفتْ وتكاثفتْ طبقاتُها
كم كربةٍ أعْيا الفتى شدّاتُها ضاقتْ فلما استحكمتْ حلقاتُها
فرجتْ وكان الظنّ أن لا تفرجُ

وله عفا الله عنه مخمساً أيضاً: **[البحر الكامل المجزوء]**

إذا ما النّوائبُ كالقللِ حللْن وضاقتْ بها حيلي
طفقتُ أقولُ من مللي رضيتُ بما قسمَ اللهُ لي
وفوّضتُ أمري إلى خالقي
فصبرٌ جميلٌ لِما قد مضَى أعافىَ منَ السّقمِ أو امْرضا
فسلّمْ وقلْ قولَ من فوّضا كما أحسنَ اللهُ فيما مضى
كذلك يحسنُ فيما بقي

من شعر الحريري في مقاماته

ومن كتاب مقامات الحريري: **[البحر الطويل]**

بنيّ استقمْ فالعود تنمى عروقُه قويماً ويغشاه إذا ما الْتوى
فلا تطعِ الخرصَ المذلّ وكنْ فتىً إذا التهبتْ أحشاؤه بالطّوى انْطوى
وعاصِ الْهوى المُردي فكم من محلقٍ إلى النجمِ لمّا أن أطاعَ الْهوى هَوى
وأسعفْ ذوي القُربى فيقبحُ أن يرى على من إلى الحربِ اللبابِ انْضوى انضَوى
وحافظْ على من لا يخونُ إذا نبا زمانٌ ومن يَرْعى إذا ما النّوى نَوى
وإنْ تقتدرْ فاصفحْ فلا خيرَ في امرئٍ إذا اعتلقتْ أظفارُه بالشّوى شَوى
وإيّاك والشّكوى فلا نرى ذا نُهى شكا بل أخو الجهلِ الذي ما ارْعوى عَوى

ومنه أيضاً:

موعظة

[البحر الرجز المشطور]

خلّ ادكارَ الأربعِ والمعهدِ المتربّعِ
والظّاعنِ المودعِ وعدّ عنه ودعِ
واندبْ زماناً سلفاً سودْت فيه الصّحفا
ولم تزلْ معتكفاً على القبيحِ المشنعِ
كم ليلةٍ أودَعها مآثماً أبدعتها
لشهوةٍ أطبعتها في مرقدٍ ومضجعِ
وكم خطاً حثثتها في خزيةٍ أحدثتها
وتوبةٍ نكثتها لملعبٍ ومرتعِ
وكم تجرّأت على ربّ السماواتِ العُلى
ولم تراقبْه ولا صدقتَ فيما تدّعي
وكم ركضتَ في اللعبْ وفهتَ عمْداً بالكذِبْ
ولم تراعِ ما يجبْ من عهدِه المتبّعِ
فالبسْ شعارَ الندمِ واسكبْ شآبيب الدمِ
قبلَ زوالِ القدمِ وقبلَ سوءِ المصرعِ
واخضعْ خضوعَ المعترفْ ولذْ ملاذَ المقترفْ
واعصِ هواكَ وانحرفْ عنه انحرافَ المقلعِ
إلامَ تسهُو وتني ومعظمُ العمرِ فَنى
فيما يضرُّ المقتنِي ولستَ بالمرتدعِ
أمَا ترى الشيبَ وخطْ وخطّ في الرأسِ خططْ
ومن يلحْ وخطُ الشمطْ بفودِه فقد نُعي
ويحكِ يا نفسُ احرِصي على ارتيادِ المخلصِ
وطاوِعي واخلصي واستمعي النصحَ وعي
واعتبري بمنْ مضى من القرونِ وانقضى
واخشي مفاجاتِ القضا وحاذري أن تخدعي
وانتهجي سبلَ الهُدى واذكُري رشدَ الرّدا
وإنّ مثواكِ غدا في قعرِ لحدٍ بلقعِ
آهٍ له بيتِ البِلا والمنزِل القفرِ الخَلا
ومورِدِ السفرِ الأولى واللاحقِ المتبعِ

بيتٌ يَرى من أودعهْ قد ختمه واستودعهْ
بعد الفضاءِ والسّعهْ قيدَ ثلاثةِ أذرعِ
لا فرقَ أن يحلّه داهيةٌ أو أبلهُ
أو معسرٌ أو من له ملكٌ كملكِ تُبّعِ
وبعدَه العرضُ الذي يحوي الحيي والبّذي
والمُبْتدي والمُختدي ومن رعَى ومن رُعي
فيا مفاد المتّقي وريحَ عبدٍ قد وُقي
سوءَ الحسابِ الموبقِ وهولَ يومِ المفزعِ
ويا خسارَ من بَغى ومن تعدّى وطغَى
وشبّ نيرانَ الوغَى لمطعمٍ ومطمعِ
يا من عليهِ المتّكلْ في زادِ ما بي من وجلْ
لمّا اخترت من زللٍ في عمُري المضيّعِ
فاغفرْ لذنبٍ مجترِمْ وارحمْ بكاءَ المنسحمْ
فأنتَ أولَى من رحمْ وخيرُ مدعوٍّ دُعي

قصيدة لمؤلف الكتاب

لجامع الكشكول عفا الله عنه وقد كان ساكناً في قصبة منسا من توابع شيراز فقصدها نعيم دان خان لظلم أهلها بعد أن خرب شيراز بما أوقعه فيها من الظلم والفساد فتفرق جملة أهل فسا في الصحارى والجبال والبلدان، وكان الفقير ممن فر بجملة العيال بعد ترك جميع الأسباب والأموال إلى الجبال ثم إلى قصبة الأصفهبانات وكان مريض البدن أشد المرض بعد ذلك فجرت هذه الأبيات على البال وتضمنت حكاية الحال، وكان الفرار من قصبة فسا تاريخ غرة شهر المحرم سنة ١١٦٤ من الهجرة المحمدية على مهاجرها أفضل الصلاة والتحية:

[البحر الوافر]

أمَا منْ مبلغٍ عصرَ الشبابِ وشبّاناً به كانتْ صِحابي
وأيامَ الصّبا إذ كنت فيها أحاكي البدرَ من بين السّحابِ
أجرُّ على المجرّةِ ثوبَ عزّي وتخضعُ لي أبياتُ الصّحابِ
بنظرةِ نعمةٍ ونعيم عيشٍ وبأسٍ شادَه ذلُّ الرقابِ
وصحبةِ معشرٍ عزٍّ كرام قماقمةٍ ضراغمةٍ طيابِ
مصابيحٍ مساميحٍ إذا ما سطا دهري وآذنَ بانقلابي

بما أصبحتُ فيه غداةَ أضحتْ ... نضارةُ رونقي مثلَ السّرابِ
يحولُ السقمُ في جسمي مُداماً ... ويَسقيني الرّدى كاساتِ صابِ
برى عظْمي وزعزعَ طودَ ركنِي ... وأوهى قوّتي وقِوى عِصابي
فها أنا منه في وجدٍ وكربٍ ... عليلٌ مدنفٌ الأحشاءِ كابي
وديدنيَ الدّوا شرباً نهاراً ... وليلي في أنينٍ واضطرابِ
وقد أصبحتُ في دهرٍ كنودٍ ... به الغاراتُ تشعلُ بالتهابِ
وقتلٍ للنفوسِ بغيرِ جرمٍ ... وهتك فروجِ رباتِ الحجابِ
به الأموالُ قد صارتْ هباءً ... بسلبٍ وانتهابٍ واغتصابِ
وقد خلتِ المساكنُ من ذويها ... فراراً في الوهادِ في الهضابِ
مصائبُ قد غدتْ منها دواماً ... دموعُ العينِ تجري بانسكابِ
علتْني نارُها فغدوتُ منها ... طريداً في الصّحارى والشّعابِ
أجوبُ البيدَ بالأهلين جمْعاً ... ومن قدمتُ بي في الانتسابِ
وما لي فرقةٌ يُمْنى ويسْرى ... بجملتِه ترى حتى شبابي
وأعظمُ حسرةٍ أضنتْ فُؤادي ... تفرّقُ ما بمُلكي من كتابِ
فكم لي من كتابٍ مُستطابٍ ... عفتْه فليس نرجوا للإيابِ
وكم أنعمتُ فكْري في كتابٍ ... جمعتُ فمزّقتْه بشرُ نابِ
وأعفتْ ذا السقامِ فقامَ ناعي ... مُصابي نادباً عصرَ الشبابِ
ولم أحسبْ بأنْ أبقَى فألْقى ... زماناً مثلَ ذا في الانقلابِ
لقد ضاقتْ عليَّ الأرضُ طرّاً ... وسدّ عليَّ منها كلُّ بابِ
طوتْني النّائباتُ وكنتُ ناراً ... على علمٍ بها طيُّ الكتابِ
فبينا منزلي ظهرُ الثّريا ... إذا هو بالثّرى وحِمى الحجابِ
وبينا الأسدُ تسجدُ لي خضُوعاً ... إذا أنا معرضٌ لفمِ الذئابِ
تحطّمني الزمانُ وفلّ عرشي ... بأرضٍ طال في كنْهِ اغترابي
وفرّقَ أسرتي وأبادَ قومي ... وأبدلني بهم شرّ الذئابِ
إلى كم يا زمانُ تذيبُ جسمي ... وترمي منك بالعجبِ العجابِ
كأنّك بالكرامِ ملِئْتَ غيْظاً ... فنكست الرؤوسَ إلى الذبابِ
ولمّا بصرتَني فرداً وحيداً ... غدوتَ تُذيقني جرعَ المصابِ
سرتْ عنّي أهيلُ الحيّ سِراً ... ويمّم سائراً حادي الركابِ
تسيرُ بهم إلى الأخرى قبابٌ ... فليتني كنتُ في تلك القبابِ

تداغوا للمقامِ بظلٍّ مولىً جليلِ العفوِ عن حصرِ الحسابِ
وكم يمّمتُ للتقويضِ رُكْني وقطّعتُ العلائقَ للذبابِ
إلى النجفِ الشريفِ وما حَواه من المجدِ المنيفِ المستطابِ
عسى اقضي به عمْري هنيئاً وأسعدُ في ثَراه إلى الأيابِ
فتحجبُني العوائقُ عن مُرادي وتقصرُ دون ما أبْغي طِلابي
وأرضى بالقضاءِ ولو دَعانا فعاقبةُ الرّضا حسنُ الثوابِ
إلى الرحمنِ أشكو ما ألاقي من البلْوى فقد طال اكْتئابي

حسن التولي

من كتاب: كشف الغمة في مناقب الأئمة حدث الحسين بن عوف قال: دخلت على السيد محمد الحميري عائداً في علته التي مات فيها فوجدته يساق به فبدت في وجهه وأفتر ضاحكاً وقال: [البحر الخفيف]

كذِبَ الزّاعمون أنَّ عليّاً لا يُنجّي محبَّه من هناتِ
قد وربّي دخلتُ جنةَ عدنٍ وعَفا لي الآلهُ من سيّئاتي
فابشرُوا اليومَ أولياءَ عليٍّ وتولّوا عليَّ حتّى المماتِ
ثم من بعدِه تولّوا بنيهِ واحداً بعد واحدٍ بالصفاتِ

ثم اتبع قوله: (أشهد أن لا إلّه إلا الله) ثم غمض عينيه لنفسه فكأنما كانت روحه ذبالة طعنت أو حصاة سقطت.

الأيام

كتاب بحار الأنوار: يوم الأحد يسمى في القديم الأول، ويوم الاثنين يسمى باهون، ويوم الثلاثاء يسمى البحار كغراب، ويوم الأربعاء مثلث الباء ممدود يسمى دبار كغراب وكتاب، ويوم الخميس يسمى عروبة بفتح العين وضم الراء المهملتين، ويوم السبت يسمى شبار ككتاب قال بعض شعراء الجاهلية: [البحر الوافر]

أومّلُ أن أعيشَ وأنَّ يومي بأولَ أو باهونَ أو جبارِ
أم التالي دِباراً أم فيوْمي بمونسَ أو عروبةَ أو شبارِ

وفي كتاب أبي ريحانة أن التالي دبار فأول فمونس

نبذة بنود للسيد علي أبا ليل

عدة بنود للسيد علي أبا ليل: بسم الله الرحمن الرحيم الله أحمد بن خلق الإنسان ولعبد البيان وأصلي وأسلم على أفضل نوع الإنسان محمد وآله كنوز العرفان ومظاهر أسرار الفرقان عليهم صلوات الرحمن ما تعاقب الملوان.

وبعده فيقول المفتقر إلى رحمة ربه العلي علي أبا ليل الحسيني: هذه نبذة بنود قد بندتها على بحر الرمل وعدتها مائة وعشرة بنود غزلاً ومدحاً، وقد وضعت كل بند منها على أربعين كلمة اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً مشيراً في كل منها إلى مسألة علمية أو صناعة بديعية وإلى كل من الأمرين على المعية، فاستجل منها أيضاً أيها الفطن الألمعي لآلي مغالاة غالية في مقامات عالية، بواهر ألفاظ لا تجاري وزواهر كلمات لا تباري خرائد ألفاظ ينفح من أذيالها مسك الصناعة وأبكار معان يتضوع في أخمرتها عنبر البضاعة، وكأنما مبانيها ملوك لبست تيجانها ومعانٍ غوان قلدت لئالها ومرجانها، حدائق بهار ومحافل ند وعرار ومآثر درر كبار ولطائم ذوات أخمرة وأسوار، أقمار كلمات ما رامت مما نلتها نجوم طوائف الكلام ألا وقد نقصت على أعقابها لا يعرف لها خاص من عام ولا نثار من نظام، وأعلام جنود جمل ما فاخرتها أحزاب اعبارات الأوقد راحت عتبارات فليجذع أنف المفاخر ليملأ بطن المشاجر وليكده المرامي وليضم الغرض المحامي ما أنصف القارة من راماها ولا السماء الفوق من ساماها قلت والله المستعان وعليه التكلان.

البند الأول: فتق الغيث عيون النرجس الغمض فراحت شاخصات تنض الآثار بالأحداق والأفكار مثل العالم العامل يتلو زبر الحد خشوعاً وترى الطل على حافاته كالدمع في الجفن سقى الله أويساً النرجس الغض زلالا مالها عن ربه النرجس كالإنسان ذكراً.

البند الثاني: شاهد الطرف على الساق قياماً يقرأ الأوراد في الورد أما ما شاهد القلب سهى عن شهوة الذكر ولم يغمض بجفنيه عن الفكر أو الشكر عدوت الحق بالتشبيه بالنرجس للعالم والعالم قد يسهو عن العالم بل من حلق العالم فكراً تارة يثني بلسن الحال حمد الإلّه أقدر الغيث على الإنبات بلذات ورباً بالهوى والنار ما أبيغ إنباتاً وأجرى بلسان القول شكراً كلما مر به الريح رخاء ودوى السيل انحدارا كرماً من قبل الصانع لا تدريه حد الأولاد تحصيه حصراً.

البند الثالث: خلق النامي للناعي وما فوق لما تحت من العالي والسافل ما بينهما الحيوان والجسم وما بينهما النامي من الخمسة كيما يشكر الخالق جنس الجوهر والمطلق والأنواع للسافل أجناساً براها وفصولا بل فروعاً وأصولاً لم يحط بالبعض منها الخضر خبراً.

البند الرابع: لنسج الزهر على ديباجة الأرض فراحت في السماء كالزهر في التمثيل والفرض بطول الأرض والعرض لفيف طيبه بالنشر ينفض كنشر الرق فيه المسك يرفض بعيد القبض بالعينين والغمض أصار الزهر كلاعد بالبعض وغير الزهر مما طاب في الأرضين نشراً.

البند الخامس: شرف الورد بوصف الكيف والهيئة فيما يصدق الجنس عليه من بني النوع فمن أحمر قان مثل خد الحب خجلان ومن أصفر صاف مثل وجه الصب وجلان ومن أبيض كالدرهم بالأنفس فدوه والصرف أعدوه فعدوه على الأيدي ضحىً في سوق مصراً.

البند السادس: وترى أسود جل الله ينبي عن عيون الغين أو كالشعر مدوه بل الأنسب بالتشبيه لفوه وشدوه على أزرق يحكي منتهى البعد ومن يقرب مما عد ألواناً إلى أعمدة خضر علت أو قصب شدر قضاها الله قضباناً بأرضٍ جارها الوسمي خضراً.

ومن البند السابع: ونز أي الشوق من تحت ثغور الورد تهتز لريح خلطها العنبر والمسك أفيض المندل الرطب عليها من شدي مما عليها حمل الصانع صنعاً كحبيب هزه التيه وتيه الحسن كالخمرة مسكراً أوقد ود الغيد لو ميلها الرقص نشاوى ربطت للرقص بالزنا وخصراً وكان الورد تمثيلاً ذو والتيجان والجودي كسراً شرف الإيوان والكل قيام الامتثال الأمر ما بين يديه وعليه التاج والإكليل معقودان بالعز وبالبخت على التخت يرى بالفرس رأي العدل والإنصاف يرنو نحو ما أعلاه من سلسلة العدل على العدل مصراً.

البند الثامن: نسبة الجوري إلى الجوري لما أولاه من جور فتى الرومي إذ شبهه بالشعر مظلوماً بضد الحق والنسبة إذ ذاك على حد انتساب الحدث الجاري على الفعل إلى المفعول لكن ضم جيم الجور كيلا يلحظ التشبيه بالفتح فيخط له المنسوب قدراً.

البند التاسع: ولما أنسى صبا الأرواح لو راح على الأرواح والنرجس لوفاه وكاساً ملؤها الراح بكف البدر لو لاح فهذا ينعش الصب إذا هب بمن صب وهذا يطرب الشم إذا شم وهذا يجلب الأفراح بالحمل على الراح جلاها مشرق الخدين سراً.

البند العاشر: قد جلاها جلوة الخد جلوناه على معتدل القد جدي لو أنجد الجد كؤوساً بخطى العد فراح الراح في الراح كمشكاة بمصباح كذا منعكس الخد شعاعاً في فم الكأس كبدر التم في الشمس أو الشمس بنبراس فيا كأساً حوت شمساً بدراً.

البند الحادي عشر: قد سقانا بعد ما قيل يسقي شفة الكأس فحلت شهده الظلم ابنة الكرم فحل الجام خمران إلى الففس شهيان لذا المزج ابنة الكرم مع الريق بلى بل عاملاً سكر أصاب العقل معمولاً وظن العامل الثاني سقانا منهما في الكأس خمراً إنما الساقي من الطرف فداه الدن والجان ومن في خدمة الحان يدير الراح بالراح ومن راح له عينان لو يديرهما الراح لأضحى وهو سكران وأمسى وهو نشوان على الراح ما على الراحة لو راح إلى أن تبعت الأرواح حشراً.

البند الثاني عشر: أعجبني من طرفة الممرض عقلاً ما صحا قط عن المرضة طبعاً ما انثنى يوماً عن الفتكة والصولة من تحت لوا الدولة يسطو بضبا لم ينضها الجفن من الجفن كما ينضو الشجاع السيف للفتكة غرماً ما حكمه أودعها الطرف وقال القول سحرا.

البند الثالث عشر: كم سطى تقوى على الأنفس والقوة للخالق منه بضعيفين عتواً واقتداراً

واكتفينا بالضعيفين عن الذكر لمعلومية الألحاظ والخصر بمعنى الضعف والقوة فكراً ورنا بهزء بالظبي وعينيه بنجلا تبعث الميت حياً لم تزل في حالة الصحوة بين المرض اللازم والصحة سكرا.

البند الرابع عشر: ومشى يسخر بالغصن بقد تسجد اللدن له أملد مياد أقام الظلم بالعدل وما أعجب إلا منه كالأفعى بوصفين هما في القد والأفعى مما قد قسموا فتكاً ولانا بيد اللامس عطفاً أن للأفعى وللقد اغتيالاً وجراحاً قط لا يدري ويبرا.

البند الخامس عشر: وارتدى بالجنح برداً يحمل البدر على الغصن من الشعر ومن غرمة ذاك الوجه والقدر وأومى ببنان جل من صورها تعلق نار الحب بالقلب وأمضى بلحاظ كم أرتنا يوم بدر قرنت بالنصر للبدر علينا فأرانا البدر إذ يحمل بدرا.

البند السادس عشر: واغتدى يرمي بقوس الحاجب الموتور نبل الأعين النجل لخطنا اللحظ يرمي اللحظ باللحظ فلم يخط صميم القلب إذ ذاك وذكر الثعليات لذكر النجليات هداني البدل الرابع وليعل عليها مثل النجل تمخيط الصم بالأهداب للصم وتفري القلب قبل الجلد شزارا.

البند السابع عشر: واغتدى يقبض بالألحاظ مرضى هذه الأنفس لحظاً فعرفنا أن في اللحظ سقيماً ملك الموت وعندي وأنا المغرم باللحظ على اللحظ سؤال وهو أن اللحظ في الخير قد استعمل لو أطلق والطرف إذا ما يلحظ الصب حباه لمكان الخير شرا.

البند الثامن عشر: وتثنى خوط بان بقميص الحسن يختال اختيال البدر في العتمة ثم اهتز رمح القد في معترك الأرواح والأحداق كيما ينظر الأحداق بالغنج مريضات على أن الجفون المرض قد تفتح ما لا يفتح السيف فاولته القنا فتحاً وولته الظبا بالفتح نصرا.

البند التاسع عشر: وتجلى شنب الصبح عن الطرة من تحت ذكاء العزة في داجية الشعر فاغلاً الخد تسعيراً على السعر بذاك الوقد والسعر وأعلى للهوى قدراً على القدر شقيق البدر معنا ليلة القدر من الشهر كما أولى الظبي مجداً وأسدى للقنا الخطي فخرا.

البند العشرون: أحسن قد خيل الحسن لنا أن زوج البدر كريماً من كريم فنشأ من دين خلق جل في الأنس بلامين استجاراً بعذارين يجر القلب عن قسر وفي واوين من صدغيه لا يعطف في جرار يد الكسر بالجر القلب جر قسرا.

البند الواحد والعشرون: أصبح الحسن إلى مهجته مفتقر المعنى افتقار الحرف للضم إلى الاسم أو الفعل وتعريف كلام القوم للتقييد بالوضع وحدا الذات لو تم بذاتي الجنس والفصل ومحتاجاً إلى تلك الصفات اليوسفيات احتياج الصلة الموصول أو يوسف يعقوب شكى في الحزن ضرا.

البند الثاني والعشرون: ودعا القلب ليرعاه فلباه مجيب القلب للطاعة منصوباً مضافاً لأخ

الوجد فتى الحب على حد الندى من نصبه الاسم مضافاً يا رعي الله جليل القلب ما أعرفه بالنحو علماً وغدا فرأى الخطية مضراً ينصب القلب على التحذير والإغراء تحذيراً أو أغرا .

البند الثالث والعشرون: إن يكن أعملت طرف الحب بالقلب كما عمالك حرف الجزم بالمقتل بالآخر من مستقبل الفعل فقد عانيت بالعين قلوباً نحوه تحذف حذف الواو بين الياء والكسرة للثقل والأولى من الحرفين بالحذف سكوناً ثم شاهدت بقلبي لحظة يقطع بالإهداء فولادا وصخرا .

البند الرابع والعشرون: أسر القلب بعينيه ولولا جدل الألحاظ ما استوسرت في الحب طريحاً أرمق الحتف ولولا أسهم الأهداب ما استسلمت بالقلب جريحاً واشتكى الضعف ولولا ثغره الدري ما أصبحت في الجسم نحيلاً ولولا أمسيت بالنفس عليلاً آه من عمر غدا يقصف عمرا .

البند الخامس والعشرون: نكس العمرين تعذيباً كهاروت وماروت ولم يسحر سوى الطرف بلا قد عذب الأنفس عمراً فافنا لهما بالنكس تعذيباً لقرب العمر من هاروت لخطيه عذاب بعذاب صال بالعمرة أبو العمرين منكوساً فصار الأمر معكوساً حكى الغمر أن عمراً يوم يقفوا الجيش عمرا .

البند السادس والعشرون: علق القطرين كي يزداد حسناً بهما نوراً على نور وقد علق ما بينهما الأنفس تصلى جماحاً من خده ناراً تتلظى أشرقت من قبل الخد مجوس تعبد النار فحققت كلمة الخد عليها وحد الخد وقد أشركت الأنفس بالخد ونار حوله تزداد سعرا .

البند السابع والعشرون: لطف الله بنا إذ نعت الخلق بالأسرار منعوتاً ولولا قوله في الخلاق ربي لا تخذلنا الظبي لاهوتاً عد الناس بعيسى مزقا تبنى على اللاهوت والناسوت بالقلب اعتقاداً فيه يحيي الميت بالأذن ورب الحسن يحيي الميت بالعين لعمري ما أراك الحسن سرا .

البند الثامن والعشرون: ولنا بالحاجب المحجوب أو بالحافظ المنصوب أو بالوتر المجذوب أوصاف على الأسلوب سل أقليدسا في الخط عن تحريره بالخطا وعن ما حواه الخط إذا شكل عروس الهندسيين بوجه البدر أم ذي شكله الحاجب كالنصب على النون لواها المد سطرا .

البند التاسع والعشرون: رب من لي برقي أرقى بها من سم صل الصدغ تعويذاً أعيذ القلب من ناقته باسم سليمان بن داود بالخاتم من فيه وما صار مصلي الصدر أضحى فوق خديه عم والعذر لم تخضر في الخد فلم يملك له بالعذر عذرا .

البند الثلاثون: زور العارض ما جاء به المزور فانحط ولم يصعد إلى الخدين بل دار كما تعرفه من عادة الزور وقد رام به ثبتاً على قتل محبه ولم يثبت له بالدور ثبت غير أن الكاذب المرتاب قد يقهر بالحجة لا يقهر جبرا .

البند الواحد والثلاثون: قد رأى مجتهد العارض أن دار على الخدين زوراً أن بالعارض لو دار على القتل دليلاً وكذا علاماً الصدغ وقد سلسله في الخد طولاً وعن العارض أن تسأل فقد باح خضم الحسن في الوجه فألفى العنبر الوردي في الخدين عذرا.

البند الثاني والثلاثون: اعمل الأحرف أهل النحو للواو من الصدغ واللام من العارض إلا أن واو الصدغ واللام من العارض مقصوران أعمالاً على القلب انخفاضاً وانتصاباً عاملاً ما أنفذ عن معموله أثر بالقوة بالمعمول ضدين معاً فالقلب ذو نصب وخفض دائم نصباً وجرا.

البند الثالث والثلاثون: قيد المطلق من حبك بالقلب وقفه وقفة العابد بالبيت على محراب ذاك الصدغ واسأل ربه العفو مع التوبة عن قصدك ما أطلق من نوح بما قيد واستفت لماذا فرع القتل على الفرع ولم يفرعه عن الأصل فولى فارعاً يحمل وزرا

البند الرابع والثلاثون: رصد الثغر فأفعى الفرع وامتد على الجيد طلسم يسيم القلب ولولا فتنة اللحظ بما جاء به هاروت من قبل افتتانا ما أطعت ألفي مفتوناً ولولا قدس سره الممدود لا يلحقه القصر على الجيد قصرت الحب ممدوداً وإن لم يقتض الممدود قصرا.

البند الخامس والثلاثون: قلب القلب هوى قلبك حرف الواو للياء وحرف اللين أن يعتل كذا يقلب أسحر أم تلت آياتها الألحاظ في غاياتها فانمسح القلب نبياً قام يدعو بشبا السيف له باللحظ إعجاز نذيراً وبشيراً صدق اللحظ بما جاء به الأنفس إنذاراً وبشرا.

البند السادس والثلاثون: مستفز القلب لا تعجب إذ جرك عن عامل ذاك القدر بالكسر اضطراراً ساكن القلب فإن العالم النحوي كالقد ولحظ الطرف لو حرك يوماً ساكناً حركة من حيث لا يقصد أو يقصد بالكسر وكسر القلب أمر معنوي وهو أبقى الكسر كسرا.

البند السابع والثلاثون: ويدا زنجي ذاك الخال يفدي مثله بالعم والخال على كرسي كسرى الخد تلقا قيصر الجيد يمج المسك من فيه ذكياً في حواشيه ويختال على التيه صغيراً مثل إنسانك نفديك بإنسانك موضوعاً على التصغير كبراً جل قدر نافذاً في القلب أمرا.

البند الثامن والثلاثون: راح يفدي الخال بالعم جلالاً ولكم ساء فتىً بالخال حالاً نقطة ثم بها سطح البهي مستوي الخط كمالاً واشتكى كلاً إليها العطش الأكبر بالنفس ضلالاً شكوة الظمآن في البيداء الآء خيل الماء له شطاً ونهراً ودوين الماء حث السير شهرا.

البند التاسع والثلاثون: كر طفل الخال في نائرة الحرب صغيراً وغدا في فليق الحسن سوياً يمتلي من خده الوضاح بالعز سرير فاغتدى قيصر ذي العزة تلقى ملك الزنج أسيراً وحسيراً وارتدى النعمان بالنعمان في العرب أسيراً وانثنى والنظر عند الله كسراً جمع كسرى.

البند الأربعون: شبهوا بالميم عدواً فمه فليخسأ الميم ومن قد كتب الميم مجيداً إنما الميم لحرف لو رأى كاتبه الخاتم في كف سليمان هو وانطمس العين وخر القلم الكاتب بالحبر له وانطمس الميم خليلي ظلم القوم فما المحبوب بالتشبيه فيما ليس يقرا.

البند الواحد والأربعون: قدس سره يجلي علينا ميسماً لو يملك البرق اختياراً قبل البرق ثناياه اضطراراً ثم خبرني بما يحكم الحاكم ما بين للألئه وبين اللفظ من فيه دع الحكم لباريه سما كل من الأمرين قدراً وعُليّ كل من الثغر وما يلفظ درا.

البند الثاني والأربعون: منع الحب علينا زورة لم نلقها إلا بضيف الطيف بعد البعدان طاف وضيف الطيف أن يطرقك إلماماً فمين غالط الحق كآل ظنه الظمآن ما كم غلا من ظمأ للظلم حرا قلب حر وغلا بارد ذاك الكوثري العذب والأكباد حرا.

البند الثالث والأربعون: هرق الطرف دمي لا يرحم الباكي ولا الشاكي وقد وازره الجيد بإمداد من القد ظلوماً مالك الرق أزجر الطرف رجيماً عن جدال القلب فالقلب ضعيف ما له بالبحث نطق الطرف بالقوة شيخ جدلي منطقي ينتج الموت قضايا شكله كبرى وصغرى.

البند الرابع والأربعون: حاذر النجلا ما استطعت فكم من طعنة نجلاء قد قرعها النجل حذار الليث كرا واشكون اللحظ سقماً مر منا من قبل الصانع حلقاً واحذر المشكو منه حذر المغشي بالسقم على مهجته من درك الموت فما الحرام من يأمن للألحاظ بالأمراض عذرا.

البند الخامس والأربعون: وكأن الطرف في السلم حسام سل في الحرب وما الحيلة إذ ذاك بخل سلمه حرب بروحي من جفون الحب مرضى تحسم البيض صحاحاً وبنفسي وأنا المغرم بالهدب من الأهداب سهاماً راشها الموت بكفيه ومن معتدل القد قناة ترهب الأساد سمرا.

البند السادس والأربعون: كم دعونا بالبيانيين إذ جرد سيف اللحظ أن يتخذوا من صنعة التجريد ما يحسن منها والبديعيين أن يستخدموا الألفاظ للمعنى لثانيها إذا استخدم سمر الخط والأسياف بالمعنى لذاك القد والطرف وأرباب المعاني عند إطلاقهم قداً وألحاظاً وخصرا.

البند السابع والأربعون: أن تسل عن خصره الناحل فهو اسم جهلناه بمعناه وما للخصر أشباه أضعنا العلم بالخصر إلى أن قيل معدوم وموجود فلا يدركه العلم ولا يجهله الوهم كأمر بين أمرين وجوداً وانعداماً ومن الممكن موجود ولا وجدان في الخارج للموجود بدرا.

البند الثامن والأربعون: يا فقيه الخصر قد أودعك الطرف فؤادي ثم فرطت بما أودعك الطرف ولم تضمن وفاقاً خالف الشرع فقيه الخصر عدا نظرة جر على القلب به الطرف تباباً ولكم من نظرة أكسبت القلب عذاباً نكسب الأعين يسراً والحشا بالأعين عسرا.

البند التاسع والأربعون: قيل لي إن كنت صرفياً فصغر نقطة الخال فقلت الخال قد صغره الواضع من قبل فلا يحتمل التصغير من بعد فقالوا لي صف الخصر فقلت الخصر بالمعنى دقيق يعجز الإنسان بالفكر فقالوا إن صف الخد فقلت الخد تمثيلاً لجين ما رجت بالذنوب تبرا.

البند الخمسون: رب سباق بميدان إليها حاول أن يفتي له بالحق للسابق لو رام المجازات ضلالاً منه بالحسن وأن يعطي بحق حكمه اعطاء أهل النحو للتابع حكم العلم المتبوع موصوفاً وصب حدثه النفس بالسلوان سهواً فالمعاني ضاق ذرعاً والمجاري ضاق شبرا.

البند الواحد والخمسون: سيدي ارحم مهجتي من جاحم الأعراض والطف بعد بالنفس فدتك النفس والمهجة ما للقلب أيد بغدا بين عذاب الصدق الخد عليل غل في سلسلة العارض تلقى حية الفرع عقرب الصدغ وقد أعجزه حمل الهوى بالقلب مكبولاً وهذي مهجتي تطلع عسرا.

البند الثاني والخمسون: من حب كلاً منك مريض صارع الحب صحيح أنس الموت في وحشته العذل وماذا يصنع العاذل لا وفقه الله بحب حول العاذل للغادر عذلاً ولكم يشكو إليه الصب لحظا قارن الفتق القرآن الظل للشخص فلا ينفعك قصرا.

البند الثالث والخمسون: طاول الحب زمان الهجر بالمحبوب هوناً تارة أشكو من اللحظ جنايات متى تشكو عزاها مرض اللحظ إلى الخد مقراً بدم المسفوح إلا أنه يسنده أصلاً إلى الطرف وأخرى أشتكى بالطول قصر الطالع الظالع عن ضمي قواماً أشتكى طولاً وقصرا.

البند الرابع والخمسون: إن يكن ينكر بالجفن مريضاً دم قتلا فخداه مقران عزيم يعبس الموت إذا ما يبسم الوجه بوجه كمن الحتف لنا في خده الوردي غولاً كمنة الأيم لمن يغتاله في نهر الورد منايا بأمان رب أمن جر خوفاً رب نفع جر ضرا.

البند الخامس والخمسون: طالما أعجلت بالنفس خطا عن ملك الخد إلى رضوان خط الخد ملتاحاً فلم أبرح بنفسي أفسح الخطوة بين النار والجنة مرتاداً جحيماً ونعيماً خلقا بالحد والخط عذاباً وثواباً سامح الله مسيء الخد ما شاء ووفى محسن العارض ما أحسن أجر.

البند السادس والخمسون: ودع التشبيب بالوصف لمن لم يدع الأوصاف تشبيباً وعاوده إذا ما واعدتك الخود تأدياً وباكي الغيث أثر الضاعن المجتاز ان يضحك له البرق لروح بعثت من قبل الشرق لمن في المغرب الروح سقى الله صبا الأرواح مهما طاب للأرواح مسرا.

البند السابع والخمسون: يا رعي الله قباباً ضربت بالجزع أوتاد أقل القلب تصب حقاً ولا تجزع بيوم البين والبين بما عندي أولى بفنى سلم يتبع الحب على الفور بفور النفس هلكاً يحسب الهالك في عقباه ملكاً أو بعزل العقل حتماً ليرى ربحاً وخسرا.

البند الثامن والخمسون: واطرح ما عشت في الأهواء للحب على الصد فما الحب سوى الصد وقد يمتد عمر الهجر أو يطرد البعد هو الحب أبو الصد أخو الهجر يقيناً وهوى الغيد هو أن أسقط النون اعتباطاً ثم لا تيأس لهون إن بعد العسر يسرا.

البند التاسع والخمسون: وليكن قلبك بالعدل اسم فعل لم يؤثر عامل فيه وإلا فضمير هجر الأعراب مبني على الضم والفتح دواماً حالة واحدة لا تقبل التغيير بالأخرى وإلا فاقصد التوبة وأصبب مطلق الماء على الوجه مع النية عن سمعك لفظ العدل ظهرا.

البند الستون: علق الحب من العاشق والمعشوق قلبين خفي من قدم الحب من الفردين

والحق فؤاد واحد كان قبيل الحب اثنين سواء عدمت بثينة والله جميلاً الصبر وهوت ليلى هوى قبل فتاها وثوى عروه في القبر ثلاثاً قبل عفرا.

البند الواحد والستون: وعن العشاق للواجب أن تسأل فقد ماتوا غراماً عام بالدعوى جنيد القوم لا يرجو ثواباً لا ولا يخشى آثاماً وناىء الحلاج بالحث إلى الأقرب ما يخطو مقاماً بالغوا فالعكس الأمر فرد الحث للخلف إماماً قلب الحب ولم يبطن به بطناً وظهرا.

البند الثاني والستون: حمل القوم على الأنفس محمولاً ثقيلاً حمل ما يضعف عن موضوع لا شيء ثبيراً وسنيراً ما لإبراهيم أضحى غرقاً في أبحر الحيرة والساحل أضحى من ورى الصدق المطلوب والطالب أعيى وكذا البهلول والشبلي ظلا منه في بيداء قفرا.

البند الثالث والستون: وكأني واقفاً بالشعب بالحسناء تبكيه بدمع كذب القياس بالدر له تمثيل زور حاول القايس أن يمتدح الدر غلواً هو غلا من كبار الدر سعراً غير أن الوجد قد بدده يغلي لذي التوديع والحب كما تدريه عال يرخص الغالي سعرا.

البند الرابع والستون: مدح التوديع قوم كذبوا بالمدح صدقاً إنما التوديع والموت على العاصي سواء سوء الأيام يوم سفر الغيد على الركب به والكل باك يومه يوم نحوس لا يدالي وجهه صد تلاق راح عند الدوق حلواً وغد الآخر عند الطعم مرا.

البند السابع والستون: وعجيب أن من يكمل في علم الهدى ويمدح والمادح قد يأثم عنوان كتاب البعد لا عنوة الكاتب أو يخبر بالانفصال عند مقيد التفريق أو يثني بلفظ الخير مختاراً على عامل فعل الشر ما ألقاه قطعاً سيبويه القرب أيوليه شكرا.

البند الثامن والستون: موقف أن يسلم الصيب به أسلمه البعد نواحاً وبكاء وزفير شاهق يلحق بالنار فمن صافق راح آسفاً لا ينفع الأسف ولهان ومن لاطم خد حزناً راح براح الحزن سكران ومن باك على التفعيل بعد السير ندمان كفينا بالهوى بعداً وهجرا.

البند التاسع والستون: حط رحل المدح تمدح عادلاً عن مدحك التوديع واشدد رحل صند المدح وعادا إلى هجوك قوماً مدحوا التوديع باكين بأثر العيس تعدو ويجيب قد علا الصوت نواحاً يشغل الورق على النوح وعلى الباكي وداعاً كثكول عدمت بالثكل صبرا.

البند السبعون: أخذ القوم ولم تشعر بما يلزم من مثل اجتماع الضد بالضد بتقبيل خدود لاشتداد الحزن قد خددها الدمع وأجياد مهى حلت عقود الصبر تلقا كمش البعد وداعاً ما تم صيره المداح عيداً معلماً فطراً ونحراً قبل الباكون فيه ظله خداً ونحرا.

البند الواحد والسبعون: رب حسناء انجلت في غسق الشعراء انجلاء البدر في الظلمة والشعلة في العتمة تهتز بدل الحسن كالنبقة في النسمة قد أقضى بها التوديع للويل وشق الثوب للذيل ولطم الخد بالأيدي إلى أن فصمت منها سوراً وقنى الخد احمراراً كالهوى أجج جمرا.

البند الثاني والسبعون: فرشت باللؤلؤ المنثور من أدمعها سلعاً عقوداً شتت البين المدى في شملها المنظوم تحويلاً لها من عنق الغادة إذ لاحظها الدهر بعين البين للغين كما حول في التصريف نقلاً أصله الواحد تغيير إلى أمثلة تقصد معناه اختلافاً أترى البين بعلم الصرف يقرا وسقت غمره بالغمر وحلت من عقيق الدمع أعلاه وولت قبل ما ينحدر الركب على الأقتاب تنكت عليها سمة الذل وكم ذل لها من قبل ما تحدو رعاة العيس بالعيس عزيز قابل الدهر ولم يقرأ بعلم الجبر والكسر لها بالكسر جرا.

البند الثالث والسبعون: ندب الأطلال غيلان ولا ينفعها الندب ولا ينفع غيلان ديار درست بالسكن لا يدري بها أهله كلا ولا يعلم قصد الورق بالسجع انتفى قدم الأزمان إعصاراً مضت من قبل ما تاتي قمار الدوح بالنوح أم الدار غدت من هند قفرى.

البند الرابع والسبعون: صدح الورق نواحاً حول ذاك الطلل للفقر وانكب له العيس ركوعاً خضعة الطائف بالبيت لركن الحجر الأسود ثم استنشد العيس فتى الغربان أبياتاً فأنشأ منشداً بالدار فارتاع لذاك القلب واستشعر شيئاً قدم الدهر عليه ربع سلمى تاحت القمري بالألحان دهرا.

البند الخامس والسبعون: ما هدى العيس إلى الرسم سوى نفح شد الطلال والنوح وقد نكره الدهر علينا غير أن القلب قد يلهمه التنكير تعريفاً فليت الطلل المقوي يجيب القول بالفعل لكي أسأله والدمع لا يسبقه القول عن الاعصار أن يشعر بها عصراً فعصرا.

البند السادس والسبعون: سقى الرسم شقي القلب به لم يدر بالسكن وما عهد سعاد بقريب ساءت الأيام بالدار فعالاً وكأني بالقاب الحمر والعيس ترى مانحوها بالغيد والرايد لا يعد ورباها لبست من نسج نجل المزن قمصاناً لباس الجبة الخضراء ما لحمها الحايك بكرا.

البند السابع والسبعون: ما لهذا الطلل الهامد لا يفقه بالسمع حديث العيس تبكيه سوى الوجد النُّهي من فؤادي المبتلى فانهل من أعينها الدمع انهلال الغيث بالوسعاء والإبل وفيات سقاها الله كالدمع هما من أعين الانضاء جوناً يشكر القفر عز إليه هتوناً سحبه بالسح تترا.

البند الثامن والسبعون: فارق الربع وقد طال عليه الأمد السرمد فاشتاق لمغنى دراس الرسم فواقاً يزجر العيس بكوراً يتبع اليوم بمثليه فراعته طلول غالط القلب بها العين اختباراً فاعترته نقضة كب لها من حيث لا يشعر وجه النضو مرتاعاً فأدارني بها والنضو أدرى.

البند التاسع والسبعون: صدق الريح بما عن الترب عن الشعر عن العنبر قولاً والصبا أصدق من يروي حديث الصادق القيل لذي الصبوة عين مرجعهم بالنقل شيخ العنبر الذاري وقيل العنبر الناقل للريح حديث الطيب والمرجع حبر الشعر وهو الحق طاب الشعر نشرا.

البند الثمانون: صاح ما هاج العيون البيض بالدمع سوى ورقاء تنعاها مدى الرسم نواحا أعجمي اللفظ لا ندريه بالمفهوم أن نوح الورق يدينا إلى ما ظنه القلب طلول قد خلت والورق تبكيها على علم جهلناه بكاء الخنساء تبكي نائحاً بالشعر صخرا.

البند الواحد والثمانون: جذب الحب قلوب الركب جذب الدلو بالأرشية المتهم والمشتم للورد لعهد العالم الأول قدما فتهاوت دون ذاك الدين بالعقل حيارى شفها الوجد إلى أن راح وهو الغرض البائن كالفضل وسقايا الهوى صرفاً ترد العلم للجهد وبالعكس حسوها بالهوى سراً وجهرا.

البند الثاني والثمانون: هوت القوم فراحت يتهاوى وهي تهوي للحمى كالخشف البالي إذا مالت به عاصفة الريح والذر بأفق الشمس لا يدرك باللمس أو السر أبلى قيل بقي وهو بما عندي أقوى كل مقتول بحب الله حي وبهذا نطق الذكر فراح النكر كفرا.

البند الثالث والثمانون: سكر القوم ومحروم من الصحوة من لا يخلد السكرة والصحة من لم يحب المرضة بالحب مريضون صحيحون وساهون وضاهون أحبوا داعي الحب جميعاً كرعوا بالدن من حانوت ذاك العالم الأول فهو النشأة الأولى وهنيئاً قبل ما ذاقوا وبعض النشأة الأخرى.

البند الرابع والثمانون: رب غاد للحمى أن يبط رجلاً فالحشا منه عجول يسبق البرق وميضاً بين عينيه زبور الحب يتلوه فإنجيل من الأشواق يتلوه أنيطت روحه بالعالم العلوي والجسم لهذا العالم السفلي مرفوع ومخفوض بروحانية الروح وجسمانية الجسم معاً كالعامل الرافع والخافض طرفاً مستقرا.

البند الخامس والثمانون: إن من أظهر ما يعلم والعلم بكنه الشيء عند المبدأ الأول رفع الحب بالذات محباً نقل العارض للمعروف أمر عرضي قائم بالقوم إلى أن قوم الذات فما تغلط لو قلت هو الحب سعيد من هوى حباً إلى أن صار حباً مستمرا.

البند السادس والثمانون: صاح ما بال بني الأهواء أن تسألهم عن نجد تجد فرق الأعين مبهوتين والألسن لا تنطق إذ ذاك بشيء ضعف القوم عن النص مشيرين إلى التعيين ضعف الحرف مسبوقاً عن الأعمال بالمعمول أو ضعف عيون الخلد عن إدراكها بدراً وفجرا.

البند السابع والثمانون: ما يريد الحب من رفع مكان شامخ أو نصب شان باذخ أو خفض رأس راسخ جذماً وللمختار والمختار كل منهما من ذاك وضعان محب وحبيب حبل من أقداره في الناس حتى استامهم للحتف قهراً وهو بالله تعالى أعظم الأعمال أجرا.

البند السابع والثمانون: عرج البدر إلى فوق يسوق السوق بالشوق جواد يسبق الطرف سباق الطرف للطرف البدر شمس تملأ الأكوان ملأ الماء جود السفر نوراً جلل كونه الشوق لذاك القمر الساري من المسجد للمسجد بالظلمة ليلاً سر سار بالأسرار أسرى وتسرى أنجم البدر عروجاً وعليه من جلال الحب برد خط بالنور عليه في حواشيه لهذا خلق الله بني آدم حباً قبل ما يتبعث الحب ومن ثم علمنا سبقة آدم سبق العلة المعلول في الخلق وفي العكس وفاقا نظر يعظم أمرا.

البند التسعون: سارق والنحج يباريه حبيب زار بالنجوى حبيباً عمه بالشرف الأعلى

خصوصاً هكذا الحب والأرفع الأعلى ارتفاعاً الفاعل المقصود بالفعل أو المبتدأ الأسم أو الوصف أو المفرد يدعى علماً وانتصب الشان انتصاب المصدر الأصل أو الاسم بنزع الخافض العامل جرا.

البند الواحد والتسعون: قد سرى من حرم الحب لنحو الحرم الآخر بالجسم عروجاً فتلقته لروح القدس هبات قبول تحمل الترحيب عن رب حريم القدس الأعلى بلفظين هما أهلاً وسهلاً منبئاً بالضمن عن مضمون دس بالنعل تعظيماً وبالليل سرى وهنا فسبحان الذي بالعبد أسرى..

البند الثاني والتسعون: أخذ الله له العهد على الأول والآخر فالأول كالآخر والآخر كالأول بالأخذ له العهد لعهد العالم الأول أعني عالم الذر وذاك الأول الآخر في الأول كونا طاول الأزمان فخراً وعُلىً في الفجر ذكراً وحباً للقدر قد رأواناك المجد فخرا.

البند الثالث والتسعون: أنتجت أشكال أصلاب نزار والكنانيين منها في بطون المضربات قريشاً وقريش أنتجت أصلابها من هاشم خير بني عبد مناف شيبة الحمد ومنه أنتجت من صلب عبد الله هذا المرشد الكامل أختام للنبيين كإنتاجك من صغرى وكبرى ألفا البرهان حتى يقهر المبطل والباطل قهرا.

البند الرابع والتسعون: إن يكن من أكرم العرب نزار منه بل من درجة قبل نزار من بني عدنان من أولاد إسماعيل أباء نزار ثم لا دور فإن القوم منه حسباً وهو كما ينقل منهم نسباً ذا شرف ألبسه الله نزاراً ليس نزرا.

البند الخامس والتسعون: فاخر يمشي وللفجر أصيلاً من بني عدنان والمجد أثيلا من بني قحطان يتعين على مسراه أرقال وتبغيل وقد أفصحت بالقول على ضرب من التشبيه عن ساقي سهيل وسهيل حيث يسري وهما من خلفه كالفارس المعلم لا يعلم من يغفوه أثرا.

البند السادس والتسعون: كنت نوراً مسفراً في جبهة العرش إلى أن شرف الله به آدم من بعد ونوحاً ثم إبراهيم مرفوعاً بأمر الله ذي الأمر إلى عدنان ذي الفخر بأصلاب ذوي الكبر ومن ذاك إلى خاتمة الآباء عالي القدر بر يقتفي بالنور برا.

البند السابع والتسعون: حط الله من الأصلاب للأرحام من ذاك إلى ذاك على نحو انحطاط الشمس في أبراجها سيراً ولما سار كالشمس إلى صلب أبي الحارث مجموعاً سرى منقسماً عند انقسام الجمع للقلة والكثرة شطرين إلى فاضل صلب العم شطراً وإلى صلب الأب الأفضل شطرا.

البند الثامن والتسعون: خير أعمالي بما عندي حمد الله ذي الطول ورب البطش والحول ومنشيء اللفظ والقول ومدحي أعظم الناس من الخضر إلى الياس شديد المجاش والباس وبيت العلم والراس حليف المجد والجود ومعطي الجود والقود ومولى البيض والسود ومولى العرب فخراً مشمخرا.

البند التاسع والتسعون: مؤمن أمننا الله به من سائر الخوف ووفانا على من هو غداً أعبده منا هكذا يحرم العبد لمولاه فضلنا الكل فضل الصلوات الخمس في الدين على ما يعمل العبد أو الوسطى عليهن فقولوا الحمد لله علونا الخلق قدرا.

البند المائة: لست أنسي بيضة يحملها الله على هادية النصر سقاها فشفاها مرجع المدح ضميراً بعد ما فوه باللدن طعانا أبكم النفر وكم اضدر سمراء بشهباء التلاليب أريد الغارة الشعواء حمراء براح كم جرت يجري دماء ونداء مرج البحرين بالراحة بحرا.

البند المائة والواحد: وبما أنسى يديه مورد الإعطاء هل بالسحب تهمي يا رعاك الله هاتيك أكف ما جرى البحر لها في الأرض تمثالاً أخلاق اليد البيضاء للإسداء لا تبقى بقولي فرس السبق بميدان امتداحي ذلك السابق ربي خذ بقلبي ولساني منشأ في المدح زبرا.

البند الثاني والمائة: جايدكم سلم الجود على راحته تحذف ما تجمع حذف النون من جمع أضافوه ومقدام غدا لهذمه يعطف بالحرف لنصب الدين أعناق المضلين اصطداماً واقتتالاً لا كعطف صار في تمثيلهم عمرواً على زيد خذ العطف بمعنى اللغويين يكن جزأ ونحرا.

البند الثالث والمائة: رب نقع أسفع جلاد ياجيه بقضيب دونه كم فجرت دملة الليل وردة جنحه بالفجر وضوحاً وكان الزهر حلت في أعاليه رجوماً للشياطين وقض ما نعات علمت من قبل سمر الخط رد الصدر منكوساً على الفجر شكت في راحة للخط سمرا.

البند الرابع والمائة: أو كمي كان من عادته أن يقلب السعد إلى النحس على حكم قران اللدن في أفق قتام النقع أو حادثة اليوم أو الليلة إن قامت له حرب على النار فقد أحجبها بالنار كالعيوق والطالع لاقى منك وهو الكافر المطلق يوماً مكفهرا.

البند الخامس والمائة: رحمة الله الذي عمت جميع الخلق أدناه وأقصاه عموم الكل أجزاه هو الكلي والكل وكل الكل تكويناً تعالى من عظيم الشأن لولاه ولم يعبد لعبد قط لولاه فخاراً قد سمي للغير فخراً أرجح الميزان قدراً وعلاه وكذا ومريخاً ونسرا.

البند السادس والمائة: أطلت في أحد يداً من بعد ما اغتال به الحمزة وحشي وثار الدم من ثغر رسول الله مكسوراً به السن وما أنفك علي دونه يزعق وكالليث أو الرعد عل الغيث ويحمي خاضم الأعناق بالسيف كخضم الإبل غض النبت عن مولى الورى يمنى ويسراً.

البند السابع والمائة: قمع الشرك به أيلح منصور لوي الحجفل مصباح دحى المحفل عام الفتح في مكة محمولاً على قادته النصر وفي بدر وعسفان وبطن النخل والخندق وفي يوم أتى الأحزاب وأتى نهي عمرو واقدام علي نحو عمروها الإسلام والكفر مكراً ومفرا.

البند الثامن والمائة: أرسل الله على أحزاب إذ ضعفت بذاك اليوم جندين من الأملاك والريح فأمست نارهم خامدة السعير والتسعير كما سعرها يوم تبوك بشبا التبر عليها وعلى خيبر واستيموا كعاد يوم بدر من قليب الخسف قعرا.

البند التاسع والمائة: وتبدى من علا ذات رقاع النصر يفتر إلي أن كشف الشيطان عن ظلمة وجه الشرك للإعجاب بالكثرة وأرقاب له المبطل لا أعمال مسؤولاً وقد يسأل أمر هو بالسائل والمسؤول أحرى.

البند العاشر والمائة: عجباً من طالب المعجز ممن بهر العقل بما فيه حليا وبالطبع جليا من خلال قدسيات بما دون سواها معجزاً من سلمان به إذ ليس من أمثالها يعهد في الإنسان قد أعجز بالأخلاق والعادات كالإعجاز بالقرآن والآيات كبرى بعد كبرى بعد كبرى.

البند الحادي عشر والمائة: أعجز القرآن أسلوباً عجاباً لا كما قيل بصرف الله عنه همم الناس وقد عارضه البعض بأعلى رتب اللفظ ففض القول بالحبر وضاق الذرع والشبر ومن بالجرد للحمر والذرة بالسمر وأنى للعقول العشرة المنسوب إذهاباً إلى العمل وإن تنسق كالقرآن عشرا.

البند الثاني عشر والمائة: رق ألفاظاً قريبات من الذكر على بعد المعاني الغر كالزهر تراءى في السماء الدنيا قريبات على أن سواريهن في العليا وما بينهما آي بعيدات لقد ذقت معانيه كما رقت مبانيه فما أبعد دانيه على فهم معانيه لما يشمله العلم قمطرا.

البند الثالث عشر والمائة: مده بالسبعة الأفلاك يزداد اعتلاء كلما عورض كالسباق يزداد بميدان سباق الصافنات الجرد انْ همّ به الراكب جرياً أو كشمس الأفك يكبو عن سناها الطرف أن يختبر القرض انجلاءهُ بل بكل الكتب المنزلة الأسفار من ذي الذكر سفرا.

البند الرابع عشر والمائة: معرب بل مغرب لو أن يونان ومن أعقبه والفيلسوف دعوا عالين للأحكام بالحكمة من محكمة الباهرا ومتقنة الفاخر بالتأويل والظاهر لارتاضوا إلى الإيمان بالإيعاد والوعد والناسخ والمنسوخ والأخبار والوعد وبالإجمال والتفصيل والتعميم والتخصيص نفساً وأضروا بالذي عددته علماً مضرا.

البند الخامس عشر والمائة: حاول الأعراب والعرب معيرين جميعاً أن يفوهوا مصلحين الفكر والألسن للقول بشيء صالح من مثله آي ولو عشراً سوى فضلاً عن الشعراء والسورة فانحط بليغ القوم للجبهة والخد وولى يسحب المرط ولا يفرق بين المرط والقرط على الأعقاب دبرا.

البند السادس عشر والمائة: عظم القرآن في الآيات والمعراج واذكر نقل بأذان وتسبيح الحصى في كفه شكراً وبنوع الماء من بين الأصابيع أنجاساً وحنين الجذع شوقاً وانعدام الظل والتأخير من نعليه في الترب وغوص النعل في الصخر وإنطاق الجمادات إلى أحيائه الدارس قبرا.

البند السابع عشر والمائة: واذكر الدوحة من آياته والنصب والظبية والناقة والكلب وانزال الحيا والقمر الساري والبئر ومنها القامة الفضلى وما أدراك ما القامة والمذكور قبل البئر في

البندين والتبر كرامات عظام خرقت في العالم العادة خرقاً كم أتى المعجز منها ظافراً يبسم ثغرا.

البند الثامن عشر والمائة: ثم عد للقول فضلاً غير مأمور وبعض الأمر بالصيغة أن يقصد به الأعلى التماساً سيما أن يطلب العالي وحدثنا جزيت الخير عن أشياعه الحق كثيراً من قليل كحديث الخبز والشاة وعن تضليله دون المحازي بالغمامات تقيه من شعاع الشمس حرا.

البند التاسع عشر والمائة: وأعدد الإلهام والعلم اللدنيين والأبصار من خلف عيانا وابتلاع الفضلة الأرض احتراماً وقبيل العلم والالهام مقرونين بالفصل بل القرآن وهو الثقل الأفضل من آياته عد علينا أنه الناطق بالعلم اللدني عن الله كتاباً ثانياً والمودع منه الأول الصامت صدرا.

البند المائة والعشرون: وله من قبل ما يولد في الناس كرامات تسمى مرضات مثل أمر والطير الأباطيل ومن بعد له في ليلة الميلاد أيضاً معجزات باهرات كنضوب الماء من ساوة غواراً وخمود النار من فارس ليلاً وانشقاق السقف والجدران من إيوان كسرى.

البند المائة الواحد والعشرون: إنما الخمسة أهل العزم أطواد وأسماها فخاراً خامس الخمسة وأفخر بعدهم بالخمسة الأخرى التي بالفخر ختام فخار الخمسة الأولى وثانيها علي ولها الثالث والرابع قرطا العرش من صلب علي سيد الشبان والخامسة الحوراء أم الحسنين النيرين البضعة الزهراء زهرا.

البند المائة والثاني والعشرون: رحت بين الخمسة الأولى أُلي العزم وبين الخمسة الثانية للأشباح قطباً وسطاً والحق أن الأفضل الأوسط لينظر إلى الشمس اكتفت بالفلك الرابع وسط السبعة الأفلاك وهو الشمس تمثيلاً وطويت بلولاك لخلق الخلق تعليلاً حديثاً قدسياً ما حكى بالمدح والتعظم شعرا.

البند المائة والثاني والعشرون: لم يكن حكمك في الخمسة أهل العزم الأمثل حكم العلم الأعرف في عدة ضد النكرات الخمس في النحو وفي الأشباح حكم الجوهر المطلق عالي الخمسة الأجناس في المنطق هذا مثل يسجد وجه النحو والمنطق لله له حمداً وشكرا.

البند المائة والثالث والعشرون: وإذا ما رمت أن تفرق ما بين حبيب الله فضلاً وكليم الله فافرق أولاً ما بين معنى اخلع ودس تفرق ولا تفريق بين الكل وليستغفر الفائس لو قاس مع الفارق كفرق الصبح نوراً ومحيا رب دس بالنعل بدرا.

البند المائة والرابع والعشرون: أن تقل ما شأنه فهو ضمير الشأن والقصة في شرحي ذاك الشأن مما تقصر الأيام عن إنهائه فاسأل ضمير الشأن عن معناه أن يخبرك واعذرني بذاك الشأن فالعلم به لله دوني وجوابي بضمير الشأن رمز بدلاً من قوله الرامز أنه الراجح بالخلق عليه بل هو الخلق كما في كتب كنزاً واحتمال الكل بالخلق إذا يدفع عن ذلك بلولاك وإلا فالتنافي واقع بين الحديثين وقد يطلق جنس ويراد النوع أو شخصية الكامل منه مثل ما قد يورد البعض على الكل ويجري.

البند المائة والخامس والعشرون: سمت العرب رقيب الجيش عيناً وقصيد الشعر منه

بالقوافي هو ومن تسمية الشيء بما فيه من الأجزاء باسم الجزء معنى يورد البعض على الكل ومعنى قصر الإنسان في الذكر على فرد من الإنسان والذكر على القرآن حتى سمي القرآن ذكرا .

البند المائة والسادس والعشرون: يا مناخ السعد والعز جمالاً ومحيط المجد والفخر رحالاً سرت كالشمس وما الشمس لمولاها مثالاً إنها سوف تلاقي دون علياك زوالاً واحتوت فيك صفات محلت قبل منا بعضها جود غياث يخجل الغيث انهمالاً وكمالاً علم البدر كمالاً وجمال بهر العالم بهرا .

البند المائة والسابع والعشرون: جئت بالقرآن تبياناً وبالموعظة الحسنى حتى قمت بالسيف كما قام بنفس اللافظ المعنى وقابلت صفاتاً بصفات أعجب العقل بما بينهما من نسب المعقول في المعنى المنافاة وفي حسن المواساة كمثل اللين والقسوة طبعاً واحتوت فيك معال ما حواها العد حصرا .

البند المائة والثامن والعشرون: قست مبهوتاً معاليك وأن المثل الأعلى لمعيك لمعلومات باريك فلا تحصر بالعد ولا تضبط بالحد ولا تدرك بالقد ولا توجد بالجد ونطقت بشعري واصفاً منك صفات باهرات كلمات كالغواني سافرات أو كتبر لامعات أو كموصفاتها مرتفعات في سماء المدح زهرا .

البند المائة والتاسع والعشرون: وكأني أن أداد الله في النشر بمنشور لوى الحمد عليه سافعاً في كف من كان لذاك الوتر شفعاً فإلى أي مقام يرتقي الحمد وللحمد أخيه من عليه علم ينشر يوم النشر نشر النصر في بدر عقاباً لعقاب المنكرين النشر نشرا .

البند المائة والثلاثون: جريت بعض فحول الشعراء تطأ مواميم فأبطت عن سموات معاليك وكم أخر إلى مشي سواك دلج المدح بعلوا سماك العظم يرقى شامخات الفجر كالبسط دعاها السغب للخلف إلى خلف ومهما حلق الممدوح سف المدح وليمتدح الذكر كفى بالذكر للمدوح ذكرا .

البند المائة وواحد وثلاثون: أسعد الخلق لقلبي وهو العارف مهما رام أن يبلغ من مدحك بالفكر نصاباً نحو ما في الكتب الخمسة من مبدئها إلى خلقها المصحف كر الفكر بالقلب رجوعاً كرجوع الإبل عن إدراك أدنى نصبها وهو دوين الخمس بالعد على الأعقاب كرا .

البند الثاني ومائة وثلاثون: قد أكثرت المداح فيك الشعرة خطوا بأوج المدح عن عالي معاليك انحطاط الفرش عن مرتفع العرش وعندي مدح الناس بك الشعر ولماذا يبلغ المادح عن كله معاليك ولو عمر عمر النسر بالمدح وساماه علواً مكثراً نظماً ونثرا .

البند الثالث ومائة وثلاثون: من بعين الشاعر المفلق أن ينعته بالنعت من السبت ولو جاء بما يربو على الأشجار والنبت بمدحي صاحب الأكوار والتخت فيرقى بي عن الكبوة والكتب إلى أوج سما البخت بسبكي ناحتاً فيه على النحت بنود ناهرات اللفظ غرا .

البند الرابع ومائة وثلاثون: قد أنارت كلماتي فيه كالشهب وزينت بها في كل بند فاعلاً من ست مرات فما فوق حوالي برزت من حجل الفكر تحلى كشموس بزغت في رمل الأبحر من نظم ابن ياليل علي فاخطب الأفكار إن كنت لها كفواً واهد السمع مهرا.

البند الخامس ومائة وثلاثون: سيدي إن كنت بالنفس حقيراً فأنا مفتخر منكم بأمرين انتسابي لذوي الفضل وكوني من أولي التوحيد والعدل وأهل البعثة والبعثة للرسل إمامي اعتقادي جعفر القول اثني عشر باوال من جاؤوا فرادى وأتى بالمفرد الجمع وبالوتر إلى الشفع بروحي كلهم شفعاً ووترا.

البند السادس ومائة وثلاثون: إنما المجد أخو العليا لم يشرف عليّ إلا بائنين من الناس استقص الآدميين ومن ولاه ذاك الأستقص الآدميين بتبليغ عن الله إلا من كنت مولاه جلي بعلي يا علي بن أبي طالب يا من غالب الأحزاب والليث الهزبرا.

البند السابع ومائة وثلاثون: ردت الشمس بأمر منه للمولى على بعد ما أومت إلى الغرب انحداراً وعلي لم يكن صلاة العصر إذ كان رسول الله بالإغماء موعوكاً وكان الرأس في حجر علي فاستفاق المصطفى حيناً فقال ادع لك الشمس فأومى الظهر فارتد إليه القرص جهرا.

البند الثامن ومائة وثلاثون: حقق الجمهور شيعي وسني وما بينهما من كل أهل النفي والإثبات أن القرص بالنفس قد ارتد إلى الأفق رجوعاً وهو الحق وقال البعض لم يرتدوا لنفس ولكن خرت الأطواد بالإيماء للمومي سجوداً فرأى الشمس فصلى وهي بيضاء غير صفرا.

البند المائة والتاسع والثلاثون: وهب الله له الحكمة والعلم على حد سليمان وداود وما بالفضل داود وذو الملك سليمان بن داود على حد علي بعلي عرف الخير من الشر ومنه رمى البغي بلبث قمع الشرك بعمر وقلع بكف كبس الحتف وأخرى أنه الليث وأجرى.

البند المائة والأربعون: رافع الدين ومعلي علم الحكمة محيي الفرض والسنة مولى الإنس والجنة مولي النار والجنة من سن لنصب السنة الغرا سيفاً عود اللقطة لو سل أو القده بالغرمة واهتز لها بالكف مما ينبت الخط قناة ناطرت بالصدر منه النظر الشزر إذا ينظر شزرا.

البند المائة والواحد والأربعون: هو مجموع أولو العزم عليهم سلام الرحمن من نوح إلى آدم فضلاً بحديث ساقه الخصم ويرويه ابن عباس وفي الستة في فضل علي سطراً وما يبلغ السبعة والسبعين فضلاً أن تواطئهم على تكفير من سب علياً أوله أنقص قدرا.

البند المائة والثاني والأربعون: وهو العالم والعامل لله بعلم وهو الفاتق والراتق في كل المعالي سيما الاقدام والجود به الجود تباهى وبه العلم تناهى وبه الحق تحلّى وبه العسر عن المعسر ولى ندب أورث بالأشداء يوماً والإسداء يوم الروع والجود أولى الشرك وأولى الإعسار يسرا.

البند المائة والثالث والأربعون: جمع الناس من الغالي إلى القالي على هلك مناويه وإعدام

مضاهيه وقد راح به مثل مواليه معاديه فلا البدر يساويه ولا الغيث يجاريه ولا الليث يباريه وما البدر وما الغيث وما الليث فتى غرته البدر راحته الغيث وفي صولته لليث مكرا.

البند المائة والرابع والأربعون: فكال لفتى حارب من حاربه الخلق فقوم عبدوه وأناس جحدوه ورجال سلكوا الحق فقالوا هو مولى كل من له أحمد مولى وهو أولى ببني بنته أم بنيه وبنوه سبل الحق إلى الحق أدلاء بني آدم والأسرار سر يقتفي في الخلق سرا.

البند المائة والخامس والأربعون: ذاك سر منح الله به أحمد فاختص به الصنو وابنيه وقد أودعه الثاني علياً وعلي أودع الباقر إياه وقد أودعه الباقر للصادق والصادق للكاظم والكاظم للثامن والثامن للتاسع والتاسع للعاشر والعاشر حادي عشر الأطهار ثم القائم المهدي فاختص بثاني عشر الأسباط حصرا.

البند المائة والسادس والأربعون: صاحب الأمر الإمام الخالد العمر على حد خلود الخضر وعيسى والنقيب الخاتم الأسباط بالعصر على حد اختتام الخاتم الرسل ومن قرت به الأرضون والسبع السماوات ومن سوف تقوم النشأة الأخرى عليه وترى في الصف لو صلى إماماً خلفه عيسى وخضرا.

البند المائة والسابع والأربعون: حجة الله ومن لو رمت أن أحصي منه الفضل أو ما جاء مخصوصاً به عن أكرم الخلق وجبريل عن الله هلك العمر وإن سبق إليه عمر الخضر وعيسى دونه أو رمت أن أكتبها بالبحر حبراً نفد البحر وإن يعضده سبعون بحرا.

البند المائة والثامن والأربعون: إنما تاسعهم قائمهم أفضلهم كالشمس لا تستر بالأفق وقد أعلم باللازم معنا أنه في الخلق لا يلحقه في الفضل أو يفضله إلا علي بن أبي طالب والسبطان والخاتم ملا كل بني آدم عصرا.

البند المائة والتاسع والأربعون: سيدي هل يفسح العمر ومن لي دون أن أحظى بمد العمر مقصوراً بأن أنظر مسوراً بعيني ذلك العسور منصوراً ومن حول إمام العصر أعلام الهدى والنصر والأملاك والجان وصف الطير والوحش على الأثر تنادي رب مولى الورى فتحاً ونصرا.

البند المائة والخمسون: رب قد طال على شيعته الأمر فعجل منعماً منك بأن يظهر فينا كظهور النور في الطور على موسى بن عمران وأن يملأ منه الأرض في أيامه قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ربنا قد فني الصبر فلا نملك صبرا.

هذه الرسالة مقامة في مفاخرة الفقر والغنى

للسيد الفاضل الأديب النجيب السيد محمد ابن السيد علي العاملي المجاور بمكة المشرفة حياً وميتاً وموضوعها المناظرة بين الفقر والغنى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الحكيم

القادر على الاطلاق الباسط المقدر للأرزاق، جاعل الفقر والغنى آيتين من أبدع آياته وغايتين في الحكمة هما بعد غاياته، يتفكر فيها ذوي الفطنة والاعتبار فيتلو: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾(١) ويجري بهما العبد إلى جادة الأقدار حالياً بزينة العقل أو باطلاً فيسعد من يرشد للتسليم إيماناً وتصديقاً ويشقى من يغلب عليه بلية. [البحر البسيط التام]

هذا الذي تَرك الأوهامَ حائرةً وصيرّ العالمَ النّحرير زِنْديقاً

وأفضل الصلاة والسلام للمبعوث بدين الإسلام محمد الهادي للخلائق إلى قوام الطرائق وأكرم الخلائق، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأغنياء بالله تعالى الفقراء إليه.

يقول الفقير إلى مولاه الغني محمد بن علي بن حيدر الحسيني: وقفت على مقامة انشأها بعض المتأخرين من الأفاضل الأعاظم ووشاها بدرر فرائد هديت لكل ناثر وناثر وناظم ابتدعها على لسان الغنى والفقر كالمفاخر بينهما والمفاضل وأودعها من الحجج التي يفلح بها المناظر والمناضل، فمد بها في العلوم باعه الأطول وأيد المفهوم بمصداق كم ترك الأول، قاصداً بذلك رياضة العقول في رياض المعقول وتبريض اللسان برقائع شآبيب البيان وتعريض الإحسان للقانع بالأثر عن العيان، فأيد فيها الفقر على الغناء وغتيد له في الفخر علي البنا، وجعله سابق الحلبة مجلساً وأتاه الغناء بعد لأي مصلياً حتى أقر له بالتقديم تسليماً وأخلص لوداده بعد التندم على عناده قلباً سليماً، هذا وإن كان الفقر عند أبناء الدُنى ملياً باكتساب العنا خلياً من أسباب الغنى حفياً في اقتضاب المنى كفياً لسد أبواب الهنا، وبينه وبين النفوس ما بين تغلب وبكر غداة البسوس، وقد أوقع منها من المكروه والإساءة ما لم توقعه قبس بني بدر يوم الهباءة، وحطمها ولا تحطيم هيام الإبل المخلبة جيوش القبط يوم الجبلة، ووسمها من العار الباقي على الزمان بما وسم به لبيد الربيع بن زياد في مجلس النعمان، ونفورها عنه ولا نفور لغادة الفتية من مقاومة الشيب والمشنشنة الآخر معه عن مفارقة العيب، وبعدها عنه ولا بعد للعقائد العينية من شبهات الريب والكثائف الجسمانية عن إدراك محجبات الغيب.

هذا وعقال العقول بتقييد ضعات النفوس محلول وحسام الفكر المصقول في قطع الأهواء مفلول، والناس أكيس من يمدحوا إنسان ما لم يروا عنده آثار إحسان، فلا جرم كان ينعقد الإجماع كما لا يخفى على ذي نظر وسماع على هجو الفقر وذمه وقصده، وتواتر الدعاء بالثكل والهبل على أمه حتى كان ما اختاره هذا الفاضل من الصنيع معدوداً في فن المغائرة من البديع، وفيه تسلية لنفس البائس الفقير وتقوية لقلب الآيس الحقير، وإعانة للمبتلى بهذا العضال وابانة للغرض أن نشط للنضال.

وحقيقة الحال أن منشيء تلك المقامة - رفع الله في الفردوس الأعلى مقامه - لما كان من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

كبار الأتقياء الزاهدين وخيار الصلحاء العابدين ومعلوم أن غالبهم قد اختار التعسف الموصوف وشيد بناء التزهد المرصوف وهجر أنواع زخرف الدنيا وصنوفه حتى قطع مسافتها وما بل بحرها صوفه. [البحر الكامل]

كانُوا جمالَ زمانِهم فتصدّعوا　　　فكأنّما لبسَ الزّمانُ الصُّوفا

فبنى كَثَلله على مقتضى طريقتهم وفضل الفقر على الغنى إذ كان مقتضى طريقتهم، وهو الحق الذي لا ريب فيه ولا شيء ينافيه والمسك الذي يرتضيه الأريب ويصطفيه ولا يعارضه في مراده مفاد ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾(١) فإن من صد نفسه عن حلول هذه الساحة وخشي أن يغرق عند تلاطم الأمواج وإن كان متقناً للسباحة لا يلزمه أنه قال بالتحريم وعدم الإجابة.

[البحر البسيط التام]

واحزمُ الناسِ من لو ماتَ من ظمإٍ　　　لا يقربُ الوِرْدَ حتى يعرفَ الصّدرا

وأما أرباب العصمة فهم الربيون من كل وصمة إلا أنهم شاهدوا حظهم الأشرف الأسمى فلم ثبتوا لما دونه رسماً ولا اسماً وقصروا نظرهم على الخالد الباقي وانفوا أن تطأ أقدامهم الأرض في أعلى المراقي ومن ورد البحر استقل السواقي.

ولما تأملت تلك المقامة بوأ الله منشئها دار المقامة رأيت مبنى الأفضلية فيها على جعل الفقر أمهر في تحصيل العلوم والمعارف وأكثر مقيلاً في ظلها الموارف وأقدر على إبراز الصواب عند السؤال والجواب لا على إقامة البرهان بالأفضلية، وجعل السابق في هذا الزمان صاحب الأولوية على أن هذا الميدان هو مجرى العوالي ومجرى السوابق وفيه تزدحم كتائب فرسان الحقائق وتلتحم مناكب النظارة من الخلائق، إذ الناس باعتبار خلوهم من أحد الوصفين ينقسمون إلى صنفين، وكل يحتج لصاحبه بالأوصاف الواقعة المرضية لا المجازية الفرضية، فأحببت أن أجول في هذا المجال ولو بالمحال وأنسج على هذا المنوال مع وهن القدرة وضعف الحال وقصور عامل الفضل عن التسلط على هذه الحال، اعترافاً مني بالقصور والتقصير وإسعافاً بطلب المسامحة لباعي القصير. [البحر الطويل]

ومن بعضِ أطرافِ الرّجاجِ فإنّه　　　يطيعُ العَوالي ركّبتْ كلَّ لهذمِ

فبنيت هذا المقصد على وضع غريب وترتيب يهش له الأديب والأريب وأسلوب يأخذه الطبع السليم من قريب، وجعلت المفاضلة بين الفقر والغنى على حقائق الأوصاف العقلية والنقلية وأوردت ما يقال من الطرفين بالإنصاف على رغم العصبية، ثم انحيت بالمخاصمة إلى التراضي بالمحاكمة فحكمت بينهما مناط التكليف ورباط الفضل الذي اختص به النوع الشريف، فحكم حكماً يقضي منه الفريقان فرأى ربهم ويعلم كل أناس مشربهم ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

﴿يَسْبَحُونَ﴾(١) و﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(٢) والحق واضح الغرر والاحجال لقوم يعرفون ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾(٣) فإنى تصرفون وسميتها: «مذاكرة ذوي الراحة والعنا بالمفاخرة بين الفقر والغنى» ليكون الاسم مطابقاً للمسمى ويعلم بادئ بدء أن المخاطب أما وأما والله يقول الحق وهو يهدي السبيل هو حسبي ونعم الوكيل:

حدث الغزل الرقيق علن المديح الأنيق عن السؤال الجميل عن النور الجزيل وعن الخاطر المطاع عن كريم الطباع قال: حضرت مجلساً من مجالس السرية التي لم تزل تعقد بحضرة النفس البشرية، وقد حضر وزيرها العقل وحاجبها الحلم وقائدها الفهم وقاضيها العلم وخازنها الحفظ ومنشئها الفكر وشاعرها الخيال ومصاحبها الوهم، ومثلت للخدمة أعوانها المتظاهرة وهي المدارك الظاهرة وانتظمت في مراتبها باقي القوى وغاب بحمد الله عدوها الهوى، واتفق أن حضر المجلس الغنى والفقر وهما الضدان المتناقضان بل العدوان المتباغضان والجوادان المتعارضان بل القرنان المتناقضان، إلا أن النادي جمع بينهما وقرب على سبيل الاتفاق بينهما، وخاض القوم في مجانح الحديث من سوانح القديم والحديث فأراد بعض من حضر طراد جياد البحث والنظر فتلطفت بطرف لطفه ولحظ الفتى بطرف طرفه ثم قال: إني أحفظ بيتين ورد الأول منهما على روايتين يبتني عليهما حكم وأحكام إذ تقرر مفادهما بإحكام، ولو أني رأيت أمير جيش لما جاراني إلا بالسؤال لأن الناس ينهزمون منه وإن ثبتوا لأطراف العوالي، ثم قال: والرواية الأخرى يعرفها من هو بإحراز شرفها أحرى.

قال كريم الطباع الراوي لهذه الأسجاع: فبادر الغنى لجوابه وقد استخرج دقيق التعريض من جعابه أن بعض من أسعده الجد بخدمتي وأيده الجد بعزمتي، وسدده المجد بهمتي أنشده هذين البيتين بعض ندمائه وجلاهما كالنيرين في سمائه، ففطن ذلك الرئيس لمعنى نفيس وأعاد إنشادهما في الحال وقد وضع النوال موضع السؤال فأظهر شمائل همته العلية في دلائل عبارته الجلية، وسدد سهم الإصابة بساعد الكرم فكنت قوسه ووتره وأصاب مقاتل الفقر وما ظلم فأرداه ووتره وألبس البيتين لباس الملوك بعد أن كانا في أسماك الصعلوك حتى أشرف معناها بالضياء المستفاد من شمسي وأغدق معناهما بالأنواء الهاطلة من صنائع يومي وأمسي.

قال: ثم تنبه على أن هذا الكلام من بليغ الكلام وإنه بغي والبغي مرتعة وخيم وأظهر دعوى الفضل ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾(٤) فكف من عزبه ورجع عن شرفه إلى غربه واسترجع وسكت وأطرق إلى الأرض ونكت لمكنه.

قال: في أثناء ذلك ما أراني أضللت لسانك لك وإني فيما قلت وإن فخرت وطلت لعنات

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣٢.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

الحق مالك وليس بملوم من نطق بالحق وصدع (والحق أحق أن يتبع) شعر. [البحر الطويل]

وما المرءُ إلاّ حيثُ يجعلُ نفسَه وإنيّ لها فوقَ السّماكيْن جاعلُ

قال الراوي: فاستشاط الفقر من الغيظ وتلظت أنفاسه أحر من سموم القيظ وأنف من الذل والاستكانة إذ أنزله الغنى بهذه المكانة فقال وقد أشعل نار المحبة تسعيرها شعراً:

[البحر الطويل]

ونفسَك أكرمْ عن أمورٍ كثيرةٍ فمَا لَك نفسٌ بعدَها تستعيرُها

ثم انبرى للمقامة مسترسلاً شعراً: [البحر الرجز المجزوء]

إحدى لياليك مهيسي ميسي لا بـــالـــتـــعـــريـــس

لكنه خاطب خطاب من قيد الحلم ألفاظه وسدد العلم إيقاظه فقال: أيها الفتى لقد صرحت وما كسيت وعجلت وما تأنيت فبرحت إذ تخبيت وليتك حيث صدقت عن الإنصاف وأبيت لم تعمر بيتاً بخراب بيت فكلامك مدخول ودقيقك غير متحول، أخبرني عن هذا الرئيس الذي ملأت أنت له الكيس فزعمت أنه المنى صار لما ذكرت قائلاً من حيث كان في ظلك قائلاً لو كان ضامي العود من مياه الكرم التي جرت فيه جاف العنقود من حلب سلاف البلاغة التي رشقت من فيه أتراه كان يقول ما قال ويتحمل ما يستلزمه نطقه من الأثقال أو تراه لو كان بملازمتي محبوا بمنادمتي مربوطاً بإشراكي مخروطاً في أسلاكي محوطاً أفلاكي، ثم كان ممن تشتق أفعال الكرم من مصدر طبعه وتشق قسى الهمم من غروس نبعه لم يكن ينطق بما نطق ويرشد إلى ما إليه أرشد أنشده البيتين من أنشده: [البحر الطويل]

فلا تجهلْ عُلىَ الأخلاقِ أنتَ خبيرُها فما الجودُ من فقرِ الرجالِ ولا الْغِنى

ولـكـنّـه خـيـمُ الـرجـالِ وخـيـرُهـا

وأما أزراؤك على الصعاليك وقصدك بذلك الزيادة في معاليك فكفاهم فخراً في الدين قول علم المهتدين (رب اشعث اغبر ذي طمرين لأبويه لو أقسم على الله لأبره) وما أشبه هذا مما طرق سمعك غير مرة، وأما باعتبار الدين ورتبها الدنيا فإن فيهم من علا في الأوصاف قدره وغلا للأضياف قدره حتى أشرق من أفق الشعر بدره:

إلى آخر الأبيات المعلومة في الروايات فيها أيها الفتى هلا إذا نطقت تحملت ما أطفت ورفعت قدرك من حيث لم تخفض سواك وجلوت ثغرك بغير هذا السؤاك، فإن الشريف الكريم ينقص قدراً بالتعدي على الشريف الكريم وولع الخمر بالعقول رماها بتنجيسها وبالتحريم.

قال: فلحظه الفتى شرزاً وأعاره لحظاً فزرا وخاطبه مخاطبة متحكم ولاطفه ملاطفة متهكم فقال: عذراً أيها المسكين ورفقاً أيها المستكين فما أنت بلغت عظمك السكين ولست الذي أحل شكلتك هذا البيت في التسكين، إنما قلت في وفيك ما كلانا به حقيق ونسبت إلي وإليك ما

انعقد الإجماع عليه بالتحقيق فاستمع مني بعض أوصافك واردد جماح أنفتك بلجام إنصافك، وإن لم تصدق الناس ما أقول فبرئت من ذمة العقول، ألست حائك شقق الهون والإدلال وموشيها بوشي الكدية والسؤال ومفصل أوصالها بمقراض الضجر والملال وخائط تفاصيلها بخيوط الإلحاح الطوال ومقدرها على قامات الرجال وملبسهم إياها للزينة والجمال، فاستجل فيهم هذا المرأى الشنيع واستمل منهم شكر هذا الصنيع واغضي من معاتبتك فإني اربأ بنفسي عن مخاطبتك، فإن حمى غري المنبع المحترم ومن لا يكرم نفسه لا يكرم.

ثم إنك مع ذا أردت جلاء العين فزدت قذى وأحللت معاني الهدى في مغاني الهدى وتكلمت في خطرتي بطريف الآثار كلام من يظن أنه فيها ذو استيثار وأنت تعلم إني فارس نقعها المثار، واستشهدت ببعض الأشعار فأشهدت أن لمعانيها في ذهنك أشعار وكل عالم باني لا أركب في ميدانها الفرس المعار ولا أقنع في بيانها بالدثار دون الشعار، وإن كنت لم تستطع معي صبراً فسأنبئك بما لم تحط به خبراً، حسبي وإياك صيتاً عند الخلق وذكر أن الله سماني خيراً وسماك شراً ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾[1] وعدني من نعمه التي ذكر بها عباده كثيراً ﴿وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[2] بل بشمل سيد البشر هذا المعنى ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[3] وإن من دلائل فخري وسعدي ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[4] وجعلك من المحن التي تسكب عندها العبرات وتكثر في حزونها الغبرات﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾[5] وإن شئت حفظتك طبقة أخرى ورويت لك «كاد الفقر أن يكون كفراً» وما جرى هذا المجنون وأنت الحامل على عصيان الخالق بما نزل بالخلائق من الشدائد والمضايق، وأنا الذي أيسر لهم سني البضاعات المتوقف عليها كثير من الطاعات، ولولا جودي ووجود جودي لم يظفروا بثواب الزكوات والصدقات وصلة الأرحام بالنفقات، ومن أعظم هذا المرام حج بيت الله الحرام، وهل يستوي الإيسار والإفلاس؟

والله لم يدع إلى بيته سوى المياسير من الناس، وتعلم كثرة دعاء الأنبياء والمتقدمين بهم من الأولياء، بالاستعاذة من جوارك والاستغاثة من عثارك والتضرع إلى الله في محو آثارك.

وأما الشعراء فقد هاموا يهجونك في واد وقاموا بذمك على رؤوس الأشهاد وأمروا للهرب منك بالتغرب في البلاد ومقاسات الأين في المهاد، حتى رأيت المقام على الاقتصاد قنوعاً به ذلة في العباد، وكفاك بيت سار سير الأمثال في الورى: [البحر الطويل]

فسرْ في بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنى تعشْ ذا يسارٍ أو تموتُ فتُعذرا

---

(١) سورة المعارج، الآيات: ١٩ - ٢١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦.
(٣) سورة الضحى، الآية: ٨.
(٤) سورة صٓ، الآية: ٣٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

وقال من أنف منهم من قدرك الحقير: [البحر الوافر]

دَعيني لِلغنى أسْعَى فإنّي رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

ولو عقلت مفاخرة الأقران وقد نظموك والكفر في قران [البحر البسيط التام]

ما أحسنَ الدّينَ والدنّيا إذا اجْتمعا وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرجلِ

وصعاليك اليهود على هذا البيت من الشهود ولولا ذم الإطراء وخوف الملام وأن يقول بعض الفقراء مادح نفسه يقرئك السلام لأوردت عليك ما نظموه فيّ من المدائح ومريت لك در الفرائد من أخلاف القرائح، وكيف لا وأنا العلة الغائية في نظم مدائحهم المحبرة ونعوتهم المحورة وأغزالهم الرائقة وتخيلاتهم الفائقة، وهل الممدوح إذ مثل المادح لديه إلا المعهود الذي أقدره على إطلاق يديه، فخذ إليك غيضاً من فيض ولمعة من روض، وإن شئت زيادة الخوض ملأت بهذا السجل لك الحوض حتى تقول قطني فقد ملئت بطني.

قال: فاستجاش الفقر وأربا روز مجر ورزوا استوقر راثر وقال: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾(١) لأن حمي الوطيس والتف الخميس بالخميس وتكلمت القلوب بألسنة أحد من الصفات بل تكلمت السنة العذباب الحمر بأفواه الجراح من صد عن نيرانها، فأنا ابن قيس لا براح أيها الفتى مثلي يدلل صعابه البر أو يركب إعجاز الإبل وإن طال السرى، أقسمت بمن جعلني في خلقه آية ورفع لي على الطاغين أشهر راية وخلقني لمحق الباغين أشمم من ابن داية لأسمعنك ما يدعك تفرع بأنامل الندم الثنايا وأنا ابن جلا وطلاع الثنايا.

يا أيها الناعم في لباس العجب والتيه والزاعم أنه مولى الفضل ومؤتيه والنازع إلى أخلاق الرادة والمنازع رب الردا والكبرياء رداؤه، لقد افتريت في وصفي وصفك بمينك وأبصرت القذى في عيني ولم تبصر الجذاع في عينك وصدفت عن مناهج الحق ومشارعه وحرفت الكلم عن مواضعه، ولو كنت شداد بن عاد ثم متعك الله بأرم ذات العماد وفرعون ذي الأوتاد ونجوت ومن معك من الأجناد وكليب بن ربيعة ولم يقدم عليك جساس في الحمى ولم ترمك طير أبابيل من السماء وزهير بن جذيمة ولم يأخذك يد خالد من قريب وأبا جهل بن هشام ولم تستجب برجلك إلى القليب لأنفت لك من هذا العجب والاستطالة ضجرت منك إذ طلت هذه الإطالة لكن لا بدع في ذلك، فإنك منبع العتو والطغيان بنص القرآن: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾(٢) ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾(٣) وإن الذي جمع مالاً وعدده منك استمد مده وبك أعد في الفكر عدده وقد قال أكبار قريش حين فتحها ريحك المقيم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(٤) وقد علم مفضلك علي أو مساوئك إن

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ١١ - ١٢.
(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦ - ٧.
(٣) سورة القلم، الآيتان: ١٤ - ١٥.
(٤) سورة الزخرف، الآية، ١٣.

لم يعمه حبك عن مساوئك، إن الخلق بك يخسرون ولا يفلحون وإنك من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فكم قد اقتضى عي أهوائك وعي أدوائك وسكر شرابك ومكر سرابك أن يقطع السارق ويقمع المارق ويردع الخائن ويصفع المائن ويدفع الغاصب والقاسط ويتبع المحاسب الغالط وأن يدنس بياض الأعراض بدنايا الأغراض ويتحكم في صحاح العقول عضال الأمراض من الأطماع الحقيقية بالإهمال والأعراض، وبعض الحريص بالحريض عند الحث على الجود والتحريص وأن يرتكب الخرم المتون لنأثم بغيب الظنون ويقدم السالك في المفاوز والممالك على ريب المنون، وكم أوقعت فتنتك بين المرء وأبيه وخليله وأخيه وصاحبته وبنيه ومن في الأرض جميعاً ثم لا ينجيه.

ولعلك تقول: إن من ذكرت وشنعت عليهم وأنكرت منك هربوا فلاذوا بسابغ ظلي وفي حماك أجذبوا فاستسقوا وابل طلي، فأنت الذي حملتهم على أن ارتكبوا ما ارتكبوا حتى حادوا عن القصد ونكبوا، كلا إن خرط القتاد دون هذا لا يواد، فمن المعلوم أن كثيراً ممن ظهرت غواياتهم وبعدت في الفساد غاياتهم قد يرضى لنفسه بسمة القباحة مع كوني لم أطرق له ساحة، وإنما يقصدون الزيادة من كيلك أو التقويم لأودك عند ميلك فتغشى عين بصيرة في ليلك، وأما من سواهم وقليل ما هم كافلون قصده بأفعاله الشنيعة املاقه من حوزتي المنيعة لكنت تراه يقنع بالطفيف الذي سده عني ولا يتكاد مصاعد التمني والتغني. [البحر الطويل]

دليلُك أنّ الفقرَ خيرٌ منَ الغِنى ... وإنّ قليل المالِ خيرٌ من الثّري
لقاؤُك شخصاً قد عصَى اللهَ لِلْغنى ... ولستَ ترى شخصاً عصَى اللهَ للفقرِ

ويؤكد هذه الأحكام الجلية ما دلت عليه الأدلة العقلية والنقلية أن جميع الأموال من وجه الحلال يكاد يدخل في المحال، أما تعلم أن من قابلني بالرضا والتسليم للقضاء وكف نظره عن الطماح وعامل هواه بالزجر لا بالسماح ظفر بكنز عز القناعة وطفر عن وهاد الذل والخناعة وهجر كل الطلب ووباله وفزع لطاعة مولاه وباله وتمسك بأوثق الوسائل لتحصيل العلم والفضائل واستحق أن ينشد لسان افتخاره: [البحر الكامل]

غيْرِي يغيّره الفعالُ الْجافي ... ويحولُ عن شيمِ الكريمِ الْوافي

ويرشد من يعلم عند اختباره: [البحر الكامل]

إنّ الغنيّ هو الغنيُّ بنفسِه ... ولو أنّه عارِي المناكبِ حافي

وأما من أبغضك وأحبني وأبعدك وقربني ورفضك وأنت قائم في خدمته كبعض عبيده وطردك وأنت باسط ذراعيك بوصيده فهو رجل الدنيا وواحدها وطالب الأخرى وواجدها، وحسبك بإبراهيم بن أدهم بعد نزوله من أعلى القصور وعمرو بن عبيدة وجلالة قدره عند المنصور، دع أهل هذه الطبقة وما حووه من المفاخر واتل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1] أليس قد ورد عنه صادق النبأ بأنه نشر عنك ربنا وقد عرض عليه أن تكون له جبال تهامة فضة وذهباً.

هذا والعجب زعمك إنك العزيز وإني الذليل وتكلفك في ذلك إقامة الدليل ولو كنت تساوي عفطة عنز أو قلامة فحار لما متع الله بك الفاسق والكافر، وإن زعمت أن لك الفضل والنعمة من حيث إن صاحبك يكون من أولي النعمة فإن معك من المتاعب والأكدار وعموم الخوف عن طوارق الأقدار وتوقي سوء السمعة في هذه الدار ما لا ينقطع ولا ينتفي ولا يستتر ولا يختفي:

[البحر الكامل]

وازنْتُ بينَ مليحِها وقبيحِها فإذا الملاحةُ بالقباحةِ لا تَفي

وأنى يلذ بعيش مستطاب من يعلم إن في حلالك حساب وفي حرامك عقاب، وكيف يتحمل منك الافضال والانعام من سمع «يدخل فقراء هذه الأمة بالجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام» فدونكها غارة شعواء تخبط في عجاجها خبط العشواء وداهية دهياء تحقق عندك إني الداء العياء، أصدرتها صيانة المزية الشرعية وحياطة حقوق النفس المرعية لا بوادر القوة الغضبية ونوادر النخرة والعصبية تمنع الحدث الغران يصول والهرم الفاني أن يقول: **[البحر الرجز المشطور]**

يا ليتني فيها جذَعْ أخبُّ فيها وأضعْ

وتقرر في العقول مفاد المثل المنقول (ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع) فتفيدك موعظة حسنة وتعدادك أبا مستحسنة وينشد لسان حالها البيت الدائر على الألسنة:

[البحر البسيط التام]

الخيرُ يبْقى وإنْ طالَ الزّمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ منْ زادِ

قال راوي الحديث: فأقبل الغنى على رأس المجلس وصدره وشمس المحفل وبدره فقال: أيها النفس الشريفة مد الله بك ظلال العقل الوريفة إن مقالة هذا الجاهل طريفة وأي طريفة، لقد جهل المركب وركب في عين سرجه هذا المركب وقصد إذ شوه وجه جمالي وأود غض كمالي أن ينشد حر كريم أو ذو أدب قويم. **[البحر الكامل]**

كضرائرِ الحسناءِ قلْنَ لوجْهِها حسَداً وبغْياً إنّه لَدميمُ

فيدخل في فحوى العموم في حملة أقراني يصعد بهذا المفهوم إلى أوج قراني وهيهات هيهات أين الثريا من يد المتناول ومتى قال السهى: يا شمس أنت خفية وقال الدجى يا صبح لونك حائل. ولو انثالت من جيوش الكلام هذه الجحافل في أحقر الأندية والمحافل لميزّ في الحال بين البطل الشجاع والخنع البراع وأسقط سفط المتاع عن رتبة شكاب الذي لا يعار ولا يباع، فكيف بهذا المجلس الذي انتشرت فيه غمائم الأدب والفضل وسرت منه بوارق صوارم

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

القول الفصل وارتعدت بصواعق الجد فرائص وهمرت سواقي النفع والضر في شعاب التولية والعزل، وإني سأحبس عن القول عناني ولا آخذ إلا ما في عناني حتى تنسجم مواد الأباطيل والأماني وتمحى من صحائف الخواطر وساوس ماني وأجازي بالشكر من عرف قدري فأسماني.

قال: فبادر الفقر قائلاً: رب إني دعوت هذا الخصم للرشاد ليلاً ونهاراً ووعظته بالبيان المستفاد سراً وجهاراً فلم يزده دعائي إلا فراراً وإصراراً على الجور واستكباراً، ولم يكتف بذلك حتى أخذ يمكرني مكراً كباراً ويتقرب للحضرة السلطانية استظهاراً علي وانتصاراً ويظن أن سينال بذلك لديها إيثاراً، كلا والله تلك حضرة باع الباطل فيها قصير وهي للحق وأهله نعم النصير، ولا فرق عندها في الخصوم بين المتربع فوق السرير والجاثي على الحصير.

وقد وقف الكلام بمنتهاه وغايته وصار إلى مصير ثم التفت إلى العقل فقال: وأنت أيها الوزير المدبر والمشير والحاكم على كل مأمور وأمير وأنت لسان الملك الناطق بلا اعتراض ويده المتصرفة في سائر الأغراض وطبيب أحكامه الشافي من الأمراض ولك الأمر فاقض ما أنت قاض. قال كريم الطباع الراوي لهذه الأسجاع: فلما سمع العقل ما لاقاه وعلم أنهما ألزماه الحكومة أن عثر وما أقالاه تثبت هنيئة ينتظر الإذن في الكلام ويحرر ما يقول ليتوقى الملام تعظيماً للحضرة السلطانية وتبجيلاً وعملاً بقول القائل: [البحر الكامل]

إنّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنّما جُعلَ اللّسانُ على الفؤادِ دَليلا

حتى جعلت له الإشارة ووصلت نتائج أفكاره المستشارة، فاستعاذ من الشيطان الرجيم وقال: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإن الحكومة بين الخصوم معيار الذمم ومحك الهمم وميزان الفضل والمعرفة وميدان أفكار المتصرفة وممر أنهار البلاغة والفصاحة ومقر أطواد الرصانة والرجاحة ومصرع جنوب المودة والصداقة، لكن في معارك ذوي الجهل والحماقة والحق يأبى الجمع بين النقيضين والعقل يحرص على الإصلاح بين البغيضين والتوفيق عزيز وخير القول الجامع الوجيز وبحر القدح والمدح لا تفنى عجائبه. [البحر الطويل]

وليس امرؤٌ ترضي سجاياه كلها كفَى المرءُ فخْراً أنْ تُعدَّ معايبُهْ

ومن هنا أيها الفقر والغنى ينبغي أن تعلما أنكما أدخلتماني في أضيق من سم الخياط وكلفتماني المرور على جهنم فوق الصراط وأشق المسالك الشرعية باب الاحتياط وأنا أستعين بالله تعالى وأستهديه وأسأله أن يوفقكما لقبول ما أبديه، وقد امتثلت الأمر وأطعت وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

أما أنت أيها الغنى فأنت المحمود المذموم المشؤوم المحبوب المبغوض المطلوب المرفوض النافع الضار المقيم العار المنبه الغار، وأما أنت أيها الفقر فإنك العدو الصديق المسعف الرفيق المشقي المسعد المهبط للصعد الممرض المعافي المعرض للوافي المخل

المكافي الناقص الوافي، وأنا أفصل لكما هذين الإجمالين وأرفع التناقض بين الاحتمالين حتى تنزهاني عن الجهل والمين وتنقلبا بحقائق الأمعة عالمين، اعلما أن الله لم يخلق شيئاً عبثاً ولا لعباً ولا يظلم ربك أحداً أولاه راحة أو تعباً، وجمع نعمة ونقمة منتظمة في أسلاك حكمة وكلما أودعه في عالم الكون والفساد ذريعة العباد إلى كسب الفوز في المعاد وملاك حجة كل قضية ما يهدى الله إليه حضرة النفس البشرية، وقد أحلكما الله بين عباده في مواقع يجوزها الشرع ولا يجوز من أوفاها حقها ظفراً بالعلم النافع ومن قصر مني بعذاب واقع ما له من دافع فيكون الغنى منحة استوجبها المطيع فحواها أو مصلحة لا يصلح العبد سواها ومحنة للاختيار والابتلاء والاختبار والمصلحة التي يعلمها الحكيم المختار، فحق المحبو بالغنى أن لا يألو جهداً في أن يوالي شكراً وحمداً وأن يجعله وسيلة لاكتساب الأخرى ويتصرف فيه بما هو الأولى والأخرى، ويتخرج من عهدة الحقوق ويتحرج من وصمة العقوق، ويستعيذ بالله تعالى من إملائه وفتنته ويحذر أن تغلب الغفلة على فطنته ، وإياه إياه أن يشغله عن مولاه، وتحت هذا الإجمال تفصيل طويل الويل لمن أضرب عنه والعويل، وحق الممنو بالفقر أن يأخذ بالرضا والتسليم ويقابل حكمة الحكيم بقلب سليم وينيب إلى باريه بالتوبة ويستعيذ به من شؤم الأثم والحوبة ويشكره على فضله وآلائه حيث خصه بما يرضيه لأنبيائه وأوليائه ويعتاض بعز القناعة والعفاف ويرتاض على التزهد والكفاف ويعتصم بحبل التقى ويحذر عن التخلص بالشقا من الشقا ولا ييأس من روح الفرج وأن عرفي ضيق المخرج ولا يدع التلطف في الحيلة لتكلف المظاهر الجميلة.

هذه السنن المتعبة كافية في القيام بحقوق المواقع الأربعة، فكل واحد منكما جاور من هذه صفاته وحاذر من لا تصدع بالجهل صفاته فهو في معرك الفاخرة فارس الصفين والحائز من القسم المحمود من الوصفين وإلا فهو المتسم بالوصف الأخير الحري وإن قدم التأخير.

ثم إن أبيتما إلا التمييز في الأوصاف بينكما فأنت أيها الغنى كالحسام الصيقل يمضي حده في أعناق المعتدين والمهتدين والجواد الأصيل يصلح حده لقطع السبل ولأعزار الدين الفخر الذي يزاحم الكواكب بالمناكب لكن بعد النظر إلى الضارب والراكب وأنت أيها الفقر كالبحر الأجاج تجري فيه الفلك مواخر ويستخرج منه الدر الفاخر والقفر الفجاج ينجو سالكه من طلب أعدائه ويرجو إذا انتهى سيره لقاء أودائه، فأنت الحائز للمفاخر والمناقب لكن لاعتبار العواقب.

ثم أقول ولست أخشى ذماً ولا ملالة: إن الفقر أدل على منهج الاستقامة وأقرب إلى ساحل السلامة وإن كان الغنى إذا كشف عن صاحبه الرين ووقف على غرة التوفيق لأحمد الاختيارين فهو عين سعادة الدارين، وبهذا التأصيل الوثيق والتفصيل الموافق للتحقيق يرتفع التناقض بين ما أوردتماه من الحجج وقلتماه عند الخوض في تلك اللجج، فتأملاه بعين البصيرة وتناولاه بيد غير قصيرة.

وعلى كل حال فأنا الممتحن المبتلى بكما والمرأة المجتلى فيها شكلكما . ولم يكفكما تكليفي المشاق منفردين حتى جئتماني مجتمعين وحملتماني ما لو عرض على الجبال لأبين ، وأنا أسأل الله تعالى أن يمنح حكمي القبول ويصلح بينكما بالاتفاق وهيهات أن تتفق الدبور والقبول .

قال راوي الحديث : فلما سمع الفقر والغنى ما جلاه العقل من الدلائل وعلم أنه لم يترك مقالاً لقائل ولا مصالاً لصايل فأما حامدين للحكومة راضيين وانطلقا لشأنهما كالسيفين الماضيين، وتفرق أرباب المجلس وكل يقول: هذا هو الحكم العدل والمنطق الفصل، ولواهب العقل مزيد المنة والفضل.

قصيدة لابن فارض

هذه القصيدة التي لابن الفارض قد أدخل بعض الشعراء بيتاً منها في كل مصراع تمم به المصراع الأول وآخر جعله مبدأ للمصراع الثاني . [البحر الكامل]

ما بينَ ضالِ المُنحنى وظلالِه ... قمرٌ يُصانُ جمالُه لجلالِه
بلْ بدرُ حسنٍ في دياجرِ شعرِهِ ... ضلَّ المتيّمُ واغتدى بضلالِه
وبذلك الشعبَ اليماني منيةٌ ... للنفسِ قد نزلتْ محطَّ رحالِه
كم في دنوِّ مزارِها من فرحةٍ ... للصبِّ قد بعدتْ على آمالِه
يا صاحبي هذا العقيقُ فقفْ به ... نثْرَ عقيقِ الدمعِ بينَ تلالِه
وأطلْ وقوفك في معاهدِ مدْمعي ... مقوّلها إنْ كنَت لستَ بوالِه
وانظرْه عنّي أنّ طرفي عاقني ... فقدانُه للأنفِ عن إطلالِه
وانه الحيا عن سيفِه فلقدْ كفى ... إرسالُ دمعي فيه عن إرْسالِه
واسألْ غزال كناسهِ هل عندَه ... يرْعى ذِمامي أوْ أمرُّ ببالِه
أم هلْ له بعدَ البعادِ وخطْبِه ... علمٌ بقلبِي في هَواه وحالِه
وأظنّه لم يدرِ دلَّ صبابتي ... وخضوعَ قلبٍ هامَ اثرَ رحالِه
وسُلافتي قد غرَّ عنه سلوةً ... إذ ظلَّ ملتهياً بعزِّ جمالِه
تفْديه مُهجتي التي تلفتْ ولا ... ألفتْ سِواه على دوامِ مطالِه
وتقيه رُوحي ما يحاذِره بلا ... منٍّ عليهِ لأنّها من مالِه
أترى درى أنّي أجنُّ لهجرهِ ... وأروحُ حلفَ كآبةٍ لزيالِه
ويطيرُ لبّي كلّما ذُكِرَ اسمُه ... إذ كنتُ مشتاقاً له كوصالِه
وأبيتُ سهراناً أمثّل طرْفه ... متعلّلاً عن قربِه بمثالِه
وأودُّ لو بالعمرِ سامحَ مُقْلتي ... في النّومِ كي ألقى خيالَ خيالِه

لا ذقْتُ يوماً راحةً من عاذلٍ إذ كنتُ من يُصغي إلى عُذّالِه
وبقيتُ في نارِ الصّدودِ معذّباً إن كنتُ ملتُ لقيلِه ولقالِه
فوحقِّ طيبِ رضا الحبيبِ ووصلِه وبدرٌ مبْسمِه ومسْكةِ خالِه
وبديعِ منظرِه وحسنِ حديثِه ما ملَّ قلبي حبَّه لملالِه
واهاً على ماءِ العذيْبِ وكيفَ لي بورودِه والحتفُ دون مثالِه
فلعلَّ ناراً في الضُّلوعِ ولوعةً بحشايَ أن تُطفى ببردِ زُلالِه
ولقد يحلُّ عنِ اشْتياقي ماءَه إذ كان وردُ الحبِّ من سلسالِه
قسماً على ماءِ الحياةِ بريقِه شرَفاً فوا ظمأي للامعِ آلِهِ

قصيدة في رثاء الزهراء

هذه القصيدة للسيد مرثية الزهراء عليها السلام : [البحر الخفيف]

ما لعيْني قد غابَ عنها كراها وعراها من عبرةٍ ما عراها
الدارِ نعمتُ فيها زماناً ثم فارقتُها فلم أغْشاها
أمْ لحيٍّ باتُوا بأقمار ليلٍ يتجلّى الدّجى بضوءِ سناها
أم لِخُودٍ عن بزةِ الطرفِ تهْوا ني بصدقِ الودادِ أو أهواها
أم لصافي المدامِ من مرّةِ الطعمِ عفارةٌ مشمولةٌ أشقاها
حاشا للهِ لستُ أطمعُ نفسي آخرَ العمرِ في اتبّاعِ هَواها
بل بُكائي بذكر من خصّه اللّهُ تعالى بلطفِه وحباها
ختَمَ اللهُ رسلَه بأبيها واصْطفاه لوحيه واصطفاها
وحباها بالسيِّديْن الإماميْنِ الزكيّيْنِ منه حينَ حبَاها
ولِفكْري في الصاحبينِ اللّذينِ استحْسنا ظلمها وما راعياها
نفيا بعلَها من العقدِ والعهدِ وكان المنيبُ والأوّاها
واستبدّا بأمرِه بادراها قبلَ دفنِ النبيّ وانتهَزاها
وأتتْ فاطمٌ تطلبُ بالإرثِ من المصطفى فما ورّثاها
ليتَ شِعري لِما خُولفتْ سننٌ القرآنِ فيها واللهُ قد أبْداها
رضيَ الناسُ إذ تلوْها بما لم يرْضى فيها النبيُّ حين تَلاها
نسختْ آيةُ المواريثِ منها أم هُما بعد فرضِها بدّلاها
أم ترى آيةُ المودّةِ لم تأتِ بودِّ الزهراءِ في قُرباها
ثم قالُوا أبوكِ جاءَ بهذا حجةً من عنادِهم نصباها

قال للأنبياءِ حكمٌ بأنْ لا يورّثوا في القديمِ وانتهراها
أفبنتُ النبيِّ لم تدرِ من كان نبيُّ الهُدى بذلك فاها
بضعةٌ من محمدٍ لم تدرِ ما قال حاشَا مولاتِنا حاشَاها
سمعتْه يقولُ ذاك وجاءتْ تطلبُ الإرْثَ ظلةً وسفاها
هي كانتْ للهِ أتقى فكانتْ تفضلُ الخلقَ عفةً ونزاها
أو يقولُ النبيُّ قد خالفَ القرآنَ ويحٌ للأخبارِ ممّن رواها
سلْ بابطالِ قولِهم سورةَ النملِ وسلْ مريمَ التي قبلَ طاها
فهُما يُنبيانِ عن إرثِ يحيى وسليمانَ من أرادَ انتِباها
فدعتْ واشتكتْ إلى اللهِ من ذاك وفاضتْ بدمعِها مُقْلتاها
ثم قالتْ فنحلةٌ لي من وا لدي المصطفى فلم ينحلاها
فأقامتْ منها شُهوداً فقالُوا بعلُها شاهدٌ لها وابناها
لم يجيزوا شهاده إبني رسولِ اللهِ هادي الأنامِ إذ ناصباها
لم يكنْ صادِقاً عليّ ولا فا طمٌ عنده ولا ولداها
كان اتْقى اللهِ منهم عتيقاً قبّح القبائلَ المحالُ وشاها
جرَّعاها من بعدِ والدِها الغيظُ مراراً فبئسَ ما جرّعاها
أهلُ بيتٍ لم يعرفوا سُنَنَ الجوْرِ التباساً عليهم واشْتباها
ليتَ شعْري ما كان ضرّهما الحفظُ لعهدِ النبيِّ لو حفظاها
كان إكرامُ خاتمِ الرُسُلِ الهادي البشيرُ النذيرُ لو أكرماها
إنَّ فعلَ الجميلِ لم يأتياه وحسانَ الأخلاقِ ما اعتمداها
ولو ابتيعَ ذاك بالثمنِ الغالي لما ضاعَ في اتّباعِ هواها
ولكانَ الجميلُ أن يقْطعاها فدكاً لا الجميلُ أن يقْطعاها
أتَرى المسلمينَ كانوا يلومونهما في العطاءِ لو أعطياها
كان تحتَ الخضراءِ بنتُ نبيٍّ صادقٍ ناطقٍ أمينٍ سواها
بنتُ منْ لم من حليلةُ منْ ويلُ من سنّ ظُلمها وأذَاها
ذاك ينبئك عن حقودِ صدورٍ فاعتبرْها في الفكرِ حين تراها
قلْ لنا أيُّها المجادلُ في القولِ عن الغاصبيْن إذ غصباها
أهُما بعدَ ما تعمّداها كما قلتُ بظلمٍ كلاّ ولا اهتضماها
فلماذا إذ جهزتْ للقاءِ اللهِ عند المّماتِ لم يحضراها
شيعتْ نفسها ملائكةُ الرحمنِ رفْقاً بها وما شيّعاها
كان هذا زهْداً في أجْرها أم عِناداً لأبيها النبيِّ لم يتْبعاها

أم لأنَّ البتولَ أوصتْ بأنْ لا   يشهدا دفنَها فما شهِداها
أم أبُوها أسرَّ ذاك إليها   فأطاعتْ بنتُ النبيِّ أبَاها
كيف ساءت قلْ كفاك فهذي   فريةٌ قد بلغتَ أقصى مَداها
أغضباها وأغضبا عند ذاك اللهَ ربّ السّما إذ غصباها
وكذا أخبرَ النبيُّ بأنَّ اللهَ   يرضى سبحانه لرضِاها
لا نبيَّ الهُدى أطيعَ ولا فاطمةٌ   كرِّمت ولا حسناها
وحقوقُ الوصيِّ ضيّع منها   ما تسامى في فضلِه وتناهى
تلك كانتْ حزازةٌ ليس يبْرى   بين ردعانِها وقد خَطباها
وغدا المتّقون واللهُ يُجزي   كلَّ نفسٍ بغيِّها وهُداها
فعلَى ذلك الأساسِ بنتْ صا   حبةُ الهودجِ المشومِ بناها
وبذاك اقتدتْ أميّةُ لمّا   أظهرتْ حقْدها على مَولاها
لعنتْ بالشآمِ سبعين عاماً   لعنَ اللهُ كهلها وفتاها
ذكروا مصرعَ المشايخِ في بدرٍ   وقد ضمّخ الوصيُّ لحاها
ولماجَدّ من بعدِ بدرٍ وقد   أتعس فيها معاطساً وجِباها
فاستجارتْ له الصفوفُ بصفّين وجرّتْ على الطفوفِ قَناها
لو تمكنْتُ بالطفوفِ مدى الدهرِ   لقبّلْتُ تُرابَها وثَراها
أدركتْ ثارَها أميّةُ في النارِ   غداً في معادِها تصْلاها
أشكرُ اللهَ أنني أتولّى   عترةَ المصطفى وأشني عِداها
ناطِقاً بالصوابِ لا أرهبُ الأعداءَ في جهنم ولا أخشاها
نخ بها أيُّها الخدُّ وعيّ واعلمْ   إذا سُئل الذي أنشداها
لك مغنىً في النوحِ ليس يُضاهي   وهي تاجُ الشعرِ في مغْناها
قلتُها للثّوابِ واللهُ يُعطي الأجر فيها من قالها ورواها
مظهِراً فضلَهم بعزمةِ نفسٍ   بلغتْ من ودادِهم مُفتهاها
فاستمِعْها من شاعرٍ علويٍّ   حسنيٍّ في فضلِها لا تُضاهى

تخميس قصيدة الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني

القصيدة للشيخ نجيب الدين رحمه الله تعالى مخمساً لقصيدة الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين قدس الله أرواحهم: [البحر البسيط التام]

يا سادةً حبُّهم ديني وإيماني   جفا الكَرى الأليمُ البعدَ أجْفاني

وعهدُكم وهو عندي عقدُ إيماني طولُ اغترابي بفرطِ الشّوقِ أضْناني
والبينُ في غمراتِ الواحدِ القاني
وللنّوائبِ أدناني وقرّبني ومن أُهيْلِ الوِلا والودّ أبْعدني
باللهِ دعْ كلَّ خيرٍ ما يروّعني يا مارقاً من نواحي الحيِ عارضَني
إليك عنّي فقد هيّجتَ أشْجاني
أضرمْتَ في باطنِ الأحشاءِ نارَ غضى يَحكي تأجّجها فيها شواظُ لَظى
ذكراً بسالفِ عيشٍ في الزمانِ مَضى فمَا رأيتُك في الآفاقِ معترِضا
إلاّ وذكّرني أهلي وأوطاني
ولا رأيتُ قفولَ الشامِ رائحةً بل ما شممتُ لها في الأرضِ رايحةً
إلاّ وأضحتْ بسرِّ العينِ نائحةً ولا سمعْتُ شجى الورقاءِ نائحةً
في الأيكِ إلاّ وشبّتْ منه نِيراني
وجذتُ من سُحبِ أجْفاني تصيبّها كي ينْطفي من فؤادي بعضُ لاهِبها
يا ويحَ نفْسي فلم تظفرْ بمطلبِها كم ليلةٍ من ليالي البينِ بتُّ لها
أرَعى النجومَ بطرْفي وهو يرْعاني
كأنهمْ ليَ من غمضِ العيونِ نهوْا أو علّقوا الجفنَ منها بالسِّماكِ فلوْ
أردت تطبقَها ما استطعت ذاك نأوْا كأنّ أيدي خطوبِ الدهرِ منذ نأوْا
عن ناظِري كحّلتْ بالسّهْدِ أجْفاني
يا حاديَ العيسِ هل حملتَ لي خبَراً منهمْ فدمْعي دماً ممّا لقيتُ جَرى
ووصفُ حالي كما تدري به وتَرى ويا نَسيماً سَرى من حيّهم سحرا
في طيّها نشرُ ذاك الرّندِ والبانِ
لا بتّ ممّا عدا الأحبابَ يعنتُه وفيكِ من بعض ما تلْقاه راحتُه
لولاك أودتْ به في الأرضِ غربتُه أحييتَ ميتاً بأرضِ الشامِ مهجتُه
وفي العراقِ له يختلُّ جثْماني
وفي الحجازِ غدا حيناً وفي اليمنِ وفي ظفارِ وقبلَ الشحرِ في عدنِ
وحضرموتِ وأرضِ الفرسِ والدّكنِ وكم جئت وكم قدّمت في سجنِ
ما ذاك أولُ أحياءٍ ولا الثّاني
ضيّعتُ عمريَ في الدّنيا فوالهفي ولدين من قبلُ ذاتي على طرَفي
كأنّما الدهرُ مطبوعٌ على تلَفي شابتْ نواصيَّ من وجْدي فوآسفي
على الشبابِ فشيْبي قبلُ آتاني

والنفسُ من حرّ ما تلقاهُ حائرةٌ والعينُ أيضاً لحرِّ الوجدِ ساهرةٌ
فيا لَها كرة أقسمتُ خاسرةٌ والهفَ نفسي حصونُ البينِ عامرةٌ
وربعُ قربِ التلاقي ما له باني
إلى متى صرفُ هذا الدهرِ يقصدُني وللمصائبِ والأحزانِ يسلمُني
لاواخذ اللهُ عمْراً ليس يعذرُني يا لائِمي كم بهذا اللومِ تُزعجني
دعْني فلومُك قد واللهِ أغْراني
فهلْ رأيتَ محبّاً قد قلَى ففلى أم هل سمعتْ بصبٍّ قد سلا فَسلا
بتهتّكي كلّما مرّ الملامُ حلاً لا يسكنُ الوجدُ ما دام الشنابُ ولا
تصفُو المشاربُ لي ولا للباني
هناك يسكنُ دمعي من تصبّبِه وينْطفي حرُّ قلبي من تلهّبه
ويستقرّ فُؤادي من تكرّمِه في ربعِ أنْسي الذي حلّ الشبّابُ بِهِ
تمائِمي وبه صحْبي وخلانِي
من عترةٍ إنْ ترم نيلَ السعادةِ من وأهلِه بوفورِ الاحترامِ فدنْ
واخفضْ لهم جانِباً ترفعْ به والنْ كم قد عهدْت بهاتيك المعاهدِ منْ
إخوانِ صدقٍ لعمْري أيّ إخوانِ
فخاننا الدهرُ والأيامُ خانيةْ وخيرُها عن جميعِ الناس صاينةْ
فكمْ أحلّت بنا للبينِ كامنةْ وكم تقضّتْ لنا بالحيّ أزمنةْ
على المسرّةِ في كرم وبستانِ
يا عاذِلي لستَ في عذْلي بمنتبِهِ لومُ الملومِ مصابُ في مصائبِه
فدعْ مقالَك في دمعي وساكبِهِ لم أدر حالَ النّوى حتى علقتُ بِهِ
وأوقعتْني بلوْمي قبلَ عرْفاني
جملي بحالِ الهوى والعشُّ يرفقُني وليس لي منقذٌ عن ذاك يبعدُني
ويْلاه لو كانتِ الأيامُ تتركنُي حتّامَ دهري على ذا الهونِ تُمسكني
هلاّ جنحْتَ لتبريحِ وإحسانِ
يا ويحَ قلبي كم الآمالُ تكذبُني لكنّها من مهاوي اليأسِ تُخرجُني
وما التّداوي بما أهْوى فعلّلني اقسمتُ لولا رجاءُ القربِ يُسعِفني
فكلّما متُّ بالأشواقِ أحْياني
وكلّما نالني من نحره وضبُ أو حلَّ منّي أذىً يُؤذي به وصبُ
علّلتُ نفسي فهذا كلُّه وصبُ لكدتُ أقضي لها نحْبي ولا عجبُ
كم أهلكَ الوجدُ من شيبِ وشبّان

أهيْلَ ودّي صِلُوا باللهِ عبدَكم فقلبُه كلُّه واللهِ عندَكم
رقّتْ لما بي العِدى من بعدِ صدّكمُ يا جيرةَ الحيِّ قلبي بعدَ بُعدكمُ
في حيرةٍ بين أوصابٍ وأشجانِ
مستوحشٌ من سِواكمُ عنه منهزمُ وساكنُ القلبِ أنتم فهو منحزمُ
وفي محبّكمُ بالحرمِ مخترمُ يمضي الزمانُ عليه وهو ملتزمُ
بحبّكم لم يُدنّسه بسلوانِ
مستمسكٌ بعرى الودّ القديمِ كما عهدتمُ بل به زادَ الهَوى ونما
لم يمضِ في غيرِ ما ترضونه قدما باقٍ على العهدِ راعٍ في الذّمامِ فما
ليوم عهدكمُ يوماً بنسيانِ
لكنّ ذكركمُ أوْهى قِوى جلدي وأجّجَ النارَ في قلبي وفي كبِدي
وزادَ في حُزني أيضاً وفي كمدي فإنْ براني سقاني أو نأى رُشْدي
فلاعجُ الشّوق ألهاني وأوهاني
والدهرُ ظلْماً على عهدِي لقد حكما ولم أجدْ لي منه منصفاً حكُما
فإنْ أمتْ فحبسُ الختم لي ختما وإنْ بكتْ مُقلتي بعد الفِراق دَما
فمنْ تذكُّرِكم يا خير جيرانِي

ما قيل في الحسد من الشعر

نقل الشريف المرتضي ﷺ عن بعضهم أنه قال: أشعر أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة فأولها قول الكميت من معروف الأسدي: [البحر البسيط التام]

إنْ يحسدوني فانّي غيرُ لائمهمْ قبلي من الناسِ أهلَ الفضلِ قد حَسدوا
فقامَ لي ولهمْ ما بي وما بهمُ وماتَ أكثرُهم غيْظاً لما وجدُوا
أنا الذي يجدُونِي في صدورهمُ لا أتقّي صدراً منهمْ ولا أردوا
لا ينقصُ اللهُ حسّادي فإنّهمُ اشدُّ عندي من اللائي له الوردُ

وقال عروة بن أذينة: [البحر البسيط التام]

لا يبعدُ اللهُ حسّادي وزادهمُ حتّى يموتُوا بداءٍ فيَّ مكنونِ
إنّي رأيتهمُ في كلّ منزلةٍ أجلُّ قدْراً من اللّائي يحبّوني

وقال معن بن زائدة: [البحر البسيط التام]

إنّي حسدتُ فزادَ اللهُ في حَسدي لا عاشَ من عاش يوماً غيرَ محسودِ

ما يُحسدُ المرءُ إلاّ من فضائله ... بالعلمِ والحلمِ او بالبأسِ والجودِ

للشيخ ماجد البحراني قدس الله سره: [البحر الطويل]

جزى اللهُ يوم النّأي خيْراً وإنْ قَضى ... بتجريعِ نفسِ المرءِ هجرَ حبيبِها
أبانَ لنا من هجْرِكم بفراقِكم ... ويُعرفُ قدرُ الشمسِ عند مغيبِها

للشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين: [البحر السريع]

اختلفَ الأصحابُ في محنتي ... وما الذي أوجبَ لي البلْوى
فقلْ طولُ البعدِ والنّأيِ منْ ... نيلِ المُنى مِنْ وصلِ من أهْوى
وقيلَ لا بلْ صدغُه لم يزلْ ... بالسحرِ يرْمي القلبَ بالأسوا
وقيلَ سهماً لحظُه إذ رنا ... لم يُخطِيا من جَسدي عُضْوا
وقيلَ ضعفُ الطَّرفِ والخصرِ إذ ... عليه قلبُ الصبِّ لا يقْوى
وقيلَ بلْ كلٌّ له مدخلٌ ... فيها وعندي أنّه الأقوى

الأحاديث الواردة في الحسد

فائدة: قد نقلت الأخبار وهي مستفيضة به أن الحسد من جملة الذنوب الموجبة لدخول النار وأنه يأكل الأعمال كما تأكل النار الحطب مع أنه قد ورد في جملة من الأخبار أنه لا ينجو منه أحد بل يدل على أنه من الأمور المجبلة في الطبيعة البشرية، مثل ما رواه الصدوق عطر الله مرقده في الفقيه عن النبي ﷺ قال: «رفع في أمتي تسعة: الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه وما لا يعملون به وما لا يطيقون وما اضطروا إليه والحسد والطيرة والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بالشفة».

قال شيخنا المجلسي قدس سره في كتاب السماء والعالم من البحار: قوله ﷺ: «ما لم ينطق بشفة» قيد للثلاثة الأخيرة، وقد شرح الخبر بتمامه في كتاب العدل. انتهى.

أقول: ما احتمله قدس الله سره لا يخلو من هذا كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى. وروى الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال: ثلاثة لم ينج منها نبي فمن دونه: التفكر في الوسوسة في الخلق، والطيرة، والحسد لأن المؤمن من لا يستعمل حسده وروى الصدوق في كتاب الخصال بسنده عنه عليه السلام ثلاث لم يفر منها نبي فمن دونه: الطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق.

وروى الشيخ ورام في مجموعته عن النبي ﷺ قال: ثلاث لم ينج منها أحد الظن والطيرة والحسد، وسأحدثكم بالمخرج من ذلك إذا ظننت فلا تتحقق، فإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ.

قال شيخنا الصدوق في كتاب الخصال بعد ذكر الخبر المتقدم نقله من الكتاب المذكور ما صورته: معنى الطيرة في هذا الموضع هو أن يتطير منهم قوم فأما هم عليهم السلام فلا يتطيرون، وذلك كما قال الله تعالى عن قوم صالح: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾(١) وكما قال آخرون لأنبيائهم: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ لآية.

وأما الحسد في هذا الموضع هو أن يحسد وأنهم يحسدون غيرهم وذلك كما قال الله عزّ وجلّ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾(٢).

وأما التفكر في الوسوسة في الخلق فهو بلواهم عليهم السلام بأهل الوسوسة لا غير ذلك كما حكى الله عن الوليد بن المغيرة المخزومي (إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر) يعني قال للقرآن: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾(٣) انتهى.

قال شيخنا المجلسي رحمه الله في البحار بعد نقل هذا الكلام: ما ذكره الصدوق وجيه متين في الخبر الذي رواه في الخصال، وأما سائر الأخبار المروية من طرق الخاصة والعامة المشتملة على المتممات فهذا الوجه لا يجري فيها إلا بتكليف كثير، والظاهر أن المراد بالطيرة فيها انفعال النفس مما تتشأم به أو تأثيرها واقعاً وحصول مقتضاها، والأول في المعصومين عليهم السلام أظهر بأن يخطر ببالهم الشريف ثم بدفع أثرها بالتوكل وهذا لا ينافي العصمة، وأما الحسد فظاهره أن الحسد المذكور في الخاطر إذا لم يظهره لم يكن معصية، ولا استبعاد فيه فإنه أكثر الخلق ليس باختياري، ويمكن أن يراد به ما يعم الغبطة وتكون هذه هي الحاصلة فيهم - انتهى كلامه زيد إكرامه.

أقول: وما يؤيد على بعد تأويل شيخنا الصدوق عطر الله مرقده في الحديث الذي ذكره في الخصال أنه لا مجال لحمل هذا المعنى الذي تحمل عليه من أن يكون مما يمكن حصوله للجميع لا بأن يحمل في حق المعصومين على معنى وفي حق غيرهم على آخر، وأما المعنى الأول الذي ذكره شيخنا المجلسي قدس سره فالظاهر بعده فإنه لا ريب أن الحسد من الصفات القلبية الذميمة وهي عبارة عن تمنيه ذهاب النعمة المحسود بها عن صاحبها وخلوه منها، ولا مدخل لظهور الأثر في ذلك ويفصح عنه كلام العلماء الأعلام من أهل اللغة وغيرهم وقوله «ولا استبعاد فيه» إلى آخره ممنوع، ودعوى أنه في أكثر الخلق ليس باختياري أظهر منعاً. نعم ما ذكره من أن المعنى الثاني وهو الحمل على الغبطة التي هي عبارة عن تمني الإنسان تلك النعمة التي عليها المغبوط من غير أن يتمنى زوالها عنه هو الظاهر عندي، وعليه تحمل تلك الأخبار الدالة على أن

(١) سورة النمل، الآية: ٤٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٢٤ - ٢٥.

الحسد لا يخلو منه أحد نبي فمن دونه، وذلك لمقتضى الجبلة البشرية والطبيعة الآدمية أن الإنسان متى رأى غيره في نعمة ومنزلة علية ولا سيما النعم الآخروية والمنازل العلية تاقت نفسه متى كان قاصراً عنها ومنحط الرتبة دونها أن يرزق ذلك وهو الذي يكون في أكثر الخلق بل في كل الخلق ليس باختياري لا المعنى الأول.

ويدل على ما ذكرناه بأوضح دلالة ما رواه شيخنا الصدوق قدس الله سره في كتاب عيون أخبار الرضا وغيره في حديث ذكر فيه ابتلاء آدم بالأكل من الشجرة قال فيه: إن الله سبحانه وتعالى قال له بعد أن نظر إلى ساق العرش عليه مكتوب: «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين» فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟

قال عزّ وجلّ: «هؤلاء ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي، فلولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء ولا الأرض فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك من جواري»، فنظر إليهم بغير الحسد وتمنى منزلتهم فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهي عنها وتسلط على حوا لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة- الحديث، ومثله حديث آخر في كتاب معاني الأخبار.

وكيف كان فيجب تخصيص ذلك بما عدا نبينا صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فإن منزلتهم لما كانت أعلى المنازل عند الله عزّ وجلّ ولا منزلة أعلى منها فلا يحصل منهم حسد لأحد يتمنى منزلته إذ هي دون منازلهم، والإنسان لا يتمنى إلا ما فوق منزلته.

لبعضهم:

البدر يطلع من جبينه

[البحر الكامل]

قمر تكاملَ في نهايةِ سعدِه   يحكي القضيب على رشاقةِ قدِّه
البدرُ يطلعُ من بياضِ جبينِه   والشمسُ تغربُ في شقائقِ خدِّه
حازَ الكمالَ بأسرِه فكأنّما   حسنُ البريةِ كلُّها من عندِه

قال آخر:

حسن الحبيب

[البحر البسيط التام]

الوردُ في خدِّه والدرُّ في فيِه   والبدرُ عن وجهِهِ في الحسنِ يحْكيه
أقولُ قولَ زليخا في عواذِلها   فذالكُنَّ الذي لُمتُنَّني فيهِ

قال عمر بن الوري:

مليح

[البحر الخفيف]

ومـلـيـحٍ إذا الـنُّـحـاةُ رأوه فـضّـلـوه عـلـى بـديـعِ الـزّمـانِ
بـرضـابٍ عـن الـمـبـرّدِ يـروى ونـهـودٍ تـرْوي عـن الـرّمـانِ

وله أيضاً وقد كان جالساً في مجلس بعض القضاة فمر به صبي في أذنه قرط فيه لؤلؤة فقال:

أبو لؤلؤة

[البحر الرجز المشطور]

مـرَّ بـنـا مـقـرَّطٌ ووجـهُـه يـحـكـي الـقـمـرْ
قـلـتُ أبـو لـؤلـؤةٍ مـنـه خـذُوا ثـارِ عـمـرْ

من شعر الحماسة:

خواطر

[البحر الوافر]

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريهِ وفـي أثـوابِـه أسـدٌ مـزيـرُ
ويـعـجـبُـك الـطّـريـرُ فـتـبـتـلِـيـه فيُخلِفُ ظنَّك الرجلُ الطّريرُ
فما عظمُ الرجالِ لهم بفخرٍ ولـكـنْ فـخـرُهـم كـرمٌ وخـيـرُ
ضعافُ الطيرِ أطولُها جُسوماً ولـم تطلِ البُزاة ولا الصقورُ
بُـغـاثُ الـطـيـرِ أكـثـرُهـا فِـراشـاً وأمُّ الـصـقـرِ مـقـلاةٌ نـزورُ
لـقـد عـظـمَ الـبـعـيرُ بـغـيـرِ لـبٍّ فـلـم يـسـتـغـنِ بـالـعـظـمِ الـبـعـيرُ

الداهية الباقعة

قيل لبعض الحكماء: ما بال القصار أدهى وأحدق؟

فقال: لقرب قلوبهم من أدمغتهم.

أقول: ويؤيده قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة عند اختلاف الناس حيث قال: (وقريب الثغر بعيد السبر) قال الشارح ابن أبي الحديد: أي قد يكون الإنسان قصير القامة ومع ذلك داهية باقعة، والمراد بقرب ما بين طرفيه فليست بطنة عديدة ولا مستطيلة وهي ثغره، وإذا سبرته واختبرت ما عنده وجدته لبيباً فطناً لا يوقف على أسراره ولا يدرك باطنه- انتهى.

صورة: خط الشيخ حسن من خط شيخنا الشهيد رحمة الله عليه ما صورته من خط مولانا نصير الدين مد ظله العالي:

[البحر الكامل]

وقفَ العذارُ على أوائلِ خدِّه   مُتحيِّراً كتحيُّري في صدِّه
فقرأتُه فإذا عليه أسطرٌ   يا عاشقيهِ تزوّدوا من وردِه
يا من حكَى زهرَ الرياضِ بخدِّه   وحكى القضيبَ الخيزرانَ بقدِّه
دعْ عنك ذا السيف الذي قلّدْته   عيْناك أمْضى من مضاربِ حدِّه
كلُّ السيوفِ بواترٌ مشهورةٌ   وحسامُ لحظِك باترٌ في غمدِه
يا محسِناً وبكلّ أمرٍ منعماً   إلاّ عليَّ ومخلِفاً في وعدِه
لا تسمعن قول الوشاة فإنما   نقل الحديث إلى الحبيب بضده

جواب واختبار

نقل: عن بعض أهل الأدب أنه قال: خرجت إلى بعض نواحي البصرة فإذا أنا بامرأة لم أر بأجمل منها فقلت: أيتها المرأة أذات زوج أنت؟

فقالت: وما ذاك؟

فقلت: لنا فيه رأي. فقالت: أو كأنك تخطبني؟

قال: فقلت نعم قالت: وما تصنع بي وفي رأسي شيء لا أراك ترضيه قلت: نعم وما هو؟

قالت: شيب.

قال: فثنيت عنان دابتي راجعاً فقالت: قف حتى أخبرك شيئاً، فوقفت وقلت ما هو؟

قالت: والله العظيم ما بلغت العشرين بعد وهذا رأسي وكشفت عن عناقيد كالليل الأسود وما رأيت في رأسها بياضاً ثم قالت: أحببت أن تعلم أنا نكره منك ما تكره منا ثم أنشأت تقول:

[البحر الوافر]

أرى شيبَ الرّجالِ من الغَواني   بموضعِ شيبهنَّ من الرجالِ

قال: فرجعت والله خجلا كاسف البال أردد قول الشاعر: [البحر الكامل]

فجعلتُ أطلبُ وصلَها بتملُّقٍ   والشيبُ يأمرها بأنْ لا تفعلُ

تفضيل علي على الخلق عند عمر بن عبد العزيز

كتاب: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي من رواية ابن الكلبي قالا: بينا عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه إذ دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة ورجلان متعلقان بها ومعها كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب ففضه وإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من ميمون بن مهران سلام الله

عليك ورحمة الله وبركاته. أما بعد: فإنه ردد علينا أمر ضاقت به الصدور وعجزت عنه الأوساع وهربنا بأنفسنا عنه ووكلنا إلى عالمه لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1] وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإن أباها يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن علي بن أبي طالب خير الأمة وأولاها برسول الله، وأنه يزعم أن ابنته طلقت وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهراً وهو يعلم أنها حرام عليه كأمه، وأن الزوج يقول له: كذبت وأثمت لقد بر قسمي وصدقت مقالتي وأنها امرأتي على رغم أنفك وغيظ قلبك، واجتمعوا لي يختصمون لي في ذلك فسألت الرجل عن يمينه فقال: نعم قد كان ذلك وقد حلفت بطلاقها أن علياً خير الأمة وأولاها برسول الله ﷺ عرفه من عرفه وأنكره من أنكره فليغضب من غضب وليرض من رضي، وتسامع الناس بذلك فاجتمعوا له وإن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتى، وقد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله، وإنهما تعلقا بها وأقسم أبوها أن لا يدعها معه وأقسم زوجها أن لا يفارقها ولو ضربت عنقه إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه، فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين أحسن الله توفيقك وأرشدك وكتب في أسفل الكتاب: [البحر الوافر]

إذا ما المشكلاتُ وردْن يوماً فحارتْ في تأمُّلِها العيونُ
وضاقَ القومُ ذرعاً عن بناها فأنتَ لها أبا حفصٍ أمينُ
لأنَّك قد حويت العلمَ طُرّاً وأحكمك التجاربُ والسّنونُ
وخلّفك الإلّه على الرّعايا فحظُّك فيهم الحظُّ الثمينُ

قال: فجمع عمر بني هاشم وبني أمية وأفخاذ قريش ثم قال لأب المرأة: ما تقول أيها الشيخ؟

قال: يا أمير المؤمنين هذا الرجل زوجته ابنتي وجهزته إليها بأحسن ما يجهز به مثلها حتى إذا أملت خيره ورجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذباً ثم أراد الإقامة معها. فقال له عمر: يا شيخ لعله لم يطلق امرأته فكيف حلف؟

فقال الشيخ: سبحان الله الذي حلف عليه لابين خنا وأن صح كذباً من أن يختلج في صدري منه شك مع سني وعلمي لأنه زعم أن علياً خير الأمة وإلا فامرأته طالق ثلاثاً. فقال للزوج: ما تقول هكذا حلفت؟

قال: نعم. فقيل: إنه لما قال نعم كاد المجلس يرتج بأهله وبنو أمية ينظرون إليه شزراً إلا أنهم لم ينطقوا بشيء كل ينظر إلى وجه عمر فأكب عمر ملياً ينكت الأرض والقوم صامتون

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

ينظرون ما يقوله ثم رفع رأسه وقال: [البحر الوافر]

إذا ولي الحكومة بين قوم أصابَ الحقَّ والتمس السَّدادا
وما خيرُ الأنامِ إذا تعدَّى خلاف الحقِّ واجتنبَ الرَّشادا

ثم قال للقوم: ما تقولون في يمين هذا الرجل؟

فسكتوا فقال سبحان الله قولوا. فقال رجل من بني أمية: هذا حكم في فروج ولسنا نجترئ على القول فيه وأنت عالم بالقول مؤتمن لهم وعليهم فقال: قل ما عندك فإن القول ما لم يكن يحق باطل أو يبطل حقاً جائز علي بمجلسي.

قال: لا أقول شيئاً، فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب فقال: وما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي؟

فاغتنمها فقال: يا أمير المؤمنين إن جعلت قولي حكماً وحكمي جائزاً قلت: وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي وأبقى للمودة قال: قل وقولك حكم وحكمك نافذ، فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا: ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ونحن من لحمتك وأولي رحمك فقال عمر: اسكتوا عجزاً ولو ما عرضت ذلك إليكم آنفاً فما انتدبتم به. قالوا: إنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي ولا حكمنا. فقال عمر: إن كان أصاب وأخطأتم وحزم وعجزتم وأبصر وعميتم فما ذنب عمر لا أبا لكم، أتدرون ما مثلكم؟

قالوا: لا ندري قال: لكن العقيلي يدري. ثم قال: ما تقول يا رجل؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، مثلهم كما قال الأول: [البحر الطويل]

دُعيتمْ إلى أمرٍ فلمّا عجزتمُ تناوله من لا يُداخِلُه عجزُ
فلمّا رأيتمْ ذاكَ أبدتْ نفوسُكم نَداماً وهل يُغني من الحذرِ الحوزُ

قال عمر: أحسنت وأصبت فقل ما سألتك عنه. قال: يا أمير المؤمنين بر قسمه ولم تطلق امرأته. قال: وإني علمت ذلك؟

قال: أنشدتك الله يا أمير المؤمنين ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة وهو عندها في بيتها عائداً لها: «يا بنية ما علتك؟».

قالت: الوعك يا أبتاه، وكان علي غائباً في بعض حوائج النبي ﷺ فقال لها: «أتشتهين شيئاً؟».

قالت: نعم أشتهي عنباً وأنا أعلم أنه عزيز وليس وقت عنب، فقال ﷺ «إن الله قادر على أن يجيئنا به، ثم قال: اللهم ائتنا به مع أفضل أمتي عندك منزلة»، فطرق علي الباب ودخل ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه فقال له النبي ﷺ: «ما هذا يا علي؟».

فقال: عنب التمسته إلى فاطمة. فقال: «الله أكبر الله أكبر اللهم كما سررتني بأن خصصت

علياً بدعوتي فاجعل فيه شفاء ابنتي»، ثم قال: «كلي على بركة الله تعالى يا بنية»، فأكلت وما خرج رسول الله ﷺ حتى استقلت وبرئت.

فقال له عمر: صدقت وبررت أشهد لقد سمعته ووعيته يا رجل خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه بالسيف، ثم قال: يا بني عبد مناف والله ما نجهل ما يعلم غيرنا ولا بنا عمي في ديننا ولكنك كما قال الأول:

تصيَّدتِ الدُّنيا رجالاً بفخِّها فلم يُدركوا خيراً بل استحقبوا شرّا
وأعماهمُ حبُّ الغِنى فأصمَّهم فلم يُدْركوا إلا الخسارة والوِزْرا

قيل: فكأنما ألقم بنو أمية حجراً ومضى الرجل بامرأته وكتب عمر إلى ميمون بن مهران. (سلام الله عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلا هو. أما بعد فإني قد فهمت كتابك وورد الرجلان والمرأة وقد صدق الله يمين الزوج وبر قسمه وأثبته على نكاحه واستيقن ذلك واعمل عليه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته).

بعض معتقدات النظامية

كتاب: الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (النظامية) أصحاب إبراهيم بن سيار بن هانىء النظام، قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وانفرد عن أصحابه بمسائل الأولى أن قال. الحادية عشرة ميله إلى الرفض ووقيعته في كبار الصحابة قال: أولاً لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفاً وقد نص النبي ﷺ على علي عليه السلام في مواضع وأظهره إظهاراً لم يشتبه على الجماعة إلا أن عمر كتم ذلك، وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة ونسبه إلى الشك يوم الحديبية في سؤاله عن الرسول ﷺ حين قال: أليسوا على الحق أليسوا على الباطل؟

قال: نعم قال: فلم نعط الدنية في ديننا.

وقال: هذا شك في الدين ووجد أن حرج في النفس مما قضى وحكم وزاد في الفرية. فقال إن عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح احرقوها بمن فيها وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين.

وقال: تغريبه نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة وإبداعه التراويح ونهيه عن متعة الحج ومصادرته العمال كل ذلك أحداث، ثم وقع في عثمان وذكر أحداثه من رده الحكم بن أمية إلى المدينة وهو طريد رسول الله ﷺ ونفيه أبا ذر إلى الربذة وهو صديق رسول الله ﷺ وتقليده الوليد الكوفة وهو من أفسد الناس ومعاوية الشام وعبد الله بن عامر البصرة وتزوجيه مروان بن الحكم ابنته وهم أفسدوا الأمر عليه وضربه عبد الله بن مسعود على إحضار المصحف وعلى

القول الذي شافهه به كل ذلك أحداثه، ثم زاد على خزيه ذلك أن علياً غاب وعبد الله بن مسعود لقولهما أقول فيها برأي، وكذب ابن مسعود في روايته (السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه) وفي روايته انشقاق القمر وتشبيه الجن بالبط وقد أنكروا الجن رأساً إلى غير ذلك من الوقعية الفاحشة في الصحابة رضي الله عنهم - انتهى.

نبذة من عقائد الزيدية

ومن: الكتاب المذكور قال الزيدية اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي ﷺ ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ولم يجوز وأثبتوا الإمامة في غيرها إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالماً زاهداً شجاعاً سخياً خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما ومن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين أبني عبد الله بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا على ذلك، وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذا الخصال ويكون كل واحد منهم واجب الطاعة.

وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلّى بالعلم فتلمذ في الأصول لواصل بن عطا الغزال رأس المعتزلة، مع اعتقاد واصل أن جده علي بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب وأن أحد الفريقين منهم كان على الخطأ لا بعينه، فاقتبس منه الاعتزال وصار أصحابه كلهم معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل.

فقيل: كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريباً وسيف أمير المؤمنين عليه السلام من دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت الملوك تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يقوم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله.

الا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب زعق الناس (لقد وليت علينا فظاً غليظاً) فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدته ولصلابته وغلظه في الدين وفظاظته على الأعداء حتى سكنهم أبو بكر كذلك أن كان يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم فيراجع في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا.

ولما سمعت شيعة الكوفة هذه الحال منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين فرفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة، وجرى بينه وبين أخيه محمد الباقر ﷺ مناظرات لا من هذا الوجه بل من حيث كان تلميذ الواصل بن عطا وتقبيس العلم فمن يجوز الخطأ على جده في قتال

الناكثين والقاسطين ومن يتكلم في القدر على غير ما يذهب إليه أهل البيت ومن حيث إنه كان شرط الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً حتى قال له يوماً على قضيته مذهبك والذي ليس بإمام فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج.

ولما قتل يزيد بن علي وصلب قام بالإمامة بعده ابن زيد ومضى إلى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة، وقد وصل إليه الخبر عن الصادق عليه السلام جعفر بن محمد بأنه يقتل كما قتل أبوه ويصلب كما صلب فجرى عليه الأمر كما أخبر، وقد فوض الأمر بعده إلى ابنيه محمد وإبراهيم الإمامين وخرجا بالمدينة ومضى إبراهيم إلى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا أيضاً وأخبرهم الصادق عليه السلام بجميع ما تم عليهم وعرفهم أن أباه أخبره بذلك وأن بني أمية يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها، وهم يستشعرون بعض أهل البيت ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وكان يشير إلى أبي العباس وأبي جعفر ابني محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (أنا لا نخوض في هذا الأمر حتى يتلاعب به هذان وأولادهما) فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة قتله هاشم بن عبد الملك، ويحيى بن زيد قتل بجورجان خراسان قتله أميرها، ومحمد الإمام قتله عيسى بن هامان بالمدينة، وإبراهيم الإمام قتل بالبصرة أمر بقتلهما المنصور، ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجبل ولم يتحلوا بدين الإسلام بعد، فدعا الناس دعوة إلى دين الإسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشوا عليه وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين فكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلي أمرهم، وخالف بني أعمامهم من الموسوية في مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الإمامية، وهم أصناف ثلاثة جارودية، وسليمانية، وبترية. والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد.

الجارودية: أصحاب أبي الجارود، زعموا أن النبي ﷺ نص على علي عليه السلام بالوصف دون التسمية والإمام بعده علي، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك. وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامة زيد بن علي فإنه لم يعتقدها هذا الاعتقاد.

واختلف الجارودية في التوقف والسوق فساق بعضهم الإمامة من علي إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم علي بن الحسين ثم إلى زيد بن علي ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وقالوا بأمته، وكان أبو حنيفة على بيعته ومن جملة شيعته حتى رفع الأمر إلى المنصور فحبسه حبس الأبد حتى مات في الحبس.

وقيل: إنه إنما بايع محمداً بن عبد الله الإمام في أيام المنصور ولما قتل محمد بالمدينة بقي الإمام أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت فرفع حاله إلى المنصور فتم عليه ما تم.

والذين قالوا بإمامة محمد الإمام اختلفوا: فمنهم من قال إنه لم يقتل وهو بعد حي وسيخرج فيملأ الأرض عدلاً، ومنهم من أقر بموته وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن علي الحسين بن علي صاحب الطالقان وقد أسر في أيام المعتصم وحمل إليه فحبسه في داره حتى مات، ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في أيام المستعين وحمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر حتى قال فيه بعض العلوية:

[البحر الوافر]

قتلتُ أعزَّ من ركبَ المطايا   وجئتُك أستلينُك في الكلامِ
وعزَّ عليَّ أنْ ألقاكَ إلاَّ   وفيما بيننا حدُّ الحسامِ

وهو يحيى بن عمرو بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي.

وأما أبو الجارود فكان يسمى (سرحوب) سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر بليغ قاله الباقر تفسيراً.

ومن أصحاب أبي الجارود فضيل الرسان وأبو خالد الواسطي، وهم مختلفون في الأحكام والسير فزعم بعضهم أن علم ولد الحسن والحسين كعلم النبي ﷺ فيحصل العلم قبل التعلم فطرة وضرورة، وبعضهم يزعم أن العلم مشترك فيهم وفي غيرهم وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة.

السليمانية: أصحاب سليمان بن جرير، وكان يقول: إن الإمامة شورى فيما بين الخلق ويصح أن ينعقد بعقد رجلين من أخيار المسلمين وأنها تصح في المفضول مع جود الأفضل، وأثبت إمامة أبي بكر وعمر حقاً باختيار الأمة حقاً اجتهادياً، وربما كان يقول إن الأمة أخطأت في البيعة لهما مع وجود علي خطأ لا يبلغ درجة الفسق وذلك الخطأ خطأ اجتهادي، غير أنه طعن في عثمان للأحداث التي أحدثها وكفره بذلك وكفر عائشة والزبير وطلحة بإقدامهم على قتال علي.

ثم إنه طعن في الرافضة فقال: إن أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر أحد قط عليهم.

أحدهما: القول بالبداء فإذا أظهروا قولاً إنه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا بدا الله تعالى في ذلك.

والثانية: التقية وكلما أرادوا تكلموا به فإذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا إنما قلناه تقية وفعلناه تقية. وتابعه على القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل قوم من المعتزلة منهم جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وكثير النوى، وهو من أصحاب الحديث قالوا الإمامة من مصالح الدين الذي يحتاج إليها لمعرفة الله تعالى وتوحده فإن ذلك حاصل بالعقول لأنها تحتاج إليها لإقامة الحدود والقضاء بين المتحاكمين وولاية اليتامى والأيامى وحفظ

البيضة واعلاء الكلمة ونصب القتال مع أعداء الدين، وحتى يكون المسلمين جماعة ولا يكون فوضى بين العامة، فلا يشترط فيها أن يكون الإمام أفضل الأئمة علماً وأقدمهم رأياً وحكماً، إذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل.

ومالت جماعة من أهل السنة إلى ذلك حتى جوزوا أن يكون الإمام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد، ولكن يجب أن يكون معه من يكون من أهل الاجتهاد فيراجعه في أحكامه ويستغنى منه في الحلال والحرام، ويجب أن يكون في الجملة ذا رأي متين وبصر في الحوادث نافذ.

الصالحية: أصحاب الحسن بن صالح بن حي والبترية أصحاب كثير النوري الأبتر وهما متفقان في المذهب، وقولهم في الإمامة كقول السليمانية إلا أنهم توقفوا في أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر؟

قالوا: إذا سمعنا الأخبار الواردة في كونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا يجب أن نحكم بصحة إيمانه وإسلامه وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها من اشتهاره بتربيته بني أمية وبني مروان واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة قلنا يجب أن يحكم بكفره، فتحيرنا في أمره وتوقفنا في حاله ووكلناه إلى أحكم الحاكمين.

وأما علي فهو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة لكنه سلم الأمر لهم راضياً وفوض الأمر إليهم طائعاً وترك حقه راغباً، فنحن راضون بما رضي مسلمون لما سلم لا يحل لنا غير ذلك ولم يرض علي بذلك لكان أبو بكر هالكاً وهم الذين جوزوا إمامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الأفضل راضياً بذلك وقالوا: من شهر سيفين من أولاد الحسن والحسين عليهما السلام وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام وشرط بعضهم صاحبة الوجه، ولهم خبط عظيم في إمامين وجد فيهما هذه الشرائط وشهرا سيفهما ينظر إلى الأفضل والأزهد وإن تساويا ينظر إلى الأمتن رأياً والأحزم، وإن تساويا وتقابلا ينقلب الأمر عليهم كلا ويعود الطلب جذعاً والإمام مأموراً والأمير مأموماً، ولو كانا في قطرين انفرد كل واحد منهما بقطر ويكون واجب الطاعة في قومه، ولو أتى أحدهما بخلاف ما يفتي به الآخر كان كل واحد منهما مصيباً وإن أفتى باستحلال دم الإمام الآخر.

وأكثرهم في زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأي واجتهاد. أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت، وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي- انتهى.

أقول: لا يخفى عليك أن ما نسبه إلى زيد بن علي رضي الله عنه من تتلمذه على واصل بن عطا ومخالفته لمذهب آبائه عليهم السلام فيما نقله عنه فرية بلا مرية، فإن الأخبار المروية عن الصادق عليه السلام

في حقه مما تؤذن بصحة عقيدته وأنه على مذهب آبائه، وأن خروجه رحمه الله ليس إلا لطلب الحق إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ويدلك على بطلان كلامه بأوضح دلالة ما نقله من مناظرة الباقر عليه السلام له في الإمامة من قوله له على قضية مذهبك ووالدك ليس بإمام فإن زيداً رحمه الله إنما خرج بعد موت أخيه الباقر عليه السلام في زمان الصادق عليه السلام بعد أن دخل على هشام بن عبد الملك وجرى له معه ما جرى كما هو مذكور في كتب السير ولم يكن يتحدث بالخروج قبل ذلك.

وبالجملة فأهل البيت أدرى بالذي فيه وأعلم بما في باطنه وخوافيه، وأخبارهم بمدح زيد والرضا عنه مستفيضة كما لا يخفى على من راجعها.

وأما الزيدية القائلون بإمامته فهم عند الأئمة عليهم السلام في عداد النصاب بلا شك ولا ارتياب كما صرحت به أخبارهم المنقولة في كتاب الكشي وغيره.

الاختلاف في المذاهب بعد علي عليه السلام

ومن الكتاب المذكور: قال الخلاف العاشر في زمان أمير المؤمنين عليه السلام بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له فأولاً خروج طلحة والزبير إلى مكة ثم حمل عائشة إلى البصرة ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل، والحق أنهما رجعا وتابا إذ ذكرهما أمراً فذكرا، فأما الزبير فقتله ابن جرموز فعرض وقت الانصراف وهو في النار لقول النبي صلى الله عليه وآله: «بشر قاتل ابن صفية بالنار» وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم وقت الاعراض فخر ميتاً، وأما عائشة فكانت محمولة على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت، والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين ومخالفة الخوارج وحمله على التحكيم ومغادرة عمر بن العاص أبا موسى الأشعري وبقاء الخلاف إلى وقت الوفاة مشهور. وكذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقداً وقولاً ونصب القتال معه فعلا ظاهر معروف.

وبالجملة كان علي رحمه الله مع الحق والحق معه وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث بن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حسين الطائي، وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبأ وجماعة معه ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وآله: «يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال» وانقسمت الاختلافات بعده إلى قسمين: أحدهما الاختلاف في الإمامة، والثاني الاختلاف في الأصول. والاختلاف في الإمامة على وجهين:

أحدهما القول بأن الإمامة تثبت بالاتفاق قال بإمامة كل من أتفقت عليه الإمامة أو جماعة معتبرة من الأمة إما مطلقا وإما بشرط أن يكون قرشياً على مذهب قوم أو بشرط أن يكون هاشمياً على مذهب قوم إلى شرائط أخرى كما سيأتي ومن قال بالأول قال بإمامة معاوية وأولاده وبعده بخلافة مروان وأولاده والخوارج اجتمعوا في كل زمان على واحد منهم بشرط أن يبقى على

مقتضى اعتقادهم ويجري على سنن العدل في معاملاتهم وإلا خذلوه وخلعوه وربما قتلوه، ومن قال بأن الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي فمنهم من قال إنما نص على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية، ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال إنه لم يمت فيرجع ويملأ العالم عدلاً ومنهم من قال إنه مات وانتقلت الإمامة بعده إلى ابنه أبي هاشم، وافترقت هؤلاء أيضاً فمنهم من قال الإمامة بقيت في عقبه وصية بعد وصية ومنهم من قال انتقلت إلى غيره، واختلفوا في ذلك الغير فمنهم من قال هو بنان بن سمعان النسري ومنهم من قال هو علي بن عبد الله بن عباس ومنهم من قال هو عبدلله بن عمر بن حرب الكندي ومنهم من قال هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء كلهم يقولون إن الدين طاعة رجل، ويتناولون أحكام الشرع كلها على شخص معين كما ستأتي مذاهبهم.

وأما من لم يقل بالنص على محمد ابن الحنفية قال بالنص على الحسن والحسين وقال لا إمامة في الآخرين إلا الحسن والحسين، ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من أجرى الإمامة في أولاد الحسن فقال بعده بإمامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم أخيه إبراهيم الإمامين، وقد خرجا في أيام المنصور وقتلا في أيامه ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الإمام، ومنهم من أجرى الوصية في أولاد الحسين عليه السلام وقال بعده في إمامة ابنه علي زين العابدين نصاً عليه، ثم اختلفوا بعده فقالت الزيدية بإمامة ابنه زيد ومذهبهم أن كل فاطمي خرج وهو عالم شجاع زاهد سخي كان إماماً واجب الاتباع، وجوزوا رجوع الإمامة إلى أولاد الحسن، ثم منهم من وقف وقال بالرجعة ومنهم من ساق وقال بإمامة كل من هذا حاله، وسيأتي تفصيل مذاهبهم.

وأما الإمامية فقالوا بإمامة محمد بن علي الباقر نصاً عليه ثم بإمامة جعفر بن محمد وصية إليه ثم اختلفوا في أولاده من المنصوص عليهم وهم خمسة محمد وإسماعيل وعبد الله وموسى وعلي، فمنهم من قال بإمامة محمد وهم العمارية ومنهم من قال بإمامة إسماعيل وأنكر موته في حياة أبيه وهم المباركية. ومن هؤلاء من وقف عليه وقال برجعته، ومنهم من ساق الإمامة في أولاده نصاً بعد نص إلى يومنا هذا وهم الإسماعيلية، ومنهم من قال بإمامة عبد الله الأفطح وقال برجعته بعد موته لأنه مات ولم يعقب، ومنهم من قال بإمامة موسى نصاً عليه إذ قال والده سابعكم قائمكم إلا وهو سمي صاحب التوراة، ثم اختلفوا فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته إذ قال لم يمت ومنهم من توقف في موته وهم الممطورة ومنهم من قطع بموته وساق الإمامة إلى ابنه علي بن موسى الرضا وهم القطعية ثم اختلفوا في كل ولد بعده فالاثنا عشرية ساقوا الإمامة من علي بن موسى الرضا إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه علي ثم إلى ابنه الحسن ثم إلى ابنه محمد القائم المنتظر الثاني عشر وقالوا هو حي لم يمت ويرجع ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وغيرهم ساقوا الإمامة إلى الحسن العسكري ثم قالوا بإمامة أخيه جعفر وقالوا بالتوقف عليه وقالوا بالشك في حال محمد، ولهم خبط طويل في سوق الإمامة، وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر المذاهب.

وأما الاختلافات في الأصول فحديث في آخر الصحابة بدعه معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى التقدير، ونسج على منواله واصل بن عطا الغزال وكان تلميذ الحسن البصري وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر وكان عمرو من دعاة يزيد ناقص أيام بني أمية ثم إلى المنصور وقال بإمامته ومدحه المنصور يوماً وقال: نثرت الحب للناس فالتقطوا غير عمرو بن عبيد.

والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية أبدعوا بدعتهم في زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول بالعزلة بين العزلتين فسمي هو وأصحابه معتزلة، وقد تلمذ له زيد بن علي وأخذ الأصول منه ولذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة ومن رفض زيد بن علي بأنه خالف أصول آبائه في المذاهب وفي التبري والتولي وهم من أهل الكوفة، وكانوا جماعة سميت رافضة ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون فخلطوا منهاجها بمناهج الكلام وأفردتها فناً من فنون العلم وسمتها باسم الكلام، أما الآن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقابلوا عليها هي مسألة الكلام فسمي النوع باسمها.

وأما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون العلم بالمنطق والكلام مترادفان فكان أبو الهذيل العلاف شيخهم الأكبر وافق الفلاسفة في أن الله الباري تعالى عالم بعلمه وعلمه ذاته وكذلك قادر بقدرته وقدرته ذاته وأبدع بدعاً في الكلام والإرادة وأفعال العباد والقول بالقدر والآجال والأرزاق كما سيأتي في حكاية مذهبه، وجرت بينه وبين هشام بن الحكم مناظرات في أحكام التشبيه وأبو يعقوب الشحام، والأدمي صاحبا أبي الهذيل وألقاه في ذلك كله، ثم إبراهيم بن سيار النظام في أيام المعتصم وكان أغلى في تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع في القدر والرفض وعن أصحابه بمسائل نذكرها. ومن أصحابه محمد بن شبيب وأبو شمر وموسى بن عمران والفصل الحدي وأحمد بن حائط، ووافقه الأسواري في جميع ما ذهب إليه من البدع، وكذلك الإسكافية أصحاب أبي جعفر الاسكاف والجعفرية أصحاب الجعفر بن جعفر بن مبشر وجعفر بن حارث.

ثم ظهرت بدع بشر بن المعتمر من القول بالتولد والإفراط فيه والميل إلى الطبيعيين من الفلاسفة والقول بأن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل وإذا فعل فهو ظالم إلى غير ذلك مما انفرد به عن أصحابه، وتلمذ له أبو موسى المزدار راهب المعتزلة وانفرد عنه بإبطال إعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة، وفي أيامه جرت أكثر التشديدات على السلف لقولهم بقدم القرآن، وتلمذ له الجعفران وأبو زفر ومحمد بن سويد صاحب المزدار وأبو جعفر الإسكافي وعيسى بن الهيثم صاحبا جعفر بن الحارث الأشج.

وممن بالغ في القول بالقدر هشام بن عمر القوطي والأصم اتفقا أن الله تعالى يستحيل أن يكون عالماً بالأشياء قبل كونها ومنعا كون المعدوم شيئاً، وأبو الحسن الخياط وأحمد بن علي

الشيوطي صحبا عيسى الصوفي ثم لزما أبا خالد وتلمذ الكعبي لأبي الحسن الخياط ومذهبه بعينه مذهبه.

وأما معمر بن عباد السلمي وثمامة بن أشرس النميري وعمرو بن بحر الجاحظ قد كانوا في زمان واحد متقارنين في الرأي والاعتقاد منفردين عن أصحابهم بمسائل نذكرها، والمتأخرون منهم أبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم والقاضي عبد الجبار وأبو الحسين البصري قد لخصوا طرق أصحابهم وانفردوا عنهم بمسائل سيأتي ذكرها.

ورونق علم الكلام ابتدأ من الخلفاء العباسية هارون والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وانتهاه من الصاحب ابن عباد وجماعة من الديالمة، وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين مثل ضرار وعمر وحفص الفرد والحسين النجار من المتأخرين خالفوا الشيوخ في مسائل وتبع أثرهم جهم بن صفوان في أيام نصر بن سيار وأظهر بدعة بالجبر ترمد وقتله سيالم بن أحرز المازني في آخر ملك بني أمية بمرو، وكانت بين المعتزلة وبين السلف في كل زمان اختلافات في الصفات وكانت السلف يناظرونهم عليها إلا على قانون كلامي بل على قول اقناعي ويسمون (الصفاتية) فمن مثبت صفات الباري بمعان قائمة بذاته ومن صفاته بصفات الخلق، وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة ويناظرون المعتزلة في قدم الكلام على قول ظاهر وكان عبد بن سعيد الكلابي وأبو العباس القنانسي والحارث المحاسبي أشدهم اتفاقاً وأمتنهم كلاماً، وجرت مناظرة بين أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وبين أستاذه أبي علي الجبائي في بعض مسائل التحسين والتنقيح فالزم الأشعري أستاذه بأمور لم يخرج عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز إلى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية فصار ذلك مذهباً منفرداً، وقوى طريقته جماعة من المحققين مثل القاضي أبي بكر الباقلاني والأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني والأستاذ أبي بكر فورك وليس بينهم كثير اختلاف، وتبع رجل متنفس بالزهد من سجستان يقال له أبو عبد الله الكرام قليل العلم ثم قد قمش من كل مذهب ضغثاً وأثبته في كتابه وروجه على أغنام عرجه وعور وسواد بلاد خراسان وانتظم بناموسه وصار ذلك مذهباً قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصاحب البلاد على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم، وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج وهو مجسم وحاشا غير محمد بن الهيضم فإنه مقارب - انتهى.

منتخبات شعرية وكلمات حكمية ونوادر وأخبار

كتاب نهج البلاغة: قال عليه السلام ما أضمر أحد شيئاً إلا أظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه. ومثل ذلك قول زهير بن أبي سلمى: [البحر الطويل]

ومهما تكنْ عند امرىءٍ من خليقةٍ ... وإنْ خالها تخْفى على الناسِ تُعلمِ

وقال آخر: [البحر الطويل]

تخبّرني العينانِ ما القلبُ كاتمٌ   ولا حنّ بالبغضاءِ والنظرِ الشّزر

وقال آخر: [البحر الوافر]

وفي عينيْك ترجمةٌ أراها   تدلُّ على الضّغائن والحقودِ
وأخلاقٌ عهدتُ اللّينَ فيها   غدتْ وكأنّها زبرُ الحديدِ
وقد عاهدْتني بخلافِ هذا   وقالَ اللهُ أوْفُوا بالعهودِ

وكان يقال: العين والوجه واللسان أصحاب أخبار على القلب.

للسيد الرضي: [البحر الكامل]

اعززْ عليَّ بأنْ نزلتَ بمنزلٍ   متشابه الامجادِ بالأوغادِ
في عصبةٍ جنبُوا إلى آجالِهم   والدهرُ يعجلُهم على الأورادِ
ضربُوا بمدرجةِ الفناءِ قبابَهم   من غيرِ أطنابٍ ولا أعمادِ
ركبٌ أناخُوا لا يُرجّى منهمُ   قصدُ بلا تُهمٍ ولا إنْجادِ
فتهافتُوا عن رحْلِ كلِّ مذلّلٍ   وتطارحُوا عن سرحِ كلِّ جوادِ
ما دان في صورِ الجميعِ وأنّهم   متفرّدون بقفرةِ الآحادِ

وله: [البحر الكامل]

ولقد حفظتُ له فأين حفاظُه   ولقد وفيتُ له فأينَ وفاؤه
ازعى الدّعاء فلم يجبْه أم انّه   قد ضلَّ عنه من العبادِ دعاؤه
هيهاتِ أصبحَ سمعُه وعيانُه   في التُّرب عنّا حجّبتْ أقداؤه
يُمْسي ولينُ مهادِه حصباؤه   فيه ومونِسُ ليله ظلماؤه
قد قلبّتْ أعيانُه وتنكّرتْ   أعلامُه وتكشّفتْ أضواؤه
مغفٍ وليس لِلذّةٍ اغفاؤه   مغضٍ وليس لفكرةٍ اغضاؤه
وجة كلمحِ البرقِ غاضٍ وميضُه   قلبٌ كصدرِ العضبِ قلَّ مضاؤه
حكمَ البلا فيه فلو تلقى به أعداؤه لرثى له أعداؤه

قال ابن أبي الحديد في كتابه المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر: إن ما زعم صاحب كتاب المثل السائر أنه استطراد وهو قول بعض شعراء الموصل يمدح الأمير قرواش بن المقلد وقد أمره أن يعبث بهجو وزيره سليمان بن فهد وحاجبه أبي جعفر ومغنيه البرقعيدي في ليلة من ليالي الشتاء وأراد بذلك الدعابة والولع بهم وهم في مجلس الشراب: [البحر الطويل]

وليلٍ كوجهِ البرقعيديّ ظلمةً   وبرداً عاليةً وطول قرونِه
شربتُ ونومي فيه نومُ مشرّدٍ   كعقلِ سليمانِ بنِ فهدٍ ودينِه
على الرقّ فيه التفاتٌ كأنّه   أبو جابرٍ في خطبِه وجنونِه

إلى أن بَدا ضوءُ الصباحِ كأنّه سنا وجهِ قرواشٍ وضوءُ جبينِه

فليس من الاستطراد في شيء لأن الشاعر قصد إلى هجاء كل واحد منهم ووضع الأبيات لذلك ومضمون الأبيات كله مقصود له، فكيف يكون استطراداً؟

العباس بن الأحنف: **[البحر السريع]**

قلبي إلى ما ضرَّني داعِي يكثرُ أحزاني وأوجاعي
كيفَ احتِراسي من عدوّي إذا كان عدوِّي بينَ أضلاعي

لبعضهم: **[البحر الخفيف]**

لم أقلْ للشبابِ في دعَةِ اللهِ ولا خفضِه غداةَ استقلّا
زائرٌ زارنا أقام قليلاً سوّدَ الصُّحف بالذنوبِ وولّى

الصفدي: **[البحر الرمل]**

أنا في حالي نقيضٌ معكمْ وهْو في شرعِ الهوى ما لا يسوغْ
بلِيِ الصبرُ وأضحَى هرِماً والمُنى في وصْلكم دون البلوغْ

قال بعض العارفين: إن أكل الحرام والشبهة مطرود عن الباب بغير شبهة، ألا ترى أن الجنب ممنوع عن دخول بيته والمحدث محرم عليه مس كتابه مع أن الجنابة والحدث أمران مباحان فكيف بمن هو منغمس في قدر الحرام وخبث الشبهات لا جرم أيضاً أنه مطرود عن ساحة القرب غير مأذون له في دخول الحرم.

من كلام الغزالي: الفرق بين الرجاء والأمنية أن الرجاء يكون على أصل والتمني لا يكون على أصل، مثاله من زرع واجتهد وجمع بيدراً ثم يقول (أرجو أن يحصل منه قفيز) فذلك منه رجاء، وآخر لا يزرع زرعاً ولا يعمل يوماً قد ذهب ونام وأغفل سنته فإذا جاء وقت الحصاد يقول (أرجو أن يحصل لي مائة) فيقال له من أين لك هذه الأمنية التي لا أصل لها، فكذلك العبد إذا اجتهد في عبادة الله والانتهاء من معاصيه يقول (أرجو أن يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب) فهذا رجاء منه، وأما إذا غفل وترك الطاعة وارتكب المعاصي ولم يبالِ بسخط الله ورضاه ووعده ووعيده ثم أخذ يقول (أرجو من الله الجنة والنجاة من النار) فذلك منه أمنية لا حاصل لها سماها رجاء، وحسن ظنه خطأ منه وجهلٌ.

قال بعضهم: رأيت أبا ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه من الاجتهاد فقلت: يرحمك الله إن رحمة الله واسعة، فغضب وقال: هل رأيت ما يدل على القنوط أن رحمة الله قريب من المحسنين، فأبكاني والله كلامه. لينظر العاقل إلى حال الرسل والأبدال والأولياء واجتهادهم في الطاعات وصرفهم العمر في العبادات لا يفترون عنها ليلاً ولا نهاراً أما كان لهم حسن ظن بالله، بلى والله أنهم كانوا أعلم بسعة رحمة الله وأحسن ظناً بجوده من كل ظان، ولقد علموا أن

ذلك بدون الجد والاجتهاد أمنية محضة وغر وربحت فاجهدوا أنفسهم في العبادة والطاعة ليتحقق لهم الرجاء الذي هو من أحسن البضاعة.

من تضمين البيتين ما يحكى أن الحيص بيص الشاعر قتل جرو كلبته، فأخذ بعض الشعراء كلبة وجعل على رقبتها رقعة وأطلقها عند باب الوزير فأخذت الرقعة وإذا فيها مكتوب:

[البحر البسيط التام]

يا أهلَ بغداد إنّ الحيصَ بيصَ أتى ... بجراَةٍ ألبسته العارَ في البلدِ
أبدَى شجاعتَه بالليلِ مجترياً ... على جروٌ ضعيفِ البطشِ والجلدِ
فأنشدتْ أمهُ من بعد ما احتسبتْ ... دمَ الابياقِ عند الواحدِ الصمدِ
أقولُ للنفسِ تأسيةً وتعزيةً ... إحدى يديَّ أصابتْني ولم تُردِ
كلاهُما خلفٌ من بعدِ صاحبِه ... هذا أخي حين أدعُوه وذا ولدي

والبيتان الأخيران لمرأة من العرب قتل أخوها وابنها.

النظام: [البحر الطويل]

توهَّمَه طرْفي فآلَمَ خدَّه ... فصارَ مكانَ الوهمِ من نظرٍ أثرْ
وصافحَه كفِّي فآلَمَ كفَّه ... فمن صفحِ في أناملِه عقرْ
ومرَّ بفكْري خاطرٌ فجرحتُه ... ولم أر خلْقًا قطُّ يجرحُه الفِكرْ

نقل: من بعض التواريخ أن كسرى سخط على بزرجمهر فحبسه في بيت مظلم وأمر أن يصفد بالحديد، فبقي أياماً على تلك الحال فأرسل إليه من سأله عن حاله فإذا هو منشرح الصدر مطمئن النفس فقال له: أنت في هذه الحالة من الضيق ونراك ناعم البال؟

فقال: أضفت ستة أخلاط وعجنتها واستعملتها فهي التي أبقتني على ما ترون. قالوا: صف لنا هذه الأخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى. فقال: نعم أما الخلط الأول فالثقة بالله عز وجل، وأما الثاني فكل مقدر كائن، وأما الثالث فالصبر خير ما استعمله الممتحن، وأما الرابع فإذا لم أصبر فماذا أصنع ولا أعين على نفسي بالجوع، وأما الخامس فقد يكون أشد مما أنا فيه، وأما السادس فمن ساعة إلى ساعة فرج فبلغ ما قاله إلى كسرى فأطلقه وأعزه.

الناحوزي: [البحر الرجز المجزوء]

قالتْ وقد فتشتُ عنها كلَّ من ... لاقيتُه من حاضرٍ أو بادِ
أنا في فؤادِك فارم طرْفك نحوهُ ... ترني فقلتُ لها وأينَ فؤادِي
ولكمْ تمنيتُ الفراقَ مغالِطاً ... واحتلتُ في استثمارِ غرسِ ودادي
وطمعتُ منها في الوصالِ لانّها ... تُبنى الأمورُ على خلافِ مُرادي

غيره: [البحر البسيط التام]

كم من قويٍّ قويٍّ في تقلّبهِ | مهذّبِ الرأيِ عنه الرّزقُ مُنحرفُ
وكم ضعيفٍ ضعيفٍ في تقلّبِه | كأنّه من خليجِ البحرِ يغترفُ
هـذا دليـلٌ عـلـى أنَّ الإلـه لـه | في الخلقِ سرٌّ خفيٌّ ليس ينكشفُ

بشار: [البحر الطويل]

سلبتُ عِظامي لحمَها فتركتُها | عواري في أجْلادِها تتكسَّرُ
وأخليتُ منها مُخَّها فتركتُها | أنابيبَ في أجوافِها الريحُ تصفرُ
خُذي بيدي ثم اكْشفي الثوب تنظري | ضنًى جَسدي لكنّني أتستّرُ
وليس الذي يجري من العين ماؤُها | ولكنّها نفسٌ تذوبُ فتقطرُ

وقد ضمن بعض المتأخرين البيت الثالث في الفانوس فقال: [البحر الطويل]

يقولُ لي الفانوسُ حينَ رأيتُه | وفي قلبِه نارٌ من الوجدِ تسعُرُ
خذُوا بيدي ثم اكشفُوا الثوبَ وانظُروا | ضنًى جَسدي لكنّني أتستّرُ

لابن الجهني: [البحر البسيط التام]

يا مطْلباً ليس لي في غيرِه أربٌ | إليكَ منّي التّصابي وانتَهى الطلبُ
وما طمحتُ لمرأىً أو لمستمعٍ | إلاّ لمعْنى إلى علْياك ينتسبُ
وما أراني هلالاً أن تواصلني | حسبي علوّاً بأنّي فيك مكتتبُ
لكنْ ينازعُ شوقي نارَه أدبي | فاطلبُ الوصلَ لمّا يضعفُ الأدبُ
ولستُ أبرحُ في الحالينِ ذا ومقٍ | نامٍ وشوقٌ له في أضلعي لهبُ
ومدمعٍ كلّما كفكفتُ أدمعه | صوناً لذكراك يعصيني وينسكبُ
والهفَ نفسي لو يُجدي تلهُّفُها | غوْثاه واحربا لو ينفعُ الحربُ
يمضي الزمانُ وإشْراقي مضاعفةٌ | يا للرجالِ ولا وصلٌ ولا سببُ
يا بارِقاً بأعالي الرّقمتينِ بدا | لقد حكيتَ ولكنْ فاتك الشّنبُ
أمّا خفوقُ فؤادي فهو عن سببٍ | ومن خفوقِك قلْ لي ما هو السببُ

غيره لغيره: [البحر الخفيف]

كيفَ ترجُو الصّلاحَ من أمرِ قومٍ | ضيّعوا الحزمَ فيه أيَّ ضياعِ
فمطاعُ المقالِ غيرُ سديدٍ | وسديدُ المقالِ غيرُ مطاعِ

ومما قيل فيه أيضاً: [البحر الكامل]

انظرْ إلى الفانوسِ تلقَ متيّماً | ذرفتْ على فقدِ الحبيبِ دموعُه
أحيَ لياليهِ بقلبٍ مضرمٍ | وتعدُّ من تحتِ القميصِ ضُلوعُه

البيتان من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۢ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾(١) قدمهم بالوعد في الرزق على أولادهم لكون الخطاب مع الفقراء بدليل قوله تعالى من ﴿إِمْلَٰقٍ﴾ فكان رزق أنفسهم أهم بخلاف قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۢ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾(٢) فإن المخاطبين أغنياء بدليل قوله تعالى: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾(٣).

قال بعضهم: متاع التاجر في كيسه ومتاع العالم في كراريسه:

قال يحيى بن معاذ: انكسار العاصين أفضل عندنا من صولة المطيعين.

البستي: [البحر الخفيف]

إذا اصبحتِ الملوكُ فالبسْ ... من التوقّي أعزَّ ملبسْ
وادخلْ إذا ما دخلْتَ أعمَى ... واخرجْ إذا ما خَرجتَ أخرسْ

لبعضهم: [البحر الكامل المجزوء]

إنّ الأميرَ هوَ الّذي ... يُمسي أميراً يوم عزلهْ
إنْ زالَ سلطانُ الولايةِ ... فهوَ في سلطانِ فضلهْ

قال بعضهم: عشيرتك من أحسن وعمك من عمك خيره وقرابتك من قرب منك نفعه.

سأل بعض العارفين امرأة في البادية: ما الحب عندكم؟

فقالت: جل فلا يخفى ودق فلا يرى وهو كامن في الحشا كمون النار في الصفا إن قدحته أورى وإن تركته توارى.

قصيدة للوزير مؤيد الدين الطغرائي

الوزير السعيد مؤيد الدين الطغرائي: [البحر البسيط التام]

أصالةُ الرّأيِ صانتني عن الخطلِ ... وحليةُ الفضلِ زانتني عنِ العطلِ
مجْدي أخيراً ومجْدي أولاً شرعٌ ... والشمسُ رأدَ الضُحى كالشمسِ في الطَّفلِ
فيما الإقامةُ بالزوراءِ لا سكني ... فيها ولا ناقتي فيها ولا جمَلي
ناءٍ عنِ الأهلِ صفرُ الكفِّ منفردٌ ... كالسيفِ عُرّيَ متْناه من الخُللِ
فلا صديقٌ إليه منتهى حزنِ ... ولا أنيسٌ إليه منتهى جذلي
طالَ اغترابيَ حتى حنَّ راحِلتي ... ورحلُها وقِرى العسّالة الذُّبلِ
وضجَّ من لغبٍ نضوي وعجّ لما ... ألقى رِكابي ولجّ الركبُ في عَذلي

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

أريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها ... على قضاءِ حقوقٍ للعُلى قِبلي
والدهرُ يعكسُ آمالي ويقنعُني ... من الغنيمةِ بعدَ الكدِّ بالقفلِ
وذي شطاطٍ كصدرِ الرمحِ معتقلٍ ... لمثلِه غير هيابٍ ولا وكلِ
حلوُ الفكاهةِ مرُّ الجدِّ قد مزجتْ ... بقسوةِ الباسِ منه رقَّةُ الغزلِ
طردتُ سرحَ الكَرى عن وِرْدِ مقلتِه ... والليلُ يُغري سوامَ النومِ بالمقلِ
والركبُ ميلٌ عن الأكوارِ من طربٍ ... صاحٍ وآخرُ من خمرِ الهَوى ثملِ
فقلتُ ادعوك لتنصرني ... وأنتَ تخذلُني في الحادثِ الجللِ
تنامُ عيني وعينُ النجمِ ساهرةٌ ... وتستحيلُ وصبغُ الليلِ لم يحُلِ
فهل تعينُ على غيٍّ هممتُ به ... والغيُّ يزجرُ أحياناً عن الفشلِ
إني أريدُ طروقَ الحيِّ من أضمٍ ... وقد حمتْه حُماةٌ من بني ثعلِ
يحمون بالبيضِ والسمرِ اللدانِ به ... سودَ الغدايرِ حمرَ الحليِ والحُللِ
فسرْ بنا في ذمامِ الليلِ مهتدياً ... فنفحةُ الطيبِ تهدينا إلى الحللِ
فالحبُّ حيثُ العِدى والأسدُ رابضةٌ ... حولَ الكناسِ لها غابٌ من الأسلِ
تؤمُّ ناشيةً بالجزعِ قد سقيتْ ... نصالُها بمياهِ الغنجِ والكحلِ
قد زاد طيبَ أحاديثِ الكرامِ بها ... ما بالكرائمِ من جبنٍ ومن بُخُلِ
تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كبدٍ ... حرّى ونار القِرى منهم على القُللِ
يقتلْنَ أنضاءَ حبٍّ لا حراكَ بها ... وينحرون كرامَ الخيلِ والإبلِ
يشفى لديغُ العوالي في بيوتِهمُ ... بنهلةٍ من غديرِ الخمرِ والعسلِ
لعلَّ إلمامةً بالجزعِ ثانيةً ... يدبُّ منها نسيمُ البُرءِ في عللِ
لا أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شفعتْ ... برشقةٍ من نبالِ الأعينِ النجلِ
ولا أهابُ الصِّفاحَ البيضَ تُسعدني ... باللمحِ من صفحاتِ البيضِ في الكللِ
ولا أخلُّ بغزلانٍ تُغازلُني ... ولو دهتْني أسودُ الغيلِ بالغيلِ
حبُّ السلامةِ يثني همَّ صاحبِه ... عن المعالي ويُغري المرءَ بالكسلِ
فإن جنحتَ إليه فاتخذْ نفقاً ... في الأرضِ أو سلّماً في الجوِّ فاعتزلِ
ودعْ غمارَ العُلى للمقدِمين على ... ركوبِها واقتنعْ منهنَّ بالبللِ
رضا الذليلِ بخفضِ العيشِ يخفضُه ... والعزُّ بين رسيمِ الأينقِ الذُّللِ
فادرأْ بها في نحورِ البيدِ جافلةً ... معارضاتٍ مثاني اللُّجمِ بالجدلِ
إنّ العُلى حدّثتْني وهي صادقةٌ ... فيما تحدِّثُ أنّ العزَّ في النقلِ
لو كان في شرفِ المأوى بلوغُ مُنىً ... لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحملِ

وأهبطُ الخطَّ لو ناديتُ مُستمِعاً ... والخطُّ عنّي بالجهّالِ في شغلِ
لعله إن بدا فضلي ونقصهم ... لمعينه نام عنه أو تنبه لي
لم أرضَ بالعيشِ والأيامُ مقبلةٌ ... فكيف أرضى وقد ولّت على عجلِ
أعلّل النفسَ بالآمالِ أرقبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ
غالى بنفسيَ عِرفاني بقيمتِها ... فصنتُها عن رخيصِ القدرِ مبتذلِ
وعادةُ النّصلِ أن يزهو بجوهرِه ... وليس يعملُ إلاّ في يديْ بطلِ
ما كنتُ أوثرُ أن يمتدّ في زمني ... حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسفلِ
تقدّمتني أناسٌ كان شوطُهم ... وراءَ خطْوي إذا أمْشي على مهلِ
هذا جزاءُ امرىءٍ إخوانُه درجوا ... من قبلِه فتمنّوا فسحةَ الأجلِ
وإنْ علانيَ منْ دوني فلا عجبٌ ... لي أسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زحلِ
فاصبرْ لها غيرَ محتالٍ ولا ضجرٍ ... في حادثِ الدهرِ ما يغني عن الحيلِ
أعدَى عدوّك أدنى من وثقتَ به ... فحاذرِ الناسَ واصحبْهم على دخلِ
وحسنُ ظنّك في الأيامِ معجزةٌ ... فظنَّ شرّاً وكنْ منها على وجلِ
فإنّما رجلُ الدّنيا وواحدُها ... من لا يعوّلُ في الدّنيا على رجلِ
هجرَ الوفاءَ وفاضَ العذرُ وانفرجتْ ... مسافةُ الخلفِ بين القولِ والعملِ
وشانَ صدقَك عند الناسِ كذبُهم ... وهل يطابقُ معوجٌ بمعتدلِ
إن كان ينجعُ شيءٌ في ثباتِهمُ ... على العهودِ فسبقُ السيفِ للعذلِ
يا وارداً سُورَ عيشٍ كلُّه كدرٌ ... انفقْت صفوك في أيامِك الأولِ
فيمَ اقتحامك لجَّ البحرِ تركبُهُ ... وأنتَ يكفيكَ منها مصةُ الوشلِ
ملكُ القناعةِ لا يُخشى عليه ولا ... يُحتاجُ فيه إلى الأعوانِ والخولِ
ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثباتَ لها ... فهل سمعتَ بظلٍّ غيرِ منتقلِ
ويا خبيراً على الأسرارِ مطّلِعاً ... اصمتْ ففي الصمتِ منجاةٌ من الزّللِ
قد رشّحوك لأمرٍ لو فطنتَ له ... فاربأ بنفسِك أن ترعى مع الهملِ

ما أحسن ما قال المتنبي: **[البحر الكامل]**

إنْ أنت أكرمتَ الكريمَ ملكتَه ... وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدا
ووضعُ النّدى في موضعِ السيفِ بالعُلى ... مضرٌّ كوضعِ السّيف في موضعِ النّدى

كتاب أنيس العقلاء: اعلم أن النصر من الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر.

قال بعض الحكماء: بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور.

وقاب بعضهم عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج.

ولله در من قال: [البحر الرجز الشطور]

الصبرُ مفتاحٌ وكلُّ صعبٍ به يهون
فاصبرْ وإنْ طالتِ اللّيالي فربَّما أمكنَ الحزونُ
وربّما نيل باصطبارٍ ما قيلَ هيهاتِ لا يكونُ

كتاب: تعبير الرؤيا للكليني قدس الله سره جاء رجل إلى الصادق عليه السلام وقال: رأيت أن في بستاني كرماً يحمل بطيخاً؟

فقال له: احفظ امرأتك لا تحمل من غيرك.

وأتاه رجل فقال: كنت في سفر فرأيت كأن كبشين ينتطحان على فرج امرأتي وقد عزمت على طلاقها.

فقال صلوات الله عليه: امسك أهلك لأنها لما سمعت بقرب قدومك أرادت نتف ذلك المكان فعالجته بالمقراض.

ربيع الأبرار: إن إبليس قال: إلّهي إن عبادك يحبونك ويعصونك ويبغضوني ويطيعوني. فأتاه الجواب: إني عفوت عنهم ما أطاعوك بما أبغضوك وقبلت منهم إيمانهم وإن لم يطيعوني بما أحبوني.

إخبار أمير المؤمنين عن زوال ملك بني العباس

الكشكول البهائي: رأيت في بعض التواريخ ما صورته من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في زوال دولة بني العباس ملك بني العباس عسر لا يسر فيه لو اجتمع الترك والديلم والهند والسند على أن يزيلوا ملكهم لما قدروا أن يزيلوه حتى يشتد عنهم مواليهم وأرباب دولتهم ويسلط عليهم ملك من الترك جهوري في الصوت يأتي عليهم من حيث بدا ملكهم لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع إلا نكسها الويل الويل لمن ناواه فلا يزال كذلك حتى يظفر ثم يدفع ظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به.

قال صاحب التاريخ: أريد بذلك هلاكو خان حيث أتى من ناحية خراسان ومنها ابتدأ ملك بني العباس فإن أول ما أخذت البيعة لهم في خراسان بسعي أبي مسلم، وحكاية قتل هلاكوخان للمستعصم العباسي مشهور، وأراد بقوله (ثم يدفع ظفره إلى رجل من عترتي) المهدي المنتظر خروجه كما جاء في الخبر.

قال في نهج الحق: سلمت الحلة والكوفة والمشهد من القتل في وقعة هلاكوخان، فإنه ورد بغداد كاتبه أبي والسيد ابن طاوس والفقيه ابن الفر وسألوا الأمان قبل فتح بغداد فطلبهم فخافوا فمضى إليه والدي خاصة فقال وكيف أقمت على المكاتبة قبل الظفر؟

فقال: لأن أمير المؤمنين قد أخبرك وتلا عليه الخبر- انتهى.

جواب ولا تصحيح له

كشكول شيخنا البهائي: مر رجل إلى أبي بكر ومعه ثوب فقال أبو بكر، أتبيعه؟

فقال: لا يرحمك الله.

فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت ولا ويرحمك الله؟

قال كاتب الأحرف اعتراض أبي بكر غير وارد على ذلك الرجل لاحتمال أن يكون قصده من قوله (لا يرحمك الله): ومعنى غير محتاج إلى الواو فتأمل- انتهى.

ومنه: وحكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء فقال: لا وأيد الله الأمير.

فقال المأمون: ما أظرف هذا الواو وما أحسن موضعها. وكان الصاحب يقول: هذه الواو حسن من واوات الأصداغ.

تصريف وتحويل

ومنه: سأل بعض العارفين من المتأخرين عن ظهور المؤاخذة في مظاهر الكثرة فقال التصريف تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا يحصل إلا بها.

أقول: ربما يتوهم من نقل شيخنا المشار إليه تمثل هذه المقالات الباطلة مثله إلى ذلك وهو باطل بغير شبهه كما أوضحناه في محل أليق. ومضمون هذا الكلام هو القول بوحدة الوجود الذي هو في الواقع كفر بالله سبحانه وجحود كما حققناه في رسالة الرد على بعض الصوفية.

المغبون

قيل: إنه روى عبد الله بن جعفر وهو يماكس في درهم وأنت الذي تجود بما تجود فقال: نعم ما لي جدت وهل عقلي تجلت به. أقول: وهذا ما أشير إليه في بعض الأخبار أن المغبون لا مثاب ولا ممدوح

رسالة ابن العربي إلى الرازي

كشكول شيخنا البهائي: هذه كتابة كتبها العارف الواصل الصمدي الشيخ محيي الدين بن عربي حشره الله تعالى مع أحبته إلى الإمام فخر الدين الرازي: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام عباده الذين اصطفى الله وعلي ولي في الله فخر الدين محمد أعلى الله همته وأفاض عليه بركاته ورحمته.

وبعد: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾(١) وقد وقعت على بعض تآليف وما أيدك الله من القوة النحيلة والفكر الجيد ومتى نفدت النفس كسب يديها فإنها لا تجد حلاوة الجود والوهب وتكون ممن أكل من تحته والرجل من يأكل من فوقه كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾(٢).

وليعلم وليي وفقه الله تعالى أن الموارثة الكاملة وهي التي تكون من أكمل الوجوه لا من بعضها والعلماء ورثة الأنبياء، فينبغي للعالم العاقل أن يجتهد لأن يكون وارثاً من كل الوجوه ولا يكون ناقص الهمة، وقد علم وليي وفقه الله تعالى أن أحسن الطبيعة الإنسانية إنما تحمله من المعارف الإلَهية وقبحها بضد ذلك، فينبغي لعالي الهمة أن لا يقطع عمره في معرفة المحدثات وتفاصيلها فيفوته حظه من ربه.

وينبغي له أيضاً أن يسرح بنفسه في سلطان فكره، فإن الفكر يعلم مأخذه والحق المطلوب ليس ذلك، والعلم بالله خلاف العلم بوجود الله فينبغي للعاقل أن يخلي قلبه من الفكر إذا أراد معرفة الله من حيث المشاهدة.

وينبغي لعالي الهمة أن لا يكون تلقيه عند هذا من عالم الخيال وهي الأنوار المتحدة الدالة على معان، فإن الخيال ينزل المعاني العقلية في القوالب الحسية كالعلم في صورة اللبن والقرآن في صورة الجبل والدين في صورة القبة.

وينبغي لعالي الهمة أن لا يكون معلمه موثباً كما لا ينبغي أن يأخذ من فقير أصلا، وكلما لا كمال له إلا بغيره فهو فقير وهذا حال كلما سوى الله تعالى فارفع الهمة في أن لا تأخذ علماً إلا من الله تعالى على الكشف واليقين.

واعلم أن أهل الأفكار إذا بلغوا فيه غاية القصوى إذا هم فكرهم إلى حال المقلد المصمم فإن الأمر أجل وأعظم من أن يقف فيه الفكر فما دام الفكر موجوداً فمن للحالي أن يطمئن القلب ويسكن، وللعقول حد يقف عنده من حيث قوتها في التصرف الفكري ولها صفة القبول لما يهبه الله تعالى فإذاً ينبغي للعاقل أن يتعرض لنفحات الجود ولا يبقى مأسوراً في قيد نظره وكسبه فإنه على شبهة في ذلك، ولقد أخبرني من ألفت به من إخوانك من له فيك نية حسنة أنه رآك وقد بكيت يوماً فسألك وهو من حضر عن بكائك؟

فقلت: مسألة اعتقدتها منذ ثلاثين سنة تبين لي الساعة بدليل لاح لي أن الأمر على خلاف ما كان عندي فبكيت وقلت: لعل الذي لاح أيضاً أن يكون مثل الأول. فهذا قولك ومن المحال على الواقف بمرتبة العقل والفكر أن يسكن أو يستريح ولا سيما في معرفة الله تعالى فما لك يا أخي تبقى في ورطة ولا تدخل طريق الرياضات والمكاشفات والمجاهدات والخلوات التي

---

(١) سورة العصر، الآية: ٣. (٢) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

شرعها رسول الله ﷺ فتنال ما نال من قال فيه سبحانه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[1] ومثلك من يتعرض لهذه الحطة الشريفة والمرتبة العظيمة الرفيعة.

وليعلم وليي وفقه الله تعالى أن كل موجود عند سبب ذلك السبب محدث مثله فإن له وجهين: وجه ينظر به إلى سببه ووجه ينظر إلى موجده وهو الله تعالى فالناس كلهم ناظرون إلى وجوه أسبابهم بار الحكماء والفلاسفة كلهم وغيرهم إلا المحققين من أهل الله كالأنبياء والأولياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام، فإنهم مع معرفتهم بالسبب ناظرون من الوجه الآخر إلى موجدهم، ومنهم من نظر إلى ربه من وجه سببه لا من وجهه فقال حدثني قلبي عن ربي وقال الآخر وهو الكامل حدثني ربي، ومن كان وجوده مستفاداً من غيره فإن حكمه عندنا حكم لا شيء، فليس للعارف معول إلا الله سبحانه البته.

واعلم أن الوجه الإلّهي الذي هو الله اسم لجميع الأسماء مثل الرب والقدير والشكور وجميعها كالذات الجامعة لما فيها من الذات، فاسم الله مستغرق جميع الأسماء فتحفظ عند المشاهدة وانظر أي اسم من أسماء الإلّهية ينظر إليها فذلك الاسم هو الذي خاطبك أو شاهدته فهو المعبر عنه بالتحول في الصورة كالغريق إذا قال: الله فمعناه يا غياثاً ويا منجي أو يا منقذ، وصاحب الألم إذا قال: يا الله فمعناه يا شافي أو يا معافي أو ما أشبه ذلك، وقولي لك (التحول في الصورة) ما رواه مسلم في صحيحه أن الباري تعالى يتجلى فينكر ويتعوذ منه فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها فيقرون بعد الإنكار، وهذا هو معنى المشاهدة هنا والمناجاة والمخاطبات الربانية.

وينبغي للعاقل أن لا يطلب من العلوم إلا ما يكمل به ذاته وينتقل معه حيث انتقل وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى، وقد علمك بالطب إنما يحتاج إليه في عالم الأمراض والأسقام فإذا انتقلت إلى عالم ليس فيه السقم ولا المرض فمن يداوى بذلك العلم، وكذلك العلم بالهندسة إنما يحتاج إليه في عالم المساحة فإذا انتقلت تركته في عالمه ومضت النفس ساذجة ليس عندها شيء منه، وكذلك الاشتغال لكل علم تركته النفس عند انتقالها إلى عالم الآخرة فينبغي أن لا يأخذ منه إلا ما مست إليه الحاجة الضرورية، وليجتهد في تحصيل ما ينقل معه حيث انتقل وليس ذلك إلا علمان خاصة العلم بالله والعلم بمواطن الآخرة وما يقتضيه مقاماتها حتى يمشي فيها كمشيه في منزلة فلا ينكر شيئاً أو أصلاً ولا يكون من الطائفة التي قالت عندما تجلى لها ربنا (نعوذ بالله منك لست ربنا نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا) فلما جاءهم في الصورة التي عرفوه أقروا به فما أعظمها من حسرة، فينبغي للعاقل الكشف عن هذين العالمين بطريق الرياضة والمجاهدة والخلوة على الطريقة المشروطة.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

وكنت أريد أن أذكر الخلوة وشروطها وما يتجلى فيها على الترتيب شيئاً بعد شيء لكن منع من ذلك الوقت.

وأعني بالعلماء علماء السوء الذين أنكروا ما جهلوا وقيدهم التعصب وحب الظهور والرياسة عن الإذعان للحق والتسليم له إن لم يكن الإيمان به والله ولي الكفاية.

أقول: انظر إلى كلام هذا الضال الذي اتخذه جملة من الشيعة المائلين إلى الصوفية والحاذين حذوهم في تلك المقالات الغوية نبياً لهم وإماماً يجعلونه أقوى له بمنزلة القرآن العزيز في الحجية ويدعون له أنه من الشيعة الإمامية وصراحة قوله بالرؤية كما هو مذهبكم الأشعرية وادعاؤه المكاشفة بالرياضة وأخذ العلم من الله سبحانه من غيره واسطة بالكلية.

ولا يخفى أنه على هذا التقدير لا حاجة لنا به ولا بأمثاله ممن تدعي دعواه إلى النبي ﷺ لأن الغرض من بعثة النبي ﷺ إنما هو عدم وصول الخلق إلى ساحة قدسه سبحانه لعدم الأهلية لذلك، فجعل الرسول ﷺ واسطة بينه سبحانه وبين خلقه بتأدية أحكامه إليهم لاختياره تعالى من بين خلقه وتأهيله لهذه المرتبة دون غيره.

وهذا كما قاله الحكماء للأنبياء الذين في زمانهم وكما روي أن عيسى عليه السلام لما دعاهم إلى الإقرار به والقول بنبوته أجابوه بإذن الله تعالى إنما بعثك وأرسلك إلى ضعفاء القول لتكلمهم وأما مثلنا نحن فلا نحتاج إليك.

ولا يخفى على ذي روية أن مرجع كلام هذا الضال إلى ما قاله الحكماء وهو كفر محض كما لا يخفى ولا يخفى ما في قول شيخنا البهائي قدس الله سره في الدعاء له حشره الله مع أحبته بعد وصفه بالواصل الصمداني من التورية كما هو المعهود من طريقته.

قبلة العراق

من كتاب بحار الأنوار: ولشيخنا محمد باقر المجلسي قدس الله سره قال:

فائدة: قال شيخنا الفاضل الكامل السيد السند البارع التقي أمير شرف الدين علي الشولستاني الساكن في المشهد الغروي حياً المدفون فيه ميتاً قدس الله سره في بعض فوائده: لا يخفى إنه إنما تعلم الكعبة وجهتها بمحراب المعصوم إذا علم أن بناءه بنصب المعصوم وأمره عليه السلام في زمانه أو زمان غيره لكنه عليه السلام صلى فيه من غير تياسر وتيامن، وعلى هذا أمر مسجد الكوفة مشكل إذ بناؤه كان قبل زمان أمير المؤمنين عليه السلام والحائط القبلي والمحراب المشهور بمحراب أمير المؤمنين عليه السلام ليسا موافقين لجعل الجدي خلف المنكب الأيمن بل فيهما تيامن بحيث يكون الجدي قدام المنكب الأيمن وكنت في هذا متأملاً ومتحيراً، وأيد بتحيري بأنهما كانا عكس ضريحه المقدس كان فيه تياسر كثير ووقت إمارته بأمر السلطان

الأعظم شاه صفي قدس الله سره قلت للمعمار: غيره إلى التيامن تعيره ومع هذا تياسر في الجملة ومخالفة المحراب مسجد الكوفة، وحملته على أنه كان بناه غير المعصوم من القائلين بالتياسر وكنت في الروضة المقدسة متيامناً وفي الكوفة متياسراً، لأنه نقل أنه صلى في مسجدها ولم ينقل عنه أنه صلى من غير تيامن وتياسر، وكان في وسط الحائط المذكور ومحراب كبير متروك العبادة عنده غير مشهور بمحراب أمير المؤمنين عليه السلام ولا بمحراب أحد من الأنبياء والأئمة عليهم السلام ولما صار المسجد خراباً وانهدمت الأسطوانات الكائنة فيه واختفى فرشه الأصلي بالأحجار والتراب أراد الوزير الكبير ميرزا تقي الدين محمد رحمه الله تنظيف المسجد من الكثافات الواقعة فيه وعمارة الجانب مع المسجد ورفع الأحجار المرمية في صحنه إلى الفراش الأصلي ونظف وسوى دكتين في جهة الشرق والغرب ظهر أن المحراب والباب المشهورين بمحرابه وبابه عليه السلام ما كانا متصلين بالفرش الأصلي بل كانا مرتفعين عنه قريباً من ذراعين، والمحراب المتروك الذي كان في وسط الحائط القبلي كان متصلاً وواصلاً إليه، وظهر أيضاً باب كبير قريب منه واصلاً إليه وكانت عند الحائط القبلي من أوله إلى آخره أسطوانات وصفات، وبنى الوزير الأمجد عمارته عليها وعند ذلك المحراب كانت صفة كبيرة قدر صفتين من أطرافها لم يكن بينهما أثر أسطوانة، ولما صار هذا المحراب الكبير عتيقاً كثيفاً أمر الوزير بقلع وجهه ليبيضوه فقلعوه فإذا تحت الكثافة المقلوعة أنه بيضوه ثلاث مرات وجمروه كذلك وفي كل مرتبة بياضاً وحمرة أمالوه إلى اليسار فتحير الأمير في ذلك وأحضرني وأرانيه، وكان معه جمع كثير من العلماء والعقلاء الأخيار وكانوا متحيرين متفكرين في الوجه، فخطر ببالي أن ذلك المحراب كان ذلك محراب أمير المؤمنين عليه السلام وكان يصلي إليه لوصوله إلى الفرش الأصلي ولوقوعه في صفة كبيرة يجمع فيها العلماء والأخيار خلف الإمام، وكذلك كان ذلك الباب بابه عليه السلام الذي يحيى من البيت إلى المسجد منه لاتصاله بالفرش، ولما كان الجدار قديماً وكان ذلك المحراب فيه ولم يكن موافقاً للجهة شرعياً تياسر عليه السلام وبعده المسلمون حرفوا وأمالوا البياض والحمرة إلى التياسر ليعلم الناس أنه عليه السلام تياسر فيه وحمروه ليعلموا أنه عليه السلام قتل عنده وكان تكرار الحمرة لتكرار الاندراس والكثافة، ولما خرب المسجد واندرست الأسطوانات والصفات واختفى الفرش الأصلي وحدث فرش آخر أحدث بعض الناس ذلك المحراب الصغير وفتح باباً صغيراً قريباً منه على السطح الجديد واشتهر بمحرابه وبابه، وعرضت على الوزير والحضار وكلهم صدقوني وقبلوا مني وصلوا الصلاة المفزرة المعهودة عند محرابه عليه السلام وقرأوا الدعاء المشهور قراءته بعد الصلاة عنده وتياسروا في الصلاة على ما رأوا في المحراب، وأمر الوزير بزينته زائداً على سائر المحاريب وتساهل المعمار فيها فحدث ما حدث في العراق وبقي على ما كان عليه كسائر المحاريب والسلام على من اتبع الهدى - انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول: وجدت محاريب العراق وأبنيتها مختلفة غاية الاختلاف، وأقربها إلى القواعد الرياضية قبلة حائر الحسين عليه السلام ولكنها أيضاً منحرفة عن نصف النهار أقل ما تقتضيه القواعد،

وأما ضريح أمير المؤمنين عليه السلام وضريح الكاظميين عليهما السلام فهما على نصف النهار من غير انحراف بين وضريح العسكريين عليهما السلام فصرف عن يسار نصف النهار قريباً من عشرين درجة ومحراب مسجد الكوفة منحرف عن يمين نصف النهار نحواً من أربعين درجة وهو قريب من قبلة أصفهان، وليس على ما ذكره السيد رحمه الله من كون الجدي قدام المنكب وإلا لكان قريباً من القرب، وانحراف الكوفة بحسب القواعد الرياضية إثنا عشر عن يمين نصف النهار وانحراف بغداد قريب منه وانحراف سر من رأى قريب من ثمان درجات من جهة اليمين وقبلة مسجد مسهلة قريب من القواعد.

فظهر بما ذكرنا أن محراب روضة أمير المؤمنين عليه السلام أقرب إلى القواعد من محراب مسجد الكوفة، ولعل هذه الاختلافات مبينة على التوسعة في أمر القبلة ولا يبعد أن يكون الأمر والتياسر لأهل العراق لكون المحاريب المشهورة المبنية فيها في زمن خلفاء الجور لا سيما المسجد الأعظم على هذا الوجه، ولم يكن يمكنهم إظهار خطأ هؤلاء الفساق فأمروا شيعتهم بالتياسر من تلك المحاريب وعللوه بما عللوه به تقية لئلا يشتهر عنهم الحكم بخطأ من مضى من خلفاء الجور. ويؤيده ما سيأتي وصف مسجد غنا وأن قبلته لقاسطة فهو يومي إلى سائر المساجد في قبلتها شيء ومسجد غنا اليوم غير موجود.

ويؤيده أيضاً ما رواه بن إبراهيم النعاني في كتاب الغيبة عن أبي عقدة عن علي بن الحسن عن الحسن ومحمد بن يوسف عن سعدان بن مسلم عن صباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن حبة العرني قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام كأني أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة وقد ضربوا الفساطيط يعلمون الناس القرآن كما أنزل، أما أن قائمنا إذا قام كسره وسوى قبلته. على أنه لا يعلم بقاء البناء الذي كان على عهد أمير المؤمنين بل تدل بعض الأخبار على عدمه وتغييره كما قد رواه الشيخ في كتاب الغيبة عن الفضل بن شاذان عن علي بن الحكم عن الربيع بن محمد المسلمي عن ابن طريف عن ابن نباتة قال: قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له حتى انتهى إلى مسجد الكوفة وكان مبنياً بخزف ودنان وطين قال: ويل لمن هدمك وويل لمن سهل هدمك وويل لبانيك بالمبلوخ المغير قبلة نوح، طوبى لمن شهد هدمك مع قائم أهل بيتي أولئك خيار الأمة مع أبرار العترة.

وأغرب من جميع ذلك أن مسجد الرسول صلى الله عليه وآله محرابه على خط نصف النهار مع أنه أظهر المحاريب انتساباً إلى المعصوم، وهو مخالف للقواعد لانحراف قبلة المدينة عن يسار نصف النهار أي عن نقطة الجنوب إلى المشرق بسبع وثلاثين درجة، وأيضاً مخالف لما هو المشهور من أن النبي صلى الله عليه وآله قال: محرابي على الميزاب ومن يقف في المسجد الحرام بإزاء الميزاب يقع الجدي خلف منكبه الأيسر بل قريباً من رأس المنكب، وكنت متحيراً في ذلك حتى تأملت في عمارة روضة النبي صلى الله عليه وآله التي فيها قبره الشريف فوجدتها منحرفة ذات اليسار كثيراً وإن لم يكن بهذا المقدار، وظاهر أن البيوت كانت مبنية بعد المسجد على وفقه فظهر أن محراب المسجد

أيضاً مما حرف في زمن سلاطين الجور. ويؤيده أن محراب مسجد قبا ومسجد الشجرة وأكثر المساجد القديمة التي رأيتها في المدينة وبين الحرمين إما موافقة للقواعد وقريبة منها مع أن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام صلوا فيها والله يعلم- انتهى كلام شيخنا المذكور الحقه الله تعالى بالسرور والحبور، وهو جيد متين.

ومما يؤيد ما ذكره قدس سره من التوسعة في أمر القبلة وأن الأمر فيها ليس على ما ذكره أصحاب القواعد الرياضية أن الصلاة عمود الدين وأساسه المتين كما استفاد عن السادة الميامين، وصحتها مبنية على القبلة بيقين مع أنه لم يرد عنهم عليهم السلام في علامات معرفة القبلة للبعيد سوى حديثين مجملين وهو ما رواه محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: سألته عن القبلة. قال: ضع الجدي في قفاك وصل وما رواه الصدوق قدس الله سره في كتابه مرسلاً قال: قال رجل للصادق عليه السلام إني أكون في السفر ولا أهتدي إلى القبلة بالليل؟

قال: أتعرف الكوكب الذي يقال له الجدي؟

قلت: نعم. قال: اجعله على يمينك فإذا كنت في طريق الحج فاجعله بين كتفيك.

ولو كان الأمر ما ذكره أولئك من الضيق الشديد والتحديد الأكيد فكيف غفل عنه أصحاب الأئمة عليهم السلام ولم يسألوهم عنه مع كونهم متفرقين في جملة الأقطار ومحتاجين إلى التردد في الأسفار، وكيف رضي الأئمة لهم بجهل ذلك ولم يبتدأوهم بالبيان وهو كما عرفت من أعظم الأركان، وقد أوعزوا لهم من أحكام الشريعة وسننها وآدابها جملة أحوال الإنسان في مأكله ومشربه ونومه ويقظته ونكاحه ودخوله الخلاء ولبس الثياب والسفر وأمثال ذلك مما ليس في تركته ضرر ولا خطر ما هو مدون منقول عنهم عليهم السلام ومع هذا فيهملون أمر القبلة الذي عليه بناء صحة صلاتهم التي هي عمدة دينهم المتوقف قبول سائر أعمالهم على قبولها كما ورد عنهم عليهم السلام ما هذا إلا عجب عجيب إذ أتفكر فيه الموفق المصيب، والله سبحانه أعلم وأحكم.

من شعر أبي فراس الحمداني

قال المحقق التفتازاني في شرح الكشاف عند قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾[1] ما صورته: كان بنو حمدان ملوكاً أوجههم للصباحة وألسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وأبو فراس أوحدهم بلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة حتى قال الصاحب بن عباد: بدىء الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس وأبي فراس. وقد أدركه حرفة الأدب وأصابته عين الكمال فأسرته الروم في بعض وقائعها فازدادت رومياته لطافة فمنها ما قال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية: [البحر الطويل]

(١) سورة النساء، الآية: ٦١.

أقولُ وقد ناحتْ بقربي حمامةٌ أيا جَارتنا هل تشعرين بحِالي
فلولا الهوى ما شقّني طارقُ النّوى ولا خطرتْ تلك الهمومُ ببالي
أياجارتنا ما انصفَ الدهرُ بينَنا تعاليْ أقاسمْك الهمومَ تعالي
أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ويسكتُ محزونٌ ويندبُ سالي
لقد كنتُ أوْلى منكِ بالدّمعِ مقلةً ولكنَّ دمعي في الحوادثِ غالي

انتهى كلامه والغرض لاستشهاد قوله تعالى بكسر اللام وكان القياس بالفتح.

كان بعض الحكماء يقول: لا تطلب من الكريم يسيراً فتكون عنده حقيراً.

نقل في بعض الأخبار عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة: ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله تعالى.

قصيدة للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني

قال الشيخ: الفاضل الشيخ حسن بن شيخنا العالم الرباني المشهور بالشهيد الثاني قدس الله سرهما ونور ضريحهما.

[البحر البسيط التام]

ما أومضَ البرقُ من داجٍ من الطللِ إلاّ وهاجتْ شُجوني أو نمتْ عِللي
وازدادَ إضرامُ وجْدي حين ذكّرني لذيذَ عيشٍ مضى في الأزمنِ الأولِ
إذ كنتُ من حادثاتِ الدهرِ في دعةٍ مبلّغاً من لدُنْه الأملِ
للهِ كمْ ليلةٍ في العمرِ لي سلفتْ العيشُ في ظلِّها أصفى من العسلِ
ألفيتُ فيها عيونَ الدهرِ غافلةً عنّي وصوتُ اللّيالي عادمُ الغيلِ
والجدُّ يسْمو بمطلوبي فما ذهبتْ من بعدِها برهةٌ حتى تنبّه لي
فصوّبَ الغدرَ لي حتّى يفلَّ به صحيحَ حالي فأضحى منه في فللِ
واستأصلتْ راحتي أيامُه فعدّ لي ربعَ اللّقا والتدّاني موحشَ الطللِ
فصرتُ في غمرةِ الأشجانِ منهمِكاً لا حولَ لي أهتدي منه إلى حولي
أمسي ونارُ الأسى في القلبِ مضرمةٌ لا ينْطفي وقْدها والقلبُ في شعلي
كيف احتيالي ودهْري غيرُ مقترفٍ من جهلِه قيمةُ الأحرارِ بالذّللِ
حاذرتُ دهْري فلم تنجُ مُحاذرتي لمّا رماني ولا تمّتْ له حيلي
والحازمُ الشهمُ من لم يُلفِ آونةً في غرّةٍ من مهنّا عيشِه الخطلِ
والعزُّ من لم يكنْ في طولِ مدّتِه من خوفِ صوتِ اللّيالي دائمَ الوجلِ
فالدهرُ ظلٌّ على أهليهِ منبسطٌ وما سمعْنا بظلٍّ غيرِ منتقلِ

كم غرَّه قبلنا قومٌ فما شعروا ... إلاّ وداعي المنايا كان في عجلِ
وكم رمى دولةَ الأحرارِ من سفهٍ ... بكلِّ خطبٍ مهولٍ فادحٍ جللِ
وظلَّ في نصرةِ الأشرارِ مجتهداً ... حتى غدوا دولةً من أعظمِ الدُّولِ
وهذه شيمةُ الدّنيا وسنَّتُها ... من قبلُ تحنو على الأوغادِ والسّفلِ
وتُلبسُ الحرَّ من أبوابِها حُللاً ... من البلايا وأثواباً من العللِ
يبيتُ منها ويُضحي وهو في كمدٍ ... في مدةِ العمرِ لا يُفضي إلى الجذلِ
فاصبرْ على مرّ ما تلقى وكنْ حذِراً ... من غدرِها فهي ذاتُ الخزيِ والغيلِ
واشددْ بحبلِ التُّقى فيها يديكَ وهلْ ... يُجدي به المرءُ إلاّ صالحُ العملِ
واحرصْ على النفسِ واجهدْ في حراستِها ... ولا تدعْها بها ترعَى مع الهملِ
وانهضْ بها من حضيضِ النّقصِ منتضياً ... صوارمَ الخرمِ للتسويفِ والكسلِ
واركبْ غمارَ المعالي كي تبلّغها ... ولا تكنْ قانِعاً منهنّ بالبللِ
فذروةُ المجدِ عندي ليس يُدركُها ... من لم يكنْ سالكَ المستصعبِ السبلِ
وكنْ أبيّاً عن الإذلالِ ممتنِعاً ... فالذلُّ لا ترْتضيه شيمةُ الرجلِ
وإن عراكَ العنَا والضّيمُ في بلدٍ ... فانهضْ إلى غيرِه في الأرضِ وانتقلِ
واسعدْ بنيلِ المنى فالحالُ معلنةٌ ... بأنّ إدراكَ شأوِ العزِّ في النّقلِ
وحيثُ يُغنيك نقصُ الحظّ أطولُه ... كشحاً فليس ازديادُ الجدِّ في الحيلِ
ودارُنا هذه من قبلُ قد حكمتْ ... على حظوظِ أهالي الفضلِ بالخللِ
وكنْ عنِ الناسِ مهما اسطعتَ منعزِلاً ... فراحةُ النفسِ تهوى كل معتزِلِ
ولو خبِرت الورى ألفيتَ أكثرَهم ... قد استحبُّوا طريقاً غيرَ معتدلِ
إنْ عاهدوا لم يفُوا بالعهدِ أو وعدوا ... فمنجزُ الوعدِ منهم غيرُ محتملِ
يحولُ صمغُ اللّيالي عن مفارقِهم ... ليستحيلُوا وسوءُ الحالِ لم يحُلِ
تقاعدتْ عن هوى الأخرى عزائمُهم ... وفي اتّباعِ الهوى حوشوا عن الفسلِ

وله أيضاً: [البحر الرجز المشطور]

أنْهضني حملُ النَّصبْ ... وغالني فرطُ التّعبْ
اذمُّ حالاتِ السّنوى ... عليَّ دهري قد كتبْ
لا تعجبُوا من سقمي ... إنَّ حياتي لعجبْ
عاقدَني الدهرُ فما ... يودُّ لي إلا العطبْ
وما بقاءُ المرءِ في ... بحرِ همومٍ وكُربْ
للهِ أشكو زمَناً ... في طرفِ الخنْزِ نصبْ

فلستُ أعدُو طالِباً | إلاّ ويُعيِيني الطّلبْ
لو كنتُ أدري علةً | توجبُ هذا أو سببْ
كأنّه يحسبُني | في سلكِ أصحابِ الأدبْ
أخطأت يا دهرُ فلا | بلغتَ في الدّنيا إربْ
كم تألفُ الغدرَ ولا | تخافُ سوءَ المنقلبْ
غادرْتني مطَّرِحاً | بين الرّزايا والنُّوبْ
من بعدِ ما ألبسْتني | ثوبَ عناءٍ ووصبْ
في غربةٍ صمّاءَ إنْ | دعوتُ فيها لم أُجبْ
وحاكمُ الوجدِ على | جميلِ صبْري قد غلبْ
ومولمُ الشّوقِ لذا | قلْبي المعنّى قد وجبْ
ففي فُؤادي حرقةٌ | من الحَشا قد التهبْ
وكل أخيائي قد | أودعْتهم تحت التُّربْ
فلا يلمْني لائمٌ | إنْ سالَ دمْعي وانسكبْ
واليومَ نائِي أجَلي | من لوْعتي قدِ اقتربْ
إذ بانَ عنّي وطَني | وعيلَ صبْري وانسلبْ
ولم يدعْ لي الدهرُ من | راحَتي غيرَ التّعبْ
لم ترضَ يا دهرُ بما | صرفُك منّي قد نهبْ
لم تُبقِ عندي فضةً | أنفقُها ولا ذهبْ
واسترجعُ الصَّفوَ الذي | من قبلُ كان قد ذهبْ
فكم على حرٍّ بغى | فتابَ منه وانجذبْ
تبَّتْ يداك مثلما | تبَّتْ يدا أبي لهبْ
فما يُضاهيك سِوى | من نعتُها حملُ الحطبْ
ومكرُك السيّءُ لا | يزالُ مقطوعَ الذّنَبْ
وعنك ما يبرحُ ما | كيدُك فيه قد ذهبْ
حشّام يا دهري أرى | منك البرايا في تعبْ
ما آنَ أنْ تصلحَ ما | صرفُك فينا قد خربْ
ما حانَ إرجاعُ الذي | من قبلُ منّا قد سُلبْ
شقشقةٌ محملُها | يكشفُ عن حالِ الغضبْ
إذا الزّمانُ لم يزلْ | يفتُك في أهلِ الحسبْ

وصرفُه من جورِه لجرْهمْ قدِ انتصبْ
تبصرُه أعيُننا فهمْ على حالٍ عجبْ
وكلُّ غمرٍ جاهلٍ يبلغُ منه ما طلبْ
هذا الذي حوَّلَ من عزمي الذي كان وجبْ
يا عزُّ ويا قلبُ فلا تجزعْ فللأمرِ سببْ
كلُّ ابنُ انثى هالكٌ وسوف يأتي من حدبْ
أوقفَه العرضُ إذا لم يدرِ من أين الهربْ
وضاقتِ الصّحفُ بما عليه مولاه حسبْ
قد أحصيتْ أعمالُه وكاتبُ الحقّ كتبْ
لم يُغنِ عنه ولدٌ كلاّ ولا جدٌّ وأبْ
ولم يكنْ ينفعُه في الحشرِ إلاّ ما كسبْ

مسألة في القراءة

طعن الزمخشري: في قراءة ابن عامر: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[1] وجعلها سمحية وقد شنع عليه كثير من الناس. قال الكراشي كلام الزمخشري يشعر بأن ابن عامر ارتكب محظوراً وأنه غير ثقة لأنه يأخذ القراءة من المصحف لا من المشايخ ومع ذلك اسندها إلى النبي ﷺ وليس الطعن في ابن عامر طعنا فيه وإنما طعن في علماء الأمصار حيث جعلوه أحد القراء السبعة المرضية وفي الفقهاء حيث لم ينكروا عليه وأنهم يقرأونها في محاريبهم والله أكرم من أن يجمعهم على الخطأ- انتهى كلامه.

وقال أبو حيان: أعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي محض قراءة متواترة موجود نظيرها في كلام العرب، وأعجب بسوء ظن هذا الرجل بقراءة الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً واعتمدهم المسلمون لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم- انتهى.

وقال المحقق التفتازاني هذا اشد الجرم حيث طعن في اسناد الفراء السبعة ورواياتهم ويزعم أنهم إنما يقرأون من عند أنفسهم وهذه عادته يطعن في تواتر القراءات السبع وينسب الخطأ تارة إليهم كما في هذا الموضع وتارة إلى الرواة عنهم وكلاهما أخطأ لأن القراءة خطأ وكذا الرواة عنهم - انتهى كلامه.

وقال ابن المنير: نبرأ إلى الله ونبرىء جملة كلامه عمار ما هم به فقد ركب عمياً وتخيل

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

القراءة اجتهاداً واختياراً لا نقلاً وإسناداً. ونحن نعلم أن هذه القراءة قرأها النبي ﷺ على جبرائيل عليه السلام كما أنزلها عليه وبلغت إلينا بالتواتر عنه فالوجوه السبعة المتواترة جملاً وتفصيلاً فلا مبالاة لقول الزمخشري وأمثاله ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل علمي القراءة والأصول لخيف عليه الخروج عن ربقة الإسلام ومع ذلك فهو في عهدة خطرة وزلة منكرة، والذي ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواتراً غالط ولكنه أقل غلطاً من هذا فإن هذا جعلها موكولة إلى الآراء ولم يقل ذلك أحد من المسلمين، ثم إنه شرع في تقرير شواهد من كلام العرب لهذه القراءة، وقال في آخر كلامه ليس الغرض تصحيح القراءة العربية بل تصحيح العربية بالقراءة.

ترجمة القاضي البيضاوي

كشكول شيخنا البهائي: قدس الله سره القاضي البيضاوي صاحب التصانيف المشهورة اسمه عبد الله ولقبه ناصر الدين وكنيته أبو الخير ابن عمرو بن محمد بن علي البيضاوي، وبيضا قرية من أعمال شيراز تولى القضاء بفارس، وكان زاهداً عابداً متورعاً دخل تبريز وصادف دخوله مجلس أجلاء بعض الفضلاء فجلس في آخريات القوم بصف النعال بحيث لم يعلم أحد بدخوله فأورد المدرس اعتراضاً وتبجح وزعم أن أحداً من الحاضرين لا يقدر على جوابها، فلما فرغ من تقريرها ولم يقدر أحد من الحاضرين على التخلص منها شرع البيضاوي في الجواب فقال له المدرس: ولا أسمع كلامك حتى أعلم أنك فهمت ما قررته.

فقال البيضاوي: تريد أن أعيد كلامك بلفظه أم بمعناه؟

فبهت المدرس وقال: أعده بلفظه، فأعاده وبين أن في تركيب ألفاظه بحثاً، ثم إنه أجاب عن تلك الاعتراضات بأجوبة شافية ثم أورد لنفسه اعتراضات بعددها وطلب من المدرس الجواب عنها فلم يقدر فقام الوزير من المجلس وأجلس البيضاوي في مكانه وسأله من أنت؟

فقال البيضاوي، وطلب قضاء شيراز فأعطاه ما طلبه وأكرمه وخلع عليه، وكانت وفاة البيضاوي في سنة خمس وثمانين وستمائة وذلك بتبريز وقبره هناك من مصنفاته في زماننا هذا تفسيره الموسوم بأنوار التنزيل.

كان ابن الجوزي يعظ في بغداد فانجر كلامه إلى التصوف حتى أنشد هذين البيتين:

[البحر البسيط التام]

أصبحتُ صبّاً إذا مرَّ النسيمُ على زهرِ الرّياضِ يكادُ الوهمُ يولِمني
من كلِّ معنىً شريفٍ اجتني ثمراً وكلُّ ناطقةٍ في الكونِ تُطرِبني

فقال له بعض الحاضرين: فإن كان الناطق حماراً؟

فقال ابن الجوزي: أقول يا حمار اسكت.

ترجمة ابن الأثير صاحب النهاية

كشكول شيخنا البهائي: قدس الله روحه كان ابن الأثير مجيد الدين أبو السعادات صاحب جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث من أكابر الرؤساء محظي عند الملوك وتولى لهم المناصب الجليلة، فعرض له مرض فكف يديه ورجليه فانقطع في منزله وترك المناصب والاختلاط بالناس، وكان الرؤساء يغشونه في منزله فحضر إليه بعض الأطباء والتزم بعلاجه، فلما طبه وقارب البرء وأشرف على الصحة دفع إليه شيئاً من الذهب وقال: امض لسبيلك، فلامه أصحابه على ذلك وقالوا: هلا أبقيته إلى حصول الشفاء؟

فقال لهم: إني متى عوفيت طلبت إلى المناصب ودخلت فيه وكلفت قبولها، وأما ما دمت على هذه الحالة فإني لا أصلح لذلك فأصرف أوقاتي في تكميل نفسي ومطالعة كتب العلم ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لا بد منه، فاختار عطلة بدنه ليحصل له بذلك الإقامة على العطلة عن المناصب. وفي تلك المدة ألف جامع الأصول والنهاية وغيرهما من الكتب المفيدة.

ميعاد بيننا وبينهم

سئل: محمد بن سيرين عن الرجل يقرأ عليه القرآن فيصفق؟

فقال: ميعاد بيننا وبينهم أن يتخلوا على حائط ثم يقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن سقط فهو كما قال.

أين المحمديّة

كان يحيى بن معاذ كثيراً ما يقول: أيها العلماء إن قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية وأخلاقكم نمرودية وموائدكم جاهلية ومذاهبكم سلطانية فأين المحمدية.

أعشى همدان

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: أعشى همدان هو عبد الرحمن بن عبد الله بينه وبين همدان ثلاثة عشر أباً، وهمدان بن مالك بن زيد بن ربيعة بن الجبار بن مالك بن زيد بن كيلان بن سنان بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان الأعشى شاعراً فصيحاً وهو زوج أخت الشعبي الفقيه زوج أخته وكان قد أسره مدة في بلاد الديلم ثم أن بنتاً للعلج الذي أسره أحبته وصارت إليه

ليلاً ومكنته من نفسها وأصبح وقد واقعها ثمان مرات فقال له: يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم؟

فقال: نعم.

فقالت: والله هذا هو العمل نصرتم، ثم قالت: أفرأيت أن خلصتك اصطفيني لنفسك؟

فقال: نعم وعاهدها، فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت به طريقاً تعرفها وهويت معه فقال في ذلك شاعر من شعراء المسلمين: [البحر الطويل]

فمنْ كان يفْديه من الأسرِ مالُه ... فهمدانُ تفْديها العداةُ ايورُها

أشعار حكمية

لبعضهم: [البحر المحدث]

نـجـبُ الأعـمـارِ بـنـا تـنـبُ ... مـا أسرعَ مـا تـصلُ النُّجبُ
والشمسُ تطيرُ بأجنحةٍ ... والّليلُ تطاردُه الشّهبُ
والدهرُ يجدُّ بفعلِ الجدِّ فليسَ يليقُ بك الّلعبُ
ما القصدُ سواك فخلِّ هواكَ وكنْ رجُلاً فلَك الطّلبُ
العرشُ لأجلك مرتفعٌ ... والفرشُ لأجلك منتصبُ
والجوُّ لأجلك منخرقٌ ... والريحُ تمرُّ بها السّحبُ
والزّهرُ لجهلك مبتسمٌ ... والغيمُ لغمركِ ينتهبُ
وكأنَّ سما الدّنيا البحرُ وحبٌّ كواكِبها حببٌ
وكأنَّ الشمس سفينتُه ... وشراعُ ذوائبها ذهبُ
سلْ دهرك أين قرونُ الأرضِ تجبكَ بأنّهمُ ذهبُوا
ساروا عنّا سيْراً عجلاً ... فكأنَّ مسيرهُمُ الخببُ
واستوحشتِ الأوطانُ لهمْ ... لمّا أنستْ بهمُ التُّربُ
ما أنصحَهم ولقد عُصموا ... ما أبعدهم ولقد قرُبوا
يا لاعباً جدْ بفعل الجد فليس الأمر به لَعِبُ
واهجرْ دُنياك وزخرفها ... فجميعَ مناصبها نصبُوا
فكأنّك والأيامُ فقدْ ... فتحتْ باباً فيه النُّوبُ
وبقيتَ غريب الدّارِ فلا ... رسلٌ تأتيكَ ولا كتبُ
وسلاك الأهلُ وملَّ الصحبُ كأنّهمُ لك ما صحِبوا
فإذا نُقر النّاقورُ وصاحَ وحينئذ يومٌ عجبُ

فيصحُّ السمعُ ويجثُو الجمعُ ويجري الدّمعُ وينسكبُ
وجميعُ الناسِ قد افترَقوا ثم افترقوا ولهم رتبُ
ذا مرتفعٌ ذا منخفضٌ ذا منجزمٌ ذا منتصبُ
فهناك المكسبُ والخسرانُ وثمَّ الرّاحةُ والتّعبُ

غيره لغيره:

وصف حبيب

[البحر المحدث]

نسماتُ هواكَ لها ارجٌ تحيى وتعيشُ بها المُهجُ
وبنشرِ حديثِك يُطوى الغمُّ عنِ الأرواحِ ويندرجُ
وببهجةِ وجهِ جلالِ جمالِ كمالِ صفاتِكَ ابتهجُ
لا كانَ فؤاداً ليس يهيمُ على ذكراك وينزعجُ
لا أعتبُ قلبَ الغافلِ عنْك فليسَ على الأعمَى حرجُ
ما الناسُ سِوى قومِ عرفوكَ وغيرُهم همجٌ همجٌ همجُ
قومُ فعلوا خيراً فعلُوا وعلى الدرجِ العُليا درجوا
فهوَ المعنى فهمُ المعنَى فبذكرِ اللهِ لهم لهجُ
دخلُوا فقراءَ إلى الدّنيا وكما دخلُوا منها خرجُوا
شربوا بكؤوسِ تفكُّرهمْ من صرفِ هواه وما مرجُوا
يا مدّعياً لطريقهمُ قومٌ فطريقُك منعوجُ
تهوى ليلاً وتنامُ الليلَ وحقّك ذا طلب سمجُ

غيره:

الملك

[البحر المحدث]

عظمتْ آياتُك يا ملكُ فالملكُ بحكمكَ والملكُ
ولهيبةِ أمرِك سار الفلكُ ودارَ بقدرتِك الفلكُ
وكذاكَ رحى الأيامِ تدورُ بسيرِ عجيبٍ لا يدّركُ
عزّزْ نفْل تسعٌ عشرٌ بيضٌ درعٌ ظلمٌ حلكُ
عميتْ أبصارُ ولاتَ الشركُ فقيدُ أمرهمُ الشّركُ
وغليسُ اللّيلِ بلوغُ الكيفِ فلم ترَ نحوَك منسلكُ
وأحنا نهارُك للعقلاءِ فمذْ وجدوا جدوَى سلكُوا
نطقَ العلماءُ بشرحِ الطرقِ فمذْ وصلُوا لكَ التّبكوا

أحاديث من صحيح البخاري في شأن أهل البيت عليهم السلام

من صحيح البخاري: باب مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام حدثنا أبو الوليد حدثنا ابن عتيبة عن عمر بن دينار عن ابن أبي ملكية عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني».

باب فرض الخمس: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعيد عن صالح عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا نورث ما تركناه صدقة»، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهجرت أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة فأبى أبو بكر عليها ذلك فقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل به إلا عملت به فإني أخشى أن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس وأما خيبر وفدك فأمسكها عمر وقال: هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لحقوقه التي تعرى ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر. قال: فهما على ذلك إلى اليوم.

يقول جامع هذا الكتاب: هداه الله تعالى إلى جادة الصواب العجب من أهل السنة من الله عليهم بالهداية ووفقهم للرعاية كيف ينقلون في أصحتهم المعتمدة مثل هذه الأخبار الظاهرة العار في حق الخليفة الأول الذي هو بزعمهم عليه المعول ثم يذمون الشيعة بل يحكمون بكفرهم وحل دمائهم وأموالهم متى أنكروا خلافته، والناظر في هذين الخبرين لا يخفى عليه لم بتج سهماً، فإن الخبر الثاني ناطق بأن أبا بكر أغضب فاطمة حتى ماتت بغيظها ساخطة عليه والخبر الأول ناطق بأن من أغضبها فقد أغضب رسول الله، ولا ريب أن الأمر الذي يغضبه يوجب أذاه والقرآن العزيز ناطق بأن الذين يؤذون الله ورسوله ملعونون في الدنيا والآخرة ولهم عذاب شديد، وحينئذ فما ذنب الشيعة بعد اعترافهم بأمثال هذه المصائب أن هذا لمن أعجب العجائب؟

مرض النبي صلى الله عليه وآله

باب مرض النبي: حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه فقال: «ائتوني بدواة وبيضاء اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شأنه اهجر استفهموا فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصاهم بثلاث قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الرفد وسكت عن الثالثة أو قال نسيتها.

حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن عتبة عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: «هلموا اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». فقال بعضهم: أن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول غير ذلك، فلما كثر اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ قوموا. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب إلا اختلافهم ولغطهم.

باب قول المريض قوموا عني: حدثنا إبراهيم بن موسى قال أنبأنا هشام عن معمر (ح) وحدثني عبد الله بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن عبد الله بن محمد الرزاق قال: أنبأنا محمد عن الزهري عن عبد الله ابن سيد الله عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: «هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلوا من بعده» قال عمر: إن النبي ﷺ غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول اقربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول القول ما قاله عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال رسول الله: «قوموا عني». قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغوهم.

أقول: لينظر ذوو المعرفة والإنصاف إلى ما تضمنته هذه الأخبار من الاعتساف. وبيان ذلك من وجوه:

الأول: شدة الجرأة على النبي ﷺ والخلاف له وهو في حال المفارقة لهم والرحلة من بين أظهرهم، أفلا لانت له قلوبهم لتلك الحال الشديدة المجال واسعفوه بمطلوبه الذي فيه نفعهم بإزالة الحلف عنهم والضلال، بل أكثروا اللغو عنده وأكثروا الاختلاف حتى طردهم من بيته وأبعدهم من قربه.

الثاني: إنه لا خلاف بين المسلمين في أن من رد عليه قوله بعد موته فهو مرتد عن دينه فكيف من يرد في وجهه ويغضبه.

الثالث: استلزام ما فعلوه من المخالفة وكثرة اللغو عنده لأذاه ﷺ بدليل طردهم من بيته وقوله لهم: «قوموا عني» ولا ريب أن من آذاه فهو ملعون بنص القرآن العزيز كما تقدم.

الرابع: إن المروي في صحيح مسلم وجملة من كتب أخبارهم أن العبارة التي قالها عمر (إن الرجل يهذي) ولكن البخاري لشناعة هذه اللفظة قد اضطرب فكره في إصلاحها حمية على عمر فتارة غير عن كلام عمر بأنه قال: (غلب عليه الوجع) وأخرى ترك ذكر عمر بالكلية ونسب القول إلى بعضهم، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر.

الخامس: دلالة الآيات القرآنية على وجوب امتثال أمره ﷺ والتسليم لما يقوله وأن

المخالف لذلك خارج عن مرتبة الإيمان كائناً من كان، كقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

السادس: قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾(٢) وحينئذ فأي ذنب للشيعة بعد رواياتهم هذه وأمثالها الدالة بمقتضى نصوص الكتاب على مخالفة أولئك الأصحاب وخروجهم عن طاعة النبي المستطاب، ولكن القوم قد خرجوا عن جادة الإنصاف فركبوا في حق خصومهم طريق الاعتساف.

باب قوله: (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج)

حدثنا مسدد حدثنا يحيى أبو رجا عن عمران بن حصين قال: أنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنه حتى قال رجل برأيه ما شاء قال أبو عبد الله أنه عمر.

أقول: ما أغنى البخاري عن نقل مثل هذه الروايات التي توجب لخصومهم الظن عليهم في جملة هذه المقامات، والعجب من علماء أهل السنة أنهم يروون هذه الروايات الصحيحة الصريحة في كون التحريم لمتعة الحج إنما هو من محدثات عمر وبدعه خلافاً على الله وعلى رسوله، ويعتذرون عنه في قوله: (متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا محرمهما ومعاقب على من فعلهما متعة الحج ومتعة النساء) بأنه إنما أراد أني محرمهما تبعاً لرسول الله ﷺ لأنه ليس بصاحب شريعة فيحرم ويحلل في دين الله فيحمل كلامه على ذلك، ثم ينقلون في أصحتهم هذه الرواية الظاهرة في إبطال عذرهم.

باب: (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً)

حدثنا علي حدثنا سفيان حدثنا يحيى بن سعيد قال: سمعت عبيد بن حنن قال: سمعت ابن عباس يقول: أردت أن أسأل عمر فقلت: من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة.

باب قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾

حدثنا حفص بن عمر وحدثنا ابن عبد الله بن حصين بن سالم بن أبي جعدة وعن أبي سفيان

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥. (٢) سورة الحجرات، الآية: ٢.

جابر بن عبد الله قال: أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾(١).

باب الحوض

حدثنا يحيى بن حماد قال: حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم وأنتم واردون علي الحوض وليرفض علي رجالاً منكم ثم ليختلجن دوني» فأقول يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا وهيب قال: حدثنا أنس عن النبي ﷺ قال: «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتم اختلجوا دوني» فأقول: يا رب أصحابي فيقول: ما تدري بما أحدثوا بعدك.

حدثنا سعيد بن أبي قال: حدثنا محمد بن مطرف قال: حدثني ابن حازم عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ أنا فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، فيردون عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني يحال بيني وبينهم. قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟

فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها فيقول: إلا إنهم أمتي فيقال: إنك ما تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي، وقال ابن عباس سحقاً بعيد سحيق بعد سحقه وأسحقه أبعده.

وقال أحمد بن سيب بن سعيد الخيطي حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة إنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيختلجون دون الحوض فيقول يا أصحابي: فيقال: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك أنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى».

(ح) وقال شعيب عن الزهري كان أبو هريرة يحدث عن النبي ﷺ فيحلون وقال: عقيل فيجلوون.

وقال الزبيدي عن الزهري عن محمد بن علي بن عبد الله بن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ حدثنا أحمد بن صالح قال حدثنا ابن وهب قال: أخبرني ابن شهاب عن ابن المسيب أنه كان يحدث عن أصحاب النبي ﷺ أن النبي قال: يا رب أصحابي. فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك أنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى.

(١) سورة الجمعة، الآية: ١١.

حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي قال: حدثنا محمد بن فليح قال: حدثنا أبي قال: حدثني هلال عن عطا بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت أين؟

فقال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم فقال: هلم قال: إلى أين؟

قال: إلى النار والله: قلت. وما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلم أره يخلص منهم إلا مثل همل النعم.

حدثنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر بن أبي ملكية عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال النبي ﷺ: «إني على الحوض حتى يردوا علي منكم وسيؤخذ ناس من دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي؟»

فيقال: هل شعرت بما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعوا على أعقابهم. وكان ابن ملكية يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتتن عن ديننا.

قال أبو عبد الله: على أعقابهم ينكصون يرجعون على العقب.

أقول: انظر أيها المنصف المجانب لحمية الجاهلية والتارك للعصبية الواقف على جادة الحق المضية إلى هذه الأخبار الساطعة الأنوار في ارتداد جملة من تلك الصحابة الأبرار بعد موت النبي المختار، ومع هذا ترى أهل السنة والجماعة اتفقوا إلا الشاذ النادر منهم على عدالة جميع الصحابة وعدم جواز الظن في أحد منهم ورووا فيهم من الأخبار ما يوافق مرادهم في هذا المضمار، مثل روايتهم عنه ﷺ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، ومثل روايتهم عنه دعوا لي أصحابي فلو انفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مد أحد منهم وأمثال أحد منهم، ومع هذا ينقلون في أصحتهم هذه الروايات المستفيضة في كفرهم وارتدادهم بعده ﷺ.

وليت شعري لم لا كفوا هذه الروايات الدالة على ارتدادهم ليتم لهم ما أرادوه من مطلبهم ومرادهم، وإلا فبماذا يجمعون بين هذه الروايات المتناقضة والضرات المتباغضة، ولكنهم يمشون في دينهم كمشي العميان ولا يبالون فيه بزيادة ولا نقصان، وتراهم لو سمعوا مضمون هذه الروايات على ألسن الشيعة لقالوا انظروا إلى هؤلاء الرفضة الكفرة كيف يسبون أصحاب رسول الله ﷺ وينسبونهم إلى الارتداد والخروج عن نهج الحق والسداد، فيكفرونهم بذلك ويستبيحون دماءهم وأموالهم إلى هنالك، والشيعة إنما نقلوه عن أصحتهم وكتب أخبارهم أو عن علمائهم ونقلة آثارهم، ولو عقلوا لعلموا أن مجرد الصحبة لرسول الله ﷺ لا تغني عن صاحبها إلا مع تقوى الله والعمل بطاعته والقيام بواجب فرضه وسنته، بل التشديد على الصحابة في ذلك أعظم والتأكيد في حقهم أهم.

ألا ترى إلى نسائه ﷺ المشرفين بأمومة المؤمنين وهم أشد صحبة له من أولئك المسلمين كيف خاطبهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ﴾(١) فجعل شرفهن بالتقوى لا بمجرد الصحبة، ثم جعل حسناتهن مضاعفة وسيئاتهن مضاعفة بسبب الصحبة فقال: و﴿مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝٣٠ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۝٣١﴾(٢).

ما جاء في المرأتين المتظاهرتين

ثم انظر إلى ما نزل في المرأتين المتظاهرتين عليهم في القرآن من التوبيخ والتقريع وهو سورة كاملة تتلى في القرآن إلى آخر الدهر، فضرب المثل لهما بامرأتي نوح ولوط الكافرتين كما كشف عنهما النقاب صاحب الكشاف في هذا الباب، وحينئذ فكيف صار هؤلاء الفضلاء العلماء قرناً بعد قرن وسلفاً بعد سلف عن خلف إلى أن مجرد الصحبة موجبة للحكم بعدالة الصحابة مطلقاً، والآيات القرآنية والسنن النبوية ترده، وكيف جزموا بهذا الحكم مع ما علم يقيناً من أحوال الصحابة وقد قتل بعضهم بعضاً ولعن بعضهم بعضاً.

طلحة والزبير وعائشة

هذا طلحة والزبير وعائشة كانوا من أعظم الفتنة على عثمان، وقد اجتمع إليهم جملة من الصحابة وغيرهم حتى قتلوه ولم يشف غليل صدورهم قتله حتى منع طلحة من دفنه وبقي ثلاثة أيام مطروحاً على مزابل المدينة، ولما حملوا نعشه ليلاً جعل لهم كميناً يرمون جنازته بالأحجار كما هو مذكور في كتبهم مثل تاريخ الطبري ومغازي الواقدي وغيرهم.

وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم خرجوا على علي عليه السلام بعد أن بايعوه وقتلوا جملة من شيعة البصرة ونهبوا بيت ماله فقاتلهم وقتل من الفريقين ما هو مذكور في كتب القوم.

خروج معاوية على علي عليه السلام

وهذا معاوية مع علي عليه السلام في حرب صفين ثم لم يكفه ذلك حتى سن سب علي عليه السلام على رؤوس المنابر واستمر ذلك وصار سنة أموية إلى خلافة عمر بن عبد العزيز، وكان مدة حياته يقنت على معاوية وعمرو بن العاص وجملة من أصحابهما ويلعنهم، وكان معاوية أيضاً يقنت عليه ويلعنه

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٣٠ - ٣١.

ويلعن إبنيه الحسن والحسين وابن عباس إلى غير ذلك من الاختلافات التي ليس فيها التباس.

واعتذار جملة من علمائهم بأن ذلك كان عن اجتهاد والمجتهد وإن أخطأ لا يلام ولا يؤاخذا وهن من بيت العنكبوت وأنه لأوهن البيوت لا يقع إلا عن مبهوت أو مسبوت، وكيف يتم العذر لطلحة وعائشة والزبير بطلب دم عثمان وكتب تواريخهم تنطق إنهم الأصل في تسقيته كؤوس الـ ران، وطلحة إنما قتله مروان في المعركة لما رأى له الفرصة في الأخذ منه يوم الأخذ منه يوم عثمان فرماه بسهم كانت فيه مبنية كما هو مذكور في كتبهم، ومثله عائشة التي ألبست الناس عليه وحثت على قتله فقالت: اقتلوا نفيلاً فقد غير سنة رسول الله ﷺ.

ثم كيف اجتاز هؤلاء العلماء الأعلام لهؤلاء الصحابة أن يجتهدوا في حرب علي وسبه على رؤوس المنابر ولعنه وعلي عليه السلام بزعمهم إمام وخليفة بالحق، وهذا أبو بكر قد سبا مانعي الزكاة وقتلهم على يد خالد بن الوليد وسماهم أهل السنة بعدهم إلى يومنا هذا بل إلى آخر الدهر، ولا يسوغ للشيعة أن يجتهدوا فيما يرونه مع أن اجتهادات الشيعة مؤيدة بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية واجتهادات أهل السنة إنما هي بمجرد الرأي وإن خالف الكتاب والسنة، فكيف صار اجتهاد الشيعة في لعن أعداء الدين والبراءة منهم موجباً لكفرهم وحل دمائهم وأموالهم مع كونه مقروناً بالأدلة القرآنية كما عرفت ما هذا إلا قلة إنصاف في الدين وهظم فهؤلاء المساكين لقلتهم بينهم وذلتهم تحت دولتهم ولهذا لا يمكنهم الوقوف معهم في مسألة من المسائل تحت الدليل ولا الاحتجاج عليهم بوجه يشفي الغليل، وإنما يقاتلونهم بالقهر والغلبة والقتل والحرق، فمتى قيل رافضي قالوا: يجب قتله وأخذ ماله.

ولا ريب أن هذه سنة الأمم السالفة مع المؤمنين الذين في أزمانهم وشيعة الأنبياء كما حكاه الله تعالى في كتابه المجيد في غير موضع، فإن الدنيا والدول فيها والملك على السلطنة من قديم الأيام إنما هي لأهل الشرك والكفر بالله والأنبياء والمؤمنون والتابعون لهم لا يزالون في الإهانة والذل تحت أيديهم. ولا ريب أن دارهم إنما هي الدار الآخر للحدث المتفق عليه «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وإلى الله المشتكى وبه المستعان.

أحاديث وأشعار وقصص قصيرة

العلماء

كشكول شيخنا البهائي: ذكر عند مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قول النبي ﷺ «النظر إلى وجه العالم عبادة» فقال: هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرك الآخرة ومن كان خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة.

وعن النبي ﷺ قال: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوه وادخلوه الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم».

وعنه ﷺ قال لأصحابه: «تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والحلم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يكونوا علمكم بجهلكم».

وعن عيسى على نبينا وعليه السلام أنه قال: «مثل عالم السوء مثل الصخرة وقعت في فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء ليخلص إلى الزرع».

ومن كلامهم: إذا رأيت العالم يلازم السلطان فاعلم أنه لص، وإياك أن تخدع بما يقال إنه يرد مظلمة أو يدفع عن مظلوم فإن هذه خدعة إبليس اتخذها فجار العلماء سلماً.

حماد بن عجرد

قال ابن خلكان في كتاب وفيات الأعيان عند ذكر حماد بن عجرد ما صورته: إن حماد كان ماجناً خليعاً ظريفاً متهماً في دينه بالزندقة وكان صورته بينه وبين الأئمة الكتاب مودة ثم تقاطعا فبلغه أنه ينتقصه فكتب إليه هذه الأبيات: [البحر الكامل المجزوء]

إنْ كـان نُـسـكـكَ لا يـتِـمُ بـغـيـر شـتْـمـي وانـتـقـاصـي
فـاقـعـدْ وقـمْ بـي كـيـف شـئـتَ مـع الأدانِـي والأقـاصِـي
فـلـطـالَـمـا شـاركـتَـنـي وأنا الـمقيمُ على الـمَعاصي
أيـامَ تـأخـذُهـا وتُـعـطـي فـي أبـاريـقِ الـرّصـاصِ

ويقال إن الإمام المذكور هو أبو حنيفة - انتهى كلام ابن خلكان.

داء الإبنة

كان ابن الجوزي يعظ على المنبر إذ قام إليه بعض الحاضرين وقال: أيها الشيخ ما تقول في امرأة بها داء الابنة، فأنشد على الفور في جوابه: [البحر الطويل]

يقُولون ليلَى في العراقِ مريضةٌ فيا ليتني كنتُ الطبيبَ المُداويا

وكان له امرأة تسمى الصبا ثم طلقها وندم فحضرت يوماً مجلس وعظه وحال بينه وبينها امرأتان فأنشد مخاطباً لهما: [البحر الطويل]

أيَا جبلَيْ نُعمانَ باللهِ خلِّيا نسيمَ الصَّبا يخلصْ إليَّ نسيمُها

وسئل ذات يوم: كيف ينسب إلى يزيد قتل الحسين عليه السلام وهو بالشام والحسين بالعراق؟ فأنشد قول الرضي: [البحر البسيط التام]

سهمٌ أصابَ وراميهِ بذِي سلمِ منْ بالعراقِ لقد أبعدتَ عيناك

خليفة رسول الله ﷺ

قيل: اختصم بعض العلماء الخليفة مع بعض في كونه شيعياً أو سنياً فاتفقوا أن يسألوه على المنبر عن الخليفة بعد رسول الله ﷺ فسألوه ذات يوم وقالوا: من الخليفة بعد رسول الله ﷺ؟

فقال: من ابنته تحته، فادعت الشيعة أن مراده من ابنة النبي تحته هو علي وادعت السنة من ابنة الخليفة تحته وهو أبو بكر والاشتباه حصل من ضمير ابنته هل يرجع إلى الخليفة أو إلى النبي، ثم قال مرة أخرى بسؤال آخر فقالوا له: كم الخلفاء بعد النبي؟ فصاح بأعلى صوته: أربعة أربعة أربعة، فحملت السنة هذا التكرير على التأكيد وحملت الشيعة على العطف وأثر ترك العاطف.

الأيدي

قال الصفدي: الأيدي جمع اليد التي هي الجارحة والأيادي جمع اليد وهي النعمة هذا الصحيح وقد أخرجها عوام العلماء باللغة عن أصل وصفها فاستعمل الأيادي في جميع اليد الجارحة وتجد أكثر الناس يكتب إلى صاحب المملوك يقبل الأيادي الكريمة.

ذهب مني الأطيبان

قيل: لبعض الأعراب وقد أسن: كيف أنت اليوم؟

فقال: ذهب مني الأطيبان الأكل والنكاح وبقي الأرطبان السعال والضراط.

وقع رمضان في الواوات

ومن أمثال العرب قولهم: (وقع رمضان في الواوات) يريدون أنه جاوز العشرين فلا يذكر إلا بواو العطف، ويشهد بذلك قول محمد بن علي بن منصور بن بسام. [البحر البسيط التام]

قد قرَّبَ اللهُ منّا كلَّ ما سَعا ... كأنّني بهلالِ العيدِ قد طَلَعا

فخذْ لنفسِك في شوالَ أهبتهُ ... فإنَّ شهرَك للواواتِ قد وقَعا

وكذا قولهم: (وقع الشهر في الأنين) مرادهم إنهم يقولون فيه أحد وعشرين وثاني وعشرين فيكون الأنين فيه، وفي أمثال العوام: (إذا وقع رمضان في الأنين خرج شوال من الكمين).

الرأي

لأبي الطيب: [البحر الكامل]

الرّأيُ قبل شجاعةِ الشُجعانِ ... هو أوّلٌ وهي المحلُّ الثّاني
فإذاهُما اجْتَمعا لنفسٍ حرَّةٍ ... بلغتْ من العلياءِ كلَّ مكانِ
ولربَّما طعنَ الفَتى أقرانَه ... بالرّأيِ قبل تطاعُنِ الأقرانِ
لولا العقولُ لكانَ أدنى ضيغمٍ ... أوْلى إلى شرفٍ من الإنسانِ

الروح والنفس

سئل: بعض المتكلمين عن الروح والنفس؟ فقال: الروح هو الريح، والنفس هو النفس. فقال له السائل: فحينئذ إذا تنفس الإنسان خرجت نفسه وإذا ضرط خرجت روحه، فانقلب المجلس ضحكاً.

أمتع لذات الدنيا

قيل لبعض الأعراب: ما أمتع لذات الدنيا؟

فقال: ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب.

قد جمع السراج الورق أقسام الواوات فاحسن: [البحر البسيط التام]

ما لي أرى عُمراً أنّي سجرتُ به ... قد صارَ عمْراً بواوٍ فيه وانصرَفا
ونامَ عن حاجةٍ نبهّتة غلطاً ... لها فألفيتُ منه السهدَ والأسفا
والمستجيرُ بعمروٍ قد سمعتُ به ... فما أزيدُك تغريفاً بما عُرفا
وتلك واوٌ ولا واللهِ ما عطفتْ ... ولو أتتْ واو عطفٍ ما أتتْ طرفا
ولو غدتْ واوَ حالٍ لم تسرّ ولوْ ... أتى بها قسماً ما برّ ذا حلفا
أوْ واوَ رُبَّ لمَا جرتْ سِوى أسفٍ ... وكثْرتُه خِلافاً للّذي أِلفا
أو واو لم أجدْ خيراً أتى معنا ... أو واوُ جمعٍ غدا من فوقِه نِيفا
وليتَ صدْغاً بها قد شبّهوه غَداً ... يكوى بناري وهذا في السُّلوكِ كَفى
واللهُ يطمثُها واوٌ إذا ذُكرتْ ... ذا را بوسطي لا قبلَ ذا ألِفا

ابن الوردي من قصيدة: [البحر الرمل]

اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزلْ ... وقلِ الفضلَ وجانبْ منْ هزلْ
ودعِ اللّهوَ لأيّامِ الصّبا ... فلأيّامِ الصّبا نجمٌ أفلْ

وافتكرْ في مُنتهى حسْنِ الذي أنتَ تهْواه تجدْ أمراً جللْ
واتّقِ اللهَ فتقْوى اللهِ ما حاولتْ قلب امرئٍ إلاّ وصلْ
واطلبِ العلمَ ولا تكسلْ فما أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكسلْ
قيمةُ الإنسانِ ما يُحسنُه أكثرَ الإنسانُ منه أو أقلْ
ليس يخلُو المرءُ من ضدٍّ ولو حاولَ العزلة في رأسِ جبلْ
جانبِ الحاكمُ واحذرْ بطشَه لا تخاصمْ منْ إذا قال فعلْ
لا تَلي الحكمَ وإنْ هم سألوا رغبةً فيك وخالفْ من عذلْ
إنّ نصف الناس أعداءٌ لمنْ ذاقَها فالسّمُّ في ذاك العسلْ
لا يُوازي لذّةَ الحكمِ بما ذاقَه الشخصُ إذا الشخصُ انعزلْ
قصّرِ الآمالَ في الدّنيا تفزْ فدليلُ العقلِ تقصيرُ الأملْ
إنّ من يطلبُه الموتُ على غفلةٍ منه جديرٌ بالوجلْ
ملكُ كسْرى يُغْني عنه كسرةٌ وعنِ البحرِ اجتزاءٌ بالوشلْ
اعتبرْ نحن قسمْنا بينهم تلْقِه حقّاً وبالحقِّ نزلْ
حبُّك الأوطانَ عجزٌ ظاهرٌ فاغتربْ تلقَ عن الأهلِ بدلْ
يمكثُ الماءُ ويبقَى آسِناً وسُرى البدرِ به البدرُ اكتملْ
قاطعِ الدّنيا فمنْ عادتِها تُخفضُ العالي وتُعلي منْ سفلْ
واتركِ الحيلةَ فيها واقتدِ إنّما الحيلةُ في تركِ الحيلْ
لا تقلْ أصْلي وفَصلي أبداً إنّما أصلُ الفَتى ما قد حصلْ
قد يسودُ المرءُ من غيرِ أبٍ وبحُسنِ السّبكِ قد يخفى الزّغلْ

قصيدة لعلي بن المغربي

للفاضل الأديب جمال البلغاء علي بن المغربي، والمصراع الأول هذيان جرى على لسانه وهو محموم: [البحر الرجز المشطور]

دِرِنٌ دِرِنٌ دِرِنٌ دُبِّـــــي أنا عليُّ بنُ المغربي
سنَا حتّى تهيّبي عمّا كرى تأهّبي
ها قَدري يكتبُ للسيرِ وفي البلادِ فاركبي
أنا الذي أسُدُ السّرى في الحربِ لا تجفلُ بي
إذا تمطّيتِ وفرّقتِ عليهم ذنبي
أنا امرؤٌ أنكرُ ما يعرفُ أهـــلُ الأدبِ

ولي كلامٌ نحوهُ ... ليسَ كلامَ العَربي
يصانعُ الفراءَ في النّحو بجلدِ التغلبِ
ويقصدُ التثليثَ في ... نتّ سباكٍ قطْربي
فإنْ سألتِ مذهبي ... فِداك خيرُ مذهبي
أكلُ ما أحبُّه ... ورغْبتي في الطيّبِ
والبسُ القطنَ ولا ... أكرهُ لبسَ القصبِ
وليسَ عشقي مثلُ عشقِ الجاهلِ الغرِّ الغَبي
أحبُّ من يحبُّني ... لا من غَدا معذّبي
وكلّ قصدي خلوةٌ ... أكونُ فيها معصبي
فتجتلي بنتُ الكرومِ أو بنيّ العنبِ
ونبْتدي نأخذُ في الشّكوى وفي التعتّبِ
حتى إذا ما جادَ لي ... برشفِ ذاك الشّنبِ
حكّمْته في الرأسِ إذ ... حكّمَني في الذّنبِ
ونلتُ ما أرومُه ... منه ببذلِ الذّهبِ
هذا هو المذهبُ إنْ ... سألتني عن مذْهبي
ما أنا ذا ترفُّضٌ ... كلاّ ولا تنصبِ
ولا هوَى نفسيَ في الجدالِ والتعصّبِ
ولا جلستُ حاشا في الجمعِ فوقَ الركبِ
بين امرئٍ مصدقٍ ... وآخرٍ مكذّبِ
كلاّ ولا فاخرتُ ... بالنفسِ ولا بالنّسبِ
ما قلتُ قطُّ ها أنا ... ولم أقل كان أبي
ولم أزاحمْ أحداً ... على علُوِّ منصبِ
ولا دخلتُ قطُّ في ... عمريَ بيت الكتُبِ
كلاّ ولا كرّرتُ درسي ... في ظلامِ غيْهبي
ولا عرفتُ النّحوَ ... غيرَ الجرِّ بالمنتصبِ
كلاًّ ولا اجتهدتُ في ... حفظِ لغاتِ العربِ
ولا عرفتُ من عروضٍ ... الشعرِ غيرَ السببِ
ولا بحثتُ منه في ... المجتثّ والمقتضبِ
كلاّ ولا اشتغلتُ ... بالنجومِ والتطيّبِ
وليسَ في المنطقِ ... والحكمةِ أضحى أربَى

وأينَ منّي البحثُ في البسيطِ والمركّبِ
والسحرُ ما عرفتُه معرفةَ المجرّبِ
ولا ربطتُ ضفدعَ الماءِ بصوفِ الأرنبِ
ولا كتبتُ اسمَ من أهوى بماءِ الطحلبِ
ولا سحرتُ باللبانِ مع قشورِ المحلبِ
ولا طلبتِ السمَيّا من فتىً يسخرُ بي
ولستُ آتي قطُّ في فصلِ الشّتا بالرّطبِ
والكيمياءُ لم أكنْ أنفتُ فيها نشبِي
وليس في التّقطيرِ والتّكليسِ أضحى نقبي
ولا طمعتُ في المحالِ قطُّ مثلَ الأشعبِ
كلاّ ولا حرّفتُ للنّاسِ لأجلِ الطّلبِ
ولا ضربتُ مندلاً لجاهلٍ يمرُّ بي
ولا حملتُ طاسةً أقرعُها بالقضبِ
كلاّ ولا أظهرُ في المندلِ رأسَ قهربِ
ولا دعوتُ الشّيبصانَ دعوةً لم يجبِ
كلاّ ولا ذكّرتُه عهدَ سليمانَ النّبي
ولم اقلْ لامرأةٍ في حلّتي قومي اذهبي
ولم أقلْ بينكمُ ابنُ الزّنا مخيّبِ
اريدُ أن أطرده عنّي إلى ذي لعبِ
أوهمُهم كيلا يروحُ جمعُهم في شغبِ
ولا كتبتُ الهذيانِ شلهبَ بنَ سلهبِ
في كاغدٍ باحمرٍ وأسودٍ مكتّبِ
أقولُ هذا للسّلاطينِ وأهلِ الرتبِ
يصلح للمحبوس أو لمنْ غدا في كربِ
أردُّ يا قومُ بهِ مسافِراً لم يؤبِ
كتبتُ فيه دعوةً من ذي العُلى لم تحجبِ
والشرُّ في طلسمةِ المبغّضِ المحبّبِ
ولا اتخذتُ جبةً لا جعلتُها سببي
أقولُ يا قومُ انظرُوا عندي فنونُ العجبِ
قد سلّي لها راسي كراسِ الأرنبِ

قد كان قدماً صادها في بلد الغرْبِ أبي
أقولُ أين طالبُ الباهِ وراجي العقبِ
هذا الذي يجعلُ متن أيرِه كالخشبِ
كلاّ ولا خاطبتُكم بلفظِ أهلِ المغربِ
كلاّ ولا بعثُ المعاجينَ على الغرِّ الغبِي
أقولُ هذا مقصدي إليكمُ من يشربِ
وقد صحبتُ حاجةً زارتْ معي قبرَ النّبي
ولم أحدّثكم بما القضية من عجبِ
وأنّني سافرتُ في البحرِ لأجلِ المكْسَبِ
فعانقتْنا حرّه تروُمُ كسرَ المركبِ
حتّى إذا ما غرقَ المركبُ بالتقلّبِ
ظفرْتُ فوق ساحةٍ وذو العلى يلطفُ بي
ولاحَ لي جزيرةٌ تلوحُ مثل كوكبِ
ولا وصلْتُ أرضَها بعدَ العَنا والتّعبِ
صعدْتُ أرعى في رياضِ أرضِها والعشُبِ
أصطادُ في صيدِ طيورِ أرضِها بالقصبِ
آكلُ من ثِمارِها ما طعمُه كالرُّطبِ
ومشربي من مائِها العذْبِ المنيرِ الطيّبِ
بيْنا أنا في صعدٍ من أرضِها أو صببِ
لقيتُ شيْخاً جالِساً في ظلِّ كرمِ العنبِ
لوّحَ لي بكفِّه يعني به تقرُّبِ
فرحتُ أمشي نحوه انظرُ ما يريدُ بِي
فسلّم الشيخُ سلامَ مؤذنٍ بالرّحبِ
وقال لي اجلسْ بكلامٍ غيرِ لفظِ العربِ
لما هممتُ بالجلوسِ صارَ فوق مِنكبي
مُطوّقي منه بساقا يغني ركبِ
طويلةٌ مثلُ السّيورِ أو جبالِ القتبِ

قصة سربال ملك الهند

كتاب إتمام الدين وإكمال النعمة لشيخنا الصدوق عطر الله مرقده حدثنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الفقيه الأسواري بإيلاق قال: حدثنا مكي بن أحمد البردعي قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم الطوسي يقول وكان قد أتى عليه من العمر سبعة وسبعون سنة على باب يحيى بن منصور قال: رأيت سربال ملك الهند في بلدة تسمى فتوح فسألته كم قد أتى عليك من السنين؟ قال: تسعمائة وخمسة وعشرون سنة وهو مسلم وزعم أن النبي ﷺ انفذ إليه عشرة من أصحابه منهم حذيفة بن اليمان وعمرو بن العاص وأسامة بن زيد وأبو موسى الأشعري وصهيب الرومي وسفينة وغيرهم فدعوه إلى الإسلام فأجاب وأسلم وقبل كتاب النبي ﷺ فقلت له: كيف تصلي بهذا الضعف؟

فقال لي: قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾(١) الآية. فقلت: ما طعامك؟

فقال: آكل ماء اللحم والكراث. وسألته هل يخرج منك شيء؟

فقال لي: في كل أسبوع مرة شيء يسير. وسألته عن أسنانه فقال: أبدلتها عشرين مرة، ورأيت في اصطبله شيئاً من البهائم أكبر من الفيل يقال له: (زند فيل) فقلت له: ما تصنع بهذا؟

فقال: يحمل ثياب الخدم إلى القصار.

ومملكته مسيرة أربع سنين في مثلها ومدينته طولها خمسون فرسخاً في مثلها وعلى كل باب منها عسكر في مائة ألف وعشرين ألف إذا وقع في أحد الأبواب حدث خرجت تلك الفرقة إلى الحرب لا تستعين بغيرها وهو في وسط المدينة وسمعته يقول: دخلت المغرب فبلغت إلى رمل عالج وسرت إلى قوم موسى فرأيت سطوح بيوتهم مستوية ببدر الطعام خارج القرية يأخذون منه القوت والباقي يتركونه هناك، وقبورهم في دورهم وبساتينهم في المدينة على فرسخين ليس فيهم شيخ ولا شيخة ولم أر فيهم علة ولا يعتلون إلى أن يموتوا، ولهم أسواق إذا أراد الإنسان منهم شراء شيء صار إلى السوق فوزن لنفسه وأخذ ما يصيبه وصاحبه غير حاضر، وإذا أراد الصلاة حضر فصلوا وانصرفوا لا يكون بينهم كلام ولا خصومة ولا كلام يكره ولا كلام بينهم إلا ذكر الله والصلاة وذكر الموت.

مناظرات هشام بمحضر الرشيد

ومن الكتاب المذكور: المتقدم حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني والحسين بن إبراهيم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

من نباتة قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن محمد بن أبي عميرة قال: أخبرني علي الأسوراي قال: كان ليحيى بن خالد مجلس بداره يحضره المتكلمون من كل فرقة وبلد يوم الأحد فيتناظرون في أديانهم يحتج بعضهم على بعض، فبلغ ذلك الرشيد فقال ليحيى بن خالد: يا عباسي ما هذا المجلس الذي لا يليق في منزلك يحضره المتكلمون؟

قال: يا أمير المؤمنين ما شيء رفعني به أمير المؤمنين وبلغ من الكرامة والرفعة أحسن موقعاً عندي من هذا المجلس يحضر كل قوم مع اختلاف مذاهبهم فيحتج بعضهم على بعض ويعرف المحق من بينهم ويبين لنا فساد كل مذهب من مذاهبهم.

فقال له الرشيد: فأنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم على أن لا يعلموا بحضوري فيحتشمون ولا يظهرون مذاهبهم فقال: ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء قال: فضع يدك على رأسي أن لا تخبر بحضوري، ففعل ذلك وبلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا بينهم وعزموا أن لا يتكلموا مع هشام إلا في الإمامة لعلمهم مذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالإمامة قال: فحضر وحضر هشام وحضر عبد الله بن يزيد الأباضي وكان من أصدق الناس لابن عبد الملك وكان يشاركه في التجارة، فلما دخل هشام سلم على عبد الله بن يزيد من بينهم فقال يحيى بن خالد لعبد الله بن يزيد: يا عبد الله كلم هشاماً فيما اختلفتم فيه من الإمامة. فقال هشام: أيها الوزير وليس لهؤلاء علينا جواب ولا مسألة أن هؤلاء كانوا قوماً مجتمعين على إمامة رجل ثم فارقونا بلا علم ولا معرفة، فلا حين كانوا معنا عرفوا الحق ولا حين فارقونا علموا على ما فارقوا فليس لهم علينا مسألة ولا جواب.

فقال بيان وكان من الحرورية: أنا أسألك يا هشام أخبرني عن أصحاب علي يوم حكموا الحكمين أكانوا مؤمنين أم كانوا كافرين؟

قال هشام: كانوا ثلاثة أصناف صنف مؤمنون وصنف كافرون وصنف ضالون، فأما المؤمنون فمن قال مثل قولي أن علياً عليه السلام إمام من عند الله عز وجل ومعاوية لا يصلح لها فآمنوا بما قال الله عز وجل في علي وأقروا به، وأما المشركون فقوم قالوا علي إمام ومعاوية يصلح لها فأشركوا إذ أدخلوا معاوية مع علي، وأما الضالون فقوم خرجوا على الحمية والعصبية للقبائل والعشائر فلم يعرفوا شيئاً من هذا وهم جهال.

قال فأصحاب معاوية ما كانوا قال: كانوا ثلاثة أصناف صنف كافرون وصنف مشركون وصنف ضلال، فأما الكافرون فالذين قالوا إن معاوية إمام وعلي عليه السلام لا يصلح لها فكفروا من جهتين إذ جحدوا إماماً من الله عز وجل ونصبوا إماماً ليس من الله، وأما المشركون فقوم قالوا معاوية إمام وعلي عليه السلام يصلح لها فأشركوا إذ أدخلوا معاوية مع علي عليه السلام ، وأما الضلال فعلى سبيل أولئك خرجوا للحمية والعصبية للقبائل والعشائر. فانقطع بيان عند ذلك.

فقال ضرار: وأنا أسألك يا هشام في هذا. قال هشام: أخطأت. قال: ولم قال لأنكم كلكم

مجتمعون على رفع إمامة صاحبي وقد سألني هذا عن مسألة فليس لكم أن تثنوا بالمسألة علي حتى أسألك يا ضرار عن مذهبك في هذا الباب فقال ضرار: فسل. قال: أتقولون إن الله عز وجل عدل لا يجور؟

قال: نعم هو عدل لا يجور. قال: فلو كلف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد في سبيل الله وكلف الأعمى قراءة المصحف والكتب أتراه كان عادلاً؟

قال ضرار: ما كان الله ليفعل ذلك. قال هشام: علمت أن الله لا يفعل ذلك ولكن على سبيل الجدل والخصومة أن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً إذ كان تكليفاً لا يكون له السبيل إلى إقامته وإقامة أدامة؟

قال: لو فعل ذلك لكان جائراً. قال: فأخبرني عن الله عز وجل كلف العباد ديناً واحداً لاختلاف فيه ولم يقبل منهم إلا أن يأتوا به كما لو كلفهم؟

قال: فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين أو كلفهم ما لا دليل لهم على وجوده فيكون بمنزلة من كلف الأعمى قراءة المصحف والكتب والمقعد المشي إلى الجهاد والمساجد؟

قال: فسكت ضرار ساعة ثم قال: لا بد من دليل وليس بصاحبك. قال: فتبسم هشام وقال: تشيع شطرك وصرت إلى الحق ضرورة ولا خلاف بيني وبينك إلا في التسمية.

قال ضرار: فإني أرجع عليك في هذا الجدل. قال: هات. قال ضرار لهشام: كيف تعتقد الإمامة؟

قال هشام: كما عقد الله النبوة. قال: إذاً نبي؟

قال هشام: لا لأن النبوة يعقدها أهل السماء والإمامة يعقدها أهل الأرض فعقد النبوة بالملائكة وعقد الإمامة بالنبي والعقدان جميعاً بأمر الله عز وجل إلا أن النبوة تعتقد بالملائكة والإمامة تعتقد بالنبي قال: فما الدليل على ذلك؟

قال: الاضطرار في هذا. قال ضرار: وكيف ذلك؟

قال هشام: لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه: إما أن يكون الله عز وجل رفع التكليف على الخلق بعد الرسول ﷺ فلم يكلفهم ولم يأمرهم ولم ينههم فصاروا بمنزلة السباع والبهائم التي لا تكليف عليها أتقول هذا يا ضرار إن التكليف عن الناس مرفوع بعد الرسول ﷺ قال: لا ما أقول هذا.

قال هشام: والوجه الثاني ينبغي أن يكون الناس استحالوا بعد الرسول ﷺ علماء في مثل حد الرسول ﷺ في العلم حتى لا يحتاج أحد إلى أحد فيكونوا كلهم قد استغنوا بأنفسهم وأصابوا الحق الذي لا اختلاف فيه أفتقول هذا إن الناس استحالوا علماء حتى صاروا مثل حد الرسول في العلم بالدين فلا يحتاج أحد إلى أحد مستغنين بأنفسهم عن غيرهم قال: فبقي الوجه

الثالث وهو أنه لا بد من عالم بقيامة الرسول ﷺ لهم لا يسهو ولا يغلط ولا يحيف معصوم من الذنوب مبرأ من الخطايا يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد. قال: فما الدليل عليه؟

قال: ثمان دلالات أربع في نعت نسبه وأربع في نعت نفسه، فأما الأربع التي في نعت نسبه فإنه يكون معروف الجنس معروف القبيلة معروف البيت وأن يكون من صاحب الملة والدعوة إشارة إليه فلم نر جنساً من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذين فيهم صاحب الملة والدعوة بالذي ينادى باسمه في كل يوم خمس مرات على الصوامع (أشهد أن لا إلّه إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله) تصل دعوته إلى كل بر وفاجر عالم وجاهل مقر ومنكر في شرق الأرض وغربها، ولو كان جاز أن يكون الحجة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى على الطالب المرتاد دهر من عصره لا يجده ولجاز أن تطلبه في أجناس من هذا الخلق من غير هذا الجنس لاتصاله بصاحب الملة والدعوة، ولم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملة وهو قريش، ولما لم يجز أن يكون من القبيلة إلا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة والدعوة، فلما كثر على هذا البيت التشاجر في الإمامة لعلوها وشرفها ادعاها كل واحد منهم فلم يجز إلا أن يكون من صاحب الملة والدعوة إشارة إليه بعينه واسمه ونسبه لئلا يطمع فيها غيره. وأما الأربع التي في نعت نفسه فإن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض الله وسننه وأحكامه حتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل، وأن يكون معصوماً من الذنوب كلها، وأن يكون أشجع الناس وأسخاهم.

فقال عبد الله بن يزيد الأباضي: من أين قلت إنه أعلم الناس؟

قال: لأنه لو لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه لم يؤمن عليه أن يقلب بالحدود، فمن وجب عليه القطع حده ومن وجب عليه الحد قطعه فلا يقيم لله عز وجل حداً على ما أمره، فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساداً قال: فمن أين قلت إنه معصوم من الذنوب؟

قال: لأنه إن لم يكن معصوماً من الذنوب دخل في الخطأ فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه ولا يحتج الله عز وجل. قال: فمن قلت إنه أشجع الناس؟

قال: لأنه فئة للمسلمين الذين يرجعون إليه في الحرب وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾(١) فإن لم يكن شجاعاً يبوء بغضب من الله، ولا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله حجة الله على خلقه قال: فمن أين قلت إنه أسخى الناس؟

قال: لأنه حارس المسلمين وإن لم يكن سخياً تاقت نفسه إلى أموالهم فأخذها فكان خائناً ولا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٦.

فعند ذلك قال ضرار: فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت؟

قال: صاحب العصر أمير المؤمنين وكان هاورن قد سمع الكلام كله. فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النورة ويحك يا جعفر، وكان جعفر بن يحيى جالساً معه في الستر: من يعني بهذا؟

فقال يا أمير المؤمنين يعني به موسى بن جعفر. فقال: ما أعني بها غير أهلها ثم عض على شفتيه وقال: مثل هذا حي ويبقى في ملكي ساعة فوالله للسان هذا في قلوب الناس أحد من مائة ألف سيف. وعلم يحيى أن هشاماً قد أتى فدخل الستر فقال: يا عباسي ويحك من هذا الرجل؟

فقال يا أمير المؤمنين حسبك يكفي يكفي.

ثم خرج إلى هشام فغمزه فعلم هشام أنه قد أتى فقام يريهم أنه يبول ويقضي حاجة فلبس نعله وانسل ومر ببيته وأمرهم بالتواري وهرب ومر من وقته نحو الكوفة فوافى الكوفة ونزل على بشير النبال وكان من جملة الحديث من أصحاب أبي عبد الله وأخبره الخبر ثم اعتل علة شديدة فقال له بشير: آتيك بطبيب؟

قال: لا أنا ميت فلما حضرته الوفاة قال للبشير: إذا فرغت من جهازي فاحملني في جوف الليل وضعني في الكناس واكتب رقعة وقل: هذا هشام بن الحكم الذي يطلبه أمير المؤمنين مات حتف أنفه. وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلما أصبح أهل الكوفة ورأوه وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالكوفة وكتب إلى الرشيد بذلك. فقال: الحمد لله الذي كفانا أمره فخلا عمن كان أخذ به.

احتجاج سعد بن عبد الله القمي مع أشد النواصب

ومن الكتاب المذكور: بسنده فيه إلى سعد بن عبد الله القمي قال: كنت امرءاً لهجاً بجميع الكتب المشتملة على غوامض العلوم ودقائقها كلفاً باستظهار ما يصح من حقائقها مغرماً بحفظ مشتبهها ومستغلقها شحيحاً على ما أظفر به من معاضلها ومشكلاتها متعصباً لمذهب الإمامية راغباً من الأمن والسلامة في انتصار التنازع والتخاصم إلى التباغض والتشاتم معيباً لفرق ذوي الخلاف كاشفاً عن مثالب أئمتهم هاتكاً لحجب قاعدتهم، إلى أن بليت بأشد النواصب منازعة وأطولهم مخاصمة وأكثرهم جدلاً وشقهم سؤالاً وأثبتهم على الباطل قدماً فقال ذات يوم وأنا أناظره: تباً لك يا سعد ولأصحابك معاشر الرافضة تقصدون على المهاجرين والأنصار بالطعن عليهم وتجحدون من رسول الله ﷺ ولايتهم وإمامتهم أهذا الصديق الذي فاق جميع الصحابة بشرف سابقته أما علمتم أن رسول الله ﷺ ما أخرجه مع نفسه إلى الغار إلا علماً منه بأن الخلافة من بعده له وإنه هو المقلد لأمر التأويل والملقى إليه أزمة الأمة وعليه المعول في شعب الصدع والخلل وإقامة الحدود وتسريب الجيوش لفتح بلاد الشرك، فكما أشفق على نبوته أشفق

على خلافته إذ ليس من حكم الاستتار والتواري أن يروم الهارب من الشر مساعده من غيره إلى مكان يستخفي فيه، ولما رأينا النبي ﷺ متوجهاً إلى الحجاز ولم يكن الحال يوجب استدعاء المساعدة من أحد استبان لنا قصد رسول الله ﷺ بأبي بكر للغار للعلة التي شرحناها، وإنما أبات علياً على فراشه لما لم يكترث له ولم يحفل به والاستقالة إياه ولعلمه بأنه إن قتل لم يعتذر عليه نصب غيره مكانه للخطوب التي كان يصلح لها.

قال سعد: فأوردت عليه أجوبة شتى فما زال يعقب كل واحد بالنقض والرد ثم قال: يا سعد دونكها أخرى مثلها تحطم أنوف الروافض ألستم تزعمون أن الصديق المبرأ من دنس الشكوك والفاروق المحامي عن بيضة الإسلام كانا يسران النفاق واستدللتم بليلة العقبة، أخبرني عن الصديق والفاروق أسلما طوعاً أو كرهاً؟

قال سعد: فاحتلت لدفع هذه المسألة عني خوفاً من الإلزام وحذراً من أني أن أقررت له بطوعيتهما للإسلام احتج أن بدء النفاق ونشوء في القلب لا يكون إلا عن هبوب روائح القهر والغلبة وإظهار اليأس الشديد في حمل المرء على ما ليس ينقاد له قلبه نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾[1] وإن قلت أسلما كرها كان يقصدني بالطعن إذ لم يكن ثمة سيوف منتضاة كانت تريهما البأس.

قال سعد: فصدرت عنه من ورد قد انتفخت أحشائي من الغضب وتقطع كبدي من الكرب وقد كنت اتخذت طوماراً وأثبت فيه نيفاً وأربعين مسألة من صعاب المسائل لم أجد لها مجيباً على أن أسأل فيها خير أهل بلدي أحمد بن اسحاق صاحب مولانا أبي محمد، فارتحلت خلفه وكان قد خرج قاصداً نحو مولانا بسر من رأى فلحقته في بعض المنازل فلما تصافحنا قال: بخير لحاقك بي؟

قلت: الشوق ثم العادة في الاسئلة. قال: قد تكافينا على هذه اللحظة الواحدة فقد برح بي الشوق إلى لقاء مولانا أبي محمد عليه السلام وأريد أن أسأله عن معاضل في التأويل ومشاكل من التنزيل فدونكهما الصحبة المباركة فإنها تقف بك على ضفة بحر لا تنقضي عجائبه ولا تفنى غرائبه وهو إمامنا، فوردنا سر من رأى فانتهينا منها إلى باب سيدنا عليه السلام فاستأذنا فخرج إلينا الإذن بالدخول عليه، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطاه بكساء طبري فيه مائة وستون صرة من الدنانير والدراهم على كل صرة منها ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبهت وجه مولانا أبي محمد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلا بدراً قد استوفى من لياليه أربع عشرة وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والنظر على رأسه فرق وفرتين كأنه ألف بين واوين وبين يدي مولانا رمانة ذهبية تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب

(١) سورة غافر، الآية: ٨٤.

الفصوص المركبة عليها قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة وبيده قلم إذا أراد أن يكتب به على البياض قبض الغلام على أصابعه فكان مولانا عليه السلام خرج الرمانة بين يديه ويغله بردها كيلا يصده عن كتبه ما أراد، فسلمنا عليه فألطف في الجواب فأومى إلينا بالجلوس، فلما فرغ من كتبه البياض الذي كان بيده أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طي كسائه فوضعه بين يديه فنظر العسكري عليه السلام إلى الغلام وقال: يا بني فض الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك فقال: يا مولاي لا يجوز أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموالاً رجسة قد شيب أحلها بأحرمها.

فقال مولاي عليه السلام: يا بن إسحاق استخرج ما في الجراب ليميز بين الحلال والحرام منها، فأول صرة بدأ أحمد بإخراجها فقال الغلام: هذا لفلان ابن فلان من محل كذا بقم تشتمل على اثنين وستين ديناراً من ثمن حجرة باعها صاحبها وكانت إرثاً له من أبيه خمسة وأربعون ديناراً ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً وفيها من أجرة الحوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا عليه السلام: صدقت يا بني دل الرجل على الحرام منها، فقال عليه السلام: فتش عن دينار رازي السكة تاريخه سنة كذا قد انطمس من نصف أحد صفحتيه ففتشته وقراضه أمليه وزنها ربع دينار والعلة في تحريمها أن صاحب هذه الجملة وزن في شهر كذا من سنة كذا على حائك من جيرانه من الغزل شيئاً وربع من فائت على ذلك مدة قبض انتهائها لذلك الغزل سارق فأخبر به الحائك صاحبه وكذبه واسترد منه بدل ذلك منا ونصف من غزلا أرق مما كان دفعه إليه واتخذ من ذلك ثوباً كان هذا الدينار مع القراضة ثمنه، فلما فتح رأس الصرة صادف رقعة في وسط الدنانير باسم أخبر عنه وبمقدارها على حسب ما قال فاستخرج الدينار والقراضة بتلك العلامة.

ثم أخرج صرة أخرى فقال الغلام عليه السلام: هذه لفلان ابن فلان من محلة كذا وكذا بقم تشتمل على خمسين ديناراً لا يحل لنا لمسها. قال: وكيف ذاك؟

قال: لأنها من ثمن حنطة خان صاحبها على أكاره في المقاسمة وذلك أنه قبض حصته منها بكيل واف وكان ما خص الأكار بكيل بخس. فقال مولانا عليه السلام: صدقت يا بني ثم قال: يا أحمد بن إسحاق احملها بأجمعها لتردها أو توصي بردها على أربابها فلا حاجة لنا في شيء منها وأتنا بثوب العجوز.

قال أحمد: وكان ذلك الثوب في حقبة لي فنسيته، فلما انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إلي مولانا أبو محمد عليه السلام فقال: ما جاء بك يا سعد؟

فقلت: شوقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا قال: فالمسائل التي أردت أن تسأل عنها؟

قلت: على حالها يا مولاي. قال: فسل قرة عيني عنها، وأومى إلى الغلام: سله عما بدا لك. فقلت: مولانا وابن مولانا أنا روينا عنكم أن رسول الله جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين عليه السلام حتى قال يوم الجمل لعائشة: (إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك

وأوردت نبيك حياض الهلاك فإن كففت عني غره بك وإلا طلقتك) ونساء رسول الله ﷺ قد كان طلاقهن وفاته. قال: ما الطلاق؟

قلت: تخلية السبيل قال: فإذا كان وفاة رسول الله ﷺ قد خلت لهن السبيل فلم لا يحل لهن الأزواج؟ قلت: لأن الله تبارك وتعالى حرم عليهن الأزواج.

قال: كيف وقد خلى الموت سبيلهن؟

قلت: فأخبرني يا بن رسول الله عن معنى الطلاق الذي فوض رسول الله ﷺ حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي ﷺ فخصهن بشرف الأمهات فقال رسول الله: «يا أبا الحسن أن هذا الشرف باق لهن مادمن من الله على الطاعة فأيهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فاطلق لها في الأزواج وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين» قلت: فأخبرني عن الفاحشة البينة؟

قال: هي السحق دون الزنا فإن المرأة إذا زنت وأقيم عليها الحد ليس لمن أرادها أن يمتنع بعد ذلك من التزويج بها لأجل الحد وإذا استحقت وجب عليها الرجم والرجم خزي ومن قد أمر الله برجمه فقد أخزاه ومن أخزاه فقد أبعده ومن أبعده فليس لأحد أن يقربه.

قلت: فأخبرني يا بن رسول الله عن أمر الله لنبيه موسى عليه السلام فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى، فإن فقهاء الفريقين يزعمون إنها كانت من أهاب الميتة قال صلوات الله عليه: من قال ذلك فقد افترى على موسى عليه السلام واستجهله في نبوته لأنه ما خلا الأمر فيها من خصلتين: إما أن يكون صلاة موسى عليه السلام فيها جائزة أو غير جائزة، فإن كانت جائزة جاز له لبسها في تلك البقعة إذ لم يكن مقدسة فإذا كانت مقدسة مطهرة فليست بأقدس ولا أطهر من الصلاة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب على موسى عليه السلام أنه لم يعرف الحلال من الحرام وعمل ما جاز فيه الصلاة وما لم يجز وهذا كفر. قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيها.

قال صلوات الله عليه: إن موسى ناجى ربه بالواد المقدس فقال: يا رب إني قد أخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عمن سواك، وكان شديد الحب لأهله فقال الله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[1] أي انزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خاصة وقلبك من الميل إلى من سواي مغسول.

قلت فأخبرني يا بن رسول الله عن تأويل (كهيعص) قال: هذه الحروف من أنباء الغيب اطلع الله تعالى عبده زكريا عليها ثم قصها على محمد ﷺ، وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢.

الأسماء الحسنى فأهبط عليه جبرائيل عليه السلام فعلمه إياها فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سرى عنه همه وانجلى كربه وإذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: إلّهي ما لي إذا ذكرت أربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفرتي، فأنبأه الله تعالى عن قصته فقال (كهيعص) فالكاف اسم كربلاء والهاء هلاك العترة والياء يزيد بن معاوية وهو ظالم الحسين والعين عطشه والصاد صبره، فلما سمع بذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع الناس فيها من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب وكانت ندبته: إلّهي أتفجع خير خلقك بولده، إلّهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه ، إلّهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المعيبة، إلّهي أتحل كربة هذه الفجيعة بساحتهما، ثم كان يقول: إلّهي ارزقني ولداً تقربه به عيني عند الكبر واجعله وارثاً وصياً واجعل محله مني محل الحسين عليه السلام فإذا رزقتنيه فافتني بحبه ثم أفجعني به كما تفجع محمد صلى الله عليه وآله بولده، فرزقه الله تعالى يحيى عليه السلام وفجعه به، وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك، وله قصة طويلة.

قلت: فأخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم؟

قال: مصلح أو مفسد؟

قلت: مصلح. قال: فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟

قلت: بلى قال: فهي العلة أوردها لك ببرهان ينقاد له عقلك ثم قال عليه السلام: أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله عز وجل وأنزل عليهم الكتب وأيدهم بالوحي والعصمة إذ هم أعلام الأمم وأهدى إلى الاختيار منهم مثل موسى وعيسى عليهما السلام هل يجوز مثل وفور عقلهما وكمال علمهما أنهما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن؟

قلت: لا. قال: هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً ممن لا يشك في إيمانهم وإخلاصهم فوقع خيرته على المنافقين قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا﴾(١) إلى قوله: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾(٢) بظلمهم فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله عز وجل للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أن الأصلح دون الأفسد علمنا أن الاختيار ليس إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور وتكن الضمائر وتنصرف إليه السرائر، وان لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ٥٥.

ثم قال مولانا عليه السلام : يا سعد حين ادعى خصمك ما أخرج مع نفسه مختار هذه الأمة إلى الغار إلا علماً منه بأن الخلافة له من بعده وأنه هو المقلد أمور التأويل والملقى إليه أزمة الأمة وعليه المعول في لم الشعث وسد الخلل وإقامة الحدود وتسرب الجيوش لفتح بلاد الكفر، فكما أشفق على خلافته وأنه لم يكن من حكم الاستناد والتواري أن يروم الهرب من الشر مساعدة من غيره إلى مكان يستخفي فيه، وإنما أبات علياً عليه السلام على فراشه لما كان لا يكترث له ولم يحفل به لاستثقاله إياه وعلمه أنه إن قتل لم يتعذر عليه نصب غيره مكانه للخطوب التي كان يصلح لها فساد دعواه بقولك أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» جعل هذه موقوفة على أعمار الأربعة الذين هم الخلفاء الراشدين في مذهبهم فكان لا يجد بداً من أن يقول لك بلى وكنت تقول له حينئذ أليس كما علم رسول الله صلى الله عليه وآله أن الخلافة بعده لأبي بكر علم أنها من بعد أبي بكر لعمر ومن بعده لعثمان ومن بعده لعلي عليه السلام فكان أيضاً لا يجد بداً من قوله لك نعم ثم كنت تقول فكان الواجب على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخرجهم جميعاً على الترتيب إلى الغار ويشفق عليهم كما أشفق على أبي بكر، ولا يستخف بقدر هؤلاء الثلاثة بتركه إياهم وتخصيصه أبا بكر وإخراجه مع نفسه دونهم.

ولما قال أخبرني عن الصديق والفاروق أسلما طوعاً أو كرهاً لم لم تقل له أسلما طمعاً وذلك أنهما كانا يجالسان اليهود ويستخبرانهم عما كانوا يجدون في التوراة وفي سائر الكتب المتقدمة الناطقة بالملاحم من حال إلى حال عن قصة محمد وعن عواقب أمره، فكانت اليهود تذكر أن محمد صلى الله عليه وآله مسلط على العرب كما كان بخت نصر مسلطاً على بني إسرائيل ولا بد له من الظفر بالعرب كما ظفر بخت نصر ببني إسرائيل غير أنه كاذب في دعوته أنه نبي، فأتيا محمد صلى الله عليه وآله فساعداه على شهادة أن لا إله إلا الله وتابعاه طمعاً أن ينال كل واحد منهما من جهته ولاية بلد إذا استقامت أموره واستتبت أحواله، فلما أيسا من ذلك تلثما وصعدا العقبة مع عدة من قريش من أمثالهما من المنافقين على أن يقتلوه فدفع الله عز وجل كيدهم وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، كما أتى طلحة والزبير علياً فبايعاه وطمع كل واحد منهما أن ينال من جهته ولاية بلد فلما أيسا نكثا بيعته وخرجا عليه فصرع الله كل واحد منهما مصرع أشباههما من الناكثين.

قال سعد: ثم قام مولانا الحسن بن علي الهادي عليه السلام للصلاة مع الغلام فانصرفت عنهما وطلبت أثر أحمد بن إسحاق فاستقبلني باكياً فقلت: ما أبطأك وأبكاك؟

قال: قد فقدت الثوب الذي سألني مولاي إحضاره قلت: لا عليك فأخبره، فدخل عليه مسرعاً وانصرف من عنده متبسماً وهو يصلي على محمد وأهل بيته فقلت: ما الخبر؟

قال: وجدت الثوب مبسوطاً تحت قدمي مولانا يصلي عليه.

قال سعد: فحمدنا الله جل ذكره على ذلك وجعلنا نختلف بعد ذلك اليوم إلى منزل مولانا الحسن بن علي عليه السلام فلا ترى الغلام بين يديه، فلما كان يوم الوداع دخلت أنا وأحمد بن

إسحاق وكهلان من بلدنا وانتصب أحمد بن إسحاق بين يديه قائماً وقال: يابن رسول الله قد دنا الرحلة واشتدت المحنة فنحن نسأل الله عزوجل أن يصلي على المصطفى جدك وعلى المرتضى أبيك وعلى سيدة النساء أمك وعلى سيدي شباب أهل الجنة عمك وأبيك وعلى الأئمة الطاهرين من بعدهما آبائك وأن يصلي عليك وعلى ولدك ونرغب إليه أن يعلي كعبك ويكبت عدوك ولا جعل الله هذا آخر عهدنا من لقائك.

قال: فلما قال هذه الكلمات استعبر مولانا عليه السلام حتى استهلت دموعه وتقاطرت عبراته ثم قال: يابن إسحاق لا تكلف في دعائك شططاً فإنك ملاق الله عزوجل في سفرك هذا، فخرا أحمد مغشياً عليه فلما أفاق قال: سألتك بالله وبحرمة جدك إلا ما شرفتني بخرقة أجعلها كفناً، فأدخل مولانا عليه السلام يده تحت البساط وأخرج ثلاثة عشر درهماً فقال: خذها ولا تنفق على نفسك غيرها فإنك لن تقدم ما سألت وأن الله تبارك وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

قال سعد: فلما انصرفنا بعد منصرفنا من عند مولانا عليه السلام من حلوان على ثلاثة فراسخ حم أحمد بن إسحاق رحمه الله وثارت به علة صعبة آيس من حياته فيها فلما وردنا حلوان ونزلنا في بعض الخانات دعى أحمد بن إسحاق رجلاً من أهل بلده وكان قاطناً بها ثم قال: تفرقوا عني هذه الليلة واتركوني وحدي فانصرفنا عنه ورجع كل واحد منا إلى مرقده.

قال سعد: فلما حان أن ينكشف الليل عن الصبح أصابتني فكرة ففتحت عيني فإذا أنا بكافور خادم مولانا أبي محمد عليه السلام وهو يقول: أحسن الله بالخير عزاكم وجبر بالمحبوب رزيتكم قد عرفنا عن غسل صاحبكم وتكفينه فقوموا لدفنه فإنه من أكرمكم محلاً عند سيدكم، ثم غاب عن أعيننا فاجتمعنا على رأسه بالبكاء والعويل حتى قضينا حقه وفرغنا من أمره.

بول في أست غلام

قال: علي بن بسام البغدادي: كنت أتعشق غلاماً لخالي ابن حمدون فنمت ليلة عنده وقمت لأدب عليه فلسعتني عقرب فقلت آه فانتبه خالي وقال: ما أتى بك ها هنا؟

قال: قمت لأبول. فقال: صدقت ولكن في است غلامي فحضرني إذ ذاك هذه الأبيات فأنشأت أقول: [البحر الكامل]

ولقد سريتُ مع الظلامِ لموعدٍ حصّلته من غادرٍ كذّابِ
فإذا على ظهرِ الطّريقِ معدةٌ سوداءُ قد علمتْ أوان ذهابي
لا باركَ الرحمنُ فيها أنّها دبّابةٌ دبّتْ على دبّابِ

ابن قلانس الإسكندري:

العاشق

[البحر الكامل]

قرنتْ بواوِ الصّدغِ صادَ المقبلِ وأبيت لاماً في عذارٍ مسلسلِ
إنْ لم يكنْ وصلٌ لديكِ لعاشقٍ ماذا الذي أبديتِ للمتأمّلِ
قد سامحوا عمراً بواوٍ من يدٍ وضُويق باسمِ اللهِ في أولِ الوصلِ

غيره:

عين المقبول عيبوه كالواو من عمر ويرى واللفظة منه قصير
كالنون من زيد يقال مديحه باللفظ لكن لا يراه بصير

التهامي:

مفارقة

[البحر الكامل]

لغوٌ كحرفٍ يزيدَ لا معنًى له أو واوِ عمروٍ فقدُها كوجودِها

قال صلاح الدين الصفدي بعد إيراد هذه الأشعار: وكان الجاحظ يزعم أن عمراً أرشق الأسماء وأخفها وأظهرها وأسهلها، وكان يسميه الاسم المظلوم ويعني بذلك الزامهم به الواو التي ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها ولا إشاره لها.

قال شيخنا البهائي: قدس الله سره في الكشكول بعد نقل ذلك ما صورته قال نامق هذه السطور: لو يوجه كلام الجاحظ في تسمية الاسم المذكور بما سماه بأنه يقع في أكثر الأمثلة لا سيما في العلوم الأدبية مضروباً أو مقتولاً كما لا يحجب على من له أدنى اطلاعاً عليها لكان أظهر. ويناسب هذا المقام ما قاله سيف الدولة الأسفر كنى في بعض مدائحه:

از زدن زيد عمر ودر عظ نحو لطف وبيان توبر كرفته ايم را

ولعل نظره ﷺ إلى شيء لا يخطر ببالنا والله أعلم- انتهى.

قصيدة دعبل الخزاعي

في الحسن عن أبي الصلت دخول دعبل على الرضا عليه السلام وإنشاده له هذه القصيدة رواه في عيون الأخبار وهي:

[البحر الطويل]

تجاوبنَ بالأرْنانِ والزّفراتِ نوائحُ عجمُ اللفظِ والنّطقاتِ
يخبرْن بالأنفاسِ عن سرِّ أنفسٍ أُسارى هوىً ماضٍ وآخرآتِ
فاسعدْن أو اسعفْن حتى تقوضّتْ صفوفُ الدّجى بالفجرِ منهزماتِ

على العرصاتِ الخالياتِ من المَهى ... سلامُ شجٍ صبٍّ على العرصاتِ
فعهْدي بها خضرُ المعاهدِ مألفاً ... من العطراتِ البيضِ والخفراتِ
لياليَ يُعدينَ الوصالَ على القِلى ... وبعد تدانينا على الغرباتِ
وإذ هنّ يلحظنَ العيونَ سوافراً ... ويستِرْن بالأيدي على الوجناتِ
فكم حسراتٍ هاجَها بمحسِّرٍ ... وقُوفي بيومِ الجمعِ من عرفاتِ
ألمْ تر للأيامِ ما جرَّ جورُها ... على الناسِ من نقصٍ وطولِ شتاتِ
ومن دولِ المستهزئين ومن غدا ... بهم طالِباً للنورِ في الظلماتِ
فكيف ومن يأتي بطالبِ زلفةٍ ... إلى اللهِ بعد الصومِ والصلواتِ
سوى حبِّ أبناءِ النبيِّ ورهطِه ... وبغضِ بني الزرقاءِ والعبلاتِ
وهندٍ وما أدّتْ سميةُ وابنُها ... أوُلو الكفرِ في الإسلامِ والفجراتِ
همُ نقضُوا عهد الكتابِ وفرضَه ... ومحكمه بالزُّرِ والشُّبهاتِ
ولم تكُ إلا محنةٌ كشفتهمُ ... بدعوى ضلالٍ من هنٍ وهناتِ
تراثٌ بلا قُربى وملكٌ بلا هُدى ... وحكمٌ بلا شُورى بغيرِ هُداة
رزايا أرتْنا خضرةَ الأفقِ حمرةً ... وردّتْ أُجاجاً طعمَ كلِّ فراتِ
وما سهلتْ تلك المذاهبُ فيهمُ ... على الناسِ إلا بيعةُ الفلتاتِ
وما نالَ أصحابُ السقيفةِ إمرةً ... بدعوى تراثٍ في الضلالِ تراتِ
ولو قلّدوا المُوصى إليهِ زمامها ... لزمّتْ بمأمونٍ من العثراتِ
أخا خاتمِ الرسلِ المصفّى من القذى ... ومفترسَ الأبطالِ في الغمراتِ
فإن جحدوا كان الغديرُ شهيده ... وبدرٌ واحدٌ شامخُ الهضباتِ
وآيٌ من القرآنِ تتْلى بفضلِه ... وإيثارُه بالقوتِ في اللّزباتِ
وغرُّ خلالٍ أدركتْه بسبقِها ... مناقبُ كانت فيه مؤتنفاتِ
مناقبُ لم تدركْ بكدٍّ ولم تنلْ ... بشيءٍ سوى حدِّ القَنا الذّرباتِ
نجيٌّ لجبريل الأمينِ وأنتمُ ... عكوفٌ على العُزّى معاً ومناةِ
بكيتُ لرسمِ الدّارِ من عرفاتِ ... وأذهبتُ دمع العينِ بالعبراتِ
وفُكَّ عُرى صبْري وهاجتْ صبابتي ... رسومُ ديارٍ قد عفتْ وعراتِ
مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ... ومنزلُ وحيٍ مقفرِ العرصاتِ
لآلِ رسولِ اللهِ بالخيفِ من مِنى ... وبالبيتِ والتعريفِ والجمراتِ
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ ... وحمزةَ والسجادِ ذي الثّفناتِ
وسبطيْ رسولِ اللهِ وابنيْ وصيّهِ ... ووارثِ علمِ اللهِ والحسناتِ

منازلُ وحيٍ الله ينزلُ بينَها على أحمدَ المذكورِ في السّوراتِ
منازلُ قومٍ يهتدى بهُداهمُ فتؤمنُ منهم زلّةُ العثراتِ
منازلُ كانت للصلاةِ وللدّعا وللصومِ والتطهيرِ والزكواتِ
منازلُ لا تيمٌ يحلُّ بربعِها ولا ابنُ صهّاك هاتكِ الحرماتِ
ديارٌ عفاها جورُ كلِّ منابذٍ ولم تعفُ للأيامِ والسنواتِ
قِفا نسألِ الدارَ التي خفّ أهلُها متى عهدُها بالصومِ والصلواتِ
وأين الأولى شطّتْ بهم غربةُ النّوى أفانينُ في الأطرافِ مفترقاتِ
همُ أهلُ ميراثِ النبيِّ إذا اعتزوْا وهمْ خيرُ ساداتٍ وخيرُ حُماةِ
إذا لم نناجِ في صلاتنا بأسمائِهم لم يقبلِ الصلواتِ
مطاعيمُ في الاعسارِ في كلِّ مشهدٍ لقد شرُفوا بالفضلِ والبركاتِ
وما الناسُ إلا غاصبٌ ومكذِّبٌ ومضطغنٌ ذو أحنةٍ وتراتِ
إذا ذكرُوا قتلى ببدرٍ وخيبرٍ ويوم حنينٍ أسبلُوا العبراتِ
فكيفَ يحبّون النبيَّ ورهطَه وهمْ تركوا أحشاءهم وغراتِ
لقد لاينُوه في المقالِ وأضمروا قلوباً على الأحقادِ منطوياتِ
فإن لم تكنْ إلا بقربى محمدٍ فهاشمُ أوْلى من هنٍ وهناتِ
سقَى اللهُ قبْراً بالمدينةِ غيثُه فقد حلَّ فيه الأمنُ بالبركاتِ
نبيُّ الهُدى صلّى عليه مليكُه وبلّغَ عنا روحه التُّحفاتِ
وصلّى عليهِ الله ما ذرّ شارقٌ ولاحتْ نجومُ الليلِ مبتدراتِ
أفاطمُ لو خلْتِ الحسينَ مجدَّلا وقد ماتَ عطْشاناً بشطِّ فُراتِ
إذاً للطمتِ الخدَّ فاطمُ عندَه وأجريْتِ دمع العينِ في الوجناتِ
أفاطمُ قومي يا بنة الخيرِ واندبي نجومَ سماواتٍ بأرضِ فلاةِ
قبورٌ بكوفانٍ وأخرى بطيبةٍ وأخرى بفخٍّ نالَها صلَواتي
وقبرٌ بأرضِ الجوزجانِ محلُّه وقبرٌ بباخمرا لدَى الغرباتِ
وقبرٌ ببغدادٍ لنفسٍ زكيّةٍ تضمّنها الرحمنُ في الغرفاتِ

وفي رواية الصدوق ابن بابويه عطر الله مرقده أنه لما انتهى إلى هذا البيت قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك في هذا الموضع بيتين لها تمام قصيدتك؟

فقال له: نعم. يابن رسول الله. فقال عليه السلام:

وقبرٌ بطوسٍ يا لها من مصيبةٍ توقّدُ في الأحشاءِ بالحرقاتِ
إلى الحشرِ حتّى يبعث الله قائِماً يفرّجُ عنّا الهمّ والكرباتِ

فقال دعبل: يا بن رسول الله هذا القبر الذي بطوس من هو؟

فقال عليه السلام: قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري، ألا فمن زارني بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة - انتهى.

فأما المُمضّاتُ التي لستُ بالِغاً ... مبالغها منّي بكُنْه صفاتِ
قبورٌ بجنبِ النهرِ من طفّ كربلا ... معرَّسُهم منها بشطّ فُراتِ
تُوفوا عُطاشاً بالفراتِ فليتَني ... تُوفّيتُ فيهم قبلَ حينِ وفاتي
إلى اللهِ أشكو لوعةً عند ذكرِهم ... سقتني بكأسِ الذلّ والفظعاتِ
أخافُ بأنْ ازدارَهم فتشوقُني ... مصارعُهم بالجزعِ فالنخلاتِ
تقسّمهم ريبُ المنونِ فما ترى ... لهم عقوةً مغشيّةَ الحجراتِ
سوى أنّ منهم في المدينةِ عصبةً ... مدينين امضاءً من اللزباتِ
لهم كلَّ حينٍ نومة بمضاجعٍ ... لهم بنواحي الأرضِ مفترقاتِ
وتنكب لآراء السنين جوارهم ... ولا تصطليهم جمرة الجمرات
وقد كان منهمْ بالحجازِ وأرضِها ... مغاويرُ نحّارون في الأزماتِ
حِمىً لم تزره المذنباتُ وأوجهٌ ... تُضيءُ لدى الأستارِ في الظلماتِ
إذا وردُوا خيْلاً بسمرٍ من القَنا ... مساعيرُ حربٍ اقحمُوا الغمراتِ
فإنْ فخرُوا يوماً أتوْا بمحمدٍ ... وجبريلَ والقرآنِ ذي السّوراتِ
وعدّوا عليّاً ذا المناقبِ والعُلى ... وفاطمةَ الزهراءِ خيرَ بناتِ
وحمزةَ والعباسَ ذو الجودِ والتّقى ... وجعفرَها الطّيارَ في الحجباتَ
أولئكَ لا أشياخُ هندٍ وتربِها ... سمية من نُوكى ومن قذراتِ
ستُسألُ تيمٌ عنهم وعديُّها ... وبيعتُهم من أفجرِ الفجراتِ
همُ منعُوا الآباءَ عن أخذِ حقِّهم ... وهم تركُوا الأبناءَ رهنَ شتاتِ
وهم عدلُوها عن وصيِّ محمدٍ ... فبيعتُهم جاءتْ على الفلتاتِ
وليُّهم صنُو النبيِّ محمدٍ ... أبو الحسنِ الفرّاجِ للغمراتِ
عليٌّ أميرُ المؤمنين ورهطُه ... كرامٌ بنوْا فوق العُلَى درجاتِ
أئمةُ حقٍّ والدعاةُ إلى الهُدى ... وساداتُ أعلام وأهلُ هُداةِ
ملامُك في آلِ النبيِّ فإنهمْ ... أحبّاي ما دامُوا وأهلُ ثُقاتي
تخيّرتُهم رشْداً لنفسي فإنّهم ... على كلِّ حالٍ خيرةُ الخيراتِ
ودنْتُ إليهم بالمحبّةِ صادقاً ... وسلّمتُ نفسي طائِعاً لوُلاتي
فيا ربِّ زدْني في هواهُمْ بصيرةً ... وزدْ حبّهم يا ربِّ في حسناتي

سأبكيهمُ ما حجَّ للهِ راكبٌ وما ناحَ قمريٌّ على الشجراتِ
وإنّي لمولاهمْ وقالِ عدوّهم وإنّي لمحزونٌ بطولِ حياتي
بنفسيَ أنتمْ من كهولٍ وفتيةٍ لفكِ عناءٍ أو لحملِ دياتِ
وللخيلِ لمّا قيّدَ الموتُ خطوها فأطلقتمُ منهنّ بالذّرياتِ
أحبُّ قصيَّ الرحمِ من أجلِ حبّكم واهجرُ فيكم زوجتي وبناتي
واكتمُ من حبّي مخافةَ كاشحٍ عدوٌّ لأهلِ البيتِ غير مواتِ
فيا عينُ بكّيهم وجُودي بعبرةٍ فقد آن للتسّكابِ والعبراتِ
لقد حفّتِ الأيامُ حولي بشرِّها وإنّي لأرجُو الأمن بعد وفاتي
ألم تراَني من ثلاثين حِجّةً أروحُ وأغدو دائمَ الحسراتِ
أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديهمُ من فيئهمْ صفراتِ
فكيف أُداوي من جوىً لي والجوى أميةُ أهلُ الكفرِ واللعناتِ
وآلُ زيادٍ في حريرٍ مصونةٌ وآلُ رسولِ اللهِ مُنهتكاتِ
سأبكيهمُ ما ذرَّ في الأرضِ شارقٌ ونادَى مُنادي الخيرِ للصلواتِ
وما طلعتْ شمسٌ وحانَ غروبُها وبالليلِ أبكيهمْ وبالغدواتِ
ديارُ رسولِ اللهِ أصبحنَ بلقعاً وآلُ زيادٍ تسكنُ الحجراتِ
وآلُ رسولِ اللهِ تُدمى نحورهم وآلُ زيادٍ آمنوا السرباتِ
وآلُ رسولِ اللهِ تُسبى حريمُهم وآلُ زيادٍ ربّةُ الحجلاتِ
إذا وُتِروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفّاً عن الأوتارِ منقبضاتِ
فلولا الذي أرْجوه في اليومِ أو غدٍ تقطعَ قلبي أثرهم حسراتِ
خروجُ إمامٍ لا محالةَ خارجٌ يقومُ على اسمِ اللهِ والبركاتِ
يميّزُ فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ويُجزي على النَّعماءِ والنّقماتِ
فيا نفسُ طيبي ثم يا نفسُ فابشري فغيرُ بعيدٍ كلُّ ما هو آتِ
ولا تجزعي من مدّةِ الجورِ أنني أرى قوّتي قد آذنتْ بشتاتِ
فإنْ قرّبَ الرحمنُ من ذاك مدّتي وأخّر من عُمري بطول حياتي
شفيتُ ولم أتركْ لنفسيَ غصةً ورّويتُ منهم مُنصلي وقناتي
فانّي من الرحمنِ أرجو بحبِّهم حياةً لدَي الفردوسِ غيرَ بناتِ
عسى اللهُ أن يأوى لذا الخلقِ أنه إلى كلِّ قومٍ دائمُ اللحظاتِ
فإن قلتُ عرفاً أنكروه بمنكرٍ وغطّوا على التحقيقِ بالشّبهاتِ
تقاصرُ نفسي دائماً عن جدالهم كفاني ما ألقى من العبراتِ

أحاولُ نقلَ الشمسِ من مستقرِّها وإسماعَ أحجارٍ من الصلباتِ
فمن عارفٍ لم ينتفعْ ومعاندٍ تميلُ به الأهواءُ للشبهاتِ

نقل شيخنا الصدوق رحمه الله في الخبر الحسن قال: لما بلغ إلى قوله: (لقد خفت في الدنيا) قال الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر. قال أبو الصلت: ثم نهض الرضا عليه السلام فدخل الدار فخرج الخادم إليه بمائة دينار رضوية فقال دعبل: والله ما لهذا جئت ولا قلت القصيدة طمعاً ورد الصرة وسأل ثوباً من ثيابه عليه السلام فأنفذ إليه جبة خز مع الصرة وقال للخادم: قل له خذ هذه الصرة فإنك محتاج إليها، فأخذها دعبل وانصرف وسار في قافلة فلما بلغ ميان فوهان وقع عليه اللصوص فأخذوا القافلة وكتفوا أهلها وجعلوا يقتسمونها بينهم، فتمثل أحدهم بقول دعبل الخزاعي: (أرى فيئهم في غيرهم متقسماً) فسمعه دعبل فقال: لمن هذا البيت؟

فقال: لرجل من خزاعة يقال له دعبل بن علي. قال: أنا دعبل فوثب الرجل فأخبر رئيسهم فجاء فقال: أنت دعبل؟

قال: نعم. فقال: أنشد القصيدة فأنشدها فحل أكتافه وأكتاف جميع القافلة وردوا إليهم جميع ما أخذوا منهم وسار دعبل إلى قم، فسأله أهلها أن ينشدهم القصيدة فأنشدهم في الجامع على المنبر فوصلوه من المال وسألوه أن يبيعهم الجبة الكريمة أو شيئاً منها بألف دينار فأبى عليهم، فلما خرج من رستاق البلد لحقه أجداث العرب وأخذوا الجبة منه فرجع وراجعهم فيها وعصوا للمشايخ في ردهم ثم دفعوا إليه شيئاً منها وألف دينار وانصرف دعبل إلى وطنه فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما في منزله فباع المائة الدنانير الرضوية كل دينار بألف درهم فذكر قول الرضا: (إنك محتاج إليها) وكان له جارية لها محل من قلبه فرمدت عيناها وذهبت عينها اليمنى وأخبره أهل الطب أن ليس فيها حيلة فمسح قطعة الجبة الكريمة عليها من الليل فأصبحت وعيناها أصح ما كانتا - انتهى ما في العيون مختصراً، ومثله في معناه في كتاب أعلام الورى الأقضية الجارية ورمدها.

كتاب كشف الغمة: عن كمال الدين لابن طلحة أن المأمون بلغه خبر القصيدة فاستحضر دعبل فاستنشده فأنكر وقال: ما أعرفها، فتوسل بالرضا فأمره عليه السلام بإحضارها واستحسنها المأمون فأمر له بخمسين ألف درهم وأمر له الرضا عليه السلام بقريب منه ثم تناول الرضا شيئاً من ثيابه فدفع إليه قميصاً ومنشفة لطيفة وقال: احفظ هذا تحرس به ثم دفع ذو الرياستين الصلة وحمله على برذون أصفر وقمطر خز وبرنس خز.

قال دعبل: فأعطيت به ثمانين ديناراً ثم كررت إلى العراق فخرج علينا الأكراد في يوم مطير فأخذونا فبقيت في قميص خلق وضر شديد وأنا متأسف على القميص والمنشفة خاصة ومتفكر في قول سيدي الرضا عليه السلام إذ مر بي واحد من الحرامية تحته فرس لي أصفر وعليه ذلك الممطر ووقف ينظر أصحابه وهو ينشد (مدارس آيات خلت من تلاوة) ويبكي فتعجبت ثم طمعت في القميص والمنشفة فقلت: لمن هذه القصيدة؟

فقال: وما أنت وذاك ويلك. فقلت: فيه سبب. قال لدعبل: ابن علي شاعر آل محمد جزاه الله خيراً. فقلت: والله يا سيدي أنا دعبل وهذه قصيدتي. فقال: ما تقول. فاستخبر القافلة فشهدوا بأسرهم. فقال: قد أطلقت كل ما أخذوا من القافلة خلالة فما فوقها كرامة لك، فرجع إلينا جميع ما كان معناه ثم بدر بنا إلى المأمن فحرست أنا والقافلة ببركة القميص والمنشفة. ثم ذكر الأبيات وأسقط منها ما لا يحب ذكره في أيمنه وصرح بأنه يورد منها ما يناسب غرضه.

مناظرة ابن عباس مع ابن الزبير في الشرف

نقل: الشيخ عز الدين ابن أبي الحديد في كتاب شرح نهج البلاغة قال: تزوج عبد الله بن الزبير ابنة منصور بن ريان الفزارية فلما دخل بها قال لها تلك الليلة: أتدرين من معك في حجلتك؟

قالت: نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى. قال: ليس غير هذا. قالت: فما الذي تريد؟

قال: معك من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بمنزلة العينين من الرأس قالت: أما والله لو أن بعض بني عبد مناف حضرك لقال خلاف قولك، فغضب وقال: الطعام والشراب علي حرام حتى أحضرك الهاشميين وغيرهم من بني عبد مناف فلا يستطيعون لذلك إنكاراً. قالت: إن أطعتني لا تفعل وأنت أعلم وشأنك.

فخرج إلى المسجد فرأى حلقة فيها قوم من قريش منهم عبد الله بن العباس وعبد الله بن الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف فقال لهم الزبير: أحب أن تنطلقوا معي إلى منزلي، فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال ابن الزبير: يا هذه اطرحي عليك سترك، فلما أخذ القوم مجالسهم دعا بالمائدة فتغدى القوم فلما فرغوا قال لهم: إنما جئتكم لحديث رددته على صاحبة الستر وزعمت أنه لو كان بعض بني عبد مناف لما أقر لي بما قلت وقد حضرتم جميعاً وأنت يا بن عباس ما تقول، إني أخبرتها أن معها في خدرها من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بمنزلة العينين من الرأس فردت على مقالتي؟

فقال ابن عباس: أراك قصدت قصدي فإن شئت أن أقول قلت وإن شئت أن أكفف كففت؟

قال: بلى. قال: وما عسى أن تقول السبب تعلم أني ابن الزبير حواري رسول الله ﷺ وأن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين وأن عمتي خديجة سيدة نساء العالمين وأن صفية عمة رسول الله جدتي وأن عائشة أم المؤمنين خالتي، فهل تستطيع لهذا إنكاراً؟

قال ابن عباس: لقد ذكرت شرفاً شريفاً وفخراً فاخراً غير إنك تفاخر من بفخره فخرت وبفضله سموت. قال: وكيف ذلك؟

قال: لأنك لم تذكر مفخراً إلا برسول الله وأنا أولى بالفخر منك. قال ابن الزبير: لو شئت لفخرت عليك بما قبل النبوة.

قال ابن عباس: لقد انصف القارة القارة قبيلة من راماها، نشدتكم بالله أيها الحاضرون أعبد المطلب أشرف أم خويلد؟

قالوا: عبد المطلب. قال: أفهاشم كان أشرف أم أسد؟

قالوا: بل هاشم. قال: أفبعد مناف أشرف أم عبد العزى؟

قالوا: عبد مناف. قال ابن عباس: [البحر الطويل]

تنافُرني يا بن الزبيرِ وقد قَضى عليكَ رسولُ اللهِ لا قولَ هازلِ
ولو غيْرَنا ابن الزبيرِ فخرتَه ولكنّني ساميتُ شمسَ الصائلِ

قضى لنا رسول الله ﷺ بالفضل في قوله: «ما افترقت فرقتان إلا كنت في خيرهما» فقد فارقناك من بعد قصي بن كلاب أفنحن في فرقة الخير أم لا؟

إن قلت نعم خصمت وإن قلت لا كفرت، فضحك بعض القوم فقال ابن الزبير: أما والله لا تحرمك بطعامنا يا بن عباس لا عرقت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك. قال ابن عباس ولم أبباطل فالباطل لا يغلب الحق أم بحق فالحق لا يخشى من الباطل.

فقالت المرأة من وراء الستر: إني والله قد نهيته عن هذا المجلس فأبى إلا ما ترون فقال ابن عباس: مه أيتها المرأة اقنعي ببعلك فما أعظم الخطر وما أكرم الخير فأخذ القوم بيد ابن عباس وكان قد عمي فقالوا: انهض أيها الرجل فقد أفحمته غير مرة، فنهض وقال: [البحر الوافر]

ألا يا قومَنا ارتحِلوا وسيرُوا فلوْ تُركَ القَطا لغَفا ونَاما

فقال ابن الزبير: يا صاحب القطا اقبل علي كنت لتدعني حتى أقول لقد عرف الأقوام إني سابق غير مسبوق وأين حواري وصديق متحيح في الشرف الأنيق من طليق وابن طليق. فقال ابن عباس: دست بجرأتك فلم تبق شيئاً هذا الكلام مردود من أمر حسود، فإن كنت سابقاً فإلى من سبقت وإن كنت فاخراً فبمن فخرت فإن كنت أدركت هذا الفخر بأسرتك دون أسرتنا فالفخر لك علينا وإن كنت أدركته بأسرتنا فالفخر لنا عليك والكثكث في فمك ويدك، فأما ما ذكرت من الطليق فوالله لقد ابتلى فصبر وأنعم فشكر وأن كان والله لوفياً كريماً غير ناقض بيعة بعد توكيدها ولا مسلم كتيبة بعد التأمر. فقال ابن الزبير: أتعير الزبير بالجبن والله إنك لتعلم منه خلاف ذلك.

قال ابن عباس: والله إني لأعلم أنه فر وما كر وحارب وما صبر وبايع وما تمم وقطع الرحم وأنكر الفضل ورام ما ليس له بأهل: [البحر الطويل]

وأدركَ منه بعضَ ما كان يُرتجى وقصّرَ عن جرْيِ الكلام وتلّدا
وما كانَ إلا كالهجينِ أمامه عباقٌ فجاراه العناقُ فاجهَدا

فقال ابن الزبير: لو لم يبق يا بني هاشم غير الشناعة والمضارعة. فقال عبد الله بن الحصين بن الحارث: أقمنا عنك يا بن الزبير وتأبى إلا منازعته والله لو نازعته من ساعتك هذه إلى انقضاء عمرك ما كنت إلا كالسغب الظمآن يفتح فاه يستزيد من الريح فلا يشبع من سغب ولا يروى عن عطش فقل إن شئت أو فدع وانصرف القوم.

الاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام

نقل: عن السيد رضي الدين ابن طاوس عطر الله مرقده أنه نقل من الجزء الثاني من كتاب الزيارات لمحمد بن أحمد بن داود القمي رحمه الله إن أبا حمزة الثمالي قال للصادق عليه السلام: إني رأيت أصحابنا يأخذون من طين قبر الحسين عليه السلام يستشفون به فهل في ذلك شيء، مما يقولون من الشفاء؟

قال: يستشفى ما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك قبر الحسين وعلي منها فإنها شفاء من كل سقم وجنة مما يخاف، ثم أمر بتعظيمها وأخذها باليقين بالبراءة وختمها إذا أخذت.

شراء الحسين عليه السلام نواحي قبره

وفي الكتاب المذكور: روي أن الحسين عليه السلام شرى النواحي التي ألقي قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم وتصدق بها عليهم وشرك أن يرشدوا إلى قبره ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام، وقال رحمه الله حرم الحسين الذي اشتراه أربعة أميال في أربعة أميال فهو حلال لولده ومواليه وحرام على غيرهم ممن خالفهم وفيه البركة.

وذكر السيد الجليل رضي الدين ابن طاوس إنما صارت حلالاً بعد الصدقة لأنهم لم يفوا بالشرط. قال: وقد روى محمد بن داود عدم وفائهم بالشرط في باب نوادر الزيارات.

أقول: ويعضد ما ذكر هنا من هذه الروايات ما صرح به الشيخ فخر الدين ابن طريح في كتاب مجمع البحرين في مادة حرم قال: وعن الصادق عليه السلام حرم الحسين الذي اشتراه أربعة أميال في أربعة أميال، فهو حلال لولده ومواليه على غيرهم ممن خالفهم وفيه البركة. وما ذكره السيد المحدث السيد نعمة الله الجزائري قدس الله سره في كتاب زهر الربيع قال: إن السيد ابن طاوس روى عن أبي حمزة الثمالي: ثم ساق الخبر المتقدم ثم قال: وروي أن الحسين عليه السلام اشترى النواحي ثم ساق الخبر المتقدم إلى آخره ثم قال: وذكر السيد ابن طاوس إنها إنما صارت حلالاً إلى آخر ما تقدم، وهو دليل على وقوفه على الأخبار المذكورة من الأماكن المعتمد عليها.

قال السيد نعمة الله الجزائري في مقدمة شرحه على كتاب غوالي اللئالي بعد ذكر جملة من طرقه: ولنا طريق غريب قصير حدثني وأجازني به السيد الثقة السعيد هاشم بن الحسين

الأحسائي في دار العلم شيراز في المدرسة المقابلة للبقعة المباركة مير السيد محمد عابد عليه الرحمة والرضوان في حجرة من الطبقة الثانية على يمين الداخل قال: حكي لي أستاذي الثقة المعدل الشيخ محمد الحرفوشي رحمه الله قال: لما كنت بالشام عمدت يوماً إلى مسجد مشهور بعيد من العمران فرأيت شيخاً أزهر الوجه عليه ثياب بيض وهيئة جميلة، فتجارينا في الحديث وفنون العلم فرأيته فوق ما يصفه الواصفون ثم تحققت منه الاسم والنسبة ثم بعد جهد طويل قال: أنا معمر بن أبي الدنيا صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وحضرت معه حروب صفين وهذه الشجة في وجهي من رمحة فرسه سلام الله عليه. ثم ذكر لي من الصفات والغلامات ما تحققت معه صدقه في كلما قال، ثم استخبرته كتب الأخبار فأجازني عن أمير المؤمنين عليه السلام وعد جميع أئمتنا حتى انتهى في الإجازة إلى صاحب الدار وكذلك أجازني كتب العربية عن مصنفيها كالشيخ عبد القاهر والسكاكي وسعد الدين التفتازاني وكتب النحو عن أهلها وكذلك العلوم المتعارفة.

مسائل متفرقة منقولة عن المفيد

وجدت بخط بعض الفضلاء ما هذه صورته: هاهنا فائدة جليلة نقلتها من خط شيخنا الشهيد الأول.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الواحد المعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين. هذه فوائد جليلة ملتقطة من كتاب المسائل تأليف الشيخ الإمام مقتدى الطائفة حجة الإسلام أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد الحارثي لا زالت سحائب الرضوان ترادف على تربته الزكية بمحمد وآله خير البرية.

مسألة: امرأة لها بعل شرعي وطأها رجل كامل العقل من غير حرج عليها والبعل كان لذلك طبعاً والواطئ آمن به شرعاً **(الجواب)** هذه امرأة نعي إليها زوجها وحكم بموته فاعتدت وتزوجت رجلاً فبلغ ذلك الأمر زوجها فكرهه بالطبع مع موافقته للشرع.

مسألة: رجل أقبل إلى زوجة رجل فقال لها: أنت طالق والحال أن زوج المرأة كان لذلك أشد الكراهة مظهراً لتلك الكراهة بمحضر جمع من المسلمين لم تنفعه كراهته وفرق الحاكم بينهما ووطأها ذلك المطلق حلالاً بعد ساعة. **(الجواب)** هذا المطلق كان وكيلاً في الطلاق وزوج المرأة غائب فعزله عن الوكالة وأشهد على ذلك جماعة، ثم إنه أرسل يعلمه بالعزل فلم يدركه حتى طلق وكانت المرأة غير مدخول بها أو آيسة.

مسألة: امرأة أطاعت ربها طاعة واجبة ففارقت بتلك الطاعة زوجها. **(الجواب)** هذه مشركة تحت مشرك فأسلمت.

مسألة: امرأة عصت ربها ففارقت بتلك المعصية زوجها. **(الجواب)** هذه مسلمة تحت مسلم فارتدت.

مسألة: رجلان يمشيان في طريق فسقط على أحدهما جدار فقتله فحرمت على الآخر زوجته بذلك. (الجواب) هذا رجل زوج ابنته عبده وخرجا يمشيان فسقط الجدار على السيد فصار العبد بذلك ميراثاً للبنت فحرست عليه.

مسألة: رجل غاب عن زوجته الدائمة ثلاثة أيام فأرسلت إليه الزوجة قد تزوجت بعدك وأنا محتاجة فأرسل إلي نفقة أنفقها على نفسي وزوجي، فوجب على الزوج ذلك ولم يكن على المرأة شيء. (الجواب) هذا رجل زوج بنته من عبده وأرسله في تجارة ثم مات السيد والزوجة المذكورة آيسة أو غير مدخول بها.

مسألة: امرأة طلقها زوجها فاعتدت أياماً وبقي عليها من العدة يوم واحد فعمد رجل إلى طاعة ففعلها فوجب عليها عند فعل الطاعة المذكورة من العدة ما كان وجب عليها قبل فعل الطاعة المذكورة. (الجواب) هذه امرأة طلقت فحاضت حيضتين في شهر وقبل طهرها من الحيضة الثانية بيوم أعتقت فوجب عليها عدة الحرة ثلاثة أقرؤ ولم تستوف ذلك حتى يمضي من الزمان بمقدار ما مضى قبيل العتق.

مسألة: رجل تزوج امرأة على مهر غير مكيل ولا موزون ولا ممسوح ولا جسم ولا جوهر. (الجواب) المهر المذكور تعليم سورة من القرآن العزيز.

مسألة: امرأة أجنبية قالت لرجل قولاً فحلت له بمجرد ذلك القول. (الجواب) هذه المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ.

مسألة: رجل تزوج امرأة على ألف درهم ثم طلقها فوجب له عليها ألف وخمسمائة درهم. (الجواب) هذه امرأة قبضت من الزوج مهرها وهو ألف درهم فتصدقت عليه به ثم طلقها قبل الدخول.

مسألة: امرأة ظاهرها زوجها فلما ابتدأت بالكفارة وجب عليها مثلما وجب عليه. (الجواب) هذه امرأة نذرت مثل كفارة زوجها أن ابتدأ زوجها في الكفارة.

مسألة: امرأة علتها لحظة. (الجواب) هذه امرأة حامل ولدت بعد طلاقها.

مسألة: رجل ملك جارية منفرداً ووطئها حرم عليه حتى تنكح زوجاً غيره. (الجواب) هذا الرجل كان قد تزوج هذه الجارية فطلقها ثلاثاً ثم اشتراها من سيدها.

مسألة: رجل فعل معصية فوجب عليه ذبح بقرة وإحراقها. (الجواب) هذا الرجل وطأ هذه البقرة.

مسألة: امرأة ولدت على فراش زوجها فلحق نسبه بأجنبي لم تشاهد هذه المرأة أصلاً ولم يلمسها. (الجواب) هذه امرأة بكر وقعت عليها ثيب في حال قيامها من جماع زوجها فتحولت إلى رحم البكر فحملت ومضى على ذلك تسعة أشهر وتزوجت وولدت على فرش زوجها ولداً فأنكره الزوج وقررها على ذلك فأقرت بذلك إنها الفاعلة أيضاً.

مسألة: أخوان لأب وأم وورثا ميراثاً فكان لأحدهما ثلاثة أرباع المال وللآخر الربع. (الجواب) هذه المرأة تركت ابني عمها أحدهما زوجها فورث النصف بالزوجية ونصف الباقي مع أخيه.

مسألة: رجل وابنه ورثا مالاً فكان بينهما نصفين. (الجواب) هذا رجل تزوج بابنة عمه فماتت وخلفته وأباه الذي هو عمها فكان لزوجها النصف بالزوجية والنصف الآخر لعمها الذي هو أبو زوجها.

مسألة: رجل خلف زوجة وأخاه لأبيه وأمه والأخ المذكور مسلم حر غير قاتل فأخذت الزوجة حصتها من الإرث وأخذ الباقي أخو الزوجة المذكور ولم يرث أخوه شيئاً منها. (الجواب) هذا رجل تزوج امرأة وزوج ابنه أمها فولدت من ابنها ذكراً ثم مات ابنه فورثه الولد المذكور ثم مات الرجل المذكور وخلف أخاً لأمه وأبيه فكانت تركته بين زوجته وأخيها من أمها لأنه ابن ابنه وولد الولد أولى من الأخ. ثم قال الشهيد الأول وهذا آخر ما أوردته من كتاب المسائل للشيخ المفيد - انتهى.

في ترجمة إسكندر ذي القرنين

فائدة: قال الفاضل المتقدم ذكره: الذي ظهر لي من تتبع كتب التفاسير والتواريخ أن ذا القرنين الأكبر المسمى (إسكندر) المذكور في القرآن في سورة الكهف هو ملك وعبد صالح حميري من أولاد سبأ بن يعرب بن قحطان الحميري وإن ملكه بلغ المشارق والمغارب من الأرض كلها وملك الأقاليم كلها وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وكان داعياً إلى الله تعالى وما كان نبياً بل عبداً صالحاً سائراً في الخلق بالعدالة التامة، وكان الخضر عليه السلام على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار وهو الذي افتخر به الملك العظيم تبع الحميري فقال:

[البحر الكامل]

قد كان ذوُ القرنين جدّي مسلماً ملكاً عَلا في الأرضِ غيرُ مفنّدِ
بلغَ المشارقَ والمغاربَ يبْتغي أسبابَ أمرٍ من حكيمٍ مرشدِ

وهذا الإسكندر المشار إليه كان معاصراً لإبراهيم الخليل عليه السلام وقد أسلم على يديه وطاف معه ومع إسماعيل بالكعبة.

وروي أنه حج ماشياً فلما سمع إبراهيم بقدومه تلقاه فدعا له وأوصاه بوصايا وقيل عنده أنه أتي بفرس ليركب فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل، فعند ذلك سخر الله له السحاب وطوى له الأسباب وبشره إبراهيم عليه السلام بذلك فكانت السحابة تحمله وجميع عساكره.

وأما ذو القرنين الإسكندر الثاني فهو رومي كافر متأخر عن الأول بأكثر من ألفي سنة وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف، وهذا هو الصحيح وبعض الناس يعتقد أنهما واحد وبعضهم

يعتقد أن المذكور في القرآن هو الثاني لا الأول والصحيح ما حررته من الأماكن المعتمدة - انتهى.

أقول: ويدل على ما ذكره من كون الإسكندر الأول في زمن الخليل عليه السلام ما رواه الشيخ رحمه الله في الأمالي بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: أول اثنين تصافحا على وجه الأرض ذو القرنين وإبراهيم الخليل عليه السلام استقبله إبراهيم فصافحه.

وما رواه الراوندي في كتاب قصص الأنبياء عن محمد بن خالد عمن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام قال: حج ذو القرنين في ستمائة ألف فارس، فلما دخل الحرم شيعه بعض أصحابه إلى البيت فلما انصرف قال: رأيت رجلاً ما رأيت أكثر نوراً ووجهاً منه قالوا: ذاك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام قال: اسرجوا، فأسرجوا ستمائة ألف دابة في مقدار ما تسرج دابة واحدة ثم قال ذو القرنين: لا بل نمشي إلى خليل الرحمن، فمشى ومشى معه أصحابه النقباء. قال إبراهيم عليه السلام: بم قطعت الدهر؟

قال: بإحدى عشر كلمة (سبحان من هو باق لا يفنى، سبحان من هو عالم. لا ينسى، سبحان من هو حافظ لا يسقط، سبحان من هو بصير لا يرتاب، سبحان من هو قيوم لا ينام، سبحان من هو ملك لا يرام، سبحان من هو عزيز لا يضام، سبحان من هو محتجب لا يرى، سبحان من هو واسع لا يتكلف، سبحان من هو قائم لا يلهو، سبحان من هو دائم لا يسهو).

لله در القائل: [البحر السريع]

تَرَى الفتَى يُنكرُ فضلَ الفتى ... ما دامَ حيّاً فإذا ما ذهبْ
لجّ به الحرصُ على نكتةٍ ... يكتبُها عنه بماءِ الذّهبْ

مسائل فقية

وجدت بخط شيخنا العلامة أبي الحسن الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني قدس سره على كتابه النهاية ما صورته بخط كاتب الأصل المعارض به هذا الكتاب المقروء على المحقق الحلي طاب ثراه، وهو الشيخ فضل بن جعفر بن فضل بن أبي قائد البحراني وتاريخ كتابة الأصل المذكور سنة ٦٤٣ مما وجدت بخط الشيخ الإمام كمال الدين أبي جعفر أحمد بن علي بن سعيد بن سعادة البحراني، وهو مما وجده بخط الشيخ الإمام ناصر الدين أبي إبراهيم راشد بن إسحاق بن محمد البحراني على أول كتاب النهاية الذي له تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته ما هذه حكايته:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين جميع ما وجد من مسائل الخلاف التي أملاها السيد المرتضى رضي الله عنه ثلاث وثلاثون سنة وهي من أول كتاب الطهارة إلى باب التيمم وهذا أثبتها على طريق الإجمال والله الموفق.

مسألة: في استقبال القبلة في البول والغائط. عندنا أنه لا يجوز أن يستقبل القبلة ببول ولا غائط ولا يستدبرها ولا فرق في ذلك بين الصحارى والبنيان.

مسألة: في حكم الاستنجاء. عندنا واجب ولا يجوز تركه لم تجز صلاته ويستعمل الأحجار في ما لم يتعد المخرج وينتشر فإذا انتشر فلا بد من الماء.

للبهق: رماد الثوم مع العسل يطلى به.

لوجع الضرس: قال في القاموس: الخردل مسحوقه على الضرس يوضع عليه.

إنشاء لطيف

قد استفز بي داعي الأفراح للتنزه في بعض البطاح، ودعاني روحاني الطرائق للتفكه في بعض الحدائق، فاخترت المرفقة إخواناً ترقرقت أمواه آدابهم وسطعت في سماء المجد شموس أحسابهم، لهم غرائز شيم هي غرة دهم الليالي وذراري حكم لم ترضع غير ذي المعالي وطولى أيد لم تمد إلا بموائد المنثور والمنظوم ومحجبات صفات تتجل إلا العلوم فتسنمنا صهوات سبق جياد الأفراح وأجرينا في حلبات مزيد الانشراح وسرنا بين حدائق محضرات بثمر فنون الآداب وجنات مخصبات مفتحات الأبواب وجد أول فصاحة تتدفق يميناً وشمالاً وساقي كؤوس البلاغة مشتمراً أذيالاً. [البحر الطويل]

ولـمّـا ثـنـيْـنـا لـلـصّـفـاءِ أعـنَّـةً وبدرُ الهنا من مشرقِ البشرِ لائحُ
أخذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا وسالتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ

فأسكر كل واحد منا صاحبه برحيق كأس أدارتها بنان البنان وعطر كل منامشا صحبه بأريج لذاذة تخجل الأزهار في الأغصان، وأزفت علينا أبكار أفكار استجلاها ودادي ووداهم وتوقد لدينا مجامر نفائس استقدحها زنادي وزنادهم حتى أنخنا ركائب الآمال بمختار روضة مياسة الأغصان وجاري نهر أعذب وأطرب من رحيق سلاف الدنان. [البحر الوافر]

وجاري الـنـهـرِ سيفٌ مشرفيٌّ له في كفّ صيقله اضطرابُ
تـجـرّدُه يـمـيـنُ الـشـمـسِ طـوراً وطـوراً بـالـضّـلال لـه قـرابُ

ففرش لأولئك الأقضاب بساط سندس الصلاح وفاح أقاح الفلاح من مهيب نسيم الأفراح، وأشرقت بنور ربها واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج وتأرجت الأرجاء بنشر طيب وطي نعالهم وعبقر فتيق سحيق كل أريج. [البحر البسيط التام]

ولوْ درى منهلُ الوادي الذّي وردُوا من واردي مائِه لاهتزَّه الطّربُ

فأقمنا نتعاطى من البديع فنوناً ونتجاذب أذيال الحديث جداً ومجوناً ونتصارع إلى براز جناباً المعالي والمعارف ونتسابق إلى التقاط جواهر اللطائف، ونسرح في رياض أنسه وميسره

ونسحب أذيال رفعه على هام المجرة تهزأ بعذبات البشام مائسات قلامنا وتخفق بنسيم التفاكه شامخات أعلامنا، فلم تبق في زوايا المحاضرات محجبة إلا وأبرزناها ولا قناة إلا وهززناها ولا درة كمال إلا وأحرزناها، تتلاعب أفكارنا بأبكار المعاني وصوالج البيان وتترامى قرائحنا بزواهر جواهر حلال سحر يخجل اللؤلؤ والمرجان، إلى أن دارت ضمن الأدب وخامرتنا سنة الهنا والطرب واستحوذ على أولئك الأعلام استحواذاً وتسالموا يمنة ويسرة لو إذا وصيروا ذلك الجمع فراداً وتركوني أقاسي ألماً ووجداً وأشبهوا حالي بحال يوسف الصديق وتمثلت بهذا الشعر الأنيق: [البحر الوافر]

وإخـوانٌ صـحـبـتُـهُـمُ لأمـرٍ ... تـمـيـلُ لـه الأفـئـدةُ والـطّـبـاعُ
وتـنـشـرحُ الـصـدورُ بـه وتـهْـوي ... لـذادتـه الـمـحـابـرُ والـيـراعُ
فـسـرْنـا والـسّـرورُ لـنـا رفـيـقٌ ... وغـيـمُ الـنّـائـبـاتِ لـهـا انـقِـشـاعُ
فـلـمّـا أن لـويْـنـا الـزّنـد مـنّـا ... على جيدِ الأماني لي أراعُوا
وولّـوا شـارديـن وخـلّـفـونـي ... وحيداً في الفلاةِ ولم يُراعوا
فصرتُ كيوسفُ الصدّيقِ اذعو ... أضـاعُـونـي وأيَّ فـتـىً أضـاعُـوا

وجهته تلقاء مدين قطب دائرة أولئك الأقطاب وأوردته لجة بحر كمال قد عذب ماؤه وطاب، بليغ قد ارتقى من سماوات البلاغة سبعاً طباقاً واحتشى من تسنيم الفصاحة كأساً دهاقاً وجلى على مخاطبيه من عرائس الأجوبة كواعب وأتراباً وغرس في جنان الطروس لمكاتبيه حدائق وأعناباً، فكأن أسطره غصون حديقة ومن القوافي فوقهن حمام، فهو في حلل المرسلات طرازها المذهب وفي المكاتبات أسد لا يذكر عنده ثعلب، أما ترى عود براعته من الطرب يختال في غلائله وغصن براعته من العجب يميس في شمائله، فرع دوحة هاشمية نشت في قرار المجد والعلى وغصن لنبتة حيدرة جاوزت هام السهى الصفي الوفي البهي العلي أخي وحليفي سمي جده الحسين بن علي، وكنت فيما تهجمته من على جنابه وتقتحمه من رفيع أعتابه كمثير الأسود من آجامها ومعترض الفرسان عند صدامها، غير أنه أدام الله أيام وجوده وأنار في رابعة الاقبال شموس سعوده نظر إلى ما قلته بعين الإنصاف وإنزال ما إليه بعثته منزلة الأضياف وأفرغ عليه من ألطافه حلل التعجيز والتصدير واجلسه من التذييل على رفع سرير، فقال:

[البحر الوافر]

وإخـوانٌ صـحـبـتُـهـمُ لأمـرٍ ... يـطـيـبُ بـه لـديْـنـا الاجـتـمـاعُ
لـهـمْ فـي كـلّ جـارحـةٍ كـمـالٌ ... لـطـافـتُـه الـنّـوادي والـبـقـاعُ
وتـنـشـرحُ الـصـدور بـه وتـهْـوى ... لـطـافـتـه الـنّـوادي والـبـقـاعُ
وإن أبـدوا بـديـعَ الـقـولِ ودّتْ ... لـذادتـه الـمـحـابـرُ والـيـراعُ
فـسـرْنـا والـسـرورُ لـنـا رفـيـقٌ ... وجـنـدُ الـهـمّ جـدَّ بـه انـدفـاعُ

ومنّا الشملُ كان له انتظامٌ وغيمُ النّائباتِ لها انقشاعُ
فلمّا أن لوينا الزّند منّا بأعناقِ التّفاكُهِ ما استطاعوا
ولمّا أنْ أمنتُ بهم وزندي على جيدِ الأماني لي أراعوا
وولّوا شاردين وخلّفوني وقبلَ سلامِهم حقَّ الوداعُ
وما رقبُوا الذّمامَ وفارقُوني وحيداً في الفلاةِ ولم يُراعوا
فصرْتُ كيوسفَ الصّديقِ ادعو هلِ الأيامُ بعدُ لها ارتِجاعُ
على القومِ العَفا يا ويحهم قلْ أضاعُوني وأيَّ فتىً أضاعُوا

لمثل هذا فليعمل العاملون وعلى هذا الطراز فليتنافس المتنافسون، لا غرو أن الرفقة التي اتفقت بعدها الفرقة ليست من فعل أهل الآداب بل من أفعال الأعراب البوالين على الأعقاب، فلا جرم نبهتمونا من سنة الغفلة وعاجلتمونا بلطيف أدبكم بلا مهلة، فلذاك لم نجد لنا في الجواب عذراً وألبسناه خلعة حمرا وأمددنا جيش عتابكم تأييداً وزدنا معانيه تأسيساً وتأكيداً ومزجناه تشجيراً وتوريداً لعل نسيم القبول يبلغه إلى محل القبول والعذر إليكم والسلام عليكم.

وحين أن جست خلال ديار هذه العجائب وتخللت زوايا مقاصير قصور هذه الغرائب وتفيأت ظلال أرائك هذه السطور ورشقت رحيق السلاف ما بها منظوم ومنثور نظمت ما نظمه في سمط نظام قواعد التأسيس ونحت ما صدره وعجزه كرسيا عرائس التخميس وأطلعت له في سماء الانسجام بدراً ساطعاً وبنيت له في قرار الانتظام قصراً واسعاً ونثرت بحافاته غوالي اللئالي وصفدت بغرفاته من الدرر الغوالي وألبست تلك الفوائد تيجان مرصعة بجواهر الأفكار وجلوتها في منصات الكواعب نزهة للبصائر والأبصار، فأتتك فتانة بجمالها مخاطبة بلسان حالها: [البحر الوافر]

ركبتُ ضُحى نهارٍ ظهرَ مُهرِ لـيانـعِ روضـةٍ وصفاءِ نـهرِ
بطيبٍ في مسرّاة ويسرِ وإخوانٍ صحبتُهم لأمرِ
يطيبُ به لدنيا الاجتماعُ
لهمْ في كلِّ معراجٍ جلالٌ وفي هالاتِ أفضالٍ مجالُ
ومن حسنِ الصفاتِ لهم خصالٌ لهمْ في كلِّ جارحةٍ كمالُ
تميلُ له الأفئدةُ والطّباعُ
لهمْ في كلِّ معضلةٍ وبلْوى عواطفُ مذهباتٍ كلَّ شكْوى
وإحسانٌ به اللّزباتُ تُطْوى وتنشرحُ الصدورُ به وتهْوى
لطافتَه النّوادي والبِقاعُ
لهمْ هممٌ حقوقَ الفضلِ أدّتْ وراحاتٌ بهامِ الجودِ مدّتْ

ونعماءٌ لإخوانٍ أعدَّتْ وإنْ أبدوا بديعَ القومِ ودَّتْ
لذادتُه المحابرُ واليراعُ
شمائلُهُمْ لها طرزٌ أنيقٌ وحسْناهمْ لها نوعٌ رشيقُ
صحبتهمُ لكي تطوى طريقُ فسرْنا والسرورُ لنا رفيقُ
وجندُ الهمِّ جدّ به اندفاعُ
فطبْنا ثم طابَ لنا التئامُ وتمَّ الدستُ وانخصم الكلامُ
ويومُ السّوءِ أعقبَه انصرامُ ومنّا الشملُ كان له انتِظامُ
وغيمُ النّائباتِ له انقشاعُ
وبلبلُ بشرِنا طرَباً تغنّى وطيرُ همُومنِا قد غابَ عنّا
وكلٌّ بالهنا منّا تهنّى فلمّا أن لوينا الزّندَ منّا
بأعناقِ التّفاكُهِ ما استطاعوا
وقام محدّثُ الأفراحِ يُبدي أحاديثَ الفخارِ وطيبَ هندِ
ويخبرُ عن رُبَى سلعٍ ونجدِ ولمّا أن أمنتُ بهم وزنْدي
على جِيدِ الأماني لي أراعُوا
بتفريقٍ به قرحتْ جُفوني ومن بعد التّهاني قد جفوْني
وللآلامِ بعدهم نَفوني وولّوا شاردين وخلّفوني
وقبلَ سلامهمْ حقُّ الوداعُ
فهمْ في فيضِ عيني أغْرقوني ومن حمْرِ المدامعِ عبقروني
وفي نارِ الصّبابةِ أحْرقوني وما رقبُوا الذّمامَ وفارقوني
وحيداً في الضّياعِ ولم يُراعوا
فخامرَ خاطِري ألمٌ ولدغُ ومن تفريطِهم بي ضاقَ ذرعُ
ولي من بعدِهم قد طابَ سجعُ فصرْتُ كيوسفَ الصديقِ أدْعو
هلِ الأيامُ بعدُ لها ارتِجاعُ
وما علمُوا بأنّي هامُ فرقدْ ومن نارِ القرى باللّيل أوقدْ
وفي العلياءِ لي ممْسىً ومرقدْ على القومِ العفايا ويحهمْ قدْ
أضاعُوني وأيَّ فتىً أضاعُوا

قد نظرنا لبريد أغداركم بعيني الرضا والقبول وتلقيناه برحيب الارتضا حالتي الوصول والنزول، ورفقنا له من خرائد الأفكار عرائس التخميس وأمطنا عنه وجيز التربيع وملل التسديس ونضدنا جواهر الإخلاص بتيجان معانيه ومزجنا جواهر الاختصاص بمستعذب مبانيه فاستجله

فإنه ذنب طاوس النظام ودائرة قوس سحاب الانسجام وحور مقصورات لم تطمثها قبل ذائد فكر وخير الختام شريف السلام ورحمة الله وبركاته الكافلات ببلوغ المرام وكتب أخوه الداعي له على ممر الأزمان الشاخوري محمد بن أحمد بن سليمان.

في حديث: وصيته لأبي ذر رضي الله عنه: يا أبا ذر الحق ثقيل مرّ والباطل خفيف حلو.

في جلالة شأن زرارة

روى: شيخنا الصدوق رحمه الله في كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة بسنده فيه إلى إبراهيم بن محمد الهمداني قال: قلت للرضا عليه السلام يابن رسول الله أخبرني عن زرارة هل كان يعرف حق أبيك؟

فقال: نعم. قلت: فلم بعث إليه عبيداً ليعرف الخبر إلى من أوصى الصادق عليه السلام قال: إن زرارة كان يعرف أبي ونص أبيه عليه وإنما بعث ابنه ليتعرف من أبي عليه السلام هل يجوز له أن يرفع التقية في إظهار أمره ونص أبيه عليه، وإنما لما أبطأ ابنه طولب بإظهار قوله في أبي عليه السلام فلما لم يحب أن يقدم على ذلك بدون أمره رفع المصحف فقال: اللهم إن إمامي من أثبت هذا المصحف إمامته من ولد جعفر بن محمد عليه السلام.

وجدت بخط شيخنا العلامة أبي الحسن قدس الله سره على ظهر كتاب نهاية الشيخ الطوسي طاب ثراه ما مضمونه من خط المحقق الحلي للشيخ الأجل العالم الفقيه الفاضل أبي الحسين إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم البحراني وأن هذا الشيخ قرأ كتاب النهاية على المحقق فأجازه.

وفي روضة الكافي بسنده عن يونس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لعباد بن كثير البصري الصوفي: ويحك يا عباد غرك رعف بطنك وفرجك.

عدد أولاد أمير المؤمنين عليه السلام

أولاد أمير المؤمنين: الحسن والحسين وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى من فاطمة، ومحمد من خولة بنت إياس بن جعفر من بني حنيفة، وأبو بكر وعبد الله أمهما ليلى بنت مسعود النهشلية من تميم، وأما عمرو ورقية فأمهما سهيبة من بني تغلب يقال لها (الصهباء) سبيت في خلافة أبي بكر، ويحيى وعون أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية، وجعفر والعباس وعبد الله وعبد الرحمن أمهم أم البنين بنت خزام بن خالد من بني كلاب، ورملة وأم الحسن أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي وأم كلثوم وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأم الكرام ورقية وأم سلمة وأم أبيها وأمامة لبنات علي عليه السلام فتولد عنها نساء وأولاد شتى ذكرهم ابن أبي الحديد.

من أين أتيت؟

مكارم الأخلاق: للشيخ أبي علي ابن الشيخ الطوسي قدس الله سرهما وعن الصادق عليه السلام قال: اغتم الصادق فقال: من أين أتيت فما أعلم أني جلست على عتبة بابنا ولا شققت بين غنم ولا لبست سراويلي من قيام ولا مسحت وجهي ويدي من ذيلي.

وفاة جامع الكشكول

وقع الفراغ من تحرير هذا الكشكول المحتوي على أبلغ اللطائف وأحسن النقول، تأليف العلامة الفهامة من هو للإسلام والإيمان أقوى دعامة شيخ الأوائل والأواخر ورب المعالي والمفاخر محرر الفروع والأصول وجامع المعقول والمنقول الشيخ الأمجد الشيخ يوسف ابن الشيخ أحمد بن إبراهيم العصفوري رحمه الله تعالى.

توفي جامع هذا الكشكول وناظم هذه النقول الجامع بين المعقول والمنقول قدس الله نفسه ونور رمسه بعد الظهر من يوم السبت رابع شهر ربيع الأول من سنة ١١٨٦ السادسة والثمانين بعد المائة والألف من الهجرة المحمدية، ودفن عند رجلي سيدنا الحسين عليه السلام مما يقرب من الشباك المبوب المقابل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان له قدس الله سره من العمر تسع وسبعون سنة لأنه رحمه الله صرح في جملة من مسفوراته أن ميلاده سنة ١١٠٧ ألف ومائة وسبع سنين فأحسب وهذا النقل من كلامه الشريف قدس الله روحه ونور ضريحه وحشره الله مع الأئمة الأبرار الطاهرين.

في الطفيلي

[البحر المنسرح]

إنَّ الـطُّـفـيـلـي لـه مـيـزةٌ — على النّدا ما عندَ أهلِ العقولْ
لأنّـه أحـسـنَ فـي ظـنِّـه — فـزارَ عـنـواً وأراحَ الـرسـولْ

ن	ي	ت	م
م	ت	ي	ن
ي	ن	م	ت
ت	م	ن	ي

يكتب هذا الشكل للمصروع ويوضع في منخره الأيمن وأول ما يكتب الميمات الأربع ثم التاءين ثم النونات الخمس ثم الخمس الياءات.

القصيدة الأزرية

القصيدة للشيخ محمد كاظم الأزري رحمه الله تعالى في مدح النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام: بسم الله الرحمن الرحيم. أفضل الصلاة والسلام. **[البحر الخفيف]**

لمنِ الشمسُ في قبابِ قباها ... شفَّ جسمُ الدُّجى بروحِ ضِياها
ولمنْ هذه المطايا تَهادى ... حيِّ إحياءَها وحيِّ سُراها
يَعْمَلاتٌ تُقِلُّ كلَّ غريرٍ ... قد حكتهُ شمسُ الضُّحى وحكاها
ما أراني بعدُ الأحبةِ إلاَّ ... رسمَ دارٍ قدِ انمحى سيماها
كم شجتني ذاتُ الجناحِ سُحَيْراً ... حين طارَ الهوى بها فشجاها
ذكَّرتني وما نسيتُ عهوداً ... لو سلا المرءُ نفسَه ما سلاها
نبَّهَتْ عينيَ الصبابةُ والوجْـ ... ـدُ وإن كان لم ينمْ جَفْناها
فتنبَّهْتُ للتي هي أشقى ... والهوى للقلوبِ أقصى شَقاها
يا خليليَّ كلُّ باكيةٍ لم ... تبكِ إلا لعلةٍ مُقلتاها
لا تلوما الورقاءَ في ذلك الوجـ ... ـدِ لعلَّ الذي عَراني عَراها
خلِّياها وشأنَها خلِّياها ... فعساها تُبِلُّ وجداً عساها
كان عهدي بها قريرةَ عينٍ ... فاسألاها باللهِ مِمَّ بُكاها
ليتَ شِعْري هلْ للحمائمِ نَوْحي ... أمْ لدَيْها لواعِجي حاشاها
لو حَوَتْ ما حويتُه ما تغنَّتْ ... سلْ عن النارِ جسمَ من عاناها
أهلُ نجدٍ راعوا ذِمَامَ مُحبٍّ ... حَسِبَ الحبَّ روضةً فرعاها
عَوِّدونا على الجميل كما كُنْـ ... ـتم فقد عاودَ القلوبَ أساها
قَرِّبونا منكم لنشفي صدوراً ... جعلَ اللهُ في الشِّفاءِ شِفاها
وعِدونا بالوصلِ فالهجرُ عارٌ ... كيف تستحسنُ الكرامُ جفاها
حيِّ أوطانَنا بوادي المُصلَّى ... فهي أوطارُ نشوةٍ نِلْناها
حيثُ صحفُ الغرامِ تُتلى وما أدْ ... راكَ ما لفظُها وما معْناها
كم لأهلِ الهوى بها وقفاتٌ ... أوقَفَتْهَا على بلوغِ مُناها
حبّذا وقفةٌ بتلك الثَّنايا ... صحَّ حجُّ الهوى بوادِي صَفاها
كلُّ ما مرَّ من سحائبِ وصلٍ ... سارَ سرُّ الهوى بها فَمَراها
كلما أسلفَ الصَّبا من سلافٍ ... تصقلُ الدهرَ نسمةٌ من شذاها
أينَ أيامُ رامةٍ لا عداها ... مدمعُ العاشقين بلْ حيّاها
دهرُ لهوٍ كأنَّنا ما لبثْنا ... فيه إلا عشيةً أوْ ضُحاها

ما لنا والنَّوى كفى اللهُ منها ... أيُّ نُكْرٍ أتتْ به كَفَّاها
حيثُ بِتْنا شتّى المغاني وماذا ... أنكرَ الدّهرُ من يدٍ أسداها
يا أخلاَّي لوْ رعيتُمْ قلوباً ... جدَّ جدُّ الهوى بها فابتلاها
أنصفُونا من جَوْرِ يوم نواكُمْ ... حسبُ تلك الأكبادِ جَوْرُ جَفاها
عمركَ اللهَ هل تنشَّقْتَ عَرْفاً ... من دُمَى الحيِّ أو وردْتَ لُماها
أم لمحتَ القِبابَ أم شِمتَ منها ... تلكُمُ الومضةَ التي شِمناها
خبِّرينا يا سَرْحةَ الوادِ عنهم ... أينَ ألقتْ تلك الظعونُ عَصاها
يا لَقَوْمي ما دون رامةَ ثاري ... فاسألُوا عن دَمي المُراقِ دِماها
إنَّ حتفَ الورى بعينِ مَهاةٍ ... لا تخالُ الحِمامَ إلا أخاها
ما على مثلِها يُذَمُّ هوانا ... وعلى مثلِنا يذمُّ قِلاها
يا خليليَّ والخلاعة ديني ... فاعذرا أهلَها ولا تعذلاها
إنَّ تلك القلوبَ أقلقَها الوجْـ ... ـدُ وأدمى تلك العيونَ بُكاها
لا تلوما مَنْ سيمَ في الحبِّ خَسْفاً ... إنَّما آفةُ القلوبِ هَواها
أيُّ عيشٍ لعاشقٍ ذاتَ هَجْرٍ ... لا يزالُ الحِمامُ دون حِماها
أيُّ عيشٍ للسالفين تقضّى ... كان حلوَ المذاقِ لولا نَواها
هي طوراً هجرٌ وطوراً وِصالٌ ... ما أمرَّ الدّنيا وما أحلاها
كم ليالٍ مرَّتْ بلمياءَ بيضٍ ... كان يُجنى النعيمُ من مُجْتناها
كان أنكَى الخطوبِ لم يُبكِ منّي ... مقلةً لكنِ الهوى أبْكاها
لو تأملتَ في مجامدِ دمعي ... لتعجّبتَ من أسىً أجْراها
أنا سيارةُ الكواكبِ في الحرْ ... بِ فأنّى يعدُو عليَّ سُهاها
كلُّ يومٍ للحادثاتِ عوادٍ ... ليس يقوى رضْوَى على مُلْتقاها

كيف يُرجَى الخلاصُ منهنَّ إلاَّ ... بذمامٍ منْ سيّدِ الرُّسْلِ طَه
معقلُ الخائفين منْ كلِّ خوفٍ ... أوفرُ العربِ ذمّةً أوْفاها
مصدرُ العلمِ ليسَ إلاَّ لدَيْه ... خَبَرُ الكائناتِ منْ مبُتداها
مَلِكٌ يحتوي ممالكَ فضلٍ ... غيرَ محدودةٍ جهاتُ عُلاها
لو أعيرَتْ منْ سلسبيلِ نِداه ... كرةُ النّارِ لاستحالَتْ مياها
هوَ ظلُّ اللهِ الّذي لوْ أوَتْه ... أهلُ وادي جهنَّم لحماها
عَلَمٌ تُلحظُ العوالمُ منه ... خيرُ منْ حلَّ أرضَها وسَماها

ذاك ذو إمرةٍ على كلِّ أمرٍ   رتبةٌ ليسَ غيرُه يُؤتاها
ذاك أسخى يداً وأشجعُ قلباً   وكذا أشجعُ الورَى أسخاها
ما تناهَتْ عوالمُ العلمِ إلاَّ   وإلى ذاتِ أحمدٍ مُنتهاها
أيُّ خلقٍ للهِ أعظمُ منه   وهوَ الغايةُ الّتي استَقْصاها
قَلَّبَ الخافقَيْنِ ظهراً لبطنٍ   فرأى ذاتَ أحمدٍ فاجْتباها
مَنْ ترَى مثلَه إذا شاءَ يوماً   محوَ مكتوبةِ القضاءِ مَحاها
رائدٌ لا يرودُ إلاَّ العوالي   طابَ منْ زهرةِ القَنا مُجتناها
ذاتُ علمٍ بكلِّ شيْءٍ كأنَّ الـ   ـلوحَ ما أثبتَتْه إلاَّ يَداها
لستُ أنسَى له منازلَ قُدْسٍ   قد بَناها التُّقى فأعلَى بِناها
ورجالاً أعزةً في بيوتٍ   أذِنَ اللهُ أنْ يُعزَّ حِماها
سادةً لا تريدُ إلاَّ رضا اللَّـ   ـهِ كما لا يريدُ إلاَّ رِضاها
خصَّها منْ كمالِه بالمعاني   وبأعلَى أسمائِه سمَّاها
لمْ يكونُوا للعَرْشِ إلاَّ كنوزاً   خافياتٍ سبحانَ منْ أبْداها
كمْ لهمْ ألسنٌ عنِ اللهِ تُنْبي   هيَ أقلامُ حكمةٍ قدْ بَراها
وهمُ الأعينُ الصحيحاتُ تَهْدي   كلَّ نفسٍ مكفوفةٍ عَيْناها
علماءٌ أئمةٌ حكماءٌ   يهتدي النجمُ باتّباعِ هُداها
قادةٌ علمُهُمْ ورأيُ حِجاهُمْ   مُسْمِعا كلَّ حكمةٍ مُنْظِراها
ما أبالي ولو أُهيلَتْ على الأرْ   ضِ السمواتُ بعْدَ نيلِ وِلاها
مَنْ يُباريهِمْ وفي الشّمسِ معنىً   مُجهدٌ متعبٌ لمنْ باراها
ورِثُوا منْ محمدٍ سبْقَ أولا   ها وحازُوا ما لمْ تَحُزْ أُخراها
آيةُ اللهِ حكمةُ اللهِ سيفُ الـ   ـلَهِ والرّحمةُ الّتي أهْداها
أرْيحَيٌّ له العُلَى شاهداتٌ   أنَّ منْ نعلِ أخمَصَيْهِ عُلاها
نيِّرُ الشكلِ دائرٌ في سماءٍ   بالأعاجيبِ تستديرُ رَحاها
فاضَ للخلقِ منه علمٌ وحِلمٌ   أخَذَتْ عنهُما العقولُ نُهاها
واستعارَتْ منه الرسالةُ شمساً   لم يزلْ مُشرقاً بها فَلَكاها
حيِّ ذاكَ المليحَ أيَّ ثمارٍ   منْ حبيبيَّةِ الإلَهِ اجْتَناها
ما عسَى أنْ أقولَ في ذي معالٍ   علةُ الكونِ كلُّه إحْداها
كمْ على هذِه لهُ من أيادٍ   ليستِ الشمسُ غيرَ نارِ قِراها
ولهُ في غدٍ مضيفُ جِنانٍ   لم يَحُلْ حسنُها ولا حُسناها

كيفَ عنهُ الغِنى بجودِ سِواه … وهْوَ منْ صورةِ السَّماحِ يَداها
أينَ مِنْ مكرماتِه مُعْصِراتٌ … دونَ أدنى نوالِه أنْداها
ملأتْ كفُّه العوالمَ فضلاً … فلهذا استحالَ وجهُ خلاها
بأبي الصَّارمُ الإلَهيُّ يبْري … عُنُقَ الأزمةِ الشديدِ بُراها
جاورتْهُ طريدةُ الدِّينِ علماً … أنَّه ليثُها الّذي يَرْعاها
نطقتْ يومَ حملِه معجزاتٌ … قَصُرَ الوهمُ عن بلوغِ مَداها
بشَّرتْ أمَّهُ بهِ الرّسلُ طُرّاً … طرباً باسْمِه فيا بُشْراها
تلتقِي كلُّ دورةٍ برسولٍ … أيُّ فخرٍ للرّسلِ في مُلْتقاها
كيفَ لمْ يفخرُوا بدورةِ مولىً … فخرَ الذُّكرُ باسمِه وتَباهى
لم يكنْ أكرمَ النبيين حتّى … علمَ اللهُ أنَّهُ أزكاها
فلتقْواهُ تنثنِي الرُّسْلُ حسْرَى … حيثُ لا تستطيعُ نيلَ ذُراها
نوَّهتْ باسمِه السمْواتُ والأرْ … ضُ كما نوَّهتْ بصبحِ ذُكاها
وبدا في صفايحِ الصّحْفِ منهُ … بدرُ إقبالِها وشمسُ ضُحاها
وغدتْ تنشرُ الفضائلَ عنهُ … كلُّ قومٍ على اختلافِ لُغاها
وتمنّوْهُ بكرةً وأصيلاً … كلُّ نفسٍ تودُّ وشكَ مُناها
وتنادَتْ بهِ فلاسفةُ الكُهّـ … ـانِ حتّى وعى الأصمُّ نِداها
وصفُوا ذاتَه بما كانَ فيها … منْ صفاتٍ كمنْ رأى مرآها
طربَتْ لاسمِه الثّرى فاستطالَتْ … فوقَ علويّةِ السّما سُفلاها
ثم أثْنَتْ عليهِ إنسٌ وجنٌّ … وعلى مثلِه يحقُّ ثَناها
لم يزالُوا في مركزِ الجهلِ حتّى … بعثَ اللهُ للْوَرى أزكاها
فأتى كاملَ الطبيعةِ شمساً … تستمدُّ الشموسُ منه سَناها
وإلى فارسٍ سَرى منه سرٌّ … فاستحالتْ نيرانُها أمْواها
وأحاطتْ بها البَوايقُ حتّى … غاضَ سلْسالُها وفاضَ ظَماها
وأقامتْ في سفحِ إيوانِ كسْرى … ثَلْمةً ليسَ يلْتقي طَرَفاها
وتهاوتْ زهرُ النجومِ رجُوماً … فانْزوى ماردُ الضّلالِ وتَاها
رُمِيتْ منهمْ القلوبُ برعبٍ … دكَّ تلكَ الجبالَ من مَرْساها
وانمحتْ ظلمةُ الضّلالِ ببدرٍ … كانَ ميلادُهُ قِرانَ انمحاها
فكأنَّ الإشراكَ آثارُ رسمٍ … غالَها حادثُ البَلا فمَحاها
وكأنَّ الأوثانَ أعجازُ نخلٍ … عاصفُ الريحِ هزَّها فرمَاها

ونواحي الدّنيا تميسُ سروراً   كغصونٍ مَرُّ النَّسيم ثَناها
سيدٌ سلَّمَ الغزالُ عليه   والجماداتُ أفصحَتْ بِنَداها
وإلى نَشْرِهِ القلائصُ حَنَّتْ   راقصاتٍ وَرَجَّعَتْ برُغاها
وإلى طبِّهِ الإلَهيِّ باتَتْ   عللُ الدّهرِ تشتكي بلْواها
كيفَ لا تشتكِي اللّيالي إليه   ضُرَّها وَهْوَ مُنتهى شَكْوَاها
وبهِ قَرَّتِ الغزالةُ عيناً   بعدما ضلَّ في الرُّبى خُشْفاها
مَنْ لشمسِ الضُّحى بِلَثْمِ ثَرَاه   فَتَكُون الّتي أصابَتْ مُناها
جاءَ مِنْ واجبِ الوجودِ بما يَسْـ   تصغرُ المُمْكناتِ أنْ يَغْشاها
سُؤْدَدٌ قارَعَ الكواكبَ حتّى   جاوزَتْ نيِّراتُه جَوْزاها
باسُهُ مُهلِكٌ وأدنى نَداهُ   مُنقِذُ الهالكينَ مِنْ بأسَاها
كمْ سَخى مُنْعِماً فأعتَقَ قَوْماً   وكذا أكرمُ الطّباعِ سَخاها
كمْ نوالٍ له عُقَيْبَ نوالٍ   كسيولٍ جَرَتْ إلى بَطْحاها
إنّما الكائناتُ نقطةُ خَطٍّ   بِيَدَيْه نعيمُها وشَقاها
كلُّ ما دونَ عالمِ اللّوحِ طَوْعٌ   لِيَدَيْ فضلِه الّذي لا يُضاهى
هِممٌ قُلِّدَتْ مِنَ اللهِ سَيْفاً   ما عَصَتْه الصّعابُ إلاّ بَراها
عَزَماتٌ مُحيلةٌ لوْ تَمَنَّتْ   مُسْتحيلاً مِنَ المُنى ما عَصاها
لا تسَلْ عنْ مكارم منهُ عمّتْ   تلكَ كانتْ يداً على ما سِواها
جوهرٌ تعلمُ الفلزّاتُ مِنْ كـ   ـلِّ القَضايا بأنّه كيْمِياها
حازَ مِنْ جوْهرِ التقدُّسِ ذاتاً   تاهَتِ الأنبياءُ في مَعْناها
لا تُجِلْ في صفاتِ أحمدَ فكراً   فهيَ الصّورةُ الّتي لَنْ تَراها
تلكَ نفسٌ عَزَّتْ على اللهِ قدراً   فارْتضاها لنفْسِه واصْطَفاها
صِيغَ للذّكْرِ وحْدَه والإلَهيـْ   ـون كانتْ في الذّكْرِ عنه شِفاها
سَلْ ذواتِ التّمْييزِ تُخبرْك عنه   أنَّ حالَ التّوحيدِ منه ابْتداها
حازَ قُدْسيّةَ العلومِ وإنْ لمْ   يُؤتَها أحمدٌ فمن يُؤتاها
علَمٌ أقسمتْ جميعُ المعالي   أنّه رَبُّها الّذي رَبّاها
يُصْدرُ الأمرَ عنْ عزائم قُدسٍ   ليْسَتِ السّبعةُ السّواري سِواها
بطلٌ طاولَ الظُّبى والعوالي   بيدٍ لا يطولُها ما عَداها
إنّما عاشتِ السمٰواتُ والأر   ضُ ومَنْ فيهما على جَدْواها
لا تضعْ في سِوى أياديه سُؤْلاً   ربّما أفسدَ المُدامَ إناها

عُدَّ لي بعضَ وصفِه تَلْقَ كليّـ … ـاتِ مجدٍ لم تنحصرْ أجْزاها
ذاك لوْ لم تَلُحْ عوالمُ عقلٍ … منه لم يعرفِ الوجودُ الإلّها
شمسُ قُدسٍ بدت فحقَّ انشقاقُ الْـ … ـبَدْرِ نِصفَيْن هيبةً لِبَهاها
أيُّ أرضيةٍ عَصَتْ لم يَرُضْها … أو سماويّةٍ سَمَتْ ما سَماها
مَنْ تسنّى متْنَ البراقِ ليطْوِي … صُحُفَ أفلاكِها به فطَواها
وترقّى لقابَ قَوْسَيْنِ حتّى … شاهدَ القِبْلةَ الّتي يَرْضاها
حيثُ لا همْسَ للعبادِ كأنّ الـ … ـلّهَ مِنْ بعدِ خَلْقِها أفناها
داسَ ذاك البساطَ منه برجلٍ … نَيِّراً كلُّ سُؤْدِدٍ نَعْلاها
وعلى مَتْنِه يدُ اللهِ مُدَّتْ … فأفاضَتْ عليهِ روحَ نَداها
وأراهُ ما لا يُرى منْ كنوزِ الـ … ـصَمَدانيّةِ التي أخفاها
ليتَ شعري هلِ ارْتقى ذروةَ الأفـ … ـلاكِ أمْ طأطأتْ له فَرَقاها
أمْ لِسرٍّ منْ مالِكِ الملْكِ فيه … دونَ مقدارِ لحظةٍ أنهاها
كمْ روى العسكرَ الّذي ليس يُحصى … حيثُ حرُّ الرّبى يُذيبُ حصاها
وأعادَ الشمسَ المنيرةَ قَسْراً … بعدَما عادَ ليلُها يغشاها
وأظلَّتْ عليهِ منْ كلَلِ السُّحْـ … ـبِ ظِلالٌ وَقَتْهُ مِنْ رَمْضاها
واخضرارُ العصا بيُمْنى يَدَيْه … كاخضرارِ الآمالِ منْ يُسراها
وكلامُ الصَّخْرِ الأصَمِّ لَدَيْهِ … مُعجزٌ بالهُدى الإلَهيِّ فاها
وسَمَتْ باسمِه سفينةُ نوحٍ … فاستقرَّتْ به على مَجْراها
وبه نالَ خُلّةَ اللهِ إبرا … هيمُ والنارُ باسمِه أطفاها
وبسرٍّ سرَى له في ابْنِ عمْرا … نَ أطاعَتْ تلك اليمينُ عَصاها
وبه سخّرَ المقابرَ عيسى … فأجابَتْ نداءهُ مَوْتاها
وهو سرُّ الوُجودِ في المَلأِ الأعْـ … ـلَى ولولاهُ لم تعفّرْ جِباها
وهو الآيةُ المحيطةُ في الكوْ … نِ ففي عينِ كلِّ شيءٍ تَراها
الفريدُ الّذي مفاتيحُ علْمِ الْـ … ـواحدِ الفردِ غيرُهُ ما حَواها
هو طاووسُ روضةِ الملْكِ بلْ نا … موسُها الأكبرُ الّذي يَرْعاها
وهو الجوهرُ المجرَّدُ منه … كلُّ نفسٍ مليكُها زكّاها
لم تكنْ هذه العناصرُ إلاّ … من هَيُولاه حيثُ كان أباها
من يَلِجْ في جنانِ جَدْوَى يَدَيْهِ … يَجِدِ الحورَ من أقلِّ إماها
ما حَبَاهُ اللهُ بالشفاعةِ إلاّ … لكنوزٍ من جاهِه زكّاها

ما رأت وجهَهُ الغمامةُ إلاّ وأراقتْ منه حياءً حياها
ثِقْ بمعروفِه تجدْه زعيماً بنجاةِ العصاةِ يومَ لِقاها
كيف تَظْمى حَشا المحبّينَ منه وهو من كوثرِ الوِدادِ سَقاها
شربةً أعقبتهُمُ نَشواتٍ رَقَّ نشوانُها ورَاقَ انْتشاها
لا تخفْ من أسَى القيامةِ هَوْلاً كَشَفَ اللهُ بالنّبيّ أسَاها

مَلِكٌ شدَّ أزرَهُ بأخيهِ فاستقامَتْ من الأمورِ قَناها
أسدُ اللهِ ما رأتْ مُقلتاهُ نارَ حربٍ تَشُبُّ إلاّ اصطلاها
فارسُ المؤمنين في كلِّ حربٍ قُطْبُ مِحْرابِها إمامُ وَغاها
لم يخضْ في الهياجِ إلاّ وأبْدى عزمةً يتّقي الرّدى إياها
ذاك رأسُ الموَحّدين وحامِي بَيْضةِ الدّينِ منْ أكفِّ عِداها
جمعَ اللهُ فيه جامعةَ الرسْـ لِ وآتاه فوقَ ما آتاها
وإذا ما انتمَتْ قبائلُ حيٍّ الْـ ـموتِ كانتْ أسيافُه آباها
من ترى مثله إذا صَرَّتِ الحرْ بُ ودارتْ على الكُماةِ رَحَاها
ذاك قِمقامُها الّذي لا يروّي غيرَ صَمْصامِه أوامَ صداها
وبه استفتحَ الهُدَى يومَ بدْرٍ من طغاةٍ أبَتْ سِوى طَغْواها
صبَّ صَوْبَ الرّدى عليهم هُمامٌ ليسَ يخشى عُقْبَى الّتي سَوّاها
يومَ جاءتْ وفي القلوبِ غليلٌ فسَقاها حسامُه ما سَقاها
كيف يخْشى الّذي له ملكوتُ الـ أمنِ والنصرُ كلُّه عُقباها
فأقامتْ ما بين طيشٍ ورعبٍ وكفَاها ذاك المقامُ كَفاها

ظَهَرتْ منه في الْوغَى سَطَواتٌ ما أتى القومُ كلُّهم ما أتاها
يومَ غصّتْ بجيشِ عَمْرِبْنِ وُدٍّ لهواتُ الفَلا وضَاق فَضاها
وتخطّى إلى المدينةِ فرداً بسَرايا عزائمٍ سَاراها
فدعاهم وهم ألوفٌ ولكنْ ينظرون الّذي يشُبُّ لَظاها
أينَ أنتُمْ عن قَسْورٍ عامِريٍّ تَتّقِي الأُسْدُ بأسَه في شَراها
فأبْتَدى المصطفَى يحدّثُ عمّا يُؤجَرُ الصابرون في أُخْراها
قائلاً إنَّ للجليلِ جِناناً ليسَ غيرُ المجاهِدِين يَراها
أينَ مَنْ نفسُه تتوقُ إلى الجنّا تِ أو يُوردُ الجحيمَ عِداها

مَنْ لعمرٍو وقد ضمِنْتُ على اللَّـ ـهِ لهُ من جنانِه أغلاها
فالتَوَوْا عن جوابِه كَسَوامٍ لا تَراها مجيبةً مَنْ دعاها
وإذا همُ بفارسٍ قُرشِيٍّ ترجفُ الأرضُ خيفةً إذ يَطاها
قائِلاً ما لَها سوايَ كفيلٌ هذه ذمةٌ عليٍّ وفاها
ومشَى يطلبُ الصفوفَ كما تَمْـ ـشي خِماصُ الحَشا إلى مَرْعاها
فانتضَى مَشرفيَّهُ فتلَقَّى ساق عمْرٍو بضربةٍ فبَراها
وإلى الحشْرِ رنّةُ السَّيْفِ منه يملأُ الخافِقَيْنِ رَجْعُ صَداها
يا لَها ضربةً حَوَتْ مكرُماتٍ لم يزِنْ ثقلَ أجْرِها ثَقَلاها
هذه من عُلاه إحْدَى الْمَعالِي وعلى هذه فَقِسْ ما سِواها
وبِأحُدٍ كم فَلَّ آحادَ شُوسٍ كلما أوقدوا الوغى أطْفاها
يومَ دارتْ بلا ثوابتَ إلاَّ أسدُ اللهِ كان قُطْبَ رَحاها
كيف للأرضِ بالتمكّنِ لوْلا أنّه قابضٌ على أرجاها
رُبَّ سُمْرِ القنا وبيضِ المَواضي سبَّحتْ باسمِ بأسِه هيْجاها
يومَ خانتْ نبّالةُ القومِ عهداً لنبيِّ الهُدى فخابَ رَجاها
وتراءَتْ لها غنائمُ شتّى فاقْتفى الأكْثرون إثْرَ ثَراها
وجدتْ أنجمَ السُّعودِ عليه دائراتٍ وما دَرَتْ عُقباها
فئةٌ ما لَوَتْ منَ الرَّغبِ جيداً إذ دعاها الرسولُ في أُخراها
وأحاطَتْ به مَذاكِي الأعادِي بعد ما أشرفَتْ على اسْتيلاها
فترى ذلك النفيرَ كما تَخْـ ـبِطُ في ظلمةِ الدُّجى عَشواها
يتمنّى الفتَى ورودَ المنايا والمنايا لو تُشترى لاشْتراها
كلما لاحَ في المهامِهِ برقٌ حسبتْهُ قَنا العِدى وظُباها
لم تَخَلها إلا أضالعَ عُجْفٍ قد براها السُّرى فحلَّ بُراها
لا تَلُمها لحيْرَةٍ وارتياعٍ فقدَتْ عِزَّها فعَزَّ عَزاها
إنْ يُفتْها ذاك الجميلُ فعذراً إنما حُليةُ الرّجالِ حِجَاها
لَدَغتْها أفعالُها أيَّ لدغٍ رُبَّ نفسٍ أفعالُها أفعاها
قد أراها في ذلك اليومِ ضرْباً لو رأتْهُ الشبّانُ شابَتْ لِحاها
وكساها العارَ الذميمَ بطعنٍ من حُلى الكبرياءِ قد أعْراها
يوم سالَتْ سَيْلَ الرّمالِ ولكنْ هبَّ فيها نسيمُه فَذَراها
ذاك يومٌ جبريلُ أنشدَ فيه مِدَحاً ذو العُلى له أنْشاها

لا فتًى في الوجودِ إلا عليٌّ ... ذاك شخصٌ بمثلِه اللهُ باهَى
لا تَرُمْ وصفَه ففيهِ معانٍ ... لم يصفْها إلاّ الّذي سوَّاها
مَنْ رآه رأى تماثيلَ قُدْسٍ ... عن ثناءِ الإلَهِ لا تَتَلاهى
وُسِمَتْ في ضميرِه حضرةُ القُدْ ... سِ فأنّى يفوتُه ذِكْراها
ما حوى الخافقانِ إنسٌ وجنٌّ ... قصباتِ السبقِ الّتي قد حَواها
ألِفَتْه بِكْرُ العُلى فهيَ تَهْوى ... حُسْنَ أخلاقِه كما يَهْواها
شقَّ مِنْ ذكرِه العليُّ له اسْماً ... فهو ذاتُ العلْياء جلَّ ثَناها
ملأ الأرضَ بالزلازلِ حتّى ... زادَ من أرْؤُسِ الكُماةِ رُباها
لا تَخَلْ سيفَهُ سوى نفخةِ الصو ... رِ يُسِلُّ الأرواحَ من أشلاها
فكأنّ الأنفاسَ قد عاهَدَتْه ... بجفاءِ النّفوسِ مهْما جَفاها
كمْ شرَى أنفسَ الملوكِ الغوالي ... بالعوالي فأرخصَتْ مشْتراها
واستحالَتْ من الصّوارمِ حمراً ... كفتاةٍ تورّدَتْ وجْنتاها
فأبانَ الأعناقَ عن مركزِ الأبْـ ... ـدانِ حتى كأنّ نافِ نَفاها
وأعادَ الأجسامَ قفرًى مِنَ الأرْ ... واحِ يبكِي على الأنيسِ صَداها
كم عقولٍ أطاشَها وهْيَ لو تَرْ ... مي نجومَ الدُّجى لحطَّت سُهاها
وعيونٍ لم يُقْذِها صَرْفُ دهرٍ ... مذْ رمَاها ببأسِه أقْذاها
قادَ تلكَ الملوك قودَ المواشِي ... وعلى صفحةِ القلوبِ كواها

ولـه يومَ خيبرٍ فَتَكاتٌ ... كبُرَت منظراً على مَنْ رآها
يومَ قالَ النّبيُّ إنّي لأُعْطِي ... رايتي ليثَها وحامِي حِماها
فاسْتطالَتْ أعناقُ كلِّ فريقٍ ... ليَرَوْا أيَّ ماجدٍ يُعطاها
فدَعا أيْنَ وارثُ العلْمِ والحلْمِ ... مجيرُ الأيامِ مِنْ بأساها
أينَ ذو النَّجدةِ الّذي لو دَعَتْهُ ... في الثّريّا مَرَوعةٌ لبّاها
فأتاهُ الوصيُّ أرمدَ عينٍ ... فَسقاها مِنْ ريقِه فَشفاها
ومضى يطلُبُ الصّفوفَ فولّتْ ... عنه علْماً بأنّه أمْضاها
ويَرَى مَرْحباً بكفّ اقتدارٍ ... أقوياءُ الأقدارِ من ضُعفاها
ودحَا بابَها بقوةِ بأسٍ ... لو حمَتْها الأفلاكُ منه دَحاها
عائذٌ للمؤمّلينَ مجيبٌ ... سامعٌ ما تُسرُّ مِنْ نَجْواها
إنّما المصطفَى مدينةُ علمٍ ... وهُوَ البابُ مَنْ أتاهُ أتاها

وهُمَا مقْلتا العوالِمِ يُسْرا ... ها عليٌّ وأحمدٌ يُمناها
مَنْ غدا مُنْجداً له في حصارِ الْ ... شعبِ إذ جدَّ مِنْ قريشٍ جَفاها
يومَ لم يُرْعَ للنبيِّ ذِمَامٌ ... وتواصَتْ بقطعِهِ قُرباها
فِئَةٌ أحدثَتْ أحاديثَ بغيٍ ... عجَّلَ اللهُ في حدوثِ بَلاها
ففدَى نفسَ أحمدٍ منهُ بالنَّفْ ... سِ ومِنْ هولِ كلُّ بؤسٍ وقَاها
كيفَ تنفكُّ في المُلمّاتِ عنه ... عصمةٌ كان في القديمِ أخَاها
عَزْمةٌ قصَّرتْ أولُو العزْمِ عنها ... أينَ أولَى الجيادِ مِنْ أُخراها
عزمةٌ عرضُها السمٰواتُ والأرْ ... ضُ أحاطَتْ بصبحِها ومَساها
وإذا لم تُحِطْ بمعناه علْماً ... فاسْألِ العُرْبَ مَنْ أطلَّ دِماها
وغزَاها في كلِّ ذَوِّ ببأسٍ ... لو تعاصَتْ غولُ الفَلا لغَزاها
وسقَاها صُمَّ الأنابيبِ حتّى ... شرِقَتْ شوسُها بكأسٍ رَداها
لم تَرِدْ مَوْرِداً منَ الماءِ إلا ... ورأَتْ ظلَّ شخصِه تِلْقاها
كيفَ لا تَتَّقي مضاربَ قَرْمٍ ... يُصْعَقُ الموتُ من سُماعِ صَداها
كلما حلَّتِ العقودَ أصابتْ ... ناظماً ينظمُ القَنا في كِلاها
ومنِ اقتادَ بالحبالِ قُرَيْشاً ... بَعْدَما طاولَ الجبالَ إباها
وأراها اليومَ الذي ما رأتْه ... فلهذا ألقَتْ إليه عصاها
مُلِئَتْ منهم الثّرى ظلماتٌ ... وبنوريّةِ الحُسامِ جَلاَها
عَسْعَسُوا كالدّجَى ولكنْ أصابُوا ... نيِّراتٍ يجلو الظلامَ ضُحاها
أحكَمَ اللهُ صنعةَ الدّينِ منه ... بفتىً ألحمَتْ يَداه سَداها
لا تَقِسْ بأسَهُ ببَأسٍ سِواهُ ... إنّما أفضلُ الظُّبى أمْضاها
جسَّ نبضَ الطّلا فلم يرَ إلا ... مُرْهَفَ الحدِّ بُرأها فبَراها
كلّما ضلَّتِ المنيةُ عنه ... جعَلَتْه دليلَها فهَداها
كم لِكَفَّيْهِ في صدورِ صدورٍ ... طعنةٌ يسبقُ القضاءَ قَضاها
لستُ أنسى للدّهرِ رمْدَ أمَاقٍ ... ما جَلا غيرُ ذي الفقارِ جَلاها
كم عُتاتٍ أذلّها بعد عزٍّ ... وعفاةٍ بعد العَفا أغْناها
لو ترى المرهفاتِ تشكو إليه ... حالَها وهْوَ راحمٌ شَكْواها
لرأيْتَ الدّماءَ يسبحُ فيها ... مِنْ أعالِي الجبالِ شُمُّ ذُراها
فاضَ منها ما لم يفضْ مِنْ سَحابٍ ... لو رآه السّحابُ لاسْتَجْداها
كلَّ يوم يجرّدُ الطعنُ منه ... همّةً تمسحُ الكماةَ يَداها

أعلمُ النّاسِ بالْوَغى كم معانٍ مِنْ طعانٍ على يَدَيْه ابْتداها
كيف تَخْفى صناعةُ الحرْبِ عنه وجميعُ الذّرّاتِ قدْ أحْصاها
عَـزَمـاتٌ تـحـفُّـهـا عَـزَمـاتٌ كلُّ يُمْنَى تنحطُّ عَنْ يُسْراها
عَـزَمَـاتٌ مـؤيَّـداتٌ بـروحٍ لا تَرى الخلقُ ذرةً من هَباها
رايـدٌ لا يـرودُ إلا الـعَـوالِـي طابَ من زهرةِ القَنا مُجتناها
جاءَ بالسَّيفِ هادياً للبَرايا حيثُ لم يُثْنِها الهُدى فثَناها
من تَلَقَّى يدَ الوليدِ بضرْبٍ حَيْـدَرِيٍّ بَـرْيَ الـيَـراعِ بَـراهـا
وسقَى منه عتبةَ كأسَ بؤسٍ كان صرْفاً إلى المَعادِ احْتساها
ورأى تِيهَ ذي الخِمارِ فَرَدَّا هُ منَ الذّلِّ بُردةً ما ارْتـداهـا
لستُ أنسى له شياطينَ حربٍ بـإلَـهـيٍّ بـأسِـه أخـزاهـا
ذاك مَنْ ليسَ تُنْكِرُ الحربُ منه بارقاتٍ يجلُو الظلامَ ضُحاها
كم رمَى راحةً فَشُلَّتْ وكانتْ قُلَّةً ليس يلتوِي عِطفاها
وله من أشعّةِ الفضلِ شمسٌ ودَّتِ الشمسُ أن تكون سَماها
أعِدِ الفكرَ في معانيهِ تنظرْ كيف يُحْيِي الأجسامَ بعد فَناها
واسْألِ الأنبياءَ تُنْبِئْك عنه أنَّـه سـرُّهـا الـذي نـبَّـاهـا
وكذا فاسْألِ السّمٰواتِ عنه من أطاعَتْ لِوَحْيِه يُوحاها
ومَنِ اسْتَلَّ للحوادثِ رأياً كَسَنَا المُبْرِقاتِ يَفْرِي دُجاها
وامْتَطى الكاهلَ الذي قد أمَرَّتْ قـدرةُ اللهِ فـوقَـه يُـمـنـاهـا
ذاك يُحْيِي المَوْتَى وإنْ كان يُرْدِي كلَّ نفْسٍ أخْنَى عليها خَنَاها
كم نفوسٍ تُصِحُّها عِللُ الفَقْـ ـرِ ولو نالَها الغِنى أطْغاها
حسبُ أهلِ الضّلالِ منه نِبالٌ هي مرمَى وبالِها وبَلاها
قائمٌ في زكاةِ كلِّ المعالِي دائـمٌ دأبُـهُ عـلـى إيْـتـاهـا
لو سَرَتْ في الثّرى بقيّةُ طَلٍّ مِنْ نَدَاه لروّضَتْ حَضْباها
كم أدارتْ يداهُ أفلاكَ مجدٍ مُستمرٍّ على الزّمانِ بَقاها
ذاك من جنّةِ المعالِي كَطُوبَى كـلُّ شـيْءٍ تُـظِـلُّـه أفْـيـاهـا
ذاك ذو الطّلعَةِ التي تَتَجلَّى خَفِراتُ الجمالِ دون اجْتلاها
إيْ وعَيْنَيْه لا أكاليلَ فضلٍ لملوكِ الملوكِ إلا احْتذاها
لُذْ إلى جودِه تجدْ كيف يَهْدِي حُلَلَ المكرماتِ من صَنْعاها
كـم لـه مـن روائـحٍ وغـوادٍ مَدَدُ الفيضِ كان من مَبْداها

كم له شمسُ حكمةٍ تَتَمَنّى غُرَّةُ الشمس أن تكون سَماها
لم تزلْ عنده مفاتحُ كشفٍ قد أماطَتْ عن الغيوبِ غِطاها
ربُّ حالَيْ أوامرٍ ونواهٍ ليس يرْضَى الإلَهُ دون رِضاها
بأبي ذو يدٍ عنِ اللهِ ترمِي أيّ سهمٍ للهِ في مَرْماها
هي طوراً مديرةٌ فلكَ الأخـ ـرى وطوراً مديرةٌ أولاها

ومنِ المُهْتدِي بيوم حُنَيْنٍ حين غاوي الفِرارِ قد أغواها
حيث بعضُ الرجالِ تهربُ من بيـ ـضِ المَواضِي والبعضُ من قَتْلاها
حيث لا يلتوِي إلى الإلفِ إلفٌ كلُّ نفسٍ أطاشَها مادَهاها
مَنْ سَقاها في ذلك اليوم كأساً فائضاً بالمَنونِ حتّى رَواها
أعجبَ القومَ كثرةُ العَدِّ منها ثمَّ ولّتْ والرُّعْبُ حَشْوُ حَشاها
وقفُوا وقفَةَ الذّليلِ وفرّوا من أسودِ الشّرى فِرارَ مَهاها
وعليٌّ يلْقَى الألوفَ بقلْبٍ صوَّر اللهُ فيه شكلَ فَناها
إنما تفضلُ النفوسُ بجدٍّ وعلى قَدْرِه مَقامُ عُلاها
لو دَعتْ كفُّه بغيرِ جِرابٍ أجلَ الخلْقِ لاستجابَ دُعاها
لو تَراه وجودُه مستباحٌ قبلَ كشْفِ العفاةِ سرَّ عَفاها
خِلْتَ من أعظَمِ السّحائبِ سُحْباً سَقَتِ الرّوْضَ قبلَ ما اسْتَسْقاها
وهْوَ للدّائراتِ دائرةُ السّعْـ ـدِ ألاَ ساءَ حظُّ مَنْ ناواها
هممٌ لا تَرى بها فَلَكَ الأفْـ ـلاكِ إلا كحبّةٍ في فَلاها
لم يَدَعْ ذلك الطبيبُ كُلوماً قد أساءَتْ بالدّهرِ إلا أساها
وأياديه لم تُقَسْ بالأيادي أين ماءُ العيونِ من أضداها
صادقُ الفعلِ والمقالةِ يَحْوي غُرَّةً مثلَ حسْنِه حُسناها
كم رمَى بُهمةً بلحظةِ طَرْفٍ كان مِيقاتُ حتْفِه مَرْماها
خاطَ للعنكبوتِ نسجَ الرُّدَيْـ ـنِيِّ وأبياتُ عزمِه أوْهاها
وأقامَ الجهولَ بالسيْفِ رغماً هل تقومُ الدّنيا بغيرِ ظُباها
باسطٌ عن يدِ الإلَـهِ يميناً يُرْسلُ الرّزقَ للعبادِ عَطاها
قابضٌ عن جلالِه بجلادٍ لو بدَتْ صورةُ الرّدى أرْداها
ربَّ صعبٍ من جامحاتِ العوادِي قادَه من يمينه إيْماها
قد أعادَ الهُدى وغيرُ عجيبٍ أن يعيدَ الأشياءَ من أبْداها

بأبي منشيءُ الحوادثِ كم صو رةِ حتفٍ بزجرِه أنشاها
كانت العُرْبُ قبل قوةِ يمْنا ه عُروقاً لا تلتوي فَلَوَاها
وأراها طعناً يفلُّ عُرى الصَّبْـ ـرِ وضرْباً يحلُّ عقدَ عُراها
فاستعاذتْ من ذاك بالهرَبِ الأقـ ـصَى لتنجُو به فما أنجاها
لا تخلْ مهربَ الجبانِ يُنجيـ ـهِ إذا مدَّتِ المنايا خُطاها
جرَّ طغواهُمُ الوبالَ عليهم رُبَّ قومٍ أذلَّها طَغْواها
كان ملءَ الثَّرى ضلالٌ وبغيٌ لكنِ السَّيفُ منهما أخلاها
لم تَفُهْ ملةٌ من الشِّركِ إلاَّ فضَّ بالصَّارِمِ الإلٰهيِّ فَاها
وطواها طيَّ السِّجِلِّ هُمامٌ نَشَرَ الحرب علمُه وطواها
لم يَدَعْ سيفُه حَشاً قطُّ إلا وبفوَّارةِ الغليلِ حشاها
سل كُماةَ الأبطالِ من كلِّ حَيٍّ غيرُ ذاك الكَميِّ مَنْ أفناها
كم عَرَى مُشكِلٌ فحلَّ عُراه ليس للمشكلاتِ إلا فَتاها
هل أتتْ (هل أتى) بمدحِ سِواهُ لا ومَوْلىً بذكرِه حَلاّها
فتأمَّل بـ(عَمّ) تنبئْكَ عنه نبأً كلُّ فرقةٍ أعْياها
وبمعنى (أحبّ خلقِك) فانظرْ تجدِ الشمسَ قد أزاحتْ دُجاها
واسألِ الأعصرَ القديمةَ عنه كيف كانتْ يداهُ روحَ غِذاها
وهو علاّمةُ الملائكِ فاسألْ روحَ جبريلَ عنه كيف هَداها
بل هو الرّوحُ لم يزل مُسْتَمِداً كلُّ دهرٍ حياتَه من قِواها
أيُّ نفسٍ لا تهتدِي بهُداه وهوَ من كلِّ صورةٍ مُقْلتاها
وتفكّرْ بـ(أنت منّي) تجدْها حكمةً تورثُ الرُّقودَ انْتباها
أوَ ما كان بعدَ موسَى أخوه خيرَ أصحابِه وأعظمَ جَاها
ليس تخلو إلا النبوةُ منه ولهذا خيرُ الورى اسْتثناها
وهو في آيةِ التباهُلِ نفسُ الْـ ـمصطفَى ليس غيرهُ إيّاها
ثم سلْ (إنما وليكُمُ اللّـ ـهُ) تَرَ الاعتبارَ في مَعناها
آيةٌ خصّتِ الولايةَ للّـ ـهِ وللنّدْبِ حيدرٍ بعدَ طٰه
آيةٌ جاءتِ الولايةُ فيها لثلاثٍ يعدُو الهُدى مَنْ عَداها
وبسَدِّ الأبوابِ أيُّ افتتاحٍ لكنوزِ الهُدى ففُزْ بِغناها
من تولّى تغسيلَ سلمانَ إلاَّ ذاتُ قدسٍ تقدّسَتْ أسْماها
ليلةٌ قد طوى بها الأرضَ طيّاً إذ نأَتْ دارُه وشطَّ مَداها

وابنُ عفّانَ حولَهُ لم يُجَهِّزْ ... هُ ولا كفَّ عنه كفَّ أذاها
لستُ أدري أكان ذلك مقتاً ... من عليٍّ أم عفةً ونَزاها
فلكٌ لم يزلْ يدورُ به الحقُّ ... وهلْ للنجومِ إلاّ سَماها

ويُخَمُّ ماذا جرى يومَ خُمٍّ ... تلك أكرومةٌ ابَتْ أن تُضاهى
ذاك يومٌ من الزّمانِ أبانَتْ ... ملّةُ الحقِّ فيه عن مُقتداها
كم حوى ذلك الغديرُ نجوماً ... ما جرَتْ أنجمُ الدُّجى مَجْراها
إذ رقى منبرَ الحدايجِ هادٍ ... طاولَ السّبعَةَ العُلى برُقاها
مُوقِفاً للأنام في فَلَواتٍ ... وعراتٍ بالقَيْظِ يَشْوي شِواها
خاطباً فيهمُ خطابةَ وحيٍ ... يرثُ الدينَ كلَّهُ مَنْ وَعاها
أيُّها الناسُ لا بقاءَ لحيٍّ ... آنَ من مُدَّتي أوانُ انقضاها
إنَّ ربَّ الوَرى دَعاني لحالٍ ... قبل أنْ يخلقَ الوَرى أقْضاها
انْ أولّي عليكمُ خيرَ مولىً ... كلّما اعتلّتِ الأمورُ شَفاها
سيداً من رجالِكُمْ هاشميّاً ... صافحَتْهُ العُلى فطابَ شَذاها
صالِحُ المؤمنينَ سرُّ هُداها ... عظَّمَ الذكرُ نفسَهُ فكَناها
صاحبُ الهمّةِ التي لو أرادتْ ... وطأتْ عاتِقَ السُّهى قدَماها
فتفكَّرْتُ في ضمائرِ قومٍ ... وهْيَ مطويةٌ على شَحْناها
وتطيَّرْتُ من مقالةِ قومٍ ... قد غلا بابْنِ عمِّهِ وتَباهى
فأتَتْني عزيمةٌ من إلَهي ... أوعدتْني إنْ لم أبلِّغْ سُطاها
فهَداني إلى التي هيَ أشدى ... وحبَاني بعصمةٍ من أذاها
أيُّها الناسُ حدِّثوا اليومَ عنّي ... وليبلِّغْ أدنى الوَرى أقْصاها
كلُّ نفسٍ كانتْ ترانِيَ مولىً ... فلترَ اليومَ حيدراً مَوْلاها
ربِّ هذي أمانةٌ لك عندِي ... وإليكَ الأمينُ قد أدّاها
والِ مَنْ لا يَرى الولايةَ إلا ... لعليٍّ وعادِ مَنْ عاداها
فأجابُوا بخٍ بخٍ وقلوبُ الـ ... قومِ تَغْلي على مغالِي قِلاها
لم تَسَعْهم إلا الإجابةُ بالقو ... لِ وإن كان قصدُهم ما عَداها
ثمَّ لمّا مضى القضاءُ بروحا ... نيّةِ الكونِ وانقضى رِيّاها
وجدُوا فرصةً من الدّهرِ لاحتْ ... فأصابتْ قلوبُهم مُشتهاها
قلْ لمنْ أوّلَ الحديثَ شِفاهاً ... وهْوَ إذْ ذاك ليسَ يأبى السَّفاها

أترى أرجحَ الخلائقِ رأياً يمسكُ الناسَ عن مجاري سُراها
راكباً ذروةَ الحدايجِ يُنْبي عن أمورٍ كالشمسِ رأدُ ضُحاها

أيُّها الراكبُ المجدُّ رُوَيْداً بقلوبٍ تقلَّبتْ في جَواها
إنْ تراءَتْ أرضُ الغريَّيْنِ فاخضعْ واخلَعِ النَّعْلَ دونَ وادِي طُواها
وإذا شُمْتَ قُبَّةَ العالمِ الأعـ لَى وأنوارُ ربِّها تَغْشاها
فتواضعْ فَثَمَّ دارةُ قدسٍ تتمنّى الأفلاكُ لَثْمَ ثَراها
قُلْ له والدموعُ سفحُ عقيقٍ والحَشَا تصْطَلِي بنارِ غَضاها
يا بْنَ عَمِّ النبيِّ أنتَ يدُ اللّـ ـهِ التي عَمَّ كلَّ شيءٍ نَداها
أنت قرآنه القديمُ وأوصا فُك آياتُه التي أوْحاها
حسبُك اللهُ في مآثرَ شتّى هي مثلُ الأعدادِ لا تَتَناهى
ليتَ عَيْناً بغيرِ روضِك تَرْعى قَذِيَتْ واستمرَّ فيها قَذاها
أنت بعدَ النبيِّ خيرُ البرايا والسّما خيرُ ما بها قَمراها
لك ذاتٌ كذاتِهِ حيثُ لوْلا أنها مثلُها لَمَا آخاها
قد تراضعتُما بثَدْيِ وِصالٍ كان من جَوهرِ التجلّي غِذاها
يا عليَّ المقدارِ حسبُك لاهو تيةٌ لا يُحاطُ في عَلياها
أي قدسٍ إليه طبعُك يُنمى والْمَراقي المقدساتُ ارْتقاها
لك نفسٌ من جوهرِ اللطفِ صيغَتْ جعلَ اللهُ كلَّ نفسٍ فِداها
هي قطبُ المكوّناتِ ولوْلا ها لَمَا دارتِ الرَّحى لوْلاها
لك كفٌّ من أبحرِ اللهِ تَجْرِي أنهرُ الأنبياءِ مِنْ جَدْواها
حزْتَ ملكاً من المعالِي محيطاً بأقاليمَ يستحيلُ انْتهاها

ليس يحكي دُرّيٌّ فخرك دُرٌّ أين من كُدْرةِ المياهِ صَفاها
كلُّ ما في القضاءِ من كائناتٍ أنت مولى بقائِها وفَناها
يا أبا النيِّرَيْنِ أنت سماءٌ قد مَحَا كلَّ ظلمةٍ قَمَراها
لك بأسٌ يُذيبُ جَامدةَ الكوْ نَيْنِ رُعْباً ويُجمدُ الأمْواها
زان شكلَ الوغى حسامُك والرُّمْ حُ كما زانَ غادةً قُرْطاها
ما تَتَبَّعتَ معشراً قطُّ إلا وأناخَ الفَنا بعُقْرِ فناها
كلما أحفَتِ الوغى لك خيلاً أنْعلَتْها من الملوك طُلاها

قُذْتَها قودَ قادرٍ لم تَرُعْه أممٌ غيرُ ممكنٍ إحصاها
لك ذاتٌ من الجلالةِ تَحْوي عرشَ علمٍ عليه كان اسْتواها
لم يزلْ بانتظارِك الدينُ حتّى جرَّدَتْ كفُّ عزمَتَيْك ظُباها
فرفعْتَ الرّشادَ فوق الثريّا ووضعْتَ الضّلالَ تحتَ ثَراها
فاستمرَّتْ معالمُ الدينِ تدعو لك طولَ الزمانِ فاغنمْ دُعاها
إنما البأسُ والتُّقى والعطايا حلباتٌ بلغْتَ أقصى مَداها
لكَ من آدمَ القديمِ مراعٍ أمةٌ بعد أمةٍ تَرْعاها
يا أخا المصطفى لديَّ ذنوبٌ هي عينُ القَذى وأنت جَلاها
يا غياثَ الصريخِ دعوةُ عافٍ ليس إلاّك سامعٌ نَجْواها
كيف تخشى العصاةُ بلوى المعاصي وبك اللهُ منقذٌ مُبْتَلاها
لك في مُرتقى العُلى والمعالي درجاتٌ لا يُرتَقى أدناها
عَرَفَتْ ذاتُك القديمةُ مولا ك فوحَّدَتْ في القديمِ الإلّها
أين معناكَ من معانِي أناسٍ كان معبودَها اتّباعُ هواها

يا خليليَّ إنّ للهِ خَلْقاً حسبُها النارُ في غدٍ تَصلاها
سَبَحوا في الضّلالِ سَبْحاً طويلاً وعلى الرّشدِ أُكرِهوا إكْراها
إنِ تناسيتُما السقيفةَ والقوْ مَ فإنّي واللهِ لا أنْساها
يوم خُطَّتْ صحيفةُ الغيِّ يُمليـ ـها عليها خِداعُها ودُهاها
ما اجتماعُ المهاجرينَ مع الأنْـ ـصارِ فيها وقد عَلَتْ غَوْغاها
حيثُ قالوا منّا ومنكم أميرٌ ووزيرٌ يُديرُ قُطْبَ رَحاها
وأرادُوا لها تدابيرَ سَعْدٍ فارْتضاها بعضٌ وبعضٌ أباها
أتُراها دَرَتْ بأمرِ عتيقٍ فلماذا في الأمرِ طالَ مِراها
إنْ تكنْ بيعةُ الصَّحابةِ ديناً لم يَحُلْ عن محلّها أتْقاها
كيف لم يُسْرِعِ الوصيُّ إليها وهو بابُ العلومِ بل مَغْناها
كيف لم تُقْبَلِ الشهادةُ من أحْـ ـمدَ فيه بأنّه أقضاها
بيعةٌ أورَثَتْ جميعَ البرايا فتنةً طال جَوْرُها وجَفاها
بلْ هيَ الفلتةُ التي زعمُوها كُفِيَ المسلمون شرَّ أذاها
يا تُرى هل دَرَتْ لمن أخّرَتْه عن مقامِ العُلى وما أدْراها
أخّرَتْ أشبهَ الورى بأخيهِ هل رأتْ في أخِ النبيّ اشْتباها

كيف لا تأمنُ الأمينَ عليها ... وهْوَ في كل ذمَّةٍ أوْفاها
ولَوَ انَّ الأصحابَ لم تَغْدُ رُشْداً ... كان رُشْداً فرارُها من عِداها
أنبيٌّ بلا وصيٍّ تعالَى اللّـ ... ـهُ عمّا يقولُه سُفَهاها
زعموا أنّ هذه الأرضَ مرعىً ... تُرِك الناسُ فيه تَرْكَ سُداها
كيف تخلُو من حُجَّةٍ وإلى من ... ترجعُ الناسُ في اختلافِ نُهاها
وأرى السُّوءَ للمقاديرِ يُنْمى ... فإذَنْ لا فسادَ إلا قضاها
قد علمتُمْ أنَّ النبيَّ حكيمٌ ... لم يَدَعْ من أموره أوْلاها
أم جهلتم طُرْقَ الصوابِ من الدّيـ ... ـنِ ففاتَتْ أمثالَكُمْ مُثلاها
هل ترى الأوصياءَ يا سعدُ إلا ... أقربَ العالمين من أنبياها
أو ترى الأنبياءَ قد تَخِذوا المُشْـ ... ـرِكَ دهراً باللهِ مِنْ أوْصِياها
أم نبيُّ الهُدى رأى الرُّسْلَ ضلَّتْ ... قبلَهُ فاقْتَفى خِلافَ اقْتِفاها
أوَ ما ينظرون ماذا دَهَتْهم ... قصّةُ الغارِ من مساوِي دَهاها
يومَ طافتْ طوايفُ الحزنِ حتّى ... أوْهَنَتْ من جَنى عتيقٍ قِواها
إنْ يكنْ مؤمناً فكيفَ عَدَتْه ... يومَ خوفٍ سكينةٌ وعَداها
إنَّ للمؤمنينَ فيها نصيباً ... وهْوَ يومُ الوَبالِ أقصى وِقاها
كم وكم صحبةٍ جَرَتْ حيثُ لا إيـ ... ـمانَ واللهُ في الكتابِ حَكاها
وكذا في براءةٍ لم يُبَسْمِلْ ... حيث جلَّتْ بذكْره بَلْواها
ثم سَلْها من بعدما رُدَّ عنها ... صاحبُ الغارِ خائباً من تلاها
أينَ هذا منْ راقدٍ في فراشِ الْـ ... ـمصطفَى يسمعُ العِدى ويَراها
فاستدارتْ به عُتاةُ قريشٍ ... حيثُ دارت بها رَحى بَغْضاها
وأرادتْ به مكائدَ سُوءٍ ... فشفَى اللهُ داءَها بدَواها
ورأتْ قَسْوَراً لو اعترضَتْه الْـ ... ـإنسُ والجنُّ في وغىً أفْناها
مدَّ كفَّ الرّدى فلو لم تكفكِفْ ... عنه آثارَ بَغْيِها لَمَحاها
نَظَرَتْ نظرةً إليه فلاقتْ ... قدرةَ اللهِ لا يُردُّ قضاها
فتولَّتْ عنه وللرُّعْبِ فيها ... فَلَكٌ دائرٌ على أعْضاها
بأبي مَنْ غدا يؤدِّي أمانا ... تِ أخيهِ حتّى أتَمَّ أداها
بأبي مَنْ حَمى بطعنِ العوالي ... حُرَمَ المصطفَى وصانَ خِباها
رتبةٌ سَلْ بها العظيمَيْنِ جبريـ ... ـلَ وميكالَ كيف قد خَدَماها
صاحِ ما هؤلاءِ في الناسِ إلا ... كعيونٍ داءُ العَمَى أغْياها

أَلَـهـا مـنـظـرٌ لإدراكِ مـرأىً ... أم لـهـا مَـسـمـعٌ لـمَـنْ نـاجَـاهـا
أهُـمُ خـيرُ أمةٍ أُخـرجَتْ للنـ ... ـاسِ هيهاتَ ذاك بلْ أشقاها
أتُـراهـا مـن وُلْـدِ آدمَ حـقـاً ... أم سواماً كانت لهم أشباها
أيُّ مرمًى من الفخارِ قديماً ... أو حديثاً أصابَه شيخاها
أيُّ أكرومةٍ ولو أنها قلَّـ ... ـتْ ودقَّتْ تراهما انتمَياها
ألِزُهدٍ في الجاهليةِ عمّا ... عَهِدَتْه الأيامُ من جُهَلاها
أم لذكرٍ أنافَ أم لعهودٍ ... في ذمامِ الإسلامِ قد حِفظاها
إن يكونا كزعمِهم أسَدَيْ بَأ ... سٍ فأيُّ الفرائسِ افترَساها
كيف لم يظفرُوا ولا بجريحٍ ... ويدُ الليثِ جَمَّةٌ جَرْحاها
إنْ تكن فيهما شجاعةُ قَرْمٍ ... فلماذا في الدّينِ ما بَذَلاها
ذَخِراها لمنكرٍ ونكيرٍ ... أم لأجنادِ مالكٍ ذَخِراها
لم يُجيبا نداءَ أحمدَ إلا ... لأمورٍ من كاهنٍ عَقِلاها
عَلِما أنَّ أحمداً سيليها ... وإذا ماتَ أحمدٌ وَلِياها
فأجابا لرغبةٍ لا لرُشْدٍ ... كلماتِ الإسلامِ إذْ سَمِعاها
نكثا بيعةَ الذي بايَعَتْه ... من ملوكِ السّبعِ الأولى عُظَماها
أهُوَ المختفِي بظلِّ عريشٍ ... حيثُ ظلُّ الكُماةِ كان قَناها
أم هو القائلُ المُلِحُّ أقيلو ... نِيَ منها فإنّني أءباها
لو حوى قلبُ بنتِه لم تَرُعْه ... من صفاحِ اليهودِ وَقْعُ شَباها
يومَ جاءتْ تقودُ بالجملِ العسْـ ... ـكَرَ لا تتقِي ركوبَ خَطاها
فألحّت كلابُ حَوْأبَ نبحاً ... فاستدلّتْ به على حَوْباها
يا تُرى أيُّ أمةٍ لنبيٍّ ... جازَ في شرْعِه قتالُ نِساها
أيُّ أمٍّ للمؤمنينَ أساءَتْ ... ببنِيها ففرَّقَتْهم سِواها
شتَّتَتْهم في كلِّ شِعْبٍ ووادٍ ... بئسَ أمٌّ عتَتْ على أبناها
نسيَتْ آيةَ التبرُّجِ أم لم ... تدرِ أنَّ الرحمنَ عنه نَهاها
حفِظَتْ أربعينَ ألفَ حديثٍ ... ومن الذِّكرِ آيةً تنساها
ذكَّرَتْنا بفعلِها زوجَ موسى ... إذ سَعَتْ بعد فَقْدِه مَسْعاها
قاتَلَتْ يوشعاً كما قاتَلَتْه ... لم تخالِفْ حمراؤُها صفراها
واستمرَّتْ تجرُّ أرديةَ اللهْـ ... ـوِ الذي عن إلهِها ألهاها
فبإحراقِ مالكٍ سوف تُجزى ... من لظَى مالكٍ أشرَّ جَزاها

لا تَلُمْني يا سعدُ في مقتِ قومٍ ... ما وَفَتْ حقَّ أحمدٍ إذْ وفَاها
أوَما قالَ عِتْرَتي أهلُ بيتي ... إحفظُوني في بِرِّها ووِلاها
نازعوه حيّاً وخانوه مَيْتاً ... يا لتلكَ الحظوظِ ما أشقاها
أمةٌ لم تَؤُمَّ أمرَ سفيرِ الـ ... ـلّهِ ضلّتْ وضلَّ من يهواها
كيف أقصتْ أخا نزارٍ وآوتْ ... من أعادي محمدٍ أعداها
تَعِسَتْ جبهةُ الجبانِ تُنافي ... كلَّ خيرٍ لا خيرَ فيمنْ رَجاها
أحديثُ القِيانِ يكرهُهُ الرجْـ ... ـسُ وللمصطفى يلذُّ غِناها
لبتّه حين قال لولا عليٌّ ... وبَدَت آيةُ الْهُدى فاقْتَفاها
لكنِ الجهلُ لم يَدَعْه بصيراً ... أيُّ عينٍ رأتْ عقيبَ عَماها
إي وحقِّ الإسلامِ لولا عليٌّ ... ما قضاها فتىً ولا أفتاها
قد أطلّتْ على العوالمِ منه ... حكمةُ اللهِ لم يَسَعْها فَضاها
تتجلّى به منيراتُ فَضلٍ ... كالدّراري سيّارةٌ في سماها
لم يذوقوا الْهُدى ولو طَعِمُوه ... عرفوا للنبيِّ قدراً وجاها
صاحبوه ونافقوا في هَواهُ ... فَهَوَوْا في جحيمِها ولَظاها
نقضُوا عهدَ أحمدٍ في أخيهِ ... وأذاقوا البتولَ ما أشجاها
وهي العروةُ التي ليس يَنْجو ... غيرُ مستعصمٍ بحبلِ وِلاها
لم يرَ اللهُ للرسالةِ أجراً ... غيرَ حفظِ الوِدادِ في قُرْباها
لستُ أدري إذ رُوِّعَتْ وهي حَسْرى ... عاندَ القومُ بعلَها وأباها
يومَ جاءتْ إلى عُدَيٍّ وتيمٍ ... ومنَ الوجْدِ ما أطالَ بُكاها
فدعتْ واشتكتْ إلى اللهِ شجواً ... والرّواسي تهتزُّ من شَكْواها
فاطمأنّتْ لها القلوبُ وكادَتْ ... أنْ تزولَ الأحقادُ ممّنْ حَواها
تعظُ القومَ في أتمِّ خطابٍ ... حكتِ المصطفى به وحَكاها
أيُّها القومُ راقبوا اللهَ فينا ... نحنُ من روضةِ الجليلِ جَناها
نحنُ من بارىءِ السَّمواتِ سِرٌّ ... لو كرِهْنا وجودَها ما بَراها
بلْ بآثارِنا ولطفِ رِضانا ... سَطَحَ الأرضَ والسماءَ بناها
وبأضوائِنا التي ليس تَخْبُو ... حَوَتِ الشهبُ ما حَوتْ من سَناها
واعلمُوا أنّنا مشاعرُ دينِ الـ ... ـلّهِ فيكم فأكرِموا مَثْواها
ولنا من خزائنِ الغيبِ فيضٌ ... تَرِدُ المهتدون منه هُداها
إنْ تروموا الجِنانَ فهْيَ من اللّـ ... ـهِ إلينا هديةٌ أهْداها

هيَ دارٌ لنا ونحنُ ذَوُوها لا يَرى غيرُ حزبِنا مرآها
وكذاك الجحيمُ سجنُ عِدانا حسبُهم يومَ حشرِهم سُكناها
أيُّها الناسُ أيُّ بنتِ نبيٍّ عن مواريثِها أبُوها زَواها
كيفَ يَزوي عنّي تراثي عتيقٌ بأحاديثَ من لدُنْه افتَراها
هذِه الكتبُ فاسْألوها تَرَوْها بالمواريثِ ناطقاً فَحواها
وبمعنًى يُوصيكمُ الله أمرٌ شاملٌ للعبادِ في قُرْباها
كيف لم يُوصِنا بذلِك مولا نا وتيماً من دونِنا أوْصاها
هل رآنا لا نستحقُّ اهتداءً واستحقَّتْ تيمُ الْهُدى فَهَداها
أم تراهُ أضلّنا في البرايا بعد علمٍ لكي نصيبَ خطاها
انصِفُوني من جائرَيْنِ أضاعا ذمّةَ المُصطفى وما رعياها
وانظروا في عواقبِ الدهرِ كم أمْـ ـستْ عُتاةُ الرجالِ من صَرْعاها
ما لكمْ قد منعتُمونا حقوقاً أوجبَ اللهُ في الكتابِ أداها
وحَذوْتُمْ حذوَ اليهودِ غداة اتَّـ ـخذوا العجلَ بعدَ موسى إلَهاً
قد سلبتُمْ من الخلافةِ خوداً كان منّا قناعُها ورِداها
وسبيْتُمْ منَ الْهُدى ذاتَ خِدْرٍ عزَّ يوماً على النبيِّ سِباها
تدّعون الإسلامَ إفْكاً وزُوراً كذبَتْ أمّهاتُكم بادّعاها
أيَّ شيءٍ عبدتُمُ إذ عَبَدْتُمْ أن يُوَلّى تيمٌ على آل طاها
إنْ رضيتُمْ من دونِنا خلفاءَ لا اشْتَفَتْ من قلوبِكُمْ مَرْضاها
أوْ أبيتُمْ عهودَ أحمدَ فينا لا وُقيتُمْ من الرَّزايا سُطاها
هذِه البُردةُ التي غضب اللّـ ـهُ على كلِّ من سِوانا ارْتداها
فخذوها مقرونةً بشَنارٍ غيرَ محمودةٍ لكم عُقباها
والبسُوها لباسَ عارٍ ونارٍ قد حشَوْتُم بالمخزياتِ وِعاها
لم نَسَلْكُمْ لحاجةٍ واضطرارٍ بلْ ندلُّ الورى على تَقْواها
كم لنا في الوجودِ رشحةُ جودٍ يُعجزُ السبعةَ البحارَ غِناها
علِمَ اللهُ أننا أهلُ بيتٍ ليس تَأوي دنيّةٌ مأواها
لو سألْنا الجليلَ إلقاءَ عَذْنٍ أو مقاليدَ عرشِه ألقاها

سعدُ دَغْني وهجوَ سودِ الْمعاني أكبرُ الحمدِ في معاني هِجاها
كيف تُنفى ابنةُ النبيِّ عناداً لا نَفَى اللهُ مِنْ لَظًى مَنْ نفَاها

ولأيِّ الأمـورِ تُـدفـنُ سـرّاً بضعةُ المصطفى ويُعفى ثَراها
فمضتْ وهي أعظمُ الناسِ وجْداً في فمِ الدَّهرِ غصَّةٌ من جَواها
وثَوَتْ لا يرى لها الناسُ مَثْوىً أيُّ قُدسٍ يضمُّه مَثْواها
ثم هَمَّتْ ببغلِها كلُّ كفٍّ واستُمِدتْ له رِقاقُ مُداها
أمّةٌ قاتَلَتْ إمامَ هُداها يا ترى أينَ زالَ عنها حَياها
كم أرادَتْ إطفاءَ نارِ حُسامٍ صاغَه اللهُ جمرةً لِحَشاها
بأبي مَنْ له مطاعنُ كفٍّ لا يُداوَى من الرَّدى كَلْماها
إنّ ذاتَ العلومِ تُنمى جميعاً لعليٍّ وكانَ روحَ نِماها
وكذا كلُّ حكمةٍ مكْنَتْهُ مِنْ أعالِي سَنامِها فامْتَطاها
ومتى يُذكرُ النَّدى فهو لطفٌ إنَّ مُحْيي الْمَوْتى به أحْياها
ولإقدامِه تزولُ الرَّواسي والمقاديرُ تقشعرُّ حَشاها
ومرامي الأسرارِ سدَّد سهمُ الـ لّـهِ منه لها فما أخْطاها
كم له من مواهبٍ مُردفاتٍ هي كالشَّمسِ لا يحولُ ضِياها

قصيدة الحاج هاشم الدروقي

مما قاله الكامل الأديب والعالم الأريب وحيد عصره والأوان شيخنا الحاج هاشم ابن المرحوم الحاج حردان بلغه مرامه ورفع في الفردوس مقامه بمحمد وآله، وهو من أهل الدروق أصلاً ومسكناً، وقد توفي سنة ١٢٣١ الحادية والثلاثين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها الصلاة والتحية. [البحر الرجز المجزوء]

يا بارقاً لاح على أعلى الحمى أألنت أم أنفاسُ محروقِ الحشا
أهدى إلى القلبِ الشجيّ ناراً وإن سقى قلب الخليين الحيا
لو كدت تدري بالذي في قلبه أغناك أن تسألَ كيف أولما
في قلبه نارُ جوى لو صادفتْ جمرَ الغَضى لأحرقتْ نارَ الغضى
سلْ ضاعِني الحيّين ماذا خلّفوا بعد النّوى ليت النّوى صرفُ النّوى
أبقوا جوى لا يُرتجى زوالُه ما دام حادي العيس في طيِّ السُّرى
واجد فقدُ غائبٍ عن نفسه حتى كأنّ حسّه عنه انتفى
فاقدُ معنى حسّه سِوى جوى ألهاهُ عن إدراكه معنى السّوا
هوى قضى إلا الشجيّ ويرعوي حادي المطايا بالقرينِ والصّبا

فصل في زمان الشباب ووصف الأحباب [البحر الرجز المجزوء]

أيامُ سلطانِ الشبابِ غالبٌ سلطانُه على الأسود والمهى
أيامُ آتي الحيّ مدعواً إلى نيل المُنى في كلّ ما القلبُ اشتهى
أيامُ من بيضِ العذارى شافعي عذاري الأسودُ والوجهُ النّقي
أيامُ تأتيني وآتيها فلا حاجبٌ يُخشى أو رقيبٌ يرتشى
أيامُ بيتي كعبةٌ تحجبُه جآذر الحيّ وآسادُ الشّرى
يشرقُ إشراقَ دُجىً ووجهها فأُخرياتُ الليلِ إذ تبدو ضحى
ميسُ القدودِ كالغصون يختشي من لينه القصفُ إذ مرّ الصّبا
سكرى حبابِ الخمرِ في أفواهِهَا لكنها اسمان ثغرٌ ولمى
أجفانُها وجيدُها ونشرُها ريمُ عطا مسك شذىً ظبي ونا
من كلّ بيضاءِ الجبين ترتدي بالفاحمِ الأسودِ إذ تُنضي الرّدا
يعبقُ طيبُ المسكِ من أردانِها هذا وما قاربنَ مسكاً فذكا
يحكي صفاها كل مُا تسترُه والفضلُ للمحكيِ لا لمن حكى
عواطفاً تنفرُ أمثال المهى معارضاتٍ بالخدودِ والطّلا
تقسو صدوداً وتلينُ رقةً يأمرُها الحبُّ وينهاها الحيا
يبدو أسيلَ الخدّ في صدودها وما بدا من قصدها ما قد بدا
مثل الدّما لو ارتآها مشركٌ خرّ لديها ساجداً إلى الثّرى
أو أقبلتْ لراهبٍ في ديره قال لها يا منية النفس الوحى
من شافعي إلى الصّبا أو نافعي فيرعوي يوماً وإنْ شاء النّوى
قد كان عيشي فيه عيشاً جامعاً بين سرورِ الاجتماعِ والهنا

فصل في الدعاء لأيام الصبا ومنازل اللذات [البحر الرجز المجزوء]

سقَى الصّبا كلّ أجشٌ ماطر مثعنجر الودقين محلول العُرا
وجادَ أيامَ الوصال ديمُه تعيد فيها كلَّ معسولِ اللّمى
يا دارنا بالحيّ من أعلى الحمى ومستزادِ الخصبِ من مرعى الطّلا
حيّاك بل حيّاك من عميمه يا منه قد أحْياك من بعد البلا
من لي بهاتيك الديارِ أن ترى عائدةً من لي بها من لي بها
تمنيّاتٌ لا أظنُّ ربُّها يرجو لغير الطّيفِ منها ملتقى
عالمُ غيبٍ غاب بعد أن رنا للطرفِ منها طرفاً ثم عمى

رهنُ يميني لخليلٍ حاملٍ ... بردّه للقلبِ سرّاً ما فشا
ما تمّ قلبي بالصّبا عذاره ... لكنّه استعذب طبعاً فقسا
والغمر الشبابُ عيشُه له ... ما دام عيش فإذا انقضى انقضى

فصل في ذكر الشيب وانقضاء وصل الحبيب

[البحر الرجز المجزوء]

حتى إذا احتلّ العُرى وأدبرتْ ... لذّاتُه وليّنُ الغصنِ قسا
عارضَه لمّا اكتسى عارضُه ... بالشيّبِ بالهجرِ المقيم والجَفا
وعريتْ خيلُ الصِّبا وقُوّضتْ ... خيامُه وركبُه الحادي حدا
ورعرعتْ طلائعُ الشيبِ على ... شرّاته وبان ما كان اختفى
وسرحةُ الحيّ التي علّقتها ... قلبك قد تجرّدت من اللّحى
وأصبحَ الرأسُ ثغاماً بعد ما ... قد كان كالليلِ البهيم إذ دجى
وأصبحتْ معاطفُ الحصنِ التي ... كالغصنِ ليناً يبساً مثل العصا
وأصبحَ القدُّ القويمُ غصنُه ... منحني القامةِ أيَّ منحنى
طلائعٌ قد كنتُ أُخفي أمرها ... عن الشبابِ الغضّ جدّ مُجتنى
حتى لقد أربتْ على هامتِه ... ورابَ ما قد راب منها وربا
أعيَ الحشا الكتمُ فلا الكتمُ لها ... بكاتمٍ سرّاً وإلا ليرنا غطا

فصل في ذكر الحبيب

[البحر الرجز المجزوء]

يا صاحبَ الوجناءِ دعْها ترتعي ... نور الحمى كي تستعيدها الشّذا
وانشقْ تراب الحيِّ شوق أهلِه ... نفسي ولا من بأهليه فدا
هل منحةٌ هل نفحةٌ هل لمحةٌ ... تُحيى ولو بالنومِ من طيف الكرى
ماذا على أهلِ الحمى قد حمّلوا ... ذاك الشّذا من نحوهم ريح الصَّبا
ما ضرَّ لو بالروحِ أحيوا ميّتاً ... في حبّهم يا سعدُ من أفتى بذا
دعْهم فدتهم مهجتي لا يغضبُوا ... فالروحُ لا يُثنى ترى دون الرّضا
كم بتُّ في الليلِ الطويلِ راعياً ... نجم السّما مسترعياً طول الدُّجى
لو كان يرعى النجمُ حقَّ صحبةٍ ... لازم عينيَّ المدى وما سرى
أظنّهم لو يعلمون محنتي ... ما منعوا طيف الكرى عن اللّقا

فصل في التأسف على ما جرى من الميل إلى عشرة الصبا

[البحر الرجز المجزوء]

وذاك وصلُ الغانياتِ أنّه ... خاطفُ برقٍ كلُّ شرٍّ انطوى
فلم يكنْ بكفه مما مضى ... يوماً سوى الوجدِ المقيمِ والعنا
فمرّ يبكي تارةً شبابه ... وتارةً يبكي على دهرٍ خلا
وشرُّه في الموبقاتِ قد خلت ... لذّاتُها وإثمها الباقي المدى
أوقرتُ من أثقالها ظهراً فما ... انفكّ منها أحدبُ الظهرِ حنا
أيامُ لهوٍ بالخطايا قطّعت ... أسرعتُ يا ويلي إلى الخطا بالخُطى
لو كان علمي بعينابات الصبا ... علمي ما استصبى فؤادي فصبا
زلّة رأيٍ ما تروّيْت لها ... وهفوةٌ منها كلا حلمي هفا
لو كان تدري بالتّوالي فكرتي ... ما أعقبتني الأوّلاتِ ما أرى
ما كنت إلاّ بعدما السهمُ رمى ... قد طاش سهمي فتخيّلتُ المُنى
أزعمُ أنّي في النّضالِ واحدٌ ... كيف وما أعلقتُ في الرأي الشّوى
أخطأتُ نهجي ومشيت ظلةً ... فاللّوم لي أن ذاه ركبي أوزدى
والسيرُ إن كان على غير هُدى ... فالسيرُ عن فيما يُرجّى لا إلى

فصل في شكوى الزمان وما كان من البلايا والامتحان

[البحر الرجز المجزوء]

أعرقنَ لمحي النائبات عنوةً ... وهضْن عظمي هيبةً تأبى الوغى
للهِ كم نفسي تقاسي ما جرى ... لله كم عيني ترى ما لا يرى
لو كنتُ من صلدٍ صفا فمارست ... ما كنت مارستُ إذاً ذاب الصّفا
أوان دهري شهدتْ وشابها ... ما شابه من مرِّ عيشي ما حلا
كابدتُ من مرِّ اللّيالي حنظلاً ... لو ذاقه الحنظلُ يوماً لشكا
لو كان عيسى طب ما لاقيتُه ... جلّ نبيُّ الله أشكل السّفا
أرجو الذي لا يرتجيه ذو نهى ... أين الشّفا من قائم على شفا
ما لي وللدهر طلابي سلمه ... من حيثُ لا يُلقي إلَى سلمي يدا
في كلِّ يومٍ منه شنٌّ غارةٍ ... طلاعها الأرضُ بلاغها السّما
جالدتها والصبرُ ردي فانجلت ... عن امرئٍ في الخطبِ ردؤه العزا

فصل في الكلام على النائبات وما أدراك ما النائبات

[البحر الرجز المجزوء]

من مبلغنَّ النائباتِ دعوتي ... لو كان سمعُ سامعٍ لمن وعى
لا تحسبنَّ النائباتُ أنني ... ريٌّ لكلِّ شاربٍ أو محتسى
ما كلُّ عودٍ ليِّنٍ لغامزٍ ... ربّةُ عودٍ إنْ غمزته عسى
والصخرةُ الصفواءُ لا تأخذُها ... ضربُ المعاويل إذ الباغي بغى
يلينُ للصدّيق رفقاً جانبي ... رعاء حقِّ ودِّه وإنْ قسا
ما يبتغي مرُّ الرّزايا من فتىً ... مرُّ الرّزايا عنده حلوُ الطّلا
طلابُ مجدٍ لا يبالي سعيه ... نقضُ المقادير ولا عكسُ القضا
لو حملته الدائراتُ منّةً ... لعافها ولو أباحته المنى
أو تخلع المجرّة الثوب على ... عاتقه عن كفِّ ذلٍّ ما ارتدى
أو أعرضتْ بنهرها لخيله ... لا عن علاماتٍ ولم يشرب ظما
تنبو عن المرعى الذميم خيله ... وإن بدا مرعى علا رافت كلا
ما ملك البيض الحسان رقةً ... فلم يقل الأفسد الأودى
لو قبلت بيضُ الحسانِ ثغره ... أوشك أن يصدَّه عنها الحيا
وقورُ أيامِ الشبابِ لم يشب ... سيرته بنزقٍ ولا صبا
لا تستبيهِ الغانياتُ بالبها ... يوماً ولا تُصبه ألحاظُ المَهى

فصل في التهضم والافتخار

[البحر الرجز المجزوء]

ما خفَّ والشمُّ الروّاسي خلفه ... تنقضُّ أفرادٌ وتصطكُّ سوى
سارتْ عوادي عومه في عينه ... جمّارةُ القيظ وقرّاتُ الشّتا
بينا تراه كالخليع لابساً ... ثوب الحصى في هاجراتٍ كاللّظى
حتى تراه مفرداً عن صاحبٍ ... حلف السُّرى مشتملاً ثوب الدّجى
فما تراه غائراً في هوةٍ ... وما تراه طالعاً تجد الهبا
مغرى بقطع البيد حتى خلته ... يستافُ من تربِ الفلا مسك الشّذى
كأنما الحصباءُ تدمي وجهه ... درّ مخانيقِ العذارِ في الطّلا
لا يومه يأوي إلى الظلِّ ولا ... ليلهُ يعرفُ كنّا أو خبا
أبيضُ لا يعطي انقياداً ليدٍ ... كبا جوادُ الحظِّ فيه أو جرى
في عينه هذي الصروفُ وأخال ... فالخطبُ قد سالم مثله عرى

كالسيف طلقاً كلّما جرّدته ألفيته ذاك الحسام المنتضى
أخو الصديقِ حين يعروه العنا والأجنبيُّ حين يغشاه الغنا
حمّال أثقالٍ فلو كلّفته شمّ الجبالِ الحمل يوماً ما أبى
جارٍ إذا الطرفُ الجواد قد كبا ما ضر ذا العضبُ الحسامُ قد نبا
أحقرُ شيءٍ عنده حوباؤه والخيل تردي والغبارُ قد علا
أرخصُ من فلسِ الكريمِ نفسه لعرضه إذ رخّص العرضُ الرّدى
ما استبدلتْ جاراته جواره بغيرِه عن دنسٍ ولا خنا
في أذنه عن صوتها وقرٌ وفي عينيه عن تشخيصِ عينها قذى
يعطفُ طرفاً عن معاني وجهها وعن سواني دارها منه يدا
لا كالخؤونِ الوغدِ إن جنَّ الدُّجى خان الوفا واستلب الجار الرّدا
يهدجُ طول الليلِ حول دارها وكان خيراً إن هدى الصبحُ هدى
لا الصاحبُ الأدنى الذي بجنبه ناجٍ ولا الجارُ البعيدُ المرتمى
فضائحٌ لا ينتهي الفكرُ لها جلَّ إلّهي وإليه المشتكى
كم قد توخّيتُ الوداد باذلاً صفو الهوى مستنشقاً هوى الصّفا
نازلتُ فيها معشراً من دونهم نازلتُ ما يُصمي الفؤاد والقوى
أسلفتُ ما أسلف أسلافي بها عند اشتدادِ البأس والخطب الرّهى
تلقى لساني خاصماً من دونها مثل بياني دافعاً عنها البلا
ولو كشفتَ باطني كشفته عن باطنٍ فيه الصّفا فيه الوفا
احفظُ عيباً ساتِراً لعيبه وحقّ غيبي بالمجازي يُرتمى
سقطُ الرّدى لا حرمتي ترعى ولا حقّي يراعى فيهم في منتدى
حفيظتي مقهورةُ النفسِ بهم وحرمتي ماءٌ سقى بلا وكا
أرعىٰ وفا من ليس يرْعى لي وفا هذا نُهى يا قاتل الله النُّهى
أسهلُ شيءٍ يقتنيه مسخطي حتى كأني عندها أعدى العدى
لو أنّ كلباً جاءها من كابلٍ رعت له حقّ الجوارِ والوفا
إن أشرفتْ مريضتي فلا وعا أو عثرتْ بي ناقتي فلا لعا
أنفقتُ كنز العمرِ في مرضاتِهم وما حصلتُ منهم على رضا
لو شئت أن تعرف قدري بينهم رأيته دون العبيدِ والإما
ويلُ نصيبي كم أقومُ باكياً ولا يقولُ قائلٌ مَمَّ البُكا
أرضى بأن أقرن من أوغادِها بمن نشا فيمن نشا لمّا انتهى

من لا يسدُّ ثُلمتي أن زعزع الحيُّ وقد عجَّ العجيجُ والرّغا
لم أكفَ ما يكفيه حين تلتقي في ملتقى الضلعين أطرافُ القنا
لا مفزعاً إن أفزع الخطبُ ولا يحمي من الروعِ إذا ريع الحِمى
يا للمعالي أين هذا والذي يقري القرى
من لعمري عن أخٍ لي صاحبٍ يطرقُ مثل الصلّ فردا بالعرى
مفردُ لا يزوره في داره من شدّ عن جواره ومن دنا
أخو رزايا كاثرتْ ذنوبه كذا المزايا أيها جمّ الخطا
أقسمُ لو أقسمُ كنتُ صادقاً في موقفٍ شهادةُ الصدقِ النّسا
لو تصدقُ البيضُ العذارى خبرتْ بأنه من بينها كان الفتى
في يومٍ لا شاهدَ مرءاً صادِقاً فيما جرى من خوفِ عارٍ ما أتى
لو كنتَ تدري حالتي وحالهم دريتَ ما يا ليت دارٍ ما درى
في صهوة السّرجِ أخٌ فإنْ دنا نيلُ المُنى فضدّها أشقى الشّقا
أولى الشريكينِ إذا التفّ القنا وسلسلٌ بالكفّ إن جاد الرّخا
ما للّيالي بعد هذا مرتقىً هل فوق هذا يا لقومي مرتقى
وهي المعالي من أراد وصلها طلّقَ ما دونها حتى البَقا
لم يلقَ إلا راقياً إلى العلى وبالهوينا يُدرك المجدَ الفتى
كم بين أربابِ السّباقِ والولا ترومُ مجداً فوقه شمم الذُرى
من اشترى المجد استقلّ دونه ما في يديه منّ وإنْ علا
سيّدها إن فرغ الخطبُ وإن قرّتْ ترى المملوكَ بيعاً وشِرى
يا هلْ ترى كيف الثّوى فأنّني نسيتُ من بينهمُ كيف الثّوى
سقمُ جواري ورحيلي مثله يا هلْ ترى المثل هذا من دوا
يا هلْ لنفس ماجدٍ من تلكمُ البلوى مقيلٌ أو سبيلٌ أو نجا
واندمي لا حاصلاً من طائلٍ ولا ارعواء لشبابٍ قد مضى
أصمُّ من سوء الحديثِ مسمعاً وعن قبيحِ الفعلِ أغضى مرتأى
أقري حليم مسمعي سفاهها ونطقها المحشرَ فحشاً وبذا
وجاءَ أن بحلمَ ذو سفاهةٍ أو يرعوي عن الكرى من قد عفا
حتّى يراني مثلها مسامري أرضى الضلالاتِ وأمتارَ العمى
حليفةٌ تزعمُ كاسي ثوبِها إياي أعني من حجى أين الحجى
كم ليلةٍ سامرتُ في ظلامِها عنها إذ الخصيمُ صعبُ المرتقي

ساورتها بالفكرِ حتى حصحصت ... وحصحصَ الحقُّ عليها وانجلى
وعارضٌ للموتِ في أكنافها ... بوارقٌ تكشفُ عن وجهِ الفتى
عارضته من حيث لا من ناصرٍ ... إلاّ طويل الرمحِ أو عضب الشّبا
نصراً تراني غامِساً في هوّةٍ ... لو كان ذا روحٍ إليها ما دنا
لو كان في الحربِ الزبونِ لجةٌ ... ألفيتني في لجّها حوت الظّما
أو كان مسودّ الغبارِ طحنُه ... لبستها كالنجم ما بين الطّخى
يعدو لها مهري أن كرّوإنْ ... أقدم عوداً عاد يمشيها زُهى
يمشي الهُوينا كاسلاً إذا انثنى ... ومشيةُ البرقِ اللموعِ إنْ عدا
أقدمَ تلقاءَ القنا وصاحبي ... كالسّرطانِ مشيُه إلى ورا
وا أسفاً على منىً ضيّعتها ... لو كان يُجدي قولتي وا أسفا
وموقفٌ حيث الجمام ماطرٌ ... فوق الثّرى مثل شآبيبِ الحيا
تبدو لأطراف العوالي صفحتي ... وللسّهامِ الزرق وجهٌ يُجتلى
بحيثُ لو نفسي عدوّي لحنى ... قلبي لها ممّا ألقيها البلا
والموتُ من كلِّ جهاتي يمنةً ... ويسرةً وتحت رجلي وعلى
أوقفتها لا يلتقي مكروهها ... غيري ولا أغنى بها عنّي غِنى
حتى انثنينا وله محضُ الثّنا ... دوني وعينيَّ على رغم ترى
يجلسُ صدراً فاعل الفعل كأنْ ... لم يكُ حين البأسِ من خلفِ القفا
تلقاهُ في ناديه رأس راسخٍ ... أوزن من أكنافِ رضوى وحرى
وكان حين الخطبِ من عرفته ... يجذبُه فكلُّه جذبُ الرّشا
يصطكُّ أضراساً وسمعي شاهدٌ ... تقرعُه رعدته خوف الشّوى
عجائبٌ لو كنتُ حدّثتُ بها ... شمُّ الذُّرى لنكّستْ منها الذُّرى
قد طابَ للشكْوى لساني حيرةً ... ويحي كم أشكُو ولا أعطى الشّكا
إنّي تحمّلت الذي لم بعضُه ... كان على غارب قوسٍ مارسا
لا والذي تنجُو الرّكابُ بيته ... شتّى فُرادى وجماعاتٍ ثنى
من كلِّ بادِ الجسم عريٍ جسمُه ... طيّ الموامي أثرَ سغبٍ وطوى
لبّى ثلاثاً وارتدى إحرامه ... مجرّداً عن فضلِ بردٍ وردا
واجتازَ نعمانُ الأراكَ واقفاً ... للهِ فيما قد نواه من تقى
ثم أفاضَ لدلوكٍ جاعلاً ... مسيره يمين كثبانِ النّقى
وجازَ بين المأزمينِ رافعاً ... لصوتِه سلّم يا ربّ العلى

وجاء جمعاً بعدها ملتقطاً ... جمر الحصى وفاضَ إشراقَ ذُكا
ثم اغتدى محسِّراً حتّى أتى ... من بعدِ حجٍّ ناوياً قصدَ مُنى
فريثما ألقي الرّكاب وأتدا ... نحو الجمارِ حاذِقاً تلك الحصى
وانصاعَ يقري هديه بكفِّه ... لله لا يبغي سوى اللهِ هُدى
وزارَ مرفوعَ العمادِ طائفاً ... سبعاً وصلّى بعدُ في السفعِ الأولى
واستلمَ الرّكنَ قبيلَ سعيه ... تذكُّر العهدَ القديمَ بالولا
ثم اقتصى السبعَ الثّواني ساعياً ... مهرولاً ملء الفروجِ حيّزا
يبتدئُ المروةَ من أعلى الصّفا ... ويختمُ الأعلى كذاك بالصّفا
ثم مرا الموسى الطرير قرنه ... ينزعُ ما لبذّه نزعُ الرّدا
وعاود البيتَ المسمّى ثانياً ... وطافَ سبْعاً بعد هذا للنِّسا
ثم أتى المشعرَ ضيفَ سيدٍ ... من شأنِه فيضُ العطا صفحُ الخَطا
فأكملَ الرّميَ الجمارَ فاقتدى ... في مسجدِ الخيفِ بخيرِ مُقتدى
آثارَ من لولاه ما كان برا ... ربُّ الورى ليهْتدي هذا الورى
وثارَ يومَ النفرِ فيه طاعِنا ... مودّعاً تلك البطاحَ والرُّبى
ثم توخّى طيبةً ينحُو الذي ... فضّله الباري على من قد برا
فزار ما زار اشتياقاً وأتى ... قبران ترى جورَ المَلا
يسألُ طوراً يمنةً ويسرةً ... طوراً وحرُّ قلبهِ يُذكي لظى
فمرّ ينشدُ الصّدى كأنّما ... أضلّ في شعابِها لبّ الحَشا
ثم أتى خيرَ قبورٍ ضمّها ... من البقيعِ تربةٌ هي الشّفا
وأمَّ سلعاً وأتى كاظمةً ... وجاءَ أُحداً وتوخّى لقبا
وعاودَ البيتَ الذي طهّره ... ربُّ المَلا من كلِّ رجسٍ وقذى
أهلُ ودادي والذي ترابُهم ... شفاءُ دائِي ولعينيَّ جلا
ثم بكىَ شوقاً وحزْناً ذاكراً ... ما قد جرى يا ليت لا كان جرى
ما كشفتْ عيب الصديقِ مقْلتي ... ولا شفتْ من كاشح النفسِ شِفا
ولا استخَفتني أيادي معشرٍ ... غلّ أياديها كفَى اللهُ البَلا
كلاّ ولا استحسنتُ عذر صاحبٍ ... وإن جزاني ودّهُ شرَّ الجزا
نُصحيَ مبذولٌ لكلِّ من رعى ... غشّي مكفوفٌ كذا كلَّ أذى
ارخصتُ نُصحي أو يقولُ جاهلٌ ... لا خيرَ في تجارةٍ لا تُشترى
لم آلِ نُصحاً طالباً نصحي ولا ... غششتُ من لم يبغِ نصحي فغوى

أغضي على الذنبِ على علمٍ به حتى كأنّ مقلتي حلفُ القذى
البأسُ شأني كلّما عزَّ رَجا فكلُّ ضيقٍ عند نفسي كالرّخا
حتى يقولَ خلّتي قد حمقَ الشيخُ ولا يدري صواباً أم خطا
إني بضرِّ اليأسِ يوماً دافِعاً قد صيّرَ اليأسِ من الناسِ الرّجا
ما طمحتْ للمالِ عيناه ولا آسفَ للمالِ على المالِ السّفا
طاويَ كشحٍ كلّما في عالمِ الأطماعِ لا يعرفُه إلا فتى
لو قال إنّ الريّ في حلقومه مثلُ الظّما ما قال ما قال افترى
تلقاه مثلوجَ الفؤادِ راوياً وقلبه أظمى من الجمر صدى
أغناه من أغنى الغناء منّةً بفضله عن برد خزٍّ وكسا
فالخزُّ ما تقني به صوتك لا في جبةٍ فيها المخازي تقتنى

فصل في الزهد

[البحر الرجز المجزوء]

حسبُ الفتى المفضالِ سترُ عورةٍ صوناً وسدُّ فورة عن الطوى
صفرٌ من المالِ الذميم كفُّه لكنّها من واسعِ المجدِ مِلا
لا تقبضُ الدرهمَ يُسراه كما تكرمُ أن تمسّه اليمنى علا
لو بعثرتْ كفُّ البخيل داره حتى انتهتْ إلى مقاطيعِ الثّرى
ما لمستْ ما يقتضيه نحلُها حاشا العدى المحضِ وإفراطُ الثّنا
حتّى إذا أقرى العفاة خلته قارون في كنوزهِ تلك الملا
مبتسماً للسائلين وجهه وبيتُه يكادُ من قرصٍ خلا
لا يعرفُ المنَّ إذا منَّ ولا ينفكُّ أن أخّرَ حقّاً من ولا
ما منعته البيضُ عذبَ ريقها لرغبةٍ عنه ولا صدَّت قِلى
بل عافها إذ عافها لمّا رأى أن المعالي ليس ترْقى بالرُّقى
ما الشيبُ عن نيل العلى بمانعٍ ولا الشبابُ فيه سهلُ المقتضى
إنّ الفتى ابنُ يومه في نفسه لا أمسه الماضي ولا الآتي غدا
من طلبَ العلياءَ جافى جنبه لينُ الحَشايا وأبى نشرَ الكبا
أنى ينالُ المكرماتِ قاصراً سعياً وإن قد طالَ أُمّاً وأبَا
أكسلُ من أكرومةِ الحيِّ إذا جاءَ الشّتا بالقُرِّ والقطرُ هَما

كالطفلِ إن واجرته في حلفه كفّ وإن يفتقدِ الثدي بكى
كم ضاعتِ الأحسابُ كفُّ عاجزٍ حتى غدتْ من عجزِهم أيدي سبا

فصل في التأملات

[البحر الرجز المجزوء]

والدهرُ لا يزيلُه عن قصدِه فرطُ الأراجيفِ ولا كثرُ المِرا
تشبّثَ المرءُ بأذيالِ المُنى من دون جدٌ جدّه الداءُ العيا
كم علةٍ تظنُّها تعلّةً وكم عنىً يحسبُه المرءُ غِنى
حسبي من القوتِ اليسيرِ بلغةٌ تصونُ وجهي عن جفا دهرٍ دبا
يكفيك كسرُ الخبزِ في الجوعِ وعن سلسالِ ماءٍ رشفةٌ عند الصّبا
لا تيأسنْ من كشفِ كربٍ آيساً من كاشفِ الكربِ وإنْ أعيا عيا
لكلِّ ضيقٍ فرجٌ وشدةٍ رخاً لكلِّ عمّاءَ جلا لكلِّ علّةٍ شفا
أيُّ نعيمٍ لا يزولُ صفوه وأيُّ بؤسٍ دامَ ما دامَ المدى
كلُّ نعيمٍ للبلاءِ صائرٌ وكلُّ عيشٍ آيلٌ إلى البلا
وأيُّ حيٍّ غيرُ ذي العرشِ العلى قد حتمتْ له الحياةُ والبقا
لا تكترثْ من زهرةِ القومِ التي أقربُ ما إن جئتها جئتَ الغثا
لا يغترزْ صاحبُ نُعمى بالذي في كفّه كم أعقب النّعما الشّقا
أيُّ سراجٍ قد أضاءَ في الدُّجى لم يطلعِ الفجرُ عليه فانطفى
أيُّ ضُحىً ما بعده ليلٌ دجا أيُّ دُجىً ما بعده صبحٌ أضا
أيُّ ربيعٍ ما اختلى أيُّ رطيبٍ ما التوى أيُّ قضيبٍ ما ذوى
أيُّ رفيعٍ ما هوى أيُّ قويمٍ ما انحنى أيُّ قويٍّ ما وهَى
أيُّ جوىً أيُّ نوىً أيُّ لقىً أيُّ سرورٍ أيُّ حزنٍ أو شجى
رأيتُ لمْ يعقبُ ضدٌّ ضدَّه دوائرٌ أسرعُ من دورِ الرَّحى
والصبرُ أولى بالكريمِ إن غدت عليه من سوءِ العوادي ما غدا
ما كنتُ بالقانطِ ممّا نالني واللهُ حيٌّ وإليهِ المُشتكى
ما لازمَ الصبرُ امرءاً فشأنه ولا عداه ذو عداءٍ فزكا
والحازمُ الرّأي الذي إن غاله غولُ الرّزايا لا بكى ولا شكا
بل سلّم الأمرَ إلى حسيبه وذاك نعمَ المرتجى والمُلتجى

من اكتفى باللهِ كان حسبه والله حسبُ كلٍّ من به اكتفى
ما لا يشاءُ اللهُ لم يكنْ وما يشاءُ فهو كائنٌ كما يشا
لا ترجُ إلاّ اللهَ واقنعْ بالذي أو لاكه من بذلِ جودٍ وعطا
ما يفعلُ المحبوبُ محبوبٌ سوىً واصلَ فضلاً أو يكنْ عدلاً نأى
أشاءَ أن أشمتَ فيَّ حاسدي أو أن يشاءَ اللهُ عكسَ ما أشا
فأيُّ فخرٍ لأناسٍ بالدُّها وأيُّ نقصٍ لأناسٍ بالتُّقى
لولا التُّقى ما خلتُ عجزاً بامرئٍ عن جهلِ قومٍ وسموه بالدُّها
لا يدفعُ المحذورَ حذرٌ من فتىً لا والذي ما شاءَ من أمرٍ قضى
ما كنتُ بالخائفِ من منيّتي جاءتْ ضُحىً أو طرقتْ بابي عَشا
والموتُ لا يعدو الفتى إمّا على فراشِه أو تحتَ أفياءِ الظّبى
قتلا وموتاً أيّما يلقى الفتى في اللهِ من هذين فهو المرتضى
فقتلُ ذي النجدةِ أذلها انتمى أو موتُ ذي العزلةِ إذ فيها ارْتوى
ولا يظنُّ الجاهلون إنّني لعبةُ طفلٍ حين يُلهيه القِلى
وأنّني للنازلاتِ عرضةٌ تفعلُ فيّ ما تشا لولا الرّضا
والمرءُ ما دام سليماً دينُه وعرضُه عداه لومٌ ولِحا
أن أحملَ الضّيمَ على ظهري وأن آنف من تحمُّل الضيم أبا
فلي بخيرِ العالمين أسوةٌ فإنهم أسوةُ من كان إأتسى
ساداتُ من تحت السّما وفوقها وخير من عليهم الصبحُ أضا
أكرمُ خلق الله في فضلٍ وفي بذلٍ وأعلى منتمىً ومحتدا
أجلُّ من صلّى وصام طائِعاً أفضلُ من لبّى وطاف وسعى
أهلُ منى والمشعرين جملةً والمازمين والأوالي وكرى
والحجرُ والميزاب والحطيم والمقامُ والأدكنُ مرفوعُ البنا
والطائفين والطوافُ حوله والمروةُ البيضاءُ فيها والصّفا
والسعيُ والسّعاة ما بينهما ومن سعى منتعِلاً أو احتفى
والحجرُ الطُّهرُ ومن قبّله ومن أدّى منسكه ومن قضى
ومكةٌ والأنصبا وما أضا أعلامها الغرُّ وما لا قد أضا
وطودُ ثورٍ وقبيسٍ وحرى والمستقى من زمزمٍ ومن سقى

والوحيُ والروحُ الأمين بالهدى يغدو فيهدي في الصباحِ والمَسا
ومهبطُ الأملاك والمعراج والإسراءُ في الليلة مع سرِّ السُّرى
والصحفُ والتوراةُ والإنجيلُ والزبورُ والفرقانُ من قرا
والذكرُ متلواً ومن يتلوه في مستقبلِ الدهرِ وما كان حلا
وآلُ طه والطواسينُ ويا سينُ وحمٌ ونونٌ والنّبا
عصابةٌ لها النبيُّ المصطفى لها الوصي لها الزّكيُّ المجتبى
لها أبيُّ الضيمِ فخرُ هاشمٍ منتجعُ السؤددِ والمجدُ الرُّقى
والساجدُ العابدُ مصباح الدُّجى لها كذاك الباقرُ الحبرُ التّقى
لها ابنُه البرُّ الأمينُ الصّادق القولِ الرزين الحلم جعفر الندّى
لها العفوُّ الكاظميُّ الغيظ الفتى موسى لها ربُّ الكمالات الرّضا
لها الجوادُ الطهرُ من رقى العلى طفلاها والهادي لذي الهُدى هدى
لها الهمام العسكريُّ نجلُه الرّاقي ذرى العلياءِ من حيثُ نشا
لها ابنه العدلُ المرجّى للورى كشّافُ ليل الكرب مهديُّ الهُدى
الحججُ اللذُّ فما تخشى عمىً اللججُ الفعم فلا تخشى ظما
ما فيهم إلا إمامٌ قائمٌ بالحقِّ يقفوه إمامٌ مقتفى
نبيُّهم خيرُ نبيٍّ قد أتى وصيُّهم خير وصيٍّ قد وفى
أبوهمُ خيرُ فتىً شهيدُهم خير شهيدٍ أمُّه خيرُ النّسا
تغرى لها العصمةُ من ربّ الورى شهادةٌ قد أفحمت أهلَ المرا
أقوالهم أفعالهم لم ينصرف قولٌ وما صدّقه فعلٌ زكا
أفكارهم مستنبطُ الوحيِ فلا تُخطي ولو سهواً إذا السّاهي سها
همُ همُ الحقُّ المبينُ للهدى إن بالهدى يوماً ترى اللّاهي لها
يضيءُ نورُ الرشد من قلوبهم إذ راحَ ليلُ الغيِّ غاشيه غشى
أكفُّها تُولي النَّدى وسمُّها يُولي الهُدى ونفثها يولي الشّذا
لا يسألُ السائلُ من ورائهم علماً بأن الحقَّ فيهمُ ثوى
لا يبتغي العافي سوى ربوعها مأوىً وكلُّ الصيدِ في جوف الفرا
ذاك الذي قد كلَّ من كلالةٍ في ظاهر التنزيل والأبّ أبى
إذا قريشُ في المساعي فاضلت ألفيت مرماها من المجدِ الكلا
أو ساجلتْ غاية من في حلبةٍ جاؤوا المجلّى وأتى الغيرُ الثّلا
تلقى لها السهمَ المعلّى في العلى إذا السّوى بالغيرِ خاطبُها خطا

تقفو سباق السبقِ أثر سعيهم   في السبق قفو المقتدي بالمقتدى
أنى يشقُّ ماجدٌ غبارهم   ومن ترى نعالهم عيناً حشا
لم يأكلِ الشاؤون نيل شأوِهم   لكن على آثارهم تتلو المشا
شمُّ العرانين إن قلت يا مستصرخاً   ألفيتهم من قبل يا
كأن مستقبلها ماضيها   فقوله أعطى معنّاه عطا
الحاكمين العدل لم يعدُ بهم   حبٌّ ولم يُملْهمُ عنه هوى
قد أمنتْ جورهم خصومُهم   في الحكم فالعالي والداني سوى
انزرُ ما تلقاهم أن يسخطوا   حتى كأن السخط منهمُ رضا
الحكمُ عدلٌ والنفوسُ تلتظى   والقولُ فضلٌ والبليغُ قد هدى
لو ودعت أعداؤها نفوسها   لديهم لآمنت صرف الرّدى
الحافظُ الجار فلا يناله   جورٌ ولا يعروه فيهمُ أذى
أمنعُ من صفية جوارُهم   يرفلُ في أثواب صونٍ قد ظفى
والمكرمُ الضيف ندىً تخالهم   عبيده يفعلُ فيهم ما يشا
ما فقدتْ أضيافُهم يومَ قرى   ما يشتهيه الضيفُ من حُسنِ القرا
رحْباً وقرباً وابتسام ماجدٍ   وبشروجهٍ واحتراماً وحبا
كأنما الأضيافُ إذ حلّت بهم   حلّت لذا البرّينِ أمّاً وأبا
كأنّ أصوات العفاةِ عندها   حاشا معاليها أراجيعُ الغِنى
يطربُها شدوُ السؤالِ للعطا   كأنّما العافي دعا الشاذي شذا
نفسي لتلك الأنجمِ الزهرِ وقىً   روحي لتلك الأبحرِ الفهم فدا
قومٌ إذا قيسَ بهم من غيرهم   قيس الجبالُ الراسياتُ بالهبا
جبالُ حلمٍ لا تخف من طيشِها   بحارُ علمٍ لا تجفُّ من عُلى
لا تسمعُ الفحشاءَ إذ تراهمُ   ولا ترى الفاحش فيهم يُجتبى
معادنُ الحكمةِ إن قال الخَطا   سواهمُ قالوا الصوابَ والهُدى
بني المعالي والعَوالي والحَبا   وقت الحياءِ والحجاجِ والحجى
جلَّ علاهم أن يُغال بعلىً   أين الثريّا والثّرى هيهاتِ ذا

أين الوهادُ والرُّبى أين الجبالُ والهبا أين ذكاء وسهى

لم يحسبِ الحاسبُ من عليائهم   من قبل أن يحصى العُلى يحصي الحصى
كل مديحٍ دون سامي مجدِهم   يقصرُ حتى تحسبَ المدحَ الهجا
حكّامُ بيتِ اللهِ أهلُ داره   وحوضُه الصّافي الصّفي العذبُ الرّوى

والقاسمُ الخلقِ على أفعالِها صنفٌ لرضوانٍ وصنفٌ للظى
المعشرُ الصيدُ الذين حبُّهم رشدٌ من اللهِ وبغضهم عمى

قصيدة الدروقي في رثاء العصفوري [البحر الطويل]

وله في رثاء العلامة الشيخ حسين ابن الشيخ محمد العصفوري رحمه الله.

أطيلي البُكا فالرّزءُ أضحى مجدّدا إذا غابنا في اليوم باكرنا غدا
ولا تسأمي فرطَ النياحةِ واهتفي بخطبٍ عرا شملَ الهُدى فتبدّدا
وخلّي التّعزي للخليلينِ واندبي فما كلُّ صبرٍ يا ابنة القومِ أحمدا
ألم تعلمي الخطب الذي هدَّ وقعُه نظامَ الهُدى وانهدّ منه ذرى الهدى
وباتت له أمُّ المكارم ثاكلاً تعالجُ طرفاً يمطر الدمعَ أرمدا
أرى الموت يحدو بالكرامِ كأنما جنوا ترةً لا عفو فيها ولا ودا
غدا حكمه الإمضاء فيهم فليته يكون له في بعضهم نيّة البدا
غدا بالبحورِ الفعمِ عنّا لقصدِه وهانَ عليه ما نُلاقيه من صدى
سلُوه فهل من غايةٍ ينتهي لها فديتكم أم ليس يجري إلى مدى
أخا قسوةٍ في قلبِه غيرَ عاطفٍ على ضعفنا منّا ولا قابلٍ فدا
أهاب بإخوانِ الصّفا فاصطفاهمُ وثنّى بأرباب العلى متفرّدا
رمى شملهم صدعَ الزجاجةِ قد رمى بها أيد صلد الصّفا متعمّدا
قفُوا أبي على أطلالهم نبك ساعةً وإن لم يكن فيها مجيبٌ سوى الصّدى
نسائلُها أيَّ المنازلِ يمّموا وأيَّ مقامٍ أعجلوا نحوه الحدا
خلا منهمُ الوادي فصوّحَ نبتُه وبانوا عنِ النّادي فأصبح أسودا
فراحوا وكم قد خلّفوا من ندا هُدى به يهتدي بين الورى أو هدى ندا
تضمّ الثّرى منهم صدوراً تضمّنتْ من العلمِ معروفَ الراويةِ مسندا
فويحَ الثّرى بل ويح نفسي من الثّرى عداد الثّرى لا بله ويح مؤبدا
أقاسمُها الأحباب لا متوقّعاً على نظر فيهم ولا متردّدا
تعجلتهم للقبرِ حتى كأنني على ودّي المعلومِ أعدو من العدا
وددتُ على أنفاسهم قارع الصّفا ووسّلتهم فيها الصفيح المتصّدا
أودّعهم عند المقابرِ قاصداً حياطتهم يا بعد ذلك مقصدا
ففي كلِّ يومٍ لم تزل تصبُ مقلتي عليَّ ترتمي أو شمل مجدٍ مبدّدا
بنفسي أنَّ الأكرمين تتابعوا كأنهم قد أسلفوا البين موعدا

أهابهمُ داعي المنايا فازمعوا   له السير لا يألون مثنىً وموحدا
الو أمتي في الحزنِ ما الحزنُ بعدها   تبارُك قلبي ساعةً أو مفنّدا
الو أمتي بعد الحسينِ قضى الجوى   لقلبي إني لا أزال مسهّدا
وكيف العزا يا سعدُ من بعد خطةٍ   قضت للمعالي حزنها أن يخلّدا
أخو السبقِ في الغاياتِ ساعة باعدتْ   مداها فاعي إلا رجي المعوّدا
نقيّ المساعي عن تدنّسِ ريبةٍ   أقام حميداً ما أقام وقد غدا
..............(١)   بأحمد سعيٌ في العلى إذ غدا
تناقلَ أعداهُ أحاديث فضله   فلم تستطعْ منهم جُحوداً فتجحدا
تؤيّدها بالرغمِ منها ولو رأتْ   سبيلاً إلى إنكارِها لن يؤيّدا
كفى مدّعيهاً حجةً كما تلا   أقرّ له الخصمُ الألدُّ وأكّدا
بليغٌ وإن لم تلقِه متفوّهاً   كذا السيف مغمداً كان أو مجرّدا
ملي بإملاءِ المسائلِ ساكِتاً   فإن قال جلّى في المقالِ وسدّدا
يُحيّي بها العذبَ النميرَ سلاسةً   إذا الغيرُ يحكيها الهجينُ المقعّدا
يلوكُ لحيّيه لساناً كأنّه   أخو نجدةٍ يبلو الحسام المهنّدا
إذا قرّ قلتَ الطودُ في الحلمِ راسياً   وإن هاجَ قلتَ البحرُ بالعلمِ مزبدا
فلهفةُ أكبادِ العلى بعدَ يومِه   لهيفُ الظّوامي لا يصادفنَ موردا
وحيرةُ أهلِ الفضلِ لا سيّما الذي   يؤمُّ الهُدى أن ينتحي الرشدَ مسندا
لتبكِ المعالي شجوها بعد هذه   بكاء العذارى حين أفقدن مفقدا
إمام الهدى من ظلٌ بعدك للهُدى   لباغ بغى أو مارد قد تمردا
تركت ربوعَ الدينِ قفْراً وليلها   عقيبك إن لم يرحمِ اللهُ سرْمدا
وعزّ المساعي ضائعاتٍ حريمُها   فراقدُ تبكي كافلاً ومسدّدا
فمن لحدودِ اللهِ فيه يقيمُها   وقد أكثر اللّاحي علينا وفنّدا
ومن لشكوكِ الدينِ يكشفُ لبسها   كأنّي ثكلى تسألُ الله مرشدا
ومن يقحمِ الباغي على الحقّ ناطقاً   بحقٌ فان يأبى الهُدى اتبع المَدى
فديناك لو يرضى الزمانُ بنا فدا   وإن قلّ أن يفدي المسودُ المسوّدا
تقاسمُني فيك المسرّةُ والجوى   فلم أدر نفسي والهاً أو معربدا
يهيّجُني النّاعي برزئِك هاتفاً   ويطربُني الشّادي بفضلك منشدا

---

(١) هكذا في الأصل المطبوع.

فلم أدر أن أصغي لذاك معدّداً   بنوحك أو أصغي لهذا مغرّدا
بكتك البواكي إن هتفن بماجدٍ   أقام عماد الدين سعياً وسيّدا
بكيتُك للدينِ الحنيفِ تحوطُه   إذ غار غار في الضّلال وانجدا
ولليلِ تُحيي جنحه متهجِّداً   وللجهرِ تقضي عمره متزهّدا
وللسائراتِ الغرّ تعقلها دُجىً   فيصبحن في الآفاقِ كالنجمِ شرّدا
وللُجج اللدّ الصوائب لا ترى   لهنّ سوى قلب المضلين مقعدا
رميت بها جيشَ الضلال فانبرتْ   بلابلاً قد قتل بلا ردا
قضيتَ بها حقَّ الوصيّ وحزبه   أصولاً أصيلاتٍ وفرعاً ممهّدا
أقولُ لحادي البرقِ يُزجي بسوطِه   نعائم يحملن الغمام المنضّدا
أقمْ حيثُ تلقى البحرَ في ضمن تربةٍ   يفوحُ الرّضا منها مراحاً ومغتدى
وحلّ عقودَ المزنِ إن كنت ساقياً   إمام هدىً أو راعياً حقَّ مقتدى
سقّاك من الرّضوانِ ما أنت أهلُه   على مررِ الأزمانِ مجداً وسؤددا

وله أيضاً في رثاء الشيخ رحمه الله **[البحر الخفيف]**

يا أهلّي نياحةً وولُوعا   واستهلّي مدامِعاً ونجيعا
واتركي التّاركين شجوكِ فيما   سلب الدين صبره والهُجوعا
للخليلين صبرُهم ولذي الرُّزء شجاه إن كنت حيّاً سميعا
لا يملُّ الولوعَ قلبُ شجيٍّ   إن من شيمةِ الشجيِّ الولوعا
كلّفوا قلبي السلوَّ وهيهاتِ تراه للعاذلين مطيعا
لن تطيعَ الخليَّ مقلةُ صبٍّ   غيرَ صبِّ الدموعِ لن تستطيعا
لستُ أستشفعُ الصديق لحزنٍ   شرُّ أمرٍ تحتاجُ فيه الشّفيعا
فاستعيدي بنا رُبى آلِ ليلى   واستهجّي ديارهم والرُّبوعا
واسأليها عسى ترقُّ لداعٍ   وعسى أن تريع أن تستريعا
وأظنُّ الديار مثلك نكلاً   هي لكن بشجوها لن تُذيعا
كيف لا تندبُ الديارَ وقد كانوا   مصابيحَ ليلِها والشُّموعا
فدعِ الصبرَ ربّ أمر عليه   يحسن المرءُ أن يكون جزوعا
أيَّ عهدٍ حفظته وتخافى   في حبيبٍ من لائم تقريعا
ليس من يحفظِ الدموع حفيظاً   ليس من ضيّع الدموعَ مضيعا
ما أنا والسلوُّ يا بنة قومي   إن عقلتي هذا المصابَ الشّنيعا

فقدُ غوث الإمام والعالم العاملِ غيثِ النّدى الربيع المريعا
فادحٌ أثكلِ المعالي فحبل الدينِ أضحى من وقوعه مقطوعا
شتّ شملُ الهدى عناداً فيا قلبي تصدّعْ لشمله مصدوعا
أيُّ رُزءٍ غدا له الدينُ قسراً تأكلُ القلب بالمصاب مروعا
خطّه أخلتِ الديارَ من المجدِ فلا شارِعاً ولا مشروعا
ألبستْ كلَّ فاضلٍ ثوبَ حزنٍ لا أراها من بعدها منزوعا
يا إمامَ الهدى ويا نائب الحجّةِ إن كان قول نائبٍ مسموعا
من لدينِ النبيِّ بعدك يرعى أفما خفت سيّدي أن يضيعا
لمْ تركت الأنامِ بعدك ولهى يتهادون في الضّلالِ وقُوعا
كنتَ إن جاء سائلٌ أبصر الفضلُ مبيناً بل الجلالَ شُروعا
فلم اليوم إن تَرواك فكر باء عن قلة وعادوا جميعا
الرأيِ بذاته أم لسرٌّ منع الحكمَ أمره أن يشيعا
كنت صعباً على الخطوبِ فلم أصبحت للخطب مستكيناً خضوعا
إن تخطت إليك خيلُ المنايا فلما زلن ينتحينَ القريعا
أو رماك الزمانُ من قارعِ الطّودِ فشأنُ الزمان يرمي الرّفيعا
قدرٌ قد رماك لو أعقلَ المعنى كفاه بأن ينالِ الوضيعا
غبتَ فالمجدُ بعد شخصك ولّى وكذا حيثُ كان كنتَ تبيعا
يا ربيعَ العلومِ هذي المعالي فيك ملّتْ خليلها والرّبيعا
يا رفيعَ العمادِ بعدَك ظلُّ الفضلِ أمسى عن أهلِه مرْفوعا
يا حيًا المرملاتِ عام اليتامى عادَ قيظاً وكان فيك ربيعا
يا منبع الجلال كلُّ جلالٍ فيك أمسى بصبرِه مفجوعا
كنت في ليلهم حديث افتخارٍ يتعاطونه طويلاً وسيعا
فلماذا تركتهم رأي عينٍ يتعاطون حسرةً ودُموعا
شغلُوا بالمصابِ فيك عن الأصلِ وعافوا لزورك التّفريعا
عطّلوا الدرسَ والمدارسَ من حزنٍ فلا سامعاً ولا مسموعا
تلك أجفانُهم تمسّحُ دمعاً وحشاشاتُهم خفقن نُزوعا
فقدوا من عُلاك علماً وحلْماً وجلالاً سامي المنارِ الرفيعا
وجمالٌ أقرنته بكمالٍ وخشوعاً برفعةٍ مشفوعا
عزَّ والله أن تُضام عليهم دون أن تمطر السيوفُ النّجيعا
وتروحُ الرجالُ قتلى وأسْرى تتفانى عساكراً وجُموعا

يا لقومي وأين منّي قومي مطلباً شاسِعاً وخطباً شنيعا
غيّرَ الذلُّ قومهم فاستماتوا قلَّ أن ينعشَ النّداءُ الصّريعا
صاحِ قفْ بي على الأكارمِ لكن إن تكنْ تندبُ الرُّبى والرُّبوعا
صاحِ هذي ديارُهم خالِياتٌ فقدتْ منهم الجمال البديعا
فقدَ الليلُ منهمُ أنه المأسورُ في القيدِ لا يطيقُ الهجوعا
تتجافى جنوبُهم مدّةَ الليل إذ لازم الضجيعُ الضّجيعا
أسرعوا للجنانِ عنّا وظلَّ العاجزُ الصبُّ سنُّه مقروعا
فكأني بهم وقد عانقوا الحورَ فباتوا مواصلين جميعا
ملَّ قلبي من بعدهم كلَّ قصدٍ كان إلاَّ لقاهمُ والرُّجوعا
أتمنَّى على الزَّمان لقاهم حيثُ استمنحُ الشحيح المنُوعا
فالغواني لا تشرئبُّ لعيني لا ولو كانتِ الرواحَ الشُّموعا
لم تضمُّ القبورُ منهم شخوصاً لا ولكنْ عوالماً ونُجوعا
ضمّتِ الفضلَ والتُّقى والمساعي والمعالي وأهلهُنَّ جميعا
فعليها وأهلهنَّ سلامٌ لستُ أعني اللّقا بلِ التّوديعا

قصيدة الدروقي في رثاء الشيخ محمد [البحر الخفيف]

وله في رثاء الشيخ ابن الشيخ يوسف رحمه الله:

كيف تبقى لنا وأنتَ العمادُ وتوفّي وتكمدُ الحسادُ
أو يعودُ الزمانُ مغتبطَ العيش وتقضي بغيضها الأضدادُ
وسجايا زمانك النّقصُ فمن أين يُرجَّى من عنده الازديادُ
نبتغي في الزمانِ ذخراً وفخراً والقُصارى القبورُ والألحادُ
لم يُعطى النّدا ونسعى المساعي ويؤمَ العلى بها ويسادُ
لم تبنى القصورُ محكمة الأركانِ يُعلى لها البِنا ويُشادُ
لمْ تصانُ الدروعُ والبيضُ في الأغمادِ لم تُقتنى لحربٍ جيادُ
لمْ تخلّى الرجالُ بالبيض عفواً لم تربّى من بينها الأولادُ
لم تعدُّ الألوفُ ولم تحشدْ منها الجيوشُ والأجنادُ
ما غناها ما نفعها وسواءٌ هي عند المنونِ والأحسادُ
لم يختارُ للقراعِ حسامٌ لم يعتدُّ للدّفاع جوادُ
لم ينتابُ ماجدٌ لعطاءٍ لم تحيّى برفده الوفّادُ

لم يستنكفُ الأبيُّ من الذلّ وتأبى الدناءة الأمجادُ
وهمُ في الترابِ أبناءُ مثلٍ منطقٌ أخرسٌ وكفٌ جمادُ
لم تستربطُ الخيولُ المذاكي والمهارى من خلفها تستجادُ
وهي أن قابلت خيول المنايا نكّست أهلها وكُفَّ الطّرادُ
عزمٌ كاف الكفاة أخزى جبانٍ فترى البهم كالبهيم يقادُ
كلّ يوم يخرُّ للأرض طودٌ لا تُدانـي جلالـه الأطـواد
وجوادٌ عطا سوالِه الأرض وبالفضل لا يجودُ الجوادُ
ضمنتْه بطن القبور فمن تربٍ وطارٌ له وتربٍ وسادُ
طالَ حملَ الثّرى بأهلِ المعالي ليت شعري متى يكونُ الولادُ
قد ظننتُ المنون من قبل هذا همُّها في البرية الأعدادُ
ليس تدري ما عالمٌ وجهولٌ واستوى الغور عندها والنِّجادُ
فإذا ما لهنَّ قصدٌ من اللآفِ إلاّ الآحادُ والأفرادُ
تتنقّى الأمجادَ من كلّ حيٍّ وتُختلى الأوباشُ والأوغادُ
أو ما تنظرُ الكرام تداعوا رحلة السفر همُّها الآسادُ
والهمامُ الإمامُ حلّق عنّا راحلاً والمعلّمُ الأستادُ
زينُ أهلِ التُّقى وركنُ المعالي وعمادُ الورى ونعم العمادُ
والحسامُ الغضبُ والذي نصر الدين شباه والكوكبُ الوقّادُ
والحَيا العذبُ والعذابُ فصادٌ يرتوي سايغاً وعادٌ يذادُ
فبداراً إذا أريد وروداً وحذاراً إن حقّقَ الإيرادُ
أيها لمن مع الترحُّل عنّا عد قريباً لأتاك منك البعادُ
لا شجيَّ بعدك المصابُ ولا راحتْ تكوّى ببينك الأكبادُ
أنت حيٌّ المدى أورته أحياءُ مع الجهلِ فيه ماتوا وبادوا
إن تكن في الثرى غربت فلم يغرب عن الكونِ نورك المستفادُ
أو طواكَ الرّدى ففي كلِّ يوم لك من فعلك الجميلِ معادُ
كنت شمساً للسّالكين وبدراً بك يجلى العمى ويهدى الرّشادُ
وحساماً على المضلّين يشقى بشباكَ الفسّادُ والإفسادُ
وجواداً تقضي القرين إذا ما جدّ في حلبة السّباقِ الجيادُ
وخضمّاً من البحورِ إذا ما هبّ سالتْ به الرُّبى والوهادُ
وعهاداً تروي عفاةَ الدينِ هذا فأين منك العهادُ
كم مقامٍ أقمته حيث جدّ البغيُ في أهلِه ولجّ العنادُ

وتداعى الخصومُ تمتحنُ الحقّ فكادُوا كما عن الحقّ حادوا
فكشفتَ العمى وجلّيت فيه سانقاً ردؤك الهدى والسّدادُ
بادياً صفحتيك تنصرُ حقّاً وسيوفُ الضلالِ فيه حداد
فملأتَ الهدى سروراً كما قد بان يطوي بحزنه الألحادُ
لبكتْك العلومُ تغرقُ فيها شهمُ فكرٍ لم يحظ منه المرادُ
والمعاني بعيدةُ العقرِ أعيتْ عايصيها وأضمتِ الورّادُ
والمباني تجيدها بمقالٍ زانه الانتقادُ والافتقادُ
وعويصٌ من المسائلِ تنهيها وقد فات أهلها الانتقادُ
وفروعٌ شريفةٌ وأصولٌ قرّرتها أدلّةٌ واعتقادُ
وقضايا قد أشكلَ الحكمُ فيها وأبى طرف ناظريها الرُّقادُ
يا لقومي لحادثٍ عمّ دينِ الله فانهدَّ ركنه والعمادُ
لرزايا حلّت بدارِ المعالي فالمعالي لباسهُنّ سوادُ
كيف قرّتْ شقاشقُ الفحلِ قسراً وهو ذاك المزمجرُ المرعادُ
وانثنى ذلك البيانُ المرجّى لا يفيدُ الندا ولا يُستفادُ
والمقالُ الواري الشهاب بصدقِ القولِ من أين جاءه الإخمادُ
لو تفدّى فدتك من غيرِ منٍّ ولك المنّ فتيةٌ أمجادُ
وشبابٌ من الوقائعِ شيبٌ فوق شهبٍ من الدماءِ ورادُ

مختارات من شعر الدروقي

قتل في الهوى

وله أيضاً : [البحر الكامل]

يا قاتلي لا ذنبَ جنيتُه يغنيك قتلي لا قصاصَ ولا ودا
ماذا يضرُّك لو رحمت متيّماً فعطفت منّاً أو قبلت به فِدا
أنا قد علمتُ بأنّ حبّك قاتلي فسلكتُ نهج منيّتي متعمّدا
أفديك هل يُرضيك قتلي في الهوى فأبوءُ بالقتلينِ سخطك والرَّدى

قرين الصبا

وله أيضاً : [البحر المتقارب]

سقى ربع مغناكَ ماءُ المحيّا   وأنفسَ أهليك ماء الحياةِ
فعادَ بأهليك بعد البلا   وجمَّعَ شملك بعد الشّتاتِ
وردّ لنا منهمُ ما مضى   قرينَ الصّبا والزّمانَ المؤاتي

الملاح والراح

وله أيضاً : [البحر البسيط التام]

ليتَ الملاح وليت الرّاحَ قد جعلا   في جبهةِ الليثِ أو في قبّةِ الفلكِ
فلا يعانقُ محبوباً سِوى أسدٍ   ولا يديرُ بكاساتٍ سوى ملكِ

تذكّر

وله أيضاً : [البحر الطويل]

فلا سلمَ الرّاوي ولا درّدرُّه   إذا لم يكنْ عمّن هويتُ حديثُه
حديثُ جلالٍ لو تعاطاه قاصرٌ   ولانتْ مساويه وطاب خبيثُه

وله أيضاً : [البحر الطويل]

وليلٍ يُساقينا التذكّر جنحه   بهيماء لا أهلٌ لديها ولا صحبُ
نزلنا على حكم النّوى بركابنا   وكان ركاباً بالهوى ذلك الركبُ
حديثُ كأنَّ العامريّةَ بيننا   نسيمٌ كأنّي عنده غصنٌ رطبُ
كأنَّ الدُّجى صبّاً وكان صباحُه   سلُواً عليه عاهد العاذلُ الصبُّ

لا راحة في الحب

وله أيضاً : [البحر الطويل]

وددتُ بزعمي أنّ في الحبّ راحةً   ولم أدرِ أنَّ الحبُّ غايتُه الهلك
عشقتُ فلم أعلمْ فلمّا استرقّني   علمتُ ولكن حيثُ لا يمكنُ الفلكُ

الكل والأصل

وله أيضاً : [البحر الطويل]

وما الكلُّ إلا أنت والكلُّ قائمٌ لديك وأنَّ الكلَّ من كلّه الكلُّ
وإني بشيءٍ ليس بشيءٍ يعدّه ولا شيءَ من لا شيءَ في أصلِه الأصلُ

طيبي بعود الأحباب

وله أيضاً : [البحر الوافر]

تقولُ علامَ لم يمسسك طيبٌ فقلتُ الطّيب في طيِّ اللّحودِ
يعودُ بعودِهم طيبي فإنْ لم يعودوا قلتُ للبُرحاءِ عُودي

عذاب حبيب

وله أيضاً رحمه الله : [البحر الوافر]

أظنُّك لا تُبالي بالذي بي فهانَ عليك أشجاني وكربي
وإنّك لا تُبالي بي عجيبٌ وشخصُك ساكنٌ أبداً بقلبي
فديتُك كم تعذّبني ببعدٍ فليتك كنت تُخبرني بذنبي
لوجهِكَ توبتي من كلِّ ذنبٍ عدا إن كان ذنبي فيك حبُّي
وقالوا ذو تقىً أصباه مصبي لهم أحلامهم وصباي حبِّي
وإنّ سفاهةً تهدي سفيهاً إليك عسى تكونُ الدهرَ حسبي

غزل

وله أيضاً رحمه الله : [البحر الطويل]

أحب بليلى كلُّ عانٍ فحسبُها متيّمُها العاني عُليَّ لا يذودُها
وما جرمُه إلاّ المُعنى فؤادُه يرى أنّه دون البرايا عميدها
ومن لي بقصدِ العامريّةِ سحرةً وإن سكتتْ أحراسُها وعقُودها
وكلُّ الخلا من دون ليلى عواملٌ تقادمُ أسيافٍ تحدُّ حدودَها
ونقعاً يُعيد الصبح ليلاً جلالُه بوارقُ مثلُ الصبحِ بادٍ عمودُها
ووقعٌ تكاد الشمُّ من رجفانه تكدُّ ويصممن السَميعَ رعودُها
وسيلُ دمٍ كالمزنِ تسقى به قناً يكادُ بطولِ الريّ يخضرُّ عودُها

ودينُ الهوى قتلُ المحبين بالهوى ضروريّةٌ لا يُستطاعُ جحودُها
وإنّا وإنْ كنا عزانين قومنا فنحن بلا منٍّ عليها عبيدُها
وكيف تزورُ العامريةُ أرضنا وما احمرَّ من سيلِ النفوسِ صعيدُها
ولا قرّبتْ قربانها النفسُ نفسُها ولا سالَ تحت الرجلِ منها وريدها
وما ذاك من بُخلٍ بليلى وأنه ليكرمُ عن قربِ الدنيّةِ جودُها
وأيُّ امرىءٍ وافى الهوى فقضى به بحكمِ الهوى لم يُمس وهو شهيدُها
وكيف يرومُ الكاشحون افتراقنا وأصلَ وجودِ العاشقين وجودُها
يلذُّ بعيني قربُها وبعادُها ويحلو لنفسي وعدُها ووعيدُها
وأهوى المنايا في هواها إذا انتمتْ لِناعيها فلْ أختَ الغزالِ وجيدُها
وما فضلُ ذي شرقٍ يلذّ إذا بدتْ من الوجناتِ الزهراتِ ورودُها
فاقسمُ لو ليلى تبدّت لصخرةٍ تحلّل منها بالغرامِ جمودُها
ولو لمستْ يبس الكِلا بعد ما ذوى لعادتْ رياضاً غورُهاً ونجودُها
ولم لا وسلسالُ الحياةِ بثغرِها تصرّفُه أحكامها وحدودُها
وما ضرَّ لو بالطيفِ عادت سقيمها فيحيى بعطفِ اللطفِ يوماً قعودُها
يكلّفني الواشون ما لا أطيقه إذا مرضتْ ليلى الهوى لا أعودُها
فكيف ولو طوقتُ جيدي بغلّةٍ واثقلَ رجلي بالحديدِ قيودُها
واغلقَ دوني كلُّ مفتوحِ فرجةٍ وأُحكمَ سدّاً بوبُها ووصيدُها
وسُدَّ بأنواعِ العوائقِ دوننا قريبُ أباعيدِ الفضا وبعيدُها
وأصبحَ مشغولَ الفراغِ زمانُنا بحيث المنايا خيلها وجنودُها
وطبّقت الأكوانَ من دونِ قصدِها جنودُ خطوبِ خافقاتٍ بنودُها
وقد حبستْ عن نومِها الدهرَ مقلتي مخافةَ أن يلقى الخيالَ هجودُها

مناجاة

وله أيضاً ﷫ : **[البحر الكامل]**

يا مونسَ الليلِ البهيمِ بذكرهِ إبعثْ بطيفك والكرى لجُفوني
فلعلّ طيفك حين يدنو بالكَرى تلقى مثالك في المنامِ عُيوني
وأظنُّ عينك ليس تُدرك قصدَها ليس المنامُ من الغرامِ بديني
أكرمْ لطيفك أن يروم لمقلةٍ فيها لغير هواك فضلُ سكوني
قلبي لحبّك سابقاً تكليفه بل سابقُ التعليمِ والتّمرينِ

كلِفتَ تكلّفه الفؤادَ بطبعه   خلوٌ من التّلوين والتّلوينِ
كلِفٌ تمكّن غيرَ منصرفَ العنا   ويحَ الحَشا من ذلك التّمكينِ
نفسي فداه معذّبي هل موعدٌ   ومتى تشاءُ قضاءه تقضيني
ما كنتُ حين سألتُ ذاك مخادعاً   لكنّ وعدَك باللّقا يكْفيني
فالصرفُ أبعدُ من خلائقِ عاشقٍ   علقَ الأنينُ بسورةِ التنوينِ
جلبَ الهوى بالحسنِ لا بمحسنٍ   فالحسنُ فيه غنىً عن التّحسينِ
ملكَ الغرامَ بوجهه وبجوده   فهوى القلوبِ لديه طوعُ يميني
في وجهه أسرارُ حسنٍ لم تبنْ   بحسابِ رملٍ أو بكشفِ دفينِ
وجبينُه البادي البهاءِ أجلُّ أن   يُحصي دقائقه عدادُ مئينِ
فأعجبْ له وهو الغزالُ بعينه   وأخوه من أبويه ليثُ عرينِ
يا قلبُ كم تُصبيكَ بادرة الهوى   ببرين ساجعةٍ وسجعِ برينِ
كلُّ المحاسنِ رقٌّ أدنى حسنِه   أني لذاك الحسن نسبةٌ دوني
غلطٌ بلفظك أم بقلبك علةٌ   منعته سرُّ جمالِه المكنونِ
هبْ لم تكنْ من عاشقٍ خافي البها   فضعفتَ عن إدراكِ كلُّ مصون
أقذًى بعينك عاقها عن واضحٍ   كلُّ المبين لديه غيرُ مبينِ
حلوُ المناقبِ والنّقاب غداته   يبدي لناظره صفاتِ العينِ
خذْ عنه واسمع منه وانظره تجد   شهد اللّقا والنّقل والتّدوينِ
حلواً لوجداتِ الثلاثِ بأسرِها   والرابع المتمنّعِ الميمونِ
لو كان لم يعشقه غيرُ قرينه   فقد الغرامُ ولم تفز بقرينِ
إن القرين وكلّما قد كان أو   سيكونُ منه نقطة التكوينِ
وضمينُ دعوى العاشقين فإنّه   بالفوزِ إنْ سلكُوا على مضمونِ
قالوا محاسنُه حلت إحسانه   كلاّ ظنينُ الحسنِ غيرُ ظنينِ
قرنتْ بحاجبه المزجّج عينُه   وكذاكَ عينُ الحاجبِ المقرون
ميمي فم صاديُّ عينٍ صدغُها الواويُّ منعطفٌ بحاجبِ نونِ
الحسنُ في البادي صدقت وكيف لا   ووراء بادي الحسنِ ألفُ كمين
فأرحْ بنفسك لا تعرّض للهوى   فلقد نصحتُ وكنت غرّامينِ
أمعنّفي في الحبِّ إنّ تهتُّكي   إذ ليس ديناً لي ولا لك دين
إني عصيت تنسّكي في حبّه   وأطعتُ فيه سفاهتي وجُنوني
أنّى تكون العامريةُ بغيتي   أبداً ولستُ أكونُ بالمجنونِ

قسماً بجيمِ جمالِه لا لذّلي إلاّ عليك خلاعتي وفنوني
فأخو ملاميَ من يريدُ تحلّمي وأخو غرامي من بها يُغريني
من أين يبلغُ شوقُ شائق حُبّها خلطَ الصّبا في غثّها بسمينِ
وكرائمُ الأشواقِ أكرمُ إن تحم من حول حومتها خيال خؤون
أفدي الجمال وأهله من حاسرٍ قد جاء من أسرِ الهوى يفديني
سلْ فاضح الظبي الأغنّ بجيدِه إذ ليس حين بكاه بالمأمون
واظنُّ ذنب الريم حين حكى له الطللُ استحقَّ به عذابَ الهُونِ
ما قدرُ ريمِ الحزنِ ساعة يدّعي ما ليس يقبلُ من هزبر عوين
وكذا الممثلُ والمماثلُ إذ قضوا بخطاءِ أوهامٍ ورجمِ ظنونِ
يا صبُّ ويحك كلُّ حسنٍ قاتلٌ لك لا خصوصَ جديلةٍ وجبينِ
ما للمتيَّم لا يمرُّ بطيفه إلا مفيدُ صبابةٍ وشجونِ
أوما تحسُّ بنو العراقِ بمنجدٍ منع الغرام شكاه أهلُ الصّينِ
لو كان ماءً ما تسحُّ دموعه لم يبق للثمراتِ ماء معينِ
لو كان من سكّانِ تبرين الهوى لحنى له ما كان في أبرينِ
مسكينُ مفقودُ المعينِ على المنى فقدُ المعين علامة المسكينِ
لو مات لم تسمعْ لناعي يومه صوتاً ولم تظفر له بحنين
قلّتْ بواكيه وقلَّ بكاؤه من حيثُ لا حزن ولا محزونِ
ما بالُ علمي في الصبابة داعياً لتحرّكي ومسكّنٌ لسكوني
كل العلوم عرفت جل رموزها إلا الغرام فإنه معييني
أبداً مباديه الهلاكُ فهل ترى منه المقاصدُ غير حين الحينِ
فاقدمْ على العلّات إن تك قادماً أوما سمعت طريقة المفتونِ
كل الوجودِ بذرةٍ من وصله فابتع وما المبتاع بالمغبونِ

سالم الدين والعرض

[البحر الطويل]

أبى الدهرُ إلاّ ماجداً يزدري به وحرّاً يُقاسي الضيمَ في الطولِ والعرضِ
أبى خلقُ الأيامِ إلا مهذّباً يعالجُ مسّ الضرّ في الطولِ والعرضِ
ألم ترَ منصوبَ الهُدى ومقامه هو الرفعُ قطعاً كيف صار إلى الخفضِ
فمن بعدِه فليقضِ ما شاء أنه هو المقتدى في الكلّ لا البعضُ في البعضِ
رضيناهُ متبوعاً على كلّ حالةٍ أخَ الخلقِ المرضيِّ والكرمِ المحضِ

وما النقصُ جارٍ حالةَ العسرِ بالفتى ... إذا كان فيه سالمُ الدينِ والعرضِ

الموت لا بدّ منه

[البحر الرجز]

أصبحُوا في شرف الملكِ وأضحُوا في القبورْ ... وقريباً قبل ذا المأتمِ كانوا في السرورْ
واستعادُوا لحدَها المظلمَ من ظلِّ القصور ... وغدا الصابحُ بالصبحِ عويلاً وثبورْ
اقسمُوا ما لهمُ عن زهرةِ الدنيا براحْ ... فاستطالوها يبلّون صدى الأحشا براحْ
غدوةً في مجلسِ الصفق لهم راحٌ براحْ ... ثم أمسوا فإذا همْ بين قولي راح راحْ
تسْري بنا الحوادي ونحنُ لا نُبالي ... كم أنزلتْ من رفيعٍ عن شاهقاتِ القلالي
الموتُ لا بدَّ منه لسابقٍ ولتالي ... فاصنعْ جميلاً عسى أن تلقاهُ أخرى اللّيالي
أنا مملوكُك لا منٌّ بلِ المنُّ عليّ ... أنا مملوكُك بالذاتِ فما ملكُ يدي
كلّما تفعلُ من فعلٍ فمحبوبٌ إليّ ... أنت أنت الحسنُ والإحسانُ لا هي وبي

كرم عمّ الورى

[البحر البسيط التام]

لم يلقَ حظّي من حسنٍ خصصتُ به ... إلا جوى في الحشا ثاوٍ على مضضِ
وجّهتُ قصدَك قلبي حيثُ لا جهةٌ ... إلا وحسنُك فيها قاضياً غرضي
فأعجبْ تصورَ حلماني لذي كرمٍ ... عمَّ الورى وقضى لي منه بالحرضِ
ما جوهرٌ من أيادي المحسنين خلاً ... كلاّ ولم يخلُ فيها فيك من غرضِ
قرنتُ حسْناً وإحساناً فمنٌّ به ... فبعضُ ذلك ما يُشفي به مرضي
إني رضيتُ الذي ترضاه لي أبداً ... فمن كرقٍّ بما يأتيه منك رضي

هل يصفحون

[البحر الرجز]

يا سعدُ بادٍ ليس يُخفى أمره ... قولٌ به منطوقُ سرّي يفصحُ
ذنْبي إلى الحيِّ الحبيب أنّني ... صبٌّ بحبٌ طفلهم لا أبرحُ
ما لي سواه جرمةٌ وحقُّهم ... سلهمْ عسى أن يسمحوا أو يصفحُوا

وله أيضاً في مرثية أخيه: [البحر الكامل]

العيدُ حيثُ مواصلٌ أحبابه ... لا غارمٌ ناوي الحبيبِ بمقعدِ
أنّى يكونُ العيدُ منك بموضعٍ ... وشقيقُ نفسك ضمن لحدٍ أسودِ
ألخيّ والمجدُ الذي شيّدتَه ... في الأصلِ كالعلمِ الرفيعِ الأسودِ

سامي المنارِ كثيرُ حسّادِ القرا ربحُ الأصادقِ منيةُ المستنجدِ

حب واشتياق

وله: [البحر الكامل]

يا حيرة المشتاقِ هجرك لم أطقْ ولقاك لا يقوى عليه جناني
ماذا تحاذرُ في ضعيفٍ لم يطقْ خلدَ الوصال ولا لظى الهجرانِ
لهواكِ والحسنِ البديع وذكركِ المحيي حشاي ومقلتي ولساني

طبيب الفؤاد

[البحر الخفيف]

وله:

لا تقلْ كيف كان ليلةَ وصلي إنّ غير القليلِ فيضُ الحبيبِ
زار من حيثُ لا يخافُ عذولاً لا ولا يختشي عيون الرقيبِ
تلك أنفاسُه ترى الروض فيها يفعمُ الناشقين من خير طيبِ
كان للعينِ منه خيرُ جلاءٍ ولداءِ الفؤادِ أيُّ طبيبِ

وله:

الطبيب أمرضني ليس غيره ألمي ذكره دوا مرضي وجهه شفى سمعي

بعد وقرب

وله: [البحر الخفيف]

لو تصوّرتني عشيّة حثّت بهمُ العيسُ بين بعدٍ وقربِ
أولُ التّابعين دمعي فمذْ أغمضَ قلبُ الركاب انصبّ قلبي

شم الورد

وله: [البحر الطويل]

تقولُ شممت الطيب بعد رحيلنا نسيت أمِ استحسنت أن تخلف العهْدا
فقلتُ معاذ اللهِ ما كنت ناسياً ولا استحسنت عيناي أن تنظر الورْدا
ولكن لبعدِ البعدِ من طيبِ قربكم أردتمْ بشمِّ الوردِ أحدثه عهْدا

سفاهة الجهال

وله: [البحر الوافر]

وما كسفاهةِ الجهّال داءٌ أضرُّ على حليمٍ لا يُطاعُ
يريدُ من الرّعاعِ الهمجِ رُشْداً وأنّى تهتدي الهمَجُ الرّعاعُ

سكب الأماقي

وله: [البحر الخفيف]

وسلُوها تقيمُ في الركبِ حيناً علّ تُشفي الظّما عن المشتاقِ
أطلبُ البرءَ في الطلول ومحبوب فؤادي من فوق ظهر النّياق
ذاك مرميّ على الرّجاءِ بعيدٌ فيه حرقُ الحشا وسكبُ الأماقي

وله:

قال لي عذباً سقيماً قلت بل عذب سقاما

عين الغزال

وله: [البحر الكامل]

ما ذقتُ لذّة ساعةٍ من قربه إلاّ ونغّصها مخافة بينه
عينُ الغزالِ بصدّه ونفاره وابنُ الغزالِ بجيده وبعينه
لم يلو غيري في معاملةٍ له إلاّ ويلوي ذا الغرام بدينه

تأملات حياتية

وله: [البحر الطويل]

تمرُّ سنونٌ ثم تعبرُ أختُها وليس لغيرِ الله في ذي وذي أمرُ
فما البؤسُ في الدنيا مقيمٌ ولا الهنا ولا الخيرُ بالباقي لديها ولا الشرُّ
ولا ينفعُ المركوب شيء سوى الرّضا بما قدّر الباري له الحمدُ والشكرُ
ولا شيء كالصبرِ الجميل لعاقلٍ وإن كان طعمُ الصبرِ أيسرُه الصبرُ
فربَّ رخاً من شدةٍ خيف مكثُها ورب شفا من علةٍ ضرّها الضرُّ
وحسبُك ممّا ترتجيه من الدُّنى ولاءُ النبّي الهادي وعترته الغرِّ

وأيُّ ضياءٍ ليس يعقبُه دُجىً وأيّ ظلام ليس يعقبه الفجرُ
فلا يغترر فيها المعالي من البلا ولا ييأس العاتي الذي شفَّه العسرُ
فكم راح قومٌ بالمسرّة غدوةً فأدلى لها ما ليس في عدِّها الحصرُ

وله:

قلت عن عادي مكارمه هي للحق المبين جلا
ركبوا العلياء عن سلف ركبوها قبلهم قبلا
منهم أهل العلا خلفاً وهم أهل العلا أو لا

زرني في منامي [البحر الرمل المجزوء]

وله:

ظعنَ الرّكبُ ولمّا يتولّى غيرُ الهُيامِ
فولوعٌ ودموعٌ بغرامٍ وسقامِ
عددٌ أضعفه أقوى على جلب حمامِ
أترى حيّاً بباقٍ مع ذا يا بن الكرامِ
فزرِ اليقظة أفديك وإن ساء احتشامي
لو منامي كان عندي قلتُ زرني في منامي
وأنا عبدُك ما للعبدِ حقٌّ في مقامي
كيف هذا كيف عطفٌ لاعتراضٍ بكلامي
فلقياك هُيامي ولعلياك سلامي
وأمامي هي حبّي ليس محبُوبي أمامي

وله:

عابد متنسك عاشق متهتك
زهده وهواه ساكن متحرك
خالع العذر فيه متحنك

تصدير أبيات لسيد الشهداء وتعجيزها [البحر الطويل]

ألاَ يا عباد الله أنتم ولاته وأنتم له في أمره نصحاءُ
أمَا عجبٌ يا معشر الحقّ فاسمعوا فأنتم على أديانه أمناءُ
يريدُ وكان اللهُ بيني وبينه ولله حكمٌ في الورى وقضاءُ

يريدُ الذي يستشهدُ الصعبَ دونه ... يريدُ وليس الأمرُ حيثُ يشاءُ
بـأيِّ كـتـابٍ أم بـآيَـةِ سـنَّـةٍ ... بها للقلوبِ الممرضات شفاءُ
تجنَّبها القربى وبالرغمِ منهمُ ... تـنـاولـهـا عـن أهـلـهـا الـبـعـداءُ

وهذا تذييلها والتذييل عين التصدير:

ألاَ يـا عـبـادَ الله أنـتـم ولاتـه ... وأنـتـم عـلـى أديـانـهـم أُمـنـاءُ
أما عجبٌ يا معشر الحقِّ فاسمعوا ... فـأنـتـم لـه فـي أمـركـم نـصـحـاءُ
يـريـدُ وكـان اللهُ بـيـنـي وبـيـنـه ... يريدُ وليس الأمر حيث يشاءُ
يريدُ الذي يستسهلُ الصعب دونه ... ولله حكمٌ في الورى وقضاءُ
بـأيِّ كـتـابٍ أم بـآيَـةِ سـنَّـةٍ ... تـنـاولـهـا عـن أهـلـهـا الـبـعـداءُ
تجنَّبها القربى على الرغم منهم ... فـقـولـوا فـإنَّ الـحـقَّ فـيـه شـفـاءُ

الملاح والراح

وله: [البحر البسيط التام]

باتتْ بجنبِ لئيم تكثُر العذَلا ... تعلةً خفيةً سكرى لمى وطلا
تقولُ لو أن ما قالته قد حصلا ... ليت الملاح وليتَ الراح قد جُعلا
في جبهةِ الليثِ أو في قبّةِ الفلكِ
لو أنَّ حكمَ الغواني والطّلا بيدي ... لم تأوِ بيت جبانٍ بيضةُ البلدِ
ولم يذق قط طعم الراح ذر فندٍ ... فلا يعانقُ محبوباً سوى أسدِ
ولا يـدورُ بـكـاسـاتٍ سـوى مـلـكِ

حكم الزمان

وله: [البحر الكامل]

حكمَ الزمانُ عليَّ مذ أحببتُه ... أن ليس يُوفي للمشوقِ بعهدِه
فلذاك لم أر ساعةً من قربه ... إلاَّ ونـغّـصـهـا بـواقـع صـدِّه

حبيب متنفص

وله: [البحر الكامل]

ما كدتُ مذ علق الغرامُ بمهجتي ... في الدّهر لا ألقاه وهو مودّعُ

لم ألفُ ساعة لذّةٍ من قربه إلا ونغّصها النّوى المتوقعُ

المشيب

وله: [البحر الرجز المجزوء]

نادى المشيبُ بالرحيلِ عازماً وأنت لم تأخذْ له بعدُ زادكْ
أشغلك اللهوُ بأحوالِ الصّبا حتى نسيت عنده معادكْ
هُبَّ فقد جدَّ القرِيُن للبلا وكان في حياتِه عدادكْ
فاز العُلى بقصدِهم إذ أدركوا مرادهم ولم تنل مرادكْ

عذاب الحبيب

وله: [البحر الكامل]

غدر العواذل غير خافٍ وجهه والحق إنّ الحقّ لا تخفيهِ
لم يلجِ عاذله المشوقُ سفاهةً لكن لحالٍ كي يشارك فيهِ
الحقُّ وضاحٌ كابلجِ وجهه ما في الهدى فقر إلى التوجيهِ
يا وجهه المعشوقَ لي لا يقضني فضلاً وإن أنا كنت غير وجيهِ
كم ليلةٍ في البين قاسيت الرّدى فيها يريني خطبه وأريهِ
لعت غياهبه على بصري بها وبصيرتي في جنبها تهديهِ
فمرثت حنظلها ولولا جرعة ما حلو ذكراك لم أكن أمريهِ
ما في الهوى مستعذب لك فاتئد واقنع بما فيه وما يرضيهِ
وابن الهوى هو ما ترى يقضي به حتفاً وما حقاً له يقضيهِ
فاقدم على العلات إن تك قادماً أوْلا فدعه للإله ونبيهِ
يتيمّمُ التّقوى تقي لكنّه من يرمه بلحاظه يصميهِ
متنسّكٌ نُسكاً قضى بتهتُّكي فيه وهادٍ جاء لي بالتّيهِ
يتجنّبُ المكروه وهو معذّبي من غيرِ ما جرمٍ سوى حبّيهِ
فسلوه كيف أباح تعذيبي لي والنّمل من تقوّاه لا يؤذيهِ
قالوا ألا ترقيه إن عداته ولعوا بعذب رضاب ماء شفتيهِ
هب أنّني أرقيه من حسّاده أفممكنني من عينِه أرقيهِ
ليس المتيّمُ عاشقاً ملوناً ليس الهوى باللّبسِ والتّمويهِ
لا تجلبنّ إلى الهوى غير الصّفا غيرُ الصّفا نقصٌ لمن يصفيهِ

إيّاك تذكرُ سرَّ من أحببته — يوماً على التّشريك والتّشبيهِ
ما في الهوى شركٌ لمن عرف الهوى — ما فيه غيرُ الصّفو والتّنزيهِ
إنّى يكونُ حشاك دار مقدّسٍ — وسواء بالغه وينزل فيهِ
أفلا يجيبُ بسوف هو هل مرة — فيكون يوماً ليس مه عن ايهِ
سوّف فديتك كيف شئت ولا تقل — لا والهوى سوف اللّقا ترويهِ
عجبٌ فراقُك ادعيه وحيثُ ما — لا حيث أنت لي الوجودُ تليهِ
لا ترمِه باليأسِ منك وخلةٍ — ومديدِ وعدك أنه يكفيهِ
نظرت ضنا جسدي العواذلُ فاغتدت — تُبدي الشماتة من ضنا أيديهِ
أوما درتْ ذاك الجمال معذّبي — ذاك الجمالُ معذّبي أفديهِ
لا تدعُني لمعجّلٍ نحو الهدى — إنَّ الهوى مرذٍ لمن يقنيهِ
فلقد مللتُ وملّني داءُ النّوى — وتبرّأ العوّادُ مني فيهِ
حكمٌ جرت لم يدرها وفطنةٌ — فلبيبها في عجزه كسفيهِ
أبداً بقلبي سهمُ بينٍ غارزٍ — لم ينفه آس ولا يشفيهِ
البينُ معتقدُ الدوام وقوعه — والوصلُ حتى الوهمُ لا يأتيهِ
من لي بهاتيك اللّيالي ساعةً — فلعلَّ عودة ساعةٍ تُحييهِ
لو كنت تدري بالخفيّ من الهوى — ما لمت مُظهره ولا مُخفيهِ
آسٍ على ماضٍ وكيف يعودُه — ما لا يشاءُ معاده مُبديهِ
لم ألقَ ساعةً لذةٍ من قربه — إلا ونغّصها جُنوني فيهِ
البيضُ تلقاها ظلال كناسه — والأسدُ بعض حماتِه وحميهِ
والظبيُ تلقاه هناك بعينه — والليثُ واحدُ أمّه وأبيهِ
إنّي من المشتاقِ مبلغُ قصدِه — وأقلُّ ما عاينتُه يُرديهِ
حلوُ الدلال محجّبٌ لا يزدهي — عجباً ولم يخلط صبا في تيهِ
نأي كانف الظّبي من شبه الحنا — وتظنُّه من لطفه يأويهِ
عفٌّ الأزار بشوس أو ذاتِ اللّقى — خطراتُ ذي سفهٍ وفعلُ نبيهِ
عمشٌ بين النور عن مسحاتٍ من — أدنى سواطع نوره تعميهِ
يحكي البروق البعضُ من خطراته — وأظنُّها غلطت بما تحكيهِ
البرقُ أبعدُ عن وصال محجّبٍ — تخشى البروقُ تعيه أو تعنيهِ
وحديثُه حلُو الحديثِ لو أنه — يحكيه حاكيه لمن يبغيهِ
وحديثه السلسالُ فار فإنه — كرضابه مروي لمن يرويهِ

قد قلتُ ذاك وصحَّ لكن دونه خرطُ القتاد براحتي مجنيهِ
وكلامُه الشّافي الحياة وكيف لا فيه المُنى وكلامه من فيهِ
فافعل فديتُك ما تشابى وارضني رقّاً وصلْ حبلي ولا تُقصيهِ
لا تُدنني إن شئتَ ليس فليس لي لجمالٍ وجهك منه ما يدنيهِ
كلّي قصورٌ في هواك فليس لي أن ادّعي أمراً وليس بذيهِ
الفضلُ منك نعم ولكن علّه بالقاتليه شرطُ ما يُحييهِ
فمن المعيدُ لي التفضّل بالمُنى من قربه وعداً ولا تقصيهِ
هيهاتِ من ملكِ الملاحة قاصرٍ بذواته ومقصّر بذويهِ
مسكينُ شوقٍ صفرُ كفٌ يابسٌ كأسُ الحمولِ عرى عن التنويهِ
لو شئت تُرضيه بأدنى لفتةٍ أو شئت لا تحُييه لا تحييهِ
هو كيف شئتَ فموتُه أن ترضه يرضيه أولا فهو لا يُرضيهِ
العبدُ غيرُ مصرفٍ في نفسه والربُّ يأمره كما ينهيهِ
هل يستطيعُ يقولُ شوقاً سيّدي فلعلَّ شوقاً منه لا يُلهيهِ
متباينٌ في النعتِ كُنه جلاله ينأى به وجلاله يدنيهِ
لا تنتهي أبداً بدائعُ حُسنه ومحاسنُ الأوصافِ لا تُنهيهِ
قلتَ الهوى سنناً عرفت طريقه وزعمتَ تدريه ولا تدريهِ
تدري الهوى زعماً ودمعك جامدٌ فعلام تدريه ولا تذريهِ
لم يقض حقَّ الشوقِ من يقضي به لا باخلٌ بالدّمع أن يُجريه
لا ترجي يا سوداءُ حبُّك غيره حتى يكون مميتُه مُحييه
الحبُّ توحيدٌ ومحضُ جلالةٍ لا الاتخاذ بجاهلٍ وسفيهِ
سلْ قومه الفقهاء فيه فإنه لم يدر معنى الحكم غيرُ فقيه
أوما حللت أو اتخذت بظاهرٍ عن نقصِ إمكانٍ وعيب شنيهِ
كذبَ العواذلُ بالعواذل ما به فاهُوا إلا بُعداً لذي التّفويه
كنتُ الكتوم زعمتُ حتى أن بدا بعض الهوى أبديتُ ما أُخفيه
وأخو الهوى البادي فدعه لأنه من ضعفه يُبدي الذي يبديه
قد قلت قشريُّ الهوى بادي الهوى من أين قلت وأنت غيرُ فقيه
الفضلُ للبادي بأسرِ ضمانه والحسن في البادي هناك بديه
إن كان ما عنه بتنبيه الهوى في قلبه فعنتّ في عينيه
وحلاه لم يكُ ذاك شرطاً في الرّضا حتى يكونَ سواه لا يُهنيه

كلُّ الذي تُسديه قصد متيم — قصد المتيّمُ كلَّ ما تُسديه
كلُّ الغرامِ غرامُ قلبي مثلماً — كلُّ الجمالِ جمالُ من يُصبيه

ذكراك

وله: [البحر البسيط المجزوء]

ذِكراك في قلبي حياتي — ولم أبرخ به أحيى
لو أنّ الذكر ذو رسمٍ — لصيّرَ اسمهُ يخيى

خانه إدراكه

وله: [البحر الكامل]

سلها عساها أن تحنَّ لموثقٍ — في قيده لم يرجُ منه فكاكهُ
قد كان ذا فكرٍ قبيل بعادهم — فبدا البعادُ فخانَه إدراكهُ

ودّع حشاك

وله: [البحر الكامل]

أتظنّ تلقى بعد سرحة عامرٍ — مأوى به يأوي الجمالُ وينزلُ
ودّع حشاك فليس بعد ركابِهم — إن حمّلوا الأحشاء من متحمّلُ
أنت الشديدُ الحزمِ إنْ جدَّ النّوى — ووجدت صبراً عنده يتحمّلُ

وله:

نفسي أعز علي من كيدي — وسدتها ترب الثرى بيدي
روحي التي فديت روحي لها — ....(١)

أنت موسى

وله: [البحر الخفيف]

ليس يا واحد الوجودِ درى به أحدٌ غير أنّك مربوبُ
ليس من فعلك العجيبِ ولا — أنفُك من فعلك الأعاجيبُ

---

(١) هكذا في الأصل المطبوع.

أنت للكونِ علّةٌ ولمن فيه بروةٌ منه أيوبُ
أنت موسى وآدمُ والصّديقُ يوسفُ والكريمُ يعقوبُ
هُمْ ولولاك لم يخطّ لهم في جبين الوجود مكتوبُ
كل نحوٍ سلكته فيه لك طودُ الجلالِ منصوبُ
يشهدُ البرُّ والبحارُ به لك والسهلُ والشخانيبُ
صنّف الكتب في عُلاك فلم تحصِ ما تعرفُ الأعاريبُ
من لها أن تنالَ ذاك ومن عجبٍ والطريقُ ملحوبُ

مؤلف ومختلف

وله: [البحر المنسرح]

يا واحدَ الكون كلُّ عاليةٍ بنقصها عن عُلاك تعترفُ
ما في معانيك غير مبتكرٍ كلُّ معاليك روضةٌ أنفُ
فمنك كلُّ الرشاد مقتبسٌ وكلُّ فيضِ الوجودِ مغترفُ
لا خلفُ السابقين يدركُها وقاصرٌ عن مثارها السّلفُ
كلُّ جليلٍ لعزِّ عزّته أصبحَ لا ما قواماً ما ألفُ
سلطانُ حكمٍ عنا لهيبته مؤلّف في الورى ومختلفُ

حمرة وسواد

وله: [البحر الخفيف]

عجبٌ مهملاتُ دمعي نطقت في الثّرى بين حمرةٍ وسوادِ
فالتي الحمرُ هنَّ ماءُ دمائي والتي السّودُ هن ماءُ فُؤادي

ما أحسن الحب

وله: [البحر السريع]

الحبُّ ما أحسنه للفتى ولم يكن آخره القتلُ
كيف يُرجّى عاشقٌ عيشةً حيث ترامى الأعينُ النّجلُ

ليس للرشد أثر

وله: [البحر البسيط التام]

إنْ كان نهجكمُ غيّاً شقيتُ به فحبّذا الغيُّ عن عمدٍ لذي سفرِ
إن كان نهجكمُ غيّاً لسالكه فليس للرشدِ والرحمن من أثرِ
رضيتُ لي ربعكم في الناسِ متّخذاً إذا تفرّقتِ الآراءُ في البشرِ

قاصٍ ودانٍ

وله: [البحر الخفيف]

حيثُما أنت فرّطت شوقي فإن أيقنت فالشوقُ في حشاي يماني
أو حللت اللّوى بأكنافِ نجدٍ فغرَامي حيثُ اللّوى قد لواني
أو سلكتَ البحارَ فالبرُّ عندي شرُّ مأوىً من كلِّ قاصٍ وداني
وبي الظاعنين لا أتلاقي غير همّي تصرف الأضغانِ

لوم وغرام

[البحر المضارع]

يا لائمي عن غرامي ما تبتغي بملامي طبيعةٌ لم يدعْها
بالظّاعنين هُيامي أوشك لو وقفَ الركبُ حيناً يبلُّ أوامي
يا بارقَ الجوِّ بلّغْ أهلَ الغريِّ سلامي وقلْ تركتُ معنىً
أعيى ضناً عن كلامي ألفاظه زفراتٍ تركّبتْ من سقامي

نار ولجه

وله أيضاً: [البحر الوافر المجزوء]

بنفسي البارعُ الحسنُ المقيمُ لصبوتي الحجّهْ ثوى قلبي ولكن قدْ
أثار الهوى عجّهْ رماه بسهمِ ناظرِه فأشجاهُ كما شجّهْ
ضرورةُ حسنه أغنتْ عن البرهانِ والحجّهْ كذا للمدّعي دعوى
لها وجهٌ وما وجهُ يفيه الشهدة البيضا وليت مججتُها مجّهْ
جفونٌ للحمى ترنو وكم لي عنده مهجهْ فهذي حرّها نارٌ
وتلك بسيلها لُجّهْ

شمس وقمر

وله أيضاً : [البحر الكامل]

نظري بوجهِ معذّبي بدلاله لا ما سواه براعةُ استهلالِه
قمرٌ ولكنْ فوق طرّةِ فرقه شمسٌ تقومُ له مقامِ هلاله
أفتَى بسفكِ دمي بغيرِ جنايةٍ وأظنُّ ما أفتاه غيرَ حلالِه
في عينِه لحظُ المريبِ ونفسُه عفٌّ يكادُ يسيلُ من أذياله
أبداً غرامي لا يزالُ معلّقاً في وردِ وجنته وعنبرِ خالِهِ
قبّلتُ وجنته وقبّلَ وجنتي في البينِ يوم زيالنا وزياله
ما كنت أرغب أن يقدر وصلنا قاضي النوى في اليوم من ترحاله
ألقى بعيني عينه وبعينه عيني وسيرُ الدمعِ في إرساله
فشربتُ ماء دموعه من خدّه وشممت عنبر نشره من خاله

أروح وأغدو بأحزاني

وله : [البحر الطويل]

فيا مُهجتي بل مهجتي وتعلّتي لذا غُلّتي أن صدّ في عزمتي صدُّ
فإن غبتَ من عيني فأنتِ لدى الحَشا مقيمٌ وإن قالوا تضمّنه اللحدُ
رددتُ المنايا عنك لو ملكتْ يدي ولكنَّ حكمَ الله ليس له ردُّ
فحسبُ الرّزايا بعد فقدك أنني أروحُ بأحزاني مليّاً كما اغدو

يا محيي الموتى

وله : [البحر الكامل]

شوقي إلى مسحاتِ شوقك قاتلي يا مُحيي الموتى برؤيةِ وجهه
متنزّهُ الأفكارِ روضُ جماله لكنّه آبٍ على المستنزهِ
أنّى يحلُّ الفكرُ قدس منزّهٍ عن كلِّ فكرٍ عنه غيرُ منزّهِ

صدق الودّ

وله : [البحر الوافر]

وكيف يُقالُ زاعمُ صدقِ ودّهْ وما عرفتْ له سهدُ اللّيالي

ولا شهدَ النجومَ له بطرفٍ قد انعقدت بحاجبه الأعالي
ولا روّى التراكَ له حنينٌ غزيرُ الدمعِ منهلّ العزالي
ولا علمَ الهجيرُ له صياماً يقيّده عن الحكمِ الحلالِ
ولا ألفتْ ذُكا منه وقوفاً كما الحرباءُ في وقتِ الزّوالِ
ولا أنسَ الوحوشُ به طويلاً لما شاهدت فيه من اعتزالي
ولا أكل الثّرى منه خدوداً من التعفيرِ في ذلّ السّؤالِ
ولا قطعَ الظلام بصوتِ غانٍ يُقاسي القدّ في ألمِ النّكالِ

وصل وصدّ

وله: [البحر الوافر]

كفى بي أنّني بهواك مُغرى أصمُّ السمعِ في اللاّحي الحسودِ
ولو نطق الحشا لم تلق فيه رواية غيرِ وصلِك والصدودِ
فوصلُك دونه جناتُ عدنٍ وصدّك دونه نارُ الخلودِ
وكيف وكلُّ حسنٍ فيك ثاوٍ سما بالذاتِ عن حسنِ القدودِ

يا صاحب الوجناء

وله: [البحر الرجز المجزوء]

يا صاحبَ الوجناءِ دعها ترتقي نور الحمى كي تستعيد بها الشّذى
وانشق تراب الحيِّ شوق أهليه نفسي ولا منٌّ لأهليه فدا
هل منحةٌ هل لفحةٌ هل لمحةٌ تجبى ولو بالنوم من طيب الكرى
ماذا على أهل الحمى لو حمّلوا ذاك الشّذى من نحوهم ريح الصّبا
ما ضرّ لو بالرّوح أحيوا ميّتاً في حبّهم يا سعدُ من أفتى بذا
دعهمْ فدتهم مهجتي لا يغضبوا فالروحُ لا شيء ترى فوق الرّضا

حزن وحداد

وله: [البحر الكامل]

أهلال شهرِ العشر ما لك كاسفاً حتّى كأنّك قد لبست حِدادا
أفهلْ علمت بأنَّ سبط محمدٍ فلبست من حزنٍ عليه سوادا

فأنا الغريبُ ببلدةٍ قد حوّلتْ ... أيام حزنِ المصطفى أعيادا
فهم نحو متيّم فيهم يرى ... ترك الملامة فيهم اسعادا
فليبلغِ الأعداءُ عني حالةً ... ترضي العداة وتشمت الحسّادا
ألمَّ شملَ الصبر بعد عصابةٍ ... راحوا فرحن المكرماتُ بدادا
أبكى مصابهمُ العفاة وبعضها ... الأطيار في الفلوات والآسادا
لم تلتقِ العبراتُ من أجفانها ... شحاً ولو كنّ البحور مدادا
قومُ هم الثمر الجنيُّ لدوحةٍ ... . (١)
سبقوا الأنام فضائلاً وفواضلاً ... ومآثراً ومفاخراً وسدادا
ومراتِباً ومناقِباً ومساعِياً ... ومعالياً وجلادةً وجلادا
لا يبلغ الشّاوون غاية مجدهم ... والكلُّ معروف السّباق جوادا
تُمسي طرائدهم أسود كتيبةٍ ... وترى استباقهم المجدّ طرادا
بيضٌ كفتك أصولهم ووجوههم ... أن تستزيد هدايةً ورشادا
شرعُوا بصاقيةِ الفخار وغيرهم ... أمسى يحاولُ عنده ميرادا
في الناسِ أكثر في المعالي عدةً ... وتراهمُ فيهم أقلّ عِدادا
من كلِّ وتر أن يسلَّ حسامه ... راحت جموعُ عداته آحادا
وأخي ندى إن سال فيضُ بنانه ... غمر الزمان مفاوزاً ونجادا
رجبٌ إذا شعبانُ بالغ في النّدى ... وهو الربيعُ إذا الشهور جمادا
لم يطو حسنهمُ المدى إلاّ وقد ... نشرت حسان فعالهم ابرادا
لم يعقل الخطبُ الملمُّ بصرفه ... فيهم لكفّ عن الأنام وحادا
ويدٌ أصابت مثلهم في دهرها ... عجباً لها أن تعلق الأوغادا
أوما همُ في الكلِّ غايةُ كلّه ... حتّى تزيد النائبات مزادا
وبمهجتي الرشدُ الذي للقائه ... حشد الضّلال وجنّد الأجنادا
يتكشّبُ الغمرات حتّى خلته ... يلقى بها غبر الوشاح فؤادا
يلقى القنا ثلج الفؤاد وحاله ... آذى القلوب وفتّت الأكبادا

وفيت بعهدي

وله: [البحر الوافر]

ألم تعلمْ أميمةُ إذ رحلنا ... بأنّي قد وفيت لها بعهدي
فقلبي حلف أشجانٍ ووقدٍ ... وطرفي حلف تسكابٍ وسهد

---

(١) هكذا في الأصل المطبوع.

وإنّـي لا أزال كـذاك حـتّـى ... تكفَّ بكفِّها الجاري وخدّي

سؤال

وله: [البحر السريع]

عـن قـلـبـه تـسـألُ أضـلاعُـه ... تـنـبـيـك أن لـيـس لـهـا قـلـبُ
وأيـن مـن أضـلاعِـه قـلـبُـه ... وقـد سـرى بـالـرفـقـة الـرّكـبُ

وحيدة حسن

وله: [البحر الطويل]

وحيدةُ حسن تُخجلُ البدر زاهراً ... مهفهفةٌ يعنو لها الغصنُ ناظرا
حوتْ ما حواه الظبي جيداً وناظراً ... فلو أنها ذادتْ من العصم نافِرا
للبّى لها من فوق مقلتِه رجاً ... شجى مُهجتي داعي الهوى عظم الشّجا
شجى مالياً قطر الحشاشةِ والرّجا ... فهل لسلوّي للعواذلِ من رجا

الحجى

وله:

تعلّقها من حيث لم يبلغ الحجى ... مداه ولمّا يدن بالحلم الحلمُ

تذكّر

وله: [البحر الطويل]

وكنتُ وليلى حيثُ لم تفقد المُنى ... بجامع شمل بالمسرّة والهنا
غفُولين لم نعرف شفاءً ولا عناً ... صغيرين نرعى البهم يا ليتَ أنّنا
إلى الآنِ لـم نكبر ولـم تكبر البـهـمُ

بيان مراده

وله: [البحر الكامل]

لـعبَ الزّفـيـرُ بصدره فأصاده ... عيـاً يـلـجلـجُ عن بيـانِ مرادهِ
لو كنت تسألُ حاله عن قلبه ... لعلمت ظلمك في اختيارِ بعادِه

أنت عذولي

وله: [البحر الوافر]

رجوتُك أن تفرّج بعض ما بي من الألم الشّديد من الفراقِ
فصرت لمهجتي أقصى عذولاً تجرّعني به مرَّ المذاقِ

أصل البلية

وله: [البحر الكامل]

من أجلِ وجهك لا تزالُ تقيني خوف العواذلِ استعيرُ له القمرْ
وأعنّفُ الليل البهيم وإنّما أصلُ البليّة في ضلالتي الشّعرْ

فرد العلى

وله: [البحر المتقارب]

كفَى بك إنّك فردُ العلى وإنك منك العلى تستعارُ
ولستُ بأعجب من محنةٍ سوى معشرٍ منك غاروا فغارُوا
وكيف تسترُ شمس الضُّحى ومن بعض آثارها ذا النهارُ

أنا سائل

وله: [البحر الكامل]

يا منْ إذا نزل العديمُ جنابه أولاه منهلَ النّوال تفضُّلا
أنا سائلُ الباب الذي بسؤاله لم تفت تكرعُ منه عذباً سلسلا
أتراه يغلقُ دون قصدي بابه وسواي لم يره زماناً مقفلا

موئلي ومؤملي

وله: [البحر الرجز المشطور]

يا ربّ إنّي مذنبٌ وبباب عفوك ملتجي
حاشاك تطردُ سائلاً أو أن تخيّب ملتجي
متضرّعاً يدعوك يا مولاه عن قلبٍ شجي
يا موئلي ومؤمّلي ضاقَ الخناقُ ففرِّجِ

توسّل

ومما قاله بحضرة النبي ﷺ : [البحر الوافر]

محمدُ سيّدُ الثّقلين طرّاً　　عليه سلامُ ربّك والصلاةُ
أقولُ ولا اعتراض به ولكن　　بقلبي ما يحقّ له الشّكاةُ
بنُوك مشتّتون بكلّ قطرٍ　　وحوليك الأباعدُ والعداةُ

كل طيب مستطاب

وله : [البحر المضارع]

صهباءُ صفراءُ في الأقداحِ كالتبر المذابْ　　هي للأرواحِ راح وسمت باسم الشرابْ
نزّهتْ عن دنسِ اللبسِ ورجسِ الارتيابْ　　كلُّ طيبٍ كل طيبٍ طاب منها واستطابْ
يستفيدُ العقل عقلاً من شذاها الملكي　　مثلها لم تلفه تحت عمود الفلكِ
حرّمتْ قسراً على غير ذكيٍّ وزكي　　فإذا أفقد شخصاً أحد الوصفين خابْ
علقت روحي بها من قبل أن تخلق روح　　والبكا من هجرها من بعده طوفانُ نوحْ
إن بدت متُّ وإن أعرضت قمت أنوح　　فلقاها وجفاها لي موتٌ وانتحابْ
لا تلمْ عجزي عنها أن تكنْ حقاً قضيتْ　　رامها موسى العلي مع عزمه فانصاب ميتْ
من أماني حسنها العالي وأن فيها قضيتْ　　كم حجابٍ دون ليلى ما له للوصل بابْ
ينظرُ المسكينُ أنواراً وضوءاً لا يغيبْ　　فيرى أنّ طريق الوصلِ للحيِّ قريبْ
ما درى أن ليس للناظر في ليلى نصيبْ　　كم حجابٍ يخشى الناظرُ وحجابْ
فأنا مسكينُ من عليائها فهو المحالْ　　وأرض بالظّاهر منها علّ تسقيك الزّلالْ
أين من أعجزتِ العقل وأزرت بالخيالْ　　من سفيهٍ اتخذ الوهم أخاً والجهل ذابْ
فارض بالظّاهر منها أن تكن ترضى الحياةْ　　وتوقّى طلب الكنه فهنّاك المماتْ
كم سفيهٍ خاض ذا النمط عن جهلٍ فماتْ　　ميتةً ليس وراها أبد الدهر انتصابْ
دونك الشرعُ المسمّى للنبيّ العربي　　فالثّنا ذاك وأما غيره فهو الوبي
لا تكن ابن أبٍ حتى تكوننّ أبْ　　تهجرُ العار وتنأى رفعةً عن كل عابْ
كلُّ نفسٍ هي تأتي ربُّها تفعل فيهِ　　وعلى قولهم يبدلُ حتى للكلابْ
ثم مع ذا يجبُ المرءُ شدّان يدعى الإلهْ　　وهو تحت العلجِ لا يبرحُ يوليه ستاهْ
فجزاهمْ عن أبي حفصٍ من الخير جزاهْ　　إذ صار والربّ منكوحاً لشيبٍ وشبابْ
عجبَ العالمُ إن كان ملاطاً وإمامْ　　وأصاروا القوم للربّ من الخلف لجامْ
نزهةُ الراكب لا يمنع يوماً عن مرامْ　　يا لدين الله هل من ضاربٍ هذي الرقابْ

في لواطٍ وزناءٍ وغناءٍ وخمورْ … راكِباً في صهوةِ الأمردِ كالريمِ النفورْ
.... (١) … راقِصاً في مجلسٍ بين شرابٍ وكبابْ
ثم قالوا إنّ ذا فيه صلاحُ العلمي … ماذا بحلقٍ من يفعله من خجلٍ
سلهمُ أحزانهم اللهُ أذى للرجلِ … أم لكلِّ الخلق من أنثى وخنثى ما الجوابْ
بعلها فاستكثرت ذاك من القلب الفحولْ … وابنها من أين قد حضّ له هذي الحصولْ
.... (٢) … وله ألفُ شريكٍ كيف صحّ الانتسابْ

عيشي لم يطب

وله أيضاً رحمه الله: [البحر الرجز المجزوء]

سل ساكني الجوزاء ماذا قد قضوا … من بعدهم للهائمِ الحرّانِ
أبقوه ملقىً بين أخطارِ النّوى … بادي الضّنا حلف الصّبابةِ عاني
يا أهل طيبة إنّ عيشي لم يطب … من بعدكم يوماً ولا يهناني
وبكم يميناً أن قلبي لم يمل … منذُ النّوى يوماً إلى السّلوان
بأبي وأمي ريحكم لو أنّه … شقّ الفلاة وبالنسيم حباني
لو كنتُ طفلا نلت فيه لطفكم … لكنّ ذنبي عنكم أقصاني
أنا نياك الطّيف مثلي قاصرٌ … قضت الذنوب عليه بالحرمانِ
نعمُ الذي لي أن يحزنوا لكمُ … مقري النزيل ومكرمُ الضّيفانِ
عبدٌ أخو ودٌ نزيلٌ سائلٌ … متعرّضٌ للبرّ والإحسانِ
وتكثّر الأسباب داعيةٌ إلى … عطفِ الكريم على المسيءِ الجاني

يوم حياتي

وله: [البحر المضارع]

يومٌ تراك جُفوني … فذاك يومُ حياتي
ويومَ تعرضُ عنّي … فذاك يومُ مماتي
ومن عجيبِ أموري … وقد جللتُ جهاتي
أن تنأ طرفةَ عينٍ … ملءَ الزمانِ شكاتي
علامَ هاشمُ هذا … تطوفُ بالحجراتِ

---

(١) هكذا في الأصل المطبوع.

(٢) هكذا في الأصل المطبوع.

لم تحظَ يوماً بوصلٍ ولم تفز بعداتي
أنى ينالك هواك الأسير للشهواتِ
جمُّ الخطايا كثيرُ العثار والهفواتِ
مسكينُ هاشم هلّا انفردتَ بالخلواتِ
فرحتَ عمّا سواهم مجرّدَ الأدواتِ
ما تعلمُ الحبّ يا شيخ مانع الشركاتِ
تحبُّ وتحسد وإلّا فخلٌّ ذا الدعواتِ
كم تاه قبلك قومٌ في هذه الفلواتِ
فهمْ سكارى غرامٍ ماضٍ وآخر آتِ
يا شيخَ شيخي هل لفتةٌ من اللفتات
كرم شدم توك باشي أصبتُ نهجَ نجاتي

سل الشموس

وله أيضاً: [البحر الكامل المجزوء]

وسلِ الشموسَ مع البدور عن ذلك القلب العليلِ
ماذا قضوْا في أمرهِ يوم جدّوا للرّحيلِ

أبا الفضل

وله أيضاً: [البحر الطويل]

ميامينُ إن نودُوا لدفعِ ملمّةٍ أتوا فأزالُوا الضرَّ طرّاً مع البَلوى
لكمْ يا بني خيرِ الورى لا لغيركم على كلِّ حالٍ منّي البثُّ والشّكوى
وإن كنتُ في طهران والقربُ شاسعٌ فعلميَ لا يخفى كم السرّ والنّجوى
أبا الفضلِ يا عباسُ كم لك من يدٍ عليَّ وهذي بعضُها فادفعِ البلوى
وفي مرةٍ أعطيت عمري عشرةً سنيناً فزادتْ مثلُها كرماً يُروى
عليكم سلامُ اللهِ يا خير خلقِه متى أمَّ حادٍ نحوكم يكثرُ العدْوى

الواحد الندب

[البحر الوافر]

وله:

سألتُك بالّذي أولاك فضلاً فقصّر عنه فضلُ الفاضِلينا

ألستَ الواحد النّدبُ المرجّى إذا انقطعت صلاةُ الواحدينا
ألستمْ خير منتعلٍ وحافٍ ومن كرّ المطايا والسّنينا

يابن الوصي

وله: [البحر الطويل]

أبا الفضلِ يا غوثَ المساكين كلِّهم وإنّي مسكينٌ وأنت أبو الفضلِ
ألمْ ترني في بطنِ طهران مفرداً ونجلي لا قومي لديَّ ولا أهلي
وخذْ بيدي يا بن الوصيّ وخذ ندىً على ضعف حالي أنني مثقلُ الحملِ
وكم لك عندي من يدٍ طالَ طولها وقصّرَ عنها الشكرُ في القول والفعلِ

الحق مثل الشمس

وله: [البحر البسيط التام]

إنّي أقولُ وقد حفَّ الركاب بنا والعيسُ تعتقبُ التقريب والرّملا
يا صاحبيّ بأرض الريّ حسبكما وحيثُ وجهّتما بلّغتما الأمَلا
قولا لناصرِ دينِ المسلمين علي لا زلت بالفتحِ والإقبالِ متّصِلا
نصرتَ مذهب آلِ اللهِ مجتهداً بالسيفِ لا ناكلاً عنه ولا وكِلا
حتى غدا الحقُّ مثل الشمس متّضحاً لطالبٍ وجمعت العلم والعِملا
إنّي تركتُ فراخاً بين أجنحتي يُطالعون ورائي السّهل والجِبلا
فذاك موجبُ بعدي عن جلالكم وليس يبعدُ من في القلبِ قد نزِلا
ودام رفدُك للعارفين مبتذلاً ودام مجدُك لا تلقاهُ مبتذلا

سلام مدنف

وله: [البحر الرجز المشطور]

يا طيرَ ذي أجنحةٍ بها يُعانون الهوى
هل تريَنَّ بلدةً فيها القرينُ قد ثوى
سلمت فأقراه سلامَ مدنفٍ خلف الهوى
وأخبره عن تفاطر الأجفان من بعدِ النّوى
ومهجةٍ حرّانةٍ لها البعادُ قد كوى
وحرّ قلبٍ ما لهُ إلاّ من الحيِّ روى

لـو كـان يـطـوي أجـوفٌ   عـن الـطـعـام لانـطـوى
كـل الـزّمـانِ فـي الـنّـوى   لـديـه لـيـلٌ لا سِـوى
حـمـلـتـمـوه بـيـنـكـم   قـصـداً عـلـى ضـعـفِ القِـوى
مـع عـلـمـكـم بـعـجـزه   عـن حـمـل أثـقـالِ الـهـوى
مـا كـان مـن أنـصـافِـكـم   حـمـلُ الـهـوى مـع الـنّـوى
هـل عـطـفُـه مـنـكـم   لـصـبٌ لـسـواكـم مـا أوى

وله:

ويحي من الشوق قد براني   صرت حديثاً لمن يراني
أفحل جسمي أم امح رسمي   أزاد سقمي وما شفاني

يا عاذلي

وله: [البحر الكامل]

إعتادَ يعذلني ولا يدري بي   ويح المعنّى من خليّ القلبِ
بـادٍ يـلـومُ ومـا درى بـفـؤادٍ   في الظّاعنين يطوفُ حول الرّكب
يا سعدُ تعذلُ ليس قلبي عندي   قد سار عني يوم ساروا صحبي
هل يعقلُ اللوم صبٌّ أضحى   معقولُه تبعاً لرأي السِّربِ
ابد النوافل غاطياتٍ جيدها   متلفتاتٍ بالكحيلِ الضّبي

وله:

مسكين فؤاد عقلي صبا   قد علق بالحمي هواه الباري
قد أفقدته الشموس ما يعلقه   أو أطبق لم يكن بذي أدوار
في كل خبا شمس جمال بلغت   أو بدر ملاحة بدى من داري
فانصاع بدور حيرة لا يدري   نهج الساري لكثرة الأنوار

حلو الكلام

وله: [البحر الكامل المجزوء]

حـلـوُ الـكـلامِ وكـيـف لا   وبـنـيـه مـشـتـارُ الـشّـهـادِ
لـو كـان حـظّـي كـان مـن   شـفـتـيـه مـشْـروبـي وزادي
لا أتّـقـي فـي حـبّـه أحـداً سـوى ربِّ الـعـبـادِ

الشوقُ اقتل من شِبا المهنّدة الحدادِ
أزمانُ لو عانيتُ والْ هيجاءُ وارِيةُ الزنادِ
لرأيتُ دون العامريّة شكّتي تعلُو نجادي
ورأيتُ منغمساً بطمطامِ الكتائبِ غيرَ بادي
فلقد درتْ قومي إذا التفّتْ أنابيبُ الصعادِ
إنّي المُنادى باسمِه والخيلُ مشرقةُ الهوادِ
طورُ الكتيبةِ لا تغلُّ يدي ولا ينزُو فُؤادي
والدها حيثُ الخصام يفوحُ من جهةِ العنادِ
وخطيبها الدّربُ المفجّرُ قوله صمُّ الصّلادِ

طلب المعالي

وله : [البحر الوافر]

ولولا اللهُ في طلبِ المعالي تركتُ يخوضُ سابقي الدماءَ
فلا طفلاً ترى إلا يتيماً ولا داراً ترى إلا خلاء
بحيثُ ترى رجال القوم خوفاً تردّد أن تكون هي النساءَ

جسد مضنى

وله : [البحر المحدث]

يا قلبُ كأنّك ما تدري أهلُوك نأوْا منذُ الفجرِ
باتُوا سحراً وبقيت لهمْ تبكي ندماً بدم يجري
يا ليتَك ما تدري تدري ماذا ألقاهُ من الهجرِ
أضنى جسَدي أفنى جلَدي أوهى صبري أبلى عمُري
لي فيك وإن نهجُوا كلفٌ هو في قبري وإلى حشري

لن أطيق الهجر

وله : [البحر الرمل المجزوء]

أشقيقاً كان ما تُبدي لعينيّ أم عقيقا
ورحيقاً كنت تسقيه فُؤادي أم حريقا
لن أطيق الهجر يا بن المجدِ فاعطف لن أطيقا

حسبُ طرفي وحُشاشاتي حريقاً وغريقا
وفؤاداً لازم الرّكب ولا يرجُو اللّحوقا
أبداً من عرضه السيرُ دميلاً وعنيقا
مستبدّاً في طريق الحيّ لا يلقى رفيقا
لا ترى إلا زفيراً لو تراه وشهيقا
اعطِ قلبي وحشاشاتي حريقاً وغريقا
فعسى قلبي بتعذيبك يوماً أن يفيقا
راح في عربدة السّكرِ صبوحاً وغبوقا

وله في مدح الزهراء عليها السلام : [البحر الوافر]

أحبُّ لأجلها من ينتميها ومن يُعزى إليها في البلادِ
وأهوى كلَّ منتسبٍ إليها وإنْ كان البغيضَ من الأعادي
وأبغضُ في هواها كلَّ قوم وإنْ أصفوا بزعمهمُ ودادي
فتلك وبعلُها وكذا بنُوها فوالدها المكرمُ خيرُ هادِ
علقتُ بحبّهم ديني وقلبي فهمْ قُوتي وهم رنقي وزادي

عتاب

وله : [البحر الوافر]

أمالك ما تُبالي ما بقلبي غداة جفاك من ألمٍ ووجْد
ولا تدري الذي أجراه جفني من الدمعِ المرقرق فوقَ خدّي
تزيدُ تباعُداً وأزيدُ وداً متى كانَ البعادُ جزاء ودّي

في القلب نار وحريق

وله : [البحر الطويل]

خليليّ هل بعد الحِمى من تعلّةٍ لذي علّةٍ أدنى عوارضِها القتلُ
تولّوا ودمعُ العين في الخدّ دائبٌ أبى سكبةً عن أن يصدّ به العذلُ
وفي القلب نارٌ من حريقٍ صبابةٍ أبت تنطفي أو أن يقارنها الوصلُ
مضى ركبُهم والعينُ تُبصرُ سيرهم فلمّا خفاها خفّ في سيرِه العقلُ
فإنْ تر في الركبِ الملحّ ظوالعاً فتلك عقولٌ بينهم ما لها أهلُ

وما كنتُ أرضى أن بين أحبّتي ... وبيني تخطُّ الكتبُ أو تبعدُ الرسلُ
فكيفَ وقد غطّت وجوهُ مدامعي ... نوّ قذفٍ وانسدّ من دونِها السبلُ

هو الخليفة بعد موتي

وله: [البحر الوافر]

حلفتُ بأمثالِ المواضي ... تشذمرُ عن رجالٍ كالأسودِ
تغنّي بعارتيها كلّ صبحٍ ... على أهلِ الشقاقِ والجحودِ
بانّ محمّداً لم يقض حتّى ... أقام خليفة الربِّ المجيدِ
وميزّه بيوم الدّوحِ جهراً ... على رغمِ المُعادي والحسودِ
وقال هو الخليفة بعد موتي ... ومولى الكلّ من بيضٍ وسودِ
فإن تابعتم فزتم وإلاّ ... كفرتم كفر عادٍ أو ثمودِ

وله:

سعد عرج ضحى بواد ... لحبيب الفؤاد نادى
وقف العيس ساعة ... أنه غاية المراد
عل تروي قلب الصبا ... كل صابي الفؤاد صابي
كل نار حتى لظى ... دون نار الهوى اتقاد
عاد عرج على الحمى ... كل من حاد عنه حادي
ثم أن تلق مدنفاً ... ما له عن ضنا فادي
فهو قلبي اتبعته ... الظن في ساعة البعاد

أشقاهنّ قلبي

وله: [البحر الرمل]

وقلوبٍ في الحمى قد سقيتْ ... جمّةً لكنّ أشقاهنّ قلبي
أبداً تعرفه من بينها ... بالغشي الدائم عن ضعفٍ وكربِ
قلقٌ أزعجه عن داره ... عجلٌ سارٍ بأقمارٍ وركبِ
صاحِ حادي العيس بالحسن السُّرى ... وهو قبل الحسن يسعى أو يلبّي

الشمل جامع

وله: [البحر الطويل]

ذكرتُ الصِّبا والدار والشملُ جامعٌ وغصنُ اللّقا غضٌّ وطرفُ النّوى مغضي
فما ذاقَ تذكاري سوى طبقٍ راحةٍ على المثلِ أو إدماءَ كفّي من عضّي

تنكر الدهر

وله: [البحر الطويل]

زمانٌ قبضنا البسط فيه وأهله فمن حارقٍ مرضاً ومن حدقٍ مُرضي
ومن صاحبٍ أن أبرم الدهرُ كيده عناداً غدت كفّاه تسرعُ بالنقضِ
وفيٌّ إذا ما فوّقَ الخطبُ رامياً تعرّض دوني لاقياً كلَّ منقضّ
فطلّقَ قلبي كلَّ قصدٍ سواهمُ كما طلّقت عيني بهم سنة الغمضِ
فللدّمعِ همٌّ يتبعُ السيرَ والسُّرى وللقلب عزمٌ يلحق العدو بالرّكضِ
ولولا النّوى لم يكسُ ذي الدهرِ لمّتي زمانُ اسوداد الفود حلّة مبيضّ
وكم لي من دينٍ وجسمي من الذي عليه بأن ينوي وفاي ولا يقضي
ومن لا يؤدّي عاجل الفرض قادراً فاقربُ شيءٍ منعه أجلُ القرضِ
تنكّر لي دهري غداة أصابني وحيداً وأفشى غيرُه معتذراً بغضي
فأما تراه مفرق السهمِ في فمي وأما تراه معرق النّاب في لحظي
فلا أهلُ ودّي نصب عيني ولا الذي أود نواه مبعد الشخصِ عن أرضي
أبى الدهرُ إلا أن يرى كلَّ ماجدٍ يعالجن داء الضيم في الطول والعرضِ
وما النقصُ جارٍ حالة السرِّ بالفتى إذا كان فيه سالمُ الدين والعرضِ
ألم تر منصوب الهُدى ومقامه هو الرفعُ قطعاً كيف صار إلى الخفض
فمن بعده فليقض ما شاء أنه هو المقتدي في الكلِّ لا البعض والبعضِ
رضيناه متبوعاً على كلِّ حالةٍ أخو الخلق المرضيّ والكرم المحضِ
فقل لكريمٍ يعتبُ الجهرُ بعده حنانيك فارجعْ عن جُماحك أو فامض
إذ الدهرُ أمسى مسخطاً سيّد الورى فأيَّ الورى من بعد سيدهم يُرضي

وله في علي عليه السلام: [البحر الطويل]

ألمْ يعلم الجاني على الليث أنه أتى الليث وهو في محرابه ساجدُ
ولو جاءه من حيث ما الليثُ مبصرٌ لخانته عن حمل الحسامِ السواعدُ

لقد فللتْ سيف الحسام مهنّداً   نقلٌ بماضي شفرتيه الشّدائدُ

تنصيب وتبليغ

وله :   [البحر الوافر]

حلفتُ بساطحٍ سبعاً طباقاً   ورافعِ مثلهنّ بلا عمادِ
بأنّ محمداً ما مات حتّى   أقام لديه بالنصّ هادي
وعرفهم به نسباً ولفتاً   وأعلم حاضراً منهم وبادِ
وجلّى الشكّ حتى ليس تلقى   أخا نكرٍ وليس بذي عنادِ
وجلّى الشكَّ حتى ليس شكٌّ   فنور الحقّ بادٍ أيَّ بادِ
فما من منكرٍ إلاّ جحوداً   معادي عالماً بالحقّ عادي
وكيف وبعده لا شرع يرجى   وغايةُ شرعه حتّى المعادِ
وليس يصحُّ في الكليف أمرٌ   يقصّرُ عنه مقدور العبادِ
ويقبحُ أن يكلّفنا بشيءٍ   يكونُ طريقه ذات السّدادِ
وشاءَ يكونُ تكليفٌ بسمعٍ   قضية حكم قاضٍ غير عادي
وكان العلمُ بالمسموع حتماً   لتحصيل الوصولِ إلى المُرادِ
وليس الناسُ كلُّهم ثقاتٌ   ولا عصم الجميع من الفسادِ
فلم يكُ قاطعاً للعذر إلاّ   لسان مطهّرٍ حلف السّدادِ
يؤدي ما تحمّل للبرايا   بغير نقيصةٍ وبلا ازديادِ
وهذا ليس يعرفُ في البرايا   بغير النصّ من ربِّ العبادِ

عودي الى الحلم

وله :   [البحر السريع]

لمّا زوتْ زينتها زينبٌ   عنّي وفارتْ عن دياري فوازْ
واستسلمتْ للبينِ سلْماً وقد   راحتْ رواح مولعٍ بالنّفازْ
وجرّد الشيب لقتل الصّبا   سيفاً صقيل المتنِ ماضي الغرازْ
فقلت للنفس ألم ترعوي   نهاً فقد نادى منادي البوازْ
عوداً إلى الحلمِ وعاديه   فإنّ عقبى الجهلِ نارٌ وعازْ

أشرف الخافقين

وله: [البحر المتقارب]

بنُو أحمدٍ أشرفُ الخافقين   برغم الأنوف أنوف الضّلالِ
ولا بدَّ يوماً ترى منهمُ   على الخصم حالاً بسر الموالي
فهم سادتي وبهم عصمتي   إذا ارتبك النطق عند السّؤالِ

وله في رثاء علي عليه السلام: [البحر الطويل]

فديتُ قتيلاً من حسام ابن ملجم   بنفسي وما أهوى وما ملكت يدي
عليّاً أمير المؤمنين وخير من   أشارت إليه في العُلى كفُ سؤددِ
أخصّ النصّ والسبق القديم إلى الهدى   وهادي الورى بعد النذير المؤيّد
فشلّت يدُ الجاني عليه أما درت   غداة أصابت قلب كلِّ موحّد
أضاعت عنا العافي وكنز الهدى الباقي   وطود العلى الرّاسي وكفّ الندي النّدي
فتىً سيد الإسلام في كلِّ موقفٍ   وشدُّ عرى الإيمان في كلِّ مشهدِ
فتىً حل من صيصيّ فهر بن غالبٍ   علا محتداً يربو على كلِّ محتدِ
فتىً كالحيا في السلم والحتفِ في الوغى   وكيوان في الهيجاء والبدر في النّوى

غيث النوال

وله: [البحر المتقارب]

فيا زائراً قبر غيث النّوال   وليث الكتيبة يوم الضّرابِ
وسرُّ الإله ومأمونه   وراعي الأيابِ وفصل الخطابِ
فقف تقف حيثُ العلى شارعٌ   وبحرُ المكارمِ طامي العبابِ
وأنوارُ قدس سما الحيدري   مجلّلةٌ ببيدائها والرّوابي
تكادُ البصائرُ من لمعه   تقيمُ على باذرات الرّوابي
وركبُ العقول ببيدائها   حيارى أظلّت طريق الإيابِ

أهل المعالي

وله: [البحر الرجز المشطور]

أهلُ المعالي حيثُ كانوا   والصّراط المستقيمْ
وبنو النبيّ وآلُه   وهنالك الشّرفُ القديم

والبدرُ والدهم وأمُّهم ذكاً وهمُ النجومْ

منيتي رؤيتك

وله : [البحر المتقارب]

أرى سقماً مانعاً من لقاكْ وحسبى بذا الدار أنّي أراكْ
فيا حسرتي ين تكن عن قلىً ويا فرحتي إن يكن عن رضاكْ
وتحقيقُ ظنّي بذاك الكمال أردت اختباري به في هواكْ
فيا حبّذا الصفّ أن ترضهُ ولا حبّذا العيشُ من دونِ ذاكْ
فهبْ مقلتي سيّدي أن تراكْ على عظم جهلي بقولي أراكْ
فإن لم أكن أنا أهلاً له ففضلك مولاي أهلٌ لِذاكْ
وإن قصّر الحظُّ عن نيله فروحي على كلِّ حالٍ فداكْ

وله ساقط : [البحر الرجز المجزوء]

قبّلْ ثرى أعتابه عنّي وقل هذي النّيابةُ عن متيّمِك الشّجي
واعرض له حال الغرام وما علا تلك العظام من السقامِ المزعجي

مضمون الإخاء

وله : [البحر الرمل]

ما تريدُ النفس من خلٍّ غدت ما بها لي غير خلٍّ خانل
صاح بي أن قلت يوماً صاحبي عادلي إن خلت يوماً عادلي
راعني إن قلت يوماً راع لي قاتلي إن قلت يوماً قاتلي
ذاك مضمونُ إخائي وكفى وصفهم عمّنْ سواهم سائلي
أترى في نحوهم لي منزلاً ساء والله صباحُ النازلِ
أترى طبّاً لدائي منهمُ ما سوى الليلِ وظهر البازلِ
وكذا الدهرُ على تقصيره سلم ذي النقص وحربُ الكامل
والى اللهِ شكاتي وكفى وله الحمدُ على ما شاء لي

طريق الهداية

وله : [البحر الكامل]

تتعجبُ الضعفاءُ منه وحكمه في ذهن أرباب النُّهى مركوزُ

نفحاتُ ذكرك للهداية في الورى ... سر بأحشاء العُلى مكنوزُ
فيها طريق هدايةٍ مستوضحٍ ... وطريقُ رسم عنايةٍ مرموزُ
أنّى يُفيق العاشقون من الهوى ... وعليه منك إشارةٌ ورموزُ

وله في رثاء الأوحد الشيخ موسى رحمه الله: [البحر الكامل]

قالوا الكليمُ هوى على عفر الثّرى ... قلتُ الجلالُ له انجلى فتعفّرا
قالوا الكليمَ عنيت في دهر مضى ... قلتُ الكليم هوىً عنيت في هدي الورى
قالوا كليم الله موسى قلت بل ... موسى كليم الصّادقين بلا امترا
قالوا المُناجي الله في ظلم الدُّجى ... قلتُ المُناجي لن يخاب بلن ترى
قالوا نبيٌّ قلت عالمُ أمةٍ ... علماؤها كالأنبياءِ لمن يرى
قالوا ألا تكنيه قلتُ عسى ... يكنى الذي فيه يشكُّ ويمترا
تلك العنايةُ في جميلٍ جبينه ... نورٌ يضيءُ به المطالع أزهرا
متحنّكاً تحت الظلام ووجهُه ... يكسو الدّجنّة منه وجهاً مسفرا
تلقى الخشوع بوجهه متأثراً ... وترى النشيج بصدره متكسّرا
تذري المهابةُ منه دمعاً أحمرا ... وكسته كفُّ الخوفِ ثوباً أصفرا
يبكي بكاء المذنبين وأنه ... لأجلُّ أن يختال يوماً منكرا
يتنفّسُ الصّعداء في جنح الدُّجى ... متأوّهاً متأسّفاً متحسّرا
تتنعّمُ الأكوانُ من بركاته ... وتراه حبس البيتِ أشعث أغبرا
المسكُ أطيبُ ما يكونُ من الشّذا ... وفعالُه للمسكِ مسكاً أذفرا
وشمائلٌ في الدّين طيّبةُ الشّذا ... لو أنّها انتشقت لكانت عنبرا
نفسي فدا تلك الشمائل في الهُدى ... تهدي المضلَّ وتنقذُ المتحيِّرا
لو كان تقسمُ في الورى نفحاتُه ... أغنى الورى من فضله طيب القرا
تبكيه آياتُ الكتاب تلاوةً ... وجليلُ معناه اللطيف مفسّرا
والسنّةُ الغرّاءُ في أحكامه ... فقدت مقوّم أمرها والمنذرا
والجمعُ بين المحكمات تباينت ... حتى كأنّ الليل يجلب عسكرا
جمعاً بقول الآلِ قام تبرّعاً ... إن صحّ طوراً فهي أطوارُ فرى
متواضعاً في الله جلّ جلاله ... مترفعاً عمّن سواهُ تكبُّرا
طلبُوا دفاتر إرثه من بعده ... فإذا بها ما لا تباعُ فتشترى
علماً تضيء به القلوب وحكمةً ... يُحيي بها الموتى بأطباق الثّرى
وهدىً يفيدُ السّالكين قصورها ... ويزيد فيها الواصلين تحيّرا

وخلائق غُرُّ الوجوه كأنّها أسقيتها حاشا عُلاه المسكِرا
ومزيد تقوىً كلّما جرّبتها انتثرتْ لطالبها الثمين الجوهرا

الهوى بعد النوى قاتل

وله: [البحر السريع]

كنتُ وما أحبَّ من قبلهم إنَّ الهوى بعد النَّوى قاتلُ
حتى إذا بانت طلائعُ الحمى واتّفق المحمولُ والحاملُ
واعترضَ الراكبُ يرنو الحمى والركبُ ينحو بكرةً حاقلُ
طارت بقلبي عن جميل العزا هيابة متبوعها سائلُ
في مهجةٍ ابرادُ أصحابها نارُ غضىً أوقدها الشاغلُ
لو كنت شاهدت ريال الدُّما ساعة نادى للسُّرى القافلُ
لخلتَ إلاّ إنْ تكن عاشقاً شوارقاً مشرفها البازلُ
ويح المعنّى وهي في دارها وفي النّوى يشغلها الشاغلُ
وليته إذ كان محض الجفا من خطةٍ لم يبكه العاذلُ
يا للهوى بل يا لأهلِ الهوى في خلّةٍ ظالمها العادلُ
ما من أخلاءٍ سوى قاطعٍ حاشا التّنائي أنّني واصلُ
لو كنتُ كلفتُ النّوى خلتنيّ ما زاد فيما منه لي حاصلُ
ما أنصف الرّامي الحشا بالنّوى حسبي حمالي طرفُها النابلُ
العيسُ والسائق تحت الدُّجى ثلاثةٌ أدناهمُ قاتلُ
لا راحماً ضعفاً ولا ناظراً جفناً لشاوٍ جدّه هازلُ

وله في رثاء المقدس الأوحد الشيخ أحمد نجل العلامة الشيخ حسين العصفوري البحراني رحمه الله تعالى: [البحر الطويل]

أفقْ أيُّها الربعُ المعنَّى بأهله لعلّك أن تلقى سليماً ودادُه
أفق قد أفاق العاشقون على أسىً كثير وإن قلّ المُعاني عدادُه
زعمتَ الأسى مختصٌّ كونك وحده خلطتَ الأسَى عظمى الوجود سوادُه
وأنى يقولُ الرزء خصّ حدوده وهذي الرّزايا قد عشاها حدادُه
وما إذ غزا التّقوى بفخرِ عميدها وذلك فخرُ الدين الحنيفي عمادُه
وهل يجهل الربع المعنى خليطه عشية نادى بالخليطِ بعادُه
عشية سيل السحب منهلّ جفنه وحرُّ جحيمٍ لا يُصالُ فؤادُه

ولا خدّ إلا والمدامعُ ريُّه ... ولا قلب إلا والصّبابةُ زادُه
عشية حسنُ الصبرِ أخطا مريده ... وظلّ عن الصبِّ المعنَّى مرادُه
عشيّة فقد الحلم عن فقد ماجدٍ ... يعزُّ على دين النبيّ افتقادُه
قصيرٌ إذا سيم الكرام انتسابه ... طويلٌ لنيل المكرمات نجادُه
ضعيفٌ عن المسعى الذميم اكتسابُه ... قويٌّ على كسب المعالي اجتهادُه
اخو شرفٍ كلُّ البرايا هدايةٌ ... وذو حسبٍ كلُّ البرايا عبادُه
يهدي فقل في الطودِ قرّ قراره ... ويبدي فقل في البحر مدّ مدادُه
له نفخاتٌ منه مسكيّةُ الشّذا ... يطيبُ لها غورُ الرُّبى ونجادُه
قرينُ هدى لم يخب يوماً زناده ... وخدن عُلىً لم يكب يوماً جوادُه
كفاه الدُّجى الدّاجي أشعة نوره ... عن اليوم أن يجلو الغياث برادُه
له سفرٌ والليلُ هادٍ بسفره ... وسيرٌ وحادي العيس ملقى وسادُه
امض قنا في الدير أوعد ... وخير دم في إله سفكاً مدادُه
وأطيبُ طيبٍ فوه عند خلوقه ... إذا ما هجيرُ الصوم زاد اتّقادُه
وأحسنُ وجه نظرةٌ لون وجهه ... إذا اشتدَّ من خوفِ الإلهِ ارتدادُه
يلذُّ له الليلُ البهيم كأنما ... له جالبٌ وصل الحبيب انفرادُه
يعافُ الكرى جفناه من غير علّةٍ ... سوى أنه يحيي الدّياجي اجتهادُه
خلائقُ لو يعطى الزمان يسيرها ... لا خلفه بعضُ الكرامِ اعتيادُه
من القوم سبّاقون في كلِّ غايةٍ ... وقد قصرت عند السّباقِ جيادُه
لهم قدمٌ عاديةُ الوصفِ في العُلى ... تقاصرها عنها بدهرٍ وعادُه
لها ساطعُ البرهانِ فيما تقولهُ ... وقد لجّ بالخصم الإله عنادُه
فلا تبعدن من راحلٍ غير راحلٍ ... عن القلب معداه الآ استفادُه
بكاك العُلى والعقلُ والنقلُ والولا ... وشرحُ مفاتيح الهدى وسدادُه
وحلّ رموز المشكلاتِ بثاقبٍ ... من الفكرِ لا يخطي الصواب ارتدادُه
وأحكامُ دين المصطفى وحدوده ... وتوحيده البادي السّنا واعتقادُه
سقاك الرّضا يا بن الميامين فيضه ... ولا غبّ قوماً أنت منهم جهادُه
لهم سلفُ التّقوى ومستنبط الهُدى ... وفضلهمُ ريُّ اللهيف وزادُه

وله في رثاء الحسين عليه السلام : **[البحر الرجز المشطور]**

كم تنظر الركب المغبّ ... لشدّ ما تنظرُ
كم يتبع الأظغان لحظاً ... جفنك المتعبرُ

كم تندب الأطلالَ ... وهي تندبها لا تشعرُ
كم ينتحيك العاذلون ... وكم لهم تتعذرُ
كم تكمن لظى الفؤادِ ... وماءُ دمعك يظهرُ
كم لونك المصفّر ... يفجع بالغرام ويخبر
كم تجمل الدّعوا ... وما تجري الجفون يفسرُ
كم ضعف صبركَ ... من أحاديث الهيام يعبرُ
كم طرفُك المطروفُ ... يرعى النائمين ويبهرُ
كم ليلُ شوقك صبحه ... بمسرّةٍ لا يسفرُ
كمدى الحشا تفضي ... نهارك والدّجى تنزفرُ
كم رحت رأيُك بعده ... سيرُ الظّاعنين مغرّرُ
وبفكرك السّاري عهدتُ ... عوارفاً لا تحصرُ
ما بالُ سمعك لا يعي ... نصحاً ولا يتدبّرُ
إنْ كان عن كلفٍ فها ... تي هفوةٌ لا تجبرُ
هبْ كان موجبه ولكن ... ثم خطبٌ أكبرُ
نسيت مشهور الطفوفِ ... وما هنالك يذكرُ
يومُ على الطفوف الأغرِ ... على أغرٌ مشهرُ
حامي الحقيقة معلمٌ ... طلق الذراعِ غضنفرُ
ذو نجدةٍ عن رأيها ... تردُ المنونُ وتصدرُ
سلطانُ عزٌ قادرٌ ... أن لا يطلّ مقدرُ
الجدّ أحمد حين يعزى ... والمضاهي شبّرُ
والأمُّ فاطمة التّقى ... والفحلُ فيه حيدرُ
ومضمّخٌ بدم الوريد ... وبالتراب معفّرُ
الجوُّ من صادي دماه ... ممسّكٌ ومعبّرُ
والليل من أنواره ... ضاهى العشية مقمرُ
لبست أشعته اللّيالي ... فهي بيضٌ تزهرُ
للهِ منه يفلّ ... السمهريُّ الأسمرُ
عجباً له أنّى يقلّ ... عوالماً لا تحصرُ
المجدُ أدنى ما تحمّل ... والجلالُ الأكبرُ
والمكرماتُ الغرُّ طرّاً ... والنّديُّ الأزهرُ

ومآتمٌ فيها البطولة والنبيُّ الأفخرُ
من أجلها دمع الوجود على السوالف يقطرُ
والعالمُ العلويُّ مفتقد السرور مكدّرُ
والبيت باكٍ والمقام وزمزمٌ والمشعرُ
ومنى وجمع والمعرّفُ باكياً ومحسّرُ
والرسلُ تبكي والملائك بالعزاءِ تبكّرُ
يتقاسمون الشّجو غادٍ بالعزاءِ ومهجرُ
أهدى يزيدُ لها ملابس بالدماءِ تعصفرُ
وقضى لها حزناً يمرُّ على الدهور ويعبرُ
أبدى لها الليل الطويلَ فليلها لا يعجرُ
وبنى على ما أسّس المتقدّمُ المتأخّرُ
خلفٌ كسالفه أعقّ على الإله وأكفرُ
لله أيّة محنةٍ لقي النبيُّ الأطهرُ
من أمة عدت الهدى فطريقها متحيّرُ
كدرت عليه حياته والعيش منه مكدّرُ
فلساء ما قد أضمرته وساء ما قد تضمرُ
أعطيت يداً للصيف يغريها عليه ويجبرُ
عنفاً أمال رقابها إذ أوشكت تتكثّرُ
كرهوا هدايته وقالوا ها نبيٌّ يهجرُ
تركوه ملقىً في الفراش وأسرعوا فتآمروا
وعلى الحبيب مقامه يبكي أسى والمنبرُ
ووصيُّه الهادي فيه تجنّبوه وأخروا
وتراثُه نهب الأجانب يستباحُ ويقهرُ
وكتابُه عمّا أراد محرّفٌ ومغيّرُ
ويسوط أعداه كريمته تهانُ وتحقرُ
وجنينها سقطٌ وأضلعها لعمري تكسرُ
ووصيّه قود البعير يُقاد وهو مزمجرُ
وحبيبه كالشاة عفواً بالمهند ينحرُ
ورجاله مثل الأضاحي بالسيوف تجزّرُ

وبناته فوق الركائب ... باديات حسّرُ
حسرى تلاحظها الأجانب ... لم تجد ما تسترُ
مثل السّبايا يستباحُ ... إزارُها والمعجرُ
ومتونُها بيد السياط ... يشقُّ فيها أنهرُ
وعليه ساقاه قيّدا ... بالدماءِ يتفجّرُ
ويتيمها بالعنف تقهرُ ... بالسياقِ ويزجرُ
وسؤالُ سائلها إذا ... سأل الترفّق ينهرُ
ورؤوس سادتها ... بأطرافِ الرّماح تشهّرُ
وقلوبها بالكلّ تشعلُ ... والمدامع تمطرُ
حالٌ يكادُ له الشدادُ ... بشبعها تتفطّرُ
ويروحُ منها البدرُ ... منخسف السّنا لا يبدرُ
واليوم مفتقد الضّياءِ ... وشمسه تتكوّرُ
خطبٌ تصاغر عنده ... كلُّ الخطوب ويكبرُ
لو كان أحمد حاضراً ... لشجاه ذاك المحضرُ
يا قومنا خلّوا التعصب ... وانظروا وتفكّروا
أترون لو نظر السّبايا ... في السّبا تتضوّرُ
تهدى كأمثال العبيدِ ... إلى يزيد وتؤسرُ
ورأى يتامى تستغيثُ ... على الجمالِ وتجأرُ
ورأى أحبّته جسوماً ... في الثّرى تتعفّرُ
ويزيد يهتف بالنشيدِ ... وبالشماتة يهجرُ
مستدعياً أشياخ بدرٍ ... يستطيلُ ويشأرُ
ويمينُه بقضيبه ... ثغر النبيّ يكسّرُ
وكؤوسه تجلى فذو ... سكرٍ لديه ومسكرُ
والمطربُ الشادي لديه ... يضجُّ منه المزهرُ
ويرقصها طرباً ... تغنّيه البغاة العمّرُ
ويزيد لا متهوّداً ... فيهم ولا متنصّرُ
يُدعى أمير المؤمنين ... يطاع فيما يأمرُ
واللّه يعذره إذا ... ما جاءه يتعذّرُ
بل فعلُه عين الشريعة ... ليس فيه منكرُ

أنا كافرٌ إن كان هذا — مذهباً يتصوّرُ
تالله يا بن المصطفين — قضية لا تنكرُ
خيرٌ لهم من أخذ هذا — مذهباً أن يكفروا
سيفٌ أصابك حائدٌ — عن قصده متحيّرُ
وسنانُ رمحٍ نال منك — لرشده لا يبصرُ
قد عطّل الحرب العوان — فيومها لا يذكرُ
وقضى الفناء على الشجاعة — فهي ميتٌ يقبرُ
وطوى بأعلام الوغى — فلو أنّه لا ينشرُ
لا الأبيض الماضي يعدُّ — ولا الأصمُّ الأسمرُ
ذهب المقومّ دراُها — فلأي شيءٍ يدخرُ
أهديتك النظم المفصّل — والثمين الجوهرُ
عربٌ لها قسّ يهيمُ — وجرولٌ يتحسّرُ
لكنّها عن نيل كنه — جلال مجدكِ أقصرُ
أكبرْتها عمّن سواك فأنت منها أكبرُ

ومما سمحت به قريحة الأجل الأمجد الحاج هاشم ابن الحاج حردان طاب ثراه وجعل الجنة مأواه. [البحر الرجز المجزوء]

أرأيت يوماً لحُملتكَ القُودا — من كان منّا المثقلَ المجهودا
حمّلتنا الغصن الرّطيب ووردهُ — وحملت فينا الهمَّ والتّسهيدا
وجعلتُ حظّي من وصالك أن أرى — يوماً به ألقى خيالك عيدا
لو شئت أن تعطي حشاي صبابةً — فوق الذي بي وجدت مزيدا
أهوى رباك وكيف لي بمنازلٍ — حشدت عليَّ ظغائناً وحقودا
أمعرّسَ الحيّين ما لك لم تجب — مضنىً ولم تسمع له منشودا
أأصمّك الأضعانُ يوم تحمّلوا — أم صرت بعد الظّاعنين بليدا
قد كنت توضحُ بالأسنّة والظُّبى — معنىً وتفصح موعداً ووعيدا
حيثُ الشموس على الغصون ولم تكن — عاينت إلا أوجهاً وقُدودا
من سام عزّك فاستباح من الشّرى — آسادهُ ومن الخدور الغيدا
أنّى انتفى ذاك الجلالُ وأصبحت — أيامك البيض اللّيالي سّودا
فاسمعْ أبثُّك أنّني أنا ذلك الكمد الذي بك لا يزالُ عميدا
ما أبعدت منك القريب حوادثٌ — عرضت ولا قرّبن منك بعيدا

لا تحسبنْه هوىً يحال وإن غدا		خطى الشقيّ تفرّقا وصدودا
فلأنت أنت وإن عدت بك نيّةٌ		عن ناظري وتركن دونك بيدا
ولئن أبحت تجلّدي فلطالما		ألفيتني عند الخطوب جليدا
أو رحت تنكر صبوةً قامت على		اثباتها فوق النّحول شهودا
فلقبلما التزم العناد معاشرٌ		جمدوا عليّاً يومه المشهودا
أخذوا بمسروب الشّراب وجانبوا		عذباً يميز الوافدين برودا
مصباحُ ليلتها صباح نهارها		بمنى نداها تاجها المعقودا
مطعانها مطعامها مصداقها		مقدامها ضرغامها المعهودا
ضلّت قريشٌ كم تقيسُ بسابق الحلبات ملطوم الجبينِ مذودا
يا صاحب المجد الذي لجلاله		عنت السّرايا مبغضاً وعنيدا
لك غرٌّ أفعالٍ إذا استقريتها		أخذت عليَّ مغادراً ونجودا
وصفات فضلٍ أشكلت معنىً فلا		إطلاق يكشفها ولا تقييدا
ومراتبٍ قلّدتها بمناقبٍ		كالعقد تلبسه الحسان الخودا
ما مرّ يومك أبيضاً عند النّدى		إلا انثنى بدم العدى حنديدا
أحسبته بأبيك وجه خريدةٍ		فكسوت أبيض خدّها التوّريدا
أنّى تشقُّ غبار شأوك معشرٌ		كنت الوجود لهم وكنت الجودا
يجنون ما غرست يداك قضيةٌ		ألقت على شهب العقول خُمودا
أنّى همُ والخيل ينشر وقعها		نفعاً تظنّ السماء كديدا
وموافقٌ لك دون أحمد جاوزت		بمقامك التعريف والتّحديدا
فعلى الفراش مبيتُ ليلك والعدى		تهدى إليك بوارقاً ورعودا
فرقدت مثلوج الفؤاد كأنّما		يهدى القراعُ لسمعِك التّغريدا
فكفيت ليلته وقمت معارضاً		بالنفسِ لا فشلاً ولا رعديدا
واستصبحوا فرأوا دوين مرادهم		جبلاً أشمَّ وفارساً صنديدا
رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهُدى		أوما دروا كنز الهُدى مرصودا
وغداة بدرٍ وهو أم وقائعٍ		كبرت وما زالت لهنّ ولودا
قابلتهنّ فلم تدع بعقودها		نظماً ولا لنظامهنّ عقيدا
فالتاح عتبةُ ثاوياً بيمين من يمناه أوْدَتْ شيبة ووليدا
سجدت رؤوسهمُ لديك وإنّما		كان الذي ضربت عليه سُجودا
وتوحّدت بعد ازدواجٍ والذي		ندبت إليه لتهتدي التّوحيدا

وقضيةُ المهراس عن كثبٍ وقد ... عمّ الفرارُ أساوداً وأسُودا
ولّى بها الطعنُ الدراك ولم تكن ... إذ ذاك مبدي كرةً ومعيدا
فشددت كالليث الهزبر فلم تدع ... ركباً لجيش ضلالةٍ مشدودا
وكشفتهم عن وجه أبيض ماجدٍ ... لم يعرف الادبار والتّغريدا
وعشية الأحزاب لمّا أقبلت ... كالسيل مفعمة تقود القودا
عدلت عن النهجِ القويم وأقبلت ... خلف الضلال كتائباً وجنودا
فأبحت حرمتها وعدت بكبشها ... في القاع تطعمُه السّباع حنيدا
وبني قريظة والنضير وسلحم ... والواديين وخشعماً وزبيدا
مزّقتَ جيب نفاقهم فتركتهم ... امما لعارية السيوف عنودا
وشللتَ عشراً فاقتنصت رئيسهم ... وتركت تسعاً للفرار عبيدا
وعلى حنينٍ أين يذهب جاحدٌ ... لمّا ثبتّ به وراح شريدا
ولخيبرٍ جزٌ يصمُّ حديثه ... سمع العدى ويفجّرُ الجلمودا
يومٌ به كنت الفتى الفتّاح والكرّار والمحبوب والصّنديدا
من بعد ما ولّى الجبانُ براية الإيمانِ تلتحفُ الهوان بُرودا
ورأتك وانتشرت بقربك بهجةٍ ... فعل الودود يعاين المودودا
فنصرتها ونضرتها فكأنّما ... غصنٌ يرنحّه الصّبا ممدودا
فغدوت ترقكُ والقلوب خوافقٌ ... والنصر يرمي نحوك الأقليدا
فلقيتها وعقلت فارسها ولا ... عجبٌ إذا افترس الهزبرُ الصّيدا
ويلُ أمةٍ أيظنك النكسُ الذي ... ولّى غداة الطعن يلوي جيدا
وتبعتّها فحللت عقدة تاجها ... بيدٍ سمت وزتاجها الموصودا
وجعلته جسراً فقصّر فاعتدت ... طولى يمينك جسرها الممدودا
وأبحتَ حصنهمُ المشيد فلم يكن ... حصنٌ لهم من بعدُ ذاك مشيدا
فهوت لعزّتك الملائكُ سُجّداً ... تولي الثّناء وتكثرُ التّحميدا
وحديثُ أهل النكثِ عسكر عسكر ... بهم البهيمةُ جندها المشحودا
لاقاك فارسها فولى هارباً ... لو كان محتوم القضا مرْدودا
وعلى ابن هندٍ طار منك بأشأمٍ ... يومٌ غدا لبني الولاء سعودا
ألقى جحاش الكرملين فقادهمْ ... جهلاً فأبئس قائداً ومقودا
فغدوت مقتنصاً نفوس كماته ... لله مقتنصٌ يصيد الصّيدا
حتى إذا اعتقد الفنا ورأى القنا ... مذروبة ورأى الحسام حديدا

رفع المصاحف لا ليرفعها عليّ لكن ليخفض قدرها ويكيدا
فجنى بها ثمرّ الأمان وخلفه يومٌ يجرّعه الشراب صديدا
وكذاك أهلُ النهر ساعة فارقوا بفراقهم لجلالك التّأييدا
فوضعت سيفك فيهم فأفادهم تلفاً فديتك متلفاً ومعيدا
ولقد روى مسروقهم عن أمّه والحقُّ ينطقُ منصفاً وعنيدا
قالت هم شرُّ الورى ومبيدهم خيرُ الورى أكرم بذاك مُبيدا
سبقت مكارمك المكارم مثلما حتمت لعمروٍ فخرك التّأييدا
ما زلتُ أسأل قيد كلُّ قديمةٍ عاد القديم وبعد عاد ثمودا
ألقاك آدم آدماً لا صالحٌ يدري بذاك يزيلك هودا
إنّي لأعذرُ حاسديك على العُلى وعلاك عذري لو عذرت حسودا
فليحسد الحسادُ مثلك أنّه شرفٌ يزيدُ على المدى تجديدا
ما أنصفتك عصابةٌ جهلتك إذ جعلت لذاتك في الوجود نديدا
ثم ارتقتْ حتّى أتاك رضاً بما لم يرض كعبُك أن يراه صعيدا
باعتك وابتاعت بجوهر ذاتك العلويّ سفليٌّ المبيع رديدا
ضلّت أدلتُها أتبدّلُ بالعمى رشداً وبالعدم المحال وجودا
وبما أسرّت من قديم نفاقها وجرت عليه طارفاً وتليدا
بلغ المراديُّ المراد وأورد الحسن الرّدى ومضى الحسينُ شهيدا
غدوروا إذ جاءهم من بعد ما سدوا إليه مواثيق وعهودا
قتلوا به بدراً فأظلم ليلُهم فغدوا قياماً في الضّلال قُعودا
فحموه أن يرد الصباح وصيّروا ظلماً له ظامي الرّماح ورودا
فسمت إليه أماجدٌ عرفوا به قصدُ الطريق فأدركوا المقصودا
نفرٌ حوتْ جملَ الثنا وتسنّمتْ ذلل المعالي والداً ووليدا
من تلق منهم تلق كهلاً أو فتى علّم الهدى بحر النّدى الموردا
وتبادرت تلقى الأسنّة لا ترى الغمرات إلا المائسات الغيدا
وكأنما قصدوا القنا بنحورهم دررٌ يفصّلها الفناء عقودا
واستنزلوا حلل العُلى فأحلّهم عرفاته فغدا النزولُ صعودا
فتظنّ عينُك أنهم صرعى وهم في خير دارٍ فارهين رقودا
وأقام معدوم النضير فريد بيتِ المجد معدوم النضيرِ فريدا
يلقى القفار صواهلاً ومناصِلاً ويرى النهار قساطلاً وبُنودا

ساموه أن يرد الهوان أو المنيّـ ـةَ والمسوّد لا يكونُ مسودا
فانصاع لا يعبا بهم عن عدّةٍ كثرت عليه ولا يخافُ عديدا
يلقى الكماة بوجه أبلج ساطعاً فكأنّما أمّوا نداه وفودا
يسطو فتلقى البيض تغرس في الطّلا فتعودُ قائمة الرؤوس حصيدا
أسدٌ تظلُّ له الأسودُ خوافقاً فترى الفتى يحكي الفتاة الرّودا
البرقُ صارمه ولكن لم يسق للوبل إلا هامةً ووريدا
والصقرُ لهذمه ولكن لم يصد إلا قلوباً أوغرت وكبودا
بأساً يسرُّ محمدٌ ووصيُّه ويغيظُ نسل سميّةٍ ويزيدا
حتى إذا حُمَّ الحمام وآن لا تلقاه عماداً للعُلى وعميدا
عمدت له كفُّ العناد فسدّدت سهماً عدا التوفيق والتّسديدا
فثوى بمستنِّ النزال مقطع الأوصالِ مشكور الفعالِ حميدا
للهِ مطروحٌ حوت منه الثّرى نفس العُلى والسّؤدد والمفقودا
ومبدّد الأوصال الزم حزنه شمل الكمالِ فلازم التّبديدا
ومجرّحٌ ما غيّرت منه القنا حسناً ولا أخلقن منه جديدا
قد كان بدراً فاغتدى شمس الضُّحى مذ ألبسته يدُ الدماء لبودا
تحمي أشعّته العيونُ فكلّما حاولن نهجاً خلنه مسدودا
وتظلّه شجرُ القنا حتّى أبت إرسال هاجرةٍ إليه بريدا
وثواكلٌ في النّوح تسعدُ مثلها أرأيت ذا ثكلٍ يكون سعيدا
حنّت فلم تر مثلهنَّ نوائحاً إذ ليس مثلُ فقيدهنّ فقيدا
لا العيسُ تحكيها إذا حنّت ولا الورقاء تحسنُ عندها التّرديدا
إن تنع أعطت كلَّ قلبٍ حسرةً أو تدعُ صدّعت الجبال الميدا
عبراتُها تحيي الثّرى لو لم تكن زفراتها تدع الرياض همودا
وغدت أسيرة خدرها أبنةُ فاطمٍ لم تلق غير أسيرِها المصفودا
تدعو بلهفةِ ثاكلٍ لعب الأسى بفؤاده حتى انطوى مفؤودا
تخفي الشجا جلداً فإن غلب الأسى ضعفت فأبدت شجوها المكمودا
نادت فقطعتِ القلوبَ بصوتها لكنّما انتظم البيانُ فريدا
إنسان عيني يا حسينُ أخي أيا أملي وعقدُ جماني المنضودا
ما لي دعوتُ فلا تجيبُ ولم تكن عوّدتني من قبل ذاك صدودا
المحنة شغلتك منّي أم قلىً حاشاك إنّك ما برحت ودودا

أفهل سواك مؤمّلٌ يدعى به فيجيب داعية ويورقُ عودا
إن استعن قامت إليّ ثواكلٌ لم تدر إلا النّوح والتّعديدا
وكفيلُها فوق المطيّ معالجٌ من ضرّه ومن الحديد قيودا
أوحيد أهل الفضل يعجبُ جاهلٌ أن تمسِ ما بين الطغامِ وحيدا
ويلامُ غيثٌ ما سقاك وأنّه من بحر جودك يستمدُّ الجُودا
قد كان يعتب عند تركك ضامياً لو كان غيرك بحره الموردا
يا بن النبيّ اليّةٌ من مدنف بعلاك لا كذباً ولا تفنيدا
ما زال سهدي مثل حزني ثابتاً والغمض مثل الصبر عنك طريدا
تأبى الجمودُ دموع عيني مثلما يأبى حريقُ القلب فيك خُمودا
والقلبُ حلف الطرف فيك فكلّما أسبلت هذا زاد ذاك وقودا
طال الزمانُ على لقاك فهل مضى للحزن والمحزون فيك خلودا
أفلم يحن حين المسرّة أن ترى عيناي ذاك الصارم المغمودا
وفصيحةٌ عربيةٌ مأنوسةٌ لم تألف الوحشى والتعقيدا
ما سامها الطّائي الصّغار ولا الذي قد كان يدعى خالد بن يزيدا
أنزلتها بجناب أبلج لم يخب قصدٌ لديه ولا يذلّ قصيدا
كانتْ به جهد المقلّ وإنما عذرُ الفتى أن يبلغ المجهودا
لو شاء يمدحُ بالذي هو أهلُه حصر الأنام فما سمعتُ نشيدا

وله في رثاء العباس بن علي ﷺ: [البحر البسيط التام]

هل أمّ طوقٌ كذاك الطّوق في السّلم تحنُّ شوقاً إلى أيامنا القدم
أم عاقها بعدنا من بعدنا فسلتْ سلوى البهائم عن أطفالها البهمِ
أم راعها البين فارتاعت لفرقتنا فالقلب في ضرمٍ والدمعُ في سجمِ
هل سرحةُ الحيّ في أيام فرقتنا هل بعدنا للتّصابي لذّ ام لفمِ
لا والهوى ليس بعد الظاعنين كرى فيستريُح أخو شوقٍ إلى الحلمِ
وأين من طيف من تهواه عينُك والأجفانُ منهلّةٌ بالجمع كالدّيمِ
فأعجب لمكسالة لأعراب إذ خلصت نحوي ومن بيننا العجمِ
واعجبْ لها إذ تجوب المومياتُ دُجىً نحوي وعنّي تعدو خطوةٌ القدمِ
وكيف يأوي بأرض الريّ منزلنا من كان منزله الروحاء من أضمِ
أنّى اهتدى مضجعي والليلُ منسدل والجسمُ يخفى ضاعن ملّة القلمِ
فاعجب لمسراه والأهوالُ تصحبه حتى الوسادة لم يهجع ولم ينمِ

يأتي الوسادة ليلاً غير ملتفتٍ إلى الرقيب ولا حاش من التهمِ
حتى إذا الفجر قد وافاه منفلتاً من حيثُ أقبل لم يلبث ولم يقُمِ
يا ساكن القلبِ هل من رحمةٍ لشجٍ مغضٍ على سقمٍ مقضٍ إلى عدمِ
ما عند ناضره والقلب من أدبٍ بعد الحمى غيرَ منهلٍّ ومضطرمِ
أسوان ليس له عند النّوى جلدٌ يقوى به غير قرع السنِّ من ندمِ
مُناه عود المطايا لو تعود له بما تحمّلن من وردٍ ومن علمِ
لا رأي للركب أن يخشى الضلال دُجًى والصبح فوق المطايا غيرُ منكتمِ
وكيف يبغي الشذّا والروضُ تحمله أكوارُها في انتشاق الشّيح والخزمِ
في البيت من هاشم والعلياء نسبتهم والنّعتُ من أحمد المبعوث للأممِ
قومٌ إذا ذخر الأقوام كان لهم أنف الصّفا وأعالي البيت والحرمِ
شمُّ المراعف ولاجون مزدحم الهيجاء بالنّفس فرّاجون للغممِ
أهلُ الحفيظة لا يلفى جوارهم يشقى به الجارُ حفّاظون للذّممَ
أبياتُهم حرمٌ للنّازلين بها يأوي الجموف العدمِ
عفُّ المآزر لا عابٌ يدنسهم ولا يخاف عليهم زلّةُ القدمِ
تلقى جفونهم تغضي حياً وترى أسماعهم عن هجينِ القول في صممِ
وموقفٌ لهم تنسى مواقعه وقائد الحرب في أيامها القدمِ
أيام قاد ابن خير الخلق معلمةً لم ترد فرسانُها إلا أخا علمِ
حمراءُ الظبا سودُ يوم النقع خضرُ رُبى لرائد الجود بيض الأوجهِ الوسمِ
من كلِّ أبيض في كفّيه مشبهُه في الجزم والحزمِ والإمضاءِ والقسمِ
قريعُ قومٍ قراع البيض مطربةٌ لسمعه دون قرع النّاس والنّغمِ
ماضٍ له بين لمّاع الحديد له مستولفٌ من أديم الموتِ منقسمِ
يومٌ أبو الفضلِ تدعو الظامياتُ به والماءُ تحت شَبا الهنديّة الخذمِ
الضاربُ القمم بن الضارب القممِ بنُ الضارب القمم بنُ الضارب القممِ
يومٌ له والمنايا السودُ شاهدةٌ بأنه بدّرها في حالك الظلمِ
يسطو فقل في السبتى خلفت بشرى أشبالها جوعاً في غاية الألمِ
يومٌ دعاه الهدى الهادي لنصرته والجمعُ والنّفع والطمّاء مركتمِ
والخيلُ تصطكُّ والزغف الدّلاصُ على فرسانها قد غدت ناراً على علمِ
والضربُ يخلق أفواهاً مفوّهةً تحكي الدما فكان الكلمُ للكلمِ
الطعنُ يشبهُ عين الظّبي انجله لكنّه غائرُ الأعماقِ في قسمِ

وأقبل الليثُ لا يلويه خوف ردى ... بادي البشاشةِ كالمدعوّ للنّعمِ
فيّاضُ مكرمةٍ خواض محلمةٍ ... فضّاضُ معضلةٍ عارم من الوصمِ
أخو ندى ينحرُ الأساد ضاريةً ... حسامُه مطعماً للسيد والرخمِ
ثيابه نسج داودٍ وعمّتُه ... عاديّةٌ أصبحت تُعزى إلى إرمِ
يشدُّ كالصقر والابطالُ فانكشفت ... عن ضيغم كظباءِ الضّال والسلمِ
يدو فيغدو صميم الجمع منصدعاً ... نصفين ما بين مطروحٍ ومنهزمِ
فقّال منتدبٌ لله محتسبٌ ... في اللهِ معتصمٌ بالله ملتزمِ
حتى حوى بحرها الطّامي فراتهم الحاريَ ببحرٍ من الهنديِّ ملتطمِ
وأصبح الماءُ ملكاً طوع راحتِه ... معرّفاً منه في حكمٍ وفي حكَمِ
فحاذه الندبُ والأبطالُ تلحظُه ... تكادُ أحشاؤها تنشَقُّ من ورمِ
فكفّ كفّاً عن الورد المُباح وفي ... أحشائه ضرمٌ ناهيك من ضرمِ
وحرمتْ أن تنال الريَّ مهجتُه ... كأنّما الريّ فيها أشهرُ الحرمِ
ولم تهمّ بشرب الماء همّتُه ... وسلب ذا الهمِّ نفساً أكبرُ الهممِ
وهل ترى صادقاً دعوى أخوتِه ... روّى حشاً وأخوه في الهجير ظمي
وما كفاهُ الروي دون ابن والده ... حتى قضى مثله وارى الفؤاد ظمي
حتى ملا مطمئنّ الجاشِ قربته ... قصداً وأقبل سعياً طالب الحرمِ
فكاثروه فألفوا غير ما نكسٍ ... ماضي الشّبا غير هيّابٍ ولا ارمِ
فردّها والسيوفُ البيضُ تحسبُها ... برق الحيا والرماحُ الخطّ كالأجمِ
وكلّما اقبلتْ تنحو جموعُهم ... يبدو فينفضُّ منها كلُّ منختمِ
أكمى كميٌّ ومن كان الوصيُّ له ... أباً فذاك كمى فوق كل كميِّ
يستوعب الجمع لا مستفهماً بهل ... عنه ولا سائلاً عن عدّه بكمِ
غير أن تأبى يسيرُ الطّعن همّته ... فلا يؤمُّ زحاماً غير مزدحمِ
فراحَ ما زال بالهنديِّ مشتملاً ... بالبيض ملتثماً بالنقع ملتثمِ
حتى ابتنى قُللَ العلياء من شرف ... ورم ساحتها الجرياء بالرممِ
عمّوه بالنبلِ والسمر العواسلِ والبيض الفواصل من فرعٍ إلى قدمِ
فخرَّ للأرض مقطوع اليدين له ... من كلِّ مجدٍ يمينٌ غير منجذمِ
يا جامع الشملِ أنسى بعد بعدكم ... منفضّ شملي أمسى غير ملتئمِ
يا أمن كلِّ مخوفٍ كل خائفةٍ ... .(١)

(١) هكذا في الأصل المطبوع.

ما بعد عينِك للرّاجين من أملٍ ولا عقيبك للّاجين من حرمٍ
هيهاتِ ما حرمٌ ممّا قضيت ردى إلا وبعدك أمسى غير محترم

هكذا وجدت مسودة غير مهذبة ولا كاملة بخطه قدس الله سره بعد وفاته. [البحر الطويل]

وسيفي لأنتَ السيفُ ما لا أسلُّه حديداً ورمى لا المثقّفةُ السّمرُ
وعزّي لأنت العزُّ لي لا قبيلتي وقومي وحرزي لا الرّقى ولا السّحرُ
وكنزي لانت الكنز لا ما اقتنيتُه لعُسري إذا ما اشتدّ في خطبهِ العسرُ
وذخري لأنت الذخرُ لي حين لم يكن لمدّخرٍ يوماً بنافعه الذخرُ
وفخري لأنت الفخرُ لي حيث لا يرى لمفتخرٍ إن لم يكن بكمُ فخرُ
وسايغُ ربّي لا شرابٌ تسيغه لهاي وقوتي البرُّ لا الأرزُ والسبرُ
وأنت الغنى لا بدرةٌ تستفيدها يميني وكفّي بعدها أبداً صفرُ
وحالي لأنت الحالُ لا البرء والشّقا ومالي لأنت المالُ لا البيضُ والصفرُ
وترسي لأنت الترسُ لا ترس جلدةٍ وكيف وممَّن أتقّيه بها الدهرُ
ودرعي لأنت الدرعُ والنثرةُ التي إذا ما التقى الجمعان غايتُها السفرُ
وشمسي لأنت الشمسُ لا الكرةُ التي يغيّبها ليلٌ ويطلعها فجرُ
وبدري لأنت البدر لا الطالعُ الذي يعود به في بعضِ أوقاته الشهرُ
وربحي لأنت الربحُ لا المتجرُ الذي يخافُ على راعي النجاحِ به الخسرُ

سلوا حالها

وله: [البحر الطويل]

تقولُ الهوى إنا اقتسمناه بالسّوى وهيهاتِ هذا وهي لم تدر ما الجوى
سلوا حالها عنها وحالي لذا النّوى وكنت وليلى في صعودٍ من الهوى

كالمصابيح في الدجى

وله: [البحر المتقارب]

أهل بدر ركبٍ سرواً أنت فيه ما عليهم من الضلالة حاشي
سيرهم والهدى لزوماً ولم لا والضّيا حيث هم على الكون فاشي
في المها طرفها الخمرُ والسحرُ حلالاً فما هناك تحاشي
جدَّ بالركبِ سكرُه وسراهُ فرحةُ البين فهو ماشٍ وناشي
طرباً ترقصُ المطيُّ كأنَّ الخمر من ريقها إليهنّ ماشي

كيف لا تطربُ الركائبُ منها والهوى فوقها فهنَّ نواشي
كالمصابيح في الدُّجى تتسارى وقلوبُ الورى إليها غواشي
منعوا ريقها البرود فؤاداً قد حشاه بواقد الحتِّ حاشي
حكم قاضٍ يعلُّ لو يرتشيه لو قضى بالوصالِ للرّوحِ راشي
كيف صدّقتم الوشاة فهل دين التّصابي قبول خروجِ الواشي
عيّروها بأنّنا قد سلوْنا .... (١)

شقيق وبعاد

وله أيضاً عفا الله عنه: [البحر الخفيف]

يا شقيقي وأين منّي شقيقي مطلبٌ عاندٌ على الركب صعبُ
على أن يبلغ الزفيرُ إليه ودموعٌ لها مع السّرب سربُ
وجوى في الحَشا يهيّجه القربُ إدّكاراً وأين منك القربُ
لم يطبْ لي من بعدِ بُعدك طيبٌ وصحيبٌ فما يكونُ الصحبُ
كلُّ عذبٌ تركته لي مرّاً غير مرٌ الجوى ففي فيَّ عذبُ
غيرَ ساليك قلبُ صبٌ وإنْ أبعدت هجراً ففيك ذاك القلبُ
فطعامي لمّا نأيت سقامي ودُموعي لمّا قضيت الشربُ
صبغتْ أدمعي ثيابي حتى أنّها من نضارةِ الجمعِ قشبُ

وله أيضاً في مدح أمير المؤمنين عليه السلام: [البحر الرمل المجزوء]

كلُّ ما في الكونِ من شرفٍ هو من معناكَ مقتبسُ

وله أيضاً في الزهد والقناعة: [البحر المضارع]

لا ينبعثْ لك همّاً فطلبُ الرّزقِ جمّا
الرزقُ يبعثه اللهُ وكثرةُ السّعي ممّا

وله أيضاً في استعطاف المحبوب: [البحر المتقارب]

فقلتُ وقد سحَّ ماءُ الجفون ونارُ الجوى بالحشا توقدُ
بما بيننا من عهود الهوى على أنَّ عهد الهوى أوكدُ
خذوا بينكم ما بقي من دمي لعلّي أحيا ولا تفردُوا
فما ناظِري بعد تلك القدوذ تروقُ له ناظرٌ أملدُ

(١) هكذا في الأصل المطبوع.

ويوسفُ حسنٍ إذا ما تلت معانيه شمسُ الضُّحى تسجدُ
حكت رقَّةَ الخمر وجناتُه ويقصرُ عن قلبه الجلمدُ
يظنُّ بريقٍ على متلفٍ وأهونُ ما يهذلُ المسجدُ
تولّى عليه خمارُ الصّبا فنام كرىً والصّبا مرقدُ
فنام ولم يدر ليلةً خلا ظنّها وجفّ المسعدُ
كأنَّ الظلام على مقلتي وأنجمه ما حلَّ مزبدُ

بسم الله هذه قصيدة قالها قاضي بغداد في فضل الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام لما أهدى لهم فاضل حياة الرسول من السلطان سنة ١٢٥٧ : [البحر الكامل]

وافتك يا موسى بن جعفر تحفةٌ منها يلوحُ لنا الطّرازُ الأولُ
رقمت على العنوان من ديباجها ديباجةُ الشرفِ الذي لا يجهلُ
كما جارت قبراً لجدِّك فاكتست مجد الإلّه نحط السماكُ الأعزلُ
وتقدّستْ إذ جللت جدثاً ثوى في لحده المدثّرُ المزّملُ
فاشتاقَ سترُ العرشِ لو بحلّها يوماً على تلك الحصيرة يسدلُ
نشرت ففاح من المنبوت نشرُها ما المسكُ ما نفحاتُه ما الصّندلُ
أُعطيت ما لم يحظ يعقوبٌ به إذ جاءه لشذا القميصِ الشّمألُ
طُوبى لهم من وارثين لقد غدت آثارُ جدّكمُ إليكم تنقلُ
شملتكمُ معه العبا بحياتِه ومماتِه أستارُه لك تشملُ
هذا رواقُ مدينة العلمِ التي من بابها قد ضلَّ من لا يدخلُ
هذا كتابُ من غدا بيمينه يُعطى الذي يرجُو غداً ويؤمّلُ
هذا الزّبورُ وذلك التوراةُ والإنجيلُ بل هذا القرآنُ المنزلُ
هذا هو التّابوتُ فيه سكينةٌ وإذا على أيدي الملائكِ تحملُ
هذا الغشاءُ تغشّت سدرةُ المنتهى وغدا عليها يسبلُ
هذا هو السرُّ الذي كشف الغطا عن أعينٍ بالفيّ كانت تكحلُ
هذا الازارُ يحطُّ عن زواره وزرا به رضوى ينوءُ وتذبلُ
لمّا به ساموا وأعلامٌ لهم خفقت بأثوابِ الجلالِة ترفلُ
باهى الإلّه بهم ملائكة السّما فبدتْ على الزوّارِ ضحاً تنزلُ
من تحتِ أخمصِ زائريه كم لها من أجنحٍ نشرت وطئها الأرجلُ
وأتوا لبابك يحملون وسيلةً المرسلّون بها غداً تتوسلُ
نزلُوا على الجرعاءِ من وادي طُوى وتفرّسوا بقبولهم فترجّلُوا

وحياتكمْ من كنتمُ سؤلاً له بمماته في قبره لا يُسألُ
فترحّموا يا آلَ بيت المصطفى وتكرّموا وتفضّلوا وتقبّلُوا
صلّى الإلّه عليكمُ ما مادَ غصنٌ أو يغرّدُ بلبلُ

والحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة

سنة ١٣٨١ هجري

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الجزء الأول

الجزء الثاني

الجزء الثالث



مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com